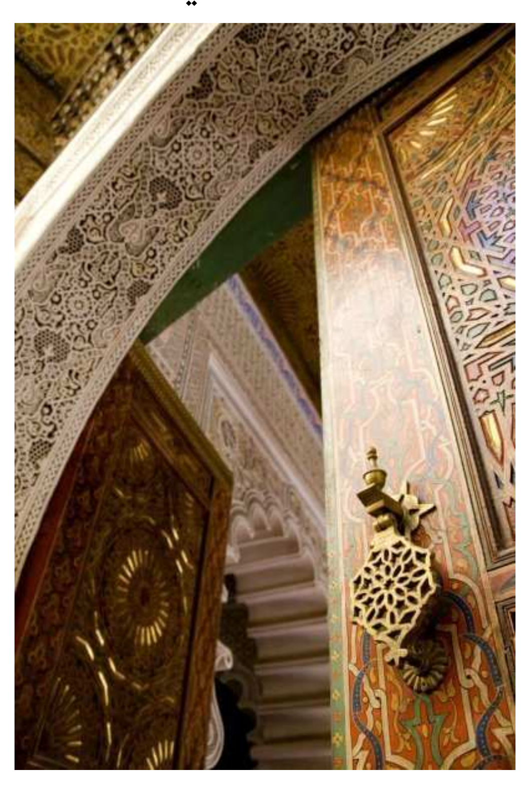
جَوَاهِرُ المَعَانِي
وَبُلُوغُ الأَمَانِي
فِي فَيْضِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ
التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لِلعَلَّامَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي

عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ العَرْبِي بَرَّادَةَ الفَاسِي

رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ



تَحْقِيقُ وَتَصْحِيحُ

ذ. مُحَمَّد الرَّاضِي كَنُّون الإِدْرِيسِي الحَسَنِي

رقم الإيداع القانوني
ردمك

مطبعة
المؤلف ... محمد الراضي كنون
الهاتف ... 0661683399

الموقع الإلكتروني:
www.cheikh-skiredj.Com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ والخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ والهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ وعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ ومِقْدَارِهِ العَظِيمِ"

دِرَاسَةُ الكِتَاب

التَّعْرِيفُ بِالمُؤَلِّفِ

هُوَ العَارِفُ بِاللَّهِ الخَلِيفَةُ الشَّهِيرُ سَيِّدِي الحَاجُّ عَلِيٌّ حَرَازِمُ بْنُ العَرَبِيِّ بَرَّادَةُ الفَاسِي[1]، مِنْ أُسْرَةٍ فَاضِلَةٍ مَجِيدَةٍ، مِنْ أَعْرَقِ الأُسَرِ العَتِيقَةِ بِمَدِينَةِ فَاسٍ،

---

[1] ـ أنظر ترجمته في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 1. تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) . جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني ، للمؤلف نفسه 2 : 52 - 61 . جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) . أسنى المطالب ، فيما يعتني به الطالب ، للمؤلف نفسه 13 - 21 . تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس و الطروس ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) . الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية ، للمؤلف نفسه 63 و 70 و 76 و 77 و 79 و108 و 110. الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين ، للمؤلف نفسه 12 - 13 (مخطوط) . ثمرة الفنون ، في فوائد تقر بها العيون ، للمؤلف نفسه 61 (مخطوط) . إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية ، للعلامة الحجوجي ج 1 رقم الترجمة 1 . نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف ، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 1 . مقدمة كتاب فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام ، للمؤلف نفسه بتحقيقنا عليه . نسمات القرب والإفضال ، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال ، للمؤلف نفسه 39. روض شمائل أهل الحقيقة ، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة ، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 1 . بغية المستفيد لشرح منية المريد ، لسيدي محمد العربي بن السائح 255 - 256 . كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي 94 (مخطوط) . أضواء على الشيخ أحمد التجاني و أتباعه ، لعبد الباقي مفتاح 103 - 106 . عمدة الراوين في تاريخ تطاوين ، لأحمد الرهوني. تعطير النواحي ، بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي ، لعمر بن محمد الرياحي 1 : 11 - 16 . الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية ، للعلامة إدريس العراقي 15 . الورود العاطرة النشر ، في الجواب عن الأسئلة العشر ، للمؤلف نفسه 40 و 91 و 107 و 122 و 138 . تفضيض ظاهر و باطن الأواني بتكميل كتاب نيل الأماني ، للمؤلف نفسه 2 : 46 و 133 و 203 و387 . غاية الأماني في مناقب و كرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني ، لمحمد السيد التجاني 7 : 9. موسوعة أعلام المغرب 7 : 2445 . معجم المؤلفين ، لكحالة 7 : 57 . العضب اليماني في الرد عن شيخنا سيدي أحمد التجاني ، لأحمد بن محمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي 40 . الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني ، للطصفاوي 61 و 64 . كناش العلامة سيدي محمد (فتحا) كنون 1 - 4 (مخطوط خاص)

فَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرٌ * وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَا وَالكَوَاكِبِ

قَالَ العَلَّامَةُ الحَجُوجِي فِي التَّعْرِيفِ بِهِ فِي مَطْلَعِ كِتَابِهِ "إِتْحَافُ أَهْلِ المَرَاتِبِ العِرْفَانِيَةِ، بِذِكْرِ بَعْضِ رِجَالِ الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ" :

الأُسْتَاذُ الكَامِلُ. العَارِفُ الوَاصِلُ. أَوْحَدُ الفُضَلَاءِ، وَأَكْمَلُ النُّبَلَاءِ، مُرْشِدُ السَّالِكِينَ إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ، وَمُرَبِّي المُرِيدِينَ بِدَقَائِقِ أَسْرَارِ التَّوْفِيقِ، السَّارِي ذِكْرُهُ الجَمِيلُ فِي كُلِّ قُطْرٍ مَسِيرَ المَثَلِ السَّائِرِ. أَحَدُ الاَتْقِيَاءِ الأَكَابِرِ، صَاحِبُ المَجْدِ الَّذِي أَشْرَقَتْ شُمُوسُهُ، وَأَيْنَعَتْ فِي رِيَاضِ المَعَالِي غُرُوسُهُ، الخَلِيفَةُ الأَكْبَرُ. صَاحِبُ السِّرِّ الأَبْهَرِ. أَبُو الحَسَنِ سَيِّدِي الحَاجُّ عَلِي حَرَازِمُ بْنُ العَرَبِيّ بَرَّادَةُ الفَاسِي مَوْلِدًا وَمَنْشَأً، الحِجَازِي وَفَاةً، إِنَّمَا بَدَأْتُ بِهِ لِكَوْنِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلِيفَةَ الشَّيْخِ الأَعْظَمِ، وَقَالَ فِيهِ مَوْلَانَا الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا خَلَّفْتُ أَحَدًا، سِوَى سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، أَمَرَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَخَلَّفْتُهُ، وَقَالَ فِيهِ: لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا إِلَّا بِوَاسِطَةِ السَّيِّدِ الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ .وَأَخْبَرَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً خَاصَّةً .

وَقَالَ عَنْهُ العَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِج فِي كِتَابِهِ "كَشْفُ الحِجَابِ، عَمَّنْ تَلَاقَى مَعَ الشَّيْخِ التِّجَانِي مِنَ الأَصْحَابِ" :

فَمِنْهُمْ الوَلِيُّ الكَامِلُ وَالعَارِفُ الوَاصِلُ الخَلِيفَةُ العُظْمَى ذُو المَقَامِ الأَسْمَى الجَامِعُ لِأَشْتَاتِ المَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ ، وَالرَّاقِي فِي أَوْجِ المَعَالِي بَيْنَ الأَخْيَارِ ، شَمْسُ السَّعَادَةِ الَّتِي أَشْرَقَتْ فِي أُفُقِ المَعَالِي ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَى أَدْنَى مَرْتَبَةٍ مِنْهَا اليَوْمَ

عَالِي ، أَبُو الحَسَنِ سَيِّدِي الحَاجُّ عَلِيٌّ بْنُ العَرَبِيّ بَرَّادَةُ المَغْرِبِيُّ الفَاسِي ، أَكْبَرُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ العَارِفِينَ الوَاصِلِينَ ، وَالأَوْلِيَاءِ الكَامِلِينَ ، الجَامِعِينَ لِأَشْتَاتِ اللَّطَائِفِ وَالظَّرَائِفِ ، الخَائِضِينَ فِي بُحُورِ المَعَارِفِ حَتَّى بَلَغَ الذِّرْوَةَ العُلْيَا وَامْتَازَ بِالفَتْحِ الرَّبَّانِي بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَقَدْ كَانَ عِنْدَ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَكَانَ يُعَظِّمُهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ، وَيُنَوِّهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ بِمَقَامِهِ العَظِيمِ ، حَتَّى كَانَ يَغَارُ مِنْ ذَلِكَ البَعِيدُ وَالقَرِيبُ . وَكَانَ يَقُولُ فِي حَقِّهِ : قَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُوَ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ مِنِّي، وَفِي بَعْضِ المَشَاهِدِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا يُخَاطِبُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ : يَا أَحْمَدُ اسْتَوْصِ بِخَدِيمِكَ الأَكْبَرِ، وَحَبِيبِكَ الأَشْهَرِ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، فَإِنَّهُ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَاللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ ، وَلَا وَصِيَّةَ أُوصِيكَ عَلَى خَدِيمِكَ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الوَصِيَّةِ وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا العَلَّامَةُ ذَاتُهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ فِي مَنْظُومَتِهِ المُسَمَّاةُ بِجُنَّةِ الجَانِي، فِي تَرَاجِمِ أَصْحَابِ الشَّيْخِ التِّجَانِي :

وَمِنْهُمُ الأَرْضَى عَلِي حَرَازِمْ * مَنْ هُو فِي نَهْجِ الرَّشَادِ حَازِمْ
أَقَامَهُ سَيِّدُنَا مُقَامَهْ * فلَمْ يَنَلْ مِنْهُ السِّوَى مَقَامَهْ
فَهْوَ الخَلِيفَةُ عَلَى الحَقِيقَهْ * عَنْ شَيْخِنَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقَهْ
وَ كَانَ يُدْعَى عِنْدَهُ خَلِيفَهْ * حَتَّى ارْتَقَى بِالرُّتْبَةِ المُنِيفَهْ
وَ حِينَ حَلَّ بِمَقَامِ الفَتْحِ * سَافَرَ بِالإِذْنِ لِنَيْلِ الرِّبْحِ
وَ كَانَ فِي مَنَامِهِ وَ اليَقَظَهْ * يَرَى النَّبِيَ وَ بِودٍّ لَحَظَهْ

يُـحِـبُّـهُ مَـحَـبَّـةَ الأَوْلاَدِ * وَ مِـنْـهُ نَـالَ غَـايَـةَ الـمُرَادِ
وَ كَمْ لَـهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَظِيمِ * وَ مِنْ مَقَامٍ فِي العُلاَ مُقِيمِ
لَهُ التَّصَرُّفُ بِالإِسْمِ الأَعْظَمِ * وَ فِـي التَّوَكُّلِ أَجَلُّ قَـدَمِ
أَبْـدَى لَنَا جَوَاهِرَ المَعَانِي * فِـي ضِمنِهِ مَوَاهِبُ المَنَّانِ
وَ كَنْزُهُ الـمُطَلْسَمُ العَجِيبُ * صَنِيعُهُ بَيْنَ الـوَرَى غَرِيبُ
وَ شَرْحُهُ العَجِيبُ لِلهَمْزِيَّةِ * دَلَّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَزِيَّةِ
وَ كَمْ سَقَانَا سِرَّهُ المَخْتُومَا * أَوْدَعَـهُ كُـنَّاشَهُ المَكْتُومَا
وَ قَـدْ تَلاَقَى مَعَ شَمْهَرُوشِ * وَ عَنْهُ يَرْوِي هَاجِمِ الجُيُوشِ
عَنْهُ تَلَقَّى سِرَّ حِزْبٍ يَمَنِي * بِإِذْنِهِ المُطْلَقِ طُولَ الزَّمَنِ
وَ حَازَ مِـنْ سَيِّدِنَا إِدْرِيسَا * كَمَالَ أَسْمَاءٍ حَوَتْ تَقْدِيسَا
وَ مَوْتُهُ تَارِيخُهُ فِـي الأُمَّهْ * رِحْلَتُهُ لِنَيْلِ بِـرٍّ رَحِمَهْ

مُؤَلَّفَاتُهُ

لِلْعَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ مُؤَلَّفَاتٌ أُخْرَى غَيْرُ كِتَابِ الجَوَاهِرِ مِنْهَا :

رِسَالَةُ الفَضْلِ وَالإِمْتِنَانِ، إِلَى كَافَّةِ الأَحْبَابِ وَالإِخْوَانِ:

فَرَغَ مِنْ كِتَابَتِهَا بِتَارِيخِ 11 جُمَادَى الثَّانِيَةِ سَنَةَ 1208 هـ أَيْ قَبْلَ إِتْمَامِهِ لِكِتَابِهِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، تَقَعُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فِي 25 صَفْحَةٍ وَقَدْ أَوْرَدَهَا العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ ضِمْنَ

الجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِهِ "رَفْعُ النِّقَابِ" مِنْ ص 130 إِلَى ص 157 وَمِمَّا قَالَهُ فِي تَقْرِيضِهَا العَلَّامَةُ المَذْكُورُ :

هَذِي الرِّسَالَةُ فِيهَا السِّرُّ قَدْ جُمِعَا * لِمَنْ يُطَالِعُهَا كَنْزُ الغِنَا طَلَعَا
يَحْظَى بِهَا بِهَنَاهُ وِفْقَ مَطْلَبِهِ * دُنْيَا وَدِينًا وَلَا يَزَالُ مُنْتَفِعَا
جَاءَتْ عَلَى وَفْقِ مَا يَهْوَاهُ طَالِبُهَا * فِي مَنْهَجِ الحَقِّ حَيْثُ صَارَ مُتَّبِعَا
أَكْرِمْ بِهِ جَاءَ بَيْنَ العَارِفِينَ بِهَا * فَإِنْ قَدَرَ الَّذِي بِهَا اهْتَدَى ارْتَفَعَا

الكَنْزُ المُطَلْسَمُ، فِي حَقِيقَةِ سِرِّ اسْمِهِ الأَعْظَمِ:

يَتَكَوَّنُ مِنْ مَشَاهِدَ نَبَوِيَّةٍ كَرِيمَةٍ تَفُوقُ التِّسْعِينَ مَشْهَدًا تَخْتَلِفُ مَا بَيْنَ مَشَاهِدَ لِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَأُخْرَى لِصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ بِمَرَاتِبِهَا الثَّلَاثَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَبَاطِنَةِ البَاطِنِ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَشَاهِدَ كَثِيرَةٍ حَوْلَ الإِسْمِ الأَعْظَمِ وَشُؤُونِ الذَّاتِ وَحَقَائِقِ القُرْآنِ العَظِيمِ وَأَسْرَارِهِ. تُوجَدُ مِنْهُ نُسَخٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ مُرِيدِي الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ أَهَمُّهَا وَأَصَحُّهَا نُسْخَةُ الفَقِيهِ سَيِّدِي أَحْمَدَ العَبْدَلَّاوِيِّ وَنُسْخَةُ العَلَّامَةِ مَحْمُودِ بْنِ المَطْمَاطِيَّةِ وَأُخْرَى لِلْعَلَّامَةِ القَاضِي أَحْمَدَ سُكَيْرِجٍ وَلِهَذَا الأَخِيرِ يَقُولُ فِي تَقْرِيضِهَا :

إِنَّ المَشَاهِدَ أَمْرُهَا * مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ العُجَابْ
فِي كُلِّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْـ * ـهِ مَا لَهُ تَعْنُو الرِّقَابْ

إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي خِتَامِهَا :

فَـاعْـجَبْ لِـمَنْ هِـيَ عِـنْدَهُ * إِنْ لَـمْ يَـطِرْ فَـوْقَ اللُّبَابْ
جَـمَـعَـتْ غَـرَائِـبَ جَـمَّـةً * وَعَـجَـائِبًا مِـنْ أَلْـفِ بَـابْ
فَـــإِذَا ظَـفِـرْتَ بِـهَـا فَـلَا * تَـسْـمَـحْ بِـهَـا لِـلْـمُسْتَرَابْ
فَـالـشَّـيْءُ إِنْ يَـكُ مُـعْـجَبًا * فِـيـهِ يُـحَاذِرُ ذُوو الصَّوَابْ
صُـنْـهَا عَــنِ الأَغْــيَارِ حَـ * ـتَّـى عَنْكَ صُنْهَا بِاحْتِجَابْ
فَــتَـنَـالَ سِـــرًّا بَـــاهِــرًا * وَالـلَّـهُ يَـمْـنَـحُكَ الـثَّـوَابْ

الإِرْشَادَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ، بِالفُتُوحَاتِ الإِلَاهِيَّةِ مِنْ فَيْضِ الحَضْرَةِ الأَحْمَدِيَّةِ التِّجَانِيَةِ:

تَلَقَّى مُضْمَنَهُ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، يَقَعُ فِي صَفْحَةٍ، طُبِعَ، وَقَدْ قَرَّضَهُ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ بِقَصِيدَةٍ رَائِيَّةٍ قَالَ فِي مَطْلَعِهَا :

مَـاذَا تَبَدَّى لَنَا مِنْ دَاخِلِ السِّفْرِ * حَتَّى غَدَوْنَا بِهِ فِي حَالَةِ السُّكْرِ
كَـأَنَّمَا الـخَمْرَةُ اسْتَوْلَتْ بِلُعْبَتِهَا * بِـعَـقْلِنَا وَلَـقَدْ مِلْنَا عَـنِ الـخَمْرِ

إِلَى أَنْ قَالَ فِي خِتَامِهَا :

فَلْـتَقْتَبِسْ مِـنْ سَـنَا أَنْـوَارِهِ قَـبَساً * فَـإِنَّـهُ يُـذْهِبُ الـدُّجَى مَـدَى الـدَّهْرِ
لِـمْ لَا وَمُـبْدِيهِ بَـحْرُ العِلْمِ سَيِّدُنَا الـ * ـخَتْمُ التِّجَانِي الَّذِي عَلَا عَلَى البَدْرِ
عَــنْـهُ تَـلَـقَّاهُ ذُو الـتُّقَى خَـلِيفَتُهُ * عَـلِـي حَـرَازِمُ وَهْـوَ صَـاحِبُ الـسِّرِّ

فَـاللَّهُ يَجْزِيـهِ خَـيْرًا عَــنْ كِتَابَتِهِ * وَجَـمْـعِـهِ وَيُـوَفِّـيـهِ مِــنَ الأَجْــرِ

وَالـلَّـهُ يَـنْفَعُ كُـلَّ الـمُعْتَنِينَ بِـهِ * وَمَــنْ لَـنَا بِـالدُّعَا لِسَانُهُ يَجْـرِي

مُلَاقَاتُهُ بِالشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي

قَالَ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "كَشْفُ الحِجَابِ" : وَسَبَبُ أَخْذِهِ عَنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُؤْيَا رَآهَا قَبْلَ الإِجْتِمَاعِ بِهِ، وَنَسِيَهَا حَتَّى ذَكَّرَهُ بِهَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ بِهِ فِي مَدِينَةِ وَجْدَةَ سَنَةَ 1191هـ ، حِينَ خَرَجَ مِنْ تِلِمْسَانَ قَاصِدًا زِيَارَةَ الوَلِيِّ الكَامِلِ الَّذِي افْتَخَرَ بِهِ المَغْرِبُ عَلَى المَشْرِقِ مَوْلَانَا إِدْرِيسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ فِي المُنْيَةِ [بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ أَنَّهُ جَاءَ تِلِمْسَانَ فِي العَامِ التَّالِي لِحَجِّهِ]

فِـي عَـامِ وَاحِدٍ وَتِـسْعِينَ وَفِـي * هَذَا الْتَقَى مَعْ خِلِّهِ الخِلِّ الوَفِي

تِـلْـمِـيـذِهِ صَـاحِـبِـهِ حَــــرَازِمْ * صَـاحِبِ سِــرِّهِ الإِمَـامِ الـحَـازِمْ

وَلَـمْ تَـكُنْ مَـعْرِفَةٌ مِــنْ قَـبْلِ * ذَاكَ لَــهُ بِـشَـيْخِنَا ذِي الـفَضْلِ

حَـتَّـى تَـعَـرَّفَ لَــهُ فَـكَاشَفَهْ * يَـوْماً بِـرُؤْيَا سَـلَفَتْ مُـكَاشَفَهْ

دَلَّــتْ عَـلَى صُـحْبَتِهِ وَ ذَكَّـرَهْ * وَقَــدْ نَـسِي وَبِـالـمَعَالِي بَـشَّـرَهْ

نَصُّ اسْتِجَازَةِ المُؤَلِّفِ لِشَيْخِهِ القُطْبِ الخَتْمِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الحَمْدُ لِلَّهِ بِلِسَانِ المَرْتَبَةِ الجَامِعَةِ لِلْكَمَالَاتِ كُلِّهَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ بِأَجْمَعِهَا، وَعَلَى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَشَيْخِنَا أَبِي العَبَّاسِ السَّلَامُ التَّامُّ وَالقُرْبُ العَامُّ مِنْ حَضْرَةِ رَبِّهَا .

أَمَّا بَعْدُ، فَالْمَطْلُوبُ مِنْ كَمَالِ فَضْلِ سَيِّدِنَا الَّذِي أَسْدَى اللَّهُ فَضْلًا وَرَحْمَةً وَمَدَدًا إِلَيْنَا، أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا بِمَا وَعَدَنَا بِخَطِّ يَدَيْهِ الكَرِيمَتَيْنِ إِلَيْنَا، كَمَا هُوَ مَعْهُودٌ مِنْ فَضْلِ سَيِّدِنَا مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنَّا، بَلْ مَحْضُ فَضْلٍ وَإِكْرَامٍ وَامْتِنَانٍ عَلَيْنَا مِنْ سُورَةِ [illegible] بِمَا لَهَا مِنَ الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ وَالوَقْتِ، وَمَا لَهَا مِنَ اللُّزُومِ، وَدَفْعِ عَوَارِضِهَا مِنَ الشُّرُورِ وَالهُمُومِ، وَإِعْطَاءِ مَا لَدَيْهَا مِنَ الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ، وَأَنْ يُدِيمَ عَلَيْهَا بِحَوْلِ اللَّهِ عَلَى عَدَدِ الدَّهْرِ وَالعُمُومِ، وَكَذَلِكَ الكِتَابُ [illegible] أَيْضًا عَلَى مَا يَلِيقُ بِالحَالِ، وَيُزِيلُ الإِشْكَالَ، وَإِنْ ظَهَرَ لِسَيِّدِنَا أَمْرٌ آخَرُ فَهُوَ أَدْرَى بِحَالِنَا، وَلَا نَسْتَحِقُّ شَيْئًا عَلَى سَيِّدِنَا، إِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْهُ عَلَيْنَا

وَأَطْلُبُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي الضَمَانَ الَّذِي ضَمِنْتَ لِي بِخَطِّ يَدَيْكَ مِنْ مَقَامِ مَوْلَانَا الهُمَامِ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ العَرَبِيِّ الحَاتِمِي، بِمَا لَهُ مِنَ العُلُومِ وَالأَسْرَارِ وَالأَحْوَالِ وَسَائِرِ المَقَامَاتِ، وَأَنْ نَكُونَ وَارِثًا لَهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عَلَى كَمَالِ الأَحْوَالِ، مَعَ حِفْظِ الشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ، وَبَشَرِّيَّتِي مَحْفُوظَةٌ عَلَيَّ ضَمَانًا لَازِمًا عِنْدَ وُصُولِي لِلْمَقَامِ، وَأَنْ تُفْرِغَ عَلَيَّ مِنْ جَلَابِيبِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ وَالأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَكُنُوزِ الحَقِيقَةِ عِنْدَ وُصُولِ هَذَا المَقَامِ دُفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ

وَلَا تَعَبٍ، وَمَا طَلَبْتُ مَقَامَ ابْنِ العَرَبِيِّ حَتَّى عَرَفْتُ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ مَقَامَكَ أَعْلَى مِنْهُ، وَلَا مَطْمَعَ لِي فِيهِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ أَحُومَ حَوْلَهُ .

وَأَطْلُبُ مِنْكَ سَيِّدِي أَيْضًا أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعَ العَوَارِضِ الَّتِي تَقْطَعُنِي عَنْ جَمِيعِ الخَيْرَاتِ، فَإِنِّي إِنْ حَاوَلْتُ أَمْرًا قَطَعَتْنِي عَنْهُ العَوَائِقُ، وَلَا طَاقَةَ لِي بِرَفْعِهَا عَنِّي، وَهَذَا الأَمْرُ عِنْدِي مُحَقَّقُ الوُقُوعِ، وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ سَأَلْتُكَ سَيِّدِي بِوَجْهِ اللَّهِ وَذَاتِهِ العَلِيَّةِ وَجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ وَجَاهِهِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا رَحِمْتَ غُرْبَتِي، وَتَوَجَّهْتَ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِ مُلِمَّتِي الَّتِي حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ حَقِيقَتِي، فَإِنِّي تَحَقَّقْتُ أَنَّ الفَتْحَ الأَكْبَرَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِ المَقَامِ، وَلَا مَطْمَعَ لِي فِيهِ الآنَ،

وَأَمَّا تَنْوِيرُ بَاطِنِي وَاسْتِقَامَتُهُ وَإِظْهَارُ فَضْلِكَ وَمَدَدِكَ عَلَيَّ وَحُصُولُ الخَيْرَاتِ لَدَيَّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَلَا أَقْبَلُ فِيهِ عُذْرًا مِنْ سَيِّدِي مِنَ الآنَ إِلَى حُصُولِ المَقَامِ، وَبَعْدَ حُصُولِ المَقَامِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ، وَأَنْ تَقْبَلَنِي قَبُولًا تَامًّا، عَامًّا شَامِلًا، جَامِعًا لِأَحْوَالِي الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، مَعَ أَوْلَادِي وَإِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَكُلِّ مَنْ أَخَذَ عَنِّي وِرْدَكَ قَبُولًا لَا يَنْقَطِعُ عَنِّي إِلَى دُخُولِي مَعَكَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي جِوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَطْلُبُ مِنْكَ الضَّمَانَ لِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اليَقَظَةِ ضَمَانًا لَازِمًا لَا يَنْفَكُّ عَنِّي إِلَى دُخُولِي الجَنَّةَ، وَأَطْلُبُ مِنْكَ الضَّمَانَ أَيْضًا أَنَّ كُلَّ مَا أُحَاوِلُهُ يَنْتُجُ لِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَمِنْ كَمَالِ فَضْلِكَ وَمَدَدِكَ السَّارِي إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ مِنْ رَبِّي،

وَأَنْ لَا يَدْخُلَنِي خَلَلٌ فِي طَرِيقِي، وَلَا فِي حَقِيقَتِي. وَأَنْ تَكُونَ شَرِيعَتِي كَامِلَةً وَحَقِيقَتِي جَامِعَةً، وَأَنْ لَا يَتَصَرَّفَ فِيَّ مَخْلُوقٌ دُونَكَ، وَأَنْ أَكُونَ مَأْمُونًا مِنَ السَّلْبِ إِلَى دُخُولِ مَنْزِلِي فِي الجَنَّةِ، وَأَنْ تُعَاهِدَنِي أَنْ لَا تَضُرَّنِي وَلَا يَحْصُلَ لِي ضَرَرٌ مِنْ

جَنَابِكَ لِتَقْصِيرِي وَتَفْرِيطِي، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِي لِحُرْمَتِكَ وَعُلُوِّ مَنْصِبِكَ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُقَدِّرَ قَدْرَكَ، وَلَا أَعْرِفُ أَدَبًا نَتَأَدَّبُ بِهِ مَعَكَ، إِلَّا إِنِّيَ مُلْقًى بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَسْلَمْتُ قِيَادِي لَكَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَأَنْتَ أَوْلَى بِي مِنْ نَفْسِي، فَلَا أَعْرِفُ مَا يَنْفَعُنِي وَمَا يَضُرُّنِي، وَلَا كَتَبْتُ هَذِهِ الحُرُوفَ إِلَّا جَهْلًا مِنِّي، قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .

وَأَطْلُبُ مِنْكَ سَيِّدِي الضَّمَانَ فِي كُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنِّي مِنَ الأَسْبَابِ المَرْضِيَّةِ، وَمِمَّنْ طَلَبَ مِنِّي الدُّعَاءَ أَوْ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ مَا عَدَا الأُمُورَ المَخزَنِيَّةَ، فَإِنِّي بَرِيءٌ مِنْهَا، وَإِنْ طَلَبَ مِنِّي أَحَدٌ شَيْئًا فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِمَّتِي إِلَيْكَ فَأَطْلُبُ مِنْكَ، فَمَا أَجَابَنِي بِهِ قَلْبِي فَعَلْتُهُ، إِمَّا بِالتَّرْكِ أَوِ الفِعْلِ، وَلَا أَفْعَلُ فِعْلًا إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ بِكَ،

وَأَحْوَالِي الظَّاهِرَةُ وَالبَاطِنَةُ كُلُّهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَيْكَ، وَتَحْتَ حُكْمِكَ وَطَوْعَ يَدَيْكَ مِنَ الآنَ إِلَى حِينِ وُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، وَهَذِهِ شَهَادَتِي بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، فَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِكَ وَطَاعَتِكَ، وَلَا أُخَالِفُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ إِلَى دُخُولِي جَنَّتَكَ، فَأَنَا وَلَدُكَ وَعَبْدُكَ وخَدِيمُكَ وَمُرِيدُكَ، فَلَا مَفَرَّ لِي مِنْ بَابِكَ، وَإِنْ طَرَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَأَنَا مُلَازِمُ البَابَ، أُعَفِّرُ خَدِّي فِي بَابِ الأَعْتَابِ، وَمُتَشَفِّعٌ إِلَيْكَ بِحَبِيبِ الأَحْبَابِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

فَاقْبَلْ طَلْبَتِي، وَجَاوِبْ عَمَّا فِي كِتَابِي لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ حَالِي كَيْفَ خَرَجْتُ مِنْ دَارِي، وَلَا رُجُوعَ لِي إِلَيْهَا إِلَّا بِهَذَا الضَّمَانِ، وَحِينَ أُفَارِقُكَ يَظْهَرُ عَلَيَّ خَيْرُكَ وَمَدَدُكَ السَّارِي، فَقَدْ عَاقَنِي الدَّهْرُ، وَفَارَقَنِي النَّوْمُ، وَضَاعَ عُمْرِي هَمَلًا .

وَأَطْلُبُ مِنْكَ سَيِّدِي أَنْ أَكُونَ مِنْكَ عَلَى بَالٍ، وَلَا تَنْسَانِي سَيِّدِي، وَرَاعِي أَحْوَالِي الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ، وَلَا تَقْطَعْ عَنِّي مَدَدَكَ لَمْحَةً وَاحِدَةً سَيِّدِي لِوَجْهِ اللَّهِ، وَأَسْأَلُكَ

سَيِّدِي بِوَجْهِ اللَّهِ العَظِيمِ، وَبِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ، أَنْ تُبَشِّرَنِي بِبِشَارَةٍ إِنْ كَانَ لِي نَصِيبٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ العَظِيمَةِ أَوْ لَا نَصِيبَ لِي فِيهَا، وَهَذَا سُوءُ أَدَبِي وَجَهْلِي، فَسَامِحْنِي وَاعْذُرْنِي لِمَا حَلَّ بِي مِنَ الهِجْرَانِ وَالقَطِيعَةِ عَنْ حَضْرَةِ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ،

وَالأَهَمُّ عِنْدِي هُوَ رَفْعُ العَوَارِضِ عَنِّي جَمِيعًا، وَلَا أَقْبَلُ فِيهِمَا عُذْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ العَوَارِضُ وَالعَلَائِقُ وَالعَوَائِدُ هِيَ المَانِعُ لِي مِنْ جَمِيعِ الخَيْرَاتِ، فَإِنْ صَرَفْتَ سَيِّدِي هِمَّتَكَ إِلَيْهَا صَارَتْ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَانْزَاحَتْ عَنِّي، فَإِنْ اتَّكَلْتُ عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ ضَاعَتْ أَوْقَاتِي وَلَا يُنْتِجُ لِي شَيْئًا، فَإِنْ تَوَجَّهَتِ العَلِيَّةُ انْزَاحَتْ عَنِّي الهُمُومُ وَالغُمُومُ، وَرَقَّتْ إِلَى الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ، وَرَبِحْتُ رِبْحًا عَاجِلًا وَآجِلًا مِنْ فَيْضِ عَلَّامِ الغُيُوبِ،

فَاللَّهَ اللَّهَ سَيِّدِي لِوَجْهِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ وَجِّهْ وِجْهَتَكَ إِلَيَّ وَقَلْبَكَ لَدَيَّ لَحْظَةً وَاحِدَةً تَنْزَاحُ عَنِّي هَذِهِ العَوَارِضُ وَالعَوَائِقُ، وَتَنْكَشِفُ لَدَيَّ جَمِيعُ الحَقَائِقِ، فَإِنْ قَبِلْتَنِي قَبُولًا تَامًّا فَبَخٍ بَخٍ، وَإِلَّا كُنْتُ مِنَ الهَالِكِينَ، وَكَلَّا وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا خَاسِئًا حَسِيرًا، فَأَنْتَ سَيِّدِي بَحْرٌ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُكَ الدِّلَاءُ، وَلَا يُنْقِصُ جُودَكَ الإِنْفَاقُ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ فَيْضِ اللَّهِ الأَرْزَاقُ،

وَلْنُقَصِّرِ العِنَانَ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ تَطْهِيرَ الجِنَانِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا كَتَبَتْ يَدِي، وَإِسَاءَةِ الأَدَبِ فِي حَضْرَةِ سَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالتَّجَاوُزَ وَالصَّفْحَ وَالقَبُولَ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْكَ مُتَدَاوَلٌ .

وَلَوْلَا جَهْلِي مَا كَتَبْتُ حَرْفًا وَاحِدًا، إِلَّا لِضُعْفِ حَالِي وَقِلَّةِ بِضَاعَتِي، وَلَكِنْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ أَنِّي خَدِيمُكَ وَحَبِيبُكَ وَوَلَدُكَ، أَسْأَلُكَ وَأَطْلُبُ مِنْكَ بِأَنِّي حَبِيبُكَ وَمَحْبُوبُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهَذَا لَا أَقْبَلُ فِيهِ عُذْرًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ، وَأَدَامَ حَيَاتَكُمْ لَنَا، وَجَعَلَ نَفْعَ المُسْلِمِينَ كَافَّةً عَلَى أَيْدِيكُمْ،

وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ يُمِيتَنِي اللَّهُ عَلَى مَحَبَّتِك، وَأَوْلَادِي وَأَحِبَّائِي، وَتَضْمَنَهُ لِي، وَالسَّلَامُ مِنْ عَبْدِكُمْ وَتِلْمِيذِكُمْ وخَدِيمِكُمْ، أَفْقَرِ الوَرَى إِلَيْكُمْ، وَالغَنِيِّ بِكُمُ، عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ لَطَفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ وَالجَوَابُ بِمَا يُقِرُّ اللَّهُ بِهِ العَيْنَ، وَيُطَمْئِنُ بِهِ القَلْبَ، وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ الجَوَارِحُ، وَالسَّلَامُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ آمِينَ،

نَصُّ إِجَابَةِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِجَازَتُهُ لَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ العَوَارِضِ الحَائِلَةِ بَيْنَكَ وَمَا تَقْصِدُ مِنْ عَمَلِ الآخِرَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَهُ مَا تَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِكَ مِنَ المَيْلِ إِلَى الرَّاحَاتِ، وَاقْتِحَامِ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا سَمِعَتْ أَنَّ مَقَامَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ حَاصِلٌ لَهَا بِلَا تَعَبٍ، فَمَالَتْ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ هَوَاهَا مِنَ الرَّاحَاتِ، فَلَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ مَقْصُودَهَا مِنَ المَعْرِفَةِ لَا يَحْصُلُ لَهَا إِلَّا إِذَا جَدَّتْ فِيمَا هُوَ مِنْ أَمْرِ الطَّرِيقِ مَعْرُوفٌ، وَفَارَقَتْ كُلَّ مَأْلُوفٍ، لَأَجَابَتْ إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهَا مِنَ المُجَاهَدَةِ، لِأَنَّهَا تُرِيدُ الظَّفَرَ بِمَطْلُوبِهَا،

فَلَمَّا سَمِعَتْ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهَا بِلَا تَعَبٍ لَمْ تُجِبْ إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهَا مِنَ المُجَاهَدَةِ وَمُفَارَقَةِ الحُظُوظِ، فَكُلُّ عَارِضٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْ ظُهُورِ حُكْمِهِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ العَارِضِ بِالقَلْبِ عَلَى حَالِهِ يُمْكِنُ مَعَهُ نَقِيضُ حُكْمِهِ فَقَدْ جَهِلَ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنْ ظَنِّهِ إِلَّا التَّعَبُ لَا غَيْرُ .

وَمَثَلُ العَارِضِ كَالسَّحَابِ فِي السَّمَاءِ، وَمِثَالُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ المُجَاهَدَةِ كَالشَّمْسِ، فَإِذَا صَحَا السَّمَاءُ مِنَ السَّحَابِ طَلَعَتْ الشَّمْسُ، وَإِذَا وَقَعَ السَّحَابُ دُونَهَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يُمْكِنُ وُقُوعُ السَّحَابِ فِي السَّمَاءِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ ضَاحِيَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَتَعَقَّلْ هَذَا وَتَأَمَّلْهُ تَسْتَفِدْ مِنْهُ عِلْمًا عَظِيمًا، وَحَيْثُ قَامَتْ العَوَارِضُ بِالقَلْبِ مِنَ المَيْلِ

إِلَى الرَّاحَاتِ، وَاقْتِحَامِ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، امْتَلَأَ القَلْبُ بِصُوَرِ الأَكْوَانِ وَالمَيْلِ إِلَيْهَا،

وَحَيْثُ وَقَعَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ تَخْلِيطُ القَلْبِ فِي أَمْرِ الهَوَى وَالبُعْدِ عَنْ حَضْرَةِ القُدْسِ وَعَنْ جَمِيعِ مُقْتَضَيَاتِهَا، فَلَا تَزُولُ مِنْهُ هَذِهِ الأُمُورُ إِلَّا بِوَارِدِ الفَتْحِ الَّذِي يَفِيضُ مَعَهُ بَحْرُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلَا تَطْمَعْ أَنْ يَخْلُوَ قَلْبُكَ مِنَ الظَّلَامِ وَالكَدَرِ مَا دَامَتْ فِي قَلْبِكَ هَذِهِ العَوَارِضُ، وَحَضْرَةُ الحَقِّ جَارِيَةٌ عَلَى النِّسَبِ، لَا تَخْرُجُ عَنْ نِسَبِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا تَطْلُبُهُ لَهُ أَجَلٌ مُقَدَّرٌ، إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ جَاءَ، وَلَا يَتَعَجَّلُ بِطَلَبِ تَعْجِيلِكَ، وَلَوْ رُمْتَ الخُرُوجَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ إِلَى تَنْوِيرِ القَلْبِ وَصَفَاءِهِ فَاذْهَبْ وَانْقَطِعْ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، وَاسْتَغْرِقْ أَوْقَاتَكَ فِي الذِّكْرِ المُفْرَدِ تَرَى العَجَبَ مِنْ تَمْكِينِ الصَّفَا، فَإِنْ لَمْ تُسَاعِفْكَ نَفْسُكَ عَلَى هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنْكَ مَا ذَكَرْنَا، وَاتْرُكْ عَنْكَ مَا يَتَغَلْغَلُ فِي قَلْبِكَ مِنْ خَوَاطِرِ السُّوءِ المُفْضِيَةِ إِلَى سُوءِ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ وَمَعَنَا بِطَلَبِكَ أُمُورًا لَا نِسْبَةَ لَهَا فِيكَ إِلَّا نِسْبَةَ نَقَائِضِهَا

لَقَدْ رُمْتَ الحَصَادَ بِغَيْرِ حَرْثٍ * يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي

وَهَذَا القَدْرُ كَافٍ إِنْ فَهِمْتَ، وَأَمَّا ضَمَانُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مِنْ مَقَامِ مُحْيِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَضْمَنُهُ لَكَ، إِلَّا قُطْبَانِيَتَهُ فَلَا أَعْلَمُ فِيهَا أَمْرًا وَلَا غَيْرَهُ، وَلَا أَضْمَنُهَا، وَهِيَ مَوْكُولَةٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ، وَأَمَّا مَحَبَّتُكَ لَنَا فَأَنَا أَضْمَنُهَا لَكَ أَنْ تَمُوتَ عَلَيْهَا إِنْ فَارَقَكَ مَا تَخَوَّفْتُهُ عَلَيْكَ، وَإِنِّي تَخَوَّفْتُ عَلَيْكَ مِنْ طَلَبِكَ الأَغْرَاضَ مِنَّا أَنْ تَنْقَطِعَ عَنَّا، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ جِهَتِي، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ إِكْثَارِكَ مِنْهَا،

فَإِذَا طَالَ أَمْرُكَ وَلَمْ تَرَ شَيْئًا مِنْ أَغْرَاضِكَ قَالَ لَكَ الوَسْوَاسُ لَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ يُرْجَى، وَلَا فَائِدَةَ تُجْتَنَى، فَانْهَدَمَ قَصْرُ اقْتِصَارِكَ عَلَيْنَا بِرَغْبَتِكَ فِي غَيْرِنَا، فَتَنْقَطِعُ المَحَبَّةُ مِنْ أَصْلِهَا، وَتَقَعُ فِيمَا لَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى حَمْلِهِ مِنَ الضَّرَرِ، وَلَا أَذْكُرُهُ لَكَ لِعَدَمِ إِمْكَانِهِ، وَإِنْ انْقَطَعْتَ عَنَّا رَأَيْتَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، فَتَنْدَمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، بَلِ اذْهَبْ وَالْزَمْ وَالْتَزِمْ مَا قُلْنَا لَكَ مِنَ الأَوْرَادِ، مُسَلِّمًا قِيَادَكَ لِلَّهِ فِي الرِّضَا مَا أَقَامَكَ فِيهِ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ بِالفَتْحِ فَقَطْ، وَدَعْ عَنْكَ مَا عَدَا هَاذَانِ،

وَأَمَّا مَا طَلَبْتَ مِنَ الضَّمَانِ فِي المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ مِنْ كَوْنِهَا صَافِيَةً مِنَ اللَّبْسِ، مَمْزُوجَةً حَقِيقَتُهَا بِالشَّرِيعَةِ، فَإِنَّ أَمْرَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ لَا غَيْرُ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى ضَمَانَةٍ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَلَّا تُسْلَبَ مَا دُمْتَ فِي مَحَبَّتِنَا، وَكُلَّ مَا دُونَهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ بِلَا حِسَابٍ إِلَى مَا وَرَاءَهُ وَمَا قَبْلَهُ .

وَسَامَحْتُكَ فِيمَا لَا تَعْلَمُهُ مِمَّا مُقْتَضَاهُ سُوءُ الأَدَبِ، وَأَمَّا السُّورَةُ فَتُدَاوِمُهَا 11000 كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ لَيْلَةٍ، مُخْتَلِيًا وَحْدَكَ وَقْتَ ذِكْرِهَا فَقَطْ، وَبَدْءُهَا أَنْ تَقْرَأَ الفَاتِحَةَ مَرَّةً وَصَلَاةَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ مَرَّةً، وَتُهْدِي ثَوَابَهُمَا لِأَهْلِ النَّوْبَةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الأَحْيَاءِ، ثُمَّ تَقُومُ وَتَقِفُ مُسْتَقْبِلًا وَتُنَادِي حَ دُسْتُورُ يَا أَهْلَ النَّوْبَةِ، جَبْهَتِي تَحْتَ نِعَالِكُمْ، حَ ثُمَّ تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ مَرَّةً وَتُهْدِي ثَوَابَهَا لِرُوحِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ وَالشَّيْخِ أَحْمَدَ الرِّفَاعِي وَجَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ الغَائِبِينَ وَالحَاضِرِينَ

ثُمَّ تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ مَرَّةً وَتُهْدِي ثَوَابَهَا لِرُوحِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ تَسْأَلُ المَدَدَ فِي سِرِّ السُّورَةِ وِفْقَ قَضَاءِ الحَاجَةِ الَّتِي تُرِيدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ تُنَادِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَسْأَلُ المَدَدَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ تَسْأَلُ المَدَدَ مِنْ جَمِيعِ الشُّيُوخِ الحَاضِرِينَ، أَعْنِي الأَحْيَاءَ، تُنَادِيهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ تُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 11مَرَّةً بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ،

ثُمَّ تَشْرَعُ فِي ذِكْرِ الوِرْدِ إِذَا لَمْ يَكُ فِي حَاجَةٍ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ 11 مَرَّةً، وَإِنْ كَانَ لِحَاجَةٍ تَنْوِي الحَاجَةَ قَبْلَ الوِرْدِ وَبَعْدَ الصَّلَاةِ 11 مَرَّةً، تَذْكُرُ الوِرْدَ بِنِيَّتِهِمَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَارْفَعْ يَدَيْكَ وَسَلِ الحَاجَةَ مِنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ كُلِّ مَرَّةٍ وَبَعْدَهَا، ثُمَّ اقْرَأْ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ 11 مَرَّةً، وَلَا تَقْطَعْ الوِرْدَ عَدَدَ أَيَّامِ الحَاجَةِ 11 مَرَّةً، فَإِنْ اسْتُجِبْتَ فَذَاكَ، وَإِلَّا أَعِدْ 11 يَوْمًا حَتَّى تُجَابَ وَالسَّلَامُ. إِنْتَهَى مَا كَتَبَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَهَذَا الكِتَابُ مَعَ الجَوَابِ نَقَلْتُهُمَا فِي تَرْجَمَتِهِ مِنْ كِتَابِنَا "كَشْفُ الحِجَابِ"، وَذَكَرْتُهُمَا هُنَاكَ لِمُنَاسَبَةِ المَوْضُوعِ، وَقَدْ ذَكَرْتُ هُنَاكَ إِجَازَةَ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ، وَلَا بَأْسَ بِنَقْلِهَا هُنَا، وَنَصُّهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، إِلَخْ.. الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَزَّ جَلَالُهُ، وَعَزَّ كَمَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ، وَتَعَالَى عِزُّهُ، وَتَقَدَّسَ مَجْدُهُ وَكَرَمُهُ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى أَشْرَفِ مَخْلُوقَاتِهِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَعْدُ: فَيَقُولُ أَفْقَرُ العَبِيدِ، إِلَى مَوْلَاهُ الغَنِيِّ المَجِيدِ، أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي، عَامَلَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ فِي الدَّارَيْنِ، أَجَزْتُ وَأَذِنْتُ لِحَبِيبِنَا وَصَفِيِّنَا، وَمَحَلِّ وُدِّنَا وَأُنْسِنَا، وَمَنْ لَهُ المَحَبَّةُ الكَامِلَةُ الذَّاتِيَةُ السَّارِيَةُ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِنَا وَسِرِّنَا، كَاتِبِ الحُرُوفِ عَلِيٍّ حَرَازِمَ ابْنِ العَرَبِيِّ بَرَّادَةَ المَغْرِبِي الفَاسِي دَارًا، وَمَنْشَأً وَقَرَارًا،

إِجَازَةً عَامَّةً مُطْلَقَةً، خَالِدَةً تَالِدَةً، قَلْبًا وَقَالَبًا، وَحَالًا وَدَوَامًا، وَانْصِبَاغًا بِمَا لَدَيْنَا مِنَ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَالأَسْرَارِ وَالفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ وَالفُتُوحَاتِ وَالأَنْوَارِ، وَفِي مَدَارِجِ المَقَامَاتِ وَالإِرَادَاتِ وَالأَحْوَالِ وَالأَطْوَارِ، فِي جَمِيعِ مَا أَخَذْنَاهُ

مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقِّيًا مِنْهُ وَمُشَافَهَةً، مِنَ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَالأَسْرَارِ، وَالخَوَاصِّ وَالأَحْوَالِ وَالأَذْكَارِ،

وَفِي الوِرْدِ المَعْلُومِ الَّذِي هُوَ مِنْ تَرْتِيبِ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمْلَائِهِ الشَّرِيفِ، وَقَدْرِهِ المُنِيفِ فِي الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَبِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ الأَحْمَدِيَّةِ، وَفِي جَمِيعِ الطُّرُقِ وَالأَذْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالآيَاتِ وَالسُّوَرِ، وَجَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالمُسَمَّيَاتِ، وَالإِسْمِ الأَعْظَمِ الكَبِيرِ الَّذِي هُوَ خَاصٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي جَمِيعِ تَرَاكِيبِهِ وَأَسْرَارِهِ، وَعُلُومِهِ وَفُيُوضَاتِهِ وَأَنْوَارِهِ، وَجَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، تَقَيُّدًا وَإِطْلَاقًا، إِجَازَةً وَإِذْنًا تَامًّا عَامًّا شَامِلًا لِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ بِأَسْرِهَا، وَالدَّعَوَاتِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَسْرَارِهَا، وَعُلُومِهَا وَتَصَرُّفَاتِهَا، أَبَدًا سَرْمَدًا، خَالِدًا تَالِدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَقَدْ أَقَمْنَاهُ مَقَامَنَا بَدَلًا عَنْ أَنْفُسِنَا وَعَنْ رُوحِنَا وَمَقَامِ قُدْسِنَا، فَهُوَ القَائِمُ عَنَّا فِي حَضْرَتِنَا وَغَيْبَتِنَا، وَفِي حَيَاتِنَا وَبَعْدَ مَمَاتِنَا، فَمَنْ أَخَذَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا أَخَذَ عَنَّا، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، لَا فَرْقَ، وَمَنْ عَظَّمَهُ فَقَدْ عَظَّمَنَا، وَمَنْ احْتَرَمَهُ فَقَدْ احْتَرَمَنَا، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنَا، وَمَنْ أَطَاعَنَا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ خَالَفَهُ فَقَدْ خَالَفَنَا، وَمَنْ خَالَفَنَا فَقَدْ خَالَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ عَلَى قَدْرِ الإِسْتِطَاعَةِ .

وَقَدْ أَجَزْنَا وَأَذِنَّا لَهُ فِي جَمِيعِ مَا لَنَا مَقْرُوءٌ وَمَسْمُوعٌ، وَمُفَرَّقٌ وَمَجْمُوعٌ، وَإِجَازَةٌ وَرِحْلَةٌ وَمَشْيَخَةٌ وَإِفَادَةٌ وَمَرْوِيٌّ مِنْ حَدِيثٍ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ أَذِنَّا لَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِلْغَيْرِ وَيُلَقِّنَ جَمِيعَ مَا أَخَذَهُ عَنَّا مِنَ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَالطُّرُقِ وَالأَذْكَارِ، وَالخَوَاصِّ وَالأَسْرَارِ، وَالتَّرَقِّي فِي مِدْرَاجِ الأَنْوَارِ، فِي جَمِيعِ مَا أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِنَا وَلَفْظِنَا، وَفِي جَمِيعِ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَيُلَقِّنَ أَوْرَادَنَا، وَيُعْطِيَ طَرِيقَتَنَا بِمَا لَهَا، وَيُلَقِّنَ

جَمِيعَ مَا سَمِعَهُ مِنَّا، أَوْ رَوَاهُ عَنَّا، أَوْ أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْهِ بِشَرْطِهِ المَعْرُوفِ المَذْكُورِ المُقَرَّرِ فِي مَحَلِّهِ .

وَهَذَا الإِذْنُ مِنَّا عَامٌّ لَهُ فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَأَذِنْتُ لَهُ وَأَجَزْتُ أَنْ يُقَدِّمَ الغَيْرَ فِي إِعْطَاءِ وِرْدِنَا المَعْلُومِ بِالشَّرْطِ المَذْكُورِ المَحْتُومِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَهُ الإِذْنُ مِنَّا فِي إِعْطَاءِ طَرِيقَتِنَا وَوِرْدِنَا مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ، يَأْذَنُ لِمَنْ رَآهُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَيَأْذَنُ لَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِلْغَيْرِ، وَهَكَذَا سَرْمَدًا فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الوَارِثِينَ،

فَلَهُ الإِذْنُ الخَاصُّ عُمُومًا وَخُصُوصًا، تَقَيُّدًا وَإِطْلَاقًا، قَلْبًا وَقَالَبًا، وَحَالًا وَمَقَامًا وَانْصِبَاغًا، خَالِدًا تَالِدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَقَدْ سَامَحْتُهُ وَتَجَاوَزْتُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ مَا أَكَلَ أَوْ أَخَذَ مِنْ مَتَاعِي بِعِلْمِهِ أَوْ بِغَيْرِ عِلْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَفِي جَمِيعِ مُخَالَفَتِهِ لَنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَفِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ المُتَقَدِّمَةِ وَالمُتَأَخِّرَةِ مُسَامَحَةً تَامَّةً عَامَّةً، خَالِدَةً تَالِدَةً، قَلْبًا وَقَالَبًا، وَحَالًا وَمَآلًا إِلَى الخُلُودِ الأَبَدِيِّ،

وَلَهُ مِنَّا الرِّضَى التَّامُّ، الأَكْمَلُ العَامُّ، رِضًى لَا سَخطَ بَعْدَهُ أَبَدًا بِطَرِيقِ المَحْبُوبِيَّةِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَامَلْتُهُ مُعَامَلَةَ المَحْبُوبِينَ، الخُلَفَاءِ الأَوِدَّاءِ، أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى الخُلُودِ الأَبَدِيِّ، وَقَدْ جَعَلْنَاهُ الخَلِيفَةَ عَنَّا، وَأَقَمْنَاهُ مَقَامَنَا فِي العُلُومِ وَالأَحْوَالِ وَالدَّرَجَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ أَحَدَ الآمِنِينَ وَالسَّلَامُ، وَكَتَبَ الخَدِيمُ الجَانِي، خُدَيْمُ حَضْرَةِ التِّجَانِي الحَسَنِي، عَلِيٌّ حَرَازِمُ بْنُ العَرَبِيِّ بَرَّادَةُ، كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيًّا، وَبِهِ حَفِيًّا، بِتَارِيخِ 8 ذِي الحِجَّةِ مُتِمِّ عَامِ 1214هـ .وَالسَّلَامُ، وَبَعْدَهَا بِخَطِّ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا صُورَتُهُ .

يَقُولُ كَاتِبُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ، وَتَعَالَى عِزُّهُ وَتَقَدَّسَ مَجْدُهُ وَكَرَمُهُ، أَجَزْتُ لِحَبِيبِنَا وَصَفِيِّنَا سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ فِي كُلِّ مَا كُتِبَ فِي

هَذِهِ الفَهْرَسَةِ عَلَى صُورَةِ مَا كُتِبَ فِيهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، عَيْنًا عَيْنًا وَحَرْفًا حَرْفًا، إِجَازَةً عَامَّةً تَامَّةً، مُطْلَقَةً شَامِلَةً، خَالِدَةً تَالِدَةً، وَكَتَبَ مُجِيزًا أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي، عَامَلَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرِضَاهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

بَعْضُ مَا قِيلَ فِي مَدْحِ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا مَدَحَهُ بِهِ العَلَّامَةُ القَاضِي سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ حَيْثُ قَالَ:

صِفُوا لِحَبِيبِي مَا أُلاَقِيهِ فِي الهَوَى * فَإِنَّ فُؤَادِي كَادَ يَفْنَى مِنَ الجَوَى

عَسَاهُ عَسَاهُ أَنْ يَجُودَ بِعَطْفَةٍ * ويقصرُ مَا قَدْ مَدَّهُ بِيَدِ النَّوَى

وَقُولُوا لَهُ لاَ زَالَ لِلعَهْدِ رَاعِياً * وَلَمْ يَلْتَفِتْ بَعْدَ الغَرَامِ إِلَى السِّوَى

وَمَا خَانَ عَهْداً لاَ وَلاَ خَانَ مَوْثِقاً * حَلِيفَ سِقَامٍ لَيْسَ يُلْفَى لَهُ دَوَا

يُوَرِّقُهُ تِذْكَارُهُ طُولَ لَيْلِهِ * وَأَشْوَاقُهُ نَزَّاعَةٌ مِنْهُ لِلشَّوَى

حَنَانِيكَ فَاكْشِفْ عَنْهُ بِالوَصْلِ رَانَهُ * فَإِنَّ لَهُ قَلْباً بِنَارِ الجَوَى انْكَوَى

وَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ الرِّضَى ابْنُ حَرَازِمٍ * شَفِيعٌ لِمَا يَبْغِيهِ مِنْكَ مِنَ الدَّوَا

خَلِيفَتُكَ العُظْمَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ * وَنَالَ مَقَاماً لَيْسَ يَبْلُغُهُ السِّوَى

إِذَا ذُكِرَ الكَمَالُ كَانَ مُقَدَّماً * بِمَا مِنْكَ مِنْ سِرِّ المَحَبَّةِ قَدْ حَوَى

بِفَضْلِكَ قَدْ أَلْبَسْتَهُ حُلَّةَ الرِّضَى * وَفِينَا عَلَى عَرْشِ المَعَالِي بِهَا اسْتَوَى

فَصَارَ بِصَدْرِ المَكْرُمَاتِ مُصَدَّراً * وَفِي مَجْمَعِ الأَقْطَابِ فِي يَدِهِ اللِّوَا

وَغَـدَّيْـتَـهُ أَلْـبَـانَ سِـــرٍّ وَحِـكْـمَـةٍ * وَمِـنْ حَـوْضِـكَ المَوْرُودِ حَقّاً قَدِ ارْتَوَى

هُـــوَ الـكَـنْزُ إِلاَّ أَنَّ فِـيــهِ عَـجَائِـباً * وَلَـكِـنْ عَـلَى سِرِّ الـعُلُومِ قَـدِ احْتَوَى

فَـمِـنْ بَـحْـرِهِ دُرُّ الـمَـعَـارِفِ يُـقْـتَـنَى * وَفِـي صَـدْرِهِ الـعِلْمُ اللَّدُنِّي قَدِ انْطَوَى

وَإِنِّـــي بِـــهِ أَدْعُـــوكَ يَــا خَيْرَ مُنْقِذٍ * فَخُذْ بِيَدِي إِنِّي سَقَطْتُ مِنَ الـهَوَى

عَـلَيْكَ سَــلاَمٌ يُـعْـبِقُ الـكَوْنَ عَـرْفُـهُ * وَيَـشْمَلُ مَنْ فِي مَنْهَجِ الحَقِّ قَدْ ثَوَى

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا مَدَحَهُ بِهِ العَلَّامَةُ الشَّهِيرُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمُ الرِّيَّاحِي التُّونُسِي لَدَى قُدُومِهِ عَلَيْهِ بِتُونُسَ :

كَــرُمَ الـزَّمَـانُ وَلَـمْ يَـكُـنْ بِـكَـرِيمِ * وَصَـفَا فَـكَانَ عَـلَى الصَّفَاءِ نَدِيمِي

وَأَفَـاضَ مِـنْ نِـعَـمٍ عَـلَيَّ سَوَابِـغاً * لِـلَّـهِ يَـشْـكُـرُهَا فَـمِـي وَصَـمِـيمِي

عَـظُمَتْ عَـلَى الشِّعْرِ البَلِيغِ وَرُبَّمَا * عَـجَزَ الثَّنَاءُ عَـنِ الـوَفَا بِـعَـظِيمِ

وَأَجَلُّهَا نَـظَـرِي إِلَـى ابْـنِ حَـرَازِمٍ * وَتَـمَـتُّـعِي مِـــنْ وَجْـهِـهِ بِـنَـعِـيمِ

وَتَـلَـذُّذِي مِـــنْ خُـلْـقِـهِ بِـمَـحَـاسِنٍ * وَتَـمَـتُّـعِي مِـــنْ خَـلْـقِهِ بِـنَـسِـيمِ

وَتَـعَـرُّفِـي مِـــنْ عَـرْفِـهِ بِـعَـوَارِفٍ * وَمَـعَـــارِفٍ وَلَـطَـائِـفٍ وَفُـــهُـــومِ

وَتَـــعَــزُّزِي بِـتَـذَلُّـلِي لِـجَـمَـالِـهِ * وَتَـشَـرُّفِـي مِـــنْ نَـعْـلِـهِ الـمَـخْـدُومِ

ذَاكَ الَّـــذِي حَـمَـلَـتْ خَـزَائِـنُ سِـرِّهِ * مَــا لَــوْ بَــدَا لَارْتَـابَ كُــلُّ حَلِيمِ

وَهُـوَ الّـذِي مُـنِحَ المَعَارِفَ فَارْتَقَى * مِـنْـهَـا لِأَرْفَـــعِ سِـرِّهَا الـمَـكْـتُـومِ

وَهُـوَ الَّـذِي نَـالَ الـرِّضَى مِنْ رَبِّـهِ * وَبِـنَـيْـلِـهِ إِنْ شَــاءَ غَـيْـرُ مَـلُـومِ

وَهُـوَ الَّـذِي أَذِنَ الـرَّسُولُ بِـوَصْلِهِ * وَأَمَـــدَّهُ مِـــنْ عِـنْـدِهِ بِـعُـلُـومِ

وَهُـوَ الَّـذِي الـتِّـجَانِي أَوْدَعَ سِـرَّهُ * فِـيــهِ وَخَـــصَّ مَـقَـامَـهُ بِـعُـمُـومِ

وَهُـوَ الَّذِي وَهُـوَ الَّذِي وَهُـوَ الَّذِي * وَهُــوَ الَّـــذِي مَـعْـنَـاهُ غَـيْـرُ مَـرُومِ

عَـظُمَتْ لَـدَيْهِ مَـوَاهِبٌ أَضْحَتْ لَهَا * هِـمَمُ الـوَرَى تَـسْعَى بِـكُـلِّ سَـلِيمِ

وَسَـعَـتْ مَـحَـبَّـتُهُ إِلَـى أَرْوَاحِـهِـمْ * فَـهِـيَ الـغِـذَاءُ لِـرَاحِـلٍ وَمُـقِـيمِ

يَـا سَيِّدِي وَلَـكُمْ دعـوتُ لـسيدٍ * حَتَّـى عـرفتك فَـاسْتَبَنْتَ رُجُومِي

وَعَـلِمْتُ أَنِّي كُنْتُ أَرْقُمُ فِي الهَوَى * وَأَسِـيرُ خَـلْـفِي وَالـشَّـقَاءُ نَـدِيمِي

يَـا مَـوْئِلِي وَكَفَى بِـفَضْلِكَ مَـوْئِلاً * وَمُـؤَمَّـلِي عِـنْدَ الْـتِـهَابِ سُـمُـومِي

هَلْ أَنْتَ كَاشِفُ كُرْبَتِي فَلَقَدْ سَطَتْ * وَطَـغَـتْ عَـلَيَّ وَسَاوِسِي وَهُـمُومِي

هَـلْ أَنْـتَ رَاحِمُ شِقْوَتِي فَتُرِيحَنِي * فَـخِـيَـارُ أَهْـلِ الـلَّـهِ خَـيْرُ رَحِـيمِ

هَلْ أَنْـتَ مُنْقِذُ مَـنْ تَـحَيَّرَ لَمْ يَجِدْ * مِـنْ مُـسْعِدٍ مُـجْلِي الـهُمُوم زَعِـيمِ

فَـارْحَمْ دُمُـوعـاً قَـدْ رَأَتْـكَ عُـيُونُهَا * فَـتَـكَـرَّمَـتْ بِـالـلُّـؤْلُـؤِ الـمَـنْـظُـومِ

وَجَـوَانِـحـاً جَـعَـلَتْكَ فِـي سَـوْدَائِـهَا * وَقَـدِ اصْـطَـلَـتْ وَتَـكَـلَّـمَتْ بِـكُـلُومِ

وَجَـوَارِحـاً ضَـرَعَـتْ إِلَـيْكَ يَـقُـودُهَا * أَصْـلٌ عَـظِيمُ الـشَّـأْنِ غَـيْرُ هَـضِيمِ

وَسَـرَائِـراً لَـوْ أَنَّـهَا بليَتْ لَـمَا * وَجَـدُوا سِـوَى شَـوْقٍ إِلَـيْكَ أَلِـيمِ

وَمُـتَـيَّماً لَـوْلاَ الـتَّـذَكُّرُ لَـمْ يَـكُـنْ * بِـمُـجَـرَّدِ الأَشْـوَاقِ غَـيْـرَ رَمِـيمِ

لاَ تَـقْـطَـعَنْ أَمَـلِي وَقَـدْ وَجَّـهْـتُهُ * يَـسْـعَـى إِلَـيْكَ وَأَنْـتَ خَـيْرُ كَـرِيمِ

وَقَـدِ اتَّـخَـذْتُكَ فِـي الأَنَـامِ وَسِيلَةً * وَتَـوَسُّـلِي بِـعُـلاَكَ غَـيْـرُ خَـصِـيمِ

وَرَجَـوْتُ مِـنْ رَبِّـي بِـفَضْلِكَ مَـا أَنَا * أَصْـبَـحْـتُ مِـنْ مَـعْـنَاهُ غَـيْـرَ عَـدِيمِ

يَـا مَـسْنَدِي يَـا مَـقْصِدِي يَـا سَيِّدِي * يَـا مُـنْـجِدِي يَـا مَـوْئِـلِي وَحَـمِيمِي

أَنْـتَ الَّـذِي رَبِّـي اصْـطَفَاكَ لِـسِرِّهِ * وَحَـبَاكَ مِـنْ فَـضْلٍ عَـلَيْكَ عَـمِيمِ

فَـلَكَ الـهَـنَاءُ فَـأَنْـتَ سُـلْطَانُ الـوَرَى * وَلِـيَ الـهَـنَاءُ بِـأَنْ تَـقُـولَ خَـدِيـمِي

وَرَسُـولُـهُ أَوْلاَكَ مَـا اعْـتَـرَفَـتْ بِـهِ * لَـكَ أَهْـلُ سِـرِّ الـلَّـهِ بِـالـتَّـقْدِيمِ

فَـسَـلاَمُ رَبِّـكَ كُـلَّـمَا هَـبَّتْ صَـبَا * يَـغْـشَـاكَ طِـيبُ مِـزَاجِـهِ الـمَـخْـتُومِ

ثُمَّ قَالَ نَاظِمُهَا العَلَّامَةُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمُ الرِّيَّاحِي : فَلَمَّا أَنْشَدْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدِ اعْتَرَاهُ مِنَ الحَالِ مَا لَا يُذْكَرُ، وَأَسْبَلَ مِنَ الدَّمْعِ مَا هُوَ مِنَ الوَابِلِ أَغْزَرُ، قَالَ: هَلُمَّ بِمِحْبَرَةٍ وَقِرْطَاسٍ، وَدَفَعَ بِخَطِّهِ المُشْرِقِ وَالنَّاسُ جُلَّاسٌ مَا نَصُّهُ: يَقُولُ لَكَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا، وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا، وَلَكَ مِنِّي المَحْبُوبِيَةُ التَّامَّةُ، وَمِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَاتَّصَلَ حَبْلُكَ بِعُرْوَةٍ لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَلَكَ مِنَ اللَّهِ وَمِنِّي الرِّضَا التَّامُّ، وَلَكَ بِذَلِكَ مَعَارِفُ وَأَسْرَارٌ وَسُرُورٌ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

مَكَانَةُ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي لَدَى مُرِيدِي الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ

كِتَابُ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَبُلُوغِ الأَمَانِي فِي فَيْضِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِلْعَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ الفَاسِي، هُوَ أَشْهَرُ مُؤَلَّفَاتِ الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَهُوَ كِتَابٌ ذُو أَهَمِّيَةٍ عَظِيمَةٍ تَجْعَلُهُ فِي مَصَافِّ أَهَمِّ الكُتُبِ الصُّوفِيَةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا كُلُّ قَارِئٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ مَزَايَا هَذَا الكِتَابِ الفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا، وَهِيَ فَتْرَةُ انْبِعَاثِ الطَّرِيقَةِ المَذْكُورَةِ وَظُهُورِهَا جَلِيًّا عَلَى مَسْرَحِ الأَحْدَاثِ .

وَيُعَدُّ هَذَا الكِتَابُ مَرْجِعًا أَسَاسِيًا لِجَمِيعِ مُؤَلَّفَاتِ الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَهُ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الصَّدَدِ: كُلُّ مَا أُلِّفَ بَعْدَ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي فَهُوَ عَالَةٌ عَلَيْهِ، مَعَ ضَرُورَةِ اسْتِثْنَاءِ كِتَابِ الجَامِعِ، لِلعَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِيِّ لِكَوْنِهِ

كَانَ مُعَاصِرًا لِسَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ أَيْضًا، وَقَدْ نَهَلَ مِنْ نَفْسِ مَنَاهِلِ صَاحِبِ كِتَابِ الجَوَاهِرِ .

وَعُمُومًا فَإِنَّ أَهَمَّ خَصَائِصِ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي تَكْمُنُ فِي جَمْعِهِ لِرَسَائِلِ وَتَقَايِيدِ الشَّيْخِ الخَتْمِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ تَرْجَمَتِهِ وَفَتَاوِيهِ وَأَقْوَالِهِ. وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ الإِخْتِصَارِ كِتَابُ عَقِيدَةٍ وَتَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ وَفِقْهٍ وَتَصَوُّفٍ وَأَدَبٍ وَسِيرَةٍ، وَلَا دَاعِيَ لِلتَّعْرِيفِ بِشَخْصِيَّةِ الشَّيْخِ الَّذِي صُنِّفَ فِي حَقِّهِ هَذَا الكِتَابُ المُبَارَكُ، فَقَدْ كَانَ بَحْرًا جَامِعًا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَيَهْتَدِي بِإِرْشَادَاتِهِ كِبَارُ عُلَمَاءِ وَقْتِهِ، وَكَانَ عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ مِثَالًا لِلْوَرَعِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ .

نَصُّ إِجَازَةِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

وَهَذِهِ الإِجَازَةُ مُثْبَتَةٌ بِخَطِّ يَدِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الصَّفْحَةِ الأُولَى مِنَ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ، وَنَصُّهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، قَالَ العَبْدُ الفَقِيرُ، المُضْطَرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ، أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي أَنَّ مَجْمُوعَ الكُنَّاشِ المَكْتُوبِ عَلَى ظَهْرِ أَوَّلِهِ هَذِهِ الأَحْرُفُ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ أَجَزْتُ فِيهِ إِجَازَةً عَامَّةً مُطْلَقَةً تَامَّةً خَالِدِيَّةً أَبَدِيَّةً لِحَبِيبِنَا سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ الحَاجِّ العَرَبِيِّ الفَاسِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، كَلِمَةً مِنِّي، رِوَايَةً عَنِّي، وَعَمَلًا بِمَا فِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذْنًا بِمَا فِيهِ مِنَ الخَوَاصِّ وَالأَسْرَارِ، أَيًّا كَانَتْ وَمِنْ أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ، وَأَنْ يُجِيزَ فِيهِ مَنْ شَاءَ وَكَيْفَ

شَاءَ، عَلَى قَاعِدَةِ الإِذْنِ وَالإِجَازَةِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنْ مُرَاعَاةِ الأَصْلَحِ وَالأَهْلِيَّةِ وَالنُّفُورِ وَالبُعْدِ وَالمَنْعِ عَمَّنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ. أَجَازَ وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي عَامَلَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَهُوَ مِنْ إِمْلَائِنَا عَلَى المُجَازِ المَذْكُورِ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِفَضْلِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بِتَارِيخِ يَوْمِ الخَمِيسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ الفَرْدِ مِنْ أَوَاسِطِ عَامِ 1215 هـ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

نَصُّ إِجَازَةٍ ثَانِيَةٍ مِنَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

وَهَذِهِ الإِجَازَةُ مُثْبَتَةٌ بِخَطِّ يَدِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي آخِرِ صَفْحَةٍ مِنَ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ، وَنَصُّهَا :

يَقُولُ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي، قَدْ كَمُلَ تَهْذِيبُ هَذَا الكِتَابِ وَتَنْقِيحُهُ، وَانْفَتَحَتْ بِعَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسَارُّهُ وَتَفْرِيحُهُ، بِرِوَايَةٍ عَنَّا وَسَمَاعٍ مِنَّا، فَلَا جَرَمَ أَنَّ العَمَلَ فِيهِ عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ المَكْتُوبِ عَلَى آخِرِهَا هَذَا الرَّسْمُ، وَأَنَّ مَا سِوَاهَا مِنَ النُّسَخِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِمَّا يُخَالِفُ هَذِهِ النُّسْخَةَ يَجِبُ تَرْكُهُ، وَأَجَزْتُ فِي جَمِيعِ مَا فِيهَا رَاوِيَهَا عَنَّا سَيِّدِي الحَاجَّ عَلِي حَرَازِمَ جَامِعَهَا، إِذْ كُلُّ مَا فِيهَا أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. إهـ

بَعْضُ مَا قِيلَ فِي مَعْرِضِ التَّنْوِيهِ

بِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

مِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا ذَكَرَهُ الفَقِيهُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَ بَلَامِينُو فِي كُنَّاشِهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٌ العَرَبِيُّ بْنُ السَّائِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ رَأَى الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَمَاتَنَا عَلَى مَحَبَّتِهِ بِجَاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ آمِينَ: وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ قَيْدَ حَيَاتِهِ. وَأَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ الوِرْدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انْكَبَّ عَلَى مُطَالَعَةِ الجَوَاهِرِ. ثُمَّ فُتِحَ عَلَيْهِ فِي قَرِيبِ مُدَّةٍ حَتَّى كَانَ يَرَى الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَ مَشْهُورًا بِرُؤْيَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ يَقَظَةً. ثُمَّ إِنَّهُ اتَّفَقَ لَهُ سَفَرٌ مَعَ بَعْضِ الأَرْكَابِ. وَكَانَ الرَّكْبُ مِنْ زُوَّارِ سَيِّدِي جَوْزَنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلَمَّا كَانَ بِالطَّرِيقِ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فِي الأَرْضِ فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الأَصْحَابِ: مَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ بِي ذَلِكَ وَرَمِيَ بِي إِلَى الأَرْضِ. هَذِهِ رِوَايَةُ عَامَّةِ النَّاسِ .وَأَمَّا رِوَايَةُ خَاصَّتِهِمْ فَقَالُوا: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَنَهَاهُ عَنِ المَشْيِ مَعَ الرَّكْبِ. فَلَمْ يَمْتَثِلْ. فَلَمَّا كَانَ بِالغَدِ سَقَطَ عَنِ الرَّاحِلَةِ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ المُخَالَفَةِ .وَكَانَ ذَلِكَ أَدَبًا لَهُ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدَ فِي عَدَمِ الإِمْتِثَالِ أَنَّهُ وَقَعَ فِي غَيْرِ ذَاكَ. (يَعْنِي انْحَجَبَ عَنْ شَيْءٍ). بَلْ بَقِيَ عَلَى فَتْحِهِ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَكَانَتْ عَلَيْهِ نِعْمَةُ اللَّهِ البَاطِنَةُ فِي كَسْرِ رِجْلِهِ.إهـ.. أُنْظُرْ كُنَّاشَ الفَقِيهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَ بَلَامِينُو 107-108 .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ العَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ التَّرِيكِي، فِي تَقْيِيدِهِ المُسَمَّى بِالزَّهْرِ الفَائِحِ، فِي تَرْجَمَةِ أَبِي المَوَاهِبِ سَيِّدِي العَرَبِيِّ بْنِ السَّائِحِ :

سَمِعْتُ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ تَذَاكَرَ مَعَ العَلَّامَةِ ابْنِ بَابَا التِّجَانِي، نَاظِمِ المُنْيَةِ فِي شَأْنِ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَجَامِعِ ابْنِ المَشْرِيِّ، فَذَكَرَ لَهُ نَاظِمُ المُنْيَةِ أَنَّهُ يُقَدِّمُ وَيُرَجِّحُ كَلَامَ ابْنِ المَشْرِيِّ لِمَكَانِ عِلْمِهِ عَلَى مَا فِي الجَوَاهِرِ، لِأَنَّ صَاحِبَ الجَوَاهِرِ كَانَ أُمِّيًّا، فَاغْتَاظَ سَيِّدِي العَرَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ، فَرَأَى سَيِّدِي العَرَبِيُّ فِي المَنَامِ كَأَنَّ سَيِّدَنَا الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسٌ مَعَ جَمَاعَةٍ، وَبِيَدِهِ الجَوَاهِرُ يَحُضُّ عَلَيْهِ، حَتَّى ذَكَرَ أَنَّ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنَامَ وَلَوْ عَلَى قِرَاءَةِ سَطْرٍ مِنْهُ فَلْيَفْعَلْ، وَقَالَ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الكِتَابِ، وَرَأَى نَاظِمُ المُنْيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَأَنَّ صَاحِبَ الجَوَاهِرِ نَبَّهَهُ بِقَوْلِهِ لَهُ : أَنْتَ تَقُولُ فِي كِتَابِي كَلِمَةً فَاسِدَةً، وَرَأَى صَاحِبَ الجَوَاهِرِ عَلَيْهِ سِلْهَامٌ، وَهُوَ طَوِيلُ اللِّحْيَةِ، مَرْبُوعُ القَدِّ لِلطُّولِ، قَالَ سَيِّدِي العَرَبِيُّ : فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا بَعْدَ المُنَافَرَةِ تَبَسَّمَ النَّاظِمُ وَتَذَاكَرْنَا مَا رَأَيْنَا، قَالَ سَيِّدِي العَرَبِيُّ : فَلِذَلِكَ قَالَ حِينَ نَظَمَ المُنْيَةَ :

عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الأَحْبَابِ * مَا عِشْتُمُ الدَّهْرَ بِذَا الكِتَابِ

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ العَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ أَكَنْسُوسَ مِنْ رِسَالَةٍ لَهُ بَعَثَهَا لِتِلْمِيذِهِ العَلَّامَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي سَعِيدٍ الدَّرَارْكِيِّ، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ ضِمْنَ الجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ رَفْعِ النِّقَابِ، لِلْعَلَّامَةِ سُكَيْرِجٍ :

قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَجِمَاعُ الأَمْرِ كُلِّهِ فِي الإِكْثَارِ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إِلَى آخِرِهَا فَذَلِكَ الكَنْزُ الأَكْبَرُ الَّذِي مَا ظَفِرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ السَّعِيدَةُ وَعَلَيْكُمْ أَوَّلًا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُطَالِعُوا كِتَابَ الجَوَاهِرِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ثُمَّ تَتَّخِذُوا بَعْدَ ذَلِكَ وِرْدًا مِنْهُ تُطَالِعُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى تَتَمَكَّنَ مَحَبَّةُ الشَّيْخِ فِي بَاطِنِ القُلُوبِ فَذَلِكَ يُثْمِرُ تَعْظِيمَ

القُدْوَةِ وَهُوَ سَبَبُ المَدَدِ وَعَلَيْكُمْ عِنْدَ المُطَالَعَةِ بِمُلَاحَظَةِ قَوْلِ أَبِي مَدْيَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِعْتَقِدْ وَلَا تَنْتَقِدْ فَإِنَّ الإِعْتِقَادَ وِلَايَةٌ، وَالإِنْتِقَادُ جِنَايَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا تَخْمِيسُ العَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ الحَافِظِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَالٍ الشَّنْقِيطِيِّ لِقَصِيدَةِ العَلَّامَةِ الأَدِيبِ الشَّاعِرِ سَيِّدِي الطَّاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمَنَارْتِي الإِفْرَانِي[1] ، وَنَصُّهَا :

---

[1] ـــ العلامة الأديب الشهير سيدي الطاهر بن محمد بن إبراهيم الإفراني التامانرتي. من ذرية الولي الصالح سيدي محمد بن إبراهيم. دفين تامانرت ببلاد سوس. ونسب هذا الأخير ثابت معروف. ينتهي للصحابي الجليل الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو من مواليد عام 1270 هـ-1853م بأتكرت. من وادي يفرن. حفظ القرآن الكريم في سن مبكر من عمره. ثم اشتغل بطلب العلم. فأخذ عن جماعة وافرة من علماء وقته. كمحمد بن عبد الله بن صالح الألغي. وأخيه علي بن عبد الله الألغي. وأحمد الجيشتيمي التملي وآخرين.

وهو أحد أكابر أعلام الطريقة التجانية بسوس. أخذها على يد المقدم الجليل محمد الولتيتي الروداني. ثم عن العارف العلامة الشهير الحاج الحسين الإفراني. والولي الصالح البركة سيدي محمد أوتلضي. والعارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. ومن مؤلفاته: نظم على الحكم العطائية. ونظم لجزء من مختصر خليل. وديوان شعري مرتب على الحروف الهجائية، في مجلدين. ونظم في رسالة العضد. ووسيلة الجاني إلى القطب التجاني. إلى غير ذلك من التقاييد والأجوبة والأشعار الكثيرة. وكانت له بالعلامة سكيرج صداقة ومحبة قوية. والدليل على ذلك وفرة ما مدحه به من قصائد. فقد وقفت على ما يفوق العشرة منها. وهي في غاية الجودة والإتقان.

توفي في آخر شهر رمضان المعظم عام 1374 هـ- شهر ماي 1955م. بعدما تجاوز عمره القرن بأربع سنوات. أنظر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج ص 40. وفي المعسول، للمختار السوسي 7: 69-237. وفي سوس العالمة، لنفس المؤلف 209. وفي كتابنا: حديقة المنى والأماني في ذكر بعض أخبار سيدي العربي العلمي اللحياني ص 16. وفي كتابنا: خلاصة المسك الفائح بترجمة سيدي محمد العربي بن السائح. وفي الأعلام، للزركلي 3: 223. وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى، للقباج 1: 19-30. وفي موسوعة أعلام المغرب، لحجي 9: 3300.

خَلِيلِيَ دَعْ قَـوْلَ الـحَسُودِ الـمُكَابِرِ * وَطَـالِـعْ بِـإِنْصَافٍ كِـتَـابَ الـمَآثِرِ

وَقُـلْ لِلَّذِي يَبْغِي نَفِيسَ الذَّخَائِرِ * أَصَـاحِ إِذَا رُمْـتَ الـمَفَازَ فَـبَادِرِ

لِفَهْمِ الَّـذِي يُمْلِي كِتَابُ الـجَوَاهِرِ

فَـمِنْ مَنْبَعِ الأَسْـرَارِ كَـانَ صُـدُورُهُ * فَطُوبَى لِـمَنْ قَـدْ خَامَرَتْهُ خُـمُورُهُ

فَـذَاقَ مَـعَانِي مَـا حَـوَتْهُ سُـطُورُهُ * كِتَابٌ بَـدَا فِـي مَطْلَعِ السَّعْدِ نُورُهُ

فَـأَرْشَدَ أَرْبَـابَ النُّهَى وَالبَصَائِرِ

تَـبَدَّى وَلَـيْلُ الـجَهْلِ جَـنَّ بَهِيمُهُ * وَسَـاقَ إِلَـى نَهْجِ الـهُدَى مَـنْ يُشِيمُهُ

وَهَـاجَ مِـنَ الـشَّوْقِ الدَّفِينِ قَدِيمُهُ * وَفَـتَّـحَ أَكْـمَامَ الـقُـلُوبِ نَـسِيمُهُ

فَطَابَ بِعَرْفٍ مِنْ شَذَا الشَّوْقِ عَاطِرِ

حَوَى مَا حَوَى مِنْ غَامِضَاتِ الحَقَائِقِ * وَمِـنْ جَوْهَرٍ مِـنْ نَـافِعِ العِلْمِ رَائِقِ

فَـحَـرَّكَ تِـلْـقَا بَـابِـهِ كُـلَّ صَـادِقِ * وَهَـزَّ إِلَـى نَـحْوِ الـحِمَى كُلَّ عَـاشِقِ

كَـمَا اهْـتَزَّ مَشْـمُولٌ بِتَغْرِيدِ طَـائِرِ

تَـأَمَّـلْ وَحَـاذِرْ وَعْـدَهُ وَوَعِـيدَهُ * وَجَـانِبْ حِـمَاهُ الدَّهْرَ وَارْعَ عُـهُودَهُ

فَـكَمْ قَـادَ لِلْخَيْرَاتِ يَـوْمًا سَعِيدَهُ * وَدَلَّ عَـلَـى نَـهْـجِ الـوُصُولِ مُـرِيدَهُ

فَـمِـنْ مُـدْلِـجٍ سَـارٍ وَآخَـرَ سَـائِرِ

وَرِدْ وِرْدَهُ يَـشْـفِي الغَـلِيلَ زُلاَلُـهُ * وَعَـاشِرْهُ فَـهْوَ الـخِلُّ طَابَتْ خِلاَلُـهُ

يَـدُلُّ عَـلَى الـمَوْلَى العَلِيِّ مَقَالُهُ * وَضَـمَّ مِـنَ الـعِلْمِ الغَزِيرِ مَنَالُهُ

وَمِـنْ كُـلِّ سِـرٍّ كُـلِّ زَاهٍ وَزَاهِـرِ

فَلِلَّهِ مَـا مِـنْ غَـامِضٍ كَـانَ أَظْهَرَا * فَـمَا العِلْمُ إِلاَّ الصَّيْدُ فَهْوَ لَـهُ الفَرَا

وَمِـنْ فَـيْضِهِ رَوْضُ الـمَعَارِفِ أَزْهَرَا * حَـقَائِقُ عِـلْمٍ بَثَّهَا الشَّيْخُ لاَ أَرَى

لِـعِـزَّتِـهَا تَـشْـبِيهَهَا بِـالـنَّظَائِرِ

تَحَلَّى بِهَا يَا حُسْنَهَا نَحْوَ سَيْرِهَا * وَبَاعَ بِهَا حُلْوَ الحَيَاةِ بِمُرِّهَا

فَطُوبَى لِمَنْ قَدْ نَالَ مِنْ بَحْرِ سِرِّهَا * مَعَارِفَ لَمْ تَخْطُرْ نَفَائِسُ دُرِّهَا

لِكُلِّ فَتَى العِرْفَانِ يَوْمًا بِخَاطِرِ

كِتَابٌ لَهُ لِلسَّالِكِينَ مَسَالِكُ * تُوَصِّلُهُمْ لَمْ تُخْشَ فِيهَا المَهَالِكُ

بِهِ ضَاءَ لَيْلٌ لِلجَهَالَةِ حَالِكُ * كِتَابٌ كَرِيمٌ مُسْتَنَارٌ مُبَارَكُ

يَمُدُّ بِهَامٍ مِنْ نَدَى السِّرِّ هَامِرِ

فَبَادِرْ جِنَاهُ كَيْ تَنَالَ اقْتِطَافَهُ * وَطِبْ مِنْ شَذَا لُبْنَاهُ وَاشْرَبْ سُلاَفَهُ

عَلاَ دُرُّهُ حَقًّا فَحَاذِرْ خِلاَفَهُ * كَفَاهُ عُلاً أَنَّ النَّبِيَّ أَضَافَهُ

إِلَى نَفْسِهِ رَغْمًا لِأَنْفِ المُكَابِرِ

وَحَضَّ عَلَيْهِ آمِرًا بِالْتِزَامِهِ * عَلَيْهِ مِنَ المَوْلَى أَعَزُّ سَلاَمِهِ

جَوَاهِرُ عِلْمٍ رُصِّعَتْ مِنْ كَلاَمِهِ * جَزَى اللهُ مَنْ أَبْدَى جَمِيلَ نِظَامِهِ

بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ مِنَ الخُلْدِ وَافِرِ

لَقَدْ طَابَ فِي الآفَاقِ ذِكْرُ جَلاَلِهِ * فَلَمْ تَأْتِ أَقْلاَمِي بِبَعْضِ خِصَالِهِ

وَلَيْتَ جَبِينِي مَوْطِىءً لِنِعَالِهِ * وَصَلَّى عَلَى رُوحِ الوُجُودِ وَآلِهِ

وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ النُّهَى وَالمَآثِرِ

إِلَهُ الوَرَى مَا اشْتَاقَ عَذْبَ وِصَالِهِ * مُحِبٌّ وَلَوْ وَصْلاً لِطَيْفِ خَيَالِهِ

فَفَازَ بِحَظٍّ وَافِرٍ مِنْ نَوَالِهِ * وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا بِقَدْرِ كَمَالِهِ

عَلَى شَيْخِنَا قُطْبِ الهُدَى وَ المَفَاخِرِ

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ العَلَّامَةِ سُكَيْرِجٍ مُنَوِّهًا بِهَذَا الكِتَابِ المُبَارَكِ :

*جَوَاهِرُ المَعَانِي * تَاهَتْ بِهَا الغَوَانِي* عَلَى المُحِبِّ العَانِي

فِي حَضَرَاتِ القُدْسِ

قَدْ أَكْسَبَتْهُ سُكْرَهْ * مَا اعْتَادَهَا مِنْ خَمْرَهْ* فِي حَضْرَةِ المَسَرَّهْ

وَلاَ بِوَقْتِ أُنْسِ

فَزَادَ فِيهَا وَجْدُهُ * وَصَحَّ مِنْهَا رُشْدُهُ * وَجَلَّ فِيهَا حَمْدُهُ

* شُكْراً بِطِيبِ نَفْسِ *

كَمْ أَوْضَحَتْ مِنْ فَنِّ * عَنْ غَيْرِهَا لاَ يُغْنِي * مَعْ مَا بِهَا مِنْ حُسْنِ

* قَدْ فَاقَ حُسْنَ الشَّمْسِ *

وَكَمْ شَفَتْ مِنْ عِلَّهْ * وَكَشَفَتْ مِنْ وَحْلَهْ * بِبَاهِرِ الأَدِلَّهْ

* بِالحَقِّ لاَ بِالحَدْسِ *

وَكَمْ أَتَتْ بِحُجَّهْ * لِسَالِكِ المَحَجَّهْ * بِحُسْنِ صِدْقِ لَهْجَهْ

* تُذْهِبُ كُلَّ لُبْسِ *

بِهَا انْجَلَتْ غُيُونُ * وَقَرَّتِ العُيُونُ * وَسِرُّهَا مَصُونُ

* عَنْ كُلِّ قَالِ نَحْسِ *

فَاللَّهُ قَدْ شَرَّفَهَا * وَبِالجَلاَلِ حَفَّهَا * فَفَازَ مَنْ أَلَّفَهَا

* بِحَضَرَاتِ الأُنْسِ *

وَهْوَ الرِّضَى حَرَازِمْ * مَنْ فِي الطَّرِيقِ حَازِمْ * يُرْشِدُ بِالمَكَارِمْ

* لِجَنَّةِ الفِرْدَوْسِ *

خَلِيفَةُ التِّجَانِي * مُنَاوِلُ الأَمَانِي * لِطَالِبِي الأَمَانِي

* مِنْ جِنَّةٍ وَإِنْسِ *

مُرِيدُهُ مُرَادُ * تَمَّ لَهُ المُرَادُ * وَهْوَ الَّذِي الأَسْيَادُ

* تَعْنُو لَهُ بِالرَّأْسِ*

ذِكْرُ بَعْضِ المُؤَلَّفَاتِ ذَاتِ الصِّلَةِ بِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

هُنَاكَ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ تَمَّ تَدْوِينُهَا فِي إِطَارِ خِدْمَةِ هَذَا الكِتَابِ الجَلِيلِ، الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ بِهِ إِلَّا مُوَفَّقٌ سَعِيدٌ، مَعْدُودٌ فِي زِمَامِ سَادَاتِنَا الأَوْلِيَاءِ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَمْرِهِ لَهُ بِجَمْعِهِ : تَحَفَّظْ عَلَيْهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ بَعْدَكَ بِحِفْظِهِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ نَذْكُرَ فِي هَذَا المَحَلِّ بَعْضًا مِنَ المُؤَلَّفَاتِ الَّتِي تَطَرَّقَتْ لِخِدْمَةِ هَذَا الكِتَابِ، فَمِنْهَا :

حُورُ المَغَانِي فِي نَظْمِ جَوَاهِرِ المَعَانِي:

هِيَ أُرْجُوزَةٌ نَظَمَ فِيهَا العَلَّامَةُ العَارِفُ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ الحَاجِّ العَيَّاشِي سُكَيْرِجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَبُلُوغِ الأَمَانِي، لِلْعَارِفِ بِرَبِّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ الفَاسِي، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُتِمَّهُ، بَلْ اكْتَفَى بِنَظْمِ الخُطْبَةِ وَطَرَفٍ مِنَ المُقَدِّمَةِ، وَالمَعْرُوفُ عَنِ العَلَّامَةِ القَاضِي سَيِّدِي أَحْمَدَ سُكَيْرِجٍ أَنَّهُ قَامَ بِنَظْمِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الكُتُبِ الهَامَّةِ، خُصُوصًا مِنْهَا ذَاتُ الصِّلَةِ بِالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ العَطِرَةِ، وَكَانَ الهَدَفُ مِنْ نَظْمِهَا هُوَ تَمْهِيدُ قِرَاءَتِهَا لِلطُّلَّابِ، وَتَسْهِيلُ حِفْظِهَا وَتَرْسِيخِهَا فِي أَذْهَانِ القُرَّاءِ،

وَبِنَاءً عَلَيْهِ قَامَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمُحَاوَلَةٍ جَادَّةٍ فِي سَبِيلِ نَظْمِ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، لِلعَلَّامَةِ العَارِفِ بِرَبِّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ الفَاسِي، غَيْرَ أَنَّ هَذَا النَّظْمَ لَمْ يُكْتَبْ لَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى خَطِّ نِهَايَتِهِ، بَلْ اخْتَارَ النَّاظِمُ أَنْ يَقِفَ بِقَلَمِهِ دُونَ إِتْمَامِهِ، لَيْسَ عَجْزًا عَنْ إِنْجَازِ هَذَا المَسْعَى النَّبِيلِ، وَلَا تَهَاوُنًا فِي خِدْمَتِهِ، وَلَكِنْ نُزُولًا عِنْدَ أَمْرِ أُسْتَاذِهِ الوَلِيِّ الصَّالِحِ سَيِّدِي أَحْمَدَ العَبْدَلَّاوِيِّ، الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتْرُكَ إِتْمَامَ هَذَا النَّظْمِ إِلَى حِينِ صُدُورِ إِذْنٍ خَاصٍّ فِي شَأْنِهِ. وَيَبْلُغُ عَدَدُ الأَبْيَاتِ الَّتِي نَظَمَهَا مِنَ الكِتَابِ المَذْكُورِ 356 بَيْتًا، قَالَ فِي مَطْلَعِهَا :

الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الإِنْعَامِ * بِنِعْمَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ

حَمْدًا يُوَافِي سَائِرَ الآلَاءِ * فِي حَالَةِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالشُّكْرُ دَائِمًا عَلَى إِحْسَانِهِ * وَجُودِهِ وَجَوْدَةِ امْتِنَانِهِ

شُكْرًا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ الجَلِيلْ * وَمِنْهُ نَسْتَوْجِبُ فَضْلَهُ الجَزِيلْ

السِّرُّ البَاهِرُ، بِمَا انْفَرَدَ بِهِ الجَامِعُ عَنِ الجَوَاهِرِ:

عَمَدَ مُؤَلِّفُهُ العَلَّامَةُ العَارِفُ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ الحَاجِّ العَيَّاشِي سُكَيْرِجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الكِتَابِ أَنْ يُلِمَّ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الجَامِعِ لِلعَلَّامَةِ ابْنِ المَشْرِيِّ، مِنْ تَقَايِيدَ وَمَقَالَاتٍ وَأَجْوِبَةٍ لَمْ تُذْكَرْ فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي لِلْعَارِفِ بِرَبِّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، اعْتِبَارًا لِكَوْنِ هَذَا الكِتَابِ الأَخِيرِ كَانَ قَدْ أُلِّفَ إِبَّانَ حُلُولِ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَدِينَةِ فَاسٍ سَنَةَ 1213هـ-1798م، وَتُوفِّيَ صَاحِبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ لَا تَزِيدُ عَلَى خَمْسِ سَنَوَاتٍ، بَيْنَمَا تَأَخَّرَتْ حَيَاةُ مُؤَلِّفِ الكِتَابِ الأَوَّلِ (الجَامِعِ) إِلَى حُدُودِ سَنَةِ 1224هـ- 1809م، الشَّيْءُ

الَّذِي سَمَحَ لَهُ بِإِضَافَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَجْوِبَةِ وَالتَّقَايِيدِ غَيْرِ المَوْجُودَةِ فِي كِتَابِ الجَوَاهِرِ .

وَتُفِيدُ بَعْضُ الوَثَائِقِ أَنَّ العَلَّامَةَ سُكَيْرِجَ كَانَ قَدْ شَرَعَ فِي إِنْجَازِ هَذَا الكِتَابِ عَامَ 1328 هـ- 1910م، وَهُوَ مِنْ عِدَادِ مُؤَلَّفَاتِهِ التَّامَّةِ، وَقَدْ أَجَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جَمْعِهِ وَتَنْسِيقِهِ أَيَّمَا إِجَادَةٍ

تِيجَانُ الغَوَانِي، فِي شَرْحِ جَوَاهِرِ المَعَانِي:

كَانَ العَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَدِيدَ الإِهْتِمَامِ بِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، دَائِمَ المُطَالَعَةِ لَهُ، يُدَرِّسُهُ وَيَتَمَعَّنُ فِي مُحْتَوَيَاتِهِ، وَيَسْتَغْرِقُ الأَوْقَاتَ الطِّوَالَ فِي اسْتِخْرَاجِ دُرَرِ مَعَانِيهِ الدَّقِيقَةِ،

وَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ فِي هَذَا الإِطَارِ عَلَى رِسَالَةٍ بَعَثَهَا لِأَحَدِ تَلَامِذَتِهِ، قَالَ فِي ضِمْنِهَا: إِنِّي وَلِلَّهِ الحَمْدُ أَبْذُلُ الجُهْدَ فِي جَمْعِ هَذَا الكِتَابِ وَإِخْرَاجِهِ، يَعْنِي كِتَابَ تِيجَانِ الغَوَانِي فِي شَرْحِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، فَإِنْ وُفِّقْتُ إِلَى ذَلِكَ وَأَصَبْتُ فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَهُ المِنَّةُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَعُذْرِي أَنِّي سَأَسْتَفْرِغُ فِي البَحْثِ جُهْدِي، وَاللَّهُ تَعَالَى أَسْأَلُ القَبُولَ، إِنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَمِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا رِسَالَةٌ أُخْرَى بَعَثَهَا المُؤَلِّفُ لِأُسْتَاذِهِ العَلَّامَةِ سَيِّدِي عَبْدِ الكَرِيمِ بَنِّيس، قَالَ لَهُ فِيهَا: أَمَّا الدَّاعِي الَّذِي دَفَعَنِي لِجَمْعِ هَذَا الكِتَابِ، يَعْنِي كِتَابَ تِيجَانِ الغَوَانِي فِي شَرْحِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، هُوَ ضُرُورَةُ الإِلْمَامِ بِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَمَا احْتَوَاهُ مِنْ رَسَائِلِ وَتَقَايِيدِ مَوْلَانَا الخَتْمِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ رَدِّ افْتِرَاءَاتِ المُنْكِرِينَ وَالمُتَشَكِّكِينَ فِي بَعْضِ كَلَامِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِظْهَارِ وَجْهِ الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ القَوْلِ، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ سُوءَ فَهْمِ قَوْلِ

سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ بِأَمْرٍ هَيِّنٍ، فَإِنَّهُ يَتَجَاوَزُ إِلَى إِسَاءَةِ فَهْمِ الكَلَامِ وَكُلِّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ وَالحِكَمِ وَالدَّقَائِقِ وَالفُهُومِ، إِذْ أَنَّ أَجْزَاءَ الكَلَامِ يُبَيِّنُ بَعْضُهَا بَعْضًا، لِلُزُومِ التَّوَافُقِ بَيْنَهَا،

وَالمَعْلُومُ أَنَّ الجَهْلَ بِالجُزْءِ يُفْضِي إِلَى زِيَادَةِ جَهْلٍ بِالمَجْمُوعِ، فَمَنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ مَعْنَى مَدْلُولَاتِهِ أُغْلِقَ عَلَيْهِ بَابُ الإِسْتِيعَابِ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَهْمُ السِّيَاقِ

قُلْتُ : وَهُوَ كِتَابٌ غَيْرُ تَامٍّ، لَمْ يَشْرَحْ المُؤَلِّفُ فِيهِ وَلَوْ لَفْظًا وَاحِدًا مِنْ كِتَابِ الجَوَاهِرِ، وَاكْتَفَى بِذِكْرِ مَزِيَّةِ هَذَا الكِتَابِ وَفَضْلِهِ العَظِيمِ، ثُمَّ تَعَرَّضَ لِتَرْجَمَةِ مُؤَلِّفِهِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ مُعَالَجَةِ بَعْضِ المَوَاضِيعِ المُشْتَبَهَةِ الَّتِي يُثِيرُهَا المُنْكِرُونَ بِهَدَفِ زَرْعِ الشَكِّ فِي اعْتِقَادَاتِ النَّاسِ وَإِدْخَالِ الوَسْوَسَةِ فِيهَا، وَيُعَدُّ هَذَا التَّأْلِيفُ مِنْ أَهَمِّ تَآلِيفِ العَلَّامَةِ سُكَيْرِجٍ، وَذَلِكَ لِمَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِدَ وَفَوَائِدَ وَمَعْلُومَاتٍ قَيِّمَةٍ .

وَقَدْ وَقَفْتُ بِالخِزَانَةِ السُّكَيْرِجِيَّةِ عَلَى نُسْخَةٍ مَخْطُوطَةٍ مِنْ هَذَا الكِتَابِ، وَعَلَى غِلَافِهَا الأَمَامِيِّ كَتَبَ السُّلْطَانُ الأَسْبَقُ مَوْلَانَا عَبْدُ الحَفِيظِ بِقَلَمِ الرَّصَاصِ مَا نَصُّهُ : تِيجَانُ المَعَانِي، فِي جَمْعِ مَا فِي الجَامِعِ وَجَوَاهِرِ المَعَانِي، مِمَّا أَفَاضَ مِنْ بَحْرِ الخَتْمِ التِّجَانِي، سَقَانَا اللَّهُ مِنْ فَيْضِهِ بِأَعْظَمِ الأَوَانِي، وَذَلِكَ كَعُنْوَانٍ بَدِيلٍ لِلْعُنْوَانِ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُ مُؤَلِّفُهُ، غَيْرَ أَنَّ العُنْوَانَ الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ الكِتَابُ هُوَ العُنْوَانُ الأَوَّلُ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ المَسَارُ

وَلَا يَفُوتُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّنَا قَدْ أَقْدَمْنَا عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الكِتَابِ وَطَبْعِهِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ، وَأَنَّهُ يَقَعُ فِي 200 صَفْحَةٍ، وَفِي آخِرِهِ تَقْرِيظُ فَيْلَسُوفِ الطَّرِيقَةِ: العَلَّامَةُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ الرَّافِعِيُّ

العِقْدُ المُنَظَّمُ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ مِنَ الجَوَاهِرِ بِالإِسْمِ الأَعْظَمِ:

يَقَعُ فِي 11 صَفْحَةٍ، غَيْرُ تَامٍّ. لَكِنَّ العَلَّامَةَ العَارِفَ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنَ الحَاجِّ العِيَّاشِي سُكَيْرِجَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَظْهَرَ فِيهِ عُلُومًا وَأَسْرَارًا عَظِيمَةً، بِحَيْثُ يَتَبَيَّنُ لِمُتَصَفِّحِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ مُؤَلِّفُهُ مِنْ خِبْرَةٍ وَاسِعَةٍ عَرِيضَةٍ فِي هَذَا المَجَالِ .

وَيَبْدُو لِي أَنَّ العَلَّامَةَ سُكَيْرِج كَانَ يَوَدُّ التَّوَسُّعَ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ المَذْكُورِ، لِيَشْمَلَ مَعَارِفَ أُخْرَى ذَاتَ صِلَةٍ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ [بِنِيَّةِ الإِسْمِ الأَعْظَمِ مَعَهَا] وَصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَلِهَذَا وَضَعَ لِهَذَا الكِتَابِ بَعْدَ ذَلِكَ عُنْوَانًا آخَرَ وَهُوَ : العِقْدُ المُنَظَّمُ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ مِنْ جَوَاهِرِ المَعَانِي بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالفَاتِحَةِ وَالإِسْمِ الأَعْظَمِ .

تُحْفَةُ المُرِيدِ التِّجَانِي، فِيمَا انْفَرَدَ بِهِ رَوْضُ المُحِبِّ الفَانِي، عَنِ الجَامِعِ وَجَوَاهِرِ المَعَانِي:

مِنْ عِدَادِ مُؤَلَّفَاتِ العَلَّامَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الحَاجِّ العِيَّاشِي سُكَيْرِجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّامَّةِ، دَوَّنَ فِيهِ جَمِيعَ التَّقَايِيدِ وَالإِمْلَاءَاتِ وَالفَوَائِدِ وَالمَعْلُومَاتِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا كِتَابُ " رَوْضِ المُحِبِّ الفَانِي فِيمَا تَلَقَّيْنَاهُ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي، لِلْعَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِيِّ السَّائِحِيِّ "، وَذَلِكَ عَنْ كِتَابَيْ الجَوَاهِرِ وَالجَامِعِ

وَهُوَ عَلَى التَّذْكِيرِ كِتَابٌ مُهِمٌّ، جَدِيرٌ بِالمُطَالَعَةِ، بَذَلَ فِيهِ جَامِعُهُ جُهْدًا جَبَّارًا، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ وَعَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ التِّجَانِيَةِ كُلَّ خَيْرٍ، وَلِلإِشَارَةِ فَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ تَحْقِيقِ هَذَا الكِتَابِ، وسَنُقَدِّمُهُ قَرِيبًا لِلطِّبَاعَةِ

مِنْ أَنْوَارِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، لِلدُّكْتُورِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سُكَيْرِج

الشُّرْبُ الصَّافِي، مِنَ الكَرَمِ الضَّافِي، حَاشِيَةٌ عَلَى كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، لِلْعَلَّامَةِ سَيِّدِي الحَاجِّ الحَسَنِ البَعْقِيلِي[1]

إِفَادَةُ المُرِيدِ التِّجَانِي، بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي مِنْ عَقِيدَةِ وَأَقْوَالِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ التِّجَانِي، لِلْعَلَّامَةِ سَيِّدِي مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدٍ العَلَوِيِّ المَدَنِي

تَارِيخُ الشُّرُوعِ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ المُبَارَكِ

قَالَ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "كَشْفُ الحِجَابِ" : وَكَانَ شُرُوعُ مُؤَلِّفِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ وَ تَرْتِيبِهِ وَتَأْلِيفِ مَسَائِلِهِ وَتَبْوِيبِهِ بِفَاسٍ أَوَائِلَ شَعْبَانَ الأَبْرَكِ مِنَ العَامِ قَبْلِهِ، وَسَحَابُ الخَيْرِ لَهَا مَطَرٌ تَرْصُدُ بِهِ إِبَّانَهُ وَ فَضْلَهُ، وَفَرَغَ مِنْهُ أَوَاسِطَ ذِي القِعْدَةِ الحَرَامِ مِنَ السَّنَةِ المُوَالِيَةِ لِذَلِكَ العَامِ، وَذَلِكَ قَيْدَ حَيَاةِ سَيِّدِنَا قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ وَوَالَى عَلَيْهِ سَحَائِبَ الرِّضْوَانِ،

---

[1] ـ الحاج الحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقيلي، فقيه صوفي فاضل، من جلة أعلام الطريقة التجانية، أصله من قبيلة بعقيلة في سوس، ينتهي نسبه إلى مولانا الحسن بن علي كرم الله وجهه، أبصر نور الحياة بقبيلته المذكورة سنة 1301هـ. وبها تلقى تعليمه الأولي، قبل أن ينتقل لمدينة فاس سنة 1318هـ، حيث تابع دراسته بها مدة غير قصيرة، واستوطن مدينة الدار البيضاء سنة 1348هـ، وظل يسكنها إلى حين وفاته.

له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتابه: إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية، بأصابع حق ماهية التربية بالطريقة التجانية. توفي ليلة الجمعة 10 شوال 1368هـ-5غشت 1949م.

أنظر ترجمته في المعسول، للمختار السوسي 11: 155 - 186. الأعلام، للزركلي 2 : 222، اليواقيت والجواهر في سند الجهابذة والأكابر، لأمين محمد الفطواكي. معجم المؤلفين، لكحالة 3: 211. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 174 - 175 رقم 407. سوس العالمة، للمختار السوسي 208. معلمة المغرب 4: 1286. إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 519. موسوعة أعلام المغرب 9: 3244.

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْهُ أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجَازَهُ فِي سَائِرِ مَا فِيهِ وَكَتَبَ لَهُ بِخَطٍّ يَدِهِ المُبَارَكَةِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ بِذَلِكَ فِي مَسْجِدِ الدِّيوَانِ ، فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَحْفُوفًا بِاليُمْنِ وَالإِسْعَادِ ، مُنْتَشِرَ الذِّكْرِ، سَنِيَّ الفَخْرِ، عَمِيمَ النَّفْعِ فِي جَمِيعِ الأَصْقَاعِ وَالبِلَادِ .

قُلْتُ : وَيُؤَيِّدُهُ فِي مَا جَاءَ فِي نَظْمِ مُنْيَةِ المُرِيدِ :

وَبَعْدَ ذَا بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ أَمَرْ * تِلْمِيذَهُ الرِّضَى عَلِيًّا الأَبَرْ

بِجَمْعِهِ جَوَاهِرَ المَعَانِي * عَنْ إِذْنِ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ مُنْزِلُ الْقُرْآنِ * وَالآلِ وَ الصَّحْبِ مَدَى الأَزْمَانِ

عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الأَحْبَابِ * مَا عِشْتُمُ الدَّهْرَ بِذَا الْكِتَابِ

عَنْ إِذْنِ طَهَ جَمْعُهُ وَ أَمْرِهِ * وَقَدِّرِ الإِمَامَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَمَنْ يُطَالِعْهُ بِإِنْصَافٍ يَرَى * أَنَّ خِلَالَ الشَّيْخِ لَيْسَتْ فِي الْوَرَى

وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عِنْدِي الشَّكُّ * وَخَالِقِي وَلَيْسَ فِيهِ إِفْكُ

الحَدِيثُ عَنِ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ [أ]

لِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

المَعْرُوفُ عَنِ المُؤَلِّفِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بِبَدْرٍ قُرْبَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، إِبَّانَ مَوْسِمِ الحَجِّ عَامَ 1218هـ ـ 1804م، وَعَنْ هَذَا المَوْضُوعِ يَقُولُ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي الجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِهِ رَفْعِ النِّقَابِ :

تُوفِّيَ الخَلِيفَةُ سَيِّدِي الحَاجُّ عَلِيٌّ حَرَازِمُ بَرَّادَةُ بِالمَشْرِقِ وَدُفِنَ بِقُبُورِ الشُّهَدَاءِ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . وَكَانَ مَعَهُ إِذْ ذَاكَ سَيِّدِي الحَاجُّ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بَرَّادَةُ، وَسَيِّدِي الحَاجُّ عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ الأَحْمَرِ . وَخَلَّفَ هُنَاكَ نُسْخَةَ " جَوَاهِرِ المَعَانِي " وَنُسْخَةً مِنَ البُخَارِي وَمُصْحَفًا: كُلُّهَا بِخَطِّ يَدِهِ الشَّرِيفَةِ .

فَأَمَّا " جَوَاهِرُ المَعَانِي " فَهُوَ بِزَاوِيَةِ عَيْنِ مَاضِي عِنْدَ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَيَّضَ اللَّهُ مَنْ أَتَى بِهَا مِنْ هُنَاكَ وَخَيَّمَتْ بِمَحَلِّهَا .إهـ . .

قُلْتُ : وَلِقِيمَةِ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ سَعَى العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ غَايَةَ جُهْدِهِ لِلْإِطِّلَاعِ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ عِنْدَئِذٍ بِالزَّاوِيَةِ بِعَيْنِ مَاضِي بِالصَّحْرَاءِ الشَّرْقِيَّةِ، وَقَدْ سَافَرَ فِي طَلَبِهَا إِلَى الجَزَائِرِ عَامَ 1329هـ ـ 1911م، لَكِنَّهُ فُوجِئَ بِخَبَرِ وَفَاةِ عَمِيدِ الزَّاوِيَةِ التِّجَانِيَةِ بِعَيْنِ مَاضِي وَقْتَئِذٍ، الشَّرِيفِ البَرَكَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ البَشِيرِ التِّجَانِي، وَكَانَ حِينَهَا مُمْتَطِيًا لِلْبَاخِرَةِ بِمِينَاءِ طَنْجَةَ صَوْبَ مَدِينَةِ وَهْرَانَ، فَاقْتَصَرَتْ زِيَارَتُهُ لِلْجَزَائِرِ عَلَى مَدِينَةِ وَهْرَانَ وَمُسْتَغَانِمْ وَتِلِمْسَانَ وَسَيِّدِي بَلْعَبَّاسِ وَسَطِيفَ، وَلَمْ يَذْهَبْ لِعَيْنِ مَاضِي وِفْقًا لِمَا كَانَ مُسَطَّرًا فِي بَرْنَامَجِهِ .

لَكِنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ طَلَبَهُ، وَحَقَّقَ أَمَلَهُ، حَيْثُ قَدِمَ الشَّرِيفُ سَيِّدِي مَحْمُودُ بْنُ سَيِّدِي البَشِيرِ التِّجَانِي لِلْمَغْرِبِ فِي خِضَمِّ السَّنَةِ نَفْسِهَا، وَجَاءَ مَعَهُ بِالْمَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ مِنَ الجَوَاهِرِ، وَعَنْ هَذَا المَوْضُوعِ يَقُولُ العَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "غَايَةُ المَقْصُودِ، بِالرِّحْلَةِ مَعَ سَيِّدِي مَحْمُود" :

نَفْحَةٌ عِرْفَانِيَّةٌ هَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ شَيْخِنَا العَارِفِ بِاللَّهِ، الدَّالِّ عَلَى اللَّهِ، سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَحْمَدَ العَبْدَلَّاوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَعَنَّا بِهِ، فَإِنَّهُ بَشَّرَنِي فِي بَعْضِ مُبَشِّرَاتِهِ بِأَنِّي سَأَشْرَحُ هَذِهِ الجَوَاهِرَ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، سَائِلًا مِنْهُ أَنْ يُصْلِحَ لَنَا البَاطِنَ وَالظَّاهِرَ، وَحِينَ حَرَّكَتْنِي الأَرِيحِيَّةُ لِشَرْحِهَا صَمَّمْتُ عَلَى أَنْ لَا أَشْرَعَ فِي ذَلِكَ إِلَّا إِذَا اطَّلَعْتُ عَلَى النُّسْخَةِ المُشَارِ لَهَا [يَعْنِي المَخْطُوطَةَ الأَصْلِيَّةَ] وَلَمَّا لَمْ يَتَيَسَّرْ لِي فِي الرِّحْلَةِ المَذْكُورَةِ الظَّفَرُ بِهَا [يَعْنِي رِحْلَتَهُ لِلْجَزَائِرِ عَامَ 1329هـ ـ 1911م] تَحَقَّقْتُ بِأَنَّ الإِذْنَ لَمْ يَحْصُلْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ مِنْ عَلَامَةِ الإِذْنِ التَّيْسِيرُ، حَتَّى يَسَّرَ اللَّهُ

قُدُومَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مَحْمُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَهُ هَذِهِ النُّسْخَةُ الَّتِي بِمُجَرَّدِ اجْتِمَاعِنَا بِهِ أَطْلَعَنَا عَلَيْهَا، وَكَأَنَّهُ مَا أَتَى بِهَا إِلَّا لَنَا،

فَذَهَبْتُ بِالجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْهَا، وَبَقِيَ عِنْدِي أَيَّامًا، فَقَابَلْتُ نُسْخَتِي بِهَا مَعَ بَعْضِ النُّسَخِ، وَكَانَ مَجْمَعُ المُقَابَلَةِ بِالزَّاوِيَةِ المُبَارَكَةِ بِفَاسٍ، بِالسَّارِيَةِ المَيْمُونَةِ، قُبَالَةَ ضَرِيحِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِحُضُورِ فِئَةٍ مِنْ خَاصَّةِ الأَعْيَانِ مِنْهُمْ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ الرَّئِيسُ، سَيِّدِي الحَاجُّ عَبْدُ الكَرِيمِ بَنِّيسُ، وَهُوَ السَّارِدُ لَهَا، وَنَحْنُ النَّاظِرُونَ لِنُسَخِنَا، مَعَ حُضُورِ العَلَّامَةِ الَّذِي انْتَفَعَ بِهِ أَهْلُ الحَوَاضِرِ وَالبَوَادِي، سَيِّدِي مُحَمَّدٍ الفَاطِمِي الشَّرَّادِي، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الإِخْوَانِ، أَصْلَحَ اللَّهُ لِي وَلَهُمْ الشَّانَ، إِلَى أَنْ كَمُلَتِ المُقَابَلَةُ، وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الهِدَايَةَ لِلصَّوَابِ فِيمَا رُمْتُهُ مِنْ ذَلِكَ، مَعَ التَّوْفِيقِ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ فِي كُلِّ مُعَامَلَةٍ .

وَقَالَ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي الكِتَابِ ذَاتِهِ فِي المَوْضُوعِ نَفْسِهِ أَيْضًا : ثُمَّ إِنَّ المَوْلَى جَلَّ اسْمُهُ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِقُدُومِهِ لِهَذَا القُطْرِ السَّعِيدِ [يَعْنِي سَيِّدِي مَحْمُودَ حَفِيدَ الشَّيْخِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [وَكَانَ يَوْمُ قُدُومِهِ يَوْمَ عِيدٍ، فَرَأَيْنَاهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، بَعْدَ أَنْ انْكَسَرَ خَاطِرِي مِنْ عَدَمِ زِيَارَتِهِ، حَيْثُ شَدَدْتُ الرِّحْلَةَ بِقَصْدِ الذَّهَابِ إِلَى عَيْنِ مَاضِي مِنْ طَنْجَةَ فِي رِحْلَتِنَا الوَهْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يُقَدِّرِ المَوْلَى الوُصُولَ لِتِلْكَ البُقْعَةِ الشَّرِيفَةِ، لِمَوَانِعَ اقْتَضَاهَا الوَقْتُ وَالحَالُ، فَرَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ لِفَاسٍ، مُنْكَسِرَ القَلْبِ، مُطَأْطِئَ الرَّأْسِ

وَكُنْتُ أَتَمَنَّى الوُصُولَ لِذَلِكَ المَقَامِ، لِنَزُورَهُ وَنَزُورَ بَقِيَّةَ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنُطَالِعَ هُنَاكَ نُسْخَةَ جَوَاهِرِ المَعَانِي الَّتِي هِيَ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهَا الخَلِيفَةِ الأَفْخَمِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ قُدِّسَ سِرُّهُ، المَكْتُوبَ عَلَى أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا بِخَطِّ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَصْحِيحُهُ لَهَا، وَأَنَّ العَمَلَ عَلَيْهَا لَا عَلَى غَيْرِهَا مِمَّا خَالَفَهَا مِنَ

النُّسَخِ، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُقَابِلَ إِحْدَى النُّسَخِ بِهَا، لِمَا أَنَا مُتَشَوِّفٌ إِلَيْهِ بِهِمَّةِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ مِنْ شَرْحِهَا بِشَرْحٍ يَكُونُ حَافِظًا لَهَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ مِنَ التَّدْلِيسِ، وَيُبَيِّنُ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ خَبَايَا الأَسْرَارِ، وَيَرْفَعُ مَا يُشْكِلُ عَلَى مُطَالِعِهَا فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنَ التَّلْبِيسِ، لِأَنَّ جُلَّ النُّسَخِ المَوْجُودَةِ بِيَدِ الإِخْوَانِ فِيهَا بَعْضُ مُخَالَفَةٍ فِي مَوَاضِعَ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ .

شَكْلُ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ

يَتَحَدَّثُ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ عَنْ شَكْلِ هَذِهِ المَخْطُوطَةِ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ أَسْنَى المَطَالِبِ، فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّالِبُ، حَيْثُ قَالَ : الحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى العَبْدِ الفَقِيرِ كَاتِبِ هَذِهِ الأَحْرُفِ أَنْ وَقَفْتُ عَلَى نُسْخَةِ الجَوَاهِرِ الَّتِي هِيَ بِخَطِّ الخَلِيفَةِ المُكَرَّمِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَطِّهِ الشَّرِيفِ بِأَنَّ عَلَيْهَا المَدَارَ وَأَجَازَهُ بِهَا، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الأَحَدِ 18 شَعْبَانَ الأَبْرَكِ عَامَ 1329هـ، ثَانِي يَوْمِ قُدُومِ سَيِّدِنَا مَحْمُودٍ سِبْطِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَدْ مَكَّنَنِي المُقَدَّمُ سَيِّدِي الطَّيِّبُ السُّفْيَانِيُّ بِأَنْ أَذْهَبَ بِهَا لِمَكَانِي لِأَنْقُلَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِخَطِّ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ بِخُطُوطِهِمْ الشَّرِيفَةِ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ هُنَا بِحَوْلِ اللَّهِ ذَخِيرَةً عُظْمَى، تَيَمُّنًا بِهِمْ وَبِمَقَامِهِمْ الأَسْنَى. أَمَّا وَصْفُ النُّسْخَةِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا فَهِيَ جُزْءَانِ ضَخْمَانِ فِي القَالَبِ الكَبِيرِ فِي نَوْعِ الكَاغِدِ الشَّطْبِيِّ الرَّقِيقِ، سُطُورُ كُلِّ جِهَةٍ 23 سَطْرًا، بِخَطِّ الخَلِيفَةِ المُجَوْهِرِ، الَّذِي هُوَ مُرَصِّعُ تَرْصِيعَ الدُّرِّ وَالجَوْهَرِ، عَلَيْهِ الأَنْوَارُ لَائِحَهْ، وَفِي بَعْضِ الصَّفَحَاتِ الكِتَابَةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا،

وَرُبَّمَا تُطَوِّقُ الكِتَابَةَ حَوْلَهَا مِنَ الأَصْلِ، وَيُنَبِّهُ تَارَةً عَلَى تَقْدِيمِ مَا تَقَدَّمَ وَتَأْخِيرِ مَا يُؤَخَّرُ، وَفِي بَعْضِ السُّطُورِ القَلِيلَةِ يُشَطِّبُ وَيَضْرِبُ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّ جُلَّ مَا كُتِبَ مِنَ الأَصْلِ عَلَى هَامِشِهَا مُطَوَّقًا قَدْ مَرَّتْ عَلَى طَرْفِهِ آلَةُ التَّسْفِيرِ، فَزَالَ طَرْفُهُ .وَالجَمِيعُ مَكْتُوبٌ بِمِدَادِ السِّوَاكِ، وَتَرَاجِمُهُ وَبَعْضُ الكَلِمَاتِ مَكْتُوبَةٌ بِاللَّوْنِ الأَحْمَرِ، وَيُفْصَلُ بَيْنَ السَّجعَاتِ بِنُقْطَةٍ غَلِيظَةٍ مِنَ اللَّوْنِ الأَحْمَرِ .وَيُجْعَلُ عَلَى بَعْضِ السَّجعَاتِ بِهِ تَوْقِيفٌ كَذَلِكَ .وَعَدَدُ أَوْرَاقِ الجُزْءِ الأَوَّلِ المَكْتُوبَةِ بِخَطِّ الخَلِيفَةِ 215. وَعَدَدُ أَوْرَاقِ الجُزْءِ الثَّانِي 128.

وَقَدْ فُصِلَ بَعْضُ الفُصُولِ عَنْ بَعْضٍ كَأَنَّهُ جُزْءٌ مُنْفَرِدٌ .فَالجُزْءُ الأَوَّلُ فُصِلَ فِيهِ الفَصْلُ الثَّانِي فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَمَّا قَبْلَهُ وَفِي الجُزْءِ الثَّانِي فُصِلَ عَمَّا قَبْلَهُ: الفَصْلُ الرَّابِعُ، وَالفَصْلُ الخَامِسُ وَالبَابُ السَّادِسُ وَالخَاتِمَةُ وَقَالَ وَجَامِعُهُ مُؤَلِّفُهُ . إِلَخْ .. وَكِلَا الجُزْءَيْنِ مُجَلَّدٌ بِالجِلْدِ، لَوْنُهُ أَخْضَرُ، مُزَخْرَفٌ بِالذَّهَبِ، وَحَاشِيَةُ الأَوْرَاقِ عَلَى الثَّلَاثِ جِهَاتٍ مِنْ خَارِجِ الجُزْءِ مُذَهَّبَةٌ، وَلَيْسَتْ بِمُجَدْوَلَةٍ بِدَاخِلِهَا .

وَنَصُّ مَا كَتَبَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِظَهْرِ أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ. قَالَ العَبْدُ الفَقِيرُ، المُضْطَرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ، أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي أَنَّ مَجْمُوعَ الكُنَّاشِ المَكْتُوبِ عَلَى ظَهْرِ أَوَّلِهِ هَذِهِ الأَحْرُفُ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ أَجَزْتُ فِيهِ إِجَازَةً عَامَّةً مُطْلَقَةً تَامَّةً خَالِدِيَّةً أَبَدِيَّةً لِحَبِيبِنَا سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ الحَاجِّ العَرَبِيِّ الفَاسِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، كَلِمَةً مِنِّي، رِوَايَةً عَنِّي، وَعَمَلًا بِمَا فِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذْنًا بِمَا فِيهِ مِنَ الخَوَاصِّ وَالأَسْرَارِ، أَيًّا كَانَتْ وَمِنْ أَيِّ فَنٍّ كَانَتْ، وَأَنْ يُجِيزَ فِيهِ مَنْ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، عَلَى قَاعِدَةِ الإِذْنِ وَالإِجَازَةِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنْ مُرَاعَاةِ الأَصْلَحِ وَالأَهْلِيَّةِ وَالنُّفُورِ وَالبُعْدِ وَالمَنْعِ عَمَّنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ. أَجَازَ وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي عَامَلَهُ

اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَهُوَ مِنْ إِمْلَائِنَا عَلَى المُجَازِ المَذْكُورِ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِفَضْلِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بِتَارِيخِ يَوْمِ الخَمِيسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ الفَرْدِ مِنْ أَوَاسِطِ عَامِ 1215 هـ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَتَحْتَهُ بِخَطِّ عَدْلَيْنِ لَمْ أَعْرِفْهُمَا بِعَلَامَتِهِمَا مَا نَصُّهُ :

الحَمْدُ لِلَّهِ اشْتَرَى الشَّرِيفُ سَيِّدِي عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ الشَّرِيفِ المَرْحُومِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بُوغَالِبَ الجُوطِي الحَسَنِي مِنَ البَائِعِ لَهُ السَّيِّدِ بُوعَزَّةَ بْنِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ جَمِيعَ هَذَا التَّأْلِيفِ المُبَارَكِ فِي سِفْرَيْنِ، المُشْتَمِلِ عَلَى مَنَاقِبِ شَيْخِنَا وَسَيِّدِنَا وَوَسِيلَتِنَا سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي، المَكْتُوبِ هَذَا عَلَى أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهُ، المُسَمَّى بِجَوَاهِرِ المَعَانِي وَبُلُوغِ الأَمَانِي فِي فَيْضِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي، اشْتَرَاهُ بِثَمَنٍ قَدْرُهُ لَهُ أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ مِثْقَالًا دَرَاهِمَ[1] . تَارِيخُهُ اعْتَرَفَ البَائِعُ المَذْكُورُ بِقَبْضِ جَمِيعِ الثَّمَنِ المَذْكُورِ وَأَبْرَأَهُ مِنْهُ بَرَاءَةً تَامَّةً .

وَتَمَلَّكَ المُشْتَرِي المَذْكُورُ مُشْتَرَاهُ المَذْكُورَ تَمَلُّكًا تَامًّا عَلَى السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ، وَالمَرْجِعُ بِالدَّرْكِ بَعْدَ التَّقْلِيبِ وَالرِّضَا، مَا يَجِبُ عَرَفَا قَدْرَهُ، شَهِدَ عَلَيْهِمَا بِأَكْمَلِهِ وَعَرَفَهُمَا، وَفِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ المُبَارَكِ عَامَ 1234هـ وَأَسْتَوْدِعُ هُنَا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَأَنَّ مَا فِي هَذَا الكِتَابِ حَقٌّ وَصِدْقٌ،

[1] ـ هو مبلغ عال يكفي وقتئذ لشراء منزل أو منزلين بمدينة فاس.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ[1] .

---

[1] ـ قلت : يستفاد من هذه الوثيقة أن النسخة الأصلية من هذا الكتاب تم تحبيسها على الزاوية الكبرى بفاس عام 1234هـ، أي بعد وفاة مولانا الشيخ رضي الله عنه بأربع سنوات، كما تفيدنا الوثيقة نفسها أن الشريف سيدي محمد الحبيب التجاني وأخاه سيدي محمد الكبير لم يأخذا معهما هذه المخطوطة ضمن متاع دار المراية الذي أخذاه عند سفرهما النهائي للصحراء في شهر صفر عام 1231هـ، نظرا لكون تاريخ العثور عليها وتحبيسها وقع بعد ذلك الحدث بثلاث سنوات. ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه المخطوطة بقيت بمدينة فاس بعد ذلك مدة طويلة، وأنه لم يتم أخذها للصحراء إلا بعد انصرام القرن الثالث عشر الهجري، ولا ننسى أنه قد تم انتساخ نسخ عديدة عن هذه المخطوطة، لعل من أبرزها نسخة العلامة سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، التي ذكر في آخرها أنه فرغ من كتابتها عن النسخة الأصلية المحفوظة بالزاوية الميمونة الكبرى بفاس في شهر شعبان عام 1253هـ، ونفس الشيء بالنسبة للنسخة المنسوبة للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، أو الآخرى المنسوبة للعلامة المؤرخ سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، غير أن هذين الأخيرتين لم يُحَدَّدْ فيهما تاريخ النسخ

وعموما فقد وقفت على رسالة لبخاري الطريقة العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، مؤرخة في شهر صفر الخير عام 1289هـ بعث بها لبعض مقدمي الزاوية الكبرى بفاس، قال فيها بعد كلام : وأوصيك بالإعتناء بكتاب الجواهر وما معه من كتب الزاوية المباركة، وحفظها من التلف، ووضعها في الخزانة، وإحكام الإغلاق عليها حرصا لها من الضياع، وتعيين من يقوم بتنظيفها بشكل دوري ومنتظم،

ووقفت في الموضوع نفسه على رسالة للعلامة الشهير سيدي محمد [فتحا] كنون بعث بها للفقيه المقدم سيدي المكي الزواوي السلاوي، بعد وعكة صحية كانت قد أصابت هذا الأخير، فأوصاه قائلا : لقد كنا نتبرك بنسخته المباركة الموجودة آنذاك بالزاوية، لدرجة أنه إذا مرض أحدنا [يعني ساداتنا الفقراء] يعمد المقدم إلى وضعه فوق رأسه أو على صدره، فيجد ذلك المريض راحة وسكينة في الحين، ثم يأخذه المقدم ويرجعه لمكانه بالخزانة الشريفة، فلا يسمح لأحد منا بتحريكه أو نقله خارج الزاوية مخافة ضياعه

وَتَحْتَهُ بِخَطٍّ عَدْلٍ بِشَكْلِهِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الخَطُّ أَعْلَاهُ هُوَ لِلشَّيْخِ الأَكْبَرِ العَارِفِ بِاللَّهِ شَيْخِنَا وَوَسِيلَتِنَا إِلَى رَبِّنَا وَمَنْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُنَا العَارِفِ الرَّبَّانِي وَالفَرْدِ الصَّمَدَانِي سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَحْمَدَ التِّجَانِي نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ دُنْيَا وَأُخْرَى وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِ آمِينَ. قَالَهُ عَارِفُهُ وَمُعَرِّفًا بِهِ وَفِي التَّارِيخِ أَعْلَاهُ .

وَفِي الوَرَقَةِ قَبْلَ هَذِهِ الوَرَقَةِ يُمْنَتَهُ اتِّصَالًا تَقْرِيظَانِ، نَصُّ الأَوَّلِ بِالجِهَةِ الأُولَى يُمْنَتَهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.
الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ مَنَازِلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَشَدَّدَ دَعَائِمَهَا، وَوَضَعَ مِقْدَارَ البِدْعَةِ وَمَحَا مَعَالِمَهَا، وَأَسَّسَ أَسَاسَ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَمَ أَحْكَامَهَا، وَأَوْضَحَ دَلَائِلَ الحَقِيقَةِ ابْتِدَاءَهَا وَاخْتِتَامَهَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، القَائِلِ: يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ وَبَعْدُ :

لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ هَذَا القُطْرِ بِمَحَبَّةِ مَنْ أَعْلَى اللَّهُ مَقَامَهُ، وَمَكَّنَ مِنْ رِقَابِ الضَّلَالِ سَيْفَهُ وَمَسَامَهُ، الَّذِي مِنْ إِمْلَائِهِ دُوِّنَتْ الدَّوَاوِينُ الضِّخَامُ، وَصُنِّفَتْ الرَّسَائِلُ الصَّغِيرَةُ الأَجْرَامِ، حَتَّى اهْتَدَى بِسَبَبِ ذَلِكَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَارْتَدَى بِرِدَاءِ السَّعَادَةِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ العِنَايَةُ مِنَ العَلِيمِ الخَبِيرِ، أَلَا وَهُوَ شَيْخُنَا إِبْرِيزُ الأَقْطَابِ وَالأَغْوَاثِ، السَّيِّدُ الرَّبَّانِي، وَالغَوْثُ الجُثْمَانِي، أَبُو العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي . وَكَانَ مِنْ أَنْبَلِ مَا ذُكِرَ مِنْ مَدْحِ هَذَا السَّالِكِ لِأَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَبْطَالِ، وَإِيثَارِهِ لِلْهِمَمِ الخَامِدَةِ فِي فُحُولِ الرِّجَالِ، تَحْرِيكًا لِقَرَائِحَ هَامِدَةٍ لِتَرَاكُمِ

أَهْوَالٍ وَأَحْوَالٍ، وَإِلَّا بِجَوَاهِرَ لَفْظُهَا غَنَى عَنِ الجَوَابِ، لِاحْتِوَائِهَا عَلَى فَاصِلَةِ الخِطَابِ.

وَلَقَدْ أَمَرَنِي بِكَتْبِ هَذَا مَنْ لَا يَسَعُنِي مُخَالَفَتُهُ، وَاسْتَجَابَنِي فِيمَا هُنَالِكَ مَنْ تَتَعَيَّنُ إِجَابَتُهُ، وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَهْلًا لِذَلِكَ، خَوْفًا مِنَ الوَعِيدِ الوَارِدِ فِي ذَلِكَ، وَرَجَاءَ أَنْ أَنْتَظِمَ فِي سِلْكِ الحَامِينَ حِمَى السُّنَّةِ مِنْ عَالِمٍ عَامِلٍ وَوَلِيٍّ سَالِكٍ، وَاللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ صَالِحِ العَمَلِ، وَيَعْصِمَ الأَفْكَارَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ. كَاتِبُهُ عُبَيْدُ رَبِّهِ المَجِيدِ، أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ شُهِرَ بِقَدُّورَةَ[1] ، يَسَّرَ اللَّهُ أُمُورَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وَفِي الجِهَةِ الأُخْرَى يَسَارًا التَّقْرِيظُ الثَّانِي وَنَصُّهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حَمْدًا لِمَنْ نَبَّهَ عَزَائِمَ الهِمَمِ الكَامِلَةِ لِاقْتِنَاءِ فَرَائِدِ الفَوَائِدِ، وَمَثَّلَ لَهُمْ خَزَائِنَ الأَفْكَارِ أَبْهَى مِنَ الأَبْكَارِ الخَرَائِدِ، فَأَبَانُوا مَرَاسِمَ الفَضَائِلِ بَعْدَ طُمُوسِهَا، وَأَقَامُوا قَوَاعِدَ بُنْيَانِ المَحَامِدِ بَعْدَ دُرُوسِهَا، وَقَرَّرَتِ المَشَايِخُ مَوَاهِبَهُمْ اللَّدُنِيَّةَ فِي مَجَالِسِ دُرُوسِهَا، فَعَادَتْ بَهْجَةُ رَوْضِ عِرْفَانِهِمْ رَائِقَةَ الإِشْرَاقِ، وَظَهَرَتْ حَدَائِقُ وَارِدَاتِهِمْ الإِلَاهِيَّةِ يَانِعَةَ الأَوْرَاقِ، وَتَنَافَسَتْ فِي اجْتِلَاءِ مَطَالِعِ أَنْوَارِهِمْ نَفَائِسُ الأَحْدَاقِ

---

[1] ـ أحمد بن سعيد قدورة، فقيه صوفي جليل، من أعلام الطريقة التجانية بالجزائر، قال عنه العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج أنه من بيت علم وحسب وفضل ونسب، وعموما فهو من عداد العلماء الذين التقى بهم الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، وذلك بالجزائر، إبان سفره للديار المشرقية سنة 1216 هـ، أنظر ترجمته في رفع النقاب 1 رقم الترجمة 89.

يَـمِـينًـا لَـقَـدْ طَـوَّقْـتُـمُ الـدَّهْـرَ عِـقْـدَهُ * وأَضْـحَـكْـتُـمُ الأَيَّـــامَ بَـعْـدَ بُـكَـائِـهَـا
وَأَطْـلَـعْـتُـمْ شَـمْـسَ الـمَـعَـالِي بِـأُفْـقِـهَـا * فَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ وَسَطَ سَمَائِهَا

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الذَّخَائِرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي اصْطَفَاهُ مِنْ أَطْيَبِ العَنَاصِرِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي المَنَاقِبِ وَالمَآثِرِ، وَبَعْدُ : فَقَدْ أَمَرَّ المُحِبُّ نَظَرَهُ عَلَى مَا جُمِعَ مِنْ إِمْلَاءِ سَيِّدِنَا جَمِيعِهِ، وَاسْتَجْلَى بَيَانَ حُسْنِهِ وَبَدِيعِهِ، وَاسْتَحْلَى فِي أَثْنَاءِ حَلِّ المُشْكِلَاتِ مَا أُثْبِتَ مِنْ تَكْمِيلِهِ وَتَرْصِيعِهِ، وَحَصَّلَ الثَّنَاءَ عَلَى سَجِيَّتِهِ السَّخِيَّةِ، وَفِطْنَتِهِ الذَّكِيَّةِ، وَفِطْرَتِهِ الزَّكِيَّةِ، وَعَلَى تَبَحُّرِهِ فِي العُلُومِ مَعْقُولِهَا وَمَنْقُولِهَا، فُرُوعِهَا وَأُصُولِهَا، وَدَلَّ عُنْوَانُ الكِتَابِ، وَمَا أَفْصَحَ بِهِ بَيْتَ قَصِيدَةِ المُسْتَطَابِ، عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا جَمَعَ بَيْنَ الإِمَامَتَيْنِ، وَخُلِعَ لَهُ خِلْعَةُ الوِلَايَتَيْنِ، وَفَازَ بِتَحْقِيقِ المَذْهَبَيْنِ وَوُرُودِ المَشْرَبَيْنِ .

فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ وَمَنْ ذَا يُعَارِضُ، وَمِنْ بَحْرِهِ بَحْرُ المَعَارِفِ فَائِضُ، أَلَا وَهُوَ الإِمَامُ الهُمَامُ، عَلَمُ الأَعْلَامِ، وَرَحْمَةُ الإِسْلَامِ، القُطْبُ الرَّبَّانِي، وَالغَوْثُ النُّورَانِي، وَالسِّرُّ الرَّحْمَانِي، أَبُو العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدُ التِّجَانِي، لَا زَالَتِ الأَقْدَارُ جَارِيَةً بِرَفْعِ مِقْدَارِهِ، وَالأَيَّامُ رَافِلَةٌ فِي حُلَّةِ شَرَفِهِ وَحِلْيَةِ وَقَارِهِ، آمِينَ، وَكَتَبَهُ الفَقِيرُ إِلَى الغَنِيِّ المَالِكِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكٍ، عَفَا عَنْهُ مَوْلَاهُ فِي كُلِّ المَسَالِكِ. أَوَاسِطَ مُحَرَّمٍ عَامَ 1216هـ .

وَفِي الوَرَقَةِ قَبْلَهَا رَسْمٌ بِعَدْلٍ لَمْ أَعْرِفْهُ بِشَكْلِهِ وَنَصُّهُ :

الحَمْدُ لِلَّهِ، بَعْدَمَا نُهِبَ التَّأْلِيفُ الَّذِي فِي حَشْوِ هَذَا المُجَلَّدِ[1] مَعَ سِفْرٍ آخَرَ مِثْلِهِ[2] ، وَمُصْحَفا فِي سِفْرٍ وَاحِدٍ رُبَاعِيٍّ قَبْلَ تَارِيخِهِ لِأَرْبَابِهِ، وَهُمْ أَوْلَادُ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ، وَوَجَدَهُ الشَّرِيفُ سَيِّدِي عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ الشَّرِيفِ المَرْحُوْمِ

---

[1] ـ تحتوي حكاية استخلاص كتاب جواهر المعاني بعد نَهْبِهِ على دروس وعبر عجيبة، ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا الكتاب كان بحوزة مؤلفه لدى سفره للحجاز، ووفاته بمنطقة بدر عام 1218 هـ، وقد أعيد الكتاب بعد ذلك إلى مدينة فاس، وذلك عن طريق صاحبه وملازمه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، الذي كان مرافقا له ضمن المراحِل الأخيرة من سفره المذكور، وَوُضِعَ كتاب جواهر المعاني عندئذ في حوزه نجل المؤلف المقدم البركة سيدي بوعزة برادة، ولم يتمَّ نهبه إلا بعد وفاة سيدنا الشيخ رضي الله عنه عام 1230 هـ، وبهذا فمدة نهبه لم تزد على سنتين لا غير، حيث تمَّتِ استعادته حسب الحكاية المذكورة في هذا النص سنة 1232 هـ، وتلك كرامة عظيمة، إن دلت على شيء فإنما تدل على علو مكانة هذا الكتاب وشرفه، وما له من بركات مشهودة.

[2] ـ ذكر العلامة سيدي أحمد سكيرج في بعض كنانيشه أن السِّفْرَ الذي كان مع كتاب جواهر المعاني إبان نهبه واسترجاعه هو كتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلاهية، من فيض الحضرة الأحمدية التجانية، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي. وهو شرحه لقصيدة الهمزية الذي أملاه عليه سيدنا الشيخ رضي الله عنه

سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بُوغَالِبَ الجُوطِي الحَسَنِي[1] بِيَدَيْ شَيْخِ المَغَارِبَةِ بِفَاسٍ الحَاجِّ مُحَمَّدٍ المَغْرِبِي فِي صُحْبَةِ الرَّكْبِ النَّبَوِيِّ عَامَ تَارِيخِهِ،

وَرَمَى اسْتِحْقَاقَ مَا ذُكِرَ مِنْ يَدَيْ مَنْ ذُكِرَ، وَادَّعَى المُسْتَحِقُّ مِنْ يَدِهِ أَنَّهُ صَيَّرَ عَلَى ذَلِكَ سِتِّينَ رِيَالًا شَرْشُورِيَةً، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِثْقَالًا حِينَ وَجَدَ ذَلِكَ عِنْدَ الغَيْرِ فِدَاءً عَنِ الإِسْتِحْقَاقِ لِعَدَمِ الشُّهُودِ، وَعَنِ اليَمِينِ الوَاجِبِ عَلَيْهِ، وَرُفِعَ الأَمْرُ لِشَيْخِ الرَّكْبِ النَّبَوِيِّ عَامَ تَارِيخِهِ وَهُوَ الحَاجُّ الطَّالِبُ ابْنُ جَلُّونَ[2] ، فَدَخَلَ بَيْنَهُمَا عَلَى أَنْ يَدْفَعَ لَهُ العِدَّةَ المَذْكُورَةَ الَّذِي دَفَعَ مِنْ يَدَيْهِ لِمَنْ ذُكِرَ، فَدَفَعَهَا لَهُ الشَّرِيفُ بِمَحْضَرِ شَاهِدِهِ، وَحَازَ الكُتُبَ الثَّلَاثَةَ المَذْكُورِينَ وَتَبَارَءَا مَعًا مِمَّا ذُكِرَ، قَصَدَ الشَّرِيفُ

---

[1] ـ عبد الواحد بو غالب، من مشاهير أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني، أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 269-270. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 69. الدر الثمين فيما استفدته من الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 26 (مخطوط). جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. كناش بلامينو 103. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 354 رقم 103. نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 93.

[2] ـ الطالب ابن جلون الفاسي، أحد كبار تجار مدينة فاس خلال عهد السلطان المولى سليمان وَخَلَفِهِ المولى عبد الرحمان، كان كثيرا ما يترأس ركب الحجيج المغاربة، ويذكر أنه آخر شيوخ الركب المذكور، حيث أدى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة، توفي في حدود سنة 1260 هـ- 1844م. أنظر ترجمته في زهر الآس في بيوتات أهل فاس، للكتاني 1: 298-300. معلمة المغرب 9: 3068.

المَذْكُورُ الرُّجُوعَ بِذَلِكَ عَلَى أَوْلَادِ الحَاجِّ عَلِيٍّ المَذْكُورِ حِينَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ عَرَفَا قَدْرَهُ. شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِمَا بِأَكْمَلِهِ وَعَرَفَهُمَا[1] فِي أَوَاسِطِ شَعْبَانَ عَامَ 1232هـ .

وَفِي الوَرَقَةِ الَّتِي تَلِي الأَخِيرَةَ مِنْ هَذَا الجُزْءِ مَكْتُوبٌ هَذِهِ الأَبْيَاتُ المَلْحُونَةُ :

فَـاقَـتْ مَـحَاسِنُهُ جَـمِيعَـا * كَالبَدْرِ فِي حِنْدَسِ الظَّلَامِ

وَامْتَدَّتْ مِنْهُ جَمِيعُ الأَسْرَارْ * لَا سِـرَّ إِلَّا مِـنْ ذَا الإِمَـامِ

وَكَـــانَ وَسِـيـلَـةً عَـظِـيـمَـةً * لَــدَى الـنَّـبِيِّ بِـذَا المَقَـامِ

وَسِـــرُّهُ قَـــدْ سَـــرَى لِـكُـلِّ * فَـرْدٍ مِـنَ الـقَـوْمِ ذِي مَقَامِ

وَلَــهُ خَـتْـمُ الـوِلَايَـةِ حَــقٌّ * وَلَا إِلى الغَـيْرِ ذَا الـمَـقَـامِ

يَــا قَـاصِـدًا لِأَرْضِ فَــاسِ * بَـلِّـغْ لَــهُ مِـنِّـــي سَـلَامِي

أَحْـــمَــدَ خُـــوجَــةَ شَـــوْقِــيٍّ * بَدِيعِ وَقَيْدِي قَيْدُ السِّقَامِ

---

[1] ـ مما هو جدير بالملاحظة أن هذا الكتاب كان بحوزة مؤلفه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم لدى سفره للحجاز ووفاته بها بمنطقة بدر عام 1218 هـ ـ 1803م، ثم أعيد الكتاب بعد ذلك إلى مدينة فاس، وذلك عن طريق صاحبه وملازمه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، الذي كان مرافقا له ضمن المراحِل الأخيرة من سفره المذكور، فوُضِعَ في حوزة نجل المؤلف المقدم البركة سيدي بوعزة برادة، ولم يتمَّ نهبه إلا بعد وفاة سيدنا الشيخ رضي الله عنه عام 1230 هـ، وبهذا فمدة نهبه لم تزد على سنتين لا غير، حيث تمَّتِ استعادته حسب الحكاية المنصوص عليها ضمن هذه الوثيقة سنة 1232 هـ، وتلك كرامة عظيمة، إن دلت على شيء فإنما تدل على علو مكانة هذا الكتاب وشرفه، وما له من بركات مشهودة.

وَفِي أَوَّلِ الجُزْءِ الثَّانِي سَرِيَّةُ الجَيْشِ[1] مُسْفِرَةٌ مَعَ هَذَا الجُزْءِ أَوَّلُهَا :

حَمْدًا لِـمَنْ حَدَّ لِكُلِّ مَا بُسِطَ * مِـنَ الأُمُـورِ طَرَفَيْنِ وَوَسَـطَ

فَـجَعَـلَ الأَوْسَــاطَ لِـلْأَشْـرَافِ * وَشِيمَةَ الأَطْرَافِ فِي الأَطْرَافِ

وَعَلَى أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهَا :

الحَمْدُ لِلَّهِ ثَبَتَ عِنْدَنَا وَتَقَرَّرَ مِنْ طَرِيقِ الثِّقَاتِ مِنْ أَصْحَابِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ شَرِبَ السُّكَّرَ القَالَبَ لَيْسَ عِنْدَهُ وِرْدُ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ وَتَجْدِيدِ الإِذْنِ فِي الوِرْدِ المَذْكُورِ، وَكَتَبَ بِهِ عَبْدُ رَبِّهِ الطَّيِّبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَسَنِي الشَّهِيرُ بِالسُّفْيَانِيِّ لَطَفَ اللَّهُ بِهِ وَخَتَمَ لَهُ بِالحُسْنَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَذَلِك عَبْدُ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ الكَبِيرُ لَحْلُو التِّجَانِي لَطَفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ. وَكَذَلِكَ عَبْدُ رَبِّهِ التُّهَامِي التَّدْلَاوِي لَطفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ. وَكَذَلِكَ عَبْدُ رَبِّهِ الحَاجُّ العَرَبِيُّ بْنُ عَبْدِ القَادِرِ التَّازِي لَطَفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ .

وَعَلَى حَاشِيَةِ هَذَا الرَّسْمِ مِنَ الطَّرَفِ المُلَازِقِ لِلْجُزْءِ مَا نَصُّهُ :

سَمَاعًا مِنْهُ لِأَنَّهُ تَحَقَّقَ عِنْدَهُ عَنِ الَّذِي يَثِقُ بِهِ أَنَّ الرُّومَ يَصِفُونَهُ بِالدَّمِ، وَكَذَلِك بَلَغَنَا أَنَّهُمْ يَصِفُونَهُ بِعِظَامِ الجِيفِ وَعِظَامِ الآدَمِيِّ وَالخِنْزِيرِ وَغَيْرِهَا، يُحْرِقُونَهَا ويَدُقُّونَهَا وَيَصِفُونَهُ بِغُبَارِهَا عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ .

[1] ـ المراد بها سَرِيَّةُ الحَقِّ وَالانْتِصَارِ، وَالذَّبِّ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الأَخْيَارِ، نَظْمُ الإِمَامِ العَالِمِ سيدي محمد بن محمد الصغير العلوي التيشيتي الشنقيطي

وَعَلَى ظَهْرِ الخَاتِمَةِ هَذَا الرَّسْمُ، وَلَمْ أَعْرِفْ شَهِيدَيْهِ :

الحَمْدُ لِلَّهِ. اشْتَرَى الشَّرِيفُ الأَجَلُّ سَيِّدِي عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بُو غَالِبَ الجُوطِي الحَسَنِي، مِنَ البَائِعِ لَهُ السَّيِّدِ بُوعَزَّةَ[1] بْنِ المَرْحُومِ بِمِنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ جَمِيعَ هَذَا التَّأْلِيفِ المُبَارَكِ فِي سِفْرَيْنِ، المُسَمَّى بِجَوَاهِرِ

---

[1] ـ سيدي أبو يعزى بن الخليفة المعظم مولانا أبي الحسن الحاج علي حرازم برادة الفاسي، من خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه، كانت له به عناية عظيمة، خاصة بعد وفاة والده بالمشرق سنة 1218هـ

أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 218-219.رفع النقاب، للمؤلف نفسه 1: 226، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية،27 و 78. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب. للمؤلف نفسه 13-17 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف، في ذكر من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف. للعلامة الحجوجي 20-21. رقم الترجمة 2. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 93. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 19. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 291. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 332. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 109.الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي10. تفضيض ظاهر و باطن الأواني بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 388 و 507.

المَعَانِي، وَبُلُوغِ الأَمَانِي فِي فَيْضِ أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي، المَكْتُوبِ هَذَا عَلَى أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهُ اشْتِرَاءً تَامًّا بِثَمَنٍ قَدْرُهُ لَهُ أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ مِثْقَالًا دَرَاهِمَ سِكَّةِ تَارِيخِهِ[1] . قَبَضَ البَائِعُ المَذْكُورُ مِنَ المُشْتَرِي المَذْكُورِ جَمِيعَ الثَّمَنِ المَوْصُوفِ قَبْضًا تَامًّا اعْتِرَافًا، وَأَبْرَأَ مِنْهُ بَرَاءَةً تَامَّةً، وَتَمَلَّكَ المُشْتَرِي المَذْكُورُ مُشْتَرَاهُ المَذْكُورَ تَمَلُّكًا تَامًّا عَلَى السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ، وَالمَرْجِعُ بِالدَّرَكِ بَعْدَ التَّقْلِيبِ وَالرِّضَا كَمَا يَجِبُ. عَرَفَا قَدْرَهُ، شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِمَا بِأَكْمَلِهِ وَعَرَفَهُمَا فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ عَامَ 1234هـ .

وَتَحْتَهُ هَذَا الرَّسْمُ أَيْضًا :

الحَمْدُ لِلَّهِ. أَشْهَدَ المُشْتَرِي أَعْلَاهُ أَنَّهُ إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ بِمَوْتِهِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيدَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ عَنْهُ، فَيَخْرُجُ مِنْ ثُلُثِ مُتَخَلَّفِهِ هَذَا التَّأْلِيفُ المُبَارَكُ المُشْتَمَلُ بِهِ فِي سِفْرَيْنِ، وَيَكُونُ حَبْسًا عَلَى زَاوِيَةِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي الحَسَنِي الكَائِنَةِ بِالبَلِيدَةِ حَبْسًا مُؤَبَّدًا، وَوَقْفًا مُخَلَّدًا إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الوَارِثِينَ، وَمَنْ بَدَّلَ أَوْ غَيَّرَهُ فَاللَّهُ حَسْبُهُ وَسَائِلُهُ وَمُتَوَلِّي الانْتِقَامَ مِنْهُ، وَسَيَعْلَمُ

---

[1] ـ في نطاق هذا الموضوع يقول العلامة الحجوجي رحمه الله بعدما سئل عن سبب شراء الشريف سيدي عبد الواحد بوغالب لكتاب الجواهر للمرة الثانية وتحبيسه على الزاوية، قال : إن همة الانسان إذا تعلقت بشيء، كان أيا كان ذلك الشيء، حتى ولو حجراً وجماداً، تخاف عليه وتداري أن يصيبه شيء، فأحرى أن يكون ذلك الشيء هو كتاب الجواهر
وذكر العلامة سيدي أحمد سكيرج في النطاق ذاته أن الشريف سيدي عبد الواحد بوغالب اشترى كتاب جواهر المعاني بغية تحبيسه على الزاوية التجانية الكبرى بفاس من جهة، ومخافة ضياعه والتفريط فيه من جهة ثانية، تماشيا مع المثل السائر : كل شيء أحبه أتوقع ضياعه. إهـ..

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ. إِيصَاءً تَامًّا عَرَفَ قَدْرَهُ، شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ بِأَكْمَلِهِ وَعَرَفَهُ وَفِي التَّارِيخِ أَعْلَاهُ .

وَبِخَطِّ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخِيرًا مَخْتُومًا بِهِ الوَرَقَةُ المَكْتُوبَةُ بِخَطِّ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ مَا نَصُّهُ مُبَاشَرَةً :

يَقُولُ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي، قَدْ كَمُلَ تَهْذِيبُ هَذَا الكُنَّاشِ وَتَنْقِيحُهُ، وَانْفَتَحَتْ بِعَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسَارُّهُ وَتَفْرِيحُهُ، بِرِوَايَةٍ عَنَّا وَسَمَاعٍ مِنَّا، فَلَا جَرَمَ أَنَّ العَمَلَ فِيهِ عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ المَكْتُوبِ عَلَى آخِرِهَا هَذَا الرَّسْمُ، وَأَنَّ مَا سِوَاهَا مِنَ النُّسَخِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِمَّا يُخَالِفُ هَذِهِ النُّسْخَةَ يَجِبُ تَرْكُهُ، وَأَجَزْتُ فِي جَمِيعِ مَا فِيهَا رَاوِيَهَا عَنَّا سَيِّدِي الحَاجَّ عَلِي حَرَازِمَ جَامِعَهَا، إِذْ كُلُّ مَا فِيهَا أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي بَعْضِ الأَوْرَاقِ المَكْتُوبَةِ أَخِيرًا :

الحَمْدُ لِلَّهِ بَعْدَمَا أَتَى بَعْضُ الأَحْبَابِ بِحُصُورٍ وَزَيْتٍ مِنَ القَرَوِيِّينَ لَيْلَةَ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي زَمَنِ حَيَاةِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى بِذَلِكَ الحُصُورِ وَالزَّيْتِ لِزَاوِيَةِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأُمِرَ بِرَدِّ ذَلِكَ إِلَى النَّاظِرِ، وَقَالَ : ذَلِكَ حَرَامٌ أَعْطُوا دِرْهَمًا لِلْوَاحِدِ وَاشْتَرُوا عَلَى شَيْءٍ تَجْلِسُوا. وَكَتَبَ بِهِ عَبْدُ رَبِّهِ الطَّيِّبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَسَنِي الشَّهِيرُ بِالسُّفْيَانِي لَطَفَ اللَّهُ بِهِ .

الحَمْدُ لِلَّهِ :

سَمِعْنَا سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ لِأَصْحَابِكَ لَا يُؤْذِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِنَّهُ يُؤْذِينِي مَا يُؤْذِيهِمْ. إِهـ

الحَمْدُ لِلَّهِ :

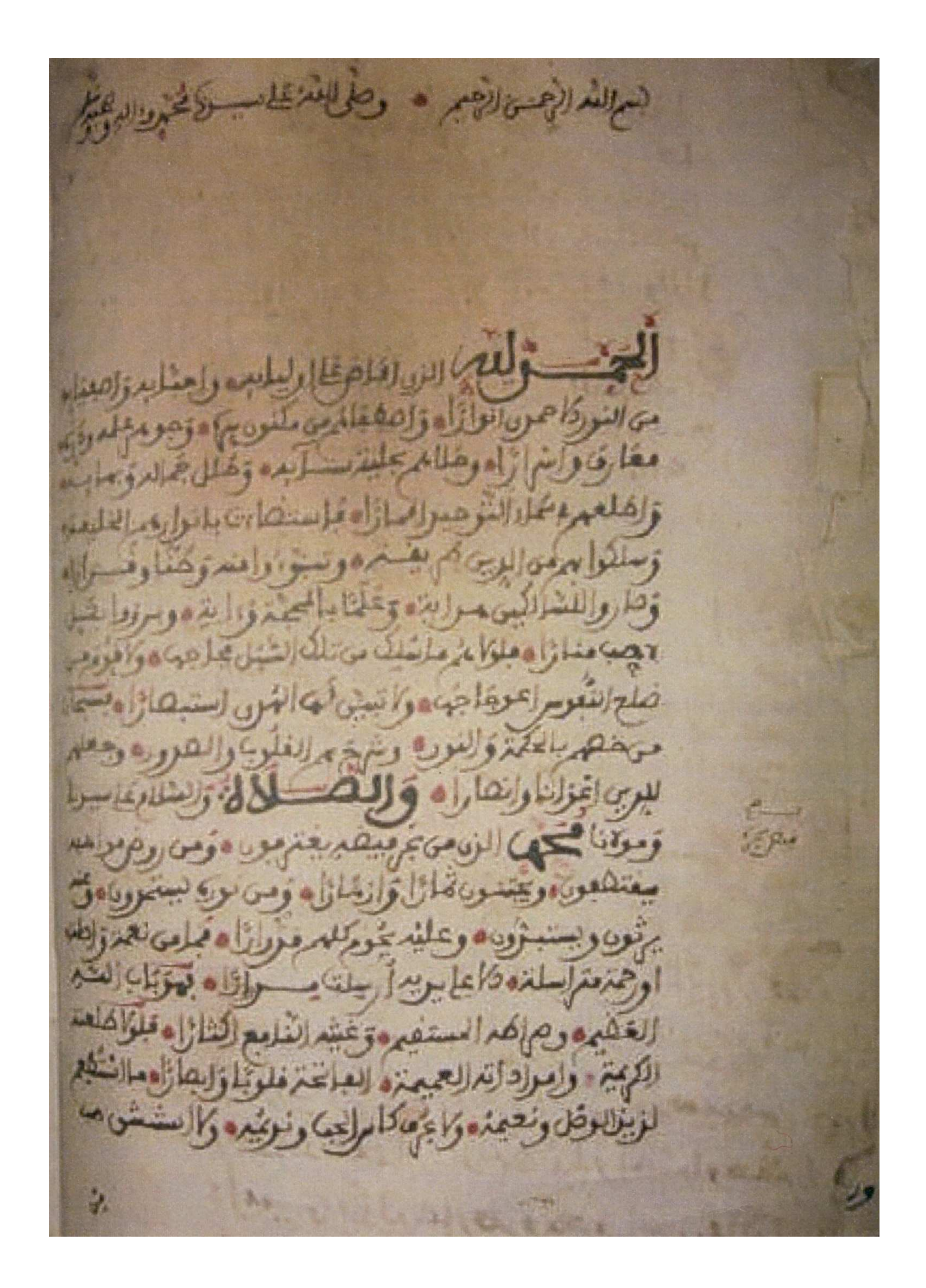
سَمِعْنَا مِنْ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُشَافَهَةً أَنَّهُ قَالَ لَنَا: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ يُزَوِّجُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يُزَوِّجُهَا لِغَيْرِهِ أَوْ يَبِيعُهَا بِهَذَا الشَّرْطِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلْيَحُطَّ سُبْحَتِي، مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ. وَسَأَلَهُ بَعْضُ الأَصْحَابِ عَمَّنْ كَانَتْ مِلْكًا لِزَوْجَتِهِ فَأَجَابَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: يَقُولُ لَهَا إِنْ لَمْ تَفْعَلِي ذَلِكَ نُطَلِّقُكِ. إِهـ .

وَسَمِعْنَا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ثَلَاثَةَ مَسَائِلَ يَقْطَعُونَ المُرِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ: زِيَارَةُ الأَوْلِيَاءِ، وَأَخْذُ وِرْدٍ آخَرَ، وَمُجَالَسَةُ المُبْغِضِينَ لِلشَّيْخِ .إِهـ ..

وَسَمِعْنَا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مَنْ شَكَّ فِي زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ فِي الوِرْدِ فَلْيَبْنِ عَلَى اليَقِينِ وَيَزِيدُ مِائَةً مِنَ الإِسْتِغْفَارِ عَقِبَ الوِرْدِ وَيَنْوِي بِهَا الجَبْرَ لِذَلِكَ الشَّكِّ .

الحَمْدُ لِلَّهِ :

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : جَازَتْ عَلَيَّ غَفْوَةٌ طَالَعْتُ حَدِيثًا قُدْسِيًّا مُؤَكَّدًا بِاليَمِينِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِيهِ : حَلَفْتُ أَنَّ مَنْ وَصَلَ الفَاتِحَةَ بِالبَسْمَلَةِ لَأُعْطِيَنَّهُ كَذَا وَكَذَا، وَفِي آخِرِهِ : وَلَأَغْفِرَنَّ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا، وَكَانَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا. وَقَالَ : "عُمْرِي مَا نَتْرُكُهَا فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِهَا". وَكَذَا فَعَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى تُوفِّيَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ العَزِيزَ، وَالحَدِيثُ المُؤَكَّدُ المَذْكُورُ ذَكَرَهُ الغَافِقِيُّ فِي فَضَائِلِ القُرْآنِ مِنْ طُرُقٍ شَتَّى. إِهـ .


بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صُورَةُ الصَّفْحَةِ الأُولَى مِنْ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ

بَعْضُ مَا وَقَعَ بِالمَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ [أ] بَعْدَ التَّحْبِيسِ

كُنْتُ قَدْ أَشَرْتُ سَابِقًا عَلَى أَنَّ النُّسْخَةَ الأَصْلِيَّةَ لِكِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي بَقِيَتْ بِالمَغْرِبِ بَعْدَ تَحْبِيسِهَا عَلَى الزَّاوِيَةِ بِفَاسٍ مُدَّةً طَوِيلَةً اسْتَمَرَّتْ إِلَى غَايَةِ مُنْصَرِمِ القَرْنِ الثَالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ، وَلَا نَدْرِي مَا هِيَ العَوَامِلُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى خُرُوجِ هَذِهِ النُّسْخَةِ عَنِ الزَّاوِيَةِ وَانْتِقَالِهَا لِمِلْكِيَّةِ سَادَاتِنَا أَبْنَاءِ الشَّيْخِ بِقَرْيَةِ عَيْنِ مَاضِي.

وَالغَالِبُ أَنَّ خُرُوجَ هَذِهِ النُّسْخَةِ عَنِ الزَّاوِيَةِ بِفَاسٍ كَانَ إِبَّانَ إِقْدَامِ بَعْضِ المُحْسِنِينَ عَلَى طِبَاعَةِ الكِتَابِ بِمِصْرَ فِي مُسْتَهَلِّ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ، وَكَانَ مِنَ اللَّازِمِ الإِعْتِمَادُ عَلَى نَصِّ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ، وَالتَّرْكِيزُ عَلَيْهَا فِي تَصْحِيحِ الكِتَابِ وَتَنْقِيحِهِ وَتَبْوِيبِهِ، وَلِهَذِهِ الغَايَةِ تَمَّ إِخْرَاجُ هَذِهِ المَخْطُوطَةِ مِنَ الزَّاوِيَةِ، وَذَلِكَ لِتُؤَدَّى بِهَا هَذِهِ المُهِمَّةُ الجَسِيمَةُ، ثُمَّ لِتَعُودَ بَعْدَئِذٍ لِمَحَلِّهَا المُحَبَّسَةِ عَلَيْهِ،

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَإِنَّ هَذِهِ النُّسْخَةَ لَمْ تَعُدْ لِلْمَغْرِبِ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ هَذَا التَّارِيخِ، وَعَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ عَامَ 1329هـ ـ 1911م، إِبَّانَ الزِّيَارَةِ المَيْمُونَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا الشَّرِيفُ سَيِّدِي مَحْمُودُ التِّجَانِي لِلْمَغْرِبِ، حَيْثُ اصْطَحَبَهَا مَعَهُ، فَانْتَفَعَ بِهَا جَمٌّ غَفِيرٌ مِنْ أَعْلَامِ الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ وَرُوَّادِهَا إِذْ ذَاكَ

وَإِلَى جَانِبِ هَذَا وَذَاكَ كَانَ العَارِفُ بِاللَّهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ العَبْدَلَّاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَ الإِهْتِمَامِ بِهَذِهِ النُّسْخَةِ، يُطَالِبُ بِإِرْجَاعِهَا لِلزَّاوِيَةِ الكُبْرَى بِفَاسٍ، أَيْ المَكَانِ المُحَبَّسَةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ ذَكَرَ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ عَنِ العَارِفِ بِاللَّهِ المَذْكُورِ فِي كِتَابِهِ تِيجَانِ الغَوَانِي[1] :

---

[1] ـ انظر تيجان الغواني لشرح جواهر المعاني، للعلامة سيدي أحمد سكيرج ص

وَقَدْ أَمَرَنِي مَرَّةً بِالكِتَابَةِ إِلَى وَلَدِهِ البَرَكَةِ المُقَدَّمِ، مَحَلِّ الأَخِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ، حِينَ كَانَ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ بِعَيْنِ مَاضِي، بِأَنْ يَسْتَعْمِلَ مَا وَسِعَهُ مِنَ الإِتْيَانِ بِهَذِهِ النُّسْخَةِ مِنْ عَيْنِ مَاضِي لِتُوضَعَ بِخِزَانَةِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي بِفَاسٍ، وَلَوْ بِأَنْ يَأْخُذَهَا مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ الإِخْتِلَاسِ. وَقَدْ كُنْتُ تَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي كَانَ عَزَمَ عَلَيَّ فِيهِ، وَلَمْ أَجِدْ وَجْهًا أُخْرِجُهُ فِي إِبَاحَةِ ذَلِكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ، فَسَاعَدْتُهُ ظَاهِرًا فِي الكِتَابَةِ، وَلَمْ أَتَيَقَّنْ الآنَ بِأَنِّي وَجَّهْتُ لَهُ ذَلِكَ المَكْتُوبَ، وَحَمَلْتُ ذَلِكَ عَلَى حَالٍ حَصَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى النُّسْخَةِ المَذْكُورَةِ، فَوَجَدْتُ عَلَيْهَا وَثِيقَةً بِتَحْبِيسِهَا مِنْ مُشْتَرِيهَا عَلَى الزَّاوِيَةِ المَذْكُورَةِ، فَعَرَفْتُ السِّرَّ الَّذِي حَمَلَ العَارِفَ المَذْكُورَ عَلَى ذَلِكَ. إهـ..

أَمَّا فِي وَقْتِنَا الحَاضِرِ فَقَدْ غَابَتْ هَذِهِ النُّسْخَةُ عَنِ الزَّاوِيَةِ الأُمِّ مِنْ جَدِيدٍ، وَطَالَ غِيَابُهَا، وَتَفَرَّقَا الجُزْءَانِ أَيْضًا الأَوَّلُ وَالثَّانِي، بِحَيْثُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا مَا يَزِيدُ عَلَى 1000 كلم، فَالأَوَّلُ الآنَ فِي مِلْكِيَّةِ أُسْرَةٍ عِلْمِيَّةٍ فَاضِلَةٍ بِالقُطْرِ الجَزَائِرِيِّ الشَّقِيقِ، أَمَّا الثَّانِي فَفِي مِلْكِيَّةِ عَالِمٍ جَلِيلٍ مِنْ أَهَالِي مَدِينَةِ فَاسٍ، وَلَا دَاعِيَ لِذِكْرِ الأَسْمَاءِ.

مِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِ المَخْطُوطَةِ الأَصْلِيَّةِ [أ]

لَاشَكَّ أَنَّ أَبْرَزَ مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ هَذِهِ النُّسْخَةُ هُوَ بَقَاءُهَا بَيْنَ يَدَيْ المُؤَلِّفِ إِلَى غَايَةِ وَفَاتِهِ بِبِلَادِ الحِجَازِ عَامَ 1218هـ - 1803م أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ سَرَدَهَا عَلَى سَيِّدِنَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَأَجَازَهُ فِيهَا بِإِجَازَتَيْنِ اثْنَيْنِ، أَوَّلُهُمَا ضِمْنَ

الصَّفْحَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ، أَيْ قَبْلَ مَطْلَعِهِ، أَمَّا الإِجَازَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ فِي آخِرِ صَفْحَةٍ مِنَ الجُزْءِ الثَّانِي

وَمِنْ أَهَمِّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَيِّدُنَا الشَّيْخُ فِي إِجَازَتِهِ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ : فَلَا جَرَمَ أَنَّ العَمَلَ فِيهِ عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ المَكْتُوبِ عَلَى آخِرِهَا عَلَى هَذَا الرَّسْمِ، وَأَنَّ مَا سِوَاهَا مِنَ النُّسَخِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِمَّا يُخَالِفُ هَذِهِ النُّسْخَةَ يَجِبُ تَرْكُهُ

الكَلَامُ عَلَى نُسَخِ الجَوَاهِرِ الأَرْبَعِ المَخْطُوطَةِ بِخَطِّ المُؤَلِّفِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ

بَادِئَ ذِي بَدْءٍ لَابُدَّ أَنْ نُشِيرَ عَلَى أَنَّ عَدَدَ نُسَخِ جَوَاهِرِ المَعَانِي المَخْطُوطَةِ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهَا تَتَرَاوَحُ بَيْنَ أَرْبَعِ نُسَخٍ أَوْ خَمْسَةٍ عَلَى أَبْعَدِ تَقْدِيرٍ، أَوَّلُهَا النُّسْخَةُ الأُمُّ الَّتِي عَلَيْهَا خَطُّ مَوْلَانَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ العُمْدَةُ، وَعَلَيْهَا المُعَوَّلُ، وَقَدْ سَمَّيْنَاهَا بِالنُّسْخَةِ [أ]، وَقَدْ خَصَّصْتُ مَجَالًا لِلتَّعْرِيفِ بِهَا ضِمْنَ الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ.

أَمَّا النُّسْخَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ ذَكَرَ العَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "الرِّحْلَةُ الحَبِيبِيَّةُ الوَهْرَانِيَّةُ" أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهَا بِمَدِينَةِ وَهْرَانَ فِي خِزَانَةِ العَلَّامَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ سَيِّدِي بَلْقَاسِمَ بْنِ الطَّيِّبِ بْنِ كَابُو الحِجَازِي، حَيْثُ قَالَ : وَقَدْ اطَّلَعْتُ عِنْدَهُ عَلَى نُسْخَةِ جَوَاهِرِ المَعَانِي بِخَطِّ يَدِ مُؤَلِّفِهَا سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ، فَتَبَرَّكْنَا بِمُطَالَعَتِهَا، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى رُؤْيَتَهَا بِخَطِّهِ الجَوْهَرَ البَدِيعِ لِأُصَحِّحَ إِحْدَى النُّسَخِ [يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَنْوِي أَنْ يَذْهَبَ لِعَيْنِ مَاضِي لِلْإِطِّلَاعِ عَلَى النُّسْخَةِ الأَصْلِيَّةِ [أ] المَوْجُودَةِ إِذْ ذَاكَ بِالقَرْيَةِ المَذْكُورَةِ]

قُلْتُ : وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ هَذِهِ النُّسْخَةِ وَلَا عَنْ مَصِيرِهَا، وَلَعَلَّهَا لَازَالَتْ بَيْنَ يَدَيْ أَحْفَادِ العَلَّامَةِ المَذْكُورِ بِمَدِينَةِ وَهْرَانَ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ "رَفْعُ النِّقَابِ"، ضِمْنَ تَرْجَمَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَيْثُ قَالَ : وَنُسْخَةٌ أُخْرَى بِخَطِّ يَدِهِ أَوْقَفَنِي عَلَيْهَا بَعْضُ خَاصَّةِ الأَحْبَابِ هُنَاكَ بِوَهْرَانَ، مُجَزَّءَةٌ كَرَارِيسَ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا عَلَى حِدَتِهِ

عُمُومًا فَقَدْ وَقَفْتُ بِالخِزَانَةِ السُّكَيْرِجِيَّةِ عَلَى مَلْزَمَةٍ مِنْ هَذِهِ النُّسْخَةِ لَا تَزِيدُ عَلَى ثَمَانِ صَفَحَاتٍ، اشْتَمَلَتْ عَلَى مَوْضُوعِ الكَلَامِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَلَمْ نُدْرِجْ هَذِهِ النُّسْخَةَ ضِمْنَ النُّسَخِ الإِحْدَى عَشَرَ المُعْتَمَدَةِ فِي هَذَا البَحْثِ، نَظَرًا لِأَنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ أَيْدِينَا مِنْهَا سِوَى ثَمَانُ صَفَحَاتٍ لَا غَيْرُ .

أَمَّا النُّسْخَةُ الثَّالِثَةُ فَقَدْ ذَكَرَ العَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ سُكَيْرِجُ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهَا إِبَّانَ زِيَارَتِهِ لِمَدِينَةِ وَهْرَانَ عَامَ 1329هـ ـ 1911م، وَمِنْ هَذَا الصَّدَدِ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ "رِيَاضُ السُّلْوَانِ، فِيمَنْ اجْتَمَعْتُ بِهِمْ مِنَ الأَعْيَانِ"، لَدَى تَرْجَمَتِهِ لِلسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الحَاجِّ مُحَمَّدٍ بْنِ المَدَنِي القَبَّاجِ الفَاسِي، قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ :

وَانْتَقَلَ لِوَهْرَانَ بِتَارِيخِ 19 رَبِيعِ الأَوَّلِ النَّبَوِيِّ عَامَ 1320هـ بِقَصْدِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعِنْدَهُمْ النِّعَالُ التِّجَانِيَّةُ، الفَرْدَةُ اليُمْنَى، وَنُسْخَةٌ مِنْ جَوَاهِرِ المَعَانِي بِخَطِّ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ .

أَمَّا النُّسْخَةُ الرَّابِعَةُ فَهِيَ الَّتِي سَمَّيْنَاهَا بِالنُّسْخَةِ [ح] وَتُوجَدُ مَخْطُوطَتُهَا حَالِيًا بِخِزَانَةِ مَدِينَةِ كَوْلَخْ بِسِنِغَالَ، لَدَى أُسْرَةِ العَلَّامَةِ المُقَدَّمِ الجَلِيلِ صَاحِبِ الفَيْضَةِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ انْيَاسَ الكَوْلَخِي، تَقَعُ هَذِهِ النُّسْخَةُ المُبَارَكَةُ فِي سِفْرَيْنِ اثْنَيْنِ، يَقَعُ الجُزْءُ الأَوَّلُ مِنْهَا فِي 280 صَفْحَةٍ، أَمَّا الثَّانِي فَيَصِلُ إِلَى 335 صَفْحَةٍ، وَتُوجَدُ

النُّسْخَةُ الأَصْلِيَّةُ مِنْهَا فِي خِزَانَةِ الزَّاوِيَةِ التِّجَانِيَةِ بِكَوْلَخْ، بِجُمْهُورِيَةِ سِنِغَالَ الشَّقِيقَةِ، انْتَقَلَتْ إِلَى هُنَاكَ مِنْ قَرْيَةِ عَيْنِ مَاضِي، وَتُفِيدُ بَعْضُ المَصَادِرِ أَنَّهَا أُهْدِيَتْ لِلْعَلَّامَةِ المُقَدَّمِ الحَاجِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مدنب انْيَاسٍ، وَالِدِ صَاحِبِ الفَيْضَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الكَوْلَخِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَشْتَمِلُ هَذِهِ النُّسْخَةُ عَلَى بَعْضِ الزِّيَادَاتِ، نَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةً فِي ذِكْرِ مَرَاتِبِ القُطْبِ وَصِفَاتِهِ وَخَوَاصِّهِ وَمَدَى تَصَرُّفِهِ، تَقَعُ فِي 4 صَفَحَاتٍ، وَقَدْ اتَّفَقَتْ كَافَّةُ النُّسَخِ الإِحْدَى عَشَرَ الَّتِي بِأَيْدِينَا عَلَى حَذْفِ هَذِهِ القَصِيدَةِ، وَذَلِكَ لِسَبَبٍ وَاحِدٍ وَهُوَ عَدَمُ وُجُودِهَا فِي النُّسْخَةِ الأَصْلِيَّةِ [أ] كَمَا تَنْقُصُهَا فَقَرَاتٌ عَدِيدَةٌ، تَتَجَاوَزُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ الصَّفَحَاتِ،

وَقَدْ أَتَمَّ العَلَّامَةُ المُقَدَّمُ سَيِّدِي عَلِيٌّ سِيسِي بَعْضًا مِنْهَا، وَذَلِكَ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ مَا بَيْنَ صَفْحَتَيْ 62 ـ 65 . وَالغَالِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ النُّسَخِ الَّتِي كَتَبَهَا المُؤَلِّفُ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُعِيدَ النَّظَرَ فِي تَرْتِيبِهَا، وَتَقْدِيمُ بَعْضِ الفَقَرَاتِ وَتَأْخِيرُ أُخْرَى، وَإِثْبَاتُ بَعْضِ الزِّيَادَاتِ وَحَذْفُ بَعْضِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَنْقِيحٍ وَتَصْحِيحٍ وَتَبْوِيبٍ وَغَيْرِهِ، لَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ نُسْخَةٌ مُمْتَازَةٌ، مُتَّسِمَةٌ بِالوُضُوحِ، اعْتَمَدْنَاهَا نَصًّا لِلْمُقَابَلَةِ، وَلِمَ لَا وَقَدْ نُسِخَتْ مِنْ خَطِّ المُؤَلِّفِ نَفْسِهِ المَعْرُوفِ بِتَدْقِيقِهِ وَتَمْحِيصِهِ وَجَمَالِيَةِ خَطِّهِ.

التَّعْرِيفُ بِالنُّسْخَةِ الَّتِي هِيَ بِخَطِّ العَلَّامَةِ القَاضِي سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ الحَاجِّ العَيَّاشِي سُكَيْرِجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّتِي رَمَزْنَا لَهَا بِالنُّسْخَةِ [س] :

تُعْتَبَرُ هَذِهِ النُّسْخَةُ مِنْ أَصَحِّ النُّسَخِ الإِحْدَى عَشَرَ المَوْجُودَةِ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَيَكْفِي أَنَّهَا نُسْخَةُ عَالِمٍ فَاضِلٍ، مِنْ أَشْهَرِ عُلَمَاءِ الطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ وَأَكْثَرِهِمْ تَحْقِيقًا وَتَدْقِيقًا وَضَبْطًا،

وَقَدْ أَدْرَجَ فِي نُسْخَتِهِ هَذِهِ بَعْضًا مِمَّا تَحْتَاجُهُ النُّسْخَةُ الأَصْلِيَّةُ [أ] مِنْ تَصْحِيحٍ وَتَنْقِيحٍ، وَاسْتِدْرَاكٍ لِبَعْضِ الأَخْطَاءِ الإِمْلَائِيَّةِ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ النُّسْخَةُ مِنْ ضَبْطٍ صَحِيحٍ لِبَعْضِ أَسْمَاءِ الأَعْلَامِ وَالأَمَاكِنِ وَالمُفْرَدَاتِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الإِفَادَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي قَلَّمَا تُوجَدُ فِي نُسْخَةٍ أُخْرَى غَيْرِهَا، مِمَّا جَعَلَهَا وَبِدُونِ مُنَازِعٍ نَصًّا مَتِينًا مُتَكَامِلًا فَرِيدًا مِنْ نَوْعِهِ، لَا يُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ إِلَّا أَنْ يَعْتَمِدَهُ وَيَسِيرَ عَلَى دَرْبِهِ.

التَّعْرِيفُ بِبَعْضِ النُّسَخِ الأُخْرَى الَّتِي اسْتَعَنَّا بِهَا فِي تَحْقِيقِ هَذَا الكِتَابِ المُبَارَكِ

إِلَى جَانِبِ النُّسَخِ المَذْكُورَةِ آنِفًا اسْتَعَنَّا فِي التَّحْقِيقِ بِنُسَخٍ أُخْرَى لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَةً عَنْ سَابِقِيهَا، مِنْهَا نُسْخَةٌ مَنْسُوبَةٌ لِبُخَارِيِّ الطَّرِيقَةِ العَلَّامَةِ الوَلِيِّ الصَّالِحِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ

العَرَبِيِّ بْنِ السَّائِحِ، كُتِبَتْ بِخَطِّ أَحَدِ مُلَازِمِيهِ مِنْ أَعْلَامِ مَدِينَةِ الرِّبَاطِ، وَعَلَيْهَا تَقْدِيمٌ بِخَطِّ العَلَّامَةِ المَذْكُورِ، ذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ قَابَلَ هَذِهِ النُّسْخَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَأَنَّهَا مَنْقُولَةٌ مُبَاشَرَةً مِنْ خَطِّ المُؤَلِّفِ،

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أُخْرَى مَنْسُوبَةٌ لِلْعَلَّامَةِ المُؤَرِّخِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ أَكَنْسُوسَ، وَهِيَ الأُخْرَى لَيْسَتْ بِخَطِّ العَلَّامَةِ المَذْكُورِ، وَلَكِنَّهُ قَابَلَهَا بِعِنَايَةٍ، وَسَجَّلَ مَجْمُوعَةً مِنْ تَصْحِيحَاتِهِ عَلَى هَامِشِهَا، وَهِيَ الأُخْرَى مِنَ النُّسَخِ الهَامَّةِ .

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أُخْرَى لِلْعَلَّامَةِ الأَدِيبِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بَلَامِينُو الرِّبَاطِي[1] ، بِخَطِّ يَدِهِ، رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ل] وَهِيَ مِنَ النُّسَخِ الهَامَّةِ .

---

[1] ـ الولي الصالح البركة. المقدم الجليل. أديب الزمان. سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي. أحد خاصة رفاق العلامة الصالح سيدي محمد العربي بن السائح. وله في مدحه عدة قصائد. منها حائية قال في مطلعها :

جبت بـلاد الشرق والغرب على * مـثل الإمـام الـعربي بـن الـسائح
نجم الهدى القطب العلا أستاذنا * مـــدد كـــل جــامـد وصـــادح

وله في رثائه قصيدة قال في مطلعها :

سكب الدموع على الأطلال أضناك * أو حــر نـــار الأســى والــبــيــن أفــنــاك

وكانت وفاته رحمه الله في 4 جمادى الأولى عام 1333 هـ - 20 مارس 1915م . ودفن بمسجد محمد سيدي الضاوي بالرباط. أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح. وفي أعلام الفكر المعاصر للجراري ج 2 ص 231 - 233. وقد خصصه العلامة سكيرج بتأليف سماه : الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أُخْرَى لِلعَلَّامَةِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمٍ جَسُّوسَ الرِّبَاطِي[1] ، بِخَطِّ يَدِهِ، لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَةً عَنْ سَابِقِيهَا، رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ق] .

[1] ـ أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالرباط، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، من أبرزهم العلامة العارف بالله سيدي محمد العربي بن السائح، ومن مصنفاته رحمه الله : تعليق على موطأ مالك، والإغراء بمسائل الإستبراء، وزهر الخمائل من دوحة الشمائل، وجلاء الغين عن قرة العين، وهي حاشية على شرح الحطاب لورقات إمام الحرمين، وعقرب تحت طوبة، وهو تقييد في مسألة فرضية، ومنسك، وفهرسة جمع فيها تراجم من لقيهم في سفره للمشرق، وله أيضا ديوان مليء بالقصائد النبوية الشريفة، منها قوله في مطلع إحداها :

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا * وغض عن الأحباب كلهم الطرفا

توفي رحمه الله في 13 ذي القعدة الحرام عام 1331هـ، عن 61 سنة، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 149، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 39، وفي الإغتباط لبوجندار ص 62، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 281-289، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 199 .

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أُخْرَى لِلْفَقِيهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ أَمْغَارَةَ التِّطْوَانِي[1] ، بِخَطِّ يَدِهِ أَيْضًا، وَهُوَ مِنْ جُلَّةٍ مِنْ تَلَامِذَةِ العَلَّامَةِ القَاضِي سَيِّدِي أَحْمَدَ سُكَيْرِج. رَمَزْنَا لِهَذِهِ النُّسْخَةِ بِحَرْفِ [هـ]

[1] ـ الفقيه المقدم الفاضل سيدي محمد بن عبد الرحمن امغارة التامصلوحي التطواني، ازداد بمدينة تطوان عام 1304هـ وبها نشأ وتعلم، وتمسك بالطريقة الأحمدية التجانية على يد جماعة من المقدمين كالفقيه سيدي محمد بن عجيبة، وسيدي إبراهيم الطويل الشرادي، وسيدي محمد بن أحمد الدردبي الكوفي المقيم بحوز تطوان، والعلامة سيدي محمد [فتحا] كنون، وسيدي محمود بن مولانا البشير التجاني رضوان الله عليه، والمقدم العارف بالله سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي، وغيرهم، وأجازه فيها بالإطلاق العلامة الحاج أحمد سكيرج، وكان ينوه به غاية، لما فيه من الأهلية والفضل، وهو مقدم الزاوية الأحمدية التجانية بتطوان، وقد عينه الإخوان الفقراء للإشراف على الزاوية المذكورة بعد وفاة المقدم الفقيه سيدي محمد بن عجيبة، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 153.

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أُخْرَى لِلعَلَّامَةِ الوَلِيِّ الصَّالِحِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بَلْقَاسِمَ بَصْرِي المَكْنَاسِي[1] ، بِخَطِّ يَدِهِ أَيْضًا، رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ص] وَهِيَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ .

وَمِنْهَا نُسْخَةُ الشَّرِيفِ البَرَكَةِ سَيِّدِي مَحْمُودٍ التَّمَاسِينِي، وَلَا يُوجَدُ لَدَيْنَا مِنْهَا سِوَى الجُزْءُ الأَوَّلُ، رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [م].

وَمِنْهَا نُسْخَةٌ أَطْلَقْنَا عَلَيْهَا اسْمَ الزَّاوِيَةِ وَرَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ي] لِكَوْنِهَا كَانَتْ مَحْفُوظَةً بِخِزَانَةِ الزَّاوِيَةِ الكُبْرَى بِمَدِينَةِ فَاسٍ، وَلَمْ نَعْلَمْ نَاسِخَهَا.

---

[1] ـ المقدم العارف بربه ، سيدي أبو عبد الله محمد بن بلقاسم بن الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبي سرحان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمان بن عمران الولهاجي، عرف ببصري المكناسي، من مواليد مكناس في 3 ذي الحجة عام 1202 هـ ـ شتنبر 1788م، و كان سابع ولادته يوم عيد الأضحى المبارك

توفي رحمه الله يوم الإثنين 22 ذي الحجة الحرام عام 1293 هـ ـ 7 يناير 1877م،و عمره حينئذ 91 سنة ، و من مناقبه أن الشيخ أبا العباس التجاني رضي الله عنه لم ينادي أحدا باسم المقدم إلا له ، وثبت عنه أنه غطاه بردائه مرة ، و قال له : قبلناك على أي حالة كنت.

و من المعلوم أن المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري قد أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية مباشرة عن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه ، أما الإجازة فيها فقد حصلت له على يد المقدم الحاج الغازي المطيري عام 1244 هـ ، و الثابت عندنا أن سيدي الحاج الغازي المطيري واحد من الأربعة الذين قدمهم العارف بالله سيدي محمد الغالي أبو طالب. أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة...... و في روض شمائل أهل الحقيقة، لأحمد بن محم العلوي، رقم الترجمة 13 .

صُورَةُ الصَّفْحَةِ الأُولَى مِنْ مَخْطُوطَةِ جَوَاهِرِ المَعَانِي [ح] وَهِيَ أَيْضًا بِخَطِّ العَارِفِ بِرَبِّهِ سَيِّدِي الحَاجِّ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بَرَّادَةَ الفَاسِي

صُورَةٌ لِلصَّفْحَةِ الأُولَى مِنْ مَخْطُوطَةِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، مِنَ النُّسْخَةِ الَّتِي رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ك] وَالَّتِي بِهَامِشِهَا بَعْضٌ مِنَ التَّصْحِيحَاتِ مِنْ طَرَفِ العَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ أَكَنْسُوس

صُورَةٌ لِلصَّفْحَةِ الأُولَى مِنْ مَخْطُوطَةِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، مِنَ النُّسْخَةِ الَّتِي رَمَزْنَا لَهَا بِحَرْفِ [ع] وَالَّتِي بِهَامِشِهَا بَعْضٌ مِنَ التَّصْحِيحَاتِ مِنْ طَرَفِ العَلَّامَةِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ العَرَبِيِّ بْنِ السَّائِحِ

الحَدِيثُ عَنْ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَمَا رَوَّجَهُ بَعْضُ المُنْكِرِينَ القَائِلِينَ بِانْتِحَالِهِ مِنْ كِتَابِ المَقْصِدِ الأَحْمَدِ

عَنْ هَذَا المَوْضُوعِ يَقُولُ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "جِنَايَةُ المُنْتَسِبِ العَانِي، فِيمَا نَسَبَهُ بِالكَذِبِ لِلشَّيْخِ التِّجَانِي" :

قَدْ طَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ العَوْرَاتِ فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي الَّذِي أَلَّفَهُ الخَلِيفَةُ المُعَظَّمُ السَّيِّدُ الحَاجُّ عَلِيٌّ حَرَازِمُ بَرَّادَةُ بِأَنَّهُ مُنْتَحَلٌ مِنْ كِتَابِ المَقْصِدِ الأَحْمَدِي[1]، تَأْلِيفِ العَلَّامَةِ أَبِي الطَّيِّبِ القَادِرِيِّ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي الوَلِيِّ الصَّالِحِ أَبِي العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْنٍ[2]. وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الفَرَحِ الَّذِي حَصَلَ لِلْمُبْغِضِينَ

---

[1] ـ المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبد الله أحمد ، للعلامة الشهير سيدي عبد السلام بن الطيب القادري ، المتوفي صبيحة يوم الجمعة 13 ربيع الأول عام 1110 هـ ، وقد طبع الكتاب المذكور على الحجر بمدينة فاس في منتصف جمادى الثانية عام 1351 هـ ، ويقع في 381 صفحة ، ترجم فيه لشيخه العلامة العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي ، صاحب زاوية المخفية بمدينة فاس ، فتحدث عن علومه و مواهبه وكراماته ، كما ترجم لشيوخه و أساتذته ، مع ما قيل فيه من أشعار، و ما نعته به أهل زمانه من تنويه و إشادة ، و تحدث أيضا عن بعض شروط طريقته و ما له فيها من أسانيد ، إلى غير ذلك من كلامه و إشاراته

[2] ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي أصلا، الفاسي مولدا وموطنا، فقيه ، صوفي جليل، أفرده بالتأليف تلميذه عبد السلام بن الطيب القادري في كتاب سماه: المقصد الأحمد في التعريف بسيدي ابن عبد الله أحمد ، توفي رحمه الله بفاس ضحوة يوم الإثنين 3 جمادى الثانية عام 1120 هـ ودفن بقبة والده سيدي عبد الله معن خارج باب الفتوح، . أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 331 رقم الترجمة 1296 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 240. وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 288 - 292 ، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 5 ص 1922-1930.

فِي الجَنَابِ الأَحْمَدِي التِّجَانِي بِهَذَا الانْتِقَادِ الَّذِي عَمَّ الضَّجِيجُ بِهِ بَيْنَهُمْ وَاسْتَطَالُوا بِهِ عَلَى الإِخْوَانِ. وَلَا تَخْفَى مَكَانَةُ جَوَاهِرِ المَعَانِي مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ الشَّأْنِ بَيْنَ الإِخْوَانِ قَيْدَ حَيَاةِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدَهَا .

وَلَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بِحَرْقِ مَا كَانَ أَلَّفَهُ مِنْهُ مُؤَلِّفُهُ لِأَسْبَابَ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا أَصْحَابُهُ، وَلَعَلَّ مِنْهَا تَرْتِيبَهُ عَلَى تَرْتِيبِ هَذَا المَقْصِدِ الَّذِي شَنَّعَ فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ المُنْكِرُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ عَثَرْتُ عَلَى ثَلَاثِ نُسَخٍ مِنْ هَذَا المَقْصِدِ، وَقَابَلْتُهُ مَعَ جَوَاهِرِ المَعَانِي، فَوَجَدْتُ خُطْبَتَهُ كَخُطْبَتِهِ، وَجُلَّ تَرْتِيبِ أَبْوَابِهِ عَلَى تَرْتِيبِهِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّرِيقِ أَوْ بِالمَسَائِلِ العِلْمِيَّةِ الحَدِيثِيَّةِ وَالفِقْهِيَّةِ وَمَقَالَاتِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَقَامَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ فِيهِ إِلَّا مَا كَانَ مُمَاثِلًا مِنَ المُوَافَقَاتِ فِي المَشْرَبَيْنِ فِي قَضِيَّةٍ مِنَ القَضَايَا اتَّفَقَتْ لِلشَّيْخَيْنِ، حَتَّى كَأَنَّ هَذِهِ عَيْنُ هَذِهِ مِمَّا يَقَعُ مِثْلُهُ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَيَذْكُرُهُ فِيهِ بِاللَّفْظِ[1] .

وَلَيْسَ هَذَا بِمُسْتَنْكَرٍ فِي حَقِّ كُلِّ مُؤَلِّفٍ رَأَى مَا يُنَاسِبُهُ فِي مَوْضُوعِ تَأْلِيفِهِ فَنَقَلَهُ. إِلَّا أَنَّ عَدَمَ نِسْبَتِهِ لِلْمَنْقُولِ مِنْهُ هُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِي أَنَّهُ هُوَ الدَّاعِي لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِحَرْقِهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَأَمَرَهُ بِالعَوْدِ إِلَى جَمْعِهِ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ فِي خُطْبَتِهِ. وَإِذَا كَانَ العُلَمَاءُ الكِبَارُ يَنْقُلُونَ الكُتُبَ مِنْ أَصْلِهَا فَتُنْسَبُ لَهُمْ مَعَ مَعْرِفَةِ مُؤَلِّفِهَا الأَوَّلِ، فَلَا بَأْسَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي مُحَاذَاةِ جَوَاهِرِ المَعَانِي بِالمَقْصِدِ الأَحْمَدِ .

---

[1] ـ لا تتعدى أوجه التشابه بين الكتابين نص الخطبة، وهي الأربع صفحات الأولى من الكتاب، بالإضافة لاتفاق الكتابين في النسق والترتيب وعناوين الفقرات، أما من ناحية المضمون فهناك بون شاسع بين هذا وذاك، فقد انصرف صاحب كتاب جواهر المعاني في جزءه الأول للحديث عن ترجمة شيخه أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، مع تراجم بعض شيوخه، لكن في قالب مغاير للنظام المتبع في كتاب المقصد الأحمد، وليس في هذا الحيز أي وجه للتقارب بين الكتابين، لا في المنهجية ولا في المضمون.

مع العلم أن صاحب كتاب جواهر المعاني ساق في جزءه الأول أيضًا كثيرا من أجوبة الشيخ ومقالاته وأذكاره ودعواته، مع مجموعة من تفسيراته لبعض الآيات القرآنية، كما تطرق في الجزء الثاني لرسائل الشيخ رضي الله عنه وشرحه لبعض الأحاديث النبوية ونصائحه وفتاويه، وهو شيء لا وجود له تمامًا في كتاب آخر، لا في المقصد الأحمد ولا في غيره، وهذا الشيء هو مرادنا من كتاب جواهر المعاني، وهو أيضا الذي تدور عليه شؤون طريقتنا وأصولها، وليس على الخطبة أو ما كان في معناها من بعض الأشعار والأبيات البديعة.

وَلَقَدْ ذَكَرْتُ فِي شَرْحِنَا لِجَوَاهِرِ المَعَانِي المُسَمَّى بِتِيجَانِ الغَوَانِي بَعْضَ الكُتُبِ الَّتِي نُسِبَتْ لِغَيْرِ مُؤَلِّفِهَا مِثْلَ المُدَوَّنَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ كُتُبِ المَذْهَبِ. وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الجُمْلَةِ فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي الَّذِي هُوَ أُمُّ كُتُبِ الطَّرِيقِ. وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ، وَفَوَائِدُ تُشْكَرُ كُلَّمَا تُذْكَرُ، مُعَامَلَةً بِنَقِيضِ قَصْدِ مَنْ أَنْكَرَ .

وَإِذَا تَكَرَّرَ هَذَا تَقَرَّرَ لَدَى المُنْصِفِينَ أَنَّهُ لَا الْتِفَاتَ لِمَا تَقَوَّلَهُ المُتَقَوِّلُونَ عَلَى هَذَا الكِتَابِ الَّذِي جَاءَ عَلَى نَسَقِ المَقْصِدِ الأَحْمَدِ فِي الخُطْبَةِ. وَمَا تَضَمَّنَهُ فِي الجُمْلَةِ مِنْ تَرْتِيبِ الأَبْوَابِ. فَعَلَى مَا فِيهِ المُعَوَّلُ، بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ قَصَّرَ فِي الِانْتِقَادِ أَوْ طَوَّلَ. وَ هَذَا غَايَةُ مَا قَالُوهُ وَتَقَوَّلُوهُ، فَلْنَضْرِبْ عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا، وَلْنَطْوِ عَنْهُ كَشْحًا.إِلَخْ .

وَفِي المَوْضُوعِ ذَاتِهِ يَقُولُ العَلَّامَةُ سُكَيْرِجُ فِي كِتَابِهِ "الإِيمَانُ الصَّحِيحُ، فِي الرَّدِّ عَلَى مُؤَلِّفِ الجَوَابِ الصَّرِيحِ[1] :

[1] ـ الإيمان الصحيح، في الرد على مؤلف الجواب الصريح، طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة 1357هـ 1938م يقع في 132 صفحة. يشمل الرد على المنتقد عبد الحميد بن باديس، الذي كان يترأس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ، وكان شديد الإنكار على الطريقة التجانية، وقد كتب إلى العلامة محمد بن الحسن الحجوي الذي كان حينئذ وزيرا للمعارف الإسلامية بالمغرب، سائلا إياه أن يؤيد انتقاداته، فأجابه هذا الأخير بتأليفه : الجواب الصريح، في بيان مضادة الطريقة التجانية للإسلام الصحيح. فأثار ذلك الجواب ضجة أخرى، رد فيها العلامة سيدي محمد الحافظ المصري على الشيخ الحجوي ردا بليغا شافيا، إلا أن الانتقادات كثرت بعد ذلك، فبادر شيخ الزاوية التماسينية إلى الكتابة للعلامة سكيرج ليدافع عن الطريقة، و ليبين الحق ويدفع عنها كافة الترهات والأباطيل الواهية، وذلك بالرد على تحامل هذا البدعي الضال المدعو بعبد الحميد بن باديس،

فأجاب المؤلف رحمه الله على الفور، و كتب تأليفه المسمى بالإيمان الصحيح، في الرد على الجواب الصريح. وقد تطرق فيه رحمه الله إلى مجموعة من الانتقادات، فدحضها بأسلوبه السهل الممتنع، مظهرا ما للطريقة التجانية من فضائل ومزايا، وأنه لا يأتي العد والحصر على ما فيها من علماء أعلام، ومشايخ عظام، تلقوها بالقبول والإذعان والتصديق والتسليم،

وخلاصة القول فقد رد عليه العلامة سكيرج ردا محكما مستندا على النصوص الصحيحة التي ريب فيها، وذكر رحمه الله أنه شرع في تأليفه هذا بناء على طلب من الشريف سيدي بنعمر بن سيدي محمد الكبير حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه، كما ذكر أنه سبق أن التقى بالشريف المذكور بتونس، في ضريح العلامة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي، وأنه مدحه حين هذا اللقاء بأبيات ارتجالية، ونصها

هذا هو البدر في أفق العلا طلع * هذا هو الشمس منه النور قد سطعا

هذا ابن فاطمة الزهراء سيدنا * و نجل سيدنا الختم الذي ارتفعا

وَالحَاصِلُ أَنَّ جَوَاهِرَ المَعَانِي لَا يَقْدَحُ فِيهِ أَخْذُ خُطْبَتِهِ مِنَ المَقْصِدِ الأَحْمَدِ، وَلَا مَا ذُكِرَ مَعَهَا بِاخْتِصَارٍ أَوْ اقْتِصَارٍ، عَلَى البَعْضِ أَوْ الجُلِّ مِمَّا يُوَافِقُ حَالَ المُؤَلِّفِ فِيهِ، وَلَا يَجْمُلُ بِالعَالِمِ أَنْ يَنْفِيَ شَيْئًا ثَابِتًا لِأَرْبَابِهِ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ خِيَانَةِ النَّقْلِ، كَمَا لَا يَضُرُّ النَّسْجُ عَلَى مِنْوَالِ تَأْلِيفٍ لِلْغَيْرِ بِمَا يَتَنَزَّلُ عَلَى مَقْصُودِهِ فِي المُؤَلَّفِ فِيهِ، وَطُبِعَ المَقْصِدُ الأَحْمَدُ مِمَّا يُبَرْهِنُ عَلَى تَبْرِئَةِ مُؤَلِّفِ جَوَاهِرِ المَعَانِي مِنْ انْتِحَالِ جَمِيعِهِ طِبْقَ مَا كَانَ قَبْلَ طَبْعِهِ يَتَقَوَّلُهُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ المُبْغِضِينَ لِلطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَةِ وَأَهْلِهَا، فَكَانَ طَبْعُهُ ضَرْبَةً قَاسِيَةً عَلَيْهِمْ بِمُقَابَلَتِهِ مَعَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ جَوَاهِرُ المَعَانِي مِنْ أَجْوِبَةٍ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ المَقْصُودُ مِنْ هَذَا التَّأْلِيفِ، وَلَيْسَ فِي المَقْصِدِ الأَحْمَدِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا هُوَ مَنْشُورٌ، وَمَنْ أَرَادَ مُرَاجَعَتَهُمَا وَلَيْسَ الخَبَرُ كَالعَيَانِ لِيَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَا مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ .وَكَذَلِكَ مَا أَخَذَ مِنْهُ الشِّعْرَ المَنْسُوبَ لِمَادِحِهِ بِهِ فَقَدْ رَآهُ مُنَاسِبًا لِحَالِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَغَالِبُ مَنْ لَا يُحْسِنُ قَرْضَ الشِّعْرِ يَرَى بَعْضَ القَصَائِدِ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَحْبُوبِهِ ، فَيَنْتَحِلُهَا وَيَنْقُلُهَا لِمَدْحِهِ .

وَقَدْ حَدَّثَنِي شَيْخُنَا العَلَّامَةُ سَيِّدِي الحَبِيبُ الدَّاوُدِيُّ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ بَعْضَ الطَّلَبَةِ أَتَى بِقَصِيدَةٍ لِلْقَاضِي الحَافِظِ مَوْلَايَ مُحَمَّدٍ العَلَوِي السِّجِلْمَاسِي صِهْرِ الحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ المُحَمَّدِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَدَّمَهَا إِلَيْهَا قَائِلًا : إِنِّي مَدَحْتُكَ بِهَذِهِ القَصِيدَةِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْدَحَ بِهَا غَيْرُكَ، وَالمَقْصُودُ بِهَا خَيْرُكَ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ، فَأَنْشَدَهَا، فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَهَذِهِ القَصِيدَةُ لِفُلَانٍ وَأَنَا أَحْفَظُهَا، وَأَمْلَاهَا عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِهِ مَعَ إِصْلَاحِ مَا غَيَّرَهُ مِنْهَا وَصَحَّفَهُ، فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي هَبْ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي غَيْرِكَ، فَأَنَا لَا أَرَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ بِهَا سِوَاكَ. فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ ذَلِكَ الجَوَابَ وَأَجَازَهُ عَنْهَا عَلَى أَنَّ الشِّعْرَ المَذْكُورَ فِي المَقْصِدِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِ قَصَائِدَ، وَالمَأْخُوذُ مِنْهَا نَحْو قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ قَلَبَهَا مُنْتَحِلُهَا لِمَدْحِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ بَعْضِ الأَبْيَاتِ .

---

[1] ـ العلامة سيدي الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني، فقيه، محدث، أديب، كانت له معرفة واسعة بفنون الرياضيات على اختلاف أنواعها، ملما بالعديد من التصانيف المؤلفة فيها، وقد وصفه بعضهم بأنه خاتمة علماء هذه الفنون التي كادت أن تنقرض بذهاب أهلها وذويها، وعلاوة على ذلك كان رحمه الله خبيرا بعلم الكيمياء، متقنا لصنعته وفنه، وله في ذلك باع طويل، لكنه كان لا يحب التعاطي لذلك ويكرهه، ويقول أنه من باب تضييع الوقت فيما لا طائل تحته، وقد استفاد منه العلامة سكيرج كثيرا في هذا الباب، وذلك حسبما وقفت عليه في بعض كنانيشه الخاصة ، وهو من أكبر أساتذة وشيوخ العلامة سكيرج، توفي رحمه الله قرب الساعة العاشرة من نهار يوم السبت فاتح شهر شوال عام 1325هـ ، بعد غيبوبة دامت أربعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام الدمع من عينيك يجري * ويحكي في التلاطم موج بحر
ونفسك في أنين وانزعاج * كأنك قلب قلبك فوق جمر
أمن فقد الحبيب أطلت حزنا * نعم والله فيه فقدت صبري

قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا أَيْضًا مَا جَاءَ فِي كِتَابِ تِيجَانِ الغَوَانِي، فِي شَرْحِ جَوَاهِرِ المَعَانِي، لِلعَلَّامَةِ سُكَيْرِجٍ حَيْثُ قَالَ :

وَقَدْ سَمِعْتُ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَحْمَدَ العَبْدَلَّاوِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِنَّ الوَلِيَّ الصَّالِحَ سَيِّدِي العَرَبِيَّ بْنَ السَّائِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ النَّكِيرَ عَلَى مَنْ طَبَعَ جَوَاهِرَ المَعَانِي[1] . وَكُنْتُ أَفْهَمُ أَنَّ مُوجِبَ ذَلِكَ التَّشْدِيدِ أُمُورٌ مِنْهَا أَنَّ الطَّبْعَ يَقْضِي بِانْتِشَارِ نُسَخِ الجَوَاهِرِ بِيَدِ المُعْتَقِدِ وَالمُنْتَقِدِ وَالمُحِبِّ وَالبَغِيضِ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ الحِينِ سَمِعُوا عَنْهَا مَا سَمِعُوا مِنَ الانْتِحَالِ، فَيَكْثُرُ بِانْتِشَارِهَا القِيلُ وَالقَالُ، وَبِمُرَاجَعَتِهَا مَعَ المَقْصِدِ الَّذِي كَانَ النَّاسُ الَّذِينَ أَشَاعُوا أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَلَرُبَّمَا يَجُرُّ ذَلِكَ إِلَى فِتْنَةٍ بَيْنَ الإِخْوَانِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

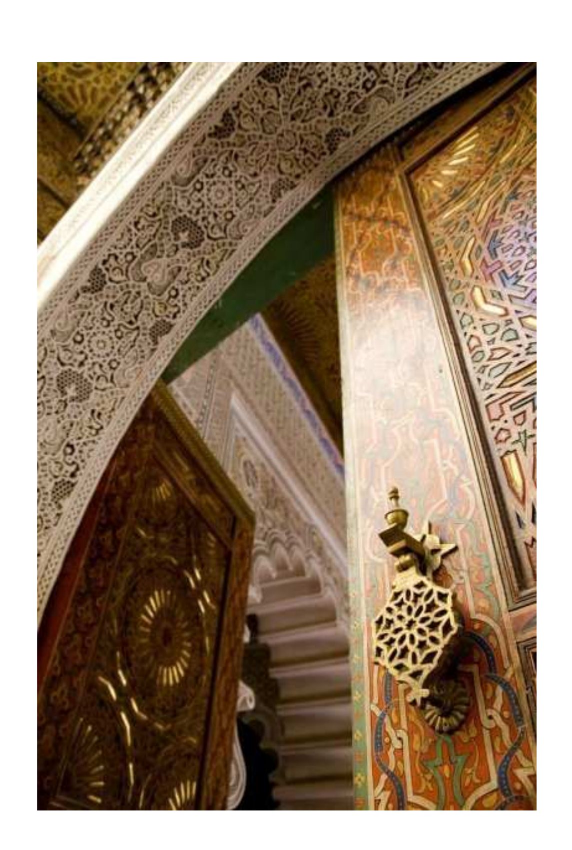
---

[1] ـ كان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح على اطلاع وثيق بالمسألة المذكورة، غير أنه لم يعطيها حجما أكبر من الحجم الذي تستحقه، وقد وُضِعَ عليه سؤال في هذا الصدد من طرف بعض علماء فاس، فأجابه بكلمة جامعة فاصلة، مفادها: المراد بالبرتقال لُبُّهُ لا قشوره. بمعنى أن المدار في كتاب الجواهر على أجوبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وإملاءاته ودعواته ورسائله ونصائحه وفتاويه وأوراده وآدابه وتوجهاته، وليس على خطبته ومقدمته وعناوين فقراته، أو ما جاء فيه من شواهد أدبية وأشعار جميلة.

والمعروف عن الولي الصالح المذكور أنه كان يحفظ كتاب الجواهر حفظًا جيدا تاما، بحيث أنه كان على اطلاع بشتى تفاصيل هذا الكتاب، يستظهره، ويعرف سائر محتوياته، ولو من عداد حروف الجر والإضافة وأسماء الإشارة وما إليها، كما كان يعرف كتاب المقصد الأحمد في التعريف بابن عبد الله أحمد، وقد أشار إليه في بعض تقاييده.

جَوَاهِرُ المَعَانِي
وَبُلُوغُ الأَمَانِي
فِي فَيْضِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ
التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(الجُزْءُ الأَوَّلُ)

لِلعَلَّامَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي
عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ العَرْبِي بَرَّادَةَ الفَاسِي
رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ



تَحْقِيقُ وَتَصْحِيحُ
ذ. مُحَمَّد الرَّاضِي كَنُّون الإِدْرِيسِي الحَسَنِي

رقم الإيداع القانوني
ردمك

مطبعة
المؤلف ... محمد الراضي كنون
الهاتف ... 0661683399

الموقع الإلكتروني:
www.cheikh-skiredj.Com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفَاضَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ مِنَ النُّورِ الأَحْمَدِيِّ أَنْوَارًا، وَاصْطَفَاهُمْ مِنْ مَكْنُونِ سِرِّهِ، وَجَوْهَرِ عِلْمِهِ وَدُرِّهِ، مَعَارِفَ وَأَسْرَارًا، وَحَلَّاهُمْ بِحِلْيَةِ سَنَائِهِ، وَحُلَلِ جَمَالِهِ وَبَهَائِهِ، وَأَطْلَعَهُمْ فِي سَمَاءِ التَّوْحِيدِ أَقْمَارًا، فَاسْتَضَاءَتْ بِأَنْوَارِهِمُ الْخَلِيقَةُ، وَسَلَكُوا بِهِمْ مِنَ الدِّينِ طَرِيقَهْ، وَتَبَوَّءُوا مِنْهُ وَطَناً وَقَرَارًا، وَصَارُوا لِلسَّالِكِينَ هِدَايَةً، وَعَلَماً بِالمَحَجَّةِ وَآيَةً، وَبَرَزُوا بِكُلِّ لَاحِبٍ مَنَارًا، فَلَوْلَاهُمْ مَا سُلِكَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ فِجَاجُهَا، وَلا قُوِّمَ مِنْ ضِلْعِ النُّفُوسِ اعْوِجَاجُهَا، وَلَا تَبَيَّنَ لَهَا الهُدَى اسْتِبْصَارًا، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّهُمْ بِالحِكْمَةِ وَالنُّورِ، وَشَرَحَ بِهِمْ القُلُوبَ وَالصُّدُورَ، وَجَعَلَهُمْ لِلدِّينِ أَعْوَاناً وَأَنْصَارًا.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مِنْ فَيْضِ بَحْرِهِ يَغْتَرِفُونَ، وَمِنْ رَوْضِ مَوَاهِبِهِ يَقْتَطِفُونَ. وَيَجْتَنُونَ ثِمَاراً وَأَزْهَارًا، وَمِنْ نُورِهِ يَسْتَمِدُّونَ، وَعَنْهُ يَرِثُونَ وَيَسْتَبِدُّونَ، وَعَلَيْهِ يَحُومُ[1] كُلُّهُمْ مَدَاراً. فَمَا مِنْ نِعْمَةٍ وَاصِلَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ مُتَرَاسِلَةٍ. إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ أُرْسِلَتْ مِدْرَاراً، فَهُوَ بَابُ اللَّهِ العَظِيمِ، وَصِرَاطُهُ المُسْتَقِيمُ، وَغَيْثُهُ النَّافِعُ إِكْثَاراً، فَلَوْلا طَلْعَتُهُ الكَرِيمَةُ، وَإِمْدَادَاتُهُ العَمِيمَةُ. الفَاتِحَةُ قُلُوباً وَأَبْصَاراً، مَا اسْتُطْعِمَ[2] لَذِيذُ الوَصْلِ وَنَعِيمُهُ، وَلا عُرِفَ كَأْسُ الحُبِّ وَنَدِيمُهُ، وَلا اسْتَنْشَقَ صَبٌّ مِنْ شَمِيمِهِ عَرَارًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، المُكَمَّلِ شَرَفُهُمْ بِشَرَفِهِ وَكَمَالِهِ، السَّامِينَ مَجْداً وَفَخَارًا، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ، المُنْتَخَبِينَ الأَخْيَارِ، مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارًا.

وَبَعْدُ : فَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَصْرِفُ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ اهْتِمَامَهُ، وَيُصَرِّفُ فِيهِ لَيَالِيهِ وَأَيَّامَهُ، وَيُعْمَلُ فِيهِ فِكْرَهُ وَأَقْلامَهُ، وَيَجْعَلُ ذِكْرَهُ نَدِيمَهُ وَمُدَامَهُ، وَيَتَّخِذُهُ مِحْرَابَ وَجْهِهِ وَإِمَامَهُ، وَيَقْصِدُ فِيهِ سَمْتَهُ وَأَمَامَهُ، وَيَقْتَنِي ذُخْرَهُ الأَسْنَى، وَيَجْتَلِي بِكْرَهُ الْحُسْنَى، وَيَقْتَبِسُ مِنْ مِشْكَاةِ نُورِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِشُمُوسِهِ وَبُدُورِهِ، وَيَرْتَعُ فِي خَمَائِلِهِ وَرِيَاضِهِ، وَيَكْرُعُ مِنْ مَوَارِدِهِ وَحِيَاضِهِ، وَيَتَضَمَّخُ مِنْهُ بِأَذْكَى عَرْفٍ وَطِيبٍ[3]، وَيَتَذَكَّرُ بِهِ المَنْزِلَ وَالحَبِيبَ، مَحَاسِنَ أَهْلِ اللَّهِ الأَوْلِيَاءِ،

---

[1]- ل هـ: يحومون

[2]- ل: ما استطعم عارف

[3]- ح ق: عرفه وطيبه

وَخَاصَّتِهِ الأَصْفِيَاءِ، حِزْبِ اللَّهِ وَأَهْلِ حَضْرَتِهِ، الفَائِزِينَ بِشُهُودِهِ وَنَظْرَتِهِ، الْمَجْذُوبِينَ إِلَيْهِ، وَالْمَحْبُوبِينَ لَدَيْهِ، الوَاقِفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالعَاكِفِينَ عَلَيْهِ، السَّاجِدَةِ لِلَّهِ عَلَى الدَّوَامِ قُلُوبُهُمْ، وَالحَافِظَةِ لِعَهْدِهِ سَرْمَداً شَهَادَتُهُمْ وَغُيُوبُهُمْ، مَظَاهِرِ آيَاتِ الْمُصْطَفَى، وَنُوَابِهِ الْخُلَفَا، الوَارِدِينَ مِنْ مَنْهَلِهِ الأَرْوَى، وَالشَّارِبِينَ مِنْهُ زُلَلاً صَفْوَا، الْمُتَخَلِّقِينَ بِشِيَمِهِ وَخِلالِهِ، وَالْمُتَّبِعِينَ[1] لِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

فَإِلَى سَمَاعِ ذِكْرِهِمْ تَرْتَاحُ القُلُوبُ، وَتَشْتَاقُ بِهِ[2] إِلَى عَلَّامِ الغُيُوبِ، وَتَنْتَشِطُ بِذَلِكَ مِنْ عِقَالِهَا، لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَأَدَائِهَا، فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَثَارَ مِنْهُمُ الْعَزْمَ وَالقُوَّةَ وَالْجِدَّ وَالتَّشْمِيرَ، وَبَلَغُوا إِلَى أَنْ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى النَّقِيرِ وَالقِطْمِيرِ، وَلَمْ يَرْضَوْا مِنْهَا إِلَّا بِاللُّحُوقِ[3] بِمَعَالِي الأُمُورِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى مَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ بِدَارِ السُّرُورِ، وَنَزَّهُوا جَوَارِحَهُمْ عَنْ دَنَسِ الْمُخَالَفَاتِ، وَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ، وَقَامُوا بِوَظَائِفِ الدِّينِ مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَاجْتِنَابِ المَنْهِيَاتِ، وَجَادُوا فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ بِالأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ، وَتَلَقَّوْا مَا جَاءَ عَنْهُ عَلَى الأَكُفِّ وَالرُّءُوسِ، فَصَارَتْ أَخْبَارُهُمْ وَشَمَائِلُهُمْ تُتْلَى وَتُكْتَبُ فِي الطُّرُوسِ، فَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَأُزَاحِمَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَفْعَالِهِمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ رِجَالًا، أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الهِمَّةِ العَلِيَّةِ[5]، كَيْفَ لَمْ تَرْضَ إِلَّا بِالرُّتَبِ السَّنِيَّةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ سَمِعَتْ بِفِعْلِ الأَوَائِلِ، اشْتَاقَتْ وَصَحِبَهَا[6] التَّنَافُسُ[7]، فَجَدَّتْ[8] فِي طَلَبِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ

---

[1]- ل: والمتبعين له وأقواله

[2]- ي: بهم

[3]- ل هـ: (باللحوق) ساقطة

[4]- ل: رضي الله عنهم وعنه

[5]- ي ص: الغالية

[6]- ل: وصحبها الترفع إلى المعالي

[7]- ل: (التنافس) ساقطة

[8]- ل: فجدت وتاقت

تَعَالَى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)[1]. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا هِمَّةً عَالِيَةً تُبَلِّغُنَا بِهَا إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مَحْمُودٍ، وَنِيَّةً صَادِقَةً تُحْجِزُنَا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ الصُّدُودَ، وَقِيلَ

إِنْ شِئْتَ أَنَّكَ تَظْفَرْ * فَكُنْ فِي حُبِّكَ[2] صَادِقْ
عَنْ سَاقِ عَزْمِكَ شَمِّرْ * وَانْبِذْ جَمِيعَ العَلَائِقْ
سِرُّ الْمَوَالِي مَا يَظْهَرْ * إِلَّا عَلَى مَنْ هُو عَاشِقْ

فهَذِهِ أَيُّهَا الْمُحِبُّ[3] فَائِدَةُ وُجُودِهِمْ وَظُهُورِهِمْ، وَسَمَاعِ أَخْبَارِهِمْ عَلَى وَجْهِ الإِيجَازِ وَالإِخْتِصَارِ (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)[4] وَبِالجُمْلَةِ فَنِعَمُ اللَّهِ عَلَيْنَا لا تُحْصَى، وَمَا غَابَ عَنَّا أَكْثَرُ، فَلَهُ الحَمْدُ حَتَّى يَرْضَى، فَإِنَّا لَوْ تَتَبَّعْنَا مَا لِلْقَوْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الأَقْوَالِ، وَمَا مُنِحُوا بِهِ مِنْ مَحَاسِنِ الخِلالِ، لَكَانَ لا يَسَعُنَا الوَقْتُ لِضَيْقِ الزَّمَانِ، فَلْنَقْبِضِ العِنَانَ، عَنِ التَّتَبُّعِ لِأَقْوَالِ مَنْ يَغْتَرِفُونَ مِنْ بَحْرِ المَوَاهِبِ وَالإِمْتِنَانِ، وَيَقْتَطِفُونَ أَزْهَارَ اللَّطَائِفِ وَالمَعَارِفِ مِنْ مَعْدِنِ الجُودِ وَالإِحْسَانِ، وَكَيْفَ لا وَهُمُ القَوْمُ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ الحَقُّ لِخِدْمَتِهِ، وَجَعَلَهُمْ أَهْلاً لِمُنَاجَاتِهِ وَحَضْرَتِهِ، وَأَشْهَدَهُمْ أَنْوَارَ جَمَالِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى بِسَاطِ كَمَالِهِ وَامْتِنَانِهِ. وَهُمُ القَوْمُ الَّذِينَ شَرَفُوا[5] مِنْ مَحَبَّتِهِ فَطَابُوا، وَتَحَيَّرَتْ قُلُوبُهُمْ فِي عَظَمَتِهِ فَغَابُوا، فَنَالُوا مِنْ مَوْلَاهُمْ مَا طَلَبُوا، وَسَاعَدَهُمُ الوَقْتُ فِيمَا رَغِبُوا، فَهُمْ السَّادَاتُ وَالأُمَرَاءُ[6]، وَالسَّلاطِينُ فِي زَيِّ الفُقَرَاءِ[7]،

---

[1]- سورة المطففين، الآية 26
[2]- ل: فكن لحبك صادق
[3]- ك: المريد
[4]- سورة المدثر، الآية 31
[5]- ك ي م: شربوا
[6]- ي م: والأمرا
[7]- ي م: الفقرا

الَّذِينَ[1] صَلَحُوا[2] أَنْ يَكُونُوا قَادَةً لِخَلِيقَتِهِ[3]، مُمْتَثِلِينَ قَائِمِينَ بِخِدْمَتِهِ، عَلَى وَفْقِ حُكْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَلَا تَصْفُوا الحَيَاةُ إِلَّا بِهِمْ، وَ لا تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ إِلا بِذِكْرِهِمْ، وَحِينَ هَاجَتْ القَرِيحَةُ بِحُبِّهِمْ، صَاحَتْ وَنَادَتْ فِي حَيِّهِمْ عَلَى جِهَةِ الإِفْتِخَارِ بِقُرْبِهِمْ. فَقَالَتْ :

فَوَاللَّهِ مَا طَابَ الزَّمَانُ بِدُونِهِمْ[4] * فَلَوْلاهُمُ مَا كُنْتُ أَرْضَى بِعَيْشَةِ
فَمَا العَيْشُ إِلَّا بَيْنَهُمْ تَحْتَ ظِلِّهِمْ * وَهُمْ رَاحَتِي أُنْسِي وَسُؤْلِي وَبُغْيَتِي
لَقَدْ سَكَنُوا قَلْبِي وَمَا لِيَ غَيْرُهُمْ * عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّحْمَانِ أَزْكَى تَحِيَّةِ

فَلْتَحْمَدْ[5] أَيُّهَا العَاشِقُ لِجَمَالِهِمْ، وَالمُحِبُّ لِطَرِيقِهِمْ وَكَمَالِهِمْ، وَقَرَّ عَيْناً بِهِمْ، وَتَعَلَّقْ بِأَذْيَالِهِمْ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ يَصُدُّكَ عَن جَنَابِهِمْ، وَلْتَغْتَبِطْ بِمَا أَرْسُمُهُ لَكَ فِي هَذَا المَكْتُوبِ[6] الكَرِيمِ، مِنْ شَمَائِلِ وَخَصَائِصِ هَذَا الشَّيْخِ العَظِيمِ، الَّذِي لَمْ يَسْمَحِ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِلَّا فِي القَدِيمِ، وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَحَاسِنُ أَهْلِ اللَّهِ لاَ شَكَّ جَمَّةٌ * وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلا لِتِيجَانِ[7]
فَبَوَّأَهُ الفِرْدَوْسَ وَالخُلْدَ رَبُّهُ * وَجَنّةَ عَدْنٍ بَيْنَ حُورٍ وَوِلْدَانِ
وَجَنَّةَ مَأْوَيْهِ[8] وَدَارَ قَرَارِهِ * وَمَقْعَدَ صِدْقٍ فِي رِيَاضٍ وَرَيْحَانِ

---

[1] - ل: الذين أهلهم أن يكونوا

[2] - ل: (صلحوا) ساقطة

[3] - ل: خليقته

[4] - أ ك م: إلا بهم

[5] - ل: فاحمد الله

[6] - ل: الكتاب

[7] - أ ع ي هـ م: لتجان ـ ك: للتجاني

[8] - ل: مأواه

وَقَالَ غَيْرُهُ فِي هَذَا المَعْنَى رَحِمَهُ اللَّهُ :

آلَيْتُ وَهْوَ أَنَا الْمَبْرُورُ فِي قَسَمِي * مَا سَمَحَتْ بِهِ فِي الأَعْصَارِ أَزْمَانُ

نَعَمْ وَحَقِّقْ يَقِيناً غَيْرَ مُتَّهَمٍ * مَا وَلَدَتْ مِثْلَهُ فِي الدَّهْرِ نِسْوانُ

وَإِنَّ مِمَّنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الكَرَامَةِ، وَأَحَلَّهُ بِمَكَانَتِهَا وَأَقَامَهُ، وَأَنْزَلَهُ مِنْهَا أَعْلَا مَرْتَبَةٍ وَمَرْقَبَةٍ، وَأَوْلَاهُ مِنْهَا أَعْظَمَ آيَةٍ وَمَنْقَبَةٍ، وَحَازَ فِي مَرْبَعِهَا الخَصِيبِ، أَكْبَرَ حَظٍّ وَأَوْفَرَ[1] نَصِيبٍ، شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَسَنَدَنَا[2]، وَوَسِيلَتَنَا إِلَى رَبِّنَا، الشَّيْخَ الوَاصِلَ، القُدْوَةَ الكَامِلَ، الطَّوْدَ الشَّامِخَ، العَارِفَ الرَّاسِخَ، جَبَلَ السُّنَّةِ وَالدِّينِ، وَعَلَمَ المُتَّقِينَ وَالمُهْتَدِينَ، العَلاَّمَةَ الدَّرَاكَةَ، المُشَارِكَ الفَهَّامَةَ، الجَامِعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، الفَائِضَ النُّورِ وَالبَرَكَاتِ[3] عَلَى سَائِرِ الخَلِيقَةِ، الوَاضِحَ الآيَاتِ وَالأَسْرَارِ، وَمَعْدِنَ الجُودِ وَالإِفْتِخَارِ، البَحْرَ الزَّاخِرَ الطَّامَ، المُعْتَرَفَ بِخُصُوصِيَتِهِ الخَاصُّ وَالعَامُّ، (نَادِرَةَ الزَّمَان، وَمِصْبَاحَ الأَوَانِ[4])، الشَّرِيفَ العَفِيفَ، ذَا القَدْرِ المُنِيفِ، أَبَا العَبَّاسِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ بْنَ الوَلِيِّ الشَهِيرِ، العَالِمِ الكَبِيرِ، الشَّيْخِ الإِمَامِ، القُدْوَةِ الهُمَامِ، المُدَرِّسِ النَّفَّاعِ، النَّبَوِيِّ الإِتِّبَاعِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ بْنِ المُخْتَارِ التِّجَانِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[5].

وَإِنِّي لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَعْرِفَتِهِ، وَالإِنْحِيَاشِ إِلَى حِزْبِهِ وَزُمْرَتِهِ، وَرَأَيْتُ مِنْ شِيَمِهِ وَشَمَائِلِهِ، وَمَحَاسِنِهِ[6] وَفَضَائِلِهِ، (وَسَمِعْتُ مِنْ كَلامِهِ وَمَعَارِفِهِ، وَإِشَارَاتِهِ وَلَطَائِفِهِ[7]).

---

[1]- ك: (أوفر) ساقطة

[2]- ك ص: سندنا وسيدنا

[3]- ح: والبركة

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: ولله در من قال، وقد حرق قلبه لاعج البلبال، ثم ذكر القصيدة السينية المشهورة التي هي من نظم العلامة سيدي إبراهيم الرياحي التونسي، وتحتوي على ثلاثين بيتا.

[6]- ح: وشمائله ومحاسنه

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

مَا عَزَّ (وُجُودُهُ[1])، وَقَلَّ وُرُودُهُ، وَعُدِمَ مِثْلُهُ، (وَفُقِدَ شَكْلُهُ، مِمَّا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يُفَادَ وَيُسْتَفَادَ، وَيُقْصَدَ إِلَيْهِ وَيُرَاد، وَتُسَطِّرُهُ فِي الطُّرُوسِ الأَقْلامُ، وَتُدَوِّنُهُ فِي الدَّوَاوِينِ الأَعْلامُ[2])، حَدَانِي ذَلِكَ مَعَ مَا طَلَبَهُ مِنِّي بَعْضُ الإِخْوَانِ، وَالأَحِبَّاءِ الأَعْيَانِ، أَنْ أَتعَرَّضَ لِمَا تَيَسَّرَ لَدَيَّ، وَسَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ، مِنَ التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِطَرِيقَتِهِ، وَعِرْفَانِهِ وَتَحْقِيقِهِ[3]، (وَنَشْأَتِهِ وَسِيرَتِهِ، وَخُلُقِهِ وَشِيمَتِهِ، وَكَلامِهِ وَإِشَارَتِهِ، وَمُكَاشَفَتِهِ وَكَرَامَتِهِ[4])، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَآثِرِهِ وَآيَتِهِ.

فَجَمَعْتُ فِي هَذَا التَّأْلِيفِ مَا اسْتَحْضَرْتُهُ مِنْ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ بَعْضُ مَا هُنَالِكَ، إِسْعَافاً لِمَنْ طَلَبَ، وَإِتْحَافاً لِذَوِي الرَّغَبِ، وَإِعَانَةً لِذَوِي الإِعْتِبَارِ، وَإِبَانَةً لِذَوِي الإِسْتِبْصَارِ، (وَإِفَادَةً لِأَهْلِ المَحَبَّةِ وَالوِدَادِ، وَهِدَايَةً لِذَوِي الإِنْتِسَابِ وَالإِسْتِنَادِ[5])، إِذِ التَّعَلُّقُ بِأَهْلِ اللَّهِ وَاللِّيَاذُ بِجَنَابِهِمْ، وَالإِنْحِيَاشُ إِلَيْهِمْ، (وَالوُقُوفُ بِأَبْوَابِهِمْ[6]) تَعَلُّقٌ بِجَنَابِ اللَّهِ الكَرِيمِ، وَوُقُوفٌ بِبَابِهِ العَظِيمِ، (وَتَعَرُّضٌ لِرَحْمَتِهِ العَمِيمَةِ، وَرَحْمَتِهِ[7] الجَسِيمَةِ[8])، وَفِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِي إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّهُ أَنْ تُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقُونَ بَعْدَهَا أَبَداً، فَيَا فَوْزَ الَّذِينَ نَهَضُوا إِلَيْهَا، وَتَعَرَّضُوا لَهَا، فَاسْتَمَدُّوا مِنْ تِلْكَ النَّفْحَةِ مَدَدًا.

وَإِذَا كَانَ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ كَمَا فِي الأَثَرِ الْمَوْقُوفِ، وَالخَبَرِ المَعْرُوفِ، تَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ، وتَنِمُّ عَوَاطِرُ النَّسَمَاتِ، فَمَا بَالُكَ بِنَشْرِ مَحَاسِنِهِمْ وَمَفَاخِرِهِمْ، وَتِعْدَادِ مَنَاقِبِهِمْ وَمَآثِرِهِمْ، (وَذِكْرِ سِيَرِهِمْ النَّبَوِيَّةِ، وَأَخْلاقِهِمْ المُصْطَفَوِيَّةِ، الَّتِي هِيَ هُدًى وَنُورٌ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَدَوَاءٌ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل: وحقيقته

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ل: ونعمته

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

لِلقُلُوبِ، وَجَلاءٌ لِلْكُرُوبِ، وَفَتْحٌ لِلْبَصَائِرِ، وَنَفْعٌ للسَّرَائِرِ[1]، وَهُدًى لِلسَّالِكِ وَالسَّائِرِ[2])، يُطْرِبُ السَّامِعَ حَدِيثُهَا، وَيَحُثُّ الأَشْوَاقَ إِلَى حَضْرَتِهِمْ حَثِيثُهَا، وَما مُلِئَتْ الدَّوَاوِينُ وَالدَّفَاتِرُ، وَلَا فَاهَتِ الأَفْوَاهُ وَالمَحَابِرُ[3]، بَعْدَ شَمَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيَرِهِ، وَشِيَمِهِ الطَّاهِرَةِ وَأَثَرِهِ، بِأَفْضَلِ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَمَكَارِمِهِمْ وَمَآثِرِهِمْ[4]، إِذْ هُمْ أَصْحَابُهُ الصُّحْبَةُ المَعْنَوِيَّةُ، وَمُعْجِزَتُهُ البَاقِيَةُ السَّرْمَدِيَّةُ، وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ حَيْثُ يَقُولُ :

يَا سَادَتِي[5] يَا أَفْضَلَ السَّادَاتِ * لَأُزَيِّنَنَّ بِذِكْرِكُمْ أَوْقَاتِي
يَا خَيْرَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِهِ * يَا أَفْضَلَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ

وَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ أَهْلِ[6] الإِتِّبَاعِ، وَلَا مِنَ الأَشْيَاعِ، حَقِيقَةً وَالأَتْبَاعِ، فَحَوْلَ نَفَحَاتِهِمْ نَحُومُ، وَلِشَيْءٍ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ نَرُومُ:

خُذْ مَا دَنَا إِنْ فَاتَكَ الأَجَلُ * إِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلُ

وَجَدِيرٌ لِمَنْ رَدَّدَ أَخْبَارَهُمْ، وَاسْتَمَعَ آثَارَهُمْ، وَأَكْثَرَ حَدِيثَهُمْ، وَأَحَبَّ قَدِيمَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ، أَنْ يَدْخُلَ دَيْرَهُمْ، وَيَنَالَ بِرَّهُمْ، أَوْ يَعْلَقَ مِنْهَا بِفَائِدَةٍ، تَكُونُ مَنْفَعَتُهَا[7] عَلَيْهِ عَائِدَةً، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ قِيلَ:

حَدِّثِ السَّمْعَ بِالمَحَاسِنِ مِنْهُمْ * فَالحَدِيثُ لَنَا نَدِيمُ النُّفُوسِ
فَإِذَا مَا سُقِيتَ مِنْهَا بِكَأْسٍ * زَالَ عَنْكَ مِنَ العَنَا كُلُّ بُؤْسِ

---

[1] - ل: ونفع لما في السرائر
[2] - ح: ما بين القوسين محذوف
[3] - ل: وأقلام المحابر
[4] - ل: وآثارهم
[5] - ح: يا ساداتي
[6] - أ ك ل هـ ق ي ص ح م ع: (أهل) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)
[7] - أ ك ع هـ ص: منفعته

جعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ أَحبَّهُمْ، وَاتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ وَحِزْبَهُمْ، وَرزَقَنَا التَّلَذُّذَ بِخَبَرِهِمْ، (وَاسْتِحْسَانَ سِيَرِهِمْ وَأَثَرِهِمْ)[1]، **وَاعْلَمْ** رَحِمَكَ اللَّهُ أَنِّي لا أَسْتَوْفِي مَا[2] لِسَيِّدِنَا (وَشَيْخِنَا وَمَوْلانَا)[3] أَحْمَدَ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ المَآثِرِ وَالآيَاتِ، وَالمَنَاقِبِ وَالكَرَامَاتِ، أَبَدَ الآبِدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، لِأَنِّي كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ فَضِيلَةً، وَجَدْتُ فَضَائِلَ أُخْرَى، وَكُلَّمَا تَدَبَّرْتُ آيَةً، رَأَيْتُ أَكْبَرَ مِنْ أُخْتِهَا، إِلَى هَلُمَّ جَرًّا، لا سِيمَا وَهْوَ[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاقٍ فِي قَيْدِ الحَيَاةِ لِهَذَا العَهْدِ، شَهْرِ اللَّهِ شَعْبَانَ، سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، فَكُلَّمَا يَرِدُ عَلَيْكَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا التَّقْيِيدِ، فَإِنَّمَا هُوَ بَعْضُ مَا فَاتَ مِمَّا سَلَفَ، قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ وَخَلَفَ مَنْ خَلَفَ.

فَدُونَكَ، فَإِنَّكَ سَتَقِفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ شَرِيفٍ، وَأَمْرٍ مُنِيفٍ، مِنْ كَرَامَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَأَخْبَارٍ جَدِيدَةٍ، تُكْسِبُكَ[5] نُوراً، وَتَقْذِفُ فِي قَلْبِكَ سُرُوراً، فَإِنَّ النَّبأَ الجَدِيدَ، مَوْقِعُهُ فِي الأَسْمَاعِ لَذِيذٌ، وَهَا أَنَا أَذْكُرُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَقَرُّ بِهِ العُيُونُ، وَيَتَسَلَّى بِهِ كُلُّ مَحْزُونٍ، مِمَّا صَحَّ عِنْدِي وَتَقَرَّرَ، وَفِيهِ مَقْنَعٌ لِمَنْ فَهِمَ وَتَدَبَّرَ، لِأَنَّ مَآثِرَ هَذَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا تُحْصَى، وَمَنَاقِبُهُ لا تُسْتَقْصَى، فَقَدْ شَاعَتْ بِهَا الأَخْبَارُ، حَيْثُ صَارَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، (وَلَيْسَ يُوجَدُ لَهَا حَدٌّ وَلا مِقْدَارٌ، وَإِنَّمَا نُورِدُ صَبَابَةً مِنْهَا، وَشِظْيَةً مِنْ عَدِّهَا)[6]، فَقَدْ يَكِلُّ عَنْهَا القِرْطَاسُ وَالقَلَمُ، وَيَعْيَى فِي طَلَبِهَا اليَدُ وَالقَدَمُ، فَهِيَ فِي النَّاسِ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ، وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ فِي بَيْتِهِ حَيْثُ يَقُولُ:

فَسَلْ عَنْهُ أَهْلَ العِلْمِ وَالعَقْلِ وَالحِجَا * وَمَنْ كَانَ ذَا علمٍ[7] وَكُلَّ ذَوِي النُّسْكِ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ك ع: (ما) ساقطة

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ي: (وهو) ساقطة

[5]- ح: تكتسب

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ي هـ: فهم

وَلَكِن أَذْكُرُ لَكَ جُمْلَةً تَسْتَحْلِيهَا أُذُنُ السَّامِعِ، وَتُذْرِفُ لَهَا العُيُونُ بِالمَدَامِعِ، وَيَنْتَفِعُ بِهَا[1] إِنْ شَاءَ اللَّهُ العَاصِي وَالطَّائِعُ، مِنْ كَلامٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ، أَوْ كَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّهِ، أَوْ أَخْبَارٍ فِي سِيَرِهِ تَلَقَّيْتُهَا مِنْ أَصْحَابِهِ وَمُلازِمِيهِ وَمَا شَاهَدْتُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَبَعْضُهَا مِنْ خَطِّ غَيْرِهِ، وَلَمْ أَكْتُبْ شَيْئاً مِنْ أَحَدٍ حَتَّى أَتَثَبَّتَ فِيهِ، وَأَتَحَرَّى الصِّدْقَ مِمَّنْ يَحْكِيهِ، وَلَكِنَّ الظَّنَّ بِهِمْ جَمِيلٌ، إِذْ كُلُّ مَنْ نَقَلْتُ عَنْهُ أَوْ رَوَيْتُ، مَوْسُومٌ بِسِمَةِ الصَّلاحِ فِيمَا رَأَيْتُ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ سِيَادَةٍ وَأَهْلُ دِيَانَةٍ، وَأَهْلُ مَحَبَّةٍ وَأَهْلُ صِيَانَةٍ، كُلٌّ يُقْتَدَى بِقَوْلِهِ.

جَعَلَنِي[2] اللَّهُ وَإِيَاكُمْ مِنَ المُنْخَرِطِينَ فِي سِلْكِهِ، وَمِنَ المَحْسُوبِينَ فِي حِزْبِهِ، وَمِمَّنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وَقَدْرَ مُحِبِّيهِ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، فَإِنَّ مَنْ تَشَبَّثَ بِأَذْيَالِهِمْ بَلَغَ المَأْمُولَ، وَكَانَ فِيمَا يَرُومُهُ قَرِيبَ الوُصُولِ، فَابْسُطْ أَيُّهَا المُحِبُّ أَيْدِي الضَّرَاعَةِ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ، وَقِفْ مُتَذَلِّلاً عِنْدَ بَابِهِمْ، وَقُلْ بِلِسَانِ الإِفْتِقَارِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ عُبَيْدَكَ الضَّعِيفَ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الجُورِ وَالتَّطْفِيفِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي، فَالتَّذَلُّلُ وَالإِفْتِقَارُ، خَيْرُ مَا يَقْتَنِي العَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ، أَنِّي شَرَعْتُ فِي ابْتِدَاءِ هَذَا الكِتَابِ المُبَارَكِ أَوَائِلَ شَعْبَانَ، سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَمَائِتَيْنِ وَأَلْفٍ بِفَاسٍ، حَرَسَهَا اللَّهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِهِ، وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَنَا خَيْرَهُ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَلَمْ أَكْتُبْ مِنْهُ حَرْفاً إِلَّا بَعْدَ الإِسْتِخَارَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَاللَّجْأِ إِلَى اللَّهِ وَالإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ البَرِيَّةِ، فَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُلْهِمَنَا فِيهِ إِلَى حُسْنِ الصَّوَابِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ، وَمَا مِثْلِي مَنْ يَتَجَاسَرُ عَلَى جَمْعِ كَلاَمِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَشَمَائِلِهِمْ، وَيَتَعَرَّضُ لِمَسَائِلِهِمْ وَمَوَاهِبِهِمْ، لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ خُطَا أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] تَقَاصَرَتْ عَنْ جَمْعِ كَلاَمِهِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمُ الغَفْلَةُ فِي الْتِقَاطِ عُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ، وَصَارَ الكَدْحُ وَالجِدُّ وَالسَّعْيُ إِنَّمَا هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى الفَانِي، وَلَهُ كُلُّ شَخْصٍ يُعَانِي، أَخَذْتُ فِي الْتِقَاطِ هَذِهِ الدُّرَرِ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ، وَهَذِهِ الكَسْدَةِ حِينَ بَذَلَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ جُهْدَهُ، وَجَعَلَ فِي ذَلِكَ نِيَتَهُ وَقَصْدَهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ

---

[1]- ي: ينتفع إن شاء الله بها

[2]- ح: جعلنا

[3]- ح: (رضي الله عنه) ساقطة

كَاسِدٍ لَابُدَّ أَنْ يُطْلَبَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُبْحَثُ عَلَيْهِ وَيُرْغَبُ، وَرُبَّمَا طُولِبَ[1] فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ فَلا يُوجَدُ لِعِزَّتِهِ، عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَقَدْرَ قِيمَتِهِ.

فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي القُعُودَ إِلَيْهِ، وَصَرَفْتُ الهِمَّةَ لِطَلَبِهِ وَجَمْعِهِ، وَكُلٌّ يُعْطَى عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ، اسْتِرْجَاءً لِهَذِهِ الهِمَّةِ الدَّنِيَّةِ، الْمَشُوبَةِ بِالأَفْعَالِ الرَّدِيَّةِ، عَلَى اللَّهِ أَنْ يُثِيبَهَا بِقَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ وَأَوْجَبَ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَقَوْلهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ قَوْماً كَانَ مِنْهُمْ، وَمَا يُقَالُ: هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، اللَّهُمَّ كَمَا مَنَنْتَ أَوَّلاً عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِمْ، فَلَا تُحْجِبْنَا عَنْ مَحَبَّتِهِمْ وَرُؤْيَتِهِمْ، (وَاحْمِلْنَا عَلَى سُنَّتِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ)[2]، وَلَا تَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، حَتَّى تُحِلَّنَا مَحَلَّهُمْ، وَتُدْخِلَنَا مَدْخَلَهُمْ، يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَأَسْأَلُكَ[3] اللَّهُمَّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا مَا طَغَى بِهِ القَلَمُ، وَزَلَّتْ بِهِ القَدَمُ، فَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ ذُو الجُودِ وَالكَرَمِ، (وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا[4] تَجْعَلَ مَا نُسَطِّرُهُ حُجَّةً عَلَيْنَا، وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لَنَا، يَا رَبَّ العَالَمِينَ)[5]، ومَنْ لَنَا بِالكَمَالِ وَنَحْنُ مَحَلُّ النَّقْصِ وَالغَلَطِ وَالخَطَا، قَاصِرِينَ فِي السَّعْيِ عَنْ مَدِّ الخُطَا، لَكِنَّ الظَّنَّ بِالسَّادَاتِ جَمِيلٌ، إِذْ هُمْ مَحَلُّ الكَرَمِ الجَزِيلِ، (وَحَاشَا لِمَنْ تَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِمْ أَنْ يَهْمَلُوهُ، أَوْ تَحَيَّزَ لِجَنَابِهِمْ أَنْ يَتْرُكُوهُ)[6]، فَإِنَّ طُفَيْلِيَ سَاحَتِهِمْ لَا يُرَدُّ، وَعَنْ بَابِهِمْ لَا يُصَدُّ، وَلِلَّهِ دَرُّ قَائِلِهِمْ:

هُمْ سَادَتِي هُمْ رَاحَتِي هُمْ مُنْيَتِي * أَهْلُ الصَّفَا حَازُوا المَعَالِي الفَاخِرَةْ

حَاشَا لِمَنْ قَدْ حَبَّهُمْ أَوْ زَارَهُمْ * أَنْ يَهْمَلُوهُ سَادَتِي فِي الآخِرَةْ

---

[1]- ك: طلب

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل: ونسألك

[4]- ك: ألا

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَقَالَ غَيْرُهُ:

وَلِي بِصُحْبَتِكُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ * وَكُلُّ مَنْ حَبَّكُمْ مَا بِهِ[1] مِنْ بَاسِ

أَنْتُمْ مُرَادِي وَمَا فِي الكَوْنِ غَيْرُكُمُ * لَوْلَاكُمُ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي وَأَنْفَاسِي

لَا تَهْمَلُونِي فَإِنِّي عَبْدُ حَضْرَتِكُمْ * مَحَلُّكُمْ سَادَتِي مِنِّي عَلَى الرَّاسِ

وَأَرْغَبُ لِمَنْ[2] طَالَعَ مَكْتُوبَنَا هَذَا[3] أَنْ يَغُضَّ عَنْهُ عَيْنَ الإِنْتِقَادِ، وَيَسْمَحَ لَنَا مَا يُلْفِيهِ مِنَ التَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ، وَالزِّيَادَةِ وَالتَّطْفِيفِ، وَيَصْلُحَ مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الخَلَلِ، وَيُقَابِلَ جَهْلَنَا بِالصَّفْحِ وَالإِغْضَاءِ وَحُسْنِ العَمَلِ، فَإِنَّا لَسْنَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَدِرَايَتِهِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ النَّحْوِ وَصِنَاعَتِهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَنَا عَلَى ذَلِكَ شِدَّةُ حُبِّنَا فِي أَهْلِ هَذَا الجَانِبِ، وَتَعَلُّقُنَا بِهَؤُلَاءِ الأَحْبَابِ، وَمَنْ أَقَامَ لِنَفْسِهِ عُذْراً أَسْقَطَ عَنْهُ اللَّوْمَ، وَفِيهِ يَقُولُ القَائِلُ:

إِذَا اعْتَذَرَ الجَانِي مَحَا العُذْرُ ذَنْبَهُ * وَكُلُّ امْرِئٍ لا يَقْبَلُ العُذْرَ مُذْنِبُ

وَقَدْ آنَ لَنَا أَنْ نَذْكُرَ بَعْدَ هَذَا مَا رُمْنَاهُ، وَنُوَضِّحَ لِلسَّامِعِ مَا بِهِ وَعَدْنَاهُ. مِنْ ذِكْرِ فَضْلِ[4] هَذَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَخْبَارِهِ، وَأَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَآثَارِهِ، وَمَا لَاحَ عَلَى القُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ مِنْ أَنْوَارِهِ وَأَسْرَارِهِ وَأَحْزَابِهِ وَأَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ، لِتَطْمَئِنَّ بِهِ القُلُوبُ وَالنُّفُوسُ، وَيَطْلَعَ[5] مِنْ بَعْدِ لَيْلِ الوَحْشَةِ نَهَارُ تَذْكِرَةِ البُدُورِ وَالشُّمُوسِ. فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ، فَهْوَ[6] حَسْبِي وَنِعْمَ الحَسَبُ[7]

---

[1]- ع ي: فيه

[2]- ل: من

[3]- ي ق: (هذا) ساقطة

[4]- ح: فضائل

[5]- ع ي ك: وتطلع

[6]- ي: وهو

[7]- ح: الحسيب

وَنِعْمَ المُعِينُ، مُضَمِّناً أَبْوَابَهُ وَفُصُولَهُ، وَتَرَاجِمَهُ وَأُصُولَهُ، فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ وَمُقَدِّمَةٍ وَخَاتِمَةٍ فِي العَدَدِ، وَاللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَمُدَّنَا مِنْهُ[1] بِحُسْنِ المَدَدِ، فَهُوَ جَلَّ وَعَلَا الوَاحِدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ.

البَابُ الأَوَّلُ: فِي التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِمَوْلِدِهِ وَأَبَوَيْهِ، وَنَسَبِهِ وَعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ إِلَيْهِ، وَنَشْأَتِهِ وَبِدَايَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ، وَأَخْذِ طَرِيقِ رُشْدِهِ وَهِدَايَتِهِ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ[2] فُصُولٍ.

البَابُ الثَّانِي: فِي مَوَاجِدِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَمَقَامِهِ المُتَّصِفِ بِهِ وَكَمَالِهِ، وَسِيرَتِهِ السُّنِّيَّةِ، وَجُمَلٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ السَّنِيَّةِ، وَحُسْنِ مُعَامَلَاتِهِ، مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ[3] فُصُولٍ.

البَابُ الثَّالِثُ: فِي كَرَمِهِ[4] وَسَخَائِهِ، وَعَظِيمِ فُتُوَتِهِ وَوَفَائِهِ، وَخَوْفِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ وَمَوْعِظَتِهِ وَحُرِّيَتِهِ، وَدَلَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَجَمْعِهِ عَلَيْهِ، وَسَوْقِهِ الأَقْوَامَ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَيْهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ[5] فُصُولٍ.

البَابُ الرَّابِعُ: فِي تَرْتِيبِ أَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ، وَذِكْرِ طَرِيقَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَفَضْلِ وِرْدِهِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِتَالِيهِ، وَصِفَةِ المُرِيدِ وَحَالِهِ، وَمَا يَقْطَعُهُ عَنْ أُسْتَاذِهِ، وَكَيْفِيَةِ الشَّيْخِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ فِي سَائِرِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَكَيْفِيَّةِ السَّمَاعِ وَمَا يَتْبَعُهُ فِي سَائِرِ لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، وَأَدْعِيَةٍ شَتَّى أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ، كَمَا هِيَ عَادَتُهُ الكَرِيمَةُ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ[6] عِرْفَانِهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ[7] فُصُولٍ.

البَابُ الخَامِسُ: فِي ذِكْرِ أَجْوِبَتِهِ عَلَى الآيَاتِ القُرْآنِيَةِ، وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي ذِكْرِ رَسَائِلِهِ وَكَلَامِهِ وَإِشَارَاتِهِ، وَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ فَيْضِ عُلُومِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ، وَفِيهِ فُصُول أربعةٌ[8].

---

[1] - ك: فيه

[2] - ح ع: ثلاث

[3] - ل ك ي م: ثلاثة

[4] - ل: في علمه وكرمه

[5] - ل ك ي: ثلاثة

[6] - ي: (أهل) ساقطة

[7] - ل ك ي: ثلاثة

[8] - أ ل ك ي ع هـ ق ص م: (أربعة) ساقطة

البَابُ السَّادِسُ: فِي جُمْلَةٍ مِنْ كَرَامَاتِهِ، وَبَعْضِ مَا جَرَى مِنْ تَصْرِيفَاتِهِ[1]، وَمَا اتَّفَقَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ مَعَهُ مِنْ مُكَاشَفَاتِهِ، وَخَاتِمَةً[2] أَوْرَدْتُهَا آخِرَ الأَبْوَابِ لِتَكُونَ مِسْكَ خِتَامِهِ، وَيَكْمُلُ فِيهَا مَا يُسْتَمْلَحُ مِنَ الكَلَامِ عَلَى كَرَامَاتِهِ، وَيَظْفَرُ المُحِبُّ بِمَرَامِهِ، وَيُشْفَى غَلِيلُ لَوْعَتِهِ وَغَرَامِهِ.

وَسَمَّيتُهُ جَوَاهِرَ المعَانِي، وَبُلُوغَ الأَمَانِي، فِي فَيْضِ أَبِي الْعَبَّاسِ التِّجَانِي، وَإِلَى اللَّهِ الإِسْتِنَادُ، وَعَلَيْهِ الإِعْتِمَادُ، وَمِنْهُ الفَتْحُ وَالإِمْدَادُ، وَالتَّوْفِيقُ وَالإِسْعَادُ، فَهُوَ الكَرِيمُ الجَوَادُ، وَبِهِ سُبْحَانَهُ القُوَّةُ وَالإِعَانَةُ، وَعَلَيْهِ التَّعْوِيلُ، فِي الإِتْمَامِ وَالتَّكْمِيلِ، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَلَا رُكُونَ إِلَّا عَلَى جَنَابِهِ، فَهُوَ الوَلِيُّ وَالكَفِيلُ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ. فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ:

مُقَدِّمَةٌ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّعْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَّلِ طَبَقَاتِهِ مَا نَصُّهُ: **مُقَدِّمَةٌ فِي بَيَانِ أَنَّ طَرِيقَ القَوْمِ مُشَيَّدَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**، وَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى سُلُوكِ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَصْفِيَاءِ، وَبَيَانِ أَنَّهَا لَا تَكُونُ مَذْمُومَةً إِلَّا إِنْ خَالَفَتْ صَرِيحَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ لَا غَيْرَ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ تُخَالِفْ فَغَايَةُ الكَلَامِ أَنَّهُ فَهْمٌ أُوتِيهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَعْمَلْ بِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ نَظِيرَ الفَهْمِ فِي ذَلِكَ الأَفْعَالِ، وَمَا بَقِيَ بَابٌ لِلإِنْكَارِ إِلَّا سُوءُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَحَمْلُهُمْ عَلَى الرِّيَاءِ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ شَرْعاً.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا أَخِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ عِلْمَ التَّصَوُّفِ عِبَارَةٌ عَنْ عِلْمٍ انْقَدَحَ مِنْ[3] قُلُوبِ الأَوْلِيَاءِ حَتَّى[4]

---

[1]- ل: تصرفاته

[2]- أ ك ع: (خاتمة) ساقطة

[3]- ل: في

[4]- ع: حيث

اسْتَنَارَتْ بِالعَمَلِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا[1] انْقَدَحَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ عُلُومٌ وَآدَابٌ[2] وَأَسْرَارٌ وَحَقَائِقُ تَعْجِزُ الأَلْسُنُ عَنْهَا، نَظِيرَ مَا انْقَدَحَ لِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الأَحْكَامِ حَتَّى عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا مِنْ أَحْكَامِهَا.

فَالتَّصَوُّفُ إِنَّمَا هُوَ زُبْدَةُ عَمَلِ العَبْدِ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، إِذَا خَلَا[3] عَمَلُهُ مِنَ العِلَلِ وَحُظُوظِ النُّفُوسِ، كَمَا أَنَّ عِلْمَ المَعَانِي وَالبَيَانِ زُبْدَةُ عِلْمِ النَّحْوِ، فَمَنْ جَعَلَ عِلْمَ التَّصَوُّفِ عِلْماً مُسْتَقِلّاً صَدَقَ، وَمَنْ جَعَلَهُ عَيْنَ[4] أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ صَدَقَ، كَمَا أَنَّ مَنْ جَعَلَ عِلْمَ المَعَانِي وَالبَيَانِ عِلْماً مُسْتَقِلّاً صَدَقَ، وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ عِلْمِ النَّحْوِ صَدَقَ، لَكِنْ لَا يَشْرُفُ[5] عَلَى ذَوْقِ أَنَّ عِلْمَ التَّصَوُّفِ تَفَرَّعَ مِنْ عَيْنِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا مَنْ تَبَحَّرَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ حَتَّى بَلَغَ الغَايَةَ. ثُمَّ إِنَّ العَبْدَ إِذَا دَخَلَ طَرِيقَ القَوْمِ وَتَبَحَّرَ فِيهِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ هُنَاكَ قُوَّةَ الإِسْتِنْبَاطِ نَظِيرَ الأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فَيَسْتَنْبِطُ فِي الطَّرِيقِ وَاجِبَاتٍ وَمَنْدُوبَاتٍ وَآدَاباً وَمُحَرَّمَاتٍ وَمَكْرُوهَاتٍ، وَخِلَافِ الأَوْلَى[6]، نَظِيرُ مَا فَعَلَهُ المُجْتَهِدُونَ، وَلَيْسَ إِيجَابُ مُجْتَهِدٍ بِاجْتِهَادِهِ شَيْئاً لَمْ تُصَرِّحِ الشَّرِيعَةُ بِوُجُوبِهِ أَوْلَى مِنْ إِيجَابِ وَلِيِّ اللَّهِ تَعَالَى[7] حُكْماً فِي الطَّرِيقِ لَمْ تُصَرِّحِ الشَّرِيعَةُ بِوُجُوبِهِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ اليَافِعِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ فِي الشَّرْعِ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدِينِهِ، فَمَنْ دَقَّقَ النَّظَرَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ عُلُومِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الشَّرِيعَةِ، (وَكَيْفَ تَخْرُجُ عُلُومُهُمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ)[8]، وَالشَّرِيعَةُ هِيَ وُصْلَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَلَكِنَّ أَصْلَ اسْتِغْرَابِ

---

[1]- ح: بهن

[2]- ل: وأسرار وآداب

[3]- أ ح: خلي من عمله

[4]- ل: مِنْ

[5]- ل: (على) ساقطة

[6]- ع ل هـ ص: الأول

[7]- ك: (تعالى) ساقطة

[8]- ي: ما بين القوسين محذوف

مَنْ لَا لَهُ إِلْمَامٌ بِأَهْلِ الطَّرِيقِ[1] أَنَّ عِلْمَ التَّصَوُّفِ مِنْ عَيْنِ الشَّرِيعَةِ كَوْنُهُ لَمْ يَتَبَحَّرْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: عِلْمُنَا هَذَا مُشَيَّدٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ رَدّاً عَلَى مَنْ تَوَهَّمَ خُرُوجَهُ عَنْهُمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ القَوْمُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلتَّصَدُّرِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنْ تَبَحَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ، وَعَلِمَ مَنْطُوقَهَا وَمَفْهُومَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَتَبَحَّرَ فِي لُغَةِ العَرَبِ، حَتَّى عَرَفَ مَجَازَاتِهَا وَاسْتِعَارَاتِهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ. فَكُلُّ صُوفِيٍّ فَقِيهٌ وَلَا عَكْسَ، وَبِالجُمْلَةِ فَمَا أَنْكَرَ أَحْوَالَ[2] الصُّوفِيةِ إِلَّا مَن جَهِلَ حَالَهُمْ، وَكَانَ القُشَيْرِي يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ عَصْرٌ فِي مُدَّةِ الإِسْلَامِ، وَفِيهِ شَيْخٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، إِلَّا وَأَئِمَّةُ ذَلِكَ الوَقْتِ مِنَ العُلَمَاءِ، قَد اسْتَسْلَمُوا لِذَلِكَ الشَّيْخِ، وَتَوَاضَعُوا لَهُ وَتَبَرَّكُوا بِهِ، وَلَوْلَا مَزِيَّةٌ وَخُصُوصِيةٌ لِلْقَوْمِ لَكَانَ الأَمْرُ بِالعَكْسِ. انْتَهَى.

قُلْتُ وَيَكْفِينَا مَدْحاً لِلْقَوْمِ، إِذْعَانُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] لِشِيبَانَ الرَّاعِي حِينَ طَلَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَسْأَلُهُ عَمَّنْ نَسِيَ صَلَاةً لَا يَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ، وَإِذْعَانُ الإِمَامِ[4] أَحْمَدَ بْن حَنْبَلٍ كَذَلِكَ حِينَ قَالَ شيبَانُ: هَذَا رَجُلٌ غَفَلَ عَنِ اللَّهِ فَجَزَاؤُهُ أَنْ يُؤَدَّبَ، وَكَذَلِكَ يَكْفِينَا إِذْعَانُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَبِي حَمْزَةَ البَغْدَادِي الصُوفِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاعْتِقَادُهُ[5]، حَتَّى كَانَ يُرْسِلُ إِلَيْهِ دَقَائِقَ المَسَائِلِ، وَيَقُولُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا يَا صُوفِي؟ فَشَيْءٌ يَقِفُ فِي فَهْمِهِ[6] الإِمَامُ أَحْمَدُ وَيَعْرِفُهُ أَبُو حَمْزَةَ غَايَةُ المَنْقَبَةِ لِلْقَوْمِ، وَكَذَلِكَ يَكْفِينَا إِذْعَانُ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ لِلجُنَيْدِ حِينَ حَضَرَهُ، وَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا يَقُولُ، وَلَكِنَّ لِكَلَامِهِ صَوْلَةً لَيْسَتْ بِصَوْلَةِ مُبْطِلٍ، وَكَذَلِكَ إِذْعَانُ الإِمَامِ أَبِي عِمْرَانَ للشِّبْلِي حِينَ امْتَحَنَهُ فِي مَسَائِلَ مِنَ

[1]- ح ق: الطريقة

[2]- ك: حال

[3]- ح: رحمه الله

[4]- ل: (الإمام) ساقطة

[5]- ي: واعتقاده فيه

[6]- ك ص: فهم

الحَيْضِ، وَأَفَادَهُ سَبْعَ مَقَالَاتٍ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ أَبِي عِمْرَانَ، وَحَكَى الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ بْنُ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ كَانَ يَحُثُّ وَلَدَهُ عَلَى الإِجْتِمَاعِ بِصُوفِيَةِ زَمَانِهِ، وَيَقُولُ إِنَّهُمْ بَلَغُوا فِي الإِخْلَاصِ مَقَاماً لَمْ تَبْلَغْهُ.

وَقَدْ أَشْبَعَ القَوْلَ فِي مَدْحِ القَوْمِ وَطَرِيقِهِمْ الإِمَامُ القُشَيْرِيُ فِي رِسَالَتِهِ، وَالإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ أَسْعَدَ اليَافِعِيِّ فِي رَوْضَةِ الرَّيَاحِينِ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ، وَكُتُبُهُمْ كُلُّهَا طَافِحَةٌ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الإِمَامُ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ أَحَدُ رِجَالِ الطَّرِيقِ رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا أَلِفَ الْقَلْبُ الإِعْرَاضَ عَنِ اللَّهِ صَحِبَتْهُ الوَقِيعَةُ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ شَيْخُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ المَغْرِبِيُّ الشَّاذِلِيُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: اطْلُبْ طَرِيقَ سَادَاتِكَ مِنَ القَوْمِ وَإِنْ قَلُّوا، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقُ الجَاهِلِينَ بِطَرِيقِهِمْ وَإِنْ جَلُّوا، وَكَفَى شَرَفاً لِعِلْمِ القَوْمِ قَوْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَضِرِ: (**هَلَ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدَا**)[1]. وَهَذَا أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى وُجُوبِ طَلَبِ عِلْمِ الحَقِيقَةِ، كَمَا يَجِبُ طَلَبُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَكُلٌّ عَنْ مَقَامِهِ يَتَكَلَّمُ. انْتَهَى.

قُلْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مُرَاسَلَةً أَرْسَلَهَا الشَّيْخُ مُحْيِّي الدِّينِ بْنُ العَرَبِي رَضِيَ اللَّهُ عُنْهُ، إِلَى الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِي صَاحِبِ التَّفْسِيرِ، يُبَيِّنُ لَهُ فِيهَا نَقْصَ دَرَجَتِهِ فِي العِلْمِ، هَذَا وَالشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي[2] مَذْكُورٌ فِي العُلَمَاءِ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْهِمُ الرِّيَاسَةُ فِي الإِطِّلَاعِ عَلَى العُلُومِ مِنْ جُمْلَتِهَا. اعْلَمْ يَا أَخِي وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَكْمُلُ فِي مَقَامِ العِلْمِ حَتَّى يَكُونَ عِلْمُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا وَاسِطَةٍ مِنْ نَقْلٍ أَوْ شَيْخٍ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ مُسْتَفَاداً مِنْ نَقْلٍ أَوْ شَيْخٍ فَمَا بَرِحَ عَنِ الأَخْذِ مِنَ المُحْدَثَاتِ، وَذَلِكَ مَعْلُولٌ عِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ قَطَعَ عُمْرَهُ فِي مَعْرِفَةِ المُحْدَثَاتِ وَتَفْصِيلِهَا، فَإِنَّهُ حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ العُلُومَ المُتَعَلِّقَةَ[3] بِالمُحْدَثَاتِ يَفْنَى الرَّجُلُ فِيهَا وَ لَا يَبْلُغُ إِلَى حَقِيقَتِهَا، وَلَوْ أَنَّكَ يَا أَخِي سَلَكْتَ عَلَى يَدِ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ

---

[1]- سورة الكهف، الآية 66

[2]- أ ك ع ي هـ ق ص: (الرازي) ساقطة

[3]- ي: المتعلقات

عَزَّ وَجَلَّ، لَأَوْصَلَكَ إِلَى حَضْرَةِ شُهُودِ الحَقِّ تَعَالَى، فَتَأْخُذَ مِنْهُ العِلْمَ[1] بِالأُمُورِ عَنْ طَرِيقِ الإِلْهَامِ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَهَرٍ، كَمَا[2] أَخَذَهُ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَا عِلْمَ إِلَّا مَا كَانَ عَنْ كَشْفٍ وَشُهُودٍ، لَا عَنْ نَظَرٍ وَفِكْرٍ وَظَنٍّ وَتَخْمِينٍ، وَكَانَ الشَّيْخُ الكَامِلُ أَبُو يَزِيدِ البِسْطَامِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ لِعُلَمَاءِ عَصْرِهِ: أَخَذْتُمْ عِلْمَكُمْ عَنْ عُلَمَاءِ الرُّسُومِ مَيِّتاً عَنْ مَيِّتٍ، وَأَخَذْنَا عِلْمَنَا عَنِ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ. وَيَنْبَغِي لَكَ يَا أَخِي أَنْ لَا تَطْلُبَ مِنَ العُلُومِ إِلَّا مَا تَكْمُلُ بِهِ ذَاتُكَ، وَيَنْتَقِلُ مَعَكَ حَيْثُ انْتَقَلْتَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا العِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ الوَهْبُ وَالمُشَاهَدَةُ، فَإِنَّ عِلْمَكَ بِالطِّبِّ مَثَلاً إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الأَسْقَامِ وَالأَمْرَاضِ، فَإِذَا انْتَقَلْتَ إِلَى عَالَمٍ مَا فِيهِ سَقِيمٌ وَلَا مَرِيضٌ مَنْ[3] تُدَاوِي بِذَلِكَ العِلْمِ، فَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَخِي أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ العُلُومِ إِلَّا مَا يَنْتَقِلُ مَعَهُ إِلَى البَرْزَخِ دُونَ مَا يُفَارِقُهُ عِنْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى عَالَمِ الآخِرَةِ، وَلَيْسَ المُنْتَقِلُ مَعَهُ إِلَّا عِلْمَانِ فَقَطْ، العِلْمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالعِلْمُ بِمَوَاطِنِ الآخِرَةِ، حَتَّى لَا يُنْكِرَ التَّجَلِّيَاتِ الوَاقِعَةِ فِيهَا، وَلَا يَقُولَ لِلحَقِّ إِذَا تَجَلَّى لَهُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ.

فَيَنْبَغِي لَكَ يَا أَخِي الكَشْفُ عَنْ هَذَيْنِ العِلْمَيْنِ فِي هَذِهِ الدَّارِ[4]، لِتَجْنِيَ ثَمَرَاتِ[5] ذَلِكَ فِي تِلْكَ الدَّارِ، وَ لَا تَحْمِلْ مِنْ عُلُومِ هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا مَا تَمُسُّ الحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُصْطَلَحِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ طَرِيقُ الكَشْفِ عَنْ هَذَيْنِ العِلْمَيْنِ إِلَّا بِالخَلْوَةِ، وَالرِّيَاضَةِ وَالمُجَاهَدَةِ، وَالجَذْبِ الإِلَهِي، وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ الخَلْوَةَ وَشُرُوطَهَا، وَمَا يَتَجَلَّى لَكَ فِيهَا عَلَى التَّرْتِيبِ شَيْئاً فَشَيْئًا، لَكِنْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ مَنْ لَا غَوْصَ لَهُ فِي أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ مِمَّنْ دَأْبُهُمْ الجِدَالُ، حَتَّى أَنْكَرُوا كَمَا جَهِلُوا، وَقَيَّدَهُمْ التَّعَصُّبُ وَحُبُّ الظُّهُورِ وَالرِّيَاسَةِ وَأَكْلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ عَنِ الإِذْعَانِ لِأَهْلِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُمْ، انْتَهَى.

---

[1]- ل: العلوم

[2]- ل: كما أخذه منه

[3]- ل هـ: فمن

[4]- ل: (الدار) ساقطة

[5]- ل: ثمار

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحْيِّي الدِّينِ فِي الفُتُوحَاتِ وَغَيْرِهَا أَنَّ طَرِيقَ الوُصُولِ إِلَى عِلْمِ[1] القَوْمِ الإِيمَانُ وَالتَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (**وَلَو أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)[2]، أَيْ أَطْلَعْنَاهُمْ عَلَى العُلُومِ المُتَعَلِّقَاتِ[3] بِالعُلْوِيَاتِ وَالسُّفْلِيَاتِ، وَأَسْرَارِ الجَبَرُوتِ، وَأَنْوَارِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، قَالَ تَعَالَى[4] : (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ**)[5]. وَالرِّزْقُ نَوْعَانِ رُوحَانِيٌ وَجِسْمَانِي، وَقَالَ تَعَالَى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**)[6] أَيْ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ بِالوَسَائِطِ مِنَ العُلُومِ الإِلَهِيَةِ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ التَّعْلِيمَ إِلَى الإِسْمِ[7] اللَّهِ الَّذِي هُوَ[8] دَلِيلٌ عَلَى الذَّاتِ، وَجَامِعٌ لِلأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَلَا تَتَوَهَّمْ فِيمَا يُفَسِّرُونَ بِهِ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ أَنَّ ذَلِكَ إِحَالَةٌ لِلظَّاهِرِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَلَكِنْ لِظَاهِرِ الآيَةِ أَوِ الحَدِيثِ مَفْهُومٌ بِحَسَبِ النَّاسِ وَتَفَاوُتِهِمْ فِي الفَهْمِ، فَمِنَ المَفْهُومِ مَا جُلِبَ لَهُ الآيَةُ أَوِ الحَدِيثُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ فِي عُرْفِ اللِّسَانِ، وَثَمَّ أَفْهَامٌ أُخَرُ بَاطِنَةٌ تُفْهَمُ عِنْدَ الآيَةِ أَوِ الحَدِيثِ لِمَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ: إِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَحَدّاً[9] وَمُطَّلَعاً[10] إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ وَإِلَى سَبْعِينَ.

---

[1]- ل ي: علوم
[2]- سورة الأعراف، الآية 96
[3]- ل: المتعلقة
[4]- ي: قال الله تعالى
[5]- سورة الطلاق، الآية 2-3
[6]- سورة البقرة، الآية 282
[7]- ل: اسم
[8]- ك ص: (هو) ساقطة
[9]- أ ح ك ع هـ ق ص: وحد
[10]- أ ح ك ع هـ ق ص: ومطلع

فَالظَاهِرُ هُوَ المَعْقُولُ وَالمَنْقُولُ مِنَ العُلُومِ النَّافِعَةِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَالبَاطِنُ هُوَ المَعَارِفُ الإِلَهِيَّةُ، وَالمُطَّلَعُ هُوَ مَعْنًى يَتَّحِدُ فِيهِ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ، وَالحَدُّ يَكُونُ طَرِيقاً إِلَى الشُّهُودِ الكُلِّي الذَّاتِي، فَافْهَمْ يَا أَخِي، وَ لَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ تَلَقِّي هَذِهِ المَعَانِي الغَرِيبَةِ عَنْ فُهُومِ العُمُومِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الشَّرِيفَةِ قَوْلُ ذِي جَدَلٍ وَمُعَارَضَةٍ أَنَّ هَذَا إِحَالَةٌ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ذَلِكَ بِإِحَالَةٍ لَوْ قَالُوا: لَا مَعْنَى لِلآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَوِ الحَدِيثِ إِلَّا هَذَا الَّذِي قُلْنَا، وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، بَلْ يُقِرُّونَ الظَّوَاهِرَ عَلَى ظَوَاهِرِهَا[1]، مُرَاداً بِهَا مَوْضُوعَاتِهَا، وَيَفْهَمُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي نُفُوسِهِمْ مَا يُفَهِّمُهُمْ بِفَضْلِهِ وَيَفْتَحُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِرَحْمَتِهِ وَمِنَّتِهِ.

وَمَعْنَى الفَتْحِ فِي كَلَامِ هَؤُلاءِ القَوْمِ حَيْثُ أَطْلَقُوهُ كَشْفُ حِجَابِ النَّفْسِ أَوِ القَلْبِ أَوِ الرُّوحِ أَوِ السِّرِّ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الكِتَابِ العَزِيزِ وَالأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، إِذِ الوَلِيُّ لَا يَأْتِي قَطُّ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، وَإِنَّمَا يَأْتِي بِالفَهْمِ الجَدِيدِ فِي الكِتَابِ[2] وَالسُّنَّةِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَلِذَلِكَ يَسْتَغْرِبُهُ كُلَّ الإِسْتِغْرَابِ مَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ بِأَهْلِ الطَّرِيقِ، وَيَقُولُ[3] : هَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الذَّمِّ، وَكَانَ الأَوْلَى أَخْذُهُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الإِعْتِقَادِ وَاسْتِفَادَتِهِ مِنْ قَائِلِهِ، وَمَنْ كَانَ شَأْنُهُ الإِنْكَارُ لَا يَنْتَفِعُ بِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ عَصْرِهِ، وَكَفَى بِذَلِكَ خُسْرَاناً مُبِينَا.

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الطَّائِفَةَ الشَّرِيفَةَ بِالخَلْقِ، خُصُوصاً بِأَهْلِ الجِدَالِ، فَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ أَحَداً شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلتَّصْدِيقِ بِوَلِيٍّ مُعَيَّنٍ، بَلْ يَقُولُ لَكَ: نَعَمْ نَعْلَمُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَوْلِيَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مَوْجُودِينَ، وَلَكِنْ أَيْنَ هُمْ، فَلَا تَذْكُرُ لَهُ أَحَداً إِلَّا وَيَأْخُذُ يَدْفَعُهُ، وَيَرُدّ خُصُوصِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ، وَيُطْلِقُ اللِّسَانَ بِالإِحْتِجَاجِ عَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ وَلِيٍّ لِلَّهِ[4] تَعَالَى، وَغَابَ عَنْهُ أَنَّ الوَلِيَّ لا يَعْرِفُ صِفَاتِهُ إِلَّا

---

[1]- ل: ظاهرها

[2]- ك: الكتب

[3]- ي: (ويقول) ساقطة

[4]- ع: الله

الأَوْلِيَاءُ، فَمِنْ أَيْنَ لِغَيْرِ الوَلِيِّ نَفْيُ الوِلَايَةِ عَنْ إِنْسَانٍ، مَا ذَاكَ إِلَّا مَحْضُ تَعَصُّبٍ كَمَا نَرَى فِي زَمَنِنَا هَذَا مِنْ إِنْكَارِ ابْنِ تِيمِيَةَ عَلَيْنَا وَعَلَى إِخْوَانِنَا مِنَ العَارِفِينَ، فَاحْذَرْ يَا أَخِي مِمَّنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ، وَفِرَّ مِنْ مُجَالَسَتِهِ فِرَارَكَ مِنَ السَّبُعِ الضَّارِي، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ المُصَدِّقِينَ لِأَوْلِيَائِهِ، المُؤْمِنِينَ بِكَرَامَاتِهِمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ[1]. انْتَهَى.

وَقَالَ أَيْضاً وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الخَلْقَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِمْ وَفِي حَالِ نِهَايَتِهِمْ[2] كُلَّمَا مَالَتْ قُلُوبُهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ الدَّوْلَةُ وَالنُّصْرَةُ لَهُمْ آخِرَ الأَمْرِ إِذَا أَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى[3] كُلَّ الإِقْبَالِ انْتَهَى. قُلْتُ: وَذَلِكَ لِأَنَّ المُرِيدَ السَّالِكَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الخُلُوصُ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى[4]، مَعَ مَيْلِهِ إِلَى الخَلْقِ وَرُكُونِهِ إِلَى اعْتِقَادِهِمْ فِيهِ[5]، فَإِذَا آذَوْهُ[6] النَّاسُ وَنَقَّصُوهُ وَرَمَوْهُ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ نَفَرَتْ نَفْسُهُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَصِرْ عِنْدَهُ رُكُونٌ إِلَيْهِمُ البَتَّةَ، وَهُنَاكَ[7] يَصْفُوا لَهُ الوَقْتُ مَعَ رَبِّهِ، وَيَصِحُّ لَهُ الإِقْبَالُ عَلَيْهِ لِذَهَابِ الْتِفَاتِهِ إِلَى وَرَاءٍ، فَافْهَمْ.

ثُمَّ إِذَا رَجَعُوا بَعْدَ انْتِهَاءِ سَيْرِهِمْ إِلَى إِرْشَادِ الخَلْقِ، يَرْجِعُونَ وَعَلَيْهِمْ خِلْعَةُ الحِلْمِ وَالعَفْوِ وَالسِّتْرِ، فَتَحَمَّلُوا أَذَى الخَلْقِ، وَرَضُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ مَا يَصْدُرُ عَنْ عِبَادِهِ فِي حَقِّهِمْ، فَرَفَعَ بِذَلِكَ قَدْرَهُمْ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَكَمَّلَ بِذَلِكَ أَنْوَارَهُمْ، وَحَقَّقَ بِذَلِكَ مِيرَاثَهُمْ لِلرُّسُلِ فِي تَحَمُّلِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَذَى الخَلْقِ، وَظَهَرَ بِذَلِكَ تَفَاوُتُ مَرَاتِبِهِمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُبْتَلَى عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، قَالَ تَعَالَى: **(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا)**[8]. وَقَالَ تَعَالَى: **(وَلَقَدْ**

---

[1]- أ ك ع ل ي هـ ق ص م: (آمين) ساقطة

[2]- ل: بدايتهم

[3]- ل: (تعالى) ساقطة

[4]- ل: (تعالى) ساقطة

[5]- ل: (فيه) ساقطة

[6]- ل: آذاه

[7]- ح: وهنالك

[8]- سورة السجدة، الآية 24

كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا)[1] . وَذَلِكَ لِأَنَّ الكُمَّلَ لَا يَخْلُو أَحَدُهُمْ عَنْ هَذَيْنِ الشُّهُودَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَشْهَدَ الحَقَّ تَعَالَى بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مَعَ الحَقِّ لَا التِفَاتَ لَهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَشْهَدَ الخَلْقَ، فَيَجِدُهُمْ عَبِيداً لِلَّهِ تَعَالَى، فَيُكْرِمُهُمْ لِسَيِّدِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مُصْطَلِماً، فَلَا كَلامَ لَنَا مَعَهُ لِزَوَالِ تَكْلِيفِهِ حَالَ اصْطِلامِهِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ لا بُدَّ لِمَنِ اقْتَفَى آثَارَ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ وَالعُلَمَاءِ أَنْ يُوذُوا كَمَا أُوذُوا، وَيُقَالَ فِيهِمْ البُهْتَانُ وَالزُّورُ كَمَا قِيلَ فِيهِمْ، لِيَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا، وَيَتَخَلَّقُوا بِالرَّحْمَةِ عَلَى الخَلْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَكَانَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الخَوَّاصُ رَحِمَهُ اللَّهُ[2] يَقُولُ: لَوْ أَنَّ كَمَالَ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ مَوْقُوفاً عَلَى إِطْبَاقِ الخَلْقِ عَلَيْهِمْ عَلَى تَصْدِيقِهِمْ لَكَانَ الأَوْلَى بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، وَقَدْ صَدَّقَهُمْ قَوْمٌ وَهَدَاهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَحُرِمَ آخَرُونَ فَأَشْقَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَدْلِهِ، وَلَمَّا كَانَ الأَوْلِيَاءُ وَالعُلَمَاءُ عَلَى أَقْدَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي مَقَامِ التَّأَسِّي بِهِمْ انْقَسَمَ النَّاسُ فَرِيقَيْنِ[3]، فَرِيقٌ مُعْتَقِدٌ مُصَدِّقٌ، وَفَرِيقٌ مُنْتَقِدٌ مُكَذِّبٌ، كَمَا وَقَعَ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِيُحَقِّقَ اللَّهُ بِذَلِكَ مِيرَاثَهُمْ، فَلَا يُصَدِّقُهُمْ وَيَعْتَقِدُ صِحَّةَ عُلُومِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُلْحِقَهُ بِهِمْ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

وَأَمَّا المُكَذِّبُ لَهُمْ وَالمُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فَهُوَ مَطْرُودٌ عَنْ حَضْرَتِهِمْ، لَا يَزِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ إِلَّا بُعْدَا، وَإِنَّمَا كَانَ المُعْتَرِفُ لِلأَوْلِيَاءِ وَالعُلَمَاءِ بِتَخْصِيصِ[4] اللَّهِ لَهُمْ وَعِنَايَتِهِ بِهِمْ وَاصْطِفَائِهِ لَهُمْ قَلِيلاً فِي النَّاسِ لِغَلَبَةِ الجَهْلِ بِطَرِيقِهِمْ، وَاسْتِيلاءِ الغَفْلَةِ وَكَرَاهَةِ غَالِبِ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ شَرَفٌ بِمَنْزِلَةٍ أَوِ اخْتِصَاصٍ حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ نَطَقَ الكِتَابُ العَزِيزُ بِذَلِكَ فِي حَقِّ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: **(وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)**[5]. وَقَالَ

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 34

[2]- ح ك ع ص: رضي الله عنه

[3]- أ ح ك ي هـ ق ص: فريقان

[4]- ي ع: تخصيص

[5]- سورة هود، الآية 40

تَعَالَى: (**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**)[1]. وَقَالَ تَعَالَى: (**أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**)[2]. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَكَانَ مُحْيِّي الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَصْلُ مُنَازَعَةِ النَّاسِ فِي المَعَارِفِ الإِلَهِيَةِ وَالإِشَارَاتِ الرَّبَّانِيَةِ كَوْنُهَا خَارِجَةً عَنْ طَوْرِ العُقُولِ[3] وَمَجِيئُهَا بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ وَنَظَرٍ، وَمِنْ غَيْرِ طَرِيقِ العَقْلِ فَتَكُونَ خَافِيَةً[4] عَلَى النَّاسِ مِنْ حَيْثُ طَرِيقُهَا، فَأَنْكَرُوهَا وَجَهِلُوهَا، وَمَنْ أَنْكَرَ طَرِيقاً مِنَ الطُّرُقِ عَادَى أَهْلَهَا ضَرُورَةً لِاعْتِقَادِهِ فَسَادَهَا[5] وَفَسَادَ عَقَائِدِ أَهْلِهَا، وَغَابَ عَنْهُ أَنَّ الإِنْكَارَ مِنَ الجُحُودِ، وَالعَاقِلُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُغَيِّرَ مُنْكَرَ إِنْكَارِهِ، لِيَخْرُجَ عَنْ[6] طَوْرِ الجُحُودِ،

فَإِنَّ الأَوْلِيَاءَ وَالعُلَمَاءَ العَامِلِينَ قَدْ جَلَسُوا مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى حَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ وَالإِخْلَاصِ وَالوَفَاءِ بِالعُهُودِ، وَهِيَ[7] مُرَاقَبَةُ الأَنْفَاسِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى سَلَّمُوا[8] قِيَادَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَلْقَوْا نُفُوسَهُمْ سُلَّماً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَرَكُوا الإِنْتِصَارَ لِنُفُوسِهِمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ حَيَاءً مِنْ رُبُوبِيَةِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَاكْتِفَاءً بِقَيُومِيَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ لَهُمْ فِيمَا يَقُومُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بَلْ أَعْظَمُ، وَكَانَ تَعَالَى[9] هُوَ المُحَارِبُ عَنْهُمْ[10] لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَالغَالِبُ لِمَنْ غَالَبَهُمْ.

---

[1]- سورة الرعد، الآية 1

[2]- سورة الفرقان، الآية 44

[3]- ل: العقل

[4]- ك: (خافية) ساقطة

[5]- ل: إفسادها

[6]- ل: من

[7]- ل: وهو

[8]- ل ح: أسلموا

[9]- ل: وكان الله تعالى

[10]- ك هـ ق: عليهم

وَكَانَ سَيِّدِي أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا سَيُقَالُ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَ بِهِ العِلْمُ القَدِيمُ[1] بَدَأَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ، فَقَضَى عَلَى قَوْمٍ أَعْرَضَ عَنْهُمْ بِالشَّقَاءِ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ زَوْجَةً وَوَلَداً وَفَقْراً، وَجَعَلُوهُ مَغْلُولَ اليَدَيْنِ، فَإِذَا ضَاقَ ذَرْعُ الوَلِيِّ وَالصِّدِّيقِ لِأَجْلِ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ وَزَنْدَقَةٍ وَسِحْرٍ وَجُنُونٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الحَقِّ فِي سِرِّهِ: الَّذِي قِيلَ فِيكَ[2] هُوَ وَصْفُكَ الأَصْلِي لَوْلَا فَضْلِي عَلَيْكَ، أَمَا تَرَى إِخْوَانَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ كَيْفَ وَقَعُوا فِي جَنَابِي وَنَسَبُوا إِلَيَّ مَا لَا يَنْبَغِي لِي، فَإِنْ لَمْ يَنْشَرِحْ لِمَا قِيلَ فِيهِ بَل انْقَبَضَ، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الحَقِّ أَيْضاً: أَمَا لَكَ بِي أُسْوَةٌ فَقَدْ قِيلَ فِي مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِي، وَقِيلَ فِي حَبِيبِي مُحَمَّدٍ وَفِي إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَا لَا يَلِيقُ بِمَرْتَبَتِهِمْ مِنَ السِّحْرِ وَالجُنُونِ، وَأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِدُعَائِهِمْ إِلَّا إِلَى[3] الرِّيَاسَةِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَيْهِمْ.

وَانْظُرْ يَا أَخِي مُدَاوَاةَ الحَقِّ جَلَّ وَعَلَا[4] لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ ضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ قَوْلِ الكُفَّارِ مِنْ قَوْلِهِ[5] تَعَالَى: **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَاتِيَكَ اليَقِينُ)**[6]. فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الوَلِيُّ الإِقْتِدَاءُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، إِذْ هُوَ طِبٌّ[7] إِلَهِيٌ وَدَوَاءٌ رَبَّانِيٌ، وَهُوَ مُزِيلٌ لِضَيْقِ الصَّدْرِ الحَاصِلِ مِنْ أَقْوَالِ الأَغْيَارِ، وَأَهْلِ الإِنْكَارِ وَالإِغْتِرَارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ هُوَ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى[8] عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ تَعَالَى بِالأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ، وَنَفْيُ النَّقَائِصِ عَنِ الجَنَابِ الإِلَهِي كَالتَّشْبِيهِ وَالتَّحْدِيدِ، وَأَمَّا التَّحْمِيدُ فَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِمَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ، وَهُمَا مُزِيلَانِ لِمَرَضِ ضَيْقِ الصَّدْرِ

---

[1]- ل: العلم الشريف القديم

[2]- ي: فيه

[3]- ل: (إلى) ساقطة

[4]- ل: عز وجل

[5]- ك ع ي هـ ق ص: بقوله

[6]- سورة الحجر، الآية 99

[7]- ل: لطف

[8]- ل: (تعالى) ساقطة

الحَاصِلِ مِنْ قَوْلِ المُنْكِرِينَ وَالمُسْتَهْزِئِينَ، وَأمَّا السُّجُودُ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ طَهَارَةِ العَبْدِ مِنْ طَلَبِ العُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، لِأَنَّ السَّاجِدَ قَدْ فَنِيَ عَنْ صِفَةِ العُلُوِّ حَالَ سُجُودِهِ. وَلِذَلِكَ شُرِعَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ فِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ.

وَأَمَّا العُبُودِيَّةُ المُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ[1]﴾[2]. فَالمُرَادُ بِهَا إِظْهَارُ النِّيَّةِ وَالتَّبَاعُدُ عَنْ طَلَبِ العِزِّ، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى فَنَاءِ العَبْدِ ذَاتاً وَصِفَةً، وَذَلِكَ مُوجِبٌ لِخِلَعِ القُرْبِ وَالإِصْطِفَاءِ وَالعِزِّ وَالدُّنُوِّ المُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[3]. وَكَانَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ كَثِيراً لِلْشَبْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تُفْشِ سِرَّ اللَّهِ بَيْنَ المَحْجُوبِينَ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِفَقِيرٍ قِرَاءَةُ كُتُبِ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ[4] إِلَّا بَيْنَ المُصَدِّقِينَ لِأَهْلِ الطَّرِيقِ وَالمُسَلِّمِينَ لَهُمْ، وَإِلَّا يُخَافُ حُصُولُ المَقْتِ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ، وَكَانَ يَقُولُ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَقِّ المَحْجُوبِينَ مِنْ أَهْلِ الإِنْكَارِ: إِذَا أَلِفَ القَلْبُ الإِعْرَاضَ عَنِ اللَّهِ صَحِبَتْهُ الوَقِيعَةُ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. اهـ..

قُلْتُ: وَمِنْ هُنَا أَخْفَى الكَامِلُونَ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ الكَلَامَ فِي مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ الخَاصِّ شَفَقَةً عَلَى عَامَّةِ المُسْلِمِينَ، وَرِفْقاً بِالمُجَادِلِ مِنَ المَحْجُوبِينَ، وَأَدَباً مَعَ أَصْحَابِ ذَلِكَ الكَلامِ مِنْ أَكَابِرِ العَارِفِينَ، فَكَانَ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَتَكَلَّمُ قَطُّ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ إِلَّا فِي قَعْرِ بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ يُغْلِقَ أَبْوَابَ دَارِهِ، وَيَأْخُذَ مَفَاتِيحَهَا تَحْتَ وَرِكِهِ، وَيَقُولُ: أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ النَّاسُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاصَّتَهُ، وَيَرْمُونَهُمْ بِالزَّنْدَقَةِ وَالكُفْرِ. انْتَهَى.

وَمِنَ الأَوْلِيَاءِ مَنْ سَدَّ بَابَ الكَلَامِ فِي دَقَائِقِ كَلَامِ[5] القَوْمِ حَتَّى مَاتَ، وَأَحَالَ ذَلِكَ عَلَى السُّلُوكِ، وَقَالَ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُمْ اطَّلَعَ عَلَى مَا اطَّلَعُوا عَلَيْهِ، وَذَاقَ كَمَا ذَاقُوا، وَاسْتَغْنَى عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ النَّاسِ، وَقَدْ طَلَبَ أَصْحَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ القُرَشِيِّ مِنْهُ أَنْ يُسْمِعَهُمْ شَيْئاً مِنْ

---

[1]- ل: واعبد ربك حتى ياتيك اليقين

[2]- سورة الحجر، الآية 99

[3]- سورة العلق، الآية 19

[4]- ل ص ق: الخاص

[5]- ل: (كلام) ساقطة

عِلْمِ الحَقَائِقِ، فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ أَصْحَابِي اليَوْمَ؟ فَقَالُوا: سِتُّمِائَةِ رَجُلٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ: اخْتَارُوا لَكُمْ[1] مِنْهَا مِائَةً، فَاخْتَارُوا فَقَالَ: اخْتَارُوا مِنَ المِائَةِ عِشْرِينَ، فَاخْتَارُوا، فَقَالَ: اخْتَارُوا مِنَ العِشْرِينَ أَرْبَعَةً، فَاخْتَارُوا، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةُ أَصْحَابَ كُشُوفَاتٍ وَمَعَارِفٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَوْ تَكَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ[2] فِي عِلْمِ الحَقَائِقِ وَالأَسْرَارِ لَكَانَ أَوَّلَ مَنْ يُفْتِي بِقَتْلِي هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةُ. انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ لِلشَّعْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِهَذِهِ المُقَدِّمَةِ هُنَا لِمَا فِيهَا مِنْ حُصُولِ الفَائِدَةِ، وَمَنْفَعَتُهَا عَلَى مُطَالِعِيهَا عَائِدَةٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعاً بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ وَرِضَى نَبِيِّهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، بِعِبَادِهِ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَلْنَخْتِمْ هَذِهِ المُقَدِّمَةُ بِقَاعِدَةٍ فِي عِلْمِ الحَقَائِقِ، فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ جِدّاً لِكُلِّ مَنْ تَمَسَّكَ بِعُلُومِ الحَقَائِقِ، فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَالهَادِي بِمَنِّهِ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ:

اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ مِنْ قَوَاعِدَ يُضْبَطُ بِهَا، فَيُفْزَعُ فِي مُشْكِلاتِ أَحْكَامِ كُلِّ فَنٍّ وَشَوَارِدِهِ وَغَرَائِبِهِ وَنَوَادِرِهِ إِلَى قَوَاعِدِهِ، فَكَمَا لِلْفِقْهِ قَوَاعِدُ، وَلِلإِعْرَابِ قَوَاعِدُ، تَنْبَنِي عَلَيْهَا أَحْكَامُهَا، وَيُرْجَعُ إِلَيْهَا فِي ضَبْطِ قَوَانِينِ كُلٍّ مِنْهُمَا، كَذَلِكَ لِأَهْلِ الكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ وَعِلْمِ الأَذْوَاقِ ضَوَابِطُ وَقَوَاعِدُ يَنْبَنِي عَلَيْهَا صَحِيحُ أَمْرِهِمْ، وَيُعْرَفُ بِهَا فَاسِدُهُ مِنْ صَحِيحِهِ، وَيُرْجَعُ إِلَيْهَا عِنْدَ وُرُودِ المُشْكِلَاتِ وَالشَّوَارِدِ وَالنَّوَاذِرِ، لِضَبْطِ أَحْكَامِهِ وَمَقَاصِدِهِ، وَهَا أَنَا أُوطِئُ لَكَ صَدْرَ هَذَا الكِتَابِ قَاعِدَةً جَامِعَةً لِأُصُولِ التَّحْقِيقِ، نَافِيَةً عَنْ مُرَاجِعِهَا كُلَّ إِشْكَالٍ وَتَوَهُّمٍ وَخَيَالٍ فَاسِدٍ، وَتَكُونَ لِمَا يَأْتِي أَسَاساً وَمِهَاداً وَأَصْلاً[3]، فِي مَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ هَذَا الفَنِّ فِي هَذَا الكِتَابِ وَغَيْرِهِ وَعِمَاداً، فَأَقُولُ وَبِهِ[4] أَسْتَعِينُ:

---

[1]- ل: (لكم) ساقطة

[2]- ل: معكم

[3]- ح: أساسا وأصلا ومهادا

[4]- ح: وبالله

قَاعِدَةٌ

اعْلَمْ أَنَّ القَاعِدَةَ عِنْدَ أَئِمَّةِ عُلَمَاءِ الكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ أَنَّ مَعْقُولِيَةَ النِّسَبِ لَا تَتَبَدَّلُ، وَأَنَّ الحَقَائِقَ لَا تَنْقَلِبُ، فَإِذَا كَانَ النَّعْتُ وَالوَصْفُ ذَاتِياً فَلَا يَنْقَلِبُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الوَاجِبَ لِذَاتِهِ لَا يَنْقَلِبُ جَائِزاً، وَالجَائِزُ لَا يَنْقَلِبُ وَاجِباً، وَالمُسْتَحِيلُ لَا جَائِزاً وَلَا وَاجِباً، وَذَلِكَ كَالوُجُودِ مَثَلاً، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ ذَاتِياً لِلحَقِّ تَعَالَى وَجَبَ وُجُودُهُ، فَقِيلَ فِيهِ مَوْجُودٌ وَوَاجِبُ وُجُودُهُ، لِأَنَّ وُجُودَهُ بِذَاتِهِ لِذَاتِهِ، فَهُوَ لَهُ ذَاتِيٌ، فَكَانَ وَاجِباً.

وَلَمَّا كَانَ العَدَمُ لِلْمُمْكِنَاتِ ذَاتِياً لَمْ يَنْقَلِبْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ الوَصْفِ الَّذِي هُوَ العَدَمُ، فَالعَدَمُ لَهَا ذَاتِيٌ، وَالوُجُودُ عَرَضٌ لَهَا فِي حِيطَةِ الجَوَازِ، يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَى المُمْكِنِ وَعَدَمُ طُرُوِّهِ، وَكَذَلِكَ البُطُونُ لَمَّا كَانَ لِذَاتِ الحَقِّ ذَاتِياً[1] لَمْ يَنْقَلِبْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِلَى البُطُونِ الذَّاتِي لِذَاتِ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالى فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً.

وَتَسْمِيَتُهُ تَعَالَى بِالإِسْمِ البَاطِنِ، فَمُقْتَضَى حَقِيقَةُ هَذِهِ النِّسْبَةِ الَّتِي هِيَ البُطُونُ وَالخَفَا[2] وَالغَيْبُ المُطْلَقُ الذَّاتِي أَنْ لَا يَقَعَ فِيهَا تَجَلٍّ أَبَداً، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، إِذْ التَّجَلِّي عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ الحَقِّ تَعَالَى[3] بِأَيِّ تَجَلٍّ كَانَ، وَغَايَةُ عِلْمِ العُلَمَاءِ بِاللَّهِ أَنْ يَعْلَمُوا مَا ظَهَرَ لِلْعِلْمِ وَأَدْرَكَهُ، وَمَا ظَهَرَ لِلْعِلْمِ وَأَدْرَكَهُ فِي أَيِّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الإِدْرَاكِ خَارِجٌ[4] عَنْ حَقِيقَةِ مُقْتَضَى نِسْبَةِ البُطُونِ، وَإِنَّ غَايَةَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ العِلْمُ وَيُدْرِكُهُ حُصُولُ العِلْمِ بِوُجُودِ البَارِي جَلَّ وَعَلَا، فَيَحْصُلُ لِلعَالِمِ العِلْمُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَوَاجِبُ وُجُودُهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا الإِدْرَاكُ بِذَاتِهِ، كَيْفَ وَعِلْمُ الحَادِثِ حَادِثٌ، فَغَايَةُ عِلْمِ العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ البَارِي جَلَّ وَعَلَا مَوْجُودٌ

---

[1]- ل: كان للحق ذاتيا

[2]- ح: والخَفَاء

[3]- ح: (تعالى) ساقطة

[4]- ع ي ك ح هـ ق ص م: فخارج

وَوَاجِبٌ وُجُودُهُ، وَوُجُودُهُ لَهُ ذَاتِيٌّ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)**[1].

وَأَيْضاً فَالعَالِمُ بِاللَّهِ إِنَّمَا أَدْرَكَ عِلْمَهُ بِوَاسِطَةِ العِلْمِ، وَعِلْمُهُ قَائِمٌ بِهِ، فَمَا أَدْرَكَ إِذاً إِلَّا العِلْمَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِدْرَاكِ العِلْمِ إِدْرَاكُ المَعْلُومِ، كَيْفَ وَكُلُّ مَا دَخَلَ تَحْتَ الحَصْرِ فَهُوَ مُبْتَدَعٌ مَخْلُوقٌ، وَمِنَ الشَّائِعِ المَشْهُورِ المُجْمَعِ عَلَيْهِ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ قَاطِبَةً أَنَّ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتَ تَابِعَةٌ لِلمَوْصُوفِ المَنْعُوتِ بِهَا، وَأَنَّ إِضَافَةَ كُلِّ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفِهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِحَسَبِ المَوْصُوفِ، وَبِحَسَبِ قَبُولِ ذَاتِهِ إِضَافَةَ تِلْكَ الصِّفَةِ إِلَيْهَا، وَلَمَّا كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2] يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُدْرَكَ كُنْهُ حَقِيقَتِهِ، كَانَ إِضَافَةُ مَا تَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ مِنَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ لَا تَكُونُ عَلَى نَحْوِ نِسْبَتِهَا إِلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّ مَا سِوَاهُ مُمْكِنٌ، (وَكُلُّ مُمْكِنٍ)[3] فَمُنْسَحِبٌ[4] عَلَيْهِ حُكْمُ الإِمْكَانِ وَلَوَازِمُهِ كَالإِفْتِقَارِ وَالقَيْدِ وَالنَّقْصِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حَيْثُ حَقِيقَتُهُ مُغَايِرٌ لِكُلِّ المُمْكِنَاتِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَإِضَافَةُ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ إِلَيْهِ[5] إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ، وَيَتَعَالَى جَلَّ وَعَلَا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَإِضَافَةُ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ إِلَى المُمْكِنِ بِحَسْبِهِ، وَعَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ وَيَلِيقُ[6] بِهِ، كَالعِلْمِ مَثَلاً، إِنْ وُصِفَ بِهِ القَدِيمُ كَانَ قَدِيماً، وَإِنْ وُصِفَ بِهِ الحَادِثُ كَانَ حَادِثاً، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ المُشْتَرَكَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ حُكْمَ هَذِهِ القَاعِدَةِ النَّفِيسَةِ الَّتِي هِيَ قُطْبُ رَحَا عُلُومِ أَهْلِ اللَّهِ وَالعُلَمَاءِ بِهِ المُحَقِّقِينَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، وَتَحَقَّقْتَ مَعْنَاهَا **فَاعْلَمْ** أَنَّ مِنْ تَمَامِ القَاعِدَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَلِنَفْسِ الإِنْسَانِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، لِأَنَّهَا مِنْ

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 91

[2]- ل: (وتعالى) ساقطة

[3]- ل : ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: لأنه منسحب عليه

[5]- ل: فإضافة النعوث إليه والصفات إنما

[6]- ل: (ويليق) ساقطة

جُمْلَةِ الأَشْيَاءِ، فَقَدْ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ مَا يُدْرِكُ مِنْ مُدْرِكَاتِهِ بِظَاهِرِ نَفْسِهِ المُعَبَّرِ عَنْهَا بِالخَيَالِ وَالمِثَالِ وَالحَوَاسِ[1]، وَلَا يُدْرِكُ بِبَاطِنِهَا شَيْئاً، وَقَدْ يُدْرِكُ مَا يُدْرِكُ مِنْ مُدْرِكَاتِهِ بِبَاطِنِ نَفْسِهِ، فَيُبَاشِرُ العِلْمُ بَاطِنَ النَّفْسِ، وَذَلِكَ العِلْمُ المُبَاشِرُ لِبَاطِنِ النَّفْسِ يَخْتَصُّ بِعِلْمِ المَعَارِفِ الحَقَّانِيَةِ، وَسِرِّ المَعْرِفَةِ وَسِرِّ التَّوْحِيدِ.

فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا، وَعَلِمْتَ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ، وَأَنَّ البُطُونَ لَهُ ذَاتِيٌ كَمَا عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ صَدْرِ القَاعِدَةِ، **فَاعْلَمْ** أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُدْرِكُ بِبَاطِنِ نَفْسِهِ وَظَاهِرِهَا شَيْئاً إِلَّا مِمَّا هُوَ مِنْ أَحْكَامِ تَجَلِّيَاتِ اسْمِهِ الظَّاهِرِ، فَإِذَا تَجَلَّى الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ لِظَاهِرِ نَفْسِ مَنْ تَجَلَّى لَهُ أَدْرَكَ عِلْماً ظَاهِراً مِنَ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ العِلْمِ الَّذِي هُوَ بِصَدَدِهِ، وَلَمْ يَزْهَدْ فِي شَيْءٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ، فَحَصَّلَ مَا حَصَّلَ مِنَ العُلُومِ، وَحُبِّ[2] خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لِانْجِلَاءِ ظَاهِرِ النَّفْسِ بِمَا وَصَلَ إِلَى ظَاهِرِهَا مِنَ التَّجَلِّي، وَلَمْ يَزْهَدْ فِي شَيْءٍ لِعَدَمِ وُصُولِ التَّجَلِّي إِلَى بَاطِنِ نَفْسِهِ وَامْتِلَائِهِ بِهِ.

وَإِنْ تَجَلَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ[3] لِبَاطِنِ نَفْسِ مَنْ تَجَلَّى لَهُ حَصَلَ[4] الإِدْرَاكُ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ، فَيَكُونُ إِدْرَاكُ صَاحِبِ هَذَا المَقَامِ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ، لَا بِالفِكْرِ وَالنَّظَرِ، فَيُدْرِكُ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ عَالَمَ الحَقَائِقِ وَعَالَمَ المَعَانِي، فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ فِيمَا يُدْرِكُهُ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ إِشْكَالٌ وَلَا احْتِمَالٌ، وَيَسْتَرِيحُ مِنْ تَعَبِ الفِكْرِ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ عِنْدَ وُصُولِ هَذَا التَّجَلِّي إِلَى بَاطِنِهِ بِالعُلُومِ الإِلَهِيَةِ وَعُلُومِ الأَسْرَارِ وَعُلُومِ البَاطِنِ[5]، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالآخِرَةِ، وَمَعْرِفَةِ أَحَدِيَّةِ الوُجُودِ، وَنَفْيِهِ عَمَّا سِوَى الحَقِّ، وَيَظْهَرُ لَهُ سِرُّ التَّوْحِيدِ وَسِرُّ المَعْرِفَةِ، وَيَزْهَدُ فِي جَمِيعِ مَا سِوَى الحَقِّ[6] سُبْحَانَهُ، وَيَضِيقُ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِسِوَى الحَقِّ مُتَّسَعٌ لِامْتِلَاءِ بَاطِنِ نَفْسِهِ بِمَا

1- ل: بالمثال والخيال والحواس

2- ك ق ص: وأحبّ

3- ح هـ ل ك ي ع م: الباطن

4- هـ ل: حصل له الإدراك

5- ل: والعلوم الباطنة

6- ل: ويزهد فيما سوى الحق

وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ التَّجَلِّي، فَتَنْكَشِفُ[1] لِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ، فَيُدْرِكُ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ رُتْبَةَ الحَقِّ مِنْ رُتْبَةِ غَيْرِهِ، فَلَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الحَقِّ فِي قَلْبِهِ قَدْرٌ لَمَّا أَدْرَكَ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ مَا أَدْرَكَ مِنْ حَقِيقَةِ رُتْبَتِهِ.

فَمِنْ تَمَامِ فَائِدَةِ القَاعِدَةِ التَّنْبِيهُ عَلَى ضَابِطٍ فِي مَعْرِفَةِ الرُّتَبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ القَاعِدَةَ عِنْدَ أَئِمَّةِ عُلَمَاءِ التَّحْقِيقِ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَهُ ذَاتٌ وَمَرْتَبَةٌ، وَلِمَرْتَبَتِهِ أَحْكَامٌ تَظْهَرُ[2] فِي وُجُودِهِ المُتَعَيِّنِ لِحَقِيقَتِهِ الثَّابِتَةِ، فَسَمَّى[3] آثَارَ تِلْكَ الأَحْكَامِ فِي ذَاتِ صَاحِبِهَا[4] أَحْوَالاً، وَالمَرْتَبَةُ عِبَارَةٌ عَنْ حَقِيقَةِ كُلِّ شَيْءٍ لَا مِنْ حَيْثُ تَجَرُّدُهَا[5]، بَلْ مِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَةُ نِسْبَتِهَا الجَامِعَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الوُجُودِ المُظْهِرِ لَهَا وَالحَقَائِقِ التَّابِعَةِ لَهَا، لِأَنَّ بَعْضَ الحَقَائِقِ تَابِعٌ لِلْبَعْضِ، وَالتَّابِعَةُ أَحْوَالٌ لِلْمَتْبُوعَةِ وَصِفَاتٌ وَلَوَازِمُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المَوْجُودَاتِ لَيْسَتْ بِأَمْرٍ زَائِدٍ عَلَى حَقَائِقَ مُخْتَلِفَةٍ ظَهَرَتْ بِوُجُودٍ وَاحِدٍ تَعَيَّنَ وَتَعَدَّدَ فِي مَرَاتِبِهَا وَبِحَسَبِهَا، لَا أَنَّهُ إِذَا اعْتُبِرَ مُجَرَّداً عَنِ الإِقْتِرَانِ بِهَذِهِ الحَقَائِقِ يَتَعَدَّدُ فِي نَفْسِهِ.

وَلِلْحَقِ تَعَالَى ذَاتٌ وَمَرْتَبَةٌ، وَمَرْتَبَتُهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْقُولِيَةِ نِسْبَةِ كَوْنِهِ إِلَهاً، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ مُسَمَّاةٌ بِالأُلُوهِيَةِ، وَلِلحَقِّ مِنْ حَيْثُ هِيَ آثَارٌ فِي المَأْلُوهِينَ، وَصِفَاتٌ لَازِمَةٌ تُسَمَّى أَحْكَامَ الأُلُوهِيَةِ، وَذَاتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حَيْثُ تَجَرُّدُهَا عَنْ جَمِيعِ الإِعْتِبَارَاتِ المُقَيِّدَةِ، وَعَدَمُ تَعَلُّقِهَا بِشَيْءٍ وَتَعَلُّقِ شَيْءٍ بِهَا لِعَدَمِ المُنَاسَبَةِ لَا كَلَامَ فِيهَا، وَمِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَةُ نِسْبَةِ تَعَلُّقِهَا بِالخَلْقِ وَتَعَلُّقِهِمْ بِهَا، وَبِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ كَوْنِهِمْ مَجَالِيهِ وَمَظَاهِرَهُ تَنْضَافُ إِلَيْهَا أَحْوَالٌ كَالرِّضَا وَالغَضَبِ وَالإِجَابَةِ وَالفَرَحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالشُّؤُونِ،

---

[1]- أ ك ح ل هـ ق ص: فينكشف

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: يظهر

[3]- ل: وتسمى

[4]- ل: صاحبها الحادث أحوالا

[5]- ل: التجرد

وَيَنْضَافُ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ آثَارُ مَرْتَبَتِهَا الَّتِي هِيَ الأُلُوهِيَةُ فِي كُلِّ مُؤَثِّرٍ فِيهِ صِفَاتٌ[1] تُسَمَّى[2] أَحْكَامَ المَرْتَبَةِ كَالقَبْضِ وَالبَسْطِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَالقَهْرِ، فَلَمْ يَصِحَّ اسْتِنَادُ العَالَمِ إِلَى الحَقِّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ بَلْ مِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَةُ نِسْبَةِ كَوْنِهِ إِلَهاً.

وَتَعَقُّلُ كَوْنِ الحَقِّ إِلَهاً اعْتِبَارٌ زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ، وَتعَقُّلُ العَالَمِ بِالحَقِّ إِنَّمَا يَصِحُّ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ، لِأَنَّ مَرْجِعَ سَائِرِ الأَسْمَاءِ وَالمَرَاتِبِ وَالنِّسَبِ إِلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ، وَلِأَنَّهَا أَصْلُ كُلِّ حُكْمٍ[3] وَإِسْمٍ وَوَصْفٍ وَنَعْتٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَنِدُ[4] إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُضَافُ إِلَيْهِ.

وَلِلإِنْسَانِ[5] ذَاتٌ وَمَرْتَبَةٌ، فَذَاتُ الإِنْسَانِ حَقِيقَتُهُ الَّتِي هِيَ عَيْنُهُ الثَّابِتَةُ فِي حَضْرَةِ عِلْمِ رَبِّهِ، وَالَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَةِ مَعْلُومِيَتِهِ لِلحَقِّ، وَتَمَيُّزِهِ فِي عِلْمِ رَبِّهِ أَزَلاً عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى رُتْبَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَكَوْنُ رَبِّهِ عَلِمَهُ مُمْكِناً، وَعَلِمَ مَا قَدْ قَضَى لَهُ بِهِ[6] وَحَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَحْوَالُ هَذِهِ الحَقِيقَةِ الإِنْسَانِيَةِ هِيَ مَا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الإِنْسَانُ وَيَنْضَافُ إِلَيْهِ وَيُوصَفُ بِهِ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ وَالنَشَئَاتِ وَالتَّطَوُّرَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى وُجُودِهِ المُسْتَفَادِ مِنَ الحَقِّ لِمَا تَقَرَّرَ مِنْ كَوْنِ العَدَمِ لِلْمُمْكِنِ ذَاتِياً، وَأَنَّ الوُجُودَ لَهُ عَرَضٌ[7] طَارٍ، يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ، إِنْ خَصَّصَهُ بِطُرُوِّ الوُجُودِ وُجِدَ، وَإِنْ خَصَّصَهُ بِالعَدَمِ وَسَلْبِ الوُجُودِ عَنْهُ عُدِمَ.

وَمَرْتَبَتُهُ، أَيْ وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَانِ عِبَارَةٌ عَنْ عُبُودِيَتِهِ وَمَأْلُوهِيَتِهِ، وَأَحْكَامُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ هِيَ الأُمُورُ وَالصِّفَاتُ المُنْضَافَةُ إِلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِ عَبْداً مُمْكِناً وَمَأْلُوهاً، وَمِنْ كَوْنِهِ أَيْضاً مِرْآةً وَ مَجْلَى، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ نَفِيسَةٌ، عَظِيمَةُ القَدْرِ، جَدِيرَةٌ بِأَنْ تَكُونَ عُمْدَةً، يُرْجَعُ إِلَيْهَا فِي فُتْيَا عِلْمِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ لَوْ كَانَ لِذَلِكَ فُتْيَا، وَمِيزَاناً يُعْرَفُ بِهِ قَانُونُ الحَقِّ فِي كُلِّ رُتْبَةٍ حَقِّيَّةٍ أَوْ خَلْقِيَّةٍ، وَأَنْ

---

[1] - ك ص ق: (صفات) ساقطة

[2] - ل: (تسمى) ساقطة

[3] - ل: جسم

[4] - ل هـ: يسند

[5] - ل: والإنسان له

[6] - ع ي ل ك هـ ق ص: قضى به له

[7] - ل: عارض

يَعْتَرِفَ المُحَقِّقُونَ بِعُلُوِّ دَرَجَتِهَا لِنَفَاسَتِهَا وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهَا، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ القَوَاعِدِ وَالضَّوَابِطِ العَظِيمَةِ النَّفْعِ فِي حَلِّ المُشْكِلَاتِ المُعْضِلَاتِ وَالإِلْبَاسَاتِ إِذَا رَاجَعَهَا الطَّالِبُ لِذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَبِهِ الإِعَانَةُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

البَابُ الأَوَّلُ

فِي التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِمَوْلِدِهِ وَأَبَوَيْهِ. وَنَسَبِهِ (وَعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ إِلَيْهِ)[1] وَنَشْأَتِهِ وَبِدَايَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَأَخْذِ طَرِيقِ رُشْدِهِ وَهِدَايَتِهِ. وَفِيهِ ثَلَاثُ[2] فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوَّلُ فِي التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِمَوْلِدِهِ وَأَبَوَيْهِ وَنَسَبِهِ (وَعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ إِلَيْهِ)[3]

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ، وَالأَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ، وَمِمَّنْ جَمَعَ شَرَفَ الجُرْثُومَةِ وَالدِّينِ، وَشَرَفَ العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالأَحْوَالِ الرَّبَّانِيَةِ الشَّرِيفَةِ، وَالمَقَامَاتِ العَلِيَّةِ المُنِيفَةِ. (وَالهِمَّةِ العَالِيَةِ السَّمَاوِيَةِ، وَالأَخْلَاقِ الزَّكِيةِ الرَّحْمَانِيَةِ، وَالطَّرِيقَةِ السُّنِّيَةِ السَّنِيَةِ، وَالعِلْمِ اللَّدُنِّي، وَالسِّرِّ الرَّبَانِي[4]، النَّافِذِ التَّامِ، وَالخَوَارِقِ العِظَامِ، وَالكَرَامَاتِ الجِسَامِ، القُطْبُ الجَامِعُ، وَالغَوْثُ النَّافِعُ، الوَارِثُ الرَّحْمَانِي، وَالإِمَامُ الرَّبَانِي،

---

[1]- ل ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ك ل هـ: ثلاثة

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: الإلهي

مَنْ أَقَامَهُ اللَّهُ فِي وَقْتِهِ رَحْمَةً فِي العِبَادِ[1]، وَبَرَكَةً وَنُوراً فِي البِلادِ[2]. مَوْقِعُ نَظَرِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَخِزَانَةُ سِرِّهِ، وَمَظْهَرُ نُفُوذِ تَصْرِيفِهِ، وَمَنْبَعُ مَدَدِهِ[3]، فَيَّاضُ المَدَدِ وَالإِمْدَادِ، كَثِيرُ النَّفْعِ لِلْعِبَادِ، عِنْدَهُ الكِيمِيَاءُ الخَاصَّةُ الَّتِي تَقْلِبُ الأَعْيَانَ، وَتُحِيلُ نُحَاسَ النُّفُوسِ إِبْرِيزَا فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ، فَيَصِيرُ ظَلامُهَا نُوراً، وَحُزْنُهَا سُرُوراً، وَتُمِيطُ خُبْثَ شَهَوَاتِهَا، وَتُلَطِّفُ كَثَافَتَهَا[4]، وَتَرْفَعُ الهِمَمَ، وَتَجْمَعُ الهَمَمَ[5]، فَانْتَفَعَ بِهِ جُلُّ العِبَادِ، فِي أَقْطَارِ البِلادِ، بِمَدَدِهِ الرَّبَانِي، وَسِرِّ وِرْدِهِ الشَّرِيفِ المُحَمَّدِيِّ الصَمَدَانِي، مِنْ غَيْرِ مُجَاهَدَةٍ وَلا تَعَبٍ، بِمَحْضِ فَيْضِهِ وَفَضْلِهِ الرَّحْمَانِي، القُدْوَةُ الهُمَامُ، مِصْبَاحُ الزَّمَانِ، وَعَيْنُ الأَعْيَانِ، العَارِفُ الكَامِلُ، المُحَقِّقُ الوَاصِلُ، العَالِمُ بِاللَّهِ، النَّاصِرُ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ذُو السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالأَخْلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ، بَحْرُ التَّوْحِيدِ، وَمَعْدِنُ التَّفْرِيدِ، الوَارِثُ الجَامِعُ، المُرَبِّي النَّافِعُ، الدَّالُّ على اللَّهِ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ، الدَّاعِي إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ بِخِلَالِهِ وَفِعَالِهِ، صَدْرُ الصُّدُورِ، الفَيَّاضُ النُّورِ، الآيَاتُ الظَّاهِرَةُ، وَالكَرَامَاتُ البَاهِرَةُ)[6]. الحُجَّةُ الأَعْمَدُ. شِهَابُ الدِّينِ[7]. سَيِّدُنَا أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ.

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ 1150 هـ بِقَرْيَةِ عَيْنِ مَاضِي، وَنَشَأَ بِهَا فِي عَفَافٍ وَأَمَانَةٍ، وَحِفْظٍ وَصِيَانَةٍ، (وَتُقًى[8] وَدِيَانَةٍ، مَحْفُوظاً بِحِفْظِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، مَحْرُوساً بِالعِنَايَةِ، مَحْفُوفاً بِالرِّعَايَةِ، كَرِيمَ الأَخْلاقِ وَالخِلالِ، طَيِّبَ النَّفْسِ وَالفِعَالِ، كَثِيرَ الحَيَاءِ وَالأَدَبِ، جَمِيلَ المُرَاقَبَةِ وَالطَّلَبِ، مُقْبِلاً عَلَى الجِدِّ وَالإِجْتِهَادِ، مَائِلاً إِلَى الرُّشْدِ وَالإِنْفِرَادِ،

---

[1]- ك ي: للعباد

[2]- ل: في جميع البلاد

[3]- ل: ومنبع مدده الذي لا سبيل إلى تكييفه

[4]- ل: وتلطف غلظ كثافتها

[5]- ل: وتكفي الأهم

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ح: (شهاب الدين) ساقطة - ل: الحجة المعتمد.

[8]- ل: وتقوى

مُتَطَلِّباً لِلدِّينِ، وَسنَنِ المُهْتَدِينَ)[1] . مُشْتَغِلاً بِالقِرَاءَةِ. مُعْتَاداً لِلتِّلَاوَةِ. (حَسَنَ السَّمْتِ، طَوِيلَ الصَّمْتِ، كَثِيرَ الوَقَارِ وَالحَيَاءِ، حَسَنَ الخَلْقِ وَالخُلُقِ، عَالِيَ الهِمَّةِ، مُتَوَاضِعاً، مُعَظَّماً عِنْدَ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ)[2] .

حَفِظَ القُرْآنَ العَظِيمَ فِي صِغَرِهِ حِفْظاً جَيِّداً فِي سَبْعَةِ أَعْوَامٍ، عَلَى مَا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ رِوَايَةِ نَافِعٍ عَلَى الشَّيْخِ العَالِمِ الصَّالِحِ وَالأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَمُّو التِّجَانِي، وَقَرَأَ هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى شَيْخِهِ سَيِّدِي عِيسَى بُوعُكَّازْ[3] المَضَاوِيِّ التِّجَانِي، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً مَشْهُوراً بِالوِلَايَةِ، وَكَانَ[4] مُؤَدِّباً لِلصِّبْيَانِ أَيْضاً بِالقَرْيَةِ المَذْكُورَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى رَبَّ العِزَّةِ فِي النَّوْمِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ بِرِوَايَةِ وَرْشٍ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: هَكَذَا أُنْزِلَ، وَحَصَلَ عَلَى يَدَيْهِ النَّفْعُ فِي قِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَتُوُفِّيَ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ حَمُّو عَامَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ 1162 هـ.

ثُمَّ بَعْدَ حِفْظِهِ القُرْآنَ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ العُلُومِ الأُصُولِيَةِ وَالفُرُوعِيَةِ وَالأَدَبِيَّةِ حَتَّى رَأَسَ فِيهَا، وَحَصَّلَ مَعَانِيهَا، قَرَأَ عَلَى شَيْخِهِ (العَالِمِ العَلَّامَةِ، العَارِفِ بِاللَّهِ الدَّرَاكَةِ، سَيِّدِي المَبْرُوك بْنِ بُوعَافِيَةَ[5] المَضَاوِي التِّجَانِي، قَرَأَ عَلَيْهِ) مُخْتَصَرَ الشَّيْخِ خَلِيلٍ وَالرِّسَالَةَ وَمُقَدِّمَةَ ابْنِ رُشْدٍ وَالأَخْضَرِيَ، ثُمَّ تَمَادَى فِي طَلَبِ العِلْمِ زَمَاناً بِبَلَدِهِ حَتَّى حَصَّلَ مِنَ العُلُومِ مَا انْتَفَعَ بِهِ، وَكَانَ يُدَرِّسُ وَيُفْتِي، ثُمَّ مَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى طَرِيقِ الصُّوفِيَةِ، وَالمُبَاحَثَةِ عَلَى الأَسْرَارِ الإِلَهِيَةِ، حَتَّى تَبَحَّرَ فِي فَهْمِ عُلُومِهَا وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَالعِلَلِ، وَالوَقْتِ وَالحَالِ، وَلَهُ أَجْوِبَةٌ فِي فُنُونِ العُلُومِ[6]، فَأَبْدَى فِيهَا وَأَعَادَ، وَحَرَّرَ المَعْقُولَ وَالمَنْقُولَ وَأَفَادَ.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: بعكاز. وأثبتنا لفظ (بوعكاز) وفقا للنسخ م ل س (سكيرج)

[4]- ك ق ص: (وكان) ساقطة

[5]- أ ح ك ع ي هـ ق ص م: بعافية. وأثبتنا لفظ (بوعافية) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[6]- ك: العلم

ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالطَّاعَةِ، وَحُبِّبَتْ إِلَيْهِ العِبَادَةُ، (وَتَاقَتْ هِمَّتُهُ بِالزَّهَادَةِ)[1]، فَكَانَ يُكْثِرُ القِيَامَ فِي اللَّيَالِي المُتَطَاوِلَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الأَشُدَّ أَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَابِقِ عِنَايَتِهِ، لِمَا أَرَادَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَصَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ، وَيَنْصَحُ عِبَادَ اللَّهِ، وَيَنْصُرُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيُحْيِّي أُمُورَ الدِّينِ، وَقُلُوبَ المُؤْمِنِينَ، بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنَ المَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، وَالبَرَكَاتِ وَالأَنْوَارِ، فَأَحْيَا اللَّهُ بِهِ البِلَادَ، وَنَفَعَ بِهِ الحَاضِرَ وَالبَادِ. (وَانْتَشَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ أُمُورُ السُّنَّةِ بِالمَدِينَةِ، وَأَشْرَقَتْ آيَاتُهُ المُبِينَةُ)[2].

فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوِيُّ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، كَامِلُ الأَنْوَارِ وَالمَحَاسِنِ، (عَالِي المَقَامِ، رَاسِخُ التَّمْكِينِ وَالمَرَامِ)[3]، مُتَّصِفٌ[4] بِكَمَالِ الإِرْثِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (بَهِيُّ المَنْظَرِ، جَمِيلُ المَظْهَرِ، مُنَوَّرُ الشَّيْبَةِ، عَظِيمُ الهَيْبَةِ، جَلِيلُ القَدْرِ، شَهِيرُ الذِّكْرِ، ذُو صَيْتٍ بَعِيدٍ، وَعِلْمٍ وَحَالٍ مُفِيدٍ، وَكَلِمَةٍ نَافِذَةٍ، فِي الأَمْرِ[5] بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ عَائِدَةٌ، وَإِظْهَارِ السُّنَّةِ، وَإِخْمَادِ البِدْعَةِ، يُضْرَبُ بِهِ وَبِدَارِهِ المَثَلُ فِي إِحْيَاءِ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الدِّينِ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُلَقَّبَ بِمُحْيِّي الدِينِ)[6]، صَاحِبُ وَقْتِهِ، وَفَرِيدُ عَصْرِهِ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِهِ سَنَنَ مَغْرِبِنَا بَعْدَ دُرُوسِ آثَارِهَا، وَخُمُودِ أَنْوَارِهَا، فَانْتَشَرَ بِهِ اللَّهْجُ وَالفَقْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنْظِمَنَا فِي سِلْكِهِ، وَفِي دَائِرَةِ حِزْبِهِ بِجَاهِ حَبِيبِهِ وَنَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَأَبُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الشَّيْخُ الإِمَامُ، كَهْفُ الإِسْلَامِ، وَمَلَاذُ الأَنَامِ، العَالِمُ الشَّهِيرُ، الوَرِعُ الكَبِيرُ، (الدَّالُّ عَلَى اللَّهِ وَالجَامِعُ عَلَيْهِ، وَالدَّاعِي بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَيْهِ، حُجَّةُ العُلَمَاءِ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح ك ع ي هـ ق ص: متصفاً

[5]- ك ص: الأمرة

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

العَامِلِينَ، وَمَحَجَّةُ السَّالِكِينَ المُسْتَرْشِدِينَ)[1] أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مَحَمَّدٌ بِالفَتْحِ بْنُ المُخْتَارِ، وَكَانَ عَالِماً وَرِعاً[2] مُتَّبِعاً لِلسُّنَّةِ، (مُدَرِّساً ذَاكِراً)[3]، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ قَضَاءَ حَوَائِجِهِ، فَكَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُمْ وَيَقُولُ: اتْرُكُونِي بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ لَا حَاجَةَ لِي بِالتَّعَلُّقِ بِسِوَى اللَّهِ تَعَالَى. وَكَانَ مُتَعَلِّقاً بِاللَّهِ[4]، (قَائِماً بِالحَقِّ لِلَّهِ فِي سَائِرِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ)[5]، لَا تَأْخُذُهُ لَوْمَةُ لَائِمٍ فِي اللَّهِ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ فِي دَارِهِ لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ[6] لِذِكْرِ اللَّهِ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ 1166 هـ بِالطَّاعُونِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى[7] عَلَيْهِ.

وَأُمُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هِيَ السَّيِّدَةُ الفَاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ الكَامِلَةُ، الطَّيِّبَةُ المُطَهَّرَةُ، (الخَيِّرَةُ المُنَوَّرَةُ، ذَاتُ الأَخْلَاقِ الكَرِيمَةِ، وَالسِّيرَةِ المُسْتَقِيمَةِ، مَعْنِيَةٌ بِأَمْرِ الدِّينِ، مَاسِكَةٌ بِحَبْلِهِ[8] المَتِينِ، لَهَا مِنَ الصَّلَاحِ مَكَانَةٌ عَلِيَّةٌ، وَمَرْتَبَةٌ سَنِيَّةٌ، وَحَظٌّ عَظِيمٌ مِنَ البِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَالتَّفَضُّلِ وَالإِمْتِنَانِ، فَكَانَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ كَثِيرَةَ الإِرْضَاءِ وَالبُرُورِ، لِوَالِدِهِ مَعَ سَعْيِهَا المَشْكُورِ، بَالِغَةً فِي ذَلِكَ الغَايَةَ، وَوَاصِلَةً فِيهِ حَدَّ النِّهَايَةِ، قَائِمَةً بِأَدَاءِ حُقُوقِ بَعْلِهَا الشَّيْخِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُطِيعَةً لِأَمْرِهِ وَكَلَامِهِ، شَدِيدَةَ الإِعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ[9] وَمَرَامِهِ.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ك: ورعا عالما

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: (متعلقا بالله) ساقطة

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ل: أحد غيره

[7]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[8]- ك ع ي هـ ق ص: بحبلها

[9]- ك: بأمره ومرامه

تَتَحَرَّى مُرَادَهُ، وَتَهْتَمُّ بِمَا أَرَادَهُ، تُجِلُّ قَدْرَهُ، وَتُعَظِّمُ أَمْرَهُ، وَتُرَاعِي فِيهِ حَقَّ مَوْلاَهُ، وَمَا خُقَّ لَهُ وَأَوْلاَهُ، قَوَّالَةً لِلْحَقِّ، نَاصِحَةً لِلْخَلْقِ، مُحَافِظَةً[1] عَلَى الدِّينِ، وَسَنَنِ المُتَّقِينَ، تَحْمِلُ أَوْلاَدَهَا وَأَقَارِبَهَا عَلَيْهِ، وَتُرْشِدُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَيْهِ[2]، كَثِيرَةَ النُّصْحِ لَهُمْ، وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ، كَثِيرَةَ الأَذْكَارِ، وَالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ المُخْتَارِ، مُوَاظِبَةً عَلَيْهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَوَالَى عَلَيْهَا مِنْ رَحْمَةِ العَزِيزِ الغَفَّارِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[3] عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، وَجَعَلَ الجَنَّةَ مَثْوَاهَا وَمَأْوَاهَا)[4]، هِيَ الحُرَّةُ النَّفِيسَةُ، السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ، بِنْتُ السَّيِّدِ الأَثِيلِ، الوَلِيِّ الجَلِيلِ، ذِي[5] البَرَكَةِ الغَزِيرَةِ وَالأَنْوَارِ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ مَعَ الأَبْرَارِ، (وَوَالَى عَلَيْهِ المِنَّةَ وَالرِّضْوَانَ)[6] : أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بِالرَّفْعِ بْنِ السَّنُوسِي التِّجَانِي المَضَاوِي، تُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ زَوْجِهَا بِالطَّاعُونِ، وَدُفِنَا مَعاً بِعَيْنِ مَاضِي بِالتَّارِيخِ المَذْكُورِ، (وَلَهُمَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[7] عَنْهُمَا أَوْلاَدٌ غَيْر سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذُكُوراً وَإِنَاثاً، وَمَاتُوا كُلُّهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُمْ إِلَّا (سَيِّدِي مُحَمَّدَ) وَلَداً، وَبِنْتاً، فَحَازَهُمَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[8] عَنْهُ)[9] .

وَنَسَبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَّا جَدُّهُ لِأَبِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[10] عَنْهُ فَهُوَ السَّيِّدُ الأَصِيلُ النَّزِيهُ الجَلِيلُ، ذُو المُرُوءَةِ وَالصِّيَانَةِ، وَالحَسَبِ وَالمَكَانَةِ، وَالدِّيَانَةِ وَالأَمَانَةِ)[11]، سَيِّدِي المُخْتَارُ بْنُ

---

[1]- ك ع ي م: تحض

[2]- ي: عليه

[3]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ك ع ي هـ ق ص: ذو

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[8]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[9]- ح: ما بين القوسين محذوف

[10]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[11]- ح: ما بين القوسين محذوف

أَحْمَدٍ، (كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ زَكِياً خَيِّراً مَرْضِياً، جَوَاداً فَاضِلاً، وَفِيّاً كَامِلاً، عَالِيَ الهِمَّةِ، نَبِيهَ الشَّأْنِ، مِنْ أَكَابِرِ الأَعْيَانِ، وَأَفَاضِلِ الزَّمَانِ، يُوَاصِلُ[1] الرَّحِمَ وَالأَقَارِبَ، وَيُوَاسِي الجِيرَانَ وَالأَجَانِبَ، كَثِيرَ السَّخَاءِ، شَدِيدَ الحَيَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[2] عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ الجَنَّةَ مَأْوَاهُ)[3]، وَأَمَّا جَدُّهُ الثَّالِثُ فَهُوَ (السَّيِّدُ الأَصِيلُ، النَّزِيهُ الجَلِيلُ، العَلَّامَةُ الحَفِيلُ، عَالِمُ العُلَمَاءِ، وَأَمِيرُ الأُمَرَاءِ، جَلِيلُ القَدْرِ، عَظِيمُ الخَطَرِ، صَاحِبُ الحَالِ القَوِيِّ، وَالمَدَدِ الرَّوِي، وَالنُّورِ السَّنِي، وَالهُدَى المُبِينِ، وَالحَزْمِ المَتِينِ، وَالبَصِيرَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالأَقْوَالِ الصَّرِيحَةِ، وَالهَيْبَةِ وَالوَقَارِ، وَالإِجْلَالِ وَالإِكْبَارِ، الزَّاهِدُ الوَرِعُ، النَّاصِحُ المُتَّبِعُ)[4] أَبُو العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ بِالفَتْحِ. وَهُوَ رَابِعُ الأَجْدَادِ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ[5] الشَّيْخُ الوَلِيُ، (المَكِينُ العَلِيُّ)[6]، ذُو النُّورِ اللَّائِحِ، وَالجَذْبِ الوَاضِحِ، (وَالمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ، وَالهِمَّةِ السَّابِقَةِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ، وَالنَّهْجِ القَوِيمِ، وَالخُلُقِ الكَرِيمِ)[7].

وَقَدْ حَكَى عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ بَيْتٌ فِي دَارِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ[8] أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ دَارِهِ لِلْمَسْجِدِ يَتَبَرْقَعُ وَلَا يَرَى أَحَدٌ وَجْهَهُ، وَلَا يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَّا إِذَا دَخَلَ[9] المَسْجِدَ، ثُمَّ إِذَا رَجَعَ[10] إِلَى دَارِهِ عَادَ إِلَى سَتْرِ وَجْهِهِ حَتَّى يَدْخُلَ لِخَلْوَتِهِ، وَقَدْ سَأَلْتُ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَبَبِ سَتْرِ وَجْهِهِ عَنِ النَّاسِ مَا سَبَبُهُ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَلَعَلَّهُ بَلَغَ مَرْتَبَةً

---

[1]- ح: يَصِلُ

[2]- أ ك ع ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: هو

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

[8]- أ ك ع ي هـ ق ص: يدخلها

[9]- ح: حتى يدخل المسجد

[10]- ك: (إذا رجع) ساقطة

فِي الوِلَايَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَهَا يَصِيرُ كُلُّ مَنْ رَأَى وَجْهَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ[1]، وَإِنْ فَارَقَهُ وَانْحَجَبَ عَنْهُ مَاتَ لِحِينِهِ، وَهُوَ مَنْ أَدْرَكَ هَذَا السِّرَّ، وَهُوَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ عِلْماً مِنَ العُلُومِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَمَكَثَ فِيهَا ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً (يَسْتُرُ وَجْهَهُ عَنِ النَّاسِ لِلْعِلَّةِ المَذْكُورَةِ)[2]. قُلْتُ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ المَرْتَبَةُ هَلْ هِيَ خَاصَّةٌ بِمَفَاتِحِ الكُنُوزِ، أَوْ يُشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ؟ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بَلْ هَذِهِ الحَالَةُ المَذْكُورَةُ لِغَيْرِهِمْ مِنَ العَارِفِينَ، وَأَمَّا القُطْبُ وَمَفَاتِحُ الكُنُوزِ فَلَا يَسْتَتِرُونَ لِكَمَالِهِمْ، وَلَعَلَّ السَّيِّدَ المَذْكُورَ أَدْرَكَ هَذِهِ المَرْتَبَةَ، فَكَانَتْ هِيَ سَبَبَ سَتْرِ وَجْهِهِ (عَنِ النَّاسِ)[3]، وَهَذَا السَّيِّدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هُوَ الَّذِي وَفَدَ أَوَّلاً لِعَيْنِ مَاضِي، وَتَوَطَّنَ بِهَا، وَبَنَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ، فَكَانُوا أَخْوَالاً لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَلِهَذَا يَنْتَسِبُونَ لِلتِّجَانِيَةِ، وَلَيْسَ لَهُمْ نَسَبٌ لِأَهْلِ عَيْنِ مَاضِي، بَلْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ الكُنْيَةُ وَالشُّهْرَةُ لِأَجْلِ مُصَاهَرَتِهِمْ لَهُمْ)[4].

وَأَمَّا نَسَبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ شَرِيفٌ مُحَقَّقٌ، وَيُرْفَعُ نَسَبُهُ إِلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ المُلَقَّبِ بِالنَّفْسِ[5] الزَّكِيَّةِ (بْنِ مَوْلَانَا عَبْدِ اللَّهِ الكَامِلِ)[6] بْنِ مَوْلَانَا الحَسَنِ المُثَنَّى بْنِ الحَسَنِ السِّبْطِ بْنِ مَوْلَانَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[7]، وَنَسَبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَذْكُورٌ فِي رَسْمِهِمْ عِنْدَ أَوَائِلِهِمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ سَيِّدُنَا لِذَلِكَ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الجِدِّ وَالإِجْتِهَادِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا هُوَ مَذْكُورٌ مِنَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، وَالرُّسُومِ وَأَخْبَارِ الأَعْيَانِ وَالآحَادِ، حَتَّى سَأَلَ سَيِّدَ الوُجُودِ وَعَلَمَ الشُّهُودِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ نَفَسٍ مَشْهُودٍ، عَنْ نَسَبِهِ وَهَلْ هُوَ مِنْ الأَبْنَاءِ وَالأَوْلَادِ، وَمِنَ الآلِ وَالأَحْفَادِ. فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: أَنْتَ وَلَدِي حَقّاً، أَنْتَ

---

[1] - ع ي هـ ق: (عين) ساقطة

[2] - ح: ما بين القوسين محذوف

[3] - ح: ما بين القوسين محذوف

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

[5] - ح ك ع ي هـ ق ص م: بنفس الزكية

[6] - ح ك ع ي هـ ق ص م: ما بين القوسين محذوف

[7] - أ ك ع هـ ق ص: رضي الله عنهما

وَلَدِي حَقّاً. كَرَّرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثاً. وَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَسَبُكَ إِلَى الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ صَحِيحٌ، وَهَذَا السُّؤَالُ مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَيِّدِ الوُجُودِ يَقَظَةً لَا مَنَاماً، وَبَشَّرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمُورٍ عِظَامٍ جِسَامٍ[1]. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ. وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ.

(**وَأَمَّا عَشِيرَتُهُ الأَقْرَبُونَ إِلَيْهِ فَهُمْ** أَوْلَادُ الشَّيْخِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمَا سَيِّدِي مُحَمَّدٌ المُكَنَّى بِابْنِ عَمْرٍ، كَانَ حَافِظاً لِلْقُرْءَانِ العَزِيزِ، وَمُشَارِكاً فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، مُبَالِغاً فِي عُلُومِ الفَرَائِضِ وَالحِسَابِ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِعَيْنِ مَاضِي سَنَةَ...، وَأُخْتُهُ وَشَقِيقَتُهُ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَكَانَتْ أَكْبَرَ سِنّاً مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيُكْرِمُهَا[2] وَيُوَاسِيهَا، وَيُرْضِيهَا حَتَّى يَبْعَثَهَا لِمَكَانِهَا عَيْنِ مَاضِي، فَمَاتَتْ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهَا سَنَةَ...)[3]، وَتَرَكَتْ وَلَداً اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، حَافِظاً لِلْقُرْآنِ، وَمُشَارِكاً فِي بَعْضِ العُلُومِ، وَلَهُ بَاعٌ فِي عِلْمِ الحِسَابِ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا، وَأَخَذَ عَنْهُ، وَهُوَ الآنَ بِقَيْدِ الحَيَاةِ بِعَيْنِ مَاضِي، فَهَؤُلَاءِ المَعْرُوفُونَ عِنْدَنَا مِنْ عَشِيرَةِ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَبِالجُمْلَةِ فَكُلُّ أَوْلَادِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَشَأُوا عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، وَأَكْرَمِ فِعَالٍ، وَأَطْيَبِ خَلِيقَةٍ، وَأَمْثَلِ طَرِيقَةٍ، ذَاهِبِينَ[4] عَلَى مُقْتَضَى تَرْبِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الخُرُوجِ عَلَى العَوَائِدِ وَالمَأْلُوفَاتِ، وَالزَّوَائِدِ وَالتَّكَلُّفَاتِ. وَالتَّوَاضُعِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَرَفْعِ الهِمَّةِ عَنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ، قَدْ أَخَذُوا بِأَشْيَاءَ مِنْ سِيرَةِ وَالِدِهِمْ وَتَخَلَّقُوا بِهَا، وَدَرَجُوا عَلَى سُنَّتِهَا وَتَحَقَّقُوا

---

[1]- أ ح ي هـ ق ص: عظاماً جساماً

[2]- ك: فيكرمها

[3]- ك ع ي هـ ص: (رحمة الله عليها سنة): ساقطة في هذا الموضع وأدرجت بعد سطرين عند انتهاء سياق الحديث

[4]- أ ك ع ي هـ ق ص: ذاهبون

بِهَا، (والَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِيَّتَهُمْ) [1] ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَازِي العِبَادَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ وَنِيَاتِهِمْ، زَادَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَكَانَ لَهُمْ بِمَنِّهِ وَطُولِهِ) [2].

الفَصْلُ الثَّانِي فِي
نَشْأَتِهِ وَبِدَايَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ عَلَى مَا حَدَّثَنِي هُوَ بِنَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِعَيْنِ مَاضِي، وَهِيَ بَلَدُهُ وَمَقَرُّ أَسْلَافِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ، وَهُوَ أَوْسَطُ الأَبْنَاءِ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَالآخِذُ لِكُلِّ [3] مَا لَهُمْ مِنَ الفَخَارِ وَالتَّنْزِيهِ، وَخَاتِمَةُ مَجْدِهِمْ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ. (الَّذِي شَرُفَ بِهِ طَالِعُهُمْ السَّعِيدُ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ مَدَدُهُمْ المَدِيدُ، خَتَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نِظَامِهِمْ سِلْكاً، وَجَعَلَ خِتَامَهُ مِسْكاً) [4].

نَشَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ أَبَوَيْهِ الصَّالِحِينَ المُتَقَدِّمَيْنِ نَشْأَةً صَالِحَةً، يُؤَدِّبَانِهِ وَيُرَبِّيَانِهِ (وَيُلَقِّنَانِهِ تَرْبِيَةَ أَمْثَالِهِمَا مِنْ أَهْلِ البَصَائِرِ) [5]، فَرُبِّيَ فِي عَفَافٍ وَصِيَانَةٍ، وَتُقًى وَدِيَانَةٍ، (أَبِيَ النَّفْسِ، عَالِيَ الهِمَّةِ، زَكِيَ الأَخْلَاقِ، مَحْرُوساً بِالعِنَايَةِ، مَحْفُوفاً [6] بِالرِّعَايَةِ) [7]، فَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَعْرِفُ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ العَوَائِدِ، وَلَا مَا نَشَأُوا عَلَيْهِ مِنَ الزَّوَائِدِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مِنْ صِبَاهُ) [8] مَاضِيَ العَزْمِ، شَدِيدَ الحَزْمِ، فِيمَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ أُمُورِهِ كُلِّهَا، لَا يُرِيدُ

---

[1] - سورة الطور، الآية 21

[2] - ح: ما بين القوسين محذوف

[3] - ح ك ع ي ص: كل

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

[5] - ح: ما بين القوسين محذوف

[6] - ح: محفوظا

[7] - ح: ما بين القوسين محذوف

[8] - ح: ما بين القوسين محذوف

أَمْراً إِلَّا بَدَأَهُ، وَلَا يَبْتَدِئُ شَيْئاً إِلَّا أَتَمَّهُ، وَإِذَا تَعَلَّقَتْ هِمَّتُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ كَائِناً مَا كَانَ لَمْ يَهْنَأْ لَهُ عَيْشٌ، وَلَمْ يَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ حَتَّى يَصِلَهُ وَيُجَاوِزَهُ، وَسَمِعْتُهُ يَوْماً يَقُولُ: مِنْ طَبْعِي أَنِّي إِذَا ابْتَدَأْتُ شَيْئاً لَا أَرْجِعُ عَنْهُ، وَمَا شَرَعْتُ فِي أَمْرٍ[1] قَطُّ إِلَّا أَتْمَمْتُهُ. تَجْنَحُ هِمَّتُهُ إِلى مَعَالِي الأُمُورِ، وَلَا يَرْضَى بِسَفْسَافِهَا. فَكَانَ كَمَا قِيلَ:

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ * إِلَيْهِ بِوَجْـــهٍ آخِرَ الدَهْــرِ تُقْبِــلُ[2]

(فَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هِمَّةٌ سَابِقَةٌ، وَعَزْمَةٌ لَاحِقَةٌ، تَأْبَى نَفْسُهُ أَنْ يَفُوتَهُ مَدْرَكٌ مِنَ المَدَارِكِ، أَوْ يَضِلَّ لَهُ[3] مَسْلَكٌ[4] مِنَ المَسَالِكِ، ذُو شَجَاعَةٍ طَبْعِيَّةٍ، وَنَجْدَةٍ قَوِيَّةٍ، وَمِنْ خُلُقِهِ الَّذِي رُبِّيَ عَلَيْهِ السَّخَاءُ العَظِيمُ، وَالإِنْفَاقُ الجَسِيمُ، وَالقِيَامُ بِحُقُوقِ أَقَارِبِهِ وَذَوِيهِ، وَالمُوَاسَاةُ لِمَعَارِفِهِ وَمَوَالِيهِ، وَالإِحْسَانُ لِلْمَسَاكِينِ، وَالتَّحَبُّبُ لِأَهْلِ الدِّينِ)[5]، وَصَارَ لَهُ العَفَافُ وَعُلُوُّ الهِمَّةِ خُلُقاً، وَمَكَارِمُ الأَخْلَاقِ طَبْعاً وَتَحَقُّقاً، لَا يَقِرُّ الدِّرْهَمُ لَدَيْهِ قَرَاراً، وَلَا يَمْكُثُ عِنْدَهُ عَلَى الدَّوَامِ اسْتِمْرَاراً. كَمَا قِيلَ:

لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَهُ * لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

(وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى سَخَائِهِ وَبَيَانِ حَالِهِ فِي مَحَالِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَصِفَةُ ذَاتِهِ الكَرِيمَةِ، وَصُورَةُ شَكْلِهِ الفَخِيمَةِ، يَتَمَيَّزُ بِوُجُودِهِ العَيَانِي، كَمَا يَتَمَيَّزُ بِوَصْفِهِ العِرْفَانِي أَنَّهُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى[6] وَكَلَأَهُ أَبْيَضُ مُشَرَّبٌ[7] بِحُمْرَةٍ، مُعْتَدِلُ القَامَةِ، مُنَوَّرُ الشَّيْبَةِ،

---

[1] - ح: شيء

[2] - ك: ترجع

[3] - أ ح ك ع ي ق: (له) ساقطة

[4] - ح: مسلكا

[5] - ح: ما بين القوسين محذوف

[6] - ك: (تعالى) ساقطة

[7] - ل: مشوب

ذُو صَوْتٍ جَهُورِي، وَسَمْتٍ بَهِيٍّ، وَقَدْرٍ عَلِيٍّ، حُلْوُ المَنْطِقِ، فَصِيحُ اللِّسَانِ، يُعَبِّرُ عَنْ مُرَادِهِ فِي غَايَةِ البَيَانِ.

وَهُوَ مِنْ حُفَّاظِ أَهْلِ زَمَانِهِ، لِمَا يَتَعَاطَاهُ مِنَ العُلُومِ فِي أَوَانِهِ، أَحْسَنُهُمْ مُجَالَسَةً، وَأَرْفَعُهُمْ مُجَانَسَةً، ذُو مَهَابَةٍ وَعَظَمَةٍ وَوَقَارٍ، وَحَيَاءٍ وَجَلَالَةٍ وَفَخَارٍ، وَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُنْذُ شَبَّ عَقْلٌ تَامٌ، وَذَكَاءٌ قَوِي، وَفَهْمٌ نَافِذٌ، وَفِطْنَةٌ سَرِيَّةٌ، وَفِكْرَةٌ قَوِيَّةٌ، لَا يَفُوتُهُ إِدْرَاكُ مَعْنَى مِنَ المَعَانِي، لِمَا انْقَدَحَ فِي سِرِّهِ مِنَ النُّورِ الرَّبَانِي، وَلَا يُخْدَعُ فِي شَيْءٍ مُنْذُ كَانَ، وَلَا يُعْوِزُهُ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ مَهْمَا كَانَ[1]، يُدْرِكُ مَا أَرَادَ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ دُونَ تَعَلُّمٍ، لِقُوَّةِ الذَّكَاءِ وَشِدَّةِ التَّفَهُّمِ، يَشْهَدُ أَنَّ لَهُ ذَلِكَ فِي أَصْلِ فِطْرَتِهِ، (وَغَزَارَةِ فِطْنَتِهِ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، بِحَيْثُ لا يُجَارَى، فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلا يُبَارَى، وَبِالجُمْلَةِ فَكَمَالُ عَقْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَهْمِهِ)[2]، وَقُوَّةُ إِدْرَاكِهِ وَمَيْزِهِ، مِمَّا يُبْهِرُ العُقُولَ، وَيَخْرُجُ عَنْ حَدِّ المَقُولِ، وَشَرْحُ مَا يُؤْذِنُ بِذَلِكَ يَطُولُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَأْهِيلَ عَبْدٍ هَيَّأَهُ[3] لِمَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، مِنْ إِرَادَةِ خُصُوصِيَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَأَكْمَلَ سَجَايَاهُ وَخُلُقَهُ، ثُمَّ أَظْهَرَ مَزَايَاهُ وَفَخْرَهُ، فَيَكْمُلُ لَهُ عَقْلُ التَّمْيِيزِ، فَيَتَهَيَّأُ بِهِ إِلَى عَقْلِ التَّخْصِيصِ وَالتَّبْرِيزِ، وَالأَوَّلِيَاتِ إِشَارَةٌ لِلآخِرِيَّاتِ، وَالبِدَايَاتُ عُنْوَانُ النِّهَايَاتِ.

وَلَمَّا بَلَغَ الحُلُمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زَوَّجَهُ وَالِدُهُ الشَّيْخُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ غَيْرِ تَرَاخٍ فِي ذَلِكَ اعْتِنَاءً بِشَأْنِهِ، وَحِفْظاً لَهُ وَصَوْناً لِأَمْرِهِ، مُرَاعَاةً لِلسُّنَّةِ مِنَ المُبَادَرَةِ[4] فِي ذَلِكَ، وَكَانَ تَزْوِيجُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ....، فَبَقِيَ فِي حِجْرِ وَالِدِهِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَالِدُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَنَالَ مِنْهُ بَرَكَةً وَحَظّاً وَافِراً مِنَ الصَّلَاحِ وَالدِّينِ، وَفَوَائِدَ فِي الطَّرِيقِ، وَجُمَلاً مِنَ الأَدَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آمِينَ. وَأَمَّا بِدَايَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفِيَّةُ أَخْذِهِ إِيَّاهَا عَلَى

---

[1]- ح: مما يكون. أ ك ع ي هـ ق ص م: مما تكون. وأثبتنا لفظ (مهما كان) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ك ع ي هـ ق: وتهيئته

[4]- أ ك ع ي هـ ق ص: والمبادرة

التَّحْقِيقِ، فَإِنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بَقِيَ عَلَى حَالِهِ مِنْ قِرَاءَةِ العِلْمِ وَتَدْرِيسِهِ، وَالْتِقَاطِ دُرَرِهِ وَتَدْوِينِهِ، فِي بَلَدِهِ عَيْنِ مَاضِي.

ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى نَاحِيَةِ المَغْرِبِ لِفَاسٍ وَأَحْوَازِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، سَمِعَ فِيهَا شَيْئاً مِنَ الحَدِيثِ، وَبَقِيَ يَجُولُ بِقَصْدِ الزِّيَارَةِ وَالبَحْثِ عَلَى[1] أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالدِّينِ وَالفَلَاحِ، فَلَقِيَ رَجُلاً بِجَبَلِ الزَّبِيبِ مِنْ أَهْلِ الكَشْفِ، فَأَشَارَ لَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى رَجَعَ لِبَلَدِهِ سَرِيعاً، وَخَرَجَ قَاصِداً لِبَلَدِ[2] الأَبْيَضِ فِي نَاحِيَةِ الصَّحْرَاءِ الَّتِي بِهَا ضَرِيحُ الوَلِيِّ الكَبِيرِ وَالقُطْبِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي عَبْدِ القَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُلَقَّبِ بِسَيِّدِي الشَّيْخِ، فَمَكَثَ هُنَالِكَ[3] خَمْسَةَ أَعْوَامٍ لِلْقِرَاءَةِ وَالعِبَادَةِ وَالتَّدْرِيسِ وَالتِّلَاوَةِ، وَفِي هَذِهِ المُدَّةِ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ عَيْنِ مَاضِي تَصْدِيقاً لِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الوَلِيُّ المُتَقَدِّمُ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ المَذْكُورِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا[4] إِلَى تِلِمْسَانَ، وَأَقَامَ بِهَا لِلزَّهَادَةِ وَالعِبَادَةِ، وَالتَّدْرِيسِ لِعِلْمِ الحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالإِفَادَةِ، حَتَّى أُلْهِمَ سَيِّدُنَا مَا أُلْهِمَ، وَوَقَرَ فِي صَدْرِهِ مَا وَقَرَ، وَظَهَرَ لَهُ مَا ظَهَرَ، مَعَ مَا أَهَّلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِسَابِقِ عِنَايَتِهِ، وَفَيْضِ كَرَامَتِهِ، نَفَضَ يَدَيْهِ مِمَّا لَدَيْهِ، وَتَعَلَّقَتْ هِمَّتُهُ العَلِيَّةُ بِاللَّهِ، وَالإِنْحِيَاشِ إِلَيْهِ وَالوُقُوفِ بِبَابِهِ وَالعُكُوفِ عَلَيْهِ، فَجَرَّدَ نَفْسَهُ مِنَ العَلَائِقِ تَجْرِيداً، وَقَطَّعَهَا عَنِ العَلَائِقِ تَفْرِيداً، وَلَبِسَ مِنْ جَدِيدِ التَّوْبَةِ جِلْبَاباً، وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ أَثْوَاباً، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِلْمَسِيرِ أَبْوَابَا، وَأَزَالَ عَنْهُ مَانِعاً وَحِجَابَا، فَأَكَبَّ عَلَى شَأْنِهِ إِكْبَابَا، وَانْصَبَّ إِلَيْهِ انْصِبَابَا، وَانْحَاشَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ عَلَيْهِ، وَنَبَذَ كُلَّ أَمْرٍ دُونَهُ مِنْ خَلْفٍ، أَوَائِلَ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

---

[1]- ح: عن

[2]- ح: البلد

[3]- ح: هناك

[4]- ك: عنها

فَانْجَمَعَ عَلَى اللَّهِ فِي حَالِهِ، وَجَدَّ[1] فِي سَيْرِهِ وَتِرْحَالِهِ، وَسَلَبَ لَهُ الإِرَادَةَ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ قِيَادَهُ، وَمَحَا فِي مُرَادِهِ مُرَادَهُ، فَلَزِمَ اللَّجْأَ وَالعُكُوفَ بِبَابِهِ، وَجَمَعَ فِيهِ كُلَّ بُغْيَتِهِ وَمَرَامِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الذِّكْرِ، وَأَعْمَالِ الفِكْرِ، وَآوَى إِلَى الخَلَوَاتِ، وَالعِبَادَةِ وَالقُرُبَاتِ، فَلَاحَتْ عَلَيْهِ مَبَادِئُ الفَتْحِ وَبَوَارِقُهُ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ خَوَارِقُ العَادَاتِ فِي مَبَادِيهِ[2]، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ حَالُهُ يَقْوَى وَيَزْدَادُ، حَتَّى خَرَجَ عَنْ كُلِّ مَأْلُوفٍ وَمُعْتَادٍ، وَمُسْتَحْسَنٍ وَمُرَادٍ، وَلَمْ تَبْقَ[3] لَهُ شَهْوَةٌ تَشْغَلُهُ عَنِ المُرَادِ، وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الخَلْقِ، وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ لِلْمَلِكِ الحَقِّ، وَتَوَجَّهَ تِلْقَاءَهُ، وَنَبَذَ السِوَا وَرَاءَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْتَقِي بِهِمَّتِهِ، وَمَوْلَاهُ يَجْذِبُهُ لِحَضْرَتِهِ، وَيَحِفُّهُ بِعِنَايَتِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَامَتِهِ، إِلَى أَنْ بَلَغَ المَرَاتِبَ العَالِيَةَ[4]، وَالمَقَامَاتِ السَّامِيَةَ، وَوَصَلَ المُنْيَةَ وَالمُشْتَهَى، **﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾**[5].

وَمِنْ عَظِيمِ أَدَبِهِ، لِشُهُودِ فَضْلِ سَيِّدِهِ وَمَنِّهِ، أَنَّهُ لَمَّا اعْتَرَاهُ مِنَ الأَحْوَالِ مَا اعْتَرَاهُ، وَنَزَلَ بِهِ مَا اقْتَطَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ الفَيَضَانِ، وَجَرَى مِنْهُ عَلَى المَنْطِقِ وَاللِّسَانِ، مَا أَشْرَقَ بِهِ بَاطِنُهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالعِرْفَانِ، فَكَانَ يَفْتَتِنُ بِهِ كُلُّ مَنْ رَآهُ، لِمَا يُشَاهِدُ مِنْ طَلْعَتِهِ البَّهِيَةِ وَسَنَاهُ، فَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ وَعَقْلِهِ وَلُبِّهِ، وَلَا يَجِدُ بُدّاً عِنْدَ خِطَابِهِ، مِنَ التَّأَدُّبِ إِلَى عَلِيِّ جَنَابِهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِظُهُورِ ذَلِكَ، مِنَ الإِخْوَانِ وَالأَصْحَابِ الَّذِينَ هُنَالِكَ، نَهَى وَزَجَرَ، وَشَرَدَ وَنَفَرَ، وَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وَتَوَلَّى عَنْهُمْ شَرِيداً، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ الوُفُودُ لِلزِّيَارَةِ، وَالأَخْذِ عَنْهُ وَالإِفَادَةِ، فَكَانَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الإِمْتِنَاعِ، وَيَقُولُ: كُلُّنَا وَاحِدٌ فِي الإِنْتِفَاعِ، فَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى الآخَرِ فِي دَعْوَى[6] المَشْيَخَةِ إِلَّا سُوءُ الإِبْتِدَاعِ.

---

[1] - أ ح ك ع ي هـ ق ص: وجدد، وأثبتنا لفظ (وجد) وفقا للنسختين ل س (سكيرج)

[2] - ح: مبادئه

[3] - أ ك ع هـ ق ص: يبق

[4] - أ ك ع ي هـ ق ص: العلية. وأثبتنا لفظ (العالية) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[5] - سورة النجم، الآية 24

[6] - ع: دعوة

فَلَمَّا حَازَ قَصبَ السَّبْقِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَحَلَّى ظَاهِراً وَبَاطِناً بِالحُلَلِ الجَلِيلَةِ[1]، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ مُتَمَنَّاهُ بَيْنَ الأَنَامِ، إِلَّا الحَجُّ لِبَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ، سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَى طَلَبِهِ، وَتَحْصِيلِ أَرَبِهِ، وَكَانَ دَائِماً يَرْصُدُ إِبَّانَهُ، وَوَقْتَهُ وَأَوَانَهُ، إِلَى أَنْ أَتَى فَقَامَ عَلَى سَاقِ الجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، وَنَهَضَتْ بِهِ هِمَّتُهُ لِلْمَسِيرِ، فَأَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي التَّأَهُّبِ وَالرَّحِيلِ، وَخَلَّفَ العَشَائِرَ وَالقَبِيلَ، فَمَا قَرَّ لَهُ إِذْ ذَاكَ قَرَارٌ إِلَى أَنْ حَجَّ وَزَارَ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَمَ بَيْنَ الأَمَاكِنِ وَالآثَارِ، فَكَانَ خُرُوجُهُ مِنْ مَدِينَةِ[2] تِلِمْسَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ)[3].

وَأَمَّا مُجَاهَدَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَئِمَّةِ العَصْرِ، وَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ حَالِ الشَّبِيبَةِ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَمِمَّنْ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَمِمَّنْ هُدِيَ وَاجْتُبِيَ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ.

فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ المُجْتَهِدِينَ فِي الدِّينِ، وَالخَائِفِينَ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، (أَضْحَى[4] مُحَافِظاً[5] عَلَى التَّقْوَى وَالوَرَعِ، بَاذِلاً مَجْهُودَهُ فِي ذَلِكَ، قَابِضاً عِنَانَ الخَوْضِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ، سَالِكاً أَشْرَفَ المَسَالِكِ، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَمَا شَبَّ وَتَرَعْرَعَ، وَتَضَاعَفَ نُورُ قَلْبِهِ وَجَاءَهُ الفَتْحُ المُبِينُ مِنْ رَبِّهِ وَارْتَفَعَ، وَقَادَهُ التَّوْفِيقُ الرَّبَّانِي، إِلَى البَحْثِ عَنِ السِّرِّ الإِلَهِي الصَّمَدَانِي، فَاشْتَغَلَ بِمُطَالَعَةِ كُتُبِ القَوْمِ، وَبِالإِنْكِبَابِ عَلَيْهَا، وَالتَّدْرِيسِ لِلْعُلُومِ وَالإِفَادَةِ بِهَا، حَتَّى انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ، وَتَاقَتْ هِمَّتُهُ بِاللَّهِ، فَرَفَضَ جَمِيعَ العَلَائِقِ، وَنَبَذَ مِنْ وَرَائِهِ أَنْوَاعَ العَوَائِقِ، فَزَادَهُ ذَلِكَ نُوراً عَلَى نُورٍ، وَارْتَقَى بِشُهُودِهِ لِرُتْبَةِ[6] أَرْبَابِ الصُّدُورِ)[7]، فَقَدْ أَتَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البُيُوتَ

---

[1] - أ ك ع ي هـ ق ص: الجليلة الجميلة

[2] - ك: (مدينة) ساقطة

[3] - ح: ما بين القوسين محذوف

[4] - أ ك ع ي هـ ق ص: (أضحى) محذوفة

[5] - ل: فحافظ

[6] - ح: لمرتبة

[7] - ح: ما بين القوسين محذوف

مِنْ أَبْوَابِهَا، وَأَخَذَ الطَّرِيقَةَ عَنْ أَرْبَابِهَا، فَاسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ الوِرَاثَةَ وَالإِمَامَةَ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي عَصْرِهِ أَحَدٌ أَمَامَهُ. كَمَا قِيلَ:

فَأَصْبَحَ عَيْنَ الوَقْتِ وَالقَوْلُ قَوْلُهُ * وَلَا أَحَدٌ فِي النَّاسِ يَبْلُغُ قَدْرَهُ

أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، وَالإِعْتِزَالِ عَنِ الخَلْقِ وَالفِرَارِ مِنْهُمْ، وَاشْتَغَلَ بِمَا يَخُصُّهُ مِنْ حُقُوقِ رَبِّهِ، وَمَا هُوَ مُطَالَبٌ بِهِ مِنَ التَّقْوَى وَالوَرَعِ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ لِلزِّيَارَةِ، فَلَا يَجِدُونَ فِيهِ مُتَّسَعاً لِكَثْرَةِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ القَبْضِ، وَإِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ لِيُقَبِّلَ يَدَهُ[1] يَغْضَبُ وَيَأْبَى ذَلِكَ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْرَهُ كَثْرَةَ الكَلَامِ، شَدِيدَ التَّحَفُّظِ مِنَ الغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِي.

وَأَمَّا مُجَاهَدَتُهُ فِي الصِّيَامِ، فَكَانَ يَصُومُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، وَيَسْرُدُ الصِّيَامَ الأَيَّامَ المُتَطَاوِلَةَ لَدَيْهِ، وَأَمَّا قِيَامُ اللَّيْلِ فَهُوَ مُوَاظِبٌ عَلَيْهِ السِّنِينَ الكَثِيرَةَ، وَلَا زَالَ إِلَى الآنَ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ رَاحَةٌ إِلَّا فِيهِ، فَهُوَ مُسْتَرَاحُ العَابِدِينَ، إِذْ فِيهِ يَجِدُونَ قُلُوبَهُمْ مِنَ التَّلَذُّذِ بِالمُنَاجَاتِ، وَإِسْبَالِ العَبَرَاتِ فِي مِحْرَابِ التِّلَاوَاتِ، وَهُوَ يَعْلَمُ وَيَتَحَقَّقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَوْقَاتَهُ عُمْرُهُ، وَعُمْرُهُ رَأْسُ مَالِهِ، وَعَلَيْهِ تِجَارَتُهُ، وَبِهِ يَصِلُ إِلَى نَعِيمِ الأَبَدِ، وَيَرَى أَنْفَاسَهُ جَوَاهِرَ لَا قِيمَةَ لَهَا، فَشَحَّ بِهَا أَنْ تَمْضِي فِي غَيْرِ مَا خُلِقَتْ لَهُ، فَاشْتَغَلَ بِالمُبَادَرَةِ.

السِّبَاقَ السِّبَاقَ قَوْلاً وَفِعْلاً * حَذِّرِ النَّفْسَ حَسْرَةَ المَسْبُوقِ

(وَاسْتِدَامَةُ الطَّاعَاتِ، وَبَذْلُ المَجْهُودِ فِيهَا، لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ أُقِيمَ فِي شُهُودِ بَارِيهَا وَمُنْشِيهَا، فَالَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِخِدْمَتِهِ، وَنَوَّرَ بَوَاطِنَهُمْ بِأَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ، قَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ، وَبَادَرُوا قَبْلَ الفَوَاتِ[2] وَسَارَعُوا إِلَى مَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ سَيِّدُهُمْ، فَهُمْ مُلَازِمُونَ مُسْتَسْلِمُونَ،

---

[1]- ح: يديه

[2]- أ ك ي هـ ق ص: الفوت

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، لَيْسَ لَهُمْ فُضْلَةٌ فِيمَا[1] أُمِرُوا بِهِ، عَلِمُوا أَنَّهُمْ بِمَرْأَى مِنْ سَيِّدِهِمْ، فَشَدُّوا الحَيَازِمَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا هُوَ لَازِمٌ)[2].

وَأَقُولُ إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الَّذِينَ كَانَتْ عِنْدَهُمْ كُلُّ اللَّيَالِي لَيْلَةَ القَدْرِ، إِذْ هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ القَائِمِينَ بِحُدُودِ اللَّهِ، النَّاظِرِينَ لِلشَّرِيعَةِ بِنُورِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَمَاذَا يَقُولُ الإِنْسَانُ فِيمَنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُ، (وَحَلَّاهُ بِنُعُوتِهِ وَاجْتَبَاهُ)[3]، وَخَصَّصَهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَارْتَضَاهُ، فَالمَدْحُ يَقْصُرُ دُونَهُ، إِذْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَصِفَهُ اللِّسَانُ، أَوْ يُعَبِّرَ عَنْ حَقِيقَتِهِ الفِكْرُ وَالجَنَانُ، وَمَا الأَمْرُ إِلَّا كَمَا قَالَ قَائِلُهُمْ:

وَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرٌ * وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَا وَالكَوَاكِبِ

وَمَنْ كَمُلَتْ أَوْصَافُهُ، وَحَسُنَتْ أَفْعَالُهُ، وَعَظُمَ إِنْصَافُهُ، اسْتَوْحَشَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَلَمْ يُشَاهِدْ فِي المَمْلَكَةِ إِلَّا إِيَّاهُ، وَأَنْشَدُوا:

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الحُبِّ مَا لِيَ مَذْهَبٌ * وَإِنْ مِلْتُ يَوْماً عَنْهُ[4] فَارَقْتُ مِلَّتِي[5]

وَإِنْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ * عَلَى خَاطِرِي سَهْواً قَضَيْتُ بِرِدَّةِ

وَعَلَى هَذَا حَوَّمَ العَارِفُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَانْتَهَزُوا فِيهِ الفُرْصَةَ، وَأَبْدَلُوا[6] فِي ذَلِكَ مُهَجَهُمْ[7]، وَلَمْ يَتْرُكُوا لَهَا حِصَّةً. عَرَفُوا مَا طَلَبُوا، فَهَانَ عَلَيْهِمْ مَا تَرَكُوا، وَمَنْ طَلَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ مَهْرُهَا، وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي النَّصِيحَةِ مَنْ أَنْذَرَ وَحَذَّرَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ

---

[1] - ك: ممّا

[2] - ح: ما بين القوسين محذوف

[3] - ح: ما بين القوسين محذوف

[4] - أ ح ك ع ي هـ ق ص م: وإن ملت عنه يوما

[5] - أ ح ع ي هـ ق ص: ملة

[6] - ل: وبذلوا ـ م: وأبذلوا

[7] - ي: مهجتهم

ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ بَسِيطُ الأَمَلِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى[2] حُلُولِ الأَجَلِ. وَالمَعَادُ مِضْمَارُ العَمَلِ. فَمُغْتَبِطٌ بِمَا اجْتَنَبَ غَانِمٌ. وَمُبْتَئِسٌ بِمَا فَاتَهُ مِنَ العَمَلِ نَادِمٌ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ. وَاليَأْسَ غِنًى. وَالقَنَاعَةَ رَاحَةٌ. وَالعُزْلَةَ عِبَادَةٌ. وَالعَمَلَ كَنْزٌ. وَالدُّنْيَا مَعْدِنٌ. وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي مَا مَضَى مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ بِأَهْذَابِ بُرْدِي هَذَا، وَلَمَا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبَهُ بِمَا مَضَى مِنَ المَاءِ بِالمَاءِ. وَكُلٌّ إِلَى نَفَادٍ وَشِيكٍ. وَزَوَالٍ قَرِيبٍ. فَبَادِرُوا وَأَنْتُمْ فِي مَهَلِ الأَنْفَاسِ. وَجِدَّةِ الأَحْلَاسِ. قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالكَظَمِ. وَلَا يُغْنِي النَّدَمُ.

وَعَنْ عَطَاء بْنِ يَزِيدٍ اللَّيْثِي، عَن أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حُلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ. وَأَلْبِسُوهَا قِنَاعَ المَخَافَةِ. وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ. وَسَعْيَكُمْ لِمُسْتَقَرِّكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ. وَإِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ. وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوهُ. أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حُزْتُمُوهُ. إِنَّكُمْ إِنَّمَا تَقْدَمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ. وَتُجَازُونَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ. وَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا دَنِيَّةٍ. عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتٍ[3] عَلِيَّةٍ[4]. فَكَأَنَّ قَدْ كُشِفَ القِنَاعُ. وَارْتَفَعَ الإِرْتِيَابُ. وَلَاقَى كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَقَرَّهُ. وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمَقِيلَهُ. انْتَهَى مِنْ بَعْضِ الأَرْبَعِينِيَاتِ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الشَّيْخَ الإِمَامَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ المُقْرِي اليَمَانِي، مُؤَلِّفَ الرَّوْضِ، حَيْثُ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ العَجِيبَةِ العَدِيمَةِ المِثْلِ:

إِلَى كَمْ تَمَادٍ فِي سُرورٍ[5] وَغَفْلَةٍ * وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى * بِمِلْئِ السَّمَا وَالأَرْضِ أَيَّةَ ضَيْعَةِ
أَتُنْفِقُ هَذَا فِي هَوَى هَذِهِ الَّتِي * أَبَى اللَّهُ أَنْ تَسْوَى جَنَاحَ بَعُوضَةِ
أَتَرْضَى مِنَ العَيْشِ السَّعِيدِ تَعِيشُهُ * مَعَ المَلَأِ الأَعْلَى بِعَيْشِ البَهِيمَةِ

---

[1]- ي: رضي الله عنه
[2]- أ ح ك ل هـ ق ص: (على) ساقطة
[3]- ح ل: جنة
[4]- ل: عالية
[5]- أ ك ع ل ي هـ ق ص م: غرور

فَـيَـا دُرَّةً بَـيْـنَ الـمَـزَابِـلِ أُلْـقِـيَـتْ * وَجَـوْهَـرَةً بِـيـعَـتْ بِـأَبْـخَـسِ قِـيـمَـةِ

أَفَـــانٍ بِـبَـاقٍ تَـشْـتَـرِيـهِ سَـفَـاهَـةً * وَسُـخْـطاً بِـرِضْـوَانٍ وَنَـاراً بِـجَـنَّـةِ

أَأَنْــتَ عَــدُوٌّ أَمْ صَـدِيـقٌ لِـنَـفْـسِـهِ * فَـإِنَّـكَ تَـرْمِـيـهَـا بِـكُـلِّ مُـصِـيـبَـةِ

وَلَـوْ فَـعَلَ الأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا * فَـعَلْتَ لَـمَسَّتْهُمْ لَـهَا بَعْضُ رَحْـمَةِ

لَـقَدْ بِـعْـتَهَا خِزْياً عَـلَيْكَ رَخِـيـصَـةً * وَكَـانَـتْ بِـهَذَا مِنْكَ غَـيْرَ خَـصِيـصَـةِ[1]

فَدَيْكَ اسْتَقِلْ لَا تَفْضَحَنْهَا بِمَشْهَدٍ * مِنَ الـخَلْقِ إِنْ كُنْتَ ابْنَ أُمٍّ كَرِيمَةِ

فَـبَـيْـنَ يَـدَيْـهَـا مَـوْقِـفٌ وَصَـحِـيـفَـةٌ * يُـعَـدُّ عَـلَـيْـهَـا كُــلُّ مِـثْـقَـالِ ذَرَّةِ

كَـلِـفْـتَ بِـهَـا دُنْـيَـا كَـثِـيـرٌ غُـرُورُهَـا * تُـعَـامِلُ مَـنْ فِـي نُـصْـحِـهَـا بِالْـخَدِيـعَـةِ

إِذَا أَقْـبَلَتْ وَلَّـتْ وَإِنْ هِـيَ أَحْـسَنَتْ * أَسَـاءَتْ وَإِنْ صَـفَتْ فَـثِقْ بِالْكَدُورَةِ

وَلَـوْ نِـلْتَ مِنْهَا مَـالَ[2] قَـارُونَ لَمْ تَنَلْ * سِوَى لُقْمَةٍ فِي فِيكَ مِنْهَا و خِرْقَةِ

وَهَـبْكَ بَـلَغْتَ الـمُلْكَ فِيهَا أَلَـمْ تَكُنْ * لِـتَـنْـزَعَـهُ مِـنْ فِـيـكَ أَيْـدِي الـمَـنِـيَّـةِ

فَـدَعْـهَـا وَأَهْـلَـيْـهَـا بِـقِـسْـمٍ وَخُـذْ كَـذَا * لِـنَـفْـسِـكَ عَـنْـهَـا فَـهْـيَ كُـلُّ الـغَـنِـيـمَـةِ

وَلَا تَـغْـتَـبِـطْ فِـيـهَـا بِـفَـرْحَـةِ سَـاعَـةٍ * تَـعُـودُ بِـأَحْـزَانٍ عَـلَـيْـكَ طَـوِيـلَـةِ

فَـعَـيْـشُـكَ فِـيـهَـا أَلْـفَ عَـامٍ وَيَـنْـقَـضِـي * كَـعَـيْـشِـكَ فِـيـهَـا بَـعْـضَ يَـوْمٍ وَلَـيْـلَـةِ

عَـلَـيْـكَ بِـمَا تُـجْـزَى عَلَيْهِ مِنَ التُّقَى * فَـإِنَّـكَ فِـي لَـهْـوٍ عَـظِـيـمٍ وَغَـفْـلَـةِ

انْتَهَى الغَرَضُ مِنْهَا، وَهِيَ أَكْثَرُ، وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِهَا فِي هَذَا المَحَلِّ لِأَنَّهَا مُنَاسِبَةٌ لَهُ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الوَعْظِ وَالتَّذْكِرَةِ. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. آمِينَ.

---

[1]- ل ع ي هـ ق ص: حقيقة ـ م: حقيقتي

[2]- ح: ما نال

وَيُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَا يَرَى أَهْلُ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ مَكْتُوباً:

وَهَـذَا الـسُّـرُورُ بِـتِـلْـكَ الـكُـرُوبْ * وَهَـــذَا الـنَّـعِـيـمُ بِـــذَاكَ الـتَّـعَـبْ

لَا رَاحَـــةً قَــطُّ إِلَّا قَـبْـلَـهَا[1] تَـعَـبُ * اِتْعَبْ تَجِدْ رَاحَةً تُنْجِيكَ مِنْ تَعَبِ

وَيُقَالُ إِنَّ مَنَازِلَ الجَنَّةِ تُعْطَى عَلَى حَسَبِ الأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ كَثَّرَ كُثِّرَ لَهُ، وَمَنْ قَلَّلَ قُلِّلَ لَهُ، وَقَدْ يُعْطِي سُبْحَانَهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ مَا لَا يَخْطُرُ بِالبَالِ، فَضْلاً مِنْهُ وَكَرَماً، إِذْ هُوَ الفَاعِلُ المُخْتَارُ، وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، جَلَّ وَعَلَا، قَالَ تَعَالَى: **(وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**[2]. وَقَالَ تَعَالَى: **(تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا)**[3]. وَالآيَاتُ فِي هَذَا المَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ طَرِيقَ القَوْمِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى شَمِّ رَائِحَةٍ مِنْهُ إِلَّا بِالجِدِّ وَالعَزْمِ، وَتَرْكِ المَأْلُوفَاتِ وَالمُسْتَحْسَنَاتِ، وَقَطْعِ العَلَائِقِ وَالعَوَائِقِ، وَالإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ زَرُّوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ أَلَّا تَرَى فِي الوُجُودِ إِلَّا أَنْتَ وَرَبَّكَ.

وَسُئِلَ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: بِتَوْبَةٍ تُزِيلُ الإِصْرَارَ، وَخَوْفٍ يُزِيلُ التَّسْوِيفَ، وَرَجَاءٍ يَبْعَثُ عَلَى مَسَالِكِ العَمَلِ، وَإِهَانَةِ النَّفْسِ بِقُرْبِهَا مِنَ الأَجَلِ، وَبُعْدِهَا مِنَ الأَمَلِ، قِيلَ[4] لَهُ: بِمَاذَا يَصِلُ العَبْدُ إِلَى هَذَا؟ قَالَ: بِقَلْبٍ مُفْرَدٍ، فِيهِ تَوْحِيدٌ مُجَرَّدٌ، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المَعْرِفَةُ تَأْتِي القَلْبَ مِنْ وَجْهَيْنِ، مِنْ عَيْنِ الجُودِ وَبَذْلِ المَجْهُودِ، فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ الصِدْقَ مِنْ عَبْدِهِ فَتَحَ عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِ غَيْبِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ قُرْبِهِ وَحِزْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)**[5].

---

[1]- ح: بعدها

[2]- سورة الزخرف، الآية 72

[3]- سورة مريم، الآية 63

[4]- ك ل: فقيل له

[5]- سورة العنكبوت، الآية 69

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَلِيَّةٌ[1] لَا تَرَاهُ يَرْضَى إِلَّا بِالرُّتَبِ السَّنِيَّةِ، وَيَفِرُّ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ كَائِناً مَا كَانَ، لِأَنَّ قُوَّةَ النُّورِ الَّتِي[2] أَوْدَعَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ تَحْمِلُهُ[3] عَلَى أَنْ يَأْنَفَ مِنْ شَيْءٍ يَرَاهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ أَدْوَنَ، فَهُوَ أَبَداً فِي مَحَلِّ التَّرَقِّي، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَنْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ مَوْلَاهُ فَازَ بِالنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَتَنَعَّمَ فِي الدُّنْيَا بِالمَعْرِفَةِ وَالإِيمَانِ، وَفِي تِلْكَ بِرَفْعِ الحِجَابِ وَشُهُودِ العِيَانِ.

وَبِهَذَا أَخَذَ سَادَاتُنَا الصُّوفِيَةُ، إِذْ كَانُوا أَشَدَّ اتِّبَاعاً لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا عَلَى اللَّهِ مُقْبِلِينَ، وَعَنْ سِوَاهُ مُعْرِضِينَ، كَمَا هُوَ شَيْخُنَا وَإِمَامُنَا أَبُو العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ عُلُوِّ الهِمَّةِ، وَحِفْظِ الحُرْمَةِ، وَنُفُوذِ العَزْمَةِ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ نِسْبَةٌ صَحِيحَةٌ فَهُوَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ القَوِيمِ سَائِرٌ، وَعَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الخُلُقِ الحَسَنِ دَائِرٌ، وَعَلَامَةُ الإِنْتِفَاعِ، وُجُودُ الإِتِّبَاعِ، فَنَتِيجَةُ عُلُوِّ الهِمَّةِ تَظْهَرُ عَلَى الظَّاهِرِ بِحُسْنِ الخِدْمَةِ، (وَحِفْظِ الحُرْمَةِ)[4]، وَمَن شَكَرَ النِّعْمَةَ صَرَّفَهَا فِي طَاعَةِ المُنْعِمِ الدَّائِمِ، وَعَلَى قَدْرِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ.

وَإِنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ بَذَلَ المَجْهُودَ، فِي طَاعَةِ المَعْبُودِ، وَمِمَّنْ طَلَبَ العِلْمَ فِي بِدَايَتِهِ، لِلْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، لَا لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى شَهْوَتِهِ، بَلْ عَمِلَ فِي بِدَايَتِهِ، عَلَى تَصْحِيحِ التَّوْبَةِ بِشُرُوطِهَا فِي طَرِيقَتِهِ، بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ وَحُدُودِهَا، وَنَفْيِ إِرَادَتِهِ، وَقَطَعَ عَنْ نَفْسِهِ الحُظُوظَ وَالعَلَائِقَ، وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ بِمُرَاعَاةِ حَقِّهِ، فَانْكَشَفَتْ لَهُ الحَقَائِقُ، (عَمِلَ عَلَى نَفْيِ الرُّخَصِ وَالتَّأْوِيلَاتِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ، وَقَبَضَ عِنَانَ الخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ المُخَالَفَاتِ.

---

[1] - ك: عالية

[2] - ك ص: الذي

[3] - ح: يحمله

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

وَتَمَسَّكَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ سَالِفُ الأُمَّةِ)[1]، فَتَوَجَّهَ بِكُلِّيَتِهِ إِلَى مَوْلَاهُ، فَكَفَاهُ كُلَّ مَا سِوَاهُ، (أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، لِاشْتِغَالِهِ أَوْلاً بِالعِلْمِ وَالحَدِيثِ، وَالقُرْآنِ)[2]، وَتَبَحُّرِهِ فِي غَرَائِبِ العُلُومِ، وَدَقَائِقِ الفُهُومِ، (وَجَاهَدَ نَفْسَهُ بِالإِسْتِقَامَةِ وَالوَرَعِ، وَيَئِسَ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْلَاهُ طَمَعٌ)[3]، وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنْ الأَكْوَانِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَانْقَطَعَ إِلَى مَوْلَاهُ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً، (وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الزُّهَادِ وَالعُبَّادِ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ اللَّهِ شَاغِلٌ، وَتَجَرَّدَ لِلْخِدْمَةِ وَنَبَذَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ مَا هُوَ عَاجِلٌ، وَشَأْنُ الصِّدِّيقِينَ إِخْلَاصُ الأَعْمَالِ، وَصِدْقُ التَّوَجُّهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَنِسْيَانُ أَعْمَالِهِمْ بِشُهُودِ الكَبِيرِ المُتَعَالِ)[4].

وَبِالجُمْلَةِ فَالشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَعْظَمِ الأَئِمَّةِ فِي وَقْتِهِ، وَمِمَّنْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ. (وَالإِحْتِرَامِ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعٍ وَلَا مُنَازِعٍ مِنْ أَرْبَابِ الصِّدْقِ، وَإِلَيْهِ انْتَهَتْ رِيَاسَةُ هَذَا الشَّأْنِ، وَبِهِ أَحْدَقَ الأَمْرُ فِي تَرْبِيَةِ السَّالِكِينَ وَتَهْذِيبِ المُرِيدِينَ، وَكَشْفِ مُشْكِلَاتِهِمْ، وَكَشْفِ أَحْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي عَصْرِنَا يَبْلُغُ مَا بَلَغَ، فَهُوَ شَرِيفُ الأَخْلَاقِ، لَطِيفُ الصِّفَاتِ، كَامِلُ الأَدَبِ جَلِيلُ القَدْرِ، وَافِرُ العَقْلِ دَائِمُ البِشْرِ، مَخْفُوضُ الجَنَاحِ، كَثِيرُ التَّوَاضُعِ، شَدِيدُ الحَيَاءِ، مُتَّبِعٌ لِأَحْكَامِ[5] الشَّرْعِ وَآدَابِ السُّنَّةِ، مُحِبٌّ[6] لِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالفَضْلِ، مُكْرِمٌ[7] لِأَرْبَابِ العِلْمِ، لَمْ تَزِلَّ بِهِ قَدَمُهُ، وَلَمْ يُمِلْهُ هَوًى مُتَّبَعٌ)[8]، وَاللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِمَا خَتَمَ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا وَأَسْعَدَهَا يَوْمَ لِقَائِهِ، بِجَاهِ نُخْبَةِ أَوْلِيَائِهِ وَخُلَاصَةِ أَصْفِيَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ك ع ي ق: أحكام

[6]- ع ي هـ: محبا

[7]- ع ي: مكرما

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

الفَصْلُ الثَّالِثُ
فِي أَخْذِ طَرِيقِ رُشْدِهِ وَهِدَايَتِهِ

اعْلَمْ أَنَّ أَوْلَى مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ المَعْرِفَةُ وَالدِّرَايَةُ، وَتَجِبُ المُحَافَظَةُ لِمَكَانِهِ وَالرِّعَايَةُ، مَنْ أَتَتْكَ عَلَى يَدَيْهِ نَتَائِجُ الهِدَايَةِ، وَوَاجَهَتْكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْهُ العِنَايَةُ، إِذْ هُوَ الأَبُ وَالوَالِدُ، وَأَحَقُّ مِنْ كُلِّ نَسَبٍ وَتَالِدٍ، حَيْثُ كَانَ لَكَ السَّبَبَ فِي عِدَادِ[1] الإِيجَادَاتِ[2]، وَ نَيْلِ مَدَدِ السَّعَادَاتِ[3]، فَكَانَ المُسَبِّبَ فِي إِخْرَاجِكَ مِنْ عَدَمِ الجَهَالَةِ، إِلَى وُجُودِ المَعْرِفَةِ حَالَةً، وَمِنْ مَكَانِ الغَفْلَةِ وَالصُّدُودِ، إِلَى مَكَانَةِ التَّوَجُّهِ وَالوُرُودِ، وَمِنْ مَوطِنِ الغِوَايَةِ، إِلَى مَنْزِلَةِ الهِدَايَةِ، (وَمِنْ ظُلُمَاتِ المُخَالَفَاتِ وَالعِصْيَانِ، إِلَى أَنْوَارِ المُتَابَعَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَمِنْ مَوْقِفِ الجَفَا وَالبِعَادِ، إِلَى كَنَفِ القُرْبِ وَالوِدَادِ، وَمِنْ دَرَكِ القَطِيعَةِ، إِلَى دَرَجَةِ الوَصْلِ[4] الرَّفِيعَةِ، وَمِنْ مَحَلِّ الإِشْرَاكِ وَالأَنْدَادِ، إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالإِفْرَادِ)[5].

فَتُنْقِلُكَ مِنْ وُجُودٍ حِسِّي، إِلَى وُجُودٍ قُدْسِي، وَمِنْ وُجُودٍ نَفْسَانِي، إِلَى وُجُودٍ رَحْمَانِي، وَمِنْ وُجُودٍ كَالعَدَمِ، إِلَى وُجُودٍ رَاسِخِ القِدَمِ، فَأَنْزَلَكَ فِي هَذِهِ المَنَازِلِ المُنِيفَةِ، وَأَشْرَقَ عَلَيْكَ مِنْهُ نُورُ الحَقِيقَةِ، فَصِرْتَ مُوَحِّداً حَقِيقِياً، وَفُزْتَ فَوْزاً أَبَدِيّاً، فَكَانَتْ لَكَ الوِلَادَةُ المَعْنَوِيَّةُ، أَنْفَعَ مِنَ الأُبُوَّةِ[6] الحِسِّيَّةِ، وَأَحَقَّ مِنْهَا[7] رِعَايَةً، وَآكِدَ مِنْهَا دِرَايَةً، وَأَقْرَبَ مِنْهَا حَسَباً، وَأَوْصَلَ سَبَباً، كَمَا قَالَ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

[1] - أ ح ك ي ع ل هـ ق ص م: عدد

[2] - أ ح ك ي ع ل هـ ق ص م: إيجادات

[3] - أ ح ك ي ع ل هـ ق ص م: إسعادات

[4] - ح: الوصول

[5] - ح: ما بين القوسين محذوف

[6] - ح: الأبوية

[7] - ح: منه

نَسَبِي[1] أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الهَوَى * بَيْنَنَا مِنْ نَسَبِي مِنْ أَبَوَيْ

وَصَارَتْ مَعْرِفَتُهُ أَحْرَى، من مَعْرِفَةٍ أُخْرَى، وَوَجَبَ كَمَا قَالَهُ الشَّعْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعْيِّينُ الأَبِ لِئَلَّا يُجْهَلَ الإِبْنُ مِنَ النَّسَبِ، فَيَنْتَسِبُ[2] أَوْ يُنْسِبُهُ سِوَاهُ لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَيَشْمَلُهُ حَدِيثُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَالِدَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَهُوَ دَعِيٌّ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَلِوُجُوبِ مَعْرِفَةِ هَذَا النَّسَبِ، وَكَوْن حَقِّهِ أَوْكَدُ وَأَوْجَبُ، تَجِدِ الأَشْيَاخَ فِي كُتُبِهِمْ يَتَعَرَّضُونَ لِلتَّعْرِيفِ بِآبَائِهِمْ. لِبَيَانِ رُتْبَتِهِمْ، فَيُقَدِّمُونَ نَسَبَهُمْ الدِّينِي، عَلَى نَسَبِهِمْ الطِّينِي، إِذْ لَيْستِ الرُّتْبَةُ كَالرُّتْبَةِ، وَلَا القُرْبَةُ كَالقُرْبَةِ فِي الغَالِبِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ قَدْرِ شَيْخِ الإِنْسَانِ، عَلَامَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِهِ وَعُنْوَانٌ، وَدَلِيلٌ عَلَى قَدْرِ مِنَحِهِ، وَقُوَّةِ حَالِهِ وَفَتْحِهِ، إِذْ عَلَى قَدْرِ فَتْحِ الشَّيْخِ يَكُونُ فَتْحُ المُرِيدِ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ حَالِهِ وَتَهْذِيبِهِ يَكُونُ التَّهْذِيبُ وَالمَزِيدُ.

وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ الكَامِلُ، وَالقُطْبُ الشَّامِلُ، مَوْلَانَا عَبْدُ القَادِرِ الجِّيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُشِيراً لِهَذَا المَعْنَى: البِيضَةُ مِنَّا بِأَلْفٍ، وَالفَرْخُ لَا يُقَوَّمُ، وَلَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ هَذِهِ تَحْصِيلاً، إِلَّا بِالتَّعَرُّضِ لِلتَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ تَفْصِيلاً، فَكَانَ التَّعَرُّضُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لِلتَّعْرِيفِ بِأَشْيَاخِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكِيداً، وَلِتَمَامِ المَعْرِفَةِ بِقَدْرِهِمْ مُفِيداً، وَبِسَبِيلِ ذَلِك تَأَكَّدَ التَّعْرِيفُ بِأَشْيَاخِهِ، لِيَحْصُلَ التَّعْرِيفُ بِقَدْرِهِ، فَتَعَرَّضْنَا لِذَلِكَ فِي هَذَا البَابِ، وَاقْتَصَرْنَا فِيهِ عَلَى مَا لَا مَنْدُوحَةَ عَنْهُ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ. فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

فَأَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ السَّادَاتِ الأَعْلَامِ زَمَنَ انْتِقَالِهِ مِنْ بِلَادِهِ[3] إِلَى فَاسٍ وَأَحْوَازِهَا، لَقِيَ الوَلِيَّ الكَبِيرَ، وَالقُطْبَ الشَّهِيرَ، (الشَّرِيفَ الأَصِيلَ، الوَجِيهَ الأَثِيلَ، صَاحِبَ الكَرَامَاتِ الشَّهِيرَةِ، وَالمَزَايَا العِظَامِ الفَاخِرَةِ)[4]، **مَوْلَانَا الطَّيِّبَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اليَمْلَحِيَّ**

---

[1] - ل ك ق: نسب

[2] - أ ع ي هـ ق ص: فتنتسب

[3] - ح: بلده

[4] - أ ك ع ي هـ ق ص: الفخيرة

العَلَمِيّ، دَفِينَ وَزَّانٍ، مِنْ بِلَادِ الهَبْطِ مِنْ مَصْمُودَةَ، حَيْثُ ضَرَائِحُ[1] أَبِيهِ وَجَدِّهِ وَأَخِيهِ مَوْلَاي التُّهَامِي، وَهُوَ شَيْخُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهُ صَيْتٌ عَالٍ كَبِيرٌ جِدّاً، تُشَدُّ لِزِيَارَتِهِ الرِّحَالُ، مِنَ الآفَاقِ البَعِيدَةِ مِنَ الرِّجَالِ، (وَزَوَايَاهُ[2] كَثِيرَةٌ فِي مُدُنِ المَغْرِبِ وَمَا وَالَاهُ، وَبِالمَشْرِقِ وَ مَا حَوَاهُ، فَشُهْرَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُغْنِي عَنِ التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِنَسَبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِطَرِيقَتِهِ)[3]، تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ أَوَاخِرَ رَبِيعِ الثَّانِي عَامَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَدُفِنَ بِبِلَادِهِ وَزَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، أَخَذَ عَنْهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي تَلْقِينِ وِرْدِهِ، فَامْتَنَعَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ لِاشْتِغَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ[4]، وَلِكَوْنِهِ لَمْ يَعْرِفْ مَنْزِلَتَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَقِيَ الوَلِيَّ الصَّالِحَ. وَالسَّعْيَ الرَّابِحَ. صَاحِبَ الكَشْفِ الصَّحِيحِ. وَالذَّوْقِ الصَّرِيحِ، **سَيِّدِي مَحَمَّدَ بْنَ الحَسَنِ[5] الوَانْجَلِي**، مِنْ بَنِي وَانْجَلٍ، مِنْ جِبَالِ[6] الزَّبِيبِ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُ: إِنَّكَ تُدْرِكُ مَقَامَ الشَّاذِلِي، وَكَاشَفَهُ بِأُمُورٍ كَانَتْ بِبَاطِنِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا سَيَكُونُ مِنْهُ، وَذَلِكَ عَنْ بُعْدٍ[7]، وَقَدْ ظَهَرَ[8] الآنَ مَا بَشَّرَهُ بِهِ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ مِنَ الخَوَارِقِ وَالكَرَامَاتِ وَالبَوَارِقِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ[9] سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[10]، تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ حُدُودَ خَمْسَةٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

---

[1]- س هـ ل: أضرحة

[2]- ك ع ي: وزوايا

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: اشتغالا بنفسه واعتناء بشأنه

[5]- أ ك ع ي هـ ق ص: محمد بن لحسن

[6]- ل ك: جبل

[7]- ل: وذلك عن بُعْدٍ من المدة

[8]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: ظهرت

[9]- أ ح ع ي هـ ق ص: (عنه) ساقطة

[10]- ل: ولم يأخذ عنه سيدنا رضي الله عنه شيئا ـ ك: ولم يأخذ سيدنا رضي الله عنه عنه

وَلَقِيَ بِفَاسٍ الوَلِيَّ الصَّالِحَ، (نَجْلَ العَارِفِ الرَّابِحِ)[1]، سَيِّدِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَيِّدِي العَرَبِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ المَدْعُو بِابْنِ[2] عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ أَوْلَادِ مَعَنٍ الأَنْدَلُسِي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، لَقِيَهُ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أُمُورٍ، ثُمَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَهُ، دَعَا لَهُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ، وَآخِرُ مَا افْتَرَقَا عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: اللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ثَلَاثاً. تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَغَسَّلْتُهُ بِيَدِي، وَكَفَّنْتُهُ وَجَهَّزْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ جَنَازَةٌ حَفِيلَةٌ حَضَرَهَا أَعْيَانُ فَاسٍ مِنْ عُلَمَائِهَا وَفُقَرَائِهَا وَرُؤَسَائِهَا، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِقَبْرِهِ عِنْدَ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، خَارِجَ بَابِ الفُتُوحِ، قُرْبَ قُبَّةِ القُطْبِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي أَحْمَدَ اليَمَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَ الشَّيْخِ مَوْلَانَا عَبْدِ القَادِرِ الجِّيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفَاسٍ عَلَى يَدِ مَنْ كَانَ يُلَقِّنُ طَرِيقَتَهُ، وَمَنْ لَهُ الإِذْنُ فِيهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا بَعْدَ حِينٍ، ثُمَّ أَخَذَ الطَّرِيقَةَ النَّاصِرِيَّةَ عَلَى الوَلِيِّ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّزَانِي، ثُمَّ تَرَكَهَا بَعْدَ حِينٍ، ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَ القُطْبِ الشَّهِيرِ (العَالِمِ الكَبِيرِ)[3] أَبِي العَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الحَبِيبِ[4] بْنِ مُحَمَّدٍ المُلَقَّبِ بِالغُمَارِي السِّجِلْمَاسِي (الصِّدِيقِي نَسَباً)[5] عَلَى بَعْضِ مَنْ لَهُ الإِذْنُ فِيهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا بَعْدَ مُدَّةٍ، ثُمَّ لَقِيَهُ فِي عَالَمِ النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى لِسَانِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَقَّنَهُ إِسْماً فِي تِلْكَ الحَالَةِ، هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَهُ مُدَّةً وَتَرَكَهُ، تُوُفِّيَ الشَّيْخُ المَذْكُورُ رَابِعَ المُحَرَّمِ، عَامَ خَمْسَةٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

ثُمَّ أَخَذَ عَنِ الوَلِيِّ الصَّالِحِ المَلَامِتِيِّ أَبِي العَبَّاسِ، سَيِّدِي أَحْمَدَ الطَّوَّاشِ، نَزِيلِ تَازَةَ، وَبِهَا تُوُفِّيَ لَيْلَةَ ثَامِنِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى، عَامَ أَرْبَعَةٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، وَلَقَّنَهُ إِسْماً، وَقَالَ لَهُ: إِلْزَمْ الخَلْوَةَ وَالوَحْدَةَ وَالذِّكْرَ، وَاصْبِرْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ تَنَالُ مَقَاماً عَظِيماً، فَلَمْ يُسَاعِدْهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِلْزَمْ هَذَا الذِّكْرَ، وَدُمْ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ خَلْوَةٍ وَلَا وَحْدَةٍ،

---

[1] - ح: ما بين القوسين محذوف

[2] - أ ح ك ع ي هـ ق ص: ابن

[3] - ح: ما بين القوسين محذوف

[4] - أ ح: أحمد لحبيب

[5] - ح: ما بين القوسين محذوف

فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ، فَذَكَرَهُ سَيِّدُنَا مُدَّةً وَتَرَكَهُ، وَوَقَعَتْ[1] لَنَا[2] مَعَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرَامَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ مَا يُنْبِئُ عَلَى تَصْرِيفِهِ فِي تِلْكَ البَلْدَةِ، وَأَخْبَرَنِي بِمَا يَصِلُهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ المَقَامَاتِ، حَتَّى رَأَيْنَاهَا[3]، وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَهُ المِنَّةُ.

ثُمَّ انْتَقَلَ مِنَ المَغْرِبِ إِلَى نَاحِيَةِ الصَّحْرَاءِ قَاصِداً زَاوِيَةَ الشَّيْخِ سَيِّدِي عَبْدِ القَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالأَبْيَضِ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى تِلِمْسَانَ كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضاً، ثُمَّ انْتَقل مِنْ تِلِمْسَانَ قَاصِداً الحَجَّ لِبَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ، وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَلَدِ ازْوَاوَةَ[4] بِقُرْبِ الجَزَائِرِ، سَمِعَ بِالشَّيْخِ الإِمَامِ، وَالعَارِفِ الهُمَامِ، قُدْوَةِ المُتَّقِينَ، وَعُمْدَةِ المُحَقِّقِينَ، **أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مَحَمَّدٍ بِالفَتْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الأَزْهَرِيِّ، لَقِيَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ الطَّرِيقَةَ (الخَلْوَتِيَّةَ)**[5]، وَكَانَ لِهَذَا الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَيْتٌ كَبِيرٌ، (وَأَتْبَاعٌ كَثِيرَةٌ)[6]، وَلَهُ زَوَايَا كَبِيرَةٌ، تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَاتِحَ المُحَرَّمِ، عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ.

وَلَمَّا[7] دَخَلَ تُونِسَ عَامَ سِتَّةٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، **لَقِيَ بَعْضَ الأَوْلِيَاءِ بِهَا،** مِنْهُمْ الوَلِيُّ (الشَّهِيرُ، صَاحِبُ القَدْرِ الكَبِيرِ)[8]، **سَيِّدِي عَبْدُ الصَّمَدِ الرَّحْوِي،** وَكَانَ تَحْتَ وِلَايَةِ غَيْرِهِ، وَهُوَ قُطْبُ تِلْكَ البَلْدَةِ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ، وَلَا[9] يُلَاقُونَهُ إِلَّا لَيْلاً، لِسَتْرِهِ عَلَى حَالِهِ فِي[10] لَيْلَةِ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الإِثْنَيْنِ، قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طَلَبْتُ مِنْ سَيِّدِي عَبْدِ الصَّمَدِ

---

[1]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: ووقع

[2]- ل: لي

[3]- ل: رأيتها

[4]- أ ك ع ي هـ ق ص م: ازواوى

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: فلما

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

[9]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: ولم

[10]- ل: يلتقون معه ليلة الجمعة وليلة الإثنين

مُلَاقَاتِ هَذَا السَّيِّدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَامْتَنَعَ مُتَعَلِّلاً بِعَدَمِ مُلَاقَاتِ أَحَدٍ أَصْلاً، فَبَعَثَ لَهُ مَحْبُوباً[1] مَعَ صَاحِبِهِ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الوَلِيُّ: المَحْبُوبُ بَعَثَ مَحْبُوباً.

فَأَقَامَ سَنَةً كَامِلَةً، بَعْضُهَا بِتُونِسَ، وَبَعْضُهَا بِمَدِينَةِ سُوسَةَ، فَدَرَّسَ بِتُونِسَ كِتَابَ الحِكَمِ وَغَيْرَهُ[2]، فَأَرْسَلَ لَهُ أَمِيرُ البَلَدِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ[3] بِتُونِسَ لِقِرَاءَةِ العِلْمِ وَتَدْرِيسِهِ، (وَالقِيَامِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَتَدْرِيسِهِ)[4]، وَنَفَّذَ لَهُ دَاراً وَمَسْجِدَ الزَّيْتُونَةِ[5] لِلْقِرَاءَةِ، وَعَيَّنَ لَهُ مُرَتَّباً عَظِيماً، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَ الأَمِيرِ مَسَكَهُ وَسَكَتَ، وَمِنَ الغَدِ تَهَيَّأَ لِلسَّفَرِ فِي البَحْرِ لِمِصْرَ القَاهِرَةِ قَاصِداً الحَجَّ، **وَعَازِماً عَلَى الأَخْذِ عَنْ الشَّيْخِ مَحْمُودَ الكُرْدِي،** وَالإِسْتِسْلَامِ لَهُ[6]، وَالسُّلُوكِ بِطَرِيقَتِهِ (وَالسَّيْرِ بِسِيرَتِهِ، لِرُؤْيَا رَآهَا هُنَالِكَ)[7].

فَبَعَثَ لِذَلِكَ الوَلِيِّ خَدِيمَهُ سَيِّدِي عَبْدَ الصَّمَدِ، وَقَالَ[8] : قُلْ لَهُ إِنِّي أَرَدْتُ السَّفَرَ فِي البَحْرِ لِمِصْرَ القَاهِرَةِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ الضَّمَانَ فِي البَحْرِ مِنْ كُلِّ مَا يُرَوِّعُ البَالَ، وَمَا يُشَوِّشُ الحَالَ، فَسَاعَفَهُ عَلَى مَطْلُوبِهِ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ أَنْتَ مَضْمُونٌ ذَهَاباً وَإِيَّاباً، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَكِبَ فِي البَحْرِ مُتَوَجِّهاً لِمِصْرَ، فَحَفِظَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ بِالسَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ[9] لِمِصْرَ القَاهِرَةِ، فَسَأَلَ عَنْ الشَّيْخِ الهُمَامِ، العَالِمِ الإِمَامِ، (المُشَارِكِ النَّبِيلِ، المُحَدِّثِ الصُّوفِي الجَلِيلِ، ذِي[10] الفِكْرِ الصَّائِبِ، وَالذِّهْنِ الثَّاقِبِ، الفَاضِلِ المُنِيفِ، الأَعْرَفِ الزَّاهِدِ العَفِيفِ، حُجَّةِ الإِسْلَامِ، وَقُدْوَةِ

---

[1] - ل: فبعث له محبوبا معه

[2] - أ ك ع ي هـ ق ص: وغيرها

[3] - ل: وحاوله أن يقيم عنده

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

[5] - أ ك ع ي ح هـ ق: الزيتونية

[6] - ك: واستلام القياد له ـ ع: واستسلام القيادة له ـ ي: واستسلام القياد له

[7] - ح: ما بين القوسين محذوف

[8] - ك: وقال له

[9] - ل: سالما ومعافا

[10] - ك ع ي ق ص: ذو

الأَنَامِ، العَارِفِ الكَبِيرِ، الوَلِيِّ الشَّهِيرِ، طَوْدِ المَعْرِفَةِ الشَّامِخِ، المُتَمَكِّنِ الرَّاسِخِ، الكَامِلِ العِرْفَانِ وَالإِتِّبَاعِ، المُوصِلِ المُرَبِّي النَّفَّاعِ، أَبِي[1] الفَضَائِلِ سَيِّدِي)[2] مَحْمُودٍ[3] الكُرْدِيِّ المِصْرِيِّ دَاراً وَقَرَاراً[4]، العِرَاقِي أَصْلاً وَمَنْشَأً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ[5] آمِينَ.

فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مُلَاقَاتِهِ قَالَ لَهُ: أَنْتَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ لَهُ: مِنَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُكَ وَأَنَا[6] بِتُونِسَ، فَقُلْتُ لَكَ: إِنِّي نُحَاسٌ كُلُّ ذَاتِي، قُلْتَ لِي: هُوَ كَذَلِكَ، وَأَنَا أُقَلِّبُ نُحَاسَكَ ذَهَباً، فَلَمَّا قَصَّهَا عَلَيْهِ. قَالَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[7] : هُوَ كَمَا رَأَيْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ: مَا مَطْلَبُكَ؟ قَالَ لَهُ: مَطْلَبِي القُطْبَانِيَةُ العُظْمَى، قَالَ لَهُ: لَكَ أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ، قَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَا وَقَعَ لَهُ فِي سِيَاحَتِهِ، وَسَبَبِ مُلَاقَاتِهِ مَعَ شَيْخِهِ الحِفْنِيِّ، وَشَيْخِ شَيْخِهِ الشَّيْخِ مَوْلَانَا مُصْطَفَى البَكْرِيِّ الصِّدِّيقِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فَتَهَيَّأَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلسَّفَرِ لِبَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ فِي البَحْرِ، فَوَاعَدَهُ الشَّيْخُ وَدَعَا لَهُ وَضَمِنَهُ فِي سَفَرِهِ فِي الذَّهَابِ وَالإِيَابِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ، زَادَهَا اللَّهُ عُلُوّاً وَرِفْعَةً (وَشَرَفاً وَمَكَانَةً)[8]، فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعَةٍ وَثَمَانِينَ، بِتَقْدِيمِ السِّينِ عَلَى البَاءِ، وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ،

---

[1]- ك ع ي هـ ص: أبو

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح ي: أبي محمود

[4]- ح: ومزارا

[5]- ك: بركاته

[6]- ك: (وأنا) ساقطة ـ ع ي: وأنت بتونس

[7]- ك: فلما قصها عليه رضي الله عنه قال له

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

بَحَثَ[1] هُنَالِكَ عَنْ أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالرُّشْدِ وَالفَلَاحِ، كَمَا هِيَ عَادَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُحَصِّلَ كَمَالَ الطَّلَبِ وَالنَّجَاحِ، فَسَمِعَ بِالشَّيْخِ الإِمَامِ، الحَبْرِ الهُمَامِ، (بَدْرِ التَّمَامِ، وَمِسْكِ الخِتَامِ، وَشَمْسِ الأَنَامِ، وَقَمَرِ دَارَةِ الأَعْلَامِ)[2]، أَبِي[3] العَبَّاسِ **سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الهِنْدِيِّ**، قَاطِنِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَخَذَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُلُوماً وَأَسْرَاراً، وَحِكَماً وَأَنْوَاراً، مِنْ غَيْرِ مُلَاقَاتٍ لَهُ، إِنَّمَا كَانَ يُرَاسِلُهُ مَعَ خَادِمِهِ، وَهُوَ الوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِذْنٌ فِي مُلَاقَاتِ أَحَدٍ أَصْلاً بَعْدَ طَلَبِ سَيِّدِنَا لَهُ بِمُلَاقَاتِهِ، فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ لَا إِذْنَ لَهُ فِي مُلَاقَاتِ أَحَدٍ أَصْلاً، وَانْتَفَعَ سَيِّدُنَا عَلَى يَدَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَارِثُ عِلْمِي وَأَسْرَارِي وَمَوَاهِبِي وَأَنْوَارِي، فَلَمَّا كَتَبَ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ[4] لِخَادِمِهِ: هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَتَرَجَّاهُ، قُلْ لَهُ هُوَ وَارِثِي، فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ: هَذِهِ مُدَّةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً وَأَنَا أَخْدِمُكَ[5]، وَالآنَ أَتَى رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ المَغْرِبِ، تَقُولُ لِي هُوَ وَارِثِي! فَقَالَ لَهُ: لَا أَتَرَجَّى إِلَّا هُوَ، وَهَذَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ اخْتِيَارٌ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، لَوْ كَانَ الإِخْتِيَارُ[6] لِي لَنَفَعْتُ بِذَلِكَ وَلَدِي بِهِ قَبْلَكَ، مُنْذُ زَمَانٍ وَأَنَا أَتَرَجَّى وَأَتَرَقَّبُ لَهُ فِي الغَيْبِ نَنْفَعُهُ بِشَيْءٍ، لَمْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَتَى صَاحِبُهُ.

فَكَتَبَ لِسَيِّدِنَا حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا مَا فَعَلْتَ مَعَ وَلَدِي خَيْراً، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يَمُوتُ فِي عِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ ذِي الحِجَّةِ الحَرَامِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ، دَعَا وَلَدَهُ شَيْخُنَا، وَدَخَلَ مَعَهُ لِلْبَيْتِ، وَمَكَّنَهُ مِنَ السِّرِّ حِفْظاً لِأَمَانَةِ الشَّيْخِ وَلِلْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ، وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْطَى لِسَيِّدِنَا سِرّاً كَبِيراً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْكُرَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ

---

[1]- ح: فبحث

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ك ع ي هـ ق ص: أبو

[4]- أ ك ع ي هـ ق ص: فقال

[5]- ل: فقال له الخديم كيف ذلك وأنا في خدمتك مدة ثمانية عشر عاما

[6]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: اختيار لي

فَيُفْتَحَ[1] عَلَيْهِ، لَكِنْ يَعْتَزِلِ النَّاسَ وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ هَذَا العَمَلِ، فَلَمْ يَفْعَلْ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذَا[2] الشَّرْطِ المَذْكُورِ.

وَحِينَ دَنَا الرَّحِيلُ لِعَرَفَةٍ، قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِسَالَتِهِ طَالِباً مِنْهُ المُلَاقَاتِ، لِأَنَّ أَوَانَ الفِرَاقِ قَدْ دَنَا، لِيَنْظُرَ طَلْعَتَهُ البَهِيَّةَ وَمَا وَنَى، فَقَالَ لَهُ: لَا إِذْنَ لِي فِي المُلَاقَاتِ، وَلَكِنْ تَلْتَقِي بِالقُطْبِ بَعْدِي يَكْفِيكَ عَنِّي، يُشِيرُ لَهُ إِلَى مُلَاقَاتِهِ بِالشَّيْخِ السَّمَّانِ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ لَابُدَّ لَهُ مِنْ بُلُوغِ مَقَامِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ[3] الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ سَيِّدِي مَحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ[4] المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، وَأَخْبَرَهُ بِأُمُورٍ عَدِيدَةٍ، وَهُوَ المُعْتَمَدُ عِنْدَ سَيِّدِنَا فِي العُلُومِ وَالأَسْرَارِ وَالخَوَاصِ وَالأَنْوَارِ، تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ سَبْعَةٍ، بِتَقْدِيمِ السِّينِ عَلَى البَاءِ، وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

وَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ، وَكَمَّلَ حَجَّهُ المَبْرُورَ، وَسَعْيَهُ المَشْكُورَ، ارْتَحَلَ لِلْمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لِزِيَارَةِ النَّبِيِّ المَبْرُورِ، فَلَمَّا بَلَغَ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ، (وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ)[5]، تَوَجَّهَ لِزِيَارَةِ القَبْرِ الشَّرِيفِ، وَمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ السِّرِّ المُنِيفِ، فَدَخَلَ بِهَيْبَةٍ وَوَقَارٍ، وَإِعْظَامٍ وَإِكْبَارٍ، فَأَعْطَى لِلْمَقَامِ مَا يُنَاسِبُ قَدْرَهُ العَظِيمَ، مِنَ الآدَابِ وَالإِجْلَالِ وَالتَّذَلُّلِ وَالخُضُوعِ العَمِيمِ، فَلَمَّا قَضَى زِيَارَتَهُ، وَكَمَّلَ اللَّهُ رَغْبَتَهُ وَأُمْنِيَتَهُ، الْتَفَتَ لِمُلَاقَاةِ[6] القُطْبِ الشَّهِيرِ، وَالعَالِمِ الكَبِيرِ، (صَاحِبِ الكَرَامَاتِ البَاهِرَةِ، وَالإِشَارَاتِ الفَاخِرَةِ)[7]، أَبِي[8] عَبْدِ اللَّهِ **سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ الشَّهِيرِ بِالسَّمَّانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،** فَلَمَّا لَاقَاهُ أَخْبَرَهُ

---

[1]- ل: كي يفتح

[2]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: لهذا

[3]- ح: (أبي الحسن) ساقطة

[4]- أ ح: لحسن

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ح: إلى ملاقاة

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

[8]- أ ك ع ي هـ ق ص: أبو

بِحَالِهِ، وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ فِي عَاقِبَةِ مَآلِهِ، فَطَلَبَ مِنْهُ الشَّيْخُ المَذْكُورُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ سَيِّدُنَا، وَيُدْخِلَهُ الخَلْوَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيَصْبُغُهُ صِبْغَةً تَامَّةً، فَتَعَلَّلَ لَهُ سَيِّدُنَا بِعَدَمِ الإِقَامَةِ لِعُذْرٍ قَامَ بِهِ، فَأَذِنَهُ الشَّيْخُ المَذْكُورُ بَعْدَ طَلَبِ سَيِّدِنَا لَهُ فِي جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالمُسَمَّيَاتِ، وَأَخْبَرَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهُ هُوَ القُطْبُ الجَامِعُ، وَقَالَ لِسَيِّدِنَا: اطْلُبْ مَا شِئْتَ، فَطَلَبَ مِنْهُ سَيِّدُنَا أُمُوراً، فَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ رَجَعَ لِمِصْرَ القَاهِرَةِ مَعَ رَكْبِ الحَجِيجِ بِالسَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا مَحْفُوفاً بِالكَرَامَةِ وَالعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَةِ، فَذَهَبَ لِزِيَارَةِ شَيْخِهِ، وَيُسَلِّمُ[1] عَلَيْهِ مِنْ قُدُومِهِ مِن حَجِّهِ وَزِيَارَتِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّرَدُّدِ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهِ، فَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُلْقِي الأُمُورَ المُشْكِلَةَ عَلَى سَيِّدِنَا، وَيَطْلُبُ مِنْهُ حَلَّ إِشْكَالِهَا مِنْ عُلُومِ سَيِّدِنَا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى ظَهَرَتْ عُلُومُ سَيِّدِنَا الغَزِيرَةُ، وَأَخْذَقَتْ بِهِ عُلَمَاءُ مِصْرَ لِإِفَادَتِهِمْ مِنْ عُلُومِهِ العَزِيزَةِ، ثُمَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ لِلْمَغْرِبِ أَذِنَ لَهُ شَيْخُهُ الشَّيْخُ مَحْمُودُ المَذْكُورُ فِي طَرِيقَتِهِ الخَلْوَتِيَّةِ وَالتَّرْبِيَّةِ بِهَا، فَامْتَنَعَ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَقِّنِ النَّاسَ وَالضَّمَانُ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، فَكَتَبَ لَهُ الإِجَازَةَ وَسَنَدَ الطَّرِيقِ، **وَلْنَذْكُرْ سَنَدَهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ،** فَأَقُولُ وَبِهِ الإِعَانَةُ وَالمَدَدُ وَالتَّوْفِيقُ، كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَقَّنَ رَبُّ العِزَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ لَقَّنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ لَقَّنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَهُوَ لَقَّنَ ابْنَهُ الحَسَنَ وَالحَسَنَ البَصْرِيَ وَجَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ لَقَّنَ حَبِيباً العَجَمِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ دَاوُدَ الطَّائِي، وَهُوَ لَقَّنَ مَعْرُوفاً بْنَ فَيْرُوزٍ الكَرْخِي، وَهُوَ لَقَّنَ السَّرِيَّ بْنَ المُغَلِّسِ السَّقَطِي، وَهُوَ لَقَّنَ الجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ سَيِّدَ الطَّائِفَةِ البَغْدَادِيَةِ، وَهُوَ لَقَّنَ مُحَمَّدَ البَكْرِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ وَجِيهَ الدِّينِ القَاضِي، وَهُوَ لَقَّنَ عُمَرَ البَكْرِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ أَبَا النَّجِيبِ السَّهْرَوَرْدِي، وَهُوَ لَقَّنَ قُطْبَ الدِّينِ الأَبْهَرِيِّ، وَهُوَ لَقَّنَ رُكْنَ الدِّينِ مُحَمَّدَ السَّنْجَانِي[2]،

---

[1]- ح ك: وسلم عليه ـ أ ع ي هـ ق ص: ويسلم عليه. وأثبتنا لفظ (يسلم) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: النجاشي

وَهُوَ لَقَّنَ شِهَابَ الدِّينِ مُحَمَّدَ التَّبْرِيزِي[1]، وَهُوَ لَقَّنَ جَمَالَ الدِّينِ التَّبْرِيزِي، وَهُوَ لَقَّنَ إِبْرَاهِيمَ الزَّاهِدَ الكِيلَانِي، وَهُوَ لَقَّنَ مُحَمَّدَ الخَلْوَتِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ عُمَرَ الخَلْوَتِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ مُحَمَّداً بِيرَامَ[2] الخَلْوَتِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ الحَاجَّ عِزَّ الدِّينِ، وَهُوَ لَقَّنَ صَدْرَ الدِّينِ الخيَاوِي[3]، وَهُوَ لَقَّنَ سَيِّدِي يَحْيَى البَاكُوبِي، وَهُوَ لَقَّنَ مُحَمَّدَ بْنَ بَهَاءِ الدِّينِ الأَرْزَنْجَانِي[4]، وَهُوَ لَقَّنَ جَلَبِي سُلْطَانَ المَقْدِسِ الشَّهِيرَ بِجَمَالِ الخَلْوَتِيِّ، وَهُوَ لَقَّنَ خَيْرَ الدِّينِ التُوقَادِي[5]، وَهُوَ لَقَّنَ الشَّيْخَ شَعْبَانَ القسْطَمُونِي، وَهُوَ لَقَّنَ مُحْيِي الدِّينِ القسْطَمُونِي، وَهُوَ لَقَّنَ سَيِّدِي عُمَرَ الفُؤَادِي، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ الشَّيْخَ إِسْمَاعِيلَ الجَوْرُومِي[6] المَدْفُونَ بِالقُرْبِ مِنْ مَرْقَدِ سَيِّدِي بِلَالٍ الحَبَشِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِدِيَارِ الشَّامِ، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ الشَّيْخَ عَلِي أَفَنْدِي قَرَا بَاشَا، وَتَخَلَّفَ عَلَى يَدِ[7] وَالِدِهِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى (الطَّبِيبِي)[8]، أَيْ هُوَ الَّذِي أَجَازَهُ بِالإِرْشَادِ، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ الشَّيْخَ مُصْطَفَى أَفَانْدِي الإِدْرِنْوِي[9]، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّطِيفِ الخَلْوَتِي الحَلَبِي وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ قُطْبَ الوُجُودِ السَّيِّدَ مُصْطَفَى بْنَ كَمَالِ الدِّينِ الصِّدِّيقِي، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ الشَّيْخَ الحِفْنِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ وَأَرْشَدَ[10] الشَّيْخَ مَحْمُودَ الكُرْدِيَّ، وَهُوَ لَقَّنَ قُطْبَ زَمَانِهِ، فَرِيدَ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ، شَيْخَنَا وَقُدْوَتَنَا إِلَى اللَّهِ، مَوْلَانَا أَبَا العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مَحَمَّدٍ التِّجَانِيَّ،

[1]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: الشيرازي

[2]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: أبرام

[3]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: الجياني

[4]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: الشرواني

[5]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: النقادي

[6]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: الجرمي

[7]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: وتخلف عن والده

[8]- أ ح: ما بين القوسين محذوف

[9]- أ ح ك ع ل ي هـ ق ص م: الأدنوي

[10]- ح: ما بين القوسين محذوف

(وَهُوَ لَقَّنَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيفَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِيِّ السَّائِحِي) [1]، وَلَقَّنَ العَبْدَ الفَقِيرَ إِلَى مَوْلَاهُ الغَنِيِّ الحَمِيدِ، جَامِعَ هَذَا الكِتَابِ المَجِيدِ، أَدْرَجَنَا اللَّهُ فِي سِلْكِهِمْ، وَأَمَاتَنَا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَأَدْخَلَنَا مَدْخَلَهُمْ، وَأَحَلَّنَا مَحَلَّهُمْ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ * إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ[2]

فَلَمَّا وَدَّعَهُ، وَقَفَلَ إِلَى نَاحِيَةِ تُونِسَ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا بِالسَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ، وَانْتَقَلَ[3] مِنْهَا إِلَى تِلِمْسَانَ، وَأَقَامَ بِهَا مُجْتَهِداً فِي العِبَادَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَيْهِ[4]، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسٍ، بِقَصْدِ زِيَارَةِ مَوْلَانَا إِدْرِيسَ، سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَفِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ، **لَاقَيْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَدِينَةِ وَجْدَةَ**، قَافِلاً لِفَاسٍ، فَقَفَلْتُ مَعَهُ، وَتَعَرَّفَ لِي، وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ، قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ بِعَامَيْنِ رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى صُحْبَتِهِ وَالأَخْذِ عَنْهُ، فَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ تَعَرَّفَ لِي، وَذَكَرَ لِي الرُّؤْيَةَ بِعَيْنِهَا، وَقَدْ كُنْتُ نَسِيتُهَا، وَقَالَ لِي: أَمَا تَخَافُ مِنَ اللَّهِ تُتْعِبُنِي مِنْ مَكَانِي إِلَيْكَ؟ فَلَا حَاجَةَ لِي إِلَّا مُلَاقَاتُكَ، فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ.

فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَشَكَرْتُهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيَّ، وَأَنَّهُ هُوَ الكَفِيلُ لِي وَالمُتَوَلِّي أُمُورِي بِتَصْرِيحٍ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَخْبَرَنِي بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الفَتْحِ وَالتَّمْكِينِ، فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى فَاسٍ، أَقَامَ بِهَا مُدَّةً بِقَصْدِ زِيَارَةِ مَوْلَانَا إِدْرِيسَ، فَلَقَّنَنِي الطَّرِيقَةَ الخَلْوَتِيَّةَ، وَأَسْرَاراً وَعُلُوماً، وَرَجَعَ إِلَى تِلِمْسَانَ، وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ تِلِمْسَانَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، لِأَنَّ حَالَهُ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهَا، وَضَاقَتْ نَفْسُهُ، فَوَدَّعْتُهُ، وَقَالَ لِي: الْزَمْ العَهْدَ وَالمَحَبَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ الفَتْحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى تِلِمْسَانَ، أَقَامَ بِهَا مُدَّةً وَارْتَحَلَ إِلَى نَاحِيَةِ الصَّحْرَاءِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَنَزَلَ بِقَرْيَةِ القُطْبِ الكَبِيرِ، سَيِّدِي أَبِي سَمْغُونَ.

---

[1]- ك ع ل ي هـ ق ص: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: المحافل

[3]- أ ك ع ي هـ ق: فانتقل

[4]- ل: والدلالة على الله

ثُمَّ سَافَرَ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ اتْوَاتْ بِقَصْدِ الزِّيَارَةِ، فَلَقِيَ بَعْضَ الأَوْلِيَاءِ بِهَا، وَأَخَذَ عَنْهُمْ بَعْضَ الأُمُورِ الخَاصَّةِ، وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ عُلُوماً وَأَسْرَاراً فِي الطَّرِيقِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَرْيَةِ أَبِي سَمْغُونَ، وَأَقَامَ بِهَا وَاسْتَوْطَنَ، **وَفِيهَا وَقَعَ لَهُ الفَتْحُ، وَأَذِنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] فِي تَلْقِينِ الخَلْقِ** بَعْدَ أَنْ كَانَ فَارّاً مِنْ مُلَاقَاتِ الخَلْقِ لِاعْتِنَائِهِ بِنَفْسِهِ، وَعَدَمِ ادِّعَاءِ المَشْيَخَةِ، إِلَى أَنْ[2] وَقَعَ[3] لَهُ الإِذْنُ مِنْهُ يَقَظَةً لَا مَنَاماً بِتَرْبِيَةِ الخَلْقِ عَلَى العُمُومِ وَالإِطْلَاقِ، وَعَيَّنَ لَهُ الوِرْدَ الَّذِي يُلَقِّنُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

عَيَّنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِسْتِغْفَارَ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا كَانَ هُوَ الوِرْدَ فِي تِلْكَ المُدَّةِ إِلَى رَأْسِ المِائَةِ، كَمَّلَ لَهُ الوِرْدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، فَعِنْدَ هَذَا تَنَزَّلَ لِلْخَلْقِ وَالإِفَادَةِ وَإِظْهَارِ الطَّرِيقَةِ وَالإِسْتِفَادَةِ[4]، وَهَذَا بَعْدَ إِخْبَارِهِ لَهُ[5] بِعُلُوِّ مَقَامِهِ وَارْتِفَاعِ قَدْرِهِ وَمَكَانِهِ. وَأَخْبَرَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِفَضْلِ هَذَا الوِرْدِ وَقَدْرِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ[6] وَحِزْبِهِ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ هَذَا[7] مُبَيَّناً مُفَصَّلاً فِي بَابِهِ، وَلَمَّا أَذِنَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ، وَالسِّيرَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هُوَ مُرَبِّيهِ وَكَافِلُهُ، وَأَنَّهُ لَا يَصِلُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ وَبِوَاسِطَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

[1]- ل: وأذن له النبي صلى الله عليه وسلم

[2]- ل: "إلى أن" محذوفة

[3]- ل: حتى وقع

[4]- ل: لأهل الإستفادة

[5]- ي: "له" محذوفة

[6]- ل: وكان من أتباعه

[7]- ح: هذا إن شاء الله

وَقَالَ لَهُ: لَا مِنَّةَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْكَ مِنْ أَشْيَاخِ الطَّرِيقِ، فَأَنَا وَاسِطَتُكَ وَمُمِدُّكَ عَلَى التَّحْقِيقِ، فَاتْرُكْ عَنْكَ جَمِيعَ[1] مَا أَخَذْتَ مِنْ جَمِيعِ الطُّرُقِ[2]، وَقَالَ لَهُ: الْزَمْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مِنْ غَيْرِ خَلْوَةٍ وَلَا اعْتِزَالٍ[3] عَنِ النَّاسِ حَتَّى تَصِلَ مَقَامَكَ الَّذِي وُعِدْتَ بِهِ وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ مِنْ غَيْرِ ضَيْقٍ وَلَا حَرَجٍ وَلَا كَثْرَةِ مُجَاهَدَةٍ، وَاتْرُكْ عَنْكَ جَمِيعَ الأَوْلِيَاءِ، فَمِنْ حِينِ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ القَوْلَةَ تَرَكَ جَمِيعَ الطُّرُقِ، وَتَرَكَ الطَّلَبَ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

فَانْظُر رَحِمَكَ اللَّهُ هَذَا الإِعْتِنَاءَ بِشَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذِهِ المَحَبَّةَ وَالخُصُوصِيَةَ مِنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْتَبَةً عَظِيمَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَهُ بِهَا سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَا مَرَّةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ وُصُولُهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفَتْحُهُ[4] كَانَ مَقَامُهُ أَعْلَا وَأَجَلَّ[5] وَأَرْفَعَ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ أَعْظَمَ قَدْراً فِي الغَالِبِ مِنْ أَصْحَابِ غَيْرِهِ مِنَ الأَشْيَاخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مَوْلَانَا عَبْدُ القَادِرِ الجِّيلَانِي فِي قَوْلِهِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، وَهُوَ البِيضَةُ مِنَّا بِأَلْفٍ، إلخ.. مُشِيراً بِهَذَا لِأَصْحَابِهِ، لِأَنَّ فَتْحَهُ وَوُصُولَهُ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ كَانَ فَتْحُهُ وَوُصُولُهُ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَرْفَعَ قَدْراً وَأَعْظَمَ شَأْناً، وَهَذَا الفَتْحُ وَالفَيْضُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ عَلَى رَأْسِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الأَلْفِ[6] بِأَبِي سَمْغُونَ وَالشَّلَّالَةِ، وَمِن ذَلِكَ الوَقْتِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَتَرَادَفُ عَلَيْهِ الأَسْرَارُ وَالأَنْوَارُ[7] وَالتَّجَلِّيَاتُ

---

[1] - ك: "جميع" محذوفة

[2] - ح: الطريق

[3] - ل: عزلة

[4] - ل: وفتحه مستنداً إليه

[5] - ك م: وأجلى

[6] - ح: المائة من الثاني عشر وألف

[7] - ع ك ل ي هـ ق ص م: الأنوار والأسرار

وَالتَّرَقِّيَاتُ وَكَمَالُ الأَنْوَارِ، فَمِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ وَالوُفُودُ تَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي وَالأَقْطَارِ لِلأَخْذِ عَنْهُ وَالزِّيَارَةِ وَأَخْذِ الأَسْرَارِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ فُيُوضَاتِهِ مَا تَلَقَّيْنَاهُ مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَسَيَرِدُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي هَذَا المَجْمُوعِ المُبَارَكِ فِي مَحَالِّهِ[1]، مَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ، مِمَّا يُبْهِرُ العُقُولَ (وَيَنْمَحِقُ فِيهِ المَعْقُولُ وَالمَنْقُولُ)[2]، وَبَقِيَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ فِي[3] تِلْكَ البَلْدَةِ، وَنَحْنُ نَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ، وَقَدِمْنَا لِزِيَارَتِهِ بِتِلْكَ[4] البَلْدَةِ[5] فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَسْمَعُ مِنْهُ مَا لَمْ نَسْمَعْهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا مِنَ العُلُومِ وَالأَسْرَارِ، وَلَمْ أَزَلْ أُقَيِّدُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَيُمْلِيهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ بِلَادِ الصَّحْرَاءِ المَذْكُورَةِ فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ النَّبَوِيِّ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، وَدَخَلَ بِفَاسٍ السَّادِسَ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي مِنَ العَامِ المَذْكُورِ، وَنَحْنُ مَعَهُ مِنْ أَبِي سَمْغُونَ، إِلَى أَنْ وَصَلْنَا لِفَاسٍ[6]، وَاسْتَفَدْنَا فِي[7] سَفَرِنَا[8] أُمُوراً لَا نُحْصِيهَا مِنْ أَحْوَالِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّتِي[9] لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَشَهِدْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ مِمَّا[10] سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ بَابِ الكَرَامَةِ.

---

[1]- ح: محله

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ي ع ك هـ ق ص: إلى

[4]- أ ي ع ك هـ ق ص: لتلك

[5]- ح: لزيارة تلك البلدة

[6]- ل: إلى فاس

[7]- ح ع: من

[8]- ك: واستفدنا منه في سفرنا

[9]- ح: "التي" محذوفة

[10]- ل: ما

(وَقَدْ شَبَّ حَالُهُ وَاكْتَمَلَ، وَعَلَى مَا أُهِّلَ لَهُ مِنَ المَعَارِفِ الرَّبَّانِيَةِ اشْتَمَلَ، فَأَشْرَقَتْ بِمَقْدَمِهِ الكَرِيمِ بِقَاعُ الأَرْضِ، وَعَمَّتِ البَرَكَةُ القُطْرَ المَغْرِبِيَّ بِالطُّولِ وَالعَرْضِ، وَلَكِنْ انْبَهَمَ ذَلِكَ فِي طَيِّ خُمُولِهِ وَانْكَتَمَ، وَسُتِرَ إِلَّا عَنْ أَهْلِ الخُصُوصِ إِلَى أَنْ اكْتَمَلَ أَمْرُهُ وَتَمَّ، وَلَوْ انْكَشَفَ الحِجَابُ الحَائِلُ، وَعُلِمَ مَا إِلَيْهِ أَمْرُهُ آيِلٌ، لَأَنْشَدَ مُغْتَبِطاً بِقُدُومِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَكُلُّ جَارِحَةٍ مِنْهُ لَوْ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ لِسَانٌ[1].

عُدْتُمْ فَعَادَتْ لَيَالِي الوَصْلِ أَعْيَادَا * مِنْ قُرْبِكُمْ وَلَذِيذُ الأُنْسِ قَدْ عَادَا

أَبِنْتُمُ الصَّبْرَ مَا إِنْ بِنْتُمُ[2] فَأَنَا * لِأَجْلِ[3] ذَاكَ أَرَى الإِغْوَاءَ إِرْشَادَا

وَاليَوْمَ سَامَحَنِي دَهْرِي بِوَصْلِكُمُ * وَصَالِحُ الصُّلْحِ وَفَّى بَعْدَ أَنْ عَادَا

لَا أَوْحَشَ اللَّهُ عَيْنِي مِنْ جَمَالِكُمُ * يَا نُورَهَا لِأُقَضِّي الدَّهْرَ إِسْعَادَا) [4]

وَلَمَّا مَضَتْ لَهُ شَهْرَانِ[5] بِفَاسٍ[6]، أَمَرَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمْعِ هَذَا التَّأْلِيفِ بِأَمْرٍ مِنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْراً[7] مُؤَكَّداً لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ[8] أَمَرَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَمْزِيقِ مَا جَمَعْنَاهُ[9] مِنْهُ لِسَبَبٍ اقْتَضَاهُ الوَقْتُ وَالحَالُ، حَتَّى تَفَضَّلَ الحَقُّ عَلَيْنَا الكَبِيرُ المُتَعَالُ، بِأَمْرٍ مِنْ سَيِّدِ الرِّجَالِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يَسَعُهُ تَرْكُهُ، وَلَا يَنْبَغِي إِلَّا جَمْعُهُ،

---

[1]- ل: لو أمكن ذلك وكل لسان

[2]- ي ع: ما أبنتم ـ ك ل: لما بنتم

[3]- ل: من أجل

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ع ي: نحو شهرين

[6]- ل: ولما مضى له بفاس شهران

[7]- ح: "أمراً" محذوف

[8]- ل: بعدما كان

[9]- ح: جعلناه

فَقَدْ **قَالَ لَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ بَعْدَ أَمْرِهِ لَهُ بِجَمْعِهِ: تَحَفَّظْ عَلَيْهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ بَعْدَكَ بِحِفْظِهِ**.

فَأَمَرَنَا[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابَتِهِ[2] وَجَمْعِهِ وَحِفْظِ مَا شَرَدَ مِنْ مَسَائِلِهِ، فَفَرِحْنَا بِهَذِهِ البِشَارَةِ غَايَةَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَنَا قَبْلُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُدَّخَرُ فِي الأَعْصَارِ وَالدُّهُورِ، وَكُنَّا قَبْلَ هَذِهِ المُدَّةِ حِينَ مُزِّقَ فِي غَايَةِ النَّكَدِ وَعَدَمِ السُّرُورِ، إِلَى أَنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكَمَالِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ، فَشَرَعْنَا فِي كِتَابَتِهِ، وَجَمْعِ مَسَائِلِهِ وَمُحَاوَلَتِهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ التَّمَامَ، بِجَاهِ بَدْرِ التَّمَامِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلْنَخْتِمْ هَذَا البَابَ بِمُبَشِّرَاتٍ ظَهَرَتْ لِشَيْخِنَا[3] فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ، تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرَفْعِ[4] قَدْرِهِ وَمَكَانَتِهِ، وَلَا رَأَى رُؤْيَا إِلَّا وَقَعَتْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ كَمَا أَخْبَرَ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّ رُؤْيَا الإِنْسَانِ الصَّادِقِ تَدُلُّ عَلَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرُهُ فِي الغَالِبِ، كَمَا قَالَتْ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ الصِّدِّيقِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. الحَدِيثُ، فَمِنْ مَرَائِي شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمْرُهُ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: رَأَيْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ، قَبْلَ البُلُوغِ، كَأَنَّهُ انْتُصِبَ لِي كُرْسِيُّ المَمْلَكَةِ، وَأَنَا جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَلِي عَسَاكِرُ كَثِيرَةٌ، وَأَنَا أَصْرِفُهَا فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، كَأَنِّي مَلِكٌ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَا رَآهَا بِعَيْنٍ مَاضِي.

وَقَالَ أَيْضاً: رَأَيْتُ رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى حَالِي كُلِّهِ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاكِباً عَلَى حِصَانٍ، فَقُلْتُ وَأَنَا ذَاهِبٌ نَحْوَهُ: إِنْ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فَوْقَ الحِصَانِ لَمْ أُدْرِكْ[5] مُرَادِيَ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ،

---

[1]- ل: فأمرنا حينئذ بكتابته

[2]- أ ي ع: بكتابه

[3]- ل: لسيدنا

[4]- ل: ورفعة قدره

[5]- أ ح ي ك ع ل هـ ق ص: ندرك

وَإِنْ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ رَاكِبٍ سَأُدْرِكُ[1] مُرَادِيَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ[2]، فَلَمَّا وَصَلْتُهُ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ الحِصَانِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ[4]، فَهَكَذَا وَقَعَ فِي خَاطِرِي فِي ذَلِكَ النَّوْمِ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ دَخَلَ إِلَى بُسْتَانِ رَجُلٍ مِنْ عَيْنِ مَاضِي، وَأَحْرَمَ يُصَلِّي، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُحْرِمَ[5] مَعَهُ، بَيْنَمَا أَنَا فِي اسْتِحْضَارِ النِّيَةِ وَلَمْ أُحْرِمْ حَتَّى رَكَعَ وَسَجَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَحْرَمْتُ مَعَهُ فِي الثَّانِيَةِ، فَكَمَّلْتُهَا مَعَهُ إِلَى أَنْ سَلَّمَ، فَأَوَّلْتُهَا وَأَنَا فِي ذَلِكَ الحَالِ بِأَنَّ نِصْفَ عُمُرِي يَضِيعُ وَلَنْ أُدْرِكَ[6] فِيهِ شَيْئاً، وَنِصْفُهُ الآخَرُ أُدْرِكُ[7] فِيهِ مُرَادِي، فَكَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ. فَلَهُ[8] الحَمْدُ وَالمِنَّةُ.

وَقَالَ أَيْضاً: رَأَيْتُ نَفْسِي فِي صُورَةِ مَلِكٍ، وَعَقَدَ لِي النَّاسُ البَيْعَةَ، وَمَعِي خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَنَصَبُوا إِلَيَّ[9] كُرْسِيَّ الخِلَافَةِ عَلَى سَطْحٍ مُرْتَفِعٍ، وَعَلَيَّ لِبَاسُ المُلُوكِ، فَلَمَّا حَانَتْ الصَّلَاةُ، وَهِيَ صَلَاةُ الظُّهْرِ، أَرَدْتُ أَنْ آمُرَ أَحَداً مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي بِنَا، عَلَى عَادَتِي فِي اليَقَظَةِ، فَتَفَكَّرْتُ، وَقُلْتُ: الخَلِيفَةُ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَتَقَدَّمْتُ وَصَلَّيْتُ بِالنَّاسِ، حَتَّى أَتْمَمْتُ الصَّلَاةَ وَسَلَّمْتُ، فَقَصَّهَا عَلَى بَعْضِ الأَحِبَّاءِ، فَقَالَ لَهُ: وَأَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ بِيَ القُطْبَانِيَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُ غَيْرَهَا[10]، فَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ يَطْلُبُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ مَفَاتِحِ الكُنُوزِ، لِمَا رَأَى مِنْ عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ صَرَفَ هِمَّتَهُ لِطَلَبِ

---

[1]- أ ح ي ك ع ل هـ ق ص: فندرك

[2]- ل: بلا تعب

[3]- ل: فلما وصلت إليه

[4]- ل: وسلمت عليه نازلاً

[5]- أ ح ي ك ع هـ ق ص: نحرم

[6]- أ ح ي ك ع ل هـ ق ص: ولم ندرك

[7]- أ ح ي ك ع ل هـ ق ص: ندرك

[8]- ل: فلله

[9]- ل ك هـ ص: لي

[10]- ل: وأنا أطلب غيرها من المراتب

القُطْبَانِيَةِ، لِمَا رَأَى مِنَ الخُصُوصِيَةِ الَّتِي لِلقُطْبِ وَلَمْ يَنَلْهَا غَيْرُهُ وَإِنْ بَلَغُوا مَا بَلَغُوا فِي الإِرْتِقَاءِ[1]، فَأُعْطِيهَا وَالحَمْدُ لِلَّهِ.

وَقَالَ أَيْضاً: رَأَيْتُ سَيِّدِي أَبَا مَدْيَنَ الغَوْثَ فِي النَّوْمِ فِي مَجْمَعٍ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يَأْتِي لَنَا بِشَيْءٍ نُعْطِيهِ الحَاجَةَ الَّتِي طَلَبَهَا، قُلْتُ لَهُ: هَا أَنَا أُعْطِيكَ أَرْبَعَةَ مَثَاقِيلَ، وَاضْمَنْ لِي القُطْبَانِيَةَ العُظْمَى، قَالَ لِي: نَعَمْ، وَأَنَا أَضْمَنُهَا لَكَ، لَنْ تَمُوتَ[2] حَتَّى تُدْرِكَهَا، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذِهِ الرُّؤْيَةَ[3] أَنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقِيَ رَجُلاً يُلَاقِي الرُّوحَانِيَةَ يَقَظَةً، وَيُخْبِرُونَهُ بِمَا أَرَادَ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا: إِنِّي أَضْمَرْتُ لَكَ حَاجَةً فَمَا هِيَ؟ وَلَمْ يُسَمِّهَا لَهُ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالَ لَهُمْ: مَا حَاجَةُ فُلَانٍ؟ قَالُوا[4] لَهُ: سَأَلَكَ عَنِ القُطْبَانِيَةِ، قَالَ: فَحَضَرَ[5] مَعَهُمْ رَجُلٌ، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ قَالَ لَكُمْ تَتَكَلَّمُوا[6] فِي هَذَا الأَمْرِ؟ قَالُوا لَهُ: صَاحِبُهُ هُوَ الَّذِي سَأَلَنَا، قَالَ لَهُمْ: هَذِهِ القُطْبَانِيَةُ أَنَا ضَمِنْتُهَا لَهُ حِينَ كَانَ بِتِلِمْسَانَ قَبْلَ أَنْ يُشَرِّقَ، لَنْ يَمُوتَ[7] حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَلَا تَدْخُلُوا فِيهَا لَا أَنْتُمْ وَلَا غَيْرُكُمْ، وَالرَّجُلُ المَذْكُورُ هُوَ الشَّيْخُ سَيِّدِي[8] أَبُو مَدْيَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالمَسْؤُولُ لَمْ يَتَلَاقَى[9] مَعَ الشَّيْخِ أَبَداً[10] إِلَّا فِي سَاعَةِ السُّؤَالِ، وَلَا خِبْرَةَ لَهُ بِالرُّؤْيَةِ أَصْلاً، فَدَلَّ خَبَرُهُ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ المُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ لَا وَهْمَ فِيهَا.

---

[1]- ل: وإن بلغ غيره ما بلغ في الإرتقاء

[2]- أ ح ي ك ع: لم تمت

[3]- ك: الرؤيا

[4]- ل: فقالوا

[5]- ل: وحضر

[6]- ل: تكلموا

[7]- أ ح ي ك ع هـ ق ص: لم يمت ـ ل: لا يموت

[8]- ك: "سيدي" محذوفة

[9]- ل: لم يجتمع ولم يتلاقى

[10]- ح: "أبدا" محذوفة

وَقَصَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَائِيَ تَدُلُّ عَلَى وِلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَقُطْبَانِيَتِهِ، وَمَرَائِيهِ كُلُّهَا صَادِقَةٌ كَفَلَقِ الصُّبْحِ، كُلَّمَا رَأَى رُؤْيَا وَقَصَّهَا إِلَّا وَهِيَ كَفَلَقِ الصُّبْحِ، مِنْهَا مَا قَدَّمْنَاهُ، وَمِنْهَا مَا سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتُونِسَ، قَالَ لِي: ادْعُوا بِالمَعْرِفَةِ أَوْ بِمُرَادِكَ، وَأَنَا أُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِكَ، فَدَعَوْتُ، وَأَمَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ وَالضُّحَى، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)**[1]. رَمَقَنِي بِبَصَرِهِ الشَّرِيفِ، وَكَمَّلَ السُّورَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُهُ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلْتُهُ عَنِ الحَدِيثِ الوَارِدِ فِي سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قُلْتُ لَهُ: وَرَدَتْ عَنْكَ رِوَايَتَانِ صَحِيحَتَانِ: وَاحِدَةٌ قُلْتَ فِيهَا: يَمْكُثُ بَعْدَ[2] نُزُولِهِ أَرْبَعِينَ، وَقُلْتَ فِي الأُخْرَى: يَمْكُثُ سَبْعاً، مَا الصَّحِيحَةُ مِنْهُمَا؟ قَالَ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رِوَايَةُ السَّبْعِ. وَمِنْهَا أَنَّهُ[4] **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، رَأَيْتُ المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلْتُهُ عَنِ الزَّكَاةِ الَّتِي يَأْخُذُهَا الأُمَرَاءُ وَالظُّلَّامُ مِنَ المُسْلِمِينَ كَرْهاً، هَلْ تَكْفِيهِمْ، قَالَ[5] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَأَنَا أَمَرْتُهُمْ بِطَاعَتِهِمْ؟ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ لَهُ: الَّذِي يُمْكِنُهُ إِعْطَاؤُهَا لِغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ ضَرَرٌ مِنْهُمْ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ أَعْطَوْهَا فَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ.

وَمِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَتَحَرَّجُ[6]، وَأُشَدِّدُ[7] غَايَةً فِي المَاءِ المُتَغَيِّرِ مِنْ أَثَرِ الوُضُوءِ، بَلْ وَلَا أَتَوَضَّأُ[8] بِهِ حَتَّى رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ فِي إِنَاءٍ، وَكَانَ المَاءُ مُتَغَيِّراً مِنْ أَثَرِ

---

[1]- سورة الضحى، الآية 5

[2]- ك: يمكث فيها بعد نزوله

[3]- ل: فقال

[4]- ك ع ي: "أنه" محذوفة

[5]- ل: فقال

[6]- أ ي ك ع ح هـ ق ص: نتحرج

[7]- أ ي ك ع ح هـ ق ص: ونشدد

[8]- أ ي ك ع ح هـ ق ص: نتوضأ

الوُضُوءِ، وَقَالَ لِي أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمِنْ ذَلِكَ تَرَكْتُ التَّحَرُّجَ، وَرُحْتُ[1] مِنْهُ.

وَمِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَارُونَ بَلَغَنَا أَنَّهُ رَأَى المَحَلَّ الَّذِي كَتَبْتَ فِيهِ الإِسْمَ الأَعْظَمَ وَرَمَيْتَهُ فِي البَحْرِ لِإِظْهَارِ قَبْرِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ قَارُونُ ذَلِكَ المَحَلَّ المَكْتُوبَ فِيهِ الإِسْمُ الأَعْظَمُ، وَصَارَ يَرْمِيهِ عَلَى مَوَاضِعِ الكُنُوزِ، فَتَظْهَرُ لَهُ، وَمِنْهُ نَالَ مَا نَالَ مِنْ كَثْرَةِ الأَمْوَالِ، قَالَ لِي: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: هَلْ لِلْعَارِفِ اخْتِيَارٌ فِي الفِعْلِ وَالتَّرْكِ؟ قَالَ لِي: إِلَّا إِذَا بَلَغَ مَقَامَ كَذَا، وَلَمْ يُسَمِّي[2] لَنَا الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا المَقَامَ بِعَيْنِهِ.

فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَحْوَالَ هَذَا الشَّيْخِ مَعَ صَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، فَصَارَ نَوْمُهُ كَيَقَظَتِهِ، يَسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ مُرَادِهِ، وَهَذِهِ[3] أَحْوَالُ الرِّجَالِ لِغَلَبَةِ حُكْمِ الرُّوحِ عَلَى الذَّاتِ، لِأَنَّ الرُّوحَ أَصْلُهَا الطَّهَارَةُ وَالصَّفَاءُ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكْتُبَ جَمِيعَنَا فِي زُمْرَةِ خُلَاصَةِ أَصْفِيَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ، وَلَهُ مَرَائِي كَثِيرَةٌ، فَهَذَا الَّذِي حَضَرَنَا مِنْهَا، كَانَ يَرَاهَا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، وَأَمَّا الآنَ، فَلَا يَذْكُرُ شَيْئاً إِلَّا نَادِراً جِدّاً، وَهَذِهِ المَرَائِي المُتَقَدِّمَةُ لِشَيْخِنَا قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً لَا مَنَاماً، وَأَمَّا اليَوْمَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ فَقَدْ[4] أَخْبَرَهُ[5] بِنُزُولِ مَقَامِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ بِالَّذِي[6] لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَفُوهَ بِهِ، فَضْلاً عَنْ إِدْرَاكِهِ، وَضَمِنَهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَمِنَ لَهُ كُلَّ مَا طَلَبَ، حَتَّى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ مُفَصَّلاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ[7] فِي

---

[1] - ل: وارتحت

[2] - أ ي ك ع ح هـ ق ص: يسميه

[3] - ل: وهكذا

[4] - أ ي ك ع ح هـ ق ص م: "فقد" محذوفة

[5] - أ ي ك ع ح هـ ق ص م: فأخبره

[6] - أ ي ك ع ح هـ ق ص م: الذي

[7] - ح: إن شاء الله مفصلاً

مَحلِّه، نَسْأَلُ اللَّهَ بِجَاهِ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ وَصَفِيِّهِ أَنْ يَكْتُبَنَا فِي دِيوَانِ خُلَاصَةِ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ وَوِدِّهِ[1]، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى مَحَبَّةِ هَذَا السَّيِّدِ الكَرِيمِ، وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ العَظِيمِ آمِين.

البَابُ الثَّانِي فِي مَوَاجِدِهِ وَأَحْوَالِهِ وَمَقَامِهِ المُتَّصِفِ بِهِ وَكَمَالِهِ وَسِيرَتِهِ السُّنِّيَّةِ وَجُمَلٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ السَّنِيَّةِ وَحُسْنِ مُعَامَلَاتِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ[2] فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوَّلُ فِي مَوَاجِدِهِ وَأَحْوَلِهِ وَمَقَامِهِ المُتَّصِفِ بِهِ وَكَمَالِهِ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: سَيِّدُنَا أَبُو العَبَّاسِ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَاحِبُ أَحْوَالٍ سَمِيَّةٍ. وَمَقَامَاتٍ عَلِيَّةٍ. وَمَوَاهِبِ رَحْمَانِيَةٍ. وَمَوَاجِيدَ رَبَّانِيَةٍ، ذُو مَحْوٍ وَفَنَاءٍ، وَصَحْوٍ وَبَقَاءٍ. وَغَيْبَةٍ فِي مَوْلَاهُ، وَشُهُودٍ لِمَا بِهِ تَوَلَّاهُ، مِمَّنْ أُغْرِقَ[4] فِي بَحْرِ الحَقِيقَةِ، وَأُوتِيَ الجَذْبَ حَقِيقَةً، وَمِمَّنْ أُعْطِيَ القُوَّةَ وَالتَّمْكِينَ، وَالرُّسُوخَ فِي المَعْرِفَةِ وَاليَقِينِ، كَمَا تُتْلَى عَلَيْكَ آيَاتُهُ، وَتُجْلَى لَكَ بَيِّنَاتُهُ، شَرِبَ مِنْ تِلْكَ الخَمْرَةِ الأَزَلِيَّةِ صَفْواً، وَوَرَدَ مِنْ مَنْهَلِهِ[5] الأَرْوَى، وَسَقَى مِنْهَا كُؤُوساً[6] رَوِيَّةً، وَأَمْدَاداً[7] قَوِيَّةً، وَسَلَكَ مِنَ السُّنَّةِ نَهْجاً قَوِيما، وَصِرَاطاً مُسْتَقِيمَا، وَرَكِبَ سَفِينَتَهَا وَأَجْرَاهَا،

---

[1]- ع ي: ووِرده

[2]- ح هـ م: "ثلاثة" محذوفة

[3]- ل ق: اعلم وفقك الله أن سيدنا أبا العباس

[4]- ل ق ص: اغترف

[5]- ل: منهلها

[6]- أ ي ك ع ح ل هـ ق ص: كؤسا

[7]- ل: وأمداداً

الَّتِي بِاللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، فَقَوِيَتْ أَنْوَارُهُ، وَفَاضَتْ أَسْرَارُهُ، وَتَوَالَتْ مُنَازَلَاتُهُ، وَتَوَارَدَتْ وَارِدَاتُهُ،

(وَمُدَّ مِنْهَا عَلَى الإِسْتِمْرَارِ بِمَدَدٍ جَسِيمٍ، **(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)**[1])[2] ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ لِمِثْلِي التَّعْرِيفُ بِهَذَا المَقَامِ، وَلَا الكَشْفُ عَنْ حَقِيقَةِ الأَمْرِ مِنْ حَالٍ أَوْ مَرَامٍ، وَإِنَّمَا أَذْكُرُ مِنْ تِلْكَ المَوَاهِبِ وَالتَّجَلِّيَاتِ، قَضَايَا مُنَبِّهَةً عَنْهَا وَجُزْئِيَاتٍ، (وَلَوَامِع وَآثَاراً، وَوَقَائِعَ وَأَخْبَاراً)[3] ، إِذِ الحَالُ وَارِدٌ إِلَهِي، وَوِجْدَانٌ قَلْبِيٌّ لَا يَصِفُهُ إِلَّا وَاجِدُهُ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ قَائِلَهُ:

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ * وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وَقَدْ فَسَّرَ الحَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَنَّهُ مَعْنًى يَرِدُ عَلَى القَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ وَلَا اجْتِلَابٍ وَلَا اكْتِسَابٍ مِنْ طَرَبٍ أَوْ بَسْطٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَأْتِي مِنْ عَيْنِ الجُودِ، وَالمَقَامُ يُحَصَّلُ بِبِذْلِ المَجْهُودِ، وَأَنَّ صَاحِبَ المَقَامِ مُمَكَّنٌ، وَصَاحِبُ الحَالِ مُرَقًّى ، وَحُكِيَ عَنِ المَشَايِخِ أَنَّ الأَحْوَالَ كَالبُرُوقِ، فَإِنْ بَقِيَتْ فَحَدِيثُ نَفْسٍ ، وَعَنْ آخَرَ مِنْهُمْ: أَنَّهَا تَدُومُ وَتَبْقَى، وَإِذَا لَمْ تَدُمْ فَهِيَ لَوَائِحُ وَبَوَادِهُ ، **وَالمُرَادُ بِالأَحْوَالِ** فِي التَّرْجَمَةِ مَا هُوَ بِالمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ القُشَيْرِيُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ ذِكْرٍ وَجْدِهِ المُتَكَاثِرِ، وَفَيَضَانِهِ[4] المُتَضَافِرِ، الوَاقِعِ أَحْيَاناً بَعْدَ أَحْيَانٍ، حَسْبَمَا رَأَيْنَاهُ مُشَاهَداً، لَا الحَالُ المُلَازِمَةُ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى المَقَامِ، **وَالمُرَادُ بِمَقَامِهِ** المُتَّصِفِ بِهِ مَا تَكَيَّفَ بِهِ مِنَ العِرْفَانِ، حَسْبَمَا عَلِمْنَاهُ مِنْ كَلَامِهِ وَإِشَارَاتِهِ، وَتَقْرِيرَاتِهِ وَإِخْبَارِهِ عَنْ نَفْسِهِ بِإِفَاضَاتِهِ[5] .

---

[1]- سورة الجمعة، الآية 4

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح: وفيضانها

[5]- ل: عند فيوضاته

فَأَمَّا مَوَاجِدُهُ وَأَحْوَالُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ، لَمَّا نَزَلَ بِهِ مَا نَزَلَ، وَبَدَهَهُ مَا بَدَهَهُ ، مُصْطَلِماً غَائِباً لَا تُفَارِقُهُ غَمْرَةُ الحَالِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الكَمَالِ، وَقَدْ يَتَكَلَّمُ حِينَ يَعْتَرِيهِ الحَالُ بِأُمُورٍ لَا يَفْقَهُ الحَاضِرُونَ مُرَادَهَا، وَلَا يَعْرِفُ ذُو الأَلْسُنِ مُفَادَهَا، وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا وَاجِدُهَا، وَيَنْطِقُ أَحْيَاناً عِنْدَ ظُهُورِ الحَالِ عَلَيْهِ بِمُكَاشَفَاتٍ وَمُغَيَّبَاتٍ مِنْ أَخْبَارِ الزَّمَانِ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الحَدَثَانِ، وَلَا يَفْقَهُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا خَاصَّةُ الخَاصَّةِ مِنَ الإِخْوَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حِكَايَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَآيَاتِهِ.

ثُمَّ تَمَاسَكَ بَعْدَ ذَلِكَ وَسَكَنَ، وَبَطُنَ حَالُهُ وَتَمَكَّنَ[1] ، وَعَادَتِ الأَحْوَالُ لَا تُؤَثِّرُ فِي ظَاهِرِهِ كَمَا كَانَتْ، وَصَارَ دَائِماً سَاكِناً مُتَحَرِّكاً، وَمُضْطَرِباً[2] مُتَمَاسِكاً، وَصَاحِياً شَارِباً، وَحَاضِراً غَائِباً، لَا يُلْهِيهِ صَحْوُهُ عَنْ سُكْرِهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ سُكْرُهُ عَنْ صَحْوِهِ، أَفَادَهُ سُكْرُهُ صَحْوَهُ، وَزَادَهُ كَمَالاً وَقُوَّةً، فَحَظِيَ مِنَ التَّمْكِينِ، بِالمَنْزِلِ المَكِينِ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ:

يَسْقِي وَيَشْرَبُ لَا تُلْهِيهِ سَكْرَتُهُ * عَنِ النَّدِيمِ وَلَا يَلْهُو عَنِ الكَاسِ
أَطَاعَهُ سُكْرُهُ حَتَّى تَحَكَّمَ فِي * حَالِ الصُّحَاتِ وَذَا مِنْ أَعْجَبِ النَّاسِ

وَغَلَبَةُ الحَالِ عَلَيْهِ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَتْ[4] لِقُوَّةِ مَا نَزَلَ بِهِ[5] ، بِدَلِيلِ مَا كَانَ يَنْطِقُ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنَ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَحُدُّهَا حَصْرٌ، وَلَا يَعِيهَا عَقْلٌ وَلَا فِكْرٌ، وَكَانَ يُمْلِيهَا عَلَيْنَا سَمَاعاً مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَسَتَرِدُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهَا، وَبِدَلِيلِ مَا كَانَ يَقَعُ مِنْهُ لِلأَصْحَابِ مِنَ الإِمْدَادَاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ فِي أَحْوَالِهِمْ، فَيَجِدُونَ ذَلِكَ مِنْهُ حَسْبَمَا

---

[1]- ل: وتمكن حاله وبطن

[2]- ح ل ق هـ: وطربا

[3]- ل: له

[4]- أ ي ك ع هـ ق ص: كان ـ ل: تكون

[5]- ل: ما نزل به لا لضعف ذاته

شَاهَدْنَاهُ[1] فِيهِمْ، وَأَخْبَرُونَا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَيْسَ النَّاسُ فِي غَلَبَةِ الحَالِ سَوَاءً، وَالفَرْقُ بَيْنَ مَنْ يَغْلِبُهُ الحَالُ لِضُعْفِهِ[2] وَبَيْنَ مَنْ يَغْلِبُهُ لِقُوَّةِ الوَارِدِ عَلَيْهِ أَنَّ الَّذِي يَغْلِبُهُ لِضُعْفِهِ[3] عَلَامَتُهُ أَنَّهُ لَا يَمُدُّ غَيْرَهُ، وَقُصَارَاهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَالَّذِي يَغْلِبُهُ الحَالُ لِقُوَّتِهِ عَلَامَتُهُ أَنَّهُ يَمُدُّ غَيْرَهُ، وَأَقْوَى مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْلُبُهُ مَا أَعْطَاهُ، وَذَلِكَ هُوَ الكَامِلُ، يُعْطِي وَيَسْتَرِدُّ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ.

وَقَدْ شَاهَدْنَاهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ بَعْضِ الإِخْوَانِ لِسُوءِ أَدَبِهِمْ، وَلِمُوجِبٍ آخَرَ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَزَقَنَا حُسْنَ الأَدَبِ مَعَهُ عَلَى الإِسْتِمْرَارِ وَالدَّوَامِ، بِجَاهِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَغَلَبَةُ الحَالِ لِقُوَّتِهِ كَانَ يَقَعُ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَكَابِرِ وَالأَقْطَابِ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ آمِينَ.

وَمَا زَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ تَمَاسُكِهِ قَوِيَ الحَالِ، فَائِضَ النُّورِ، يَقَعُ[4] لَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ فَيَضَانٌ عَظِيمٌ، وَخَيْرٌ جَسِيمٌ، وَقَدْ شَاهَدْنَا هَذَا مِنْهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ فِي أَوْقَاتِ فَيْضِهِ، وَلَا يَتَفَطَّنُ لَهُ إِلَّا خَاصَّةُ الخَاصَّةِ مِمَّنْ يُلَازِمُهُ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً، وَالغَالِبُ مِنَ الحَاضِرِينَ لَا يَفْقَهُ مِنْهُ شَيْئاً، (بَلْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى حَالِهِ، وَمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ مَعَهُمْ مِنْ مَقَالِهِ)[5] ، وَجَذْبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرٌ وَاضِحٌ، وَحَالٌ لَائِحٌ، لَا يَزَالُ تَظْهَرُ عَلَيْهِ الغَيْبَةُ فِي حَالِ ظُهُورِ صَحْوِهِ، فَضْلاً عَنْ حَالِ ظُهُورِ سُكْرِهِ.

وَلَقَدْ جَالَسْنَاهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ، فَيَسْأَلُ عَنْ أَحَدِنَا وَهُوَ حَاضِرٌ مَعَنَا فِي مَجْلِسِنَا، فَيَقَعُ لَهُ هَذَا كَثِيراً، وَكَذَلِكَ يَظْهَرُ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن آثَارِ جَذْبِهِ وَقُوَّةِ حَالِهِ أُمُورٌ أُخَرُ[6] ، كَعِظَمِ جُثَّتِهِ، وَامْتِلَاءِ بَدَنِهِ، وَتَهَلُّلِ وَجْهِهِ، وَثِقَلِ الأَمْرِ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ حَرَكَةً،

---

[1]- ح: شهدناه

[2]- ل: لضعف فيه

[3]- ك: يغلبه الحال لضعفه

[4]- ل: حتى أنه يقع له في كثير من الأحيان

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ل: أمور أخر عظام

وَتَذَكَّرْ هُنَا مَا كَانَ[1] يَقَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ نُزُولِ الوَحْيِّ[2] ، وَتَلَقِّي الأَمْرِ الإِلَهِي مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُعَالِجُ مِنْهُ شِدَّةً ، وَتَأْخُذُهُ البُرَحَاءُ فَيَنْفَصِلُ عَنْهُ المَلَكُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً ، وَيَثْقُلُ حِسّاً لِمَا يُلْقَى عَلَيْهِ[3] مِنَ القَوْلِ الثَّقِيلِ، أَيْ العَظِيمِ الَّذِي يَثْقُلُ لَهُ حَامِلُهُ، وَأَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُّ يَوْماً جَالِساً فَخِذُهُ[4] عَلَى فَخِذِ زَيْدٍ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَثَقُلَتْ جِدّاً، حَتَّى كَادَتْ تَرُضّ فَخِذَ زَيْدٍ، أَيْ تُكَسِّرُهَا.

وَهَؤُلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَظَاهِرُ آيَاتِهِ، وَالوَارِدُونَ مِنْ إِمْدَادِ وَارِدَاتِهِ، مِنْهُ يَسْتَمِدُّونَ، وَمِنْ بَحْرِهِ يَغْتَرِفُونَ، وَمِنْ شَأْنِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا قَوِيَ حَالُهُ، أَنَّهُ يَزِيدُ بَهَاؤُهُ وَجَمَالُهُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَلُوحُ سَنَاهُ، وَيَبْدُو عَلَيْهِ أَثَرُ بَاطِنِهِ وَمَعْنَاهُ، فَتَرَى عَلَيْهِ حُسْناً بَارِعاً، وَنُوراً لَامِعاً، وَيُبْهِرُكَ جَمَالُهُ وَجَلَالُهُ، وَبَهَاؤُهُ وَكَمَالُهُ، فَيَأْخُذُ[5] بِلُبِّكَ، وَمَجَامِعِ قَلْبِكَ، فَيَمْلِكُكَ هَوَاهُ، وَلَا تَلْتَفِتُ لِسِوَاهُ، (حُسْناً لَدُنِيّاً، وَسِرّاً إِلَهِيا)[6] ، وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

أُنْظُرْ تَرَى شَمْسَ المَعَارِفِ أَشْرَقَتْ * بِجَبِينِهِ البَاهِي العَلِيِّ الأَشْرَفِ
كُلُّ المَشَايِخِ أُلْبِسُوا حُلَل البَهَا * لَكِنْ سَمَاهُمْ بِالجَمَالِ اليُوسُفِي

وَقَالَ غَيْرُهُ:

أُنْظُرْ لِرَوْضِ الحُسْنِ فِيهِ تَفَتَّقَتْ * بِجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ أَزْهَارُهُ
مَنْ يَسْتَطِيعُ يَرَى لِذَاكَ حَقِيقَةً * حَازَتْ لِذِي اللُّبِّ بِهِ أَبْصَارُهُ[7]
وَبِقَلْبِهِ النُّورُ الإِلَهِيُّ اجْتَلَى * فَعَلَى مُحَيَّاهُ بَدَتْ أَسْرَارُهُ

---

[1]- ل: فيذكرنا ذلك ما كان
[2]- ك: عند نزول الوحي عليه
[3]- ي هـ: لما يلقى إليه
[4]- ل: وفخده الكريمة على فخد
[5]- ح: فيأخذك
[6]- ح: ما بين القوسين محذوف
[7]- ل: بعد هذا البيت الشعري بيت آخر محذوف في جميع النسخ وهو:

عظمت محاسنه فلم يعرف لها * حدّ وإن ظهرت له أنواره

وَقَالَ غَيْرُهُ:

أُنْظُرْ لِمَطْلَعِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ * قَدْ أَشْرَقَتْ بِجَبِينِهِ أَنْوَارُهُ
سِرُّ المَعَارِفِ قَدْ حَوَاهُ ضَمِيرُهُ * فَبَدَتْ بِغُرَّةِ وَجْهِهِ آثَارُهُ
هُوَ بَحْرُهَا الطَّامِي أَلَمْ تَرَى أَنَّهُ * تهمي بِفَيْضٍ دَائِماً أَسْرَارُهُ

وَكَثِيراً مَا يَلُوحُ عَلَيْهِ[1] ذَلِكَ عِنْدَ حُضُورِ سَمَاعِ أَوْصَافِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَعْنَوِيَّةِ، وَنُعُوتِهِ الجَلِيَّةِ، أَوْ حَدِيثِهِ أَوْ أَخْبَارِهِ، فَيَبْرُزُ مِنْهُ مَا كَمُنَ، وَيَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُ مَا بَطُنَ، وَيَقَعُ لَهُ الوَجْدُ وَالهَيْمَانُ، وَالسُّكْرُ وَالفَيَضَانُ، فَتَلُوحُ عَلَيْهِ أَنْوَاراً[2]، وَتَبْدُوا عَلَى لِسَانِهِ أَسْرَاراً[3]، (وَيَتَفَجَّرُ[4] مِنْ قَلْبِهِ عُلُوماً وَأَخْبَاراً[5]، رَزَقَنَا اللَّهُ رِضَاهُ آمِين)[6] .

وَأَمَّا مَقَامُهُ المُتَّصِفُ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَلِكَ التَّحْقِيقُ بِالمَعْرِفَةِ وَالتَّمَكُّنُ فِي اليَقِينِ وَكَمَالُ التَّوْحِيدِ، وَالتَّفْرِيدِ وَالتَّجْرِيدِ، وَشُهُودُ الحُبِّ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ العَبْدَ مَحْبُوبٌ، وَمَجْذُوبٌ لِحَضْرَةِ رَبِّهِ وَمَطْلُوبٌ، دَأْبُهُ الرُّكُونُ إِلَى مَوْلاَهُ، وَالإِنْفِرَادُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَحُبُّ أَمْرِهِ وَبُغْضُ مَا عَنْهُ نَهَاهُ، (وَالوُقُوفُ دَائِماً بِبَابِهِ، وَالعُكُوفُ أَبَداً عَلَى جَنَابِهِ)[7] ، لاَ يَقَرُّ لَهُ مَعَ غَيْرِهِ قَرَارٌ، وَلاَ لَهُ عَمَّا سِوَاهُ مَدَارٌ، لاَ لَهْجَ لَهُ إِلاَّ بِاللَّهِ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَ يَقَظَاتِهِ وَسِنَاتِهِ، (وَسَائِرِ تَقَلُّبَاتِهِ)[8] .

1- ي: "عليه" محذوفة
2- ل: الأنوار
3- ل: الأسرار
4- ح ل ص: وتنفجر
5- ل: العلوم والأخبار
6- ح: ما بين القوسين محذوف
7- ح: ما بين القوسين محذوف
8- ح: ما بين القوسين محذوف

إِذَا ذَهَبَ أَوْ قَامَ أَوْ قَعَدَ أَوِ انْتَبَهَ مِنْ نَوْمٍ ذَكَرَ اللَّهَ ذِكْراً يُعْرَفُ أَنَّهُ عَنْ قَلْبٍ مَعْمُورٍ، مُمْتَلِئٍ بِحِكْمَةِ الإِيمَانِ وَالنُّورِ، يَهْتَزُّ لَهُ السَّامِعُ، وَتَطْمَئِنُّ لَهُ القُلُوبُ وَالمَسَامِعُ، لَا يَسْتَغْرِقُهُ النَّوْمُ[1] ، بَلْ يَتَقَلَّبُ فِيهِ، وَإِذَا تَحَرَّكَ أَوِ انْقَلَبَ ذَكَرَ اللَّهَ فِيهِ، قَدِ امْتَزَجَتْ حَقِيقَتُهُ بِالتَّوَلُّهِ بِرَبِّهِ، وَاللَّهَجِ بِهِ وَحُبِّهِ، وَاطْمَأَنَّ بِهِ إِيقَاناً، وَمَعْرِفَةً وَإِيمَاناً.

لَا مُعَوَّلَ لَهُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا اسْتِنَادَ إِلَّا إِلَيْهِ، لَا يُبَالِي بِإِقْبَالٍ مِنَ الخَلْقِ وَلَا بِإِدْبَارٍ[2] ، وَلَا بِمَوَدَّةٍ مِنْهُمْ وَلَا بِإِضْرَارٍ[3] ، قَدْ[4] أُعْطِيَ التَّأْيِيدَ، فِي كُلِّ مَا يُصَرِّفُهُ اللَّهُ وَيُرِيدُ، لَا تَجِدُهُ إِلَّا رَاضِياً بِقَضَاءِ اللَّهِ وَمُرَادِهِ[5] ، فَرِحاً لِإِبْرَامِهِ وَإِمْضَائِهِ، مُتَحَدِّثاً بِأَنْعُمِ اللَّهِ وَآلَائِهِ، لَا يُحِبُّ التَّدْبِيرَ مَعَ اللَّهِ وَالإِخْتِيَارَ، وَيَقُولُ لَا أَحْسَنَ مِنْ فِعْلِ الفَاعِلِ المُخْتَارِ، لَيْسَ[6] لَهُ أَبَداً مُرَادٌ إِلَّا مَا قَضَاهُ اللَّهُ وَأَرَادَ، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا مُحِبّاً لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الوَقْتُ وَالزَّمَانُ، مِنْ شِدَّةٍ وَرَخَاءٍ وَخَوْفٍ وَأَمَانٍ، وَحَامِلاً لِلنَّاسِ عَلَى الرِّضَا بِهِ، وَالإِسْتِسْلَامِ لِمُصَابِهِ، وَإِذَا تَحَوَّلَ حَالُ الوَقْتِ تَحَوَّلَ مُرَادُهُ عَنْهُ، لَا يَقِفُ مَعَ شَيْءٍ مِنْهُ[7] ، وَكَثِيراً مَا يُقَرِّرُ هَذَا المَعْنَى وَيَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيُرْشِدُ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَيْهِ، وَيُنْشِدُ بِحَالِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ:

أَنَا مَعِي بَدْرُ الكَمَالِ * يَمِيلُ قَلْبِي حَيْثُ مَالَ[8]

ذَلِكَ بِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ مَحَى السِّوَى فَلَا يُشَاهِدُ مَعَ اللَّهِ غَيْراً، وَلَا يَرَى لِسِوَاهُ نَفْعاً وَلَا ضُرّاً، بَلْ يُشَاهِدُ الفِعْلَ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ هُوَ المُتَصَرِّفُ، وَالدَّالُّ بِفِعْلِهِ عَلَيْهِ وَالمُعْتَرِفُ، وَأَنَّ

---

[1]- ل: لا يستغرق في نومه

[2]- ل: إدبار

[3]- ل: إضرار

[4]- ك: وقد

[5]- ل ي ك هـ ق ص: بمراد الله وقضائه

[6]- ك: وليس

[7]- ل: لا يلتفت إلى ما فات منه

[8]- أ ك ع ح ي هـ ق ص م: حيث يميل قلبي يميل

أَفْعَالَهُ كُلَّهَا مَصْحُوبَةٌ بِالحِكْمَةِ، مَحْفُوفَةٌ بِالرَّحْمَةِ[1] ، وَيَرَى الخَلْقَ كَالأَوَانِي المُسَخَّرَةِ فِي يَدِ غَيْرِهَا، وَيَعُدُّ شُهُودَ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ إِثْنَيْنِيَّةً، وَيُمَثِّلُ بِلِسَانِ حَالِهِ وَيَقُولُ[2] :

إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً * وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

وَعَلَى هَذَا المَعْنَى مَدَارُ حَالَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَا تَرَى أَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَتَصْرِيحَاتِهِ وَتَلْوِيحَاتِهِ تَحُومُ إِلَّا عَلَى الفَنَاءِ فِي اللَّهِ، وَالغَيْبَةِ فِيهِ عَمَّا سِوَاهُ، (وَشُهُودِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَحُسْنِ صُنْعِهِ وَإِحْسَانِهِ)[3]، ذَلِكَ دَيْدَنُهُ وَشِعَارُهُ، وَوَطَنُهُ وَقَرَارُهُ، فَطَوَى[4] فِي ذَلِكَ مَقَامَاتِ اليَقِينِ كُلَّهَا، مِنَ التَّوْبَةِ وَالزُّهْدِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالمَحَبَّةِ وَالرِّضَا، وَحَوَى بِهِ صِفَةَ[5] العَارِفِينَ بِأَسْرِهَا، مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالجَمْعِ عَلَيْهِ، وَالإِسْتِنَادِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَالإِسْتِسْلَامِ لِلأَقْدَارِ، وَتَرْكِ التَّدْبِيرِ وَالإِخْتِيَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ، مِمَّا أَشَرْنَا إِلَيْهِ آنِفاً، فَلَا تَحْصُرُهُ فِي حَالٍ تُضِيفُهُ إِلَيْهِ، أَوْ تُقَيِّدُهُ بِمَقَامٍ تَقْتَصِرُ بِهِ عَلَيْهِ، فَلَا تَجِدُهُ مُقِيماً عَلَى شَيْءٍ، وَلَا وَاقِفاً مَعَ أَمْرٍ، بَلْ بِحُكْمِ الوَقْتِ وَبِحَسَبِ مَا يَأْتِي اللَّهُ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَهَذَا حَالُ بَعْضِ العَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ سُئِلَ الجُنَيْدُ عَنِ العَارِفِ بِاللَّهِ فَقَالَ: لَوْنُ المَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ، وَقَالَ القُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ: بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهُ عَنْهُ، (يَعْنِي أَنَّهُ)[6] بِحُكْمِ وَقْتِهِ ، وَقَالَ أَيْضاً قَالَ أَبُو يَزِيدٍ: لِلخَلْقِ أَحْوَالٌ، وَلَا حَالَ لِلعَارِفِ، لِأَنَّهُ مُحِيَتْ رُسُومُهُ، وَفَنِيَتْ هَوِيَّتُهُ بِهَوِيَّةِ سَيِّدِهِ، وَعُفِّيَتْ[7] آثَارُهُ بِآثَارِ غَيْرِهِ ، وَقَالَ الشَّيْخُ زَرُّوقُ فِي قَوَاعِدِهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ وَصْفَ العَابِدِ وَالزَّاهِدِ وَغَيْرِهِمَا: فَإِنْ أَرْسَلَ نَفْسَهُ

---

[1]- ل: محفوفة بمقتضيات الرحمة

[2]- ل: ويتمثل لسان حاله بقول من قال

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: يطوي

[5]- ل: صفات

[6]- ي: ما بين القوسين محذوف

[7]- ك: ومحيت

مَعَ مُرَادِ الحَقِّ فَهُوَ العَارِفُ ، وَقَدْ مَثَّلَ أَهْلُ الطَّرِيقِ العَارِفَ بِحَافِظِ القُرْآنِ كُلِّهِ، وَذَا الحَالِ بِحَافِظِ سُورَةٍ مِنْهُ، أَوْ سُوَرٍ، فَإِذَا قُلْتَ: عَارِفٌ، فَقَدْ نَسَبْتَ إِلَيْهِ المَقَامَاتِ كُلَّهَا، وَأَغْنَى[1] عَنْ أَنْ تَصِفَهُ بِشَيْءٍ مِنَ المَقَامَاتِ مِنَ الزُّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّهَا مُنْطَوِيَّةٌ فِيهِ[2].

وَمَنِ انْجَمَعَ[3] عَلَى مَوْلَاهُ، وَمَلَّكَهُ حُبَّهُ وَهَوَاهُ، حَتَّى فَنَى فِيهِ عَنْ سِوَاهُ، لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ[4] شَاكِراً لِنُعْمَاهُ، صَابِراً لِبَلْوَاهُ، رَاضِياً بِقَضَاهُ، مُفَوِّضاً إِلَيْهِ[5] ، مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ، (مُنْقَطِعاً عَنْ غَيْرِهِ، جَامِعاً لِلمَقَامَاتِ كُلِّهَا، بَلْ مُتَرَقِّياً عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يُشَاهِدُ شَيْئاً وَلَا يَرَاهُ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَهُ وَحَوَاهُ)[6] ، فَأَهْلُ العِرْفَانِ، هُمُ الغَائِبُونَ فِي اللَّهِ عَنْ كُلِّ فَانٍ، المُشَاهِدُونَ[7] لِجَلَالِ اللَّهِ وَجَمَالِهِ، العَالِمُونَ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، إِذْ حَقِيقَةُ المَعْرِفَةِ كَمَا قَالَهُ[8] الشَّيْخُ زَرُّوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ شُرُوحِهِ[9] عَلَى الحِكَم: سَرَيَانُ العِلْمِ بِجَلَالِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، أَوْ جَمَالِهِ أَوْ هُمَا فِي كُلِّيَّةِ العَبْدِ، حَتَّى لَا تَبْقَى[10] لَهُ مِنْ نَفْسِهِ بَقِيَّةٌ، فَيَشْهَدَ[11] كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ، فَلَا تَبْقَى[12] لِوُجُودِ شَيْءٍ نِسْبَةٌ عِنْدَهُ دُونَهُ.

---

[1]- ل: واستغنيت

[2]- ل: منطوية من ذلك الوصف

[3]- ح هـ: الجمع

[4]- ل: فلا يكون إلا شاكراً لنعماه

[5]- ل: مفوضاً أمره إليه

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- أ ع ك ي ح هـ ق ص: مشاهدون

[8]- ل: قال

[9]- أ ع ي هـ ق م: شراحه

[10]- أ ي ك ح: يبقى

[11]- ل: فشهد

[12]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: يبقى

وَلِشَيْخِنَا أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي مِنْ هَذَا مَا لَا خَفَاءَ فِيهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَلُوذُ بِجَانِبِهِ، أَوْ يُمَارِسُ شَيْئاً مِنْ أَحْوَالِهِ وَإِشَارَاتِهِ[1] وَكَلَامِهِ، وَيَكْفِيكَ مِنْ أَمْرِهِ مَا وَصَفْنَاهُ، (بَلْ هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ ذَوِي الخِلَافَةِ المَوْصُوفِينَ بِدَلَالَةِ الخَلْقِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِهِمْ عَلَيْهِ، وَإِيصَالِهِمْ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَرْبَابِ القُلُوبِ وَسَلَاطِينِ الأَرْوَاحِ، يُطَاعُ أَمْرُهُ، وَيُجَلُّ قَدْرُهُ، وَيَنْفَعُ كَلَامُهُ، وَتَنْفُذُ[2] سِهَامُهُ، يُحْيِّي القُلُوبَ، وَيُبْرِئُ[3] مِنَ العُيُوبِ، يُغْنِي بِنَظْرَةٍ، وَيُوصِلُ إِلَى الحَضْرَةِ، إِذَا تَوَجَّهَ أَغْنَى وَأَقْنَى، وَبَلَغَ المُنَى، يَتَصَرَّفُ فِي أَطْوَارِ القُلُوبِ، بِإِذْنِ عَلَّامِ الغُيُوبِ، حَسْبَمَا يَجِدُهُ مَنِ انْضَافَ إِلَيْهِ، وَجَمَعَ هِمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَتَظْهَرُ نَتَائِجُهُ، وَآثَارُهُ وَمَنَاهِجُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ)[4] .

وَأَمَّا كَمَالُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ تَمَامُ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، حَسْبَمَا قَرَّرْنَا دَلِيلَهُ، وَقُوَّةُ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ جَذْباً وَسُلُوكاً، وَجَمْعُهُ بَيْنَهُمَا عَلَى أَتَمِّ وَصْفٍ وَأَكْمَلِ وَجْهٍ، وَدَلِيلُ قُوَّتِهِ بَاطِناً مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَدَلِيلُهَا ظَاهِراً مَا يَأْتِي بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ سِيَرِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ وَالحَمْدُ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِي جُمْهُورِ العَارِفِينَ، كَمَا تَقِفُ عَلَى كُلٍّ بِمَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمِنْ كَمَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نُفُوذُ بَصِيرَتِهِ الرَّبَّانِيَةِ، وَفِرَاسَتِهِ النُّورَانِيَةِ، الَّتِي ظَهَرَ مُقْتَضَاهَا فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الأَصْحَابِ، وَفِي غَيْرِهَا[5] مِنْ إِظْهَارِ مُضْمَرَاتٍ، وَإِخْبَارٍ بِمُغَيَّبَاتٍ، وَعِلْمٍ[6] بِعَوَاقِبِ الحَاجَاتِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ المَصَالِحِ وَالآفَاتِ، (وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الوَاقِعَاتِ)[7] ، فَيَعْرِفُ أَحْوَالَ قُلُوبِ الأَصْحَابِ، وَتَحَوُّلَ حَالِهِمْ، وَإِبْدَالَ أَغْرَاضِهِمْ، وَانْتِقَالَ

---

[1]- ح: وإشارته

[2]- أ ع ك: وينفذ

[3]- ك: ويبري

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: وغيرهم

[6]- ل: وعلوم

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

أَغْرَاضِهِمْ، وَحَالَةَ إِقْبَالِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ، وَسَائِرِ عِلَلِهم وَأَمْرَاضِهِمْ، وَيَعْرِفُ مَا هُمْ عَلَيْهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَمَا زَادَ وَمَا نَقَصَ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، وَتَارَةً يَسْتُرُهُ رِفْقاً بِهِمْ مِنَ الإِخْتِبَارِ وَالإِمْتِحَانِ.

وَاتَّفَقَتْ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مَعَهُ فِي ذَلِكَ قَضَايَا غَيْرَ مَا مَرَّةٍ، وَكَثِيراً مَا يُجَالِسُهُ الإِنْسَانُ، فَيَتَكَلَّمُ لَهُ عَلَى مَا فِي بَاطِنِهِ، وَمَا شَغَلَ قَلْبَهُ مِنَ الهَوَى وَالأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَيُعَيِّنُ النَّوْعَ الَّذِي شَغَلَهُ مِنْهَا فِي كَلَامِهِ[1] ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا صَنَعَهُ الإِنْسَانُ مِنْ فِعْلٍ قَبِيحٍ سَلَفَ لَهُ قَبْلَ مُجَالَسَتِهِ قَرِيباً، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ، وَضَرْبِ الأَمْثَالِ، كَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَنْتَ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ، يَسْرُطْ الزُّبْرَةَ، وَيَتَوَرَّعُ عَنِ الإِبْرَةِ، مُكَاشِفاً لَهُ عَنْ فِعْلٍ قَبِيحٍ سَلَفَ لَهُ.

وَيُبْهِمُ عَنْ صَاحِبِهِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لَهُ بِتَسْمِيَّةٍ[2] أَوْ إِشَارَةٍ حِسِّيَّةٍ، كَأَنْ يَقُول: مَا بَالُ الإِنْسَانِ يَفْعَلُ كَذَا، وَحُقَّ مَنْ يَفْعَلُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَذَا، سِتْراً عَلَى فَاعِلِهِ، كَمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ الرَّحْمَةِ، وَجَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ وَالسُّنَّةُ، إِذِ البَصِيرَةُ كَالبَصَرِ ، يَجِبُ غَضُّهَا، **(قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)**[3] . وَإِلَّا فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِرْآةُ جَلِيسِهِ وَمُبْصِرٌ لِحَسَنِ أَمْرِهِ وَخَسِيسِهِ، لَا يَخْفَى عَلَى بَصِيرَتِهِ ذَلِكَ، وَلَا يَشِذُّ عَنْهَا[4] شَيْءٌ مِمَّا هُنَالِكَ، حَتَّى إِنَّا إِذَا جَالَسْنَاهُ كُلُّنَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الفَضِيحَةَ، وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ[5] السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ، لِمَا تَكَرَّرَ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِ مِنْ أَسْوَاءِ[6] أَحْوَالِنَا القَبِيحَةِ.

وَإِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ يَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرٍ دِينِي أَوْ دُنْيَوِيٍّ، كَأَمْرِ المَعَاشِ مَثَلاً بَيَّنَ لَهُ مَرَابِحَهُ، وَأَرْشَدَهُ مَصَالِحَهُ، وَنَدَبَهُ لِمَا فِيهِ نَجَاحُ حَالِهِ، وَفَلَاحُ مَآلِهِ، فَيَنْجَحُ مَطْلُوبُهُ، وَيَحْصُلُ مَرْغُوبُهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُ حُسْنَ العَاقِبَةِ، وَمَا كَانَ رَاجِيَهُ وَمُرَاقِبَهُ، فَتَقَعُ بَصِيرَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الأُمُورِ كَمَا

---

[1]- ح: كلامها

[2]- ح: بشيمة

[3]- سورة النور، الآية 30

[4]- ل: عنده

[5]- ح: ويطلب منه

[6]- ي ك ع ح هـ ق ص: أسوا

هِيَ، لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَمَّا كَمُلَ فِيهِ مِنَ النُّورِ الإِلَهِي، وَمِنَ المَعْلُومِ مِنْهُ فِي الإِسْتِشَارَةِ أَنَّ المُعْتَبَرَ عِنْدَهُ الَّذِي عَلَيْهِ المُعوَّلُ هُوَ مَا نَطَقَ بِهِ مِنَ[1] الكَلَامِ الأَوَّلِ، وَبِذَلِكَ أَيْضاً[2] صَرَّحَ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ، إِذْ عِلْمُ هَؤُلَاءِ القَوْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَيْسَ عَنْ رِوَايَةٍ وَلَا فِكْرَةٍ[3]، وَإِنَّمَا هُوَ العِلْمُ اللَّدُنِيُّ وَالفَتْحُ الرَّبَّانِي، وَمَا حَصَلَ أَوَّلاً فَهُوَ ذَاكَ، وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا عَيْنُ الحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ.

فَإِنْ الْتَقَطَهُ المُسْتَشِيرُ عَثَرَ عَلَى حِكْمَةِ الإِسْتِشَارَةِ، وَانْقَلَبَ بِغَنِيمَةٍ وَتِجَارَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ، وَرَاجَعَهُ فِي الكَلَامِ، فَإِنَّهُ يُجَارِيهِ فِيهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنْ عَمِلَ بِمُقْتَضَى الكَلَامِ الأَخِيرِ، كَانَ بِمَعْزِلٍ عَنْ إِصَابَةِ التَّدْبِيرِ، وَمُضَيِّعاً لِلفَائِدَةِ المَقْصُودَةِ، وَلَمْ يَنْجَحْ عَمَلُهُ وَلَا أَمَلُهُ، وَقَدْ لَا يَتَيَسَّرُ لَهُ ذَلِكَ العَمَلُ أَصْلاً، فَيَرْجِعُ لِمُقْتَضَى الإِشَارَةِ فِي الكَلَامِ الأَوَّلِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِيهِ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ الأَمْرُ تِبْيَاناً، وَيَقِفُ عَلَيْهِ عِيَاناً، وَهَذَا مِمَّا اشْتَهَرَ وَشَاعَ وَذَاعَ، عِنْدَ جُلِّ الأَصْحَابِ فِي المَنْعِ وَالإِنْتِفَاعِ.

وَمِمَّا هُوَ دَالٌّ عَلَى تَمَامِ[4] بَصِيرَتِهِ، وَقُوَّةِ نُورِهِ وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ، إِخْبَارُهُ عَنِ الأَوْلِيَاءِ المَاضِينَ مِنْ الأَكَابِرِ وَغَيْرِهِمْ، كَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَاصِرٌ لِكُلِّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْهُمْ، فَقَدْ أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَالِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا يُشِيرُ إِلَى مَقَامَاتِهِمْ، وَمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الخُصُوصِيَةِ، وَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ عَنْ وَاحِدٍ[5] مِنَ الأَوْلِيَاءِ يُخْبِرُهُ عَنْ حَالِهِ وَمَقَامِهِ، وَمَا أَدْرَكَهُ، وَهَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ التَّصَرُّفِ أَوْ غَيْرِهِ، كَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرَى وَصْفَ حَالِهِ عِيَاناً، وَتَارَةً إِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ عَنْ ذَلِكَ سَكَتَ وَأَعْرَضَ.

فَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنْ خُصُوصِيَةِ مَوْلَانَا إِدْرِيسَ الأَصْغَرِ الَّذِي بِفَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَظِيمِ[6] هَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ وَمَكَانَتِهِ وَكَمَالِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّصْرِيفِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ،

---

[1] - ل: "من" محذوفة

[2] - ح: "أيضا" محذوفة

[3] - ل: عن رؤية وفكر

[4] - ح: "تمام" محذوفة

[5] - ك: وإذا سأله واحد عن أحد

[6] - ل: وتبيين عظيم هيبته

فَيُجِلُّ قَدْرَهُ، وَيُعَظِّمُ أَمْرَهُ، وَيَحُضُّ عَلَى زِيَارَتِهِ ، وَالتَّأَدُّبِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَهَابَتِهِ[1] ، وَمِصْدَاقُ[2] مَا ذَكَرْنَاهُ[3] هُوَ مُنْذُ دَخَلَ[4] شَيْخُنَا لِفَاسٍ مَا تَرَكَ زِيَارَتَهُ وَالقُدُومَ إِلَيْهِ يَوْماً وَاحِداً إِلَّا لِمَرَضٍ قَامَ بِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ القُطْبِ الكَامِلِ، وَالغَوْثِ الشَّامِلِ، مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (يَذْكُرُ مِنْ بَرَكَاتِهِ وَآيَاتِهِ، وَوَصْفِهِ لَهُ بِأَنَّهُ[5] يَحْصُلُ مِنْهُ المَدَدُ لِلْوَافِدِينَ عَلَيْهِ، وَاسْتِعْظَامِهِ لِمَقَامِهِ)[6] .

وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الوَلِيِّ الشَّهِيرِ، وَالقُطْبِ الكَبِيرِ، سَيِّدِي أَبِي يَعْزَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِ الوَافِدِينَ عَلَيْهِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّصْرِيفِ، وَالمَدَدِ القَوِيِّ لِلكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ، وَيَقُولُ: كُلُّ مَنْ قَصَدَهُ فِي حَاجَةٍ تُقْضَى، كَائِنَةً مَا كَانَتْ، وَيَحُضُّ عَلَى زِيَارَتِهِ ، (وَتَعْظِيمِهِ وَمُوَالَاتِهِ)[7] ،

وَكَشَرْحِهِ لِحَالِ[8] غَيْرِهِمْ مِنْ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ كَسُلْطَانِ الأَوْلِيَاءِ مَوْلَانَا عَبْدِ القَادِرِ الجِيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنِ العَرَبِي الحَاتِمِيِّ، وَأَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ، وَأَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي، وَسَيِّدِي أَبِي مَدْيَنَ الغَوْثِ، وَسَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ، وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهِمْ.

---

[1]- ل: والتواضع لمهابته

[2]- ح: ومصداق ذلك

[3]- ح: "ما ذكرناه" محذوفة

[4]- ل: ومصداق ذلك أنه منذ دخل

[5]- أ ع ك: لأنه

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

[8]- ح: بحال

سَمِعْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَذْكُرُ جُلَّ مَنْ تَوَلَّى القُطْبَانِيَةَ مِنْ بَعْدِهِ[1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا، وَكُلُّ مَنْ ذَكَرَهُ يَصِفُ حَالَهُ وَمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ المَقَامَاتِ العَلِيَّةِ، (وَالأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ)[2] ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ مَا أَوْلَاهُ مَوْلَاهُ، وَاصْطَفَاهُ وَارْتَضَاهُ[3] ، وَهَذَا كَانَ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ، وَأَمَّا الآنَ، فَالغَالِبُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ، وَمِنْ كَمَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِرْفَانِهِ الأَتَمِّ، مَعْرِفَتُهُ لِاسْمِ اللَّهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ، حَسْبَمَا أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ، وَسَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهِ هُنَالِكَ.

وَمِنْ كَمَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[5] عَنْهُ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ الشَّرِيفِ، مَا أُوتِيهِ مِنْ مَقَامِ الخِلَافَةِ وَخُطَّةِ التَّصْرِيفِ[6] ، وَوَلِيَهُ مِنَ النِّيَابَةِ وَالتَّحْكِيمِ، وَالأَمْرِ النَّافِذِ العَمِيمِ، مِنْ جَلْبٍ وَدَفْعٍ، وَضُرٍّ وَنَفْعٍ، فَهُو يَجْلِبُ بِقُوَّتِهِ وَيَدْفَعُ، وَيَضَعُ بِهِمَّتِهِ وَيَرْفَعُ، وَيُرَقِّي بِإِذْنِ اللَّهِ وَيُنَزِّلُ، وَيُولِي بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَيَعْزِلُ، عَلَى حَسَبِ مَا صَرَّفَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ، وَمَكَّنَهُ مِنْهُ وَأَوْلَاهُ، فَحُكْمُهُ نَافِذٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَمْرُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنْهُ وَلَا اخْتِيَارٍ، بَلْ بِقُدْرَةِ العَزِيزِ الجَبَّارِ، (وَمِمَّا اسْتَمَرَّ مِنْ تَصْرِيفِهِ وَانْتَشَرَ، وَبَزَغَ لِلعِيَانِ وَظَهَرَ، تَصْرِيفُهُ[7] فِي أُمَرَاءِ الزَّمَانِ، وَوُلَاةِ الأَوَانِ، وَهَذَا الأَمْرُ قَدْ شَاعَ وَذَاعَ، وَمَلَأَ الأَفْوَاهَ وَالأَسْمَاعَ، وَاشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ القَوْمِ مِمَّنْ يُنْسَبُ لِلكَشْفِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى العَوَامِّ)[8] .

---

[1]- ل: من بعد النبي صلى الله عليه وسلم

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ك: "وارتضاه" محذوفة

[4]- ل: وأما الآن فأكثر حاله السكوت

[5]- ي: "تعالى" محذوفة

[6]- ل: وكمال التصريف

[7]- ل: تصرفه

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَقَدْ وَصَفَهُ بَعْضُ المُحِبِّينَ الأُدَبَاءِ مِنَ السَّادَاتِ الفَاسِيِّينَ أَدَامَ اللَّهُ حِفْظَهُ بِالخِلَافَةِ التَّصْرِيفِيَةِ، وَكَوْنِهِ مَظْهَراً لِلأَمْرِ الإِلَهِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشِيرُ إِلَى وَصْفِ[1] حَالِهِ وَمَقَامِهِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ أَحْبَبْتُ إِيرَادَهَا لِاخْتِصَارِهَا وَحُسْنِهَا وَهِيَ هَذِهِ[2] :

لَقَدْ مَدَّتِ المُدَّاحُ أَعْنَاقَهَا إِلَى * مَدِيحِ إِمَامٍ فَائِضِ النُّورِ وَالسِّرِّ
فَقَالَ لِسَانُ الحَالِ كَيْفَ بِذَا وَقَدْ * غَدَا قَلْبُهُ مَرْسًى بِهِ مَظْهَرُ الأَمْرِ
وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ غَيْرُ ذِكْرِ إِلَهِهِ * وَصَارَ لَهُ بَيْتاً تَقَدَّسَ[3] عَنْ غَيْرِ
وَأُفْنِيَ فِي التَّوْحِيدِ ذَاتاً وَغَابَ فِي * بِحَارٍ مِنَ التَّحْقِيقِ فِي لُجِّهَا يَسْرِي
وَمُدَّ بِسِرٍّ مِنْ بَقَاءٍ وَ أُلْقِيَتْ * عَلَيْهِ حُلَى التَّقْرِيبِ وَالوَصْلِ وَالبِرِّ
وَقِيلَ لَهُ أَنْتَ الخَلِيفَةُ فَارْعَيَنْ * وَأَمْرُكَ أَمْرِي مَا حَكَمْتَ فَهُو يَجْرِي
وَعَمَّتْهُ أَنْوَارُ النُّبُوءَةِ فَاغْتَدَى * بِهَا وَارِثاً كُلَّ الكَمَالِ بِلَا حَصْرِ
وَزَكَّتْهُ أَخْلَاقاً وَفَاضَ يَنَابِعاً * مِنَ السِّرِّ وَالعِرْفَانِ وَالفَضْلِ وَالخَيْرِ
وَأَبْدَتْ عَلَيْهِ مُسْحَةً مِنْ جَمَالِهَا * لِذَاكَ قُلُوبُ العَاشِقِينَ لَهُ تَجْرِي
وَتَشْتَاقُهُ حُبّاً وَتَحْيَا بِذِكْرِهِ * وَكَانَ لَدَيْهَا طَيِّبَ الذِّكْرِ وَالنَّشْرِ
وَصَارَ مُهَاباً فِي الصُّدُورِ مُعَظَّماً * يَزُجُّ الَّذِي يَغْشَاهُ فِي الجِدِّ وَالذِّكْرِ
وَتَفْصِيلُ أَوْصَافٍ لَهُ مُتَعَذِّرٌ * فَكَيْفَ يُطَاقُ مَدْحُهُ فَاقْبَلَنْ عُذْرِي
وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ طُفَيْلِي مُلَفَّقٌ * يُجَارِي جِيَاداً بِالبَطِيِّ مِنَ الحُمْرِ
عَلَيْهِ رِضَا الرَّحْمَانِ مَا حَنَّ عَاشِقٌ * لِرُؤْيَا سَنَاهُ فِي مَحَاسِنِهِ الغُرِّ
وَمَعْشَرِهِ وَالصَّحْبِ طُرّاً بِأَسْرِهِمْ * شَبَابٍ وَشَيْخٍ ذِي حَيَاةٍ وَذِي قَبْرِ

---

[1]- ح: مما يشير إليه إلى وصف حاله

[2]- ي ك: "هذه" محذوفة

[3]- ك: تنزه

وَوَصْفُ مَقَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَمَالِهِ، وَكَذَا وَصْفُ مَوَاجِدِهِ وَأَحْوَالِهِ، لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ إِلَّا العَلِيمُ الخَبِيرُ، أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ البَصِيرَةِ وَالتَّبْصِيرِ، ثُمَّ هُوَ لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِنَتَائِجِهِ الَّتِي تُنْبِئُ عَنْهُ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ قَضَايَا وَجُزْئِيَاتٍ، هِيَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ جَلِيَّاتٌ، فَإِنْ[1] كَانَ كَذَلِكَ، فَهُوَ البَحْرُ الخِضَمُّ، الوَاسِعُ الأَعْظَمُ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ سَاحِلٌ، وَتَقْصُرُ الخُطَا عَنْهُ بِمَرَاحِلَ، وَالمَقَامُ الَّذِي لَا يُتَرْجَمُ عَنْهُ، وَلَا يُسْتَوْفَى أَدْنَى وَصْفٍ[2] مِنْهُ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، وَأَفْضَلُ المُنْعِمِينَ وَالرَّازِقِينَ، فَامْلَأِ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَأَمْتِعِ[3] القَلْبَ مِنْ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَوْفِ شَيْئاً مِنْهَا بِمَزِيدِ القَوْلِ وَإِكْثَارِهِ، وَلَا بَلَغْتَ تِسْعَ مُدِّهِ وَمِعْشَارِهِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُنَا بَرَكَتَهُ، وَيُنِيلُنَا مَحَبَّتَهُ، وَيَجْعَلُنَا فِي الدَّارَيْنِ مِنْ حِزْبِهِ وَرَفِيقِهِ، وَمِنَ الشَّارِبِينَ مِنْ مَنْهَلِ عِرْفَانِهِ وَتَحْقِيقِهِ، فَإِنْ لَمْ نَكُنْ أَهْلاً لِذَلِكَ، وَكُنَّا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ تِلْكَ المَسَالِكِ، فَالرَّحِيمُ الوَدُودُ أَهْلٌ لِأَنْ يَرْحَمَ وَيَجُودَ، فَهْوَ الَّذِي يَفْتَحُ[4] لِلْمُرْتَجَى[5] ، بَاباً مُرْتَجَا، وَيَرْحَمُ ذَوِي الفَاقَاتِ، بِتَوَالِي الإِرْفَاقَاتِ، وَيُعْطِي بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا سَبَبٍ مِنَ العَبْدِ وَلَا اكْتِسَابٍ، وَيُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ، وَإِنْ صَرَفَتْهُ عَنِ الطَّاعَاتِ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَاحِمَ سِوَاهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى[6] آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

وَأَمَّا ثَوَابُ الإِسْمِ الأَعْظَمِ الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ أَوَّلاً، فَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُعْطِيتُ مِنْ إِسْمِ اللَّهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ صِيَغاً عَدِيدَةً، وَعَلَّمَنِي فِيهَا كَيْفِيَّةً أَسْتَخْرِجُ بِهَا مَا أَحْبَبْتُ مِنْ تَرَاكِيبِهِ، وَأَخْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلَا حَصْرَ،

---

[1] - ي ك ع هـ ق: فإذا

[2] - ح: نصيبه

[3] - ح: ومتع القلب

[4] - ح: "يفتح" محذوفة

[5] - ح: للمرتجي

[6] - ك: "وعلى" محذوفة

وَأَخْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَوَاصِّهِ العِظَامِ وَكَيْفِيَّةِ الدُّعَاءِ بِهِ وَكَيْفِيَّةِ سُلُوكِهِ، وَهَذَا الأَمْرُ لَمْ يَبْلُغْ لَنَا عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ غَيْر سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَعْطَانِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِسْمَ الأَعْظَمَ الخَاصَّ بِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ[1] بَعْدَ أَنْ أَعْطَانِي الإِسْمَ الأَعْظَمَ الخَاصَّ بِمَقَامِهِ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا الإِسْمُ الخَاصُّ بِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لَا يُعْطَى إِلَّا لِمَنْ سَبَقَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الأَزَلِ أَنَّهُ يَصِيرُ قُطْباً، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ لِسَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِئْذَنْ[2] لِي فِي جَمِيعِ[3] أَسْرَارِهِ، وَجَمِيعِ[4] مَا احْتَوَى عَلَيْهِ، فَفَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا مَا أَخْبَرَهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَوَابِ الإِسْمِ الأَعْظَمِ الكَبِيرِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ قُطْبِ الأَقْطَابِ، فَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَاكِياً مَا أَخْبَرَهُ بِهِ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لِتَالِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَقَامٍ فِي الجَنَّةِ، فِي كُلِّ مَقَامٍ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الجَنَّةِ كَائِنٌ مِنَ الحُورِ وَالقُصُورِ وَالأَنْهَارِ إِلَى غَايَةِ كُلِّ مَا هُوَ مَخْلُوقٌ فِي الجَنَّةِ، مَا عَدَا الحُورِ وَأَنْهَارِ العَسَلِ، فَلَهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ سَبْعُونَ حَوْرَاءَ وَسَبْعُونَ نَهْراً مِنَ العَسَلِ.

وَكُلَّمَا[5] خَرَجَ مِنْ فَمِهِ هَبَطَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، فَكَتَبُوهُ مِنْ فِيهِ، وَصَعَدُوا بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَأَرَوْهُ لَهُ، فَيَقُولُ الجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ: اكْتُبُوهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَاكْتُبُوا مَقَامَهُ فِي عِلِيِّينَ فِي جِوَارِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ثَوَابُ جَمِيعِ مَا ذُكِرَ اللَّهُ بِهِ[6] عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي سَائِرِ عَوَالِمِهِ، وَلَهُ فِي

---

[1]- أ ي ك ع هـ ق ص: " كرم الله وجهه" محذوفة

[2]- ح: آذن

[3]- ح: جمع

[4]- ح: وجمع

[5]- ح: وكل ما

[6]- ح: "به" محذوفة

كُلِّ مَرَّةٍ ثَوَابُ مَا سُبِّحَ بِهِ رَبُّنَا عَلَى لِسَانِ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ أَوَّلِ خَلْقِ العَالَمِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَهُ ثَوَابُ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ بِتَمَامِهَا[1] ، سِتَّةَ آلَافِ مَرَّةٍ لِكُلِّ[2] مَرَّةٍ مِنْهُ، وَلَهُ ثَوَابُ سُورَةِ الفَاتِحَةِ، وَلَهُ ثَوَابُ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ، أَعْنِي بِكُلِّ مَرَّةٍ أَجْرَ خَتْمَةٍ، وَمِنْ تِلْكَ الخَتْمَةِ الفَاتِحَةُ وَسُورَةُ القَدْرِ، وَلَهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْ تِلَاوَتِهِ ثَوَابُ كُلِّ دُعَاءٍ وَقَعَ فِي الوُجُودِ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ.

وَكُلَّمَا تَلَاهُ التَّالِي تَلَتْهُ مَعَهُ جَمِيعُ مَلَائِكَةِ عَوَالِمِ اللَّهِ بِأَسْرِهَا، وَكُلُّ مَلَكٍ يَتْلُوهُ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهِ، فَإِنَّ مِنَ المَلَائِكَةِ مَنْ لَهُ سَبْعُونَ لِسَاناً، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سِتُّونَ لِسَاناً، وَهَكَذَا القَلِيلُ[3] عِنْدَهُ لِسَانٌ وَاحِدٌ، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الأَرْضِ الَّتِي[4] نَحْنُ فِيهَا، كَذَا أَخْبَرَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالحَاصِلُ مَا دَامَ يَتْلُوهُ فَمَلَائِكَةُ جَمِيعِ العَالَمِ تَتْلُوهُ مَعَهُ بِأَلْسِنَتِهَا كُلِّهَا، وَثَوَابُ ذِكْرِهِمْ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهِمْ لِتَالِي الإِسْمِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، سَوَاءٌ قَلَّلَ أَوْ أَكْثَرَ.

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقُلْتُ[5] لِسَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذِكْرُ المَلَكِ هَلْ هُوَ[6] مِثْلُ ثَوَابِ تِلَاوَةِ الآدَمِيِّ كُلُّ مَرَّةٍ بِسَبْعِينَ أَلْفَ مَقَامٍ فِي الجَنَّةِ، وَثَوَابِ مَا ذُكِرَ بَعْدَهُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحٍ، وَمِنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَكُلِّ دُعَاءٍ وَجَمِيعِ القُرْآنِ وَصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ؟ أَمْ[7] يَنْقُصُ ثَوَابُ ذِكْرِ المَلَكِ عَلَى ذِكْرِ الآدَمِيِّ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَوَابُ ذِكْرِ المَلَكِ يُضَاعَفُ[8] عَلَى ثَوَابِ ذِكْرِ الآدَمِيِّ بِعَشْرِ مَرَّاتٍ، يَعْنِي أَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ مِنَ الثَّوَابِ فِي ذِكْرِ الآدَمِيِّ فِي

---

[1]- ي: بأتمها

[2]- ح: ككل

[3]- ل: وأقلهم

[4]- ع ي: الذي

[5]- ل: قلت

[6]- ح: "هو" محذوفة

[7]- ح: أو

[8]- ل: يزيد

مَرَّةٍ يَحْصُلُ فِي ذِكْرِ المَلَكِ مَرَّةً[1] مِثْلَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَثَوَابُ جَمِيعِ ذَلِكَ، أَعْنِي ذِكْرَ المَلَائِكَةَ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهَا لِتَالِي الإِسْمِ، قَدْرَ مَا تَلَاهُ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً.

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ الكَلَامِ عَلَى الإِسْمِ: أَمَّا ثَوَابُهُ فَكُلُّ مَنْ تَلَاهُ مِنْ عُمُومِ أُمَّتِي فَلَهُ ثَوَابُ خَتْمَةٍ مِنَ القُرْآنِ بِكُلِّ مَرَّةٍ فَقَطْ، بِلَا زَائِدٍ، هَذَا لِكُلِّ مَنْ عَلِمَ الإِسْمَ الأَعْظَمَ وَتَلَاهُ، وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الإِسْمَ هُوَ اسْمُ الذَّاتِ الخَاصُّ بِهَا، وَأَنَّهُ بِخُصُوصِهِ هُوَ اسْمُ ذَاتِ اللَّهِ دُونَ مَا عَدَاهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، (أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَدَاهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ)[2] كُلِّهَا أَسْمَاءَ الصِّفَاتِ وَالكَمَالَاتِ، وَلَيْسَ لِلذَّاتِ إِلَّا هَذَا الإِسْمُ.

قَالَ لِي: إِنَّ مَنْ عَلِمَهُ هَكَذَا، وَأَنَّهُ هُوَ اسْمُ ذَاتِ اللَّهِ الخَاصُّ بِهَا، كَانَ لَهُ جَمِيعُ الثَّوَابِ الزَّائِدِ عَلَى خَتْمَةٍ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَيْسَ إِلَّا خَتْمَةٌ مِنَ القُرْآنِ فَقَطْ، وَأَنَّ مَنْ تَلَا الفَاتِحَةَ بِلَا شُعُورٍ مِنْ تِلَاوَةِ الإِسْمِ مَعَهَا كَانَ لَهُ ثَوَابُ الفَاتِحَةِ فَقَطْ، وَمَنْ تَلَاهَا وَهُوَ يَعْتَقِدُ تِلَاوَةَ الإِسْمِ الأَعْظَمِ[3] مَعَهَا لِوُجُودِ حُرُوفِهِ فِيهَا كَانَ لَهُ ثَوَابُ تِلَاوَتِهَا وَثَوَابُ تِلَاوَةِ الإِسْمِ مَعَهَا، ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: تَأَمَّلُوا بِأَفْكَارِكُمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تَقُومُ[4] لِتِلَاوَةِ هَذَا الإِسْمِ عِبَادَةٌ.

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَنِي مَهْمَا ذَكَرْتُ الإِسْمَ مَرَّةً ذَكَرَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِي كُورَةِ العَالَمِ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفٍ إِلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ، وَأَنَّ كُلَّ مَرَّةٍ مِنْ ذِكْرِ لِسَانِ كُلِّ مَلَكٍ تَعْدِلُ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ سِتِّينَ[5] أَلْفَ مَرَّةٍ، وَضُمِنَتْ لِي وَأُعْطِيتُهَا، وَقَالَ لِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا كُلُّهُ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ إِحْدَى عَشَرَ جُزْءاً مِنْ ذِكْرِ صَاحِبِ التَّجَلِّي الخَاصِّ، لِأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ هَذَا الفَضْلُ عِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الإِسْمِ، قِيلَ

---

[1]- ح: "مرة" محذوفة

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ي ك ع هـ ق ص: "الأعظم" محذوف

[4]- أ ح ي ك ع: يقوم

[5]- ح ي ك ع: ستون

لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا خَاصٌ بِكَ أَوْ لِكُلِّ وَاحِدٍ[1] مِنْ أَصْحَابِ التَّجَلِّي الخَاصِّ؟ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَقِيلَ[2] لَهُ أَيْضاً: وَالفَضْلُ الَّذِي مَهْمَا ذَكَرْتَ كَلِمَةً مِنْ كُلِّ ذِكْرٍ عَلَى الإِطْلَاقِ ذَكَرَتْ[3] مَعَكَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَذِكْرُ كُلِّ مَلَكٍ بِسَبْعَةِ آلَافِ كَلِمَةٍ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الفَضْلُ خَاصٌّ بِي، وَلَمْ يُعْطَ لِغَيْرِي، وَسَمِعْتُ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ[4] الإِسْمَ[5] الخَاصَّ بِهِ إِذَا ذَكَرَهُ[6] العَارِفُونَ كُلُّهُمْ مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ سَبْعَةً[7] وَعِشْرِينَ[8] مِائَةَ سَنَةٍ، يَذْكُرُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَجُمِعَتْ تِلْكَ الأَذْكَارُ كُلُّهَا فِي تِلْكَ المُدَّةِ كُلِّهَا، مَا لَحِقُوا مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ ذِكْرِ سَيِّدِنَا الخَاصِّ بِهِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ وَبِعُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ آمِينَ.

وَقَدْ تَفَضَّلَ سَيِّدُنَا[9] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِبَةِ هَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ لِأَصْحَابِهِ، الَّذِي هُوَ ذِكْرُ سَبْعِينَ[10] أَلْفاً مَعَهُ إلخ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ جُمَادَى[11] الثَّانِيَةِ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ.

---

[1]- ل: أو يحصل لكل واحد

[2]- ل: فقيل له

[3]- ح: وذكرت

[4]- ح ي ك ع ق ص: وأن

[5]- ل: الإسم الأعظم

[6]- ح: ذكروه

[7]- ل: سبعا وعشرين

[8]- ي ك ع: وعشرون

[9]- ح: "سيدنا" محذوفة

[10]- ع: سبعون

[11]- ي: شهر الله جمادى الثانية

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تَحْقِيقِ فَضْلِ قَوْلِ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِذَا قَدَّرْتَ ذَاكِراً ذَكَرَ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ فِي كُلِّ لُغَةٍ هُوَ نِصْفُ مَرَّةٍ مِنْ ذِكْرِ الكَبِيرِ، وَمَرَّةٌ مِمَّا سِوَاهُ، وَنَعْنِي[1] بِالكَبِيرِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَرَّة مِمَّا سِوَاهُ مِنْ تَرَاكِيبِ الإِسْمِ، لِأَنَّ تَرَاكِيبَ الإِسْمِ لَا حَدَّ لَهَا، وَيُضَاعَفُ بِذِكْرِ كُلِّ مَلَكٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ يُضَاعَفُ الفَضْلُ المَذْكُورُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ[2] ، فَإِذَا ذَكَرَ الذَّاكِرُ عَشْرَةَ آلَافِ مَرَّةٍ مِنَ الكَبِيرِ، هُوَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ[3] ، فَهَذَا فَضْلُ الكَبِيرِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَفِي كُلِّ تَرْكِيبٍ[4] النِّصْفُ مِنْ هَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ.

ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ النِّسَاءُ بَلْ هُوَ خَاصٌّ بِالرِّجَالِ ، لِأَنَّهَا مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ، فَلَا تُعْطَى إِلَّا لِمَنْ سَبَقَ أَنَّهُ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَا تَلَتْهُ الأُمَّةُ مِنَ القُرْآنِ، مِنْ بِعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ، لَفْظاً لَفْظاً، فَرْداً فَرْداً فِي القُرْآنِ، مَا بَلَغَ لَفْظَةً وَاحِدَةً مِنَ الإِسْمِ الأَعْظَمِ، وَهَذَا كُلُّهُ بِالنِّسْبَةِ لِلإِسْمِ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرِ المُحِيطِ، وَهَذَا مِمَّا لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِهِ، وَاسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ خَلْقِهِ، وَكَشَفَهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الإِسْمَ الأَعْظَمَ هُوَ الخَاصُّ بِالذَّاتِ لَا غَيْرُهُ، وَهُوَ اسْمُ الإِحَاطَةِ، وَلَا يَتَحَقَّقُ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ إِلَّا وَاحِدٌ[5] فِي الدَّهْرِ، وَهُوَ الفَرْدُ الجَامِعُ، هَذَا هُوَ الإِسْمُ البَاطِنُ، وَأَمَّا الإِسْمُ الأَعْظَمُ الظَّاهِرُ فَهُوَ اسْمُ المَرْتَبَةِ، الجَامِعُ لِمَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ مِنْ أَوْصَافِ الإِلَهِ وَمَأْلُوهَاتِهِ، وَتَحْتَهُ مَرْتَبَةُ أَسْمَاءِ التَّشْتِيتِ، وَمِنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ فُيُوضُ[6] الأَوْلِيَاءِ، فَمَنْ تَحَقَّقَ

---

[1]- ح: ويعني

[2]- ل: مرتبتين

[3]- ل: مرتبتين

[4]- ح: التركيب

[5]- ح ص: واحدا

[6]- ل: فيوضات

بِوَصْفٍ كَانَ فَيْضُهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ الإِسْمِ، وَمِنْ هَذَا[1] كَانَتْ مَقَامَاتُهُمْ مُخْتَلِفَةً، وَأَحْوَالُهُمْ كَذَلِكَ، وَجَمِيعُ فُيُوضِ[2] المَرْتَبَةِ بَعْضٌ مِنْ فُيُوضِ[3] اسْمِ الذَّاتِ الأَكْبَرِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذَكَرَ الذَّاكِرُ الإِسْمَ الكَبِيرَ يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ مَلَائِكَةً كَثِيرَةً، لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الأَلْسِنَةِ بِعَدَدِ جَمِيعِ المَلَائِكَةِ المَخْلُوقِينَ مِنْ ذِكْرِ الإِسْمِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ لِلذَّاكِرِ، أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَغْفِرُ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ بِعَدَدِ جَمِيعِ أَلْسِنَتِهِ، وَهَكَذَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ فَضْلِ المُسَبَّعَاتِ العَشْرِ، وَأَنَّ مَنْ ذَكَرَهَا مَرَّةً لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ سَنَةٍ، فَقَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ جَمِيعِ الأَذْكَارِ وَسِرُّ جَمِيعِ الأَذْكَارِ فِي الإِسْمِ الكَبِيرِ، فَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلِمْتُ أَنَّهُ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ[4] جَمِيعَ خَوَاصِّ الأَذْكَارِ وَفَضَائِلِهَا مُنْطَوِيَةٌ فِي الإِسْمِ الكَبِيرِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُكْتَبُ لِذَاكِرِ الإِسْمِ بِكُلِّ مَلَكٍ[5] خَلَقَهُ اللَّهُ فِي العَالَمِ فَضْلُ عِشْرِينَ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ، وَيُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ دُعَاءٍ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ بِكُلِّ مَرَّةٍ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الإِسْمِ الشَّرِيفِ، **وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فَإِذَا[6] قَدَّرْنَا[7] أَنَّ ذَاكِراً ذَكَرَ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا[8] تُسَاوِي نِصْفَ مَرَّةٍ مِنْ ذِكْرِ الإِسْمِ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ عَارِفٍ.

1- ل: ولأجل هذا

2- ل: فيوضات

3- ل: فيوضات

4- ح: "أن" محذوفة

5- ل: بعدد كل ملك خلقه الله

6- أ ع ك ح ي هـ ق ص م: فمن

7- أ ع ك ح ي هـ ق ص م: قدر

8- أ ع ك ح ي هـ ق ص م: "فإنها" محذوفة

وَأَمَّا ذِكْرُ الفَرْدِ (أَعْنِي بِالفَرْدِ شَيْخَنَا أَبَا العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1] الخَاصُّ بِهِ المَرَّةُ الوَاحِدَةُ[2] بِأَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ ثَلَاثَ مَرَاتِبَ[3] مِنْ فَضْلِ الإِسْمِ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ، وَكُلُّ مَلَكٍ يُضَاعَفُ فَضْلُهُ فِي جَمِيعِ كُورَةِ العَالَمِ بِأَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ ثَلَاثَ مَرَاتِبَ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا التَّضْعِيفِ تُسَاوِي جَمِيعَ أَذْكَارِ العَالَمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى وَقْتِ الذِّكْرِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا الآنَ، وَأَمَّا إِذَا وَصَلْتُ إِلَى المَقَامِ المَوْعُودِ بِهِ، حَصَلَ لِي هَذَا عِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الإِسْمِ، وَهَذَا خَاصٌّ بِي، لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِغَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: ثَوَابُ الإِسْمِ الأَعْظَمِ الكَبِيرِ الَّذِي هُوَ خَاصٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا ذَكَرَهُ[4] أَحَدٌ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ عَشَرَةَ آلَافٍ مِنَ الثَّوَابِ المُتَقَدِّمِ كَانَ جُزْءاً مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ جُزْءٍ مِنْ ثَوَابِهِ، هَذَا الفَضْلُ[5] لِكُلِّ أَحَدٍ[6] ، وَلَوْ[7] لَمْ يَكُنْ مَفْتُوحاً عَلَيْهِ إِذَا عَلِمَ مَرْتَبَتَهُ، يُرِيدُ أَنَّ الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ مِنْهُ تُضَاعَفُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ[8] .

وَأَمَّا ثَوَابُ الفَرْدِ الجَامِعِ إِذَا ذَكَرَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً تَتَضَاعَفُ[9] إِلَى أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ ثَلَاثَ مَرَاتِبَ، وَثَوَابُ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الفَرْدِ الجَامِعِ، وَمِنْ ذِكْرِ المَلَائِكَةِ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهَا بِسِتِّينَ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الفَرْدِ وَذِكْرِ المَلَائِكَةِ فِي المَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ، أَعْنِي: مَرَاتِبَ الآلَافِ الثَّلَاثِ[10] ، يُضْرَبُ فِي إِحْدَى عَشَرَ، هَذَا ثَوَابُ الفَرْدِ الجَامِعِ لِكُلِّ ذَاتٍ مِنْ

---

[1]- ع ك ي: ما بين القوسين محذوف

[2]- ل: المرة الواحدة منه

[3]- ي: بألف ألف ألف مرة ثلاث مراتب

[4]- ح: ذكر

[5]- ل: هذا الفضل لكل أحد ممن تلاه

[6]- ك: واحد

[7]- ح: وإن لم يكن مفتوحا

[8]- ل: مرتبتين

[9]- ل: فإنها تتضاعف

[10]- ل: الثلاثة

ذَوَاتِ الفَرْدِ الجَامِعِ، وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتَّةٌ[1] وَسِتُّونَ ذَاتًا، وَيَتَضَاعَفُ هَذَا الثَّوَابُ كُلُّهُ لِلذَّاتِ الَّتِي هِيَ بِمَكَّةَ مِائَةَ مَرَّةٍ، هَذَا لِلفَرْدِ الجَامِعِ، وَأَمَّا العَامِّي الَّذِي عَلِمَ مَرْتَبَتَهُ إِذَا ذَكَرَ الإِسْمَ الأَعْظَمَ مَرَّةً ذَكَرَتْهُ معَهُ جَمِيعُ المَلَائِكَةِ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهَا، وَجَمِيعُ ثَوَابِ كُلِّ لِسَانٍ يُعَادِلُ ثَوَابَ الفَاتِحِ. إلخ.. سِتَّةَ آلَافِ مَرَّةٍ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الإِسْمَ الأَعْظَمَ مَضْرُوبٌ عَلَيْهِ حِجَابٌ، وَلَا يُطْلِعُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنِ اخْتَصَّهُ بِالمَحَبَّةِ، وَلَوْ عَرَفَهُ النَّاسُ لاشْتَغَلُوا بِهِ وَتَرَكُوا غَيْرَهُ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَتَرَكَ القُرْآنَ وَالصَّلَاةَ عَلَيَّ لِمَا يَرَى فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الفَضْلِ فَإِنَّهُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ قَدَّرْتَ مِائَةَ أَلْفِ رَجُلٍ، يَذْكُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ[2] مِنَ الإِسْمِ الكَبِيرِ، وَيَعِيشُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، لَمْ يُسَاوِي ثَوَابُهُمْ حَتَّى نِصْفَ مَرَّةٍ مِنْ صَاحِبِ المَقَامِ، وَبِعِبَارَةٍ لَوْ قَدَّرْتَ أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ المُفْرَدَاتِ وَالمُرَكَّبَاتِ فِي كُلِّ لُغَةٍ، مِنْ جَمِيعِ اللُّغَاتِ ذُكِرَتْ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ تَبْلُغْ إِلَّا نِصْفَ فَضْلِ الكَبِيرِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الفَضْلَ المَذْكُورَ فِي الإِسْمِ الكَبِيرِ خَاصٌّ بِالصِّيغَةِ الَّتِي هِيَ خَاصَّةٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُلَقِّنُهَا وَلَا يَأْذَنُ فِيهَا إِلَّا القُطْبُ الجَامِعُ، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ صِيَغِ الإِسْمِ فَفِيهَا النِّصْفُ مِنْ ثَوَابِ الكَبِيرِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهَذَا الفَضْلُ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَ صِيغَةً مِنَ الإِسْمِ الأَعْظَمِ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ، وَأَمَّا مَنْ عَثَرَ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ أَوْ غَيْرِهِ وَذَكَرَهُ[3] مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ فَثَوَابُهُ حَرْفٌ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ فَقَطْ لَا غَيْرَ[4] ، وَمِنْ خَوَاصِّ قَوْلِ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ أَنَّ مَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ لَهُ أَيْ لَفْظَهُ دُونَ أَسْرَارِهِ، كَانَ مَأْمُوناً[5] مِنَ السَّلْبِ، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِالوِلَايَةِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى سَلْبِهِ إِلَّا القُطْبُ.

---

[1] - ل: وست وستون

[2] - ي ك ع ح هـ ق ص م: "مرة" محذوفة

[3] - ل: واستعمله من غير إذن

[4] - ح: لا غير فقط

[5] - ع ي ل: مؤمنا

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ القُطْبَانِيَةِ، وَهُوَ لَا يُعْطَى وَلَا يَذْكُرُهُ[1] إِلَّا لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَصِيرُ قُطْباً، وَهَذَا الذِّكْرُ لَهُ خَوَاصٌّ عِظَامٌ، مِنْ جُمْلَتِهَا أَنَّ مَنْ سَلَكَهُ إِحْدَى عَشَرَ يَوْماً فَكُلُّ حَاجَةٍ دَعَا بِهِ فِيهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَصَلَتْ، وَفِيهِ إِجَابَةٌ كَالإِسْمِ الأَعْظَمِ، وَلَوْ حَصَلَ لِعَامِّي لَحَصَلَتْ لَهُ الإِجَابَةُ، فَضْلاً عَلَى المَفْتُوحِ عَلَيْهِ[2] ، (وَلَمْ يَذْكُرْهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[3] عَنْهُ لِأَحَدٍ لِأَنَّهُ خَاصٌّ بِهِ)[4] .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ العَارِفَ بِاللَّهِ يَصِيرُ حَرْفاً مِنْ حُرُوفِ الذَّاتِ، قِيلَ لَهُ: إِنَّ الحَرْفَ ذَاتٌ وَالعَارِفُ ذَاتٌ[5] ، كَيْفَ يَصِيرُ ذَاتاً وَاحِدَةً[6] ؟ قَالَ: مَعْنَاهُ أَنَّ العَارِفَ يَصِيرُ يَتَصَرَّفُ بِذَاتِهِ كَالحَرْفِ، لَا[7] أَنَّهُ[8] يَصِيرُ عَيْنَ الحَرْفِ، قِيلَ لَهُ: وَلِمَاذَا لَمْ يَتَصَرَّفْ بِالأَسْمَاءِ العَالِيَةِ وَبِعَسْكَرَةِ الأَسْمَاءِ؟

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا الأَسْمَاءُ العَالِيَةُ فَلَا يَعْرِفُهَا[9] وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ، وَأَمَّا عَسْكَرَةُ الأَسْمَاءِ وَغَيْرُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَيَعْرِفُهَا العَارِفُونَ، وَلَكِنَّ العَارِفَ يَغْلِبُهُ الحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَطْلُبَ حَاجَةً بِأَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً يُوَجِّهُ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا، فَتُقْضَى إِنْ أَرَادَ قَضَاءَهَا.

وَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يُحَدِّثُنِي قَلْبِي أَنَّ مَنْ عَرَفَ صَاحِبَ الوَقْتِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ الفَرْدُ الجَامِعُ، وَعَرَفَ الإِسْمَ الخَاصَّ بِهِ وَدَعَا بِهِمَا اسْتُجِيبَ لَهُ فِي الحِينِ، وَبَقِيتُ زَمَانًا عَلَى هَذَا

---

[1]- ك: ولا يذكر

[2]- ل: فكيف بالمفتوح عليه

[3]- ي: "تعالى" محذوفة

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: والعارف ذات أخرى

[6]- ل: فكيف تصير الذاتان ذات واحدة

[7]- ل: "لا" محذوفة

[8]- ل: لأنه

[9]- ح: أعرفها

الحَالِ حَتَّى أَخْبَرَنِي بِهِ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ فِي قَلْبِي سَوَاءً بِسَوَاءٍ، ثُمَّ سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا المُرَادُ بِالإِسْمِ الخَاصِّ[1] بِهِ، هَلْ هُوَ الإِسْمُ الأَعْظَمُ أَوْ غَيْرُهُ؟

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا بَلْ غَيْرُهُ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ لَهُ إِسْمٌ مِنَ الأَسْمَاءِ العَالِيَةِ، وَهُوَ الَّذِي بِهِ قِوَامُ ذَاتِهِ، وَلَهُ إِسْمٌ نَازِلٌ، وَهُوَ الَّذِي يُمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[2] لَيْسَ المُرَادُ الَّذِي قَالَهُ المُفَسِّرُونَ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا ظَهَرَتْ خُصُوصِيَّةٌ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا المُرَادُ بِهَا الأَسْمَاءُ العَالِيَةُ، لِأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي الكَوْنِ إِلَّا وَلَهُ إِسْمٌ عَلَى قَدْرِهِ فِي العِظَمِ، وَبِهِ قِوَامُهُ. انْتَهَى.

قَالَ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ نَاقِلاً عَنْ شَيْخِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ المُرَادُ بِالأَسْمَاءِ الأَسْمَاءُ العَالِيَةُ، لَا الأَسْمَاءُ النَّازِلَةُ، لِأَنَّ[3] كُلَّ مَخْلُوقٍ لَهُ إِسْمٌ عَالِي وَإِسْمٌ نَازِلٌ، فَالإِسْمُ النَّازِلُ هُوَ الَّذِي يُشْعِرُ بِالمُسَمَّى فِي الجُمْلَةِ، وَالإِسْمُ العَالِي هُوَ الَّذِي يُشْعِرُ بِأَصْلِ المُسَمَّى، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ، وَبِفَائِدَةِ المُسَمَّى، وَلِأَيِّ شَيْءٍ يَصْلُحُ الفَأْسُ لِسَائِرِ مَا يُسْتَعْمَلُ بِهِ، وَكَيْفِيَّةِ صَنْعَةِ الحَدَّادِ لَهُ، فَتُعْلَمُ مِنْ مُجَرَّدِ سَمَاعِ لَفْظِهِ هَذِهِ[4] العُلُومُ وَالمَعَارِفُ المُتَعَلِّقَةُ بِالفَأْسِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، الأَسْمَاءُ الَّتِي يَطِيقُهَا آدَمُ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا سَائِرُ البَشَرِ، وَلَهَا بِهِمْ تَعَلُّقٌ، وَهُوَ كُلُّ مَخْلُوقٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ إِلَى تَحْتِ الأَرْضِ. انْتَهَى.

وَقَالَ البُوصَيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنْ عَالَمِ الغَيْـ * ـــبِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الأَسْمَاءُ

---

[1]- ل: بالإسم الخاص بالفرد الجامع

[2]- سورة البقرة، الآية 31

[3]- ي ك: فإن

[4]- ح: هذا

سَأَلْتُ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ مَعْنَى البَيْتِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي الإِبْرِيزِ وَالشَّيْخُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (عَجُزُ البَيْتِ لَا صَدْرُهُ؟)[1] فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ، وَأَمَّا صَدْرُ البَيْتِ فَهُوَ مَشْهَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَاصُّ بِهِ الَّذِي لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ[2] ، لَا نَبِيَّ وَلَا وَلِيَّ، وَصَدَقَ صَاحِبُ الهَمْزِيَّةِ فِي قَوْلِهِ:

رُتَبٌ تَسْقُطُ الأَمَانِيُّ حَسْرَى * دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ

بَعْدَ قَوْلِهِ:

وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَـ * ـيْنِ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ[3] القَعْسَاءُ

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ البُوصَيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّـ * ـاسِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ المَاءُ

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ[4] وَالمُرْسَلِينَ إِنَّمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا هُوَ كَظُهُورِ النَّجْمِ فِي المَاءِ[5] ، **قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** وَلِهَذَا قَالَ أُوَيْسُ القَرَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلصَّحَابَةِ: مَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ إِلَّا ظِلَّهُ، قَالُوا: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَ: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ اهـ، وَتَقَاعَسَ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ سِرِّهِ جَمِيعُ الكُبَرَاءِ[6] .

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ل: لأحد دونه

[3]- ك م: السعادة

[4]- ي: الأولياء

[5]- ل: مثل ما ظهر من النجوم على وجه الماء

[6]- ي: الكبرا

قَالَ أَبُو يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خُضْتُ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَالِباً لِلوُقُوفِ عَلَى الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَإِذَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَلْفُ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ لِوَاحِدٍ[1] مِنْهَا لاحْتَرَقْتُ كَمَا تَحْتَرِقُ الشَّعْرَةُ فِي النَّارِ. وَهَذَا القَدْرُ يَكْفِي فِي فَضْلِ بَعْضِ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ[2] ، وَمَا وَرَاءَ هَذَا لَا تُطِيقُهُ العُقُولُ، وَلَا تَفِي بِهِ النُّقُولُ، وَمَا سَمِعْتَ فِيهِ مِنَ الخَبَرِ[3] ، إِنَّمَا هُوَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَتِهِ وَأَصْحَابِه.

الفَصْلُ الثَّانِي فِي سِيرَتِهِ السَّنِيَّةِ
وَجُمَلٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ السُّنِّيَّةِ وَحُسْنِ مُعَامَلَاتِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ

قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِشَيْخِنَا وَسَيِّدِنَا أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّرِيعَةَ، كَمَا أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الحَقِيقَةَ، وَسَلَكَ بِهِ بَيْنَ صِرَاطِهِمَا المُسْتَقِيمِ أَحْسَنَ طَرِيقَة، فَشَرِبَ مِنْهُمَا لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً، وَوَرِثَ مِنْهُمَا مَقَاماً[4] كَامِلاً بَالِغاً، وَتَمَكَّنَ مِنَ الحَالَيْنِ، وَرَقَى دَرَجَةَ كُلٍّ مِنَ الكَمَالَيْنِ، جَارِياً عَلَى مُقْتَضَى الأَمْرَيْنِ، وَسَائِراً عَلَى مَنْهَجِهِمَا الأَعْدَلَيْنِ، مُتَكَافِئَ الطَّرَفَيْنِ، وَمُعْتَدِلَ الوَصْفَيْنِ، جَبَلاً بَيْنَ سَهْلَيْنِ، وَبَرْزَخاً بَيْنَ بَحْرَيْنِ، لَا يَذْهَبُ بَحْرُهُ بِبَرِّهِ، وَلَا يَبْعُدُ بَرُّهُ عَنْ بَحْرِهِ، تَقْوِيَّةً مِنَ اللَّهِ لَهُ وَتَمْكِيناً، وَتَأْيِيداً لَهُ وَتَحْصِيناً.

وَقَدْ مَكَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الإِتِّبَاعِ غَايَةَ التَّمْكِينِ، وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالمَنْزِلِ المَكِينِ، فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُوَافَقَةِ الشَّرِيعَةِ وَمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ آيَةٌ، قَدْ وَصَلَ فِي التَّحَافُظِ[5] عَلَيْهِمَا الغَايَةَ[6] ، وَقَّافٌ

---

[1]- ك: من الواحد

[2]- ل: بعض فضل دائرة الإحاطة

[3]- ل: من الكلام

[4]- ل: مقاما محمودا كاملا

[5]- ل: المحافظة

[6]- ل: الغاية القصوى

عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، حَافِظٌ لِحُدُودِ اللَّهِ، وَاقِفٌ عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، لَا أَحَدٌ[1] فِي ذَلِكَ يُقَارِبُهُ أَوْ يُضَاهِيهِ[2]، قَدْ حَكَّمَ السُّنَّةَ فِي نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَجَعَلَهَا شِعَارَهُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ[3].

وَأَتْقَنَ رِعَايَةَ رَعِيَّتِهِ فِي دَارِهِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ زَمَنَ أَسْلَافِهِ، مِنْ حِفْظِ أَمْرِ[4] الدِّينِ وَشِعَارِهِ، فَازْدَادَتْ كَمَالاً[5] عَلَى كَمَالٍ، وَجَمَالاً عَلَى جَمَالٍ، حَتَّى طَارَتْ بِهَا كُلَّ مطَارٍ الأَمْثَالُ، وَأَعْوَزَ سَيْرَهَا كَثِيرُ الرِّجَالِ، وَتَخَلَّقَ بِالأَخْلَاقِ الشَّرْعِيَّةِ، وَجَمِيعِ آدَابِهَا المَرْعِيَّةِ، فَكَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ، وَكُلَّمَا يَأْمُرُ بِهِ الرَّحْمَنُ، يَرْضَى بِرِضَاهُ، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ، وَيَأْمُرُ بِأَمْرِهِ، وَيُحَذِّرُ بِتَحْذِيرِهِ، فَحَسُنَتْ لَدَيْهِ[6] السِّيَرُ وَالشَّمَائِلُ، وَعَذُبَتْ فِيهِ الشِّيَمُ وَالفَضَائِلُ، وَطَابَقَ ظَاهِرَ سِيرَتِهِ وَفِعَالِهِ، بَاطِنُ خُلُقِهِ وَخِلَالِهِ، وَتَحَقَّقَ بِالإِرْثِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ[7]، وَالتَحَقَ بِالسَّابِقِينَ مِنْ أَهْلِ حِزْبِ اللَّهِ.

فَأَمَّا سِيرَتُهُ فَتَجِدُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَدِيدَ الحَزْمِ فِي الدِّينِ، عَالِيَ الهِمَّةِ فِيهِ، شَدِيدَ الحِرْصِ عَلَى مُهِمَّاتِهِ، بَعْدَ القِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِ، وَاقِفاً عَلَى الحُدُودِ وَالأَحْكَامِ غَايَةً، حَاثّاً لِلْوُقُوفِ عَلَيْهَا، يَقُولُ كَثِيراً: أَفْضَلُ الأَذْكَارِ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، حَافِظاً لِحُقُوقِ اللَّهِ، مُرَاعِياً لَهَا، شَدِيدَ التَّحَرُّزِ وَالوَرَعِ فِي الدِّينِ، كَثِيرَ التَّحَفُّظِ فِيهِ وَالتَّحَرُّزِ لِلْأَحْوَطِ، مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ حَزْماً وَلَا أَعْظَمَ وَرَعاً مِنْهُ، كُلُّهُ حَزْمٌ وَ عَزْمٌ، لَا يُحِبُّ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَا يَمِيلُ إِلَى ارْتِكَابِ الرُّخَصِ، عَارِفاً عَالِماً مُدَرِّساً لِلعُلُومِ كُلِّهَا، وَالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأَسْرِهَا، بَصِيراً بِمَا زَادَ عَلَيْهَا وَمَا نَقَصَ.

---

[1]- ح: أحداً

[2]- ع ي: ويضاهيه

[3]- ل: أقواله وأفعاله

[4]- ك: "أمر" محذوفة

[5]- ح: كمال

[6]- ح: فحسنت له ـ ل: فحسنت منه

[7]- ل: فتحقق بذلك إرثه من رسول الله

يُعَانِقُ الكَمَالَاتِ، وَيُسَابِقُ الغَايَاتِ، وَيُسَارِعُ إِلَى الخَيْرَاتِ، يَسْتَمِعُ القَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، وَيُبَادِرُ لِلعَمَلِ بِهِ[1] ، يُغْرِي عَلَى فِعْلِ المَأْمُورَاتِ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَنْهِيَاتِ، وَيُعَظِّمُ أَمْرَ الشَّرْعِ العَزِيزِ، وَيُجِلُّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخَالَفَ، وَكَثِيراً مَا يَسْتَشْهِدُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[2] : **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[3] .

وَيُحِبُّ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ لَنَا، وَيَقُولُ: يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ إِذَا سَمِعَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الآدَابِ النَّبَوِيَّةِ وَالمُبَاحَاتِ الَّتِي فَعَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَفْعَلَهَا بِقَصْدِ المُوَافَقَةِ، وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَيُحَافِظُ عَلَى السُّنَّةِ فِي مُحَاوَلَاتِهِ وَمُنَاوَلَاتِهِ كُلِّهَا، وَيُحِبُّ مُوَافَقَتَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُحِبُّ الخُرُوجَ عَنْهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، وَلَوْ دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ، فَيَقُولُ[4] :

الخَيْرُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَيَحُضُّ عَلَى العَمَلِ بِالعِلْمِ كَثِيراً، وَخُصُوصاً لِمَنْ[5] يَشْتَغِلُ بِهِ، فَعَلَى قَدْرِ رِيَاحِ السَّفِينَةِ جَرَيَانُهَا، وَعَلَى قَدْرِ طَبْخِ الحَدِيدِ إِحْكَامُ الصَّنْعَةِ فِيهِ وَإِتْقَانُهَا.

وَقَدْ رُزِقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ القُوَّةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَأَفْعَالِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُكَافِئُ غَزَارَةَ نُورِهِ[6] وَعِظَمَ[7] حَالِهِ، فَمَا أَكْثَرَ حِفْظَهُ لِلدِّينِ، وَمَا أَشَدَّ حُبَّهُ إِيَّاهُ وَإِتْقَانَهُ لَهُ تبَعاً لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَ، (يُحِبُّ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُعَظِّمُ أَوَامِرَهُ، وَيَعْبُدُهُ عِبَادَةَ العَارِفِينَ بِكَمَالِهِ، الخَاضِعِينَ

---

[1]- ل: ويبادر للعمل بما استحسنه

[2]- ي: بقوله تعالى

[3]- سورة النور، الآية 63

[4]- ل: ويقول

[5]- ل: من

[6]- ك: علمه

[7]- ي ع هـ ق ص: وعظام

لِجَلَالِهِ، وَيُطِيعُهُ طَاعَةَ الفَرِحِينَ[1] بِهِ المُتَوَلِّهِينَ بِحُبِّهِ، عَامِلاً عَلَى تَرْكِ الحُظُوظِ وَاللُّحُوظِ، دَالّاً غَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ أَبَداً، يُؤَدِّي الفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ، وَيَجِيءُ بِهَا عَلَى أَحْسَنِ سَنَنٍ)[2] ، لَا يَغْفُلُ وَلَا يَتَوَانَى، وَيُحَافِظُ[3] عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا[4] وَأَدَائِهَا فِي الجَمَاعَةِ أَبَداً، يُتْقِنُهَا رُكُوعاً وَسُجُوداً عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَتَمِّ وَصْفٍ، فِي سَكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَأَدَبٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، صَلَاةَ الخَاشِعِينَ العَارِفِينَ أَمْثَالِهِ ، لَا تَسْأَلْ عَنْ كَثْرَةِ خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَحُسْنِ سَمْتٍ وَسِمَةٍ.

لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ يَعْرِفُ حَالَهُ أَنْ يُلَاصِقَهُ فِي الصَّفِّ مَخَافَةَ التَّشْوِيشِ عَلَيْهِ، وَكَثِيراً مَا يَحُضُّ عَلَى إِيقَاعِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَفِي الجَمَاعَاتِ، وَعَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، لَا[5] سِيَّمَا آخِرُهُ، يَحُثُّ عَلَيْهِ، وَيُرَغِّبُ فِيهِ أَتَمَّ تَرْغِيبٍ ، وَيَنْشَطُ لَهُ وَيَقُولُ: فِيهِ تَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ، وَعَوَاطِفُ النَّفَحَاتِ، وَأَنَّ مَنِ اسْتَيْقَظَهُ اللَّهُ فِيهِ فَقَدْ اسْتَدْعَاهُ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَيُدَاوِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى غُسْلِ الجُمُعَةِ، وَيُؤَكِّدُهُ لِتَأْكِيدِ سُنِّيَتِهِ ، وَيَفْعَلُهُ عَلَى الوَجْهِ المَسْنُونِ، مِنْ كَوْنِهِ مُتَّصِلاً بِالرَّوَاحِ.

وَيَلْبَسُ نَقِيَ[6] ثِيَابِهِ إِنْ كَانَ، وَإِلَّا ذَهَبَ لِلمَسْجِدِ الجَامِعِ بِمَا عَلَيْهِ، وَلَا تَرَاهُ[7] يَتَطَيَّبُ بِالمِسْكِ وَنَحْوِهِ يَوْمَهَا، وَإِنْ كَانَ الطِّيبُ لَهَا مُسْتَحَبّاً ، وَلَا فِي سَائِرِ[8] الأَيَّامِ، وَهُوَ يُحِبُّهُ كَثِيراً، وَيُجْلَبُ إِلَيْهِ، وَلَعَلَّهُ لِأَجْلِ مَا كَثُرَ مِنَ اسْتِعْمَالِهِ لِأَهْلِ[9] الرَّفَاهِيَةِ وَكَثِيرٍ[1] مِنَ السُّفَهَاءِ بِقَصْدِ

---

[1]- ل: الفارحين

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ي ع: فيحافظ

[4]- ح: في أوقاتها

[5]- ك: "لا" محذوفة

[6]- ل هـ: أنقى

[7]- أ ح ك: نراه

[8]- ح: ولا بسائر

[9]- ع ي: لأجل - ل: عند أهل

التَّرَفُّهِ، وَيَمْشِي هَوْناً فِي سَعْيِهِ لِلصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، وَيُحِبُّ فَاعِلَ ذَلِكَ عَمَلاً بِمُقْتَضَى الحَدِيثِ : إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأْتُوهَا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ.

وَمِنْ شَأْنِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطْلُبُ[2] التَّحْقِيقَ وَالتَّدْقِيقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مِمَّا جَلَّ وَ دَقَّ، لِيَقِفَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَيَخْرُجَ بِذَلِكَ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ وَالتَّصْدِيقِ، فِي كُلِّ أَمْرٍ أَمْرٍ، فَرْدٍ فَرْدٍ، حَتَّى لَقَدْ احْتَوَى عَلَى جَمِيعِ العُلُومِ الرَّسْمِيَّةِ تَحْقِيقاً وَتَدْقِيقاً، وَتَفَهُّماً وَتَدَبُّراً، وَفِي حَلِّ المُشْكِلَاتِ المُعْضِلَاتِ، حَتَّى صَارَ إِمَاماً فِي سَائِرِ[3] العُلُومِ يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَيُقْصَدُ فِي تَبْيِينِهَا لَدَيْهِ، عَالِماً بِتَعْلِيلِهَا وَحُكْمِهَا[4] وَأُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، وَاسْتِنْبَاطَاتِهَا وَمَفْهُومِهَا وَمَنْطُوقِهَا وَنَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا، وَاسْتَبْحَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ العُلُومِ النَّقْلِيَّةِ وَالرَّسْمِيَّةِ، حَتَّى صَارَ لَا يُضَاهَى، وَلَايُقَاسُ بَحْرُهُ وَلَا يَتَنَاهَى.

كَمَا سَارَ[5] كَذَلِكَ، فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ عَلَى مَا هُنَالِكَ، فَاسْتَجْمَعَ بِذَلِكَ شُرُوطَ المَشْيَخَةِ وَالإِقْتِدَاءِ عَلَى وَجْهِهَا، وَأَتَى عَلَى حَقِيقَتِهَا وَكُنْهِهَا، وَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ، لَا تُفَارِقُهُ سُبْحَتُهُ ، يُحِبُّ الإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَيَحُضُّ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ حَدَّهُ اللَّهُ لَنَا إِلَّا ذِكْرُهُ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّهُ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: **(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)**[6] . وَقَالَ تَعَالَى: **(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً)**[7] . الآيَةُ.

وَيُوَاظِبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَوْرَادِهِ، بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى الأَعْلَى فِي خَلْوَتِهِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ المَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ العِشَاءِ فِي خَلْوَتِهِ أَيْضاً، وَكَذَلِكَ لَهُ مُرَتَّبٌ[8] بَعْدَ

---

[1]- ح ك ع ي هـ ق ص: وكثيرا

[2]- ح: "يطلب" محذوفة

[3]- ك: جميع

[4]- ل: وأحكامها

[5]- ح: صار

[6]- سورة الأحزاب، الآية 41

[7]- سورة آل عمران، الآية 191

[8]- ل: وله ذكر مرتب

صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى الغُرُوبِ، **وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لَا أَذْكُرُ[1] ذِكْراً إِلَّا مَا رَتَّبَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَثِيراً يُلَازِمُ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَيَحُضُّ أَصْحَابَهُ عَلَيْهَا، لَا[2] سِيَمَا صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ، لِمَا فِيهَا مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى[3] فِي مَحَلِّهِ، وَإِذَا طَلَبَهُ أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ الوِرْدِ المَعْلُومِ يَقُولُ لَهُ: أَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، فَإِنَّ فِيهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ[4] الآخِرَةِ[5]، وَبِهَا يُنَالُ جَمِيعُ المَطَالِبِ، وَيَبْلُغُ بِهَا[6] الطَّالِبُ[7] أَنْوَاعَ[8] المَآرِبِ، هَذَا حَالُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآنَ.

وَيَحْفَظُ جَوَارِحَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، فَيُعْرِضُ عَنِ اللَّغْوِ وَمَا لَا يَنْبَغِي[9]، وَيَصُونُ عَنْهُ لِسَانَهُ، وَلَا يَسْمَعُ البَاطِلَ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ بِمَحْضَرِهِ، وَإِنْ نَطَقَ أَحَدٌ بِمَنْهِيٍّ رَدَّهُ لِلصَّوَابِ لَا مَحَالَةَ كَائِناً مَا كَانَ، لَا يَتَسَاهَلُ فِي ذَلِكَ، يُحَذِّرُ مِنَ الغَيْبَةِ غَايَةَ التَّحْذِيرِ، وَيُنَفِّرُ عَنْهَا كُلَّ التَّنْفِيرِ، وَيَذْكُرُ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنْ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ، وَيُطْنِبُ فِي ذَلِكَ مُبَالَغَةً فِي النَّكِيرِ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ، وَيَحُضُّ عَلَيْهِ وَعَلَى تَحَرِّيهِ، وَيَسُرُّهُ مَنْ صَادَقَهُ فِي حَدِيثِهِ، وَيَسُوءُهُ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ، وَيُعْجِبُهُ الصَّادِقُ[10] فِي فِعْلِهِ الَّذِي يُظْهِرُ كُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَوْ كَانَ قَبِيحاً، وَيَسْتَحْسِنُهُ، وَيَحْظَى عِنْدَهُ صَدُوقُ اللِّسَانِ غَايَةَ الحُظْوَةِ.

---

[1]- ح ي: نذكر

[2]- ك: "لا" محذوفة

[3]- ع ي: "تعالى" محذوفة

[4]- ل: "وخير" محذوفة

[5]- ل: والآخرة

[6]- ك: "بها" محذوفة

[7]- ح: ويبلغ الطالب بها

[8]- ل: إلى أقصى المآرب

[9]- ي ك م: وما لا يعني

[10]- ل: الصدوق

وَلَا يُحِبُّ الإِكْثَارَ مِنَ الحَلِفِ بِاللَّهِ[1] مَخَافَةَ الوُقُوعِ فِي الحِنْثِ، وَيَقُولُ: يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ عِنْدَ إِرَادَةِ الحَلِفِ قَوْلَهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَعْقِدَ اليَمِينَ فَلَا يُبَرَّأُ، أَوْ يَحْنَثَ فَلَا يُكَفِّرُ، وَيَغُضُّ طَرْفَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَا تَرَاهُ ذَاهِباً فِي الطَّرِيقِ إِلَّا نَاظِراً مَوْضِعَ مَمَرِّهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ، ذَلِكَ دَأْبُهُ وَعَادَتُهُ، فَإِذَا جَلَسَ مَعَ النَّاسِ كَانَ الغَالِبَ عَلَيْهِ التَّغَافُلُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، يُؤَدِّبُ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ حَضَرَ لَدَيْهِ، وَلَا يُحِبُّ الإِكْثَارَ مِنْ مُلَاقَاتِ النَّاسِ وَلَا الخَوْضَ مَعَهُمْ عَلَى[2] مَا هُمْ[3] فِيهِ، وَإِذَا لَقِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) وَلَا يَقْدِرُ وَاحِدٌ[4] مِنْهُمْ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ، حَمْلاً لَهُمْ عَلَى عَدَمِ التَّكَلُّفِ، وَمَيْلاً بِهِمْ إِلَى الأَدَبِ البَاطِنِيِّ، وَهُوَ الأَدَبُ الحَقِيقِي، خِلَافَ مَا اعْتَادَهُ[5] النَّاسُ مِنْ تَأْكِيدِ تَقْبِيلِ يَدِ كُلِّ مَنْ يُعَظِّمُونَهُ.

هَذَا شَأْنُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ مَنْ يَعْرِفُهُ وَخَالَطَهُ، إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ، أَوْ كَانَ ذَا غَفْلَةٍ لَا يَعْرِفُ تَصَنُّعاً وَلَا اسْتِعْمَالاً، وَأَمَّا الأَجْنَبِيُّونَ فَإِنَّهُ يُسَامِحُهُمْ وَيَعْذِرُهُمْ مَخَافَةَ أَنْ يُكَسِّرَ قُلُوبَهُمْ، فَلَا يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ إِلَّا أَكَبَّ النَّاسُ عَلَيْهِ، يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ بِتَقْبِيلِ أَطْرَافِهِ ، وَرُبَّمَا يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لِمَا يُفَاجِئُهُمْ مِنْ جَلَالَتِهِ وَمَهَابَتِهِ[6] ، وَيَسْرِي إِلَى قُلُوبِهِمْ مِمَّا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ[7] مِنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ، فَقَالَ[8] : إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ . الحَدِيثُ.

---

[1]- ع ك ي ح هـ ق: به - ل: ولا يحب الإكثار من الحلف به ولو على الصدق

[2]- أ ي ع: "على" محذوفة

[3]- ي ع: فيما هم فيه

[4]- ي ك: أحد

[5]- ل: اعتمده

[6]- ك: وهيبته

[7]- ل: فيها

[8]- ح: فيقول

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ هَذِهِ الأَزْمِنَةِ يُنْكِرُ كَثْرَةَ تَقْبِيلِ يَدَيْهِ، وَيَزْجُرُ كُلَّ مَنْ فَعَلَهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ بِدَايَتِهِ، وَأَمَّا الآنَ فَلَمْ يَبْقَ عَلَى ذَلِكَ بَلْ نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى حَالَةِ الخِلَافَةِ الدِّينِيَةِ، فَصَارَ حَالُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ آمِينَ.

وَأَمَّا صِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهُ يَصِلُ رَحِمَهُ الدِّينِي وَالطِّينِي، فَأَمَّا الطِّينِي فَإِنَّهُ يُوَاصِلُ كُلَّ مَنْ لَهُ قَرَابَةٌ بِهِ مِنْ نَسَبِهِ[1] وَذَوِي رَحِمِهِ، يَقْضِي حَوَائِجَهُمْ، وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُمْ، وَيُكْرِمُ مَثْوَاهُمْ، وَيَتَعَاهَدُهُمْ[2] ، وَيُسْهِمُهُمْ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ[3] ، وَيَحْمِلُ كَلَّهُمْ، وَيَكْسِبُ مَعْدُومَهُمْ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى نَوَائِبِ الخَيْرِ وَعَلَى مُؤْنَتِهِمْ وَنَوَازِلِهِمْ، فَمَا مِنْ مَسْأَلَةٍ تَهُمُّهُمْ إِلَّا أَنْزَلُوهَا بِهِ، فَيَجِدُونَ الرَّاحَةَ وَالمَخْرَجَ بِبَرَكَتِهِ.

لَا يَغْفُلُ عَنْهُمْ فِي أَمْرٍ دِينِي أَوْ دُنْيَوِي، وَيَحِنُّ عَلَى كَبِيرِهِمْ، وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ، وَيُؤَدِّبُهُمْ كَمَا يُؤَدِّبُ صِبْيَانَهُ، لَا يَرَى أَحَداً فَعَلَ مِنْهُمْ قَبِيحاً إِلَّا وَبَّخَهُ، يُبَالِغُ فِي نَصِيحَتِهِمْ، وَيَقُومُ بِحُقُوقِهِمْ أَحْسَنَ القِيَامِ، حَازِمٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ قَوَّامٌ، وَيَحُضُّ عَلَى القِيَامِ بِحُقُوقِ الأَقَارِبِ، وَيُوصِي بِالإِبْتِدَاءِ بِهِمْ عَنْ إِرَادَةِ المُوَاسَاتِ عَمَلاً بِمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا يَعِظُ فِي شَأْنِ الوَالِدَيْنِ وَيُؤَكِّدُ عَلَى حُقُوقِهِمَا، وَيُحَذِّرُ مِنْ عُقُوقِهِمَا ، وَيَقُولُ: مَنْ لَمْ يَبَرَّ بِهِمَا لَا يَتَيَسَّرُ لَهُ سُلُوكُ هَذِهِ الطَّرِيقِ، فَمَنْ صَدَرَ مِنْهُ عُقُوقٌ لَهُمَا بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِيهَا قَطَعَهُ ذَلِكَ عَنْهَا، ثُمَّ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ لَهُ[4] بِشَيْءٍ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يَسْتَعْظِمُ خَطَرَ المُضَيِّعِ لِحُقُوقِهِمَا، وَحُقَّ لَهُ ذَلِكَ إِنَّهُ لَعَظِيمٌ[5] ، وَأَمَّا رَحِمُهُ الدِّينِي، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مُوَاصَلَةً لَهُ، وَأَكْثَرِهِمْ بُرُوراً وَإِحْسَاناً لِأَهْلِ جَانِبِهِ، يُوَاسِي إِخْوَانَهُ وَأَصْحَابَهُ وَكُلَّ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ فِي اللَّهِ

1- ح: نسبة

2- ل: ويتعاهدهم ويكرم مثواهم

3- ح ك: الله تعالى

4- ح: "له" محذوفة

5- ل: فإن حقهما لعظيم

بِأَنْوَاعِ المُوَاسَاتِ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، فَيُطْعِمُ جَائِعَهُمْ، وَيَشْمَلُ[1] ضَائِعَهُمْ، وَيَكْسُو عَارِيَهُمْ، وَيَرْفِدُ فُقَرَاءَهُمْ، وَيُعِينُ ضُعَفَاءَهُمْ.

إِذْ هُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشَدُّ اهْتِمَاماً بِأَهْلِ الأُخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ، يَتَأَلَّمُ لِمُصَابِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَأَلَّمُ لِذَوِي نَسَبِهِ وَرَحِمِهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ عِنْدَهُ قُرْباً أَكْثَرُهُمْ فِي اللَّهِ حُبّاً، فَيَقْرُبُ الإِنْسَانُ عِنْدَهُ مِنْ[2] ذَلِكَ[3] وَلَوْ كَانَ مِنْ أَبْعَدِ الأَجَانِبِ، وَيَبْعُدُ عِنْدَهُ البَعِيدُ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ الأَقَارِبِ، تَجِدُهُ يَسْتَعْظِمُ حُقُوقَهُمْ، وَيَرَى أَنَّ القِيَامَ بِهَا غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، سَمِعْتُهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ يَقُولُ: مَنِ ابْتُلِيَ بِتَضْيِّيعِ حُقُوقِ الإِخْوَانِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِتَضْيِّيعِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ هَذِهِ البَلِيَّةِ العَظِيمَةِ، الَّتِي عَمَّتْ بِهَا البَلْوَى فِي خَلَلِ المُدَّعِينَ لِلأُخُوَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الرَّذِيلِ.

وَأَمَّا لِبَاسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَلْبَسُ المُتَوَسِّطَ مِنَ الثِّيَابِ، مِمَّا يَقِيهِ الحَرَّ وَالبَرْدَ، كَمَا يَلْبَسُ عَامَّةُ النَّاسِ، وَلَا يُحِبُّ الإِمْتِيَازَ بِثَوْبٍ حَسَنٍ وَلَا[4] قَبِيحٍ، وَلَا يَرْتَكِبُ فِي دَارِهِ أَمْراً لَمْ تَرِدْ بِهِ السُّنَّةُ، بَلْ قَطَعَ عَنْهُمْ جَمِيعَ العَوَائِدِ وَالزَّوَائِدِ، وَأَمْرُهُ فِي ذَلِكَ وَاضِحٌ، وَتَفْصِيلُهُ يَطُولُ، وَيَتَبَرَّأُ مِنَ الدَّعْوَى أَتَمَّ بَرَاءَةٍ ، وَيَتَنَصَّلُ مِنْهَا غَايَةَ التَّنَصُّلِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ فِعْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا حَكَى شَيْئاً صَدَرَ عَنْهُ مِنْ مَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، أَوْ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ مَا لَهُ مِنْ سَنِيِّ الأَحْوَالِ، لِغَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ أَسْنَدَهُ إِلَى مَجْهُولٍ، فَيَقُولُ: وَقَعَ لِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ لِرَجُلٍ[5] كَذَا وَكَذَا، لَا يُسَمِّي نَفْسَهُ، رُبَّمَا نَلْتَقِي[6] بِمَنْ حَضَرَ مَعَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ القَضَايَا بِعَيْنِهَا، فَيُخْبِرُنَا بِأَنَّهُ هُوَ فَاعِلُهَا، فَصِرْنَا نَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ حَالِهِ.

---

[1]- ل: ويكفل

[2]- ل: "من" محذوفة

[3]- ل: بذلك

[4]- ل: أو

[5]- ل: أو وقع لرجل

[6]- ح: نتلقى

وَلَا يُحِبُّ مَنْ يُنْسِبُ إِلَيْهِ شَيْئاً، وَلَا مَنْ يُصَرِّحُ لَهُ بِسِرٍّ مِنَ الأَسْرَارِ، وَلَا مَن يَمْدَحُهُ بِمَحْضَرِهِ، وَإِذَا وَاجَهَهُ[1] أَحَدٌ يَوْماً بِثَنَاءٍ عَلَيْهِ، لَمْ يُسَامِحْهُ إِلَّا إِنْ[2] كَانَ غَائِباً، أَوْ غِرّاً بِمَدَارِكِ[3] الأُمُورِ، وَيُشَدِّدُ النَّكِيرَ فِي دَعْوَى الفَقْرِ وَمَا يُشَارُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: إِلَى الآنَ مَا حَصَلَتْ لَنَا التَّوْبَةُ وَالإِيمَانُ الكَامِلُ أَوْ كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ تَنْبِيهاً لِلسَّامِعِينَ، وَإِرْشَاداً لِلْمُتَابِعِينَ، وَالتَّعْلِيمُ بِالفِعْلِ أَبْلَغُ نُصْحاً، وَأَتَمُّ نُجْحاً، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا[4] خَيْراً، وَزَادَهُ مِنَّةً وَبِرّاً. وَقَدْ نَجَحَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ ذَلِكَ[5] ، وَسَرَى لِلأَصْحَابِ[6] مَا هُنَاكَ، لَا يُحِبُّونَ الدَّعْوَى، وَلَا مَنْ يَشْتَغِلُ بِهَا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ حَالِهِ، وَيَسْمَعُونَ مِنْ مَقَالِهِ، وَيَرَوْنَ مِنْ فِرَارِهِ مِنْهَا وَمِمَّنْ هِيَ فِيهِ، لِأَنَّ الدَّعْوَى أَشَدُّ بَلَاءً مِنَ البَلْوَى، وَكَثِيراً مَا نَرَاهُ يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْهَا، يَقُولُ: إِنَّ عُقُوبَتَهَا المَوْتُ عَلَى سُوءِ الخَاتِمَةِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، يَزْجُرُ السَّامِعِينَ بِهَذَا الكَلَامِ، وَإِنَّهُ لَحَقِيقٌ بِمَنِ ادَّعَى بِمَا لَيْسَ فِيهِ أَنْ يُجَازَى بِسُوءِ الخَاتِمَةِ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ هَذِهِ البَلِيَّةِ العَظِيمَةِ.

وَيَطْلُبُ[7] الخُمُولَ وَلَا يُحِبُّ الظُّهُورَ، وَلَا مَنْ يَتَعَاطَاهُ كَمَا يَأْتِي فِي بَابِ زُهْدِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، **وَيُحِبُّ آلَ البَيْتِ النَّبَوِيِّ[8] المَحَبَّةَ العَظِيمَةَ**، وَيَوَدُّهُمْ المَوَدَّةَ الجَسِيمَةَ، وَيَهْتَمُّ بِأُمُورِهِمْ[9] ، لَا يَزَالُ حَرِيصاً إِلَى إِيصَالِ الخَيْرِ إِلَيْهِمْ، وَيَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيُكْرِمُهُمْ غَايَةَ الإِكْرَامِ، وَيَبَرُّ بِهِمْ أَشَدَّ البُرُورِ، وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ أَشَدَّ التَّوَاضُعِ، وَيَتَأَدَّبُ مَعَهُمْ أَحْسَنَ الأَدَبِ ،

---

[1] - ح: وجهه

[2] - ك ل: إذا

[3] - ح: بمدراك

[4] - ك: "عنا" محذوفة

[5] - ع ك ي ل هـ ص: على ذلك

[6] - ل: لأصْحابه

[7] - ح: ويحب

[8] - ح: آل البيت النبوي

[9] - ك: لأمورهم

وَيَنْصَحُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالعَمَلِ بِسُنَّتِهِ، وَيَقُولُ: الشُّرَفَاءُ أَوْلَى النَّاسِ بِالإِرْثِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحُضُّ النَّاسَ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَتَوْقِيرِهِمْ وَالتَّوَاضُعِ لَهُمْ وَالأَدَبِ مَعَهُمْ، وَيُبَيِّنُ عَظِيمَ مَجْدِهِمْ وَرَفِيعَ قَدْرِهِمْ، وَيَرَى أَنَّ التَّوَانِيَ[1] فِي أُمُورِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ نَقْصٌ فِي الإِيمَانِ.

وَلَا يُحِبُّ مَنْ يُنَاوِئُهُمْ[2] أَوْ يُبَارِيهِمْ أَوْ يَخِلَّ بِالأَدَبِ مَعَهُمْ ، وَيُشَدِّدُ النَّكِيرَ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مَعَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ آمِين ، وَمِنْ عَظِيمِ مَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ وَأَدَبِهِ مَعَهُمْ وَتَوَاضُعِهِ[3] لِعَلِيِّ[4] قَدْرِهِمْ أَنْ لَا يَتْرُكَ مَن اسْتَشَارَهُ مِن أَصْحَابِهِ أَنْ يُصَاهِرَهُمْ[5] مَخَافَةَ تَقْصِيرِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الحُقُوقِ الَّتِي تَجِبُ عَلَيْهِ لَهُمْ، أَوْ وُقُوعِهِ فِي بَعْضِ الحُقُوقِ، وَرَأَيْتُهُ يَوْماً شَدَّدَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ حِينَ أَرَادَ تَزْوِيجَ شَرِيفَةٍ، فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ:

إِنْ فَعَلْتَ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُخَالَفَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَحَضْرَتِهِ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ مَا يُغْضِبُهُمْ وَيَسُوءُهُمْ، فَيُغْضِبَ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ[6] بِنْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُغْضِبُ أَبَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَغْضَبَهَا، لِلحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَالطَّبَرَانِيُ وَالحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ، وَالبَيْهَقِيُّ عَن المِسْوَرِ[7] بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَيْثُ خَطَبَ ابْنَتَهُ الحَسَنُ المُثَنَّى عَلَى ابْنَةِ عَمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَاعْتَلَّ لَهُ بِحَدِيثِ: فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا[8]

---

[1]- ل: التقصير

[2]- أ ح: يناويهم

[3]- أ ح: تواضعه

[4]- أ ح: لعلى

[5]- ل: في مصاهرتهم

[6]- ل: سيدتنا فاطمة

[7]- ح: المسوار

[8]- ح ل: يغضبني ما يغضبها

وَيُبْسِطُنِي مَا يُبْسِطُهَا ، وَبِأَنَّ عِنْدَهُ ابْنَتَهَا، وَذَلِكَ يُغْضِبُهَا[1] وَيُغْضِبُ[2] جَدَّتَهَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَوَافَقَ فِعْلُ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَنْ اسْتَشَارَهُ فِعْلَ هَذَا الصَّحَابِيِّ الكَرِيمِ، وَسَلَكَ مَسْلَكَهُ فِي الإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَإِنَّ المُصَاهِرَ لَهُمْ قَدْ يَرَى فِي نَفْسِهِ شَيْئاً مِنَ المُسَاوَاتِ فَيُخِلَّ بِالوَقَارِ، وَكَثِيراً مَا يُوصِي بِتَوْقِيرِهِمْ وَ احْتِرَامِهِمْ، وَالإِحْتِيَاطِ فِي تَعْظِيمِ مَقَامِهِمْ بِعَدَمِ المُصَاهَرَةِ لَهُمْ، مَخَافَةَ أَنْ يَرَى الإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَهْلاً لِذَلِكَ، فَيَنْكِحَ مِنْهُمْ كَمَا نَكَحُوا مِنْهُ، فَلَا يَرَى لَهُمْ مَزِيَّةً، وَيَسْتَخِفَّ بِرُتْبَتِهِمْ العَلِيَّةِ، وَهَذِهِ آفَةٌ[3] قَلْبِيَّةٌ، وَعِلَّةٌ خَفِيَّةٌ، لَا يُرَاعِيهَا وَيَحْتَرِزُ مِنْهَا إِلَّا أَرْبَابُ القُلُوبِ.

وَمِنْ شِدَّةِ تَعْظِيمِهِ لِقَدْرِهِمْ وَغِيرَتِهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ يُخَالِطُهُمْ عَلَى حَظٍّ، وَيُخَادِعُهُمْ فِي شَيْءٍ أَوْ يَكْتُمَ عَنْهُمْ نَصِيحَةً، وَيُقَبِّحُ ذَلِكَ غَايَةَ التَّقْبِيحِ، وَيَكْرَهُ فَاعِلَهُ، وَالحَاصِلُ أَنَّ مَحَبَّتَهُ لِآلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ وَتَعْظِيمَهُ إِيَّاهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَمْ نَرَ مِثْلَهُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ زَمَنِنَا ، وَلَا سَمِعْنَا بِهِ[4] ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ انْفَرَدَ بِهِ، وَتَحَقَّقَ مِنْهُ تَحْقِيقاً وَيَقِيناً، وَالمَحَبَّةُ وَإِنْ كَانَتْ وَصْفاً[5] قَلْبِيّاً، تُعْلَمُ زِيَادَتُهَا بِالأَحْوَالِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، وَالأَمَارَاتِ المُرْشِدَةِ إِلَيْهَا، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ مَنْ يُحِبُّ الشُّرَفَاءَ وَيُعَظِّمُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِثْلَ مَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَغْرَبٍ فِي أَمْثَالِهِ.

وَمَحَبَّةُ آلِ النَّبِيِّ رَزَقَنَا اللَّهُ مِنْهَا أَوْفَرَ حَظٍّ وَنَصِيبٍ مِنْ نَتَائِجِ الإِيمَانِ الحَقِيقِي وَثَمَرَاتِهِ، وَكَذَا سَائِرُ هَذِهِ السِّيرَةِ المُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي سَارَ بِهَا شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِمَّا فِي بَيَانِ آثَارِهَا وَنَشْرِ أَخْبَارِهَا عِبْرَةٌ لِلمُعْتَبِرِينَ، وَتَذْكِرَةٌ لِلمُذَّكِرِينَ[6] ، (وَتَسْدِيدٌ لِلمُتَّقِينَ، وَتَأْيِيدٌ لِلمُوَفَّقِينَ، وَعَوْنٌ

---

[1]- ي ع م: يقبضها

[2]- ي ع م: ويقبض

[3]- ح: آفات

[4]- ح: ولم نسمع به

[5]- ل: أمراً

[6]- ك: للمتذكرين

لِلمُوَجَّهِينَ، وَيَقَظَةٌ لِلمُتَنَبِّهِينَ[1] ، وَمَحَجَّةٌ لِلْمُقْتَدِينَ[2] ، وَحُجَّةٌ عَلَى المُعْتَدِينَ، رَزَقَنَا اللَّهُ بَرَكَتَهُ، وَضَاعَفَ لَنَا مَحَبَّتَهُ)[3] .

وَأَمَّا أَخْلَاقُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ مَا تَكَيَّفَ بِهِ مِنَ الأَوْصَافِ المَجِيدَةِ، وَالأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ، الَّتِي هِيَ المُسَمَّاتُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَهِيَ الذَّكَاءُ وَالفِطْنَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ وَالحَنَانَةُ وَالشَّفَقَةُ، وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ، (وَالصَّبْرُ وَالإِحْتِمَالُ)[4] وَالتَّوَاضُعُ وَالأَدَبُ وَعُلُوُّ الهِمَّةِ، وَالَّتِي هِيَ العَفَافُ وَالصِّيَانَةُ وَالوَفَاءُ، وَالفُتُوَّةُ الَّتِي هِيَ الكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالحِلْمُ وَالأَنَاءَةُ، وَالعَفْوُ وَالإِيثَارُ، وَالسَّعْيُ فِي حَوَائِجِ الأَبْرَارِ، (إِحْدَى وَعِشْرُونَ فَقَدْ[5] تَقَدَّمَ مِنْهَا فِي بَابِ نَشْأَتِهِ الأَرْبَعَةُ الأُوَّلُ: الَّتِي هِيَ الذَّكَاءُ وَالفِطْنَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ، وَيَأْتِي مَا بَقِيَ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)[6].

وَقَدْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَوْصَافٍ جُبِلَ عَلَيْهَا فِي أَصْلِ فِطْرَتِهِ، فَلَمَّا فُتِحَ عَلَيْهِ مَا فُتِحَ عَادَتْ قُرْبَى إِلَى اللَّهِ، وَوُصْلَةً لِحَضْرَتِهِ، فَأَنْزَلَ كُلّاً مِنْهَا بِمَحَلِّهِ مِنْهَا، وَلِمَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، فَكَانَ ذَكَاؤُهُ فَهْمَهُ عَنِ اللَّهِ مُرَادَهُ، وَإِنَاءَتُهُ إِتْقَانَهُ لِلْعِبَادَةِ، وَصَبْرُهُ سُكُونَهُ تَحْتَ مَجَارِي الأَقْدَارِ، وَاحْتِمَالُهُ قَضَاءَهُ الحَوَائِجَ وَالأَوْطَارَ، وَشَجَاعَتُهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ، وَنَجْدَتُهُ[7] نُصْرَةً[8] طَرِيقِ المُهْتَدِينَ[9] ، وَسَخَاؤُهُ بَيْعَ[10] نَفْسِهِ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ، وَعُلُوُّ هِمَّتِهِ

---

[1]- ي ك ع هـ ق ص: للمنتبهين

[2]- ع ل: للموقنين

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ح: قد

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ي ع: ونجده

[8]- ح ع: نصرته

[9]- ح: المجتهدين ـ م: (المهتدين) ساقطة

[10]- ل: بذل

انْقِطَاعَهُ إِلَيْهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَفُتُوَّتُهُ وَفَاءَهُ بِمُعَامَلَةِ مَوْلَاهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الأَوْصَافُ تَمْهِيداً لِهَذِهِ الأُخْرَى، وَرَقَى بِهَا فِي دَرَجَةِ الإِحْسَانِ مَقَامَةً كُبْرَى. كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ .

وَمِنْ أَخْلَاقِهِ الكَرِيمَةِ النَّافِعَةِ العَمِيمَةِ: الحَنَانَةُ وَالشَّفَقَةُ، وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ، لَا تَجِدُهُ إِلَّا عَطُوفاً رَؤُوفاً، شَفِيقاً رَفِيقاً، يَحِنُّ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَيَرِقُّ لِلمَسَاكِينِ، (وَيَأْلَمُ لِمُصَابِهِمْ، وَيُشْفِقُ لِمَا بِهِمْ، وَيُلَاطِفُ ذَوِي الحَاجَاتِ، وَيُوَاسِي ذَوِي الفَاقَاتِ، وَيَوَدُّ ذَوِي الإِغْتِرَابِ، أَكْثَرَ مِنْ ذَوِي الإِقْتِرَابِ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِمْ)، وَيَتَعَطَّفُ عَلَيْهِمْ، وَيُجَالِسُهُمْ، وَيُؤَانِسُهُمْ، وَيُعَامِلُهُمْ، وَخُصُوصاً أَهْلُ الفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ مِنْهُمْ، الَّذِينَ لَا يُضْمِرُونَ مِنْ سَرِيرَتِهِمْ[1] مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَكَثِيراً مَا نَرَاهُ يَبَرُّ بِهِمْ، وَيَرْفُقُ بِهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيُعْجِبُهُ حَالُهُمْ، وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ بِظَهْرِ الغَيْبِ الثَّنَاءَ الجَمِيلَ.

وَمَا شَكَى لَهُ أَحَدٌ مَرَضاً وَلَا أَلَماً[2] إِلَّا اهْتَمَّ لَهُ وَاعْتَنَى بِأَمْرِهِ، فَلَا يَزَالُ يَذْكُرُهُ دَاعِياً لَهُ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ حَتَّى يَكْشِفَ اللَّهُ مَا بِهِ، وَيُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا أَبْصَرَ ذَا مُصِيبَةٍ إِلَّا رَقَّ لَهُ رِقَّةً عَظِيمَةً، وَيَدْعُوا[3] لَهُ، وَيَقُولُ: أَعَاذَنَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ مِنْ بَلَائِهِ، آمِينَ، فَهَذَا دَيْدَنُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ الوَجْهَ الكَرِيمَ مُتَقَلَّبَهُ وَمَثْوَاهُ.

وَمِنْ أَخْلَاقِهِ العَظِيمَةِ[4] الَّتِي سَبَقَ فِيهَا مَن قَبْلَهُ، وَأَعْجَزَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ التَّوَاضُعُ وَالآدَابُ[5] وَحُسْنُ الخُلُقِ وَالمُعَاشَرَةُ، رَقِيقَ القَلْبِ رَحِيماً بِكُلِّ مُسْلِمٍ، مُتَبَسِّماً فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ، كُلُّ مَنْ لَقِيَهُ يَظُنُّ أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ لِمَا يَرَى مِنْ طَلَاقَةِ وَجْهِهِ وَحُسْنِ كَلَامِهِ وَكَثْرَةِ إِقْبَالِهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَهُ المَحْزُونُ زَالَ حُزْنُهُ بِمُجَرَّدِ لِقَائِهِ، هَيِّناً لَيِّناً فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي مَشْيِهِ يُذَكِّرُكَ قَوْلَهُ تعَالَى: **(وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً)**[6] الآيَةُ.

---

[1]- ل: سرائرهم

[2]- أ ي ك ع هـ ق ص: وما شكى أحد له ألما ومرضا

[3]- ل: ودعا

[4]- ك: "العظيمة" محذوفة

[5]- ع ك ي: والأدب

[6]- سورة الفرقان، الآية 63

مَا رَأَيْتُ[1] أَحْسَنَ خُلُقاً وَلَا أَوْسَعَ صَدْراً وَلَا أَكْرَمَ نَفْساً وَلَا أَعْطَفَ قَلْباً وَلَا أَحْفَظَ عَهْداً وَوِدّاً وَلَا أَكْثَرَ عِلْماً وَفَهْماً مِنْهُ، وَمَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ يَقِفُ مَعَ الصَّغِيرِ وَيُوَقِّرُ الكَبِيرَ ، وَيُجَالِسُ الضُّعَفَاءَ وَيَتَوَاضَعُ لِلفُقَرَاءِ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ مُعَارَضَتَهُ بِشَيْءٍ مِنَ العُلُومِ كُلِّهَا إِلَّا أَفْحَمَهُ ، فَيَبْقَى مُتَحَيِّراً مُتَعَجِّباً مِنْ غَرَائِبِ العُلُومِ وَالفُهُومِ، وَهُوَ[2] مِمَّنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ العِلْمَ وَالعَمَلَ وَالوِلَايَةَ الكُبْرَى، وَارْتَقَى فِي ذَلِكَ إِلَى النِّهَايَةِ، مَعَ الحِرْصِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الخَلْقِ، مِمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّبْرِ عَلَى إِذَايَتِهِمْ إِلَى الغَايَةِ، إِلَى مَا وُضِعَ لَهُ فِي القُلُوبِ مِنَ الهَيْبَةِ العَظِيمَةِ وَالإِجْلَالِ، مِمَّا لَمْ يُعْطَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ عَاصَرَهُ مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالزُّهَّادِ وَغَيْرِهِمْ، وَلِهَذَا سَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنْ أَقَاصِي البُلْدَانِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ، وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ، وَيَسْتَنِدُونَ فِي الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ إِلَيْهِ، فَلَا تَجِدُ مَنْ يُقَارِبُهُ فِي الرَّحْمَةِ وَالإِرْشَادِ لِلخَلْقِ، فَضْلاً عَنْ مِثْلِهِ.

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَجِدُهُ يَتَوَاضَعُ فِي نَفْسِهِ لِلَّهِ، وَفِي ذَاتِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَهْلِ النِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَآلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ وَكُلِّ ذِي نِسْبَةٍ دِينِيَةٍ، وَمَحَبَّةٍ إِيمَانِيَةٍ، أَمَّا فِي نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَا يَرَى لَهَا قَدْراً، وَلَا يَنْسِبُ لَهَا أَمْراً، وَلَا يَرَى اسْتِحْقَاقَ شَيْءٍ عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ، لَا تَسْتَنْكِفُ نَفْسُهُ عَنْ فِعْلِ شَيْءٍ كَائِناً مَا كَانَ، وَلَا يُحِبُّ امْتِيَازاً وَلَا اخْتِصَاصاً بِشَيْءٍ، وَيَرَى لِغَيْرِهِ المَزِيَّةَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ:

لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمُنَا فِي جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَيَنْسِبُ لِنَفْسِهِ الأَشْيَاءَ الوَضِيعَةَ، وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنْ خَصْلَةٍ ذَمِيمَةٍ، أَوْ فَعْلَةٍ قَبِيحَةٍ، وَيَشْهَدُ حُقُوقَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ لَمْ نُوَفِّ[3] لِمَنْ عَرَفْنَاهُ حَقَّهُ وَلَا نَسْتَوْفِيهِ أَبَداً، وَيَقُولُ: المُؤْمِنُ هُوَ الَّذِي يَرَى حُقُوقَ الخَلْقِ[4] عَلَيْهِ، وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ عَلَى أَحَدٍ حَقّاً.

---

[1]- ل: ما رأينا

[2]- أ ي ك ح ع: "وهو" محذوفة

[3]- ك: نستوف

[4]- ك: الناس

وَأَمَّا التَّوَاضُعُ فِي اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَخْدُمُ بِنَفْسِهِ مَنْ وَالَاهُ مِنَ الأَصْحَابِ وَغَيْرِهِمْ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ ، لَا يُبَالِي بِعَنَاءِ نَفْسِهِ فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ، وَلَا يَتْرُكُ أَحَداً يَشْتَغِلُ بِتَعْظِيمِهِ أَوْ يُمَيِّزُهُ بِشَيْءٍ كَتَقْبِيلِ اليَدِ وَنَحْوِهِ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَسُومَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَرَى نَفْسَهُ أَهْلاً لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَبَداً.

وَأَمَّا أَدَبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً فِي الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَمَعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَشَيْءٌ بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى الغَايَاتِ، وَبَرَعَ فِيهِ بَيْنَ[1] أَهْلِ البِدَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ، حَسْبَمَا يُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ حَالِهِ وَمَقَالِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خِلَالِهِ وَفِعَالِهِ، وَالأَدَبُ عِنْدَ الفُقَهَاءِ عِبَارَةٌ عَنِ القِيَامِ بِمَا بَعْدَ الوَاجِبَاتِ وَالسُّنَنِ مِنَ الفَضَائِلِ وَالرَّغَائِبِ المُتَعَلِّقَةِ بِأَحْوَالِ الإِنْسَانِ مِنْ نَوْمٍ وَيَقَظَةٍ وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ وَدُعَاءٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَعِنْدَ الصُّوفِيَّةِ عِبَارَةٌ عَنْ جَمْعِ خِصَالِ[2] الخَيْرِ وَأَوْصَافِ البِرِّ، فَهُوَ وَصْفٌ جَامِعٌ لِأَوْصَافٍ مَجِيدَةٍ وَأَخْلَاقٍ حَمِيدَةٍ، تُنَاسِبُ وَصْفَ العُبُودِيَةِ، وَجَلَالَ الرُّبُوبِيَةِ، مَنْ[3] جَمَعَهَا فَقَدْ اتَّصَفَ بِالآدَابِ[4]،

وَكَانَ أَدِيباً مُتَأَدِّباً مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ رَسُولِهِ[5] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالأَدَبُ بِالمَعْنَى الأَوَّلِ مُنْدَرِجٌ فِي هَذَا، وَقَدْ جَمَعَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأَدَبَ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَسِرّاً وَجَهْراً. وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ[6] :

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحَةٍ * وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ

---

[1]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: "بين" محذوفة

[2]- ل: عن القيام بجميع خصال

[3]- ل: فمن

[4]- ي ك: بالأدب

[5]- ح ك ي: ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم

[6]- ل: حتى إذا رآه أحد أنشد قول القائل

فَمِنْ أَدَبِهِ الظَّاهِرِ مُوَاظَبَتُهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ مِنَ الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِأَحْوَالِ الإِنْسَانِ، وَمُحَافَظَتُهُ عَلَيْهَا بِقَدْرِ الطَّاقَةِ وَالإِمْكَانِ، فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ، وَاضْطِجَاعِهِ وَمِشْيَتِهِ[1] وَجُلُوسِهِ، وَمَا رِيءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَطُّ مَادّاً رِجْلَهُ إِلَى القِبْلَةِ ، وَمَا بَصَقَ قَطُّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ ، وَلَا رَفَعَ بِهِ صَوْتَهُ، وَمَا سَمِعَ أَحَداً يَرْفَعُ بِهِ صَوْتَهُ إِلَّا نَهَاهُ ، وَمَا رَأَى أَحَداً أَخَلَّ بِشَيْءٍ مِن آدَابِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا نَبَّهَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: إِذَا كَانَ مِمَّنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، أَهَكَذَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ؟[2] وَلَا يُحِبُّ ارْتِكَابَ شَيْءٍ مِنْ آدَابِ النَّاسِ العَادِيَةِ الَّتِي لَمْ يَنْهَ عَنْهَا[3] الشَّرْعُ، وَلَمْ تَرِدْ بِهَا السُّنَّةُ اقْتِصَاراً مِنْهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الشَّرِيعَةِ، وَتَخَلُّقاً بِأَخْلَاقِ السُّنَّةِ الرَّفِيعَةِ.

وَمِنْ أَدَبِهِ البَاطِنِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَخْتَارُ مَعَ اللَّهِ، وَلَا يُدَبِّرُ مَعَ تَدْبِيرِهِ شَيْئاً كَمَا تَقَدَّمَ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا دَعَا لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ مَجْهُولَ عَاقِبَةٍ[4] أَوْ فِيهِ حَظٌّ كَانَ دُعَاؤُهُ طَلَبَ الخِيَرَةِ مِنَ اللَّهِ، وَيَقُولُ لَنَا[5] المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ: لَا أَدْعُو[6] إِلَّا بِلِسَانِي، وَقَلْبِي مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَقُولُ[7] : لَا أُرِيدُ[8] شَيْئاً، وَلَا أَطْلُبُ شَيْئاً، شَيْئاً، تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أُجَارِي الخَلْقَ بِلِسَانِي لَا غَيْرَ، لِعَدَمِ[9] كَسْرِ قُلُوبِهِمْ[10] وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتَارَةً إِذَا طَلَبَهُ أَحَدٌ بِالدُّعَاءِ يَقُولُ: لَا أَدْعُوا[1] أَدَباً مَعَ اللَّهِ جَلَّ

---

[1]- ك: ومشيه

[2]- ل: أهكذا ورد في السنة؟ على سبيل الإنكار والتوبيخ

[3]- ح: عنه

[4]- ي ك ح ع هـ ق ص: مجهولا عاقبته

[5]- ل: وكثيرا ما يقول لنا

[6]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: ندعو

[7]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: ونقول

[8]- ح: نريد

[9]- ل: "العدم" محذوفة

[10]- ل: مخافة على كسر قلوبهم

جَلَالُهُ، وَعِلْماً مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّ مَا يَخْتَارُهُ اللَّهُ هُوَ أَحْسَنُ مِمَّا يَخْتَارُهُ العَبْدُ لِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ.

أَمَّا الدُّعَاءُ بِمَا وَرَدَ عَنِ الشَّارِعِ مِمَّا فِيهِ تَرْغِيبٌ أَوْ تَرْهِيبٌ أَوْ تَقَرُّبٌ أَوْ وُصْلَةٌ إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، أَوْ وَصْفُ عُبُودِيَةٍ[2] مِنْ إِظْهَارِ فَاقَةٍ وَتَمَلُّقٍ وَتَضَرُّعٍ وَخُضُوعٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَذَا طَلَبُ التَّوْبَةِ وَالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالقَبُولِ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا[3] وَنَحْوُ[4] ذَلِكَ، فَلَا يَزَالُ لَهِجاً بِهِ، رَطْباً بِهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَيَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْسَ فِيهِ اخْتِيَارٌ مَعَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعاً، وَكَثِيراً مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ بِالدُّعَاءِ[5] ، اللَّهُ يَقْبَلْ عَلَيْكَ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَرِضَاهُ.

وَمِنْ أَدَبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الخَوْضَ فِي شَيْءٍ مِنْ تَصَارِيفِ أَقْدَارِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا لِلتَّعَرُّضِ[6] لِلْكَلَامِ فِيمَا وَقَعَ، وَلَا تَمَنِّي زَوَالَ مَا هُوَ وَاقِعٌ مِنْهَا ، وَيَعُدُّ الخَوْضَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ اعْتِرَاضاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَسُوءَ أَدَبٍ مَعَهُ، وَيُنْسِبُ القُصُورَ لِلنَّفْسِ، وَيَرَى النَّقْصَ مِنْهَا فِيمَا يُبْتَلَى بِهِ العَبْدُ مِنَ القَضَاءِ، بَعْدَ اعْتِرَافٍ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، تَخَلُّقاً بِأَخْلَاقِ الشَّرِيعَةِ، وَتَحَقُّقاً بِأَنَّ الكَمَالَ لَا يُنْسَبُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يُنْسَبُ لِغَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ أَثَراً مِن آثَارِ قُدْرَتِهِ لَا[7] لِغَيْرِهِ، مُرَاعَاةً لِمَقَامِ الأَدَبِ مَعَهُ تَعَالَى.

وَيَحْكِي فِي ذَلِكَ حِكَايَةً مَعْلُومَةً[8] لِبَعْضِ المُلُوكِ[1] السَّالِفِينَ، وَهِيَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ غُلَامٌ عَزِيزٌ عَلَيْهِ جِدّاً، فَكَلَّمَهُ قُوَادُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَرَادَ إِظْهَارَ مَزِيَّتِهِ لَهُمْ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ يَاقُوتَةً نَفِيسَةً،

---

[1]- أ: لا أدعي

[2]- ي: عبوديته

[3]- ك: جل جلاله

[4]- ح: وغير ذلك

[5]- ل: في الدعاء

[6]- أ ل ي ك هـ ق: التعرض

[7]- أ ح ي م: إلا

[8]- ك: "معلومة" محذوفة

وَأَمَرَهُمْ بِكَسْرِهَا، فَجَعَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِإِبْقَائِهَا، فَأَمَرَ الغُلَامَ بِكَسْرِهَا فَكَسَّرَهَا مَكَانَهُ دُونَ تَرَدُّدٍ، فَزَجَرَهُ السُّلْطَانُ وَوَبَّخَهُ عَلَى كَسْرِهَا، فَجَعَلَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ: يَا سَيِّدِي يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ لِلآخَرِينَ: أَنْتُمْ أَمَرْتُكُمْ أَوَّلاً، فَجَعَلْتُمْ تَرْشُدُونَنِي، وَلَوْ كَسَّرْتُمُوهَا وَلُمْتُكُمْ، لَقُلْتُمْ[2] أَنْتَ أَمَرْتَنَا، وَهَذَا امْتَثَلَ أَوَّلاً وَتَضَرَّعَ ثَانِياً، لِهَذَا[3] أُحِبُّهُ.

هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى نَوْعٍ مِنْ آدَابِهِ البَاطِنَةِ، وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ مُرَاعَاتِ خَوَاطِرِهِ وَأَنْفَاسِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ وَأَدَبِهِ مَعَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فَمِمَّا لَا نَطَّلِعُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَكُونُ[4] هُنَالِكَ آدَابٌ بَاطِنِيَّةٌ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَتُهَا، فَلَمْ نَعْرِفْ دَلَالَتَهَا عَلَى ذَلِكَ، وَالأَدَبُ عَلَى قَدْرِ المَعْرِفَةِ، وَلَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَا تَقَدَّمَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] المَلْزُومُ لِكَمَالِ أَدَبِهِ، بَلْ وَلِكَمَالِ هَذِهِ الأَخْلَاقِ كُلِّهَا المُنْطَوِيَةِ فِي الآدَابِ[6] الَّتِي بَلَغَ فِيهَا مَبْلَغاً كَامِلاً.

وَبِالجُمْلَةِ فَأَدَبُهُ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَوَاضُعُهُ فِي نَفْسِهِ، وَلِلخَاصِّ وَالعَامِّ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ، وَصَبْرُهُ وَاحْتِمَالُهُ وَشَفَقَتُهُ وَحَنَانَتُهُ وَعَظِيمُ فُتُوَّتِهِ، وَعُلُوُّ هِمَّتِهِ هَذِهِ خُصُوصاً، وَسَائِرُ أَخْلَاقِهِ عُمُوماً أَمْرٌ عَزِيزُ الوُجُودِ، غَرِيبُ الوُرُودِ، لَا يَتَّفِقُ إِلَّا لِخَوَاصِّ الخَوَاصِّ، مِنْ ذَوِي الصِّدِّيقِيَةِ وَالإِخْلَاصِ، وَالمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ الخَاصِّ، الَّذِينَ اسْتَغْرَقَتْهُمْ رَحْمَةُ الرَّحْمَانِ، وَعَمَّهُمُ الفَضْلُ مِنْهُ وَالإِحْسَانُ.

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ[7] فَضْلَهُ عَلَى عَبْدِهِ، أَهَّلَهُ لِحُبِّهِ وَوِدِّهِ، وَجَعَلَ فِيهِ ائْتِلَافَهُ[8]، وَمَحَا بِوَصْفِهِ أَوْصَافَهُ، فَأَثْمَرَتْ بِكُلِّ جَمِيلٍ أَغْصَانَهُ، وَتَنَوَّعَتْ فُنُونُهُ وَأَفْنَانُهُ، وَاتَّصَفَ بِكُلِّ نَعْتٍ كَرِيمٍ،

---

[1]- ل: وقعت لبعض الملوك

[2]- ل: لقلتم لي

[3]- ل: فلهذا

[4]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: يكون

[5]- ك: "رضي الله عنه" محذوفة

[6]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: الأدب

[7]- ل: وإذا أراد الله أن يظهر

[8]- أ: ائتلافه

وَخُلْقٍ عَظِيمٍ، فَسُبْحَانَ الرَّحِيمِ الوَدُودِ، الوَاسِعِ الكَرَمِ وَالجُودِ، الَّذِي أَكْرَمَ خَلْقَهُ، وَأَوْسَعَ[1] لِمَنْ شَاءَ رِزْقَهُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ، وَلَا مُعْطِي إِلَّا هُوَ، وَلَا رَاحِمَ سِوَاهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

البَابُ الثَّالِثُ فِي عِلْمِهِ وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ وَعَظِيمِ فُتُوَّتِهِ وَوَفَائِهِ وَخَوْفِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ وَمَوْعِظَتِهِ وَحُرِّيَتِهِ، وَدَلَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِهِ عَلَيْهِ، وَسَوْقِهِ الأَقْوَامَ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَيْهِ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ[2] فُصُولٍ:

الفَصْلُ الأَوَّلُ في عِلْمِهِ وَكَرَمِهِ وَسَخَائِهِ وَعَظِيمِ فتُوَّتِهِ وَوَفَائِهِ

أَمَّا عُلُومُهُ الظَّاهِرَةُ فَفَازَ مِنْهَا بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ، وَحَازَ مِنْ فُرُوعِهَا وَأُصُولِهَا السَّهْمَ وَالتَّعْصِيبَ، وَرَمَى[3] إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَكْرُمَةٍ[4] بِسَهْمٍ مُصِيبٍ، وَلَا يُتَحَدَّثُ فِي عِلْمٍ إِلَّا تَحَدَّثَ فِيهِ، حَتَّى حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ لَا يُحْسِنُ غَيْرَهُ ، سِيَمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَعِلْمُ السِّيَرِ وَعِلْمُ التَّصَوُّفِ وَالأَحْوَالِ، وَسَائِرُ العُلُومِ النَّقْلِيَّةِ مِنْ نَحْوٍ وَفِقْهٍ وَعَرُوضٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدْ شَارَكَ الفُقَهَاءَ[5] فِي جَمِيعِ عُلُومِهِمْ الظَّاهِرَةِ، وَلَمْ يُشَارِكْ[6] فِي العُلُومِ البَاطِنَةِ، بَلْ زَادَ عَلَى الفُقَهَاءِ

---

[1]- ل: ووسع
[2]- ل: ثلاث
[3]- ي ك ع ح هـ ق ص: ورقى
[4]- ح: مكرمة وفضيلة
[5]- ع ي: العلماء
[6]- ل: ولم يشارك رضي الله عنه

الفُقَهَاءِ زِيَادَةً لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا مِنْ حَلِّ المُشْكِلَاتِ، وَمَا يُعْرَضُ مِنَ الشُّبَهِ المُعْضِلَاتِ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي أَجْوِبَتِهِ عِنْدَ مَحَلِّهَا .

وَمَهْمَا[1] تَكَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَسْأَلَةٍ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ إِلَّا خَرَجَ مِنْهَا لِعِلْمِ الآخِرَةِ، لَا سِيَمَا التَّفْسِيرُ وَالحَدِيثُ، لِمَا احْتَوَى عَلَيْهِ بَاطِنُهُ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُرَاقَبَتِهِ، وَعَدَمِ التِفَاتِهِ لِزَخَارِفِ الدُّنْيَا، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُ الآخِرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِقْرَاؤُهُ لِلعُلُومِ الظَّاهِرَةِ رَجَعَتْ كُلُّهَا فِي الحَقِيقَةِ عُلُوماً بَاطِنَةً، وَكَثِيراً مَا يَقُولُ مِمَّا مَعْنَاهُ: العَالِمُ (عَلَى الحَقِيقَةِ)[2]، مَنْ يُشَكِّلُ الوَاضِحَ وَيُوَضِّحُ المُشْكِلَ، لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ وَحُسْنِ نَظَرِهِ وَتَحْقِيقِهِ، فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ حُضُورُ مَجْلِسِهِ وَالإِسْتِمَاعُ مِنْ غَرَائِبِهِ، وَفَوَائِدِ عِلْمِهِ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَفَةَ فِي أَبْيَاتِهِ المَنْسُوبَةِ لَهُ[3] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ نُكْتَةٌ * بِتَقْرِيرِ إِيضَاحٍ لِمُشْكِلِ صُورَةِ
وَعَزْوِ غَرِيبِ النَّقْلِ أَوْ حَلِّ مُشْكِلٍ * أَوِ اشْكَالٍ أَبْدَتْهُ نَتِيجَةُ فِكْرَةِ
فَدَعْ سَعْيَهُ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاجْتَهِدْ * وَإِيَّاكَ تَرْكاً فَهْوَ أَقْبَحُ خِلَّةِ

وَأَمَّا عُلُومُهُ البَاطِنَةُ الحَقِيقِيَّةُ، المُسْتَمَدَّةُ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، فَهُوَ[4] قُطْبُ رَحَاهَا، وَشَمْسُ ضُحَاهَا، يَقُولُ مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ فِيهَا: هَذَا كَلَامُ مَنْ لَيْسَ وَطَنُهُ إِلَّا غَيْبُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ العُلُومُ مَحَلُّهَا القَلْبُ، وَهِيَ[5] مَعَادِنُ[6] الأَسْرَارِ، وَمَطَالِعُ الأَنْوَارِ، وَلِهَذَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ

---

[1]- ل: وما
[2]- ي: ما بين القوسين محذوف
[3]- ع ح ك هـ ص: إليه
[4]- ل: فإنه
[5]- ح: ومن
[6]- م: معدن

عَنْهَا، وَلَا يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِهَا وَذَاقَهَا ، فَلِهَذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤْثِرُ[1] حُبَّ مَوْلَاهُ العَظِيمِ عَلَى غَيْرِهِ، وَيُرَاقِبُهُ وَلَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ، بَلْ تَجِدُهُ يَفِرُّ إِلَى الخَلَوَاتِ كَثِيراً، قَدْ طَالَ فِكْرُهُ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى، فَانْكَشَفَتْ لَهُ عَجَائِبُ الأَسْرَارِ، وَتَجَلَّتْ لَهُ الأَنْوَارُ، كَمَا قَالَ القَائِلُ:

وَمُنْفَرِدٌ بِاللَّهِ هَامَ بِحُبِّهِ * فَلَيْسَ لَهُ أُنْسٌ بِشَيْءٍ سِوَى الرَّبِّ
تَفَرَّدَ فِي الدُّنْيَا لِطَاعَةِ رَبِّهِ * فَأَوْرَثَهُ عِلْمَ الكِتَابِ بِلَا رَيْبِ
وَآثَرَ حُبَّ اللَّهِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ * عَجَائِبُ أَسْرَارٍ ثَوَاباً عَلَى الحُبِّ
فَمَنْ كَانَ فِي دَعْوَى المَحَبَّةِ صَادِقاً * تَجَلَّتْ لَهُ الأَنْوَارُ مِنْ غَيْرِ مَا حُجْبِ
فَتَرْتَاحُ[2] فِي رَوْضِ المَعَارِفِ دَائِماً * وَلَذَّتُهَا أَشْهَى مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ
تُخَاطِبُهُ الأَحْوَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * فَيَفْهَمُ عَنْهُ بِالضَّمِيرِ وَبِالقَلْبِ
يُكَاشَفُ بِالأَسْرَارِ مِنْ مَلَكُوتِهَا * فَيَأْتِي عَلَيْهِ الفَيْضُ مِنْ عَالِمِ الغَيْبِ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قِيلَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّادَاتِ المُتَّصِفِينَ بِأَحْوَالِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ وَرِثُوا الأَنْبِيَاءَ حَقِيقَةً، وَاقْتَدَوْا بِهِمْ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، فَقَدْ فَاقَهُمْ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ، فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القُدْوَةُ لِلْمُقْتَدِي[3] ، وَالهِدَايَةُ لِلمُهْتَدِي[4] ، (لِجَمْعِهِ بَيْنَ لَطَائِفِ الأَحْوَالِ، وَصَحِيحِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، بَاطِنُهُ حَقَائِقُ التَّوْحِيدِ، وَظَاهِرُهُ زُهْدٌ وَتَجْرِيدٌ، وَكَلَامُهُ هِدَايَةٌ لِكُلِّ مُرِيدٍ)[5] .

---

[1]- ك: فلهذا يؤثر رضي الله عنه

[2]- ك: فيرتاح

[3]- ل: لمن اقتدى

[4]- ل: لمن اهتدى

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَأَمَّا كَرَمُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَجَايَاهُ، كَثِيرُ إِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَطَايَاهُ، (وَفَى عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ نَشَا، يَتَقَلَّبُ كَيْفَ شَا)[1] ، جَعَلَ اللَّهُ الكَرَمَ لَهُ وَصْفاً طَبِيعِيّاً، ثُمَّ صَرَّفَهُ فِيهِ تَصْرِيفاً شَرْعِيّاً، إِلَى أَنْ أَرْقَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَرْقَى الكَمَالِ، وَصَيَّرَهُ مِمَّنْ لَا يَشْهَدُ فِي ذَاتِهِ مُلْكاً لِنَفْسِهِ وَلَا مَالَ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الحَالَتَيْنِ جَمْعاً، صُنْعاً مِنَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صُنْعاً، فَكَانَتْ وَقَائِعُه فِي ذَلِكَ عَظِيمَةً، وَأَيَادِيهِ فِيهِ جَسِيمَةً، (وَأَفْعَالُهُ عَجِيبَةً، وَمَآثِرُهُ غَرِيبَةً)[2] ، نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الزَّمَانِ. وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بَرَزَتْ[3] لِلْعِيَانِ. يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الإِفْقَارَ ، وَلَا يُبَالِي بِإِفْرَاطٍ وَلَا بِإِكْثَارٍ. وَكَيْفَ يُبَالِي مَنْ تَخَلَّى قَلْبُهُ عَنِ العَرَضِ الفَانِي، وَرَقَى مَقَامَ الإِحْسَانِ وَالعِرْفَانِ، وَصَعِدَ مِصْعَدَ الكَمَالِ، وَمَرَاتِبَ فُحُولِ الرِّجَالِ، (الَّذِينَ تَرَكُوا النَّفَائِسَ وَالأَرْبَاحَ، وَوَهَبُوا النُّفُوسَ وَالأَرْوَاحَ، فَهُمْ كُرَمَاءُ الخَلِيقَةِ، وَالأَسْخِيَاءُ عَلَى الحَقِيقَةِ)[4] ، فَلَا فَضْلَ[5] إِلَّا إِفْضَالُهُمْ، وَلَا نَوَالَ إِلَّا نَوَالَهُمْ، إِذْ مِنْ مِنْ عَيْنِ الجُودِ يُنْفِقُونَ، وَبِوَابِلِ فَيْضِهِ يُدَفِّقُونَ[6] ، لَا يَرَوْنَ لَهُمْ مِلْكاً، وَلَا إِعْطَاءً[7] وَلَا تَرْكاً. تَرْكاً. فَأَنَّى يُوصَفُ أَمْرُهُمْ، وَ لَا يُقَدَّرُ فِي ذَلِكَ قَدْرُهُمْ[8].

وَلَكِنَّا نَتَعَرَّضُ لِشَيْءٍ مِمَّا نَرَى لِشَيْخِنَا وَأُسْتَاذِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ جُزْئِيَاتِ القَضَايَا، وَبَعْضِ مَا شُهِدَ[9] لَهُ مِنْ وَافِرِ[10] الإِحْسَانِ وَالعَطَايَا، إِذِ المَقْصُودُ ذِكْرُ الأَخْبَارِ، وَنَشْرُ تِلْكَ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل: بدرت

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: إفضال

[6]- ل: يرفقون

[7]- ح ك: عطاء

[8]- ل: وكيف يقدر في ذلك قدرهم

[9]- ل: اشتهر

[10]- م: أوفر

المَكَارِمِ وَالآثَارِ، فَدَأْبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالإِطْعَامُ لِوَجْهِ اللَّهِ، يُفَرِّقُ مَالَهُ فِي ذَلِكَ شَذَرَ مَذَرَ، فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ فِي حَالَةِ سَفَرٍ وَحَضَرٍ، مِنْ كُلِّ مَا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ المُكْتَسَبَاتِ، مِنْ عَيْنٍ وَعَرَضٍ وَفَوَاكِهٍ وَخُضَرٍ، مَا بَيْنَ مُوَاسَاتٍ وَنَفَقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ أَوْ صَدَقَةٍ، وَيَقُولُ:

المَالُ مَالُ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا خَازِنُ اللَّهِ، وَمُسَخَّرٌ فِيهِ وَمُسْتَخْلَفٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)**[1] ، وَلِقَوْلِهِ[2] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ ، أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِي وَمُسْلِمُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ عَادَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ، وَخُصُوصاً مَا كَانَ مِنْ[3] قَبِيلِ الصَّدَقَاتِ المُبَالَغَةُ فِي الإِخْفَاءِ جِدّاً، حَتَّى لَا يَشْعُرَ إِنْسَانٌ، بِمَا هُوَ يَصْدُرُ عَنْهُ مِنَ الإِحْسَانِ، فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ وَغَالِبِ الأَحْيَانِ ، فَإِذَا أَعْطَى أَحداً شَيْئاً لَا يُعْطِيهِ بِيَدِهِ، إِنَّمَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُرْسِلُ بِهِ، وَيُوصِي المُرْسَلَ مَعَهُ بِالكِتْمَانِ، طَلَباً لِلْوَجْهِ الأَكْمَلِ، الَّذِي فَضَّلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: **(فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**[4]**)**[5] ، وَإِبْقَاءً عَلَى المُعْطَى بِفَتْحِ الطَّاءِ، وَحِرْصاً عَلَى إِعْلَاءِ هِمَّتِهِ، لِيَشْكُرَ[6] نِعْمَةَ سَيِّدِهِ، وَلَا يَتَشَوَّفُ لِلَّذِي جَرَتْ المِنْحَةُ عَلَى يَدِهِ، وَيَقُولُ:

إِنِّي إِذَا تَشَوَّفَ أَحَدٌ إِلَيَّ انْقَبَضَ قَلْبِي عَنْهُ، فَلَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ شَيْئاً، فَإِذَا انْقَطَعَ نَظَرُهُ عَنِ الخَلْقِ كُنْتُ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى إِعَانَتِهِ وَإِيصَالِ العَطَاءِ إِلَيْهِ، وَأَجِدُنِي أَسْتَحْلِي مُنَاوَلَةَ ذَلِكَ

---

[1]- سورة الحديد، الآية 7

[2]- ح: لقوله

[3]- ح: "من" محذوفة

[4]- ل: وإن تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم

[5]- سورة البقرة، الآية 271

[6]- ك: لشكر

حِينَ أُعْطِي مَالَ سَيِّدِي لِعَبْدِ سَيِّدِي وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ وَلَا يَشْعُرُ بِمَا لَدَيَّ، وَرُبَّمَا يَتَوَلَّى الإِعْطَاءَ بِيَدِهِ، لِكَوْنِ المُعْطَى لَهُ لَا يَشْعُرُ بِمَنْ أَعْطَى.

وَقَدْ يُعْطِي بِيَدِهِ أَيْضاً إِذَا كَانَ المُعْطَى لَهُ مِنَ المُوَالِينَ لَهُ مِنَ الأَصْحَابِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُنَوِّهُ بِهِ وَلَا يُفْشِي سِرَّهُ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الأَصْحَابِ إِلَّا لَحِقَهُ نَائِلُهُ، وَوَسِعَتْهُ عَوَارِفُهُ[1] وَفَضَائِلُهُ، فَلَا يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا حَدَّثَ بِعَطَايَاهُ دَائِماً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُوَاجِهَهُ بِثَنَاءٍ عَلَيْهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ، أَوْ يَذْكُرَهُ لَهُ أَوْ يُشِيعَ خَبَرَهُ، وَإِذَا أَكَلَ أحدٌ الطَّعَامَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: كَثَّرَ اللَّهُ خَيْرَكَ رَدَّهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَشُهُودِ مَا تَفَضَّلَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَأَوْلَاهُ، وَيَقُولُ: **﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾**[2] ، وَيَقُولُ: المِنَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ الجَارِيَةِ فِي هَذِهِ العَطَايَا أَنَّهُ لَا تَصِلُ عَطِيَّتُهُ أَحَداً إِلَّا وَجَدَتْهُ عَلَى حِينِ[3] ضَرُورَةٍ وَشِدَّةِ احْتِيَاجٍ، لَا يَجِدُ مَا يُحَاوِلُهُ وَلَا مَا يُنَاوِلُهُ، حَتَّى كَأَنَّ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاتَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، أَوْ ظَلَّ مَعَهُ مُطَّلِعاً عَلَيْهِ، فَيُوقِعُ ذَلِكَ كُلَّهُ مَوَاقِعَهُ، وَيُنْزِلُهُ مَوَاضِعَهُ ، عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، وَبَصِيرَةٍ فِي أَمْرِهِ، وَيُوفِي فِيمَا يُعْطِيهِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، جَامِعاً بَيْنَ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَمُرَاعِياً لِحَالِ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَيُمَتِّعُ أَوْلَادَهُ وَأَهْلَهُ وَعِيَالَهُ، وَيُولِي عَلَيْهِمْ بِرَّهُ وَنَوَالَهُ، ثُمَّ يُوَسِّعُ الأَقَارِبَ وَالأَصْحَابَ[4] مُوَاصَلَةً، ثُمَّ الأَبَاعِدَ صَدَقَةً وَمُفَاضَلَةً[5] ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَدِيعٌ، وَحَالُهُ فِي ذَلِكَ بِأَسْرِهِ رَفِيعٌ.

أَمَّا شَأْنُهُ فِي دَارِهِ وَعِيَالِهِ: فَإِكْثَارُ الطَّعَامِ وَالإِطْعَامِ، وَالتَّوْسِعَةُ وَالإِنْعَامُ، وَالإِفْضَالُ وَالإِكْرَامُ، لَا يَدَعُ شَيْئاً[6] إِلَّا أَمْتَعَهُمْ فِيهِ عَلَى وَجْهٍ شَرْعِيٍّ مِنْ قَصْدِ كِفَايَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَتَنْعِيمِهِمْ بِأَنْعُمِ مَوْلَاهُمْ، لَا عَلَى الرَّفَاهِيَةِ وَالتَّرَفُّهِ، مَكْفُولِينَ بِخَيْرِ كِفَايَةٍ، مَحْفُوفِينَ بِخَيْرِ رِعَايَةٍ، ظَاهِرَةٌ

---

[1]- ل: عواريه

[2]- سورة سبأ، الآية 15

[3]- ح: عين

[4]- ح ل: الأصحاب والأقارب

[5]- ي ك ح ع م: مفاصلة

[6]- ل: نعمة

عَلَيْهِمْ أَنْعُمُ مَوْلَاهُمْ، وَاضِحَةٌ عَلَيْهِمْ آثَارُهَا، مَا شِئْتَ مِنْ عَفَافٍ وَقَنَاعَةٍ وَكَرَمِ نَفْسٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ، قَدِ اعْتَادَهُمْ السَّخَاءُ حَتَّى أَلِفَتْهُ نُفُوسُهُمْ، وَأَثْمَرَتْ مِنْهُ غُرُوسُهُمْ، يَدَّخِرُ لَهُمْ لِإِغْنَاءِ نُفُوسِهِمْ فَوْقَ مَا يَحْتَاجُونَ.

وَيُصَرِّحُ أَحْيَاناً بِأَنَّهُ لَوْلَا الرِّفْقُ بِهِمْ وَالجَرْيُ عَلَى مُقْتَضَى عُقُولِهِمْ وَصَوْنُهُمْ عَلَى أَنْ يَتَشَوَّفُوا لِمَا بِيَدِ[1] النَّاسِ مَا ادَّخَرَ شَيْئاً، فَيُخَزِّنُ لَهُمْ[2] مِنْ قُوتِ سَنَتِهِمْ طَعَاماً وَإِدَاماً وَعَسَلاً وَفَاكِهَةً مَا يَكْفِيهِمْ وَيَكْفِي أَضْيَافَهُ وَأَضْعَافَ أَضْعَافِهِمْ، لِيَعُولَ بِهِ الأَضْيَافَ وَالضُّعَفَاءَ وَالمَسَاكِينَ المُنْتَسِبِينَ إِلَى اللَّهِ مِمَّنْ هُوَ مُلَازِمٌ لَهُ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ فِي عَدَدِ أَهْلِ نَفَقَتِهِ، أَوْ مَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ، فَيُنْفِقُ عَلَى عَدَدٍ عَدِيدٍ، فَيُؤْكَلُ عِنْدَهُ الوَسْقُ مِنَ القَمْحِ فِي نَحْوِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ[3] ، وَأَمَّا فِي وَقْتِ[4] وُفُودِ رَكْبِ الزَّائِرِينَ إِلَيْهِ، فَلَا نُقَدِّرُ لِذَلِكَ قَدْراً، فَلَا تَتَوَفَّرُ لَهُ عَوْلَةٌ بَالِغَةً[5] مَا بَلَغَتْ. بَلَغَتْ.

وَجَمِيعُ ذلِكَ كُلُّهُ[6] يَكْتَالُهُ وَيَجْلِبُهُ مِنَ البُلْدَانِ البَعِيدَةِ لِعَدَمِ وُجُودِ الزَّرْعِ بِالمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، لِأَنَّ البَلَدَ ضَعِيفَةٌ جِدّاً، وَلَا يَخْلُوا عَنْ كَثْرَةِ الأَضْيَافِ، أَمَّا الرِّجَالُ فَخَارِجَ[7] الدَّارِ فِي أَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَدَاخِلَ الدَّارِ، وَيَتَفَقَّدُ الغُرَبَاءَ أَهْلَ[8] النِّسْبَةِ وَيُطْعِمُهُمْ، وَيُوصِي مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنْ دَارِهِ شَيْئاً[9] لِأَضْيَافِهِ أَوْ

---

[1]- ح: بأيدي

[2]- ي ك ع ح هـ ق ص م: "لهم" محذوفة

[3]- ح: اليومين أو الثلاثة

[4]- ل: أوقات

[5]- ح ك ل: بلغت

[6]- ح: "كله" محذوفة

[7]- أ ح ي: خارج

[8]- ك: وأهل

[9]- ح ل: لا يخرج شيئا من داره

غَيْرِهِمْ إِلَّا بَعْدَ كِفَايَةِ مَنْ بِدَارِهِ مِنْهُ، وَإِنْ أَخْرَجَ يَوْماً مَّا طَعَاماً لَمْ يَكُنْ فِيهَا غَيْرُهُ حَاضِراً[1] عَوَّضَهُمْ آخَرَ مِثْلَهُ لَا مَحَالَةَ، وَيُنَبِّهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُرَبِّي بِهِ غَيْرَهُ مَخَافَةَ التَّوَصُّلِ لِحَقٍّ بِتَرْكِ آخَرَ.

وَمِنْ شَأْنِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِفْظُ الطَّعَامِ وَاحْتِرَامُهِ، مَتَى[2] فَضَلَ شَيْءٌ مِنْهُ الْتَمَسَ فِي الحِينِ مَنْ يَأْكُلُهُ، وَإِذَا خَرَجَ الطَّعَامُ مِنْ دَارِهِ لِلأَضْيَافِ[3] وَفَضَلَ عَنْهُمْ يَتَصَدَّقُ بِهِ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّارِ مِنْهُ شَيْءٌ أَصْلاً، لِأَنَّهُ خَرَجَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَعَادَتُهُ[4] الكَرِيمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِجْرَاءُ الصَّدَقَاتِ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ يُفَرِّقُ القَمْحَ عَلَى ضُعَفَاءِ البَلَدِ، كُلُّ وَاحِدٍ مَا يُنَاسِبُ حَالَهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَكُلِّ مُحْتَاجٍ.

وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ وَقْتِ الضُّحَى يُفَرِّقُ الخُبْزَ عَلَى الصِّبْيَانِ فِي بَابِ دَارِهِ، هَكَذَا فِعْلُهُ[5] فِعْلُهُ[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ مَنْ ضَعُفَ عَنِ القِيَامِ بِمَؤُنَةِ نَفْسِهِ مِنْ سَائِرِ الأَصْحَابِ[6] فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الإِعَانَةِ فِي النَّفَقَاتِ ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا عَوَّدَ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا مِنَناً، وَمَا أَسْدَى إِلَيْهِمْ إِلَّا حَسَناً، وَقَدْ شُوهِدَتِ البَرَكَةُ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَفِي سَائِرِ أُمُورِهِ، فَمَا زَادَ إِحْسَاناً إِلَّا زِيدَ خَيْراً وَبَرَكَةً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَكَذَا دَأْبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا يَخْرُجُ مِنْ يَدِهِ مِنْ إِنْفَاقَاتٍ وَإِرْفَاقَاتٍ، وَجَدْتَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا المُؤَيَّدُونَ[7] أَمْثَالُهُ ، الَّذِينَ بَاعُوا نُفُوسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ[8] وَأَرْبَاحَهُمْ[9] عَلَى اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا

---

[1]- ل: لم يكن في الدار غيره حاضرا

[2]- ل: ومتى

[3]- ل: للضيوف

[4]- ل: ومن عادته

[5]- ل: شأنه

[6]- ل: أصحابه

[7]- ل: وجدته أمراً لا يقدر عليه إلا المؤيدون

[8]- ل: الذين باعوا نفوسهم وأرواحهم فكيف بأموالهم وأرباحهم

[9]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: وأموالهم أرباحهم

لَا يُرِيدُونَ غَيْرَهُ، وَلَا يُعَوِّلُونَ[1] عَلَى سِوَاهُ، هَذَا شَأْنُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا مَا يَصْدُرُ عَنْهُ فِي فِي مُعَامَلَةِ الأَبَاعِدِ مِنَ المُوَاسَاتِ الجَلِيلَةِ، وَالصِّلَاتِ الجَلِيلَةِ[2]، فَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، لِكَوْنِهِ يَجْمَعُ مَا يَجْمَعُ، بَلْ يَقْبِضُهُ كَذَلِكَ مَجْمُوعَةً[3] ثُمَّ يُعْطِيهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً[4]، لَكِن لَا يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا النَّادِرُ، وَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِرَاراً، صَرَفَ المَالَ الَّذِي يَخْشَى صَاحِبُهُ الفَقْرَ، وَذَلِكَ لِمَا[5] قَرَّرْنَاهُ مِنْ عَادَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِخْفَاءِ الصَّدَقَاتِ، وَإِنَّمَا يَتَّفِقُ لَنَا[6] الإِطِّلَاعُ الإِطِّلَاعُ عَلَى بَعْضِهَا، وَالنَّزْرِ القَلِيلِ مِنْهَا، كَمَا إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ أَحَدٌ يَطْلُبُ مُعَامَلَتَهُ، أَوْ يُرَاسِلُهُ بِمُرَاسَلَةٍ، فَلَا نَدْرِي مَا يَفْعَلُ إِخْفَاءً لِصَدَقَاتِهِ.

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ العَظِيمَةِ[7] الجَارِيَةِ[8] العِتْقُ، فَقَدْ[9] أَعْتَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ جَمِيعَ مَنْ بِدَارِهِ مِنَ الإِمَاءِ[10] ، وَكُنَّ حِينَئِذٍ خَمْسَ عَشْرَةً[11] ، فَأَعْتَقَهُنَّ دُفْعَةً وَاحِدَةً[12] ، وَكَذَلِكَ أَعْتَقَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ رَقَبَةً[13] مِنَ العَبِيدِ البَالِغِينَ ، فَكَتَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ رُقْعَةً[1] ، وَجَعَلَهَا لَهُ فِي عُنُقِهِ،

---

[1]- ي ع: يعدلون

[2]- ع ل: الجزيلة

[3]- ح ي ع ك ل هـ ق ص: مجموعا

[4]- أ: وحدة

[5]- ك: بما

[6]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: "النا" محذوفة

[7]- ل: ومن كرمه العظيم

[8]- ل: "الجارية" محذوفة

[9]- ل: فإنه

[10]- أ: الإيماء

[11]- ل: خمس عشرة

[12]- أ: وحدة

[13]- ل: عبدا

وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ حُرٌّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا نَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَصْلاً، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ سَبَباً وَلَا فِعْلاً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ.

وَبِالجُمْلَةِ فَسَخَاؤُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَظِيمٌ، وَإِحْسَانُهُ جَسِيمٌ، لَيْسَ عَلَى سَنَنِ مَا يُولَفُ، وَإِنَّمَا[2] هُوَ خَارِقٌ لِلعَادَةِ، وَخَارِجٌ عَنِ الأُمُورِ المُعْتَادَةِ، لَا يُنَاظِرُهُ فِيهِ مِثْلُهُ مِنْ أَهْلِ الخُصُوصِيَةِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ، إِذْ مِنْ عَادَةِ المَشَايِخِ الفَاعِلِينَ لِمِثْلِ ذَلِكَ أَنْ يَقْبِضُوا وَيَدْفَعُوا، فَيَصْرِفُونَ مَا يُوتَوْنَ بِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَدَّخِرُونَ شَيْئاً، وَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَدَّخِرُ شَيْئاً، وَكَانَ قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ لَا يَأْخُذُ مِنْ يَدِ أَحَدٍ البَتَّةَ[3] ، حَتَّى وَقَعَ لَهُ الإِذْنُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ عَلَى أَحَدٍ شَيْئاً أَصْلاً، وَتَخْرُجُ مِنْ يَدِهِ الأَمْوَالُ العَرِيضَةُ وَالعَطَايَا العَظِيمَةُ الَّتِي لَا يَتَيَسَّرُ مِثْلُهَا لِلأَغْنِيَاءِ مِنَ التُّجَّارِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَبَرَكَةً مُحَمَّدِيَّةً مِن آثَارِ بَرَكَةِ[4] سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوِرَاثَةً مِنْهُ وَمَقَاماً أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَضَمَاناً[5] مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ[6] بِالغِنَى التَّامِّ الَّذِي لَا فَقْرَ بَعْدَهُ عَلَى الدَّوَامِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الأَصْحَابِ مِنْ خَاصَّتِهِ، دَخَلَ بِيَدِهِ مَالٌ، فَأَعْطَاهُ مِنْهُ، ثُمَّ أَرَادَ إِعْطَاءَ مَا بِيَدِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَعَلِمَ بِهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[7] ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ وَدَعْ مَالَكَ عِنْدَكَ، لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ وَجَدْتَ فُقْدَانَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَثَّرَ ذَلِكَ فِيكِ فَيَحْصُلُ لَكَ بِذَلِكَ[8] ضَرَرٌ عَظِيمٌ

---

[1]- ل: وجعل لكل عبد رقعته

[2]- ل: بل

[3]- ي: لا يأخذ من يد أحد شيئا البتة

[4]- ح ل: وبركة

[5]- ل: وضمانا عاما

[6]- ك: "له" محذوفة

[7]- ل: فعلم به سيدنا رضي الله عنه فنهاه عن ذلك

[8]- ح: "بذلك" محذوف

، وَتَنْقَطِعُ المَحَبَّةُ مِنْ أَصْلِهَا، فَلَا تَقْتَدِي بِي فِي هَذِهِ العَطَايَا، فَأَنَا[1] إِنْ رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْهَا فَفِي ذَلِكَ أَقَامَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[2] .

وَأَمَّا فُتُوَّتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يُنْبِئُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا فِي البَابِ قَبْلَ هَذَا، عِنْدَ التَّعَرُّضِ لِلكَلَامِ عَلَى بَعْضِ أَخْلَاقِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالمُرُوءَةُ شُعْبَةٌ مِنْهَا ، وَالفُتُوَّةُ مِنَ الأَخْلَاقِ الجَامِعَةِ لِأَنْوَاعِ الأَوْصَافِ[3] الحَمِيدَةِ، وَالخِلَالِ السَّدِيدَةِ[4] ، كَالحِلْمِ وَالعَفْوِ وَالصَّبْرِ وَالصَّبْرِ وَالسَّخَاءِ وَالوَفَاءِ وَالسِّتْرِ عَلَى[5] عُيُوبِ الأَصْدِقَاءِ ، وَإِعَانَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ بِجَمِيلِ[6] الإِحْسَانِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَى الإِيثَارِ وَالسَّخَاءِ العَظِيمِ، وَهُوَ السَّخَاءُ بِالنُّفُوسِ، وَأَصْلُهَا كَمَا قَالَ القُشَيْرِيُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ سَاعِياً فِي أَمْرِ غَيْرِهِ دَائِماً، وَقَدْ بَيَّنَهَا أَهْلُ الطَّرِيقِ بِتَفْسِيرَاتٍ أَوْرَدَهَا فِي الرِّسَالَةِ فَلْيُطَالِعْهَا مَنْ أَرَادَهَا .

وَعَبَّرُوا عَنْهَا بِعِبَارَاتٍ، كُلٌّ بِحَسَبِ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ، وَبِحَسَبِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا، فَفَسَّرُوهَا بِكَفِّ الأَذَى، وَبَذْلِ النَّدَى، وَهِيَ[7] عِبَارَةُ الجُنَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبِالصَّفْحِ عَنْ عَثَرَاتِ الإِخْوَانِ ، وَبِأَنْ[8] تُنْصِفَ ولا تَنْتَصِفَ ، وَبِأَنْ[9] إِذَا أُعْطِيتَ آثَرْتَ، وَإِذَا مُنِعْتَ شَكَرْتَ، وَبِأَنْ وَبِأَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلاً عَلَى غَيْرِكَ، وَبِالوَفَاءِ وَالحِفْظِ، وَبِفَضِيلَةٍ تَأْتِيهَا، وَلَا تَرَى نَفْسَكَ

---

[1]- ل: فإنك

[2]- ل: أقامني الله عز وجل ومقامك حيث أقامك

[3]- ح: الوصف

[4]- ل: الجيدة

[5]- ل: عن

[6]- ح: بجميع

[7]- ل: وهو

[8]- ل: وأن

[9]- ل: وبأنك

فِيهَا، وَبِحُسْنِ الخُلُقِ ، وَبِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ[1] عِنْدَهُمْ فِي المُوَاسَاتِ، وَالعَفْوِ عَنِ الإِسَاءَاتِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَصِيدَتِهِ الرَّائِيَةِ:

وَبِالتَّفَتِّي عَلَى الإِخْوَانِ جُدْ أَبَداً * حِسّاً وَمَعْنًى وَغُضَّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَا

وَلِشَيْخِنَا وَأُسْتَاذِنَا[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الأَوْصَافِ أَعْظَمُ نَصِيبٍ، وَالسَّهْمُ الَّذِي مَا عَثَرَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الوَقْتِ مُصِيبٌ، وَرِثَهَا بِالفَرْضِ المَقْسُومِ لَهُ بِالتَّعْصِيبِ، وَحَازَ مِنْهَا أَسْمَى مَرْتَبَةٍ، وَأَسْنَى مَرْقَبَةٍ، وَأَعْلَى مَقَامٍ، وَأَكْمَلَ مَرَامٍ.

وَأَمَّا حِلْمُهُ وَعَفْوُهُ، فَشَأْنُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّفْحُ عَمَّنْ اشْتَغَلَ بِإِذَايَتِهِ، وَعَدَمُ المُؤَاخَذَةِ لَهُ، وَالنَّظَرُ فِيهِ بِعَيْنِ الحَقِيقَةِ، وَالْتِمَاسُ المَعْذِرَةِ لَهُ، وَيَقُولُ: إِذَا نَظَرْتَ إِلَى النَّاسِ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ عَذَرْتَهُمْ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ[3] المَلَامُ مِنْ عَدَمِ شُهُودِ أَمْرِ اللَّهِ النَّافِذِ، وَيَحِنُّ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَيُشْفِقُ مِنْ حَالِهِمْ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ الهَلَاكُ بِسَبَبِ تَمَادِيهِمْ عَلَى فِعْلِهِمْ ذَلِكَ.

وَكَثِيراً مَا يُعَامِلُهُمْ حِرْصاً عَلَى إِزَالَةِ ضِغْنِهِمْ، وَمَحْوِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِذَا شَكَى لَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذَايَةَ أَحَدٍ سَلَّاهُ عَنْ[4] ذَلِكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى الحِلْمِ وَالعَفْوِ، وَحَضَّهُ عَلَى الإِشْتِغَالِ بِمَا يَعْنِيهِ، وَلَا يُحِبُّ المُعْتَنِينَ بِنُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا المُشْتَغِلِينَ بِمُلَاحَاتِ[5] الرِّجَالِ[6] ، وَلَا يُحِبُّ الغِلْظَةَ وَلَا الفَظَاظَةَ وَلَا أَهْلَهَا، وَيَقُولُ:

---

[1]- ل: يستعمل

[2]- ل: "وأستاذنا" محذوفة

[3]- ل: منشأ

[4]- ح: على

[5]- ل: بملامة

[6]- ل: الناس

إِنَّ الحَلِيمَ يَحْلُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَشْهِدُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ[1] : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ إهـ. وَيَتَرَحَّمُ عَلَى الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَكُلِّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ، وَيُوصِي مَنْ أَتَاهُ مِنَ الوُلَاتِ بِالعَفْوِ عَنِ المَسَاكِينِ، وَيَقُولُ لَهُمْ بِضُعَفَائِكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَلَا عَمَلَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ، وَمَنْ عَفَا عُفِيَ عَنْهُ.

وَيَعْرِضُ عَنْ جَهْلِ الجَاهِلِينَ، وَيَصْبِرُ لِجَفْوَةِ الجَافِّينَ، وَيَعْفُو عَنْ إِذَايَةِ المُؤْذِينَ، بَلْ يُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَيَحِنُّ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّجَاوُزِ عَنْهُ، وَيَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ يُلَاطِفُهُ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَيُعَامِلُهُ بِالجَمِيلِ وَبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَيَبَرُّ بِهِ، وَيَحْرِصُ عَلَى إِيصَالِ الخَيْرِ إِلَيْهِ رَحْمَةً لَهُ وَشَفَقَةً عَلَيْهِ، حَتَّى يَسْتَحْيِّي ذَلِكَ المُسِيءُ غَايَةَ الحَيَاءِ، وَيَخْجَلُ غَايَةَ الخَجَلِ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ عَفْوِهِ عَنْهُ، ثُمَّ تَفَضُّلِهِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ سَابِقِ سَيِّئَاتِهِ الَّتِي عَادَتْ كَالحَسَنَاتِ لَدَيْهِ، كَمَا شَاهَدْنَا ذَلِكَ وَقَعَ لَهُ مَعَ بَعْضِ الإِخْوَانِ، فَمَا زَالَ يَحْلُمُ عَنْهُ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ الأَحِبَّاءِ إِلَيْهِ، وَالكَلَامُ عَلَى حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ[2] أَوْسَعُ مِنْ هَذَا[3] ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ مَا هُوَ مِنْهُ فِي السِّيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا وَفَاؤُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالوَفَاءُ نَوْعٌ مِنَ الفُتُوَّةِ، وَعَطْفُهُ فِي التَّرْجَمَةِ عَطْفُ خَاصٍّ عَلَى عَامٍّ، فَمِنْهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَلَفَ شَيْئاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَضَاهُ بِسُرْعَةٍ، لَا يَتَوَانَى فِي ذَلِكَ وَلَا يَغْفُلُ البَتَّةَ، وَمَا حُفِظَ لَهُ تَأْخِيرُ قَضَاءِ[4] دَيْنٍ قَطُّ، حِفْظاً مِنَ اللَّهِ لَهُ وَكِفَايَةً إِيَّاهُ. وَمِنْهُ وَفَاؤُهُ[5] بِمُعَامَلَةِ الإِخْوَانِ، وَحِفْظِ عُهُودِهِمْ وَعُهُودِ أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ أَوَانٍ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلَ مُوَاصَلَتِهِ إِيَّاهُمْ أَتَمَّ المُوَاصَلَةِ، وَتَعَطُّفِهِ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ التَّعَطُّفِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ كُلَّ الإِحْسَانِ،

---

[1] - ل: عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

[2] - ح ي هـ ص: عفوه وحلمه

[3] - ل: من أن يضبط

[4] - ل: أداء

[5] - ل: ومنها الوفاء

فَلَا يَزَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْفَظُ لَهُمْ وُدّاً، وَلَا يَنْسَى لَهُمْ طُولَ الزَّمَانِ عَهْداً، (وَلَا يَأْلُوا فِي إِكْرَامِ مَنْ أَمْكَنَهُ إِكْرَامُهُمْ جُهْداً)[1].

وَهَذَا كُلُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حُسْنِ عَهْدِهِ وَتَمَامِ وَفَائِهِ، وَحُسْنِ مَوَدَّتِهِ فِي اللَّهِ وَإِخَائِهِ، وَمِنْهُ وَفَاؤُهُ فِي مُعَامَلَاتِ مَوْلَاهُ وَعِبَادَتِهِ لَهُ، وَقِيَامُهُ لِلَّهِ فِي سَائِرِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، حَيْثُ لَا يَقْطَعُ شَيْئاً ابْتَدَأَهُ، وَلَا يَرْجِعُ عَنْ شَيْءٍ لِلَّهِ عَزَمَ عَلَيْهِ، وَأَعْظِمْ بِذَلِكَ وَفَاءً، وَمِنَّةً مِنَ اللَّهِ وَإِعْطَاءً.

وَمِنْ عَظِيمِ فُتُوَّتِهِ وَإِيثَارِهِ، وَسَعْيِهِ فِي مَنَافِعِ الغَيْرِ وَأَوْطَارِهِ، مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الإِيثَارِ وَأَوْصَافِهِ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُقَارِبُهُ فِي ذَلِكَ أَوْ يُضَاهِيهِ، تَأْيِيداً مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِي إِعْطَائِهِ وَإِيثَارِهِ، وَالكَلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَأُسْتَاذِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْسَعُ دَائِرَةً مِنْ أَنْ نَسْتَوْفِيَ أَقَلَّ قَلِيلٍ[2]، فَضْلاً عَنْ أَنْ نُحِيطَ[3] بِقَدْرٍ جَلِيلٍ، فَاقْتَصَرْنَا عَلَى مَا لَابُدَّ مِنْهُ لِلحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا[4] مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ[5] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

الفَصْلُ الثَّانِي فِي خَوْفِهِ وَصَبْرِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ وَمَوْعِظَتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ

قَدْ بَلَغَ سَيِّدُنَا وَشَيْخُنَا[6] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَعُلُوِّ الهِمَّةِ فِي الطَّرِيقِ، وَالسُّمُوِّ فِيهَا عَلَى أَهْلِ هَذَا الفَرِيقِ[7]، مَعَ مَا جَمَعَهُ مِنَ الخِلَالِ الحَمِيدَةِ، وَالخِصَالِ السَّدِيدَةِ،

---

[1] - ح: ما بين القوسين محذوف
[2] - ك ي ق: نستوفي منه أقل قليل
[3] - ح: أحيط
[4] - ح ع ك ي ل هـ ق ص: سيدنا ومولانا
[5] - ح ع ك ي ل هـ ق ص: وآله
[6] - ح ل: وأستاذنا
[7] - ل: على أهل التحقيق من هذا الفريق

السَّدِيدَةِ، وَالمَقَامَاتِ العَلِيَّةِ، وَالأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ، مَا أَدْرَكَ فِيهِ غَايَةَ هِمَمِ السَّابِقِينَ، وَأَعْجَزَ نِهَايَةَ هِمَمِ اللَّاحِقِينَ، وَمِنَ الوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَالمَوْعِظَةِ وَالحُرِّيَّةِ، مَا عُدِمَ فِيهِ النَّظِيرُ فِي هَذَا الوَقْتِ بِالكُلِّيَّةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَطْمَعاً لِأَحَدٍ فِيهِ وَلَا أُمْنِيَّةً، إِذَا رَأَيْتَ سِيَرَهُ فِي ذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّهُ مُفْرَدُ أَوَانِهِ، وَسَيِّدُ الوَرِعِينَ وَالزَّاهِدِينَ فِي زَمَانِهِ[1] ، (لَا يُجَارَى فِي ذَلِكَ شَأْوُهُ، وَلَا يُدْرَكُ فِيهِ حَضْوُهُ[2] ، كَمَا لَا يُخَاضُ بَحْرُ عِرْفَانِهِ، وَلَا يُسْبَقُ فَرَسُ مَيْدَانِهِ)[3] ، عُلِّقَتْ هِمَّتُهُ العَلِيَّةُ بِمَعَالِي الأُمُورِ، فَتَجَاوَزَتْ الأَوَاسِطَ مِنْهَا إِلَى الصُّدُورِ، لَا يَقِفُ عِنْدَ الدُّونِ، وَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ مَصُونٌ:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا * وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

وَكَيْفَ تَقِفُ هِمَّةُ مَنْ لَيْسَ مُنَاهُ، إِلَّا سَيِّدَهُ وَمَوْلَاهُ، قَدْ خَلَّفَ وَرَاءَهُ كُلَّ مُنْتَهَى، وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى[4] ، فَلَا هِمَّةَ أَجَلَّ مِنْهَا، وَلَا تِبْيَانَ يُنْبِئُ عَنْهَا، وَفِيهَا اجْتَمَعَتْ الهِمَمُ بِأَسْرِهَا، وَمَعَالِي وَمَعَالِي الأُمُورِ عَنْ آخِرِهَا، مِنَ التَّنَزُّهِ عَنْ سَفْسَافِ الأُمُورِ، وَمُجَافَاتِ كُلِّ مَحْذُورٍ، وَكَرَمِ النَّفْسِ وَإِبَايَتِهَا، وَعَفَافِهَا وَصِيَانَتِهَا، وَالإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الخَلْقِ، وَقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهُمْ، وَالإِكْتِفَاءِ بِالوَاحِدِ الحَقِّ، وَطَرْحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الأَوْصَافِ الكَرِيمَةِ، وَالطِّبَاعِ المُسْتَقِيمَةِ، الَّتِي عِنْدَ عُلُوِّ الهِمَّةِ مَأْوَاهَا، وَمِنْهَا أَسَاسُهَا وَمَبْنَاهَا، الَّتِي[5] تَقَدَّمَ مَا يُنْبِئُكَ عَنْ عَنْ أَنَّ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَكِبَ مَتْنَ سِمَاكِهَا، وَظَفِرَ بِمِلَاكِهَا، وَحَازَ جَمِيعَهَا، أُصُولَهَا وَفُرُوعَهَا.

---

[1] - ح: في أهل زمانه
[2] - ح: خطوه ـ أ: حظوه
[3] - ح: ما بين القوسين محذوف
[4] - ل: وجعل إلى الله المنتهى
[5] - ل: وقد

وَالَّذِي يُخْتَصُّ[1] بِهَذَا البَابِ ذِكْرُهُ، وَيُنَاسِبُ هَذَا المَقَامَ بَثُّهُ وَنَشْرُهُ، هُوَ مَا لَهُ مِنَ الخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَعُلُوِّ الهِمَّةِ فِي السُّلُوكِ، وَرَفْعِهَا عَنْ كُلِّ مَمْلُوكٍ. **فَأَمَّا خَوْفُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فَهُوَ كَثِيرُ الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، مُتَطَاوِلُ الأَحْزَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرُبَّمَا سُمِعَ لِصَدْرِهِ أَنِينٌ وَدَوِيٌّ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، لَا سِيمَا إِنْ كَانَ وَحْدَهُ فِي خلْوَتِهِ مُسْتَغْرِقاً فِي الذِّكْرِ فِي أَوْقَاتِ جَلْوَتِهِ، لَا يَشْعُرُ بِمَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ فِي حَضْرَتِهِ، لِاسْتِغْرَاقِهِ فِي المَذْكُورِ وَغَيْبَتِهِ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ مِرَاراً لِخَلْوَتِهِ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُوَاجِهَهُ بِالخِطَابِ لِهَيْبَتِهِ.

وَأَمَّا صَبْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَا خَفَاءَ بِمَا لَهُ مِنَ الثَّبَاتِ فِي مَرْكَزِ الصَّبْرِ، فَلَا يَزَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَابِلُ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ بِالإِحْسَانِ، حَتَّى صَارَ كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ يُقِرُّ لَهُ بِالفَضْلِ وَالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالوِلَايَةِ الكُبْرَى وَعَظِيمِ المَكَانَةِ وَكَمَالِ الإِحْسَانِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ، وَصَارَ لَهُ ذَلِكَ عَادَةً، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الإِذَايَةِ وَعَدَمِ الإِحْسَانِ رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ[2] مِنَ الإِذَايَةِ وَالإِصْرَارِ، وَتَابُوا إِلَى اللَّهِ، وَسَأَلُوا مِنْهُ الصَّفْحَ وَالعَفْوَ وَالإِسْتِغْفَارِ، فَعَادُوا إِلَى أَحْسَنِ حَالٍ، وَأَكْمَلِ مَقَالٍ ، وَيَطْلُبُونَ مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُسَامِحَهُمْ وَيَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ فَيُسَامِحُهُمْ، وَيَدْعُوَا لَهُمْ وَيَحِنَّ عَلَيْهِمْ، وَيُشْفِقَ مِنْهُمْ، وَيَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ، وَيَتَعَاهَدَهُمْ وَيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْأَلَ عَنْهُمْ، فَهَذَا حَالُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ[3] إِلَّا أَكَابِرُ الصِّدِّيقِينَ، وَأَصْفِيَاءُ العَارِفِينَ.

وَمَعَ كَثْرَةِ اشْتِغَالِهِ بِهَذِهِ الأُمُورِ، لَا يُفَرِّطُ فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنَ القُرُبَاتِ، بَلْ مَا زَادَ إِلَّا جِدّاً وَاجْتِهَاداً فِي الطَّاعَةِ، فَإِذَا أَتَى[4] وَقْتُهُ الَّذِي يَتَفَرَّغُ فِيهِ لِلعِبَادَةِ، نَبَذَ كُلَّ السِّوَى وَرَاءَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِمَا أَهَّلَهُ لَهُ، وَلِمَا أَرَادَهُ، وَمِنْ عَظِيمِ صَبْرِهِ صَبْرُهُ عَلَى الأَمْرَاضِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَفِي دَارِهِ وَعِيَالِهِ، فَلَا أَصْبَرَ مِنْهُ[5] ، فَلَا[1] يَخْلُو عَنِ الأَمْرَاضِ فِي

---

[1]- ي: يخص

[2]- ح: إليه

[3]- ح ل ص: لا يقدر عليه أحد

[4]- ك: جاء

[5]- ل: فلا أصبر منه رضي الله عنه

فِي دَارِهِ عَلَى الدَّوَامِ ، وَلَا فِي نَفْسِهِ عَلَى مَمَرِّ[2] اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، فَصَبْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّاتِ، وَتَحَمُّلُهُ لِلْمُعْضِلَاتِ، لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، وَكُلُّ مَنْ شَكَا إِلَيْهِ سَلَّاهُ بِالصَّبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الدَّارَ[3] إِنَّمَا خُلِقَتْ لِلْبَلَايَا وَالرَّزِيَّاتِ .

وَأَمَّا عُلُوُّ هِمَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ بِدَايَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى بُلُوغِهِ فِي ذَلِكَ النِّهَايَةَ وَكَمَالَ الغَايَةِ[4] ، فَبِالوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ، يَتَبَيَّنُ مَا لَهُ مِنَ القَدَمِ هُنَالِكَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضاً[5] إِشَارَتُهُ وَكَلَامُهُ، وَمَكَانُهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَمَقَامُهُ، إِذْ هَؤُلَاءِ المَخْصُوصُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِحَالِهِمْ، وَيُنْبِئُونَ عَنِ الطَّرِيقِ عَلَى حَسَبِ سَيْرِهِمْ[6] فِيهِ وَتِرْحَالِهِمْ، وَلَا تَجِدُ كَلَامَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا رَافِعاً لِهِمَّتِكَ إِلَى اللَّهِ، صَارِفاً لَكَ عَنْ[7] سِوَاهُ، لَا يَقِفُ بِكَ دُونَهُ، وَلَا يَرْضَى لِأَحَدٍ الإِلْتِفَاتَ لِغَيْرِهِ[8] ، وَلَا النَّظَرَ[9] إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ عَالٍ نَفِيسٍ، يُعْجِزُ العُقُولَ فَهْمُهُ، وَيُعْوِزُ القَلَمَ[10] خَطُّهُ وَرَسْمُهُ.

وَيُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ تَقْرِيرَاتِهِ وَكَلَامِهِ، وَعِبَارَاتِهِ وَإِشَارَاتِهِ، وَحَلِّ مُشْكِلَاتِهِ، فِي فُنُونِ العُلُومِ بِأَسْرِهَا عِنْدَ جَوَابِهِ عَلَى المَسَائِلِ فِي إِمْلَائِهِ، وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ أَهْلِ[11] الظَّاهِرِ وَبَيْنَ

---

[1]- ل: إذ لا يخلو

[2]- ح ك ع ل هـ ق ص: مر

[3]- ل: ويقول إن هذه الدار

[4]- ل: الغاية وكمال النهاية

[5]- ح: "أيضا" محذوفة

[6]- ل: حلهم

[7]- ح ل ي هـ: عمن

[8]- ل: ولا يرضى بأحد أن يلتفت إلى غيره

[9]- ل: ولا أن ينظر

[10]- ل: الأقلام

[11]- ك: لأهل

عُلُومِ العَارِفِينَ بِسُورٍ، وَأُلْقِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا حُجُبٌ وَسُتُورٌ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِعَوَارِفِ مَعَارِفِهِ وَإِمْدَادِهِ، كَمَا قِيلَ:

مَـــا أُبِـينَـتْ لَـــكَ الـمَعَـالِمُ إِلَّا * لِـتَـرَاهَا بِـعَـيْـنِ مَـــنْ لَا يَـرَاهَـا
فَارْقَ عَنْهَا رُقِيَّ مَنْ لَيْسَ يَرْضَى * حَـــالَـــةً دُونَ أَنْ تَـــرَى[1] مَـــوْلَاهَـا

وَالعَارِفُونَ مِنْ بَحْرٍ وَاحِدٍ يَغْتَرِفُونَ، وَعُلُومُهُمْ نَتَائِجُ يَقِينٍ وَإِيمَانٍ، لَا نَتَائِجَ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ، جَعَلَنَا اللَّهُ فِي حِمَاهُمْ، وَرَزَقَنَا مَحَبَّتَهُمْ وَرِضَاهُمْ، وَأَمَّا رَفْعُ هِمَّتِهِ عَنِ الخَلْقِ فَإِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَايَةٍ مِنَ الإِنْقِطَاعِ عَنْهُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَرْجُوا إِلَّا إِفْضَالَهُ وَإِحْسَانَهُ، قَدْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ لَمَّا أَقْبَلَ عَلَى مَوْلَاهُ، وَخَلَّفَهُمْ فِيمَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ، لَا يُبَالِي بِإِقْبَالٍ مِنْهُمْ[2] وَلَا بِإِعْرَاضٍ، وَلَا بِسَخَطٍ وَلَا بِتَرَاضٍ، سَوَاءٌ المُقْبِلُ وَالشَّارِدُ، وَالمُقَارِبُ وَالمُبَاعِدُ، وَالذَّامُّ وَالحَامِدُ، وَالمُقِرُّ وَالجَاحِدُ، لَا رُكُونَ لَهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا مُعَرَّجَ لَهُ عَلَيْهِمْ، غِنىً مِنْهُ بِمَوْلَاهُ، وَاكْتِفَاءً بِمَا بِهِ تَوَلَّاهُ، (لَا يُوَالِيهِمْ ظَاهِراً، كَمَا لَا يُشَارِكُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ بَاطِناً)[3]، قَدْ قَطَعَ عَنْهُمْ مِنَّتَهُمْ بِمَرَّةٍ. وَنَبَذَ كُلَّ أَحَدٍ نَفْعَهُ وَضُرَّهُ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ كَائِناً مَنْ كَانَ[4] مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً، وَلَا جَلِيلاً وَلَا حَقِيراً ، حَتَّى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَسُومَهُ بِعَطِيَّةٍ وَلَا بِهَدِيَّةٍ.

نَشَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى هَذِهِ السِّيرَةِ السَّنِيَّةِ، وَالأَحْوَالِ المُنِيفَةِ السُّنِّيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ[5] حَتَّى وَقَعَ لَهُ الإِذْنُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالقَبُولِ وَعَدَمِ الرَّدِّ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ

---

[1]- ل: يرى

[2]- ي: لا يبالي منهم بإقبال

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ل: لا يقبل من أحد شيئا كائنا ما كان

[5]- ل: ولم يزل هكذا حتى

لَا[1] يَرُدُّ، لَكِنْ هُنَاكَ مَنْ يَقْبِضُهُ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا شَاءَ فِي دَارِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ التَّصَرُّفَاتِ، وَبَعْضٌ يَقْبِضُهُ لَكِنْ يَصْرِفُهُ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الْمُوَاسَاتِ[2] لِلْمَسَاكِينِ وَذَوِي الفَاقَاتِ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْ مُجَازَاتِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَيَقْبَلُ مِنْهُمْ فِي الظَّاهِرِ، وَيُجَازِيهِمْ بِالدُّعَاءِ وَغَيْرِهِ لِأَجْلِ أَنْ لَا تَكُونَ مِنَّةٌ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَأْبَى هِمَّتُهُ أَنْ تَكُونَ لِلخَلْقِ يَدٌ عَلَيْهِ لِفَسَادِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَفَسَادِ أَغْرَاضِهِمْ.

وَقَدْ شَاهَدْتُ يَوْماً وَأَنَا حَاضِرٌ عِنْدَهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي جَعَلْتُ لَكَ مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا مَحَبَّةً فِيكَ وَهَدِيَّةً لَكَ، فَقَبِلَ مِنْهُ ذَلِكَ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَسَرَّ لَهُ فِي أُذُنِهِ، قَالَ لَهُ: سَيِّدِي أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَفْعَلَ لِي مَا هُوَ كَيْتُ وَكَيْتُ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ارْفَعْ مَتَاعَكَ[3] ، وَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ ، وَكُنْتُ جَالِساً أَيْضاً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَتَاهُ إِنْسَانٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَدَفَعَ لِي دَرَاهِمَ بِقَصْدِ الزِّيَارَةِ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] ، فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي خُذْ هَذِهِ الصَّدَقَةَ الَّتِي أَتَيْتُكَ بِهَا، فَقَالَ لِي: ارْدُدْ عَلَيْهِ مَتَاعَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَحِلُّ لِي الصَّدَقَةُ إِنَّمَا أَنَا غَنِيٌّ عَنِ الصَّدَقَةِ، وَيَتَحَرَّزُ مِنْ مَقَاصِدِ العَامَّةِ غَايَةً، وَيَدْفَعُهُمْ[5] عَنْهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَسُئِلَ[6] يَوْماً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ قَبُولِ الهَدَايَا مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْبَلُهَا ، فَقَالَ: كَانَتِ الهَدِيَّةُ هَدِيَّةً وَاليَوْمَ صَارَتْ رَشْوَةً[7] ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا أَهْدَى أَحَدُهُمْ شَيْئاً لِغَيْرِهِ أَوْ قَضَى لَهُ حَاجَةً لَمْ يَمْكُثْ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ[8] بَعْضِ أَغْرَاضِهِ، وَلَا يُهْدَى فِي الغَالِبِ إِلَّا لِذَوِي الجَاهِ دِينِي أَوْ دُنْيَوِي، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جَاهٌ لَا يَهْدُونَ لَهُ

---

[1]- أ ي ك ح ع هـ ق ص م: لم. وأثبتنا لفظ (لا) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- أ ح ع م: المساوات

[3]- ل: ارفع متاعك فلا حاجة لي به

[4]- ل: قاصداً بذلك مواصلة الشيخ رضي الله عنه

[5]- ي: ويدفع عنه

[6]- ل: وقد سئل

[7]- ل: وأما الآن فهي رشوة

[8]- ي: "طلب" محذوفة

أَبداً. كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مِنْ حَالِ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا، وَلَا يُعْطُونَ شَيْئاً بِقَصْدِ المَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ وَالإِيخَاءِ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يُعْطُونَ لِتَحْصِيلِ أَغْرَاضِهِمْ الفَاسِدَةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ، حَتَّى صَارَتْ وَلَائِمُهُمْ مِنْ هَذَا المَعْنَى الفَاسِدِ.

وَلِهَذَا تَحَرَّزَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَقَاصِدِ العَامَّةِ لِفَسَادِهَا، وَلَا يُخَالِطُهُمْ عَلَى[1] مَا[2] هُمْ هُمْ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ، وَرُبَّمَا يَتَوَجَّهُ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا طَلَبُوهُ فِي ذَلِك، لَكِنَّهُ لَا يُكَلِّفُ أَحداً[3] بِإِسْقَاطِ حَقِّهِ، وَيُنَبِّهُ عَلَى ذَلِك بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُحَافَظَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ.

وَمِنْ صِفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَؤُمُّ أَحَداً إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي دَاخِلِ دَارِهِ وَعِيَالِهِ، وَيُصَلِّي هُوَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَانِعٌ شَرْعِي[4] كَأَخْذِهِمْ[5] لِلرَّشْوَةِ أَوْ[6] غَيْرِهِ[7] فَلَا[8] يُصَلِّي وَرَاءَهُمْ، وَهَذَا كَانَ فِي ابْتِدَائِهِ[9]، **وَكَانَ لَهُ إِمَامٌ وَهْوَ العَالِمُ العَلَّامَةُ** الفَهَّامَةُ الدَّرَّاكَةُ، الجَامِعُ بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالإِفَادَةِ وَعُلُومِ الطَّرِيقَةِ، (خَازِنُ سِرِّهِ، وَحَافِظُ عَهْدِهِ، وَمَحَلُّ وِدِّهِ، وَخَلِيلُ أُنْسِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ)[10] **سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ[11] المَشْرِي،** الشَّرِيفُ المُنِيفُ، الكَامِلُ

---

[1]- أ ك ع هـ: "على" محذوفة

[2]- أ ك ع هـ: فيما

[3]- ي: أحد

[4]- ل: مانع شرعي في ذلك الإمام

[5]- ل: من أخذ رشوة أو نحوه

[6]- ك: "أو" محذوفة

[7]- ك: وغيره

[8]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: ولا

[9]- ل: هكذا شأنه في ابتداء أمره

[10]- ي: ما بين القوسين محذوف

[11]- ح: "بن" محذوفة

العَفِيفُ، الحَسَنِيُّ السَّائِحِيُّ السُّبَاعِي أَصْلاً، التَّكرْتِي مَوْطِناً[1] مِنْ خَطِّ الجَرِيدِ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ عَمَالَةِ اقْسَمْطِينَةَ ، وَدَارُهُمْ دَارُ عِلْمٍ وَصَلَاحٍ (وَرَشَادٍ وَفَلَاحٍ)[2]، وَلَا زَالُوا إِلَى الآنَ[3] مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ، (وَالأَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ)[4].

وَجُلُّهُمْ[5] أَخَذُوا طَرِيقَةَ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَقْصِدُونَهُ بِالزِّيَارَةِ مِنْ بَلَدِهِمْ نَحْوَ عِشْرِينَ يَوْماً يَوْماً أَوْ أَزْيَدَ، وَيَأْتُونَ بِالأَمْوَالِ العَظِيمَةِ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ دَرَاهِيمَ وَكِسْوَةٍ وَتَمْرٍ، وَقَدْ وَافَيْتُهُمْ مِرَاراً مُتَعَدِّدَةً عِنْدَ سَيِّدِنَا وَلَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُمْ سَمْتاً وَدِيناً وَعِلْماً، وَجُلُّهُمْ عُلَمَاءُ، مُنْذُ عَرَفْنَا[6] سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَأْتِيهِ الوُفُودُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي وَالهَدَايَا مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُمْ فِي الأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ، وَيُعَامِلُهُمْ سَيِّدُنَا[7] بِمَا لَا يُعَامِلُ بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ الإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَبِعَدَمِ المُبَالَاتِ بِهِمْ[8] كَمَا يَفْعَلُ مَعَ غَيْرِهِمْ، فَكَلَّمْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لِي:

لَيْسُوا كَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا يَطْلُبُونَ المَقَامَاتِ العَلِيَّةِ، وَالأَحْوَالَ السَّنِيَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا حَرَمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِن خَيْرِ هَذَا السَّيِّدِ الكَرِيمِ، وَلَا زَالَ هَذَا السَّيِّدُ[9] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[10] مَعَ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِيَةٍ[11] وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ إِلَى الآنَ، وَهُوَ مَعَ سَيِّدِنَا بِفَاسٍ عَامَ

---

[1]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: الموطن التكرتي

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل: ولا زالوا إلى الآن كذلك

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: وجل أهل بلده

[6]- ل: حتى أني منذ عرفت

[7]- ح ع ك ل هـ ق ص: سيدنا رضي الله عنه

[8]- أ ي: لهم

[9]- ل: ولا زال هذا السيد الإمام المتقدم ذكره

[10]- ل: "رضي الله عنه" محذوفة

[11]- ل: ثمان

ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، فَلَمَّا وَصَلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَمَانِيَةٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، تَصَدَّى لِلإِمَامَةِ بِنَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمُوجِبٍ قَامَ بِهِ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ، وَلَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ إِلَّا بِنَفْسِهِ ، إِلَّا إِنْ[1] قَامَ بِهِ عُذْرٌ شَرْعِي، فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي إماماً بِالنَّاسِ إِلَى الآنَ، وَلَا يُصَلِّي خَلْفَ أَحَدٍ إِلَّا فِي الجُمُعَةِ، وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ.

وَأَمَّا شِدَّةُ احْتِيَاطِهِ فِي مُعَامَلَاتِهِ وَمُنَاوَلَتِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَبِأَهْلِهِ مِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَشْتَرِي حَاجَةً مِمَّنْ عَلِمَ بِمَكْسَبِ الحَرَامِ أَوْ[2] أَنَّهُ[3] يُخَالِطُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ جَانِبِ المَخْزَنِ ، أَوْ يَكُونَ[4] اخْتَلَطَ اخْتَلَطَ مَالُهُ بِمَالِهِ، وَهَذَا دَأْبُهُ وَدَيْدَنُهُ، وَكَثِيراً مَا يَنْهَى أَصْحَابَهُ عَنْ مُخَالَطَةِ هَؤُلَاءِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى رُكُوبِ مَتْنِ الوَرَعِ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي الحَرَامِ، فَيَقُولُ: مَا لَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي لَا أَرْضَاهُ لِغَيْرِي، وَمَا لَا أَفْعَلُهُ لَا آمُرُ بِهِ.

وَمِنْ وَرَعِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ[5] لَا يَأْخُذُ شَيْئاً وَلَوْ كَانَ تَافِهاً[6] مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّنْ لَا يَتَّقِي الحَرَامَ وَلَا يَتَحَرَّى فِي مَكْسَبِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَفْعَلُهُ وَلَا يُحِبُّ مَنْ يَفْعَلُهُ. وَمِنْ وَرَعِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْمِلُ فِي عِبَادَتِهِ وَأُمُورِ دِيَانَتِهِ إِلَّا مَا خَلُصَتْ طَهَارَتُهُ خُلُوصاً تَامّاً كَامِلاً، مُبَالِغاً فِي الإِحْتِيَاطِ لِدِينِهِ وَإِتْقَانِ عِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ وُصْلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الخَوَاصِّ مِنَ المُخْلِصِينَ ، فَيَتَحَرَّى مِنَ البُقْعَةِ وَالمَاءِ[7] أَطْيَبَ مَحَلّاً، وَأَصْفَى حِلّاً.

وَمِنْ وَرَعِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ[8] إِذَا أَعْطَى شَيْئاً لَا يُحِبُّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ[1] لَا بِشِرَاءٍ وَلَا بِهِبَةٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا، وَبِالجُمْلَةِ فَوَرَعُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ قَدْ بَلَغَ الغَايَةَ، وَوَصَلَ النِّهَايَةَ[2] ، لَا تَدُورُ

---

[1]- ل: إذا

[2]- ل: "أو" محذوفة

[3]- ل: وأنه

[4]- ل: من

[5]- ل: أن

[6]- أ ح ك هـ: تفيها

[7]- ك: من الماء والبقعة

[8]- ك ع: "أنه" محذوفة

مُعَامَلَتُهُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا تَصِيرُ إِلَّا إِلَيْهِ، عَلَى بَصِيرَةٍ فِي سَبِيلِهِ، وَمَعْرِفَةٍ لِدَلِيلِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا رَخَّصَ لِنَفْسِهِ فِي أَكْلِ المُتَشَابِهِ، فَهَا هُوَ ذَاهِبٌ إِلَى أَكْلِ الحَرَامِ. وَيَقُولُ: إِنَّ أَصْلَ الوَرَعِ اتِّقَاءُ الشُّبُهَاتِ، وَالمُدَاوَمَةُ عَلَى أَكْلِ الحَلَالِ مَعَ الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا زُهْدُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَا أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَكْثَرَ مُبَاعَدَةً عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا فِيمَا رَأَيْنَاهُ، وَلَا فِيمَا سَمِعْنَاهُ، قَدْ أَحْرَزَ قَصَبَةَ السَّبْقِ فِي مَرَاتِبِهِ الثَّلَاثَةِ[3] ، وَمَآثِرُ سَيِّدِنَا أَبِي العَبَّاسِ الشَّاهِدَةِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَدَلَائِلُ[4] قَضَايَاهُ الظَّاهِرَةِ وَأَفْعَالِهِ[5] الصَّادِرَةِ فِيهِ غَزِيرَةٌ، لَا يُسْتَقْصَى[6] شَيْءٌ مِنْ جُزْئِيَاتِهَا، وَلَا بَعْضٌ مِنْ آيَاتِهَا، وَتَقَدَّمَتْ حِكَايَاتٌ تُنْبِئُ عَنْ هَذَا المَعْنَى فِي بَابِ كَرَمِهِ وَسَخَائِهِ.

وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الجَاهِ وَالظُّهُورِ، فَإِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَزَالُ يَلْتَمِسُ الخَفَاءَ وَالإِخْمَالَ[7]، فِي زَوَايَا الإِغْفَالِ وَالإِهْمَالِ، لَا يُبَالِي بِإِدْبَارٍ مِنَ الخَلْقِ وَلَا بِإِقْبَالٍ، وَيَفِرُّ مِنْ مُلَاقَاتِ ذَوِي الوَجَاهَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَيُحَذِّرُ مِنْ مُلَاقَاتِهِمْ وَيَقُولُ: إِنَّهَا فِتْنَةٌ فِي الدِّينِ. وَيَكْرَهُ أَنْ يَعْرِفَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُتَخَيَّلَ صِدْقُهُ وَيَعْلَمَ أَنَّ مَجِيئَهُ لِلَّهِ، فَيَرْجُوا لَهُ الخَيْرَ وَيَعِظُهُ وَيُذَكِّرُهُ وَيَنْصَحُهُ، وَعَادَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ.

فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى هَذَا السَّيِّدِ الجَلِيلِ، وَمَنْفَعَتِهِ العَامَّةِ لِلإِسْلَامِ وَهُوَ الكَفِيلُ. وَمِنْ زُهْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الجَاهِ مَا وَقَعَ لَهُ مَعَ بَعْضِ الأُمَرَاءِ مِنْ تَرْكِهِ لِمُلَاقَاتِهِمْ بَعْدَ طَلَبِهِمْ لَهُ فِي المُلَاقَاتِ، فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ امْتِنَاعاً كُلِّيّاً، فَقَدْ رَقَى سَيِّدُنَا أَبُو العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَكَاناً مَكِيناً، وَلَاحَ فِي سَمَائِهِ نُوراً مُبِيناً، يَعْرِفُ كُلَّ ذَلِكَ مَنْ صَاحَبَهُ وَخَالَطَهُ، وَمَارَسَ أَحْوَالَهُ

---

[1]- ل: أن يعود إليه بوجه من الوجوه

[2]- ل: ووصل منه إلى النهاية

[3]- ل: الثلاث

[4]- ح ك: ودليل

[5]- أ ح ع ق ص: وأفاعله

[6]- ل: لا تستقصى

[7]- ل: الخمول

وَأَفْعَالَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حُرِّيَتِهِ كَمَا قَالَ القُشَيْرِيُ: هِيَ أَنْ[1] لَا يَكُونَ العَبْدُ بِقَلْبِهِ تَحْتَ رِقِّ شَيْءٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، فَيَكُونَ فَرْدَ الفَرْدِ لَمْ يَسْتَرِقْهُ عَاجِلُ دُنْيَا وَلَا آجِلُ آخِرَةٍ ، وَلَا يَمْلِكُ قَلْبَهُ شَيْءٌ، لَا يَرَى المَالِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَسْتَوْلِي عَلَى قَلْبِهِ سِوَاهُ.

وَسُئِلَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الحُرِّ، فَأَجَابَ بِمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهِ. وَمَا تَرَى أَحَداً كَمُلَ فِي هَذَا الوَصْفِ مِثْلَ مَا كَمُلَ فِيهِ سَيِّدُنَا أَبُو العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هُوَ الحُرُّ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَالمُمْتَازُ بِوَصْفِ الحُرِّيَّةِ عَلَى الخَلِيقَةِ، كَمَا قِيلَ:

أَتَمَنَّى عَلَى الزَّمَانِ مُحَالاً * أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرِّ

وَلَا تَظُنَّ بِبَالِكَ، أَوْ تَتَوَهَّمَ فِي خَيَالِكَ، أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ عَصْرِكَ وَمِصْرِكَ، وَبِلَادِكَ وَقُطْرِكَ، لَهُ مِنْ وَصْفِ الحُرِّيَّةِ مَا لِشَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوْ يُحَاكِي فِيهِ تَمَامَهُ وَكَمَالَهُ، ذَلِكَ وَصْفٌ أَنْوَارُهُ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ، وَآثَارُهُ فِيهِ وَاضِحَةٌ، وَأَمْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ شَهِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَى ذِي مَيْزٍ مِنْ[2] كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ، رَزَقَنَا اللَّهُ رِضَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[3] .

الفَصْلُ الثَّالثُ فِي دَلَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِهِ عَلَيْهِ وَسَوْقِهِ الأَقْوَامَ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَيْهِ

قَدْ شَرِبَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ هَذَا الحُبِّ الشَّرِيفِ مَا أَرْوَاهُ[4] ، وَنَهَلَ مِنْ بَحْرِهِ العَظِيمِ وَمَدَدِهِ الجَسِيمِ مَا أَخَذَ بِجَمِيعِ عَوَالِمِهِ وَقُوَّاهُ، وَأَفْنَاهُ عَنْ[1] كُلِّ مَعْلُومٍ وَمَرْسُومٍ، وَغَيَّبَهُ أَبَداً[2]

---

[1] - أ ي ك ح ع هـ ق ص: "هي أن" محذوفة

[2] - ي: "من" محذوفة

[3] - أ ك: "تسليما" محذوفة

[4] - ح ك: رواه

فِي الوَاحِدِ القَيُّومِ، فَانْصَبَغَتْ بِالتَّوْحِيدِ حَقِيقَتُهُ، وَامْتَزَجَتْ بِهِ ذَاتُهُ وَهُوِيَّتُهُ، وَتَكَيَّفَتْ بِهِ رُوحُهُ وَنَفْسُهُ، وَمَعْنَاهُ وَحِسُّهُ، وَقَالَبُهُ وَقَلْبُهُ، وَعَقْلُهُ وَلُبُّهُ، فَصَارَتْ أَحْوَالُهُ وَأَقْوَالُهُ، (وَخِلاَلُهُ وَفِعَالُهُ)[3] وَحَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ، (وَتَقَلُّبَاتُهُ وَتَصَرُّفَاتُهُ)[4] ، كُلُّهَا دَالَّةً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَامِعَةً عَلَى اللَّهِ وَأَبْوَاباً[5] لِوُصُولِهِ، لَا تَدْعُوا إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تَحُومُ إِلَّا عَلَيْهِ، (وَلَا تُوقِفُكَ إِلَّا بِبَابِهِ، وَلَا تُسْنِدُكَ إِلَّا لِعَلِيِّ[6] جَنَابِهِ)[7].

إِذَا رَأَيْتَهُ ذَكَرْتَ اللَّهَ، وَأَنْسَيْتَ[8] مَا سِوَاهُ، وَاسْتَيْقَظْتَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَانْقَشَعَتْ عَنْكَ سَحَائِبُ الغَفْلَةِ، وَوَجَدْتَ بِقَلْبِكَ تَعْظِيماً، وَإِجْلَالاً وَتَكْرِيماً، وَإِذَا جَالَسْتَهُ تَدَارَكَتْكَ لَمَحَاتُهُ، وَسَرَتْ[9] فِيكَ نَفَحَاتُهُ، وَعَلِقَ بِكَ طَيِّبُهُ الفَائِحُ، وَرَأَيْتَ حُسْنَهُ الوَاضِحَ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ، وَنُورُ النُّبُوءَةِ فِيهِ لَائِحٌ، لَا يَخِيبُ أَبَداً جَلِيسُهُ، وَلَا يَعْدَمُ شَيْئاً مِنَ الخَيْرَاتِ أَنِيسُهُ، كَمَا قَالَ فِيهِ بَعْضُ مَادِحِهِ[10] :

هُوَ مِنْ أُنَاسٍ لَا يَخِيبُ جَلِيسُهُمْ . **البَيْتُ.**

---

[1] - ع: على

[2] - ح: أحدا

[3] - ح: ما بين القوسين محذوف

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

[5] - ح: وبابا

[6] - ح ل: على

[7] - ح: ما بين القوسين محذوف

[8] - ل ك: ونسيت

[9] - ح: وسارت

[10] - ل: مادحيه

يُقْدِحُ النُّورَ فِي قَلْبِ مَنْ أَبْصَرَهُ، وَيَبُثُّ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِيمَنْ حَضَرَهُ، وَيَزُجُّ فِي الذِّكْرِ مَنْ غَشِيَهُ، وَيَقْذِفُ فِي الجِدِّ مَنْ لَقِيَهُ، (رُؤْيَتُهُ طِبٌّ لِلْقُلُوبِ، وَكَلَامُهُ شِفَاءٌ مِنَ العُيُوبِ)[1] ، مَجْلِسُهُ[2] مَجْلِسُ حِلْمٍ وَوَقَارٍ، وَإِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ، لَا يَبْتَدِئُهُ أَحَدٌ بِالكَلَامِ غَالِباً، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ صَائِباً، بَلْ يَفْتَتِحُهُ هُوَ إِنْ أَرَادَ، فَتَحْصُلُ[3] بِهِ البُغْيَةُ وَالمُرَادُ، لَا يُكْثِرُ الحَاضِرُونَ مِنَ الكَلَامِ لَدَيْهِ، وَلَا يَتَسَابَقُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَيْهِ، (بَلْ دَأْبُهُمْ الإِنْصَاتُ وَالأَدَبُ، إِلَّا مَنْ تَوَجَّهَ لَهُ مِنْهُ الخِطَابُ وَالطَّلَبُ، عَظِيمُ الهَيْبَةِ، جَلِيلُ الهَيْئَةِ، ذُو مَهَابَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَسَطْوَةٍ قَاهِرَةٍ)[4] ، لَا يُفَاجِئُهُ أَحَدٌ إِلَّا صَدَمَتْهُ هَيْبَتُهُ، وَلَا يُدَاخِلُهُ إِلَّا مَلَكَتْهُ مَحَبَّتُهُ، وِرَاثَةً مُحَمَّدِيَّةً، وَمِنْحَةً نَبَوِيَّةً، كُلَّمَا ازْدَدْتَ إِلَيْهِ قَرَابَةً، ازْدَدْتَ مِنْهُ مَهَابَةً.

وَلَقَدْ تُعْرَضُ لَنَا المُهِمَّاتُ[5] فَنُرِيدُ أَنْ نُخْبِرَهُ فَمَا نَسْتَطِيعُ الإِقْدَامَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُنْبِئُنَا[6] بِمَا لَدَيْهِ، وَكَثِيراً مَا يُنْبِئُنَا عَمَّا نُرِيدُهُ قَبْلَ أَنْ نَشْرَعَ فِيهِ، فَيَفْتَحُ لَنَا بِذَلِكَ البَابَ[7] فِي فِي الكَلَامِ مَعَهُ فَنَتَّبِعُهُ وَنَقْتَفِيهِ، يَتَكَلَّمُ مَعَ الإِنْسَانِ بِمَا فِيهِ[8] ،

وَيُنْبِئُنَا عَمَّا يُلَاقِيهِ وَيُوَافِيهِ[9]، وَيُبَيِّنُ[10] لَهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ أَتَمَّ تَبْيِينٍ، مِمَّا كَانَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَيُتْحِفُهُ[1] بِالدَّوَاءِ وَالعِلَاجِ فَيُبْرِئُ الخُطُوبَ[2]، وَيُزِيحُ الكُرُوبَ[3]، وَتَنْمَحِي بِأَنْوَارِهِ ظُلْمَةُ النُّفُوسِ، وَتَنْجَلِي عَنْهَا المَضَايِقُ وَالبُوسُ.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ل: ومجلسه

[3]- أ ي ك ح هـ ق ص: فيحصل

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: ولقد يعرض لنا بعض المهمات

[6]- ل: يخبرنا

[7]- ح ك ع ي ل هـ ق ص: الباب بذلك

[8]- ل: يتكلم لنا على الأمر بما فيه

[9]- ل: ويبين للإنسان ما يلاقيه ويوافيه

[10]- ل: ويشرح

يُذَكِّرُ بِالآيَاتِ[4] القُرْآنِيَةِ، وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَيَنْزَعُ[5] مِنْهَا الإِشَارَاتِ وَاللَّطَائِفَ، وَالحِكَمَ وَالمَعَارِفَ ، فَيُذَاقُ ذَلِكَ مِنْهُ ذَوْقاً، وَيَزِيدُ الحَاضِرَ مَحَبَّةً وَشَوْقاً، وَيَمْتَلِئُ القَلْبُ مِنْهُ سُرُوراً، وَفَرَحاً وَحُبُوراً، حَتَّى يَحْلِفُ الحَالِفُ عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِهِ لَكَأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُشَافِهُ نُورَهُ الأَتَمَّ، وَسِرَّهُ الأَعْظَمَ، (وَعَلَى كَلَامِهِ سَطْوَةٌ تَخْضَعُ لَهَا النُّفُوسُ، وَتَنْحَطُّ[6] لَهَا الرُّؤُوسُ، يُجِيبُ بِالحَالِ، أَكْثَرَ مِمَّا يُجِيبُ بِالمَقَالِ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ)[7] .

وَإِذَا سَمِعَ كَلَامَهُ أَحَدٌ وَخُصُوصاً مَنْ فِيهِ قَابِلِيَّةُ القَبُولِ، تَحَوَّلَ فِي الحِينِ قَلْبُهُ، وَطَارَ بِهِ إِلَى اللَّهِ لُبُّهُ، يَأْتِيهِ الإِنْسَانُ فِي كَرْبٍ وَأَحْزَانٍ، وَجُحُودٍ وَكُفْرَانٍ، (وَضَلَالٍ وَطُغْيَانٍ، وَدَنَسٍ وَأَدْرَانٍ)[8] ، فَيَعُودُ حُزْنُهُ سُرُوراً، وَجُحُودُهُ[9] شُكُوراً، (وَبُعْدُهُ حُضُوراً، وَدَنَسُهُ طَهُوراً، وَظَلَامُهُ نُوراً)[10] ، فَتَنْقَلِبُ[11] بِهِ فِي القُلُوبِ حَقَائِقُ الأَعْيَانِ، وَتَطِيبُ بِهِ الأَوْقَاتُ وَالأَحْيَانُ، وَتَجِدُهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ الرَّجُلِ[12] كَلَاماً عَادِياً وَهُوَ يَفْعَلُ فِي قَلْبِهِ الأَفَاعِيلَ، وَيَرْحَلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ المَرَاحِيلَ[13] .

---

[1]- ل: ثم يتحفه

[2]- أ ح ع ص ق: الخطب

[3]- ح: الكرب

[4]- أ ح ل هـ: الآيات

[5]- ل: ويأخذ

[6]- ك ل ع هـ ص: وتحط

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

[8]- ح: ما بين القوسين محذوف

[9]- ي: وجحده

[10]- ح: ما بين القوسين محذوف

[11]- ح: فيتقلب

[12]- ح: الرجال

[13]- ل: بعيد المراحيل

وَيُجِيبُ الرَّجُلَ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ فَيَظْفَرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَرَامِهِ، وَيَعْثُرُ عَلَى غَرَضِهِ وَغَرَامِهِ، (كَأَنَّمَا تِلْكَ الحَاجَةُ مَجَرُّ كَلَامِهِ)[1] ، وَيَشْكُوهُ[2] الرَّجُلُ بِعِلَلٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَأَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ، يَذْكُرُهَا فِي بَاطِنِهِ وَهُوَ أَمَامَهُ، فَيُجِيبُهُ عَنْهَا بِعَيْنِهَا كَأَنَّمَا[3] سَمِعَ كَلَامَهُ، فَتُشْتَفَى[4] عِلَّتُهُ، وَتَنْقَلِبُ نَظْرَتُهُ، فَيُشَاهِدُ مِنَّةَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ، وَتَفَضُّلَهُ وَامْتِنَانَهُ، وَمَا كَانَ قَطُّ شَاهَدَهَا[5] قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا تَنَبَّهَ لِمَا هُنَالِكَ.

وَيَحْضُرُهُ الحَاضِرُونَ[6] مَا بَيْنَ[7] مُتَوَجِّهٍ وَغَافِلٍ وَدُنْيَوِيٍّ وَغَيْرِهِ، فَيَعْمَلُ فِي الجَمِيعِ حَالُهُ، وَيُؤَثِّرُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِمْ مَقَالُهُ، وَيَعُمُّهُمُ الفَرَحُ، وَيَزُولُ عَنْهُمُ التَّرَحُ، حَتَّى يَظُنَّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ لَا يُبَالِي بِالدُّنْيَا أَبَدَا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا بَعْدُ سَرْمَداً، لِمَا يَلُوحُ[8] عَلَيْهِ[9] حِينَئِذٍ مِنَ اليَقِينِ بِاللَّهِ، وَالفَرَحِ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، وَيَأْتِيهِ مَنْ أُصِيبَ فِي مَالِهِ، وَبَدَنِهِ وَعِيَالِهِ، فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ المَشَقَّةِ وَالضِّيقَةِ، فَإِذَا سَمِعَ كَلَامَهُ انْزَاحَتْ عَنْهُ الأَتْرَاحُ، وَاعْتَرَاهُ السُّرُورُ وَالإِنْشِرَاحُ، كَأَنَّمَا سُقِيَ عِنْدَهُ الرَّاحَ بِالرَّاحِ[10] .

وَقَدْ[11] أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الإِخْوَانِ، وَقَدْ امْتُحِنَ بِأَخْذِ مَالِهِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ، فَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ وَأَحْوَالُهُ، وَسِرُّهُ وَعَلَانِيَّتُهُ وَأَفْعَالُهُ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَلَإٍ مِنْ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح ي: ويشكو

[3]- ي: كأنه

[4]- أ ي ك ع هـ ق ص: فتشفى

[5]- ل: يشاهدها

[6]- ل: الناس

[7]- ل: وهم ما بين

[8]- لما يلوح في باطنه

[9]- ي: إليه

[10]- ل: حتى كأنه سقاه الراح بالراح

[11]- ل: ولقد

أَصْحَابِهِ، فَجَعَلَ[1] يُنْصِتُ[2] لِكَلَامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] عَلَى عَادَتِهِ فِي الدَّلَالَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ (الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ)[4] ، وَيُرِيهِمُ أَنَّ مَا يَنْزِلُ بِالعَبْدِ مِنَ المِحَنِ الَّتِي هِيَ فِي الظَّاهِرِ نِقْمَةٌ، كُلُّهَا[5] رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٌ مِنْهُ وَنِعْمَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَجَعَلَ يُوَضِّحُ ذَلِكَ، فَتَحَوَّلَ حَالُ الرَّجُلِ لِحِينِهِ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ السُّرُورِ وَالفَرَحِ، وَيَقُولُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ، يُكَرِّرُهَا فَرَحاً مِنْهُ بِنِعْمَةِ الإِسْلَامِ الَّتِي لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَاسْتِخْفَافاً بِالدُّنْيَا الَّتِي رَزِيَهَا، وَيَقُولُ: مَا سَمِعْتُ هَذَا قَطُّ وَلَا رَأَيْتُهُ، وَلَقَدْ زُرْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الصَّالِحِينَ الأَعْيَانِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الكَلَامِ عِنْدَ[6] أَحَدٍ.

وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ، يَأْتِيهِ الرَّجُلُ فِي كَرْبٍ وَوَبَالٍ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ وَالبَالِ، وَتَعُودُ كُرْبَتُهُ عِنْدَ[7] رُؤْيَتِهِ[8] طَرَباً، وَيُبْصِرُ الحَاضِرُونَ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبًا، (ذَلِكَ لِمَا تَكَيَّفَ بِهِ مِنْ نُورِ الحَقِيقَةِ، وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لِلخَلِيقَةِ)[9] ، حَضَرْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أُحْصِيهِ وَلَا أَسْتَوْفِيهِ، فَهُوَ يَجُودُ عَلَيْهِمْ بِحَالِهِ، كَمَا يَجُودُ عَلَيْهِمْ بِمَالِهِ، (وَيَرْحَمُهُمْ بِمَا خُوِّلَهُ مِنَ المَعَارِفِ، وَرُزِقَهُ مِنَ العَوَارِفِ)[10] ، فَيَّاضُ الإِمْدَادِ، كَثِيرُ النَّفْعِ لِلْعِبَادِ، رَفِيقٌ بِالحَاضِرِ

---

[1]- ل: وجعل

[2]- أ ح ع ص: يتنصت

[3]- ل: والشيخ يتكلم رضي الله عنه

[4]- ي: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: إنما هي

[6]- ي: عن

[7]- ي: عنده

[8]- ي: "رؤيته" محذوفة

[9]- ح: ما بين القوسين محذوف

[10]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَالبَادِ، كَأَنَّمَا النَّاسُ كُلُّهُمْ أَبْنَاؤُهُ، وَإِخْوَانُهُ وَأَوِدَّاؤُهُ، لَا يَزَالُ حَرِيصاً عَلَى نَفْعِهِمْ، وَزَجِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَدَفْعِهِمْ، يَسْتَشْهِدُ كَثِيراً بِحَدِيثِ:

الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ وَيَلْهَجُ[1] بِهِ فِي كَلَامِهِ، لِكَوْنِ حَالَتِهِ تَذْهَبُ تَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَسُوقُ الخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بِمَا أَمْكَنَ، وَيَكْتَفِي بِمَا يَجِدُهُ فِي الإِنْسَانِ مِنْ قَابِلِيَّةِ الخَيْرِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَصْفٌ وَاحِدٌ، وَيَقُولُ: العَارِفُ إِذَا وَجَدَ فِيكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الخَيْرِ كَالحَيَاءِ أَوْ السَّخَاءِ[2] ، أَوْ شَيْءٍ[3] مِنَ المَحَبَّةِ مَثَلاً، أَوْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ أَوْ صِدْقِ اللَّهْجَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، عَامَلَكَ لِأَجْلِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِكَ وَحَنَّ عَلَيْكَ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ العَبْدَ بِسَبَبِ وَصْفٍ وَاحِدٍ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ غَالِبَةٌ[4] تَلْتَمِسُ السَّبَبَ، فَإِذَا وَجَدَتْ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْهُ نَزَلَتْ.

وَإِذَا شَكَى لَهُ أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَذَكَرَ لَهُ سُوءَ حَالِهِ، وَقَبِيحَ فِعَالِهِ[5] ، جَذَبَهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ذَلِكَ لِلنَّظَرِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَعَرَّفَهُ أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ بِلَا سَبَبٍ، ثُمَّ يَذْكُرُ قَوْلَ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ لَمْ نَكُنْ لِرَحْمَتِكَ أَهْلاً أَنْ نَنَالَهَا، فَرَحْمَتُكَ أَهْلٌ أَنْ تَنَالَنَا ، وَيَقُولُ: فَائِدَةُ تَذَكُّرِ العَبْدِ مَسَاوِيهِ، أَنْ يَعْلَمَ مِنَّةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَيَتَحَقَّقَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ حَيْثُ يَجِدُ نَفْسَهُ لَا يَعْمَلُ خَيْراً، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُعَافاً[6] مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، سَابِحٌ فِي بَحْرِ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، فَتِلْكَ أَثْوَابُ مُنِحَهَا مِنَ الحَقِّ مِنْ مَحْضِ الكَرَمِ وَالإِمْتِنَانِ.

وَإِذَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ بِمَا يُشِيرُ إِلَى الدَّعْوَى وَثَنَاءٍ[7] مِنْهُ[1] عَلَى نَفْسِهِ قَابَلَهُ بِالعَكْسِ، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ يَتَكَلَّمُ فِي عُيُوبِ النَّفْسِ وَدَسَائِسِهَا، وَيُظْهِرُ لَهُ خَسَائِسَهَا وَدَقَائِقَهَا، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ

---

[1] - ل: يلهج

[2] - ل: والسخاء

[3] - ح: أو شيئاً

[4] - ك: غالبا

[5] - ل: فعله

[6] - ح ي ل هـ ق ص: معافى

[7] - ل: والثناء على نفسه

العُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَالرَّذَائِلِ الَّتِي هِيَ[2] شَأْنُهَا وَوَصْفُهَا، وَلَا تُحِبُّ أَنْ تَتَّصِفَ إِلَّا بِأَوْصَافِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالكِبْرِ وَالعَظَمَةِ مَعَ أَنَّهَا لَا تُحْصَى مَعَايِبُهَا، وَلَهَا مِنَ النَّقْصِ مِثْلُ مَا لِلَّهِ مِنَ الكَمَالَاتِ، يَعْنِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَبَيْنَهَا لَهَلَكَ ، وَلَوْ أَنَّهُ[3] خَلَّى سَبِيلَهَا لَكَفَرَ بِاللَّهِ كَمَا كَفَرَ بِأَنْعُمِهِ.

وَيَقُولُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَ عَبْدٍ وَكَّلَهُ إِلَيْهَا وَلَمْ يَزِدْهُ شَيْئاً، وَإِذَا أَرَادَ رَحْمَتَهُ عَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ وَأَلْهَمَهُ شُكْرَهَا، وَجَنَّبَهُ كُفْرَهَا، وَذَلِكَ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ[4] ، وَمَا جَاءَ أَحَدٌ مُظْهِراً لِلرَّجَاءِ، غَافِلاً عَنِ اللِّجَاءِ، إِلَّا خَوَّفَهُ مِنْ سَطْوَةِ اللَّهِ وَقَهْرِهِ، وَسُرْعَةِ نُفُوذِ قَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، حَتَّى يَذْهَبَ خَائِفاً مَذْعُوراً، وَمَا جَاءَهُ خَائِفٌ أَوْ لَاهِفٌ إِلَّا سَلَّاهُ وَرَجَّاهُ، وَعَرَّفَهُ فَضْلَ مَوْلَاهُ، حَتَّى يَذْهَبَ فَرِحاً مَسْرُوراً، يُرِيدُ بِذَلِكَ جَمْعَ العَبْدِ[5] فِي الحَالَتَيْنِ عَلَى مَوْلَاهُ، وَأَنْ لَا يَقِفَ مَعَ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَإِذَا ادَّعَى أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ[6] المَحَبَّةَ، قَالَ لَهُ: مِنْ عَلَامَاتِ[7] المَحَبَّةِ السَّعْيُ فِي رِضَا المَحْبُوبِ وَالوُقُوفُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَاتِّبَاعُ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَيَنْشُدُ قَوْلَ القَائِلِ:

تَعْصِي الإِلَـهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ * هَذَا مُحَالٌ فِي القِيَاسِ بَدِيعُ
لَـوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ * إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَحَدٌ[8] عَنْ نَفْسِهِ عَمَلاً صَالِحاً لَامَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، أَوْ عَرَّفَهُ بِمَا جَهِلَ مِنْ أَمْرِهِ، فَأَخْرَجَ لَهُ دَسَائِسَ ذَلِكَ العَمَلِ وَعَلَائِلَهُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مَعْلُولٌ مَدْخُولٌ، لَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ

---

[1]- ي ل: "منه" محذوفة

[2]- أ ي ك ح ع هـ ق ص م: هو

[3]- أ ي ك ح ع هـ ق ص م: أنها

[4]- ل: وذلك هو الأصل في كل خير

[5]- ح: العباد

[6]- أ ع ي هـ ص: وإذا ادعى بين يديه أحد المحبة

[7]- ك: علامة

[8]- ل: أحد له

شَيْئاً يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَلَا عَمَلاً يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، وَلَا حَالَةً يَأْنَسُ بِهَا، وَلَا الرُّكُونَ لِشَيْءٍ إِلَّا لِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، (وَكَثِيراً مَا يَسْتَشْهِدُ بِقَوْلِهِ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ)[1] وَشَفَاعَةُ رَسُولِهِ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَدُلُّ عَلَى اللَّهِ بِصُحْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ، الدَّالِّينَ عَلَى اللَّهِ، الجَامِعِينَ عَلَيْهِ، وَالمُوصِلِينَ إِلَيْهِ، وَيَذْكُرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ**)[3] . الآيَةُ. وَحَدِيثُ: المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ[4] ، وَيَقُولُ: أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ الخُلْطَةُ وَاللُّقْمَةُ ، كُلْ مَا شِئْتَ فَمِثْلُهُ تَعْمَلُ، وَخَالِطْ مَنْ شِئْتَ فَمِثْلُهُ تَفْعَلُ .

وَشَكَوْتُهُ يَوْماً[5] سُوءَ حَالِي، فَقَالَ لِي[6] : لَا تُكَلِّمْنِي الآنَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَافْعَلْ مَا آمُرُكَ آمُرُكَ بِهِ، وَأَشَارَ عَلَيَّ فَجَالَسْتُهُ[7] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ[8] : يَا سَيِّدِي مَا أَفْضَلُ هَلِ النَّوَافِلُ وَالأَذْكَارُ وَغَيْرُ[9] ذَلِكَ أَمْ[10] مُجَالَسَةُ الأَشْيَاخِ[11] ؟ فَقَالَ بَلْ مُجَالَسَةُ الأَشْيَاخِ أَفْضَلُ لَا يُعَادِلُهَا[12] شَيْءٌ، فَجَلْسَتُكَ بَيْنَ يَدَيْ وَلِيٍّ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِمَا وَرَدَ: جُلُوسُكَ بَيْنَ يَدَيْ وَلِيٍّ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ . إلخ..

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح ع ك ي هـ ق: رسول الله

[3]- سورة الكهف، الآية 28

[4]- ل: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل

[5]- ل: وشكوت إليه يوما

[6]- أ ح ل ع هـ ق ص: "لي" محذوفة

[7]- ل ي ك هـ: بمجالسته

[8]- ح: "له" محذوفة

[9]- ل: ونحو

[10]- ي: أو

[11]- ل: المشائخ

[12]- ل: لأنها لا يعادلها

وَلَا شَكَّ أَنَّ مُجَالَسَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِرْيَاقٌ مُجَرَّبٌ لِلأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ، وَالعِلَلِ النَّفْسِيَّةِ، وَكَمْ تُعْرَضُ لَنَا وَلِغَيْرِنَا أَمْرَاضٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَتَتَرَاكَمُ عَلَى القَلْبِ ظُلُمَاتٌ رَدِيَّةٌ، فَتَنْجَلِي بِسَبَبِ[1] مُجَالَسَتِهِ[2] ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَكَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِهِ: لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ. وَيُقَالُ فِي المَعْنَى: النَّظَرُ فِي التَّقِيِّ اسْتِقَامَةٌ، وَفِي المَخْصُوصِ كَرَامَةٌ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعَبْدِهِ وَعِنَايَتِهِ، أَنْ يُسَخِّرَ لَهُ قَلْبَ مَخْصُوصٍ[3] مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ، وَيُقَالُ: كُلُّ النَّاسِ يُحِبُّونَ[4] المَخْصُوصَ، وَالحِكْمَةُ أَنْ يُحِبَّكَ المَخْصُوصُ، وَمَنْ لَمْ يَلْقَ صَاحِبَ بَصِيرَةٍ، لَمْ تُفْتَحْ لَهُ بَصِيرَةٌ، وَلَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ تَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَهْداً بِلِسَانِكَ، وَتَعْتَقِدُ مَشْيَخَتَهُ بِجِنَانِكَ[5] ، إِنَّمَا شَيْخُكَ مَنْ جَذَبَكَ مِنْ قَلْبِكَ[6] ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ[7] لُبِّكَ، وَنَفَعَتْكَ نَظْرَتُهُ، وَحَاطَتْكَ هِمَّتُهُ.

وَيُخَاطِبُ[8] كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ، وَعَلَى حَسَبِ عِلْمِهِ ، وَبِمَا يَلِيقُ مِنْ حَالِهِ، وَيَنْبَغِي لِأَمْثَالِهِ، فَيُخَاطِبُ[9] الجَاهِلَ بِالتَّعَلُّمِ[10] ، وَالعَالِمَ بِالعَمَلِ[11] ، وَذَا المَعْصِيَةِ بِالتَّوْبَةِ، وَذَا الطَّاعَةِ بِعَدَمِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَبِرَجَاءِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِيهَا، وَيُعْجِبُهُ المُشْفِقُ مِنْ عِصْيَانِهِ، وَيَرِقُّ لَهُ وَيَحِنُّ عَلَيْهِ، وَيَدُلُّ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ حَالٍ[12] ، وَفِي كُلٍّ مِنَ الطَّاعَةِ وَالمَعْصِيَةِ

---

[1]- ح: "بسبب" محذوفة

[2]- ح: فتنجلي بمجالسته

[3]- ل: قلبا مخصوصا

[4]- ح: يحب

[5]- ي: بجنابك

[6]- ح ي: بقلبك

[7]- ح: بجامع

[8]- ل: وخاطب

[9]- ل: فيأمر

[10]- ل: بالتعليم

[11]- ل: بالعمل بعلمه

[12]- ل: وقت

دَلَالَةٌ عَلَى اللَّهِ، فَالطَّاعَةُ تَدْعُوا إِلَى شُكْرِ اللَّهِ، وَالمَعْصِيَةُ تُلْجِئُ لِلتَّوْبَةِ[1] إِلَى اللَّهِ ، وَالنِّعْمَةُ وَالنِّقْمَةُ كَذَلِك، هَذِهِ تُفْرِحُك بِمَوْلَاكَ، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ بِهَا إِلَيْهِ شَكْوَاك، وَيَذْكُرُ قَوْلَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: مَنْ لَمْ يُقْبِلْ[2] عَلَى[3] اللَّهِ بِسَوَابِغِ[4] الإِمْتِنَانِ، سِيقَ إِلَيْهِ بِسَلَاسِلِ الإِمْتِحَانِ.

وَيُجِيدُ الكَلَامَ فِي هَذَا الأُسْلُوبِ جِدّاً، **وَيَتَفَنَّنُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ[5] تَفْنِيناً**، وَيَتَلَوَّنُ فِيهَا تَلْوِيناً، وَيُبَيِّنُ فِيهَا كَيْفِيَاتٍ طَرَائِقَ، وَخَفِيَّاتٍ حَقَائِقَ، فَتَارَةً يَأْتِيهَا مِنْ حَيْثُ الأَرْضِيَّاتُ، وَتَارَةً مِنْ حَيْثُ[6] السَّمَاوِيَّاتُ، وَيُوَضِّحُ فِي طَرِيقَيْ[7] الجَذْبِ وَالسُّلُوكِ لِأَهْلِهِمَا[8] مَهَامَّهُ فَيْحاً، تَارَةً تَارَةً تَصْرِيحاً وَتَارَةً[9] تَلْوِيحاً،

وَيَجْرِي فِي كَلَامِهِ مِنْ[10] ذَلِكَ مَا لَا تُدْرِكُهُ العُقُولُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ النُّقُولُ، مَجَالِسُهُ فِي ذَلِكَ رِيَاضٌ مُزْهِرَةٌ، كُلُّ مَجْلِسٍ وَمَا يَتَّفِقُ[11] فِيهِ بِحَسَبِ حُكْمِ الوَقْتِ، وَمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ لَهُ وَعَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَرْزَاقِ الحَاضِرِينَ.

وَرُبَّمَا يُقَرِّرُ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِنْ ذَلِكَ أَنْوَاعاً مُنَوَّعَةً، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ[1] مَعَارِفٍ وَأَسْرَارٍ[2] وَأَسْرَارٍ[2] ، وَتَذْكِرَةٍ وَاعْتِبَارٍ[3] ، وَحَمْلٍ عَلَى شُكْرٍ وَاصْطِبَارٍ، وَسُكُونٍ تَحْتَ مَجَارِي الأَقْدَارِ ،

---

[1]- ح ل: إلى التوبة

[2]- ح: ينفذ

[3]- ح: إلى

[4]- ي: بسوابق - م: بصوابغ

[5]- ي: "على الله" محذوفة

[6]- ل: جهة

[7]- ي: طريق

[8]- ي ح: لأهلها

[9]- ل: وآخرى

[10]- ح: "من" محذوفة

[11]- ي: يتعلق

وَحَمْلٍ عَلَى العَمَلِ، وَتَرْكِ الأَمَلِ ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، وَتَقْرِيبٍ وَتَحْبِيبٍ، وَتَبْشِيرٍ وَتَحْذِيرٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي فِي مَحْفِلٍ وَاحِدٍ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ كُلٌّ مِنَ الحَاضِرِينَ[4] نَصِيبَهُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ كُلٌّ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ، وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْهَا، وَتَجِدُهُ إِذَا تَكَلَّمَ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الدَّلَالَةِ أَمْتَعَ[5] فِيهَا جِدّاً، وَأَوْسَعَ فِيهِ المَجَالَ وَيُشْفِي مِنْهُ صُدُورَ الرِّجَالِ، بِعِبَارَةٍ وَاضِحَةٍ[6] ، وَإِشَارَةٍ حَسَنَةٍ، وَيَقْضِي مِنْهُ بِالعَجَبِ العُجَابِ.

يَتَكَلَّمُ[7] بِعِبَارَةِ النَّاسِ الجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ بِلِسَانِهِمْ، فَيَفْهَمُ عَنْهُ العَالِمُ وَالأُمِّيُّ، وَالفَطِنُ وَالغَبِيُّ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَرَاتِبَ الدِّينِ، وَمَقَامَاتِ اليَقِينِ، وَيُرِيهِمُ الطَّرِيقَةَ المُوصِلَةَ إِلَيْهَا، وَالمُقَدِّمَةَ المُنْتِجَةَ لَهَا[8] ، يُبَيِّنُهَا مَقَالاً، وَيَبُثُّهَا فِي القُلُوبِ حَالاً، فَيُبَيِّنُ التَّوْبَةَ وَكَيْفِيَتَهَا، وَمَا يُوصِلُ إِلَيْهَا، وَالزُّهْدَ وَسَبَبَهُ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ وَكَيْفِيَّتَهُمَا، وَالرِّضَا وَالمَحَبَّةَ وَكَيْفِيَّتَهُمَا، وَتَرْكَ التَّدْبِيرِ وَالإِخْتِيَارِ مَعَ اللَّهِ.

وَهَذَانِ الأَخِيرَانِ عُمْدَةُ كَلَامِهِ، وَمَدَارُ مَرَامِهِ، وَيُبَرْهِنُ عَلَى كُلِّ[9] ذَلِكَ بِمَا لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ، وَيُبَيِّنُ مَوَاقِعَ[10] كُلِّ[11] ذَلِكَ بِمَا يَعْلَمُهُ[12] (كُلُّ أَحَدٍ، حَتَّى يُعْلَمَ كُلُّ[13] ذَلِكَ عِلْماً، وَيَحْصُلَ

---

[1]- أ ي ك ح ع هـ ق ص: "وما إلى ذلك من" محذوفة

[2]- ي: وأسرارا

[3]- ي: واعتبارا

[4]- ل: فيأخذ منه كل واحد من الحاضرين

[5]- ع ي ك ل: أقنع

[6]- ح: واحدة

[7]- ل: ويتكلم

[8]- ل: إليها

[9]- ح: "كل" محذوفة

[10]- ل: موانع

[11]- ح: "كل" محذوفة

[12]- ل: لا يعلمه

[13]- ح: "كل" محذوفة

ذَوْقاً وَفَهْماً، وَيُبَاشِرَ القَلْبَ يَقِيناً وَجَزْماً[1] ، ذَلِكَ دَيْدَنُهُ وَشِعَارُهُ، وَدَأْبُهُ وَتَيْسَارُهُ[2]، نَاصِحٌ[3] لِلْعِبَادِ، حَرِيصٌ[4] عَلَى الهِدَايَةِ لَهُمْ وَالإِرْشَادِ، يَصْرِفُ وُجُوهَ الغَافِلِينَ بِالوِجْهَةِ إِلَى اللَّهِ وَيُوقِظُهُمْ لِلتَّوْبَةِ، وَيُحْيِّي قُلُوباً أَمَاتَهَا الهَوَى بِمَدَدِ الإِيمَانِ وَنُورِ المَحَبَّةِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ مَا وَرَدَ فِيهَا آيَةً آيَةً وَحَدِيثاً حَدِيثاً[5].

وَكَمْ مِنْ وَاحِدٍ[6] تَابَ عَلَى يَدَيْهِ وَرَجَعَ عَنْ سُوءِ عَمَلِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُنْهَمِكاً فِي عِصْيَانِهِ، مُسْتَغْرِقاً فِي الغَفْلَةِ سَائِرَ أَحْيَانِهِ، وَمَا أَشَدَّ اعْتِنَاءَهُ بِطَالِبِ التَّوْبَةِ، فَإِذَا جَاءَهُ صَرَفَ كُلِّيَتَهُ إِلَيْهِ، وَأَشْفَقَ مِنْهُ وَعَطَفَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ حَدِيثَ: لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا ، وَيَقُولُ[7] : انْظُرْ[8] كَيْفَ أَكَّدَ أَمْرَهَا اهْتِمَاماً بِشَأْنِهَا، فَكَرَّرَهَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى[9] : **(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)**[10] ، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)**[11] .

وَانْظُرْ هَذِهِ الرَّحْمَةَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِعَبْدِهِ[12] حَيْثُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُ بِالمَعْصِيَةِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ لِيَرْحَمَهُ، فَمَا أَوْسَعَ هَذَا الإِفْضَالِ، وَأَجْزَلَ هَذَا النَّوَالِ، مِنَ الكَرِيمِ[13] المُتَعَالِ.

---

[1]- ي: وحزما

[2]- ي ح ع ك ل هـ ق ص: وتسياره

[3]- ل: ناصحا

[4]- أ ل: حريصا

[5]- ي: "حديثا" محذوف

[6]- ك: أحد

[7]- ي: "ويقول" محذوفة

[8]- ي: وانظر

[9]- ل: فقال الله تعالى

[10]- سورة النساء، الآية 26

[11]- سورة النساء، الآية 27

[12]- ي: لعباده

[13]- ك: الكبير

وَكَثِيراً مَا يُحَذِّرُ مِنْ مُخَالَطَةِ أَقْرَانِ السُّوءِ وَغَيْرِهِمْ، يُحَذِّرُ مِنْهَا الغَافِلِينَ مَخَافَةَ أَنْ يَزْدَادُوا بِهَا غَفْلَةً، وَالمُتَنَبِّهِينَ[1] مَخَافَةَ أَنْ يَصُدُّوا عَمَّا هُمْ بِصَدَدِهِ، وَيَلْجَأُ[2] فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى المَلِكِ المَلِكِ الدَّيَّانِ، وَيَسْتَشْهِدُ كَثِيراً بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ.

وَيَقُولُ: اخْتَرْ لِصُحْبَتِكَ[3] مَنْ أَطَاعَ، فَإِنَّ الطِّبَاعَ تَسْرِقُ الطِّبَاعَ ، وَيُحَذِّرُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ، وَيَنْفِرُ عَنْهُ لِكَوْنِهِ قَاطِعاً عَنِ اللَّهِ وَصَادّاً عَنِ الوِجْهَةِ إِلَيْهِ، وَلَا تَصِحُّ الوِجْهَةُ إِلَيْهِ مَعَ بَقَاءِ شَيْءٍ مِنْ حُبِّ الدُنْيَا لَدَيْهِ، فَقَدْ[4] انْفَرَدَ لِمَوْلَاهُ، وَتَجَرَّدَ عَنْ سِوَاهُ، لَمْ تَبْقَ لَهُ عُلَاقَةٌ[5] تَجْذِبُهُ، تَجْذِبُهُ، وَلَا أُمْنِيَّةٌ تَصْحَبُهُ، وَمَا عَطَّلَ الخَلْقَ وَحَجَبَهُمْ عَنِ اللَّهِ إِلَّا الغَلَطُ وَالجَهْلُ المُرَكَّبُ فِي كَمَالِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَلَوْ تَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَلَا حَصَلَ لَهُمْ كَمَالُ الإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ)[6] وَاسْتَغَاثُوا بِاللَّهِ عِنْدَ كَمَالِ عَجْزِهِمْ وَضُعْفِهِمْ وَتَحَقُّقِهِمْ بِذَلِكَ، لَأَجَابَهُمْ لِاضْطِرَارِهِمْ بِمَا هُنَالِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)**[7] . وَكُلَّمَا[8] طَلَبُوا[9] زِيَادَةَ مَعْرِفَةٍ أُعْطُوهَا لِاضْطِرَارِهِمْ فِي طَلَبِهِمْ بِمُشَاهَدَتِهِمْ التَّقْصِيرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَبِقَدْرِ شُهُودِ التَّقْصِيرِ، يَقْوَى الاِضْطِرَارُ إِلَى العَالِمِ القَدِيرِ.

---

[1]- ع ح ك ل ي هـ ق ص م: والمنتبهين

[2]- أ ع ل ي م: وليلجأ

[3]- ك: لنفسك

[4]- ي ك ع ل هـ: قد

[5]- ل: علاقات

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- سورة النمل، الآية 62

[8]- ح: وكل ما

[9]- أ ح ك: طلب

وَمِنْ بَدِيعِ صُنْعِهِ فِي الخِطَابِ أَنَّهُ إِذَا أَرْشَدَ أَحداً إِلَى مَوْلَاهُ، وَنَبَّهَهُ عَلَى[1] غَلَطِهِ وَهَوَاهُ، أَرْشَدَهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ، وَلَاطَفَهُ بِخِطَابٍ مُبِينٍ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، **وَيُحَذِّرُ مِنَ المَعَاصِي القَلْبِيَّةِ** كَالكِبْرِ وَالعَجَبِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحَذِّرُ مِنَ الظَّاهِرَةِ[2] ، **وَيَقُولُ:** إِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَالأُخْرَى لَا تَخْفَى، وَيُبَالِغُ فِي تَقْبِيحِ العَجَبِ وَالكِبْرِ ، وَيَقُولُ: إِنَّ صَاحِبَهُمَا مَمْقُوتٌ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ المَعَاصِي القَاطِعَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى هَذَا قِصَّةُ[3] آدَمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُخَالَفَةُ إِبْلِيسَ حِينَ أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ، هَذَا تَابَ عَلَيْهِ رَبُّهُ[4] وَهَدَاهُ، وَهَذَا طَرَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَرْدَاهُ، وَيُحَذِّرُ كَثِيراً مِنَ الدَّعْوَةِ الكَاذِبَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ صَاحِبَهَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ[5] مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ عَافَانَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، فَإِذَا تَحَقَّقَ الإِنْسَانُ بِأَوْصَافِهِ النَّاقِصَةِ عَلِمَ أَنَّ الأَوْصَافَ الكَامِلَةَ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا تَحَقَّقَ بِعَجْزِ نَفْسِهِ تَحَقَّقَ بِوَصْفِ القُدْرَةِ لِرَبِّهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ[6] القَوِيُّ بِقَهْرِهِ، وَيُبَيِّنُ تَعْرِيفَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ لِلعَبْدِ (فِي نَفْسِهِ، وَيَتْلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: **(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)**[7].

وَيَقُولُ: إِنَّ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ العَبْدِ)[8] دَلَالَةً عَلَى رَبِّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ العَبْدَ وَأَحَاطَ بِهِ العَجْزَ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ، فَإِذَا جَلَسَ أَعْيَاهُ الجُلُوسُ وَإِذَا قَامَ أَعْيَاهُ القِيَامُ، وَإِذَا أَطَالَ النَّوْمَ مَلَّ، وَإِذَا أَطَالَ التَّيَقُّظَ[9] اضْطَرَّ إِلَى المَنَامِ، وَإِذَا تَوَكَّأَ

---

[1]- ح: عن

[2]- ل: من المعاصي الظاهرة

[3]- ل: قضية

[4]- ي: "ربه" محذوفة

[5]- ي: والعياذ بالله يخشى عليه

[6]- ي: أن

[7]- سورة الذاريات، الآية 21

[8]- ي: ما بين القوسين محذوف

[9]- ل: اليقظة

أَعْيَاهُ التَّوَكُّؤُ، وَإِذَا أَكَلَ أَثْقَلَهُ الشِّبَعُ، وَإِذَا تَرَكَ الأَكْلَ جَاعَ، وَقِسْ عَلَى هَذَا لِيَكُونَ مُفْتَقِراً فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ إِلَى مَوْلاَهُ، وَيَعْتَرِفَ بِقُدْرَةِ سَيِّدِهِ وَغِنَاهُ، وَيَنْفُضَ يَدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، تَعَرُّفاً مِنْهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ، وَجَمْعاً لَهُ لَوْ شعُر عَلَيْهِ، فَسُبْحَانَ الحَكِيمِ العَلِيمِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ، وَنَفَذَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ.

وَيُبَيِّنُ الشَّيْخُ[1] كَيْفَ تَعَرَّفَ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي تَتَوَارَدُ عَلَيْهِمْ[2] مِنْ شِدَّةٍ وَرَخَاءٍ، وَعَافِيَةٍ وَفِتْنَةٍ وَخَوْفٍ وَأَمَانٍ وَمَرَضٍ وَصِحَّةٍ، وَتَحَوُّلِ حَالِ القَلْبِ مِنْ قَبْضٍ وَبَسْطٍ وَعَزْمٍ وَنَقْضِهِ وَيَتْلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الحَقُّ)**[3] وَيَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا كَانُوا فِي شِدَّةٍ أَحْسَنَ مِنْهُمْ إِذَا كَانُوا فِي عَافِيَةٍ (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا أَوْسَعَتْهُمُ[4] النِّعَمُ كَانُوا غَافِلِينَ لَاهِينَ سَاهِينَ)[5] ، فَإِذَا مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ اضْطَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى دُعَاءِ مَوْلاَهُمْ جبْراً، وَلَا تُمْكِنُهُمْ الغَفْلَةُ حِينَئِذٍ كَمَا أَمْكَنَتْهُمْ مَعَ النِّعْمَة، فَحَالُهُمْ حِينَئِذٍ أَحْسَنُ لِوُقُوفِهِمْ بِبَابِ مَوْلاَهُمْ، وَسُؤَالِهِمْ مِنْهُ دَفْعَ بَلْوَاهُمْ، وَيَذْكُرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: **(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)**[6].

وَيُعَلِّمُ النَّاسَ اليَقِينَ، وَيُرِيهِمْ كَيْفَ يَعْرِفُونَهُ وَيَتَوَصَّلُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: **(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)**[7]، أَلَيْسَ اللَّهُ بِرَحِيمٍ لِلعِبَادِ، أَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا سَائِرَ عُمُرِنَا، فَمَا بَالُنَا نَتَّهِمُهُ، وَلَو أَقْسَمْتَ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِاسْمِهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ أَنْ لَا يُعْطِيَكَ مَا كَانَ قُسِّمَ لَكَ لَأَعْطَاكَ إِيَّاهُ، وَلَوْ طَلَبْتَ مَا لَمْ يُقْسِمْهُ لَكَ لَمْ تَنَلْهُ أَبَداً، جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ

---

[1]- ي ك ع ص ق: الشيخ رضي الله عنه

[2]- ح: عليه

[3]- سورة فصلت، الآية 53

[4]- ل: وسعتهم

[5]- ي: ما بين القوسين محذوف

[6]- سورة فصلت، الآية 51

[7]- سورة الزمر، الآية 36

يَخْتَبِرُ العَبْدَ بِالفَاقَةِ ، وَبِتَيْسِيرِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ مَحْضِ الحَلَالِ، فَإِذَا صَبَرَ قَلِيلاً فَتَحَ لَهُ فَتْحاً لَمْ تُصِبْهُ خَصَاصَةٌ بَعْدَهُ.

وَيَقُولُ: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبِتَسْخِيرٍ مِنْهُ دَامَ اسْتِمْرَارُهُ وَلَمْ يَنْقَطِعْ، وَيُقَرِّبُ ذَلِكَ بِالتَّمْثِيلِ بِالأُمُورِ المُشَاهَدَةِ، وَيَدُلُّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ، وَيُعَرِّفُ النَّاسَ إِيَّاهَا، وَيُقَرِّبُ ذَلِكَ لِلأَفْهَامِ بِرَحْمَةِ الوَالِدِ لِلوَلَدِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، أَفَتَكُونُ شَفَقَتُهُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ مِنْ شَفَقَةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ[1] وَرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَيَذْكُرُ حَدِيثَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا . وَيُذَكِّرُ النَّاسَ بِنِعْمَةِ مَوْلَاهُمْ، وَمَا خَوَّلَهُمْ وَأَوْلَاهُمْ، يُرْشِدُ بِذَلِكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالحَيَاءِ مِنْهُ أَنْ يُعْصَى بِسَبَبِ مَا أَسْدَاهُ لِعَبِيدِهِ، وَمَا يُجْرِيهِ عَلَيْهِمْ دَائِماً وَأَبَداً مِنْ أَفْضَالِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَيَتْلُوا[2] : **(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)**[3].

وَيُكَثِّرُ الكَلَامَ فِي ذَلِكَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ وَغَالِبَ أَحْيَانِهِ، **وَيُبَيِّنُ مَا هُوَ مُسْتَمِرٌ عَلَى العَبْدِ دَائِماً وَأَبَداً[4] مِنْ نِعْمَةِ النَّفْعِ وَالدَّفْعِ**، وَالمَحْسُوسَةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ وَالظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ[5] ، يُفَصِّلُ كُلَّ ذَلِكَ تَفْصِيلاً، وَيَأْتِي عَلَيْهِ بَيَاناً وَتَحْصِيلاً، فَيُبَيِّنُ أَنَّ الإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ مِنَ النِّعَمِ البَاطِنَةِ الدَّائِمَةِ المُسْتَمِرَّةِ عَلَى العَبْدِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَمُدُّهُ بِهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَحْظَةٍ وَيُمْسِكُهُ[6] سُبْحَانَهُ[7] عَلَيْهِ كُلَّ خَطْرَةٍ خَطْرَةٍ، وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْطَاناً مَرِيداً يُفْسِدُهُ عليه، وَلَا جَبَّاراً عَنِيداً يَسْلُبُ عَنْهُ مَا مِنْهُ لَدَيْهِ، عِنَايَةً مِنْهُ سُبْحَانَهُ[8] بِهِ[1] وَرَحْمَةً، وَفَضْلاً وَنِعْمَةً، وَلَوْ سَلَّطَ

---

[1]- ي: بعباده

[2]- ل: ويتلو قوله تعالى

[3]- سورة لقمان، الآية 20

[4]- ل: أبدا

[5]- أ ك ع هـ ق ص: "الباطنة" محذوفة

[6]- ي: ويمسك

[7]- ك: "سبحانه" محذوفة

[8]- ل: سبحانه وتعالى به

الشَّيْطَانَ عَلَى إِفْسَادِهِ كَمَا سَلَّطَهُ عَلَى إِفْسَادِ الأَعْمَالِ لَكَفَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَانْقَلَبُوا[2] بَعْدَ رِبْحِهِمْ إِلَى خُسْرَانِهِمْ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ امْتَنَّ عَلَى الإِنْسَانِ بِحِفْظِهِ، كَمَا امْتَنَّ بِتَخْصِيصِهِ بِسَابِقِ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، وَبِأَيِّ سَبَبٍ اسْتَحَقَّ العَبْدُ هَذِهِ النِّعْمَةَ حَيْثُ أُعْطِيهَا يَوْمَ قُدِّرَتْ المَقَادِيرُ وَقُسِّمَتْ القِسَمُ، حَيْثُ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ هُنَالِكَ، وَلَا عَمَلَ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى مُعْطِيهَا، وَلَا شَيْءَ يُدْلِي بِهِ وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ مَحْضُ الجُودِ وَالإِمْتِنَانِ وَالفَضْلِ وَالإِحْسَانِ.

وَلَوْ شَعَرَ الإِنْسَانُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى[3] وَعَرَفَهَا لَاسْتَغْرَقَهُ الفَرَحُ بِاللَّهِ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ سُلْطَانُ المَحَبَّةِ وَالشَّغَفُ بِهَذَا المُعْطِي الكَرِيمِ وَالمَوْلَى العَظِيمِ، الَّذِي خَلَقَ فَهَدَى، وَتَفَضَّلَ فَأَعْطَى، وَخَصَّصَ أَزَلاً وَاجْتَبَى، وَلَا يَزَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَحَافِلِهِ يَعُدُّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ المُتَّصِلَةِ وَالمُنْفَصِلَةِ، وَمَا سَاقَ لَهُ مِنْهَا[4] فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، ثُمَّ يَتْلُوا: **(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)**[5] . وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ غَرْقَى فِي بَحْرِ النِّعَمِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ: **(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)**[6].

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ[7] خَيْراً وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ خُصُوصِ[8] عِبَادِهِ عَرَّفَهُ مَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وَأَلْهَمَهُ شُكْرَهَا، وَلَمْ يَزِدْ[9] شَيْئاً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ بِهِ مَخْصُوصاً، فَكُلُّ النَّاسِ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، وَالمَخْصُوصُ مَنْ شَاهَدَهَا، وَيَقُولُ: الشُّكْرُ بَابُ اللَّهِ الأَعْظَمُ، وَصِرَاطُهُ الأَقْوَمُ، وَلِهَذَا قَعَدَ

1- ح ي: "به" محذوفة

2- ح ك ع ل هـ ق ص: انقلبوا

3- ي: العظيمة

4- ح: وما ناوله منها ـ م: وما ساق له قدما

5- سورة النحل، الآية 18

6- سورة سبأ، الآية 13

7- ي ك: بعبده

8- ح: خواص

9- ك: يزده

الشَّيْطَانُ بِسَبِيلِهِ[1] يَصُدُّ عَنْهُ المُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَذْكُرُ شَاهِداً عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى حِكَايَةً[2] قَوْلَ قَوْلَ اللَّعِينِ: **(لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيم)**[3] . الآيَةُ.

وَيَقُولُ: أَقْرَبُ الأَبْوَابِ إِلَى اللَّهِ بَابُ الشُّكْرِ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلَى بَابِ الشُّكْرِ لَمْ يَدْخُلْ، لِأَنَّ النُّفُوسَ قَدْ غَلُظَتْ، يَعْنِي فَلَا تَتَأَثَّرُ بِرِيَاضَةٍ وَلَا بِطَاعَةٍ، وَلَا تَنْزَجِرُ بِمُحَاسَبَةٍ وَلَا بِمُنَاقَشَةٍ، فَإِذَا اسْتَغْرَقَهَا الفَرَحُ بِالمُنْعِمِ غَابَتْ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَطَوَتْ مَسَافَتَهَا، وَكُلُّ وَعْدٍ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَجِدْهُ مَقْرُوناً بِالمَشِيئَةِ إِلَّا الشُّكْرُ، فَقَالَ تَعَالَى: **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)**[4]. وَأَكَّدَهُ بِلَامِ القَسَمِ وَنُونِ التَّوْكِيدِ، وَيَقُولُ لَنَا عِنْدَمَا يَتْلُوا الآيَةَ، هَذِهِ اللَّامُ هُنَا لِلقَسَمِ كَأَنَّهُ يَسْتَفْهِمُنَا، فَنَقُولُ لَهُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: انْظُرْ كَيْفَ قَدَّمَ اللَّهُ[5] الشُّكْرَ عَلَى الإِيمَانِ اعْتِنَاءً بِشَأْنِهِ فَقَالَ: **(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمُ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ**[6]**)**[7] .

وَرُبَّمَا عَبَّرَ بِهِ عَنِ[8] الإِيمَانِ وَفَسَّرَهُ[9] بِهِ كَمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ المُقَارَنَةُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، فَيَقُولُ: الإِيمَانُ[10] هُوَ الفَرَحُ بِالمُنْعِمِ، فَيَجْعَلُ الفَرَحَ الَّذِي هُوَ شُكْرُ القَلْبِ إِيمَاناً، وَلَا إِشْكَالَ أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَكُونُ حَقِيقِياً إِلَّا مَعَهُ، إِذْ هُوَ نَتِيجَتُهُ[11] وَلَازِمُهُ[1] ، وَقَدْ يَكُونُ العَطْفُ فِي الآيَةِ لِلتَّفْسِيرِ، فَيُؤْخَذُ مِنْهَا مَا قَالَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ الشُّكْرُ.

---

[1]- ل: ببابه

[2]- ل: حاكيا

[3]- سورة الأعراف، الآية 16

[4]- سورة إبراهيم، الآية 7

[5]- ي: "الله" محذوفة

[6]- ل: ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما

[7]- سورة النساء، الآية 147

[8]- ي: على

[9]- ي: وفسر

[10]- ي: "الإيمان" محذوف

[11]- ي: نتيجة

وَلَوْ عَرَفَ الإِنْسَانُ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ لَمُلِئَ قَلْبُهُ، وَطَارَ عَقْلُهُ مَحَبَّةً فِي اللَّهِ وَسُرُوراً، وَفَرَحاً وَحُبُوراً، جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا رَبُّكَ ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكَ قُلُوبَ عِبَادِهِ، فَلَوْ شَاءَ لَعَكَسَ، فَلَمْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، يَدُلُّ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى[2] شُهُودِ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ، وَيُرَقِّي عَنْ شُهُودِ الوَاسِطَةِ إِلَى المُنْعِمِ سُبْحَانَهُ[3] ، وَأَنَّهُ لَا مُنْعِمَ إِلَّا هُوَ، وَلَا مُحْسِنَ وَلَا نَافِعَ سِوَاهُ، وَأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، وَلَا جَلْباً وَلَا دَفْعاً، وَكُلُّ مَنْ يُعَامِلُكَ وَيَأْخُذُ بِيَدِكَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِعِلَّةٍ وَغَرَضٍ، حَتَّى العَارِفُ إِذَا أَخَذَ بِيَدِكَ وَرَحِمَكَ، إِنَّمَا فَعَلَ مَعَكَ ذَلِكَ لِأَجْلِ مَوْلَاكَ، فَإِنَّمَا رَاعَاكَ لِوَجْهِهِ، فَذَلِكَ لِعِلَّةٍ، إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا يُعَامِلُكَ وَيَرْحَمُكَ فَضْلاً وَإِحْسَاناً، وَكَرَماً وَامْتِنَاناً، لَا لِأَمْرٍ سَابِقٍ، وَلَا لِشَيْءٍ لَاحِقٍ.

إِنَّمَا هُوَ مَحْضُ جُودٍ، مِنْ وَاجِبِ الوُجُودِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْرِفَ إِلَّا مَوْلَاهُ، وَأَنْ لَا يَرَى إِلَّا إِحْسَانَهُ وَرُحْمَاهُ، فَهُوَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَجْرَى مِنَنَهُ[4] عَلَيْهِ، يُحَبِّبُ بِذَلِكَ كُلِّهِ العَبْدَ فِي مَوْلَاهُ، وَيُرْشِدُهُ أَنْ لَا يَطْلُبَ سِوَاهُ، (وَلَا يَلْتَفِتَ[5] بِقَلْبِهِ لِمَا عَدَاهُ، وَأَنْ يَجْمَعَ المَطَالِبَ كُلَّهَا فِي مَوْلَاهُ، وَلَا تَتَعَلَّقُ لَهُ هِمَّةٌ بِسِوَاهُ)[6] .

وَيَدُلُّ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَعَلَى تَوْحِيدِهِ خَالِصاً، وَعَلَى مَحَبَّتِهِ صَرْفاً، وَيَقُولُ: يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ لَا يَطْلُبَ إِلَّا مَوْلَاهُ مُخْلِصاً لَا لِحَظٍّ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، فَإِذَا طَلَبَهُ كَذَلِكَ حَصَلَ لَهُ فِي ضِمْنِهِ[7] الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ، وَفَرْقٌ بَيْنَ[8] مَنْ يَطْلُبُكَ وَمَنْ[1] يَطْلُبُ[2] لَكَ، فَلَيْسَ مَنْ أَتَاكَ زَائِراً ثُمَّ قَالَ:

---

[1]- ي: لازمة

[2]- ل: على شكر النعمة وشهودها من الله

[3]- ل: سبحانه وتعالى

[4]- ح: منته

[5]- ل: وأن لا يلتفت

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- ح: ضمانه

[8]- ي: ما بين القوسين محذوف

أَرَدْتُ مِنْكَ كَذَا وَكَذَا، كَمَنْ أَتَاكَ مَحَبَّةً فِيكَ وَرَغْبَةً فِي رُؤْيَتِكَ لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، فَيَصْرِفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الحُظُوظِ وَاللُّحُوظِ وَكُلِّ مَا يُشْعِرُ بِالشُّعُورِ بِالنَّفْسِ، وَيَتْلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)**[3].

وَيُسَمِّي العَمَلَ عَلَى الحظِّ شِرْكاً ، وَيَتْلُوا عَلَى طَرِيقِ الإِشَارَةِ: **(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)**[4] . وَكَثِيراً مَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ فَيُرْشِدُ إِلَى المَحَبَّةِ، وَيَقُولُ: أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَسَاسُهُ المَحَبَّةُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدُسِي: كُنْتُ سَمْعَهُ ، وَأَصْلُ سَبَبِ المَحَبَّةِ هُوَ شُهُودُ الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ، وَبِهَا يُرْتَقَى لِدَرَجَةِ[5] الإِيمَانِ، وَمَا تَكَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الطَّرِيقِ، إِلَّا أَشَارَ فِي كَلَامِهِ إِلَيْهَا، وَدَلَّ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ عَلَيْهَا، وَحَظَّ عَلَى التَّقَرُّبِ لِلمَحْبُوبِ، وَالتَّوَدُّدِ وَالتَّمَلُّقِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ، وَالتَّذَلُّلِ وَالإِنْقِيَادِ لَدَيْهِ، وَكَثِيراً مَا يُنْشِدُ قَوْلَ القَائِلِ:

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الهَوَى سَهْلُ * إِذَا رَضِيَ المَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الوَصْلُ
تَذَلَّلْ لَهُ تَحْظَى بِرُؤْيَا جَمَالِهِ * فَفِي وَجْهِ مَنْ تَهْوَى الفَرَائِضُ وَالنَّفْلُ

وَيُرْشِدُ إِلَى تَرْكِ التَّدْبِيرِ وَالإِخْتِيَارِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُكْثِرُ الكَلَامَ فِيهِ دَائِماً، وَيَتْلُوا شَاهِداً عَلَى ذَلِكَ: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ)**[6]. الآيَةُ. **(وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ)**[7].

---

[1]- ك: "ومن" محذوفة

[2]- ك: ويطلب

[3]- سورة البينة، الآية 5

[4]- سورة يوسف، الآية 106

[5]- ي ك ح ع هـ ق ص: درجة

[6]- سورة النساء، الآية 65

[7]- سورة الأحزاب، الآية 36

وَقَوْلُهُ: **(إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ المُومِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ)**[1]. الآيَةُ، وَقَوْلُهُ: **(مَا كَانَ لَهُمُ الخِيرَةُ)**[2]، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُدَبِّرُ مَنْ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الأُمُورِ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُهَا كَيْفَ يُدَبِّرُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُدَبِّرُ ، كَمَا فِي بَعْضِ الآثَارِ القُدُسِيَةِ: ابْنَ آدَمَ تُرِيدُ وَأُرِيدُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ، فَإِنْ سَلَّمْتَ لِي فِيمَا أُرِيدُ أَعْطَيْتُكَ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ نَازَعْتَنِي فِيمَا أُرِيدُ أَتْعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ.

وَيَعُدُّ التَّدْبِيرَ مَعَ اللَّهِ مِنَ الشِّرْكِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِالإِيجَادِ وَالتَّدْبِيرِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، فَمَنْ دَبَّرَ فِي مُلْكِهِ شَيْئاً فَقَدْ تَعَدَّى وَنَازَعَ أَحْكَامَ الرُّبُوبِيَةِ، فَمَنْ دَبَّرَ لِنَفْسِهِ عَادَ تَدْبِيرُهُ عَلَيْهِ وَبَالاً، وَيَدُلُّ[3] عَلَى الرِّضَا بِفِعْلِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَحْكَامِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الحَكِيمُ وَبِأَنَّهُ الرَّحِيمُ.

فَإِذَا ذَكَرْتَ لَهُ حَادِثَةً أَلَمَّتْ وَمُصِيبَةً[4] نَزَلَتْ، قَالَ: مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ الحَكِيمُ، وَالحَكِيمُ هُوَ هُوَ الَّذِي لَا يَفْعَلُ[5] الشَّيْءَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَلَا تَخْلُوا أَفْعَالُهُ عَنْهَا أَبَدا، وَلَوْ كُشِفَ لِلْعَبْدِ عَنْ أَسْرَارِ القَدْرِ لَرَأَيْنَا تِلْكَ الأَفْعَالَ الَّتِي هِيَ فِي الظَّاهِرِ نِقْمَةٌ عَلَى غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الإِحْكَامِ وَالإِتْقَانِ، وَأَنَّهَا لَا يَنْبَغِي[6] أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ غَيْرَهَا، وَتَنْزِلُ النَّازِلَةُ بِالعَبْدِ بِالعَبْدِ هِيَ فِي ظَاهِرِهَا مُصِيبَةٌ وَفِي بَاطِنِهَا رَحْمَةٌ، يُنْقِذُهُ اللَّهُ بِهَا مِمَّا هُوَ أَشَدُّ مثلاً، أَوْ يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ فِتْنَةً فِي دِينِهِ.

وَاللَّهِ مَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ، وَيَدُلُّ عَلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ، وَشُهُودِ صِفَاتِهِ، وَيُقَرِّرُ ذَلِكَ بِمَا يُبْهِرُ العُقُولَ، وَتَعْجِزُ عَنْهُ النُّقُولُ، مِمَّا لَا يَصِلُ[7] فَهْمُ مِثْلِي إِلَيْهِ،

---

[1]- سورة النور، الآية 51

[2]- سورة القصص، الآية 68

[3]- ل: ويدل رضي الله عنه على

[4]- ح ي ك ل ع هـ ق ص: ومصيبة

[5]- ل: يصنع

[6]- ل: لا تنبغي

[7]- ي: يحصل

وَيَقُولُ: إِنَّ التَّحَقُّقَ[1] بِوَصْفٍ وَاحِدٍ مِنْهَا مُوجِبٌ لِلتَّحَقُّقِ[2] بِجَمِيعِهَا وَمُسْتَلْزِمٌ لَهُ، وَيَأْتِي عَلَى تَبْيِينِهِ حَتَّى يَصِحَّ[3] بِنُورِهِ لِلأَفْهَامِ، ثُمَّ يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى مَرْتَبَةٍ أَعْلَى[4] مِنْ هَذِهِ[5]، وَهِيَ شُهُودُ شُهُودُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ وَالغَيْبَةُ فِيهَا، **وَيَقُولُ:** شُهُودُ الصِّفَاتِ حِجَابٌ عَنْ شُهُودِ الذَّاتِ.

وَكَثِيراً مَا يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا المَعْنَى، وَفِي البَقَاءِ بَعْدَ الفَنَاءِ، وَمَحْوِ أَوْصَافِ العَبْدِ بِظُهُورِ أَوْصَافِ رَبِّهِ فِيهِ، وَيَسْتَشْهِدُ بِالحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ البُخَارِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ[6] عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ[7] الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُهُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ أَصْرَحُ فِي وَجْهِ الشَّاهِدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيَقُولُ: إِنَّ الوُقُوفَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامٍ مِنَ المَقَامَاتِ يُوجِبُ القَطْعَ عَنِ المَقْصُودِ، ثُمَّ يَتْلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى**﴾[8]. وَيَرْحَمُ اللَّهُ القَائِلَ حَيْثُ قَالَ:

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ المَرَاتِبِ تُجْتَلَى * عَلَيْكَ فَحُلْ[9] عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا[10]

وَقُلْ لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ[11] مَطْلَبٌ * فَلَا صُورَةٌ تُجْلَى وَلَا طَرْفَةٌ تُجْنَا

---

[1]- ح: "التحقق" محذوف ـ ي: التخلق

[2]- ي: للتخلق

[3]- ل: يتضح

[4]- ل: مرتبة أعلى منها

[5]- ل: "من هذه" محذوفة

[6]- ي: افترضته

[7]- ل: ورجلاه

[8]- سورة الأعراف، الآية 54

[9]- ل ع: فجل

[10]- ل: جلنا

[11]- ي: "ذاتك" محذوفة

وَرُبَّمَا يَتَكَلَّمُ[1] فِي الفَنَاءِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى وَيُنْشِدُ:

دَعِ العُلُومَ وَلَا تُبْقِ الفُهُومَ وَلَا * تُبْقِي لِإِيَّاكَ لَا عَيْناً وَلَا خَبَرَا

هَذَا مَا أَمْكَنَنِي فِي هَذَا البَابِ جَمْعُهُ، وَمَا جَمَعْتُ مِنْهُ إِلَّا اليَسِيرَ مِمَّا تَكَرَّرَ عَلَى السَّمَاعِ[2] الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي غَايَةَ التَّكْرِيرِ، وَقُرِّرَ لِلأَفْهَامِ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ[3] غَايَةَ التَّقْرِيرِ، حَتَّى عُلِقَ مِنْهُ مَا مَا عُلِقَ بِالبَالِ، وَرُسِمَ مِنْهُ مَا رُسِمَ فِي الخَيَالِ، مِمَّا اسْتَرَقْتُ سَمْعَهُ، وَأَحْبَبْتُ هُنَا ضَمَّهُ وَجَمْعَهُ، لِيَكْمُلَ بِهِ غَرَضُ الكِتَابِ، وَمَا هُوَ مِنْهُ إِلَّا الخَالِصُ وَاللُّبَابُ، رَزَقَنَا اللَّهُ بِهِ الإِنْتِفَاعَ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ المَحَبَّةِ وَالإِتِّبَاعِ. آمِينَ.

البَابُ الرَّابِعُ فِي تَرْتِيبِ أَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ وذِكْرِ سَنَدِ طَرِيقَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَفَضْلِ وِرْدِهِ وَمَا أَعَدّ اللَّهُ لِتَالِيهِ، وَوَصْفِ[4] المُرِيدِ وَحَالِهِ، وَمَا يَقْطَعُهُ عَنْ أُسْتَاذِهِ، وَالشَّيْخِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ فِي سَائِرِ أَقْوَالِهِ وأَفْعَالِهِ، وَكَيْفِيَةِ السَّمَاعِ لِأَهْلِهِ، وَمَا يَفْعَلُهُ فِي لَيَالِهِ وَأَيَّامِهِ، وَأَدْعِيَةٍ شَتَّى أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ، كَمَا هِيَ عَادَتُهُ الكَرِيمَةُ بِأَهْلِ[5] عِرْفَانِهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ فُصُولٍ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
فِي تَرْتِيبِ أَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ وَذِكْرِ طَرِيقَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ

---

[1]- ل: تكلم

[2]- ل: الأسماع

[3]- ي: "المرة بعد المرة" محذوفة

[4]- أ: وصفة

[5]- أ: على قلوب أهل

اعْلَمْ[1] أَنِّي أُصَدِّرُ هَذَا الفَصْلَ بِتَنْبِيهٍ أُبَيِّنُ فِيهِ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ[2] التَّوْفِيقُ[3] : **تَنْبِيهٌ شَرِيفٌ: اعْلَمْ** أَنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الوُجُودَ لَمَّا[4] نَزَلَ مِنَ الوَحْدَةِ بِالتَّجَلِّي إِلَى مُنْتَهَى النُّزُولِ فَحَصَلَتِ الكَثْرَةُ، وَرَأَوْا أَنَّ الأَهَمَّ وَالأَتَمَّ هُوَ العُرُوجُ إِلَى البِدَايَةِ لِيَتِمَّ ظُهُورُ الكَمَالَاتِ الأَسْمَائِيَةِ، اشْتَغَلُوا فِي بَيَانِ مَا هُوَ الأَهَمُّ مِنْ كَيْفِيَّةِ إِصْلَاحِ العُرُوجِ عَاجِلاً وَآجِلاً، وَكَيْفِيَّةِ شَرَائِطِهِ مِنَ الطَّهَارَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ بِأَقْصَى الغَايَةِ[5]، فَصَنَّفُوا فِيهِ التَّصَانِيفَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا[6] إِلَى[7] كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ فِي المَرَاتِبِ، اكْتِفَاءً عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ[8] ذَلِكَ تَحْصُلُ[9] بِالعُرُوجِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)[10]** أَيْ[11] بِالمَنَازِلِ وَالمَعَارِجِ الأُخْرَوِيَّةِ.

وَظَنَّ الجُهَّالُ[12] أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كَيْفِيَّةَ الحَقِيقَةِ وَأَسْرَارِهَا، وَأَمَّا عُلَمَاءُ الحَقِيقَةِ لَمَّا عَرَفُوا كَيْفِيَّةَ المَعَارِجِ وَأَسْرَارِهَا بِالعُرُوجِ إِلَى الوَحْدَةِ كَشْفاً وَمُشَاهَدَةً، اشْتَغَلُوا بِغَلَبَةِ سُكْرِ الحَالِ فِي بَيَانِهَا بِمُقْتَضَى حَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ، فَصَنَّفُوا فِيهِ التَّصَانِيفَ، فَظَنَّ النَّاقِصُونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ، وَأَنَّ ذَلِكَ[13] بِحَسَبِ فُهُومِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَحَسِبُوا نُفُوسَهُمْ[1] مُحَقِّقِينَ

---

[1]- ي: اعلم رحمك الله

[2]- ل: وبه

[3]- ل: الإعانة والتوفيق

[4]- ح: كما

[5]- ل: الغايات

[6]- ل ي ك ع هـ ق ص: ولم يلتفتوا في بيان كيفية

[7]- ل ي ك ع هـ ق ص: "إلى" محذوفة

[8]- ح ي ك ع هـ ق ص: معرفته

[9]- ح ي ك ع هـ ق ص: يحصل

[10]- سورة القيامة، الآية 13

[11]- ي: "أي" محذوفة

[12]- ي: الجاهل

[13]- ي: "وأن ذلك" محذوفة

كَامِلِينَ، بِتَخَيُّلِ أَنَّ نُفُوسَهُمْ فِي مَرْتَبَةِ الحَقِيقَةِ بِمُجَرَّدِ العِلْمِ الدَّرْسِي وَالفِكْرِ العَقْلِيِّ بِلَا كَشْفٍ وَمُشَاهَدَةٍ، فَتَرَكُوا العَمَلَ بِالشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ، وَهَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ.

وَلَا يَخْفَى عَلَى المُتَفَطِّنِ أَنْ لَا خِلَافَ بَيْنَ مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، فَعُلَمَاءُ[2] الشَّرِيعَةِ تَوَغَّلُوا فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الكَثْرَةِ وَإِصْلَاحِهَا، لِتَرْتَفِعَ الكَثْرَةُ وَ تَظْهَرَ الوَحْدَةُ، وَهِيَ النِّهَايَةُ إِلَى البِدَايَةِ، وَعُلَمَاءُ الحَقِيقَةِ فِي بَيَانِ أَسْرَارِ الوَحْدَةِ وَإِحَاطَةِ الوُجُودِ، وَسَرَيَانِ نُورِهِ فِي المَرَاتِبِ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا فِي طَرَفٍ[3] ، فَالوَاجِبُ عَلَى الصَّادِقِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ فِي أَنْوَارِ الحَقِيقَةِ بَاطِناً وَيَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ ظَاهِراً حِفْظاً لِلمَرَاتِبِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ لِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتَهَى.

أَمَّا أَوْرَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الأَوْرَادِ، وَفِيهَا مِنَ الخَيْرِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ السَّدَادِ، وَهِيَ مِنْ أَمْلَحِ مَا رَتَّبَ أَهْلُ اللَّهِ فِي زَوَايَاهُمْ، قَصْدَ الجَمْعِ عَلَى اللَّهِ لِمَنْ خَالَطَهُمْ وَوَالَاهُمْ، لِتَنْضَبِطَ أَوْقَاتُهُمْ، وَتَنْصَلِحَ[4] بِهَا حَالَاتُهُمْ، أَحْيَا بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّرِيقَةَ بَعْدَ دُرُوسِ آثَارِهَا، وَشَيَّدَ مَنَارَ الوِلَايَةِ بَعْدَ خُبُوِّ أَنْوَارِهَا، سَلَكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ مَسْلَكَ[5] السَّادَاتِ الكِرَامِ، العَارِفِينَ الكُمَّلِ[6] الأَعْلَامِ، أَئِمَّةِ المِلَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَتَّى بَدَتْ بِظُهُورِهِ[7] الطَّرِيقَةُ.

وَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، فَلِأَوْرَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُذُوبَةٌ فِي الأَسْمَاعِ، مَمْزُوجَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ شَهِيَّةً لِلسَّمَاعِ، قَدْ أَبْدَى[8] فِيهَا مَا كَانَ كَامِناً وَأَجَادَ، وَأَبْلَغَ فِيهَا

---

[1]- ي: أنفسهم

[2]- أ ي ك ع ل هـ ق ص: علماء

[3]- ح: طرق

[4]- ي: وتصلح

[5]- ل ي: سلك بذلك رضي الله عنه مسلك

[6]- ل: الكمال

[7]- ك: بظهور

[8]- ي: بدى

لِلرَّاجِي غَايَةَ المُرَادِ، فَتَجَلَّتْ لِلْعَالَمِينَ كَالعَرُوسِ، فَجَلَبَتْ بِجَمَالِهَا كَثِيراً مِنَ النُّفُوسِ، فَسَقَتْهُمْ مِنْ لَذِيذِ الكُؤُوسِ.

وَلَمَّا أَنْ أَرَادَ[1] اللَّهُ سَعَادَةَ مَنْ عَاصَرَهُ، وَإِتْحَافَ مَنْ جَاوَرَهُ، قَذَفَ فِي قَلْبِهِ مِنْ نُورِ التَّحْقِيقِ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ التَّأْيِيدِ وَالتَّصْدِيقِ، فَلَمْ يَسَعْهُ الكَتْمُ إِنْ أَبْرَزَ مَا انْكَمَنَ فِيهِ عَلَى فِيهِ[2]، فِيهِ[2]، فَأَبْدَى لِلنَّاسِ عُجَاباً، وَفَتَحَ لِلطَّالِبِينَ بَاباً، فَرَتَّبَ أَوْرَاداً، يَتَّخِذُونَهَا لِلآخِرَةِ زَاداً، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ رَائِقَةَ المَعْنَى، لَذِيذَةَ الطَّعْمِ سَهْلَةَ الجَنَى، فَإِنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَقِفُ[3] عَلَى حَقِيقَتِهَا وَأَسَاسِهَا، وَتُشَاهِدُ سِرَّ حُسْنِهَا وَطَلْعَتِهَا، وَتَعْلَمُ مُنْشِئَهَا، وَمَا أُودِعَ مِنَ السِّرِّ المَكْنُونِ فِيهَا، مَا تَسْتَدِلُّ[4] إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِهِ عَلَى كَمَالِ إِرْثِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَالِهِ، وَلِتَعْلَمَ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ عَمِيمِ إِفْضَالِهِ، وَكَمَا قِيلَ:

مَنْ مِثْلُكُمْ يَا أَبَا الخَيْرَاتِ يُشْبِهُكُمْ * قَدْ حُزْتُمُ السِّرَّ وَالأَخْلَاقَ وَالشِّيَمَا

وَاللَّهِ مَا رَأَتِ العَيْنَانِ مِثْلَكُمُ * فِي العَصْرِ قَاطِبَةً يَا بَهْجَةَ العُلَمَا

وَ قَدْ قَالَ الشَّيْخُ زَرُّوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى الأَوْرَادِ، قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: وَبِالجُمْلَةِ: فَأَحْزَابُ المَشَايِخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صِفَةُ حَالِهِمْ، وَنُكْتَةُ مَقَالِهِمْ، وَمِيرَاثُ عُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَبِذَلِكَ جَرَوْا فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ، لَا بِالهَوَى قَبْلَ كَمَالِهِمْ[5] ، وَرُبَّمَا جَاءَ بَعْدَهُمْ مَنْ أَرَادَ مُحَاوَلَةَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، فَعَادَ مَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ بِعَكْسِهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا كَمَا يُحْكَى عَنِ النَّحْلَةِ عَلَّمَتِ الزَّنْبُورَ طَرِيقَ النَّسْجِ فَنَسَجَ عَلَى مِنْوَالِهَا، وَصَنَعَ بَيْتاً عَلَى مِثَالِهَا، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّ لَهُ مِنَ الفَضِيلَةِ مَا لَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: هَذَا البَيْتُ وَأَيْنَ العَسَلُ؟ وَإِنَّمَا السِّرُّ فِي السُّكَّانِ لَا فِي

---

[1]- ل: ولما أراد

[2]- ل: على ما فيه

[3]- ي: فإنك ستقف إن شاء الله

[4]- ل: يستدل

[5]- أ ح ي ك ع هـ ق ص م: كلامهم

المَنْزِلِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَحْزَابُ أَهْلِ الكَمَالِ مَمْزُوجَةٌ بِأَحْوَالِهِمْ، مُؤَيَّدَةٌ بِعُلُومِهِمْ، مُسَدَّدَةٌ بِإِلْهَامِهِمْ، مَصْحُوبَةٌ بِكَرَامَاتِهِمْ.

وَلَمْ تَزَلْ أَوْرَادُ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُنْذُ ظَهَرَتْ لِلعِيَانِ، **تَظْهَرُ لَهَا البَرَكَاتُ[1] الكَثِيرَةُ** مِنْ تَيْسِيرِ المَطَالِبِ وَبُلُوغِ المَآرِبِ إِلَى الآنَ، وَاسْتُخْرِجَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْهَا نُسَخٌ عَدِيدَةٌ لِلوُجُودِ، وَانْتَشَرَ صِيتُهَا فِي أَقْصَى البُلْدَانِ عَنْ إِذْنِ سَيِّدِ الوُجُودِ،

فَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ العِبَادِ مَشْهُورَةً، وَأَسْرَارُهَا[2] ظَاهِرَةً[3] مَنْشُورَةً[4]، فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الذَّخَائِرِ، وَأَسْنَى المَفَاخِرِ، وَرَأَوْا لَهَا مِنَ الأَسْرَارِ[5] مَا لَا يُحْصَى مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[6]، فَأَسْأَلُ اللَّهَ اللَّهَ أَنْ لَا يُعْدِمَهَا مِنْ وُجُودِهِ، وَأَنْ يُبْقِيَ أَنْوَارَهَا مَحْفُوفَةً بِشُهُودِهِ، بِجَاهِ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامِ الأَتْقِيَاءِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ[7] وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ، وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ، وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ، فَأَقُولُ وَبِهِ[8] الإِعَانَةُ وَالتَّوْفِيقُ، وَالهَادِي بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ:

أَمَّا أَوْرَادُهُ[9] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي يُلَقِّنُ لِكَافَّةِ الخَلْقِ الَّذِي رَتَّبَهُ[10] لَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ وَعَلَمُ الشُّهُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ[1]، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

---

[1]- ح ل: البركة

[2]- ح: وسرها

[3]- ح: ظاهر

[4]- ح: مشهودة

[5]- ح: "من الأسرار" محذوفة

[6]- ل: من خير الدارين

[7]- ح: "وعلى آله" محذوفة

[8]- ح ل ي ك هـ ق: وبالله

[9]- ي: ورده

[10]- ل: عَيَّنَهُ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيِّ صِيغَةٍ كَانَتْ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ[2] الهَيْلَلَةُ[3] مِائَةَ مَرَّةٍ، وَهَذِهِ الأَذْكَارُ بِعَيْنِهَا هِيَ الَّتِي رَتَّبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ بِتَلْقِينِهَا لِكُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ، كَبِيراً أَوْ صَغِيراً، ذَكَراً أَوْ أُنْثَى ، طَائِعاً أَوْ عَاصِياً ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَحَدٍ طَلَبَهُ مِنْهُ، وَكَوْنُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ،** لِمَا فِيهَا مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ، (وَالثَّوَابِ الجَسِيمِ، الَّذِي لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي امْتَنَّ بِهِ مِنْ فَيْضِ فَضْلِهِ العَمِيمِ) [4] ، وَفَضْلُهَا سَيَأْتِي مُبَيَّناً فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[5].

وَبَعْدَهَا فِي الفَضْلِ رُوحُ الصَّلَوَاتِ، وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، **ثُمَّ**[6] اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ[7] ، فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ، وَبِاجْتِهَادِ[8] المُلَقِّنِ الَّذِي يُلَقِّنُ الوِرْدَ، فَلَهُ النَّظَرُ إِنْ[9] كَانَ مَنْ يَأْخُذُ الوِرْدَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَفِيهِ أَهْلِيَّةٌ وَنِسْبَةٌ، فَلْيُلَقِّنْهُ[10] صَلَاةَ[11] الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَيَأْذَنُهُ فِي مَرْتَبَتِهَا الظَّاهِرَةِ فَقَطْ لَا غَيْرَ، وَإِلَّا يُلَقِّنُهُ رُوحَ الصَّلَوَاتِ إِنْ كَانَ مُتَوَسِّطاً،

---

[1]- ي ك ع ص: "مرة" محذوفة

[2]- ك: "ثم" محذوفة

[3]- ك: والهيللة

[4]- ي: ما بين القوسين محذوف

[5]- ح ل: إن شاء الله في محله

[6]- ل: ثم بعدها

[7]- ي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

[8]- ل: وأيضا باجتهاد

[9]- ل: فإن

[10]- ح ع ي ل ق هـ م: فيلقنه

[11]- أ ح ع ي ل ك هـ ق ص م: "صلاة" محذوفة. وأثبتنا هذا اللفظ وفقا لنسخة س (سكيرج)

وَإِلَّا اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ[1] وَعَلَى[2] آلِهِ[3] ، وَكَيْفَ مَا فَعَلَ أَجْزَأَهُ (بِأَيِّ صِيغَةٍ صِيغَةٍ مِنْ صِيَغِ الصَّلَاةِ)[4] .

وَوَقْتُهُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى، وَبَعْدَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى صَلَاةِ العِشَاءِ ، وَمَنْ فَاتَهُ[5] فِي هَاذَيْنِ الوَقْتَيْنِ لِعُذْرٍ، فَالنَّهَارُ كُلُّهُ لَهُ وَقْتٌ، وَاللَّيْلُ كَذَلِكَ، وَمَنْ فَاتَهُ وِرْدٌ[6] فَلْيَتَدَارَكْهُ عَلَى مَمَرِّ الدَّهْرِ ، وَمَنْ أَخَذَ هَذَا الوِرْدَ وَتَرَكَهُ تَرْكاً كُلِّيّاً أَوْ مُتَهَاوِناً بِهِ حَلَّتْ بِهِ عُقُوبَةٌ وَيَأْتِيهِ الهَلَاكُ، وَهَذَا إِخْبَاراً[7] مِنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَنَصُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَنْ أَخَذَ عَلَيْكَ ذِكْراً قُلْ لَهُ فِي وَصِيَّتِكَ لَهُ: ذِكْرُنَا هَذَا عَظِيمٌ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفْرِيطُ[8] فِيهِ وَإِيَّاكُمْ وَتَرْكُهُ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عَظِيمَةٌ وَهِيَ بَابُ[9] الكَمَالِ، وَهِيَ المَدْخَلُ الأَعْظَمُ، وَمَنْ تَرَكَهَا لَا يَجِدُ بَاباً مِنْ غَيْرِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ. إهـ)[10] .

وَشَرْطُهُ المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا فِي الجَمَاعَةِ إِنْ أَمْكَنَ، وَالطَّهَارَةُ البَدَنِيَّةُ وَالثَّوْبِيَّةُ وَالمَكَانِيَّةُ، وَاسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ، وَعَدَمُ الكَلَامِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ، **وَشَرْطُهُ الخَاصُّ بِهِ** لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ اسْتِحْضَارُ صُورَةِ القُدْوَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، (وَأَنَّهُ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ)[11] مِنْ أَوَّلِ الذِّكْرِ إِلَى

---

[1]- ي: اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

[2]- ل ك ع: "وعلى" محذوفة

[3]- ل ك ع: وآله

[4]- ك ع: صيغ الصلوات

[5]- ل: ومن فاته ورد

[6]- ح ك ع ي هـ ق ص: ورده

[7]- ل ي ك ع هـ ق ص: إخبار

[8]- ك ع: والتفرط

[9]- ل: وهي من باب

[10]- ح: ما بين القوسين محذوف

[11]- ل ي: ما بين القوسين محذوف

آخِرِهِ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ، **وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا** وَأَرْفَعُ وَأَكْمَلُ وَأَنْفَعُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ صُورَةَ المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَيْبَةٍ وَوَقَارٍ وَإِعْظَامٍ وَإِكْبَارٍ وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ بِقَدْرِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ ، وَيَسْتَحْضِرُ مَعَ ذَلِكَ مَعَانِي أَلْفَاظِ الذِّكْرِ إِنْ كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى فَهْمِهَا[1] ، وَإِلَّا فَيَسْتَمِعُ لِمَا يَذْكُرُهُ بِلِسَانِهِ، لِيَشْغَلَ فِكْرَهُ عَنِ الجَوَلَانِ فِي غَيْرِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، وَيُعِينُهُ هَذَا الحُضُورُ، وَهَذَا الوِرْدُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ لَازِمُ الطَّرِيقَةِ[2] فَلَا مَعْدِلَ لِأَحَدٍ عَنْهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الأَوْرَادِ الَّتِي سَنَذْكُرُهَا فَهُوَ مُخَيَّرٌ فِي الفِعْلِ وَالتَّرْكِ.

(**وَاعْلَمْ**: أَنَّ هَذَا الوِرْدَ العَظِيمَ لَا يُلَقَّنُ لِمَنْ كَانَ لَهُ وِرْدٌ مِنْ أَوْرَادِ المَشَايِخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَّا إِنْ تَرَكَهُ وَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَداً وَعَاهَدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُلَقِّنُهُ الوِرْدَ مَنْ لَهُ الإِذْنُ الخَاصُّ مِنَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِلَّا فَلَا يُلَقِّنُهُ لَهُ إِنْ لَمْ يَنْسَلِخْ عَنْ وِرْدِهِ الَّذِي بِيَدِهِ، فَيَتْرُكُهُ وَوِرْدَهُ وَطَرِيقَتَهُ، لِأَنَّ أَوْرَادَ المَشَايِخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلَّهَا عَلَى هُدًى وَبَيِّنَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَكُلّهَا مُسَلِّكَةٌ وَمُوصِلَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا لَيْسَ مِنَّا تَكَبُّراً وَاسْتِعْلَاءً عَلَى المَشَايِخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَاشَا وَكَلَّا وَمَعَاذَ اللَّهِ.

بَلْ هَذَا الشَّرْطُ مَشْرُوطٌ فِي طَرِيقَتِنَا لَا غَيْرَ، فَمَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ فِي طَرِيقَتِنَا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ هَذَا الشَّرْطِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِ مِنْ صَاحِبِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ أَيّاً كَانَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، لَا مِنْ شَيْخِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَعْدٍ صَادِقٍ لَا خُلْفَ لَهُ.

وَمَنْ أَبَى الخُرُوجَ عَنْ وِرْدِهِ الَّذِي بِيَدِهِ لِشَيْخِهِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَيَتْرُكُ وِرْدَنَا وَيَمْكُثُ عَلَى وِرْدِهِ وَطَرِيقَتِهِ، فَقَدْ قُلْنَا: أَوْرَادُ السَّادَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهَا عَلَى هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ أَذِنْتَهُ وَأَمَرْتَهُ بِتَلْقِينِ أَوْرَادِنَا وَإِعْطَاءِ طَرِيقَتِنَا فَلَهُ هَذَا الشَّرْطُ بِأَنْ لَا يُلَقِّنَ أَحَداً مِمَّنْ لَهُ وِرْدٌ أَوْ طَرِيقَةٌ مِنَ المَشَايِخِ، فَإِنْ فَعَلَ وَخَالَفَ فَقَدْ رَفَعْتُ عَنْهُ الإِذْنَ وَلَا يَنْفَعُهُ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَلَا لِمَنْ لَقَّنَهُ إِيَّاهُ، فَلْيَحْكُمْ هَذَا الشَّرْطَ وَيَعْمَلْ عَلَيْهِ، وَالسَّلَامُ.

---

[1] - ي: فهمه

[2] - ي: للطريقة

وَكَذَلِكَ مَنْ أَخَذَ وِرْدَنَا وَدَخَلَ طَرِيقَتَنَا فَلَا يَزُورُ أَحداً مِنَ الأَحْيَاءِ أَصْلاً، وَأَمَّا الأَمْوَاتُ فَإِنْ زَارَهُمْ فَيَعْتَقِدُ[1] أَنَّهُ[2] وَاصَلَهُمْ لِلَّهِ لَا غَيْرَ ، لِأَنَّهُمْ أَبْوَابُ اللَّهِ، وَوَاصَلَهُمْ لِلَّهِ، وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ مُوَاصَلَتِهِ إِيَّاهُمْ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضَا شَيْخِهِ عَلَيْهِ لَا غَيْرَ، وَالسَّلَامُ)[3] .

وَأَمَّا أَوْرَادُ الزَّاوِيَةِ فَهِيَ الإِسْتِغْفَارُ بِأَيِّ صِيغَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَصَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ خَمْسِينَ مَرَّةً، وَالهَيْلَلَةُ مِائَتَيْنِ أَوْ مِائَةً، وَجَوْهَرَةُ الكَمَالِ إِحْدَى[4] عَشَرَ مَرَّةٍ وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ. الخ..

وَهَذِهِ الوَظِيفَةُ لَازِمَةٌ لِلطَّرِيقَةِ[5]، وَتَكْفِي[6] فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ إِمَّا فِي الصَّبَاحِ أَوِ المَسَاءِ، وَإِنْ تَيَسَّرَ فِي الوَقْتَيْنِ فَحَسَنٌ بِخِلَافِ الوِرْدِ المَعْلُومِ فَهُوَ لَازِمٌ لِمَنْ أَخَذَهُ (فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ)[7] ، وَلَا يُسْتَغْنَى بِقِرَاءَةِ الوَظِيفَةِ عَنِ الوِرْدِ، فَمَنْ قَرَأَ الوَظِيفَةَ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الوِرْدِ، وَمَنْ تَرَكَ الوِرْدَ فَعَلَيْهِ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ الوَظِيفَةَ فَالقَضَاءُ عَلَيْهِ أَيْضاً.

(فَهِيَ كَالوِرْدِ، فَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ مَثَلاً فِي بَلَدٍ وَلَيْسَ[8] مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الإِخْوَانِ يَقْرَأُ الوَظِيفَةَ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ إِخْوَانٌ يَجْتَمِعُ مَعَهُمْ وَيَقْرَؤُونَهَا جَمَاعَةً، وَهَذَا الشَّرْطُ[9] فِي الوَظِيفَةِ، وَإِنْ كَانَ مُسَافِراً قَرَأَهَا وَحْدَهُ[10] ، وَإِنْ لَمْ يَحْفَظْهَا فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ)[1] ، وَلَا تُقْرَأُ جَوْهَرَةُ الكَمَالِ إِلَّا

---

[1]- أ ي ك ع: يعتقد

[2]- أ: وأنه

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح ل: أحد

[5]- ل: لازمة للطريقة أيضا

[6]- ل: لكنها تكفي

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

[8]- ي ك ع هـ ق ص: ولا

[9]- ي ك ع هـ ق ص: شرط

[10]- ل: قرأها وحده على أي حالة من ركوب وغيره

بِالطَّهَارَةِ المَائِيَةِ لَا بِالتُّرَابِيَةِ[2] ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْضُرُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهِ.

(وَمِنْ أَوْرَادِهِ اللَّازِمَةِ لِلطَّرِيقَةِ **ذِكْرُ الهَيْلَلَةِ** بَعْدَ صَلَاةِ عَصْرِ يَوْمِ الجُمُعَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَإِنْ[3] كَانَ لَهُ إِخْوَانٌ فِي البَلَدِ فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِهِمْ وَذِكْرِهِمْ جَمَاعَةً، وَهَذَا شَرْطٌ[4] فِي الطَّرِيقَةِ مِنْ غَيْرِ حَدٍّ وَلَا حَصْرٍ، عَلَى قَاعِدَةِ الطَّرِيقَةِ الخَلْوَتِيَّةِ، وَإِلَّا فَبِحَسَبِ كُلِّ مَا اصْطَلَحَتْ عَلَيْهِ البَلَدُ الَّذِي هُوَ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ وَلَا إِخْوَانَ لَهُ يَذْكُرُ الهَيْلَلَةَ وَحْدَهُ، وَهَذَا شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الطَّرِيقَةِ أَبَداً سَرْمَداً)[5] ،

وَمِنْ أَوْرَادِهِ العَظِيمَةِ القَدْرِ يَاقُوتَةُ الحَقَائِقِ، فِي التَّعْرِيفِ بِحَقِيقَةِ سَيِّدِ الخَلَائِقِ وَهِيَ الَّتِي أَوَّلُهَا: اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. إلخ .. كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَحَلِّهَا مَعَ فَضْلِهَا وَشَرْحِهَا وَفَضْلِ الصَّلَاةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَشَرْحِهَا أَيْضاً فِي الخَاتِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَذَلِكَ: **الحِرْزُ اليَمَانِي وَهُوَ دُعَاءُ السَّيْفِي** وَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَثَوَابٌ جَسِيمٌ، مِنْ فَضْلِهِ أَنَّ مَنْ ذَكَرَهُ مَرَّةً تُكْتَبُ لَهُ عِبَادَةُ سَنَةٍ، وَمَرَّتَيْنِ سَنَتَيْنِ وَهَكَذَا، وَمَنْ حَمَلَهُ مَعَهُ كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَهُ فَلْيُطَالِعْ الجَوَاهِرَ الخَمْسَ لِسَيِّدِي مُحَمَّدٍ غَوْثِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ **حِزْبُ البَحْرِ**، وَلَهُ خَاصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَا يُلَقِّنُهُ إِلَّا لِلخَاصَّةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ، وَأَخَذَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ مَا قَبْلَهُ مِنَ السَّيْفِي وَغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَوْرَادِهِ العَظِيمَةِ **الأَسْمَاءُ الإِدْرِيسِيَةُ** الَّتِي أَوَّلُهَا سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَوَارِثَهُ وَرَازِقَهُ وَرَاحِمَهُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ إِسْماً، وَآخِرُهَا يَا غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ كُرْبَةٍ، وَمُجِيبِي

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ل: بالترابية وإن كان فرضه التيمم تركها

[3]- أ: إن

[4]- ل: الشرط

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

عِنْدَ كُلِّ دَعْوَةٍ، وَمَعَاذِي عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ، وَيَا رَجَائِي حِينَ تَنْقَطِعُ حِيلَتِي، وَهَذَا الإِسْمُ غَنِيٌّ عَنِ الشَّرَائِطِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى الإِجَازَةِ مِنَ الشَّيْخِ، وَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ العَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَدِيمَةُ النَّظِيرِ **فَاتِحَةُ الكِتَابِ بِالخَاصِيَةِ المَعْلُومَةِ** الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْرَارِ، وَالكَنْزِ المُطَلْسَمِ الَّتِي[1] لَمْ يَظْفَرْ بِهَا[2] أَحَدٌ مِنْ خَوَاصِّ الأَبْرَارِ، سِوَى سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا[3]، فَقَدْ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ المُخْتَارُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَيَأْتِي فَضْلُهَا وَكَيْفِيَّتُهَا، وَمِنْ أَوْرَادِهِ **صَلَاةُ رَفْعِ الأَعْمَالِ**، وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِي عَدَدَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَبِيِّ كَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ، (وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا[4] مُحَمَّدٍ النَبِيِّ كَمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ)[5].

وَمِنْ أَوْرَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي ثَلَاثاً فِي الصَّبَاحِ وَثَلَاثاً فِي المَسَاءِ، **وَمِنْ أَوْرَادِهِ:** وَظِيفَةُ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَلَاثاً فِي الصَّبَاحِ وَثَلَاثاً فِي المَسَاءِ وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. اهـ وَمِنْ أَوْرَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **الدَّوْرُ الأَعْلَى** لِلشَّيْخِ الأَكْبَرِ، وَالكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ، ابْنِ العَرَبِي الحَاتِمِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْهَا **اسْتِغْفَارُ سَيِّدِنَا الخَضِرِ** عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَهُوَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أُوفِ لَكَ بِهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ، فَخَالَطَنِي فِيهِ غَيْرُكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَاسْتَعَنْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ يَا عَالِمَ

---

[1]- ل: الذي

[2]- ل: به

[3]- ح ل: شيخنا وسيدنا

[4]- أ ح: "سيدنا" محذوفة

[5]- ع: ما بين القوسين محذوف

الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ فِي ضِيَاءِ النَّهَارِ أَوْ سَوَادِ اللَّيْلِ فِي مَلَاءٍ أَوْ خَلَاءٍ أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلَانِيَةٍ يَا حَلِيمُ.. إهـ.. فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ العَظِيمَةِ **المُسَبَّعَاتُ العَشْرُ** المَعْلُومَةُ عِنْدَ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، وَهِيَ الفَاتِحَةُ مَعَ البَسْمَلَةِ سَبْعاً، ثُمَّ المُعَوِّذَتَيْنِ مَعَ البَسْمَلَةِ سَبْعاً سَبْعاً، ثُمَّ الإِخْلَاصُ مَعَ البَسْمَلَةِ سَبْعاً، ثُمَّ الكَافِرُونَ مَعَ البَسْمَلَةِ سَبْعاً، ثُمَّ آيَةُ الكُرْسِي سَبْعاً، ثُمَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ سَبْعاً، ثُمَّ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّي وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ[1] سَبْعاً، ثُمَّ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ سَبْعاً[2] ، ثُمَّ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلمُومِنِينَ وَالمُومِنَاتِ وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ سَبْعاً، اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي وَبِهِمْ عَاجِلاً وَآجِلاً فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ، وَلَا تَفْعَلْ بِنَا وَبِهِمْ يَا مَوْلَانَا مَا نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ، إِنَّكَ غَفُورٌ حَلِيمٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ سَبْعاً[3] . انْتَهَى.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ البُخَارِي، وَهُوَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ . إهـ.. عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، وَسَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْمُرُ بِهِ عِنْدَ النَّوْمِ.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ وَفِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، أَمَّا دُبُرَ الصَّلَوَاتِ فَالفَاتِحَةُ أَرْبَعاً دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ آيَةُ الكُرْسِيِّ مَرَّةً، ثُمَّ اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَلَحْظَةٍ[4]

---

[1]- ي: وسلم تسليما

[2]- ي: "سبعا" محذوفة

[3]- ل: ثم يا جبار إحدى وعشرين مرة تقرأ في الصباح قبل الشروق وفي المساء قبل الغروب، وسنده رضي الله عنه فيها عن شيخه سيدي محمود الكردي المصري عن سيدنا الخضر مشافهة بهذه الرواية.

[4]- أ: (ولحظة) ساقطة

وَطَرْفَةٍ[1] يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ، أَوْ قَدْ كَانَ، أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ[2] إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَرَّةً، يَضَعُ يَدَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَيَقْرَؤُهَا، وَيَضَعُ أَيْضاً يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَيَقْرَؤُهَا، ثُمَّ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثاً، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ.

ثُمَّ تَبَارَكْتَ إِلَهِي مِنَ الدَّهْرِ إِلَى الدَّهْرِ، (وَتَعَالَيْتِ إِلَهِي مِنَ الدَّهْرِ إِلَى الدَّهْرِ، وَتَقَدَّسْتَ إِلَهِي مِنَ الدَّهْرِ إِلَى الدَّهْرِ)[3] ، وَأَنْتَ[4] رَبِّي وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ وَالفَتَّاحَ بِالخَيْرَاتِ اغْفِرْ لِي وَلِعِبَادِكَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتَ عَلَى رُسُلِكَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ بِالعَظَمَةِ، سُبْحَانَ مَنْ تَرَدَّى بِالكِبْرِيَاءِ، سُبْحَانَ مَنْ تَفَرَّدَ بِالوَحْدَانِيَةِ، سُبْحَانَ مَنِ احْتَجَبَ بِالنُّورِ، سُبْحَانَ مَنْ قَهَرَ العِبَادَ بِالمَوْتِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَفَضْلُهُ مَنْ دَاوَمَ عَلَيْهِ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ يَبْعَثُ اللَّهُ لَهُ[5] مَلَكاً يُؤَدِّي عَنْهُ الصَّلَوَاتِ الفَوَائِتَ، يَعْنِي الفَرَائِضَ الَّتِي تَرَتَّبَتْ فِي ذِمَّتِهِ، لَكِنْ لَا يَعْتَمِدُ هَذَا، بَلْ إِنْ تَرَتَّبَتْ فِي ذِمَّتِهِ صَلَوَاتٌ فَلْيُقْضِهَا، وَفَضْلُ اللَّهِ أَوْسَعُ.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ آيَةُ الكُرْسِيِّ سَبْعاً، ثُمَّ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِلَى آخِرِهَا سَبْعاً، ثُمَّ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثاً، ثُمَّ حِزْبُ البَحْرِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، وَكَذَالِكَ المُسَبَّعَاتُ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ، **ثُمَّ يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ** وَسَتَرَ القَبِيحَ وَلَمْ يُوَاخِذْ بِالجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ، يَا عَظِيمَ العَفْوِ وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ وَيَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ وَيَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى وَيَا مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى،

---

[1]- أ ع: وطرف

[2]- ح: "الحي القيوم" محذوف

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ي: أنت

[5]- ك: "له" محذوفة

وَيَا كَرِيمَ الصَّفْحِ وَيَا عَظِيمَ المَنِّ، وَيَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبِّ وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلَايَ وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُشَوِّهَ خِلْقَتِي بِبَلَاءِ الدُّنْيَا[1] وَلَا بِعَذَابِ النَّارِ . انْتَهَى. عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ.

وَكَذَلِكَ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ الأَسْمَاءُ الإِدْرِيسِيَّةُ مَرَّةً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، (وَكَذَلِكَ الإِخْلَاصُ إِحْدَى[2] عَشَرَ مَرَّةً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ)[3] **بِقَصْدِ التَّحْصِينِ،** وَكَذَلِكَ آيَةُ الكُرْسِيِّ سَبْعاً[4] بِقَصْدِ التَّحْصِينِ، وَآيَةُ الحِرْصِ سَبْعاً وَهِيَ لَقَدْ جَاءَكُمْ بِقَصْدِ التَّحْصِينِ، وَكَذَلِكَ السَّيْفِي لِلتَّحْصِينِ مَرَّةً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، وَكَذَلِكَ حِزْبُ البَحْرِ ثَلَاثاً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، ثُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَا دَافِعُ يَا مَانِعُ يَا حَفِيظُ يَا حَكِيمُ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ.

وَمِنْ أَوْرَادِهِ دُعَاءٌ ذَكَرَهُ أَبُو طَالِبٍ فِي قُوتِ القُلُوبِ، وَذَكَرَ لَهُ فَضْلاً عَظِيماً سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الفَضَائِلِ وَهُوَ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الحَيُّ القَيُّومُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ العَلِيُّ العَظِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ العَفُوُّ الغَفُورُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْكَ[5] يَعُودُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَالِقُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدا، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الوَاحِدُ[6] الأَحَدُ[1] الفَرْدُ الوِتْرُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ

---

[1]- أ ع ح م: بالبلاء في الدنيا. وأثبتنا لفظ "ببلاء الدنيا" هنا وفقا للنسخ ك ل ي س هـ ق ص، وكذلك لاتفاق جميع النسخ الإحدى عشر عليه في الفصل الرابع في رسائله من الباب الخامس من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

[2]- ل ي ح ق: أحد

[3]- ي: ما بين القوسين محذوف

[4]- ي: "سبعا" محذوفة

[5]- ي: وإليه

[6]- ي: "الواحد" محذوف

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَلِكُ القُدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ السَّلَامُ المُومِنُ المُهَيْمِنُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الخَالِقُ البَارِئُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ المُصَوِّرُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الكَبِيرُ المُتَعَالُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المُقْتَدِرُ القَهَّارُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، (أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ القَادِرُ الرَّزَاقُ)[2] ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَوْقَ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ. انْتَهَى. يُذْكَرُ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ مَرَّةً أَوْ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ.

وَمِنْهَا هَذَا التَّسْبِيحُ، وَهُوَ[3] : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِلْءَ مَا عَلِمَ وَعَدَدَ مَا عَلِمَ وَزِنَةَ مَا عَلِمَ، فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ غَيْرِ حَصْرِ عَدَدٍ وَلَا وَقْتٍ، وَفَضْلُهُ سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَمَّا سَنَدُ طَرِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَنَا فَقَالَ: إِنَّا أَخَذْنَا عَنْ مَشَايِخَ عِدَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَقْضِ اللَّهُ مِنْهُمْ بِتَحْصِيلِ المَقْصُودِ، وَإِنَّمَا سَنَدُنَا وَاسْتِنَادُنَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ[4] عَنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَضَى اللَّهُ بِفَتْحِنَا وَوُصُولِنَا عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنَ الشُّيُوخِ فِينَا تَصَرُّفٌ وَكَفَى . انْتَهَى كَلَامُهُ فِي هَذَا المَحَلِّ.

وَأَمَّا فَضْلُ أَتْبَاعِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ أَخْبَرَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّهُ فَهُوَ حَبِيبٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَكُونَ وَلِيّاً قَطْعاً ، وَفِي هَذَا القَدْرِ كِفَايَةٌ.

الفَصْلُ الثَّانِي فِي فَضْلِ وِرْدِهِ

---

[1]- ع: "الواحد الأحد" محذوف

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: (وهو) ساقطة

[4]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: الطريقة

وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِتَالِيهِ. وَصِفَةِ المُرِيدِ وَحَالِهِ. وَمَا يَقْطَعُهُ عَنْ أُسْتَاذِهِ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَبِهِ الإِعَانَةُ وَالهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَخْبَرَنِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَقَظَةً لَا مَنَاماً)[1] ، قَالَ لِي: أَنْتَ مِنَ الآمِنِينَ وَكُلُّ مَنْ رَآكَ مِنَ الآمِنِينَ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ، وَكُلُّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ بِخِدْمَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَكُلُّ مَنْ أَطْعَمَكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا صَدَرَ لِي مِنَ المَحَبَّةِ[2] مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَرَّحَ لِي بِهَا تَذَكَّرْتُ الأَحْبَابَ وَمَنْ وَصَلَنِي إِحْسَانُهُمْ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِي بِخِدْمَةٍ[3] وَأَنَا أَسْمَعُ أَكْثَرَهُمْ يَقُولُونَ لِي نُحَاسِبُكَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ إِنْ دَخَلْنَا النَّارَ وَأَنْتَ تَرَى، فَأَقُولُ لَهُمْ: لَا أَقْدِرُ لَكُمْ عَلَى شَيْءٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ هَذِهِ المَحَبَّةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ لِكُلِّ مَنْ أَحَبَّنِي وَلَمْ يُعَادِينِي بَعْدَهَا، وَلِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ لِي[4] بِشَيْءٍ[5] مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَأَكْثَرَ وَلَمْ يُعَادِينِي بَعْدَهَا، وَآكِدُ ذَلِكَ مَنْ أَطْعَمَنِي طَعَامَهُ، قَالَ[6] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُلُّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ[7] حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَسَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَ عَنِّي ذِكْراً أَنْ تُغْفَرَ[8] لَهُمْ لَهُمْ جَمِيعُ[1] ذُنُوبِهِمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَأَنْ تُؤَدَّى عَنْهُمْ تِبَاعَتُهُمْ[2] مِنْ خَزَائِنِ فَضْلِ اللَّهِ

---

[1]- ي: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح ك: صدر لي منه من المحبة

[3]- ل: بخدمته

[4]- ك: إلي

[5]- ع: "بشيء" محذوفة

[6]- ي: فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

[7]- ح ع: بلا

[8]- ل: يغفر

اللَّهِ لَا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، وَأَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُحَاسَبَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونُوا آمِنِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنَ المَوْتِ إِلَى دُخُولِ الجَنَّةِ، وَأَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ فِي أَوَّلِ الزُمْرَةِ الأُولَى، وَأَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ مَعِي فِي عِلِّيينَ فِي جِوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضَمِنْتُ لَهُمْ[3] هَذَا كُلَّهُ ضَمَانَةً لَا تَنْقَطِعُ حَتَّى تُجَاوِرَنِي أَنْتَ وَهُمْ فِي عِلِّيينَ.

ثُمَّ[4] اعْلَمْ: أَنِّي بَعْدَمَا كَتَبْتُ مَا فِي الأَصْلِ مِنْ سَمَاعِهِ وَإِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ اطَّلَعْتُ عَلَى مَا أَرْسُمُهُ مِنْ خَطِّهِ، وَنَصُّهُ: أَسْأَلُ مِنْ فَضْلِ[5] سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضْمَنَ لِي دُخُولَ الجَنَّةِ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ فِي أَوَّلِ الزُمْرَةِ الأُولَى، أَنَا وَكُلُّ أَبٍ وَأُمٍّ وَلَدُونِي مِنْ أَبَوَيَّ إِلَى أَوَّلِ أَبٍ وَأُمٍّ لِي فِي الإِسْلَامِ مِنْ جِهَةِ أَبِي وَأُمِّي[6]، وَجَمِيعُ مَا وَلَدَ آبَائِي وَأُمَّهَاتِي مِنْ أَبَوَيَّ إِلَى الجَدِّ الحَادِيَ عَشَرَ وَالجَدَّةِ الحَادِيَةَ عَشَرَ مِنْ جِهَةِ أَبِي، وَمِنْ جِهَةِ أُمِّي، مِنْ كُلِّ مَا تَنَاسَلَ مِنْ وَقْتِهِمْ[7] إِلَى[8] أَنْ يَمُوتَ سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، مِنْ جَمِيعِ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ، وَالصِّغَارِ وَالكِبَارِ.

وَكُلُّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ بِإِحْسَانٍ حِسِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَأَكْثَرَ، وَكُلُّ مَنْ نَفَعَنِي بِنَفْعٍ حِسِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَأَكْثَرَ مِنْ خُرُوجِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي إِلَى مَوْتِي، وَكُلُّ مَنْ لَهُ عَلَيَّ مَشْيَخَةٌ فِي عِلْمٍ أَوْ قُرْآنٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ سِرٍّ، مِنْ كُلِّ مَنْ لَمْ يُعَادِينِي[9] مِنْ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ،

---

[1]- ي: "جميع" محذوفة

[2]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: تَبِعَاتُهُمْ

[3]- ي: "لهم" محذوفة

[4]- ي ك ع ق ص: "ثم" محذوفة

[5]- ي: "فضل" محذوفة

[6]- ي ك ع: من جهة أبي ومن جهة أمي

[7]- ي: "من وقتهم" محذوفة

[8]- ي: من كل ما تناسل منهم إلى

[9]- ل: يعاديني بعدها

وَأَمَّا مَنْ عَادَانِي أَوْ أَبْغَضَنِي فَلَا، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّنِي وَلَمْ يُعَادِينِي، وَكُلُّ مَنْ وَالَانِي وَاتَّخَذَنِي شَيْخاً أَوْ أَخَذَ عَنِّي ذِكْراً، وَكُلُّ مَنْ زَارَنِي، وَكُلُّ مَنْ خَدَمَنِي[1] أَوْ قَضَى لِي حَاجَةً أَوْ دَعَا لِي. لِي.

كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ خُرُوجِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي إِلَى مَوْتِي، وَآبَاؤُهُمْ[2] وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَوَالِدَيْ أَزْوَاجِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ أَرْضَعَنِي وَأَوْلَادُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَوَالِدِيهِمْ وَوَالِدَيْ أَزْوَاجِهِمْ، يَضْمَنُ لِي سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِجَمِيعِ هَؤُلَاءِ أَنْ نَمُوتَ أَنَا وَكُلُّ حَيٍّ مِنْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ، وَأَنْ يُؤَمِّنَنَا اللَّهُ وَجَمِيعَهُمْ مِنْ جَمِيعِ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ وَتَهْوِيلِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَرُعْبِهِ وَجَمِيعِ الشُّرُورِ مِنَ المَوْتِ إِلَى المُسْتَقَرِّ فِي الجَنَّةِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَلِجَمِيعِهِمْ[3] وَلِجَمِيعِهِمْ[3] جَمِيعَ الذُّنُوبِ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ[4].

وَأَنْ تُؤَدِّيَ عَنِّي وَعَنْهُمْ جَمِيعَ[5] تَبَعَاتِنَا وَتَبَعَاتِهِمْ[6]، وَجَمِيعَ[7] مَظَالِمِنَا وَمَظَالِمِهِمْ[8]، مِنْ خَزَائِنِ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مِنْ حَسَنَاتِنَا، وَأَنْ يُؤَمِّنَنِي[9] اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَمِيعَهُمْ مِنْ جَمِيعِ مُحَاسَبَتِهِ مُحَاسَبَتِهِ وَمُنَاقَشَتِهِ وَسُؤَالِهِ عَلَى القَلِيلِ وَالكَثِيرِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنْ يُظِلَّنِي[10] اللَّهُ وَجَمِيعَهُمْ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنْ يُجِيزَنِي رَبِّي وَكُلّ وَاحِدٍ مِنَ المَذْكُورِينَ عَلَى الصِّرَاطِ أَسْرَعَ

---

[1]- ح: أو أخذ عني ـ ل: وكل من أخذ عني

[2]- أ ك ع ي هـ ق ص م: وآبائهم، واللفظ المثبت في النص هو (وآباؤهم) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[3]- ح: وأن تغفر لي ولهم جميع

[4]- ل: ما تقدم منها وما تأخر

[5]- ح: جميع التبعات

[6]- ح: تبعاتنا وتبعاتهم

[7]- ح: وجميع المظالم

[8]- ح: "مظالمنا ومظالمهم" محذوفة

[9]- ي: يؤمننا

[10]- ل: يؤمنني

مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ عَلَى كَوَاهِلِ المَلَائِكَةِ، وَأَنْ يُسْقِيَنِي اللَّهُ وَجَمِيعَهُمْ مِنْ حَوْضِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنْ يُدْخِلَنِي رَبِّي وَجَمِيعَهُمْ جَنَّتَهُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ فِي أَوَّلِ الزُّمْرَةِ الأُولَى.

وَأَنْ يَجْعَلَنِي رَبِّي وَجَمِيعَهُمْ مُسْتَقِرِّينَ فِي الجَنَّةِ فِي عِلِّيينَ مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَمِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، أَسْأَلُ[1] سَيِّدَنَا[2] رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ أَنْ يَضْمَنَ لِي وَلِجَمِيعِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فِي هَذَا الكِتَابِ، جَمِيعَ مَا طَلَبْتُ مِنَ اللَّهِ لِي وَلَهُمْ فِي هَذَا الكِتَابِ بِكَمَالِهِ كُلِّهِ ضَمَاناً يُوصِلُنِي وَجَمِيعَ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فِي هَذَا الكِتَابِ إِلَى كُلِّ مَا طَلَبْتُهُ[3] مِنَ اللَّهِ لِي وَلَهُمْ فِي هَذَا الكِتَابِ وَالسَّلَامُ. **فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] بِقَوْلِهِ الشَّرِيفِ[5] :** كُلُّ مَا فِي هَذَا الكِتَابِ ضَمِنْتُهُ لَكَ ضَمَانَةً لَا تَتَخَلَّفُ عَنْكَ وَعَنْهُمْ أَبَداً إِلَى أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَجَمِيعُ مَنْ ذَكَرْتَ فِي جِوَارِي فِي أَعْلَى عِلِّيينَ، وَضَمِنْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا طَلَبْتَهُ مِنَّا ضَمَانَةً لَا يَخْلُفُ عَلَيْكَ الوَعْدُ فِيهَا وَالسَّلَامُ. (انْتَهَى مِنْ خَطِّهِ حَرْفاً حَرْفاً)[6]

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ يَقَظَةً لَا مَنَاماً، وَأَنْتُمْ وَجَمِيعُ الأَحْبَابِ لَا تَحْتَاجُونَ إِلَى رُؤْيَتِي، إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى رُؤْيَتِي مَنْ لَمْ يَكُنْ حَبِيباً لِي وَلَا أَخَذَ عَنِّي ذِكْراً، وَلَا أَكَلْتُ طَعَامَهُ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ ضَمِنَهُمْ لِي[7] بِلَا شَرْطِ رُؤْيَةٍ، مَعَ زِيَادَةِ أَنَّهُمْ مَعِي فِي عِلِّيِّينَ، وَلَا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ عِلِّيِّينَ هِيَ وَعُمُومُ الجَنَّةِ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ، بَلِ النِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا لَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الثِّمَارِ الَّتِي فِي الجَنَّةِ الأُولَى إِلَى الدُّنْيَا، فَضْلاً عَنِ الحُورِ لَأَطْفَأَتْ نُورَ الشَّمْسِ،

---

[1] - ي: وأسأل
[2] - ل: أسأل من فضل سيدنا
[3] - ل ي ك: طلبت
[4] - ل: فأجابه صلى الله عليه وسلم بما نصه
[5] - ل: "بقوله الشريف" محذوفة
[6] - ح: ما بين القوسين محذوف
[7] - ي: "لي" محذوفة

وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الجَنَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الأُولَى لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ وَفَتَنَتْهُمْ، وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الجَنَّةِ الثَّالِثَةِ إِلَى الثَّانِيَةِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ. وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الجَنَّةِ الرَّابِعَةِ إِلَى الثَّالِثَةِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ، وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الجَنَّةِ الخَامِسَةِ إِلَى الرَّابِعَةِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ، وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ الجَنَّةِ السَّادِسَةِ إِلَى الخَامِسَةِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ، وَلَوْ خَرَجَتْ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ السَّابِعَةِ إِلَى السَّادِسَةِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ، وَهِيَ الفِرْدَوْسُ أَيْ السَّابِعَةُ، وَعِلِّيُّونَ فَوْقَ الفِرْدَوْسِ، وَلَوْ خَرَجَتْ مِنْهُ حَبَّةُ عِنَبٍ أَوْ غَيْرُهَا إِلَى الفِرْدَوْسِ لَأَطْفَأَتْ جَمِيعَ أَنْوَارِهِمْ وَفَتَنَتْهُمْ عَنْ كُلِّ مَا عِنْدَهُمْ.

وَعِلِّيُّونَ مَقَامُ الأَنْبِيَاءِ[1] وَأَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَمَنِ اهْتَدَى مِنَ الأُمَمِ[2] السَّابِقَةِ مِنْ غَيْرِ نُبُوءَةٍ لَا مَنْ عَدَاهُمْ، فَاعْرِفْ النِّسْبَةَ بَيْنَ عِلِّيِّينَ وَالجَنَّاتِ، وَقِسْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الجَنَّةِ مِنْ حُورٍ وَقُصُورٍ وَغَيْرِهَا، فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا عَرَفْتَ قَدْرَ جَنَّةِ عِلِّيِّينَ وَالجَنَّاتِ وَأَيَّ نِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ تَفَضَّلَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ضَمِنَ لِي دُخُولَ مَنْ ذَكَرْتُهُمْ إِلَيْهِ[3] بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَاسْتِقْرَارَهُمْ فِيهَا، وَأَنَّ مَنْ رَآنِي فَقَطْ غَايَتُهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَلَا يُعَذَّبُ، وَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي عِلِّيِّينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ ذَكَرْتُهُمْ، وَهُمْ أَحْبَابُنَا وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَمَنْ أَخَذَ عَنَّا ذِكْراً، فَإِنَّهُ يَسْتَقِرُّ فِي عِلِّيِّينَ مَعَنَا، وَقَدْ ضَمِنَ لَنَا هَذَا بِوَعْدٍ صَادِقٍ لَا خُلْفَ لَهُ، إِلَّا أَنِّي اسْتَثْنَيْتُ مَنْ عَادَانِي بَعْدَ المَحَبَّةِ وَالإِحْسَانِ فَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَطَلَبْتُهُ[4] أَيْضاً أَنْ يَمُوتُوا كُلُّهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُتَمَسِّكِينَ[5] بِمَحَبَّتِنَا فَأَبْشِرُوا بِمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لِجَمِيعِ الأَحْبَابِ قَطْعاً. انْتَهَى.

---

[1]- ل: مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

[2]- ل: من هذه الأمم

[3]- ح: من ذكرتهم إليه الجنة

[4]- ي: وطلبت

[5]- ل: مستمسكين

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَنْ أَخَذَ عَنِّي الوِرْدَ المَعْلُومَ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ لِلطَّرِيقَةِ أَوْ عَمَّنْ أَذِنْتُهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ هُوَ وَوَالِدَاهُ وَأَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ[1] المُنْفَصِلَةُ عَنْهُ. لَا الحَفَدَةُ ، بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يَصْدُرَ مِنْهُمْ سَبٌّ وَلَا بُغْضٌ وَلَا عَدَاوَةٌ ، وَبِدَوَامِ[2] مَحَبَّةِ الشَّيْخِ[3] بِلَا انْقِطَاعٍ إِلَى المَمَاتِ، وَكَذَلِكَ مُدَاوَمَةُ الوِرْدِ إِلَى المَمَاتِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا الفَضْلُ هَلْ[4] هُوَ خَاصٌّ بِمَنْ أَخَذَ عَنِّي الذِّكْرَ مُشَافَهَةً أَوْ هُوَ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ وَلَوْ بِوَاسِطَةٍ، فَقَالَ لِي: كُلُّ مَنْ أَذِنْتَهُ وَأَعْطَى لِغَيْرِهِ[5] فَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ[6] عَنْكَ مُشَافَهَةً، وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُمْ، وَهَذَا الفَضْلُ شَامِلٌ لِمَنْ تَلَا هَذَا الوِرْدَ سَوَاءٌ رَآنِي أَوْ لَمْ يَرَنِي.

(وَأَخْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: بِعِزَّةِ رَبِّي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمِ الجُمُعَةِ لَنْ[7] أُفَارِقْكَ[8] فِيهِمَا مِنَ الفَجْرِ إِلَى الغُرُوبِ، وَمَعِي سَبْعَةُ أَمْلَاكٍ، وَكُلُّ مَنْ يَرَاكَ فِي فِي اليَوْمَيْنِ يَكْتُبُونَ المَلَائِكَةُ اسْمَهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَكْتُبُونَهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَا شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَتُكَثِّرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي هَذَيْنِ اليَوْمَيْنِ، فَكُلُّ صَلَاةٍ تُصَلِّيهَا عَلَيَّ أَسْمَعُكَ[9] وَأَرُدُّ[10] عَلَيْكَ، وَكَذَا جَمِيعُ أَعْمَالِكَ تُعْرَضُ عَلَيَّ وَالسَّلَامُ)[11].

---

[1]- ح: وذرياته

[2]- ي: ويداوم

[3]- ل: القدوة

[4]- ح: "هل" محذوفة

[5]- ي: وأعطى الورد لغيره

[6]- ل ي: أخذ

[7]- ل ي ك ع هـ ق ص: لم

[8]- ي: نفارقك

[9]- ل ي ك ع هـ ق ص: نسمعك

[10]- ل ي ك ع هـ ق ص: ونرد

[11]- ح: ما بين القوسين محذوف

قُلْتُ: وَهَذِهِ الكَرَامَةُ العَظِيمَةُ المِقْدَارِ، وَهِيَ دُخُولُ الجَنَّةِ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ لِمَنْ أَخَذَ وِرْدَهُ وَدُخُولُ وَالِدَيْهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَتِهِ لَمْ تَقَعْ لِأَحَدٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ، وَلَا بَلَغَنَا مِنْ أَخْبَارِ سَادَاتِنَا[1] الأَوْلِيَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِنْ وَقَعَ لَهُمْ أَنَّ مَنْ رَأَى مَنْ رَآهُمْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلَانِي، وَسَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَانِ الثَّعَالِبِي، وَمَوْلَاي التُّهَامِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْ وَاحِدٍ[2] مِنْ هَؤُلَاءِ عَدَمُ الحِسَابِ وَالعِقَابِ لِأَصْحَابِهِ أَوْ لِمَنْ رَآهُ كَمَا وَقَعَ لِشَيْخِنَا لِشَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ ذَكَرُوا دُخُولَ الجَنَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا، لَكِنَّ هَذِهِ خُصُوصِيَةٌ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِأَصْحَابِهِ.

وَمَعَ هَذَا **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مُحَذِّراً لِأَصْحَابِهِ وَمُرْشِداً لَهُمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ: أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِنَ لَنَا أَنَّ مَنْ سَبَّنَا وَدَامَ[3] عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَتُبْ لَا يَمُوتُ يَمُوتُ إِلَّا كَافِراً[4]، وَأَقُولُ لِلإِخْوَانِ: إِنَّ مَنْ أَخَذَ وِرْدَنَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ، إِنَّ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ[5] وَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ، وَاتَّخَذَ ذَلِكَ حِبَالَةً إِلَى الأَمَانِ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ فِي مَعَاصِيهِ أَلْبَسَ اللَّهُ قَلْبَهُ بُغْضَنَا حَتَّى يَسُبَّنَا، فَإِذَا سَبَّنَا أَمَاتَهُ اللَّهُ كَافِراً، فَاحْذَرُوا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَمِنْ عُقُوبَتِهِ، وَمَنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْكُمْ بِذَنْبٍ، وَالعَبْدُ غَيْرُ مَعْصُومٍ، فَلَا يَقْرَبَنَّهُ إِلَّا وَهُوَ بَاكِي القَلْبِ خَائِفاً[6] مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ، وَلْنَذْكُرْ هُنَا أَبْيَاتاً فِي فَضْلِ الوِرْدِ لِبَعْضِ الأُدَبَاءِ، فَقَالَ:

تِجَانُنَا بَيْتُهُ بِالذِّكْرِ مَعْمُورُ * وَبِالصَّلَاةِ وَبِالخَيْرَاتِ مَعْمُورُ
مُوَقَّتٌ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ مَا طَلَعَتْ * شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ وَهَذَا مَشْهُورُ

---

[1]- ح: سادتنا
[2]- ح: أحد
[3]- ك: وداوم
[4]- ل: ولم يتب يموت كافرا
[5]- ل: "إن من سمع ذلك" محذوف
[6]- ح: خائف

أَحْيَا طَرِيقَةَ أَهْلِ اللَّهِ فَهْيَ بِهِ * مُؤَلَّفٌ جَمْعُهَا وَالكَسْرُ مَجْبُورُ
شَيْخُ المَشَايِخِ مَنْ فِي طَرْفِ بُرْدَتِهِ * جَيْبٌ عَلَى النُّورِ وَالأَسْرَارِ مَزْرُورُ
مَنْ دَارُهُ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ وَهْوَ بِهَا * رِضْوَانُ خَازِنُهَا أَذْكَارُهَا الحُورُ
يَفِيضُ مِنْ سَلْسَبِيلِ الذِّكْرِ كَوْثَرُهَا * فَاشْرَبْ مُفَجَّرَهَا فَأَنْتَ مَأْجُورُ
أَوْرَادُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ[1] قَدْ رُوِيَتْ * كَذَاكَ[2] أَفْعَالُهُ وَالسِّرُّ مَأْثُورُ
فَانْقُلْ فَدَيْتُكَ فِي آثَارِهِ[3] قَدَماً * فَإِنْ نَقَلْتَ فَذَاكَ النَّقْلُ مَدْخُورُ
وَاحْرِصْ بِأَنْ تَنْتَمِي يَوْماً لِجَانِبِهِ * فَحَظُّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَيْهِ مَوْفُورُ
وَلَازِمْ أَوْرَادَهُ فِي النَّفْسِ أَوْ مَلَإٍ[4] * فَذَاكِرُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مَذْكُورُ

فَلْتَغْتَبِطْ بِهَا أَيُّهَا المُرِيدُ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا فِي حَقِّكَ مِنَ الأَمْرِ[5] الأَكِيدِ، وَلَا تَزَالُ عَاكِفاً عَلَيْهَا صَبَاحاً وَمَسَاءً، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الوَسَائِلِ، لِكُلِّ طَالِبٍ وَسَائِلٍ، فَطِبْ[6] بِهَا حَيَاتَكَ، وَعَمِّرْ بِسَرْدِهَا أَوْقَاتَكَ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهَا نَجَاتَكَ، فَلَيْسَ لِلعَبْدِ مِنْ دُنْيَاهُ، إِلَّا مَا أَفْنَاهُ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلْيَنْبُذْهُ وَرَاهُ[7]، وَفِي هَذَا القَدْرِ كِفَايَةٌ، لِمَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ العِنَايَةُ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ فَضْلُ الوِرْدِ[8] الَّذِي هُوَ لَازِمٌ لِلطَّرِيقَةِ[9]، الَّذِي لَقَّنَهُ لِسَيِّدِنَا

---

[1]- ح: سيد الأرسال
[2]- ح: كذا
[3]- ح: آثره
[4]- ح: في نفس وفي ملأ
[5]- ل: الأمور
[6]- أ ل ي ع: فطيب
[7]- ل: وراءه
[8]- أ ح: ورد
[9]- ع: الطريقة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ بِإِعْطَائِهِ[1] لِكَافَّةِ الخَلْقِ[2]، **وَأَمَّا فَضْلُ الأَذْكَارِ عَلَى التَّفْصِيلِ** فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

قَالَ مَوْلَانَا جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ)**[3]. الآيَةُ، عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ القُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، أَمَّا دَاؤُكُمْ فَذُنُوبُكُمْ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ **فَالاسْتِغْفَارُ**، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)**[4]. فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمُ الإِسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: العَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[5] : مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ زَبَدِ البَحْرِ، وَقَالَ تَعَالَى: **(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)**[6].

وَأَمَّا فَضْلُ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ، فَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كُنْتُ مُشْتَغِلاً بِذِكْرِ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، حِينَ رَجَعْتُ مِنَ الحَجِّ إِلَى تِلِمْسَانَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ فَضْلِهَا، وَهُوَ[7] أَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ كَمَا هِيَ[8] فِي وَرْدَةِ الجُيُوبِ، وَقَدْ ذَكَرَ

---

[1]- ل: بتلقينه

[2]- ل: لكافة من طلبه من المسلمين

[3]- سورة الكهف، الآية 28

[4]- سورة الأنفال، الآية 33

[5]- أ ك: ما بين القوسين محذوف

[6]- سورة النساء، الآية 110

[7]- ك: وهي

[8]- ح: هو ـ ك: "هو" محذوفة

ذَكَرَ صَاحِبُ الوَرْدَةِ أَنَّ صَاحِبَهَا سَيِّدِي مُحَمَّدَ البَكْرِي الصِّدِّيقِي نَزِيلَ مِصْرَ، وَكَانَ قُطْباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مَنْ ذَكَرَهَا مَرَّةً وَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ فَلْيَقْبِضْ صَاحِبَهَا[1] عِنْدَ اللَّهِ، وَبَقِيتُ أَذْكُرُهَا[2] إِلَى أَنْ رَحَلْتُ مِنْ تِلِمْسَانَ إِلَى أَبِي سَمْغُونَ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّلَاةَ الَّتِي فِيهَا المَرَّةُ الوَاحِدَةُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ خَتْمَةٍ مِنْ دَلَائِلِ الخَيْرَاتِ تَرَكْتُ الفَاتِحَ لِمَا أُغْلِقَ إلخ، وَاشْتَغَلْتُ بِهَا وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً تَعْدِلُ جَمِيعَ صَلَوَاتِ أَهْلِ مَحَبَّتِكَ، وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ سَلَاماً يَعْدِلُ سَلَامَهُمْ، لِمَا رَأَيْتُ فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الفَضْلِ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِلَى صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ)[3] ، فَلَمَّا أَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ إِلَيْهَا[4] سَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ فَضْلِهَا، فَأَخْبَرَنِي فَأَخْبَرَنِي أَوَّلاً بِأَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنْهَا تَعْدِلُ مِنَ القُرْآنِ سِتَّ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي ثَانِياً أَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنْهَا تَعْدِلُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحٍ وَقَعَ فِي الكَوْنِ وَمِنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَمِنْ كُلِّ دُعَاءٍ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ وَمِنَ القُرْآنِ سِتَّةَ آلَافِ مَرَّةٍ، لِأَنَّهُ مِنَ الأَذْكَارِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ الأَدْعِيَّةِ[5] دُعَاءُ السِّيفِي، فَفِي المَرَّةِ الوَاحِدَةِ مِنْهُ ثَوَابُ صَوْمِ رَمَضَانَ وَقِيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ وَعِبَادَةِ سَنَةٍ، **وَسُورَةُ القَدْرِ مِثْلُهُ فِي الثَّوَابِ** كَمَا أَخْبَرَ[6] بِهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْظَمُ مِنَ السِّيفِي **دُعَاءُ يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ إلخ**، قَالَ الرَّاوِي: جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ[7] إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَهُ: أَتَيْتُكَ بِهَدِيَّةٍ، قَالَ: وَمَا تِلْكَ الهَدِيَّةُ، فَذَكَرَ هَذَا الدُّعَاءَ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ثَوَابُ

1- ي: على صاحبها

2- أ ح ي ك ع هـ ق ص: نذكرها

3- ي: ما بين القوسين محذوف

4- ح: فلما أمرني صلى الله عليه وسلم بالرجوع إليها

5- أ: الأدعياء - ك ع: الأدعيا

6- ح ع ك ي ل هـ ق ص: أخبرني

7- أ ح ي ك هـ ق ص: "عليه السلام" محذوفة

مَنْ قَرَأَ هَذَا الدُّعَاءَ؟ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: لَوِ اجْتَمَعَتْ مَلَائِكَةُ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ مَا وَصَفُوهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَصِفُ مَا لَا يَصِفُهُ الآخَرُ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِ: أُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ مَا خَلَقْتُ فِي سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَفِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَفِي العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ، وَعَدَدَ القَطْرِ وَالمَطَرِ وَالبِحَارِ، وَعَدَدَ الحَصَى وَالرَّمْلِ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا أَيْضاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِ ثَوَابَ جَمِيعِ الخَلَائِقِ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا أَيْضاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِ ثَوَابَ سَبْعِينَ نَبِيئاً كُلُّهُمْ بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ثَابِتٌ فِي صَحِيفَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَدُّهُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ[1] ، مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَقَالَ: رُوَاتُهُ كُلُّهُمْ مَدَنِيُّونَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا فَأَخْبَرَنِي[2] أَوَّلاً أَنَّهَا بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، فَقُلْتُ لَهُ[3] : هَلْ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الصَّلَوَاتِ أَجْرُ مَنْ صَلَّى بِصَلَاةٍ مُفْرَدَةٍ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَعْنَاهُ: نَعَمْ يَحْصُلُ فِي[4] كُلِّ مَرَّةٍ مِنْهَا أَجْرُ مَنْ صَلَّى بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مُفْرَدَةٍ. وَسَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَقُومُ مِنْهَا طَائِرٌ وَاحِدٌ عَلَى الحَدِّ المَذْكُورِ فِي الحَدِيثِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَهُوَ الطَّائِرُ الَّذِي لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ، أَمْ يَقُومُ مِنْهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ طَائِرٍ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَثَوَابُ تَسْبِيحِهِمْ لِلْمُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ يَقُومُ مِنْهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ طَائِرٍ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَسَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] عَنْ حَدِيثِ إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً تَعْدِلُ ثَوَابَ أَرْبَعِمِائَةِ غَزْوَةٍ، كُلُّ غَزْوَةٍ تَعْدِلُ أَرْبَعَمِائَةِ حَجَّةٍ هَلْ صَحِيحٌ

---

[1]- ل ي ك ع هـ ق ص: العاصي

[2]- أ ي ك ع هـ ق ص: "فأخبرني" محذوفة

[3]- أ ي ك ع هـ ق ص: "فقلت له" محذوفة

[4]- ك: "في" محذوفة

[5]- ح: "صلى الله عليه وسلم" محذوفة

أَمْ لَا؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ صَحِيحٌ[1] ، فَسَأَلْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَدَدِ هَذِهِ الغَزَوَاتِ هَلْ تَقُومُ[2] مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. مَرَّةً أَرْبَعُمِائَةِ غَزْوَةٍ أَمْ تَقُومُ[3] أَرْبَعُمِائَةِ غَزْوَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ مِنَ السِّتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَكُلُّ صَلَاةٍ عَلَى انْفِرَادِهَا أَرْبَعُمِائَةِ غَزْوَةٍ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ صَلَاةَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَكُلُّ صَلَاةٍ مِنَ السِّتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ بِأَرْبَعِمِائَةِ غَزْوَةٍ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مَنْ صَلَّى بِهَا أَيْ بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. مَرَّةً وَاحِدَةً حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ مَا إِذَا صَلَّى بِكُلِّ صَلَاةٍ وَقَعَتْ فِي العَالَمِ مِنْ كُلِّ جِنٍّ وَإِنْسٍ وَمَلَكٍ، بِسِتِّمِائَةِ[4] أَلْفِ صَلَاةٍ مِنْ أَوَّلِ العَالَمِ إِلَى وَقْتِ تَلَفُّظِ الذَّاكِرِ بِهَا، أَيْ كَأَنَّهُ صَلَّى بِكُلِّ صَلَاةٍ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مِنْ جَمِيعِ صَلَاةِ المُصَلِّينَ عُمُوماً مَلَكاً وَجِنّاً وَإِنْساً[5] ، وَكُلُّ صَلَاةٍ مِنْ ذَلِكَ بِأَرْبَعِمِائَةِ غَزْوَةٍ، وَكُلُّ صَلَاةٍ مِنْ ذَلِكَ بِزَوْجَةٍ مِنَ الحُورِ وَعَشْرِ حَسَنَاتٍ وَمَحْوِ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ وَرَفْعِ عَشْرِ دَرَجَاتٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتَهُ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ، قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا بِقَلْبِكَ، عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا تَقُومُ لَهَا عِبَادَةٌ فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَيْفَ بِمَنْ صَلَّى بِهَا مَرَّاتٍ، مَاذَا لَهُ مِنَ الفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ[6] ، وَهَذَا حَاصِلٌ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَخْبَرَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ تَأْلِيفِ البَكْرِي، أَيْ[7] صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. وَلَكِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ مُدَّةً طَوِيلَةً أَنْ يَمْنَحَهُ صَلَاةً عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهَا ثَوَابُ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ وَسِرُّ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ،

---

[1] - ل: بل هو صحيح

[2] - أ ل ي ك ح ع هـ ق ص: يقوم

[3] - أ ل ي ك ح ع هـ ق ص: يقوم

[4] - ل ع ك ص: ستمائة

[5] - ح: ملك وجن وإنس

[6] - ك: عند الله تعالى

[7] - ع: "أي" محذوفة

وَطَالَ طَلَبُهُ مُدَّةً، ثُمَّ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، فَأَتَاهُ المَلَكُ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ مَكْتُوبَةً فِي صَحِيفَةٍ مِنَ النُّورِ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ وَجَدْتُهَا لَا تَزِنُهَا عِبَادَةُ جَمِيعِ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالمَلَائِكَةِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَوَابِ الإِسْمِ الأَعْظَمِ، فَقُلْتُ: إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْهُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ لَهُ عِبَادَةٌ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: المَرَّةُ[1] الوَاحِدَةُ مِنَ الإِسْمِ بِسِتَّةِ آلَافِ مَرَّةٍ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ إلخ.. وَالمَرَّةُ الوَاحِدَةُ مِنْهَا تَعْدِلُ مِنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَمِنْ كُلِّ تَسْبِيحٍ وَمِنْ كُلِّ اسْتِغْفَارٍ وَمِنْ كُلِّ دُعَاءٍ فِي الكَوْنِ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً سِتَّةَ آلَافِ مَرَّةٍ كَمَا سَبَقَ، فَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُكْتَبُ لِذَاكِرِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ مَرَّةً سِتَّةَ آلَافٍ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ حَيَوَانٍ وَجَمَادٍ، وَذِكْرُ الجَمَادَاتِ هُوَ ذِكْرُهَا لِلإِسْمِ القَائِمِ بِهَا، لِأَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي الكَوْنِ لَهَا إِسْمٌ قَائِمَةٌ[2] بِهِ[3]، وَأَمَّا الحَيَوَانَاتُ فَأَذْكَارُهَا مُخْتَلِفَةٌ، وَهَذَا مَا أَخْبَرَ بِهِ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَنَا وَوَسِيلَتَنَا[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ فَضْلِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ..

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَأَمَّا قَدْرُ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ،.. فَالمَرَّةُ الوَاحِدَةُ مِنْهَا إِذَا ذَكَرْتَهَا تُعَادِلُ عِبَادَةَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةِ[5] عَامٍ، أَعْنِي لِلْمُسْتَغْرِقِينَ[6] فِيهَا، عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ أَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ يَذْكُرُ عَشْرَةَ آلَافٍ[7] بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى[8] الذَّاكِرِينَ[1] مَعَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَنَا مَهْمَا ذَكَرَ ذِكْراً إِلَّا وَذَكَرَ[2] مَعَهُ

---

[1]- أ ل ي ك ع ح هـ ق ص: في المرة

[2]- ل: قائم

[3]- ل: بها

[4]- ح: "ووسيلتنا" محذوفة

[5]- ل ي ك ع هـ ق ص: مائة

[6]- ل ي ك ع هـ ق ص: للمستغرق

[7]- ل: يذكر في كل يوم عشرة آلاف

[8]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: "إلى" محذوفة

سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَالمَرَّةُ الوَاحِدَةُ مِنْ أَذْكَارِهِمْ أَيْ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ المَلَائِكَةِ المَذْكُورِينَ تُضَاعَفُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَثَوَابُ أَذْكَارِهِمْ كُلِّهَا لِسَيِّدِنَا كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ وَمَوْهِبَةً لَهُ، وَقَدْ تَفَضَّلَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا وَأُسْتَاذُنَا عَلَى أَصْحَابِهِ، لِكُلِّ[3] مَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ ذِكْراً إِلَّا وَتَذْكُرُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً وَمَوْهِبَةً وَكَرَامَةً وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[4] وَمِنَ الأَدْعِيَّةِ مَا[5] فَضْلُهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ القَدْرِ فِي[6] مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ كَالسِّيفِي كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِذَا تَأَمَّلْتَ فَضْلَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الإِسْمِ مِنْ فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ بِالنِّسْبَةِ لِفَضْلِ دُعَاءٍ وَاحِدٍ كَالسِّيفِي، وَجَدْتَ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنَ الإِسْمِ بِستَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ لَيْلَةِ القَدْرِ، لِأَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنَ الإِسْمِ بِستَّةِ آلَافٍ مِنَ الصَّلَاةِ المَذْكُورَةِ، وَالمَرَّةُ مِنْهَا بِستَّةِ آلَافٍ مِنَ الدُّعَاءِ المَذْكُورِ، فَإِذَا ضَرَبْتَ سِتَّةَ آلَافٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ كَانَ الخَارِجُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، هَذَا فِي المَرَّةِ الوَاحِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دُعَاءٍ وَاحِدٍ، وَأَمَّا مَا فَوْقَ المَرَّةِ مِنَ الإِسْمِ فَلَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَسُبْحَانَ مَنْ يُوتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَهَنِيئاً ثُمَّ هَنِيئاً لِمَنْ أُوتِيَ هَذَا الخَيْرَ العَظِيمَ لَا[7] حُرِمْنَا[8] مِنْهُ وَكَافَّةُ المُحِبِّينَ بِفَضْلِهِ[9] وَمَنِّهِ[10] وَكَرَمِهِ آمِينَ.

---

[1]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: للذاكرين

[2]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: ذكرت

[3]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: بكل

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- أ ل ي ك: من

[6]- ح: "في" محذوفة

[7]- ي: ولا

[8]- ح: لا أحرمنا

[9]- أ: (بفضله) ساقطة

[10]- أ: بمنه

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ لِأَنَّهَا[1] خَالِيَةٌ عَنِ السَّلَامِ لِأَمْرٍ أَوْجَبَهُ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَأَمَّا سُؤَالُكُمْ عَنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. فَإِنَّهَا وَرَدَتْ مِنَ الغَيْبِ عَلَى هَذِهِ الكَيْفِيَّةِ، وَمَا وَرَدَ مِنَ الغَيْبِ كَمَالُهُ ثَابِتٌ، خَارِجٌ عَنِ القَوَاعِدِ المَعْلُومَةِ، لَيْسَتْ مِنْ تَأْلِيفِ مُؤَلِّفٍ، وَوَرَاءَ هَذَا أَنَّ كَيْفِيَاتٍ وَرَدَتْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ الخَالِيَةِ مِنَ السَّلَامِ، وَهِيَ كَيْفِيَاتٌ[2] نَبَوِيَّةٌ مُتَعَبَّدٌ بِهَا، فَلَا التِفَاتَ لِمَا يَقُولُهُ الفُقَهَاءُ وَالسَّلَامُ.

وَخَاصِيَةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. أَمْرٌ إِلَهِي لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلعُقُولِ، فَلَوْ قَدَّرْتَ مِائَةَ أَلْفِ أُمَّةٍ، فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِائَةُ أَلْفِ قَبِيلَةٍ، فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِائَةُ أَلْفِ رَجُلٍ، وَعَاشَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفِ عَامٍ، يَذْكُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. وَجَمَعْتَ ثَوَابَ هَذِهِ الأُمَمِ كُلِّهَا فِي مُدَّةِ هَذِهِ السِّنِينَ كُلِّهَا، فِي هَذِهِ الأَذْكَارِ كُلِّهَا، مَا لَحِقُوا كُلُّهُمْ ثَوَابَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، فَلَا تَلْتَفِتْ لِتَكْذِيبِ مُكَذِّبٍ، وَلَا لِقَدْحِ قَادِحٍ فِيهَا، فَإِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

فَإِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضْلاً خَارِجاً عَنْ دَائِرَةِ القِيَاسِ، وَيَكْفِيكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[3]، فَمَا تَوَجَّهَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعَمَلٍ يَبْلُغُهَا وَإِنْ كَانَ مَا كَانَ، وَلَا تَوَجَّهَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى اللَّهِ[4] بِعَمَلٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا، وَلَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ حُظْوَةً مِنْهَا، إِلَّا مَرْتَبَةً مَرْتَبَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ بِاسْمِهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ لَا غَيْرَ، هُوَ غَايَةُ التَّوَجُّهَاتِ، وَالدَّرَجَةُ العُلْيَا مِنْ جَمِيعِ التَّعَبُّدَاتِ، لَيْسَ لِفَضْلِهِ غَايَةٌ، وَلَا فَوْقَهُ مَرْتَبَةُ نِهَايَةٍ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ (الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ) تَلِيهِ فِي المَرْتَبَةِ وَالتَّوَجُّهِ وَالثَّوَابِ وَالفَوْزِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِصَاحِبِهَا وَحُسْنِ

---

[1] - ل ي ك ح ع هـ ق ص: "لأن" ساقطة

[2] - ل: وهي من كيفيات

[3] - سورة النحل، الآية 8

[4] - ك: الله تعالى

المَآبِ، فَمَنْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُصَدِّقاً بِهَذَا[1] الحَالِ فَازَ بِرِضَى اللَّهِ وَثَوَابِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، بِمَا لَا تَبْلُغُهُ جَمِيعُ الأَعْمَالِ، يَشْهَدُ بِهَذَا الفَيْضُ الإِلَهِي الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الآمَالُ.

وَلَا[2] يَحْصُلُ هَذَا الخَيْرُ المَذْكُورُ إِلَّا مَعَ التَّسْلِيمِ، وَمَنْ أَرَادَ المُنَاقَشَةَ فِي هَذَا البَابِ وَهَذَا المَحَلِّ فَلْيُتْرَكْ، فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُ اسْتِقْصَاءُ حُجَجِ المَقَالِ، وَاتْرُكْ عَنْكَ مُحَاجَجَةَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْكَ الحُجَجَ، فَإِنَّ الخَوْضَ فِي ذَلِكَ رَدّاً وَجَوَاباً كَالبَحْرِ، لَا تَنْقَطِعُ مِنْهُ الأَمْوَاجُ، وَالقُلُوبُ فِي يَدِ اللَّهِ هُوَ المُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَالمُقْبِلُ بِهَا وَالمُدْبِرُ بِهَا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ[3] وَالفَوْزَ بِثَوَابِ هَذِهِ اليَّاقُوتَةِ الفَرِيدَةِ جَذَبَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِلَى التَّصْدِيقِ بِمَا سَمِعَهُ[4] فِيهَا، وَعَرَّفَهُ التَّسْلِيمَ لِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُهُ الحَدُّ وَالقِيَاسُ، فَصَرَفَ هِمَّتَهُ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَا، وَالإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ بِشَأْنِهَا، فَلَا تَعْلَمُ لَهُ[5] نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ.

وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ حِرْمَانَهُ مِنْ خَيْرِهَا صَرَفَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالوَسْوَسَةِ وَبِقَوْلِهِ: مِنْ أَيْنَ يَأْتِي خَبَرُهَا، فَاشْتَغِلْ بِمَا قُلْنَاهُ لَكَ[6] ، وَمَنْ أَطَاعَكَ فِي ذَلِكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ[7] نَاقَشَكَ[8] فِي البَحْثِ بِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، فَإِنَّا أَخَذْنَاهُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي تَعْلَمُهُ وَكَفَى. انْتَهَى مِمَّا كَتَبَهُ إِلَيْنَا سَيِّدُنَا بَعْدَ سُؤَالِنَا لَهُ وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ خَبَرُ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ كَحَيَاتِهِ سَوَاءٌ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: الأَمْرُ العَامُّ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ عَامّاً لِلأُمَّةِ طُوِيَ بِسَاطُ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ الأَمْرُ الخَاصُّ الَّذِي كَانَ يُلْقِيهِ لِلخَاصِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ

---

[1]- ي: لهذا

[2]- أ: وليس

[3]- ي: فمن أراد سعادته

[4]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: سمع

[5]- ل ي ك ح ع هـ ق ص: "له" محذوفة

[6]- ح: "لك" محذوفة

[7]- ح: عن

[8]- ح: مناقشتك

فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ دَائِماً لَا يَنْقَطِعُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الأَعْمَالِ وَالعِبَادَاتِ، وَجَمِيعِ وُجُوهِ البِرِّ عَلَى العُمُومِ وَالإِطْلَاقِ، وَجَمِيعِ وُجُوهِ الشُّمُولِ وَالإِمْكَانِ[1] إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ فَقَطْ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ أَفْضَلُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الأَعْمَالِ وَالسَّلَامُ.

فَإِنْ قُلْتَ رُبَّمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ[2] بَعْضُ القَاصِرِينَ مِمَّنْ[3] لَا عِلْمَ لَهُ[4] بِسَعَةِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ، فَيَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرْتُمْ فَيَنْبَغِي الإِشْتِغَالُ بِهِ[5] أَوْلَى مِنْ كُلِّ ذِكْرٍ حَتَّى القُرْآنَ. **قُلْنَا لَهُ: بَلْ تِلَاوَةُ القُرْآنِ أَوْلَى** لِأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ شَرْعاً لِأَجْلِ الفَضْلِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ، وَلِكَوْنِهِ أَسَاسَ الشَّرِيعَةِ وَبِسَاطَ المُعَامَلَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَلِمَا وَرَدَ فِي تَرْكِهِ مِنَ الوَعِيدِ الشَّدِيدِ، فَلِهَذَا[6] لَا يَحِلُّ لِقَارِئِهِ تَرْكُ تِلَاوَتِهِ، وَأَمَّا فَضْلُ الصَّلَاةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا فَإِنَّهَا مِنْ بَابِ التَّخْيِيرِ لَا شَيْءَ عَلَى مَنْ تَرَكَهَا، وَثَانِياً: أَنَّ هَذَا البَابَ لَيْسَ مَوْضُوعاً لِلْبَحْثِ وَالجِدَالِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ[7] فَضَائِلِ الأَعْمَالِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِمَا قَالَهُ العُلَمَاءُ فِي فَضَائِلِ الأَعْمَالِ مِنْ عَدَمِ المُنَاقَشَةِ فِيهَا.

وَقَدْ أَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ المُعَارَضَةِ قَائِلاً: لَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا وَرَدَ مِنْ فَضْلِ القُرْآنِ وَالكَلِمَةِ الشَّرِيفَةِ، لِأَنَّ فَضْلَ القُرْآنِ وَالكَلِمَةِ الشَّرِيفَةِ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ العُمُومُ، وَهَذَا خَاصٌّ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَهُمَا، لِأَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْقِي الأَحْكَامَ العَامَّةَ لِلعَامَّةِ فِي حَيَاتِهِ، يَعْنِي إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَهُ عَلَى الجَمِيعِ، وَإِذَا افْتَرَضَ شَيْئاً افْتَرَضَهُ عَلَى الجَمِيعِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ.

---

[1]- ي: والأماكن

[2]- أ ل ي ك ح ع هـ ق ص: "عليه" محذوفة

[3]- أ ح ك هـ: من - ي: مما

[4]- أ ع ك: عنده

[5]- ك: بها

[6]- ي: فبهذا

[7]- ل ي ك ح ع هـ ق ص: "باب" محذوفة

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْقِي الأَحْكَامَ الخَاصَّةَ لِلخَاصَّةِ، وَكَانَ يَخُصُّ بِبَعْضِ الأُمُورِ بَعْضَ الصَّحَابَةِ دُونَ بَعْضٍ، وَهُوَ شَائِعٌ ذَائِعٌ فِي أَخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ، وَهُوَ كَحَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا سَوَاءٌ[1] ، صَارَ يُلْقِي إِلَى أُمَّتِهِ الأَمْرَ الخَاصَّ لِلخَاصِّ، وَلَا مَدْخَلَ لِلأَمْرِ العَامِّ لِلعَامِّ، فَإِنَّهُ انْقَطَعَ بِمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ فَيْضُهُ لِلأَمْرِ الخَاصِّ لِلخَاصِّ، وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْقَطَعَ جَمِيعُ مَدَدِهِ عَنْ[2] أُمَّتِهِ بِمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَائِرِ الأَمْوَاتِ فَقَدْ جهِلَ رُتْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَاءَ الأَدَبَ مَعَهُ، وَيُخْشَى[3] (عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ كَافِراً)[4] إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ[5] هَذَا الإِعْتِقَادِ. انْتَهَى.

قُلْتُ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَلْ كَانَ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَالِماً[6] بِهَذَا الفَضْلِ المُتَأَخِّرِ فِي وَقْتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ هُوَ عَالِمٌ بِهِ. قُلْتُ: وَلِمَ لَمْ يَذْكُرْهُ لِأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، لِمَا فِيهِ مِنْ هَذَا الخَيْرِ الَّذِي لَا يُكَيَّفُ؟ قَالَ: مَنَعَهُ أَمْرَانِ: الأَوَّلُ: أَنَّهُ عَلِمَ بِتَأْخِيرِ وَقْتِهِ وَعَدَمِ وُجُودِ مَنْ يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، الثَّانِي: أَنَّهُ[7] لَوْ ذَكَرَ لَهُمْ لَهُمْ هَذَا الفَضْلَ العَظِيمَ فِي هَذَا العَمَلِ القَلِيلِ لَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ لِشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الخَيْرِ، وَلَمْ يُمْكِنْ[8] ظُهُورُهُ فِي وَقْتِهِمْ، فَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ لَهُمْ.

وَنَظَرٌ آخَرُ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا عَلِمَ ضُعْفَ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّخْلِيطِ وَالفَسَادِ رَحِمَهُمْ وَجَادَ عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ فِي مُقَابَلَةِ عَمَلٍ يَسِيرٍ، يَخْتَصُّ

---

[1]- ي: "سواء" محذوفة

[2]- ح ي ك هـ ق: على

[3]- ل: يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله

[4]- ل: ما بين القوسين محذوف

[5]- ي ك ح ع هـ ق ص: عن

[6]- ح: عالم

[7]- ك: "أنه" محذوفة

[8]- ل ي ك ح ع هـ ق ص: يكن

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ فِي الوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ خَبَرَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَيْسَ كَخَبَرِهِ فِي حَيَاتِهِ، بَلْ هُمَا سِيَّانِ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا فِي التَّفْصِيلِ المُتَقَدِّمِ مِنَ العَامِّ لِلعَامِّ وَالخَاصِّ لِلخَاصِّ، **ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَهَذَا الفَضْلُ المَذْكُورُ فِيمَا دُونَ الفَرَائِضِ، وَأَمَّا هِيَ فَلَا، لِحَدِيث: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ مَوَاقِيتِهَا. الحَدِيثُ.

قُلْتُ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الصَّلَاةِ الَّذِي يَذْكُرُهَا، لَهُ فَضْلٌ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ المُومِنِينَ، لِكَوْنِ جَمِيعِ صَلَوَاتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَمِيعِ أَذْكَارِهِمْ وَأَوْرَادِهِمْ تُضَاعَفُ لَهُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي فَضْلِ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، إِلَّا نَوْعٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قَوْلُ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ، فَلَا مَدْخَلَ لَهُ هُنَا، وَلَا يَتَنَاوَلُهُ هَذَا التَّضْعِيفُ.

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ كَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ تَضْعِيفِ الأَعْمَالِ لِصَاحِبِهَا، وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ مَكْتُوبٌ فِي صَحِيفَتِهِ جَمِيعُ أَعْمَالِ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِذَا فُهِمَ هَذَا، **فَفَضْلُ الصَّحَابَةِ لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِمَنْ بَعْدَهُمْ**، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الفَضْلِ المَذْكُورِ مِنْ هَذَا البَابِ لِمَرْتَبَةِ الصُّحْبَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ مِثَالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمَلِ الصَّحَابَةِ مَعَ غَيْرِهِمْ، قَالَ: عَمَلُنَا مَعَ عَمَلِهِمْ كَمَشْيِ النَّمْلَةِ مَعَ سُرْعَةِ طَيَرَانِ القَطَاةِ، وَصَدَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا مَثَّلَ بِهِ، لِأَنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَازُوا قَصَبَةَ السَّبْقِ بِصُحْبَةِ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي حَقِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى أَصْحَابِي عَلَى سَائِرِ العَالَمِينَ مَا عَدَا النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

وَذَكَرَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجْهاً آخَرَ لِبَيَانِ فَضْلِ أَهْلِ المَرَاتِبِ، فَقَالَ[1] : إِنَّ الثَّوَابَ المُتَقَدِّمَ ذِكْرُهُ بِسَبَبِ خَاصِيَةِ بَعْضِ الأَذْكَارِ كَمَا قَدَّمْنَا إِنَّمَا هُوَ المُعْتَادُ لِكُلِّ عَامِلٍ، مَثَلاً إِذَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُ فِي ذِكْرِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَوْ مِائَةٌ أَوْ أَلْفٌ أَوْ أَكْثَرُ، فَهَذِهِ هِيَ الَّتِي يَتَضَاعَفُ فَضْلُهَا

---

[1]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: قال

لِعَامِلِ الخَاصِيَةِ كَصَلَاةِ الفَاتِحِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا بِالنَّظَرِ لِغَيْرِ أَهْلِ المَرَاتِبِ، وَأَمَّا هُمْ فَيَتَضَاعَفُ لَهُمُ العَمَلُ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ، فَلَيْسَ مَرْتَبَةُ الرِّسَالَةِ كَمَرْتَبَةِ النُّبُوءَةِ، وَلَا الصِّدِّيقِيَةُ كَالنُّبُوءَةِ، وَلَا يَشْمَلُهُمُ القِيَاسُ.

وَأَمَّا مَا هُوَ بِالنَّظَرِ لِلْغَالِبِ أَوْ لِلجَمِيعِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ المَرْتَبَةِ فَلَا[1]، وَلِذَلِكَ قَالَ سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عُمَرَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ، بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُ: لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ قَدْرَ عُمُرِ الدُّنْيَا مَا فَرَغْتُ، مَعَ أَنَّهُمَا كَانَا فِي العَمَلِ سَوَاءً أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ، وَإِنَّمَا سَبَقَهُ بِحَسَبِ المَرْتَبَةِ لَا بِحَسَبِ العَمَلِ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَإِنَّمَا فَضَلَكُمْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَذْكُرُ تَفَاوُتَ الأَوْلِيَاءِ فِي العَمَلِ وَالثَّوَابِ، قَالَ: مِنْهُمْ مَنْ يَوْمُهُ كَالمُعْتَادِ لِغَيْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَوْمُهُ كَلَيْلَةِ القَدْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَوْمُهُ بِأَلْفِ[2] سَنَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَوْمُهُ كَيَوْمِ المَعَارِجِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا فِي نَفْسِ العَمَلِ أَوْ فِي تَضَاعُفِ الثَّوَابِ. قَالَ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ قَدْرَ مَا يَعْمَلُ غَيْرُهُ مِنَ العَمَلِ فِي المُدَّةِ المَذْكُورَةِ يَعْمَلُهُ هُوَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ أَجْرُ عَمَلِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَمَا إِذَا عَمِلَ فِي المُدَّةِ المَذْكُورَةِ، قُلْتُ لَهُ: الَّذِي عِنْدَهُ الإِسْمُ الأَعْظَمُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا القَدْرِ عَلَى مَا سَمِعْنَاهُ مِنْكُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ، وَمَا تَقَدَّمَ فِي فَضْلِهِ، قَالَ: ذَلِكَ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ مِنَ النَّادِرِ، لِأَنَّ الفَضْلَ الَّذِي يُعْطَى لِذَاكِرِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، رَزَقَنَا اللَّهُ مَا رَزَقَهُمْ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ آمِين.

فَائِدَةٌ: قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَدَدُ أَلْسِنَةِ الطَّائِرِ الَّذِي يَخْلُقُهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ، إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ: أَلْفُ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، إِلَى أَنْ تَعُدَّ ثَمَانِيَةَ مَرَاتِبَ، وَسِتُّمِائَةٍ وَثَمَانُونَ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، إِلَى أَنْ تَعُدَّ سَبْعَ مَرَاتِبَ، وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، إِلَى أَنْ تَعُدَّ

---

[1] - أ ي ك ع هـ ص: "فلا" محذوفة

[2] - ي: كألف

خَمْسَ مَرَاتِبَ، فَهَذَا مَجْمُوعُ عَدَدِ أَلْسِنَتِهِ، وَكُلُّ لِسَانٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى بِسَبْعِينَ أَلْفَ لُغَةٍ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَكُلُّ ثَوَابِهَا لِلْمُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، هَذَا فِي غَيْرِ اليَاقُوتَةِ الفَرِيدَةِ، وَهِيَ صَلاَةُ[1] الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ..

وَأَمَّا فِيهَا فَإِنَّهُ يَخْلُقُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ طَائِرٍ عَلَى الصِّفَةِ المَذْكُورَةِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَسُبْحَانَ المُتَفَضِّلِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ وَلَا عِلَّةٍ. انْتَهَى مِنْ خَطِّ سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا وَخَازِنِ سِرِّ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي، حَفِظَهُ اللَّهُ وَأَدَامَ ارْتِقَاءَهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَعْنَاهُ الفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ مِنْ صُوَرِ الأَكْوَانِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مُغْلَقَةً[2] فِي حِجَابِ البُطُونِ وَصُورَةِ العَدَمِ، وَفُتِّحَتْ مَغَالِيقُهَا بِسَبَبِ وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَتْ مِنْ صُورَةِ العَدَمِ إِلَى صُورَةِ الوُجُودِ، وَمِنْ حِجَابِيَةِ البُطُونِ إِلَى نَفْسِهَا فِي عَالَمِ الظُّهُورِ، إِذْ لَوْلَا هُوَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مَوْجُوداً وَلَا أَخْرَجَهُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، فَهَذَا أَحَدُ مَعَانِيهِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ فَتَحَ مَغَالِيقَ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ، وَبِسَبَبِهِ انْفَتَحَتْ عَلَى الخَلْقِ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَحِمَ مَخْلُوقاً، فَالرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ بِسَبَبِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالثَّالِثُ مِنْ مَعَانِيهِ: هِيَ القُلُوبُ أُغْلِقَتْ عَلَى الشِّرْكِ مَمْلُوءَةً بِهِ، وَلَمْ يَجِدِ الإِيمَانُ مَدْخَلاً لَهَا، فَفُتِّحَتْ[3] بِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى دَخَلَهَا الإِيمَانُ وَطَهَّرَهَا مِنَ الشِّرْكِ، وَامْتَلَأَتْ بِالإِيمَانِ وَالحِكْمَةِ.

قَوْلُهُ: وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ مِنَ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ، لِأَنَّهُ خَتَمَهَا وَأَغْلَقَ بَابَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا مَطْمَعَ فِيهَا لِغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ الخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ مِنْ صُوَرِ التَّجَلِّيَاتِ الإِلَهِيَةِ الَّتِي تَجَلَّى الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصُوَرِهَا فِي عَالَمِ الظُّهُورِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ فِي العَالَمِ مِنْ حِجَابِ البُطُونِ وَصُورَةِ العَمَا[4] الرَّبَّانِي، ثُمَّ مَا زَالَ يَبْسُطُ

---

[1]- أ ح ك ع هـ ص: "صلاة" محذوفة

[2]- ل: مغلوقة

[3]- ح: ففتحها

[4]- ل: العالم

صُوَرَ العَالَمِ بَعْدَهَا فِي ظُهُورِ أَجْنَاسِهَا بِالتَّرْتِيبِ القَائِمِ عَلَى المَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَةِ جِنْساً بَعْدَ جِنْسٍ، إِلَى أَنْ كَانَ آخِرَ مَا تَجَلَّى بِهِ فِي عَالَمِ الظُّهُورِ الصُّورَةُ الآدَمِيَّةُ، (عَلَى صُورَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ المُرَادُ فِي الصُّورَةِ الآدَمِيَّةِ)[1] ، فَكَمَا افْتَتَحَ بِهِ ظُهُورَ الوُجُودِ كَذَلِكَ أَغْلَقَ بِهِ ظُهُورَ صُوَرِ المَوْجُودَاتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ.

وَبِعِبَارَةٍ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ هُوَ رُوحُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَسَّلَ اللَّهُ أَرْوَاحَ العَالَمِ مِنْ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالرُّوحُ هَاهُنَا الكَيْفِيَّةُ الَّتِي بِهَا مَادَّةُ الحَيَاةِ فِي الأَجْسَامِ، وَخَلَقَ مِنْ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَجْسَامَ النُّورَانِيَةَ كَالمَلَائِكَةِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، وَأَمَّا الأَجْسَامُ الكَثِيفَةُ[2] الظُّلْمَانِيَةُ فَإِنَّمَا خُلِقَتْ مِنَ النِّسْبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ لِرُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْبَتَيْنِ[3] أَفَاضَهُمَا عَلَى الوُجُودِ كُلِّهِ، فَالنِّسْبَةُ الأُولَى: نِسْبَةُ النُّورِ المَحْضِ، وَمِنْهُ خُلِقَتِ الأَرْوَاحُ كُلُّهَا وَالأَجْسَامُ النُّورَانِيَةُ الَّتِي لَا ظُلْمَةَ فِيهَا، وَالنِّسْبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ نِسْبَةِ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْبَةُ الظَّلَامِ، وَمِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ خَلْقُ[4] الأَجْسَامِ الظُّلْمَانِيَةِ كَالشَّيَاطِينِ وَسَائِرِ الأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ وَالجَحِيمِ وَدَرَكَاتِهَا، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ وَجَمِيعَ دَرَجَاتِهَا خُلِقَتْ مِنْ نِسْبَةِ[5] النُّورَانِيَةِ، فَهَذِهِ نِسْبَةُ العَالَمِ كُلِّهِ إِلَى رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا حَقِيقَتُهُ المُحَمَّدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ[6] أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ حَضْرَةِ الغَيْبِ، وَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَوْجُودٌ قَبْلَهَا، لَكِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ لَا تُعْرَفُ بِشَيْءٍ، وَقَدْ تَعَسَّفَ بَعْضُ العُلَمَاءِ بِالبَحْثِ فِي هَذِهِ الحَقِيقَةِ، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ مُفْرَدَةٌ[7] لَيْسَ

---

[1] - ع: ما بين القوسين محذوف

[2] - ي: "الكثيفة" محذوفة

[3] - أ ح ع: نسبتان

[4] - ي: خلقت

[5] - ي: النسبة

[6] - ح: وجود

[7] - ل: منفردة

مَعهَا شَيْءٌ فَلَا تَخْلُوا إِمَّا أَنْ تَكُونَ جَوْهَراً أَوْ عَرْضاً، فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَوْهَراً افْتَقَرَتْ[1] إِلَى المَكَانِ الَّذِي تَحُلُّ فِيهِ، فَلَا تَسْتَقِلُّ بِالوُجُودِ دُونَهُ، فَإِنْ وُجِدَتْ مَعَ مَكَانِهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً فَلَا أَوَّلِيَّةَ لَهَا، لِأَنَّهُمَا اثْنَانِ، وَإِنْ كَانَتْ عَرْضاً لَيْسَتْ بِجَوْهَرٍ فَالعَرْضُ لَا كَلَامَ عَلَيْهِ، إِذْ لَا وُجُودَ لِلعَرْضِ إِلَّا قَدْرَ لَمْحَةِ العَيْنِ ثُمَّ يَزُولُ، فَأَيْنَ الأَوَّلِيَّةُ الَّتِي قُلْتُمْ؟ وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا المَحَطِّ: أَنَّهَا جَوْهَرُ حَقِيقَةٍ لَهُ نِسْبَتَانِ، نُورَانِيَّةٌ وَظُلْمَانِيَّةٌ، وَكَوْنُهُ مُفْتَقِراً[2] إِلَى المَحَلِّ لَا يَصِحُّ هَذَا التَّحْدِيدُ، لِأَنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ يَعْتَدُّ بِهِ مَنْ تَثَبَّطَ عَقْلُهُ فِي مَقَامِ الأَجْسَامِ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ تَحُلُّ فِيهِ، وَكَوْنُ العَقْلِ يُقَدِّرُ اسْتِحَالَةَ هَذَا الأَمْرِ بِعَدَمِ إِمْكَانِ[3] وُجُودِ[4] الأَجْسَامِ بِلَا مَحَلٍّ، فَإِنَّ تِلْكَ عَادَةٌ أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى تَثَبَّطَ بِهَا العَقْلُ، وَلَمْ يُطْلَقْ سَرَاحُهُ فِي فَضَاءِ الحَقَائِقِ، وَلَوْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُ فِي فَضَاءِ الحَقَائِقِ لَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ العَالَمِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ، وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ جَوْهَراً غَيْرَ مُفْتَقِرٍ إِلَى المَحَلِّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كُشِفَ لَهُ عَنِ الحَقِيقَةِ الإِلَهِيَةِ عَلِمَ يَقِيناً قَطْعِيّاً أَنَّ إِيجَادَ العَالَمِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ مُمْكِنٌ إِمْكَاناً صَحِيحاً.

أَمَّا الحَقِيقَةُ[5] المُحَمَّدِيَّةُ فَهِيَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ لَا تُعْرَفُ وَلَا تُدْرَكُ، وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي نَيْلِهَا نَيْلِهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ[6] ، ثُمَّ اسْتَأْثَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ وَاحْتَجَبَتْ بِهَا عَنِ الوُجُودِ، فَهِيَ فِي هَذَا المَيْدَانِ تُسَمَّى رُوحاً بَعْدَ احْتِجَابِهَا بِالأَلْبَاسِ، وَهَذَا غَايَةُ إِدْرَاكِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالأَقْطَابِ، يَصِلُونَ إِلَى هَذَا المَحَلِّ وَيَقِفُونَ، ثُمَّ اسْتَأْثَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى، وَبِهَا سُمِّيَتْ عَقْلاً، ثُمَّ اسْتَأْثَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى فَسُمِّيَتْ

[1]- ل: فتفتقر

[2]- ح: مفتقر

[3]- أ ح ل ي ك ع هـ ق ص: الإمكان

[4]- أ ح ل ي ك ع هـ ق ص: بوجود

[5]- ي: حقيقته

[6]- ل: الميزان

بِسَبَبِهَا قَلْباً، ثُمَّ اسْتَأْثَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى فَسُمِّيَتْ بِسَبَبِهَا نَفْساً، وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ظَهَرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَالأَوْلِيَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي الإِدْرَاكِ لِهَذِهِ المَرَاتِبِ، فَطَائِفَةٌ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ نَفْسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي ذَلِكَ عُلُومٌ وَأَسْرَارٌ وَمَعَارِفُ، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى[1] فَوْقَهُمْ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ قَلْبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَسْرَارٌ وَعُلُومٌ[2] وَمَعَارِفُ أُخْرَى، وَطَائِفَةٌ[3] فَوْقَهُمْ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ عَقْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ بِحَسَبِ ذَلِكَ عُلُومٌ وَأَسْرَارٌ وَمَعَارِفُ أُخْرَى، وَطَائِفَةٌ وَهُمُ الأَعْلَوْنَ، بَلَغُوا الغَايَةَ القُصْوَى فِي الإِدْرَاكِ، فَأَدْرَكُوا مَقَامَ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ غَايَةُ مَا يُدْرَكُ، وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِ الحَقِيقَةِ فِي مَاهِيَتِهَا الَّتِي خُلِقَتْ فِيهَا.

وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو يَزِيدٍ: غُصْتُ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَلَباً لِلوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ حَقِيقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَلْفُ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ[4] ، لَوْ دَنَوْتُ مِنَ[5] الحِجَابِ الأَوَّلِ لَاحْتَرَقْتُ بِهِ[6] كَمَا تَحْتَرِقُ الشَّعْرَةُ إِذَا أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ، وَكَذَا قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ فِي صَلَاتِهِ: وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ، وَفِي هَذَا يَقُولُ أُوَيْسُ القَرَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَيِّدِنَا عُمَرَ وَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ تَرَيَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ظِلَّهُ، قَالَا: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَ: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَعَلَّهُ غَاصَ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَالِباً لِلوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ عَجَزَ عَنْهُ أَكَابِرُ الرُّسُلِ وَالنَّبِيئِينَ فَلَا مَطْمَعَ لِغَيْرِهِمْ فِيهِ وَالسَّلَامُ، انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- أ ح ي ك ع هـ ق ص: "أخرى" محذوفة

[2]- أ: علوم وأسرار

[3]- ي: وطائفة أخرى

[4]- ي: "من نور" محذوفة

[5]- ح: إلى

[6]- ك: "به" محذوفة

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ فِي صَلاَتِهِ: الدُّرَّةُ البَيْضَاءُ الَّتِي تَكَوَّنَتْ عَنْهَا اليَاقُوتَةُ الحَمْرَاءُ، أَرَادَ بِالدُّرَّةِ البَيْضَاءِ هَاهُنَا هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَاليَاقُوتَةُ الحَمْرَاءُ هِي وُجُودُ العَالَمِ بِأَسْرِهِ، وَأَمَّا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مَوْلاَنَا عَبْدُ القَادِرِ فِي قَصِيدَتِهِ بِقَوْلِهِ: (عَلَى الدُّرَّةِ البَيْضَاءِ كَانَ اجْتِمَاعُنَا)، هِيَ الدُّرَّةُ المَوْجُودَةُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، فَأَذَابَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَيَّرَهَا مَاءً، وَاضْطَرَبَتْ أَمْوَاجُ المَاءِ أَلْفَ حُقْبٍ، فِي كُلِّ حُقْبٍ أَلْفُ قَرْنٍ، فِي كُلِّ قَرْنٍ أَلْفُ سَنَةٍ، فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفُ يَوْمٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ سَاعَةٍ، كُلُّ سَاعَةٍ مِثْل عُمُرِ الدُّنْيَا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَاجْتَمَعَ فِي هَذِهِ المُدَّةِ كُومٌ مِنَ الزَّبَدِ، فَبَسَطَهَا عَلَى وَجْهِ المَاءِ فَصَيَّرَهَا أَرْضاً، وَخَلَقَ مِنْهَا الطِّبَاقَ السَّبْعَةَ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعْدَهَا، فَهَذَا هُوَ المُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْتَهَى مَا أَمْلاَهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(**وَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ، وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَّلَ اللَّهُ مِنْهَا أَرْوَاحَ الكَائِنَاتِ مِنْ رُوحِهِ الشَّرِيفَةِ الكَرِيمَةِ، وَأَمَّا طِينَتُهُ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ فَكَوَّنَ اللَّهُ مِنْهَا أَجْسَادَ المَلاَئِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالأَقْطَابِ، وَخَمَّرَ طِينَتَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ[1] بِمَاءِ البَقَاءِ مُدَّةً قَدْرُهَا، وَهُوَ أَنْ تَضْرِبَ الإِسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَهُمَا: سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيِّدُنَا أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَضْرِبُ عَدَدَهُمَا فِي سَبْعَةٍ، وَالخَارِجُ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ تَضْرِبُ العَدَدَ كُلَّهُ فِي أَلْفِ عَامٍ، كُلُّ[2] فَرْدٍ مِنْ هَذِهِ الأَعْدَادِ فِي أَلْفِ عَامٍ، ثُمَّ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ تِلْكَ السِّنِينَ فِيهِ أَلْفُ عَامٍ مِنْ سِنِينِنَا[3] هَذِهِ، وَهِيَ أَيَّامُ الرَّبِّ، وَفِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ ثَلاَثُمِائَةِ أَلْفِ عَامٍ وَسِتُّونَ[4] أَلْفَ عَامٍ.

---

[1]- ل: عليها من الله في كل حين أفضل الصلاة وأزكى السلام

[2]- ل: وكل

[3]- ح ي ك ع هـ ق: سنين

[4]- ي ك: وستين

وَالخَارِجُ مِنْ هَذِهِ الضُّرُوبِ كُلِّهَا هُوَ أَلْفُ أَلْفِ أَلْفٍ، ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ، وَثَلَاثُونَ[1] أَلْفَ أَلْفِ مَرْتَبَتَانِ، وَمِائَتَا أَلْفٍ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ[2] أَلْفاً، هَذَا هُوَ الخَارِجُ مِنَ الضُّرُوبِ كُلِّهَا، وَهَذَا الخَارِجُ كُلُّهُ يُضْرَبُ فِي أَيَّامِ الرَّبِّ، وَالخَارِجُ هُوَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ، وَسَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ، وَثَمَانُمِائَةٍ[3] أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، ثَلَاثُ مَرَاتِبَ، وَإِحْدَى وَثَمَانُونَ[4] أَلْفَ أَلْفِ أَلْفٍ، ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ، فَهَذِهِ هِيَ مُدَّةُ تَخْمِيرِ الطِّينَةِ المُحَمَّدِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ).

فَائِدَةٌ: فِي بَيَانِ تَضْعِيفِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ: قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ بِصَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. مَرَّةً وَاحِدَةً، كَانَتْ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ وَقَعَتْ فِي العَالَمِ مِنْ جَمِيعِ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالمَلَائِكَةِ، ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ[5] الثَّانِيَةَ كَانَ فِيهَا مَا فِي الأُولَى[6] وَصَارَتِ الأُولَى بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ[7] الثَّالِثَةَ كَانَ فِيهَا مَا فِي الأُولَى مِنَ الصَّلَوَاتِ، وَيُزَادُ لَهَا (الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ) بِسِتِّمِائَةٍ[8] أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ، فَهِيَ اثْنَا عَشَرَ مِائَةَ أَلْفٍ، ثُمَّ سِرْ عَلَى هَذَا التَّضْعِيفِ إِلَى العَشَرَةِ، ثُمَّ إِلَى مِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ، كَانَ فِي الوَاحِدَةِ مَا فِي الأُولَى قَبْلَهَا، وَفِيهَا صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مُتَضَاعِفَةٌ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَذَلِكَ سِتُّونَ أَلْفَ أَلْفٍ مِنَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ.

---

[1]- أ ي ك ع ق ص: وثلاثين

[2]- أ ي ك ع ق ص: وعشرين

[3]- ك: وثلاثمائة

[4]- أ ح ي ك ع ق ص: وثمانين

[5]- ي: ذكر

[6]- ل: ما في الأولى من الصلوات

[7]- ي: ذكر

[8]- أ: ستمائة

وَسِرْ عَلَى هَذَا المِنْوَالِ إِلَى أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ، فَيَكُونُ فِيهَا مَا فِي الأُولَى، يَعْنِي مِنَ الأُلُفِ، وَفِيهَا سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ (مُتَضَاعِفَةٌ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَذَلِكَ[1] سِتُّمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ)[2] ، وَهَكَذَا عَلَى هَذَا المِنْوَالِ وَهَذَا الضَّابِطِ، فَإِذَا ذَكَرَهَا فِي وَقْتِ السَّحَرِ تَكُونُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِخَمْسِمِائَةِ مَرَّةٍ، فَإِذَا ذَكَرَهَا أَلْفاً وَوَاحِدَةً مَثَلاً، كَانَ فِي الوَاحِدَةِ بَعْدَ أَلْفٍ[3] ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، ثَلَاثَةُ[4] مَرَاتِبٍ، وَأَمَّا فِي أَلْفٍ[5] وَوَاحِدَةٍ فَيَكُونُ فِيهَا مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ، أَرْبَعَةُ[6] مَرَاتِبٍ، وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفِ أَلْفٍ، ثَلَاثَةُ[7] مَرَاتِبٍ، فَهَذَا خَاصٌّ بِوَقْتِ السَّحَرِ، وَأَمَّا فِي غَيْرِهِ فَهُوَ مَا ذُكِرَ أَوَّلاً مِنَ التَّضْعِيفِ السَّابِقِ[8] . انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا صَلَّى عَلَيَّ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، **وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ عَلَى أَنْ يَصِفُوا ثَوَابَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ مَا قَدَرُوا، انْتَهَى مَا سَمِعْنَاهُ مِنْ[9] لَفْظِهِ[10] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَذَا مَا سَمِعْنَاهُ مِنْهُ فِي هَذَا الوَقْتِ وَأَبْرَزَهُ الحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ، **وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كُلُّ مَا سَمِعْتُمُوهُ فِي فَضْلِ صَلَاةِ

---

[1]- أ ل ي ك ح هـ ق ص: وفيها ستمائة من صلاة الفاتح لما أغلق ألف مرة متضاعفة وذلك

[2]- ع: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل ي ك ح هـ ق ص: الألف

[4]- ل ي ك ع هـ ق ص: ثلاث

[5]- ل: الألف

[6]- ل ع م: أربع - ي: ثلاث

[7]- ل ي ك: ثلاث

[8]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: السابق أولا

[9]- ح: منه

[10]- ح: "لفظه" محذوف

الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا هُوَ مَكْتُومٌ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ، سُبْحَانَ المُتَفَضِّلِ بِهَذَا الخَيْرِ العَظِيمِ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ الكَرِيمِ.

وَلْنَرْجِعْ إِلَى فَضْلِ الأَوْرَادِ فَأَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **فِي فَضْلِ الهَيْلَلَةِ:** **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾**[1]، وَفِي الحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ[2] أَنَا وَالنَّبِيئُونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفَضْلُهَا مَشْهُورٌ مَعْلُومٌ فِي المِلَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ فَلَا نُطِيلُ بِهِ، **وَأَمَّا السِّيفِي** فَقَدْ مَرَّ بَعْضُ فَضْلِهِ، **وَأَمَّا حِزْبُ البَحْرِ** فَهُوَ مِنْ إِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ مَوْلَانَا أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]، وَقِيلَ إِنَّ فِيهِ إِسْمَ اللَّهِ اللَّهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ، وَفِيهِ خَاصِيَّةُ التَّحْصِينِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، مَعَ الإِذْنِ الصَّحِيحِ مِنْ أَرْبَابِهِ، وَفِيهِ كَيْفِيَاتٌ فِي قِرَاءَتِهِ وَفِي تَحْصِينِهِ، وَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَطْلُبْهَا[4] مِنْ أَرْبَابِهَا، وَيَأْتِي البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا.

وَأَمَّا الأَسْمَاءُ الإِدْرِيسِيَّةُ، فَلَهَا خَوَاصٌّ عِظَامٌ، وَفَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ أَرَادَهَا فَعَلَيْهِ بِمُطَالَعَةِ كِتَابِ الجَوَاهِرِ الخَمْسِ لِسَيِّدِي مُحَمَّدٍ الغَوْثِ، مَعَ شَارِحِهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ الشَّنَّاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ ذَكَرَ فِيهَا مِنَ الفَضْلِ الَّذِي لَا يَحْصُرُهُ حَدٌّ، وَالعَجَبَ العُجَابَ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيُطَالِعْهَا فِي مَحَالِّهَا[5] مَعَ الإِذْنِ الصَّحِيحِ مِنْ أَرْبَابِهِ.

وَأَمَّا فَضْلُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ: فَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ[6] القُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَشْهُورَةِ، فَمَنْ

---

[1] - سورة محمد، الآية 19

[2] - ل ي ك ح ع هـ ق ص: قلت

[3] - أ: "رضي الله عنه" محذوفة

[4] - ح: فليطالعها

[5] - ي: محلها

[6] - ل: "من" محذوفة

أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَطْلُبْهُ[1] فِي مَحَالِّهِ[2] ، وَأَمَّا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَضْلِهَا عَنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا الفَاتِحَةُ فَقَدْ ذَكَرَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ فِيهَا بِكُلِّ مَرَّةٍ أَجْرَ خَتْمَةٍ مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ أَنَّ مَنْ تَلَاهَا مَرَّةً فَكَأَنَّمَا سَبَّحَ اللَّهَ بِكُلِّ تَسْبِيحٍ سَبَّحَهُ بِهِ جَمِيعُ خَلْقِهِ فِي كُورَةِ العَالَمِ، فَهَلْ يَحْصُلُ فِيهَا هَذَا الثَّوَابُ كُلُّهُ؟ فَقَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحْصُلُ لِتَالِيهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ بِعَدَدِ حُرُوفِهَا وَحُرُوفِ القُرْآنِ بِكُلِّ حَرْفٍ سَبْعُ قُصُورٍ وَسَبْعُ حُورٍ. قُلْتُ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ حُرُوفَ القُرْآنِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ وَإِحْدَى وَعِشْرُونَ أَلْفاً وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ[3] ، فَإِذَا ضَرَبْتَهَا فِي سَبْعَةٍ، وَهِيَ[4] عَدَدُ الحُورِ، لِكُلِّ حَرْفٍ سَبْعَةٌ، يَخْرُجُ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ وَسَبْعٌ وَسَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً وَخَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ حَوْرَاءَ. انْتَهَى.

وَفِي سُورَةِ القَدْرِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتُّونَ أَلْفاً، لِكَوْنِهَا فِيهَا فَضْلُ صِيَامِ رَمَضَانَ، وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْهُ بِاثْنَيْ[5] عَشَرَ أَلْفاً، وَإِذَا جُمِعَ هَذَا العَدَدُ مَعَ الأَوَّلِ يَكُونُ أَلْفَيْ أَلْفٍ، وَسِتَّمِائَةِ أَلْفٍ، وَسَبْعَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ[6] . انْتَهَى، فَهَذَا فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا فِي الصَّلَاةِ فَيَتَضَاعَفُ[7] مَرَّتَيْنِ إِنْ صَلَّى جَالِساً، وَأَرْبَعَ مَرَّاتٍ إِنْ صَلَّى قَائِماً، وَهَذَا لِلفَذِّ، فَإِذَا قَرَأَهَا فِي فِي صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فَيَتَضَاعَفُ بِمِائَةٍ وَثَمَانِ مَرَّاتٍ، فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَدَدِ الرَّكَعَاتِ، وَهِيَ سَبْعَةَ عَشَرَ رَكْعَةً بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ[8] يَصِيرُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِائَةٍ وَسِتَّةً وَثَلَاثِينَ[1] ، أَعْنِي فَضْلَهَا

---

[1]- ي: فليطالعه

[2]- ي: محله

[3]- ك: وأربعون

[4]- أ ك ع: وهو

[5]- أ: بإثنا ـ ع: بإثني ـ ك: إثني

[6]- أ ح ع ق ص: وعشرون

[7]- ل: فيضاعف

[8]- ل ي: الليل والنهار

فَضْلَهَا الْمُتَقَدِّمَ فِي عَدَدِ الحُرُوفِ، وَهُوَ أَلْفَا[2] أَلْفٍ، أَعْنِي[3] يَتَضَاعَفُ إِلَى هَذَا القَدْرِ، وَمِثْلُهُ تَسْبِيحُ العَالَمِ، وَمِثْلُهُ قِيَامُ لَيْلَةِ القَدْرِ، وَمِثْلُهُ عِبَادَةُ سِنِينَ، وَمِثْلُهُ خَتَمَاتُ مِنَ القُرْآنِ.

الحَاصِلُ: مَنْ قَرَأَهَا فِي صَلَاةِ الجَمَاعَةِ يُعْطَى[4] لَهُ[5] مِنَ الأَجْرِ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ أَلْفٍ، مَرْتَبَتَانِ، (وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ، مَرْتَبَتَانِ، وَسِتَّةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، مَرْتَبَتَانِ، وَثَلَاثَةٌ)[6] وَسِتُّونَ أَلْفاً، وَتِسْعُمِائَةٍ حَوْرَاءَ مَعَ الأَجْرِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْ تَسْبِيحِ العَالَمِ وَخَتَمَاتِ القُرْآنِ إِلَى غَيْرِهَا، قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي الحَدِيثِ مَنْ صَلَّى خَلْفَ الإِمَامِ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ. انْتَهَى.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَذَا لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى التَّفْسِيرِ، وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ التَّفْسِيرَ فَيَتَضَاعَفُ لَهُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، وَهُوَ مِائَتَا حَسَنَةٍ لِكُلِّ حَرْفٍ، (**ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَلَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، أَعْنِي قَارِئَ الفَاتِحَةِ مَرَّةً)[7] .

ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَهَذَا فِي غَيْرِ نِيَّةِ الإِسْمِ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ الفَاتِحَةِ بِنِيَّةِ الإِسْمِ فَلَا يُحِيطُ بِفَضْلِهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعْظَمُ هَذَا فِي جَنْبِ[8] الكَرِيمِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قَالَ لِي سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيُجَاوِرُنِي فِي عِلِّيِّينَ، وَهَذَا الثَّوَابُ كُلُّهُ لِمَنْ تَلَاهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا مَنْ تَلَاهَا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتْلُوا الإِسْمَ الأَعْظَمَ مَعَهَا لِكَوْنِ حُرُوفِ الإِسْمِ تَامَّةً فِيهَا، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ثَوَابُ تِلَاوَةِ الإِسْمِ

---

[1]- أ ح ك ع هـ ق ص: وثلاثون

[2]- أ ك: ألفي - ي: ألف

[3]- ي: يعني

[4]- أ ح ي ك ع هـ ق ص: فيعطى

[5]- أ ح ي ك ع هـ ق ص: "له" محذوفة

[6]- ي: ما بين القوسين محذوف

[7]- ك: ما بين القوسين محذوف

[8]- ي: جانب

وَثَوَابُ تِلَاوَتِهَا، وَكُلَّمَا تَلَاهَا[1] فَقَدْ تَلَاهُ مَعَهَا، وَهَذِهِ الخَاصِيَةُ فِي الفَاتِحَةِ فَقَطْ دُونَ مَا عَدَاهَا مِنَ المَتْلُوَّاتِ الَّتِي كَمُلَتْ فِيهَا حُرُوفُ الإِسْمِ.

وَاعْلَم أَنَّ مَنْ تَلَاهَا مُتَعَبِّداً لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ بِتِلَاوَةِ الإِسْمِ مَعَهَا كَانَ لَهُ الثَّوَابُ الأَوَّلُ، وَمَنْ تَلَاهَا مُعْتَقِداً أَنَّهُ يَتْلُوا الإِسْمَ مَعَهَا لِوُجُودِ كَمَالِ حُرُوفِهِ فِيهَا كَانَ لَهُ ثَوَابُ تِلَاوَتِهَا وَتِلَاوَةِ الإِسْمِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، لَكِنْ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ الإِسْمُ الخَاصُّ بِالذَّاتِ العَلِيَّةِ، وَلَيْسَ لِلذَّاتِ العَلِيَّةِ المُنَزَّهَةِ غَيْرُهُ. انْتَهَى. فَهَذَا مَا أَبْرَزَهُ لَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِيهَا فَلَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا فَضْلُ صَلَاةِ رَفْعِ الأَعْمَالِ فَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الآثَارِ أَنَّ مَنْ صَلَّى بِهَا عَشْراً فِي الصَّبَاحِ، وَعَشْراً فِي المَسَاءِ، رُفِعَ لَهُ مِثْلُ عَمَلِ أَهْلِ الأَرْضِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وَأَمَّا اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي إلخ..** فَهِيَ مِنْ مُكَفِّرَاتِ الذُّنُوبِ . وَأَمَّا فَضْلُ وَظِيفَةِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَهُوَ[2] : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ إلخ..** فَمَنْ ذَكَرَهَا فِي الصَّبَاحِ ثَلَاثاً لَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَمَنْ ذَكَرَهَا فِي المَسَاءِ ثَلَاثاً[3] كَذَلِكَ لَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فِي تِلْكَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى يُصْبِحَ . انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وَأَمَّا فَضْلُ الدَّوْرِ الأَعْلَى الأَعْلَى** لِلشَّيْخِ الأَكْبَرِ فَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَيْهِ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ الحِفْظِ وَالتَّحْصِينِ لِقَارِئِهِ . وَأَمَّا **اسْتِغْفَارُ الخَضِرِ** عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ ذَكَرَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. انْتَهَى. فَهَذَا هُوَ المَنْسُوبُ لِسَيِّدِنَا الخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا المُسَبَّعَاتُ العَشْرُ فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الخَرُّوبِي الطَّرَابُلْسِي: هِيَ مِنَ الأَوْرَادِ العَظِيمَةِ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ الصَّالِحِينَ وَالعُبَّادِ بِهَا يَقْرَؤُونَهَا وَيُضِيفُونَهَا إِلَى وَظَائِفِهِمْ وَأَوْرَادِهِمْ قَدِيماً وَحَدِيثاً، غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، وَلَمْ يَزَلِ الشُّيُوخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَأْمُرُونَ إِخْوَانَهُمْ وَأَصْحَابَهُمْ بِقِرَاءَتِهَا وَيَحُضُّونَهُمْ عَلَيْهَا، وَقَدْ أَسْنَدَ حَدِيثَهَا أَبُو طَالِبٍ المَكِّي فِي القُوتِ عَنْ كُرْزِ بْنِ

---

[1]- ل ي: وكل من تلاها

[2]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: وهي

[3]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: "ثلاثا" محذوفة

[4]- ي: "علينا" محذوفة

وبَرَةَ قَالَ: وَكَانَ مِنَ الأَبْدَالِ عَنْ أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِي عَنِ الخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى كَلَامُ الخَرُّوبِي[1] (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2] ، وَلَنَا فِيهَا سَنَدٌ عَالٍ غَيْرُ هَذَا، وَهُوَ عَنْ شَيْخِنَا وَسَنَدِنَا عَنْ شَيْخِهِ سَيِّدِي مَحْمُودٍ الكُرْدِي عَنِ الخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشَافَهَةً بِالرِّوَايَةِ المُتَقَدِّمَةِ ، هَكَذَا أَخَذْنَاهَا عَنْ سَيِّدِنَا وَأَجَازَنَا فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا السَّنَدُ لَمْ يُوجَدْ إِلَّا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ. انْتَهَى.

وَأَمَّا فَضْلُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه وَأَنَّ عِيسَى إلخ.. الحَدِيثُ. فَفِي البُخَارِي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إلخ.. أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ انْتَهَى. **وَأَمَّا الأَذْكَارُ الَّتِي بَعْدَ الصَّلَوَاتِ،** فَالفَاتِحَةُ تَقَدَّمَ فَضْلُهَا، وَآيَةُ الكُرْسِي مَنْ ذَكَرَهَا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ . إهـ. وَأَمَّا سُورَةُ الإِخْلَاصِ فَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنْهَا[3] تَعْدِلُ ثُلُثَ خَتْمَةٍ مِنَ القُرْآنِ . إهـ. وَأَمَّا أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ إِلَى وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، مَنْ قَالَهَا ثَلَاثاً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ لَمْ يَضُرُّهُ سُمٌّ . إهـ. وَأَمَّا فَضْلُ تَبَارَكْتَ إِلَهِي إلخ... مَنْ قَالَهَا دُبُرَ كُلِّ عَمَلٍ كَانَ مَقْبُولاً . إهـ. ثُمَّ آيَةُ الكُرْسِي تَقَدَّمَ فَضْلُهَا، ثُمَّ (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ**)[4] إلخ.. مَنْ ذَكَرَهَا سَبْعاً فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ لَمْ يَمُتْ مَا دَامَ يَذْكُرُهَا . إهـ. ثُمَّ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، تَقَدَّمَ فَضْلُهَا. ثُمَّ حِزْبُ البَحْرِ تَقَدَّمَ فَضْلُهُ، ثُمَّ يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ تَقَدَّمَ فَضْلُهُ، ثُمَّ الأَسْمَاءُ الإِدْرِيسِيَّةُ تَقَدَّمَ أَيْضاً، ثُمَّ الإِخْلَاصُ كَذَلِكَ، ثُمَّ آيَةُ الكُرْسِي، ثُمَّ آيَةُ الحِرْصِ، ثُمَّ السَّيفِي، ثُمَّ حِزْبُ البَحْرِ كَذَلِكَ، ثُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَا دَافِعُ إلخ .. ثُمَّ الدُّعَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو طَالِبٍ المَكِّي وَهُوَ: أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إلخ .. فَضْلُهُ مَنْ ذَكَرَهُ كُتِبَ مِنَ السَّاجِدِينَ المُخْبِتِينَ الَّذِينَ يُجَاوِرُونَ

---

[1]- ك ع: الخروبي رحمه الله

[2]- ك ع: "رضي الله عنه" محذوفة - أ: رحمه الله

[3]- ل ي ك ح ع هـ ق ص: "منها" محذوفة

[4]- سورة التوبة، الآية 128

سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى فِي دَارِ الجِنَانِ[1] ، وَلَهُ ثَوَابُ العَابِدِينَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ . انْتَهَى.

وَأَمَّا فَضْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ إلخ ... مَنْ ذَكَرَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً، وَيَكُونُ أَفْضَلَ مَنْ ذَكَرَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَتَحَاتَتْ عَنْهُ[2] ذُنُوبُه، وَيَكُون لَهُ غَرْساً فِي الجَنَّةِ، انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْنَا.

وَأَمَّا صِفَةُ المُرِيدِ وَحَالِهِ وَمَا يَقْطَعُهُ عَنْ أُسْتَاذِهِ. فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَأَلْنَا[3] سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَسَائِلَ[4] مِنْ جُمْلَتِهَا ذَلِكَ، وَنَصُّ السُّؤَالِ: سَادَاتِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَأَرْضَاكُمْ، وَمَتَّعَ المُسْلِمِينَ بِطُولِ بَقَائِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ، جَوَابُكُمْ عَنْ مَسَائِلَ مِنْهَا مَا حَقِيقَةُ المُرِيدِ الصَّادِقِ، وَخُرُوجِهِ مِنَ المَقْتِ اللَّاحِقِ، بِوَعْدٍ صَادِقٍ، وَسُلُوكِهِ وَتَرْبِيَتِهِ قَبْلَ لِقَاءِ الشَّيْخِ الصَّادِقِ، وَإِدَامَتِهِ[5] عَلَى مَا يُنْجِيهِ مِنْ رَبِّهِ بِعَزْمٍ صَادِقٍ، فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِقُرَّةِ عَيْنَيْهِ، وَكَشَفَ لَهُ الغِطَاءَ بِأَنَّهُ كَفِيلُهُ وَمُرَبِّيه، فَهَلْ لَهُ إِلْقَاءُ القِيَادِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِيمُ نَفْسِهِ بِالكُلِّيَّةِ إِلَيْهِ، وَاتِّبَاعُهُ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يُخَالِفُهُ لَحْظَةً فِيمَا أَمَرَهُ[6] بِهِ وَنَدَبَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُهُ مَا الحِكْمَةُ فِيمَا

---

[1]- ل ي ك ع هـ ص م: الجلال

[2]- ي: "عنه" محذوفة

[3]- أ ي: سئل

[4]- ل ك ع: فاعلم أنه سبق لنا لسيدنا أنه سئل عن مسائل

[5]- ي: وإدمانه

[6]- ل: أمر الله وندبه إليه

فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ، فِيمَا ظَهَرَ[1] لَهُ فِي[2] زَعْمِهِ[3] أَنَّهُ مُخَالِفُ لِشَرِيعَةِ نَبِيِّهِ، أَوْ يَخْتَبِرُهُ وَيَنْظُرُ فِي الشَّوَاهِدِ[4] وَالدَّلَائِلِ الَّتِي لَدَيْهِ[5] ، لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِالضَّالِينَ المُضِلِّينَ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَإِنْ قُلْنَا سَيِّدِي بِالتَّصْدِيقِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ لادِّعَائِهِ المَشْيَخَةَ[6] وَالتَّرْبِيَّةَ وَالتَّرْقِيَّةَ وَالنَّظْرَةَ[7] وَالحَالَ، لَرَأَيْنَا[8] مَا يُكَذِّبُهُ فِي الحَالِ وَالمَآلِ، وَإِنْ قُلْنَا لَا بُدَّ مِنَ الإِخْتِبَارِ وَالإِمْتِحَانِ، خِفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الطَّرْدِ وَالبُعْدِ مِنْ حَضْرَةِ المَلِكِ[9] الدَّيَّانِ، وَأَيُّ عَلَامَةٍ لِلعَارِفِ، وَهُوَ فِي أَيَّامِ دَهْرِهِ فِي[10] المَلَابِسِ وَالمَآكِلِ وَالزَّخَارِيفِ[11]، بَيِّنْ لَنَا مَا حَقِيقَةُ الشَّيْخِ الكَامِلِ، وَالتِّلْمِيذِ الصَّادِقِ الوَاصِلِ، بَيَاناً شَافِياً، وَنَصّاً مِنْ مَحَلِّهِ وَافِياً[12] ، وَهَلْ طَلَبُ الشَّيْخِ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؟ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ أَنْ يَطْلُبَ مَنْ يُوصِلُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ تَعْلِيمِ الفَرَائِضِ، أَوْ هُوَ خَاصٌّ بِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنْ قُلْنَا بِالوُجُوبِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ، بَيِّنْ لَنَا مَا وَجْهُهُ، وَإِنْ قُلْنَا بِتَخْصِيصِ البَعْضِ دُونَ البَعْضِ بَيِّنْ لَنَا أَيْضاً مَا وَجْهُهُ، وَالسَّلَامُ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

---

[1]- ي: يظهر

[2]- ي: "في" محذوفة

[3]- ي: بزعمه

[4]- ل: وينظر في أحواله بالشواهد والدلائل

[5]- ل: وإقامة الحدود التي لديه

[6]- ي: بالمشيخة

[7]- ح: والنظر

[8]- أ ل ك ع هـ ق ص: رأينا

[9]- ي: "الملك" محذوفة

[10]- ي: من

[11]- ك: والزخارف

[12]- ل: وافيا كافيا

فَأَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّ الجَوَابِ: اعْلَمْ أَيَّدَكَ اللَّهُ بِرُوحِهِ أَنَّ المُرِيدَ الصَّادِقَ هُوَ الَّذِي عَرَفَ جَلَالَ الرُّبُوبِيَّةِ وَمَا لَهَا مِنَ الحُقُوقِ فِي مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَّةِ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهَا مُسْتَوْجِبَةٌ مِنْ جَمِيعِ عَبِيدِهِ دَوَامَ الدُّؤُوبِ بِالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ إِلَيْهِ، وَالعُكُوفِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَدَوَامِ الإِنْحِيَاشِ إِلَيْهِ، وَعُكُوفِ القَلْبِ[1] عَلَيْهِ مُعْرِضاً عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ حُبّاً وَإِرَادَةً، وَإِرَادَةً، فَلَا غَرَضَ لَهُ، وَلَا إِرَادَةَ فِي شَيْءٍ سِوَاهُ، لِعِلْمِهِ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ **(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً)**[2].

فَلَمَّا عَرَفَ هَذَا وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ دَوَامِ العُكُوفِ عَلَى[3] الإِنْقِطَاعِ[4] إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَعَرَفَ خِسَّةَ نَفْسِهِ وَكَثْرَةَ شُؤْمِهَا وَشَرِّهَا، وَأَنَّهَا فِي جَمِيعِ تَوَجُّهَاتِهَا مُضَادَّةٌ لِحَضْرَةِ الأُلُوهِيَّةِ[5]، وَأَنَّ جَمِيعَ حُظُوظِهَا وَمُرَادَاتِهَا مُنَاقِضَةٌ لِلحُقُوقِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَعَرَفَ مَا فِيهَا مِنَ التَّثَبُّطِ وَالتَّثْبِيطِ عَنِ النُّهُوضِ بِالقِيَامِ بِحُقُوقِ الحَقِّ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ لَهُ تَعَالَى مِنَ الخِدْمَةِ وَالأَدَبِ، لِمَا أَلِفَتْه مِنَ المَيْلِ إِلَى الرَّاحَاتِ، وَالعُكُوفِ عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَالإِنْقِطَاعِ عَنْ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَأَنَّ جَمِيعَ حُظُوظِهَا لَا تَدُورُ إِلَّا فِي هَذَا المَيْدَانِ.

وَعَرَفَ عَجْزَهُ عَنْ تَقْوِيمِ هَذِهِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَعَنْ رَدِّهَا إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ مُنْقَطِعَةً عَنْ هَوَاهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَعَرَفَ أَنَّهُ إِنْ أَقَامَ[6] مَعَهَا عَلَى هَذَا الحَالِ اسْتَوْجَبَ مِنَ اللَّهِ فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ مِنَ الغَضَبِ وَالمَقْتِ وَشِدَّةِ العَذَابِ وَالنَّكَالِ المُؤَبَّدِ الخُلُودَ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ، وَارْتَعَبَ قَلْبُهُ مِنْ هَذَا البَلَاءِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، وَالعِلَّةِ المُعْضِلَةِ الَّتِي لَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا، فَلَا يُمْكِنُهُ المَقَامُ مَعَ نَفْسِهِ عَلَى مَا هِيَ فِيهِ مِمَّا ذُكِرَ قَبْلُ مِنَ اسْتِجَابَةِ[7] الغَضَبِ

---

[1]- ي: القلوب

[2]- سورة النور، الآية 39

[3]- ي: "على" محذوفة

[4]- ي: والإنقطاع

[5]- ل ي: للحضرة الإلهية

[6]- ي ك ع هـ ص م: قام

[7]- ح: الإستجابة ـ أ ك ع ي: إلا استجابة

وَالمَقْتِ مِنَ اللَّهِ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى نَقْلِ نَفْسِهِ مِنْ مَقَرِّهَا الخَبِيثِ إِلَى اسْتِيطَانِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَحِينَ عَرَفَ هَذَا رَجَعَ بِصِدْقٍ وَعَزْمٍ وَجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ فِي طَلَبِ الطَّبِيبِ الَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ هَذِهِ العِلَّةِ المُعْضِلَةِ، وَيَدُلُّهُ عَلَى الدَّوَاءِ الَّذِي يُوجِبُ كَمَالَ الشِّفَاءِ وَالصِّحَّةِ، فَهَذَا هُوَ المُرِيدُ الصَّادِقُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِمَّنْ[1] لَمْ[2] يَتَّصِفْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ المُتَقَدِّمَةِ فَهُوَ طَالِبٌ لَا غَيْرُ، قَدْ[3] يَجِدُ وَقَدْ لَا يَجِدُ، تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِأَمْرٍ فَطَلَبَهُ.

وَأَمَّا الأَوَّلُ فَلِمَكَانِ[4] صِدْقِهِ كَانَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ طَلَبِهِ، فَإِنَّ عِنَايَةَ الحَقِّ بِهِ الَّتِي وَهَبَتْهُ وَهَبَتْهُ ذَلِكَ العِلْمَ المَذْكُورَ هِيَ الَّتِي تَقُودُهُ إِلَى الشَّيْخِ الكَامِلِ، وَتُلْقِيهِ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ الوَاصِلِ، وَتُقَلِّبُ لَهُ قَلْبَ الشَّيْخِ بِالمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، فَيَقَعُ الإِئْتِلَافُ بَيْنَهُمَا وَالأَدَبُ، فَيَنْفَتِحُ[5] بَابُ الوُصُولِ، لِأَنَّ عِنَايَةَ الحَقِّ مَتَى وَقَعَتْ عَلَى أَمْرٍ جَذَبَتْهُ جَذْباً قَوِيّاً لَا يُمْكِنُ تَوَقُّفُهُ، وَلَوْ كَانَ مَا كَانَ، فَالَّذِي يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ الصَّادِقِ[6] فِي الطَّلَبِ مَعَ كَمَالِ العِلْمِ المُتَقَدِّمِ، وَشِدَّةِ الإِهْتِمَامِ بِالأَمْرِ المَطْلُوبِ، وَعِمَايَةِ القَلْبِ عَنْ سِوَى مَطْلُوبِهِ، فَلَا يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ سِوَى مَا يُرِيدُ، هَذَا هُوَ الصِّدْقُ المُفِيدُ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُهُ مِنَ المَقْتِ اللَّاحِقِ.

فَالَّذِي يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ قَبْلَ لِقَاءِ الشَّيْخِ أَنْ يُلَازِمَ الذِّكْرَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِدَّةِ حُضُورِ القَلْبِ فِي تَأَمُّلِ المَعَانِي حَسَبَ الطَّاقَةِ، مَعَ اعْتِقَادِهِ[7] أَنَّهُ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ دَوَامِ الإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَأَغْرَاضِهَا، وَالسَّعْيِّ فِي كُلِّ مَا يُحَبِّبُهُ[8] إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَوَافِلِ الخَيْرَاتِ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ

---

[1]- ي: مما

[2]- ي: لا

[3]- ك: فقد

[4]- ي: فلكمال

[5]- ي: فيفتح

[6]- ي: الطالب

[7]- أ ي ك ع هـ ق ص: اعتقاد

[8]- ي: يحبب

فِي الأَوْقَاتِ، كَوَقْتِ الضُّحَى وَقَبْلَ الظُّهْرِ وَبَعْدَهُ، وَقَبْلَ العَصْرِ، وَبَعْدَ المَغْرِبِ، وَبَعْدَ العِشَاءِ، وَبَعْدَ النُّهُوضِ مِنَ النَّوْمِ، وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَلْيُقَلِّلْ مِنْ ذَلِكَ.

وَيَجْعَلَ اهْتِمَامَهُ بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَكْثَرَ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] مِفْتَاحُ أَبْوَابِ الخَيْرِ، مَعَ العُزْلَةِ فِي وَقْتِ الذِّكْرِ، وَتَقْلِيلِ الغِذَاءِ وَالمَاءِ، وَاسْتِعْمَالِ شَيْءٍ مِنَ الصِّيَامِ وَالصَّمْتِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُسَطَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقِ.

وَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ فِي الأَذْكَارِ، وَكَثْرَةِ تَشْعِيبِ الفِكْرِ بَيْنَ أَقَاوِيلِ المُتَصَوِّفَةِ، فَإِنَّهُ مَا اتَّبَعَ ذَلِكَ أَحَدٌ فَأَفْلَحَ[2] قَطُّ، وَلَكِنْ يَجْعَلُ لِنَفْسِهِ ذِكْراً وَاحِداً يَهْتَمُّ بِهِ، وَوِجْهَةً وَاحِدَةً يَهْتَمُّ بِهَا، وَأَصْلاً ثَابِتاً يُعَوِّلُ عَلَيْهِ مِنَ الطُّرُقِ، هَذَا سُلُوكُهُ وَتَرْبِيَتُهُ قَبْلَ لِقَاءِ الشَّيْخِ، ثُمَّ يَسْعَى فِي طَلَبِ الشَّيْخِ الكَامِلِ كَمَا قَالَ طَمْطَمُ: الطَّالِبُ الصَّادِقُ لَا يَنْظُرُ فِي غَيْرِ مَطْلُوبِهِ، الطَّالِبُ لَا يَسْعَى فِي غَيْرِ مَطْلُوبِهِ، الطَّالِبُ لَا يَهْتَمُّ فِي غَيْرِ مَطْلُوبِهِ، فَهَذِهِ صِفَةُ المُرِيدِ وَأَحْوَالُهُ[3].

وَأَمَّا مَا يَقْطَعُهُ عَنْ أُسْتَاذِهِ فَأُمُورٌ، فَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأُمُورُ الَّتِي تَكُونُ سَبَباً لِطَرْدِ المُرِيدِ عَنِ الشَّيْخِ، مِنْهَا الأَغْرَاضُ، وَمِنْهَا الإِعْتِرَاضُ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَمِنْهَا كَزَازَةُ المُرِيدِ مِنْ ظُهُورِ بَشَرِيَّةِ الشَّيْخِ بِأَمْرٍ لَا يُطَابِقُ المَعْرِفَةَ، وَمِنْهَا سُقُوطُ حُرْمَتِهِ مِنَ القَلْبِ.

فَأَمَّا الأَغْرَاضُ سَوَاءٌ كَانَتْ دُنْيَوِيَّةً أَوْ أُخْرَوِيَّةً، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ لَا يُصْحَبُ وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِشَيْءٍ، وَهِيَ فِي أَمْرَيْنِ يَعْنِي الصُّحْبَةَ: فَإِمَّا أَنْ يُوَالِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يَقُولَ: هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ[4]، وَأَنَا أُوَالِيهِ لِلَّهِ، وَسِرُّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَفِي طَيِّهِ: مَنْ وَالَى لِي وَلِيّاً لِأَجْلِ أَنَّهُ وَلِيِّي اصْطَفَيْتُهُ وَاتَّخَذْتُهُ وَلِيّاً، وَهَذَا هُوَ السِّرُّ الأَكْبَرُ الجَاذِبُ لِلْمُرِيدِينَ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالأَمْرُ الثَّانِي يَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْخَ مِنْ عَبِيدِ الحَضْرَةِ، وَيَعْلَمُ مَا يَجِبُ لِلحَضْرَةِ مِنَ الأَدَبِ، وَمَا يُفْسِدُ المَرْءَ

---

[1] - ي: ما بين القوسين محذوف

[2] - ي: ما اتبع أحد ذلك فأفلح

[3] - ح: وحاله

[4] - أ: ولي لله

فِيهَا[1] مِنَ الأَوْطَارِ وَالأَرَبِ، فَإِذَا عَلِمَ هَذَا يَصْحَبُهُ لِيَدُلَّهُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَالصُّحْبَةُ فِي هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ لَا غَيْرَ، وَمَنْ[2] صَحِبَ لِغَيْرِهِمَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْرِفْ أَنَّ الرَبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْبَدُ لَا لِغَرَضٍ، بَلْ لِكَوْنِهِ إِلَهاً يَسْتَحِقُّ الأُلُوهِيَةَ وَالعُبُودِيَةَ مِنْ ذَاتِهِ، لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَامِدِ الصِّفَاتِ العَلِيَّةِ، وَالأَسْمَاءِ البَهِيَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ العِبَادَةُ العُلْيَا، وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ يُصْحَبُ لَا لِغَرَضٍ، بَلْ لِتَجْلُبَهُ مُوَالَاتُهُ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَعَرَّفَ مِنْهُ الآدَابَ المَرْضِيَّةَ، وَمَا يَشِينُ العَبْدَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ[3] ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ مُتَابَعَةِ الهَوَى وَلَوْ كَانَ مَحْمُوداً فَهُو شَيْنٌ عَلَى العَبْدِ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلِذَا أُمِرَتِ الشُّيُوخُ بِقَمْعِ المُرِيدِينَ وَزَجْرِهِمْ عَنْ مُتَابَعَةِ الهَوَى فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ، لِأَنَّ المُرِيدَ فِي وَقْتِ مُتَابَعَةِ الهَوَى كَافِرٌ[4] بِاللَّهِ صَرِيحاً لَا تَلْوِيحاً، لِكَوْنِهِ نَصَبَ نَفْسَهُ إِلَهاً وَعَصَى أَمْرَ اللَّهِ وَخَالَفَهُ، فَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الحَقِيقَةِ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَإِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي هَذَا الحَالِ، قَالَ لَهُ لِسَانُ الحَقِّ[5] : كَذَبْتَ بَلْ أَنْتَ مُشْرِكٌ! وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ خَرَجَ[6] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَحْتَ قُبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ.

فَإِذَا عَرَفَ المُرِيدُ هَذَا فَلَا يَغْضَبُ عَلَى الشَّيْخِ وَلَا يَتَغَيَّرُ إِذَا[7] لَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُ فِي غَرَضِهِ، فَإِنَّ فَإِنَّ الشَّيْخَ أَعْرَفُ بِالمَصَالِحِ وَأَدْرَى بِوُجُوهِ المَضَارِّ، وَالتِّلْمِيذُ جَاهِلٌ بِذَلِكَ، فَإِذَا طَلَبَ مِنْهُ غَرَضاً مِنْ أَيِّ فَنٍّ كَانَ وَلَمْ يُسَاعِدْهُ الشَّيْخُ عَلَيْهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ مَنَعَهُ مِنْهُ لِأَجْلِ مَصْلَحَتِهِ

---

[1]- ح: فيه

[2]- ي: وأما من صحب

[3]- ي: حضرة الله تعالى

[4]- أ ح: كافراً

[5]- ي: الحال

[6]- ي: "خرج" محذوفة

[7]- أ: إذ

وَدَفْعِ مَفْسَدَتِهِ، فَإِذَا عَوَّدَ نَفْسَهُ التَّغَيُّرَ[1] عَلَى الشَّيْخِ فِي مِثْلِ هَذَا طُرِدَ عَنْ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَانْقَطَعَ عَنِ الشَّيْخِ، فَإِذَا غَضِبَ المُرِيدُ عَلَى الشَّيْخِ[2] بَعْدَ تَغَيُّرِهِ انْقَطَعَ انْقِطَاعاً كُلِّياً لَا رُجُوعَ لَهُ أَصْلاً، وَأَمَّا الإِعْتِرَاضُ بِالقَلْبِ أَوْ بِاللِّسَانِ فَإِنَّهُ سَيْفٌ صَارِمٌ يَقْطَعُ الحَبْلَ بَيْنَ الشَّيْخِ وَمُرِيدِهِ، فَلَا يَعْتَرِضُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الشَّيْخِ.

فَإِنْ لَمْ تُوَافِقْ[3] مَا عِنْدَهُ مِنْ ظَاهِرِ العِلْمِ أَوْ بَاطِنِهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ دَقَائِقَ بَيْنَ الشَّيْخِ وَرَبِّهِ، لَا يَدْرِيهَا التِّلْمِيذُ، وَالشَّيْخُ يَجْرِي عَلَى مِنْوَالِ تِلْكَ الدَّقَائِقِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَإِذَا خَالَفَ صُورَةَ ظَاهِرِ الشَّرْعِ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي بَاطِنِ الأَمْرِ يَجْرِي عَلَى مِنْوَالِ الشَّرْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِيهِ الخَلْقُ.

وَأَمَّا كَزَازَةُ المُرِيدِ مِنْ ظُهُورِ بَشَرِيَّةِ الشَّيْخِ فَإِنَّهَا مِنْ جَهْلِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمَرَاتِبِهِ الخِلْقِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ[4] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ خَلْقِهِ بِأَمْرٍ وَحُكْمٍ لَمْ يَتَجَلَّى بِهِ فِي غَيْرِهَا مِنَ المَرَاتِبِ، وَذَلِكَ التَّجَلِّي تَارَةً يَكُونُ كَمَالاً فِي نِسَبِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ، وَتَارَةً تَكُونُ[5] صُورَتُهُ صُورَةَ نَقْصٍ فِي نِسَبِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ التَّجَلِّي وَإِنْ كَانَتْ صُورَتُهُ صُورَةَ النَّقْصِ فِي نِسَبِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ، فَلَا مَحِيدَ لِتِلْكَ المَرْتَبَةِ عَنْ ظُهُورِ التَّجَلِّي فِيهَا بِصُورَةِ ذَلِكَ النَّقْصِ، لِأَنَّ ذَلِكَ نَاشِئٌ عَنِ المَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَةِ، وَكُلُّ تَعَلُّقَاتِ المَشِيئَةِ يَسْتَحِيلُ تَحَوُّلُهَا لِغَيْرِ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ.

فَلَابُدَّ لِكُلِّ عَارِفٍ مِنْ ظُهُورِ النَّقْصِ فِي ذَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ النَّقْصَ تَارَةً يُلَابِسُهُ بِصُورَةِ كَمَالٍ لِلدَّقَائِقِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَتَارَةً يُلَابِسُهُ مُتَعَمِّداً أَنَّهُ نَقْصٌ، وَلَيْسَ لَهُ فِي هَذِهِ المُلَابَسَةِ إِلَّا مُعَايَنَةُ الحُكْمِ الإِلَهِي الَّذِي مُقْتَضَاهُ القَهْرُ وَالغَلَبَةُ، بِحَيْثُ أَنْ لَا مَحِيدَ لِلعَبْدِ عَنْهُ، فَإِذَا رَأَى المُرِيدُ مِنْ شَيْخِهِ بَشَرِيَّةً تَقْتَضِي النَّقْصَ إِمَّا شَرْعِيّاً وَإِمَّا مِمَّا يُخِلُّ بِالمُرُوءَةِ فَلْيُلَاحِظْ هَذِهِ

---

[1]- ل: بالتغيير

[2]- ي: "على الشيخ" محذوفة

[3]- ل ص: يوافق

[4]- أ ي: الحق

[5]- أ ي ك ع هـ ق ص: يكون

المَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُخْرِجُ الشَّيْخَ عَنْ حَضْرَةِ رَبِّهِ، وَلَا يُزَحْزِحُهُ عَنْ مَحَلِّ قُرْبِهِ وَ لَا يَحُطُّهُ عَنْ كَمَالِ أَدَبِهِ.

فَإِذَا عَرَفَ هَذَا فَلَا يَرْفُضُ شَيْخَهُ لِظُهُورِ البَشَرِيَّةِ، وَكُلُّ مُرِيدٍ يَطْلُبُ مَرْتَبَةً لِلحَقِّ[1] يَتَعَلَّقُ بِهَا لِلقُرْبِ وَالوُصُولِ يُرِيدُ أَنْ لَا يَظْهَرَ فِيهَا[2] نَقْصٌ، كَانَ لِسَانُ حَالِهِ يُنَادِي[3] : لَا مَطْمَعَ لَكَ فِي دُخُولِ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى[4] ، لِأَنَّ كُلَّ المَرَاتِبِ لَابُدَّ لَهَا مِنْ نَقْصٍ، فَلَيْسَ يَظْهَرُ الكَمَالُ صُورَةً وَمَعْنًى وَحِسّاً بَرِيئاً مِنَ النَّقْصِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ إِلَّا فِي ثَلَاثِ[5] مَرَاتِبَ فَقَطْ، لَا مَا عَدَاهَا: وَهِيَ الرِّسَالَةُ لِمَنْ دَخَلَ حَضْرَتَهَا، وَالنُّبُوءَةُ لِمَنْ دَخَلَ حَضْرَتَهَا، وَالقُطْبَانِيَّةُ لِمَنْ دَخَلَ حَضْرَتَهَا، فَإِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ لَا صُورَةَ لِلنَّقْصِ فِيهَا، وَالبَاقِي مِنَ المَرَاتِبِ يَظْهَرُ فِيهِ النَّقْصُ فِي الغَالِبِ وَقَدْ لَا يَظْهَرُ، فَإِنَّ هَذِهِ المَرَاتِبَ الثَّلَاثَةَ وَلَوْ ظَهَرَ لِلمَرْءِ فِيهَا صُورَةُ نَقْصٍ فَذَلِكَ النَّقْصُ هُوَ غَايَةُ الكَمَالِ، وَإِنَّمَا يَتَنَقَّصُهُ[6] المَرْءُ بِجَهْلِهِ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَفْعَلُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاهُمْ لَهُ.

وَأَمَّا سُقُوطُ حُرْمَتِهِ فَهِيَ أَكْبَرُ قَاطِعٍ عَنِ اللَّهِ، وَسُقُوطُ الحُرْمَةِ هِيَ عَدَمُ ظُهُورِ المُبَالَاتِ إِذَا أَمَرَهُ أَوْ نَهَاهُ، وَمِنْ أَكْبَرِ الشُّرُوطِ الجَامِعَةِ بَيْنَ الشَّيْخِ وَمُرِيدِهِ هُوَ أَنْ لَا يُشَارِكَ[7] فِي مَحَبَّتِهِ غَيْرَهُ، وَلَا فِي تَعْظِيمِهِ، وَلَا فِي الإِسْتِمْدَادِ مِنْهُ، وَلَا فِي الإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيُتَأَمَّلُ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مَنْ سَاوَى رُتْبَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ

---

[1]- ي: الحق

[2]- ك: يريد ألا يظهر فيها

[3]- أ ل: ينادي عليه

[4]- أ ي: "تعالى" محذوفة

[5]- ي: ثلاثة

[6]- ل: ينتقصه

[7]- ك: هو ألا يشارك

رُتْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ فِي المَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِسْتِمْدَادِ وَالإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ بِالقَلْبِ وَالتَّشْرِيعِ فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى أَنْ[1] يَمُوتَ كَافِراً، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَهُ عِنَايَةٌ رَبَّانِيَةٌ بِسَبْقِ مَحَبَّةٍ إِلَهِيَةٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَلْيَكُنِ المُرِيدُ مَعَ شَيْخِهِ كَمَا هُوَ مَعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّعْظِيمِ وَالمَحَبَّةِ وَالإِسْتِمْدَادِ وَالإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ بِالقَلْبِ، فَلَا يُعَادِلُ بِهِ[2] غَيْرَهُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ، وَلَا يُشَارِكُ غَيْرَهُ.

وَمِنْ أَكْبَرِ القَوَاطِعِ عَنِ اللَّهِ أَن يَنْسِبَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الفَتْحِ وَالأَسْرَارِ لِغَيْرِ شَيْخِهِ، لِأَنَّ تِلْكَ[3] الأَنْوَارَ الإِلَهِيَةَ الوَارِدَةَ عَلَى العَبْدِ بِالأَسْرَارِ وَالأَحْوَالِ وَالمَعَارِفِ وَالعُلُومِ وَالتَّرَقِّي فِي المَقَامَاتِ كُلُّ نُورٍ مِنْهَا يَحِنُّ إِلَى مَرْكَزِهِ، وَهِيَ الحَضْرَةُ الإِلَهِيَةُ الَّتِي مِنْهَا بَرَزَ وَفِيهَا نَشَأَ، فَلِكُلِّ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ حَضْرَةٌ لَا يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ غَيْرِهِ، فَإِذَا وَرَدَ مِنْهَا نُورٌ بِأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَنُسِبَ إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الحَضْرَةِ مِنَ الحَضَرَاتِ[4] الإِلَهِيَةِ اغْتَاظَ ذَلِكَ النُّورُ وَطَارَ وَرَجَعَ إِلَى مَحَلِّهِ، وَصُورَةُ ذَلِكَ فِي نَسَبِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ أَنَّ اللَّهَ قَضَى فِي كِتَابِهِ بِنِسْبَةِ كُلِّ وَلَدٍ إِلَى أَبِيهِ، قَالَ تَعَالَى: (**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**)[5].

فَمَنْ نَسَبَ نُوراً إِلَى غَيْرِ مَحَلِّهِ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ فَقَدْ أَسَاءَ الأَدَبَ فِي حَضْرَةِ الحَقِّ وَكَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَالحَضْرَةُ لَا تَحْتَمِلُ الكَذِبَ، فَلِذَا يُطْرَدُ وَيُسْلَبُ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ آنَ لَنَا أَنْ نَذْكُرَ هُنَا فِي هَذَا المَحَلِّ أَبْيَاتاً مِنَ الرَّائِيَةِ لِلإِمَامِ الشَّرِيشِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمُنَاسَبَةِ مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُوطِ، وَنَصُّ الأَبْيَاتِ:

---

[1]- أ ي ك ق: أنه

[2]- ل: عليه

[3]- ح: ذلك

[4]- ح: الحضرة

[5]- سورة الأحزاب، الآية 5

وَلَا تَـقْـدُمَـنْ قَـبْـلَ اعْـتِـقَـادِكَ أَنَّـــهُ * مُـرَبٍ وَلَا أَوْلَـى بِـهَـا مِنْهُ فِي العَصْرِ
فَـــإِنَّ رَقِــيــبَ الإلْــتِـفَـاتِ لِـغَـيْـرِهِ * يَـقُـولُ لِـمَـحْـبُـوبِ السِرَايَـةِ لَا تَـسْـرِي
وَإِنْ تَـسْـمُ نَـحْـوَ الـفَـقْـرِ نَـفْـسُـكَ فَاطَّرِحْ * هَــوَاهَـا وَجَـانِـبْـهُ مُـجَـانَـبَـةَ الـشَّــرِّ
وَضَعْـهَا بِـحِجْرِ الـشَّـيْـخِ طِفْلاً فَـمَا لَـهَا * خُـرُوجٌ بِـلَا فَـطْـمٍ عَـنِ الـحِجْرِ وَالـحَجْرِ
وَمَــنْ لَــمْ يَـكُـنْ سَلْبَ الإرَادَةِ وَصْـفُـهُ * فَـلَا يَـطْـمَـعَـنْ فِــي شَــمِّ رَائِـحَـةِ الـفَـقْـرِ
وَلَا تَـعْـتَـرِضْ يَــوْماً عَـلَـيْـهِ فَـإِنَّـهُ * كَفِيـلٌ بِـتَـشْـتِـيتِ الـمُـرِيدِ عَـلَى هَـجْرِ
وَمَــنْ يَـعْـتَـرِضْ وَالعِـلْـمُ عَـنْـهُ بِـمَـعْـزِلٍ * يَرَى النَّقْصَ فِي عَيْنِ الكَمَالِ وَمَا يَدْرِي
وَمَــنْ لَــمْ يُـوَافِـقْ شَـيْـخَـهُ فِـي اعْـتِـقَادِهِ * يَـظَـلُّ[1] مِـنَ الإِنْـكَارِ فِـي لَـهَـبِ الـجَـمْرِ
فَـذُو[2] العَـقْلِ لَا يَـرْضَـى سِـوَاهُ وَإِنْ نَـأَى * عَـنِ الـحَقِّ نَأْيَ اللَّيْلِ عَنْ وَاضِحِ الفَجْرِ
وَلَا تَـعْـرِفَـنْ فِـي حَـضْـرَةِ الـشَّـيْـخِ غَـيْـرَهُ * وَلَا تَـمْـلَأَنْ عَـيْـناً مِــنَ الـنَّـظَـرِ الـشَّـزْرِ
وَلَا تَـنْـطِـقَـنْ يَـوْماً لَـدَيْـهِ فَــإِنْ دَعَــا * إِلَـيْـهِ فَـلَا تَـعْـدِلْ عَـلَـى[3] الـكَـلِمِ الـنَّـزْرِ
وَلَا تَـرْفَـعُـوا أَصْـوَاتَـكُـمْ فَــوْقَ صَـوْتِـهِ * وَلَا تَـجْـهَـرُوا جَـهْـرَ الَّـذِي هُـوَ فِـي قَـفْـرِ
وَلَا تَــقْــعُــدَنْ قُـــدَّامَـــهُ مُـتَـــرَبِّـعاً * وَلَا بَـادِياً رِجْــلاً فَـبَـادِرْ إِلَــى الـسِّـتْـرِ
وَلَا بَــاسِــطاً سَـــجَّــادَةً بِـحُــضُـورِهِ * فَـلَا قَـصْـدَ إِلَّا الـسَّـعْـيُ لِـلخَـادِمِ الـبَـرِّ
وَسَـجَّــادَةُ الـصُّـوفِـيِّ بَـيْـتُ سُـكُـونِـهِ * وَلَا وَكْـــرَ إِلَّا أَنْ يَـطِـيـرَ عَـــنِ الـوَكْــرِ
وَفِـــرَّ إِلَــيْـهِ فِـــي الـمُـهِـمَّـاتِ كُـلِّـهَا * فَـإِنَّـكَ تَـلْـقَـى الـنَّـصْـرَ فِـي ذَلِـكَ الـفَـرِّ
وَلَا تَـكُ[4] مِـمَّـنْ يُـحْـسِـنُ الـفِـعْـلَ عِـنْـدَهُ * فَـيَـفْـسُـدُ إِلَّا أَنْ يَــفِـرَّ إِلَـــى الـكَــرِّ
وَمَــنْ حَــلَّ مِـنْ صِـدْقِ الإِنَـابَـةِ مَـنْـزِلاً * يَـرَى العَيْبَ فِـي أَفْـعَالِهِ وَهْـوَ مُـسْـتَـبْـرِي[5]

---

[1]- ع م: يضل

[2]- ح: فذا

[3]- أ ي ك ع هـ ق ص م: عن

[4]- أ ع هـ م: ولا تكن

[5]- ي: زيادة بيتين اثنين وهما:

فإن ختـــام الأمـــر عنك مغيب * ومن كان ذا خسر يخاف من المكر

انْتَهَى مَا أَرَدْنَا كَتْبَهُ مِنَ الرَّائِيَةِ المُبَارَكَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

الفَصْلُ الثَّالِثُ فِي مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الشَّيْخِ الَّذِي يُتَّبَعُ

فِي سَائِرِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَكَيْفِيَّةِ السَّمَاعِ لِأَهْلِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ[1] فِي أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، وَأَدْعِيَةٍ شَتَّى أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا فِي بَعْضِ أَحْيَانِهِ. **اعْلَمْ أَنَّ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ الشَّيْخِ الوَاصِلِ مَا هُوَ؟** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا مَا هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْخِ الوَاصِلِ فَهُوَ الَّذِي رُفِعَتْ لَهُ جَمِيعُ الحُجُبِ عَنْ كَمَالِ النَّظَرِ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ نَظَراً عَيْنِيّاً وَتَحْقِيقاً يَقِينِيّاً[2] ، فَإِنَّ الأَمْرَ أَوَّلُهُ مُحَاضَرَةٌ، وَهِيَ[3] مُطَالَعَةُ الحَقَائِقِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ كَثِيفٍ، ثُمَّ مُكَاشَفَةٌ، وَهِيَ[4] مُطَالَعَةُ الحَقَائِقِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ، ثُمَّ مُشَاهَدَةٌ، وَهِيَ[5] تَجَلِّي الحَقَائِقِ بِلَا حِجَابٍ، لَكِنْ مَعَ خُصُوصِيَةٍ، ثُمَّ مُعَايَنَةٌ، وَهِيَ[6] مُطَالَعَةُ الحَقَائِقِ بِلَا حِجَابٍ وَلَا خُصُوصِيَةٍ وَلَا بَقَاءٍ لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ عَيْناً وَأَثَراً، وَهُوَ مَقَامُ السَّحْقِ وَالمَحْقِ وَالدَّكِّ وَفَنَاءِ الفَنَاءِ، فَلَيْسَ فِي هَذَا إِلَّا مُعَايَنَةُ الحَقِّ فِي الحَقِّ لِلحَقِّ بِالحَقِّ.

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ * فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَلَا ثَمَّ وَاصِلُ

ولا ترين في الأرض دونك مومنا * ولا كافــرا حتى تغيــب في القبر

[1] - ك: ويتبعه

[2] - ح: يقينا

[3] - أ ل ي ك ع هـ ق ص م: وهو

[4] - أ ل ي ك ع هـ ق ص م: وهو

[5] - أ ل ي ك ع هـ ق ص م: وهو

[6] - أ ل ي ك ع هـ ق ص م: وهو

ثُمَّ حَيَاةٌ، وَهِيَ تَمْيِّيزُ المَرَاتِبِ بِمَعْرِفَةِ جَمِيعِ خُصُوصِيَاتِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا وَمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَمِنْ أَيِّ حَضْرَةٍ كُلُّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا؟ وَلِمَا وُجِدَتْ؟ وَمَاذَا يُرَادُ مِنْهَا؟ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا؟ وَهُوَ مَقَامُ إِحَاطَةِ العَبْدِ بِعَيْنِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِجَمِيعِ أَسْرَارِهِ وَخُصُوصِيَاتِهِ[1] ، وَمَعْرِفَةِ مَا هِيَ الحَضْرَةُ الإِلَهِيَّةُ، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالجَلَالِ وَالنُّعُوتِ العَلِيَّةِ وَالكَمَالِ مَعْرِفَةً ذَوْقِيَّةً وَمُعَايَنَةً يَقِينِيَةً، وَصَاحِبُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ هُوَ الَّذِي تُشَقُّ إِلَيْهِ المَهَامِهُ فِي طَلَبِهِ، لَكِنْ مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ فِيهِ كَمَالُ إِذْنِ الحَقِّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذناً خَاصّاً فِي هِدَايَةِ عَبِيدِهِ وَتَوْلِيتِهِ عَلَيْهِمْ بِإِرْشَادِهِمْ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَهَذَا هُوَ الشَّيْخُ الَّذِي يُسْتَحَقُّ أَنْ يُطْلَبَ، وَهُوَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي جُحَيْفَةَ: سَلِ العُلَمَاءَ، وَخَالِطِ الحُكَمَاءَ، وَاصْحَبِ الكُبَرَاءَ.

وَصَاحِبُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالكَبِيرِ، وَمَتَى مَا[2] عَثَرَ المُرِيدُ عَلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَاللَّازِمُ فِي حَقِّهِ أَنْ يُلْقِي نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ غَاسِلِهِ، لَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا إِرَادَةَ وَلَا إِعْطَاءَ لَهُ وَلَا إِفَادَةَ، وَلْيَجْعَلْ هِمَّتَهُ مِنْهُ تَخْلِيصَهُ مِنَ البَلِيَّةِ الَّتِي أُغْرِقَ فِيهَا إِلَى كَمَالِ الصَّفَاءِ بِمُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ بِالإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا[3] ، وَلْيُنَزِّهْ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الإِخْتِيَارَاتِ وَالمُرَادَاتِ مِمَّا سِوَى هَذَا، وَمَتَى أَشَارَ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ أَوْ أَمْرٍ فَلْيَحْذَرْ[4] مِنْ سُؤَالِهِ بِلِمَ بِلِمَ وَكَيْفَ وَعَلَى مَ وَلِأَيِّ شَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ بَابُ المَقْتِ وَالطَّرْدِ، وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّ الشَّيْخَ أَعْرَفُ بِمَصَالِحِهِ مِنْهُ، وَأَيُّ مَدْرَجَةٍ أَدْرَجَهُ فِيهَا فَإِنَّهُ يَجْرِي بِهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى مَا هُوَ لِلَّهِ بِاللَّهِ بِإِخْرَاجِهِ عَنْ ظُلْمَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهَا.

---

[1]- ح: وخصوصيته

[2]- ل ح ك ع ي هـ ق ص: "ما" محذوفة

[3]- ل ي: سواه

[4]- ي: وليحذر

وَأَمَّا الشَّيْخُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ كَيْفَ يَتَّصِلُ بِهِ وَبِمَاذَا يُعْرَفُ؟ فَالجَوَابُ أَنَّ الشُّيُوخَ المُتَّصِفِينَ[1] بِهَذَا الأَمْرِ كَثِيرُونَ، وَأَغْلَبُهُمْ فِي المُدُنِ الكِبَارِ، فَإِنَّهَا مَقَرُّهُمْ، وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُمْ وَالإِتِّصَالُ بِهِمْ فَإِنَّهُ عَسِيرٌ أَغْرَبُ وُجُوداً مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ، لِأَنَّهُمْ اخْتَلَطُوا بِصُوَرِ العَامَّةِ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَنْ سَأَلَهُمْ عَنْ هَذَا الحَالِ نَفَرُوهُ وَطَرَدُوهُ، وَحَلَفُوا لَهُ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ شَيْءٌ، وَالعِلَّةُ المُوجِبَةُ لَهُمْ لِهَذَا أَنَّهُ قَدْ فَسَدَ نِظَامُ الوُجُودِ بِمَشِيئَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّتِي لَا مُنَازِعَ لَهَا، وَلَيْسَ لِكُلِّ آدَمِيٍّ إِلَّا السَّعْيُ فِي أَغْرَاضِهِ وَشَهَوَاتِهِ بِالإِعْرَاضِ عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ تَوْفِيَةِ الحُقُوقِ وَالآدَابِ.

وَلَيْسَ لِلعَامَّةِ فِي هَذَا الوَقْتِ مِنَ السَّعْيِّ[2] لِلأَوْلِيَاءِ إِلَّا لِأَغْرَاضٍ فَاسِدَةٍ يُرِيدُونَهَا مِن التَّمَتُّعِ بِالدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَالنَّجَاةِ مِنَ المَصَائِبِ، وَالعَطَبِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، مَعَ إِقَامَتِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الدَّوَاهِي وَالمُهْلِكَاتِ[3] العِظَامِ مِنَ الكَبَائِرِ الفَاحِشَةِ الَّتِي لَا عُقْبَى لِصَاحِبِهَا إِلَّا دَارَ البَوَارِ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَنْ[4] هَذَا المَيْدَانِ خُرُوجٌ، وَلَا لَهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وُلُوجٌ.

فَلَمَّا عَرَفَ العَارِفُونَ مَا فِي العَامَّةِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ احْتَجَبُوا عَلَى[5] العَامَّةِ وَطَرَدُوهُمْ بِكُلِّ وَجْهٍ، وَبِكُلِّ حَالٍ. وَكَانَ اقْتِضَاءُ ذَلِكَ أَنْ يَسْكُنُوا فِي البَرَارِي وَالقِفَارِ، وَكَانَ مُرَادُ الحَقِّ مِنْهُمْ (أَنْ يَبْقَوْا فِي وَسَطِ العَامَّةِ، وَيَسْكُنُوا فِي وَسَطِهِمْ لِأُمُورٍ أَرَادَهَا الحَقُّ مِنْهُمْ)[6] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَحَكَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، فَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي حُكْمِهِ، وَلَمْ يَجِدُوا مَسَاغاً فِي الخُرُوجِ عَنِ العَامَّةِ فِي البَرَارِي وَالقِفَارِ لِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا خُرُوجَ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَمْ[7] يَجِدُوا

---

[1] - ك: المتصفون

[2] - ي: "السعي" محذوفة

[3] - ح: والمهلكة

[4] - ي: في

[5] - ي: عن

[6] - ي: ما بين القوسين محذوف

[7] - ي: ولا

سَبِيلاً إِلَى إِصْلَاحِ العَامَّةِ وَرَدِّهِمْ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أُقِيمَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الحَمْقَاءِ يَرْمُونَهُ بِالحَجَرِ، وَكُلِّفَ بِالصَّبْرِ وَالإِقَامَةِ بَيْنَهُمْ. فَهُوَ[1] فِي عَذَابٍ، فَلِهَذَا احْتَجَبُوا عَنِ العَامَّةِ وَطَرَدُوهُمْ بِكُلِّ حَالٍ، وَرُبَّمَا شَمَّ العَامَّةُ رَوَائِحَ وُصُولِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الحُجُبِ فَنَهَضُوا إِلَى التَّعَلُّقِ بِهِمْ فِيمَا يُرِيدُونَهُ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ، فَخَلَّطَ العَارِفُونَ عَلَيْهِمْ بِوُجُوهٍ مِنَ التَّخْلِيطِ اسْتِتَاراً عَنِ العَامَّةِ بِإِظْهَارِ أُمُورٍ مِنَ الزِّنَا وَالكَذِبِ الفَاحِشِ وَالخَمْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاهِي الَّتِي تَحْكُمُ عَلَى[2] صَاحِبِهَا أَنَّهُ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ.

وَالأُمُورُ الَّتِي يَقْتَحِمُهَا العَارِفُونَ فِي هَذَا المَيْدَانِ إِنَّمَا يُظْهِرُونَ صُوَراً مِنَ الغَيْبِ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ، إِنَّمَا هِيَ تَصَوُّرَاتٌ خَيَالِيَةٌ[3] يَرَاهَا غَيْرُهُمْ حَقِيقَةً، فَيَفْعَلُونَ فِي تِلْكَ الصُّوَرِ أُمُوراً أُمُوراً مُنْكَرَةً فِي الشَّرْعِ، وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئاً، فَاسْتَتَرُوا بِذَلِكَ عَنِ العَامَّةِ حِفْظاً لِمَقَامِهِمْ، وَتَحْرِيراً لِآدَابِهِمْ، وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ اخْتَلَطَ الصَّادِقُونَ وَالكَاذِبُونَ فِي هَذَا المَيْدَانِ، وَلَا يُعْرَفُ هَذَا مِنْ هَذَا، وَلَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْرِفَةِ العَارِفِ[4] الوَاصِلِ أَصْلاً وَرَأْساً إِلَّا فِي مَسْأَلَةٍ نَادِرَةٍ[5] فِي غَايَةِ النُّدُورِ[6] ، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الكُمَّلِ ظَهَرُوا فِي مَظَاهِرِ الصُّوَرِ الشَّرْعِيَّةِ الكَمَالِيَةِ[7] ، فَمَنْ ظَهَرَ بِهَذَا المَظْهَرِ وَادَّعَى المَشْيَخَةَ فَالمَعْرِفَةُ[8] فِيهِ أَنَّهُ يُعْرَفُ بِدَلَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَالتَّزْهِيدِ[9] فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَعَدَمِ المُبَالَاتِ بِهَا وَبِوُجُودِهَا، مَعَ ظُهُورِ صُورَةِ الفَتْحِ فِي غَيْرِهِ عَلَى يَدَيْهِ. فَإِنْ ظَهَرَ لِلمُرِيدِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ

---

[1]- أ ل ك ع هـ ق ص: فهم - ي: "فهو" محذوفة

[2]- ع: عن

[3]- ح: خالية

[4]- ي: "العارف" محذوفة

[5]- ح: ناذرة

[6]- ح: النذور

[7]- ح: الكاملية

[8]- ح: بالمعرفة

[9]- ي: والزهد

فَلْيُلْقِ نَفْسَهُ إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ اللِّقَاءِ. وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ فِي حَقِّهِ أَنْ لاَ يُلْقِيَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَتَعَرَّفَ تَوَاتُرَ أَخْبَارِهِ مِنْ ثِقَاتِ الوَارِدِينَ عَلَيْهِ، وَالمُجَاوِرِينَ لَهُ، فَإِنْ ظَهَرَتِ الصِّفَةُ المَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ فَلْيَصْحَبْهُ وَإِلَّا فَلاَ.

وَمَنْ رَامَ الوُصُولَ إِلَى شَيْخٍ فِي هَذَا الوَقْتِ وَلَمْ يَجِدْ حِيلَةً فِي مَعْرِفَتِهِ، وَخَافَ مِنَ الوُقُوعِ فِي حَبَائِلِ الكَذَّابِينَ فَعَلَيْهِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ بِصِدْقٍ لاَزِمٍ، وَانْحِيَاشٍ إِلَيْهِ بِقَلْبٍ دَائِمٍ، وَدَوَامِ التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالإِبْتِهَالِ إِلَيْهِ[1] فِي الكَشْفِ لَهُ عَنِ الشَّيْخِ الوَاصِلِ الَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْ[2] هَذِهِ الغُمَّةِ، وَأَنْ يَدُلَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَهُ لِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، حَتَّى يَقَعَ فِي الغَرَقِ فِي لُجَجِ بَحْرِهِ، فَلَا حِيلَةَ لَهُ إِلَّا هَذَا، وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْلَى وَأَنْفَعُ وَأَبْلَغُ فِي الوُصُولِ إِلَى المُرَادِ، وَأَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ حِيلَةً فِي العُثُورِ عَلَى الشَّيْخِ الكَامِلِ اسْتِغْرَاقُ مَا يَطِيقُ عَلَيْهِ مِنَ الأَوْقَاتِ فِي كَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّأْدِيبِ وَالحُضُورِ، وَتَوَهُّمِ القَلْبِ أَنَّهُ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيُدَاوِمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَإِنَّ مَنْ[3] دَاوَمَ عَلَى هَذَا وَكَانَ اهْتِمَامُهُ بِالوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى اهْتِمَامَ الظَّمْآنِ بِالمَاءِ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَجَذَبَهُ إِلَيْهِ. إِمَّا أَنْ[4] يُقَيِّضَ لَهُ[5] شَيْخاً كَامِلاً وَاصِلاً يَأْخُذُ بِيَدِهِ، وَإِمَّا أَنْ يُقَيِّضَ لَهُ[6] نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَبِّيهِ، وَإِمَّا أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَ الوُصُولِ وَرَفْعِ الحُجُبِ بِسَبَبِ مُلَازَمَتِهِ[7] لِلصَّلَاةِ[8] عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الوَسَائِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَعَالَى فِي الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَا لاَزَمَهَا أَحَدٌ قَطُّ فِي طَلَبِ الوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَخَابَ قَطُّ.

---

[1]- ي: له

[2]- ي: عن

[3]- ي: "من" محذوفة

[4]- ك: "أن" محذوفة

[5]- ي: إليه

[6]- ي: إليه

[7]- ي: ملازمة

[8]- ي: الصلاة

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنِ الإِخْتِبَارِ لِلشَّيْخِ وَوَزْنِ أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ فَلَا يَصْلُحُ، وَمَا اتَّبَعَ أَحَدٌ ذَلِكَ فَأَفْلَحَ قَطُّ. لِأَنَّ ذَلِكَ مِغْلَاقٌ لِأَبْوَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ وَاتَّبَعَهُ[1] فِي جَمِيعِ الخَلْقِ أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى صِفَةَ النَّقْصِ فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ، فَلَا يَطْمَئِنُّ لِأَحَدٍ. وَأَمَّا التَّصْدِيقُ لِلشَّيْخِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ إِلَهِي يَضَعُهُ اللَّهُ فِي القُلُوبِ فَلَا يَقْدِرُ صَاحِبُهُ عَلَى الإِنْفِكَاكِ عَنْهُ وَلَوْ رَأَى مِنْهُ أَلْفَ مَعْصِيَةٍ، لَكِنْ إِنْ كَانَ المُرِيدُ صَادِقاً فَثَوَابُ صِدْقِهِ أَنْ لَا يَرَى مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ قَلْبُهُ، وَلَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الشَّيْخِ الصَّادِقِ. وَمَنْ كَانَ خَبِيثَ السَّرِيرَةِ وَطَلَبَ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا يُنْكِرُهُ وَيُنَقِّصُهُ، وَيُوجِبُ لَهُ النُّفُورَ عَنْهُ وَالهُرُوبَ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ: عَنْ طَلَبِ الشَّيْخِ هَلْ هُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ أَوْ عَلَى البَعْضِ دُونَ البَعْضِ، وَمَا السَّبَبُ فِي كُلٍّ؟ فَالجَوَابُ أَنَّ طَلَبَ الشَّيْخِ فِي الشَّرْعِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وُجُوباً شَرْعِيّاً يَلْزَمُ مِنْ طَلَبِهِ الثَّوَابُ، وَمِنْ عَدَمِ طَلَبِهِ العِقَابُ، فَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ وَاجِبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ، مِثْلَ الظَّمْآنِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى المَاءِ وَإِنْ لَمْ يَطْلُبْهُ هَلَكَ، فَطَلَبُهُ عَلَيْهِ لَازِمٌ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ، وَطَرِيقُ النَّظَرِ فِي هَذَا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ كَوْنِ[2] النَّاسِ خُلِقُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ بِالإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، وَعَلِمَ المُرِيدُ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ التَّثَبُّطِ[3] وَالتَّثْبِيطِ عَنِ النُّهُوضِ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَعَلِمَ عَجْزَهُ عَنْ مُقَاوَمَةِ نَفْسِهِ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْهَا مِنَ الدُّخُولِ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ بِتَوْفِيَةِ الحُقُوقِ وَالآدَابِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ لَهُ مِنَ اللَّهِ وَلَا مَنْجَى إِنْ قَامَ مَعَ نَفْسِهِ مُتَّبِعاً لِهَوَاهَا مُعْرِضاً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنَّهُ بِهَذَا النَّظَرِ يَجِبُ عَلَيْهِ طَلَبُ الشَّيْخِ الكَامِلِ. وَهَذَا الوُجُوبُ النَّظَرِيُّ أَمْرٌ وَضْعِيٌّ طَبِيعِيٌّ لَيْسَ مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ، إِذْ لَيْسَ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ إِلَّا وُجُوبُ تَوْفِيَةِ القِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ظَاهِراً وَبَاطِناً عَلَى كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ مِنْ جَمِيعِ العِبَادِ.

وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الشَّرْعِ، وَلَا عُذْرَ لَهُ فِي غَلَبَةِ الهَوَى عَلَيْهِ وَعَجْزِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ نَفْسِهِ. فَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ إِلَّا وُجُوبُ ذَلِكَ. وَتَحْرِيمُ تَرْكِ ذَلِكَ لِوُجُوبِ العِقَابِ عَلَيْهِ.

---

[1]- ي: واتبع ذلك

[2]- ي: لكون

[3]- ي: "التثبط" محذوف

فَهَذَا مَا كَانَ فِي الشَّرْعِ، وَلَا شَيْخَ يَجِبُ طَلَبُهُ إِلَّا شَيْخُ التَّعْلِيمِ الَّذِي يُعَلِّمُ كَيْفِيَّةَ الأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُطْلَبُ فِعْلُهَا مِنَ العَبِيدِ أَمْراً وَنَهْياً وَفِعْلاً وَتَرْكاً. فَهَذَا الشَّيْخُ يَجِبُ طَلَبُهُ عَلَى كُلِّ جَاهِلٍ، لَا يَسَعُ أَحَدٌ تَرْكَهُ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الشُّيُوخِ لَا يَلْزَمُ طَلَبُهُ مِنْ طَرِيقِ الشَّرْعِ، لَكِنْ يَجِبُ طَلَبُهُ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ[1] ، بِمَنْزِلَةِ المَرِيضِ الَّذِي أَعْضَلَتْهُ العِلَّةُ، وَعَجَزَ عَنِ الدَّوَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَانْعَدَمَتِ الصِّحَّةُ فِي حَقِّهِ، فَنَقُولُ: إِنْ شَاءَ البَقَاءَ عَلَى هَذَا المَرَضِ بَقِيَ كَذَلِكَ، وَإِنْ طَلَبَ الخُرُوجَ إِلَى كَمَالِ الصِّحَّةِ قُلْنَا لَهُ: يَجِبُ عَلَيْكَ طَلَبُ الطَّبِيبِ المَاهِرِ الَّذِي لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالعِلَّةِ وَأَصْلِهَا، وَبِالدَّوَاءِ المُزِيلِ لَهَا، وَكَيْفِيَّةِ تَنَاوُلِهِ، كَمّاً وَكَيْفاً وَوَقْتاً وَحَالاً، وَالسَّلَامُ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنِ السَّمَاعِ وَحُكْمِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ وَكَيْفِيَتِهِ، وَمَنْ يَسْمَعُ وَمِمَّنْ يُسْمَعُ، وَعَلَى أَيِّ حَالَةٍ يَكُونُ، وَبِأَيِّ كَلَامٍ يَكُونُ؟ الْجَوَابُ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِلَى الصَّوَابِ: **اعْلَمْ** أَنَّ أَمْرَ السَّمَاعِ قَدِ افْتَرَقَتْ فِيهِ أَقَاوِيلُ الشُّيُوخِ الكِبَارِ، المُتَحَقِّقِينَ[2] بِكَمَالِ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ العَيَانِيَّةِ الشُّهُودِيَةِ، وَالتَّوْحِيدِ الخَاصِّ الذَّوْقِي، وَكَمَالِ الهُدَى وَالتَّبَرِّي مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ مُتَابَعَةِ النَّفْسِ وَالهَوَى. فَمِنْ قَائِلٍ بِإِبَاحَتِهِ[3] مُطْلَقاً مِنْ غَيْرِ طَلَبِ فِعْلٍ، وَلَا طَلَبِ تَرْكٍ، وَمِنْ قَائِلٍ بِتَحْرِيمِهِ مُطْلَقاً وَذَمِّ فَاعِلِيهِ[4] ، وَمِنْ قَائِلٍ بِكَرَاهَتِهِ[5] دُونَ التَّحْرِيمِ، وَمِنْ قَائِلٍ بِنَدْبِهِ وَإِيثَارِ المَيْلِ إِلَيْهِ، وَلَا قَائِلَ بِوُجُوبِهِ، وَالفَتْوَى فِيهِ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ التَّصَوُّفِ فَلَا نُطِيلُ بِهَا، وَمِنْ قَائِلٍ بِتَفْصِيلِ الأَمْرِ فِيهِ بَيْنَ إِيثَارِ فِعْلٍ وَإِيثَارِ تَرْكٍ، وَتَحْرِيمِهِ وَكَرَاهَتِهِ وَنَدْبِهِ، وَإِيثَارِهِ وَالمَيْلِ إِلَيْهِ عَلَى حَسَبِ عَوَارِضِ الوَقْتِ وَدَوَاعِي الحَالِ، وَكُلُّ[6] ذَلِكَ مُفَصَّلٌ فِي كُتُبِ التَّصَوُّفِ.

---

[1]- ي: "النظر" محذوفة

[2]- ل ي ص: المحققين

[3]- ل: بإباحة

[4]- ي: فاعله

[5]- ي: بكراهيته

[6]- ي: كل

وَالأَمْرُ المُحَقَّقُ فِيهِ فِي هَذَا الوَقْتِ أَنَّ مَا كَانَ خَالِياً[1] عَنْ[2] آلاتِ الطَّرَبِ وَمَا يُشَوِّشُ الفِكْرَ مِنْ ذِكْرِ القُدُودِ وَالخُدُودِ

وَالتَّشَبُّبِ[3] بِالنِّسْوَانِ وَسَمَاعِ أَصْوَاتِهِنَّ، وَأَصْوَاتِ الشُّبَّانِ ذَوِي الجَمَالِ، فَكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ وَسَلِمَ مِنَ الصُّورَةِ المُحَرَّمَةِ شَرْعاً، كَاخْتِلَاطِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَالحُكْمُ فِيهِ أَنْ يَنْظُرَ الشَّخْصُ فِي حَالِهِ عِنْدَ حُضُورِ سَمَاعِهِ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ زِيَادَةً فِي حَالِهِ، أَوْ تَحْرِيكاً لِسَاكِنِ هِمَّتِهِ إِلَى النُّهُوضِ لِطَلَبِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، أَوْ لِلبُعْدِ عَنِ المَأْلُوفَاتِ وَالعَادَاتِ وَالصُّوَرِ المُهَيَّئَاتِ[4] وَالمُحَرَّمَاتِ، أَوْ لِلتَّعَلُّقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيكِ شَيْءٍ مِنْ مَحَبَّتِهِ فِي القَلْبِ.

فَلْيَلْزَمْ[5] صَاحِبُ هَذَا الحَالِ حُضُورَهُ وَإِيثَارَهُ مَا لَمْ يُؤَدِّ إِلَى تَعْطِيلِ أَوْرَادِهِ، وَالخُرُوجِ عَنْ مُرَاعَاتِ أَوْقَاتِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِهَذَا الحَالِ فَضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَإِنْ وَجَدَ الشَّخْصُ فِيهِ فُتُورَ عَزِيمَتِهِ[6] وَالمَيْلَ إِلَى الرَّاحَاتِ، وَرَأَى نَفْسَهُ رَكَنَتْ إِلَيْهِ فِي هَذَا البَابِ، بِتَقْلِيلِ نُهُوضِهَا إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَصَاحِبُ هَذَا الحَالِ لَا يَحِلُّ لَهُ حُضُورُهُ وَلَا الإِلْمَامُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ حَالُ الشَّخْصِ فِي حُضُورِهِ لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا، إِلَّا التَّمَتُّعَ بِالأَصْوَاتِ المُطْرِبَةِ، وَالأَلْحَانِ المُعْجِبَةِ، فَالحُكْمُ فِي هَذَا الإِبَاحَةُ، إِنْ شَاءَ حَضَرَهُ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ.

وَمَا كَانَ مِنْ أَصْوَاتِ الشُّبَّانِ ذَوِي الجَمَالِ وَالنِّسْوَانِ فَسَمَاعُهُ مُحَرَّمٌ أَوْ كَالمُحَرَّمِ لِلكُلِّ، وَلَوْ رَأَى مِنْهُ زِيَادَةً فِي حَالَةٍ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، فَإِنَّ الوُلُوعَ بِذَلِكَ مَعَ رُؤْيَةِ ظُهُورِ الزِّيَادَةِ

---

[1]- ي: غالبا

[2]- ي: في

[3]- ل: والتشبيب

[4]- ل: المنهيات

[5]- ك: فيلزم

[6]- ي: عزيمة

فِي الحَالِ، كَالَّذِي يَشْرَبُ عَسَلاً مَخْبُوءاً[1] فِيهِ سُمُّ سَاعَةٍ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِيهِ. وَأَمَّا[2] مَا خَرَجَ[3] عَنْ هَذَا، وَكَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ آلَاتِ الطَّرَبِ، فَإِنَّهُ يَحِقُّ عَلَى العَاقِلِ اجْتِنَابُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِحَضْرَةِ شَيْخٍ وَاصِلٍ كَامِلٍ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ فَيُسْتَحَبُّ[4] حُضُورُهُ، لِأَنَّ السَّمَاعَ بِآلَاتِ الطَّرَبِ وَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ ضَرَرُهُ فَسَيُعْقِبُ الفَسَادَ بَاطِناً، بِمَنْزِلَةِ السَّحَابَةِ المَفْرُوحِ بِهَا لِلسَّقْيِ وَالأَمْطَارِ، فَيَسْقُطُ مِنْهَا عَلَى الثِّمَارِ بَرَدٌ عَظِيمٌ وَصَوَاعِقُ، فَيُفْسِدُ الثِّمَارَ الَّتِي[5] كَانَ يُنْتَظَرُ إِصْلَاحُهَا[6] . إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ الوَاصِلِ الكَامِلِ، فَإِنَّ حُضُورَهُ عَاصِمٌ مِنَ الضَّرَرِ وَالهَلَاكِ.

وَكُلُّ هَذَا الأَمْرِ فِي حَقِّ أَصْحَابِ الحِجَابِ، وَأَمَّا الغَرْقَى فِي بِحَارِ الحَقَائِقِ وَالتَّوْحِيدِ، فَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بِهَذَا الحُكْمِ، لَكِنْ يُتْرَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ حَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ، فَإِنَّ العَارِفَ فِي مَقَامِهِ يَفْعَلُ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ بِنَصٍّ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ تَلْوِيحٍ[7] ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ لِمَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ أَوْ يَنْدُبُهُ، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَقَامُهُ حُضُورَ السَّمَاعِ وَإِيثَارَهُ تُرِكَ عَلَى حَالِهِ، وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ أَعْرَفُ بِمَصَالِحِهِ وَعِلَلِهِ، وَإِنْ أَعْطَاهُ مَقَامُهُ الهُرُوبَ عَنْهُ وَالنُّفُورَ فَلَيْسَ[8] لِأَحَدٍ أَنْ يَنْدُبَهُ إِلَيْهِ، وَلَا أَنْ أَنْ يَحُثَّهُ عَلَى حُضُورِهِ، فَإِنَّ الأَحْوَالَ فِي المَعَارِفِ مُخْتَلِفَةٌ، وَالأَذْوَاقَ مُتَبَايِنَةٌ، وَفَوَائِدَ المَرَاتِبِ وَفُيُوضَاتِهَا وَفُتُوحَاتِهَا غَيْرُ مُلْتَئِمَةٍ وَلَا مُتَشَابِهَةٍ.

---

[1]- أ ل ي هـ ق ص: مخبوء

[2]- ي: "وأما" محذوفة

[3]- ي: وما خرج

[4]- ي: يستحب

[5]- أ ل ي ك ع: الذي

[6]- أ ح: إصلاحه

[7]- أ ي ك ع ق ص: بنص أو تصريح أو إشارة أو تلويح

[8]- أ ل ي ك ع هـ ق ص: ليس

فَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَقَامٍ يَتَضَرَّرُ بِالسَّمَاعِ بِأَدْنَى لَمَّةٍ مِنْ حُضُورِهِ، وَيَكُون ذَلِكَ عَلَيْهِ أَشَدَّ مِنْ سُمٍّ سَاعَةٍ فِي قَتْلِ[1] الأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ، وَكَمْ مِنْ عَارِفٍ يُفَاضُ عَلَيْهِ فِي حُضُورِهِ بِالسَّمَاعِ[2] مِنَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ مِنْ فُيُوضِ الأَحْوَالِ وَالمَعَارِفِ، فَيَرْتَقِي[3] بِهِ مِنَ المَقَامَاتِ مَا لَا يَرْتَقِيهِ يَرْتَقِيهِ بِالعِبَادَةِ وَصَفَاءِ الأَوْقَاتِ فِي مِائَةِ أَلْفِ عَامٍ مِنَ المَقَامَاتِ، فَهَذَا تَفْصِيلُ الحُكْمِ فِي العَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ ذَوْقٌ وَمَقَامٌ وَحَالٌ، وَالفِطَرُ مُخْتَلِفَةٌ، وَالمَبَانِي غَيْرُ مُؤْتَلِفَةٍ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً، وَلِكُلِّ ذَوْقٍ وَوَجْدٍ رِجَالاً، وَلِكُلِّ وَقْتٍ حُكْمٌ يَخُصُّهُ، وَلِكُلِّ حَالٍ وَقْتٌ يُبْسِطُهُ. فَالوَاقِعُ مِنْ هَذَا أَنَّ العَارِفَ بِاللَّهِ فِي حُضُورِ السَّمَاعِ بِحُكْمِ وَقْتِهِ وَمَقَامِهِ وَحَالِهِ وَذَوْقِهِ وَوَجْدِهِ، فَلَا يُتَعَرَّضُ عَلَيْهِ لَا فِي الحُضُورِ وَلَا فِي التَّرْكِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الحِجَابِ فَقَدْ سَبَقَ تَفْصِيلُ الحُكْمِ فِيهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ: إِذَا أَمَرَ بِهِ الشَّيْخُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، أَوْ فَعَلَهُ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَصْحَابَهُ، هَلْ لَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَيَزِيدُوا فِيهِ بِرَأْيِهِمْ أَمْ لَا؟ الجَوَابُ فِي هَذَا أَنْ يَجْرِيَ القَانُونُ فِيهِ عَلَى حُكْمِ مَا تَقَدَّمَ لِأَصْحَابِ الحِجَابِ وَأَصْحَابِ المَعَارِفِ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ العَارِفِينَ جَرَى عَلَى مِنْوَالِ مَا تَقَدَّمَ أَوَّلاً، وَمَنْ[4] كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الحِجَابِ، جَرَى عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي ذُكِرَ أَوَّلاً.

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ فِي السَّمَاعِ مِنْ إِيثَارِ[5] حُضُورِهِ لِصَاحِبِهِ الَّذِي وَجَدَ بِهِ الزِّيَادَةَ فِي حَالِهِ، مَعَ حِفْظِ أَوْقَاتِهِ وَأَوْرَادِهِ، وَقُلْنَا بِإِيثَارِ[6] حُضُورِهِ لَهُ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مَعَ ذَوِي المَوَاثِيقِ وَالعُهُودِ، الرَّاسِخِينَ فِي حِفْظِ الحُدُودِ، مِنْ تَكْمِيلِ أَمْرِ التَّقْوَى وَالإِسْتِقَامَةِ، الَّذِينَ يَقْصِدُونَ السَّمَاعَ قَصْداً صَحِيحاً لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، فَهَذَا وَجْهُ حُضُورِهِ، وَأَمَّا السَّمَاعُ المَعْهُودُ اليَوْمَ فِي فُقَرَاءِ

---

[1] - ي: مثل

[2] - ل: للسماع

[3] - ل: فيرتقي

[4] - أ ي ك: وما

[5] - أ ع ي هـ ق ص م: أثره، واللفظ الذي أثبتناه في النسخة هو لفظ نسخة س

[6] - أ ع ي هـ ق ص: بأثره ـ م: بأثرة. واللفظ الذي أثبتناه في النسخة هو لفظ نسخة س

الوَقْتِ، فَإِنَّ صَاحِبَهُ الهَلَاكُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نَجَاتِهِ، وَنَفْعُهُ أَبْعَدُ مِنْ عَطَبِهِ، وَكَانَ العَطَبُ إِلَيْهِ أَقْرَبَ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ حُضُورِ السَّمَاعِ مَعَ هَؤُلَاءِ، لِكَوْنِهِمْ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا ذِمَّةَ، وَلَا وُقُوفَ عَلَى الحُدُودِ، وَلَا مُرَاعَاتَ لَهُمْ لِحِفْظِ أَمْرِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُحْضَرُ مَعَهُمْ لِلسَّمَاعِ، لِأَنَّ المُرِيدَ الصَّادِقَ إِذَا حَضَرَهُ[1] مَعَهُمْ كَسَتْهُ أَحْوَالُهُمْ، فَوَقَعَ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ وَالفَسَادِ وَالعِصْيَانِ وَالفُسُوقِ، وَطُرِدَ عَنْ بَابِ اللَّهِ أَيَّ طَرْدٍ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[2] .

وَأَمَّا الأَدْعِيَّةُ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ. وَنَصُّها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ، وَأَنْ تُعْطِيَنِي وَتُعْطِيَ فُلَاناً كَذَا وَكَذَا جَمْعاً أَوْ إِفْرَاداً[3] مِنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ ابْتِدَاءِ خَلْقِكَ إِلَى انْتِهَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَى انْفِرَادِهِ عِشْرِينَ فَيْضَةً مِنْ بَحْرِ رِضَاكَ، وَأَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ فَيْضَةٍ أَوْفَرَ حَظٍّ وَنَصِيبٍ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ سَأَلَكَ مِنْهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَرَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ مِنْ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،

وَالنَّجَاةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَرَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَغْفِرَةِ جَمِيعِ ذُنُوبِنَا مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَدَاءِ جَمِيعِ تِبِعَاتِنَا مِنْ خَزَائِنِ فَضْلِكَ وَكَرَمِكَ، لَا مِنْ حَسَنَاتِنَا، وَالَّذِي فِي كُلِّ فَيْضَةٍ غَيْرُ الَّذِي فِي الأُخْرَى، وَهَذَا كُلُّهُ غَيْرُ الَّذِي تَقَدَّمَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَمِيعَ ذَا وَذَاكَ، وَأَنْ تُجِيبَنِي وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ ذَا وَذَاكَ، بِمَحْضِ فَضْلِكَ وَكَرَمِكَ. انْتَهَى.

وَهَذَا فِي غَيْرِ عُمُومِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَمَّا فِي عُمُومِهِمْ فَتَصِلُ فِيهِ إِلَى خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَقَطْ، وَلَا تَزِدِ النَّجَاةَ، ثُمَّ تَتَمَادَى عَلَى الدُّعَاءِ تَقُولُ: وَالَّذِي فِي كُلِّ فَيْضَةٍ غَيْرُ الَّذِي فِي

---

[1] - ح: حضر

[2] - ع: شيخنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه

[3] - ل: فرادى

الأُخْرَى، لِأَنَّ الدُّعَاءَ بِمَا بَقِيَ لِعُمُومِ أَهْلِ[1] التَّوْحِيدِ دُعَاءٌ بِمَا عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُهُ، فَهُوَ كَمَنْ يَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ النُّبُوءَةَ وَالرِّسَالَةَ بَعْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَافِراً لَمْ يَبْعُدْ عَنِ الكُفْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَضَى حُكْمُهُ بِذَلِكَ وَأَخْبَرَنَا بِهِ، وَأَنَّ مَنْ[2] سَأَلَ اللَّهَ مُنَاقَضَةَ مَا مَضَى بِهِ حُكْمُهُ كَانَ دَاخِلاً فِي الكُفْرِ بِهِ، لِأَنَّهُ سَأَلَ مِنَ اللَّهِ جُوراً، وَهُوَ قُدُّوسٌ عَنِ الجُورِ، فَهُوَ يُرِيدُ مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا يَكُونَ قُدُّوساً، لِكَوْنِ مَا مَضَى بِهِ حُكْمُهُ هُوَ عَيْنُ العَدْلِ، وَنَقِيضُهُ عَيْنُ الجُورِ، وَالسَّلَامُ.

وَهَذَا الدُّعَاءُ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ، مَرْتَبَةٌ لِجَمِيعِ المُوَحِّدِينَ، وَمَرْتَبَةٌ لِنَفْسِ الدَّاعِي وَمَنْ أَرَادَ تَخْصِيصَهُ، وَمَرْتَبَةٌ لِجَمِيعِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، أَوْ بَيْنَهُمَا مَحَبَّةٌ أَوْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِ، فَمَنْ أَرَادَ الدُّعَاءَ بِمَرْتَبَةٍ مِنَ المَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ، فَلْيُرَكِّبْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ المَطَالِبِ، فَافْهَمْ، كَذَا سَمِعْتُهُ مِنَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى مِنْ خَطِّ مُحِبِّنَا وَسَيِّدِنَا[3] أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي، مِنْ إِمْلَاءِ سَيِّدِنَا عَلَيْهِ.

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[4] : اللَّهُمَّ اجْذِبْنِي إِلَيْكَ بِحَقٍّ[5] قَلْباً وَقَالَباً بِجَوَاذِبِ عِنَايَتِكَ، وَأَلْبِسْنِي خِلْعَةَ اسْتِغْرَاقِ أَوْقَاتِي فِي[6] الإِشْتِغَالِ[7] بِكَ، وَامْلَأْ قَلْبِي وَجَوَارِحِي بِذِكْرِكَ وَحُبِّكَ وَالشَّوْقِ إِلَيْكَ امْتِلَاءً لَا يُبْقِي فِيَّ مُتَّسَعاً لِغَيْرِكَ، وَاسْقِنِي كَأْسَ انْقِطَاعِي إِلَيْكَ بِتَكْمِيلِ البَرَاءَةِ مِنْ غَيْرِكَ، وَعَدَمِ الْتِفَاتِ قَلْبِي لِسِوَاكَ، وَاجْعَلْنِي بِكَ لَكَ قَائِماً، وَعَنْكَ آخِذاً، وَمِنْكَ مُسْتَمِعاً، وَإِلَيْكَ نَاظِراً وَرَاجِعاً، وَعَلَيْكَ مُعَوِّلاً، وَفِيكَ مُتَحَرِّكاً

1- ي: (أهل) ساقطة

2- ح: (من) ساقطة

3- ح: سيدنا ومحبنا

4- ك ع ي هـ ق ص م: من حفظه ولفظه قوله رضي الله عنه

5- ع م: (بحق) ساقطة

6- ي: (في) ساقطة

7- ي: بالإشتغال

وَسَاكِناً، مُطَهَّراً بِفُيُوضِ تَجَلِّيَاتِكَ مِنْ جَمِيعِ الحُظُوظِ وَالبَقَايَا، وَمِنْ جَمِيعِ المُسَاكَنَاتِ وَالمُلَاحَظَاتِ[1] لِغَيْرِكَ،

وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَالشَّيْطَانِ بِسُرَادِقَاتِ عِصْمَتِكَ لِي مِنْهُمْ، وَأَدِمْ لِي صَفَاءَ الوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ، بِكَ لَكَ[2] مِنْ حَيْثُ تَرْضَى بِمَا تَرْضَى كَمَا تَرْضَى، مِثْلَ أَكَابِرِ الصِّدِّيقِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَحُفَّنِي بِجُنُودِ نَصْرِكَ لِي، وَتَأْيِيدِكَ لِي، وَعَوْنِكَ لِي، بِكَمَالِ تَوَلِّيكَ لِي، بِعِنَايَتِكَ بِي، وَمَحَبَّتِكَ لِي، وَاصْطِفَائِكَ لِي، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ إِلَى آخِرِهِ، حَتَّى تُمِيتَنِي عَلَى ذَلِكَ، وَاجْعَلْنِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِكَ الخَاصَّةِ الكَامِلَةِ الصِّرْفَةِ، الَّتِي لَا شَائِبَةَ فِيهَا لِغَيْرِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[3] .

فَمَنْ أَرَادَ قِرَاءَةَ هَذَا الدُّعَاءِ فَلْيَجْعَلْ أَلْفاً مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ[4] اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ فِي الصَّبَاحِ، وَأَلْفاً فِي المَسَاءِ، وَلْيَدْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ خَلْفَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعاً، وَيُهْدِي ثَوَابَ الصَّلَاةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيماً وَإِجْلَالاً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَرْتِيلٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ قَدْرَ الإِسْتِطَاعَةِ، وَدَاوِمْ[5] عَلَى هَذَا مَعَ لُزُومِ الإِعْتِزَالِ الإِعْتِزَالِ وَالصَّمْتِ وَتَخْفِيفِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَيَحْفَظُ[6] قَلْبَهُ[7] مِنَ مِنَ الجَوَلَانِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمِنْ سَخَطِ المَقْدُورِ، وَمِنَ الجَزَعِ مِنْ كُلِّ

---

[1] - ح: والملاحظة

[2] - ح: (بك لك) ساقطة

[3] - ح: (تسليما) ساقطة

[4] - ح: نبي الله

[5] - ل: ويداوم

[6] - ح: وتحفظ

[7] - ح: قلبك

مَا لَا يُطَابِقُ الهَوَى فِي الوَقْتِ[1] ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا يَرَى مِنَ الأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] .

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِجَمِيعِ المَطَالِبِ، وَنَصُّهُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا وَارَتْهُ حُجُبُ جَلَالِكَ مِنْ سُبُحَاتِ وَجْهِكَ الَّتِي لَوْ أُظْهِرَتْ[3] لِلْوُجُودِ لَتَدَكْدَكَ الوُجُودُ وَانْحَرَقَ وَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ، نَسْأَلُكَ[4] بِتِلْكَ السُّبُحَاتِ وَجَلَالَتِهَا وَعَظَمَتِهَا أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي كَذَا وَكَذَا وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ. انْتَهَى.

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي سَأَلَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ المَقَامَاتِ وَالمَنَازِلِ وَالمَوَاقِفِ وَالحَضَرَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ وَالأَحْوَالِ وَالدَّرَجَاتِ الَّتِي نَالَهَا[5] العَارِفُونَ الكُمَّلُ، وَالأَقْطَابُ وَالأَفْرَادُ، وَأُشِيرُ لَكَ بِشَيْءٍ مِنْ أَوَّلِهَا لِتَعْرِفَ وَتَتَحَقَّقَ[6] مِنْ[7] وُسْعِ مَعْرِفَةِ هَذَا[8] السَّيِّدِ وَوَسَعِهِ، وَقَدْرِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ[9] وَمَوْهِبَتِهِ، وَنَصُّهَا: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ بِفَضْلِكَ، وَبِجُودِكَ مِنْ جُودِكَ، وَبِكَرَمِكَ مِنْ كَرَمِكَ، وَبِمَجْدِكَ مِنْ مَجْدِكَ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَقْصَى قُطْبِيَّةِ سَيِّدِي[10] فُلَانٍ، (وَأَقْصَى

---

[1]- ح: (في الوقت) ساقطة

[2]- ك: من إملائه علينا رضي الله عنه

[3]- ح: ظهرت

[4]- ك: أسألك

[5]- أ ك ع ي هـ ق ص م: نالوها، واللفظ المثبت في النص هو (نالها) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[6]- أ ك ع ح هـ ق ص م: وتحقق، واللفظ المثبت في النص هو (تتحقق) وهو من نسخة س (سكيرج)

[7]- أ ك ع ح هـ ق ص م: (من) ساقطة، وأثبتناها في النص وفقا للنسخة س

[8]- أ م: (هذا) ساقطة، وهي مثبتة في جميع النسخ الأخرى

[9]- ي: كراماته

[10]- ع: سيدنا

قُطْبِيَةِ سَيِّدِنَا[1] فُلَانٍ[2])، وَتَمَادَى هَكَذَا إِلَى أَنْ عَدَّ جَمَاعَةً مِنْ أَكَابِرِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنْهُمْ، أَزْيَدَ مِنْ خَمْسِينَ.

ثُمَّ قَالَ: وَخِلَافَةَ هَؤُلَاءِ، وَغَوْثِيَتَهُمْ، وَفَرْدَانِيَتَهُمْ، وَجَامِعِيَّتَهُمْ، فِي كُلِّ مَا جَمَعَتْ جَمِيعُ تِلْكَ القُطْبِيَّةِ وَالخِلَافَةِ مِنْ سَائِرِ العُلُومِ الضَّرُورِيَةِ وَالنَّظَرِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ وَالكَشْفِيَّةِ وَاللَّدُنِيَّةِ، وَسَائِرِ المَعَارِفِ، مَعَارِفِ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ، وَجَمِيعِ أَسْمَائِكَ وَأَفْعَالِكَ، وَجَمِيعِ الأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ، وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ، وَالمَقَامَاتِ وَالمُنَازَلَاتِ، وَالكُشُوفَاتِ وَالفُتُوحَاتِ، وَاليَقِينِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالمُشَاهَدَةِ وَالمَحَبَّةِ، وَالتَّخْصِيصِ وَالأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَالفَهْمِ عَنْكَ، وَالفِقْهِ فِي دِينِكَ، وَطَوَالِعِ تَجَلِّيَاتِكَ فِي جَمِيعِ المَطَالِعِ، وَالقِيَامِ بِحُقُوقِ رُبُوبِيَتِكَ، وَالإِسْتِغْرَاقِ فِي شُهُودِ عَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَائِكَ، وَدَوَامِ الذُّبُولِ وَالذَّوَبَانِ مِنْ هَيْبَتِكَ وَسَطْوَةِ جَلَالِكَ، وَالخُمُودِ[3] تَحْتَ عَوَاصِفِ رِيَاحِ مَقَادِيرِكَ، وَكَمَالِ القِيَامِ بِكَ لَكَ إِسْلَاماً وَإِيمَاناً وَإِحْسَاناً، وَعِلْماً وَعَمَلاً وَحَالاً، وَمُنَازَلَةً وَمَقَاماً، وَتَحَقُّقاً وَتَخَلُّقاً، حَاصِلُ الأَمْرِ أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُعْطِيَنِي جَمِيعَ مَا أَعْطَيْتَهُمْ، فِي جَمِيعِ قُطْبَانِيَتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ إِلَى مَمَاتِهِمْ[4]، مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا لَمْ أَذْكُرُهُ مِنْ كُلِّ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَأَنْ تُعْطِيَنِي مَعَ ذَلِكَ قُطْبِيَةَ كُلِّ قُطْبٍ مِنْ بِعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ كَائِناً مَا كَانَ، وَخِلَافَةَ[5] كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَغَوْثِيَّةَ كُلِّ غَوْثٍ، وَجَامِعِيَّةَ كُلِّ جَامِعٍ، وَفَرْدِيَّةَ كُلِّ فَرْدٍ، مِنْ بِعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ.

وَتَمَادَى عَلَى هَذَا النَّمَطِ[6] إِلَى أَنْ قَالَ: وَتُعْطِينِي[1] مَعَ هَذَا فِي هَذِهِ القُطْبِيَّةِ جَمِيعَ مَا أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ لِسَيِّدِنَا طَلْحَةَ، وَسَيِّدِنَا الزُّبَيْرِ، وَتَمَادَى إِلَى أَنْ عَدَّ نَحْوَ السِّتِّينَ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ

---

[1]- ع: سيدي

[2]- ي: ما بين القوسين محذوف

[3]- ي: والجمود

[4]- ك: إلى مماتهم من جميع التحف والمواهب

[5]- أ ع ح هـ ق ص: وخليفة، واللفظ الذي أثبتناه في النص هو (وخلافة) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[6]- ي: النماط

وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، إِلَّا أَنَّ العَدَدَ الأَوَّلَ مَا ذُكِرَ فِيهِ إِلَّا مَنِ اشْتَهَرَ بِالقُطْبَانِيَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ قَالَ فِي هَذَا الثَّانِي بِأَنْ[2] تَجْعَلَنِي وَارِثاً لِجَمِيعِ هَؤُلَاءِ فِي جَمِيعِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ، وَتَمَادَى هَكَذَا إِلَى أَنْ ذَكَرَ أُمُوراً كَثِيرَةً مِنْ هَذَا النَّمَطِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنْ تَجْعَلَ مَقَامِي فِي هَذِهِ القُطْبَانِيَةِ وَالفَرْدِيَّةِ وَالغَوْثِيَّةِ وَالخِلَافَةِ وَالجَامِعِيَّةِ فِي العِظَمِ، بِحَيْثُ تَتَلَاشَى وَتَضْمَحِلُّ فِي جَنْبِهِ مَقَامَاتُ جَمِيعِ الأَقْطَابِ وَالأَفْرَادِ وَالأَغْوَاثِ وَالخُلَفَاءِ وَالجَامِعِينَ، وَجَمِيعِ العَارِفِينَ مِنَ المُحِبِّينَ وَالمَحْبُوبِينَ وَالسَّالِكِينَ وَالمَجْذُوبِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ فَتْحِي فِيهَا فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَلَمْحَةٍ عَلَى نِسْبَةِ لَيْلَةِ القَدْرِ مِنْ غَيْرِهَا، بَلْ يَزِيدُ بِأَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفِ أَلْفٍ[3] .

وَتَمَادَى عَلَى هَذِهِ الأُلُوفِ عَدَداً كَثِيراً إِلَى أَنْ[4] عَدَّ كَثِيراً مِنْ هَذِهِ المَرَاتِبِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنْ تَجْعَلَنِي فِي هَذِهِ القُطْبِيَّةِ القُطْبَ الفَرْدَ الغَوْثَ الجَامِعَ، الخَلِيفَةَ الأَعْظَمَ، الَّذِي يَكُونُ مَدَدُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَالنَّائِبَ عَنْكَ وَعَنْهُ، وَالخَلِيفَةَ عَنْكَ وَعَنْهُ، فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ، الَّذِي لَهُ التَّصَرُّفُ المُطْلَقُ الشَّامِلُ، العَامُّ الكَامِلُ، فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ، المُسْتَمِدَّ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَإِسْرَافِيلَ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَعَزْرَائِيلَ، وَالرُّوحِ الَّذِي هُوَ سُلْطَانُ جَمِيعِ العَوَالِمِ وَجَمِيعِ الأَكْوَانِ، الَّذِي نِسْبَتُهُ فِي جَمِيعِ أَوْلِيَاءِ عَصْرِهِ كَالشَّمْسِ فِي سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَتَمَادَى عَلَى هَذَا المِنْوَالِ إِلَى أَنْ عَدَّ كَثِيراً مِنَ المَطَالِبِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذَا: أَسْأَلُكَ[5] يَا رَبِّ أَنْ تُوصِلَ عَلَى يَدَيَّ إِلَى المَعْرِفَةِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ، عَدَداً كَثِيراً مَا طَلَبَهُ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِيمَا سَمِعْنَا.

وَأَمَّا مَا طَلَبَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الجَنَّةِ، مِنْ مُلْكٍ وَخُدَّامٍ وحُورٍ وَقُصُورٍ، وَمِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الجَنَّةِ فِي جَمِيعِ مَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ذُكِرَ فِي الجَنَّةِ أَوْ لَمْ يُذْكَرْ وَهُوَ مُمْكِنٌ،

---

[1]- ي: وأن تعطيني

[2]- ك ص: بل

[3]- ح: بألف بألف بألف بألف

[4]- أ ق: (أن) ساقطة، وهي مثبتة في جميع النسخ الأخرى

[5]- أ ك ع هـ ق: (أسألك) ساقطة، بينما أثبتت في النسخ الأخرى ح س

طَلَبَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ العُقُولُ، وَتَكِلُّ عَنْهُ الأَلْسُنُ، وَكُلُّ نَوْعٍ ذَكَرَ مِنْهُ أُلُوفاً مَضْرُوبَةً فِي نَفْسِهَا إِلَى أَنْ يَحْسِبَ كُلَّ مَرْتَبَةٍ مَضْرُوبَةٍ فِيمَا فَوْقَهَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ عَدَداً مِنْ مَرَاتِبِ الأُلُوفِ مَا أَظُنُّ أَحَداً يُحْصِيهِ غَيْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَخْبَرَنَا أَنَّ كُلَّ مَا طَلَبَهُ مِنْ هَذِهِ المَطَالِبِ فَهُوَ مَضْمُونٌ لَهُ أَنْ يَبْلُغَهُ كُلَّهُ مِنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ، فَهَذَا مَا يُمْكِنُ كَتْبُهُ فِي هَذَا المَجْمُوعِ المُبَارَكِ مِنْ ذِكْرِ مَطَالِبِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ، وَأَمَّا الآنَ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِمَا طَلَبَهُ فَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

وَأَمَّا مَطَالِبُهُ كُلُّهَا فَلَمْ يَسَعْنَا ذِكْرُهَا هُنَا لِطُولِهَا، وَلِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي كَشْفُهَا، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذِهِ النُّبْذَةَ تَبَرُّكاً بِهَا، وَلِتَعْلَمَ قَدْرَ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الكَمَالِ وَالتَّحَقُّقِ بِمَقَامِ[1] القُطْبَانِيَةِ العُظْمَى، وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا[2] أَمْلَاهُ عَلَيْنَا، وَنَصُّهُ: قَالَ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ حَقِّقْنِي بِكَ تَحْقِيقاً يُسْقِطُ النِّسَبَ وَالرُّتَبَ، وَالتَّعَيُّنَاتِ وَالتَّعَقُّلَاتِ[4] ، وَالإِعْتِبَارَاتِ وَالتَّوَهُّمَاتِ وَالتَّخَيُّلَاتِ، حَيْثُ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا رَسْمَ وَلَا عِلْمَ وَلَا وَصْفَ وَلَا مُسَاكَنَةَ وَلَا مُلَاحَظَةَ، مُسْتَغْرِقاً فِيكَ بِمَحْقِ[5] الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، بِتَحْقِيقِي بِكَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ كَمَا أَنْتَ. وَكَيْفَ أَنْتَ، حَيْثُ لَا حِسَّ وَلَا اعْتِبَارَ إِلَّا أَنْتَ، بِكَ لَكَ عَنْكَ مِنْكَ، لِأَكُونَ لَكَ خَالِصاً، وَبِكَ قَائِماً، وَإِلَيْكَ آيِباً، وَفِيكَ ذَاهِباً، بِإِسْقَاطِ الضَّمَائِرِ وَالإِضَافَاتِ، وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَصُوناً[6] بِعِنَايَتِكَ بِي[7] ، وَتَوَلِّيكَ لِي، وَاصْطِفَائِكَ لِي، وَنَصْرِكَ لِي، آمِينَ، أَرْبَعِينَ مَرَّةً مُتَوَالِيَةً أَوْ مُوَزَّعَةً عَلَى

---

[1]- ع: بمقامات

[2]- ك: ما

[3]- ع: (قال) ساقطة

[4]- ي: والتعلقات

[5]- ك: بمحو

[6]- ك: معصوما - ي: مضمونا

[7]- ي: لي

الأَوْقَاتِ. إهـ. وَهَذَا الدُّعَاءُ لِلمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى (مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1].

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِزْبُ التَّضَرُّعِ وَالإِبْتِهَالِ، وَقَرْعِ بَابِ المَلِكِ[2] المُتَعَالِ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالتَّعَوُّذِ أَوَّلاً مَرَّةً[3]، ثُمَّ صَلَاةَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. مَرَّةً، ثُمَّ تَقُولُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، هَذَا مَقَامُ المُعْتَرِفِ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَعِصْيَانِهِ، وَسُوءِ فِعْلِهِ، وَعَدَمِ مُرَاعَاتِ أَدَبِهِ، حَالِي لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، وَهَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا عُذْرَ لِي فَأُبْدِيهِ لَدَيْكَ، وَلَا حُجَّةَ لِي فِي دَفْعِ مَا ارْتَكَبْتُهُ مِنْ مَنَاهِيكَ، وَعَدَمِ طَاعَتِكَ،

وَقَدْ ارْتَكَبْتُ مَا ارْتَكَبْتُهُ غَيْرَ جَاهِلٍ بِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ، وَسَطْوَةِ كِبْرِيَائِكَ، وَلَا غَافِلٍ عَنْ شِدَّةِ عِقَابِكَ وَعَذَابِكَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مُعْتَرِضٌ[4] بِذَلِكَ لِسَخَطِكَ وَغَضَبِكَ، وَلَسْتُ فِي ذَلِكَ مُضَاداً لَكَ، وَلَا مُعَانِداً، وَلَا مُتَصَاغِراً بِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ، وَلَا مُتَهَاوِناً بِعِزِّكَ وَكِبْرِيَائِكَ، وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيَّ شِقْوَتِي، وَأَخَذَتْ بِيَ شَهْوَتِي، فَارْتَكَبْتُ مَا ارْتَكَبْتُهُ عَجْزاً عَنْ مُدَافَعَةِ شَهْوَتِي. فَحُجَّتُكَ عَلَيَّ ظَاهِرَةٌ، وَحُكْمُكَ فِيَّ نَافِذٌ، وَلَيْسَ لِضُعْفِي مَنْ يَنْصُرُنِي مِنْكَ غَيْرُكَ، وَأَنْتَ العَفُوُّ الكَرِيمُ، وَالبَرُّ الرَّحِيمُ، الَّذِي لَا تُخَيِّبُ[5] سَائِلاً، وَلَا تَرُدُّ[6] قَاصِداً، وَأَنَا مُتَذَلِّلٌ لَكَ، مُتَضَرِّعٌ لِجَلَالِكَ[7]، مُسْتَمْطِرٌ جُودَكَ[8] وَنَوَالَكَ، مُسْتَعْطِفاً لِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ[9] بِمَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِن عَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَكَرَمِكَ وَمَجْدِكَ، وَبِمَرْتَبَةِ أُلُوهِيَتِكَ الجَامِعَةِ لِجَمِيعِ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ك: الكريم

[3]- ي: (مرة) ساقطة

[4]- ح ي ع هـ ق ص: معرض

[5]- ل: يخيب

[6]- ل: يرد

[7]- ح: بجلالك

[8]- ل: لجودك

[9]- ل: أسألك

صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَرْحَمَ ذُلِّي وَفَقْرِي، وَتَبْسُطَ رِدَاءَ عَفْوِكَ وَحِلْمِكَ وَكَرَمِكَ وَمَجْدِكَ عَلَى كُلِّ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِمَّا أَنَا مُتَّصِفٌ بِهِ مِنَ المَسَاوِي وَالمُخَالَفَاتِ، وَعَلَى كُلِّ مَا فَرَّطْتُ فِيهِ مِنْ حُقُوقِكَ.

فَإِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ وَقَفَ بِبَابِهِ السَّائِلُونَ، وَأَنْتَ أَوْسَعُ مَجْداً وَفَضْلاً مِنْ جَمِيعِ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ أَيْدِي الفُقَرَاءِ المُحْتَاجِينَ[1] ، وَكَرَمُكَ أَوْسَعُ، وَمَجْدُكَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ[2] أَنْ يَمُدَّ إِلَيْكَ فَقِيرٌ يَدَهُ، يَسْتَمْطِرُ عَفْوَكَ وَحِلْمَكَ عَنْ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ فَتَرُدَّهُ خَائِباً، فَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَاعْفُ عَنِّي، فَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، لِاتِّصَافِكَ بِعُلُوِّ الكَرَمِ وَالمَجْدِ، وَعُلُوِّ العَفْوِ وَالحِلْمِ وَالحَمْدِ.

إِلَهِي لَوْ كَانَ سُؤَالِي مِنْ حَيْثُ أَنَا لَمْ أَتَوَجَّهْ إِلَيْكَ، وَلَمْ أَقِفْ بِبَابِكَ، لِعِلْمِي بِمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ المَسَاوِي وَالمُخَالَفَاتِ، فَلَمْ يَكُنْ جَزَائِي فِي ذَلِكَ إِلَّا الطَّرْدُ وَاللَّعْنُ وَالبُعْدُ، وَلَكِنِّي سَأَلْتُكَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، مُعْتَمِداً عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةِ المَجْدِ وَالكَرَمِ وَالعَفْوِ وَالحِلْمِ، وَلِمَا وَسَمْتَ بِهِ نَفْسَكَ مِنَ الحَيَاءِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُمَدَّ إِلَيْكَ يَدُ فَقِيرٍ فَتَرُدَّهَا صَفْرَاءَ،

وَإِنَّ ذُنُوبِي وَإِنْ عَظُمَتْ وَأَرْبَتْ عَلَى الحَصْرِ وَالعَدَدِ فَلَا نِسْبَةَ لَهَا فِي سَعَةِ كَرَمِكَ وَعَفْوِكَ، وَلَا تَكُونُ نِسْبَتُهَا فِي كَرَمِكَ مِقْدَارَ مَا تَبْلُغُ هَبَئَةٌ[3] مِنْ عَظَمَةِ كُورَةِ العَالَمِ، فَبِحَقِّ كَرَمِكَ وَمَجْدِكَ وَعَفْوِكَ وَحِلْمِكَ اللَّوَاتِي جَعَلْتَهُنَّ وَسِيلَةً فِي اسْتِمْطَارِي لِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، اعْفُ عَنِّي، وَاغْفِرْ لِي بِفَضْلِكَ وَعَفْوِكَ، وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَهْلاً لِذَلِكَ فَإِنَّكَ أَهْلٌ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ لَيْسَ أَهْلاً لِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ، فَأَنْتَ أَهْلٌ أَنْ تَمْحُوَ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ جَمِيعَ مَا لِمَخْلُوقَاتِكَ مِنْ جَمِيعِ المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، يَا مَجِيدُ يَا كَرِيمُ، يَا عَفُوُّ يَا رَحِيمُ، يَا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ، وَالطَّوْلِ الجَسِيمِ. إهـ.. ثُمَّ صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ إلخ.. مَرَّةً. إهـ..

---

[1]- ل: والمحتاجين

[2]- ح: (من) ساقطة

[3]- ح: هبأة

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَآكِدُ التَّوَجُّهِ بِهِ فِي الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ وَقْتٌ يُبْعَدُ[1] فِيهِ الرَّدُّ[2] مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَا بِهِ فِي أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ المَعْلُومَةِ، وَأَجَازَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ مَنْ يُحْسِنُ القِرَاءَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ بِمَجْلِسٍ وَاحِدٍ بِدَارِ الصَّلَاةِ بِأَبِي سَمْغُونَ، وَأَجَازَنَا فِيهِ، وَكَتَبَ لَنَا بِخَطِّهِ فِي هَذَا المَحَلِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ آمِينَ.

وَيَنْبَغِي لِمَنْ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ أَنْ يَجْمَعَ هِمَّتَهُ، فَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِمَّةُ الإِنْسَانِ قَاهِرَةٌ لِجَمِيعِ الأَكْوَانِ، مَتَى تَعَلَّقَتْ بِمَطْلُوبٍ وَسَعَتْ فِي طَلَبِ[3] ذَلِكَ المَطْلُوبِ عَلَى الجَادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ، بِحَيْثُ أَنْ لَا يَنَالَهَا فِي طَلَبِهَا سَآمَةٌ وَلَا رُجُوعٌ عَنِ المَطْلُوبِ، وَلَا تَصْعُبُ عَلَيْهَا صُعُوبَةُ طَلَبِهِ، وَلَمْ يَنَلْهَا[4] شَكٌّ وَلَا تَرَدُّدٌ، بَلْ بِاعْتِقَادٍ جَازِمٍ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تَمُوتَ فِي طَلَبِهِ، اتَّصَلَتْ بِمَطْلُوبِهَا وَلَوْ كَانَ وَرَاءَ العَرْشِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَهُ أَدْعِيَةٌ غَيْرُ هَذِهِ فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا، لِأَنَّهَا طَوِيلَةٌ جِدّاً، وَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَبْحَثْ عَنْهَا فِي مَحَالِّهَا، وَقَدْ خَتَمْنَا هَذَا البَابَ بِهَذِهِ الأَدْعِيَّةِ المُبَارَكَةِ[5] رَجَاءً مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهَبَ لَنَا فَضْلَهَا آمِينَ.

الْبَابُ الخَامِسُ فِي ذِكْرِ أَجْوِبَتِهِ عَنِ الآيَاتِ القُرْآنِيَةِ والأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَفِي ذِكْرِ رَسَائِلِهِ وَكَلَامِهِ وَإِشَارَاتِهِ وَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ فُيُوضِ عُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ وَفِيهِ فُصُولٌ، وَفُرُوعٌ وَأُصُولٌ

---

[1] - ع: بعيد

[2] - ل: يبعد الرد فيه

[3] - ي: (طلب) ساقطة

[4] - أ: ينالها، بينما يوجد في مختلف النسخ لفظ ينلها

[5] - ي: (المباركة) ساقطة

وَهَذَا البَابُ، هُوَ لُبُّ اللُّبَابِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ هَذَا الكِتَابِ، لَا خَفَاءَ أَنَّ سَيِّدَنَا وَشَيْخَنَا[1] أَبَا العَبَّاسِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ[2] التِّجَانِي الحَسَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِمَّنْ أُوتِيَ التَّحْقِيقَ، وَأُعْطِيَ كَمَالَ المَعْرِفَةِ بِهَذَا الطَّرِيقِ، وَخَاضَ مِنْ بَحْرِ المَعَارِفِ لُجَجَهُ، وَرَكِبَ مِنْهُ ثَبَجَهُ، حَتَّى صَارَ فِيهِ إِمَاماً رَاسِخاً، وَطَوْداً شَامِخاً، بَاعُهُ فِيهِ عَرِيضٌ، وَمَجْلِسُهُ مِنْهُ رَوْضٌ أَرِيضٌ، حَوَى مِنَ اللَّطَائِفِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ، وَاسْتَوْعَبَ كَيْفِيَّةَ السُّلُوكِ وَنَهْجَهُ، وَاشْتَمَلَ عَلَى دَقَائِقِ الأَسْرَارِ العِرْفَانِيَةِ، وَغَوَامِضِ العُلُومِ الرَّبَّانِيَةِ، وَالحَقَائِقِ العَلِيَّةِ، وَالأَذْوَاقِ السَّنِيَّةِ.

فَإِذَا تَكَلَّمَ فِي آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ[3] سَحَرَ الأَلْبَابَ، وَأَتَى بِالعَجَبِ العُجَابِ، وَإِذَا وَعَظَ أَثَّرَ كَلَامُهُ، وَنَفَذَ سِهَامُهُ، وَإِذَا أَرْشَدَ إِلَى مَوْلَاهُ أَفَادَ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ اللُّبِّ وَالفُؤَادِ، وَانْطَاعَ لَهُ القَلْبُ وَانْقَادَ، كَلَامُهُ هُدًى وَنُورٌ، وَشِفَاءٌ لِلصُّدُورِ، لَهُ الإِشَارَاتُ العَلِيَّةُ، وَالعِبَارَةُ السَّمِيَّةُ، يُقَرِّبُ البَعِيدَ لِلأَفْهَامِ، وَيُفْحِمُ بِوَاضِحِ الحُجَّةِ أَكَابِرَ الأَعْلَامِ، بَلِيغُ الخِطَابِ، مُصِيبٌ لِلصَّوَابِ، لَا تُعْوِزُهُ عَنْ مُرَادِهِ عِبَارَةٌ، وَلَا تَنْبَهِمُ عَنِ السَّامِعِينَ مِنْهُ إِشَارَةٌ، كُلٌّ يَحْسِبُ الكَلَامَ صَادِقاً عَلَيْهِ، وَمُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ، يَنْطِقُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَبَدَائِعِ الحِكَمِ، وَيَدُلُّ عَلَى اللَّهِ أَبَداً وَيَجْمَعُ عَلَيْهِ، وَيَدْعُوا بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ إِلَيْهِ.

يُؤَيِّدُ كَلَامَهُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُجْلِي بِنُورِهِمَا كُلَّ ذِي جُنَّةٍ، وَإِذَا حَضَرَ مَجْلِسَهُ أَهْلُ العِلْمِ وَلَا يَخْلُونَ عَنْهُ غَالِباً أَظْهَرَ لَهُمْ مَا خَفَى مِنْهُمَا عَلَيْهِمْ، وَأَشْهَدَهُمْ مَا كَانَ غَائِباً، يَتَكَلَّمُ فِي طَرِيقِ القَوْمِ بِمَا يُبْهِرُ العُقُولَ، مِنْ جَوَاهِرِ الحِكَمِ الوَهْبِيَةِ لَا مِنْ جَوَاهِرِ النُّقُولِ، فَيَتَكَلَّمُ عَلَى المَحَبَّةِ وَالمُحِبِّ وَالمَحْبُوبِ، وَالسُّلُوكِ وَالجَذْبِ وَالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ، وَعَلَى عَالَمِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَالجَبَرُوتِ، وَعَالَمِ[4] الرُّوحِ، وَعَلَى الكَشْفِ الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ، وَعَلَى أَسْرَارِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العُلَى، وَعَلَى الإِسْمِ الأَعْظَمِ وَأَسْرَارِهِ، وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ

---

[1]- ح: شيخنا وسيدنا

[2]- ل: مولانا أحمد بن محمد

[3]- ح: حديث أو آية

[4]- ل: وعلى عالم الروح

وَأَنْوَارِهِ، وَطَرِيقِ مَعْرِفَتِهَا وَآثَارِهَا وَمُؤَثِّرَاتِهَا وَتَعْرِيفَاتِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا، وَمَا يُرَادُ مِنْهَا وَبِهَا، وَعَلَى أَحْوَالِ القِيَامَةِ وَمَوَاطِنِهَا عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الكَشْفِ تَارَةً، وَتَارَةً بِمَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَارَةً يَنْسِبُ ذَلِكَ لِبَعْضِ الأَكَابِرِ تَسَتُّراً لِحَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَتَكَلَّمُ عَلَى عُيُوبِ النَّفْسِ وَدَسَائِسِهَا وَرُعُونَاتِهَا، وَيَتَكَلَّمُ فِي تَرْكِ التَّدْبِيرِ وَالإِخْتِيَارِ، وَمُنَازَعَةِ[1] الأَقْدَارِ، وَفِي شُكْرِ النِّعْمَةِ وَشُهُودِ الفِعْلِ مِنَ اللَّهِ، كَمَا يُعْلَمُ بَعْضُ ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ فِي البَابِ قَبْلَ هَذَا، وَكَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي هَذَا وَغَيْرِهِ مِنَ المَعَارِفِ وَالأَذْوَاقِ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ العَدَدُ العَدِيدُ، وَلَا تَفِي[2] بِهِ الكَثِيرُ مِنَ الأَوْرَاقِ، وَمَجْلِسٌ وَاحِدٌ مِنْ مَجَالِسِهِ لَا تُسْتَوْفَى عُلُومُهُ، وَلَا تُسْتَقْصَى فُهُومُهُ، وَلَكِنَّ المُرَادَ الْتِقَاطُ مَا حَضَرَ، وَجَمْعُ شَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ وَغَبَرَ، مِمَّا يُمْكِنُ مِثْلِي رَسْمُهُ، وَجَمْعُهُ وَضَمُّهُ.

وَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلَامٌ بِطَرِيقِ الإِشَارَةِ وَغَيْرِهَا عَلَى آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ القُرْآنِ العَظِيمِ، وَعَلَى كَثِيرٍ مِنَ الأَحَادِيثِ[3] النَّبَوِيَّةِ وَالإِشَارَاتِ المَوْلَوِيَّةِ، إِنْ وَافَقَتِ اللَّفْظَ وَلَمْ تُغَيِّرْ خِطَاباً وَلَا إِعْرَاباً، مَقْبُولَةً عَلَى مَا حَرَّرَهُ الأَئِمَّةُ الأَقْدَمُونَ وَالعَارِفُونَ[4]، وَكَمَا سَلَكَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّادَاتِ الأَئِمَّةِ وَأَعْيَانِ الصُّوفِيَّةِ، كَالوَرْتَجِيبِي وَغَيْرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنَفَعَنَا بِذِكْرِهِمْ، (وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَأَمَاتَنَا عَلَى نَهْجِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَسُنَّتِهِمْ) [5]، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا البَابُ، أَعْنِي بَابَ الكَلَامِ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَوْفَى أَنْوَاعُهُ[6] وَفَوَائِدُهُ، وَتُجْمَعَ[7] مَسَائِلُهُ وَشَوَارِدُهُ، إِذْ لَمْ نَزَلْ نَسْمَعُ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِكَماً

---

[1]- ل: ومناعة

[2]- ح: يفي

[3]- ل: وعلى بعض الأحاديث

[4]- أ ع هـ: الأقدمين والعارفين. بينما أثبتنا لفظ (الأقدمون والعارفون) وفقا للنسخ الأخرى، ومنها النسخة س (سكيرج)

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ك: علومه

[7]- ل: وتجتمع

وَفَوَائِدَ، وَدُرَراً مِنَ المَعَارِفِ وَفَرَائِدَ، وَلَكِنَّ النِّسْيَانَ مُسْتَوْلِي عَلَى الإِنْسَانِ، وَمَا عَلِقَ مِنْهُ بِالأَذْهَانِ وَالأَفْهَامِ، إِلَّا مَا كَثُرَ سَمَاعُهُ وَتِكْرَارُهُ عَلَى مَرِّ[1] اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَلَوْ أُفْرِدَ هَذَا البَابُ بِالتَّصْنِيفِ لَكَانَ حَقِيقاً، وَلَعَلَّنَا نَتَعَرَّضُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الوَقْتِ فِي جُزْءٍ مُسْتَقِلٍّ إِنْ وَجَدْنَا لِذَلِك طَرِيقَا.

وَقَدْ حَكَيْنَا بَعْضَ مَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ هَذَا البَابِ بَعْضُهُ بِالمَعْنَى، وَجَرَيْنَا فِيمَا أَوْرَدْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ المَبْنَى، مَعَ مُحَاذَاةِ عِبَارَتِهِ مَا أَمْكَنَ، وَإِيرَادِهَا بِعَيْنِهَا إِنْ وَافَقَ اللِّسَانَ لَفْظُهُ المُعَيَّنُ، وَالحِكَايَةُ بِالمَعْنَى أَمْرٌ مَأْلُوفٌ، وَكَذَا الرِّوَايَةُ بِرِعَايَةِ شَرْطِهَا المَعْرُوفِ، وَقَدْ أَجَازَهَا لِلعَارِفِ أَهْلُ الحَدِيثِ، وَرَوَوْا بِهَا كَلَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثِ، فَمَا بَالُكَ بِحَدِيثِ مَنْ دُونَهُ، فَمَا زَالُوا يَرْتَكِبُونَ فِيهِ ذَلِكَ[2] وَيَسْتَعْمِلُونَهُ، وَمِنْهُ بَعْضُ مَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ مَا ذَكَرْنَا، أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ، وَخَوَّلَنَا مِنْ نَفَحَاتِهِ، وَنَفَعَنَا بِعُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ، وَمَعَارِفِهِ وَأَنْوَارِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ (وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً)[3].

الفَصْلُ الأَوَّل فِي ذِكْرِ (أَجْوِبَتِهِ عَنِ)[4] الآيَاتِ الْقُرآنِّيةِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الإِشَارَةِ الرَّبَّانيةِ

وَلْنُقَدِّمْ مُقَدِّمَةً قَبْلَ الكَلَامِ عَلَى الآيَاتِ فِي مَعْنَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، **أَنَّ القُرْآنَ دَالٌّ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى،** لِتَعْلَمَ بِذَلِكَ مَعْنَى القُرْآنِ وَمَعْنَى تِلَاوَتِهِ، وَمَعْنَى الكَلَامِ الأَزَلِيِّ البَارِزِ مِنَ الذَّاتِ العَلِيَّةِ، قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَّا قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ القُرْآنُ دَالٌّ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ إِطْلَاقُ تَسَامُحٍ، وَإِلَّا فَوَجْهُ

---

[1]- ع: ممر

[2]- ل: (ذلك) ساقطة

[3]- ك ع ي هـ ق ص: ما بين القوسين محذوف

[4]- أ ل: ما بين القوسين محذوف

التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ أَنَّ كَلَامَكَ بِالقُرْآنِ دَالٌّ عَلَى مَدْلُولَاتِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ، لَا عَلَى عَيْنِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ البَارِزِ مِنَ الذَّاتِ.

فَإِنَّ ذَلِكَ لَا تُمْكِنُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ، وَلَا وُصُولَ لِلْخَلْقِ فِي تِلَاوَةِ القُرْآنِ إِلَى القُرْآنِ إِلَّا بِهَذِهِ المَثَابَةِ فَقَطْ، لَا أَنَّهُمْ[1] يَصِلُونَ إِلَى النُّطْقِ بِالكَلَامِ البَارِزِ مِنَ الذَّاتِ دُونَ مَدْلُولَاتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِبُعْدِ تَغَايُرِهِمَا، لِأَنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ شَخْصاً قَالَ: هَذَا الحَائِطُ وَالفَرَسُ مَثَلاً، فَقُلْتَ أَنْتَ أَيْضاً مِثْلَ قَوْلِهِ: هَذَا الحَائِطُ وَالفَرَسُ، فَإِنَّهُ بِالضَّرُورَةِ يُعْقَلُ أَنَّ اللَّفْظَ البَارِزَ مِنْ ذَاتِكَ[2] الدَّالَّ عَلَى الحَائِطِ وَالفَرَسِ غَيْرُ اللَّفْظِ البَارِزِ مِنْ ذَاتِ الشَّخْصِ المُتَكَلِّمِ بِالحَائِطِ وَالفَرَسِ، وَإِنَّمَا اتَّحَدَتْ دَلَالَتُهُمَا عَلَى الحَائِطِ وَالفَرَسِ، وَاللَّفْظَانِ مُتَغَايِرَانِ.

فَبَانَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ الكَلَامَ الَّذِي تَتْلُوهُ فِي القُرْآنِ لَيْسَ دَالّاً[3] عَلَى المَعْنَى القَائِمِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَنَّهُ عَيْنُ المَعْنَى القَائِمِ بِالذَّاتِ العَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا اتَّحَدَتْ دَلَالَةُ لَفْظِكَ بِالقُرْآنِ وَدَلَالَةُ المَعْنَى القَائِمِ بِذَاتِ اللَّهِ عَلَى المَدْلُولَاتِ فِي الكَلَامِ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ إِسْمُ القُرْآنِ مِنْ هَذَا البَابِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ سَبِيلٌ إِلَّا هَذَا، وَمِثَالُهُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ)**[4].

وَالمَعْقُولُ فِي هَذَا الكَلَامِ هُوَ الخَلْقُ، وَهُوَ إِخْرَاجُ المُمْكِنِ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، وَاللَّهُ هُوَ الإِسْمُ الدَّالُّ عَلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ هِيَ الأَجْرَامُ المَعْلُومَاتُ، فَإِذَا قَرَأْتَ أَنْتَ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ، فَإِنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ تَكُونُ دَلَالَتُهُ مُمَاثِلَةً لِمَدْلُولَاتِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ كَلَامُكَ هُوَ عَيْنُ الكَلَامِ البَارِزِ مِنَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ وَلَا دَالٌّ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ دَالٌّ عَلَى مَدْلُولَاتِهِ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ القُرْآنِ، وَذَلِكَ هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، فَإِنَّ اسْمَ القُرْآنِ مَا أُطْلِقَ إِلَّا عَلَى الكَلَامِ البَارِزِ مِنَ الخَلْقِ، الدَّالِّ عَلَى مَدْلُولَاتِ كَلَامِ اللَّهِ.

---

[1]- ل: لأنهم

[2]- ل: ذلك

[3]- أ ع ك ي هـ ق ص م: ليس هو دال، وأثبتنا لفظ (ليس دالا) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4]- سورة العنكبوت، الآية 44

وَلَيْسَ اسْمُ القُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَى المَعْنَى البَارِزِ مِنَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ القُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالذَّاتِ العَلِيَّةِ، وَالقُرْآنُ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى تَلَفُّظِنَا بِكَلَامِ اللَّهِ وَقِرَاءَتِنَا لَهُ، يُوَضِّحُ لَكَ هَذَا وَهُوَ أَنَّ عِلْمَكَ بِالمَعْلُومَاتِ لَيْسَ دَالّاً[1] عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ دَالٌّ عَلَى مَدْلُولَاتِ عِلْمِ اللَّهِ، فَمَدْلُولَاتُ عِلْمِكَ هِيَ مَدْلُولَاتُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمُكَ[2] لَيْسَ هُوَ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُمَا مُتَغَايِرَانِ، وَهَكَذَا فِي السَّمْعِ وَالبَصَرِ. وَهَكَذَا فِي الإِرَادَةِ، فَإِنَّ مَدْلُولَاتِ إِرَادَتِكَ هِيَ مَدْلُولَاتُ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ إِرَادَتُكَ عَيْنَ إِرَادَتِهِ، وَلَا دَالَّةً عَلَيْهَا، وَخُذْ هَذَا المِثَالَ حَتَّى فِي الكَلَامِ الأَزَلِيِّ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكَلَامُ عَلَى **التَّفْضِيلِ بَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ**، أَمَّا تَفْضِيلُ القُرْآنِ عَلَى جَمِيعِ الكَلَامِ مِنَ الأَذْكَارِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرِهِ مِنَ الكَلَامِ فَأَمْرٌ وَاضِحٌ[4] مِنَ الشَّمْسِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي اسْتِقْرَاءَاتِ الشَّرْعِ وَأُصُولِهِ. شَهِدَتْ بِهِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَتَفْضِيلُهُ مِنْ حَيْثِيَّتَيْنِ، الحَيْثِيَّةُ الأُولَى: كَوْنُهُ كَلَامَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ المُتَّصِفَةِ بِالعَظَمَةِ وَالجَلَالِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ لَا يُوَازِنُهُ كَلَامٌ، وَالحَيْثِيَّةُ الثَّانِيَةُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَمَحَاسِنِ الآدَابِ وَطُرُقِ الهُدَى وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَالأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالأَوْصَافِ العَلِيَّةِ، الَّتِي لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا الرَّبَّانِيُونَ، فَهُوَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ أَيْضاً لَا يُوَازِنُهُ كَلَامٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الأُمُورِ.

ثُمَّ إِنَّ هَاتَيْنِ[5] الحَيْثِيَّتَيْنِ لَا يَبْلُغُ فَضْلَ القُرْآنِ فِيهِمَا إِلَّا عَارِفٌ بِاللَّهِ، قَدِ انْكَشَفَتْ لَهُ بِحَارُ الحَقَائِقِ، فَهُوَ أَبَداً يَسْبَحُ فِي لُجَجِهَا، **فَصَاحِبُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ القُرْآنُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الأَذْكَارِ وَالكَلَامِ**، لِحَوْزِهِ الفَضِيلَتَيْنِ، لِكَوْنِهِ يَسْمَعُهُ مِنَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ

---

[1] - أ ع ك ي هـ ق ص م: ليس هو دال، وأثبتنا لفظ (ليس دالاً) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2] - ل: وليس علمك هو علم الله تعالى

[3] - ح: انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه

[4] - ك: أوضح

[5] - أ ك ع ح هـ ق ص: هذه - ي: هذين. وأثبتنا في النص لفظ (هاتين) وفقا لنسختي س ل

سَمَاعاً صَرِيحاً لَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي اسْتِغْرَاقِهِ وَفَنَائِهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، **وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ** فِي الْقُرْآنِ دُونَ هَذِهِ، وَهِيَ مَنْ عَرَفَ مَعَانِي الْقُرْآنِ ظَاهِراً، وَأَلْقَى سَمَاعَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ كَأَنَّهُ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ يَقُصُّهُ عَلَيْهِ وَيَتْلُوهُ عَلَيْهِ مَعَ وَفَائِهِ بِالْحُدُودِ، فَهَذَا أَيْضاً لَاحِقٌ فِي الفَضِيلَةِ بِالْمَرْتَبَةِ الأُولَى إِلَّا أَنَّهُ دُونَهَا.

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ فِي تِلَاوَةِ القُرْآنِ، رَجُلٌ لَا يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ مَعَانِيهِ، لَيْسَ لَهُ[1] إِلَّا سَرْدَ[2] حُرُوفِهِ، وَلَا يَعْلَمُ مَاذَا تَدُلُّ[3] عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، فَهَذَا إِنْ كَانَ مُهْتَدِياً كَسَائِرِ الأَعَاجِمِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَعَانِي العَرَبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَيُلْقِي سَمْعَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ مُعْتَقِداً أَنَّ اللَّهَ يَتْلُو عَلَيْهِ تِلَاوَةً لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا، فَهَذَا لَاحِقٌ فِي الفَضْلِ بِالْمَرْتَبَتَيْنِ[4]، إِلَّا أَنَّهُ مُنْحَطٌّ عَنْهُمْ[5] بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مُهْتَدِياً مُوفِياً بِالحُدُودِ وَالوَاجِبَاتِ، غَيْرَ مُخِلٍّ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

وَالْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ رَجُلٌ يَتْلُوا القُرْآنَ سَوَاءٌ عَلِمَ مَعَانِيَهُ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، إِلَّا أَنَّهُ مُتَجَرِّئٌ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ غَيْرُ مُتَوَقِّفٍ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا، فَهَذَا لَا يَكُونُ القُرْآنُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلَ، بَلْ كُلَّمَا ازْدَادَ تِلَاوَةً ازْدَادَ ذَنْباً، وَتَعَاظَمَ عَلَيْهِ الهَلَاكُ، يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً)**[6]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ**

---

[1]- ح: (له) ساقطة

[2]- ح: يسرد

[3]- ل: نزل

[4]- ح: بين المرتبتين

[5]- ل: عنهما

[6]- سورة الكهف، الآية 57

أَثِيمٍ)، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[1]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ)**[2] الآيَةُ.

وَكُلُّ مَنْ يَحْفَظُ القُرْآنَ وَلَمْ يَقُمْ بِحُدُودِهِ، فَقَدِ اتَّخَذَهُ هُزُؤاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤاً)**[3]، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْرُفُونَ المُتْرَفِينَ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِالعَابِدِينَ، وَيَقُولُونَ بِالقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تَرَكُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُومِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ. الحَدِيثُ. وَأَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِمُ الوَعِيدُ الَّذِي فِي الآيَةِ. قَالَ تَعَالَى: **(أَفَتُومِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(أَشَدِّ العَذَابِ)**[4].

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِماً لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى)**[5]، فَمَنْ تَرَكَ العَمَلَ بِالقُرْآنِ فَقَدْ نَسِيَهُ، وَالوَعِيدُ ثَابِتٌ عَلَيْهِ، فَمِثْلُ هَذَا لَا يَكُونُ القُرْآنُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَصْحَابُ المَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ الأُوَّلِ القُرْآنُ فِي حَقِّهِمْ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبُ المَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِ أَفْضَلُ مِنَ القُرْآنِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّهُ يَزْدَادُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ طَرْداً وَلَعْناً وَبُعْداً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ مَرْتَبَةٍ إِلَهِيَةٍ فِي الغَيْبِ مُدَّخَرَةٍ لَهُ فِي المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ العِيَانِيَةِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ وَحَالُهُ فِي المَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَتُمْحَى جَمِيعُ ذُنُوبِهِ فِي الغَيْبِ، وَتُكْتَبُ جَمِيعُ تِلَاوَتِهِ حَسَنَاتٍ لِأَجْلِ المَرْتَبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ بِطَرِيقِ المَحْبُوبِيَةِ، فَإِنْ خَلَا عَنْ هَذِهِ المَرْتَبَةِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُعَامِلَهُ بِالعَفْوِ فِي الآخِرَةِ وَعَدَمِ المُؤَاخَذَةِ

---

[1]- سورة الجاثية، الآية 7-10.

[2]- سورة المائدة، الآية 68

[3]- سورة البقرة، الآية 231

[4]- سورة البقرة، الآية 85

[5]- سورة طه، الآية 124-126.

بِالعَذَابِ عَلَى ذُنُوبِهِ لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ المَعْلُومَةِ فِي الغُفْرَانِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَإِمَّا أَنْ يُنَاقِشَهُ رَبُّهُ الحِسَابَ فِي الآخِرَةِ، ثُمَّ يَقُولَ لَهُ: لَنُؤَاخِذَنَّكَ بِهَا ذَرَّةً ذَرَّةً.

فَصَاحِبُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] أَفْضَلُ لَهُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، لِكَوْنِهِ أَنَّ اللَّهَ يُصَلِّي عَلَيْهِ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً عَشْراً، وَجَمِيعُ العَالَمِ فِي كُورَةِ العَالَمِ عَشْراً عَشْراً لِكُلِّ صَلَاةٍ، فَيَفُوزُ بِذَلِكَ بِالسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، فَإِنَّ هَذَا الوَعْدَ مِنَ اللَّهِ مُحَقَّقُ الوُقُوعِ، وَهَذَا وَاقِعٌ لِكُلِّ مُطِيعٍ وَعَاصٍ، فَكُلُّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَصَاحِبُ هَذَا الحَالِ يَقَعُ لَهُ الهَلَاكُ وَالشَّقَاءُ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَتَقَعُ لَهُ السَّعَادَةُ وَالغُفْرَانُ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

فَإِنْ قُلْتَ: الثَّوَابُ المُرَتَّبُ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ لِلقُرْآنِ فَقَطْ دُونَ التَّالِي، وَذَلِكَ حَاصِلٌ فِي تِلَاوَتِهِ حَتَّى مِنَ الفَاسِقِ، قُلْنَا[3] : الجَوَابُ فِي هَذَا الأَمْرِ مُحْتَمَلٌ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، لَكِنْ يَظْهَرُ إِبْطَالُهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ عَدَمُ عَمَلِهِ بِالقُرْآنِ، فَإِنَّ تِلَاوَةَ القُرْآنِ مَعَ عَدَمِ العَمَلِ هُوَ المَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ لِأَهْلِ التَّوْرَاةِ فَقَالَ: **(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)**[4]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الحِمَارَ لَا نَفْعَ لَهُ فِي حَمْلِ الأَسْفَارِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَقَوْلُهُ **(ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا)** أَيْ[5] لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُومِنُونَ بِهِ)**[6]، وَحَقُّ تِلَاوَتِهِ هُوَ العَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ بِعَدَمِ العَمَلِ فَمَا تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الكَلَامَ فِي القُرْآنِ عَلَى وَجْهَيْنِ: الوَجْهُ الأَوَّلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ العَامَّةُ وَأَحْوَالُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَجَزَائِهِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَإِسْنَادِ الفِعْلِ إِلَى المُكَلَّفِينَ وَالغَضَبِ عَلَيْهِمْ، وَإِيقَاعِ الوَعِيدِ

---

[1]- ح: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

[2]- ل: النبي صلى الله عليه وسلم

[3]- ل: قلت

[4]- سورة الجمعة، الآية 5

[5]- ل: إن لم يفعلوا

[6]- سورة البقرة، الآية 121

عَلَيْهِمْ بِاللَّعْنَةِ وَالسَّخَطِ وَالعَذَابِ، وَإِيقَاعِ الحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى القَائِمِينَ بِأُمُورِ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَبَسْطِ الكَلَامِ عَلَى ثَوَابِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، وَمَا يُلَاقُونَ مِنَ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا مَا فِي طَرِيقِ العَامَّةِ، وَأَمَّا مَا فِي طَرِيقِ الخَاصَّةِ فَلَا غَايَةَ لَهُ، فَإِذَا عُرِفَ ذَلِكَ بَانَ لِلعَارِفِ بِهِ أَنَّ مَا فِي طَرِيقِ العَامَّةِ غِطَاءٌ غَطَّى اللَّهُ بِهِ أَسْرَارَ القُرْآنِ، وَتُرِكَتْ أَسْرَارُ القُرْآنِ وَمَذَاقَاتُ أَهْلِ الخُصُوصِ مِنْ وَرَاءِ أَطْوَارِ[1] الحِسِّ وَالعَقْلِ المُدْرَكَيْنِ[2] فِي أَمْرِ العَامَّةِ، فَيَجِبُ كَتْمُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلِمَهُ، إِذْ لَمْ يُرِدْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِظْهَارَهُ إِلَّا لِلخَاصَّةِ العُلْيَا مِنْ خَلْقِهِ.

قِيلَ: إِنَّ أَبَا يَزِيدٍ بَاسَطَهُ الحَقُّ فِي بَعْضِ مُبَاسَطَاتِهِ[3]، قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ السُّوءِ لَوْ أَخْبَرْتُ النَّاسَ بِمَسَاوِيكَ لَرَجَمُوكَ بِالحِجَارَةِ، فَقَالَ لَهُ: وَعِزَّتِكَ لَوْ أَخْبَرْتُ النَّاسَ بِمَا كَشَفْتَ لِي مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ لَمَا عَبَدَكَ أَحَدٌ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، فَسَكَتَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا أَبُو العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: القُرْآنُ هُوَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، لَكِنَّ السُّلُوكَ بِهِ عَلَى شَرْطِ أَنْ يُقَدِّرَ التَّالِي نَفْسَهُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَشْهَدَ نَفْسَهُ فِي وَقْتِ التِّلَاوَةِ أَنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، فَإِنْ دَامَ لَهُ هَذَا الحَالُ وَاتَّصَفَ بِهِ اتَّصَلَ بِالفَنَاءِ التَّامِ، وَهُوَ بَابُ الوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ[5] صَلَّى عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ[6] صَلَاةٍ مِنْ تِلْكَ الصَّلَوَاتِ الَّتِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى العَبْدِ لَهَا سِرَّانِ، السِّرُّ الأَوَّلُ: أَنَّ المُصَلِّي عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِبُ

---

[1]- ك: طور

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: المدركان، وأثبتنا في النص لفظ (المدركين) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[3]- ح ي: مباسطته

[4]- ل: انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه

[5]- ح: بمن

[6]- ح: بكل

عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكَافَأَتَهُ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ، عَلَى قَاعِدَةِ حُكْمِ الكَرَمِ عِنْدَ الكَرِيمِ أَنَّ الإِحْسَانَ إِلَى الكَرِيمِ لَا يَضِيعُ، وَلَا يَضِيعُ[1] الإِحْسَانُ عِنْدَ الكَرِيمِ بَاطِلاً، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا[2] اتَّصَفَ بِهِ[3] مِنَ الكَرَمِ وجب عَلَيْهِ مُكَافَأَةُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ هَذَا نَابَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ فِي مُكَافَأَةِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ، صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِحْسَانِهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْراً.

وَالسِّرُّ الثَّانِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَظِيمُ المَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ رَآهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَنَى بِهِ وَأَحَبَّهُ لِأَجْلِ تَحَبُّبِهِ لِحَبِيبِهِ[4] بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ لَهُ تِلْكَ المَحَبَّةُ وَالعِنَايَةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا ثَابَرَ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ أَتَاهُ بِذُنُوبِ أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِ وُجُودِ العَالَمِ إِلَى آخِرِهِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً لَأَدْخَلَهَا كُلَّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بَحْرِ عَفْوِهِ وَفَضْلِهِ، وَوَاجَهَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بُلُوغِ أَمَلِهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ بِتَبْلِيغِهِ لَهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ رِضَاهُ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكَانَ حُكْمُهُ فِي الغَيْبِ كُلَّمَا صَعَدَتِ المَلَائِكَةُ إِلَى اللَّهِ بِصَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ مَمْلُوءَةً بِالسَّيِّئَاتِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: إِنَّ لَهُ عِنَايَةً بِحَبِيبِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَكُونُ[5] سَيِّئَاتُهُ كَسَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، وَلَا وَلَا تَقَعُ المُؤَاخَذَةُ عَلَيْهِ فِي سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَقَعُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ السَّيِّئَاتِ.

فَإِذَا[6] عَرَفْتَ هَذِهِ الحَيْثِيَّةَ عَرَفْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمِثْلِ أَهْلِ هَذَا الوَقْتِ أَفْضَلُ لَهُمْ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ الَّتِي سَمِعْتَهَا فَقَطْ، لَا أَنَّهَا هِيَ أَرْفَعُ

---

[1]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: (ولا يضيع) ساقطة، وأثبتناها في النص وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- ل: لما

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: (به) ساقطة، وأثبتناها في النص وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4]- ل: (لحبيبه) ساقطة

[5]- أ ع هـ: يكون

[6]- ك: وإذا

دَرَجَةً مِنَ القُرْآنِ، (فَإِنَّ القُرْآنَ)[1] هُوَ أَفْضَلُ الدَّرَجَاتِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنْ لِمَنْ صَفَتْ أَعْمَالُهُ وَأَحْوَالُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ تَالِيهِ حِينَئِذٍ مِنْ أَكْبَرِ السَّابِقِينَ، وَأَعْظَمِ الفَائِزِينَ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا قُدْرَةَ لِأَهْلِ هَذَا الوَقْتِ عَلَى هَذَا، فَإِنَّهُ يَقَعُ بِهِمْ مِنَ المَقْتِ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ مَا لَا تُدْرِكُهُ العُقُولُ، فَإِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَيْرَةً عَلَى كِتَابِهِ لِكَوْنِهِ حَضْرَةَ القُرْبِ وَالتَّدَانِي، فَمَنْ خَالَطَ كِتَابَهُ وَأَسَاءَ الأَدَبَ مَعَهُ طَرَدَهُ وَمَقَتَهُ، لِكَوْنِهِ لَمْ يُعْطِ الحَضْرَةَ حَقَّهَا، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ النِّسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}**[2].

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: اعْلَمْ أَنَّ الكَلَامَ عَلَى مَحَبَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعَبِيدِهِ، إِمَّا مَا يُعْهَدُ فِي مَحَبَّةِ المَخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ شِدَّةُ المَيْلِ وَالشَّغَفِ بِالشَّيْءِ حَتَّى لَا يَجِدَ عَنْهُ صَبْراً، وَشِدَّةِ الإِشْتِيَاقِ إِلَى المَحْبُوبِ عِنْدَ فَقْدِهِ وَالوُلُوعِ بِهِ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْ عَقْلِهِ هَائِماً فِي حُبِّ المَحْبُوبِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ الحَقِّ[3] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَتَأَتَّى فِي ذَاتِهِ العَلِيَّةِ أَنْ يَطْرَأَ فِيهَا مَيْلٌ أَوْ شَغَفٌ أَوْ شَوْقٌ، إِذْ هُوَ فِي مَرْتَبَةِ ذَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا فِي غَايَةِ العُلُوِّ الذَّاتِي، وَالكِبْرِيَاءِ الذَّاتِي، وَالعِزِّ الكَامِلِ، وَالجَلَالِ الَّذِي لَا يُوصَفُ وَلَا يُكَيَّفُ.

وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ العَلِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ فِي الذَّاتِ اقْتَضَتْ أَنْ لَا يُوجَدَ شَيْءٌ مَعَهُ مِنَ الأَكْوَانِ، لِأَنَّ الكِبْرِيَاءَ الذَّاتِي وَالعِزَّ الذَّاتِي وَالعُلُوَّ الذَّاتِي وَالجَلَالَ الذَّاتِي تَقْتَضِي كُلُّهَا غَيْرَةً مِنْ وُجُودِ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَهُ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ بِمَحَبَّةٍ، أَوْ يَلْتَوِيَ إِلَيْهِ بِشَوْقٍ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ.

وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ، إِذْ هُوَ فِي تِلْكَ الغَيْرَةِ بِوُجُودِ تِلْكَ الصِّفَاتِ يَأْنَفُ مِنْ وُجُودِ غَيْرِهِ مَعَهُ، ثُمَّ تَنَزَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ. وَهَذَا التَّنَزُّلُ مِنْهُ لَيْسَ نُزُولاً عَنِ المَرْتَبَةِ الأُولَى، بَلْ هُوَ فِيهَا أَزَلاً وَأَبَداً، لَكِنْ اقْتَضَتْ مَشِيئَتُهُ

---

[1]- ع: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة آل عمران، الآية 31

[3]- ح: في حق الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّتِي يَسْتَحِيلُ نَفْيُ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ أَنْ لَابُدَّ أَنْ يُوجِدَ عَالَماً مِنَ المَوْجُودَاتِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِإِفَاضَةِ رَحْمَتِهِ وَعُمُومِهَا، وَبِظُهُورِ سَطَوَاتِ جَلَالِهِ وَعُلُوِّهَا، وَعَبَّرَ عَمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ هَذِهِ المَشِيئَةُ، وَهُوَ[1] التَّنَزُّلُ، ثُمَّ قَالَ: فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي، وَكَانَ تَنَزُّلُهُ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ المَشِيئَةِ اقْتَضَى ذَلِكَ التَّنَزُّلُ فَيْضاً مِنْ نُقَطِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ.

وَمِنْ هَذَا الفَيْضِ حَكَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وُجُودِهِ، فَطَائِفَةٌ شَاءَ تَرْفِيعَهُمْ وَتَعْظِيمَهُمْ وَتَمْكِينَهُمْ مِنَ الرُّتْبَةِ العُلْيَا وَالعُلُوِّ وَالشَّرَفِ وَالتَّعْظِيمِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ النَّبِيئُونَ وَالمَلَائِكَةُ، وَمَنْ شَاءَ اخْتِصَاصَهُ مِنْ عَوَالِمِهِ فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ، وَطَائِفَةٌ قَضَى بِتَرْفِيعِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ وَإِعْلَائِهِمْ إِلَى رُتَبٍ هِيَ دُونَ الأُولَى، وَأَهْلُ هَذِهِ الرُّتْبَةِ[2] هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالأَقْطَابُ، ثُمَّ حَكَمَ بِرُتَبٍ دُونَهُمْ فِي التَّرْفِيعِ وَالتَّعْظِيمِ وَإِفَاضَةِ الفَضْلِ وَالجُودِ، وَفِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ عَامَّةُ الأَوْلِيَاءِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ، وَمَنْ شَاءَ تَخْصِيصَهُمْ مِثْلَهُمْ مِنَ العَوَالِمِ، وَدُونَهُمْ طَوَائِفُ[3] قَضَى بِتَرْفِيعِهِمْ وَإِعْلَائِهِمْ إِلَى رُتْبَةٍ دُونَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ.

وَفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ طَوَائِفُ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ قَضَى لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَوْفِيَةِ[4] امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، مَعَ ضَيْقِ الحِجَابِ وَغَمِّهِ، فَهُمْ دَائِماً يَتَقَلَّبُونَ فِي أَطْوَارِ المُجَاهَدَاتِ وَضَيْقِ الأَمْرِ، لَمْ يَخْرُجُوا إِلَى رُوحِ الأَحْوَالِ وَاتِّسَاعِ المَجَالِ، وَإِطْلَاقِ الأَرْوَاحِ فِي سَرَاحِ الوُجُودِ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ، لِأَنَّ تِلْكَ مَرْتَبَةُ الأَقْطَابِ وَالصِّدِّيقِينَ، وَطَائِفَةٌ دُونَهُمْ فِي المَرْتَبَةِ قَضَى بِتَرْفِيعِهِمْ وَإِعْلَائِهِمْ وَاصْطِفَائِهِمْ أَيْضاً، وَهُمْ عَوَامُّ المُومِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ يَقَعُونَ مَعَ إِيمَانِهِمْ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَالكُلُّ قَدِ اكْتَنَفَتْهُمْ مَرَاتِبُ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَالكُلُّ مَأْوَاهُمُ الجَنَّةُ، لَكِنَّ مَرَاتِبَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ كَمَا قُلْنَا.

[1]- أ ك ع ي هـ ق ص: هو

[2]- ح: المرتبة

[3]- ك: طائفة

[4]- ل: بتوفيقه

وَكُلُّ هَذَا مِنْ[1] تَصَرُّفِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ وَاخْتِصَاصِهَا لِمَنْ شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا التَّصَرُّفُ بِحُكْمِ المَشِيئَةِ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِمَحَبَّةِ الحَقِّ لِخَلْقِهِ، وَإِنْ تَبَايَنَتْ مَرَاتِبُهُمْ فِي المَحَبَّةِ، لَكِنْ هِيَ المَحَبَّةُ الخَاصَّةُ مِنْهُ وَأَصْحَابُهَا كَمَا قُلْنَا، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أَمْراً دَقِيقاً صَعْبَ المَرَامِ لَا مَطْمَعَ لِلعُقُولِ وَالأَفْكَارِ فِيهِ، اخْتَصَّ بِهِ المُرْسَلِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَمَنْ وَرَائَهُمْ مِنْ عُمُومِ النَّبِيئِينَ، وَهُوَ مَحَبَّةُ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ حُبّاً خَالِصاً لِذَاتِهَا لَا لِيَعُودَ عَلَيْهَا[2] مِنْهُ شَيْءٌ، وَهَذَا المَطْلَبُ[3] هُوَ أَقْصَى المَرَامَاتِ كُلِّهَا، فَمَنْ مَنَحَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَرَّةً مِنْ هَذَا المَطْلَبِ[4] ارْتَفَعَ بِهِ إِلَى الرُّتْبَةِ العُلْيَا فِي التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَمَنْ دُونَ الصِّدِّيقِينَ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي هَذَا الخِطَابِ.

وَهُنَاكَ المَحَبَّةُ العَامَّةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي هَذِهِ المَحَبَّةِ جَمِيعُ العَوَالِمِ حَتَّى الكُفَّارُ، فَإِنَّهُمْ مَحْبُوبُونَ عِنْدَهُ فِي حَضْرَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ، فَبِي عَرَفُونِي، لَا تَظُنَّ أَنَّ مَخْلُوقاً أُهْمِلَ مِنْ هَذِهِ المَعْرِفَةِ، فَإِنَّ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا خُلِقَتْ كَامِلَةَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ طَرَأَ عَلَيْهَا الجَهْلُ بِمُخَالَطَتِهَا لِلْجِسْمِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ الجَهْلُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي كَانَ كَامِلَ العَقْلِ وَالعِلْمِ بِالأُمُورِ، فَطَرَأَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ فَصَارَ أَحْمَقَ لَا يُمَيِّزُ شَيْئاً، فَإِنَّ الجَهْلَ الَّذِي وَقَعَ لِلأَرْوَاحِ لَيْسَ هُوَ الأَصْلَ فِيهَا، وَإِنَّمَا الأَصْلُ فِيهَا المَعْرِفَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَلَعَلَّ المُعَارِضَ يَقُولُ: فَمَا بَالُ أَجْسَامِهِمْ جَهِلَتْ بِاللَّهِ[5] وَهِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ قَوْلِهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ؟

فَالجَوَابُ أَنَّ أَجْسَامَ الكُفَّارِ لَيْسَ فِيهَا جَهْلٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا لَهَا إِدْرَاكٌ وَحْدَهَا خِلَافَ إِدْرَاكِ الرُّوحِ، وَبِذَلِكَ الإِدْرَاكِ صَارَتْ عَارِفَةً بِاللَّهِ تَعَالَى، فَتَسْجُدُ لِلَّهِ[6] وَتُسَبِّحُهُ، وَلَا عِلْمَ

---

[1]- أ ك ع ي هـ ق ص: (من) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- ل: لا ليعود عليه منها شيء

[3]- ل: المطلوب

[4]- ل: المطلوب

[5]- ل: بالله تعالى

[6]- ح: فتسجد له وتسبحه

www.cheikh-skiredj.com

لَهَا بِمَا الرُّوحُ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ[1]. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)**[2]، فَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَتَسْجُدُ لَهُ، وَإِنَّمَا مُصِيبَةُ الشِّرْكِ وَالجَهْلِ خَاصَّةٌ بِالرُّوحِ وَلَيْسَتْ هِيَ الأَصْلَ فِيهَا، بَلْ هِيَ مُصِيبَةٌ طَرَأَتْ عَلَيْهَا، **قَوْلُهُ:** فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي، يَعْنِي إِذِ الكُفَّارُ دَاخِلُونَ فِي هَذِهِ المَعْرِفَةِ، لِأَنَّهُمْ مَا جَهِلُوهُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَهُمْ دَاخِلُونَ فِي عُمُومِ هَذِهِ المَحَبَّةِ.

وَهَذَا الأَمْرُ فِيهِمْ هُوَ الأَصْلُ الَّذِي إِلَيْهِ المَرْجِعُ، وَمَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَاءِ[3] ذَلِكَ بِسَبَبِ الكُفْرِ مِنَ الذِّلَّةِ وَالإِهَانَةِ وَاللَّعْنِ وَالطَّرْدِ وَالغَضَبِ وَالسُّخْطِ وَشِدَّةِ العَذَابِ وَتَأْبِيدِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ تِلْكَ عَوَارِضُ طَرَأَتْ عَلَى الأَصْلِ، وَالأَصْلُ هِيَ المَحَبَّةُ، فَمَا خَرَجَتِ الكُفَّارُ عَنْ مَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنِ المَحَبَّةُ العَامَّةُ، إِذِ الخَاصَّةُ لَا حَظَّ لَهُمْ فِيهَا، الَّتِي مُقْتَضَاهَا التَّرْفِيعُ وَالإِجْلَالُ، وَالمَحَبَّةُ العَامَّةُ هُمْ دَاخِلُونَ تَحْتَ حِيطَتِهَا، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُهُمْ وَمَآلُهُمْ مِنْ وَجْهٍ لَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ، وَمَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الأَكَابِرُ، وَيُتْرَكُ ذَلِكَ تَحْتَ غِطَائِهِ، لَا يُذْكَرُ لِأَهْلِ الظَّاهِرِ لِعَدَمِ قَبُولِ عُقُولِهِمْ لَهُ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ الخَاصَّةُ بِالفَيْضِ الإِلَهِي.

وَقَدْ[4] غَنَّى غنَّاتٍ مِنْ هَذَا[5] الأَمْرِ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ وَالشَّيْخُ عَبْدُ الكَرِيمِ الجِيلِي، فَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الخَبَطُ وَالصَّعْقُ عُقُوبَةً لَهُمْ لِمَا أَبْدَوْا مِنَ العِلْمِ المَخْزُونِ، إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا فِي الظَّاهِرِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرُو، وَكَانَ مِنْ أَشْرَفِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ خَطِيبَ العَرَبِ، إِذَا تَكَلَّمَ حَرَّكَ السَّاكِنَ، حِينَ أَخَذَهُ أَسِيراً يَوْمَ بَدْرٍ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْزِعْ ثَنِيَتَيْ سُهَيْلٍ لَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيباً فِي مَوْضِعٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيئاً، عَلِمَ أَنَّهُ مَا خَرَجَ عَنْ مَحَبَّةِ الحَقِّ وَلَوْ كَانَ كَافِراً، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَحْبُوباً عِنْدَهُ مَا صَحَّتْ عُقُوبَةُ نَبِيِّهِ لِأَجْلِهِ.

---

[1]- ل: بالله تعالى

[2]- سورة الإسراء، الآية 44

[3]- ك: (وراء) ساقطة

[4]- ح: ولقد

[5]- ل: أهل الأمر

وَكَذَلِكَ حِينَ وَجَدَ عَمَّهُ حَمْزَةَ مُمَثَّلاً بِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِهِمْ بِثَلَاثِينَ قَتِيلاً فِي حَمْزَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ: **(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ)**، إِلَى: **(الصَّابِرِينَ)**[1] ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ فِي مَحَبَّةِ الحَقِّ وَإِنْ كَانُوا كُفَّاراً، إِذْ لَوْلَا ذَلِكَ مَا نُهِيَ النَّبِيُّ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي التَّمْثِيلِ، فَهَذَانِ الحَدِيثَانِ يَرْمُزَانِ لِمَا قُلْنَا مِنَ العِلْمِ المَخْزُونِ.

قَالَ أَبُو يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ بَاسَطَهُ الحَقُّ فِي حَضْرَةِ قُرْبِهِ، قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ السُّوءِ لَوْ أَظْهَرْتُ مَسَاوِيكَ لِلنَّاسِ لَرَجَمُوكَ بِالحِجَارَةِ، قَالَ هُوَ: وَعِزَّتِكَ لَوْ أَخْبَرْتُ النَّاسَ بِمَا كَشَفْتَ لِي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَبَدَكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ اتِّكَالاً عَلَى تِلْكَ الرَّحْمَةِ، قَالَ لَهُ[3] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: لَا تَفْعَلْ، قَالَ لَهُ: فَلَا تَفْعَلْ أَنْتَ.

وَأَمَّا مَحَبَّةُ الخَلْقِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُمْ أَيْضاً فِيهَا عَلَى مَرَاتِبِ، الأَكَابِرُ الأَعْلَوْنَ مَنَحَهُمُ **مَحَبَّةَ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** فَهُمْ بِهَا غَرْقَى فِي بِحَارِ التَّوْحِيدِ، لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى سِوَاهُ، وَلَا عِبْرَةَ عِنْدَهُمْ بِغَيْرِهِ، مَحَبَّةً وَاعْتِمَاداً وَالْتِجَاءً وَافْتِقَاراً وَتَهَمُّماً، لَيْسَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَخْطُرُ فِي أَسْرَارِهِمْ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَدُونَهُمْ فِي المَحَبَّةِ عَامَّةُ الأَوْلِيَاءِ، يُحِبُّونَ اللَّهَ تَعَالَى لِفَضْلِهِ وَلِمَا مَنَحَهُمْ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ مُقْتَضَاهَا الشُّكْرُ.

وَعَلَى هَذِهِ المَحَبَّةِ دَلَّتِ الأَنْبِيَاءُ جَمِيعَ الخَلْقِ، قَالَ سَيِّدُنَا هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْمِهِ: **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[4]، وَقَالَ سَيِّدُنَا صَالِحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْمِهِ: **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)**[5]، وَهَكَذَا جَمِيعُ الرُّسُلِ ذَكَّرَتِ الخَلْقَ بِمَا مَنَحَهُمُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ نِعَمِهِ،

---

[1] - سورة النحل، الآية 126

[2] - ح: نهى نبيه

[3] - ك: (له) ساقطة

[4] - سورة الأعراف، الآية 69

[5] - سورة الأعراف، الآية 74

وَهَذِهِ المَحَبَّةُ مُقْتَضَاهَا الشُّكْرُ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا تَعَمُّلُ العَبْدِ، وَهِيَ[1] لَيْسَتْ كَالمَحَبَّةِ الأُولَى الَّتِي هِيَ مَحَبَّةُ الذَّاتِ، فَإِنَّ تِلْكَ لَا تَعَمُّلَ لِلْعَبْدِ فِيهَا، إِنَّمَا هِيَ فَيْضٌ مِنْ فُيُوضِ الحَقِّ تَعَالَى، وَفِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ جَمِيعُ الأَوْلِيَاءِ.

وَالمَحَبَّةُ الثَّالِثَةُ هِيَ مَحَبَّةُ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ مَحَبَّةُ جَمِيعِ المُومِنِينَ الَّتِي انْتَفَى بِهَا بُغْضُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا يُتَصَوَّرُ مَعَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ بُغْضٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وَالمَحَبَّةُ الرَّابِعَةُ العَامَّةُ وَهِيَ لِلكُفَّارِ خَاصَّةً**، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ تَعَالَى مَحَبَّةَ الأُلُوهِيَةِ، لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الأُلُوهِيَةِ وَعُمُومِهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، مِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِأُلُوهِيَتِهِ كَاليَهُودِ مَثَلاً، وَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى غَلَطاً مِنْهُ بِنِسْبَةِ الأُلُوهِيَةِ لِغَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى لَهُمْ فِي تِلْكَ الأَلْبَاسِ لِكَمَالِ أُلُوهِيَتِهِ[2]، فَأَحَبُّوهُ وَعَبَدُوهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، فَلَوْلَا أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُمْ فِي تِلْكَ الأَلْبَاسِ وَجَذَبَهُمْ بِذَلِكَ التَّجَلِّي إِلَى مَحَبَّةِ أُلُوهِيَتِهِ مَا كَانُوا يَلْتَفِتُونَ إِلَى تِلْكَ الأَوْثَانِ، وَلَا أَنْ يَلُمُّوا بِهَا، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَعْبُدُوهَا، فَهُمْ مُحِبُّونَ لِلَّهِ، عَابِدُونَ لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

وَهَذِهِ العِبَادَةُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالسُّجُودِ كَرْهاً فِي الآيَةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ)**[3]، فَكُلُّ عَابِدٍ أَوْ سَاجِدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ[4] فِي الظَّاهِرِ فَمَا سَجَدَ وَلَا عَبَدَ[5] إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ هُوَ المُتَجَلِّي فِي تِلْكَ الأَلْبَاسِ، وَتِلْكَ المَعْبُودَاتُ كُلُّهَا تَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَعْبُدُهُ وَتُسَبِّحُهُ خَائِفَةً مِنْ سَطْوَةِ جَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَوْ أَنَّهَا بَرَزَتْ لِعِبَادَةِ الخَلْقِ لَهَا وَبَرَزَتْ لَهَا بِدُونِ تَجَلِّيهِ فِيهَا لَتَحَطَّمَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ لِغِيرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنِسْبَةِ الأُلُوهِيَةِ لِغَيْرِهِ تَعَالَى.

---

[1]- أ ك ع ص: (وهي) ساقطة، وهي ثابتة في النسخة س (سكيرج)

[2]- ك: لكمال ألوهيته سبحانه

[3]- سورة الرعد، الآية 15

[4]- ل: لغير الله تعالى

[5]- ح: فما عبد ولا سجد

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكَلِيمِهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)**[1]، وَالإِلَهُ فِي اللُّغَةِ هُوَ المَعْبُودُ بِالحَقِّ، **وَقَوْلُهُ:** لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، يَعْنِي لَا مَعْبُودَ غَيْرِي، وَإِنْ عَبَدَ الأَوْثَانَ مَنْ عَبَدَهَا، فَمَا عَبَدُوا غَيْرِي، وَلَا تَوَجَّهُوا بِالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لِغَيْرِي، بَلْ أَنَا الإِلَهُ المَعْبُودُ فِيهِمْ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي، عَلَى هَذَا المِنْوَالِ، يُرِيدُ إِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدَ مَا يَعْتَقِدُهُ الجُهَّالُ مِنْ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرِي، أَوْ أَنَّهُمْ يَتَوَجَّهُونَ لِغَيْرِي.

فَالمَحَبَّةُ لِهَؤُلَاءِ حَافِظَةٌ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ مَحْبُوبُونَ عِنْدَهُ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِهِمَمِهِمْ، وَمَا تَوَجَّهُوا لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهَذِهِ مَحَبَّةُ الخَلْقِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ عَلَى مَرَاتِبَ بِحَسَبِ مَشَارِبِهِمْ، مَحَبَّةُ الذَّاتِ، وَمَحَبَّةُ الآلَاءِ، ثُمَّ مَحَبَّةُ الإِيمَانِ، ثُمَّ مَحَبَّةُ الأُلُوهِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا الكُفَّارُ، فَهَذِهِ المَرَاتِبُ هِيَ مَحَبَّةُ الخَلْقِ لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى بِأَمْرِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**[2].

وَكُلُّ طَائِفَةٍ[3] اتَّبَعَتْهُ فِي المَحَبَّةِ عَلَى مِقْدَارِهَا، فَالَّذِينَ لَهُمْ مَحَبَّةُ الذَّاتِ اتَّبَعُوهُ وَاقْتَدَوْا فِي الإِتِّصَافِ[4] بِالأَحْوَالِ العَلِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ الإِلَهِيَةِ وَالصِّفَاتِ القُدْسِيَةِ، الَّتِي لَا تُدْرَكُ إِلَّا ذَوْقاً، وَلَا يَنَالُهَا إِلَّا أَهْلُ مَحَبَّةِ الذَّاتِ، وَأَهْلُهَا هُمُ الصَّفْوَةُ العُلْيَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا اقْتِدَاءُ **الطَّائِفَةِ الأُولَى** بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ[5] : يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ هُوَ أَنَّهُ يَمْنَحُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ العَيَانِيَةِ وَمَوَاهِبِهِ العِرْفَانِيَةِ، وَجَذَبَهُمْ إِلَيْهِ جَذْباً كُلِّيّاً حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِمْ بَقِيَّةٌ لِغَيْرِهِ، أَمَّا مَا يَمْنَحُ هَؤُلَاءِ مِنَ العَطَايَا وَالمِنَحِ فَلَا يُذْكَرُ[6] وَلَا تُدْرَكُ لَهُ غَايَةٌ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ تَقْدِيرٌ لِقَوْلِهِ: يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.

1- سورة طه، الآية 14

2- سورة آل عمران، الآية 31

3- ل: اعلم أن كل طائفة

4- ع: بالإتصاف

5- ح: (وقوله) ساقطة

6- ل: فلا يدرك ولا تدرى له غاية

وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ الَّذِينَ أَحَبُّوهُ لِآلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ، وَمُقْتَضَى ذَلِكَ هُوَ الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهَؤُلَاءِ اقْتَدُوا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعُوهُ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ، حَيْثُ قِيلَ لَهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ[1] بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي.

فَدَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا دَلَّتِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِآلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ، فَهَذَا وَجْهُ الدَّلَالَةِ، وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى المَحَبَّةِ الأُولَى، وَهِيَ مَحَبَّةُ الذَّاتِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ تِلْكَ مَوْهِبَةٌ[2] مِنْ فُيُوضِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَيْسَ لِلْخَلْقِ فِيهَا تَعَمُّلٌ[3]، فَلِذَالِكَ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا، وَهَكَذَا جَمِيعُ الرُّسُلِ مَا دَلَّتْ عَلَى المَحَبَّةِ الأُولَى، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ تَعَمُّلِ الخَلْقِ، **وَقَوْلُهُ:** يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ فَإِنَّهُ يَهَبُهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَاتِ مَا لَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الأَفْكَارُ، إِذْ يَكُونُ فِي بَعْضِ المُومِنِينَ أَنَّ لَهُ فِي الجَنَّةِ مِنَ الحُورِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَدَدِ المَلَائِكَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلِكُلِّ حَوْرَاءَ مِنَ الخَدَمَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ جَارِيَةٍ، وَلِكُلِّ حَوْرَاءَ قَصْرٌ مَخْصُوصٌ بِهَا فِي الجَنَّةِ، وَهَذَا لِلرَّجُلِ الوَاحِدِ مِنَ المُومِنِينَ، يَهَبُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شُكْراً لِجَزَاءِ أَعْمَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: (**وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**)[4]، وَقَالَ تَعَالَى: (**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرًا**)[5]، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.

وَمَحَبَّةُ[6] كُلِّ طَائِفَةٍ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهَا، **وَأَمَّا مَحَبَّةُ أَهْلِ الإِيمَانِ**، قَالَ سُبْحَانَهُ[1] وَتَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: (**وَعَدَ اللَّهُ المُومِنِينَ وَالمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**)، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

[1]- أ ع ق ص: يغديكم، وأثبتنا في النص لفظ (يغدوكم) وفقا لنسخة س (سكيرج)

[2]- ل: موهوبة

[3]- ح: ليس فيها للخلق تعمل

[4]- سورة آل عمران، الآية 145

[5]- سورة الإنسان، الآية 20

[6]- أ ك ع هـ ق ص: محبة، واللفظ الذي اتبعناه في النص هو لفظ (ومحبة) وفقا لنسخة س (سكيرج)

(وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)[2]، فَهَذَا مَعْنَى مَحَبَّتِهِ لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَؤُلَاءِ اتَّبَعُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرْتَبَةِ الإِيمَانِ، وَالمُحَافَظَةِ عَلَى بَعْضِ الفَرَائِضِ، وَإِنْ وَقَعُوا فِي بَعْضِ المُخَالَفَاتِ فَمَا خَرَجُوا عَنْ مُتَابَعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَحَبَّةُ الحَقِّ لَهُمْ هُوَ مَا جَازَاهُمْ بِهِ فِي الجَنَّةِ، وَيَنْتَهُونَ إِلَى رُؤْيَةِ وَجْهِهِ الكَرِيمِ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.

وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الرَّابِعَةُ وَهُمُ الكُفَّارُ فَلَا حَظَّ لَهُمْ فِي مُتَابَعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَتَوَجَّهُ لَهُمُ الخِطَابُ، يَعْنِي قَوْلَهُ: (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)[3]، هُوَ لِأَهْلِ المَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ المَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ حَظٌّ مِنْ هَذَا الخِطَابِ، وَقَوْلُنَا فِيمَا تَقَدَّمَ: وَهُمْ دَاخِلُونَ فِي عُمُومِ هَذِهِ المَحَبَّةِ أَيْ الكُفَّارُ إِلَى آخِرِ العِبَارَةِ، يُعَارِضُ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ فِي كَوْنِهِمْ وَقَعَ النَّصُّ عَلَى الكُفَّارِ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ[4] : (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)[5]، وَقَوْلِهِ: (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ)[6].

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً عَلَى المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ كَانَ بُرُوزُهُمْ، مَا خَرَجَتْ مِنْهُمْ ذَرَّةٌ عَنْ هَذَا المِنْوَالِ، وَلَيْسَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي الوُجُودِ إِلَّا تَفْصِيلَ مَشِيئَتِهِ وَتَخْصِيصَهَا، وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ المَحَبَّةَ المَعْهُودَةَ فِي حَقِّ الخَلْقِ مِنْ شِدَّةِ الوُلُوعِ بِالشَّيْءِ وَشِدَّةِ التَّعَشُّقِ وَشِدَّةِ المَيْلِ إِلَى الإِتِّصَالِ بِالمَطْلُوبِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الشَّغَفِ وَالإِحْتِرَاقِ بِالشَّوْقِ، كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَحُلَّ فِيهَا هَذَا الأَمْرُ، لِقِيَامِ البَرَاهِينِ القَطْعِيَّةِ عَلَى نَزَاهَةِ ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ عَنْ هَذَا المِنْوَالِ، وَيَطُولُ جَلْبُ تِلْكَ البَرَاهِينِ، **وَالمَانِعُ فِي ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ عَنْ هَذَا أُمُورٌ: الأَوَّلُ:** مِنْ شِدَّةِ الوُلُوعِ بِالشَّيْءِ وَشِدَّةِ الشَّغَفِ بِهِ وَطَلَبِ

1- ك: (سبحانه) ساقطة

2- سورة التوبة، الآية 72

3- سورة آل عمران، الآية 31

4- ك: بقوله تعالى

5- سورة الممتحنة، الآية 1

6- سورة فصلت، الآية 28

الإِتِّصَالِ بِهِ أَنَّ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ هُوَ الإِفْتِقَارُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ المَحْبُوبِ، وَتَحْصِيلُ[1] المَنْفَعَةِ بِهِ، أَوْ دَفْعُ المَضَرَّةِ بِهِ، وَالذَّاتُ المُقَدَّسَةُ غَنِيَّةٌ عَنْ هَذَا، إِذْ هُوَ الغَنِيُّ عَنِ العَالَمِينَ، فَلَا يَحُلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الأَمْرِ.

وَالأَمْرُ الثَّانِي: مَا عَلَيْهِ ذَاتُهُ المُقَدَّسَةُ مِنَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعِزِّ وَالجَلَالِ وَالعُلُوِّ، وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ ذَاتِيَةٌ، وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ اقْتَضَتْ لِذَاتِهِ العَلِيَّةِ أَنْ لَا يُوجَدَ شَيْءٌ مَعَهَا فَضْلاً عَنْ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ. وَالأَمْرُ الثَّالِثُ: نَزَاهَةُ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ عَنْ تَعَاقُبِ الأَحْوَالِ عَلَيْهَا، فَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا التَّغَيُّرُ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، بَلْ هِيَ عَلَى وَصْفٍ قَائِمٍ بِهَا لَا تَنْفَكُّ عَنْهُ وَلَا تَتَغَيَّرُ عَنْهُ بِحَالٍ، وَلِذَا يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرِّضَا مَا عَلَيْهِ ذَاتُهُ المُقَدَّسَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ المُتَقَدِّمَةِ، وَكَمَالِ الغِنَى فِيهَا عَنْ جَمِيعِ العَالَمِينَ، فَإِنَّهُ وَصْفٌ ذَاتِيٌ لَهَا، وَهُوَ مُسْتَحِيلُ الإِنْتِقَالِ وَالزَّوَالِ.

وَلِذَا اسْتَعَاذَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ لَوْ كَانَ يَصِحُّ انْتِقَالُهُ وَزَوَالُهُ لَكُنَّا نَقُولُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ: يُوَافِقُ زَوَالَ ذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْهَا فَلَا تَكُونُ مُقَيَّدَةً لَهُ لِعَدَمِ وُجُودِ مَا اسْتَعَاذَ بِهِ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَ مُسْتَحِيلَ الزَّوَالِ وَالإِنْتِقَالِ اسْتَعَاذَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمَا كَانَ السَّخَطُ مِنَ اللَّهِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ فَقَطْ اسْتَعَاذَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ صَحِيحُ الإِنْتِقَالِ وَالزَّوَالِ، لِكَوْنِهِ مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ لَا مِنْ صِفَاتِ[2] الذَّاتِ، فَإِنَّ الذَّاتَ فِي غَايَةِ الرِّضَا عَلَى أَبَدِ الأَبَدِ فِي حَقِّ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ.

وَلَعَلَّ المُعَارِضَ فِي هَذَا يَقُولُ فَمَا وَقَعَ فِي الأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَضَبِهِ فِي الآيَاتِ البَيِّنَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَاتِلِ النَّفْسِ: **(وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ)**[3]، يَعْنِي لِقَتْلِهِ[4] النَّفْسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَكَقَوْلِهِ فِي حَقِّ الكَافِرِينَ: **(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ**

1- ل: أو تحصيل

2- ك ع: صفة

3- سورة النساء، الآية 93

4- ح: لقتل

فِيهَا أبداً)[1]. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الآيَةِ[2] كَثِيرَةٌ، وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ تِلْكَ العُقُوبَاتِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَمْ تَكُنْ لِإِشْفَاءِ غَيْظٍ، وَلَا لِلُحُوقِ حِقْدٍ فِي ذَاتِهِ أَوْ غِلٍّ، فَإِنَّ الذَّاتَ المُقَدَّسَةَ مُنَزَّهَةٌ عَنْ هَذَا، وَإِنَّمَا تِلْكَ كَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ[3]، فَالأُلُوهِيَةُ لَهَا وَصْفَانِ، وَصْفٌ هُوَ لِجُنُودِ الحَقِّ وَالنُّورِ وَالسَّعَادَةِ، وَالوَصْفُ الثَّانِي جُنْدُ[4] الظَّلَامِ وَالبَاطِلِ وَالشَّقَاوَةِ، فَكُلُّهَا كَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ[5] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَعَلُّقَاتُ مَشِيئَتِهِ[6]، لَا شَيْءَ يَخْرُجُ عَنْ هَذَا المِنْوَالِ، وَمَا أُطْلِقَ فِي الكُفَّارِ مِنَ العَدَاوَةِ وَالغَضَبِ وَالسَّخَطِ فَإِنَّمَا هِيَ أَحْوَالٌ اقْتَضَتْهَا كَمَالَاتُ الأُلُوهِيَةِ تَتَعَاقَبُ عَلَيْهِمْ، لَا أَنَّهَا أُمُورٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ فَقَطْ.

وَالأَمْرُ الثَّالِثُ مِنْ أُمُورِ الذَّاتِ المَانِعِ مِنْ شِدَّةِ المَيْلِ إِلَى الخَلْقِ وَاسْتِحَالَةِ مُشَابَهَتِهَا لِلحَوَادِثِ أَنَّهُ[7] لَوْ حَلَّ فِيهَا ذَلِكَ الشَّوْقُ وَالشَّغَفُ وَالوُلُوعُ بِالشَّيْءِ لَمَاثَلَتِ الحَوَادِثَ وَصَارَتْ حَادِثَةً مِثْلَهَا، وَهُوَ مُحَالٌ.

فَتَعَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ الذَّاتَ مُقَدَّسَةٌ عَنْ[8] هَذَا كُلِّهِ، لَا يُحِبُّ شَيْئاً وَلَا يُبْغِضُ شَيْئاً، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَصَرُّفُ مَشِيئَتِهِ وَتَعَلُّقُهَا بِالمَوْجُودَاتِ، إِذْ كُلُّ مَا تَعَلَّقَتِ المَشِيئَةُ بِهِ هُوَ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ[9]، لِأَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ (عَيْنُ الإِرَادَةِ مَتَى أَحَبَّ الشَّيْءَ أَرَادَهُ، وَالإِرَادَةُ عَيْنُ المَشِيئَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الكَوْنِ[10] كُلُّهُ[1] مَحْبُوبٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ مُرَادُهُ كَافِرَهُمْ وَمُؤْمِنَهُمْ، إِذْ

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 64-65

[2]- ل: الآيات

[3]- ح: ألوهية

[4]- ل: لجند

[5]- ح: ألوهية

[6]- أ ك: مشيئاته

[7]- أ ك ع هـ ص: (أنه) ساقطة

[8]- ك: في هذا كله

[9]- ل: لله تعالى

[10]- ل: أن ما في الكون كله

لَوْلَا تَعَلُّقُ إِرَادَتِهِ بِهِمْ مَا أَوْجَدَهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ طَلَبَهُ فِي إِهْلَاكِ قَارُونَ، قَالَ لَهُ: إِنِّي جَعَلْتُ الأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فَافْعَلْ بِهَا مَا تُرِيدُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ دَارَ الذَّهَبِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّنْ كَانَ يُعَظِّمُهُ لِدُنْيَاهُ، فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ كَانَ لِي فَلْيَخْرُجْ، وَمَنْ كَانَ لِقَارُونَ فَلْيَثْبُتْ مَعَهُ، فَخَرَجَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُتَبَرِّئُونَ مِنْ قَارُونَ إِلَّا قَلِيلاً،

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، وَكَانَ عَلَى كُرْسِيٍّ عَظِيمٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَلَمَّا رَأَى الأَرْضَ أَخَذَتْ تَبْتَلِعُ الكُرْسِيَّ، وَكَانَ المَلْعُونُ عَالِماً بِالأَمْرِ لَيْسَ جَاهِلاً بِهِ، عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَحِقَهُ كَمَا لَحِقَ الكُفَّارَ، فَتَابَ، فَلَمْ يَجِدْ للتَّوْبَةِ سَبِيلاً، فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى نَاشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ لَهُ وَلَا اكْتَرَثَ بِهِ، وَهُوَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ، حَتَّى أَكْمَلَ قَارُونُ سَبْعِينَ مَرَّةً وَهُوَ يُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، وَالكَلِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ.

فَعِنْدَ كَمَالِ السَّبْعِينَ ابْتَلَعَتْهُ الأَرْضُ وَغَابَ فِيهَا بِكُرْسِيِّهِ، فَإِلَى الآنَ يَتَجَلْجَلُ[2] فِيهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ، فَعَاتَبَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِتَاباً شَدِيداً، قَالَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَسْتَغِيثُ بِكَ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَمْ تُغِثْهُ، وَلَوِ اسْتَغَاثَ بِي مَرَّةً وَاحِدَةً لَأَغَثْتُهُ، ثُمَّ قَالَ الحَقُّ لِمُوسَى[3] : هَلْ تَدْرِي لِمَ لَمْ تَرْحَمْهُ، لِأَنَّكَ لَمْ تَخْلُقْهُ، وَلَوْ خَلَقْتَهُ لَرَحِمْتَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا جَعَلْتُ الأَرْضَ بَعْدَكَ طَوْعاً لِأَحَدٍ.

فَوَجْهُ الشَّاهِدِ قَوْلُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّكَ لَمْ تَخْلُقْهُ، وَلَوْ خَلَقْتَهُ لَرَحِمْتَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ قَارُونَ سَمِعَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي بَطْنِ الحُوتِ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ، فَسَأَلَ قَارُونُ المَلَائِكَةَ المُوَكَّلِينَ بِعَذَابِهِ أَنْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى يَسْأَلَ سَيِّدَنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَرَكُوهُ، فَنَادَاهُ: يَا يُونُسُ مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ إِلَى هَذَا الحَالِ، قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذُنُوبِي) [4] ، قَالَ لَهُ قَارُونُ: ارْجِعْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ تَجِدْهُ، قَالَ لَهُ يُونُسُ: فَمَالَكَ أَنْتَ لَمْ

---

[1]- ك: (كله) ساقطة

[2]- ك: يختلج - ل: يتلجلج

[3]- ل: (لموسى) ساقطة

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

تَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ لَهُ: رَجَعْتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدَمِ الصِّدْقِ، لَكِنَّ[1] تَوْبَتِي وُكِّلَتْ إِلَى ابْنِ خَالَتِي مُوسَى فَلَمْ يَقْبَلْهَا، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ مَحْبُوبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى[2] مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَأَيْضاً لِأَجْلِ أَنَّهُمْ مَظَاهِرُ أُلُوهِيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خَلَقَهُمْ لِيَظْهَرَ فِيهِمْ بِكَمَالَاتِ[3] الأُلُوهِيَةِ، وَلِذَا يَقُولُ أَهْلُ الحَقَائِقِ: لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً عَبَثاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى مُجَرَّدٌ عَنِ الفَائِدَةِ، لِأَنَّهُمْ مَظَاهِرُ أَحْكَامِهِ وَأُلُوهِيَتِهِ.

فَبَانَ لَكَ بِمَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ مَحْبُوبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُلْتَفَتُ لِأَبْحَاثِ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ قُصُورِ أَفْهَامِهِمْ، فَإِنَّ هَذِهِ مِنْ عُلُومِ العَارِفِينَ لَيْسَ لِأَهْلِ الظَّاهِرِ فِيهَا مَجَالٌ. وَقَدِ اسْتَدَلَّ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ مِنْ أَنَّ الكُفَّارَ دَاخِلُونَ تَحْتَ حِيطَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)**[4]. الآيَةُ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَعْنَاهُ فَسَأَكْتُبُهَا خَالِصَةً مِنَ العَذَابِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، دَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ قِسْمَانِ هُنَا وَهُنَاكَ، **قِسْمٌ مُعَذَّبٌ مَرْحُومٌ**، وَقِسْمٌ مَرْحُومٌ فَقَطْ لَا عَذَابَ عَلَيْهِ، أَمَّا القِسْمُ المَرْحُومُ المُعَذَّبُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)**[5].

وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ مَرْحُومٌ بِلَا عَذَابٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّهِمْ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ. الآيَةُ. وَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِمَّا يُنَاقِضُ عُمُومَ الرَّحْمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[6]، فَالرَّحْمَةُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الَّتِي يَئِسُوا مِنْهَا هِيَ الجَنَّةُ فَقَطْ، فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَى كُلِّ

---

[1]- ح: ولكن

[2]- ل: إلى الله تعالى

[3]- ل: بكمال

[4]- سورة الأعراف، الآية 156

[5]- سورة الأعراف، الآية 156

[6]- سورة العنكبوت، الآية 23

كَافِرٍ، وَلَيْسَتِ الجَنَّةُ هِيَ غَايَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تُحِيطُ بِهَا العُقُولُ، يَرْحَمُ الكُفَّارَ[1] كَيْفَ يَشَاءُ[2]، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الحَقَائِقِ أَنَّ بَعْضَ أَحْوَالِ الرَّحْمَةِ فِي أَهْلِ النَّارِ مِنَ الكُفَّارِ أَنَّهُمْ يُغْمَى عَلَيْهِمْ (فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ فَيَكُونُونَ كَالنَّائِمِ، لَا يُحِسُّونَ بِأَلِيمِ العَذَابِ، ثُمَّ تُحْضَّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَنْوَاعُ الثِّمَارِ وَالمَآكِلِ، فَيَأْكُلُونَ فِي غَايَةِ أَغْرَاضِهِمْ، ثُمَّ يَفِيقُونَ مِنْ تِلْكَ السَّكْرَةِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى العَذَابِ، فَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَنَالُ الكُفَّارَ وَالسَّلَامُ.

تَكْمِيلٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَقْسِيمِ مَرَاتِبِ المَحَبَّةِ وَأَهْلِهَا الَّذِينَ سَبَقُوا فِي صَدْرِ الآيَةِ، قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَحَبَّةُ اللَّهِ عَلَى أَرْبَعَةِ مَرَاتِبَ، المَرْتَبَةُ[3] الأُولَى: مَحَبَّةُ الإِيمَانِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا، وَالثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ الآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ لِخَوَاصِ المُؤْمِنِينَ، وَتَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا أَيْضاً، وَالثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الصِّفَاتِ وَأَهْلُهَا هُمُ المُسَمُّونَ عِنْدَ العَامَّةِ بِالأَوْلِيَاءِ، وَهُمُ الأَكْثَرُونَ فِي النَّفْعِ لِلعَامَّةِ، وَالرَّابِعَةُ: هِيَ[4] مَحَبَّةُ الذَّاتِ، وَأَهْلُهَا هُمُ الصِّدِّيقُونَ عِنْدَ الصَّحْوِ وَالبَقَاءِ، وَقَدْ وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا، وَبَقِي الكَلَامُ عَلَى مَحَبَّةِ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ مَرْتَبَةُ الأَوْلِيَاءِ، وَأَهْلُهَا دَأَبُوا عَلَى خِدْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِقُلُوبِهِمْ، لِأَجْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَامِدِ الصِّفَاتِ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَعَلَّقُوا بِالصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ كَالخَلَّاقِ وَالرَّزَّاقِ وَالوَهَّابِ وَأَمْثَالِهَا، فَهُمْ مُلْتَحِقُونَ بِالطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَرْفَعُ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ تَعَلَّقُوا بِهِ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ كَرَمِهِ وَمَجْدِهِ وَحَمْدِهِ، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ التَّعَلُّقِ بِالصِّفَاتِ، إِلَّا أَنَّ مَعَهُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ مُلَاحَظَةِ العَطَاءِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ مَحَبَّةِ الآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ، وَطَائِفَةٌ تَعَلَّقُوا بِهِ وَدَأَبُوا عَلَى خِدْمَتِهِ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ، وَهِيَ الكِبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةُ وَالعِزُّ وَالجَلَالُ وَالعُلُوُّ، وَالمُتَعَلِّقُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَحَبَّةً وَخِدْمَةً مَعَهُمْ رَشْحَةٌ مِنْ مَحَبَّةِ الذَّاتِ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَاتُ الذَّاتِ الأَصْلِيَّةِ، فَلَا حَظَّ فِيهَا

---

[1]- ك: الكافر

[2]- ل: حيث يشاء

[3]- ح: (المرتبة) ساقطة

[4]- ل: (هي) ساقطة

لِمَخْلُوقٍ، إِنَّمَا الصِّفَاتُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُفِيضاً لِخَلْقِهِ هِيَ اللُّطْفُ وَالخَلْقُ وَالرِّزْقُ وَالهِبَاتُ وَالعَفْوُ وَالكَرَمُ وَأَمْثَالُهَا.

فَالمُتَعَلِّقُونَ بِهَا مُطَالِبُونَ بِعَطَائِهِ وَمَنِّهِ، وَالمُتَعَلِّقُونَ بِالصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ لَمْ يُرِيدُوا مِنْهُ شَيْئاً مِثْلَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعِزِّ وَالجَلَالِ وَالعُلُوِّ، لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَتَى بَرَزَتْ لِلْعِيَانِ امْتَحَقَ)[1] المُشَاهِدُ تَحْتَهَا لِلقَهْرِ الَّذِي يَلْزَمُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَطِيقُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ مُطَالَعَةَ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَعُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعِزِّهِ، وَلِذَا يُسْحَقُ وَيُمْحَقُ المُشَاهِدُ تَحْتَهَا، فَلَوْ سُئِلَ المُتَعَلِّقُ بِهَا مَثَلاً لِمَاذَا تَخْدُمُ رَبَّكَ وَتَنْقَطِعُ إِلَيْهِ لَقَالَ: لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، لَا لِيَنَالَنِي مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِنَّ مَعَهُمْ رَشْحَةً مِنْ مَحَبَّةِ الذَّاتِ، وَبَعْدَ هَذَا مَحَبَّةُ الذَّاتِ، وَهِيَ لِلصِّدِّيقِينَ وَمَنْ وَرَائَهُمْ مِنَ المُرْسَلِينَ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيئِينَ وَالأَقْطَابِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَبَيَانُ التَّدْرِيجِ فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ المَذْكُورَةِ، فَصَاحِبُ مَحَبَّةِ الإِيمَانِ إِذَا أَدَامَ[2] التَّوَجُّهَ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[3]، وَلَازَمَ قَلْبُهُ ذَلِكَ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى مَحَبَّةِ الآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ، لِأَنَّهَا أَعْلَى مِنْهَا، وَصَاحِبُ مَحَبَّةِ الآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ إِذَا أَدَامَ[4] التَّعَلُّقَ بِهَا، وَالتَّوَجُّهَ إِلَى اللَّهِ بِالقَلْبِ عَلَى طَرِيقِهَا، انْتَهَتْ بِهِ إِلَى مَحَبَّةِ الصِّفَاتِ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا حِينَئِذٍ، وَهِيَ أَعْلَى مِنْهَا، وَصَاحِبُ مَحَبَّةِ الصِّفَاتِ إِذَا أَدَامَ[5] التَّوَجُّهَ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَقَامَ سَيْرُهُ وَسُلُوكُهُ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى مَحَبَّةِ الذَّاتِ، وَهِيَ أَعْلَى، وَهِيَ الغَايَةُ القُصْوَى.

وَمَتَى وَصَلَ إِلَى مَحَبَّةِ الذَّاتِ، أَعْنِي أَنَّهُ يَشُمُّ رَائِحَةً مِنْهَا فَقَطْ انْتَقَلَ إِلَى الفَنَاءِ، مَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَةٍ، فَيَكُونُ أَمْرُهُ أَوَّلاً ذُهُولاً عَنِ الأَكْوَانِ، ثُمَّ سُكْراً، ثُمَّ غَيْبَةً وَفَنَاءً، مَعَ شُعُورِهِ بِالفَنَاءِ، ثُمَّ إِلَى فَنَاءِ الفَنَاءِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يُحِسَّ بِشَيْءٍ شُعُوراً وَتَهَمُّماً[6] وَحِسّاً وَاعْتِبَاراً، وَغَابَ عَقْلُهُ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: دام

[3]- ل: إذا أدام التوجه إلى الله تعالى بها

[4]- ح: دام

[5]- ح: دام

[6]- ل: واهتماما

وَوَهْمُهُ، وَانْسَحَقَ عَدَدُهُ وَكَمُّهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الحَقُّ بِالحَقِّ لِلحَقِّ فِي الحَقِّ، وَهُوَ مَقَامُ الفَتْحِ وَالبِدَايَةِ، يَعْنِي بِدَايَةَ المَعْرِفَةِ، وَصَاحِبُهُ إِذَا أَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ يَأْخُذُ فِي التَّرَقِّي وَالصُّعُودِ فِي المَقَامَاتِ إِلَى أَبَدِ الأَبَدِ بِلَا نِهَايَةٍ[1]. انْتَهَى.

تَنْبِيهٌ وَبَيَانٌ فِي الإِسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّ الكُفَّارَ مَحْبُوبُونَ وَمَرْحُومُونَ كَمَا سَبَقَ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ. الآيَةُ. إِلَى أَنْ قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي هَذِهِ المَحَبَّةِ جَمِيعُ العَوَالِمِ حَتَّى الكُفَّارِ فَإِنَّهُمْ مَحْبُوبُونَ عِنْدَهُ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ فِي حَقِّهِمْ، ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مُسْتَدِلّاً عَلَى قَوْلِهِ: الطَّهَارَةُ طَهَارَتَانِ: طَهَارَةٌ أَصْلِيَّةٌ، وَطَهَارَةٌ عَرَضِيَّةٌ، فَالطَّهَارَةُ الأَصْلِيَّةُ هِيَ فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، مَنْزَعُهَا وَمَحْتِدُهَا[2] مِنْ سِرِّ اسْمِهِ القُدُّوسِ، فَإِنَّ اسْمَهُ القُدُّوسَ مُتَجَلٍّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُودِ، وَالقُدُّوسُ هُوَ الطَّاهِرُ الكَامِلُ مِنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، يَقُولُ فِي الأَسْمَاءِ الإِدْرِيسِيَةِ: يَا قُدُّوسُ الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فَلَا شَيْءَ يُعَازِهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِلُطْفِهِ، فَمَا فِي الوُجُودِ إِلَّا طَاهِرٌ كَامِلٌ لِتَجَلِّي[3] اسْمِهِ القُدُّوسِ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ، فَكُلُّ مَا خَلَقَهُ تَجَلَّى فِيهِ بِاسْمِهِ القُدُّوسِ.

فَلَوْ وَقَعَ التَّنْجِيسُ فِي ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُودِ لَوَقَعَ النَّقْصُ فِي صِفَاتِهِ الكَامِلَةِ، وَهِيَ[4] القُدْسُ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَبِهِ يُلْزَمُ تَعْطِيلُ الأُلُوهِيَةِ، وَالأُلُوهِيَةُ شَامِلَةٌ لِكُلِّ ذَرَّةٍ، لِأَنَّ الأُلُوهِيَةَ هِيَ المَرْتَبَةُ الجَامِعَةُ المُحِيطَةُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، فَمَا فِي الوُجُودِ[5] إِلَّا دَاخِلٌ تَحْتَ الأُلُوهِيَةِ بِالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالسُّجُودِ، فَلَوْ تَنَجَّسَتْ ذَرَّةٌ مَا صَحَّ لَهَا أَنْ تَتَوَجَّهَ لِعِبَادَتِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ وَتَسْبِيحِهِ، فَالطَّهَارَةُ شَامِلَةٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ حِيطَةُ الأُلُوهِيَةِ وَتَجَلِّي اسْمِهِ القُدُّوسِ عَلَى جَمِيعِهَا، فَهَذِهِ هِيَ الطَّهَارَةُ الأَصْلِيَّةُ.

---

[1] - ل: بلا نهاية والسلام

[2] - أ ك ع ح هـ ق ص م: ومجتدها، وأثبتنا في هذا النص لفظ (محتدها) وفقا لنسخة س (سكيرج)

[3] - ل: بتجلي

[4] - ل: وهو

[5] - ل: الموجودات

وَمَعْنَى تَجَلِّي اسْمِهِ القُدُّوسِ عَلَى جَمِيعِهَا فَسَيَطْلُبُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَكَيْفِيَّةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا قَامَ الوُجُودُ كُلُّهُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ فَمَا فِي الوُجُودِ ذَرَّةٌ فَمَا فَوْقَهَا مِمَّا دَقَّ أَوْ جَلَّ فَرْداً فَرْداً إِلَّا انْبَسَطَ عَلَيْهَا نُورُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْلَا ظُهُورُ ذَلِكَ النُّورِ عَلَيْهَا وَانْبِسَاطُهُ عَلَيْهَا لَمَا ظَهَرَتْ لِلْوُجُودِ، وَلَبَقِيَتْ فِي طَيِّ العَدَمِ، فَلَا يَشْتَرِكُ مَوْجُودَانِ فِي إِسْمٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَكُونُ لِذَرَّةٍ مِنْهَا إِسْمَانِ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ.

فَانْبِسَاطُ أَنْوَارِ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ ظَهَرَ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُودِ، عَظِيمِهَا وَحَقِيرِهَا، فَمَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا ظُهُورُ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ بِأَنْوَارِهَا، وَبِوَاسِطَةِ ذَلِكَ النُّورِ ظَهَرَتِ المَوْجُودَاتُ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَعَرَفْتَ أَنَّ الوُجُودَ قَامَ كُلُّهُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ هِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ حِيطَةِ الأُلُوهِيَةِ، وَكُلُّ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ تَجَلَّى عَلَيْهَا بِاسْمِهِ القُدُّوسِ، فَإِنَّ القُدُّوسَ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّاتِ، فَالقُدُّوسُ تَتَّصِفُ بِهِ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ، فَالحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُدُّوسٌ فِي ذَاتِهِ، قُدُّوسٌ فِي صِفَاتِهِ، قُدُّوسٌ فِي أَسْمَائِهِ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ أَعْيَانُ الأَسْمَاءِ، وَسِرُّ اسْمِ القُدُّوسِ مُتَجَلٍّ عَلَيْهَا، فَهَذَا مَعْنَى تَجَلِّي اسْمِهِ القُدُّوسِ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ، وَهِيَ الطَّهَارَةُ الأَصْلِيَةُ الَّتِي قُلْنَا، وَهَذَا الكَلَامُ مِنْ عُلُومِ العَارِفِينَ لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِأَهْلِ الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا الطَّهَارَةُ العَرَضِيَّةُ هِيَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَرْعِهِ، وَهِيَ **قَوْلُهُ:** إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ مِن اتِّقَاءِ الأَشْيَاءِ المُتَنَجِّسَةِ[1]، يَعْنِي المَحْكُومَ بِنَجَاسَتِهَا شَرْعاً لَا أَصْلاً عِنْدَ العِبَادَةِ، فَإِنَّ نَجَاسَتَهَا عَارِضَةٌ لَيْسَتْ ذَاتِيَةً، لِأَنَّهَا بَاقِيَةٌ بِبَقَاءِ الشَّرْعِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى الأَمْرِ وَالنَّهْيِّ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ وَزَالَ حُكْمُ الشَّرْعِ انْتَقَلَتِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا لِلطَّهَارَةِ الأَصْلِيَّةِ، فَالشَّرْعُ عَارِضٌ بَقَاؤُهُ بِبَقَاءِ هَذِهِ الدَّارِ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ زَالَ الشَّرْعُ، وَانْتَقَلَتِ الأَشْيَاءُ إِلَى أَصْلِهَا، فَلَمْ يَبْقَ تَكْلِيفٌ، وَأَمَّا مَنْ حُقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ مِنَ الكَفَرَةِ فَإِنَّمَا هُوَ عَرَضٌ فِيهِمْ، وَالأَصْلُ الرَّحْمَةُ وَالمَحَبَّةُ، فَهُمْ مَحْبُوبُونَ مَرْحُومُونَ، وَإِنْ وَقَعَ

---

[1]- ح: المنتجسة

فِيهِمْ مَا وَقَعَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)**[1]، وَقَالَ: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[2].

فَإِنَّ الكَفَرَةَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ صِفَةُ الإِرَادَةِ وَالكَلِمَةِ العَظِيمَةِ مِنَ الحَقِّ، وَهِيَ كُنْ، فَمَا وَقَعَتْ إِلَّا عَلَى مَحْبُوبٍ مُرَادٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَهُمْ سَعَةُ الرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهِمْ مَا وَقَعَ فَإِنَّمَا تِلْكَ أَحْكَامُ حِيطَةِ أُلُوهِيَتِهِ، فَمَا فِي الخَلْقِ كُلِّهِمْ مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ وَرَاحَةٍ وَبَلَاءٍ وَرَحْمَةٍ وَانْتِقَامٍ، كُلّهَا أَحْكَامُ الأُلُوهِيَةِ المُحِيطَةِ، فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا شَيْءٌ، فَالأَصْلُ حِينَئِذٍ الرَّحْمَةُ وَالمَحَبَّةُ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ.

وَعَلَى هَذَا الحَدِّ يَتَنَزَّلُ[3] قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ)**[4]، شَمِلَتْ المُومِنَ وَالكَافِرَ، لِأَنَّهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)**[5]، وَهِيَ شَامِلَةٌ لِلمُومِنِ وَالكَافِرِ، فَهَذَا هُوَ الأَصْلُ، وَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كَمَالُهُ: **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)**[6]، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيئَةِ)**[7]، فَإِنَّمَا هَذِهِ[8] أَحْكَامُ الأُلُوهِيَةِ[9] طَرَأَتْ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ عَارِضَةٌ، وَالأَصْلُ الأَوَّلُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَابَعِ الوُجُودِ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 156

[2] - سورة النحل، الآية 40

[3] - ل: ينزل

[4] - سورة البقرة، الآية 143

[5] - سورة الإسراء، الآية 70

[6] - سورة الأنفال، الآية 55

[7] - سورة البينة، الآية 6

[8] - ل: فإنما هي

[9] - ل: ألوهيته

وَهَذَا الإِخْتِيَارُ يَشْمَلُ مِنْ بَنِي آدَمَ مُومِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ، وَهِيَ المَحَبَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَالتَّكْرِيمُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الآيَةِ هُوَ الأَصْلُ، وَمَا طَرَأَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ عَوَارِضٌ سَتَزُولُ، وَيَكُونُ الرُّجُوعُ إِلَى الأَصْلِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[1].

وَمِمَّا يُنَاسِبُ مَا تَقَدَّمَ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ شَرْحُ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)**[2]. قَالَ سَيِّدُنَا[3] : الخَلْقُ فِي الآخِرَةِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: الصِّنْفُ الأَوَّلُ: سَهْمُ الرِّضَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَهُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالأَقْطَابُ وَالنَّبِيئُونَ وَالمُرْسَلُونَ، وَصِنْفٌ وَهُمْ[4] سَهْمُ الرَّحْمَةِ، وَفِي هَذَا عُمُومُ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَصِنْفٌ وَهُمْ أَهْلُ العَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ، وَهُمْ عُصَاةُ المُومِنِينَ، وَمَعْنَى الرِّضَا مِنَ اللَّهِ هُوَ إِرَادَتُهُ بِالعَبْدِ غَايَةَ التَّرْفِيعِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَالرَّحْمَةُ هِيَ التَّقَلُّبُ فِي أَطْوَارِ الشَّهَوَاتِ وَالمَلَاذِّ المَطْلُوبَاتِ وَالنِّعَمِ المُتَوَاتِرَاتِ، وَأَهْلُ العَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ يَعْفُ عَنْهُمْ وَيَغْفِرُ أَوْزَارَهُمْ.

وَأَمَّا رِضَا العَبْدِ عَنِ اللَّهِ بِالثُّبُوتِ لِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ البَلَايَا وَالمِحَنِ، وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِبَعْضِ الصِّدِّيقِينَ، وَمَعْنَى الصِّدِّيقِ هُوَ كَمَالُ صَحْوِهِ مِنْ غَرْقِ المُشَاهَدَةِ، حَتَّى يَصِيرَ كَحَالَةِ العَامَّةِ، مَنْ يَرَاهُ يَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَيْئاً، وَيُعْطِي المَرَاتِبَ حَقَّهَا مِنَ الحَقِّيَّةِ وَالخَلْقِيَّةِ، قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ لِابْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهْوَ مِنْ أَكَابِرِ التَّابِعِينَ، صَحِبَ كَثِيراً مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ لَهُ: كَيْفَ كَانَتِ الصَّحَابَةُ؟ قَالَ: كَالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْشَدَ بَيْتاً:

يُحِبُّ الخَمْرَ مِنْ كَأْسِ النَّدَامَى * وَيَكْرَهُ أَنْ تُفَارِقَهُ الفُلُوسُ

1- ح: (من حفظه ولفظه) ساقطة

2- سورة المائدة، الآية 119

3- ل: قال سيدنا رضي الله عنه

4- ح: هم

وَأَمَّا الصِّنْفُ الرَّابِعُ وَهُمُ الأَعْلَوْنَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾**[1]، وَهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَهْلِ الرِّضَا (المَخْصُوصِينَ بِمَحَبَّةِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ)[2]، وَمَا ذُكِرَ قَبْلُ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالأَقْطَابِ وَالنَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ فِيهِ تَسَامُحٌ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ المَحَبَّةِ الذَّاتِيَةِ، فَالنَّاسُ حِينَئِذٍ مُذْنِبُونَ، وَمُوفُونَ بِعُهُودِ اللَّهِ، وَخَاصَّةٌ، وَخَاصَّةُ الخَاصَّةِ، فَالمُذْنِبُونَ مَعْلُومُونَ، وَالمُوفُونَ بِعُهُودِ اللَّهِ هُمْ طَوَائِفُ المُومِنِينَ مِمَّنْ[3] حَفِظَ العُهُودَ وَرَعَى الحُدُودَ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ حِجَابٍ، فَالمُذْنِبُونَ سَهْمُ العَفْوِ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ سَهْمُ الرَّحْمَةِ،

وَالخَاصَّةُ هُمُ الَّذِينَ انْكَشَفَتْ لَهُمْ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ سُبُحَاتِ الجَلَالِ، فَأَذَاقَتْهُمْ لَذَّةُ تِلْكَ المُشَاهَدَةِ أَنْ حَمَلُوا مَا لَا تَطِيقُهُ الجِبَالُ مِنَ البَلَايَا وَالمِحَنِ، فَهُمْ خَاصَّةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الدَّرَجَةِ العُلْيَا، وَالطَّائِفَةُ الرَّابِعَةُ هُمُ الَّذِينَ انْخَرَقَتْ لَهُمْ جَمِيعُ الحُجُبِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَحَبَّةِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ، وَهُمْ خَاصَّةُ الخَاصَّةِ، فَهُمْ أَكْبَرُ رُتْبَةً وَأَعْلَى مَنْزِلَةً مِنَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ شُهُودِ الصِّفَاتِ، هُمْ أَهْلُ الرِّضَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

وَأَمَّا خَاصَّةُ الخَاصَّةِ فَقَدْ قَالَ فِي حَقِّهِمْ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، فَهُمْ أَهْلُ الرُّتْبَةِ العَالِيَةِ، لَا رُتْبَةَ فَوْقَهُمْ، وَفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ[4] الصِّدِّيقُونَ وَالأَقْطَابُ وَالنَّبِيئُونَ وَالمُرْسَلُونَ، لِأَنَّ الصِّدِّيقِيَةَ تَجْمَعُ الجَمِيعَ فَكُلُّ وَلِيٍّ وَنَبِيٍّ وَرَسُولٍ صِدِّيقٌ وَلَا عَكْسَ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَكْبَرُ الرُّسُلِ مَقَاماً، قَالَ فِيهِ: **﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيئًا﴾**[5]، فَالصِّدِّيقِيَةُ جَامِعَةٌ وَلَا عَكْسَ، وَأَمَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ لِهَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ فَهِيَ[6] إِرَادَتُهُ بِهِمْ غَايَةَ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّرْفِيعِ، وَأَمَّا مَحَبَّتُهُمْ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّمَا يُحِبُّونَ ذَاتَهُ العَلِيَّةَ المُقَدَّسَةَ لَا لِشَيْءٍ، وَهِيَ لَا تُعْقَلُ وَلَا تُكَيَّفُ، وَإِنَّمَا يَعْقِلُهَا مَنْ ذَاقَهَا.

---

[1]- سورة المائدة، الآية 54

[2]- ع: ما بين القوسين محذوف

[3]- أ ع: من. بينما يوجد في النسخ الأخرى لفظ (ممن)

[4]- ل: الرتبة

[5]- سورة مريم، الآية 41

[6]- أ ع: هو. وأثبتنا في النص لفظ هي وفقا للنسخة س (سكيرج)

وَفِي مَعْنَى هَذَا قَالَ المُرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يُظْهِرُهُمْ فِي البِدَايَةِ، وَيَسْتُرُهُمْ فِي النِّهَايَةِ، وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَسْتُرُهُمْ فِي البِدَايَةِ وَيُظْهِرُهُمْ فِي النِّهَايَةِ، وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَسْتُرُهُمْ عَنِ العَامَّةِ وَيُظْهِرُهُمْ لِلخَاصَّةِ، وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً ضَنَّ بِهِمْ عَنِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، فَلَا يُظْهِرُ حَقِيقَةَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَتَّى لِلْحَفَظَةِ فَمَنْ سِوَاهُمْ، حَتَّى يَتَوَفَّى أَرْوَاحَهُمْ بِيَدِهِ، فَهُمْ شُهَدَاءُ المَلَكُوتِ الأَعْلَى، وَهُمْ أَهْلُ الصَفِّ الأَيْمَنِ مِنَ العَرْشِ، فَهَؤُلَاءِ خَاصَّةُ الخَاصَّةِ، جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعاً مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. آمِينَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)**[1]، الآيَةُ. مَعْنَاهُ[2] أَنَّهُ[3] لَا أَحَدَ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: **(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)**[4]. الآيَةُ، وَالوِجْهَةُ هُنَا الَّتِي يُسْلِمُهَا إِلَى اللَّهِ هِيَ[5] تَوَجُّهُ القَلْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالإِدْبَارِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ.

وَالإِحْسَانُ فِيهَا هُوَ مَا قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ فِي تَفْسِيرِ الإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، هَذَا إِحْسَانُ إِسْلَامِ الوِجْهَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَوْلِهِ: **(وَاتَّبَعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً)**[6]، هُوَ مَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمْ، قَالَ: **(أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ)**[7]، يُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ حَيْثُ قَالَ لِقَوْمِهِ:

---

[1]- سورة النساء، الآية 125

[2]- ل: فأجاب بما نصه قال اعلم أنه

[3]- ك: (أنه) ساقطة

[4]- سورة لقمان، الآية 22

[5]- ك: هو

[6]- سورة النساء، الآية 125

[7]- سورة البقرة، الآية 131

لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[1]، الآيَةُ. وَأَمَرَتْ هَذِهِ الآيَةُ كُلُّهَا بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا أُمِرَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَمِلَّتُهُ هُوَ مَا ذُكِرَ قَبْلُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[2]، الآيَةُ.

وَهَذَا الأَمْرُ بِاتِّبَاعِهِ إِنَّمَا هُوَ تَشْرِيفٌ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَقَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُضُوعَ وَالتَّذَلُّلَ لِعَظَمَةِ تَجَلِّيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِالغَيْظِ عَلَى أَحَدٍ قَطُّ لِعَظَمَةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّجَلِّي لِعَظَمَةِ تَجَلِّي الحَقِّ عَلَى قَلْبِهِ بِالعَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِعَظَمَةِ التَّجَلِّي عَلَى قَلْبِهِ،

وَقَدْ أُعْطِيَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ كُلُّ وَاحِدٍ أُعْطِيَ نُبْذَةً مِنْ مَقَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ هُوَ الجَامِعُ المُحِيطُ، وَالنَّبِيئُونَ وَالمُرْسَلُونَ كُلُّهُمْ نُقَطٌ مِنْ بَحْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا مُوسَى تَجَرَّأَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلَبِ التَّخْفِيفِ، لِأَنَّهُ[3] كَانَ فِي الوَقْتِ نَظَرُهُ إِلَى الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ، فَلِذَلِكَ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى طَلَبِ التَّخْفِيفِ، وَسَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَيْهِ لِعَظَمَةِ تَجَلِّي الحَقِّ عَلَى قَلْبِهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[4].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[5]، فَأَجَابَ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: **اعْلَمْ** أَنَّ[6] مَعْنَاهُ[7] فِرُّوا إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ، عِبَادَةً وَاسْتِنَاداً وَاعْتِمَاداً وَالْتِجَاءاً وَاخْتِيَاراً لَهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَفِي التَّعْوِيلِ عَلَيْهِ وَالبَرَاءَةِ مِنْ

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 78-79

[2]- سورة الحج، الآية 77

[3]- أ ك ع هـ ص: (لأنه) ساقطة، وهي مثبتة في النسخة س (سكيرج)

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- سورة الذاريات، الآية 50

[6]- ل: (اعلم أن) ساقطة

[7]- ل: قال معناه

جَميعِ غَيْرِهِ مُسَاكَنَةً وَمُلَاحَظَةً وَاعْتِبَاراً، فَهَذَا هُوَ الفِرَارُ إِلَى اللَّهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**[2]. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[3] :

هُوَ خِطَابٌ[4] مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بِسَاطِ الحِكْمَةِ، ثُمَّ خِطَابُهُ فِي بِسَاطِ الحَقِيقَةِ وَالمَشِيئَةِ وَالمَشِيئَةِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّك، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)**[5] ، فَهَذَا هُوَ الوَاقِعُ، لِأَنَّ خِطَابَ المَشِيئَةِ لَا يَتَأَتَّى انْتِفَاؤُهُ، وَأَمَّا خِطَابُ الحِكْمَةِ يُمْكِنُ انْتِفَاؤُهُ فِي بَعْضِ المَوْجُودَاتِ، لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ مَسُوقٌ إِلَى المَشِيئَةِ لَا إِلَى الحِكْمَةِ، وَالحِكْمَةُ سِجَافٌ عَلَى المَشِيئَةِ.

قَالَ صَاحِبُ الحِكَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِلَى المَشِيئَةِ يَسْتَنِدُ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا تَسْتَنِدُ هِيَ لِشَيْءٍ. انْتَهَى. يَعْنِي، لَا يُقَالُ لِمَ شَاءَ اللَّهُ هَذَا وَلَمْ يَعْمَلْ هَذَا، فَلَا عِلَّةَ لِاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكُلُّ الكَوْنِ بِأَسْرِهِ بَارِزٌ عَنِ المَشِيئَةِ، فَمَا شَذَّ مِنْهُ شَيْءٌ قَلَّ أَوْ جَلَّ عَنِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، لِأَنَّ التَّكْوِينَ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ فِي جَمِيعِ المُكَوَّنَاتِ إِنَّمَا بَرَزَ عَنِ الكَلِمَةِ الإِلَهِيَةِ بِقَوْلِهِ لَهُ[6] كُنْ، وَالكَلِمَةُ الإِلَهِيَةُ مَشْرُوطَةٌ بِتَقَدُّمِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، مَا قَالَ لِشَيْءٍ كُنْ إِلَّا بِتَقْدِيمِ مَشِيئَتِهِ عَلَى تَكْوِينِهِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[7]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[8] وَتَعَالَى: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[1]، فَمَا

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة الذاريات، الآية 56

[3]- ل: بما نصه

[4]- ل: اعلم أن هذا الخطاب

[5]- سورة هود، الآية 118-119

[6]- ك: (له) ساقطة

[7]- سورة النحل، الآية 40

[8]- ح: وقوله تعالى

فَمَا تَخَلَّفَتِ المَشِيئَةُ عَنِ الكَلِمَةِ الإِلَهِيَةِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**[2]، وَذَلِكَ خِطَابٌ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ، فَلِذَلِكَ وَقَعَ فِيهِ التَّخَلُّفُ، وَكَفَرَ كَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ بِالرُّسُلِ.

وَلَوْ كَانَتْ طَاعَةُ الخَلْقِ مُقَرَّرَةً فِي المَشِيئَةِ مَا أَمْكَنَ أَنْ يَعْصِيَ الرُّسُلَ أَحَدٌ، وَلَا أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَكْبَرِ رُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)**[3]، فَبَيَّنَ هَذَا أَنَّ هِدَايَةَ جَمِيعِ الخَلْقِ لِلرُّسُلِ لَيْسَتْ مُقَرَّرَةً فِي المَشِيئَةِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي المَشِيئَةِ لَمَا وَقَعَ العِصْيَانُ مِنْ أَحَدٍ لِلرُّسُلِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] : **(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ)**[5]، حِينَ[6] كَفَرُوا وَأَعْرَضُوا، يُرِيدُ وَلَمْ تَصْبِرْ نَفْسُكَ لِهَذَا: **(فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ)**[7]، الآيَةُ.

يُرِيدُ لِكَيْ يَتَّبِعُوكَ وَيُومِنُوا بِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ الوَاقِعَ مِنْهُمْ كَانَ مَشِيئَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى)**[8]، أَبَانَ بِهَذَا أَنَّ كُفْرَهُمْ كَانَ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَصَارَ لَهُ فِي هَذَا الخِطَابِ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ، وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[9]، أَبَانَ بِهَذَا الخِطَابِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ كُفْرَ الكَافِرِ وَضَلَالَ الضَّالِّ وَإِسْلَامَ المُسْلِمِ وَهِدَايَةَ المُهْتَدِي، كُلُّ ذَلِكَ بَارِزٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ الإِلَهِيَةِ،

---

[1]- سورة يس، الآية 82

[2]- سورة النساء، الآية 64

[3]- سورة القصص، الآية 56

[4]- ل: لنبينا عليه الصلاة والسلام

[5]- سورة الأنعام، الآية 35

[6]- ل: أي حين

[7]- سورة الأنعام، الآية 35

[8]- سورة الأنعام، الآية 35

[9]- سورة الأنعام، الآية 39

يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ دَاعِياً وَلَيْسَ لِي مِنَ الهِدَايَةِ شَيْءٌ، وَبُعِثَ إِبْلِيسُ دَاعِياً وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الغِوَايَةِ شَيْءٌ. إهـ.. إِنَّمَا ذَلِكَ صَادِرٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا لِأَحَدٍ، قَالَ ابْنُ العَرِيفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى[1] : لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العِبَادِ نِسَبٌ يَصْطَفِيهِمْ لِأَجْلِهِ، أَوْ يُعْطِيهِمْ لِأَجْلِهِ، لَيْسَ إِلَّا العِنَايَة، وَهِيَ المَشِيئَةُ، وَلَا سَبَبَ إِلَّا الحُكْمُ، وَلَا وَقْتَ إِلَّا الأَزَلُ، وَمَا بَقِيَ فَعَمًى وَتَلْبِيسٌ إهـ..

وَمَعْنَى الأَزَلِ هُوَ الَّذِي فِيهِ وُجُودُ الحَقِّ وَحْدَهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ فِيهِ نِسْبَةٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَفِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَعْطَى مَا أَعْطَى وَفَصَّلَ مَا فَصَّلَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ لِمَجَارِي الأَقْدَارِ، وَتَفْسِيرُ الأَزَلِ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)**[3]، فَأَجَاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[4] : مَعْنَى الإِجْتِبَاءِ[5]، هُوَ جَذْبُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ إِلَى إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِهِ بِحُكْمِ الفَضْلِ وَالجُودِ وَالعِنَايَةِ بِلَا تَقَدُّمِ سَبَبٍ مِنَ العَبْدِ، وَالمُجْتَبَى يُسَمَّى مَحْبُوباً وَمُصْطَفَى وَمُرَاداً وَمُعْتَنَى بِهِ، فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِلْمُجْتَبَى[6]، وَهَذَا الإِجْتِبَاءُ سَبَقَ بِهِ الحُكْمُ الإِلَهِي فِي الأَزَلِ بِلَا عِلَّةٍ وَلَا سَبَبٍ، وَلِذَا قِيلَ كَمْ مِنْ صِدِّيقٍ فِي الغَبَا. وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ فِي العَبَا. وَالغَبَا هُوَ الجَهْلُ وَالضَّلَالُ وَالكُفْرُ وَالمُخَالَفَةُ، فَهَذِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا لَا تَضُرُّهُ[7]، لِأَنَّ العِنَايَةَ كَافِلَةٌ وَشَامِلَةٌ لَهُ، وَفِي هَذَا يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِنْدٍ بِنْتِ

---

[1] - أ ك ع ق: يقول في الله تعالى، واللفظ المتبع في النص من نسخة س (سكيرج)

[2] - ح: ما بين القوسين محذوف

[3] - سورة الشورى، الآية 13

[4] - ل: بما نصه

[5] - ل: قال اعلم أن الإجتباء

[6] - ك: المجتبى - ل: للمجتبي

[7] - ح: تضر

عُتْبَةَ وَكَانَتْ فِي أَعْظَمِ العَدَاوَةِ لِلَّهِ[1] وَرَسُولِهِ، وَأَكَلَتْ كَبِدَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَيْظاً وَحِقْداً، قَالَ: لَا تَجْتَمِعُ كَبِدُ حَمْزَةَ وَالنَّارُ فِي جَوْفِهَا أَبَداً، أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهَا سَعِيدَةٌ بِأَرْيَاحِ العِنَايَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلَمْ يَضُرَّهَا مَا فَعَلَتْ، وَالعَبَا هِيَ العِبَادَةُ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَمْ فِيهَا لِلَّهِ مِنْ عَدُوٍّ، يَعْنِي فِي الغَيْبِ أَنَّهُ يَمُوتُ كَافِراً[2].

وَكَذَلِكَ مَا وَقَعَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ حِينَ كَانَ قَاصِداً قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَمِنْ شَيَاطِينِهِمْ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى البَابِ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ، اغْتَاظَ وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ دَعْنِي أَقْتُلُهُ، فَإِنَّهُ مَا جَاءَ لِخَيْرٍ، وَهُوَ الَّذِي حَزَرَنَا لِلقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ لَهُ: جِئْتُكُمْ لِتُحْسِنُوا إِلَيَّ فِي هَذَا الأَسِيرِ، وَكَانَ ابْنُهُ أَسِيراً،

فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ جَلَسْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الحِجْرِ، وَلَيْسَ مَعَكُمَا غَيْرُكُمَا، وَذَكَرَ لَهُ جَمِيعَ مَا تَحَدَّثَا بِهِ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ: وَجِئْتَ لِتَقْتُلَنِي، فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ: لَوْ كَانَ مَعَنَا ثَالِثٌ لَقُلْتُ أَخْبَرَكَ بِذَلِكَ، وَأَنَا الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ خَبَرَكَ حَقٌّ، فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَصَارَ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ حَتَّى أَسْلَمَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ دَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَانْظُرْ هَذَا الإِجْتِبَاءَ الَّذِي اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَمَا أَثَّرَ فِيهِ عِظَمُ ذَنْبِهِ، وَلَا مَا اقْتَرَفَهُ مِنْ حَوْبِهِ، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي، وَأُلْبِسَ[3] حُلَّةَ القُرْبِ، وَصَارَ عَبْداً خَالِصاً لِلَّهِ تَعَالَى، قَوْلُهُ تَعَالَى مَنْ يَشَاءُ، أَيْ بِلَا سَبَبٍ وَلَا عِلَّةٍ، بَلْ بِمَحْضِ الفَضْلِ وَالجُودِ[4]، قَوْلُهُ تَعَالَى: وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ، أَيْ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصِدْقِ تَقْوَاهُ وَمُعَامَلَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى

1- ل: لله تعالى

2- ل: كافرا والعياذ بالله تعالى

3- ك: ولبس

4- ل: والجود والكرم

بِالصَّفَاءِ هَدَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِهِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا الإِجْتِبَاءَ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)**[1]، وَفِي حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)**[2]، وَفِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ حِينَ ذَكَرَهُمْ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ بِقَوْلِهِ: **(وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[3]، فَسَلَكُوا[4] الطَّرِيقَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الإِجْتِبَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا ذُكِرَ فِي الآيَةِ مِنَ الإِجْتِبَاءِ وَالإِنَابَةِ فِي الطَّائِفَةِ الأُولَى: هُمْ أَهْلُ الإِنَابَةِ، وَصَاحِبُهَا يُسَمَّى مُرِيداً وَمُحِبّاً وَمُخْلِصاً وَسَائِراً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَزَائِهِمْ أَنَّهُ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ جَزَاءً لِتَقَدُّمِ تَقْوَاهُمْ، وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: أَخْبَرَ أَنَّهُ اجْتَبَاهُمْ بِمَحْضِ المَشِيئَةِ بِلَا تَقَدُّمِ سَبَبٍ، وَصَاحِبُهَا يُسَمَّى مُصْطَفَى وَمُجْتَبَى وَمُخْلَصاً، بِفَتْحِ اللَّامِ، وَمُقَرَّباً وَمَحْبُوباً وَمُرَاداً وَمُعْتَنَى بِهِ.

وَفِي هَذَا يَقُولُ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ فِي سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ بِهِ الإِرْتِحَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالعُرُوجَ إِلَيْهِ أَمَرَهُ بِصِيَامِ ثَلَاثِينَ يَوْماً مُتَّصِلَةً لَيْلاً وَنَهَاراً، فَلَمَّا كَمُلَتْ ثَلَاثُونَ[5]، أَنْكَرَ خُلُوفَ فَمِهِ فَتَسَوَّكَ بِعُودِ خَرْنُوبٍ طَلَباً لِزَوَالِ مَا أَنْكَرَهُ مِنْ فَمِهِ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى[6] عَلَى ذَلِكَ السِّوَاكِ، وَأَمَرَهُ بِزِيَادَةِ عَشْرٍ لِتَكْمُلَ[7] أَرْبَعُونَ لَيْلَةً.

وَأَمَّا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ لَمْ يَأْمُرْهُ بِعَمَلِ شَيْءٍ، إِلَّا المَلَكُ نَزَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: قُمْ، فَعَرَجَ بِهِ، فَكَانَ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقَامُهُ مَقَامَ المُرِيدِ المُحِبِّ،

---

[1]- سورة طه، الآية 122

[2]- سورة القلم، الآية 50

[3]- سورة الأنعام، الآية 87

[4]- ل: سلكوا

[5]- ل: ثلاثون يوما

[6]- ح: (تعالى) ساقطة

[7]- ل: لتكميل

فَأُمِرَ بِتَقَدُّمِ السَّبَبِ مِنْهُ، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامُهُ مَقَامُ المُرَادِ المُخْلَصِ المُجْتَبَى، فَمَا أَمَرَهُ بِتَقَدُّمِ شَيْءٍ، فَاجْتَبَاهُ بِلَا سَبَبٍ، وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ بِلَا عِلَّةٍ، بَلْ بِمَحْضِ[1] الفَضْلِ وَالجُودِ وَالكَرَمِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[2].

لَطِيفَةٌ: قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ إِلَّا سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالبَاقِي مِنَ الوُجُودِ كُلِّهِ مَخْلُوقٌ مِنْ أَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعَلَّلٌ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَقَ شَيْئاً مِنَ العَوَالِمِ، فَبَانَ لَكَ أَنَّ الوُجُودَ كُلَّهُ مَخْلُوقٌ لِأَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[3].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ**)[4]. الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ **اعْلَمْ**[5] أَنَّ سَيِّدَنَا هُوداً عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيدُ بِهَذَا أَنَّكُمْ وَإِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ، وَمَكَرْتُمْ مَا عَسَى أَنْ تَمْكُرُوا، وَتَوَجَّهْتُمْ بِقُوَّةِ هِمَمِكُمْ إِلَى أَيِّ أَمْرٍ تُرِيدُونَهُ، قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً، جَلِيلاً أَوْ حَقِيراً، لَمْ تَخْرُجُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَنْ قَبْضَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَنْ تَفْعَلُوا إِلَّا مَا سَبَقَ فِي مَشِيئَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، وَلَنْ تَجِدُوا إِلَى سِوَى ذَلِكَ حَوْلاً وَلَا قُوَّةً، وَلَا فِيكُمْ حَرَكَةٌ وَلَا خُطُورُ خَاطِرٍ وَلَا تَوَجُّهُ عَزْمٍ إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَمَصْدَرُ[6] ذَلِكَ كُلِّهِ عَنْ حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ، لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى مَا خَرَجَ عَنْ هَذَا المَيْدَانِ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الهَبَاءِ فِي الهَوَاءِ، تُصَرِّفُكُمْ رِيَاحُ الأَقْدَارِ الإِلَهِيَةِ، وَحَيْثُ كَانَ أَمْرُكُمْ هَكَذَا فَإِنِّي رَجَعْتُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَالثُّبُوتِ لِمَجَارِي أَحْكَامِهِ عَلَيَّ، غَيْرَ

---

[1]- ح: محض

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة هود، الآية 55

[5]- ل: قال اعلم

[6]- ح: مصدر

مُلْتَفِتٍ إِلَيْكُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا تُخَوِّفُونَنِي بِهِ، أَوْ فِيمَا تَسْعَوْنَ فِيهِ مِنْ هَلَاكِي، فَإِنِّي مُتَحَقِّقٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى[1] إِذَا سَلَّطَكُمْ عَلَيَّ نَفَّذَ حُكْمَهُ بِكُمْ فِيمَا أَرَادَهُ عَلَيَّ، وَلَا حِيلَةَ لِي وَلَا لَكُمْ فِي صَرْفِ ذَلِكَ، وَمَا[2] لَمْ يَنْفُذْ بِهِ حُكْمُهُ فِيَّ مِمَّا يُجْرِيهِ عَلَى أَيْدِيكُمْ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي فِي هَذَا الحَدِّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَجْرِي الأُمُورُ كُلُّهَا عَلَى طِبْقِ مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنْ أَفْعَالِ المُخْتَارِينَ وَأَفْعَالِ الجَمَادَاتِ الَّذِينَ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَوٍ عِنْدَهُ، لَا يَنْفَلِتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ عَنْ حُكْمِهِ وَطِبْقِ مَشِيئَتِهِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَحَكَمَ بِهِ فِي مَشِيئَتِهِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمَحْضُ العَدَمِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[3].

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ)**[4]، الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[5] : مَعْنَاهُ[6] يُحْتَمَلُ مَا دَامَتْ سَمَاوَاتُ الآخِرَةِ وَأَرْضُهَا، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى إِلَى الأَبَدِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هِيَ صِيغَةٌ تَسْتَعْمِلُهَا العَرَبُ إِذَا أَرَادَتِ الدَّوَامَ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ، قَالُوا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، **وَقَوْلُهُ:** إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، فَمَعْنَى الإِسْتِثْنَاءِ فِي الآيَتَيْنِ، هُمْ عُصَاةُ المُومِنِينَ الَّذِينَ يَنْفُذُ فِيهِمْ الوَعِيدُ، فَإِنَّ لَهُمْ حَظّاً مِنَ الشَّقَاوَةِ لِكَثْرَةِ جَرَائِمِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، يَدْخُلُونَ النَّارَ مَعَ الكُفَّارِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِإِيمَانِهِمْ، فَهُوَ مَحَطُّ الإِسْتِثْنَاءِ فِي أَهْلِ النَّارِ، وَلَهُمْ حَظٌّ مِنَ السَّعَادَةِ بِإِيمَانِهِمْ، وَهُوَ مَحَطُّ الإِسْتِثْنَاءِ فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[7].

---

[1]- ك ع: (تعالى) محذوفة

[2]- ع: (وما) محذوفة

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة هود، الآية 106

[5]- ل: بما نصه

[6]- ل: قال معناه

[7]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)**[1]. الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[2] : مَعْنَاهُ[3] يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ هُمْ جَمِيعُ الأُمَّةِ المُكَلَّفُونَ بِأَحْكَامِهِ، وَالقَوْلُ فِي هَذَا أَنَّهُمْ جَمِيعُ الأُمَّةِ، إِذْ ذَلِكَ[4] الَّذِي تَقْتَضِيهِ الأَخْبَارُ فِيمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّهُ جَمِيعُ مَنْ دَخَلَ تَحْتَ دَائِرَةِ الشَّهَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ القَلَمَ لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِالكِتَابَةِ كَتَبَ فِي أُمَمِ الرُّسُلِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، فِي كُلِّ أُمَّةٍ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ: مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ مِنْهُمْ دَخَلَ النَّارَ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الكِتَابَةِ فِي أُمَمِ الرُّسُلِ كُلِّهَا، وَلَمَّا كَتَبَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فِيهِمْ كَمَا كَتَبَ فِي الأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: تَأَدَّبْ يَا قَلَمُ، فَارْتَعَدَ القَلَمُ مِنْ هَيْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ: رَبِّ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، هَكَذَا كَتَبَ فِي الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ.

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ نَبِيءٍ إِلَّا أُعْطِيَ دَعْوَةً مُعَجَّلَةً، يُرِيدُ يُعَجِّلُهَا فِيمَا يَشَاءُ، وَأَنَا اخْتَبَأْتُ[5] دَعْوَتِي شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَمْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً، هَذَا نَصُّ الحَدِيثِ، لَكِنْ لَابُدَّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يُنَفَّذُ فِيهِمُ الوَعِيدُ. الإِحْتِمَالُ الثَّانِي فِي الآيَةِ أَنَّهُمْ حَمَلَةُ القُرْآنِ فَقَطْ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ)**[6]، الآيَةُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُمْ مُصْطَفُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ظَالِمُهُمْ ظَالِمُهُمْ وَمُقْتَصِدُهُمْ وَسَابِقُهُمْ، كُلُّهُمْ عَمَّتْهُمُ الصَّفْوَةُ الإِلَهِيَّةُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَعْدِهِمْ: **(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا)**[7] إلخ.. الآيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ**

---

[1]- سورة فاطر، الآية 32

[2]- ل: بما نصه

[3]- ل: قال معناه

[4]- ل: إذ ذاك

[5]- ح: أخبأت

[6]- سورة الأعراف، الآية 169

[7]- سورة الرعد، الآية 23

لِلنَّاسِ)[1]، الآيَةُ، يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِمْ هُمُ الصَّحَابَةُ فَقَطْ، لِاسْتِكْمَالِهِمْ هَذَا المَطْلَبَ العَظِيمَ مِنَ الآيَةِ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ هُمْ جَمِيعُ الأُمَّةِ، وَالكُلُّ صَحِيحٌ، فَإِنَّ الأُمَّةَ لَا تَخْلُوا مِمَّنْ هَذَا وَصْفُهُ إِلَى الأَبَدِ. انْتَهَى(مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)**[3]، فِي حَقِّ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى)**[4]، الآيَةُ. وَعَنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ)**[5]، الآيَةُ. **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِمَا نَصُّهُ قَالَ: اعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَلِيقُ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْحَثَ فِيهَا، لِأَنَّ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ سَائِرَةٌ مَعَ الذَّوْقِ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِمْ ذَلِكَ، فَلَا يَبْحَثُ فِي أَحْوَالِهِمْ إِلَّا مَنْ ذَاقَ مَذَاقَهُمْ، وَهَذَا البَابُ مَمْنُوعٌ عَنْ كَافَّةِ الخَلْقِ مَسْدُودٌ، فَلَيْسَ إِلَّا التَّسْلِيمُ لَهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ،

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: **(أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)**[6] لَمَّزَ[7] بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ بَعْضُ رَغْبَةٍ فِي الدُّنْيَا، تَحَيَّلَ[8] تَحَيَّلَ[8] عَلَى الكُرْسِيِّ أَنْ يَأْخُذَهُ فِي زَمَنِ كُفْرِهِمْ لِيَكُونَ حَلَالاً لَهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ، لِأَنَّهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا حَرُمَ عَلَيْهِ أَخْذُهُ، وَهَذَا التَّرَامِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَرَامٌ مُسْتَحِيلٌ لَا يَحِلُّ وَلَا يَتَأَتَّى، وَلَا يَبْحَثُ هَذَا البَحْثَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ مَذَاقَهُمْ، وَمَذَاقُهُمْ مَمْنُوعٌ عَنْ كَافَّةِ الخَلْقِ كَمَا قَدَّمْنَا[9]، فَلَا

1- سورة آل عمران، الآية 110
2- ح: ما بين القوسين محذوف
3- سورة البقرة، الآية 260
4- سورة مريم، الآية 7
5- سورة يوسف، الآية 55
6- سورة النمل، الآية 38
7- ل: ظن
8- ل: فتحيل
9- ح: قدمناه

يَسُوغُ الكَلَامُ فِي جَانِبِهِمْ بِشَيْءٍ، فَلَمْ يبْقَ إِلَّا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ، وَكَذَلِكَ مَا قَالُوا فِي حَقِّ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ: (**إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**)[1]، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ السَّرِقَةَ بِقَوْلِهِ حِينَ سَرَقُوهُ مِنْ أَبِيهِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**)[3]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: الخَلْقُ[4] هَا هُنَا مَا ظَهَرَتْ بِهِ[5] عَيْنُ ذَاتِ الوُجُودِ، وَهِيَ الصُّورَةُ المَرْئِيَّةُ الحِمَارِيَّةُ فِي الحِمَارِ، وَالآدَمِيَّةُ فِي الآدَمِيِّ، وَالجَمَلِيَّةُ فِي الجَمَلِ، وَالشَّجَرِيَّةُ فِي الشَّجَرِ، وَالجَمَادِيَّةُ فِي الجَمَادَاتِ، وَالحَيَوَانِيَّةُ فِي الحَيَوَانَاتِ، وَسِرْ مَعَ تَفَاصِيلِ الوُجُودِ ذَرَّةً ذَرَّةً، هَذَا مَعْنَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، المُرَادُ بِالهِدَايَةِ هُنَا الهِدَايَةُ العَامَّةُ، وَهِيَ تَعُمُّ الحَيَوَانَاتِ وَالجَمَادَاتِ وَالمُومِنَ وَالكَافِرَ،

وَهِيَ السَّيْرُ فِي[6] المِسْبَارِ[7] الَّذِي أَقَامَهُ الحَقُّ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ آخِذٌ بِجَمِيعِ بِجَمِيعِ نَوَاصِي المَوْجُودَاتِ، يَقُودُهَا لِمَا يُرِيدُهُ إِطْلَاقاً وَعُمُوماً، لَا[8] يَشِذُّ وُجُودٌ[9] عَنْ هَذَا المِسْبَارِ[10] لِقَوْلِ المَعْصُومِ سَيِّدِنَا هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ**

---

[1]- سورة يوسف، الآية 70

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- سورة طه، الآية 50

[4]- ل: اعلم أن الخلق

[5]- ل: فيه

[6]- ل: في هذا

[7]- ل: المسيار

[8]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: ما

[9]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: وجود ـ م: وجودا. واللفظ المتبع في النص هو لفظ النسخة س (سكيرج) (سكيرج)

[10]- ل: المسيار

رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]، فِي هَذَا المَيْدَانِ لَا يَشِذُّ عَنْ هَذَا المِسْبَارِ[2] شَيْءٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ، وَكُلَّ مَا فِي الوُجُودِ دَابٌّ جَامِدُهُ وَمُتَحَرِّكُهُ، فَالجَمَادَاتُ أَلْبَسَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْوَاحَ الحَيَاةِ بِهَا تُسَبِّحُ اللَّهَ وَتُقَدِّسُهُ، وَبِهَا تَخِرُّ سَاجِدَةً لِلَّهِ تَعَالَى لِعُمُومِ الآيَةِ، **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ)**[3]، الآيَةُ.

وَبِأَرْوَاحِ هَذِهِ الحَيَاةِ فِيهَا صَارَتْ عَارِفَةً بِاللَّهِ، لِأَنَّهَا لَا تَسْجُدُ وَلَا تُسَبِّحُ إِلَّا لِكَوْنِهَا عَارِفَةً بِاللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا أَنَّ مَعْرِفَتَهَا[4] وَسُجُودَهَا وَتَسْبِيحَهَا لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا نُدْرِكُهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)**[5]، وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[6]، سَيْرُهُ فِي هَذِهِ الجَادَّةِ لَا يَخْتَلُّ نِظَامُهُ، وَلَا يَقْدِرُ شَيْءٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ أَنْ يَسْتَعْصِيَ عَنْ أَمْرِهِ،

قَالَ الشَّاذِلِيُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الكَافِرَ وَإِنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ إِيمَانِكَ فَقَدْ أَجَابَ دَاعِيَ سُلْطَانِكَ، فَالكُلُّ مُمْتَثِلُونَ لِأَمْرِكَ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(ايتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**[7]، لَا يُسْتَعْصَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي المَوْجُودَاتِ، قَوْلُه تَعَالَى: **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)**[8]، فَكُلُّ مَوْجُودٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ الكَافِرِ، فَإِنَّهُ لَا يُسَبِّحُهُ لَكِنْ أَعْضَاؤُهُ[9] تُسَبِّحُ اللَّهَ مِنْ غَيْرِ شُعُورٍ[10] مِنْهُ. إهـ (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[1].

---

[1]- سورة هود، الآية 56

[2]- ل: المسيار

[3]- سورة الحج، الآية 18

[4]- ل: معرفتها بالله

[5]- سورة الإسراء، الآية 44

[6]- سورة هود، الآية 56

[7]- سورة فصلت، الآية 11

[8]- سورة الإسراء، الآية 44

[9]- ل: لكن أعضاءه

[10]- ل: من حيث لا يشعر

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ)**[2]، الآيَةُ مَعَ حَدِيثِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الأُولَى وَحَوْلَهُ نَسَمُ بَنِيهِ. الحَدِيثُ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ الرُّوحَ الإِنْسَانِيَ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَتَرَاءَى فِي الآنِ الوَاحِدِ فِي أَمْكِنَةٍ شَتَّى، لَا يَصْعُبُ عَلَيْهَا هَذَا القَدْرُ، وَكَوْنُهَا تَحْتَ الأَرْضِ لَا يَصْعُبُ عَلَيْهَا أَنْ تَتَرَاءَى فَوْقَ السَّمَاءِ، هَذَا الجَوَابُ الأَوَّلُ،

وَالجَوَابُ الثَّانِي: إِنَّ فِي أَمْرِ النُّبوءَةِ عَلَى أَرْبَابِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، أَنَّهُ يَتَأَتَّى لَهُ فِي الآنِ الوَاحِدِ أَنْ يَرَى العَالَمَ كُلَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ قَاصِيهِ وَدَانِيهِ، لَا يَصْعُبُ عَلَيْهِمْ هَذَا، فَكَوْنُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ يَرَى نَسَمَ بَنِيهِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَتَبَايُنِ مَرَاتِبِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَمْكِنَتِهِمْ، بِالبُعْدِ وَالقُرْبِ[3]، يَرَاهُمْ كُلَّهُمْ حَذْوَهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، هُوَ[4] مِنْ هَذَا الحَدِّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَالسَّلَامُ. قُلْتُ وَالإِشْكَالُ بَيْنَ الآيَةِ وَالحَدِيثِ هُوَ أَنَّ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ لَا تُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَاهَا عَنْ شِمَالِهِ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ، فَهَذَا هُوَ الإِشْكَالُ الَّذِي أَجَابَ عَنْهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[5].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ فِي أَجْدَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَيْسَ بِمُومِنٍ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ جُهَّالِ بَعْضِ أَهْلِ السِّيَرِ مِنْ جَلْبِهِمْ لِكَثْرَةِ الأَخْبَارِ، صَحِيحَةً أَوْ غَيْرَ صَحِيحَةٍ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ أَجْدَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[6] كُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ مِنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة الأعراف، الآية 40

[3]- ح: بالقرب والبعد

[4]- ح: وهو

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ح: أجداده عليه الصلاة والسلام

إِلَى سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ)**[1]،

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ آزَرَ هُوَ عَمُّهُ، وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ[2] أَصْلِيّاً مَا ذَكَرَ آزَرَ بَعْدَ أَبِيهِ، يَكْفِيهِ الأَبُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا اسْتِغْفَارُهُ لِوَالِدَيْهِ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، بَعْدَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ بِقَوْلِهِ: **(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)**[3]، وَفِي آخِرِ عُمْرِهِ قَالَ: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)**[4]، لَوْ كَانَ أَبَاهُ[5] مَا تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَفِي عَيْنِ التَّحْقِيقِ أَنَّ اللَّهَ قَدَّسَ الأَنْبِيَاءَ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَا أَخْرَجَ نَبِيئاً مِنْ نُطْفَةٍ مُنَجَّسَةٍ بِالكُفْرِ، وَفِي الحَدِيثِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الزَّكِيَّةِ إلخ.. الحَدِيثِ، وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً، لَمْ تَفْتَرِقْ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا، إلخ.. الحَدِيثِ.

وَلَعَلَّ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الخَيْرِيَّةَ فِيهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ بِمَا تَنَالُ النَّاسَ مِنَ الخَيْرِ وَالسَّخَاءِ وَالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَهَذِهِ تُوجَدُ فِي الشَّخْصِ الكَافِرِ بِاللَّهِ تَعَالَى. قُلْنَا: **إِنَّ الخَيْرِيَّةَ فِيهِمْ هِيَ خَيْرِيَّةُ الإِيمَانِ،** إِذْ لَمْ يَكُنْ عَصْرٌ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى عَصْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَتْ فِيهِ الدُّنْيَا يَوْماً وَاحِداً مِنْ ظُهُورِ الأَوْلِيَاءِ فِي الأَرْضِ، يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِمُ البَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَخَيْرِيَّةُ الكَافِرِ عَلَى المُؤْمِنِ مُسْتَحِيلَةٌ شَرْعاً،

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 74

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: أبوه، والذي أثبتناه في النص هو لفظ (أباه) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

[3]- سورة التوبة، الآية 114

[4]- سورة إبراهيم، الآية 41

[5]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: أبوه، والذي أثبتناه في النص هو لفظ (أباه) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

فَدَلَّ خَبَرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ كُلَّ أَبٍ مِنْ آبَائِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ عَصْرِهِ مَا عَدَا النُّبُوءَةِ، فَدَلَّ أَنَّهُمْ[1] مُؤْمِنُونَ بِقَوْلِهِ: بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً لَمْ تَفْتَرِقْ شُعْبَتَانِ، إلخ.. قُلْنَا: وَهَكَذَا جَمِيعُ النَّبِيئِينَ، مَا أَخْرَجَ اللَّهُ نَبِيئاً مِنْ نُطْفَةٍ مُنَجَّسَةٍ بِالكُفْرِ قَطُّ، لِأَنَّ الكَافِرَ نَجَسٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ)**[2]، الآيَةُ. وَقَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)**[3]، الآيَةُ. وَقَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيئَةِ)**[4].

دَلَّ هَذَا أَنَّ الخَيْرِيَّةَ فِي الإِيمَانِ فَقَطْ، وَلَا خَيْرِيَّةَ فِي الكُفْرِ، فَحَصَلَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الأَدِلَّةِ القَطْعُ بِأَنَّ آبَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَأَمَّا مَا ذُكِرَ فِي آزَرَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَجْدَادِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَحَصَلَ لَنَا مِنْ هَذَا البَحْثِ صِحَّةُ القَطْعِ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي صُلْبِ كَافِرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ مِنْ لَدُنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَلَّ أَيْضاً عَلَى أَنَّ كُلَّ أَبٍ مِنْ آبَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ عَصْرِهِ كَمَا قَدَّمْنَا[5]، وَهَذَا خَاصٌّ بِهِ، لِلحَدِيثِ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ مِنْ آدَمَ إِلَى وُجُودِ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَمْ يَكُنْ هَذَا إِلَّا فِي آبَائِهِمْ المُبَاشِرِينَ لَهُمْ، وَإِنَّهُ[6] لَمْ يَكُنْ كَافِراً فِيهِمْ. انْتَهَى.

قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَضْلِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: وَفِي الحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نُورَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَوْدَعَنَا فِي صُلْبِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلْ يُنْقِلُنَا مِنْ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ إِلَى عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَخَرَجْتُ فِي عَبْدِ اللَّهِ وَخَرَجَ فِي أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ اجْتَمَعَ نُورُنَا فِي الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَهُمَا نُورَانِ مِنْ نُورِ رَبِّ العَالَمِينَ، **وَقَالَ**

---

[1]- ل: فدل على أنهم

[2]- سورة التوبة، الآية 28

[3]- سورة الأنفال، الآية 55

[4]- سورة البينة، الآية 6

[5]- ح: قدمناه

[6]- ل: (وإنه) ساقطة

سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَصِلُ شَيْءٌ فِي الوُجُودِ مِنَ العِلْمِ مُطْلَقاً إِلَّا مِنْ صِهْرِيجِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ بَابُ مَدِينَةِ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا مِنَ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ وَلَا الصَّحَابَةِ بِأَجْمَعِهِمْ[1]، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: انْقَسَمَ العِلْمُ كُلُّهُ عَشَرَةَ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ كُلُّهَا لِعَلِيٍّ مَا شَارَكَهُ[2] فِيهَا أَحَدٌ، وَالعُشُرُ كُلُّهُ مَقْسُومٌ بَيْنَ الخَلْقِ، وَكَانَ أَعْلَمَ الخَلْقِ بِالعُشُرِ البَاقِي.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَبِي بَكْرٍ: مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيئِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، الحَدِيثُ. قُلْنَا: إِنَّ الأَفْضَلِيَّةَ فِي الشَّخْصِ لَيْسَتْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ إِلَّا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَعْلَى فِي جَمِيعِ الوُجُوهِ، وَهُوَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فِي كُلِّ أُمَّةٍ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي فَعُمَرُ مِنْهُمْ، فَهَذِهِ الأَفْضَلِيَّةُ لِعُمَرَ، وَالمُحَادَثَةُ مَرْتَبَةٌ عَلِيَّةٌ وَدَرَجَةٌ زُلْفَى، يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهَا[3] مَنْ أَحَبَّهُ مِنَ الصَّفْوَةِ الكُبْرَى، فَعُمَرُ مِنْهُمْ، وَاخْتُصَّ أَبُو بَكْرٍ بِمَرْتَبَةِ الإِيمَانِ وَالسِّرِّ،

وَاخْتُصَّ عَلِيٌّ بِمَرْتَبَةِ العِلْمِ البَاطِنِ الحَقِيقِي، لَا العِلْمِ الظَّاهِرِ المُحْدَثِ بِفَتْحِ الدَّالِ، هُوَ الَّذِي قَيَّدَهُ اللَّهُ فِي حَضْرَتِهِ، فَهُوَ أَبَداً يُحَدِّثُهُ، وَالمُحَدِّثُ بِكَسْرِ الدَّالِ هُوَ الَّذِي يَتَلَقَّى الخِطَابَ عَنِ الحَقِّ فِي حَضْرَتِهِ ثُمَّ إِلَى غَيْرِهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[4].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا)**[5]، الآيَةُ. **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ[6]: مَعْنَى[7] البَحْرَيْنِ بَحْرُ الأُلُوهِيَةِ وَبَحْرُ الوُجُودِ المُطْلَقِ وَبَحْرُ الخَلِيقَةِ، الخَلِيقَةِ، وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ كُنْ، وَهُوَ البَرْزَخُ بَيْنَهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْلَا بَرْزَخِيَّتُهُ

---

[1] - ل: أجمعين

[2] - ك ح ل: شركه

[3] - أ ك ع ي هـ ق ص: (بها) ساقطة، وأثبتناها في النص وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4] - ح: ما بين القوسين محذوف

[5] - سورة الرحمان، الآية 19-20

[6] - ل: بما نصه

[7] - ل: قال معنى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَاحْتَرَقَ بَحْرُ الخَلِيقَةِ كُلُّهُ مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِ الذَّاتِ، **قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بَحْرُ الخَلِيقَةِ بَحْرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَمَا تَرَى ذَرَّةً فِي الكَوْنِ إِلَّا وَعَلَيْهَا إِسْمٌ أَوْ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَبَحْرُ الأُلُوهِيَةِ هُوَ بَحْرُ الذَّاتِ المُطْلَقَةِ الَّتِي لَا تُكَيَّفُ وَلَا تَقَعُ العِبَارَةُ عَنْهَا، يَلْتَقِيَانِ لِشِدَّةِ القُرْبِ الوَاقِعِ بَيْنَهُمَا، قَالَ سُبْحَانَهُ[1] وَتَعَالَى: **(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ)**[2]، وَلَا يَخْتَلِطَانِ، لَا تَخْتَلِطُ الأُلُوهِيَةُ بِالخَلِيقَةِ، وَلَا الخَلِيقَةُ بِالأُلُوهِيَةِ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا لَا يَبْغِي عَلَى الآخَرِ لِلْحَاجِزِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَهِيَ البَرْزَخِيَّةُ العُظْمَى، الَّتِي هِيَ مَقَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالوُجُودُ كُلُّهُ عَائِشٌ بِدَوَامِ بَقَائِهِ تَحْتَ حِجَابِيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْتِتَاراً بِهِ عَنْ سُبُحَاتِ الجَلَالِ الَّتِي لَوْ تَبَدَّتْ بِلَا حِجَابٍ لَاحْتَرَقَ الوُجُودُ كُلُّهُ وَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ فِي أَسْرَعَ[3] مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ[4]، فَالأُلُوهِيَةُ قَائِمَةٌ فِي حُدُودِهَا، وَالخَلِيقَةُ قَائِمَةٌ فِي فِي حُدُودِهَا، كُلٌّ مِنْهُمَا يَلْتَقِيَانِ وَلَا يَخْتَلِطَانِ لِلْبَرْزَخِيَّةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا، لَا يَبْغِيَانِ: أَعْنِي لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[5].

وسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ دَائِرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[6]: هِيَ دَائِرَةُ السَّعَادَةِ الَّتِي وَقَعَ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**[7]. قَالَ البُوصَيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ). البَيْتُ. كُلُّ مَنْ لَمْ يَنْتَصِرْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا حَظَّ لَهُ فِي وِلَايَةِ اللَّهِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَنْ تَرَى إلخ..

---

[1]- ح: (سبحانه) ساقطة

[2]- سورة الواقعة، الآية 85

[3]- ل: بأسرع

[4]- ح: من طرفة العين

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- ل: بما نصه

[7]- سورة يونس، الآية 62

وَقَوْلُهُ: (أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ). البَيْتُ. أَرَادَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْخَلَ أُمَّتَهُ المَخْصُوصَةَ بِالسَّعَادَةِ، أَدْخَلَهَا فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَالشَّيْءِ المَحْبُوبِ العَظِيمِ الَّذِي يُكْنَزُ فِي غَايَةِ الحِرْزِ، فَإِنَّ الذَّهَبَ وَاليَاقُوتَ فِي عُلُوِّهِ لَا يُوضَعُ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الأَقْفَالِ حِرْزاً لَهُ وَتَحْصِيناً، كَذَلِكَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَلَّ أُمَّتَهُ المَخْصُوصَةَ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ التَّخْصِيصُ الإِلَهِي لِأُمَّتِهِ الَّتِي هِيَ قِسْمُ السَّعَادَةِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[1].

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ بَعْضِ الآيَاتِ الوَارِدَةِ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ السَّائِلُ: بَعْدَ أَنْ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ بَعْضِ العُلَمَاءِ وَمَا قَالُوا فِيهَا وَمَا نَسَبُوهُ لِصَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، مِمَّا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ وَالمَلَكِيَّةِ[2]، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**)[3]. وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**)[4]. وَغَيْرُهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[5] بَعْدُ[6] ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَتَّعَنَا بِطُولِ بَقَائِهِ، وَسَقَانَا مِنْ بَحْرِ عِرْفَانِهِ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا حُبَّهُ مِنَ الآنَ إِلَى الإِسْتِقْرَارِ مَعَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ آمِينَ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ** أَنَّ الذُّنُوبَ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي هِيَ اقْتِحَامُ المَنْهِيِّ عَنْهُ شَرْعاً مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِمْ، لَا تُتَصَوَّرُ مِنْهُمْ لِثُبُوتِ العِصْمَةِ لَهُمْ مِمَّا دَقَّ أَوْ جَلَّ مِنْهَا، وَالَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ المَغْفِرَةُ مِنْهُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هِيَ الَّتِي تَصْدُرُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ بِلِسَانِ الإِبَاحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، لَكِنْ يَتَنَاوَلُهَا طَلَبُ التَّرْكِ مِنْ وَجْهٍ إِجْمَالِي لَا تَصْرِيحِي.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ل: والملائكة

[3]- سورة الفتح، الآية 1

[4]- سورة الأحزاب، الآية 37

[5]- ل: إن شاء الله تعالى

[6]- ل: (بَعْدُ) ساقطة

وَطَلَبُ التَّرْكِ هَا هُنَا لَيْسَ المُحَرَّمَ شَرْعاً، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ تَرْكُ ذَلِكَ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مُبَاحاً تَنْزِيهاً لِعُلُوِّ مَقَامِهِمْ عَنِ التَّدَنُّسِ[1] بِمُلَابَسَةِ ذَلِكَ المُبَاحِ الَّذِي[2] تَنَاوَلَهُ وَجْهُ طَلَبِ التَّرْكِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَإِنَّ المُبَاحَاتِ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ مُنْقَسِمَةٌ قِسْمَيْنِ[3]، قِسْمٌ يَتَمَحَّضُ فِيهِ حُكْمُ الإِبَاحَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَا يُعَارِضُهُ طَلَبُ التَّرْكِ بِوَجْهٍ[4] مِنَ الوُجُوهِ، فَهَذَا لَا عِتَابَ عَلَيْهِ، وَقِسْمٌ مِنَ المُبَاحِ يَتَنَاوَلُهُ حُكْمُ الإِبَاحَةِ مِنْ وَجْهٍ، وَيَتَنَاوَلُهُ طَلَبُ التَّرْكِ مِنْ وَجْهٍ أَوْ وُجُوهٍ، فَهَذَا إِنْ تَفَطَّنُوا لَهُ وَعَلِمُوهُ تَرَكُوهُ وَلَمْ يَقْتَحِمُوهُ، وَإِنْ غَفَلُوا عَنْ وَجْهِ طَلَبِ التَّرْكِ فِيهِ وَاقْتَحَمُوهُ لِأَجْلِ مَا فِيهِ مِنَ الإِبَاحَةِ وَقَعَ العِتَابُ لَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الذَّنْبُ المَعْهُودُ فِي حَقِّهِمْ.

وَلْتَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الذَّنْبَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَسِيمِ المُحَرَّمِ عَلَيْهِمْ شَرْعاً، وَلَا مِنْ قَسِيمِ مَا سَمِعُوا طَلَبَ التَّرْكِ فِي عَيْنِهِ، بَلْ هُوَ دَاخِلٌ فِي جُمْلَةِ طَلَبِ التَّرْكِ، فَهُوَ لَيْسَ بِذَنْبٍ شَرْعاً، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ إِسْمُ الذَّنْبِ مَجَازاً، وَإِنْ كَانَ مُبَاحاً لِغَيْرِهِمْ مِنَ العَامَّةِ، وَطُلِبَ مِنْهُمْ تَرْكُهُ لِعُلُوِّ مَقَامِهِمْ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ، فَهَذَا الذَّنْبُ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُبَاحٌ شَرْعاً، وَلَكِنْ طُلِبَ مِنْهُمْ تَرْكُهُ لِأَجْلِ تَنْزِيهِ المَقَامِ لِعُلُوِّ جَلَالِهِمْ،

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنَ الغَفْلَةِ فَلَيْسَ هِيَ الغَفْلَةُ المَعْهُودَةُ فِي حَقِّ العَامَّةِ، وَهِيَ الإِعْرَاضُ عَنْ مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَلَكِنَّ الغَفْلَةَ هَاهُنَا فِي حَقِّهِمْ هِيَ النِّسْيَانُ، وَالنِّسْيَانُ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِي حَقِّهِمْ[5] لِأَنَّهُ جِبِلَّةٌ بَشَرِيَّةٌ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَكَمَا فِي قَضِيَّةِ حَدِيثِ ذِي اليَدَيْنِ، حَيْثُ سَلَّمَ[6] مِنْ رَكْعَتَيْنِ فِي الرُّبَاعِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ ذُو اليَدَيْنِ: أَقَصُرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ

---

[1]- ع ل: للتدنس - ح: بالتدنس

[2]- أ ع هـ ق: التي، وأثبتنا في النص لفظ (الذي) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[3]- أ ك ع: قسمان، وأثبتنا في النص لفظ (قسمين) وفقا للنسختين ل س (سكيرج)

[4]- ك ي: في وجه

[5]- ل: في حقهم عليهم السلام

[6]- ل: حيث سلم صلى الله عليه وسلم

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ تَقْصُرْ وَلَمْ أَنْسَ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى[1] نَسِيتَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ سَأَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَقٌّ مَا يَقُولُ ذُو اليَدَيْنِ؟ فَقَالَا لَهُ: نَعَمْ، فَرَجَعَ لِلصَّلَاةِ وَأَكْمَلَهَا.

فَظَهَرَ لَكَ مِنْ هَذَا الخَبَرِ أَنَّ **النِّسْيَانَ يَطْرَأُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِتَصَرُّفَاتِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ**، وَهِيَ الصَّلَاةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ مَا يُطْلَبُ شَرْعاً، وَنَسِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَجْزَائِهَا، فَهُوَ دَلِيلٌ أَنَّ النِّسْيَانَ فِي تَصَرُّفِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ فِي حَقِّهِمْ بِشَاهِدِ الحَدِيثِ، وَلْتَعْلَمْ أَنَّ النِّسْيَانَ المَذْكُورَ هُنَا هُوَ غَيْرُ المَلْحُوظِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا)**[2]، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ تَعَمُّدُ التَّرْكِ لِلعَمَلِ بِأَمْرِ اللَّهِ مَعَ العِلْمِ بِهِ وَعَدَمِ نِسْيَانِهِ، وَلَكِنَّ النِّسْيَانَ هَاهُنَا هُوَ التَّرْكُ فَقَطْ،

وَالنِّسْيَانُ المُعَبَّرُ عَنْهُ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ[3] فَقَطْ لَا ثَالِثَ لَهُمَا: القِسْمُ الأَوَّلُ: هُوَ الطَّارِئُ بِالجِبِلَّةِ البَشَرِيَّةِ، وَهُوَ نِسْيَانُ الحُكْمِ فِي الأَمْرِ وَعَدَمِ وُقُوعِهِ فِي بَالِ الشَّخْصِ، فَهَذَا صَاحِبُهُ مَعْذُورٌ لَا يُؤَاخَذُ بِهِ شَرْعاً. وَالقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النِّسْيَانِ: أَنْ يَطْرَأَ عَلَى أَكَابِرِ الصِّدِّيقِينَ وَالأَنْبِيَاءِ فِي حَضْرَةِ ذِي الجَلَالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ التَّجَلِّيَاتِ وَالوَارِدَاتِ، مِمَّا يُذْهِلُ العَقْلَ وَيُنْسِيهِ الأَحْكَامَ الَّتِي كَانَ يَعْلَمُهَا أَوْ بَعْضَهَا، (بِسَبَبِ السَّطْوَةِ الطَّارِئَةِ مِنَ التَّجَلِّي أَوِ الوَارِدِ، فَهَذَا أَيْضاً كَالنِّسْيَانِ الجِبِلِّي، إِذْ صَاحِبُهُ مَعْذُورٌ)[4]، وَهَذِهِ هِيَ وُجُوهُ النِّسْيَانِ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قُلْتُ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَلْ يَطْرَأُ النِّسْيَانُ عَلَى الرُّسُلِ قَبْلَ تَبْلِيغِ مَا أُمِرُوا بِهِ كَمَا طَرَأَ بَعْدَ التَّبْلِيغِ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْ نَسِيَ شَيْئاً مِمَّا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ لَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ المَلَكَ وَذَكَّرَهُ بِهِ لِيُتِمَّ الدِّينَ الَّذِي أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّهُ هُوَ الحَافِظُ لَهُ حَتَّى يَكْمُلَ مَا أَرَادَهُ مِنْ شَرْعِهِ،

---

[1]- ع ل ص: بل

[2]- سورة الأعراف، الآية 51

[3]- أ ك ع ي هـ ق ص: قسمان، وأثبتنا في النص لفظ (قسمين) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

[4]- ك: ما بين القوسين محذوف

قَالَ تَعَالَى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)**[1]، لِأَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَلُ بِقِرَاءَةِ مَا يَسْمَعُهُ خَوْفاً مِنَ النِّسْيَانِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَإِنَّمَا وَقَعَتِ المُعَاتَبَةُ عَلَى النِّسْيَانِ الطَّارِئِ بِسَبَبِ الجِبِلَّةِ، أَوْ بِسَبَبِ الوَارِدَاتِ لِعُلُوِّ مَقَامِهِمْ، وَلِطَلَبِ تَنْزِيهِهِ مِمَّا يُدَنِّسُهُ، فَهَذَا وَجْهُ الغَفْلَةِ عَنْ وَجْهِ[2] طَلَبِ التَّرْكِ فِيمَا تَمَحَّضَ فِيهِ حُكْمُ الإِبَاحَةِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي قَضِيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ غَرِقَ وَلَدُهُ بَعْدَ مَا سَمِعَ مِنَ اللَّهِ أَنَّ أَهْلَهُ نَاجُونَ، فَتَحَيَّرَ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ كَمَا فِي القُرْآنِ، إِذْ وَجْهُ الإِبَاحَةِ أَنَّ السُّؤَالَ مُبَاحٌ لَهُ فِي طَلَبِ تَحْقِيقِ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِمَّا ذُكِرَ عَنْهُ فِي الآيَةِ، وَهَذِهِ القَضِيَّةُ يَتَنَاوَلُهَا وَجْهُ طَلَبِ التَّرْكِ مِمَّا عُرِفَ فِي شَرَائِعِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ تَرْكِ البَحْثِ عَنْ سِرِّ القَدَرِ لِاسْتِبْدَادِ الحَقِّ بِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ)**[3]، وَلَمَّا غَفَلَ عَنْ هَذَا الوَجْهِ لِكَوْنِهِ يَتَنَاوَلُ القَضِيَّةَ،

وَالغَفْلَةُ طَرَأَتْ عَلَيْهِ لِأَحَدِ القِسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا، لَا القِسْمِ الثَّالِثِ، عُوتِبَ حِينَئِذٍ لِغَفْلَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ)**[4]. الآيَةُ. وَكَقَضِيَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَتْلِ النَّفْسِ، فَإِنَّ وَجْهَ الإِبَاحَةِ فِيهَا أَنَّهَا كَافِرَةٌ أَصْلِيَّةٌ لَا عَهْدَ لَهَا وَلَا ذِمَّةَ تُتْرَكُ لِأَجْلِهَا، وَظَلَمَتْ بِمَا فَعَلَتْ بِالإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي اسْتَغَاثَ بِهِ، وَلِمَا عَلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ المَظْلُومِ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ فَكُّ الإِسْرَائِيلِي مِنْهُ إِلَّا بِضَرْبِهِ، فَوَكَزَهُ غَيْرَ قَاصِدٍ لِقَتْلِهِ، فَقَضَى عَلَيْهِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الوُجُوه مُصَرِّحَةٌ بِالإِبَاحَةِ، وَقَتْلُهُ كَانَ خَطَأً غَيْرَ قَاصِدٍ لَهُ، وَوَجْهُ طَلَبِ التَّرْكِ فِيهَا أَنَّ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ وَإِنْ كَفَرُوا لَمْ تُبَحْ[5] إِرَاقَةُ دِمَائِهِمْ إِلَّا بِالإِذْنِ الإِلَهِي، وَالإِذْنُ الإِلَهِي لَا يَكُونُ

---

[1]- سورة القيامة، الآية 16-17.

[2]- ك: (وجه) ساقطة

[3]- سورة الأنبياء، الآية 23

[4]- سورة هود، الآية 46

[5]- أ ع ح ق: يبح، وأثبتنا في النص لفظ (تبح) وفقا للنسخة س (سكيرج)

إِلَّا بَعْدَ تَبْلِيغِهِ دَعْوَةَ الرِّسَالَةِ وَإِبَايَتِهِمْ[1] عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَتَلَذُّذِهِمْ بَعْدَ الإِنْذَارِ وَالتَّلَوُّمِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي قَتْلِهِمْ وَقِتَالِهِمْ لِلرُّسُلِ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُ طَلَبَ التَّرْكِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهِ وُجُوهُ الإِبَاحَةِ كَانَ العِتَابُ وَاقِعاً مِنْ هَذَا البَابِ، فَلَمَّا تَفَطَّنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَذَا قَالَ: **(هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)**[2]. الآيَةُ.

وَكَقَضِيَّةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي أُسَارَى[3] بَدْرٍ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِالقَتْلِ وَبَعْضُهُمْ بِالعَفْوِ وَأَخْذِ الفِدَاءِ، فَنَزَلَتْ الآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(مَا كَانَ لِنَبِيءٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(عَظِيمٌ)**[4]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)**[5]، بَعْدَ قَوْلِهِ **(أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)**. الآيَةُ. وَأَمْثَالُ هَذِهِ، وَكَقَوْلِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا **(اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)**[6]، وَقِسْ مَا لَمْ يُذْكَرْ عَلَى مَا ذُكِرَ.

حَاصِلُهُ أَنَّ الأُمُورَ المَطْلُوبَةَ فِعْلاً وَتَرْكاً فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الأَوَّلُ: طَلَبُ الفِعْلِ كَالوَاجِبَاتِ، فَلَا يُمْكِنُ تَرْكُهُ مِنَ النَّبِيءِ. **الثَّانِي:** طَلَبُ تَرْكِ الفِعْلِ كَالمَنْهِيَّاتِ، فَلَا يُمْكِنُ ارْتِكَابُهُ مِنَ النَّبِيءِ، وَمَا بَيْنَهُمَا فَهُوَ فِيهِ بِالخِيَارِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَيْضاً يَنْقَسِمُ[7] قِسْمَيْنِ[8] : قِسْمٌ يَقَعُ الإِذْنُ فِيهِ بِعَيْنِهِ إِمَّا بِفِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ، وَهَذَا لَا عِتَابَ فِيهِ، وَالقِسْمُ الثَّانِي لَا يُسْمَحُ[9] الإِذْنُ فِيهِ، وَهَذَا تَارَةً المَطْلُوبُ تَرْكُهُ مِنَ النَّبِيءِ وَيَفْعَلُهُ كَالأَمْثِلَةِ المُتَقَدِّمَةِ فِي

---

[1]- ل: أو إبايتهم

[2]- سورة القصص، الآية 15

[3]- ك: أسرى

[4]- سورة الأنفال، الآية 67-68.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 37

[6]- سورة يوسف، الآية 42

[7]- ك ي: ولكن هذا ينقسم أيضا

[8]- أ ع هـ: قسمان، وأثبتنا في النص لفظ (قسمين) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

[9]- ع م: لا يسمع

الآيَاتِ، لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ أَوْ لِغَفْلَتِهِ عَنْهُ، وَتَارَةً العَكْسُ، وَهُوَ طَلَبُ فِعْلِهِ مِنَ النَّبِيءِ وَيَتْرُكُهُ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْهُ أَوْ عَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ، فَهَذَا القِسْمُ مِنَ المُبَاحِ هُوَ الَّذِي يَقَعُ العِتَابُ عَلَيْهِ لِصَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، أَوِ العِتَابُ وَالمُؤَاخَذَةُ، مَا عَدَا سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُؤَاخَذَةُ المَذْكُورَةُ هِيَ بِبَعْضِ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَبَلَايَاهَا فَقَطْ، وَهَذَا التَّحْصِيلُ فَهِمْتُهُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ[1] وَلَيْسَ هُوَ لَفْظَهُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَا يُقَالُ الغَفْلَةُ عَنْ بَعْضِ هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي عُوتِبَ[2] عَلَيْهَا الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَهْلٌ فِي حَقِّهِمْ، فَإِنَّ الجَهْلَ المُسْتَحِيلَ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا هُوَ الفِعْلُ الصَّادِرُ عَنْ مُتَابَعَةِ الهَوَى، وَالغَفْلَةِ عَنْ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِانْهِمَاكِ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا وَالوُلُوعِ بِمَأْلُوفَاتِهَا، أَمَّا مَنِ اسْتَغْرَقَ فِي مُشَاهَدَةِ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ لَحَظَاتِهِ مَعَ كَمَالِ مُرَاعَاتِهِ لِأَدَبِ[3] الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، مَعَ تَوْفِيَتِهِ بِمَا يَلْزَمُهُ مِنَ القِيَامِ بِالحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، وَلَا يَلْتَفِتُ لِهَوَى نَفْسِهِ حَتَّى فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَلُمُّ بِسَاحَتِهِ الجَهْلُ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أُمُوراً فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ العِلْمُ بِهَا، وَلَا يُقَالُ إِنَّهُ جَاهِلٌ بِهَا، لِأَنَّ الجَهْلَ انْتَفَى بِالصِّفَةِ المَذْكُورَةِ،

وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ الإِحَاطَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ، إِذْ عِلْمُ اللَّهِ لَا يُحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ، فَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ وَرَاءِ المَرْتَبَةِ[4] الَّتِي يَنْتَفِي الجَهْلُ بِهَا إِلَّا مَا أَعْلَمَهُمْ اللَّهُ بِهِ[5]، وَمَا لَمْ يُعْلِمْهُمْ بِهِ بَقِيَ مُحْتَجِباً عَنْهُمْ لِعَدَمِ إِحَاطَتِهِمْ بِعِلْمِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾[6].

قُلْتُ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَا هُوَ الفَتْحُ المَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾[1]. قَالَ: هُوَ فَتْحُ الحُدَيْبِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[2]. قُلْتُ لَهُ:

---

[1]- ل: شيخنا

[2]- ي ك م: عوتبوا

[3]- ل: مراعاة الأدب

[4]- ل: ما وراء

[5]- ك: ما أعلمهم به

[6]- سورة البقرة، الآية 255

لَهُ: ذَكَرَ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ أَنَّهُ المُشَاهَدَةُ، قَالَ لِي: مَعَانِي القُرْآنِ وَاسِعَةٌ، وَالشَّيْخُ مُسَلَّمٌ لَهُ فِيمَا قَالَهُ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ، وَكَذَلِكَ مَا قَالَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَتَخْشَى النَّاسَ)**[3] ، الآيَةُ. لِأَنَّ[4] النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفْتُوحٌ عَلَيْهِ فِي صِغَرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حِجَابٍ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ فُتِحَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ ذَلِكَ الشَّيْخُ.

وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا عَلِمْتَ أَنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالأَفْعَالَ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُمْ فِي صُورَةِ المُخَالَفَةِ لَيْسَتْ بِذُنُوبٍ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا هِيَ مُبَاحَةٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَهُمْ، أَيْ فِي شَرْعِ كُلِّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الفِعْلَ، وَإِنَّمَا وَقَعَ العِتَابُ عَلَيْهَا[5]، أَوِ العِتَابُ وَالمُؤَاخَذَةُ فِي الدُّنْيَا بِبَعْضِ مَصَائِبِ الدُّنْيَا كَمَا قَدَّمْنَا، حَاشَا سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ المُؤَاخَذَةِ عَلَى مَا فَعَلَهُ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ[6] بِغُفْرَانِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،

كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً[7])**[8]، هِيَ مُؤَاخَذَتُهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ[9] عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَوْلِهِ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَعُوقِبَ بِشِقِّ إِنْسَانٍ كَمَا فِي الخَبَرِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَوْ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَكَانَ مَا قَالَ. انْتَهَى.

---

[1]- سورة الفتح، الآية 1

[2]- سورة الفتح، الآية 27

[3]- سورة الأحزاب، الآية 37

[4]- ح: إلا أن

[5]- ح: عليهم

[6]- ح: عليه

[7]- ك: جسدا ثم أناب

[8]- سورة ص، الآية 34

[9]- ك: هي مؤاخذته عليه السلام على ما صدر منه

فَقَوْلُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبَاحٌ، وَلَكِنْ عُوتِبَ لِلأَمْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ كَمَا بَيَّنَهُ الحَدِيثُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ مِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا وَقَعَ لِصَاحِبِ الحُوتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَرَجَ مِنْ قَوْمِهِ فَارّاً بِنَفْسِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)**[1]، الآيَةُ. فَعَاقَبَهُ اللَّهُ[2] بِالْتِقَامِ الحُوتِ، وَإِنْ كَانَ خُرُوجُهُ مُبَاحاً لِأَنَّهُ لِلَّهِ لَا لِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُؤَاخَذُونَ بِمِثْلِ مِثْقَالِ[3] الذَّرِّ، لِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَدَّمْنَا،

وَذَكَرَ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ عَنْ شَيْخِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْنَى مُغَاضِباً أَيْ غَاضِباً عَلَيْهِمْ حَيْثُ تَرَكُوا مَا فِيهِ رُشْدُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ، وَالإِسْتِسْلَامِ لِأَمْرِهِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَعَذَابُهُ، وَبِحَسَبِ[4] مَا يَظْهَرُ لِلنَّاظِرِ فَإِنَّ العَذَابَ كَانَ فَوْقَ مَسَاكِنِهِمْ، فَلَمَّا رَأَى يُونُسُ ذَلِكَ غَضِبَ وَأَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)**[5]، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ نُهْلِكَهُ بِمَا أَهْلَكْنَاهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَمَارَةَ العَذَابِ فَرَّ عَنْهُمْ ظَانّاً النَّجَاةَ وَأَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ، فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى نَوْعاً آخَرَ مِنَ القُدْرَةِ لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَادَى **(فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)**[6]، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَنَجَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ. انْتَهَى مُلَخَّصاً مِنَ الإِبْرِيزِ. قُلْتُ: وَفِعْلُهُ هَذَا كُلُّهُ مُبَاحٌ، وَلَكِنْ عُوتِبَ لِأَجْلِ الوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[7].

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 87

[2]- ل: فعاتبه

[3]- ل ح م: مثاقيل

[4]- ح: بحسب

[5]- سورة الأنبياء، الآية 87

[6]- سورة الأنبياء، الآية 87

[7]- ح: (والله أعلم) ساقطة

وَأَمَّا ضُرُّ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي شَكَى مِنْهُ، فَإِنَّهُ فِيمَا حُكِيَ عَنْهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ عَلَيْهِ[1] السَّلَامُ بَاعَتْ ضَفِيرَةً مِنْ شَعْرِ رَأْسِهَا لِتَأْخُذَ لَهُ بَعْضَ مَا يَحْتَاجُهُ، فَلَمَّا سَأَلَهَا وَأَخْبَرَتْهُ بِالوَاقِعِ أَدْرَكَهُ مَا يُدْرِكُ أَرْبَابَ الهِمَمِ العَالِيَةِ وَالنُّفُوسِ المُتَعَالِيَةِ عَنْ سَفْسَافِ الأَخْلَاقِ مِنَ العَارِ الَّذِي وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ العَيْشِ بِشَعْرِ حَلِيلَتِهِ[2]، فَفَزِعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حِينَئِذٍ مِنْ هَذَا الضُّرِّ الَّذِي لَحِقَهُ وَقَالَ رَبِّ إِنِّي: **(مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**[3]، إهـ..

وَسَأَلْتُ شَيْخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمَّا ذَكَرَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ تَمَنَّى كَذَا بِقَلْبِهِ وَأَمَرَ الرَّجُلَ بِكَذَا لِيَفْعَلَ هُوَ كَذَا وَكَذَا؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَصْدُرَ هَذَا مِنَ المَعْصُومِ، وَإِنَّمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الخَصْمَيْنِ اخْتَصَمَا فِي نَعْجٍ[4] نَعْجٍ[4] مِنَ الغَنَمِ لَا غَيْرَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: **(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً)** إِلَى قَوْلِهِ **(وَأَنَابَ)**[5]، وَمِنَ المَعْلُومِ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ أَنَّ القُرْآنَ لَا يُفَسَّرُ إِلَّا بِالخَبَرِ الصَّحِيحِ، وَلَا يُصْرَفُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ ظَاهِرُهُ يُلْزَمُ مِنْهُ المُحَالُ، وَكِلَا الأَمْرَيْنِ مُنْتَفٍ هُنَا، فَلَا خَبَرٌ صَحِيحٌ مُفَسِّرٌ لِلآيَةِ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَلَا قَرِينَةٌ تُصْرِفُهَا عَنِ الظَّاهِرِ، وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الآيَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَيْسَ كَمَا قِيلَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ حَتَّى فِي صَالِحِي عَامَّةِ المُومِنِينَ، فَكَيْفَ يُقَالُ فِي صَفْوَةِ اللَّهِ هَذَا التَّأْوِيلُ الشَّنِيعُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ التَّخْلِيطِ.

وَقُلْتُ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمِمَّا تَابَ سَيِّدُنَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** مِنْ ظَنِّهِ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي الحُكْمِ فَقَطْ لَا غَيْرَ، هَذَا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ **(وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)**[6]. **فَتَنَّاهُ)**[6]. الآيَةُ، فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ البَيْضَاءَ، الَّتِي كُلُّ مَنْ سَلَكَهَا بَاعَدَ مَوَارِدَ لَظَى، فَاسْتَمْسِكْ بِهَذَا الحَبْلِ المَتِينِ، وَاتْرُكْ عَنْكَ كُلَّ تَأْوِيلٍ مَصْدَرُهُ مِنْ تَخْيِيلِ العَقْلِ

---

[1]- أ ع ل ق: عليها، وأثبتنا في النص لفظ (عليه) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- ع: خليلته

[3]- سورة الأنبياء، الآية 83

[4]- ل: نعاج

[5]- سورة ص، الآية 23-24

[6]- سورة ص، الآية 24

الخَشِينِ، لِتَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ. قُلْتُ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِذَا كَانَ تَوْبَتُهُ مِمَّا ذَكَرْتَ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ)**[1]، قَالَ لِي: غَفَرَ لَهُ ظَنَّهُ، قُلْتُ لَهُ: ظَنُّهُ لَيْسَ بِذَنْبٍ فِي نَفْسِ الأَمْرِ.

قَالَ: أَكَابِرُ الصِّدِّيقِينَ لَيْسُوا كَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُؤَاخَذُونَ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ كَمَا قَدَّمْنَا، لِأَنَّ الحَضْرَةَ مَطْلُوبَةٌ بِالأَدَبِ، فَمَنْ كَانَ فِي حَضْرَةِ الحَقِّ وَغَفَلَ أَوْ نَسِيَ وَلَوْ فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ يُؤَاخَذُ وَلَمْ يُعْذَرْ كَغَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ غَيْرَ ذَنْبٍ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، ذَكَرَ عُذْرَهُ، وَعَاقَبَهُ بِالنُّزُولِ إِلَى الأَرْضِ، وَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يُعَضِّدُ هَذَا مِنَ الحِكَايَاتِ فِي آدَابِ أَهْلِ الحَضْرَةِ، مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ سَرِيُّ السَّقَطِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِساً، فَمَدَّ رِجْلَهُ ثُمَّ رَدَّهَا بِالعَجَلَةِ، وَأَخَذَ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَقُولُ: لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَبَداً، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الفُقَهَاءِ وَكَانَ بِحَضْرَتِهِ: مَا[2] هَذَا لَا[3] شَيْءَ عَلَيْكَ، أَوْ لَا حَرَجَ[4]، فَقَالَ لَهُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَنْتَ وَلَا شَيْءَ، وَالفَقِيهُ قَالَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ مَدَّ الرِّجْلِ مُبَاحٌ فِي الشَّرْعِ، وَالمُبَاحُ لَا مُؤَاخَذَةَ فِيهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الأَكَابِرَ مُطَالَبُونَ بِالأَدَبِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَوْ فِي النِّسْيَانِ كَمَا قَدَّمْنَا.

وَمِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَجُلَانِ بِسَفِينَةٍ، كَانَا[5] أَخَوَيْنِ فِي اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمَا حَبَّةَ طَعَامٍ سَاقِطَةً، فَرَمَاهَا فِي فِيهِ، فَنَهَرَهُ الآخَرُ وَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا التَّجَاسُرُ، فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِالنِّسْيَانِ وَالغَفْلَةِ، فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَا أَصْحَبُ مَنْ يَغْفُلُ عَنِ الحَضْرَةِ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي البَحْرِ، وَتَغَيَّبَ عَنْهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى البَيْتِ الشَّرِيفِ رَآهُ يَطُوفُ، فَتَعَلَّقَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: لَوْلَا الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ بِحَقِّهَا لَمْ تَرَنِي، وَلَمْ أُصَاحِبْكَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي تَائِبٌ لِلَّهِ، فَقَبِلَهُ

[1]- سورة ص، الآية 25
[2]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: فما
[3]- أ ح ك ع ي هـ ق ص: فلا
[4]- ل: لا حرج عليك
[5]- ل: وكانا

وَصَحِبَهُ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الآدَابُ فِي حَقِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا بَالُكَ بِصَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَهُمْ أَوْلَى بِمُطَالَبَةِ الآدَابِ وَعَدَمِ الغَفْلَةِ.

وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا أَذْكُرُ لَكَ **مَا وَقَعَ لِسَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هُبُوطِهِ إِلَى الأَرْضِ وَخُرُوجِهِ مِنَ الجَنَّةِ،** لِتَتَأَدَّبَ مَعَ الحَضْرَةِ[1] وَتَعْلَمَ مَا تَقُولُ، قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَهُوَ فِي الصُّورَةِ مُؤَاخَذَةٌ، وَفِي الحَقِيقَةِ لِلْكَمَالِ[2] وَالإِصْطِفَاءِ وَالإِجْتِبَاءِ، لِأَنَّهُ أَهْبَطَهُ إِلَى الأَرْضِ لِيَكُونَ خَلِيفَةً، تَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)**[3]، فَأَظْهَرَ فِي حِكْمَتِهِ[4] مَا سَبَقَتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)**[5]، فَهِيَ فِي الصُّورَةِ لَا غَيْرَ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ عُذْرَهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: **(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)**[6]، وَالمَعْلُومُ فِي الشَّرْعِ أَنَّ النَّاسِيَ لَا يُؤَاخَذُ، وَلَكِنَّ الكُمَّلَ مِنْ عِبَادِهِ لَيْسُوا كَغَيْرِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا،

فَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِذَا كَانَ مُخَالَفَتُهُ لَيْسَتْ بِذَنْبٍ فَمِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ؟ قَالَ: مِنْ صُورَةِ المُخَالَفَةِ، لِأَنَّهَا فِي الظَّاهِرِ ذَنْبٌ، وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَيْسَتْ بِذَنْبٍ، لِأَنَّهُ فَعَلَهَا نَاسِياً كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الآيَةِ، وَالنَّاسِي لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ فِي الشَّرْعِ، وَإِنَّمَا العِتَابُ وَالمُؤَاخَذَةُ لِلغَفْلَةِ عَنِ الآدَابِ، وَعَدَمِ العِلْمِ بِالوَجْهِ المَطْلُوبِ فِعْلاً أَوْ تَرْكاً كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّ فِي أَكْلِ آدَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ آيَةٌ لِلمُعْتَبِرِينَ، وَأُسْوَةٌ لِلتَّائِبِينَ مِنْ إِظْهَارِ بَاهِرِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَعَجَائِبِ صَنِيعِهِ، وَمُوَافَقَتِهِ لِمَا سَبَقَ فِي مَشِيئَتِهِ مِنَ اجْتِبَاءِ آدَمَ وَخِلَافَتِهِ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِ، وَطَرْدِ إِبْلِيسَ وَلَعْنِهِ وَإِهَانَتِهِ بَعْدَ اصْطِفَائِهِ وَتَعَبِهِ بِكَثْرَةِ

---

[1] - ل: الحضرة الإلهية

[2] - ك: (للكمال) ساقطة

[3] - سورة البقرة، الآية 30

[4] - ل: حكمه

[5] - سورة طه، الآية 121

[6] - سورة طه، الآية 115

عِبَادَتِهِ، لِتَعْلَمَ[1] أَنَّ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ لَيْسَتَا مُرْتَبِطَتَيْنِ بِالعِلَلِ وَالأَسْبَابِ، وَإِنَّمَا السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي الأَزَلِ وَالشَّقِيُّ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمْ تَنْفَعْ المَلْعُونَ كَثْرَةُ الأَسْبَابِ[2]،

وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ لَمَّا طُرِدَ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ لُعِنَ وَكُتِبَ قَلَمُ الشَّقَاوَةِ الأَبَدِيَّةِ عَلَيْهِ، وَصَارَ مِنَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، أَخَذَ يُغَضِّبُ مَوْلَاهُ وَيُعَانِدُهُ وَيَتَوَعَّدُ عِبَادَهُ بِالغِوَايَةِ وَيَتَهَدَّدُ وَيُقْسِمُ لِرَبِّهِ أَنَّ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ، لَأُغْوِيَنَّهُ وَذُرِّيَتَهُ، وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى تَطْرُدَهُ كَمَا طَرَدْتَنِي، قَالَتْ لَهُ العِنَايَةُ بِلِسَانِ الحَالِ:

إِنَّ آدَمَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الأَزَلِ، لَمْ تَضُرَّهُ المُخَالَفَةُ وَإِنْ صَدَرَتْ مِنْهُ، لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ أَجْلِهِ لِيُظْهِرَ فِيهِ بِمَظَاهِرِ أُلُوهِيَتِهِ، وَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ خَلِيفَتُهُ فِي خَلْقِهِ وَمُصْطَفَى وَمُجْتَبَى عِنْدَهُ، فَأَبْرَزَهُ فِي ظَاهِرِ حِكْمَتِهِ عَلَى وَفْقِ مَا أَبْطَنَ فِي مَشِيئَتِهِ، وَلَوْ وَقَعَ فِي مُخَالَفَتِهِ، رَغْماً عَلَى أَنْفِكَ يَا مَلْعُونُ، وَزِيَادَةً فِي طَرْدِكَ وَبُعْدِكَ، اذْهَبْ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، لِأَنَّكَ مَخْلُوقٌ لِنَفْسِكَ، وَتَعَبُكَ كَانَ لِحَظِّكَ وَشَهَوَاتِكَ وَمَا رَأَيْتَهُ فِي بِدَايَتِكَ هِيَ مَلَابِسٌ مُسْتَعَارَةٌ لَكَ، وَالأَصْلُ هُوَ شَقَاوَتُكَ وَطَرْدُكَ، وَلِذَلِكَ خَلَقْتُكَ، وَأَمَّا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَخْلُوقٌ لِلسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَالنِّعَمِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَالخِلَافَةِ العُظْمَى عَلَى جَمِيعِ البَرِيَّةِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ مَنْ كَانَ سَعِيداً فِي المَشِيئَةِ الأَزَلِيَّةِ وَبَيْنَ مَنْ كَانَ شَقِيّاً فِيهَا، وَلِذَا يُقَالُ فِي المَثَلِ: مَنْ سَبَقَتْ لَهُ العِنَايَةُ لَمْ تَضُرُّهُ الجِنَايَةُ.

وَمِنَ الجَارِي عَلَى أَلْسِنَةِ العَامَّةِ: المَحْبُوبُ مَا لَهُ عُيُوبٌ، فَآدَمُ لَبِسَ تَاجَ الخِلَافَةِ بِسَبَبِ المُخَالَفَةِ، وَإِبْلِيسُ لَبِسَ خِلْعَةَ الشَّقَاوَةِ بِسَبَبِ العِبَادَةِ، مَعَ الطَّرْدِ وَاللَّعْنِ وَالخِذْلَانِ وَالحِرْمَانِ وَالخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وَأُعِدَّتْ لَهُ دَارُ الهَوَانِ وَالعَذَابِ وَالغَضَبِ مَقَرّاً لِلخُلُودِ فِيهَا بِزَلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ إِبَايَتُهُ عَنِ السُّجُودِ، فَسُبْحَانَ المُتَصَرِّفِ فِي العِبَادِ بِمَا أَرَادَ، فَمِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ صَارَ إِبْلِيسُ مَظْهَراً لِلغِوَايَةِ وَالضَّلَالِ وَالشَّقَاءِ وَالبُعْدِ وَالخُسْرَانِ وَالعِنَادِ وَالغَضَبِ وَالفَسَادِ وَالزَّيْغِ وَالبُهْتَانِ وَأَنْوَاعِ العِصْيَانِ وَالكُفْرِ وَالبَاطِلِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِ فِي كُلِّ مَا يَنْهَى عَنْهُ أَوْ يَأْمُرُ

---

[1]- ل: ليعلم

[2]- ل: ولهذا لم ينتفع الملعون بكثرة الأسباب

بِهِ، كَمَا كَانَ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَظْهَراً لِلهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالسَّعَادَةِ وَالقُرْبِ إِلَى اللَّهِ، وَالرِّبْحِ وَالإِنْقِيَادِ وَالرِّضَا وَالصَّلَاحِ وَالرُّشْدِ وَالصِّدْقِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالإِيمَانِ وَالحَقِّ وَالإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَجَمِيعِ وُجُوهِ التَّقَرُّبَاتِ وَجِمَاعِ الخَيْرَاتِ، فَهُمَا فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ عَيْنَانِ مُتَقَابِلَتَانِ فِي غَايَةِ المُضَادَّةِ وَالتَّنَافِي،

وَأَمَّا بِالنَّظَرِ لِلْمَشِيئَةِ فَلَيْسَ لَهُمَا شَيْءٌ مِنْ ذَوَاتِهِمَا، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ دَاعِياً وَلَيْسَ لِي مِنَ الهِدَايَةِ شَيْءٌ، وَبُعِثَ إِبْلِيسُ دَاعِياً وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الغِوَايَةِ شَيْءٌ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ المَظْهَرَيْنِ فَهُوَ فِي الحِكْمَةِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا فِي المَشِيئَةِ فَإِبْلِيسُ فَرْعٌ عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، لِأَنَّهَا هِيَ الأَصْلُ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ، وَفِي كُلِّ مَا يُفَاضُ[1] عَلَى الوُجُودِ بِأَسْرِهِ فَرْداً فَرْداً. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا وَسَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي، وَكَتَبْتُهُ مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا حَفِظَ اللَّهُ عُلَاهُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نُبُوءَةَ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُؤْخَذُ مِنْ مُضَمَّنِ الآيَاتِ لَا مِنْ ظَاهِرِهَا، قُلْتُ لَهُ: وَالأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ هَلْ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ أَمْ لَا؟ قَالَ: إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَةُ الحُرُوفِ وَفِيهَا تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفاً، قَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: إِنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ، قَالَ الصَّحَابِي: بِلَامِ الأَلِفِ؟ قَالَ لَهُ: نَعَمْ، يَعْنِي أَنَّ لَامَ الأَلِفِ مُرَكَّبٌ مِنْ حَرْفَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نُبُوءَةَ سَيِّدِنَا آدَمَ تُؤْخَذُ مِنْ لَفْظِ الخِلَافَةِ، لِأَنَّ مَنِ اسْتَخْلَفَهُ الحَقُّ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَعْنًى مَّا مِنْ مُسْتَخْلِفِهِ، وَهُوَ هُنَا احْتِوَاؤُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَسْمَاءِ الكَوْنِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ، الَّتِي بِهَا نِظَامُ[2] الكَوْنِ وَقِوَامُهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)**[3]، وَعِلْمُهُ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ فَرْعٌ عَنِ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَلَكِنِ الفَرْعُ هُنَا أَعْلَى مِنَ المُتَفَرَّعِ عَنْهُ، وَالصِّدِّيقِيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ، وَالأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَّةُ لَا تَكُونُ

---

[1] - ع: يفاد

[2] - ح: نظم

[3] - سورة البقرة، الآية 31

نَاشِئَةً إِلَّا عَنْ أَخْبَارٍ نَبَوِيَّةٍ، وَالأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ لِبَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، أَوْ مِنْ نَبِيءٍ لِبَعْضِ أَتْبَاعِهِ، وَسَيِّدُنَا آدَمُ ثَبَتَ لَهُ جَمِيعُ مَا ذُكِرَ مِنَ الخِلَافَةِ وَالصِّدِّيقِيَةِ، وَلَيْسَ قَبْلَهُ نَبِيءٌ، فَثَبَتَ أَنَّهُ نَبِيءٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَتَرْكِيبُ هَذَا الشَّكْلِ مَعْلُومٌ لِمَنْ يَعْقِلُهُ، وَكَذَلِكَ آيَةُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **(فَإِمَّا يَاتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى)**[1]، بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(اهْبِطُوا)**، الآيَةُ.

فَإِنَّ الهِدَايَةَ لَا تَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى[2] إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ هَادِياً مَهْدِيّاً، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيئاً أَوْ وَارِثَ نَبِيءٍ، وَسَيِّدُنَا آدَمُ لَمْ يَرِثْ نَبِيئاً، فَثَبَتَ أَنَّهُ هُوَ نَبِيءٌ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا مَا أَغْوَصَهُ عَنِ المَعَانِي الغَامِضَةِ، الَّتِي لَمْ يُسْبَقْ بِهَا. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي، وَبِإِمْلَائِهِ عَلَيْنَا كَتَبْتُهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَا حَكَى اللَّهُ عَنِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)**[3]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)**[4]، وَفِي الخَبَرِ: هِيَ أُخْتِي، فِي زَوْجَتِهِ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] : فَكُلُّ هَذِهِ القَوْلَاتِ الثَّلَاثِ مُبَاحَةٌ لِلخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ مُشَرِّعٌ وَخَلِيفَةٌ، فَعَلَ ذَلِكَ بِإِذْنٍ إِلَهِي، فَلَا تُوزَنُ أَفْعَالُهُ وَلَا تُقَاسُ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا الحَقَّ، وَكُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ فَهُوَ مُوَافِقٌ لِشَرِيعَتِهِ، فَهَذَا غَايَةُ مَا يُذْكَرُ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَهَى النَّاسَ عَنِ الوِصَالِ، قَالُوا: نَرَاكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي، وَفِي المَثَلِ السَّائِرِ: لَا يَصِحُّ لِلضَّبِّ أَنْ يَقِيسَ النُّونَ عَلَى نَفْسِهِ.

فَإِذَا فُهِمَ هَذَا فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالمُنَاقَشَةِ عَلَى مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِرِسَالَتِهِ، وَأَمَّنَهُمْ عَلَى سِرِّ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ قُدْوَةً لِخَلْقِهِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ شَرَائِعَ مَنْ قَبْلَنَا لَمْ نَعْلَمْ كَيْفَ كَانَ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 38

[2]- ع: (تعالى) ساقطة

[3]- سورة الصافات، الآية 89

[4]- سورة الأنبياء، الآية 63

[5]- ل: فأجاب رضي الله عنه بما نصه قال

الحُكْمُ فِيهَا عِنْدَ أَهْلِهَا حَتَّى نَتَكَلَّمَ[1] فِيهَا بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ، فَإِنَّ شَرِيعَتَنَا الَّتِي بِأَيْدِينَا، لَمْ يُحِطْ[2] بِأَحْكَامِهَا إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الكُمَّلِ، وَهُمْ أَقْطَابُ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَمَا بَالُكَ بِالشَّرَائِعِ الَّتِي لَمْ نَعْلَمْهَا[3] وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْنَا[4]، وَلَمْ نَدْرِ مَا حُكْمُ اللَّهِ فِيهَا لِأَهْلِهَا،

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِهَا مِنْ غَيْرِ خَبَرٍ صَحِيحٍ فِي شَرِيعَتِنَا فَهُوَ فُضُولِيٌّ، مُدْخِلٌ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَرْتَكِبُ هَذَا إِلَّا مَنْ إِسْلَامُهُ غَيْرُ حَسَنٍ، لِخَبَرِ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَمِنَ العَجَبِ أَنَّ الأَعْمَى يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِدَ[5] عَلَى البَصِيرِ وَيَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَمِنْ هُنَا تَفْهَمُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ سَيِّدُنَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ضَرْبِ السُّوقِ وَالأَعْنَاقِ لِلخَيْلِ حِينَ شَغَلَتْهُ حَتَّى تَوَارَتِ الشَّمْسُ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ جَائِزٌ فِي شَرْعِهِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تُتَّبَعُ بِالمُنَاقَشَةِ وَالتَّفْتِيشِ[6]، وَيَجِبُ الإِقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي كُلِّ مَا أَتَوْا بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ هُدَاهُمْ حِينَ ذَكَرَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾**[7]، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُنَاقِشَ فِي أَحْوَالِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[8]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: **﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**[9]، وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ كُلِّ رَسُولٍ،

---

[1] - ح: نتكلموا
[2] - ي ك: يحيطوا
[3] - ي ك: نعلموها
[4] - ل: لنا
[5] - أ ك ع ي هـ ق ص: ينقد على البصير
[6] - ي ك: والتفتش
[7] - سورة الأنعام، الآية 90
[8] - سورة النساء، الآية 64
[9] - سورة النساء، الآية 80

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِيسَ أَفْعَالَ النُّبُوءَةِ عَلَى غَيْرِهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِحَقِّهَا، وَمُقَصِّرٌ فِي آدَابِ رُتْبَتِهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الإِذْنَ[1] لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ عَلَى العُمُومِ، وَإِنْ وَقَعَ العِتَابُ لَهُمْ عَلَى بَعْضِ الأُمُورِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي تَقْسِيمِ وُجُوهِ المُبَاحِ لَا غَيْرَ، وَلِهَذَا الإِقْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيقِ مِنَ المُومِنِينَ لِلرُّسُلِ[2] تَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى الأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا وَأَنْكَرُوا بُلُوغَ[3] الرِّسَالَةِ، فَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ: لَمْ يُبَلِّغْ لَنَا مَا مَا أَرْسَلْتَهُ بِهِ يَا رَبَّنَا،

يَقُولُ المَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ بَلَّغْتَهُمْ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَهَادَةٍ لِرَسُولِي هَذَا؟ فَتَقُولُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ: أَوَ أَرْسَلْتَهُ يَا رَبَّنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: قَدْ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْهِمْ، فَتَقُولُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ: فَنَشْهَدُ[4] لَهُ عَلَى أَنَّهُ بَلَّغَهُمْ مَا أَرْسَلْتَهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَشَهِدُوا لَهُ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا لَا يُؤَمِّنُ عَلَى سِرِّ وَحْيِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ صِدِّيقاً أَمِيناً، وَصَاحِبُ هَذَا الوَصْفِ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ عَدَمُ التَّبْلِيغِ.

وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا عَلِمْتَ أَنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالأَفْعَالَ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْهُمْ فِي صُورَةِ المُخَالَفَةِ إِنَّمَا فَعَلُوهَا لِلْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا قَدَّمْنَا فِي صَدْرِ البَابِ، أَوْ هِيَ مُبَاحَةٌ لَهُمْ فِي شَرْعِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا فِي قَوْلَاتِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِعْلِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عُذْرَهُ كَمَا قَدَّمْنَا،

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِيمَا حَكَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾**[5]، الآيَةُ. **قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَمَّ بِهَا** يُحْتَمَلُ هَمَّ بِالمَعْصِيَةِ

---

[1]- ك م: الأدب

[2]- ع: والرسل

[3]- ل: تبليغ

[4]- ك ع: فتشهد

[5]- سورة يوسف، الآية 24

وَيُحْتَمَلُ هَمَّ بِالبَطْشِ بِهَا، أَيْ بِالمَرْأَةِ غَضَباً لَمَّا طَلَبَتْهُ بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ، فَأَمَّا إِنْ قُلْنَا هَمَّ بِالمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ العِصْمَةَ مَانِعَةٌ[1] مِنْهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا كَوْنُهُ هَمَّ بِالبَطْشِ بِهَا غَضَباً لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، فَلَمَّا رَأَى البُرْهَانَ تَرَكَهَا، إِذْ عَلِمَ مِنَ البُرْهَانِ أَنَّهُ مَعْصُومٌ.

(**وَأَمَّا**[2] **قَوْلُهُ:** بُرْهَانُ رَبِّهِ، تَفْسِيرُ البُرْهَانِ قِيلَ إِنَّهُ رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَاضّاً عَلَى أُصْبُعِهِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا يُوسُفُ أَتَعْمَلُ عَمَلَ السُّفَهَاءِ وَأَنْتَ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الأَنْبِيَاءِ، فَزَادَهُ اللَّهُ قُوَّةً عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهَا، وَقِيلَ إِنَّهُ رَأَى قَائِلاً يَقُولُ لَهُ: مِثْلُكَ إِنْ لَمْ تُوَاقِعْهَا كَمَثَلِ الطَّيْرِ فِي الهَوَاءِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَمِثْلُكَ إِنْ وَاقَعْتَهَا كَمَثَلِ الطَّيْرِ إِذَا سَقَطَ مَيِّتاً فِي الأَرْضِ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ شَيْئاً، وَقِيلَ[3] إِنَّ البُرْهَانَ رَآهَا حِينَ أَرَادَتْ التَّحَرُّكَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا أَظْهَرَتْ صُورَةَ الفَاحِشَةِ، كَانَ لَهَا صَنَمٌ تَعْبُدُهُ، فَقَامَتْ وَغَطَّتْهُ بِغِطَاءٍ كَثِيفٍ، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ فَعَلْتِ بِهِ هَذَا؟ فَقَالَتْ: أَكْرَهُ أَنْ يَرَانِي عَلَى المَعْصِيَةِ، فَقَالَ لَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَعْصِيَّتِهِ، فَنَفَرَ عَنْهَا. إهـ..)[4]

وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ بَشَرِيَّتِهِ بِتَحَرُّكِهَا لِطَلَبِ الفِعْلِ لَمَّا أَنْ دَعَتْهُ المَرْأَةُ، وَالقَلْبُ أَدْبَرَ عَنْ إِجَابَةِ البَشَرِيَّةِ إِلَى مَا طَلَبَتْ، تَوْفِيَةً بِأَمْرِ اللَّهِ[5]، فَإِنَّ القَلْبَ هُوَ المُخَاطَبُ بِالتَّكْلِيفِ، لَا البَشَرِيَّةُ، فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا تَوَقَّفَ وَوَقَفَ فِي الحُدُودِ المَأْمُورِ بِهَا لَمْ يَضُرَّهُ تَحَرُّكُ البَشَرِيَّةِ لِخِلَافِ ذَلِكَ، لِأَنَّ القَلْبَ قَدْ سَلِمَ، وَهُوَ المُرَادُ بِالتَّكْلِيفِ، يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ، وَبِعِبَارَةٍ فَالبَشَرِيَّةُ فِي الأَنْبِيَاءِ مَوْجُودَةٌ لِطَلَبِ الإِنْغِمَاسِ فِي الشَّهَوَاتِ، هُمْ فِيهَا كَسَائِرِ البَشَرِ، سَوَاءٌ كَانَتِ الشَّهْوَةُ مُحَرَّمَةً أَوْ حَلَالاً،

---

[1]- ح: مانع - ل: ممتنعة

[2]- ي ع: (وأما) ساقطة

[3]- ح: وقال

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- ل: بأمر الله تعالى

وَالقَلْبُ هُوَ القَائِمُ عَلَى البَشَرِيَّةِ، يُفَصِّلُ أَحْوَالَ الشَّهَوَاتِ، فَيَصْرِفُ[1] البَشَرِيَّةَ فِي الشَّهَوَاتِ الحَلَالِ، وَيَقْمَعُهَا عَنِ الوُقُوعِ فِي الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ.

وَهَذَا هُوَ عَيْنُ العِصْمَةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ، لَا زَوَالَ البَشَرِيَّةِ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الجُهَّالِ، فَإِنَّ البَشَرِيَّةَ لَوْ كَانَتْ مَفْقُودَةً فِيهِمْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ عِصْمَةٌ لِعَدَمِ وُجُودِ سَبَبِهَا، وَهُوَ ظُهُورُ البَشَرِيَّةِ لِطَلَبِ الوُصُولِ إِلَى الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ، فَامْتِنَاعُ القَلْبِ مِنْ[2] مُوَافَقَةِ البَشَرِيَّةِ عَنِ الوُصُولِ إِلَى الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ، مَعَ وُجُودِ دَاعِيَةِ البَشَرِيَّةِ إِلَيْهَا هُوَ الأَمْرُ المُسَمَّى فِي عُرْفِ الشَّرْعِ بِالعِصْمَةِ، يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيئاً وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَاتَأْلُوهُ خَبَالاً، وَمَنْ يَتَّقِ بِطَانَةَ السُّوءِ وُقِيَ،

فَدَلَّ الحَدِيثُ الكَرِيمُ عَلَى وُجُودِ البَشَرِيَّةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهَوَاتِ فِي الأَنْبِيَاءِ، إِلَّا أَنَّ القَلْبَ يَسْتَعْصِمُ مِنْ تَصْرِيفِ البَشَرِيَّةِ فِي الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ، وَهَذِهِ هِيَ العِصْمَةُ، فَظَهَرَ مِنْ هَذَا الخَبَرِ أَنَّ الخَوَاطِرَ حَتَّى فِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَكِنَّ سُلْطَانَ الرُّوحِ قَاهِرٌ لِمَيْلِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا، فَلَا تَقْدِرُ أَنْ[3] تَتَحَرَّكَ لِشَيْءٍ إِلَّا إِذَا حَرَّكَهَا، وَسُلْطَانُ الرُّوحِ لَا يَمِيلُ لِلْقَبِيحِ، فَلِذَا كَانُوا مُنَزَّهِينَ عَنِ الأَفْعَالِ القَبِيحَةِ[4]، لِأَنَّ اللَّهَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَمَنْ أَيَّدَهُ اللَّهُ لَا تَتَأَتَّى مِنْهُ مُخَالَفَةٌ لِلحَقِّ وَلَوْ فِيهِ حَتْفُ أَنْفِهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[5].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ إِخْوَةُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هَلْ هُمْ أَنْبِيَاءُ أَوْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ؟ الجَوَابُ[6] أَنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ**

---

[1]- ي ع: يصرف

[2]- ك: عن

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: (أن) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4]- ل: المذمومة

[5]- ك ح ص: ما بين القوسين محذوف

[6]- ل: فأجاب رضي الله عنه بما نصه اعلم أنهم

وَالنَّبِيئِينَ مِنْ بَعْدِهِ)، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَالاسْبَاطِ)**[1]، وَهُمْ أَوْلَادُ سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَمَّا مَا فَعَلُوهُ مَعَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ جَائِزاً فِي شَرْعِ أَبِيهِمْ، أَوْ فَعَلُوهُ قَبْلَ نُبُوءَتِهِمْ، لِأَنَّ العِصْمَةَ لَيْسَ بِمُجْمَعٍ[2] عَلَيْهَا قَبْلَ النُّبُوءَةِ، وَهَذَا غَايَةُ مَا يُذْكَرُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ)[3].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَلَوَ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)**[4]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: فَمَنْ فَمَنْ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ وَجَاءَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَغْفِراً وَتَائِباً وَجَدَ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً، وَالإِتْيَانُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ كَحَيَاتِهِ، وَقَبُولُ التَّوْبَةِ وَالعَمَلِ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَقْطُوعٌ بِهَا إِنْ صَدَرَ كُلٌّ مِنْهَا عَلَى القَانُونِ الشَّرْعِيِّ ظَاهِراً وَبَاطِناً[5]، وَسَلِمَتْ مِنْ **عَوَارِضِ الإِبْطَالِ**، مِنْهَا مَا يَكُونُ فِي ذَاتِ الفِعْلِ نَفْسِهِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ خَارِجاً عَنِ الفِعْلِ،

فَالَّتِي[6] هِيَ **مِنْ ذَاتِ الفِعْلِ** هِيَ الرِّيَاءُ وَالتَّصَنُّعُ لِجَلْبِ غَرَضٍ مِنَ الخَلْقِ، جَلْباً أَوْ دَفْعاً، وَالعُجْبُ هُوَ عَدَمُ شُهُودِ المِنَّةِ، وَهَذَا الأَخِيرُ هُوَ لِخَاصَّةِ الخَاصَّةِ فَقَطْ، **وَعَوَارِضُ الإِبْطَالِ الخَارِجَةُ عَنِ الفِعْلِ**، كَتَرْكِ صَلَاةِ العَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كَالنِّسْيَانِ وَالنَّوْمِ، وَكَقَذْفِهِ لِلْمُؤْمِنِ المُحْصَنِ وَرَمْيِهِ لَهُ بِالزِّنَا، وَكَأَكْلِهِ أُجْرَةَ الأَجِيرِ بَعْدَ وَفَاءِ عَمَلِهِ، وَكَتَعَمُّدِهِ لِأَكْلِ[7] الحَرَامِ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وَكَالرِّدَّةِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ[8]، وَكَذَلِكَ سَبُّ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ

---

[1]- سورة النساء، الآية 163

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: بمجموع

[3]- ك ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة النساء، الآية 64

[5]- ح: ظاهرا أو باطنا

[6]- ي ك: والتي

[7]- ل: الأكل

[8]- ل: والعياذ بالله تعالى

رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لِمَا ذُكِرَ فِي الحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ[1] مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً، فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ المُحْبِطَاتِ فِي ذَاتِ الفِعْلِ تُحْبِطُ العَمَلَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ لَا تَتَعَدَّى لِغَيْرِهِ، وَالمُحْبِطَاتُ الخَارِجَةُ عَنِ الفِعْلِ هِيَ الَّتِي تُحْبِطُ كُلَّ عَمَلٍ تَقَدَّمَهَا وَالسَّلَامُ. (انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[3]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى الآيَةِ أَنَّ مَنِ اقْتَرَفَ ذَنْباً ذَنْباً كَبِيراً أَوْ صَغِيراً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خَائِفاً مِنْ عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ، فَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَسَأَلَهُ المَغْفِرَةَ لِذَنْبِهِ الَّذِي اقْتَرَفَهُ، وَجَدَ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً بِحَسَبِ وَعْدِهِ الجَمِيلِ، وَلَمْ يَخْرُجِ اسْتِغْفَارُهُ خَائِباً مِنَ المَغْفِرَةِ بِشَاهِدِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ، يُرِيدُ إِظْهَارَ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَفِي الآيَةِ رَجَاءٌ عَظِيمٌ وَوَعْدٌ جَزِيلٌ فِي أَنَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ صَادِقاً غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَيّاً كَانَ، وَهَذَا المَشْهَدُ فِيهِ رَجَاءٌ عَظِيمٌ، وَالنَّاسُ غَافِلُونَ عَنْهُ، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ طَلَبُ الإِسْتِغْفَارِ لَا غَيْرَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ،

فَإِذَا صَدَقَ اللَّهَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ المَغْفِرَةِ وَجَدَ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً، لِأَنَّ[4] العَبْدَ إِذَا نَظَرَ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَا[5] وَجَدَ فِيهَا[6] مِنَ الذُّنُوبِ أَنَّهُ سَأَلَ المَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ[7] غُفِرَ، غُفِرَ، وَلَمْ تُوضَعْ[8] فِي المِيزَانِ، وَمَا لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ فِيهِ وُضِعَ فِي المِيزَانِ. انْتَهَى.

---

[1]- ك ل: لا يقبل الله منه

[2]- ك ح ص: ما بين القوسين محذوف

[3]- سورة النساء، الآية 110

[4]- أ ي ع ح ق: أن

[5]- أ ي ع ك ح هـ ق ص: ما

[6]- أ ي ع ك ح هـ ق ص: فيه

[7]- أ ك ع ح ي هـ ق ص: (فيه) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)

[8]- أ ي ع ك ح هـ ق ص: يوضع

وَسَأَلْتُه أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)**[2]، الآيَةُ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الَّذِينَ أُعِدَّتْ لَهُمُ الجَنَّةُ، مِنْ جُمْلَتِهِمُ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، قُلْنَا: الذِّكْرُ هَاهُنَا عَلَى مَرَاتِبَ، مَقَامُ العَامَّةِ ذِكْرُ العَذَابِ وَشِدَّةِ العِقَابِ، فَيَتَأَلَّمُ بَاطِنُهُ مِنْ ذِكْرِهِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَقَامُ الخَاصَّةِ فَوْقَهُمْ ذِكْرُ التَّوْبِيخِ وَالعِتَابِ لَا العَذَابِ، فَإِنَّهُمْ يَفِرُّونَ مِنْ تَوْبِيخِهِ وَعِتَابِهِ كَمَا تَفِرُّ العَامَّةُ مِنْ عَذَابِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ،

وَإِذَا ذَكَرُوا هَذِهِ الحَالَةَ اسْتَغْفَرُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَذِكْرُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ الحَيَاءُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ بِهَا، وَالحَيَاءُ مِنْ نَقْصِ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَذْكُرُ هَذِهِ الحَالَةَ فَيَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِأَنْ أُطِيعَ اللَّهَ وَأَدْخُلَ النَّارَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْصِيَهِ وَأَدْخُلَ الجَنَّةَ، اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ الأَدَبِ وَمِنْ وُقُوعِ السَّيِّئَاتِ مِنْهُمْ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَسُوءُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي الحَدِيثِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيِّي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنِ الحَيَاءُ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ. (انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[3].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيءِ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)**[4]، مَا مَعْنَى هَذِهِ التَّوْبَةِ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: هِيَ الحِمَايَةُ مِنْ مُوَاقَعَةِ الذُّنُوبِ، قُلْتُ لَهُ: أَمَّا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعَمْ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ، وَأَمَّا مَنْ ذُكِرَ مَعَهُ فِي الآيَةِ، فَمَا مَعْنَى الحِمَايَةِ فِي حَقِّهِمْ، فَهَلْ هِيَ عَدَمُ وُقُوعِ الذَّنْبِ فِي حَقِّهِمْ كَمَا فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

---

[1]- ح: (رضي الله عنه) ساقطة

[2]- سورة آل عمران، الآية 135

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة التوبة، الآية 117

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَعْنَاهَا دَوَامُ التَّوْبَةِ لَهُمْ وَعَدَمُ الإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ كَانَ مِثْلَ مَنْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ ذَنْبٌ أَصْلاً، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَقَوْلِهِ: مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَلِفَائِدَةٍ أُخْرَى وَهِيَ رُجُوعُ العَبْدِ إِلَى رَبِّهِ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرَّجَّاعِينَ إِلَيْهِ الَّذِينَ لَا مَلْجَأَ لَهُمْ غَيْرَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ مَهْمَا أَذْنَبَ تَابَ مِنْ حِينِهِ إِلَى رَبِّهِ كَانَ مَحْبُوباً عِنْدَ رَبِّهِ. (انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ)**[2]، الآيَةُ[3] ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهَا اتَّقُوا اللَّهَ وَخَافُوهُ[4] مِنْ شِدَّةِ عِقَابِهِ، وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ، وَهِيَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ الَّتِي فِيهَا رِضَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ عَلَى طَرِيقِ الإِشَارَةِ: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ الَّتِي تَنْقَطِعُونَ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ لِتَتَّصِلُوا بِهِ، وَلَا وَسِيلَةَ أَعْظَمُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يُبْتَغَى مِنَ الوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخُ الكَامِلُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الوَسَائِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[5].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(النَّبِيءُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنَ أَنْفُسِهِمْ)**[6]، الآيَةُ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ الإِسْتِيلَاءُ عَلَى جَمِيعِ المَرَاتِبِ، وَالإِنْفِرَادُ بِالحُكْمِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهَا بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَالمَرَاتِبُ هِيَ أَفْرَادُ المَخْلُوقَاتِ مِنْ كُلِّ جَوْهَرٍ، وَكُلِّ ذَاتٍ، وَكُلِّ ذَرَّةٍ، وَكُلِّ جُرْمٍ، وَكُلُّ ذَاتٍ عَلَى انْفِرَادِهَا هِيَ مَرْتَبَةٌ لِلحَقِّ،

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة المائدة، الآية 35

[3]- أ ك ع ي هـ: (الآية) ساقطة

[4]- ل: وخافوا

[5]- ح: ما بين القوسين محذوف

[6]- سورة الأحزاب، الآية 6

وَكُلُّهَا مَرَاتِبُ إِلَهِيةٌ، فَبِهَذَا القَدْرِ كَانَ أَوْلَى بِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُو)**[2]، الآيَةُ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَفَى اللَّهُ العِلْمَ بِالغَيْبِ عَنِ الخَلْقِ بِهَذِهِ الآيَةِ، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ، لَكِنَّ العِلْمَ المَنْفِيَّ مَا كَانَ لِلْخَلْقِ إِلَيْهِ طَرِيقٌ، وَطُرُقُ العِلْمِ إِلَى الخَلْقِ مِنْ أَحَدِ ثَلَاثٍ: إِمَّا بِحَاسَّةٍ مِنَ الحَوَاسِ، وَإِمَّا بِطَرِيقِ السَّمْعِ وَتَبْلِيغِ الخَبَرِ، وَإِمَّا بِطَرِيقِ الفِكْرِ، وَهُوَ النَّظَرُ فِي أُمُورٍ مَعْلُومَةٍ يُتَوَصَّلُ بِالنَّظَرِ فِيهَا إِلَى العِلْمِ بِأُمُورٍ مَجْهُولَةٍ، فَهَذِهِ الطُّرُقُ هِيَ المَنْفِيَّةُ عَنِ الخَلْقِ، وَبَقِيَتِ الطَّرِيقُ الرَّابِعُ وَهِيَ مَا يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ العَبْدِ بِغَيْرِ حَاسَّةٍ وَلَا وَاسِطَةٍ وَلَا فِكْرٍ، وَيُسَمَّى هَذَا بِالعِلْمِ اللَّدُنِيِّ، فَإِنَّ هَذَا العِلْمَ غَيْرُ مُنْتَفٍ[3] عَلَى الرَّسُولِ، وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، يَشْهَدُ بِهَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)**[4]، الآيَةُ.

قَالَ المُرْسِي: أَوْ صِدِّيقٍ أَوْ وَلِيٍّ، يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَخْزُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا العُلَمَاءُ بِاللَّهِ فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَهْلُ الغُرَّةِ بِاللَّهِ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى قَالَ: المُرَادُ بِالعِلْمِ الَّذِي نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ خَلْقِهِ فِي الخَمْسَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ المُغَيَّبَاتِ، هُوَ العِلْمُ المُكْتَسَبُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ الخَلْقُ بِأَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثٍ كَمَا تَقَدَّمَ: إِمَّا مِنْ أَخْبَارٍ سَمْعِيَّةٍ، أَوْ بِأَدِلَّةٍ فِكْرِيَّةٍ، أَوْ بِمُعَايَنَةٍ حِسِّيَّةٍ، فَهَذِهِ الطُّرُقُ هِيَ الَّتِي حَجَّرَ اللَّهُ عَنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَعْلَمَ الغَيْبَ، وَأَمَّا مَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ العِلْمَ اللَّدُنِّي فَإِنَّهُ يَعْلَمُ بَعْضَ الغَيْبِ كَهَذِهِ المَذْكُورَاتِ أَوْ غَيْرِهَا كَمَا فِي قِصَّةِ[5] الخَضِرِ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة الأنعام، الآية 59

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: منتفي، وأثبتنا لفظ (منتف) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

[4]- سورة الجن، الآية 26-27

[5]- ل: قضية

مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عِلْمٍ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ كَلِيمُ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[1] : وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ العِلْمَ اللَّدُنِّيَ أَنَّهُ يَعْلَمُ بَعْضَ الغُيُوبِ الَّتِي أَخْفَاهَا اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيءٍ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ)**[3]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكَلَامُ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنْ طَرِيقِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ التَّأْوِيلَ كُلَّهُ يَسَعُهُ القُرْآنُ، وَتَأْوِيلُهَا أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يَتَمَنَّى إِسْلَامَ المَرْسُولِ إِلَيْهِمْ، وَهِدَايَتَهُمْ حِرْصاً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَشَفَقَتِهِ[4] عَلَيْهِمْ، فَإِذَا تَمَنَّى هَذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ المَرْسُولِ إِلَيْهِمْ نَقِيضَ مَا تَمَنَّاهُ، ضَلَالاً وَكُفْراً، فَيَتَنَغَّصُ الرَّسُولُ بِذَلِكَ ثُمَّ يَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ المَرْسُولِ إِلَيْهِمْ مِنَ المَعَاصِي وَالكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَمَعْنَاهُ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الآيَةُ المُنَزَّلَةُ مِنَ الإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَالفَيْءِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَالوُقُوفِ عِنْدَ[5] حُدُودِهِ، وَهِيَ الآيَاتُ المُحْكَمَةُ[6]، وَالسَّلَامُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ الغَرَانِيقِ فَبَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ مِنْ وَجْهَيْنِ، كِلَاهُمَا يَقْطَعُ بِبُطْلَانِهِ: **الأَوَّلُ** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ)**[7]، فَهَذَا شَاهِدٌ فِي الآيَةِ بِعِصْمَةِ الوَحْيِ مِنْ تَطَرُّقِ الشَّيْطَانِ، **وَالثَّانِي** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الآيَةِ الَّتِي زَعَمُوا فِيهَا الغَرَانِيقَ: **(إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)**[8]، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهَا حَدِيثُ الغَرَانِيقِ لَضَحِكَتْ مِنْهُ جَمِيعُ العَرَبِ وَسَخِرُوا بِالنَّبِيِّ

---

[1]- ح: قال تعالى

[2]- ح ك: ما بين القوسين محذوف

[3]- سورة الحج، الآية 52

[4]- ي ك: وشفقة

[5]- ل: على

[6]- س ل: المحكمات

[7]- سورة الشعراء، الآية 210-211

[8]- سورة النجم، الآية 23

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِوَحْيِّهِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: **(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى)**[1] ، إِلَى آخِرِ الآيَةِ، يَقُولُونَ: فِيهَا سَمِعَ المُشْرِكُونَ (تِلْكَ الغَرَانِيقُ العُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى[2])، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، فَإِنَّ الكَلَامَ المُقَدَّسَ الجَلِيلَ يُنَزَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا القَذَرِ الفَاحِشِ، إِذْ لَا يُوجَدُ فِيهِ، أَوَّلُ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى مَدْحِ الشَّيْءِ، وَآخِرُهَا يَدُلُّ عَلَى ذَمِّهِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[3] .

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)**[4]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: هِيَ فِي الآخِرَةِ، قُلْتُ[5] لَهُ: سِيَاقُ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا، قَالَ[6] : المُعَايَنَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا فِي الآخِرَةِ، لِأَنَّا نُشَاهِدُ كَثِيراً مِنَ الكَفَرَةِ فِي سَعَةٍ مِنَ[7] الدُّنْيَا، وَلَوْ كَانَ الضَّنْكُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، فَدَلَّتْ سَعَةُ الدُّنْيَا الَّتِي نُشَاهِدُهَا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَنَّ مَعِيشَةَ الضَّنْكِ فِي الآخِرَةِ، عَمَّنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ،

(وَيَدُلُّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ)**[8]، وَلَوْ كَانَ الضَّنْكُ مَآلَهُمْ مَا فَرِحُوا، وَكَذَلِكَ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَعَالَى فِيهِمْ: **(إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)**[9]، وَالمُتْرَفُ هُوَ النَّاعِمُ البَدَنِ[10]، وَالنَّعِيمُ فِي

---

[1]- سورة النجم، الآية 19

[2]- ع ل: لترجى

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة طه، الآية 124

[5]- ل: قلنا

[6]- ل: قال رضي الله عنه

[7]- ح: (من) ساقطة

[8]- سورة غافر، الآية 75

[9]- سورة الواقعة، الآية 45

[10]- ل: الناعم في بدنه

البَدَنِ مُسْتَحِيلٌ مَعَ ضَنَكِ المَعِيشَةِ، لِمَا يَصْحَبُهُ مِنَ الحُزْنِ، فَلَا يَتَأَتَّى نَعِيمُ بَدَنِهِ)[1]. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ)**[2]، وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى: **(وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)**[3]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي نَحَتْ هَذَا النَّحْوِ، مَعَ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَنْ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ، مَعَ أَنَّ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مَحْمُولٌ فِي ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ[4]، وَهُوَ المَوْصُولُ إِلَى كَافَّةِ الخَلْقِ كُلٌّ عَلَى قَدْرِهِ؟ الجَوَابُ: **اعْلَمْ** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ عُلُومَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِطْلَاقاً وَشُمُولاً، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ العِلْمُ بِالكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ فَضْلاً عَنِ القُرْآنِ وَحْدَهُ، وَيَعْلَمُ مُطَالَبَةَ الإِيمَانِ بِدَايَتَهُ وَنِهَايَتَهُ، وَمَاهِيَةَ الإِيمَانِ وَمَا يُفْسِدُهُ وَمَا يُقَوِّيهِ، كُلُّ ذَلِكَ هُوَ ثَابِتٌ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ)**[5]، فَإِنَّ هَذَا الحَالَ كَانَ لَهُ قَبْلَ النُّبُوءَةِ لَمْ يُعْلِمْهُ اللَّهُ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ، وَلَا بِكَيْفِيَّةِ تَنْزِيلِ الكُتُبِ[6]، وَلَا بِمَاهِيَةِ الرِّسَالَةِ الرِّسَالَةِ وَتَفْصِيلِ مَطَالِبِهَا، كُلُّ ذَلِكَ حَجَبَهُ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ النُّبُوءَةِ، وَهُوَ مَكْنُوزٌ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ (وَلَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَنُ النُّبُوءَةِ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ الحُجُبَ وَأَرَاهُ مَا فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ)[7]، يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍّ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلَّمَنِي عُلُومَ الأَوَّلِينَ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة الشورى، الآية 52

[3]- سورة الأحقاف، الآية 9

[4]- ل: ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم

[5]- سورة الشورى، الآية 52

[6]- ح ل: الكتاب

[7]- ع: ما بين القوسين محذوف

وَالآخِرِينَ، وَهَذَا كَانَ فِي زَمَنِ النُّبُوءَةِ، رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ الحِجَابَ وَأَرَاهُ مَا أَدْرَجَهُ اللَّهُ لَهُ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ كُنُوزِ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ، الَّتِي لَا يُحَاطُ بِسَاحِلِهَا وَلَا يُنْتَهَى إِلَى غَايَتِهَا.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْ هَذَا أَنَّ حَقِيقَتَهُ المُحَمَّدِيَّةَ كَانَتْ عَرِيَّةً[1] عَنْ هَذَا قَبْلَ النُّبُوءَةِ، فَلَا يَصِحُّ هَذَا الظَّنُّ، بَلْ حَقِيقَتُهُ المُحَمَّدِيَّةُ لَمْ تَزَلْ مَشْحُونَةً مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ مِنْ أَوَّلِ الكَوْنِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ قَبْلَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَطَرَهُ عَلَى هَذِهِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، وَلَمْ يَزَلْ مَشْحُوناً بِهَا إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ وُجُودِ جَسَدِهِ الكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضُرِبَ الحِجَابُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عِلْمِهِ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ النُّبُوءَةِ، فَرَفَعَ الحِجَابَ وَأَطْلَعَهُ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مِمَّا ذُكِرَ أَوَّلاً، وَمَا خَاطَبَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ، أَخْبَرَ عَنْ حَالَةِ الاحْتِجَابِ مَا كَانَ فِي حَقِيقَتِهِ أَوَّلاً عَنْ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا فَقَطْ، لَا أَنَّهَا لَمْ يَكُنِ العِلْمُ بِهَا فِي حَقِيقَتِهِ.

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مِنْ حِينِ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَمْ يَزَلْ مِنْ أَكَابِرِ العَارِفِينَ، وَلَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ حِجَابُ البَشَرِيَّةِ الحَائِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ القُدْسِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ، وَالفَرْدُ نِسْبَتُهُ إِلَى عُمُومِ العَارِفِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، كَنِسْبَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ إِلَى العَامَّةِ لَا[2] يَعْرِفُونَ شَيْئاً، وَكَانَ فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَحَقِّقاً بِمَرْتَبَةِ أَنْ يَأْخُذَ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَلَا يَجْهَلُ شَيْئاً مِنْ أَحْوَالِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَلَمْ يَطْرَأْ عَلَى شَمْسِهِ فِي هَذَا المَحَلِّ أُفُولٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ عِنْدَ الأَفْرَادِ العَارِفِينَ ثَابِتٌ لَهُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَإِنَّمَا حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ مَاهِيَةَ الرِّسَالَةِ وَمَطَالِبَهَا، وَمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ وَمَا يُرَادُ مِنْهَا، وَكَذَا حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ العِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ نُزُولِ الكِتَابِ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ وَمَا يُرَادُ مِنْهُ، وَمَا الأُمُورُ الَّتِي تَطْلُبُهُ فِي نُزُولِ

[1] - ل: عارية

[2] - ل: العامة الذين لا يعرفون شيئا

الكِتَابِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَرْتَبَةَ النُّبُوءَةِ رُفِعَ الحِجَابُ بَيْنَ عِلْمِهِ وَبَيْنَ مَا كَانَ مُودَعاً فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ،

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنْتُ نَبِيئاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ، وَحَيْثُ كَانَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ نَبِيئاً يَسْتَحِيلُ أَنْ يَجْهَلَ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوءَةَ وَالكِتَابَ وَمُطَالَبَاتِ الجَمِيعِ، وَمِمَّا يَؤُولُ إِلَيْهِ كُلٌّ مِنْهَا وَمَا يُرَادُ مِنْ جَمِيعِهَا، فَالحَدِيثُ شَاهِدٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وُجُودِ جَسَدِهِ الكَرِيمِ، مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيئاً وَلَا رَسُولاً فِي الأَرْضِ إِلَّا كَانَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمِدَّ ذَلِكَ الرَّسُولِ أَوِ النَّبِيِّ مِنَ الغَيْبِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَتَأَتَّى لِنَبِيءٍ وَلَا لِرَسُولٍ أَنْ يَنَالَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمَوَاهِبِ وَالمِنَحِ وَالأَنْوَارِ وَالأَحْوَالِ، إِلَّا بِوَاسِطَةِ الإِسْتِمْدَادِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ المُمِدُّ لِجَمِيعِهَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ،

فَكَيْفَ يَمُدُّهُمْ بِمَا هُمْ عُلَمَاءُ بِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَزَلْ يَرْكُضُ فِي هَذَا المَيْدَانِ رَكْضاً لَا تُمَاثِلُهُ فِيهِ الأَرْوَاحُ، وَلَا تُشَمُّ لِمَقَامِهِ الأَعْظَمِ فِيهِ رَائِحَةٌ، وَهُوَ فِيمَا قَبْلَ وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَحَالَةِ عِلْمِهِ بَعْدَ رِسَالَتِهِ فِي الفَيْضِ وَالمَدَدِ عَلَى جَمِيعِ الأَرْوَاحِ.

وَإِنَّمَا حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الأُمُورَ، أَعْنِي عَنْ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وُجُودِ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَقَبْلَ نُبُوءَتِهِ، وَهِيَ مَكْنُوزَةٌ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ لِسِرٍّ عَلِمَهُ اللَّهُ[1]، فَالإِحْتِجَابُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَسِرُّ ذَلِكَ سَدْلُ الحِجَابِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ لَوْ كَشَفَ اللَّهُ لَهُ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مَا أَدْرَجَهُ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَتَكَلَّمَ بِهِ قَبْلَ زَمَانِ الرِّسَالَةِ وَالبَعْثِ[2] لَوَقَعَ الرَّيْبُ فِي نَفْسِ المَدْعُوِّينَ فِيمَا تَحَدَّى[3] لَهُمْ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، يَقُولُونَ لَهُ إِنَّمَا كُنْتَ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِكَ، نَقَلْتَهُ عَنْ غَيْرِكَ، لَسْتَ نَبِيئاً، فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ كَيْ لَا يَنْطِقَ بِهِ،

---

[1]- ل: الله تعالى

[2]- ل: والبعثة

[3]- ح: تحدث

فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ النُّبُوءَةِ رَفَعَ اللَّهُ الحِجَابَ عَنْهُ[1]، وَمَا أَرَى اللَّهُ النَّاسَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نُبُوءَتِهِ مِنْ كَوْنِهِ أُمِّيّاً لَا يَعْلَمُ شَيْئاً وَلَا يَدْرِي شَيْئاً، وَلَا وَقَعَتْ لَهُ مُخَالَطَةُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ[2] أَوِ القُرْبُ مِنْهُ، لِيَكُونَ إِذَا كَلَّمَهُمْ بِمَا كَلَّمَهُمْ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ، لِكَوْنِهِ صَدَرَ مِنْ أُمِّيٍّ لَا[3] يَعْلَمُ شَيْئاً، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا[4] بِنُبُوءَةٍ[5]، فَهَذَا سِرُّ الإِحْتِجَابِ، وَشَاهِدُ هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ المُبْطِلُونَ)**[6].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)**[7]، الآيَةُ الجَوَابُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ العِلْمُ القَطْعِيُّ بِأَنَّهُ عَرُوسُ المَمْلَكَةِ الإِلَهِيَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي جَمِيعِ الخَلِيقَةِ أَكْرَمَ مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا أَحَبَّ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَلَا أَعَزَّ وَلَا أَكْبَرَ حُظْوَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ مَأْمُونُ العَاقِبَةِ فِي الآخِرَةِ لَا يَلْحَقُهُ لَا أَلَمٌ وَلَا عَذَابٌ، وَأَنَّهُ فِي الدَّرَجَةِ العَالِيَةِ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ المُقِيمِ، وَرِضَا اللَّهِ الأَبَدِيِّ السَّرْمَدِيِّ، كُلُّ هَذَا لَا يَدْخُلُهُ فِيهِ رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ،

وَمَا ذَكَرَهُ[8] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَرَادَ تَفْصِيلَ مَا يَقَعُ بِهِ مِنَ النَّعِيمِ وَتَفْصِيلَ[9] العَطَايَا وَالمِنَحِ الوَارِدَةِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،

---

[1]- ل: رفع الله عنه الحجاب

[2]- ل: الكتاب

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: لم، وأثبتنا لفظ (لا) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: ولا

[5]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: نبوءة، وأثبتنا لفظ (بنبوءة) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[6]- سورة العنكبوت، الآية 48

[7]- سورة الأحقاف، الآية 9

[8]- أ ك ع ي ص: ذكر

[9]- ي: وتفضيل

فَإِنَّهُ وَإِنْ[1] عَلِمَهَا[2] بِجُمْلَتِهَا[3] يُمْكِنُ أَنْ لَا[4] يُحِيطَ بِتَفَاصِيلِهَا عَلَى دَوَامِ الأَبَدِ فِي الجَنَّةِ، الجَنَّةِ، فَإِنَّ فِي عِلْمِ اللَّهِ مَا لَا تَسَعْهُ العُقُولُ، وَإِنْ قُلْنَا إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحِيطٌ عِلْماً بِجَمِيعِ هَذَا فَيَقَعُ لَهُ فِي بَالِهِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ مِنَ العَطَايَا وَالمِنَحِ الَّتِي يَصُبُّهَا عَلَيْهِ فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عِنْدَ وُجُودِهَا، فَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، فِي أَنَّهُ[5] رَدَّ الأَمْرَ إِلَى إِحَاطَةِ إِحَاطَةِ العِلْمِ الأَزَلِيِّ الإِلَهِي، فَإِنَّ عِلْمَ اللَّهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ لَا يُحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ، لَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غَيْرُهُ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِيَ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ حَاكِياً عَنْ نَفْسِهِ بِمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الآيَةِ: **(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ)**[6]، فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ رَدَّ الأَمْرَ إِلَى حَقِيقَةِ العِلْمِ الأَزَلِيِّ، لِأَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ عَالِماً بِمَا ذُكِرَ أَوَّلاً،

وَأَمَّا أَنْ يُتَوَهَّمَ مِنْ هَذَا الخَبَرِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ هَلْ يَرْحَمُهُ اللَّهُ أَوْ يُعَذِّبُهُ أَوْ يُقَرِّبُهُ أَوْ يَطْرُدُهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَهَذَا لَا تَقْبَلُهُ الحَقِيقَةُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[7] وَتَعَالَى: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)**[8]، وَقَوْلُهُ: **(وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)**[9]، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا الأَمْرُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ يَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ العَذَابَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ لَا يُخْلَفُ، وَأَمَّا الخَبَرُ الوَارِدُ عَنْ

---

[1]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: إن

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: علمه، وأثبتنا لفظ (علمها) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: بجملها، وأثبتنا لفظ (بجملتها) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4]- ك: ألا

[5]- ح: فإنه

[6]- سورة الأنعام، الآية 50

[7]- ل: (سبحانه) ساقطة

[8]- سورة الضحى، الآية 5

[9]- سورة النساء، الآية 113

عَائِشَةَ إِنْ صَحَّ، وَهُوَ قَوْلُهَا: مَنْ قَالَ إِنَّ[1] النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ، فَلَا يَتَأَتَّى هَذَا إِنْ سَمِعَتْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَتَمَ الأَمْرَ عَنْهَا لِسِرٍّ ظَهَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، لَا يُمْكِنُ كَشْفُهُ لَهَا، كَمَا كَتَمَ عَنْهَا رُؤْيَتَهُ لِلذَّاتِ العَلِيَّةِ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالإِجْمَاعِ،

فَيَكُونُ كَتْمُهُ لَهُ عَنْهَا لِسِرٍّ ظَهَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَالأَخْبَارُ وَالآثَارُ وَكُتُبُ الحَدِيثِ كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِإِخْبَارَاتِهِ[2] بِالغُيُوبِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ المُتَقَارِبَةِ وَالمُتَبَاعِدَةِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَرَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيراً[3] يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا ذَكَرَهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الجَنَّةَ وَالنَّارَ. الحَدِيثُ، وَالأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ حَتَّى لَا يَكَادُ أَنْ يَرْتَابَ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالسَّلَامُ.

وَيَبْقَى اعْتِرَاضٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ إِذَا صَحَّ مَا ذَكَرْتُمْ، وَكَانَ هَذَا السِّرُّ هُوَ المَانِعُ مِنْ[4] ظُهُورِ مَا فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ قَبْلَ النُّبُوءَةِ، فَلِمَ لَا يَكُونُ رَسُولاً وَلَا نَبِيئاً مِنْ أَوَّلِ نَشْأَتِهِ حَتَّى لَا يَحْتَجِبَ عَنْهُ مَا فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ كَمَا كَانَ[5] حَالَ الغَيْبِ قَبْلَ وُجُودِ جَسَدِهِ جَسَدِهِ الكَرِيمِ؟ فَالجَوَابُ عَنْ هَذَا الإِعْتِرَاضِ أَنَّ مَنْعَ اللَّهِ لَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ قَبْلَ بُلُوغِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، مَرَدُّهُ[6] أَنَّ النُّبُوءَةَ وَالرِّسَالَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ[7] تَجَلٍّ[8] إِلَهِي، لَوْ وُضِعَ أَقَلُّ قَلِيلٍ

---

[1]- ك ع: وأن

[2]- ل: بإخباراته صلى الله عليه وسلم

[3]- ل: أمراً

[4]- ل: عن

[5]- ل: قال

[6]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: (مرده) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)

[7]- ل: (عن) ساقطة

[8]- ل: بتجل

قَلِيلٍ مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي كُورَةِ العَالَمِ كُلِّهِ لَذَابَتْ كُلُّهَا لِثِقَلِ أَعْبَائِهِ وَسَطْوَةِ سُلْطَانِهِ، فَلَا تَقْدِرُ الأَنْبِيَاءُ عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَائِهِ وَالثُّبُوتِ لِسَطْوَةِ سُلْطَانِهِ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً،

وَأَمَّا قَبْلَ بُلُوغِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فَلَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ ذَلِكَ التَّجَلِّي، لِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ البَشَرِيَّةُ مِنْ شِدَّةِ الضُّعْفِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الإِنْسَانُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ نَبِيئاً أَوْ رَسُولاً أَفَاضَ عَلَى[1] رُوحِهِ مِنْ قُوَّتِهِ الإِلَهِيَّةِ مَا يَقْدِرُ بِهِ عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ ذَلِكَ التَّجَلِّي، فَلِهَذَا السِّرِّ لَمْ يَتَنَبَّأْ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهَذَا هُوَ المَانِعُ لَهُ مِنَ النُّبُوءَةِ قَبْلَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِغَيْرِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ.

وَأَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَوْنُهُ نُبِّئَ[2] قَبْلَ الأَرْبَعِينَ، فَالجَوَابُ: لَمْ يَكُنْ بَشَرِيّاً بَشَرِيّاً مَحْضاً، إِنَّمَا كَانَ نِصْفَيْنِ، نِصْفٌ بَشَرِيٌّ، وَنِصْفٌ رُوحَانِي، إِذْ نَشَأَ عَنْ نَفْخَةِ الرُّوحِ الأَمِينِ فِي فَرْجِ أُمِّهِ، فَقَوَّى فِيهِ ضُعْفَ البَشَرِيَّةِ، وَزَادَ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى النَّبِيئِينَ، فَلِذَلِكَ بُعِثَ قَبْلَ الأَرْبَعِينَ لِلْقُوَّةِ الَّتِي أُعْطِيهَا مِنْ نَفْخِ الرُّوحِ الأَمِينِ فِي فَرْجِ أُمِّهِ، فَإِنْ قُلْتَ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَالجَوَابُ[3] أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَقْوَى مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَامِلَ البَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ كَانَ فِيهِ ضُعْفُ البَشَرِ وَغَطَّا[4] فِيهِ القُوَّةَ الإِلَهِيَّةَ المُودَعَةَ فِيهِ، الَّتِي تَزِيدُ عَلَى قُوَّةِ عِيسَى وَغَيْرِهِ وَالسَّلَامُ.

فَإِنْ قِيلَ لَا يَصِحُّ مَا ذَكَرْتُمْ وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ تَكُونَ العُلُومُ وَالمَعَارِفُ وَالأَسْرَارُ مُودَعَةً فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَهِيَ مُحْتَجِبَةٌ عَنْهُ لَا يَعْلَمُهَا؟ فَالجَوَابُ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَدَّمْنَاهُ وَاقِعٌ فِي الإِدْرَاكِ وَالحِسِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّصَوُّرِ، وَشَاهِدُ ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ الإِنْسَانِيَّ المُدَبِّرَ لِلْجِسْمِ كَانَ قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجِسْمِ مَخْلُوقاً مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي، وَأَوْدَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَسْرَارِهِ وَعُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ مَا لَا تُدْرَكُ لَهُ غَايَةٌ، وَلَا يُوقَفُ لَهُ عَلَى حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ، وَكَانَتِ

---

[1] - ل: إلى

[2] - ح ل: نبيئا

[3] - ح: (فالجواب) ساقط

[4] - أ ك ع ي ح هـ ق ص م: وأعطى، وأثبتنا لفظ (غطا) وفقا للنسخة س (سكيرج)

الرُّوحُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ تَامَّةَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَامِلَةَ الصَّفَاءِ وَالتَّمْكِينِ مِنْ مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، تَامَّةَ العِلْمِ بِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الحَضْرَةُ[1] مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، غَيْرَ جَاهِلَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا،

وَلَيْسَتِ[2] الأَرْوَاحُ فِي هَذَا المَيْدَانِ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ وَلَا نِهَايَتُهَا فِي ذَلِكَ إِلَى غَايَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ عُلُومُ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَمَعَارِفُهَا مَقْسُومَةٌ عَلَى الأَرْوَاحِ بِحَسَبِ مَا فَصَّلَتْهُ المَشِيئَةُ الإِلَهِيَةُ، بِالفَيْضِ[3] لِلأَرْوَاحِ مِنْ تِلْكَ الحَضْرَةِ، فَإِنَّهُ[4] جَارٍ عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ القِسْمَةِ فِي المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، فَمُقَلِّلٌ وَمُكَثِّرٌ.

ثُمَّ لَمَّا تَرَكَّبَتْ فِي قَارُورَةِ الجِسْمِ وَتَلَطَّخَتْ بِأَدْرَانِهِ، وَانْعَكَسَتْ نِسْبَتُهَا الَّتِي هِيَ غَايَةُ الصَّفَاءِ وَالضَّوْءِ[5] إِلَى نِسْبَةِ الجِسْمِ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الظَّلَامِ وَالكَثَافَةِ، احْتَجَبَتْ عَنْهَا تِلْكَ العُلُومُ وَالمَعَارِفُ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا قَبْلَ تَرْكِيبِهَا فِي الجِسْمِ، وَاسْتَمَرَّ لَهَا هَذَا الحِجَابُ مِنْ نَشْأَةِ الجِسْمِ دَائِماً، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالعَبْدِ الوُصُولَ إِلَى صَفَاءِ المَعْرِفَةِ، ثُمَّ وَصَلَهَا، رُفِعَ الحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ مُودَعاً فِي حَقِيقَةِ رُوحِهِ مِنَ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ، فَعَرَفَ الأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَلَمْ تَكُنْ تَنَزَّلَتْ فِيهِ بَعْدَ المَعْرِفَةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَخْزُونَةً فِي حَقِيقَتِهِ، ثُمَّ رُفِعَ لَهُ الحِجَابُ عَنْهَا، فَإِذَا رُفِعَ لَهُ الحِجَابُ عَنْهَا عَرَفَ مَا كَانَ فِي حَقِيقَةِ رُوحِهِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَعَرَفَ مَا يُفَاضُ عَلَيْهِ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ بَعْدَ المَعْرِفَةِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي رُوحِهِ قَبْلُ، وَأَدْرَكَ الفَرْقَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَهَذَا يَعْلَمُهُ جَمِيعُ العَارِفِينَ.

وَالدَّلِيلُ الثَّانِي عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً أَنَّ الإِنْسَانَ هُوَ عَيْنُ رُوحِهِ وَمَاهِيَتِهِ لَا غَيْرُ، وَإِنَّمَا هَذَا الجَسَدُ الظَّاهِرُ لِرُوحِهِ كَالثَّوْبِ المَلْبُوسِ، فَلَيْسَ الإِنْسَانُ إِلَّا الرُّوحُ، ثُمَّ هُوَ الآنَ فِي حِجَابٍ عَنْ دَرْكِ

---

[1]- ل: الحضرة الإلهية

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: وليس

[3]- ل ح: فالفيض

[4]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: (فإنه) ساقطة

[5]- ع: والوضوء

حَقِيقَةِ رُوحِهِ، لَا يَعْلَمُهَا وَلَا يُدْرِكُهَا وَهِيَ عَيْنُهُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ بُلُوغَ المَعْرِفَةِ وَصَفَاءَهَا[1] رَفَعَ لَهُ الحِجَابَ عَنْ حَقِيقَةِ رُوحِهِ، فَأَدْرَكَ حَقِيقَتَهَا إِدْرَاكاً ذَوْقِيّاً وَكَشْفاً عَيْنِيّاً يَقِينِياً، وَأَدْرَكَ مَا أُودِعَ فِيهَا مِنَ العُلُومِ وَالأَسْرَارِ، فَهِيَ الآنَ مُحْتَجَبَةٌ عَنْهُ وَهُوَ عَيْنُهَا، فَهَذَا أَعْظَمُ شَاهِدٍ عَلَى مَا قُلْنَاهُ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأُلُوهِيَّةُ[2] المَشْهُودَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى قِسْمَانِ، قِسْمٌ مُتَعَلَّقُهُ الأُلُوهِيَّةُ مَحْضاً لَا تَعَلُّقَ فِيهِ لِلخَلْقِ، وَقِسْمٌ مِنَ الأُلُوهِيَّةِ مُتَعَلِّقُهُ الخَلْقُ، تُعْرَفُ تِلْكَ المَعَانِي الإِلَهِيَّةِ بِالخَلْقِ، وَتُعْرَفُ المَخْلُوقَاتُ بِتِلْكَ المَعَانِي الإِلَهِيَّةِ، وَلَابُدَّ لِكُلِّ كَامِلٍ مِنْ شُهُودِ الأَمْرَيْنِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الشَّوَاهِدِ عَلَى مَا ذُكِرَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مِنْ كَوْنِ عُلُومِ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ وَالكُتُبِ وَالإِيمَانِ مَوْجُودَةً[3] فِي حَقِيقَتِهِ[4] مُغَطَّاةً عَلَيْهِ بِحِجَابٍ كَحَالَةِ النَّائِمِ فِي نَوْمِهِ، فَإِنَّ عُلُومَهُ الَّتِي كَانَ يَعْلَمُهَا[5] فِي اليَقَظَةِ مُغَطَّاةٌ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ النَّوْمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ وَزَالَ عَنْهُ حِجَابُ النَّوْمِ تَعَقَّلَهَا وَوَجَدَهَا لَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهِ، فَهَذَا حَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى زَمَنِ النُّبُوءَةِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[6].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**)[7]، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**)[8]، مَعَ قَوْلِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

---

[1]- ل: وصفاتها

[2]- ي ك: للألوهية

[3]- أ ي ك ع: موجودا

[4]- ي ك: (في حقيقته) ساقطة

[5]- ي ك: يعلمه

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- سورة السجدة، الآية 11

[8]- سورة الزمر، الآية 42

عَنْهُ: وَتَوَلَّ قَبْضَ أَرْوَاحِنَا بِيَدِكَ، وَحُلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ غَيْرِكَ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ القَابِضُ لِلأَرْوَاحِ أَصْلاً وَعَيْناً وَوَلَّي ذَلِكَ عَزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سِجَافاً وَسِتْراً حُكْمِيّاً غَطَّى بِهِ صَرْفَ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّ سِرَّ القُدْرَةِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ العَيْنِ لَا يُظْهِرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَحَدٍ ظُهُوراً عَيْنِيّاً، وَإِنَّمَا يُظْهِرُهُ عِلْماً[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُغَطًّى بِسِجَافِ الحِكْمَةِ، فَهُوَ القَابِضُ لِلأَرْوَاحِ بَاطِناً وَقُدْرَةً صِرْفاً، وَهُوَ المُوَلِّي لِعَزْرَائِيلَ قَبْضَهَا ظَاهِراً سَتْراً حُكْمِيّاً، وَقَدْ رُفِعَ هَذَا السِّتْرُ فِي بَعْضِ الأَشْخَاصِ فَضْلاً مِنْهُ وَجُوداً، وَاخْتِصَاصاً لِمَا شَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا حَجْرَ عَلَيْهِ فِي عُمُومِ الإِطْلَاقَاتِ، فَيَتَوَلَّى قَبْضَ أَرْوَاحِهِمْ بِيَدِهِ دُونَ تَوْلِيَةِ عَزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ الَّذِي يَتَوَلَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَبْضَ رُوحِهِ دُونَ تَوْلِيَّةِ عَزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلَ مِمَّنْ تَوَلَّى قَبْضَ رُوحِهِ عَزْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ هَذِهِ مَزِيَّةٌ، وَالمَزِيَّةُ لَا تَخْتَصُّ بِالفَاضِلِ دُونَ المَفْضُولِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ كَمَا نُشِيرُ إِلَيْهَا فِيمَا يَأْتِي.

ثُمَّ نَقُولُ: إِنَّ الحَقَّ لَا حَجْرَ عَلَيْهِ كَمَا قَدَّمْنَا، يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ مَا يَشَاءُ، سَوَاءٌ كَانَ فِي عُمُومِ الخَبَرِ وَالإِطْلَاقِ، فَيُخَصِّصُ بِمُنَاقَضَةِ عُمُومِ الخَبَرِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَوْ كَانَ فِي خُصُوصِ الخَبَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ، فَإِنَّ المَزَايَا يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهَا الفَاضِلَ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ، وَقَدْ يَخْتَصُّ بِهَا المَفْضُولَ فِي بَعْضِ المَرَاتِبِ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيئُونَ وَالشُّهَدَاءُ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَعْنِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَدْ بَانَ لَكَ أَنَّ المَزِيَّةَ قَدْ[2] يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهَا المَفْضُولَ دُونَ الفَاضِلِ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ أَعْظَمُ المَزَايَا، حَيْثُ كَانَ النَّبِيئُونَ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ وَشُفُوفِ رُتْبَتِهِمْ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الظُّنُونَ لَا تَطْرُقُهَا عُلُوّاً، يَتَمَنُّونَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامَ مَنْ لَا تَكُونُ[3] نِسْبَتُهُ إِلَيْهِمْ حَتَّى نُقْطَةَ قَلَمٍ فِي بَحْرٍ طُولُهُ أَلْفُ أَلْفِ عَامٍ وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ وَعُمْقُهُ كَذَلِكَ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُلُوِّ مَقَامِهِمْ.

---

[1]- ل: وإنما يظهره سبحانه وتعالى علما

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: (قد) ساقطة، وأثبتناها وفقا للنسخة س (سكيرج)

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: يكون

وَكَشْفُ سِرِّ هَذِهِ الحِكَايَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ هَذِهِ المَزِيَّةَ لَمْ تَقَعْ لِأَكَابِرِ النَّبِيئِينَ لِعُلُوِّ مَقَامِهِمْ عَنِ التَّدَلِّي لِمِثْلِ هَذِهِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ المَغْبُوطِينَ بِمَنْزِلَةِ الأَطْفَالِ فِي حِجْرِ الحَقِّ، يُلَاطِفُهُمْ بِأَنْوَاعِ التُّحَفِ لِعَدَمِ طَاقَتِهِمْ لِحَمْلِ أَعْبَاءِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ بِمَا يَتَجَلَّى بِهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى)**[1]، فَلَمَّا عَظُمَ المَوْقِعُ فِي هَذَا التَّجَلِّي الَّذِي لَا طَاقَةَ لِلأَرْوَاحِ بِهِ لَاطَفَ[2] صِغَارَ أَحْبَابِهِ بِمَا يَغْبِطُهُمْ بِهِ الأَكَابِرُ، تَرْوِيحاً لَهُمْ مِنْ ضَغْطَةِ الوَارِدِ، وَرِفْقاً بِضُعْفِ[3] مَقَامِهِمْ أَنْ يَعْظُمَ بُكَاؤُهُمْ وَأَنِينُهُمْ، لِصُعُوبَةِ مَا يَرَوْنَ مِنَ التَّجَلِّي،

وَأَمَّا النَّبِيئُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلِقُوَّةِ[4] مَقَامِهِمْ[5] عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَتَلَقِّي كُلِّ مَا يَبْرُزُ مِنْهَا[6] مِنَ التَّجَلِّيَاتِ بِمَا يُعْطِيهِ الوَقْتُ مِنْ كَمَالِ الأَدَبِ، فَهُمْ ثَابِتُونَ كَالجِبَالِ الرَّوَاسِخِ، لَا تُدْهِشُهُمْ التَّجَلِّيَاتُ، وَلَا تُزْعِجُهُمْ عَوَاصِفُ المُعْضِلَاتِ، فَلَمْ يُحَرِّكْ لَهُمْ الحَقُّ هَذِهِ المَزِيَّةَ الَّتِي[7] اسْتَأْنَسَ بِهَا صِغَارُ[8] الأَحْبَابِ، عِلْماً مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ مَقَامَهُمُ الأَعْلَى وَمَرْكَزَهُمُ الأَسْمَى بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ عُلُوِّ الأَدَبِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ لَا يَتَنَزَّلُونَ[9] إِلَى تَوْقِيعِ هَذِهِ المَزِيَّةِ، فَإِنَّمَا حَاصِلُهَا مِنْ شَهَوَاتِ النُّفُوسِ الَّتِي هِيَ مُلَاطَفَةٌ مِنَ الحَقِّ لِضُعَفَاءِ خَلْقِهِ.

---

[1]- سورة الحج، الآية 2

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: بجملها، ليلاطف ـ م: ليلاطف

[3]- ح ل م: لضعف

[4]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: لقوة، وأثبتنا لفظ (فلقوة) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[5]- ل: مقاماتهم

[6]- ل: فيها

[7]- ك ع: الذي

[8]- ك: ضعفاء

[9]- ل: ينزلون

وَأَمَّا الأَكَابِرُ العَالُونَ[1] فَلَا تُرْضَى مِنْهُمْ وَلَا تُرْضَى لَهُمْ، كَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِيهَا: مَا لِلأَقْوِيَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، إِنَّمَا[2] أَبَحْتُ الشَّهَوَاتِ لِضَعَفَةِ خَلْقِي يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى طَاعَتِي، وَشَاهِدُ ذَلِكَ وَهُوَ عُلُوُّ مَقَامِ النَّبِيئِينَ مَا وَقَعَ فِي قَضِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ زُجَّ بِهِ فِي المَنْجَنِيقِ، مَقْذُوفاً إِلَى النَّارِ الَّتِي شَأْنُهَا مَعْرُوفٌ، فَمَا أَنَّ وَلَا اسْتَغَاثَ ثُبُوتاً لِحُكْمِ تَجَلِّيهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَوَفَاءً بِآدَابِ التَّجَلِّي، فَتَعَرَّضَ لَهُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الهَوَاءِ، وَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ يَا إِبْرَاهِيمُ،

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ إِرْسَالَ الأَمِينِ إِلَيْهِ لِيُنْقِذَهُ[3] مِنْ وَحْلَتِهِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهِ وَرِفْعَةِ مَقَامِهِ لَدَيْهِ، وَأَنَّهُ إِنْ مَالَ إِلَيْهِ فِي تَخْلِيصِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ[4] سُوءَ أَدَبٍ وَلَا انْحِطَاطاً لِرُتْبَتِهِ، لِأَنَّهُ تَلَقَّى مِنَّةَ الحَقِّ حَيْثُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ لَمَّا رَآهُ تَنَزُّلاً عَنْ عُلُوِّ المَقَامِ وَتَنْزِيلاً عَنْ كَمَالِ الأَدَبِ، وَهُوَ تَلَقِّيهِ لِمِنَّةِ الحَقِّ بِالفَرَحِ وَالقَبُولِ عَلَى حُكْمِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِرُخَصِهِ فَاقْبَلُوهَا، وَكَالحُكْمِ الوَاقِعِ فِي حُكْمِهِ تَعَالَى: **(بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)**[5]، فَإِنَّ هَذِهِ عَلَامَةُ النَّصْرِ وَبُلُوغُ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِضُعْفِ مَقَامِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ.

فَأَوَّلُ الآيَةِ مَوْقِفُ الضُّعَفَاءِ مِنَ الأَحْبَابِ حَيْثُ يُلَاطَفُونَ فِي حَضْرَةِ الحَقِّ، دَفْعاً لِمَا لَا تُطِيقُهُ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ ثِقَلِ الوَارِدِ، وَآخِرُ الآيَةِ هُوَ مَوْقِفُ الأَكَابِرِ مِنَ العَالِينَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُبَالُونَ بِغَيْرِ الحَقِّ[6] تَعَالَى، وَلَمَّا كَانَ المَيْلُ إِلَى الرُّخْصَةِ تَنْزِيلاً عَنِ الأَكْمَلِ فِي الأَدَبِ، وَهُوَ وَفَاؤُهُ بِكَمَالِ الأَدَبِ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَكَمَالُ تَحَمُّلِهِ لِأَعْبَائِهَا حَيْثُ لَا تَطْرُقُهُ لَذَّةُ نَفْسٍ وَلَا

---

[1]- ل: الأعلون

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: وإنما

[3]- ح ي: ينقده

[4]- ع: لم يكن منه ذلك

[5]- سورة آل عمران، الآية 125-126

[6]- ي ك ل هـ: الله

شَهَوَاتُهَا وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ حَتْفُ أَنْفِهِ تَرَكَهُ، فَلِذَا[1] أَجَابَهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، أَيْ لَمْ يَرْضَ التَّنَزُّلَ لِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مِنَّةِ الحَقِّ، وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا الوُقُوفَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الأَدَبِ وَهُوَ انْقِطَاعُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ وِجْهَةٍ مِنْ أَحْوَالِ النُّفُوسِ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ حَتْفُ أَنْفِهِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ حَيْثُ قَالَ لَهُ: سَلْهُ، قَالَ: حَسْبُهُ مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ بُعْدَ مَا بَيْنَ مَقَامَاتِ النَّبِيئِينَ مِنْ مَقَامَاتِ[2] المَغْبُوطِينَ، وَأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنْ تَمَنِّيهِمْ لِمَقَامَاتِ[3] المَغْبُوطِينَ، مِمَّا لَحِقَهُمْ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَى أُمَمِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ أَلَّا يَتَحَمَّلُوا أَعْبَاءَ ذَلِكَ المَقَامِ وَلَا يَثْبُتُوا لَهُ، وَيَكْثُرَ أَنِينُهُمْ وَبُكَاؤُهُمْ، وَقَدْ عُرِفَ مَا فِي البَشَرِيَّةِ مِنَ المَيْلِ إِلَى الأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَحُلُّ بِهِمْ مِنَ البَلَايَا وَالنِّقَمِ، وَإِنْ كَانَ مَقَامُ صَاحِبِ هَذِهِ البَشَرِيَّةِ فِي أَعْلَى المَقَامَاتِ، فَلِهَذَا أَغْبَطُوا مَنْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، لِكَوْنِهِمْ لَا أَتْبَاعَ لَهُمْ يَخْشَوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ شِدَّةِ الوَارِدِ،

وَمِنَ المَزَايَا الَّتِي وَعَدْنَا بِهَا فِي صَدْرِ الجَوَابِ مَا وَقَعَ لِعُمَرَ وَعَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ: مَا سَلَكْتَ فَجّاً إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ غَيْرَهُ، وَقَالَ لِعَمَّارٍ: إِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا يُوَسْوِسُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي رُتْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُمَا مَزِيَّتَانِ خَصَّهُمَا بِهِمَا دُونَ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ هَاتَيْنِ المَزِيَّتَيْنِ ثَابِتَتَانِ فِي حَقِيقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الأَصْلُ الجَامِعُ، وَمَا كَانَ عُمَرُ وَعَمَّارُ إِلَّا فَرْعَيْنِ مِنْهُ، فَأَظْهَرَ المَزِيَّةَ فِي فَرْعَيْهِ وَلَمْ يُظْهِرْهَا فِي أَصْلِهِ الجَامِعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

كَمَزِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِكَوْنِهِ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ المَزِيَّةُ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَمَزِيَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كَوْنِهِ

---

[1]- ل ح: فلذلك

[2]- ل: مقام

[3]- ل: لمقام

ذَا لِحْيَةٍ فِي الجَنَّةِ دُونَ جَمِيعِ[1] الخَلْقِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشُفُوفُ رُتْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْرُوفٌ.

وَكَحِكَايَةِ آصَفَ بْنِ بَرْخِيَا مَعَ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ طَلَبَ أَنْ يَحْضُرَ لَدَيْهِ عَرْشُ بِلْقِيسَ، فَقَالَ: **(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)**[2]، فَإِنَّهَا مَزِيَّةٌ اخْتَصَّ بِهَا آصَفُ وَهُوَ غَيْرُ نَبِيٍّ، وَمُنِعَ مِنْهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعُلُوِّ مَقَامِهِ، وَإِنْ أَشْكَلَ الأَمْرُ فِي قَضِيَّةِ آصَفَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ كَانَ آصَفُ تِلْمِيذَهُ، وَأَخَذَ عَنْهُ الإِسْمَ الأَعْظَمَ، وَبِقُوَّةِ الإِسْمِ فَعَلَ مَا فَعَلَ،

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا الإِشْكَالِ أَنَّ مَقَامَ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شُفُوفِ رُتْبَتِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ لَا يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذِهِ المَزِيَّةَ، وَلَا يَتَأَتَّى لَهُ التَّدَلِّي إِلَيْهَا، لِأَنَّ مَقَامَ النُّبُوءَةِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا تَلَقِّي مَا هُوَ[3] فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ مِنْ جَمِيعِ التَّجَلِّيَاتِ، ذَاتِيَةٍ أَوْ صِفَاتِيَةٍ أَوْ أَسْمَائِيَةٍ أَوْ فِعْلِيَّةٍ، تَلَقِّيهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنْ يُغَيِّرَ تَجَلِّيّاً مِنَ التَّجَلِّيَاتِ، أَوْ يُغَيَّرَ لِأَجْلِ غَرَضِهِ وَارِداً مِنَ الوَارِدَاتِ البَارِزَةِ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ، بَلْ أَدَبُهُ فِي مَقَامِهِ ثُبُوتُهُ لِجَمِيعِ التَّجَلِّيَاتِ، طَابَقَتْ غَرَضَهُ أَوْ خَالَفَتْهُ.

وَلِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّبِيئِينَ خُرُوجٌ عَنْ دَائِرَةِ الأَسْبَابِ الحُكْمِيَّةِ مَيْلاً إِلَى خَرْقِ العَادَاتِ، لِقُوَّةِ كَمَالِهِمْ[4]، وَكَمَالِ أَدَبِهِمْ وَاسْتِغْرَاقِهِمْ فِي العِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَفَنَاءِ إِرَادَتِهِمْ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَا تُرِيدَ إِلَّا مَا أَرَادَ، وَهَذَا الوَصْفُ لَهُمْ وَصْفٌ ذَاتِي، اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ مَقَامُهُمْ، فَلَا يُزَحْزِحُهُمْ عَنْ هَذَا المَقَرِّ تَجَلٍّ[5] مِنَ التَّجَلِّيَاتِ وَإِنْ عَظُمَ، لِأَنَّهُمْ فِي هَذَا المَيْدَانِ قَائِمُونَ لِلَّهِ بِاللَّهِ، رَاكِضُونَ فِي هَذَا المَجَالِ، مُسْتَغْرِقُونَ فِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَوَّاهُمُ اللَّهُ[6] بِقُوَّتِهِ،

---

[1]- ل: دون غيره من جميع

[2]- سورة النمل، الآية 40

[3]- ع: (هو) ساقطة

[4]- ي ك ل: كماله

[5]- ح ي: تجلي

[6]- ل: الله تعالى

وَأَثْبَتَهُمْ[1] بِإِثْبَاتِهِ، وَتَحَمَّلُوا أَعْبَاءَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ عَلَى غَايَةِ ثِقَلِهَا، وَصُعُوبَةِ مُبَايَنَتِهَا لِأَغْرَاضِ النُّفُوسِ، وَلَمْ يُبَالُوا بِمَا هُوَ دُونَهَا[2]، وَحَالُ الأَنْبِيَاءِ هَذَا كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ بُعْدِهِمْ عَنِ المَيْلِ إِلَى خَرْقِ العَوَائِدِ، فَضْلاً عَنْ فِعْلِهَا، مَا لَمْ تُؤَدِّيهِمْ[3] إِلَى خَرْقِ العَوَائِدِ ضَرُورَةُ إِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ وَإِيضَاحِ صِحَّتِهَا فِي قُلُوبِ المُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، فَيَفْعَلُونَ مَا يُفْعَلُ مِنْ خَرْقِ العَوَائِدِ قِيَاماً بِمَؤُنَةِ تَصْحِيحِ الرِّسَالَةِ، لِتَوَقُّفِهَا عَلَى خَرْقِ العَادَةِ الشَّاهِدِ بِصِحَّتِهَا.

وَهَذَا الخَرْقُ هُنَا هُوَ المُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِ المُسْلِمِينَ بِالمُعْجِزَةِ، حَتَّى إِذَا فَرَغُوا مِنْ إِثْبَاتِ المُعْجِزَةِ فَارَقُوا خَرْقَ العَوَائِدِ مَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَمْرٍ إِلَهِي فَيَبْتَدِرُونَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي إِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ، كَقَضَايَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الثَّلَاثِ: وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ)**[4]، الآيَةُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ)**[5]، الآيَةُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(إِنَّ اللَّهَ يَامُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)**[6]، الآيَةُ، وَهَذِهِ[7] القَضَايَا عَنْ أَمْرٍ إِلَهِي وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي إِثْبَاتِ المُعْجِزَةِ حَيْثُ لَا تُمْكِنُهُ مُخَالَفَتُهُ[8]،

وَأَمَّا الأَوْلِيَاءُ فَمَا مَالُوا لِخَرْقِ العَوَائِدِ إِلَّا لِضُعْفِهِمْ عَنْ تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَعَدَمِ طَاقَتِهِمْ[9] لِصُعُوبَةِ تَجَلِّيَاتِهَا، فَمَالُوا إِلَى خَرْقِ العَوَائِدِ تَرْوِيحاً لِأَرْوَاحِهِمْ مِنْ ضَغْطَةِ[10]

---

[1]- ل: وثبتهم

[2]- ل: دونهم

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص: يؤدهم

[4]- سورة الشعراء، الآية 63

[5]- سورة البقرة، الآية 60

[6]- سورة البقرة، الآية 67

[7]- ح: هذه

[8]- ك: مخالفة

[9]- ل: طوقهم

[10]- ع: ضعطة

الوَارِدِ، وَإِبْقَاءً عَلَى نُفُوسِهِمْ بِدَوَامِ التَّمَتُّعِ بِبَعْضِ شَيْءٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَهُمْ مَعْذُورُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمُدَّهُمْ بِقُوَّةِ الأَنْبِيَاءِ، فَلِذَا لَمْ يَتَنَزَّلْ سُلَيْمَانُ لِفِعْلِ هَذَا الخَرْقِ الَّذِي فَعَلَهُ آصَفُ ثُبُوتاً عَلَى مَقَرِّ مَقَامِهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ هَذَا مَقَامُهُ وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ المَزِيَّةِ لِكَوْنِهَا مُغَايِرَةً لِمَقَامِهِ، فَلِمَ تَدَلَّى لِطَلَبِ ذَلِكَ مِنَ الحَاضِرِينَ؟ وَالجَوَابُ فِي هَذَا أَنَّ مَقَامَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ[1] مِنَّةُ الحَقِّ عَلَيْهِ فِي مُلْكِهِ أَنْ سَخَّرَ لَهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ لَهُ[2] فِي حَقِّهِ **(يَعْمَلُونَ لَهُ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِي وَقُدُورٍ[3])**[4] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ آصَفُ مِنْ جُمْلَةِ مَا هُوَ مُسَخَّرٌ تَحْتَ حُكْمِهِ، (حَيْثُ فَعَلَ لَهُ هَذِهِ المَزِيَّةَ، وَكَانَتْ[5] الرِّيَاحُ مُسَخَّرَةً تَحْتَ حُكْمِهِ)[6] وَقَدْ كَانَتْ تَحْمِلُهُ وَجَيْشَهُ وَتَقْذِفُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ غُدُوّاً وَمِثْلَهَا رَوَاحاً،

فَلَمَّا كَانَ التَّسْخِيرُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فِي هَذَا الخَلْقِ، وَلَمْ يَرْضَ التَّنَزُّلَ عَنْ مَقَامِهِ، سَخَّرَ فِي ذَلِكَ مَنْ هُوَ مُسَخَّرٌ تَحْتَ حُكْمِهِ يَفْعَلُ لَهُ مَا يُرِيدُ، وَهَذِهِ مِنْ مِنَّةِ الحَقِّ عَلَيْهِ، وَقَدْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ بِإِذْنٍ إِلَهِي لَيْسَ مِنْ غَرَضِهِ فَقَطْ، وَقَلْبُهُ ثَابِتٌ عَلَى مَقَامِهِ وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**[7]، الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: الأَمَانَةُ هِيَ القِيَامُ بِحُقُوقِ مَرْتَبَةِ الحَقِّ فِي كُلِّيَةِ مَعَانِيهَا خَلْقِيَةً[8] وَإِلَهِيةً، فَلَمْ تُطِقْ حَمْلَ هَذِهِ الأَمَانَةِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ،

---

[1]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: كان، وأثبتنا لفظ (كانت) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)

[2]- ح: (له) ساقطة

[3]- ك ع: (وقدور) ساقطة

[4]- سورة سبأ، الآية 13

[5]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: وأن، وأثبتنا لفظ (وكانت) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[6]- ح: ما بين القوسين محذوف

[7]- سورة الأحزاب، الآية 72

[8]- ل: خليقية

﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾[1]، وَهُوَ الإِنْسَانُ الكَامِلُ الَّذِي يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِ نِظَامَ الوُجُودِ، وَبِهِ يَرْحَمُ جَمِيعَ الوُجُودِ، (وَبِهِ صَلَاحُ جَمِيعِ الوُجُودِ، وَهُوَ حَيَاةُ جَمِيعِ الوُجُودِ)[2]، وَبِهِ قِيَامُ جَمِيعِ الوُجُودِ، وَلَوْ زَالَ عَنِ الوُجُودِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ لَصَارَ الوُجُودُ كُلُّهُ عَدَماً فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِلِسَانِ العَامَّةِ قُطْبُ الأَقْطَابِ وَالغَوْثُ الجَامِعُ،

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ظَلُوماً جَهُولاً، يَعْنِي ظَلُوماً بِتَخَطِّيهِ حُدُودَ البَشَرِيَّةِ وَحُدُودَ الخَلْقِيَّةِ[3]، وَخُرُوجِهِ[4] إِلَى القِيَامِ بِحُقُوقِ مَرْتَبَةِ الحَقِّ حَيْثُ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا صُورَةَ وَلَا حَدَّ، فَإِنَّ هَذَا لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ[5] وَحْدَهُ، فَهَذَا مَعْنَى ظُلْمِهِ، لِكَوْنِهِ تَخَطَّى مَرْتَبَةَ البَشَرِيَّةِ مِنَ الخَلْقِيَةِ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ، لِأَنَّ الأَمْرَ الَّذِي تَخَطَّى إِلَيْهِ لَا غَايَةَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، لِكَوْنِ الإِحَاطَةِ مُسْتَحِيلَةٌ فِيهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[6]، فَهَذَا مَعْنَى الجَهْلِ، وَالظُّلْمُ[7] الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ هُوَ عَلَى مَرَاتِبِ اصْطِفَاءِ الحَقِّ لِعَبْدِهِ، وَالجَهْلُ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ هُوَ هُوَ نَفْيُ الإِحَاطَةِ بِكُنْهِ جَلَالِهِ، وَذَلِكَ غَايَةُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِاللَّهِ مِنْ وَرَاءِ خُطُوطِ الدَّوَائِرِ كُلِّهَا، يَعْنِي دَوَائِرَ الصِّدِّيقِيَةِ، وَهِيَ أَنَّ كُلَّ مَعْرِفَةٍ لِلصِّدِّيقِينَ فَلَهَا دَائِرَةٌ تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا، وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ[8] هِيَ حَدُّهَا وَغَايَتُهَا لَا تَتَخَطَّاهَا.

وَالإِنْسَانُ الكَامِلُ تَخَطَّى جَمِيعَ الدَّوَائِرِ وَوَصَلَ مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى إِلَى حَيْثُ لَا إِحَاطَةَ بِكُنْهِ جَلَالِهِ، وَلَا حَدَّ وَلَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ وَلَا رَسْمَ وَلَا دَائِرَةَ، فَهُوَ يَجُولُ فِي هَذَا البَحْرِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ أُمِدَّتْ مِنْ هَذَا البَحْرِ مِثْقَالَ هَبَئَةٍ لَتَهَدَّمَ الوُجُودُ بِأَسْرِهِ،

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 72

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ل: الخليقة

[4]- ح ل ق: وخروج

[5]- ك: الله تعالى

[6]- سورة طه، الآية 110

[7]- ك: والجهل

[8]- ك: الدوائر

وَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ[1]، لِاحْتِرَاقِهِ مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ، فَلَيْسَ يُطِيقُ القِيَامَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ وَإِعْطَاءَ جَمِيعِ تَجَلِّيَاتِهَا[2] حَقَّهَا إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِلِسَانِ العَامَّةِ بِقُطْبِ الأَقْطَابِ، وَلَوْ جَمَعْتَ عِبَادَةَ جَمِيعِ العَالَمِينَ مَا عَدَا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةَ، وَجَمَعْتَ تِلْكَ العِبَادَةَ كُلَّهَا مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ، مَا عَادَلَتْ مِنْ عِبَادَةِ قُطْبِ الأَقْطَابِ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ مِقْدَارَ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْ عُمْرِهِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[3].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ)**[4]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: قَالَ[5] : **اعْلَمْ** أَنَّ مَعْنَى الآيَةِ عَلَى طَرِيقِ التَّأْوِيلِ أَنَّ ذَلِكَ فِي أَفْعَالِ المُخْتَارِينَ فِيمَا تَتَعَلَّقُ[6] بِهِ أَغْرَاضُهُمْ مِمَّا يُرِيدُونَ نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ، أَوْ نَفْعَهُ أَوْ إِضْرَارَهُ، كُلُّ ذَلِكَ يَمْحُو مِنْهُ مَا يَشَاءُ، فَلَا يَقَعُ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الوُجُودِ مِمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ أَغْرَاضُهُمْ، وَيُثْبِتُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، فَيَظْهَرُ وُجُودُهُ أَوْ نَفْيُهُ مَرْسُوماً فِي لَوْحِ الظُّهُورِ، فَهَذَا هُوَ المَحْوُ وَالإِثْبَاتُ، وَأَمَّا مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ فَكُلُّهُ[7] ثَابِتٌ لَا مَحْوَ فِيهِ، وَمِنْ بَعْضِ مَعَانِيهَا ارْتَسَمَتْ[8] المَقَادِيرُ المَقَادِيرُ الإِلَهِيَّةُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، فَكَانَ مِنْهَا[9] مَا مَحَاهُ بَعْدَمَا أَظْهَرَ رَسْمَهُ، لِكَوْنِهِ مُتَوَقِّفاً عَلَى سَبَبٍ أَوْ زَوَالِ مَانِعٍ، وَمِنْهَا مَا أَثْبَتَهُ وَأَظْهَرَهُ فِي لَوْحِ الوُجُودِ لِكَوْنِهِ نَفَذَ بِهِ حُكْمُ مَشِيئَتِهِ، وَالأَوَّلُ لَمْ يَنْفُذْ بِهِ حُكْمُ المَشِيئَةِ.

---

[1]- ي ك: طرفة العين

[2]- ل: تجلياته

[3]- ع: (من حفظه ولفظه) ساقطة

[4]- سورة الرعد، الآية 39

[5]- ح ك: قال رضي الله عنه

[6]- ح: يتعلق

[7]- أ ي ك ع ح هـ ق ص: كله

[8]- ل: رسمت

[9]- ل: فيها

ثُمَّ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ مُنْقَسِمٌ إِلَى مَا هُوَ أُمُّ الكِتَابِ، وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ وَاقِعٌ ثَابِتٌ[1] لَا يُمْكِنُ تَحَوُّلُهُ، وَإِلَى أَلْوَاحِ المَحْوِ وَالإِثْبَاتِ مِنْ غَيْرِ أُمِّ الكِتَابِ، وَفِيهَا مَا كَانَ مُطَابِقاً لِلْمَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ كَانَ ثَابِتاً لَا مَحْوَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يُطَابِقْ المَشِيئَةَ الإِلَهِيَةَ، وَإِنَّمَا أَظْهَرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَوْقُوفاً عَلَى شَرْطٍ أَوْ سَبَبٍ مِنْ حَيْثُ لَهُ شَرْطُهُ أَوْ سَبَبُهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ لَمْ يَقَعْ فِي حُكْمِ المَشِيئَةِ، وَمِنْ بَعْضِ مَعَانِي الآيَةِ عَلَى طَرِيقِ التَّأْوِيلِ أَيْضاً يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ أَعْمَالِ المُكَلَّفِينَ، مَا كَانَ حَسَناً أَحْبَطَهُ وَأَبْطَلَهُ، وَمَا كَانَ سَيِّئاً غَفَرَهُ وَمَحَاهُ، وَيُثْبِتُ فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ مَا كَانَ مِنْهَا حَسَناً أَثْبَتَهُ وَأَثَابَ عَلَيْهِ إِثَابَةً تَامَّةً، وَمَا كَانَ سَيِّئاً أَثْبَتَهُ وَعَاقَبَ عَلَيْهِ عُقُوبَةً تَامَّةً، فَفِيهِ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ)[2].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)**[3]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا فِي بِسَاطِ الشَّرِيعَةِ يَعْنِي وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ بِالخَوْفِ مِنْهُ وَعَدَمِ الأَمْنِ مِنْ مَكْرِهِ فِي جَمِيعِ عَطَايَاهُ إِلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَدَفْعِ جَمِيعِ المَضَارِّ عَنْكُمْ مِنَ النِّقَمِ، وَبَسْطِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، فَاحْذَرُوا مِنْ مَكْرِهِ فِي ذَلِكَ الحَالِ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ عَذَابُ ذِي الجَلَالِ،

وَأَمَّا فِي بِسَاطِ الحَقِيقَةِ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ يَعْنِي مِنَ البَحْثِ وَالإِطِّلَاعِ وَالطَّلَبِ عَلَى كُنْهِ الذَّاتِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَا تُطِيقُونَ ذَلِكَ الأَمْرَ، فَاحْذَرُوا مِنْ حُلُولِ نُزُولِ البَلَايَا بِكُمْ بِطَلَبِكُمْ ذَلِكَ الأَمْرَ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا حُدَّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ الشَّارِعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتَهَى (مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[4].

---

[1]- ل ح: ثابت واقع

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- سورة آل عمران، الآية 28

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)**[1]، الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ الخِلَافَةَ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الأَجْوِبَةِ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيُطَالِعْهَا، وَأَمَّا النَّفْخُ فَالمُرَادُ بِهِ وَضْعُ الرُّوحِ فِي الجَسَدِ، وَسُمِّيَ نَفْخاً لِأَنَّهُ مِنَ النَّفَسِ الرَّحْمَانِي، وَأَضَافَهُ[2] الحَقُّ إِلَى نَفْسِهِ إِضَافَةَ الخَلْقِ وَإِضَافَةَ الإِخْتِصَاصِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَأَنَّهُ مَخْصُوصٌ مِنْهُ بِعَظَمَةِ[3] العِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَإِعْلَاءِ الرُّتْبَةِ عَلَى جَمِيعِ مَا عَدَاهُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، هَذَا وَجْهُ الإِضَافَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِلرُّوحِ، وَالمَذْكُورُ هَا هُنَا هُوَ الرُّوحُ الحَيَوَانِيُ المُدَبِّرُ لِلأَجْسَامِ، المُظْهِرُ لِصُورَةِ الحَيَاةِ فِيهَا،

وَهَذَا الرُّوحُ هُوَ المَنْفُوخُ فِي جَسَدِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ فِي طَيِّهِ الرُّوحُ القُدْسِيُّ اللَّاهُوتِي الَّذِي اسْتَوْجَبَ الرُّوحُ الآدَمِيُّ بِهِ الكَمَالَ وَالعُلُوَّ عَلَى جَمِيعِ المَرَاتِبِ الخَلْقِيَّةِ، بِحَيْثُ أَنْ لَا يُضَاهِيهِ شَيْءٌ مِنَ المَخْلُوقَاتِ فِي ذَلِكَ الكَمَالِ وَالعُلُوِّ، ثُمَّ الرُّوحُ القُدْسِيُّ، هُوَ مَنْفُوخٌ فِي رُوحِ آدَمَ لَا فِي جَسَدِهِ، فَإِنَّ الرُّوحَ الحَيَوَانِيَ مَنْفُوخٌ فِي الجَسَدِ، وَبِذَلِكَ الرُّوحِ اسْتَوْجَبَ الجَسَدُ الحَيَاةَ وَالعَقْلَ، وَجَمِيعُ مَا يَشْتَمِلَانِ عَلَيْهِ مِنَ العِلْمِ وَالحِسِّ وَالحَرَكَةِ وَالتَّخَيُّلِ وَالفِكْرِ، إِلَى آخِرِ مَا يَسْتَوْجِبَانِهِ مِنَ المَعَانِي.

وَأَمَّا الرُّوحُ القُدْسِيُّ فَهُوَ مَنْفُوخٌ فِي الرُّوحِ الحَيَوَانِيِّ مِنْ آدَمَ، فَكَمَا أَنَّ الجِسْمَ مِنْ آدَمَ قَارُورَةٌ لِرُوحِهِ الحَيَوَانِي، كَذَلِكَ رُوحُهُ الحَيَوَانِيُ قَارُورَةٌ لِلرُّوحِ القُدْسِيِّ، وَبِذَلِكَ الرُّوحِ القُدْسِيِّ اسْتَوْجَبَ الرُّوحُ الحَيَوَانِيُ مِنْ آدَمَ العُلُوَّ وَالكَمَالَ عَلَى جَمِيعِ المَرَاتِبِ الخَلْقِيَّةِ، وَكَانَ لِلرُّوحِ[4] الحَيَوَانِيِّ بِسَبَبِ الرُّوحِ القُدْسِيِّ حَيّاً حَيَاةً أَبَدِيَّةً، لِأَنَّ الرُّوحَ الحَيَوَانِيَ مَا فِيهِ إِلَّا مَا أُعْطِيَ لِلْجِسْمِ مِنَ الحَيَاةِ وَالحِسِّ وَالحَرَكَةِ[5]، وَمَا مَعَهَا مِنْ المُقْتَضَيَاتِ وَاللَّوَازِمِ، لَيْسَ فِي الرُّوحِ الحَيَوَانِيِّ زَائِدٌ عَلَى هَذَا،

---

[1]- سورة الحجر، الآية 29

[2]- أ ي ك ع ح هـ ق ص م: وإضافة

[3]- ل: بعظم

[4]- ل: الروح

[5]- ل: والحركة والحس

وَأَمَّا الرُّوحُ القُدْسِيُّ فَإِنَّهُ أَعْطَى الرُّوحَ الحَيَوَانِيَ كَمَالَ العِلْمِ بِالحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَمَا هِيَ مُتَّصِفَةٌ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعِزِّ وَالجَلَالِ وَالعُلُوِّ وَالتَّعَالِي، وَمَا هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العُلَى، وَأَعْطَاهُ أَيْضاً كَمَالَ العِلْمِ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ الحَضْرَةُ الإِلَهِيَةُ مِنْ كَمَالِ الأَدَبِ وَكَمَالِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَكَمَالِ المَحَبَّةِ وَالإِعْتِنَاءِ، وَكَمَالِ الإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالفَرَاغِ مِنْ مُلَاحَظَةِ الحُظُوظِ وَمِنَ الإِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا، وَأَعْطَاهُ العِلْمَ أَيْضاً بِمَا يُرَادُ مِنْهُ وَلِمَاذَا خُلِقَ[1]، وَمَحَلَّهُ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ مِنَ الدَّوَرَاتِ الزَّمَانِيَةِ وَالحَالِيَةِ وَالقَدَرِيَّةِ، وَعَرَّفَهُ حَقِيقَةَ الأَدَبِ الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ فِي كُلِّ مَحَلٍّ مِنْ ذَلِكَ. وَبِسَبَبِ هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُ الرُّوحُ القُدْسِيُّ لِلرُّوحِ الحَيَوَانِيِّ صَارَ الرُّوحُ الحَيَوَانِي خَلِيفَةً لِلَّهِ عَلَى جَمِيعِ العَوَالِمِ، يَحْكُمُ فِيهَا[2] بِمَا يُرِيدُ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِمَا يَشَاءُ، فَتَسْتَجِيبُ لِلَّهِ طَائِعَةً مِنْ غَيْرِ اسْتِعْصَاءٍ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لِأَحَدِيَّةِ الحَقِّ وَحْدَهُ، وَلَمَّا أَعْطَى الرُّوحَ الحَيَوَانِيَ الكَمَالَ الَّذِي ذُكِرَ أَوَّلاً صَيَّرَهَا خَلِيفَةً لَهُ عَلَى جَمِيعِ العَوَالِمِ، يَحْكُمُ فِيهَا[3] كَحُكْمِهِ، وَيَجْرِي أَمْرُهُ فِيهَا كَجَرَيَانِ أَمْرِهِ،

وَلَيْسَ هَذَا لِشَيْءٍ مِنَ العَوَالِمِ غَيْرَ الرُّوحِ الآدَمِيِّ، وَهَذِهِ هِيَ حَيَاةُ الرُّوحِ الحَيَوَانِي بِسَبَبِ نَفْخِ الرُّوحِ القُدْسِيِّ فِيهِ، وَهَذِهِ الحَيَاةُ هِيَ المُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(أَوَ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ)**[4]، الآيَةُ، فَهَذَا نَفْخُ الرُّوحِ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا كَانَ الرُّوحُ الحَيَوَانِيُ حَيّاً بِهَذَا النَّفْخِ لِأَنَّهُ بِدُونِهِ كَسَائِرِ أَرْوَاحِ الحَيَوَانَاتِ، لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَيْهَا مِنَ الكَمَالِ وَغَيْرِهِ.

وَأَمَّا الرُّوحُ القُدْسِيُّ فَهُوَ نُورٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ، يَفِيضُ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ، يَأْتِي حَامِلاً لِمَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنَ الأَنْوَارِ وَالأَسْرَارِ وَالعُلُومِ، فَإِذَا اسْتَقَرَّ فِي الرُّوحِ الحَيَوَانِي أَعْطَاهُ مَا ذُكِرَ أَوَّلاً مِنَ الكَمَالَاتِ، وَصَيَّرَهُ خَلِيفَةً لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَتَأَمَّلْتَهُ عَرَفْتَ رُتْبَةَ الإِنْسَانِ وَعُلُوَّهُ عَلَى جَمِيعِ العَوَالِمِ، وَعَرَفْتَ الكَامِلَ مِنْهُ وَمَا لَا كَمَالَ فِيهِ، وَعَرَفْتَ الحَيَّ وَالمَيِّتَ مِنَ الإِنْسَانِ، وَأَمَّا أَمْرُ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى إِظْهَارِ عُلُوِّ رُتْبَةِ

---

[1]- ل: خلقه

[2]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: فيه

[3]- أ ك ع ي ح هـ ق ص م: فيه

[4]- سورة الأنعام، الآية 122

آدَمَ عَلَى جَمِيعِ العَوَالِمِ، وَخُصُوصِيَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ دُونِهِمْ، لِمَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنْ عِنَايَةِ الحَقِّ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ، وَإِجْلَالِهِ[1] لَهُ، بِمَا[2] لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ،

وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(تَفْضِيلاً)**[3]، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى (مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[4].

وَمِمَّا سَأَلَ بِهِ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ الفُقَهَاءِ فِي مَجْلِسِهِ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ: **(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)**[5]، فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ خَوْفُ مُوسَى مِنَ السَّحَرَةِ وَفِعْلِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِ أَنَّهُ[6] لَا يَخَافُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَكْتَرِثُ بِهِ[7]، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ رَيْبٌ فِي أَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِحُجَّةٍ عَيْنِيَّةٍ قَاطِعَةٍ لِجَمِيعِ وُجُوهِ الرِّيَبِ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مَنْصُورٌ بِاللَّهِ لِلْعِلْمِ القَطْعِيِّ الَّذِي عِنْدَهُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)**[8]، وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ)**[9]،

فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ الخَوْفُ فِي قَلْبِهِ مَعَ عِلْمِهِ القَطْعِيِّ بِهَذَا الأَمْرِ، وَمَعَ كَمَالِ عِلْمِهِ أَنَّ البَاطِلَ لَا يَثْبُتُ لِظُهُورِ الحَقِّ، كَمَا قِيلَ فِي المَثَلِ السَّائِرِ: لِلحَقِّ جَوْلَةٌ وَلِلبَاطِلِ صَوْلَةٌ، إِذَا جَاءَ الحَقُّ

---

[1]- ح ي: إجلالا

[2]- ي ك: ما

[3]- سورة الإسراء، الآية 70

[4]- ح: ما بين القوسين محذوف

[5]- سورة طه، الآية 67

[6]- ل: (أنه) ساقطة

[7]- ح ل: بهم

[8]- سورة المجادلة، الآية 21

[9]- سورة الصافات، الآية 172-173

بِجَوْلَتِهِ ذَهَبَ البَاطِلُ بِصَوْلَتِهِ، فَكَيْفَ يَتَأَتَّى مِنْهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الخَوْفِ مَعَ كَمَالِ عِلْمِهِ بِالأُمُورِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا؟

فَأَجَابُوهُ بِمَا ذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ فِي الآيَةِ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكَ[1]، وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا المَحَطِّ أَنَّ خَوْفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ الَّتِي ذُكِرَتْ، وَإِنَّمَا خَوْفُهُ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الأَكَابِرِ العَالِينَ مِنْ أَهْلِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، أَنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَنَزُّلَاتٍ بِحُكْمِ القَهْرِ لِعَبِيدِهِ الخَاصَّةِ، وَتِلْكَ التَّنَزُّلَاتُ يُذِيقُهُمْ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مَرَارَةِ قَهْرِهِ وَقَسَاحَةِ[2] بَأْسِهِ عَلَى عَلَى مَا هُوَ مُضْمَرٌ[3] عِنْدَهُ فِي حَضْرَتِهِ أَنَّ لِلخَاصَّةِ العُلْيَا عِنْدَهُ تَنَزُّلَاتٍ تُشْبِهُ فِي وَقَائِعِهَا شِدَّةَ انْتِقَامِهِ مِنَ الكَفَرَةِ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِزْرَاءً بِمَرَاتِبِهِمْ، وَلَا إِسْقَاطاً[4] لِعَظِيمِ وَجَاهَتِهِمْ وَجَاهَتِهِمْ عِنْدَهُ،

وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ تِلْكَ التَّوَقُّعَاتِ أَنَّهُ لَابُدَّ لِمَنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَحَبَّةِ[5] ذَاتِهِ أَنْ يُذِيقَهُ ضَرْباً مِنَ المَرَارَةِ، لِتَكُونَ المَرْتَبَةُ عَالِيَةً مِنْ[6] أَنْ يَطْمَعَ فِيهَا[7] ضُعَفَاءُ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى لَا يَظْهَرَ بِهَا وَلَا يَتَمَتَّعَ بِهَا إِلَّا مَنْ هَزَّتْهُ صَوَاعِقُ تِلْكَ التَّوَقُّعَاتِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ المَرْتَبَةَ صَعْبَةُ المَدْرَكِ، عَزِيزَةُ المَنَالِ، لَا يَظْفَرُ بِهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ تِلْكَ التَّوَقُّعَاتِ.

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا عَرَفْتَ طَرِيقَ تَنَزُّلِ البَلَاءِ عَلَى النَّبِيئِينَ وَالأَوْلِيَاءِ، فَهُوَ مِنْ هَذَا المَأْخَذِ، وَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ تَامَّ العِلْمِ بِهَذِهِ التَّوَقُّعَاتِ الَّتِي تَتَرَاكَمُ فِيهَا صَوَاعِقُ البَلَاءِ عَلَى الأَكَابِرِ عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ، فَلَمَّا تَبَدَّى لَهُ ظُهُورُ السِّحْرِ فِي صُوَرِ تِلْكَ التَّخَيُّلَاتِ، الَّتِي أَرَتْهُ حَرَكَاتِ تِلْكَ الجَمَادَاتِ، وَهِيَ العِصِيُّ وَالحِبَالُ، فَإِنَّهُمْ جَاؤُوا بِهَا فِي مُعَارَضَةِ شَمْسِ

---

[1] - ي ك ل: ذلك

[2] - ح ي: وفساحة

[3] - أ ي ك ع ح هـ ق ص: مضمون ـ م: مظهور. وأثبتنا لفظ (مضمر) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[4] - ي ك: إسقاط

[5] - ل: بمحبة

[6] - ي ل: عن

[7] - أ ي ك ع ح هـ ق ص: بها

النُّبُوءَةِ وَتَغْطِيَتِهَا، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهَا لَا تَثْبُتُ، كَمَا تَقَرَّرَ أَنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلبَاطِلِ مَعَ الحَقِّ، فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهَا[1] بَيْنَ يَدَيْهِ لِلعَامِّ وَالخَاصِّ تَخَوَّفَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ تَجَلَّى بِظُهُورِ البَلَاءِ عَلَيْهِ، بِظُهُورِ سَطْوَةِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِ، إِذَا[2] ظَهَرُوا عَلَيْهِ بِسُلْطَانِ سِحْرِهِمْ، وَعَجَزَ[3] عَنْ دَفْعِهِمْ، كَمَا فِي قَضِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ ظَهَرَ نَصْرُ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِ حَتَّى قَذَفُوهُ فِي النَّارِ (وَلَا نَاصِرَ لَهُ، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الوَقْتُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ السِّحْرُ مِثْلَ وَقْتِ إِبْرَاهِيمَ، حَيْثُ ظَهَرَ سُلْطَانُ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِ حَتَّى قَذَفُوهُ فِي النَّارِ)[4] وَلَمْ يَجِدْ حِيلَةً وَلَا مَلْجَأً، فَخَافَ مِنْ مِثْلِ هَذَا البَلَاءِ فِي وَقْتِهِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَغَلَبُوهُ ظَهَرَ عُلُوُّهُمْ عَلَيْهِ وَانْخِفَاضُهُ تَحْتَ حُكْمِهِمْ، يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ كَيْفَ شَاؤُوا، كَمَا وَقَعَ لِإِبْرَاهِيمَ تَصَرَّفَ[5] فِيهِ الأَعْدَاءُ كَيْفَ شَاؤُوا وَلَمْ يَجِدْ نُصْرَةً، كَذَلِكَ مُوسَى خَافَ مِنْ ظُهُورِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِ وَعُلُوِّهِمْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ سُلْطَانِهِمْ عَلَيْهِ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الإِنْتِصَارِ مِنْهُمْ.

فَهَذَا هُوَ خَوْفُهُ الَّذِي تَخَوَّفَهُ، فَسَمِعَ خِطَابَ الحَقِّ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: **(لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى)**[6]، يَعْنِي لَا يَظْهَرُونَ بِعُلُوِّهِمْ عَلَيْكَ، وَلَا يَسْتَشْرِفُونَ[7] بِسُلْطَانِهِمْ لَدَيْكَ، ثُمَّ زَادَهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا)**[8]، فَانْظُرْ إِلَى كَمَالِ صِدْقِ وَعْدِ وَعْدِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ لَهُ: لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى، فَلَمَّا وَقَعَ مِنَ العَصَا مَا وَقَعَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً، قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، انْقَشَعَتْ سَحَابَةُ الأَعْدَاءِ، وَظَهَرَ ذُلُّهُمْ وَهَوَانُهُمْ، إِذْ كَانُوا يَرْجُونَ العُلُوَّ بِظُهُورِ السِّحْرِ عَلَى مُوسَى وَإِبْطَالِ السَّحَرَةِ لِمُعْجِزَتِهِ،

---

[1]- ي ك ل: ظهورها ظهرت بين يديه
[2]- أ ي ك ع هـ: إذ
[3]- أ ي ك ع ح هـ ق ص م: وعجزه، وأثبتنا لفظ (وعجز) وفقا لنسختي ل س (سكيرج)
[4]- ك: ما بين القوسين محذوف
[5]- ل: حيث تصرف فيه الأعداء
[6]- سورة طه، الآية 68
[7]- أ ي ك ع ح هـ ق ص م: ولا يستشفون، وأثبتنا لفظ (يستشرفون) وفقا للنسخة س (سكيرج)
[8]- سورة طه، الآية 69

فَلَمَّا وَعَدَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَخْبَرَهُ، أَظْهَرَ اللَّهُ ذُلَّ الكَفَرَةِ بِإِيمَانِ السَّحَرَةِ، وَظَهَرَ مِنَ العَصَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ تَلَقُّفِ السِّحْرِ، قَصَدَتْ فِرْعَوْنَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، إِذْ كَانَ يَدَّعِي الأُلُوهِيَةَ وَظُهُورَ سُلْطَانِ الغَلَبَةِ، فَلَمَّا رَأَى العَصَا تَوَجَّهَتْ بِشَرِّهَا نَحْوَهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهَا تُهْلِكُهُ مَعَ عَجْزِهِ عَنْ نُصْرَةِ نَفْسِهِ، فَرَّ هَارِباً وَقَفَزَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، قَالُوا: ضَرَطَ سَبْعِينَ ضَرْطَةً وَهُوَ هَارِبٌ إِلَى دَارِهِ، فَبَطَلَ مَا كَانَ يَدَّعِيهِ مِنْ أُلُوهِيَتِهِ، فَهَذَا وَعْدُ الحَقِّ الَّذِي وَعَدَ بِهِ مُوسَى بِقَوْلِهِ: لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى.

وَقَدْ يُورَدُ عَلَيْنَا إِيرَادٌ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: لَا يَصِحُّ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الخَوْفِ فِي نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ كَلَامَ الحَقِّ فِي وَقْتِ الرِّسَالَةِ، قَالَ لَهُ: (**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**[1] **وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ**)[2]، فَلَا يَصِحُّ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الخَوْفِ بَعْدَ سَمَاعِهِ لِهَذَا الخِطَابِ، قُلْنَا: الجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ لِلأَكَابِرِ عِلْماً ثَابِتاً مِنْ وَرَاءِ العِلْمِ الَّذِي ظَهَرَ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُمْ، إِنَّهُمْ وَإِنْ سَمِعُوا خِطَابَ اللَّهِ وَصِدْقَ وَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ فِي غَيْبِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يَتَنَاوَلُهُ الوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُ لِكَمَالِ عِلْمِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى،

وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِظُهُورِ سُلْطَانِهِ عَلَى قُرَيْشٍ وَغَلَبَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَدُخُولِهِمْ تَحْتَ حُكْمِهِ بِوَعْدٍ صَادِقٍ وَلَا[3] خُلْفَ لَهُ، ثُمَّ لَمَّا رَآهَا يَوْمَ بَدْرٍ تُصَوِّبُ مِنْ كَثِيبِ الرَّمْلِ آتِيَةً لِبَدْرٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ جَاءَتْ بِفَخْرِهَا وَخُيَلَائِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ نَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، ثُمَّ لَمَّا سَوَّى الصُّفُوفَ لِلْقِتَالِ، فَانْعَزَلَ نَاحِيَةً وَحْدَهُ فِي العَرِيشِ يَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ وَيُنَادِي: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ أَبَداً، وَأَبُو بَكْرٍ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ خَوْفاً أَنْ يَمِيلَ عَلَيْهِ الكُفَّارُ إِذَا اشْتَغَلَ المُسْلِمُونَ عَنْهُ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: دَعْ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ بِهِ، وَلَا يَقْلَعُ عَنِ المُنَاشَدَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالإِسْتِغَاثَةِ بِهِ.

---

[1]- أ ي ك ع ح هـ ق ص م: (سنشد عضدك بأخيك) ساقطة

[2]- سورة القصص، الآية 35

[3]- ي ك: لا

فَيُقَالُ: كَيْفَ حَصَلَ لَهُ هَذَا الخَوْفُ، وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وَعْدِ رَبِّهِ؟ قُلْنَا: وَقَعَ خَوْفُهُ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنْ كَمَالِ عِلْمِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّ فِي دَائِرَةِ عِلْمِ اللَّهِ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ، فَمِنْ هَذَا تَوَقَّعَ خَوْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَقَوْلِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ طَلَبَهُ قَوْمُهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى مِلَّتِهِمْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا)**[1]، قَالَ هَذِهِ القَوْلَةَ مَعَ كَمَالِ عِلْمِهِ بِالعِصْمَةِ مِنَ الكُفْرِ، وَلَكِنْ عِلْمَهُ بِالوَجْهِ الآخَرِ مِنْ عَدَمِ الإِحَاطَةِ بِعِلْمِ اللَّهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ الخَوْفَ لِمُوسَى وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتَهَى (مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2].

وَكَذَلِكَ سَأَلَ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً بَعْضُ[3] الطَّلَبَةِ[4] عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)**[5]، قَائِلاً مَا الحُكْمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ)**[6]، الآيَةُ، الإِشْكَالُ فِيهَا مِنَ النِّسْيَانِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ لِلصَّلَاةِ حَتَّى فَاتَ وَقْتُهَا، وَلَا يَصِحُّ لِلنَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَشْتَغِلُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ بِغَيْرِهِ، وَلَا تَتَأَتَّى لَهُمُ الغَفْلَةُ عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ حَتَّى تَفُوتَ حُقُوقُهَا،

وَالإِشْكَالُ أَيْضاً عَنْ قَوْلِهِ: **(فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ)**[7]، وَذَلِكَ فَسَادٌ فِي الأَرْضِ، فَلَا فَلَا يَتَأَتَّى ظُهُورُ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ عَلَى يَدِ نَبِيٍّ. **وَالجَوَابُ عَنِ الإِشْكَالِ الأَوَّلِ** أَنَّ سَيِّدَنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي غَايَةِ الرِّعَايَةِ لِآدَابِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ

1- سورة الأعراف، الآية 89

2- ح: ما بين القوسين محذوف

3- ك م: (بعض) ساقطة

4- ك م: للطلبة

5- سورة ص، الآية 30

6- سورة ص، الآية 31

7- سورة ص، الآية 33

النَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَغْفُلُونَ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَفَاتَتْهُ صَلَاةُ العَصْرِ لِاشْتِغَالِهِ بِعَرْضِ الجِيَادِ عَلَيْهِ، وَكَانَ هُنَاكَ فِي طَاعَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنَّمَا كَانَ مُعِدّاً لَهَا لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَتْ تُعْرَضُ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ فِي شُؤُونِهَا لِأَجْلِ الجِهَادِ.

وَالجِهَادُ مِنْ أَعْظَمِ القُرُبَاتِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ، فَكَانَ فِي وَقْتِ عَرْضِهَا عَلَيْهِ فِي طَاعَةٍ عَظِيمَةٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِي شَأْنِ الجِهَادِ، فَهُوَ فِي جِهَادٍ حَقِيقِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَقْعُ السُّيُوفِ مَعَهُ، لِأَنَّ نَظَرَهُ فِي أَمْرِ الجِهَادِ وَاشْتِغَالَهُ بِهِ صَيَّرَهُ فِي جِهَادٍ حَقِيقِي، يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا زَالَ العَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ صَلَّى وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ الأُخْرَى فِي المَسْجِدِ، فَهُوَ فِي صَلَاةٍ، قَالَ: فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، قَالَهَا ثَلَاثاً، وَالرِّبَاطُ مَعْلُومٌ فَضْلُهُ فِي الأَخْبَارِ،

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ صُورَةَ الطَّاعَةِ وَ النَّظَرَ فِي تَهْيِئَةِ مَا يَتَقَدَّمُهَا مِنَ الشُّؤُونِ فِيمَا هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ، لِأَنَّ النَّاظِرَ[1] فِيهَا كَالوَاقِعِ فِي تِلْكَ الطَّاعَةِ نَفْسِهَا عَيْناً بِعَيْنٍ، فَكَانَ سَيِّدُنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي نَظَرِهِ فِي شَأْنِ الخَيْلِ كَأَنَّهُ وَاقِفٌ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالوَاقِفُ فِي الجِهَادِ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السُّيُوفِ بَعْضُ السَّهْوِ حَتَّى فَوَّتَ الصَّلَاةَ نِسْيَاناً لَا لَوْمَ عَلَيْهِ شَرْعاً، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الخَنْدَقِ حِينَ كَانَ فِي مُوَاقَعَةِ الجِهَادِ وَفَاتَتْهُ صَلَاةُ العَصْرِ، قَالَ: شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى، أَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ نِسْيَاناً لِشِدَّةِ وَقْعِ السُّيُوفِ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ اشْتِغَالٌ بِطَاعَةٍ عَنْ طَاعَةٍ، وَاشْتِغَالٌ بِمَا هُوَ لِلَّهِ عَمَّا هُوَ لِلَّهِ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ فِي هَذَا،

إِنَّمَا يَقَعُ اللَّوْمُ عَلَيْهِ لَوْ كَانَ نِسْيَانُهُ لَهَا لِاشْتِغَالِهِ بِحُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِ نَفْسِهِ يَثْبُتُ عَلَيْهِ العِتَابُ. إهـ. وَهُوَ إِنَّمَا كَانَ فِي الجِهَادِ لِلَّهِ تَعَالَى، كَقَضِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الخَنْدَقِ سَوَاءٌ.

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ نُكْتَةً لَا يَتَعَقَّلُهَا إِلَّا الأَكَابِرُ، وَهِيَ أَنَّ الأَكَابِرَ لَهُمْ صَدَمَاتٌ مِنْ قُوَّةِ التَّجَلِّي لِسَطْوَةِ جَلَالِهِ، فَرُبَّمَا أَفْرَطَتْ بِهِمْ تِلْكَ الصَّدْمَةُ عَنِ النَّظَرِ فِي غَيْرِ تِلْكَ الطَّاعَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا

---

[1]- أ ك ع ح ي هـ ق ص: أن ـ ل: وأن

لِقُوَّةِ التَّجلِّي، لِأَنَّ المَطْلُوبَ مِنْهُمْ فِي الحَضْرَةِ مُرَاعَاةُ حُقُوقِ الأَوْقَاتِ فِي كُلِّ آنٍ، لَا يَغْفُلُونَ عَنْ حَقٍّ مِنَ الحُقُوقِ، وَقَدْ تَقَعُ بِهِمْ[1] لَمَّاتٌ مِنْ قُوَّةِ سُلْطَانِ التَّجَلِّي الإِلَهِي، فَتُؤْثِرُ[2] فِيهِمْ غَفْلَةً عَنِ الطَّاعَةِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدُ فَيَمْضِي وَقْتُهَا، وَهُمْ ذَاهِلُونَ عَنْهَا لِقُوَّةِ مَا هُمْ فِيهِ،

وَمِنْ هَذِهِ القَضِيَّةِ سَهْوُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَلَّمَ فِي الرُّبَاعِيَةِ مِنَ اثْنَتَيْنِ، حَتَّى نَبَّهَهُ ذُو اليَدَيْنِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَمْ تُقْصَرْ وَلَمْ أَنْسَ، أَخْبَرَهُ أَوَّلاً عَنِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ أَنَّ التَّقْصِيرَ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ وَلَا أُمِرَ بِهِ، فَلِذَا قَالَ: لَمْ تُقْصَرْ، وَقَوْلُهُ وَلَمْ أَنْسَ، أَخْبَرَهُ[3] عَنْ ذُهُولِهِ عَنْ تَمَامِ الحُكْمِ لِقُوَّةِ سُلْطَانِ التَّجَلِّي، وَإِلَّا فَمَا كَانَ يُمْكِنُ مِنْهُ التَّغَافُلُ عَنِ الصَّلَاةِ، لِقُوَّةِ مَوْقِعِهَا فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، مِنْ كَوْنِهَا آكِدَ الحُدُودِ الَّتِي تَجِبُ مُرَاعَاتُهَا وَأَعْظَمَهَا اعْتِنَاءً.

وَأَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ)**[4]، الإِشْكَالُ فِي هَذَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ المُرْسَلِينَ قَدْراً، فَكَيْفَ يَتَأَتَّى مِنْهُ قَتْلُ الخَيْلِ وَتَقْطِيعُهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ مِنْهَا يُوجِبُ ذَلِكَ، لِكَوْنِهَا غَيْرَ مُكَلَّفَةٍ وَلَا فَاعِلَةٍ بِاخْتِيَارِهَا، لِأَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ تَحْتَ حُكْمِ غَيْرِهَا، فَكَيْفَ امْتَدَّ بِهِ الحَالُ حَتَّى أَخَذَ فِي قَتْلِهَا، وَقَتْلُهَا فَسَادٌ فِي الأَرْضِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ عَنْ هَذَا الإِشْكَالِ:

اعْلَمْ أَنَّ الخَيْلَ وَجَمِيعَ الحَيَوَانَاتِ وَالأَمْوَالِ كُلّهَا مُسَخَّرَةٌ تَحْتَ حُكْمِ الآدَمِيِّ بِحُكْمِ الإِرَادَةِ الإِلَهِيَةِ، لَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِيهَا مَا يَشَاءُ، إِلَّا أَنَّ قَتْلَهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ لَا يَحِلُّ، لَكِنَّ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَفِعْلُهُ فِيهَا بِالقَتْلِ مِنْ كَوْنِهَا شَغَلَتْهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِهَا، حَتَّى فَاتَهُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى نِسْيَاناً بِسَبَبِهَا، مَعَ كَوْنِهِ لَا يَسَعُهُ تَرْكُ ذَلِكَ الحَقِّ، فَتَوَجَّهَ اجْتِهَادُهُ حِينَئِذٍ أَنَّ كُلَّ مَا شَغَلَ العَبْدَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ يَجِبُ مَحْقُهُ وَإِهْلَاكُهُ، مِنْ كَوْنِهِ كَانَ مِنْ رِجَالِ الغَيْرَةِ الإِلَهِيَةِ.

---

[1]- ك: لهم

[2]- ك: فيؤثر

[3]- ك ل: أخبر

[4]- سورة ص، الآية 33

وَاجْتِهَادُهُ هَذَا خَاصٌّ بِشَرِيعَتِهِ، لِأَنَّهُ مُشَرِّعٌ، وَإِنْ كَانَ فِي شَرْعِنَا لَا يَحِلُّ، فَلَا يَتَعَدَّى نَظَرُنَا فِي شَرْعِنَا إِلَى إِنْكَارِ مَا فَعَلَهُ فِي شَرْعِهِ، لِكَوْنِهِ رَسُولاً مُشَرِّعاً، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ رَبُّنَا فِي الطَّائِفَةِ الَّتِي أَثْنَى عَلَيْهَا بِالهِدَايَةِ، وَأَمَرَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**)[1]، إِلَى آخِرِ مَا ذُكِرَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّهِمْ: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوءَةَ**)[2]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ فِي حَقِّهِمْ: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**)[3]، وَكَفَى بِهَذَا حُجَّةً فِي تَصْوِيبِ فِعْلِهِ، فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ فِيمَا فَعَلَ لِكَوْنِهِ مُشَرِّعاً، وَاللَّهُ أَثْنَى عَلَيْهِ بِالهِدَايَةِ، فَهَذَا جَوَابُ هَذَا الإِشْكَالِ وَالسَّلَامُ.
انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّ السُّؤَالِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً، سَادَاتِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَأَرْضَاكُمْ، وَجَعَلَ النَّظَرَ فِي الوَجْهِ الأَكْرَمِ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ، وَأَطَالَ بَقَاءَكُمْ نَفْعاً لِلعِبَادِ، فِي جَمِيعِ البِلَادِ، نَصُّكُمُ الكَافِي، وَجَوَابُكُمُ الشَّافِي، بِمَا يُشْفِي الغَلِيلَ، وَيُبْرِئُ العَلِيلَ، فِي مَعْنَى المَعِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كَلَامِ المَوْلَى الجَلِيلِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**)[4]، (**إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**)[5]، وَنَظَائِرِهِمَا، وَكَذَلِكَ مَعْنَى القُرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ**)[6]، (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**)[7]،
فَقَدِ اخْتَلَفَتْ أَقَاوِيلُ العُلَمَاءِ لِاخْتِلَافِ فُهُومِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَعَكُمْ بِعِلْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَعَكُمْ بِذَاتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ أَدِلَّةٌ وَشَوَاهِدُ إِلَّا أَنَّ مَنْ قَالَ: وَهُوَ مَعَكُمْ بِعِلْمِهِ هَرَبَ مِنَ

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 84

[2]- سورة الأنعام، الآية 89

[3]- سورة الأنعام، الآية 90

[4]- سورة الحديد، الآية 4

[5]- سورة المجادلة، الآية 7

[6]- سورة الواقعة، الآية 85

[7]- سورة ق، الآية 16

التَّحَيُّزِ وَالجِهَةِ، وَمَنْ قَالَ بِالذَّاتِ أَلْزَمَ لَهُ المُعَارِضُ فِي زَعْمِهِ مَا يُنَاقِضُ مَذْهَبَهُ، فَأَرَدْنَا مِنْ سَيِّدِنَا أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا وَجْهَ الحَقِّ بِنَصٍّ شَافِي، وَجَوَابٍ كَافِي، وَلَكُمُ الأَجْرُ وَ المَثُوبَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؟

الجَوَابُ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لِلصَّوَابِ، **اعْلَمْ** أَنَّ مَعِيَّةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الوُجُودِ وَقُرْبَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الوُجُودِ صِفَتَانِ نَفْسِيَّتَانِ يَتْبَعَانِ مَاهِيَةَ ذَاتِهِ، كَمَا لَا تُعْقَلُ مَاهِيَّةُ الذَّاتِ وَلَا سَبِيلَ لِلعَقْلِ إِلَى شَمٍّ مِنْ رَوَائِحِ الوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، كَذَلِكَ لَا سَبِيلَ لِلْعَقْلِ لِإِدْرَاكِ حَقِيقَةِ مَعِيَّةِ الحَقِّ لِكُلِّ شَيْءٍ وَقُرْبِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ، وَأَقْرَبُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ، مِنْ وَجْهٍ لَا يُدْرِكُهُ العَقْلُ فِي هَاتَيْنِ الحَقِيقَتَيْنِ.

فَذَاتُهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَعَالِيَةٌ مُقَدَّسَةٌ[1] عَنْ[2] جَمِيعِ حُدُودِ الجُرْمِ وَالجِسْمِ، وَلَوَازِمِهِ وَمُقْتَضَيَاتِهِ، مِنْ دُخُولٍ وَخُرُوجٍ، وَقُرْبٍ وَبُعْدٍ، وَاتِّصَالٍ وَانْفِصَالٍ، وَتَحَيُّزٍ وَاخْتِصَاصٍ بِجِهَةٍ، أَوْ إِحَاطَةٍ بِالظَّرْفِيَةِ أَوْ صُورَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ كِبَرٍ أَوْ صِغَرٍ، إِلَى مَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ جَامِداً أَوْ سَيَّالاً أَوْ مُتَحَرِّكاً أَوْ سَاكِناً، أَوْ مَلَأَ العَالَمَ، أَوْ فِي جُزْءٍ مِنْهُ، إِلَى غَايَةِ حُدُودِ الجِسْمِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا.

وَلِذَا لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الوَهْمُ وَالعَقْلُ، لِأَنَّهُمَا فِي وَقْتِ الفِكْرِ لَا يَخْرُجَانِ عَنْ قُيُودِ الجِسْمِ وَلَوَازِمِهِ، فَتَعَيَّنَتْ مَاهِيَّةُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ طُورِ العَقْلِ وَالحِسِّ وَالفِكْرِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الأَكَابِرِ فِي هَذَا الحَدِّ: لَا يَتَمَثَّلُ فِي النَّفْسِ، وَلَا يَتَخَصَّصُ فِي الذِّهْنِ، وَلَا يَتَصَوَّرُ فِي الوَهْمِ، وَلَا يَتَكَيَّفُ فِي العَقْلِ، لَا تَلْحَقُهُ العُقُولُ وَلَا الأَفْكَارُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الجِهَاتُ وَلَا الأَقْطَارُ، وَلَمَّا كَانَ انْحِصَارُ العَقْلِ وَالفِكْرِ فِي هَذِهِ المَدَارِكِ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا طَرَدَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الجَوَلَانِ فِي هَذَا المَيْدَانِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تُقَدِّرُونَ قَدْرَهُ.

---

[1]- ل: متقدسة

[2]- ع ي ل ق: على

وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فِي تَحْقِيقِ مَاهِيَةِ الذَّاتِ فَإِنَّ مَعِيَّةَ الحَقِّ بِذَاتِهِ لِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ، وَقُرْبَهُ لِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ صِفَتَانِ نَفْسِيَتَانِ يَتَوَقَّفُ تَعَقُّلُهُمَا عَلَى تَعَقُّلِ مَاهِيَةِ الذَّاتِ، وَحَيْثُ كَانَ تَعَقُّلُ مَاهِيَةِ الذَّاتِ مَمْنُوعاً لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِلْعَقْلِ وَالفِكْرِ، كَذَلِكَ تَعَقُّلُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مَعِيَّةً وَقُرْباً لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ، تَعَقُّلُهُمَا مِنْ وَرَاءِ طُورِ العَقْلِ وَالحِسِّ، فَلَا اتِّصَالَ وَلَا انْفِصَالَ وَلَا مَسَافَةً لِلْقُرْبِ وَالبُعْدِ، وَلَا أَيْنِيَّةَ وَلَا حُلُولَ وَلَا مَكَانَ وَلَا دُخُولَ وَلَا خُرُوجَ، وَلَا تَتَعَدَّدُ الذَّاتُ بِتَعَدُّدِهَا بِالمَعِيَّةِ.

وَدُونَكَ وَجْهاً يُوَضِّحُ لَكَ شَيْئاً مِنْ هَذَا المَيْدَانِ إِنْ عَقِلْتَهُ، فَهُوَ فِي الحَادِثِ فَقَطْ دُونَ القَدِيمِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ عِنْدَهُ مَثَلاً مِنَ الحُورِ مَا يَتَضَاعَفُ عَلَى عَدَدِ المَلَائِكَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُجَامِعُهُنَّ فِي الآنِ الوَاحِدِ، وَيُدْرِكُ لَذَّةَ كُلِّ وَاحِدَةٍ بِانْفِرَادِهَا عَلَى اخْتِصَاصِهَا فِي ذَلِكَ الآنِ الوَاحِدِ، وَيُجَامِعُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جِمَاعاً مُتَمَكِّناً بِمَحَلِّهِ الوَاحِدِ وَذَاتِهِ الوَاحِدَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَدُّدٍ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي مَحَلِّهِ، وَلَا تَعَدُّدَ لِلآنِ الوَاحِدِ وَلَا تَأْخِيرَ وَلَا تَقْدِيمَ وَلَا اشْتِرَاكَ فِي ذَوَاتِهِنَّ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ تَعَقُّلَ هَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ وَرَاءِ طُورِ العَقْلِ وَالحِسِّ، لَكِنَّهُ فِي سَعَةِ القُدْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَاقِعٌ.

وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْهُ أَرْبَابُ الحُدُودِ العَقْلِيَّةِ فَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ الأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ بِمَا تَقَرَّرَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ[1] مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يُجَامِعُ جَمِيعَ نِسَائِهِ فِي مِقْدَارِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَيَمْكُثُ فِي جِمَاعِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِقْدَارَ سَبْعِينَ سَنَةً فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فِي حَقِّ الحَادِثِ وَصَحَّحْتَهُ، فَخُذْهُ سُلَّماً تَرْتَقِي بِهِ إِلَى تَصْحِيحِ القُرْبِ وَالمَعِيَّةِ فِي حَقِّ القَدِيمِ لِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُودِ، فِي كُلِّ آنٍ مِنَ الزَّمَانِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ وَلَا افْتِرَاقٍ وَلَا تَعَدُّدٍ، وَفِي هَذَا القَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ تَعَقَّلَ الأَمْرَ. وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي السُّؤَالِ مِنَ الإِعْتِرَاضِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ التَّعَدُّدُ فِي ذَاتِ الحَقِّ بِتَعَدُّدِ المُمْكِنَاتِ وَمُمَازَجَتِهِ وَمُلَابَسَتِهِ لِلْمُمْكِنَاتِ. إلخ..

---

[1] - ك: أي

الجَوَابُ عَنْ هَذَا: أَنَّ هَذَا الخَيَالَ الَّذِي يُتَوَهَّمُ بِهِ هَذَا الوَهْمُ الفَاسِدُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَقَامِ الحِسِّ وَالعَقْلِ. وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ قُرْبَ الحَقِّ وَمَعِيَّتَهُ لِلْمَوْجُودَاتِ مِنْ وَرَاءِ طُورِ الحِسِّ وَالعَقْلِ، لَا مَطْمَعَ لِلْعَقْلِ وَالحِسِّ فِي إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِمَا، أَعْنِي القُرْبَ وَالمَعِيَّةَ مَا لَمْ يُدْرِكَا حَقِيقَةَ مَاهِيَةِ الذَّاتِ، وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ إِدْرَاكَ مَاهِيَةِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنْ إِدْرَاكِ الحِسِّ وَالعَقْلِ، كَذَلِكَ هَذِهِ المَعِيَّةُ وَالقُرْبُ بِالذَّاتِ فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنْ إِدْرَاكِ الحِسِّ وَالعَقْلِ ، فَبَطَلَ هَذَا الخَيَالُ وَالوَهْمُ اللَّذَانِ[1] يَلْزَمُ مِنْهُمَا مُلَابَسَةُ الذَّاتِ. وَمُلَابَسَتُهُمَا لِلْمَوْجُودَاتِ، وَتَعَدُّدُهُمَا بِتَعَدُّدِ المُمْكِنَاتِ، لِأَنَّ هَذَا فِي مَقَامِ إِدْرَاكِ الحِسِّ وَالعَقْلِ، وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ مَاهِيَةَ الذَّاتِ العَلِيَّةِ وَقُرْبَهَا لِلْمَوْجُودَاتِ مِنْ وَرَاءِ طَوْرِ العَقْلِ وَ الحِسِّ[2]، وَبِذَلِكَ بَطَلَ مَا تَخَيَّلَهُ الحِسُّ وَالعَقْلُ مِنْ إِلْزَامِ مَا ذُكِرَ.

وَأَمَّا القَوْلُ بِأَنَّهُ مَعَ المَوْجُودَاتِ بِالصِّفَاتِ مِنْ قُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ وَعِلْمٍ إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ، فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا القَوْلَ يَسْتَلْزِمُ الجِهَةَ وَالتَّحَيُّزَ لِلذَّاتِ العَلِيَّةِ وَهُوَ بَاطِلٌ، وَبَيَانُهُ أَنَّهُ مَتَى أَحَلْتَ مَعِيَّةَ الذَّاتِ لِلْحَوَادِثِ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ خَارِجَةً عَنْ جَمِيعِهَا، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ خُرُوجُهَا عَنْ كُورَةِ العَالَمِ بِأَسْرِهَا، فَيَلْزَمُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُحِيطَةً بِالكَوْنِ وَهِيَ ظَرْفٌ لَهَا، وَالكُورَةُ فِي جَوْفِهَا، وَهُوَ مُحَالٌ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ قُيُودِ الجِسْمِ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُحِيطَةٍ بِالكُورَةِ فَيَلْزَمُ إِمَّا تَخْصِيصُهَا بِجِهَةٍ مِنْ جِهَةِ الكُورَةِ، فَوْقاً أَوْ تَحْتاً أَوْ يَمِيناً أَوْ شِمَالاً أَوْ خَلْفاً أَوْ أَمَاماً، وَهُوَ الَّذِي هَرَبَ مِنْهُ مَنْ هَرَبَ مِنَ الجِهَةِ فَوَقَعَ فِيهَا، لِأَنَّهُ مَتَى قَالَ القَائِلُ بِخُرُوجِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ عَنْ كُورَةِ العَالَمِ لَزِمَ إِحَاطَتُهَا إِحَاطَةَ الظَّرْفِ بِمَظْرُوفِهِ، أَوْ تَخْصِيصُهَا بِجِهَةٍ مِنْ جِهَةِ الكُورَةِ، وَكِلَا الوَجْهَيْنِ مُحَالٌ عَقْلاً، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ المُحْدَثَاتِ عَلَى الوَصْفِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ، تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً. انْتَهَى.

وَأَمَّا المَعِيَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الآيَاتِ إِنَّمَا بَعْضُهَا لِلْعِصْمَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾**[3]، وَقَوْلِهِ: **﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾**[4]،

---

[1]- أ ك ل هـ ق ي ص ح م ع: (اللَّذَيْنِ)، وأثبتنا لفظ (اللَّذَانِ) وفقا للنسخة س (سكيرج)

[2]- ك ي: الحس والعقل

[3]- سورة طه، الآية 46

[4]- سورة التوبة، الآية 40

وَقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾[1]، مَعِيَّةَ النَّصْرِ وَالعِصْمَةِ وَكَذَا قَوْلِهِ: ﴿**وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ**﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[3]،

وَقَوْلِهِ: ﴿**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[4]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾[5]، الآيَةُ. فَكُلُّ المَعِيَّةِ فِي هَذِهِ الآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ مَعِيَّةُ الإِخْتِصَاصِ وَالعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالعِصْمَةِ،

وَأَمَّا مَعِيَّةُ الذَّاتِ فَلَا[6] تَخْتَصُّ بِنَصْرٍ وَلَا عِصْمَةٍ، فَهُوَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ، مَعَ عَدُوٍّ أَوْ حَبِيبٍ أَوْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، فَهُوَ عَلَى الحَدِّ الَّذِي ذُكِرَ فِيهَا سَابِقاً وَالسَّلَامُ، انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ أَدَامَ اللَّهُ عُلَاهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ**﴾[7]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: البَلَاءُ عَلَى ضَرْبَيْنِ، بَلَاءٌ يَكُونُ امْتِحَاناً وَاخْتِبَاراً، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُم وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالغَيْبِ**﴾[8]، وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ**﴾[9]، الآيَةُ.

---

[1] - سورة الشعراء، الآية 62

[2] - سورة محمد، الآية 35

[3] - سورة الأنفال، الآية 46

[4] - سورة البقرة، الآية 249

[5] - سورة النحل، الآية 128

[6] - ع ي ل: لا

[7] - سورة محمد، الآية 31

[8] - سورة المائدة، الآية 94

[9] - سورة محمد، الآية 31

وَأَمَّا البَلَاءُ غَيْرُ الإِمْتِحَانِ فِيهِ فَهُوَ[1] مُجَرَّدُ العَذَابِ، مِثْلَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)[2]، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (**حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ**)[3]، هَذَا العِلْمُ هَاهُنَا هُوَ عِلْمُ الظُّهُورِ لَا العِلْمُ الأَصْلِي، لِأَنَّ العِلْمَ الأَصْلِيَّ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِمَا يَقَعُ مِنْهُمْ، وَمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَهَذَا العِلْمُ كَامِنٌ لَا يَظْهَرُ فِي الوُجُودِ بِخِلَافِ عِلْمِ الظُّهُورِ،

وَمَثَلُ عِلْمِ الظُّهُورِ هُوَ الوَاقِعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ، وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**)[4]، فَضَحَتْهُمْ وَأَظْهَرَتْ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ عِلْمُ الظُّهُورِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**)[5]، هَلْ المُرَادُ مِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ لِآدَمَ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّهَا، إِحَاطِياً كُلِّياً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَالَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ حَتَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ خَاصٌّ بِالأَسْمَاءِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ، فَإِنْ قُلْنَا خَاصٌّ بِأَسْمَاءِ الكَائِنَاتِ فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ (**كُلَّهَا**) وَإِنْ قُلْنَا بِالإِحَاطَةِ فَكَيْفَ مَعَ عِلْمِنَا[6] أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَى مِنْ آدَمَ وَأَكْمَلَ؟

---

[1]- أ ك ع ي ح ل م هـ ق ص: (فهو) ساقطة

[2]- سورة البقرة، الآية 214

[3]- سورة محمد، الآية 31

[4]- سورة التوبة، الآية 75-76

[5]- سورة البقرة، الآية 31

[6]- ح ل: وإن قلنا بالإحاطة علمنا من ذلك أن

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ الأَسْمَاءَ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ لِآدَمَ هِيَ الأَسْمَاءُ الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ، وَالكُلِّيَّةُ المَذْكُورَةُ فِيهَا[1] هِيَ[2] إِحَاطَتُهُ بِجَمِيعِ مُتَعَلِّقَاتِ الكَوْنِ، حَتَّى لَا يَشِذَّ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّيَةِ الأَسْمَاءِ حَيْثُ عَرَضَ صُورَةَ الكَائِنَاتِ عَلَى المَلَائِكَةِ وَقَالَ: **(أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[3]، الآيَةُ.

(فَدَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّهَا الأَسْمَاءُ الَّتِي يَطْلُبُهَا فِي[4] الكَوْنِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ **(أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ)**)[5] وَهِيَ صُوَرُ الأَكْوَانِ، وَأَمَّا الأَسْمَاءُ الخَارِجَةُ عَنِ الكَوْنِ فَلَا تُمْكِنُ الإِحَاطَةُ بِهَا وَلَا نِهَايَةَ لَهَا، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)**[6]، فَإِنَّ العَارِفِينَ وَالأَقْطَابَ وَالنَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ مَعَ فَتْحِهِمْ فِي المَعْرِفَةِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ البَاطِنَةِ أَمْرٌ لَا حَدَّ لَهُ، ثُمَّ يَبْقَوْنَ عَلَى هَذَا الحَالِ أَبَداً سَرْمَداً فِي طُولِ عُمُرِ الدُّنْيَا، وَفِي طُولِ عُمُرِ البَرْزَخِ، وَفِي طُولِ عُمُرِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَفِي طُولِ عُمُرِ الأَبَدِ فِي الجَنَّةِ بِلَا نِهَايَةٍ، فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَنْكَشِفُ لَهُمْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ البَاطِنَةِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ فِي طُولِ هَذِهِ المُدَّةِ، وَلَا نِهَايَةَ لِانْكِشَافِ الأَسْمَاءِ عَلَى طُولِ أَبَدِ الأَبَدِ، فَكَيْفَ يُقَالُ أَحَاطَ بِهَا كُلِّهَا، وَإِنَّمَا الكُلِّيَّةُ فِي الأَسْمَاءِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ فَقَطْ، انْتَهَى.

وَأَمَّا السَّبَبُ المُوجِبُ لِسُجُودِ المَلَائِكَةِ لِآدَمَ فَالكَلَامُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ التَّحْقِيقِ أَنَّهُ غَيْبٌ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالنَّصِّ القَطْعِي، وَلَا نَصَّ، فَلَا مَجَالَ فِي هَذَا المَيْدَانِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)**، إِلَى قَوْلِهِ: **(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[7]، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْلِمْنَا بِالسَّبَبِ الَّذِي وَقَعَ السُّجُودُ بِهِ لِآدَمَ، وَذَلِكَ مَحْجُورٌ فِي حِجْرِهِ سُبْحَانَهُ

---

[1]- م: (فيها) ساقطة

[2]- ع ي ل م ق ص: هو

[3]- سورة البقرة، الآية 31

[4]- ك: (في) ساقطة

[5]- ل: ما بين القوسين محذوف: أي من "فدلت هذه الآية .. إلى أسماء هؤلاء".

[6]- سورة طه، الآية 110

[7]- سورة الأعراف، الآية 33

وَتَعَالَى، لَا مَجَالَ فِيهِ لِلعُقُولِ. لَا نَقُولُ لِأَجْلِ الخِلَافَةِ وَلَا لِغَيْرِهَا بَلْ نَسْكُتُ حَيْثُ لَمْ يُذْكَرْ شَيْءٌ فِي سَبَبِهِ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُ المَلَكِ عَلَى الآدَمِيِّ أَوِ العَكْسُ؟ الجَوَابُ: **اعْلَمْ** أَنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا مَجَالَ فِيهِ لِلعُقُولِ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ وَالتَّخْمِينِ[1] وَالقِيَاسِ، وَالحَقُّ الفَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ التَّفْضِيلَ وَاقِعٌ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحُكْمِ مَشِيئَتِهِ، يُفَضِّلُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِلَا عِلَّةٍ وَلَا سَبَبٍ، أَوْ بِعِلَّةٍ أَوْ سَبَبٍ، أَوْ بِأَيِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ أَوْ بِلَا شَيْءٍ، سَوَاءٌ كَانَ المُفَضَّلُ عَالِيَ الرُّتْبَةِ عَلَى المَفْضُولِ لِقُوَّةِ كَمَالِهِ، أَوْ كَانَ المُفَضَّلُ سَافِلَ الرُّتْبَةِ عَلَى المَفْضُولِ لِقُوَّةِ كَمَالِ المَفْضُولِ وَجَمْعِهِ لِلكَمَالَاتِ.

وَهَذَا التَّفْضِيلُ بَيْنَ المَلَكِ وَالآدَمِيِّ مَا عَدَا سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ أَكْمَلُ المَخْلُوقَاتِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى العُمُومِ وَمِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ، وَأَعْلَاهُمْ رُتْبَةً وَمَكَانَةً عِنْدَ رَبِّهِ، وَأَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللَّهِ، وَأَعْظَمُهُمْ زُلْفَى لَدَى اللَّهِ، فَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ هَذَا الخِلَافُ، فَفَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ عَلَى الخَلْقِ، لَا لِشَيْءٍ بَلْ بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾[2]،

وَأَمَّا المَلَائِكَةُ هَلْ لَهُمُ النَّظَرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الآخِرَةِ أَمْ لَا؟ الجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّهُ لَا قَطْعَ فِيهِ، لَا بِالنَّفْيِ وَلَا بِالإِثْبَاتِ، لِتَوَقُّفِ ذَلِكَ عَلَى اخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا عِلَّةَ لَهُ، إِنْ شَاءَ جَعَلَهُمْ يَرَوْنَهُ كَالآدَمِيِّ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَلَا مُسْتَنَدَ لِهَذَا إِلَّا الخَبَرُ الصَّحِيحُ، وَالخَبَرُ الصَّحِيحُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَيْءٌ فِي هَذَا البَابِ، فَلَا يُجَابُ عَنْهُ لَا بِنَفْيٍ وَلَا بِإِثْبَاتٍ، يَجِبُ الوَقْفُ.

وَهَلْ لَهُمْ وِجْهَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ وِجْهَاتٌ؟ فَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَجُّهَاتِ[3] الإِسْمِيَّةَ فَلَيْسَ لِكُلِّ مَلَكٍ إِلَّا إِسْمٌ وَاحِدٌ، يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الإِسْمِ وِجْهَتُهُ لِلحَقِّ، فَلَيْسَ لَهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ إِلَّا وِجْهَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ أَرَدْتَ بِالوِجْهَةِ وِجْهَةَ التَّعَبُّدِ لِلَّهِ، فَوِجْهَةُ المَلَكِ وَالآدَمِيِّ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ إِلَى الحَضْرَةِ

---

[1]- ع م: والتحيز

[2]- سورة القصص، الآية 68

[3]- ح ع ي ل م هـ ق ص: توجهات

الإِلَهِيَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي وَصْفِ المَلَائِكَةِ، هَلْ هُمْ أَرْوَاحٌ مُجَرَّدَةٌ أَوْ أَجْرَامٌ بَسِيطَةٌ؟ فَهَذِهِ حَقِيقَةُ المَلَكِ عِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ، وَجَمِيعُ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ المَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ كُلُّهُمْ يَمُوتُونَ فِي نَفْخَةِ الصُّورِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ،

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ جِنّاً وَإِنْساً وَمَلَكاً لَيْسَ لَهُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وِجْهَةٌ وَاحِدَةٌ، مَا عَدَا العَارِفَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تُحْصَى تَوَجُّهَاتُهُ فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ، وَهَذَا التَّوَجُّهُ يَعْنِي فِي الآنِ الوَاحِدِ، فَإِنَّ تَوَجُّهَاتِهِ لَا حَدَّ لَهَا وَلَا حَصْرَ بِحَسَبِ مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فِي بَاطِنِ حَضْرَتِهِ، فَلَيْسَ تَوَجُّهُهُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا عَلَى قَدْرِ مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، فَلَهُ فِي كُلِّ إِسْمٍ وِجهَةٌ خَاصَّةٌ لَا تَشْتَرِكُ مَعَ الإِسْمِ الآخَرِ، فَهُوَ فِي الآنِ الوَاحِدِ مَثَلاً إِنْ كَانَ مِنَ الأَكَابِرِ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فِي الآنِ الوَاحِدِ بِمَا لَا تَسْتَوْفِيهِ المَخْلُوقَاتُ فِي سِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ،

وَمِنْ هَاهُنَا تَعْرِفُ حَقِيقَةَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ ذُو القَرْنَيْنِ فِي قَوْلِهِ: إِذَا كَانَ اللَّهُ غَايَةَ الغَايَاتِ فَالمَعْرِفَةُ بِهِ أَجَلُّ العِبَادَاتِ، وَشَاهِدُهُ[1] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ، انْتَهَى.

وَيَشْهَدُ لَهُ أَيْضاً[2] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: لَمْ تَسَعْنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ، فَهَذَا مَعْنَى اتِّسَاعِ التَّوَجُّهَاتِ إِلَى الحَقِّ، فَالعَارِفُ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي كُلِّ آنٍ بِمَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ، حَتَّى قَالَ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَقْبَلَ مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً، لَكَانَ مَا فَاتَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَكْثَرَ مِمَّا أَدْرَكَهُ فِي أَلْفِ سَنَةٍ، وَهَكَذَا هَذَا التَّرَقِّي دَائِماً لِلعَارِفِ بِاللَّهِ، وَمَعْنَى الفَقِيهِ المَذْكُورِ فِي الحَدِيثِ هُوَ العَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ حَضْرَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَّحِدَةٌ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ وَالوُجُوهُ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ بِأَسْرِهِ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ بِالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالعِبَادَةِ وَالخُمُودِ تَحْتَ سُلْطَانِ القَهْرِ،

---

[1]- ح ل: وشاهد ذلك

[2]- ح ل: (أيضا) ساقطة

وَامْتِثَالِ الأَمْرِ، وَالمَحبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، فَمِنْهُمْ المُتَوَجِّهُ إِلَى صُورَةِ الحضْرَةِ الإِلَهِيَةِ نَصّاً جَلِيّاً فِي مَحْوِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَمِنْهُمْ المُتَوَجِّهُ إِلَى الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ كَثِيفٍ، وَهُمْ عَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ فِي تَوَجُّهِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مَا تَوَجَّهُوا لِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا عَبَدُوا غَيْرَهُ، لَكِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ السُّتُورِ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَجَذَبَهُمْ بِحَسَبِ ذَلِكَ بِحُكْمِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ الَّذِي لَا مُنَازِعَ لَهُ فِيهِ، وَهَذَا هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ كَرْهاً، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً)**[1]، الآيَةُ.

فَالوُجُودُ كُلُّهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصِفَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ فَرْداً فَرْداً، وَإِنَّ الكُفَّارَ وَالفَجَرَةَ وَالمُجْرِمِينَ وَالظَّلَمَةَ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّخْلِيطِ الَّذِي خَالَفُوا فِيهِ نُصُوصَ الشَّرْعِ وَصُورَةَ الأَمْرِ الإِلَهِي، فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مُمْتَثِلُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسُوا بِخَارِجِينَ عَنْ أَمْرِهِ وَمُرَادِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ صُورَةِ الأَمْرِ الإِلَهِي ظَاهِراً وَغَرِقُوا فِيهِ بَاطِناً، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ الكَوْنَ كُلَّهُ فَرْداً فَرْداً كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْهُ مَرْتَبَةٌ لِلْحَقِّ، يَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمٍ خَاصٍّ لَا يَحْكُمُ بِهِ فِي غَيْرِهَا، وَيَفْعَلُ فِيهَا فِعْلاً خَاصّاً لَا يَفْعَلُهُ فِي غَيْرِهَا، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِ تِلْكَ الذَّرَّةَ بِتَوَجُّهٍ خَاصٍّ إِلَيْهِ لَا يُوَجِّهُ بِهِ غَيْرَهَا فِيهِ، وَيَجِبُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ لَهُ فِي حُكْمِهِ، فَقَدْ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ ظَاهِراً وَوَفَّوْا بِهِ بَاطِناً مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، وَمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَزَاءِ فِي دَارِ المَآبِ عَذَاباً وَنَعِيماً، كُلُّ ذَلِكَ بِحُكْمِ مَشِيئَتِهِ الَّتِي لَا مَرَدَّ لَهَا، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَتَأَمَّلْتَهُ، وَجَدْتَ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي الوُجُودِ فَرْداً فَرْداً لَهَا تَوَجُّهُ إِلَى الحَقِّ خَاصٌّ بِهَا لَا يُشَارِكُهَا فِيهِ غَيْرُهَا، وَرُبَّمَا مَاثَلَتْهَا ذَرَّةٌ أُخْرَى أَوْ ذَرَّاتٌ فِي صِفَةِ مَا هِيَ فِيهِ مِنَ التَّوَجُّهِ، فَسَتُبَايِنُهَا فِي أُمُورٍ أُخْرَى، فَأَحْكِمْ هَذَا القَانُونَ وَسِرْ بِهِ فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الوُجُودِ مِنَ المَلَكِ وَالآدَمِيِّ وَغَيْرِهِ، وَاعْرِفْ كَيْفِيَّةَ التَّوَجُّهِ لِلْوُجُودِ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَمَيَّزْتَهُ حَقَّ

---

[1]- سورة الرعد، الآية 15

تَمْيِّيزِهِ اتَّسَعَ لَكَ مَيْدَانٌ عَظِيمٌ مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّسَاعِ تَجَلِّيَاتِهِ فِي الوُجُودِ بِلَا حَدٍّ وَلَا حَصْرٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَخْتَلِطُ الشَّرِيعَةُ وَالحَقِيقَةُ فِي هَذَا المَيْدَانِ،

وَالقَوْلُ الفَصْلُ فِيهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ المُحَرِّكُ لِجَمِيعِ الوُجُودِ، وَالقَائِمُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالمُقِيمُ لَهُمْ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، لَا يَمْلِكُونَ مِنْ دُونِهِ شَيْئاً، وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ وَلَا حَرَكَةَ لَهُمْ وَلَا حُكْمَ وَلَا تَقْدِيمَ وَلَا تَأْخِيرَ، بَلْ هُمْ فِي قَبْضَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَحْتَ حُكْمِ مَشِيئَتِهِ يَصْرِفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ وَيُقَلِّبُهُمْ كَيْفَ يُرِيدُ، فِيمَا يَشَاءُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، أَوْ إِقْبَالٍ أَوْ إِدْبَارٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الحَقِيقَةِ تَجَلَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَجَعَلَ تِلْكَ الحِكْمَةَ وَالشَّرِيعَةَ مَنُوطَةً بِالشُّرُوطِ وَالأَسْبَابِ وَالضَّوَابِطِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، لَا انْفِكَاكَ لِشَيْءٍ فِي تِلْكَ الحِكْمَةِ عَمَّا أَرَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي عَلَى قَانُونِ المَشِيئَةِ، ثُمَّ رَتَّبَ فِي صُورَةِ هَذِهِ الحِكْمَةِ عَلَى وُجُوهِ تِلْكَ الضَّوَابِطِ وَالرَّوَابِطِ أَحْكَاماً إِلَهِيَةً سَمَّاهَا حُدُوداً وَعُقُوبَاتٍ وَثَوَاباً وَعِقَاباً وَخَوْفاً وَرَجَاءً، لَا خُرُوجَ لِأَحَدٍ عَنْ تِلْكَ الضَّوَابِطِ وَالقُيُودِ، وَلَهُ الحُكْمُ وَالإِخْتِيَارُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَ فِي صُورَةِ الحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ، لَا يُنَازَعُ وَلَا يُقَالُ لَهُ لِمَ وَلَا لِأَيِّ شَيْءٍ وَلَا عَلَى مَاذَا، فَلَيْسَ إِلَّا مَدُّ العُنُقِ وَتَغْمِيضُ العَيْنِ وَخُضُوعِ القَلْبِ تَحْتَ سُلْطَانِ الأُلُوهِيَةِ وَالجَلَالِ. انْتَهَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**[1])[2]، الآيَةُ. مَعَ تَعْلِيمِ اللَّهِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**)[3]، الآيَةُ. الجَوَابُ: **اعْلَمْ** أَنَّهُمْ مَا سَأَلُوا اعْتِرَاضاً وَلَا رَدّاً لِلْحُكْمِ لِأَنَّهُمْ مِنْ هَذَا فِي خَوْفٍ عَظِيمٍ، لَا يَتَجَاسَرُونَ عَلَى مَرْتَبَةِ جَلَالِهِ أَنْ يَعْتَرِضُوا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا[4] سَأَلُوهُ عَنِ السِّرِّ المُوجِبِ لِخَلْقِ هَذِهِ الخَلِيقَةِ وَجَعْلِهِ فِي الأَرْضِ، مَاذَا يُرِيدُ بِهِ، وَقَدْ رَأَوْا مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَهُ أَهْلُ الأَرْضِ مِنَ الظُّلْمِ وَالفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَتَعَدِّي

---

[1]- ح ك: (ويسفك الدماء) ساقطة ـ ل: ويسفك الدماء ونحن نسبح

[2]- سورة البقرة، الآية 30

[3]- سورة البقرة، الآية 30

[4]- ك: إنما

بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَأَوْا ذَلِكَ فِي كُلِّ مَنْ سَكَنَ الأَرْضَ مُنْذُ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، مَا رَأَوْا أُمَّةً فِي الأَرْضِ خَرَجَتْ عَنْ هَذَا المَيْدَانِ، فَحَكَمُوا عَلَى البَاقِي بِصُورَةِ ذَلِكَ، وَسَأَلُوا مَاذَا يُرِيدُ بِجَعْلِ هَذَا الخَلِيفَةِ فِي الأَرْضِ عَلَى مَا يَقَعُ مِنْ ذُرِّيَتِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالفَسَادِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[1]، لَمْ يَعْلَمُوا مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي آدَمَ مِنْ أَسْرَارِهِ وَخَزَائِنِ عُلُومِهِ، وَمَاذَا يُرَادُ بِهِ وَمِنْ ذُرِّيَتِهِ مِنْ ظُهُورِ أَحْكَامِ كَمَالَاتِهِ وَأُلُوهِيَتِهِ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُمْ عِمَارَةَ الدَّارَيْنِ بِصُورَةِ العَذَابِ وَالنَّعِيمِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الأَحْكَامِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، وَلِمَا اسْتَفْهَمُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وَمُطَّلِعُونَ عَلَى المُغَيَّبَاتِ؟ فَالجَوَابُ: أَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا مَا كَانَ فِي آدَمَ وَذُرِّيَتِهِ وَلَا اطَّلَعُوا عَلَيْهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[2]، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ عَلِمُوا مَا فِي اللَّوْحِ فَمَا أَطْلَعَهُمْ عَلَى جَمِيعِ غُيُوبِهِ، إِنَّهُ لَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ غَيْرُهُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ بَعْضِ حُرُوفٍ مِنَ القُرْآنِ، قَالَ فِيهَا عُلَمَاءُ المَعْقُولِ أَنَّهَا زَائِدَةٌ وَبَعْضُهَا مُسْتَعَارَةٌ لِحُرُوفِ غَيْرِهَا، هُرُوباً مِمَّا يُعْطِيهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنَ العِلَّةِ، وَالزَّائِدُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ، وَحَاشَا أَنْ يُوجَدَ فِي القُرْآنِ حَرْفٌ لَا مَعْنَى لَهُ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)**[3]، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: **(لِيَعْبُدُونِ)**[4]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً)**[5]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**[6]. وَالأَلِفُ وَالوَاوُ وَاليَاءُ فِي مَوَاضِعَ كَمَا هِيَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الرَّسْمِ،

---

[1]- سورة البقرة، الآية 30

[2]- سورة البقرة، الآية 30

[3]- سورة آل عمران، الآية 159

[4]- سورة الذاريات، الآية 56

[5]- سورة القصص، الآية 8

[6]- سورة النساء، الآية 64

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ اعْلَم أَنَّ العِلَّةَ المُسْتَحِيلَةَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى هِيَ أَنْ لَوْ قَدَّرْنَا شَيْئاً يَعُودُ النَّفْعُ مِنْهُ عَلَى اللَّهِ أَوِ الضُّرُّ وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا عُلُوّاً كَبِيراً، فَهَذِهِ العِلَّةُ هِيَ المُسْتَحِيلَةُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا العِلَّةُ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا أَوْ ضَرَرُهَا عَلَى العِبَادِ فَهَذِهِ جَائِزَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا، لِأَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ شَرَائِعُ أَنْبِيَائِهِ أَظْهَرَ فِيهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِرْتِبَاطَ بَيْنَ الأَشْيَاءِ مِنَ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ، كَالسَّبَبِ بِمُسَبِّبِهِ وَالعِلَّةِ بِمَعْلُولِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**[1])[2]، إلخ.. (**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَاراً**)[3]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَالأَخْبَارِ مِمَّا هُوَ كَثِيرٌ فِي مِثْلِ هَذَا، وَكَتَوَقُّفِ المَشْرُوطِ عَلَى الشَّرْطِ.

فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا المَعْنَى فِي الآيَاتِ المَذْكُورَاتِ، وَجَوَابُ الحُكْمِ عَلَى العِبَادِ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ (**لِيَعْبُدُونِ**)[4] أَيْ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِنَحْكُمَ عَلَيْهِمْ بِالعِبَادَةِ، فَمَنْ لَمْ لَمْ يَعْبُدْنِي مِنْهُمْ عَاقَبْتُهُ بِعَذَابِي، وَكَذَلِكَ (**لِيُطَاعَ**)[5]، أَيْ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِنَحْكُمَ بِطَاعَةِ الخَلْقِ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ فَأَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَدْتُ مِنَ العِقَابِ وَأَنْوَاعِ الهَلَاكِ، هَذَا هُوَ المُرَادُ مِنَ الآيَاتِ،

وَإِنَّمَا الْتَبَسَ مَعْنَاهَا عَنْ مَنْ صَرَفَهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، لِعَدَمِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ، صِفَةِ الحِكْمَةِ[6] وَصِفَةِ المَشِيئَةِ، وَعَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَ العِلَّةِ الَّتِي تَجُوزُ وَالَّتِي لَا تَجُوزُ، وَمَنْ عَرَفَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا زَالَ عَنْهُ الإِشْكَالُ فِي ارْتِبَاطِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَمَا قَدَّمْنَا، فَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يَنْظُرَ بِعَيْنِ قَلْبِهِ إِلَى أَنَّ[7] الأَشْيَاءَ بِالنِّسْبَةِ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَارِيَةٌ عَنِ العِلَلِ

---

[1]- ع ك ي: (تجري من تحتها) ساقطة ـ ل: (جنات تجري من تحتها) ساقطة

[2]- سورة النساء، الآية 13

[3]- سورة النساء، الآية 14

[4]- سورة الذاريات، الآية 56

[5]- سورة النساء، الآية 64

[6]- ك ل: الحكم

[7]- ك: (أن) ساقطة

وَالشُّرُوطِ وَالإِضَافَاتِ وَالنِّسَبِ وَالأَسْبَابِ كُلِّهَا، وَإِنَّمَا حَكَمَ اللَّهُ فِي أَزَلِهِ بِمَا اخْتَارَهُ، حَكَمَ عَلَى هَذَا سَعِيداً وَهَذَا شَقِيّاً، وَهَذَا غَنِيّاً وَهَذَا فَقِيراً، مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا غَرَضٍ، وَيَنْظُرُ بِعَيْنِ قَلْبِهِ لِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِي[1] حِكْمَتِهِ مِنَ الإِرْتِبَاطِ[2] بَيْنَ الأُمُورِ، وَيرى فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ كَذَا مِنَ الخَيْرِ أَعْطَاهُ اللَّهُ كَذَا مِنَ الثَّوَابِ بِمَحْضِ الفَضْلِ، وَإِذَا فَعَلَ كَذَا مِنَ الشَّرِّ عَاقَبَهُ بِمَحْضِ العَدْلِ، لِأَنَّهُ لَهُ الحُكْمُ وَالإِخْتِيَارُ، إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ فِي مَمْلَكَتِهِ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَحُرُوفُ القُرْآنِ لَيْسَ فِيهَا زَائِدٌ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ المَعْنَى يُؤَدَّى بِحَرْفٍ وَاحِدٍ وَرُكِّبَ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مَعَهُ غَيْرُهُ لِذَلِكَ المَعْنَى بِعَيْنِهِ، فَيَكُونُ الحَرْفَانِ مَعاً لِذَلِكَ المَعْنَى، وَلَيْسَ الأَخِيرُ مِنْهُمَا زَائِداً، بَلْ الأَوَّلُ وَالثَّانِي لِذَلِكَ المَعْنَى المُصَدَّرِ بِهِمَا، وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ عَنْ شَيْخِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا زِيدَ حَرْفٌ فِي كَلِمَةٍ وَلَمْ يُزَدْ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَالكَلِمَةُ هِيَ بِعَيْنِهَا فِي المَوْضِعَيْنِ أَوْ المَوَاضِعِ لَفْظاً وَمَعْنًى، كَالأَلِفِ وَالوَاوِ وَاليَاءِ الزَّائِدَاتِ فِي بَعْضِ الكَلِمَاتِ، فَالمَوْضِعُ الَّذِي زِيدَتْ فِيهِ لِسِرٍّ آخَرَ لَمْ يَكُنْ فِي الَّتِي لَمْ تُزَدْ فِيهِ، هَكَذَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا فِي اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ المَشْرِي حَفِظَهُ اللَّهُ بِمَنِّهِ آمِينَ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى الحُرُوفِ اللَّفْظِيَّةِ وَالحُرُوفِ الرَّقْمِيَّةِ وَالحُرُوفِ الفِكْرِيَّةِ، مَاذَا يُوجَدُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؟ **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ: اعْلَم أَنَّ الحُرُوفَ اللَّفْظِيَّةَ يُوجَدُ مِنْهَا[3] عَالَمُ الأَرْوَاحِ، مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تُلُفِّظَ بِهَا خُلِقَ مِنْهَا مَلَكٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ مِنَ الخَيْرِ خُلِقَ مِنْهَا مَلَكُ رَحْمَةٍ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ شَرٍّ خُلِقَ مِنْهَا مَلَكُ عَذَابٍ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَلَائِكَةِ العَذَابِ، فَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَتَابَ مِنْ تِلْكَ القَوْلَةِ خُلِعَتْ عَلَى المَلَكِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهَا خِلْعَةٌ وَانْقَلَبَ بِهَا مَلَكَ رَحْمَةٍ، وَالحُرُوفُ اللَّفْظِيَّةُ لَا ظُهُورَ لَهَا فِي عَالَمِ الحِسِّ،

---

[1] - ي: (في) ساقطة

[2] - ك ي م: من الارتباطات

[3] - ك ي م ق: عنها

وَأَمَّا الحُرُوفُ الرَّقْمِيَّةُ يُوجَدُ عَنْهَا عَالَمُ الحِسِّ، مَعْنَاهُ هِيَ الحُرُوفُ الَّتِي تُدْرَكُ بِالبَصَرِ، وَأَمَّا الحُرُوفُ الفِكْرِيَّةُ يُوجَدُ عَنْهَا عَالَمُ العَقْلِ فِي الخَيَالِ، مَعْنَاهُ يُوجَدُ عَنْهَا مَا يُوجَدُ عَنْ حُكْمِ التَّخَيُّلِ، أَمَّا تَخَيُّلُ العَامَّةِ فَلَا يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُقَالُ فِيهِ تَمَنِّي، وَأَمَّا تَخَيُّلُ العَارِفِ فَكُلُّ مَا تَخَيَّلَهُ يُوجَدُ فِي الحِينِ.

وَمِثَالُهُ مَا وَقَعَ لِلْجَوْهَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلَيْهِ جَنَابَةٌ وَكَانَ بِمِصْرَ، خَرَجَ يَغْتَسِلُ فِي النِّيلِ، وَحَمَلَ خُبْزَ دَارِهِ لِلْفُرْنِ، فَأَعْطَى خُبْزَهُ لِلفَرَّانِ، وَذَهَبَ لِلنِّيلِ لِيَغْتَسِلَ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي وَسَطِ النِّيلِ وَاغْتَسَلَ بَعْضاً مِنَ الغُسْلِ وَقَعَ عَلَيْهِ شِبْهُ السِّنَةِ قَلِيلَةً، فَرَأَى نَفْسَهُ دَخَلَ بَغْدَادَ، وَتَزَوَّجَ بِهَا امْرَأَةً، بَقِيَ مَعَهَا سِتَّ سِنِينَ، وَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا أَوْلَادٌ غَابَ عَنْ عَدَدِهِمْ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَوَجَدَ نَفْسَهُ قَائِماً فِي النِّيلِ يَغْتَسِلُ، فَكَمَّلَ غُسْلَهُ بَانِياً عَلَى الَّذِي تَقَدَّمَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الفُرْنِ، وَجَدَ الخُبْزَ كَمَا خَرَّجَهُ صَاحِبُ الفُرْنِ، فَأَخَذَ خُبْزَهُ وَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِالقَضِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ، وَأَخْبَرَهَا بِالقِصَّةِ[1] كَمَا هِيَ، فَمَكَثَ شَهْرَيْنِ،

ثُمَّ جَاءَتْ المَرْأَةُ الَّتِي تَزَوَّجَهَا بِبَغْدَادَ تَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حَارَتِهِ، فَسَأَلَتْ عَنْ دَارِهِ، فَقَالَ لَهَا أَهْلُ الحَارَةِ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفِينَهُ؟ فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنَا زَوْجَتُهُ وَهَؤُلَاءِ أَوْلَادُهُ، فَقَالُوا لَهَا: مَا خَرَجَ مِنْ هَاهُنَا، فَضَرَبَتْ عَلَيْهِ البَابَ، فَخَرَجَ فَعَرَفَهَا، فَمَا أَنْكَرَهَا، فَسَأَلَهُ[2] أَهْلُ الحَارَةِ مَاذَا تَقُولُهُ هَذِهِ المَرْأَةُ؟ فَقَالَ[3]: إِنَّهَا زَوْجَتِي، وَهَؤُلَاءِ أَوْلَادِي مِنْهَا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا: المَرْأَةُ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكِ هَا هِيَ قَدْ جَاءَتْ بِأَوْلَادِهَا، وَدَخَلَ بِهَا لِدَارِهِ.

وَأَمَّا العَارِفُونَ فَلَهُمْ تَصَرُّفٌ بِالحُرُوفِ الرَّقْمِيَّةِ، وَلَهُمْ تَصَرُّفٌ بِالحُرُوفِ اللَّفْظِيَّةِ، وَلَهُمْ تَصَرُّفٌ بِالحُرُوفِ الخَيَالِيَةِ، وَالتَّصَرُّفُ الرَّابِعُ يُسَمُّونَهُ التَّصَرُّفُ بِالجَانِبِ الأَحْمَى، وَلَا يَعْلَمُ هَذَا التَّصْرِيفَ[4] إِلَّا الرُّسُلُ[5] دُونَ الأَنْبِيَاءِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَحَلَّ أَسْرَارِهِ، وَهُوَ مَوْضِعُ النِّسَبِ الإِلَهِيَةِ،

---

[1]- ك: بالقضية

[2]- ح ع ك ي م هـ ق ص: فسألوه

[3]- ك ي م: فقال لهم

[4]- ك ل: التصرف

[5]- ع ك: الرسول

وَكُلُّ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا فِي بَوَاطِنِهِمْ مِنَ الطَّبْعِ وَمَا دَارَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّاتُهُمْ، فَعَامَلَهُمْ بِحَسَبِ طِبَاعِهِمْ لِيَدُومَ قِيَامُهُمْ بِالتَّكْلِيفِ، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ جَرْيُهُ عَلَى طِبَاعِهِمْ لَبَطَلَتْ رِسَالَتُهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، فَمَا فِي عِلْمِ كُلِّ رَسُولٍ إِلَّا مَعْرِفَةُ طِبَاعِ الأُمَّةِ الَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا فَقَطْ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِطِبَاعِ غَيْرِهِمْ، فَلِذَا لَمْ تَعُمَّ رِسَالَاتُهُمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَإِنَّهُ أَطْلَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى طِبَاعِ الوُجُودِ كُلِّهِ، فَهُوَ يُعَامِلُ كُلَّ طَائِفَةٍ عَلَى حَسَبِ طَبِيعَتِهَا، يُشِيرُ إِلَى هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالحَدِيثُ الآخَرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الخَيْرُ عَادَةٌ وَعَوِّدُوا كُلَّ بَدَنٍ مَا اعْتَادَهُ.

وَأَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا قَامَتْ بِالحُرُوفِ، وَالحُرُوفُ كُلُّهَا قُدْسِيَّةٌ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى وَفِي صُورَةِ عِلْمِهِ، وَكُلُّهَا قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ، لِأَنَّهَا وُجِدَتْ فِي كَلَامِهِ وَفِي عِلْمِهِ، وَتَكَلَّمَ بِهَا الحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ بِقَوْلِهِ: ألم حم عسق كهيعص طَس ق ن، إلخ.. الحُرُوفِ، فَكُلُّهَا قَدِيمَةٌ بِقِدَمِ الذَّاتِ، وَلَيْسَ قِدَمُهَا مَا يُوجَدُ فِي أَلْفَاظِنَا، وَيُكْتَبُ بِبَنَانِنَا، وَيُتَصَوَّرُ فِي خَيَالِنَا، فَلَيْسَتْ هِيَ الحُرُوفَ الَّتِي نَقُولُ،

وَلَكِنَّ الحُرُوفَ القُدْسِيَةَ مَا كَانَتْ هَذِهِ الأُمُورُ دَالَّةً عَلَيْهَا فَقَطْ، فَالحُرُوفُ اللَّفْظِيَّةُ وَالبَنَانِيَةُ وَالخَيَالِيَةُ هِيَ دَالَّةٌ عَلَى تِلْكَ الحُرُوفِ القُدْسِيَةِ الَّتِي بِهَا كَلَامُ الحَقِّ، إِذْ لَوْلَا صُورَةُ الحُرُوفِ القُدْسِيَّةِ مَا عُرِفَتْ صُورَةُ الكَلَامِ، وَلَا تَمَيَّزَ[1] بَعْضُهُ[2] مِنْ بَعْضٍ، وَلَا عُرِفَتْ مَعَانِيهِ، فَإِنَّ التَّمْيِيزَ فِيهِ بِالحُرُوفِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)**[3] مُخَالِفٌ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)**[4]، فَالفَرْقُ بَيْنَ إِبْلِيسَ وَعِيسَى تَمَيَّزَ بِالحُرُوفِ، وَلَوْلَا الحُرُوفُ لَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَيْنُ الآخَرِ.

---

[1]- ل: يتميز

[2]- ح ل: بعضها

[3]- سورة المائدة، الآية 110

[4]- سورة الحجر، الآية 32

فَالحُرُوفُ القُدْسِيَّةُ عَنْهَا وُجِدَتْ الأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ كُلُّهَا، وَعَنْهَا بَرَزَ الأَمْرُ الإِلَهِي بِقَوْلِهِ **(كُنْ)** فَبِالحُرُوفِ ظَهَرَتِ الأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ مَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ، إِلَّا مَا قَالَ لَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **(كُنْ)** وَالوُجُودُ كُلُّهُ كَلِمَاتُ الحَقِّ، فَزَيْدٌ مَثَلاً وَبَكْرٌ وَخَالِدٌ وَعَمْرُو كُلُّهَا كَلِمَاتُ الحَقِّ، وَعَنْ كَلِمَةِ الحَقِّ وُجِدَتْ المَوْجُودَاتُ كُلُّهَا، فَمَا فِيهَا خَارِجٌ عَنْ هَذَا المَيْدَانِ، فَأَسْمَاءُ المُسَمَّيَاتِ مِنَ الوَضْعِ الإِلَهِي، وَكَذَا وَضْعُ اللُّغَاتِ وَأَسَامِيهَا هِيَ أَوْضَاعٌ إِلَهِيَّةٌ وَضَعَهَا الحَقُّ وَأَجْرَاهَا عَلَى الأَلْسِنَةِ، فَلَوْ اتَّفَقَ الوُجُودُ كُلُّهُ عَلَى أَنْ يَضَعُوا أَسْمَاءً أَوْ لُغَةً لَعَجَزُوا، وَلَكِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ هُوَ الوَاضِعُ لَهَا، وَسَمَّاهَا بِأَسْمَائِهَا. وَأَمَّا الكَلَامُ الأَزَلِيُّ فَهُوَ بِحُرُوفٍ قُدْسِيَةٍ مُنَزَّهَةٍ عَنِ الآلَاتِ الَّتِي يَقَعُ النُّطْقُ بِهَا، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، يَعْنِي الحُرُوفَ.

وَأَمَّا مَا قَالُوا مِنْ أَنَّ الكَلَامَ الأَزَلِيَّ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ أَرَادُوا بِهِ طَرْدَ المُعْتَزِلَةِ عَنْ قَوَاعِدِهِمْ، فَإِنَّ اتِّبَاعَهُمْ لِتِلْكَ القَوَاعِدِ نَفَوْا بِهَا الكَلَامَ الأَزَلِيَّ البَارِزَ مِنَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَجَعَلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ بِمُتَكَلِّمٍ، وَالقُرْآنُ يُكَذِّبُهُمْ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي القُرْآنِ بِقَوْلِهِ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)**[1]. فَإِنَّ الكَلَامَ لَوْ بَرَزَ مِنْ ذَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الذَّاتِ لَكَانَتْ تِلْكَ الذَّاتُ المُتَكَلِّمَةُ هِيَ المَعْبُودَةُ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ أَنْ يَقُولَ إِنَّنِي[2] أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي إِلَّا الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ، فَإِنَّ هَذَا صَرِيحٌ فِي تَكْذِيبِهِمْ فِيمَا يَدَّعُونَ مِنْ نَفْيِّ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ عِنْدَهُمْ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ. إِذَا أَرَادَ الحَقُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَلْقَى الكَلَامَ فِي ذَاتٍ مِنَ الجَمَادَاتِ مُخْبِرَةً عَنْهُ بِضَمِيرِهِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ البُعْدِ. فَإِنَّا لَوْ سَمِعْنَا كَلَاماً مِنْ جَمَادٍ تَكَلَّمَ وَقَالَ: إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي لَكَانَ ذَلِكَ الجَمَادُ هُوَ الإِلَهُ، لِإِخْبَارِهِ بِضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ، وَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَفُوهَ بِهِ[3] مَخْلُوقٌ إِلَّا الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَالكَلَامُ الأَزَلِيُّ لَيْسَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأْخِيرٌ وَلَا حَصْرٌ وَلَا مَادَّةٌ وَلَا كَيْفِيَّةٌ، إِذَا بَرَزَ الكَلَامُ بِعَيْنِهِ، يَعْنِي كَلَامَ الحَقِّ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ وَسَمِعْتَهُ زَالَتْ عَنْكَ الأَلْبَاسُ كُلُّهَا، وَهِيَ

---

[1]- سورة طه، الآية 14

[2]- ع ك ي: (إنني) ساقطة

[3]- ع ك ي: بها

القُيُودُ، وَرَأَيْتَ الوَقْتَ حِينَئِذٍ ذَلِكَ الوَقْتَ الَّذِي كَانَ قَبْلَ وُجُودِ الكَائِنَاتِ أَنْتَ فِيهِ الآنَ، وَهُوَ الوَقْتُ الَّذِي كَانَ فِي الأَبَدِ هُوَ الآنَ أَيْضاً.

وَأَمَّا الأَلْبَاسُ وَهِيَ القُيُودُ الَّتِي فِي الكَلَامِ الأَزَلِيِّ فَإِنَّمَا[1] هِيَ فِي وَقْتِ الحِجَابِ فَقَطْ لَا غَيْرَ. قَالَ ابْنُ العَرِيفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي اللَّهِ تَعَالَى: لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العِبَادِ نَسَبٌ يَصْطَفِيهِمْ لِأَجْلِهِ أَوْ يُعْطِيهِمْ لِأَجْلِهِ، لَيْسَ إِلَّا العِنَايَةُ وَهِيَ المَشِيئَةُ، وَلَا سَبَبَ إِلَّا الحُكْمُ وَلَا وَقْتَ إِلَّا الأَزَلُ، وَمَا بَقِيَ فَعَمًى وَتَلْبِيسٌ. وَمَعْنَى الأَزَلِ هُوَ الَّذِي فِيهِ وُجُودُ الحَقِّ وَحْدَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ فِيهِ نِسْبَةٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَفِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَعْطَى مَا أَعْطَى وَفَصَّلَ مَا فَصَّلَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ لِمَجَارِي الأَقْدَارِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَحَبَّةِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَحَبَّةُ الذَّاتِ صَعْبَةُ المَرَامِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلعَارِفِ الكَامِلِ وَفِي ذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ:

تُجَرِّعُهُمْ كَأْساً لَوِ ابْتُلِيَتْ لَظَى * بِتَجْرِيعِهِ طَارَتْ كَأَسْرَعِ ذَاهِبِ

وَقَالَ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا المَعْنَى حِينَ كُوشِفَ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ، قَالَ: يَا رَبِّ لَا طَاقَةَ لِي بِهَذَا، فَاحْجُبْنِي عَنْكَ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ سَأَلْتَهُ بِمَا سَأَلَهُ بِهِ مُوسَى كَلِيمُهُ وَعِيسَى رُوحُهُ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيُّهُ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنْهُ مَا حَجَبَكَ، وَلَكِنْ اسْأَلْهُ أَنْ يُقَوِّيكَ، فَسَأَلْتُهُ فَقَوَّانِي، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَوِ احْتَجَبَ عَنِّي طَرْفَةَ عَيْنٍ لَمُتُّ مِنَ البَيْنِ،

ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَالنَّاسُ فِي هَذَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الطَّائِفَةُ الأُولَى شَغَلَهُمْ اهْتِمَامُ السَّابِقَةِ، وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ شَغَلَهُمْ اهْتِمَامُ الخَاتِمَةِ، وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ شَغَلَهُمْ اهْتِمَامُ الوَقْتِ، يَنْظُرُ مَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَالطَّائِفَةُ الرَّابِعَةُ غَرِقُوا فِي بَحْرِ شُهُودِ الوُجُودِ المُطْلَقِ،

---

[1]- ك: إنما

فَلَا يَلُمُّ بِقُلُوبِهِمْ ذِكْرُ السَّابِقَةِ وَلَا ذِكْرُ الخَاتِمَةِ وَلَا ذِكْرُ الوَقْتِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ لِسِوَى مَا هُمْ فِيهِ وَفِي هَذَا يَقُولُ سَرِيُّ السَّقَطِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا لَمُوَقِّتُ الوَقْتِ ثُمَّ يُنْشِدُ:

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا * كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى
لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي * وَلِرَعْيِّ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلَّا
إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ عَنْ قِصَرِ اللَّيْـ * ـلِ وَعَنْ طُولِهِ لَفِي الحُبِّ شُغْلَا

وَصَاحِبُ هَذَا المَقَامِ هُوَ صَاحِبُ المُرَاقَبَةِ العُظْمَى، هُوَ ارْتِقَابُهُ لِلْحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَمَا يَبْرُزُ مِنْهَا مِنَ التَّجَلِّيَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَيُعْطِي كُلَّ تَجَلٍّ مِنْهَا مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الخِدْمَةِ وَالأَدَبِ، لَا يُفَرِّطُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَصَاحِبُ هَذَا الحَالِ لَا يَعْلَمُ الوَقْتَ وَلَا مُرُورَهُ وَالسَّلَامُ، وَصَاحِبُ هَذَا الحَالِ أَيْضاً هُوَ الغَرِيبُ، وَالغُرْبَةُ هِيَ شِدَّةُ التَّغَرُّبِ فِي طَلَبِ الحَقِّ، فَلَيْسَ مَعَهُ مُسَاكَنَةُ الأَكْوَانِ وَلَا مُلَاحَظَتُهَا بِشَيْءٍ جَوَاهِرَ وَأَعْرَاضاً، فَلَا تَخْطِرُ بِبَالِهِ، وَفِيهَا يُقَالُ: حَرَامٌ عَلَيْكَ الإِتِّصَالُ بِالمَحْبُوبِ. وَيَبْقَى لَكَ فِي العَالَمِينَ مَصْحُوبٌ، وَصَاحِبُ هَذِهِ الشِّدَّةِ تَغَرُّبُهُ لَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ عَنْهُ لَمَا عَلِمَتْ بِهِ وَلَا عَرَفَتْ أَيْنَ هُوَ، وَلَا عَرَفَتْ مَكَانَهُ وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ الأَكَابِرِ:

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَابِهِ * فَصِرْتُ أَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ مَا اِسْمِيَ مَا دَرَتْ * وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ بِمَا ذَكَرَ ذُو النُّونِ المِصْرِي عَنِ الشَّخْصِ الَّذِي لَقِيَهُ بِمَكَّةَ، قَالَ: رَأَيْتُ فَتًى يَبْكِي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ، فَقُلْتُ: مَا الَّذِي أَبْكَاكَ؟ فَقَالَ لِي: أَنَا الغَرِيبُ المَطْلُوبُ، فَمَا لَبِثَتْ أَنْ خَرَجَتْ رُوحُهُ، قَالَ: فَتَرَكْتُهُ هُنَاكَ فِي مَحَلٍّ، وَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فِي جِهَازِهِ وَكَفْنِهِ لِأُغَسِّلَهُ وَأَدْفِنَهُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَثَراً، وَلَا وَقَفْتُ لَهُ عَلَى خَبَرٍ، قَالَ: ثُمَّ تَأَسَّفْتُ وَقُلْتُ: يَا رَبِّ مَنْ سَبَقَنِي بِثَوَابِهِ، فَقِيلَ لِي: هَيْهَاتَ قَدْ طَلَبَهُ إِبْلِيسُ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَرَهُ، وَطَلَبَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَلَمْ

يَرَيَاهُ، وَطَلَبَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الجِنَانِ فَلَمْ يَرَهُ، فَقُلْتُ: فَأَيْنَ هُوَ؟ فَقِيلَ لِي: هُوَ **(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)**[1]. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمَنْ يَقْتُلْ مُومِناً مُتَعَمِّداً)**[2]. إلخ.. مَعَ قَوْلِهِ: **(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً آخَرَ)**[3]. إِلَى آخِرِ الآيَةِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الآيَةِ الأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ: وَمَنْ يَقْتُلْ مُومِناً إلخ.. ذَكَرَ فِيهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الوَعِيدَ فَقَطْ. وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً آخَرَ)**. إلخ.. الآيَةِ.

ذَكَرَ فِيهَا الوَعِيدَ وَالتَّوْبَةَ، وَالآيَتَانِ مُحْكَمَتَانِ لَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا إِلَّا لِقَلِيلِ الفَهْمِ، يَرَى المُعَارَضَةَ وَلَا مُعَارَضَةَ. وَتُحْمَلُ الأُولَى عَلَى هَذِهِ **(إِلَّا مَنْ تَابَ)**[4]. وَالوَعِيدُ فِي تِلْكَ الآيَةِ إِنْ لَمْ يَتُبْ، وَتَوْبَتُهُ تَسْلِيمُ نَفْسِهِ لِلْقَتْلِ، فَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، فَإِنْ قَتَلَهُ[5] أَرْبَابُ الدَّمِ ارْتَفَعَ عَنْهُ أَحَدُ الوَعِيدَيْنِ وَبَقِيَ أَحَدُهُمَا، فَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ارْتَفَعَ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَقْتُولِ بَقِيَ، وَهُنَاكَ أَمْرٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَرْبَابُ القُلُوبِ فَلَا يَظْهَرُ لِلْعَامَّةِ، وَهُوَ أَنَّ القَاتِلِينَ مُخْتَلِفُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسُوا عَلَى قَانُونٍ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ تَوْبَةٌ وَإِنْ تَابُوا، وَلَا يُرْتَفَعُ الوَعِيدُ عَنْهُمْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ،

فَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّابِتُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِقَوْلِهِ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ المُومِنِ تَوْبَةً، وَطَائِفَةٌ سَبَقَ فِي حُكْمِهِ فِي الأَزَلِ أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِنْ تَابُوا، بِسَابِقِ العِنَايَةِ فِيهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الجُرْمِ. وَعَلَى هَذَا تُحْمَلُ الآيَةُ **(إِلَّا مَنْ تَابَ)**.

---

[1]- سورة القمر، الآية 55

[2]- سورة النساء، الآية 93

[3]- سورة الفرقان، الآية 68

[4]- سورة الفرقان، الآية 70

[5]- ع ح ك م هـ ق ص: قتلوه

وَظَاهِرُ مَا فِي العِنَايَةِ بَاطِناً يَظْهَرُ إِمَّا بِكَوْنِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ فِي الغَيْبِ ثُمَّ يُدْرِكُ الوِلاَيَةَ، أَوْ يَكُونُ لَهُ تَعَلُّقٌ بِوَلِيٍّ عَظِيمِ القَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ، وَالتَّعَلُّقُ بِالوَلِيِّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَادِماً لَهُ أَوْ صَاحِباً أَوْ مُحِبّاً أَوْ آخِذاً وِرْداً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ التَّعَلُّقَاتِ، كَصِهْرِهِ أَوْ جَارِهِ، أَوْ نَفَعَهُ بِبَعْضِ المَنَافِعِ. وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الَّذِينَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُمْ تَوْبَةٌ وَإِنْ تَابُوا إِمَّا بِتَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى تَجَبُّراً أَوْ تَكَبُّراً فِي الأَرْضِ، وَإِمَّا لِإِذَايَتِهِ لِبَعْضِ الأَوْلِيَاءِ أَوْ لِلْمَسَاكِينِ، وَإِمَّا لِكَثْرَةِ ارْتِكَابِهِ لِلزِّنَى، أَوْ لِكَثْرَةِ إِذَايَتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِمَّا لِكَذِبِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً أَوْ مَنَاماً، وَإِمَّا لِدَعْوَتِهِ الكَذِبَ بِالوِلاَيَةِ، وَذِكْرُ هَذِهِ المَعَاصِي إِنْ تَابَ مِنْهَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، وَأَمَّا فِي القَتْلِ فَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ إِنْ كَانَ مُرْتَكِباً وَاحِداً[1] مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ المَذْكُورَةِ. وَالسَّلاَمُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا وَلَدُ الزِّنَى لاَ حَسَنَةَ لَهُ أَصْلاً، وَلاَ دُخُولَ لَهُ لِلجَنَّةِ أَصْلاً، وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَكَوَّنْ مِنْ نِكَاحٍ شَرْعِيٍّ إِلَّا إِنْ صَحِبَ أَحَداً مِنْ هَؤُلاَءِ العَارِفِينَ، وَهُمْ مَفَاتِيحُ الكُنُوزِ الأَرْبَعَةِ، وَالأَفْرَادُ الأَرْبَعَةُ، وَالقُطْبُ وَالخَلِيفَةُ وَالإِمَامَانِ، فَمَنْ صَحِبَ وَاحِداً مِنْهُمْ وَاحْتَمَى بِهِ طَهَّرَهُ اللَّهُ وَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ إِذَا خَدَمَ وَاحِداً مِنْ هَؤُلاَءِ المَذْكُورِينَ، أَوْ تَحَابَّ مَعَهُ أَوْ صَحِبَهُ أَوْ أَكَلَ مَعَهُ أَوْ صَلَّى خَلْفَهُ أَوْ تَصَرَّفَ لَهُ فِي حَاجَةٍ قَضَاهَا لَهُ. وَالسَّلاَمُ. انْتَهَى مَا أَمْلاَهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الآيَةِ[2]: **(قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ، قَالَ لَنْ تَرَانِي)**[3]. الآيَةُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى الآيَةِ أَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ طَلَبَ رُؤْيَةَ اللَّهِ، وَهُوَ التَّجَلِّي الَّذِي اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَلَبَهُ مِنَ اللَّهِ. **(قَالَ لَنْ تَرَانِي)**. أَرَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ لاَ يُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَرَاهُ[4] الآيَةَ فِي ذَلِكَ بِالجَبَلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً، ضَرَبَهُ لَهُ مَثَلاً، فَقَالَ لَهُ **(وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ)** حِينَ

---

[1]- ع: (واحدا) ساقطة

[2]- ح ل: (في الآية) ساقطة

[3]- سورة الأعراف، الآية 143

[4]- ك: (أراه) ساقطة

أَتَجَلَّى عَلَيْهِ **(فَسَوْفَ تَرَانِي)** أَنْتَ، **(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ)**[1] قِيلَ: أُخْرِقَ مِنَ الحِجَابِ لِلْجَبَلِ مِقْدَارُ عَيْنِ الإِبْرَةِ حَتَّى طَالَعَ الجَلَالَ الذَّاتِيَ القُدْسِيَ، فَتَهَدَّمَ الجَبَلُ مِنْ حِينِهِ وَصَارَ دَكّاً مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى ذَلِكَ صَعِقَ مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ. **(فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ)** يَعْنِي مِنْ هَذَا **(وَأَنَا أَوَّلُ المُومِنِينَ)**[2] بِأَنَّكَ لَا تُرَى.

وَقِيلَ: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامَ الحَقِّ تَعَالَى: قَالَ: لَمْ يَكُنْ لِمُوسَى شُعُورٌ بِمُوسَى، وَسَمِعَ كَلَامَ الحَقِّ بِعَشَرَةِ آلَاف لِسَانٍ، يَعْنِي سَمِعَ الكَلَامَ الأَزَلِيَّ، فَهِمَ مِنْهُ عَشَرَةَ آلَافِ لِسَانٍ، وَلَمْ يَسْمَعْ إِلَّا مَعْنًى وَاحِداً، لَكِنِ المَعْنَى الوَاحِدَ فَهَّمَهُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ المَعْنَى الوَاحِدِ فِي كُلِّ لُغَةٍ وَمَا تُسَمِّيهِ بِهِ. كَالنَّارِ مَثَلاً تُسَمَّى فِي[3] كُلِّ لُغَةٍ بِلُغَتِهَا، فَاخْتَلَفَتِ اللُّغَةُ فِي تَسْمِيَّةِ الشَّيْءِ الوَاحِدِ المُتَّحِدِ. وَسَمِعَ الكَلَامَ الأَزَلِيَّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَسَأَلُوهُ عَنْ هَيْبَةِ الكَلَامِ كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا قَدَّرْتَ نَفْسَكَ وَاقِفاً فِي مَحَلٍّ وَالصَّوَاعِقُ العَظِيمَةُ مُتَرَادِفَةٌ عَلَيْكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُ الهَلَاكُ. فَهَكَذَا يُسْمَعُ كَلَامُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَسَأَلُوهُ عَنِ اللَّذَّةِ فَقَالَ: أَشَدُّ اللَّذَّاتِ الوِقَاعُ، (وَهُوَ أَشَدُّ مِنْهَا وَأَعْظَمُ)[4]، وَيَزِيدُ عَلَيْهَا بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ. وَالسَّلَامُ. (إهـ مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[5].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ)**[6]. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: السَّبْعُ المَثَانِي هِيَ السَّبْعُ الصِّفَاتُ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ حَقِيقَةُ بَاطِنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ الرُّوحُ وَالآدَمِيَّةُ وَالعِلْمُ وَالنُّبُوءَةُ وَالرِّسَالَةُ وَالقَبْضُ وَالبَسْطُ، وَمَعْنَى قَدْ آتَيْنَاكَ شَيْئاً هُوَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَهُوَ القُرْآنُ العَظِيمُ. يَقُولُ الشَّيْخُ

---

[1]- سورة الأعراف، الآية 143

[2]- سورة الأعراف، الآية 143

[3]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: (في) ساقطة

[4]- ح ع ك ي ل م هـ ق ص: ما بين القوسين محذوف

[5]- ح ل: ما بين القوسين محذوف

[6]- سورة الحجر، الآية 87

الأَكْبَرُ: أنَا القُرْآنُ وَالسَّبْعُ المَثَانِي. إلخ.. وَهَذَانِ اسْمَانِ مُتَغَايِرَانِ كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ الطَّوِيلُ السَّمِينُ، اسْمَانِ لَهُ[1] مُتَغَايِرَانِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ، فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ هِيَ **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)**[2]، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ، لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قَبْلَهَا شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ، فَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا النُّبُوءَةُ فَقَطْ دُونَ الأَمْرِ بِالرِّسَالَةِ، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ فِي مَبْدَأِ الرِّسَالَةِ: **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)**[3]، فَخَصَّ عَشِيرَتَهُ بِالتَّبْلِيغِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَأَوَّلِيَّةُ هَذِهِ الآيَةِ مِنْ كَوْنِهَا أَوَّلَ آيَةٍ نَزَلَتْ بِالأَمْرِ بِالرِّسَالَةِ الخَاصَّةِ دُونَ العَامَّةِ، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ: **(يَا أَيُّهَا المُدَثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ)**[4]، الآيَةُ، فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ بِالرِّسَالَةِ العَامَّةِ.

وَأَمَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا طَرَأَ عَلَيْهِ حِجَابٌ وَلَا جَهْلٌ، بَلْ كَانَ عَارِفاً بِاللَّهِ بِالمَعْرِفَةِ[5] الكَشْفِيَّةِ العِيَانِيَةِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَكَذَا كُلُّ النَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى هَذَا المَهْيَعِ، مَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ حِجَابٌ قَطُّ، لَمْ يَزَالُوا فِي مَرْتَبَةِ الصِّدِّيقِيَةِ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَى الآبَادِ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّاتِ، انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[6].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(قَالَ اهْبِطُوا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)**[7]. الآيَةَ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: العَدَاوَةُ بَيْنَ الأَرْبَعَةِ: آدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ وَالحَيَّةِ، فَأَمَّا العَدَاوَةُ أَصْلُهَا اخْتِلَافُ الأَغْرَاضِ، وَاخْتِلَافُ الأَغْرَاضِ سَارٍ فِي جَمِيعِ سُكَّانِ أَهْلِ الأَرْضِ عَاقِلِهَا

---

[1]- ك ي: (له) ساقطة

[2]- سورة العلق، الآية 1

[3]- سورة الشعراء، الآية 214

[4]- سورة المدثر، الآية 1-2

[5]- ك ي: المعرفة

[6]- ح ل: ما بين القوسين محذوف: أي الفقرتين من "وسئل رضي الله عنه عن أول ما نزل من القرآن .. إلى: انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه"

[7]- سورة الأعراف، الآية 24

وَغَيْرِ عَاقِلِهَا، فَالعَدَاوَةُ بَيْنَ إِبْلِيسَ وَغَيْرِهِ مِنَ الحَيَّةِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَهَا مِنَ الجَنَّةِ لَمَّا طُرِدَ هُوَ مِنَ الجَنَّةِ بِسَبَبِ آدَمَ، وَأَمَّا بَيْنَ آدَمَ وَحَوَّاءَ فَسَبَبُهُ هُوَ[1] مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي القُرْآنِ مِنْ أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَالعَدَاوَةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ فَهُوَ اخْتِلَافُ الأَغْرَاضِ. فَالمَوَدَّةُ بَيْنَهُمَا أَصْلِيَّةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**)[2]. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَيِّدِنَا الخضرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلْ هُوَ نَبِيٌّ أَمْ لَا؟ وَهَلْ يَجُوزُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ زِيَادَةُ غَيْرِ النَّبِيِّ عَلَى النَّبِيِّ فِي العِلْمِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: **اعْلَمْ** أَنَّ الخضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِيٌّ فَقَطْ، وَلَيْسَ بِنَبِيٍّ عِنْدَ الجُمْهُورِ. قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخِلَافُ فِيهِ يَعْنِي فِي نُبُوءَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ لَا عِنْدَنَا، فَإِنَّهُ عِنْدَنَا مَقْطُوعٌ بِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لَا مِنَ النَّبِيئِينَ، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنَ الأَكَابِرِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ الجُمْهُورِ يَقُولُ بِنُبُوءَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ زَرُّوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ حَكَى قَوْلَ بَعْضِ العُلَمَاءِ، قَالَ ذَلِكَ العَالِمُ: إِنَّ الخضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ أُرْسِلَ إِلَى طَائِفَةٍ فِي البَحْرِ، فَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِرِسَالَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ. قَالَ الشَّيْخُ زَرُّوق مُجِيباً عَنْ هَذَا القَوْلِ: سَلَّمْنَا صِحَّةَ مَا يَدَّعِيهِ وَلَا نُسَلِّمُ القَوْلَ بِكُفْرِ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْهُ، لِأَنَّ تِلْكَ زِيَادَةُ عَقِيدَةٍ فِي الإِيمَانِ، وَإِلْزَامُ لَهَا، وَهِيَ لَمْ تَجْتَمِعِ الأُمَّةُ عَلَيْهَا. وَدَلِيلُ عَدَمِ نُبُوءَتِهِ قَوْلُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُ حَيْثُ قَالَ لَهُ فِي خَرْقِ السَّفِينَةِ: (**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**)[3]. وَفِي قَتْلِ الغُلَامِ: (**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكُراً**)[4].

إِذْ لَوْ كَانَ نَبِيئاً مَا جَهِلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّهُ تَامُّ العِلْمِ، فَكَيْفَ يَجْهَلُ قَدْرَ نَبِيءٍ حَاضِرٍ مَعَهُ يَظُنُّهُ لَيْسَ بِنَبِيءٍ، هَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِوُجُوبِ الإِيمَانِ بِهِ عَلَيْنَا لَوْ كَانَ نَبِيئاً، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلاً بِمَرْتَبَةٍ فِي الإِيمَانِ وَاجِبَةٍ مَعَ كَوْنِهِ يَعْلَمُ أَنْ لَوْ كَانَ نَبِيئاً لَعَلِمَ أَنَّ النُّبُوءَةَ مَعْصُومَةٌ، يَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا مُتَابَعَةُ الهَوَى وَالسَّيْرُ فِي الأُمُورِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ عَلَى النُّبُوءَةِ.

---

[1]- ح ك ي ل هـ ق: (هو) ساقطة

[2]- سورة الأعراف، الآية 24

[3]- سورة الكهف، الآية 71

[4]- سورة الكهف، الآية 74

فَلَوْ عَلِمَ مُوسَى أَنَّهُ نَبِيءٌ مَا تَجرَّأَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً وَ[1]شَيْئاً نُكُراً. لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ عَلَى النُّبُوءَةِ لَا يَتَأَتَّى وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهَا لِثُبُوتِ العِصْمَةِ. فَهَذَا أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيءٍ، وَقَدْ رَوَى إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ أَحَدَ الأَبْدَالِ فِي قِصَّةِ تَلَقِّيهِ المُسَبَّعَاتِ العَشْرِ مِنَ الخَضِرِ إِلَى أَنْ أَخْبَرَهُ بِأَمْرِهَا، قَالَ لَهُ سَمِعْتُهَا مِنْ جِبْرِيلَ حِينَ لَقَّنَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى لِتَالِيهَا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً فِي الجَنَّةِ، فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ، وَرُؤْيَاهُ حَقٌّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ العَارِفِينَ، لَا يَدْخُلُ رُؤْيَاهُ بَاطِلٌ وَلَا فَسَادٌ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا ذَكَرَ لِي الخَضِرُ عَنْهُ. فَقَالَ: صَدَقَ الخَضِرُ. إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ فِي آخِرِ الحَدِيثِ: هُوَ سَيِّدُ الأَوْلِيَاءِ، فَهَذَا أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى عَدَمِ نُبُوءَتِهِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ الثَّانِي: هَلْ يَتَأَتَّى زِيَادَةُ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ فِي العِلْمِ أَمْ لَا؟ الجَوَابُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ زِيَادَةَ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ فِي العِلْمِ جَائِزٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَا إِحَالَةَ فِيهِ وَلَا يُزْرِي ذَلِكَ بِمَرْتَبَةِ النَّبِيءِ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقاً، إِمَّا فِي العِلْمِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَتَجَلِّيَاتِهِ وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ المِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَالفُيُوضِ، فَلَا مَطْمَعَ لِغَيْرِ النَّبِيِّ أَنْ يَزِيدَ عَلَى النَّبِيِّ فِي هَذَا المَيْدَانِ، فَإِنَّ النُّبُوءَةَ أَكْبَرُ عِلْماً، وَأَوْسَعُ دَائِرَةً، وَأَعْظَمُ إِدْرَاكاً فِيمَا ذَكَرْنَا، إِذْ لَوْ كَانَ غَيْرُ النَّبِيءِ فِي هَذَا المَيْدَانِ يَلْحَقُ دَرَجَةَ النَّبِيِّ أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ لَسَاوَاهُ فِي الفَضْلِ أَوْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ. وَأَمَّا فِيمَا دُونَ تِلْكَ المَرْتَبَةِ مِنَ العِلْمِ بِمَرَاتِبِ الكَوْنِ وَمَا يَقَعُ فِيهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً وَتَقَلُّبَاتِ أَطْوَارِهِ وَانْكِشَافِ مَا سَيَقَعُ فِيهِ فِي المُسْتَقْبَلِ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَهُوَ كَشْفُ الغُيُوبِ الكَوْنِيَّةِ، فَإِنَّ غَيْرَ النَّبِيِّ قَدْ يَزِيدُ عَلَى النَّبِيِّ فِي هَذَا المَيْدَانِ، وَهِيَ قَضِيَّةُ الخَضِرِ بِعَيْنِهَا.

وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ أَنَّ بَصَائِرَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ أَبَداً تَنْظُرُ إِلَى جَنَابِ الحَقِّ، شَدِيدَةَ العُكُوفِ وَالدُّؤُوبِ عَلَيْهِ، فَقُلُوبُهُمْ أَبَداً تَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ لَا الْتِفَاتَ لَهَا إِلَى الأَكْوَانِ، وَكَانَ شِدَّةُ نَظَرِهَا إِلَى اللَّهِ أَبَداً، مُشْتَغِلَةً بِتَجَلِّيَاتِهِ، لَا تَتَلَمَّحُ بِطَرْفِهَا لِغَيْرِهِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا هِمَّةَ لَهُ وَلَا عِنَايَةَ لَهُ إِلَّا بِمَا يَبْرُزُ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ وَالمِنَحِ

---

[1]- ح: أو

وَالمَوَاهِبِ وَالوَارِدَاتِ لِتُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا حَقَّهَا مِنَ الآدَابِ وَوَظَائِفِ الخِدْمَةِ، لَا تَفْتُرُ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً.

فَلِأَجْلِ هَذَا الإِسْتِغْرَاقِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الأَكْوَانِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الإِشْتِغَالُ بِمُحَادَثَةِ الحَقِّ لَهُمْ فِي حَضْرَةِ قُدْسِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ ذَاقَ ذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً، فَلِأَجْلِ هَذَا لَا يَعْلَمُونَ مَا وَقَعَ فِي الكَوْنِ وَلَا مَا تَقَلَّبَ فِيهِ لِاشْتِغَالِهِمْ عَنْهُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَغَيْرُ الأَنْبِيَاءِ لَا طَاقَةَ لَهُمْ عَلَى الدَّوَامِ عَلَى هَذَا الحَالِ، إِنَّمَا هُمْ فِيهِ أَحْوَالٌ تَارَةً وَتَارَةً، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ يَكْثُرُ كَشْفُهُمْ لِلكَوْنِ وَأُمُورِهِ، إِذْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الإِسْتِغْرَاقِ عَلَى مَا فِيهِ الأَنْبِيَاءُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، عَرَفْتَ وَجْهَ[1] اخْتِصَاصِ الخَضِرِ بِكَشْفِ الغُيُوبِ دُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّهَا غُيُوبٌ كَوْنِيَّةٌ، فَلَا يَنْتَفِي زِيَادَةُ الخَضِرِ فِيهَا عَلَى مُوسَى، لِأَنَّ مُوسَى شَغَلَهُ عَنْهَا مَا ذَكَرْنَا، وَالخَضِرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ عَلَى اسْتِغْرَاقِ مُوسَى فِي حَضْرَةِ القُدُسِ، وَمَعَ هَذَا فَلَا حَجْرَ عَلَى اللَّهِ فِي مُلْكِهِ، وَلَا فِي حُكْمِهِ، أَنْ يَزِيدَ غَيْرُ النَّبِيءِ فِي العِلْمِ عَلَى دَرَجَةِ النَّبِيءِ، فَإِنَّهُ لَا تَحْجِيرَ[2] عَلَيْهِ فِي هَذَا، يَهَبُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَهُ الإِخْتِيَارُ التَّامُّ وَالمَشِيئَةُ النَّافِذَةُ، لَا تَأْخُذُهُ القُيُودُ وَلَا الضَّوَابِطُ، وَلَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِ مُحِيطٌ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[3]. وَهَذَا مِنْهُ. فَلَيْسَ مَا تَرَتَّبَ فِي قُلُوبِ العُلَمَاءِ مِنْ اسْتِحَالَةِ زِيَادَةِ غَيْرِ النَّبِيِّ عَلَى النَّبِيِّ فِي العِلْمِ يَلْزَمُ أَنْ يُحْكَمَ بِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ هُوَ مِنْ بَابِ التَّحْجِيرِ عَلَيْهِ وَالإِحَاطَةِ بِعِلْمِهِ، وَلَيْسَ لِلْعُلَمَاءِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا، إِنَّمَا هِيَ قَاعِدَةٌ مُحْكَمَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ، لَمْ يَقُمْ[4] عَلَيْهَا دَلِيلٌ لَا مِنَ الكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آتَانِيَ اللَّهُ عِلْماً لَمْ يَعْلَمْ بِهِ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ. وَيُرِيدُ بِهِمُ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَاكِياً عَنِ الخَضِرِ فِي قَوْلِهِ: **(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ**

---

[1]- ح ل: (وجه) محذوفة

[2]- ح ل: يتحجر

[3]- سورة النحل، الآية 8

[4]- ح: لم يقع

أَمْرِي)[1]. فَالجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ بِذَلِكَ فِي سِرِّهِ بِعِلْمٍ قَطْعِيٍّ يَعْلَمُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، كَمَا قَالَ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)**[2].

وَهَذَا أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيءٍ، إِذْ لَوْ كَانَ نَبِيئاً مَا قَالَ فِيهِ هَذَا الوَصْفَ، وَلَكَانَ يَكْفِي فِيهِ أَنْ يَقُولَ: وَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا. يَقُولُ مَكَانَهَا وَجَدَا بَعْضَ أَنْبِيَائِنَا، لِأَنَّ مَرْتَبَةَ النُّبُوءَةِ هِيَ كَافِيَةٌ فِي أَخْذِ العِلْمِ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ. فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ نَبِيئاً قَالَ لَهُ: **(عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)**. فَلِذَا قَالَ: **(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)**[3]. أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ بِذَلِكَ فِي بَاطِنِ سِرِّهِ مِنْ وَجْهٍ قَطْعِيٍّ عِنْدَهُ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي حَقِّ النَّحْلِ وَهِيَ بَكْمَاءُ، وَصُورَتُهَا كَأَنَّهَا لَا تَعْقِلُ. قَالَ: **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً)**[4]. الآيَةُ. أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ النَّحْلَ آتَاهَا عِلْماً مِنْ لَدُنْهِ، فَمَا شَكَّتْ أَنَّ الأَمْرَ مِنْ عِنْدِهِ فِيمَا تَفْعَلُهُ، كَذَلِكَ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا تَجَرُّؤُهُ عَلَى قَتْلِ الغُلَامِ بِلَا قَتْلِ نَفْسٍ وَلَا ظُهُورِ كُفْرٍ مُحَرَّمٍ بِإِجْمَاعِ الشَّرَائِعِ مِنْ جَمِيعِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، لِتَطَابُقِ جَمِيعِ النُّبُوءَاتِ عَلَى هَذَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِهَا، فَكَوْنُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُبِيحُهُ لِلخَضِرِ بِلَا نُبُوءَةٍ مُحَالٌ، لِأَنَّ الحُكْمَ المُقَرَّرَ فِي الشَّرَائِعِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَنْحَلُّ عَقْدُهُ إِلَّا بِنُبُوءَةٍ، وَأَمَّا الوِلَايَةُ فَلَيْسَ فِي قُوَّتِهَا هَذَا، وَهُوَ أَنْ يُحْدِثَ اللَّهُ فِيهَا حُكْماً قَرَّرَهُ فِي الشَّرَائِعِ وَالنُّبُوءَةِ بِدُونِ نُبُوءَةٍ، فَلَا يَتَأَتَّى هَذَا، لَكِنْ ذَكَرْنَا الدَّلِيلَ عَلَى عَدَمِ نُبُوءَتِهِ، وَذَكَرْنَا وَجْهَ اسْتِحَالَةِ رَفْعِ الحُكْمِ المُقَرَّرِ فِي الشَّرَائِعِ وَالنُّبُوءَةِ فِي رُتْبَةِ الوِلَايَةِ بِدُونِ نُبُوءَةٍ،

فَلَزِمَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ تَلَقَّى ذَلِكَ الحُكْمَ مِنْ نَبِيٍّ لَمْ يَعْلَمْهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَمَّا قَوْلُنَا يَسْتَحِيلُ عَلَى مُوسَى أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً حَاضِراً مَعَهُ فِي مَكَانِهِ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيءٌ، مُسْتَحِيلٌ هَذَا

---

[1]- سورة الكهف، الآية 82

[2]- سورة الكهف، الآية 65

[3]- سورة الكهف، الآية 82

[4]- سورة النحل، الآية 68

فِي حَقِّهِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ نَبِيئاً آخَرَ غَائِباً عَنْهُ وَهُوَ فِي زَمَانِهِ فَلَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَا يَعْلَمُهُ، فَلَا يُحِيطُ مُحِيطٌ بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[1]: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ[2]﴾**. إِلَى قَوْلِهِ. **﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾**[3]. مَعَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾**[4]. الآيَةُ. مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأُخْرَى: **﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾**[5]. الآيَةُ. فَهُوَ اجْتِمَاعُ المَدْحِ وَالذَّمِّ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَالإِزْرَاءِ بِالشَّيْءِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ وَاحِدٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مُحِيطٍ بِعِلْمِ كُلِّ شَيْءٍ، خَبِيرٍ بِبَاطِنِ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٍ، فَهُوَ[6] إِشْكَالٌ عَظِيمٌ.

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اِعْلَمْ أَنَّ الأَمْرَيْنِ وَقَعَا فِي مَقَامَيْنِ، لِكُلِّ مَقَامٍ نِسْبَةٌ تَخُصُّهُ، وَحُدُودٌ تَحُدُّهُ، فَمَقَامُ المَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ ذَكَرَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا صَبَّ مِنْ نِعَمِهِ العَظِيمَةِ وَأَسْدَى مِنْ خَيْرَاتِهِ الجَسِيمَةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ اسْمِهِ الرَّحْمَانِ، وَذِي[7] الفَضْلِ العَظِيمِ. العَظِيمِ. فَكَانَ إِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ الحَدِّ تَعْرِيفٌ لِعِبَادِهِ بِمَقَادِيرِ نِعَمِهِ، وَمَا مَتَّعَ بِهِ خَلْقَهُ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ،

فَهُوَ مُعَرَّفٌ فِيهَا بِوَجْهِ مِنَّتِهِ كَمَا قَالَ: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾**[8]. بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مِنَّتَهُ الَّتِي مَنَّ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ بِحُكْمِ المِنَّةِ وَوُفُورِ النِّعْمَةِ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: **﴿اللَّهُ الَّذِي**

---

[1]- ح ل: عن معنى قوله تعالى

[2]- ع: (وتكاثر) ساقطة ـ ل: وتكاثر في الأموال والأولاد

[3]- سورة الحديد، الآية 20

[4]- سورة الدخان، الآية 25-27

[5]- سورة الشعراء، الآية 57-58

[6]- ك: فهذا

[7]- ح ع ك ي م هـ ق ص: وذا

[8]- سورة إبراهيم، الآية 34

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)[1]. فَهُوَ تَعْرِيفٌ لِعِبَادِهِ بِنِعَمِهِ، إِلْزَاماً لَهُمْ بِحَقِّ الشُّكْرِ، وَلِيَعْلَمُوا مِنْ ذَلِكَ سَعَةَ فَضْلِهِ وَجُودِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَهُوَ تَعْرِيفٌ[2] بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَهُوَ مِنْ آكَدِ الأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ. فَهَذَا المَقَامُ هُوَ وَجْهُ الذِّكْرِ فِي هَذِهِ الآيَاتِ.

وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى، حَيْثُ ذَمَّ الدُّنْيَا وَسَمَّاهَا: مَتَاعَ الغُرُورِ. وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)**[3]. نَقَلَهُمْ عَنِ الإِشْتِغَالِ عَمَّا فِي المَقَامِ الأَوَّلِ صُورَةً، يَعْنِي صُورَةَ مَا أَبْرَزَهُ مِنَ النِّعَمِ، إِذْ كَانَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِهَا الإِشْتِغَالُ بِهَا عَنْهُ، وَاشْتِغَالُ القَلْبِ بِهِ عَنِ الإِنْصِرَافِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَنَقَلَهُمْ عَنْ هَذَا المُقْتَضَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَشْتَغِلُوا بِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَمَا قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: **(وَاللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى)**[4].

فَالمَقَامُ الأَوَّلُ دَلَّ فِيهِ عَلَى التَّعْرِيفِ بِنِعَمِهِ وَتَرَادُفِ مِنَنِهِ لِيَشْتَغِلَ القَلْبُ بِشُكْرِ المُنْعِمِ عَنْ نِعْمَتِهِ، وَفِي المَقَامِ الثَّانِي دَلَّ عَلَى[5] الإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَرْكِ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَإِنْ عَظُمَ مَوْقِعُهُ فِي القَلْبِ، حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: **(وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ)**[6]. فَلَا إِشْكَالَ بَيْنَ المَقَامَيْنِ، إِذْ كُلُّ مَقَامٍ لَهُ مَرْتَبَةٌ تَخُصُّهُ. وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[7] فِي حِكَايَةِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: **(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِّي المَوْتَى. قَالَ أَوَ لَمْ تُومِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ**

---

[1]- سورة إبراهيم، الآية 32-34

[2]- ك ص: فهو تعريف لهم

[3]- سورة النساء، الآية 77

[4]- سورة طه، الآية 73

[5]- ع: عن

[6]- سورة آل عمران، الآية 185

[7]- ح ل: عن معنى قوله تعالى

قَلْبِي)[1]. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ مَا فِي هَذِهِ الآيَةِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا خَفِيَ عَلَيْهِ حَالُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كَوْنِهِ مُومِناً بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، وَلَا كَانَ الشَّكُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، وَلَكِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرَادَ الإِنْتِقَالَ مِنْ عِلْمِ اليَقِينِ إِلَى عَيْنِ اليَقِينِ، وَالأَمْرُ الوَاجِبُ فِي هَذَا أَنَّهُ مَا تَجَرَّأَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَكَانِ خُصُوصِيَتِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ الرُّسُلِ، وَإِلَّا فَمَا كَانَ يَتَأَتَّى لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّهُ مِنْ كَشْفِ سِرِّ القَدَرِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَإِنَّ التَّجَلِّيَّاتِ الإِلَهِيَةَ البَارِزَةَ لِلوُجُودِ لَيْسَ لِخَلْقِهِ مِنْهَا إِلَّا الشُّهُودُ صُورَةً وَعَيْناً.

وَأَمَّا مَا فِي بَاطِنِهَا[2] مِنْ بَوَارِقِ[3] الأَسْرَارِ الَّتِي لَا مَطْمَعَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهَا الأَفْكَارُ، فَإِنَّ تِلْكَ الأَسْرَارَ انْفَرَدَ الحَقُّ بِعِلْمِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَنْ طَلَبَهَا مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ تِلْكَ الأَسْرَارَ طَرَدَهُ، إِمَّا عَنْ قُرْبِهِ وَهُوَ الحِجَابُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَإِمَّا عَنْ تَوَقُّعِ السُّؤَالِ وَتَرْكِ الجَوَابِ عَنْهُ إِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الخُصُوصِيَةِ، وَإِمَّا بِتَأْدِيبٍ شَدِيدٍ بِنُزُولِ عُقُوبَةٍ بِهِ[4]، لِأَنَّ أَسْرَارَ القَدَرِ الَّتِي هِيَ بَوَاطِنُ التَّجَلِّيَّاتِ الإِلَهِيَةِ اسْتَأْثَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِلْمِهَا، لَمْ يَكْشِفْهَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ،

وَلِذَا أَدَّبَ صَاحِبَ الخُصُوصِيَةِ الكُبْرَى، وَإِنْ عَظُمَ مَقَامُهُ، وَهُوَ سَيِّدُنَا نُوحٌ[5] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَدَّبَهُ بِقَوْلِهِ: **(فَلَا تَسْئَلْنِّي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)**[6]. الآيَةُ. وَصَفَحَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ لِمَكَانِ خُصُوصِيَتِهِ، وَأَرَاهُ سِرَّ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ الَّذِي طَلَبَهُ إِبْرَاهِيمُ وَأَسْعَفَهُ بِسُؤَالِهِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَوَلَمْ تُومِنْ؟ فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِي يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِإِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّهُ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 260

[2]- ك ي هـ ق: بواطنها

[3]- ي هـ ق: فوارق

[4]- ع: (به) ساقطة

[5]- ع: هود

[6]- سورة هود، الآية 46

اسْتَفْهَمَهُ اسْتِفْهَاماً إِنْكَارِيّاً[1] مَصْدَرُهُ[2] العِتَابُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ مُؤْمِنٌ بِأَنِّي قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، فَمَا وَجْهُ سُؤَالِكَ؟ إِنْ كَانَ لِإِحْيَاءِ المَوْتَى فَإِنَّكَ مُومِنٌ بِأَنِّي قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ سُؤَالُكَ لِكَشْفِ سِرِّي فَإِنِّي لَا أُكْشِفُهُ لِغَيْرِي.

وَقَوْلُهُ (**وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**)[3] مَعْنَى الإِطْمِئْنَانِ هُوَ سُكُونُ الرَّوْعِ وَتَمَكُّنُ السَّكِينَةِ مِنَ الرَّوْعِ مِنْ وُجُودِ الإِضْطِرَابِ وَالشَّكِّ وَالوَهْمِ وَالوَجَلِ وَالفَرَقِ. فَهَذَا هُوَ الإِطْمِئْنَانُ، وَاطْمِئْنَانُ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّهُ إِذَا حَدَّثَهُ مُحَدِّثُ السِّرِّ، فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُحَدِّثاً فِي سِرِّهِ يُخْبِرُهُ أَوْ يَسْأَلُهُ أَوْ يُوجِبُ لَهُ شَكّاً أَوْ ظَنّاً أَوْ وَهْماً، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالوَسْوَاسِ. لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**)[4]. فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَرَادَ إِذَا حَدَّثَهُ مُحَدِّثُ السِّرِّ عَنْ مُوجِبِ إِيمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى. يَقُولُ لَهُ مَثَلاً: هَلْ رَأَيْتَهُ؟ وَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَمِنْ أَيْنَ يَقَعُ لَكَ بِهِ القَطْعُ بِأَنَّهُ وَاقِعٌ. فَأَرَادَ طُمَأْنِينَةَ قَلْبِهِ لِيُجِيبَ سَائِلَ السِّرِّ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ حَقِيقَةً وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى[5] قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[6]: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُّوحَى)[7]. الآيَةُ[8] (وَعَنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ وَكَيْفِيَّاتِهِ؟

[1]- ك: استفهامَ إنكارٍ

[2]- ع: استفهام إنكاري مصدرة ـ ي م: استفهام إنكاري مصدره.

[3]- سورة البقرة، الآية 260

[4]- سورة ق، الآية 16

[5]- ح: (وسئل رضي الله عنه عن معنى) ساقطة

[6]- ح: قوله تعالى

[7]- سورة النجم، الآيات 1-4

[8]- ع ك هـ ق ص ي: (الآية) ساقطة

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ)[1] أَنَّ اللَّهَ[2] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[3] بَرَّأَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ تَعَلُّقَاتِ الهَوَى وَأَسْبَابِهِ[4]، وَمَعْنَى الهَوَى[5] المَذْمُومِ هُوَ مَا تَرْتَكِبُهُ النَّفْسُ لِشَهْوَتِهَا وَتَكْمِيلِ أَغْرَاضِهَا لَا زَائِدَ. وَقَدْ بَرَّأَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا، بَلْ نَفْسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلُصَتْ إِلَى مَوَاطِنِ القُرْبِ وَتَمَكَّنَتْ مِنْ صَفَاءِ مُشَاهَدَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ بِحَيْثُ أَنْ لَا تَغِيبَ عَنْهَا[6] طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا يَشْغَلَهَا[7] عَنْهَا شَاغِلٌ حَتَّى طَرْفَةَ عَيْنٍ.

وَالخُلُوصُ إِلَى مَوَاطِنِ القُرْبِ هُوَ وُصُولُ العَبْدِ إِلَى رُتْبَةِ حَقِّ اليَقِينِ، فَمَا يَتَخَلَّصُ العَبْدُ مِنْ جَمِيعِ المَشَاغِلِ وَمُلَابَسَةِ النَّقْصِ إِلَّا بِالغَرَقِ فِي بَحْرِ حَقِّ اليَقِينِ، فَإِنَّ رُتْبَةَ[8] عَيْنِ اليَقِينِ، وَإِنْ وَإِنْ كَانَتْ تُخَلِّصُ النَّفْسَ مِنْ جَمِيعِ البَقَايَا المُنَاقِضَةِ لِأَمْرِ الرُّبُوبِيَةِ لِكَوْنِهَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الرُّبُوبِيَّةُ مَحْضاً، فَصَاحِبُهَا نَاقِصُ النَّظَرِ مِنْ كَوْنِهِ لَا يُعْطِي المَرَاتِبَ حَقَّهَا وَلَا يَسْتَوْفِي العِلْمَ بِخَوَاصِّ المَرَاتِبِ[9] الحَقِّيَّةِ[10] وَالخَلْقِيَّةِ، فَلِذَا كَانَ نَاقِصاً.

وَصَاحِبُ مَرْتَبَةِ حَقِّ اليَقِينِ قَدِ اسْتَكْمَلَ الخَلَاصَ مِنْ جَمِيعِ غَبَشِ طِبَاعِ البَشَرِيَّةِ لِأَنَّهَا اسْتُهْلِكَتْ مِنْهُ فِي مَرْتَبَةِ عَيْنِ اليَقِينِ، فَلَمَّا وَصَلَ مَرْتَبَةَ حَقِّ اليَقِينِ أَشْهَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى المَرَاتِبَ الحَقِّيَّةَ وَالخَلْقِيَّةَ، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَوَفَّى بِالوَظَائِفِ وَالآدَابِ، فَمَا يَحِيفُ وَلَا يَمِيلُ وَلَوْ لَحْظَةً إِلَى مُتَابَعَةِ الهَوَى.

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ح: معنى الآية أن الله

[3]- ح: (سبحانه وتعالى) ساقطة

[4]- ح: (وأسبابه) ساقطة

[5]- ح: والهوى

[6]- ح: عليها

[7]- ح: ولا شغلها

[8]- ح: رتبته

[9]- ك: ولا يستوفي العلم بمراتب

[10]- ع: الحقيقة

ثُمَّ مَرَاتِبُ اليَقِينِ، أَوَّلُهَا عِلْمُ اليَقِينِ وَهُوَ فِي آخِرِ مَرَاتِبِ السُّلُوكِ لِلْعَبْدِ ثُمَّ بَعْدَهُ رُتْبَةُ عَيْنِ اليَقِينِ وَهُوَ اسْتِهْلَاكُ العَبْدِ بِالكُلِّيَةِ وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلَّا حَقٌّ بِحَقٍّ فِي حَقٍّ عَنْ حَقٍّ. فَلَا عِلْمَ وَلَا رَسْمَ وَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا مَقَامُ الصَّحْوِ وَالبَقَاءِ وَهُوَ مَقَامُ رُتْبَةِ حَقِّ اليَقِينِ، وَمِثَالُ هَذِهِ المَرَاتِبِ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ النَّارِ، العِلْمُ بِهَا عَنْ بُعْدٍ مِنْ كَوْنِهَا مُحْرِقَةً طَابِخَةً مُسَخِّنَةً، هَذَا[1] مِثَالُ عِلْمِ اليَقِينِ، وَالمُرَادُ بِعِلْمِ اليَقِينِ هُوَ تَبَدِّي الحَقَائِقِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ، وَأَمَّا عَيْنُ عَيْنُ اليَقِينِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ وَصَلَ إِلَى النَّارِ وَكُوِيَ بِهَا وَذَاقَ حَرَارَتَهَا، فَهُوَ مِثَالُ عَيْنِ اليَقِينِ، وَعَيْنُ اليَقِينِ هُوَ انْكِشَافُ الحَقَائِقِ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ وَلَا خُصُوصِيَةٍ فَهُوَ عَيْنُ اليَقِينِ.

وَمِثَالُ حَقِّ اليَقِينِ مِثَالُ مَنْ أُلْقِيَ فِي النَّارِ بِرُمَّتِهِ وَكَانَتْ فِي غَايَةِ القُوَّةِ وَالكَثْرَةِ وَالالْتِهَابِ، فَصَارَ يُحْرَقُ فِيهَا، فَفِي زَمَنِ حَرْقِهِ لَا عِلْمَ لَهُ بِغَيْرِهَا، وَلَا يَلُمُّ فِي قَلْبِهِ غَيْرُهَا، كَذَلِكَ صَاحِبُ رُتْبَةِ حَقِّ اليَقِينِ لَيْسَ فِي نَظَرِهِ إِلَّا الحَضْرَةُ الإِلَهِيَةُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى مُتَفَرِّقَاتِ[2] الكَوْنِ فَمَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ فِي نَظَرِهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَدْ مُحِقَ مِنْهُ السِّوَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ مَا عِنْدَهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ فِي الأَزَلِ فِي حِجَابِ الكَنْزِيَّةِ العُظْمَى لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ حَيْثُ سَأَلَهُ السَّائِلُ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ؟ قَالَ: (كَانَ فِي عَمًى، مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ). الحَدِيثُ.

وَخَوْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي هَذَا الحَدِيثِ بِتَخَيُّلَاتٍ تَوَهَّمُوهَا لَا تُعْطِي[3] مِنَ التَّحْقِيقِ شَيْئاً لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا لَفْظَ العَمَى مِنَ السَّحَابِ لُغَةً، فَإِنَّ العَرَبَ تُسَمِّي السَّحَابَ عَمًى لِكَوْنِهَا تُعْمِي[4] الشَّمْسَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا فَجَعَلُوا تَأْوِيلَ الحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ مُتَجَلِّياً فِي سَحَابَةٍ[5] وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا أَنَّ السَّحَابَ مِنْ جُمْلَةِ الخَلْقِ الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ السَّائِلُ،

---

[1]- ح: ثم

[2]- ك ي: مفترقات

[3]- ح: لا يعطي

[4]- ح: يعمي

[5]- ح ك م هـ ق ص: سحاب

وَإِنَّمَا العَمَى فِي هَذَا الحَدِيثِ هُوَ احْتِجَابُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَضْرَةِ ذَاتِهِ لِمَا[1] هِيَ مُتَّصِفَةٌ بِهِ مِنَ العُلُوِّ الذَّاتِي وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ الذَّاتِيَيْنِ، وَالعِزِّ الذَّاتِي فَلَا وُجُودَ لِشَيْءٍ مَعَهُ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ) وَهَذِهِ الحَضْرَةُ الذَّاتِيَةُ هِيَ حَضْرَةُ الطَّمْسِ وَالعَمَى، لَا ظُهُورَ فِيهَا لِاسْمٍ وَلَا صِفَةٍ إِلَّا الذَّاتُ بِالذَّاتِ فِي الذَّاتِ[2] عَنِ الذَّاتِ، لَا شَيْءَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَإِلَيْهَا يُشِيرُ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الوَارِدِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: (كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف. فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي). فَالخَلْقُ المَخْلُوقُونَ[3] هُمْ ظَوَاهِرُ الأَكْوَانِ وَصُوَرُهَا وَمَا تَعَرَّفَ[4] إِلَيْهِمْ إِلَّا بِظَاهِرِ الأُلُوهِيَةِ، وَالذَّاتُ فِي حَضْرَةِ الطَّمْسِ وَالعَمَى لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي مَعْرِفَتِهَا لَا يَعْلَمُ ذَاتَهُ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا غَيْرُ، وَالتَّعْرِيفُ لِلْمَخْلُوقَاتِ بِمَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ وَهِيَ عُكُوفُ الوُجُودِ عَلَى عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالخُضُوعِ تَحْتَ كِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَالتَّذَلُّلِ لِكَمَالِ عِزِّهِ وَالخُمُولِ تَحْتَ قَهْرِهِ بِتَسْلِيمِ القِيَادِ إِلَيْهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا مُنَازِعَ لَهُ فِي حُكْمِهِ.

وَهَذَا **التَّعْرِيفُ بِمَنْزِلَةِ[5] الأُلُوهِيَةِ** لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، **فَالتَّعْرِيفُ بِظَاهِرِ الأُلُوهِيَةِ** لِأَصْحَابِ الحِجَابِ مِنْ جَمِيعِ الأَكْوَانِ فَكُلُّهَا تُقِرُّ لَهُ بِالأُلُوهِيَةِ وَتَعْتَرِفُ بِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ مَقْهُورُونَ تَحْتَ حُكْمِهِ، وَهَذَا الأَمْرُ فِيهِمْ جِبِلَّةٌ مِنْ أَصْلِ خِلْقَتِهِمْ، وَتَوَاتَرَ بِذَلِكَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ وَبِذَا تَعْرِفُ إِبْطَالَ قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنَ العُلَمَاءِ بِوُجُودِ التَّقْلِيدِ فِي الخَلْقِ فِي مَعْرِفَةِ الأُلُوهِيَةِ وَظَنُّوا أَنَّ مَعْرِفَةَ الأُلُوهِيَةِ يُخَاضُ فِيهَا بِالبَرَاهِينِ وَأَنَّ فِي الخَلْقِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الإِلَهَ وَهُوَ بَاطِلٌ، فَإِنَّ الرُّسُلَ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الخَلْقِ مَا بُعِثُوا إِلَيْهِمْ إِلَّا بِتَوْحِيدِ العِبَادَةِ لِلْإِلَهِ وَخَلْعِ كُلِّ مَا يَعْبُدُونَ

---

[1] - ح ك هـ ق ص ي: بما

[2] - ح ع: (في الذات) ساقطة

[3] - ح: مخلوقون

[4] - ح: وما تعرفت

[5] - ح: بمرتبة

مِنْ دُونِهِ فَمَا كَذَّبَتْهُمُ الأُمَمُ إِلَّا فِي صِحَّةِ الرِّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا جَحَدُوا وُجُودَ اللَّهِ تَعَالَى)[1] وَلَا جَحَدُوا أُلُوهِيَتَهُ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُخْبِراً عَنْهُمْ: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**)[2]. وَقَوْلُهُ أَيْضاً[3] فِي الإِخْبَارِ عَنْهُمْ[4] فِي الأَوْثَانِ: (**وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**)[5]. فَمَا جَحَدُوا وُجُودَ الإِلَهِ وَلَا جَحَدُوا أُلُوهِيَتَهُ وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا الرِّسَالَةَ فِي الرُّسُلِ[6] بِكَوْنِ اللَّهِ أَرْسَلَهُمْ وَكَذَّبُوا فِي تَوْحِيدِ العِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ عَادٍ وَثَمُودَ : (**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**)[7]. يُرِيدُونَ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا الرِّسَالَةَ إِلَيْنَا بِتَوْحِيدِ العِبَادَةِ (**لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**)[8]. الآيَةُ. وَقَوْلُ عَادٍ لِهُودٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (**أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**)[9]. الآيَةُ.

فَأَنْتَ تَسْمَعُ مَا جَحَدُوا وُجُودَ الإِلَهِ، وَإِنَّمَا جَحَدُوا تَوْحِيدَ العِبَادَةِ، وَتَحْقِيقَ الرِّسَالَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَصْفِ الكَافِرِينَ: (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**)[10]. وَقَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ حَيْثُ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِهِمْ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- سورة الزمر، الآية 3

[3]- ح: (أيضا) ساقطة

[4]- ح: في الإخبار عنهم أيضا

[5]- سورة يونس، الآية 18

[6]- ح: (في الرسل) ساقطة

[7]- سورة فصلت، الآية 14

[8]- سورة فصلت، الآية 14

[9]- سورة الأعراف الآية 70

[10]- سورة الزخرف، الآية 87

قَالَ: **(قُلْ لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)**[1]. وَقَالَ: **(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)**[2]. وَقَالَ: **(قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)**[3]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَأَنْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الآيَاتِ أَنَّهُمْ مَا جَحَدُوا وُجُودَ الإِلَهِ وَلَا جَحَدُوهُ فِي مَرْتَبَةِ أُلُوهِيَتِهِ، وَإِنَّمَا عَبَدُوهَا كَمَا قَالَ عَنْهُمْ لِيَتَقَرَّبُوا بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَهَذَا هُوَ التَّعْرِيفُ بِظَاهِرِ الأُلُوهِيَةِ.

وَأَمَّا التَّعْرِيفُ بِبَاطِنِ الأُلُوهِيَةِ فَهُوَ لِلصِّدِّيقِينَ وَالعَارِفِينَ خَرَقُوا حِجَابَ الظَّوَاهِرِ وَبَلَغُوا مِنْ بَاطِنِ الأُلُوهِيَةِ إِلَى رُتْبَةِ حَقِّ اليَقِينِ، فَمَا الكَوْنُ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ إِلَّا صِفَاتُ اللَّهِ وَأَسْمَاؤُهُ حَقِيقَةً لَا اعْتِقَاداً فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِبَاطِنِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ أَسْرَارَهَا فَاخْتُطِفُوا عَنْ دَائِرَةِ البَشَرِيَّةِ، وَصَارَتْ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَقَلُّبَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ بِاللَّهِ مَحْضاً، وَحَيْثُ كَانُوا بِاللَّهِ كَانُوا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ لِلَّهِ فِي اللَّهِ عَنِ اللَّهِ، مَوْتَى عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ. فَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الصِّدِّيقِينَ فِي التَّعْرِيفِ، لَيْسَ لَهُمْ مَطْمَعٌ فِي الوُصُولِ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَالتَّعْرِيفُ لِلْأَقْطَابِ وَالنَّبِيئِينَ تَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِالسِّرِّ المَصُونِ وَالغَيْبِ المَكْنُونِ الَّذِي تَنْقَطِعُ الأَعْنَاقُ دُونَ ذِكْرِهِ وَيُسَمَّى فِي الوَضْعِ **بَاطِنَ بَاطِنِ الأُلُوهِيَةِ**.

وَأَسْرَارُ هَذَا البَاطِنِ الثَّانِي وَعُلُومُهُ وَمَعَارِفُهُ، لَوْ تَبَدَّى مِنْهَا لِأَكَابِرِ الصِّدِّيقِينَ مِقْدَارُ هَبَئَةٍ لَذَابُوا مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ وَصَارُوا مَحْضَ العَدَمِ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ. وَهَذَا البَاطِنُ الثَّانِي لِلْأَقْطَابِ وَالنَّبِيئِينَ لَا مَطْمَعَ لِغَيْرِهِمْ فِيهِ وَلَوْ بَلَغُوا مَا بَلَغُوا إِلَّا أَنَّ الأَقْطَابَ فِي أَسْفَلِ هَذِهِ الحَضْرَةِ، وَالنَّبِيئُونَ[4] فِي أَعْلَاهَا. ثُمَّ **البَاطِنُ الرَّابِعُ** هِيَ حَضْرَتُهُ الخَاصَّةُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا مَطْمَعَ لِلْأَقْطَابِ وَالنَّبِيئِينَ أَنْ يَشُمُّوا مِنْهَا رَائِحَةً، وَلَوْ تَبَدَّى مِنْهَا مِقْدَارُ هَبَئَةٍ عَلَى أَكَابِرِ الرُّسُلِ لَذَابُوا مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ وَصَارُوا مَحْضَ العَدَمِ فِي أَقَلِّ مِنْ لَمْحِ البَصَرِ.

---

[1]- سورة المؤمنون، الآية 84-85

[2]- سورة المؤمنون، الآية 86-87

[3]- سورة المؤمنون، الآية 88-89

[4]- ك: والنبيين

ثُمَّ الوَحْيُ مِنَ اللَّهِ لِأَصْحَابِ هَذِهِ المَرَاتِبِ، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ مِنَ الوَحْيِ، **فَأَمَّا أَصْحَابُ المَرْتَبَةِ الأُولَى** وَهُمْ جَمِيعُ الخَلْقِ المَحْجُوبُونَ، فَوَحْيُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، **مَا يُعْطِيهِمْ فِي حَالِ المَنَامِ** يَكْشِفُ لَهُمْ مَا شَاءَ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ فِي وَقْتٍ مَا، لَا فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَهُمْ أَصْحَابُ ظَاهِرِ الأُلُوهِيَةِ. **وَأَمَّا أَصْحَابُ بَاطِنِ الأُلُوهِيَةِ** وَهُمْ الصِّدِّيقُونَ، فَوَحْيُهُ إِلَيْهِمْ أَنْ **كَشَفَ لَهُمْ أَحْوَالَ الغَيْبِ جِهَاراً** أَوْ أَسْمَعَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَذَّةَ مُسَارَرَتِهِ لَهُمْ لِتَبَدِّي حَقَائِقِ تِلْكَ الأَسْرَارِ، لَكِنْ وَإِنْ بَلَغُوا مَا بَلَغُوا فِي ذَلِكَ[1] تَقْصُرُ رُتْبَتُهُمْ عَنْ **مَرْتَبَةِ الأَقْطَابِ** كَمَا أَنَّ الأَقْطَابَ وَإِنْ بَلَغُوا مَا بَلَغُوا مِنْ وَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ تَقْصُرُ رُتْبَتُهُمْ عَنْ **مَرَاتِبِ النَّبِيئِينَ** عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

كَمَا أَنَّ **رُتْبَةَ الرُّسُلِ الأَكَابِرِ** وَإِنْ بَلَغَتْ فِي الوَحْيِ مَا بَلَغَتْ تَقْصُرُ رُتْبَتُهُمْ[2] عَنْ **رُتْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَوَحْيُ اللَّهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرْتَبَتِهِ[3] لَا يُسَاوِيهِ فِيهَا[4] مَخْلُوقٌ وَلَا يَشُمُّ أَحَدٌ رَائِحَةَ وَحْيِهِ فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]، ثُمَّ إِنَّهُ **يَسْمَعُ السِّرَّ المَصُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِهَاراً** كَمَا رَأَى بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّرَّ المَصُونَ جِهَاراً.

ثُمَّ الوَحْيُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ تَارَةً يَكُونُ **بِمَجِيءِ المَلَكِ يُخْبِرُهُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ القُرْآنُ**، وَتَارَةً يَكُونُ الوَحْيُ **بِسَمَاعِ السِّرِّ المَصُونِ**، وَهُوَ الرُّتْبَةُ العُلْيَا فِي الوَحْيِ وَلَا مَرْتَبَةَ فَوْقَهَا، وَتَارَةً يَكُونُ الوَحْيُ **بِاللِّقَاءِ**، وَاللِّقَاءُ مَرْتَبَةٌ مَصُونَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا لَا تُذْكَرُ، يَتَلَقَّى فِيهَا الأَمْرَ الإِلَهِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَتَارَةً يَكُونُ الوَحْيُ **بِالإِلْقَاءِ**، وَهَذَا الإِلْقَاءُ هُوَ المُسَمَّى بِالنَّفْثِ، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ بِقَوْلِهِ[6] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا وَإِنَّ رُوحَ القُدُسِ قَدْ نَفَثَ فِي فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. وَلَا

---

[1] - ح: وإن بلغوا ما بلغوا من وحي الله إليهم ـ ك: (في ذلك) ساقطة

[2] - ح: (رتبتهم) ساقطة

[3] - ح ي: مرتبة

[4] - ح: (فيها) ساقطة

[5] - ح: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[6] - ك ي: قوله

يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. الحَدِيثُ. وَتَارَةً يَكُونُ الوَحْيُ **بِالنِّيَابَةِ بِحُكْمِ المَرْتَبَةِ**، وَهَذِهِ النِّيَابَةُ لَا تُذْكَرُ وَذَوْقُهَا عَزِيزُ الوُجُودِ.

وَإِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ فِي الوَحْيِ تُشِيرُ جَمِيعُ الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَبِيحَةِ سَمَاءٍ نَزَلَتْ: هَلْ تَدْرُونَ مَا[1] قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُومِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُومِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ. وَمِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي. الحَدِيثُ. وَالأَحَادِيثُ القُدْسِيَّةُ كَثِيرَةٌ، فَهَذِهِ مَرْتَبَتُهَا.

ثُمَّ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ مَا يَكُونُ **مِنْ فَيْضِ المَقَامِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ المُشَاهَدَةُ** وَمِنْهُ مَا يَكُونُ **بِالإِلْقَاءِ الَّذِي هُوَ الإِلْهَامُ** وَلَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ مِنْ أَيْنَ دَخَلَ عَلَيْهِ، وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْماً**)[2]. (**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**)[3]. (**عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)[4]. فَكُلُّ هَذَا حَقَائِقُ الإِلْقَاءِ بِطَرِيقِ الإِلْهَامِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَ أَرْضِعِيهِ**)[5]. لَكِنَّ هَذَا الفَرْدَ مِنْهُ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَوْضَحُ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالذَّوْقِ، وَمِنْ هَذَا الإِلْهَامِ، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**)[6]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنَ الوَحْيِ أَيْضاً مَا يَكُونُ **بِالنَّظَرِ فِي مَرَاتِبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ** وَمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الخَوَاصِّ، فَيَأْخُذُ مِنْهَا فَيْضاً إِلَهِيا وَوَحْياً رَبَّانِياً يَعْلَمُ بِهِ حُكْمَ الغَيْبِ، وَصَرِيحَ الأَمْرِ الإِلَهِي.

---

[1]- ك م هـ ق ص ي: ماذا

[2]- سورة الكهف، الآية 65

[3]- سورة النساء، الآية 113

[4]- سورة العلق، الآية 5

[5]- سورة القصص، الآية 7

[6]- سورة النحل، الآية 68

وَمِنَ الوَحْيِ مَا يَكُونُ **بِطَرِيقِ الوُرُودِ، يَرِدُ عَلَيْهِ الوَارِدُ** فِي حَضْرَتِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَنْزِلَةِ الرَّسُولِ مِنْ عِنْدِهِ فَيُلْقِي إِلَيْهِ مَا يُلْقِي مِنَ التَّعْرِيفَاتِ وَالأَسْرَارِ وَالعُلُومِ وَكَشْفِ الغُيُوبِ وَتَحْقِيقِ الأَمْرِ. وَمِنَ الوَحْيِ مَا يَكُونُ تَلَقِّيهِ **بِالنَّظَرِ فِي قَوَاعِدِ الحِكْمَةِ السَّارِيَةِ فِي الوُجُودِ** بِالنَّظَرِ فِيمَا تَسْتَحِقُّهُ الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ مِنَ الخَوَاصِّ، فَهَذِهِ هِيَ مَرَاتِبُ الوَحْيِ ثُمَّ النَّاسُ فِي هَذَا[1] عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ،

ثُمَّ لِتَعْلَمْ أَنَّ **مَنْ تَجَلَّى اللَّهُ لَهُ بِالسِّرِّ المَصُونِ وَالغَيْبِ المَكْنُونِ عُصِمَ مِنَ المَعَاصِي** بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ فَلَا تَتَأَتَّى مِنْهُ المَعْصِيَةُ الَّتِي هِيَ مُخَالَفَةُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى صَرِيحاً أَوْ ضِمْناً وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا إِلَّا العِصْمَةُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَا ثَبَتَتِ العِصْمَةُ لِلنَّبِيئِينَ وَفِي ضِمْنِهِمْ الأَقْطَابُ. وَلَمْ يُصَرِّحْ بِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2] فِي قَوْلِهِ[3] حَيْثُ قَالَ: (لَا عِصْمَةَ إِلَّا لِنَبِيءٍ).

فَقَدْ سَتَرَ الأَقْطَابَ هُنَاكَ مِنْ كَوْنِهِمْ لَا تُعْرَفُ مَرَاتِبُهُمْ، وَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ الخَلْقَ بِهَا، أَعْنِي بِمَرْتَبَةِ الأَقْطَابِ، وَلَا وَصَلَ العِلْمُ إِلَيْهِمْ بِهَا فَهِيَ مَكْتُومَةٌ، لِذَلِكَ لَمْ يُصَرِّحْ بِعِصْمَةِ أَهْلِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ السِّرَّ المَصُونَ مَانِعٌ لِمَنْ ذَاقَهُ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ حَتَّى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَمَّا مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الصِّدِّيقِينَ الَّذِينَ نَزَلُوا عَنْ رُتْبَتِهِمْ، فَلَا عِصْمَةَ عِنْدَهُمْ، وَتَجْرِي عَلَيْهِمُ الأَقْدَارُ كَمَا تَجْرِي عَلَى غَيْرِهِمْ كَمَا قَالَ الجُنَيْدُ حَيْثُ قِيلَ لَهُ: أَيَزْنِي العَارِفُ؟ فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً. وَلِتَحْقِيقِ العِصْمَةِ لِلنَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَدَمِ تَأَتِّي المُخَالَفَةِ مِنْهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(مَنْ يُّطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**[4]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**[5].

---

[1]- ك: ثم الناس فيها

[2]- ح: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[3]- ح: في قوله صلى الله عليه وسلم

[4]- سورة النساء، الآية 80

[5]- سورة النساء، الآية 64

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ[1]. **وَأَمَّا مَا فِي[2] قَضِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[3]** فَهِيَ[4] وَإِنْ كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ المُخَالَفَةِ ظَاهِراً، فَهِيَ مِنْ[5] أَعْظَمِ الكَرَامَةِ لِآدَمَ[6] بَاطِناً، وَأَوْحَى إِلَيْهِ فِيهَا مِنْ كَمَالِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ[7] بِاللَّهِ[8] وَبِمَا عَلَيْهِ الحَضْرَةُ مِنَ الشُّؤُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ، وَبِمَا عَلَيْهِ العُبُودِيَّةُ مِنَ مِنَ الذُّلِّ وَالمَسْكَنَةِ وَإِنْ عَلَتْ رُتْبَتُهَا. **فَأَمَّا الكَرَامَةُ فِيهَا** فَإِنَّهُ لَمَّا سَعَى إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي إِيقَاعِ آدَمَ فِي الذَّنْبِ لِيُطْرَدَ عَنِ اللَّهِ كَمَا طُرِدَ، فَأَبْلَغَ فِي ذَلِكَ غَايَةَ[9] جُهْدِهِ فَأَوْقَعَهُ اللَّهُ فِي المُخَالَفَةِ لِيَعْلَمَ إِبْلِيسُ بِشُفُوفِ رُتْبَتِهِ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ[10] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِلِسَانِ الحَالِ:

إِنْ كُنْتَ تَرُومُ طَرْدَهُ عَنْ جَنَابِنَا وَتُرِيدُ ذُلَّهُ بِإِبْعَادِنَا فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، إِنَّمَا هُوَ صَفْوَتُنَا مِنْ جَمِيعِ خَلِيقَتِنَا، وَلِأَجْلِهِ أَوْجَدْنَا العَوَالِمَ كُلَّهَا، وَلَوْلَا هُوَ مَا خَلَقْنَاهَا وَلَا لَنَا مُرَادٌ فِي وُجُودِهَا. فَالعَوَالِمُ كُلُّهَا وَإِنْ ظَهَرَ فِي بَعْضِهَا شَرَفٌ عَلَيْهِ كَالمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ الجَمِيعَ خُدَّامٌ لَهُ. وَإِنَّمَا هُوَ جَوْهَرَةُ الأَكْوَانِ وَالكَوْنُ كُلُّهُ صَدَفٌ لَهُ وَإِنَّ السِّرَّ الَّذِي أَوْدَعْنَاهُ فِي حَقِيقَتِهِ، وَالكَنْزَ المَكْنُونَ الَّذِي وَضَعْنَاهُ فِي ضَمِيرِهِ لَوْ عَصَانَا بِمَعْصِيَةِ جَمِيعِ العَوَالِمِ مَا طَرَدْنَاهُ وَلَا أَبْعَدْنَاهُ وَلَا أَبْغَضْنَاهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَحْبُوبُنَا لِذَاتِهِ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ أَطَاعَ أَمْ عَصَى، فَإِنَّهُ وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ مَا وَقَعَ فَلَا عَيْبَ فِيهِ وَلَنَا فِي ذَلِكَ سِرٌّ مَصُونٌ.

---

[1]- ك ي: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

[2]- ح: (ما في) ساقطة ـ ي: وأما في

[3]- ح: عليه السلام

[4]- ك م ص ي: فإنها

[5]- ع: في

[6]- ح: له

[7]- ح: من كمال المعرفة والعلم

[8]- ح: به

[9]- ك: (غاية) ساقطة

[10]- ك: (له) ساقطة

وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**)[1]. الآيَةُ، وَلِأَجْلِ السِّرِّ المَصُونِ المُسْتَكِنِّ فِي بَاطِنِهِ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى جَمِيعِ العَوَالِمِ، حَيْثُ وَقَعَ مِنْهُ الذَّنْبُ وَتَنَاءَتْ مِنْهُ جَمِيعُ أَحْوَالِ الجَنَّةِ حَتَّى فَرَّ مِنْهُ جَمِيعُ ثِيَابِهِ وَطَارَتْ عَنْهُ، وَرَأَى إِحَاطَةَ البَلاَءِ بِهِ، فَمَا زَاغَ عَنْ مَوْقِفِ العُبُودِيَةِ، بَلْ رَجَعَ بِالذُّلِّ وَالاسْتِكَانَةِ إِلَى عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَةِ وَتَصَاغَرَ لِجَلاَلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفَ بِنَقْصِ نَفْسِهِ، فَخَاطَبَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُعْتَرِفاً بِنَقْصِهِ بِقَوْلِهِ: (**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا**[2])[3]. الآيَةُ.

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ السِّرُّ المَصُونُ لَمَّا طَرَدَهُ رَبُّهُ عَنْ جَنَابِهِ وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِلَعْنِهِ وَإِبْعَادِهِ، فَمَا ذَلَّ وَلاَ[4] اسْتَكَانَ لِجَلاَلِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، بَلْ رَجَعَ اللَّعِينُ مُعَظِّماً لِنَفْسِهِ غَضْبَانَ[5] عَلَى رَبِّهِ وَأَظْهَرَ كُفْرَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى. قَالَ مُغَاضِباً[6] لِرَبِّهِ: (**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**)[7]. وَقَالَ أَيْضاً: (**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ**)[8]. (إِلَى قَوْلِهِ: (**وَلَا (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**)[9])[10] الآيَةُ[11].

---

[1]- سورة البقرة، الآية 37

[2]- ح: (وإن لم تغفر لنا وترحمنا) ساقطة

[3]- سورة الأعراف، الآية 23

[4]- ح: (ولا) ساقطة

[5]- في هامش النسخة ع: كذا غضبان ـ ي: غضباناً

[6]- ح ص: مغضبا

[7]- سورة ص، الآية 82

[8]- سورة الأعراف، الآية 16

[9]- سورة الأعراف، الآية 17

[10]- ع ك م هـ ق ص ي: ما بين القوسين محذوف

[11]- ح: (الآية) ساقطة

وَهَذَا غَايَةُ الكُفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَمَا فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ كُلِّهَا مَنْ خَاطَبَ اللَّهَ تَعَالَى بِهَذَا الخِطَابِ وَلَا تَجَاسَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ[1] بِمِثْلِ هَذَا العِتَابِ، (وَبُرُوزُ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِيقَتِهِ حَيْثُ جَعَلَهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَظْهَرَ الشَّرِّ)[2] وَالخِذْلَانِ وَالطَّرْدِ وَاللَّعْنِ وَالحِرْمَانِ. وَجَعَلَهُ إِمَاماً مُتَّبَعاً لِكُلِّ مَنْ طَرَدَهُ اللَّهُ عَنْ بَابِهِ وَأَبْعَدَهُ عَنْ قُرْبِهِ وَجَنَابِهِ فَكَانَ جَوَابُهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ[3] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ[4]: **﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[5]. فَهَذَا وَجْهُ الكَرَامَةِ فِي وُقُوعِ مَا وَقَعَ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَأَمَّا التَّعْرِيفُ بِقَضِيَّتِهِ، فَالتَّعْرِيفُ الأَوَّلُ[6] هُوَ[7] جَعْلُهُ[8] قُدْوَةً لِذُرِّيَّتِهِ عَرَّفَهُمْ فِيهَا[9] أَنَّ[10] مَنْ زَلَّتْ زَلَّتْ قَدَمُهُ فِي مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِ ثُمَّ رَجَعَ تَائِباً مُقِرّاً بِذَنْبِهِ وَجَدَ العَفْوَ وَالقَبُولَ مِنْ رَبِّهِ مِنْ حِينِهِ. **وَالتَّعْرِيفُ الثَّانِي** أَنَّ المَحْبُوبَ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُقَرَّباً مُصَاناً فَلَا بُدَّ لَهُ[11] أَنْ يَنْصَبَّ عَلَيْهِ مِنْ حَضْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِلَاءٌ وَالْتِوَاءٌ تَضْطَرِبُ مِنْهُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ وَتَتَأَلَّمُ بِسَبَبِهِ جَمِيعُ ظَوَاهِرِهِ وَبَوَاطِنِهِ لِيُخْبِرَهُ بِذَلِكَ أَنَّ الحَضْرَةَ الإِلَهِيَّةَ[12] لَا بُدَّ لَهَا مِنْ هَذَا، فَإِنَّ المَحْبُوبَ لَوْ لَمْ يَجِدْ مِنْ رَبِّهِ إِلَّا مَا يُلَائِمُ أَغْرَاضَهُ لَكَانَتْ دَعْوَاهُ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ غَيْرَ صَادِقَةٍ.

---

[1]- ح هـ ص: أحد عليه

[2]- ح: ما بين القوسين محذوف

[3]- ح: (الله) ساقطة

[4]- ح: بقوله له

[5]- سورة الأعراف، الآية 18

[6]- ح: فالتعريف الأول في قضيته

[7]- ح: (هو) ساقطة

[8]- ع ك م ي: جعله الله

[9]- ح: في قضيته

[10]- ح: لأن

[11]- ح: (له) ساقطة

[12]- ح: (الإلهية) ساقطة

لِأَنَّهُ بِمُلَائَمَةِ أَغْرَاضِهِ يُحِبُّهُ، فَمَا يَظْهَرُ مِصْدَاقُ المَحَبَّةِ حَتَّى يَنْصَبَّ عَلَيْهِ البَلَاءُ العَظِيمُ، ثُمَّ لَا يَزِيغُ بَاطِنُهُ عَنْ مَوْقِفِ المَحَبَّةِ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ[1] بْنُ أَدْهَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الحُبِّ إِرْباً * لَمَا حَنَّ الفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَ

فَإِنَّ بِالبَلَاءِ يُعْرَفُ صِدْقُ المَحَبَّةِ. فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْ سَرِيٍّ السَّقَطِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الرِّجَالِ يَوْماً قَالَ: وَجَدْتُهُ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهُ[2]: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: كُنْتُ نَائِماً السَّاعَةَ، السَّاعَةَ، فَرَأَيْتُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ لِي: يَا سَرِيُّ أَوْ كَمَا قَالَ: لَمَّا خَلَقْتُ الخَلْقَ كُلَّهُمْ ادَّعَوْا مَحَبَّتِي فَخَلَقْتُ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا[3] فَفَرُّوا إِلَيْهَا كُلُّهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا العُشُرُ، فَلَمَّا بَقِيَ ذَلِكَ العُشُرُ خَلَقْتُ لَهُمْ الجَنَّةَ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى زِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا[4] فَرُّوا إِلَيْهَا كُلُّهُمْ[5] وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا العُشُرُ، فَلَمَّا بَقِيَ ذَلِكَ العُشُرُ سَلَّطْتُ عَلَيْهِمْ ذَرَّةً مِنَ البَلَاءِ فَفَرُّوا كُلُّهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا العُشُرُ.

فَقُلْتُ لِذَلِكَ العُشُرِ البَاقِي: لَا الدُّنْيَا أَرَدْتُمْ وَلَا الجَنَّةَ اخْتَرْتُمْ وَلَا مِنَ البَلَاءِ فَرَرْتُمْ فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا أَنْتَ أَعْلَمُ مَا نُرِيدُ. فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي مُسَلِّطٌ عَلَيْكُمْ مِنَ البَلَاءِ بِعَدَدِ[6] أَنْفَاسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ صَابِرُونَ؟ فَقَالُوا: إِذَا كُنْتَ أَنْتَ المُبْتَلِي فَاصْنَعْ مَا تُرِيدُ. فَقُلْتُ: أَنْتُمْ عِبَادِي حَقّاً فَهَكَذَا هُوَ الابْتِلَاءُ فِي مَوْقِفِ المَحَبَّةِ. وَلَا يُعْرَفُ صِدْقُهَا إِلَّا بِالثُّبُوتِ لِلْبَلَايَا.

---

[1]- ح: (إبراهيم) ساقطة

[2]- ك ي: (له) ساقطة

[3]- ع ك هـ ق ص ي: وزخاريفها

[4]- ع ك هـ ق ص ي: وزخاريفها

[5]- ح: (كلهم) ساقطة

[6]- ك ق ص: بقدر

قَالَ بَعْضُ الأَكَابِرِ لِبَعْضِ الأَوْلِيَاءِ وَقَدْ شَكَى[1] إِلَيْهِ الوَلِيُّ بِشِدَّةِ[2] ضَيْقِهِ وَكُرْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ: ضَاقَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا وَلَمْ نَجِدْ لِلْمَوْتِ سَبِيلاً، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الكَبِيرُ: أَوَ ذُقْتَ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ لَهُ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ نَزَلَ بِكَ بَلَاءٌ لَا تُطِيقُهُ الجِبَالُ فَمَا تَمَنَّيْتَ بِقَلْبِكَ أَنْ تَنْقُصَ[3] عَنْكَ مِنْهُ ذَرَّةٌ. قَالَ[4]: لَا. قَالَ لَهُ[5]: لَا تُطْمِعْ نَفْسَكَ بِالمَحَبَّةِ فَمَا فَمَا شَمَمْتَ لَهَا رَائِحَةً. فَهَذَا هُوَ التَّعْرِيفُ بِصِدْقِ المَحَبَّةِ فِي الحَضْرَةِ.

وَالتَّعْرِيفُ الثَّالِثُ أَنْ لَا أَمَانَ[6] مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ بَلَغَ العَبْدُ مِنَ اللَّهِ مَا بَلَغَ فِي الاصْطِفَاءِ وَالاجْتِبَاءِ فَلَا أَمَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا فِي قَضِيَّةِ آدَمَ، وَقَدْ كَانَ حِينَ وَقَعَ بِهِ مَا وَقَعَ مِنَ البَلَاءِ حِينَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الجَنَّةِ بَكَى عَلَى فِرَاقِهَا مَائَةَ عَامٍ وَهُوَ فِي كُرْبٍ وَحُزْنٍ وَشِدَّةِ أَلَمٍ حَتَّى شَكَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ رِيحِ كَبِدِهِ وَقَالُوا: مَا حَلَّ بِهَذَا المِسْكِينِ؟ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لَهُ، فَهَذِهِ فَوَائِدُ قَضِيَّةِ آدَمَ فَظَاهِرُهَا ذَنْبٌ وَمُخَالَفَةٌ وَفِي بَاطِنِهَا مِنَ العِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالعِلْمِ بِأَمْرِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ[7] أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ القُوَّةِ الإِلَهِيَةِ أَمْراً لَا يُحَاطُ بِسَاحِلِهِ، وَبِتِلْكَ القُوَّةِ حَمَلَ أَعْبَاءَ النُّبُوءَةِ وَالخِلَافَةِ، فَلَهُ القُوَّةُ مِنَ المَحَلَّيْنِ وَهُمَا: رُوحُهُ وَجِسْمُهُ. **فَأَمَّا رُوحُهُ[8] اكْتَسَبَتِ[9] القُوَّةَ** مِنْ مَوْضِعَيْنِ، المَوْضِعُ الأَوَّلُ حَيْثُ خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ

---

[1]- ي: اشتكى

[2]- ك ص: شدة

[3]- ك ص ي: يُنْقَصَ

[4]- ح: قال له

[5]- ح: قال

[6]- ح ي: أن الأمان

[7]- ح: عليه السلام

[8]- ح: فأما الروح

[9]- ك: اكتسب

صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي وَأَوْدَعَ فِيهَا جَمِيعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ[1]، وَأَسْرَارَ جَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنْوَارَ جَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهَذِهِ هِيَ القُوَّةُ الأُولَى لَهَا. وَالمَوْضِعُ الثَّانِي مِنْ قُوَّتِهَا مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: **(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)**[2].

وَهَذَا النَّفْخُ أُعْطِيَ فِيهِ أَيْضاً كَمَالَ القُوَّةِ الإِلَهِيَةِ. **وَأَمَّا جَسَدُهُ الشَّرِيفُ فَاكْتَسَبَ القُوَّةَ** الإِلَهِيَةَ[3] أَيْضاً مِنْ مَوْضِعَيْنِ[4]، المَوْضِعُ الأَوَّلُ التُّرَابُ[5]، ثُمَّ إِنَّ التُّرَابَ[6] سَمِعَ[7] كَلَامَ البَارِي جَلَّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كَمَالُهُ[8] حَيْثُ قَالَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **(اِيتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ[9])**[10]. الآيَةُ[11].

وَالمَوْضِعُ الثَّانِي مِنَ المَاءِ[12]، ثُمَّ إِنَّ المَاءَ[13] سَمِعَ كَلَامَ البَارِي جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كَمَالُهُ[14]، وَذَلِكَ حِينَ أَرَادَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، أَمَرَ المَاءَ فَاضْطَرَبَتْ أَمْوَاجُهُ أَلْفَ حِقَبٍ، فِي كُلِّ حُقْبٍ أَلْفُ قَرْنٍ، فِي كُلِّ قَرْنٍ أَلْفُ سَنَةٍ، فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفُ شَهْرٍ، فِي كُلِّ شَهْرٍ أَلْفُ يَوْمٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ سَاعَةٍ، كُلُّ سَاعَةٍ مِثْلُ عُمُرِ الدُّنْيَا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ. ثُمَّ اجْتَمَعَ مِنَ اضْطِرَابِهِ فِي هَذِهِ

---

[1]- ح: صفاته وأسمائه

[2]- سورة الحجر، الآية 29

[3]- ح: (الإِلَهِيَةَ) ساقطة

[4]- ح: من موضعين، وَهِيَ القُوَّةُ الإِلَهِيَةُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا

[5]- ع ك ي: من التراب

[6]- ح: والترابُ

[7]- ح: يسمع

[8]- ح: كلام الباري سبحانه وتعالى

[9]- ح: (قالتا أتينا طائعين) ساقطة

[10]- سورة فصلت، الآية 11

[11]- ع ك ي: (الآية) ساقطة

[12]- ح: وَالقُوَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا جَسَدُهُ الكَرِيمُ أَيْضاً مِنَ المَاءِ

[13]- ح: والماء

[14]- ح: (وعز كماله) ساقطة

المُدَّةِ كُومٌ مِنَ الزَّبَدِ فَوْقَ المَاءِ فَكَانَ مَجْمُوعاً فِي مَوْضِعِ الكَعْبَةِ اليَوْمَ، ثُمَّ مَدَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ الزَّبَدَ عَلَى وَجْهِ المَاءِ وَقَلَبَهُ تُرَاباً: وَهَذَا[1] الدَّحْوُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: **(وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)**[2]، أَيْ بَسَطَهَا عَلَى وَجْهِ المَاءِ، وَأَثَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الزَّبَدِ دُخَاناً فَكَوَّنَ مِنْهُ السَّمَاوَاتِ.

فَبِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَاءِ اكْتَسَبَ هَذِهِ القُوَّةَ الإِلَهِيَةَ، وَدَامَ اضْطِرَابُهُ فِي المُدَّةِ المَذْكُورَةِ، فَمَا ضَعُفَ وَمَا كَلَّ وَمَا سَئِمَ، فَهَاتَانِ القُوَّتَانِ تَرَكَّبَ مِنْهُمَا جَسَدُ آدَمَ فَكَانَتْ لَهُ أَرْبَعُ قِوًى إِلَهِيةٍ[3]، اثْنَانِ فِي رُوحِهِ وَاثْنَانِ فِي جَسَدِهِ، وَبِهَذِهِ القِوَى اكْتَسَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الكَمَالَاتِ[4] الإِلَهِيَةَ، فَحَفِظَ[5] آدَابَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَقَوِيَ عَلَى حَمْلِ أَعْبَائِهَا فِي مَوْطِنِ النُّبُوءَةِ وَفِي مَوْطِنِ الخِلَافَةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ هَذِهِ الكَمَالَاتُ الإِلَهِيَةُ، فَحِينَ وَقَعَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ النُّفُورَ وَالطَّرْدَ وَالبُعْدَ لِأَمْثَالِهِ رَجَعَ عَاكِفاً عَلَى[6] بَابِ مَوْلَاهُ مُتَذَلِّلاً مُتَصَاغِراً لِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَلَمَّا حَفِظَ هَذَا الأَدَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[7] خَرَجَ جَوَابُهُ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ **(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)**[8]. الآيَةُ. لِكَوْنِهِ أُعْطِيَ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةَ مِنْ جِهَةِ جَسَدِهِ وَمِنْ جِهَةِ رُوحِهِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ عَلَّمَهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، يَعْنِي أَسْمَاءَ الكَائِنَاتِ (الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الكَوْنُ)[9]، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ وَأَعْطَاهُ الخُصُوصِيَةَ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا لِغَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الأَكْوَانِ. يَقُولُ صَلَّى

---

[1]- ح ك م هـ ق ص ي: وهو

[2]- سورة النازعات، الآية 30

[3]- ح: أربع قوى الإلهية

[4]- ح: القوة

[5]- ع ك ص: بحفظ

[6]- ح: عن

[7]- ح: (عليه الصلاة والسلام) ساقطة

[8]- سورة البقرة، الآية 37

[9]- ح: ما بين القوسين محذوف

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ إِلَى قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ: ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. الحَدِيثُ.

وَاللَّعِينُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ العَابِدِينَ ضَيَّعَ آدَابَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ وَشَغَلَهُ عَنْهَا تَعْظِيمُ نَفْسِهِ حَيْثُ كَانَ جَوَابُهُ لَمَّا قَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)**[1]. أَجَابَ اللَّعِينُ بِقَوْلِهِ مُعَظِّماً لِنَفْسِهِ نَاسِياً لِلأَدَبِ[2] مَعَ رَبِّهِ بِقَوْلِهِ: **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)**[3]. فَخَرَجَ جَوَابُهُ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ: **(قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)**[4].

إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا سَارَ[5] بِسِيرَةِ أَصْلِهِ. فَآدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصْلُهُ الطِّينُ وَهُوَ المَاءُ وَالتُّرَابُ وَالتُّرَابُ **فَالتُّرَابُ** اِخْتُصَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَخْلَاقِ الكَرَمِ حَيْثُ تُرَى عَلَيْهِ شِدَّةُ الإِذَايَةِ مِنَ الخَلْقِ، بِمَا[6] يَقْذِفُونَ عَلَيْهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ وَبِمَا يُوقِعُونَ عَلَيْهِ مِنَ الفُجُورِ وَسُوءِ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّعْظِيمِ لِأَنْفُسِهِمْ وَالاسْتِكْبَارِ، وَكَانَ مُقْتَضَى ذَلِكَ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ يَرْمِيَهُمْ عَنْ ظَهْرِهِ سُخْطاً لِجُرْئَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْ تَخْسِفَ بِهِمْ الأَرْضُ أَوْ تَهْتَزَّ بِهِمْ هَزَّةً تُهْلِكُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُ شَيْءٌ[7] فِي ذَلِكَ، بَلْ يُنْبِتُ لَهُمْ الأَرْزَاقَ العَظِيمَةَ وَالنِّعَمَ الجَسِيمَةَ[8] وَالخَيْرَاتِ الوَافِرَةَ وَالمَوَاهِبَ المُتَوَاتِرَةَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِحْصَائِهَا وَلَمْ يُقَابِلْهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ، وَتِلْكَ صِفَةُ الكَرَمِ.

---

[1]- سورة ص، الآية 75

[2]- ح: للآداب

[3]- سورة ص، الآية 76

[4]- سورة ص، الآية 77-78

[5]- ع: (سار) ساقطة ـ ح ي: صار

[6]- ك: مما

[7]- ح هـ ق: شيء منه

[8]- ك: (والنعم الجسيمة) ساقطة

وَأَمَّا المَاءُ فَإِنَّهُ بِهِ حَيَاةُ العَالَمِ وَبِهِ أَصْلُ وُجُودِهِ، إِذْ بِوُجُودِ[1] المَوْجُودَاتِ الَّتِي فِي هَذَا العَالَمِ السُّفْلِيِّ، كُلُّهَا تَكَوَّنَتْ مِنَ المَاءِ وَبِهِ أُمِدَّتْ حَيَاتُهَا، فَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا حَيّاً[2] بِالمَاءِ، وَبِهِ تَقُومُ الخَيْرَاتُ الَّتِي فِي التُّرَابِ لِأَنَّ المَاءَ وَالتُّرَابَ مِنْ أَثَرِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ بِمَا ذُكِرَ فِيهِمَا.

وَأَمَّا النَّارُ الَّتِي هِيَ أَصْلُ اللَّعِينِ قَدْ جَعَلَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَهْمَ غَضَبِهِ وَتَجَلَّى فِيهَا بِصُورَةِ قَهْرِهِ وَانْتِقَامِهِ وَشِدَّةِ بَطْشِهِ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا مَوْجُودٌ إِلَّا فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ كَالطَّبْخِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِيهَا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ قَلِيلٌ جِدّاً بِالنِّسْبَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الإِهْلَاكِ، فَكَانَ نَظَرُهَا إِلَى قُوَّتِهَا مُعَظِّمَةً لِنَفْسِهَا،

وَلِذَلِكَ حِينَ[3] يُخَاطِبُهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آخِرِ يَوْمِ القِيَامَةِ بِقَوْلِهِ لَهَا: **﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ[4]﴾**[5] فَنَسِيَتِ الأَدَبَ وَرَجَعَتْ إِلَى طَلَبِ الإِهْلَاكِ لِلْخَلْقِ بِقَوْلِهَا: **﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾**[6]. تُرِيدُ إِهْلَاكَ الخَلْقِ، فَكَانَ جَوَابُهَا كَمَا فِي الحَدِيثِ: لَا تَزَالُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ[7]، حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولَ: قَطٌّ قَطٌّ. وَاسْتَعَارَ لَفْظَ القَدَمِ لِهَذَا التَّجَلِّي لِكَوْنِهِ آخِرَ تَجَلٍّ يَتَجَلَّى فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِسَطْوَةِ جَبَرُوتِهِ وَقَهْرِهِ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا الرَّحْمَةُ المَحْضَةُ، فَإِنَّ النَّارَ حِينَئِذٍ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ حَيْثُ قَابَلَهَا بِسَطْوَةِ الجَلَالِ،

وَوَرَاءَ هَذَا مِنَ العِلْمِ[8] مَا لَا يَحِلُّ كَشْفُهُ، إِذْ هُوَ مِنَ العِلْمِ المَكْتُومِ الَّذِي لَا يَتَأَتَّى كَشْفُهُ لِمَنْ عَلِمَهُ، وَلَمَّا كَانَ اللَّعِينُ أَصْلُهُ خُلِقَ مِنْ هَذِهِ البِنْيَةِ وَهِيَ النَّارُ، حَيْثُ كَانَتْ مَسْلُوبَةً مِنَ

1- ع ك ي: (بوجود) ساقطة

2- ع ك ي: حي

3- ك: (حين) ساقطة

4- ح: (وتقول هل من مزيد) ساقطة

5- سورة ق، الآية 30

6- سورة ق، الآية 30

7- ح ك هـ ق ص: (هل من مزيد) الثانية ساقطة

8- ك: (من العلم) ساقطة

الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ، إِلَّا ذَلِكَ النزْرُ القَلِيلُ فِيهَا، كَذَلِكَ هَذَا اللَّعِينُ سَلَبَهُ أَحْكَامَ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَرَجَعَ لِتَعْظِيمِ نَفْسِهِ كَمَا هُوَ أَصْلُهُ وَهُوَ النَّارُ.

فَكَانَ جَوَابُهُ كَمَا خَرَجَ جَوَابَ النَّارِ بِقَوْلِهِ لَهُ: **(فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)**[1]. الآيَةُ. كَذَلِكَ فِيهِ نَزْرٌ قَلِيلٌ مِنْ أَثَرِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ كَمَا فِي أَصْلِهِ، حَيْثُ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى بَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّضَرُّعِ وَالإِسْتِكَانَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ العُقَلَاءَ وَأَرْبَابَ البَصَائِرِ كُلَّ مَا أَحَسُّوا بِشَيْءٍ مِنْ شَرِّهِ وَوَسْوَسَتِهِ فزِعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[2] بِالتَّضَرُّعِ وَالإِبْتِهَالِ وَالإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي الخَيْرِ، لِأَنَّ الوُقُوفَ بِبَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ الخَيْرَاتِ. وَكَانَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ اللَّعِينُ حَيْثُ سَاقَهُمْ إِلَى بَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ وَجْهٍ لَا يُرِيدُهُ[3]، كَذَلِكَ كَذَلِكَ النَّارُ مَا انْتَفَعَ بِهَا الخَلْقُ فِي الطَّبْخِ وَالإِصْطِلَاءِ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ لَا تُرِيدُهُ، لِأَنَّ مُرَادَهَا فِي اشْتِعَالِهَا الإِهْلَاكُ، فَهَيَّأَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَبَباً لِانْتِفَاعِ[4] الخَلْقِ بِهَا، وَهُوَ الإِصْطِلَاءُ وَالطَّبْخُ، فَهَذَا الجُزْءُ فِيهَا مِنْ أَثَرِ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ يَسِيرٌ جِدّاً، فَظَهَرَ حِينَئِذٍ ذُلُّهُ وَإِهَانَتُهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَعْظِيمٌ، فَكَانَ تَجَلِّيهِ عَلَيْهِ بِسَطْوَةِ جَبَرُوتِهِ وَقَهْرِهِ كَمَا وَقَعَ بِأَصْلِهِ وَهُوَ النَّارُ.

فَإِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ قُلْتُمْ أَنَّ المَاءَ وَالتُّرَابَ اكْتَسَبَا القُوَّةَ الإِلَهِيَةَ مِنْ سَمَاعِ كَلَامِ البَارِي لَهُمَا، وَكَذَا اللَّعِينُ وَالنَّارُ سَمِعَا كَلَامَ البَارِي جَلَّ جَلَالُهُ، فَلِمَ لَمْ تَكُنْ لَهُمَا قُوَّةٌ؟ **قُلْنَا الجَوَابُ:** إِنَّ البَارِي كَلَّمَ المَاءَ وَالتُّرَابَ كَلَامَ تَعْظِيمٍ وَمَحَبَّةٍ وَتَكْرِيمٍ حَيْثُ أَقَامَهُمَا فِي خِدْمَتِهِ عَلَى طَرِيقِ مَحَبَّةِ المَخْدُومِ لِلخَادِمِ، لِأَنَّهُمَا سَمِعَا كَلَامَ البَارِي بِالأَمْرِ لَهُمَا بِالخِدْمَةِ، فَأَجَابَا وَأَطَاعَا.

وَأَمَّا اللَّعِينُ وَالنَّارُ فَإِنَّهُمَا كَلَّمَهُمَا كَلَامَ كَرَاهِيَةٍ وَإِهَانَةٍ، فَإِنَّهُ اسْتَفْهَمَهُمَا فَقَطْ، وَمَا أَمَرَهُمَا حَتَّى يَكُونَا لَهُمَا شَرَفُ[5] الخِدْمَةِ، وَاسْتِفْهَامُهُ لَمْ يُعْطِهِمَا فِيهِ قُوَّةً وَلَا أَدَباً، فَكَانَ جَوَابُهُمَا مَا سَمِعْتَهُ فِيهِمَا، وَلِهَذِهِ القُوَّةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي آدَمَ أُعْطِيَ تَحَمُّلَ أَعْبَاءِ النُّبُوءَةِ وَالخِلَافَةِ، فَإِذَا

---

[1]- سورة ص، الآية 77

[2]- ح: سبحانه وتعالى

[3]- ع: لا يريد

[4]- ع: سبب الإنتفاع

[5]- ح: أشرف

عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا حَظَّ لِلنِّسَاءِ فِي النُّبُوءَةِ وَالخِلَافَةِ لِضُعْفِهِنَّ عَنْ حَمْلِ أَعْبَاءِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، لِأَنَّ جَسَدَ الأُنْثَى تَكَوَّنَ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ فَقَطْ، وَفِيهَا اعْوِجَاجٌ.

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأَصْلِ الَّذِي هُوَ التُّرَابُ وَالمَاءُ[1]، لِأَنَّهَا[2] مِنَ المَاءِ وَالتُّرَابِ بِالوَاسِطَةِ لَا بِالأَصْلِ، فَفَقَدَتِ القُوَّةَ، وَرُوحُهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لِأَجْلِ آدَمَ لَا غَيْرَ، لِلتَّأْنِيسِ وَالإِعَانَةِ، وَمَا مَنَحَهَا قُوَّةً تَحْمِلُ أَعْبَاءَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَبِهَا تَعْرِفُ إِبْطَالَ قَوْلِ مَنْ قَالَ بِنُبُوءَةِ مَرْيَمَ وَأُمِّ مُوسَى.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ هَكَذَا فَكَيْفَ نُبِّئَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[3] وَهُوَ إِنَّمَا خُلِقَ مِنْ مَاءِ الأُنْثَى فَقَطْ، فَكَيْفَ تَحَمَّلَ أَعْبَاءَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ؟ **قُلْنَا** إِنَّهُ تَكَمَّلَتْ فِيهِ قُوَّةُ الذُّكُورِيَةِ بِنَفْخِ الرُّوحِ الأَمِينِ فِي فَرْجِ أُمِّهِ، وَذَلِكَ النَّفْخُ نِيَابَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ كَانَ بِأَمْرٍ إِلَهِي لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِيَارٌ لِلرُّوحِ، فَفِي ذَلِكَ النَّفْخِ سَرَتْ لَهُ كَمَالَاتُ القُوَّةِ الإِلَهِيَةِ كَمَا سَرَتْ لِآدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[4]، وَلِهَذَا الأَمْرِ وَقَعَ التَّمْثِيلُ بَيْنَهُمَا فِي الآيَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ)**[5]. الآيَةُ.

وَلِأَجْلِ القُوَّةِ الإِلَهِيَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا فِي جَمِيعِ الذُّكُورِ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ الذُّكُورُ لَهَا[6] قُوَّةٌ عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَمُقَاسَاتِ الشَّدَائِدِ وَمُعَانَاتِ الأُمُورِ الصِّعَابِ وَالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ عَلَى البَلَايَا فِي إِدْرَاكِ المَطَالِبِ وَالمَرَاتِبِ وَمُقَاسَاتِ الشَّدَائِدِ أَيْضاً فِي تَحَمُّلِ مُؤُونَةِ النَّفَقَاتِ عَلَى مَنْ تَحْتَ حُكْمِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً تَرْتِيبُ المَمْلَكَةِ فِي الأَرْضِ وَتَحَمُّلُ أَعْبَائِهَا، وَثِقْلُ مُؤُونَتِهَا، وَمُلَاقَاتُ البَأْسَاءِ وَالقِتَالِ، وَتَجَرُّعُ المَرَارَاتِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا قُدْرَةَ لِلنِّسَاءِ عَلَيْهِ، فَمَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا الحَضْرَةُ الإِلَهِيَةُ فِي ظَاهِرِ الكَوْنِ وَبَاطِنِهِ، فَالكَوْنُ كُلُّهُ حَضْرَةُ الحَقِّ، وَأَعْبَاءُ الحَضْرَةِ

---

[1] - ك ي: الذي هو الماء والتراب

[2] - ح ي: لأنهما

[3] - ح: عليه السلام

[4] - ح: عليه السلام

[5] - سورة آل عمران، الآية 59

[6] - ك م هـ ي: فلذلك كانت لجميع الذكور

الإِلَهِيَةِ هُوَ[1] مَا ذَكَرْنَاهُ[2] مِنْ مُقَاسَاتِ الرِّجَالِ لَهُ، مَعَ دَوَامِ صَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَعَدَمِ السَّئَامَةِ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ المَوْتُ بِأَحَدِهِمْ، وَالنِّسَاءُ فِي غَايَةِ العَجْزِ عَنْ مُقَاسَاتِ هَذِهِ الأُمُورِ، وَلِذَلِكَ تَرَى الرِّجَالَ صَامِتِينَ سَاكِتِينَ[3] مَعَ قَذْفِهِمْ فِي بُحُورِ الأَخْطَارِ لَا يَصِيحُونَ وَلَا يَئِنُّونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِشَيْءٍ، وَالنِّسَاءُ تَرَى مِنْهُنَّ لِأَقَلِّ قَلِيلٍ مِنَ الهَمِّ ثَوَرَانَ البُكَاءِ وَالصِّيَاحِ وَالجَزَعِ.

فَقَدْ عَرَفْتَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَبِذَا قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا أَخْبَرَ حَوَّاءَ بِمَوْتِ وَلَدِهِ هَابِيلَ حِينَ قَتَلَهُ قَابِيلُ[4]، قَالَ لَهَا: مَاتَ هَابِيلُ، قَالَتْ لَهُ: مَا مَعْنَى مَاتَ؟ قَالَ لَهَا: لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَتَحَرَّكُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهَا، فَصَاحَتْ حِينَئِذٍ صِيَاحاً شَدِيداً لِحَرِّ المُصِيبَةِ لِمَا لَمْ تَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ عَلَى تَحَمُّلِهَا.

قَالَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عَلَيْكِ وَعَلَى بَنَاتِكِ وَأَنَا وَأَوْلَادِي مِنْهُ بُرَءَاءُ لِمَا عَلِمَ فِي الذُّكُورِيَةِ وَالأُنُوثِيَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ وُجُودِ القُوَّةِ وَفَقْدِهَا. فَإِنَّهُ عَلِمَ مَوْتَ هَابِيلَ قَبْلَهَا فَمَا جَزَعَ وَلَا صَاحَ وَلَا اضْطَرَبَ، فَظَهَرَتْ قُوَّةُ الذُّكُورِيَةِ عَلَى الأُنُوثِيَةِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ[5]: مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ القُوَّةِ فِي الذُّكُورِيَةِ لَا يَصِحُّ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً)**[6]. وَقَوْلِهِ[7] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ)**[8]. وَقَوْلِهِ: **(الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً)**[9].

---

[1]- ح: (هو) ساقطة

[2]- ح: ذكرنا

[3]- ك ي: ساكتين صامتين

[4]- ع ك هـ ق ص: قابل

[5]- ح ص ق: فإن قيل

[6]- سورة النساء، الآية 28

[7]- ك: ولقوله

[8]- سورة الروم، الآية 54

[9]- سورة الأنفال، الآية 66

قُلْنَا الجَوَابُ عَنْ هَذَا[1]: **اعْلَمْ** أَنَّ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعْفِ لَا يُنَافِي القُوَّةَ، ثُمَّ إِنَّ الضُّعْفَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا طَرَأَ عَلَى الجَسَدِ الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ الإِنْسَانِ فَقَطْ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ إِلَّا جَسَدَهُ فَقَطْ، وَمَا ذَكَرَ خَلْقَ رُوحِهِ إِلَّا رَمَزَ لَهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(قُلِ الرُّوحُ مِنَ أَمْرِ رَبِّي)**[2]. وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ مِنْ نُطْفَةٍ)**[3]. الآيَةُ. وَالمُرَادُ بِذَلِكَ جَسَدُهُ لَا رُوحُهُ، وَقَوْلِهِ: **(خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)**[4]. وَالمُرَادُ بِهِ الجَسَدُ، وَقَوْلِهِ: **(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ)**[5]. الآيَةُ.

كُلُّ ذَلِكَ يُرَادُ بِهِ الجَسَدُ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةُ المَاءِ وَالتُّرَابِ فَلَيْسَا دَائِمَيْنِ، لِأَنَّهُمَا يَنْهَدِمَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقُوَّتُهُمَا لَيْسَتْ دَائِمَةً. كَذَلِكَ جَسَدُ الإِنْسَانِ قُوَّتُهُ الَّتِي هِيَ مِنَ المَاءِ وَالتُّرَابِ لَيْسَتْ دَائِمَةً، وَلِذَا تَرَى جَسَدَ الإِنْسَانِ يَتَلَاشَى فِي حَيَاتِهِ وَيَنْتَقِلُ فِي الأَطْوَارِ وَالتَّغَيُّرَاتِ مِنَ الصِّبَا إِلَى الطُّفُولِيَةِ إِلَى الشَّبَابِ إِلَى الكُهُولَةِ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ قُوَّتَهُ لَيْسَتْ دَائِمَةً كَمَا كَانَتْ قُوَّةُ المَاءِ وَالتُّرَابِ. وَأَمَّا رُوحُهُ فَإِنَّهَا مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي الَّذِي هُوَ خَالِصُ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَلَهَا مِنَ القُوَّةِ مَا لَا غَايَةَ لَهُ فَلِذَا بَقِيَتْ لِلأَبَدِ لَا يُدْرِكُهَا الفَنَاءُ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ حَدُّ الأُنُوثِيَةِ فِي الضُّعْفِ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ[6] فَكَيْفَ يَصِحُّ لِسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ[7] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ تَتَحَمَّلَ[8] أَعْبَاءَ الخِلَافَةِ الإِلَهِيَةِ[9]؟

---

[1]- ح: (الجواب عن هذا) ساقطة

[2]- سورة الإسراء، الآية 85

[3]- سورة الإنسان، الآية 2

[4]- سورة العلق، الآية 2

[5]- سورة الحج، الآية 5

[6]- ح: ذكرت

[7]- ح: فكيف يصح لفاطمة رضي الله عنها

[8]- ح: أن تتحمل قوة

[9]- ي: (الإلهية) ساقطة

قُلْنَا: الجَوَابُ عَنْ هَذَا[1] أَنَّ فِي رُوحِهَا قُوَّةً لَيْسَتْ كَقُوَّةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ إِنَّ جَسَدَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَكَوَّنَ عَنِ اسْتِمْدَادَاتِ[2] الجَنَّةِ، وَالجَنَّةُ كُلُّهَا فِي غَايَةِ القُوَّةِ، لِأَنَّهَا دَارُ التَّجَلِّي لِلحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَوَّاهَا جَلَّ جَلَالُهُ[3] بِقُوَّتِهِ الكَامِلَةِ فَكُلُّ شَيْءٍ عَنْهَا[4] هُوَ فِي غَايَةِ القُوَّةِ وَالمَتَانَةِ وَالثُّبُوتِ لِلتَّجَلِّيَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَكَانَ جَسَدُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ هُنَالِكَ[5]، لِأَنَّ نُطْفَتَهَا نُطْفَتَهَا تَكَوَّنَتْ عَنْ تُفَّاحَةٍ مِنَ الجَنَّةِ، فَاسْتَمَدَّتْ بِذَلِكَ مِنَ القُوَّةِ الإِلَهِيَةِ فِي رُوحِهَا وَجَسَدِهَا مَا لَيْسَ لِلنِّسَاءِ فِيهِ نَصِيبٌ[6]، فَبِذَلِكَ تَحَمَّلَتْ أَعْبَاءَ الخِلَافَةِ الإِلَهِيَةِ. وَقَدْ بَسَطْنَا الكَلَامَ عَلَى[7] ذَلِكَ فِي أَجْوِبَتِنَا[8]. فَمَنْ أَرَادَهُ فَلْيُطَالِعْهُ وَالسَّلَامُ.

وَأَمَّا[9] **نُبُوَّةُ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** تُؤْخَذُ مِنْ مُضَمَّنِ الآيَاتِ لَا مِنْ ظَاهِرِهَا، وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ[10] أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[11] نَزَلَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَةُ الحُرُوفِ وَفِيهَا[12] تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفاً، قَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: إِنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ. قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ. قَالَ الصَّحَابِيُ: بِلَامِ الأَلِفِ. قَالَ لَهُ: نَعَمْ)،

1- ح: قلنا: اعلم

2- ح: استمداد

3- ح: فقواها سبحانه وتعالى

4- ح ي: منها

5- ح ك م هـ ق ص ي: هناك

6- ح: ما ليس فيه للنساء نصيب

7- ك هـ: في

8- ح: وقد بسطنا الكلام عليها رضي الله عنها في أجوبتنا غاية البسط

9- ح: ثم قال: وأما

10- ح: (في الحَدِيثِ) ساقطة

11- ح: عليه السلام

12- ح: ومنها

وَالدَّلِيلُ عَلَى نُبُوَّتِهِ أَيْضاً يُؤْخَذُ مِنْ لَفْظِ الخِلَافَةِ، لِأَنَّ مَنِ اسْتَخْلَفَهُ الحَقُّ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَعْنًى مَّا مِنْ مُسْتَخْلِفِهِ، وَهُوَ هُنَا احْتِوَاؤُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَسْمَاءِ الكَوْنِيَّةِ وَالإِلَهِيَةِ[1]، الَّتِي بِهَا نِظَامُ الكَوْنِ وَقِوَامُهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)**[2]. وَعِلْمُهُ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ فَرْعٌ عَنِ الصِّدِّيقِيَةِ، وَلَكِنَّ الفَرْعَ هُنَا أَعْلَى مِنَ المُتَفَرَّعِ عَنْهُ، وَالصِّدِّيقِيَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ وَأَدَبِهِ، وَإِنْ كَانَ العَقْلُ يُجَوِّزُهَا بِدُونِهِ لَكِنَّ الحِكْمَةَ الظَّاهِرَةَ لَا تَكُونُ الصِّدِّيقِيَةَ إِلَّا عَنْ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ، وَالأَحْكَامُ التَّكْلِيفِيَةُ لَا تَكُونُ نَاشِئَةً إِلَّا عَنْ أَخْبَارِ نُبُوءَةٍ، وَأَخْبَارُ النُّبُوءَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ لِبَعْضِ أَنْبِيَائِهِ، أَوْ مِنْ نَبِيءٍ لِبَعْضِ أَتْبَاعِهِ[3]، وَسَيِّدُنَا آدَمُ ثَبَتَ لَهُ جَمِيعُ مَا ذُكِرَ مِنَ الخِلَافَةِ وَالصِّدِّيقِيَةِ، وَلَيْسَ قَبْلَهُ نَبِيءٌ، فَثَبَتَ أَنَّهُ نَبِيٌّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(فَإِمَّا يَاتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى)**[4]. بَعْدَ قَوْلِهِ: **(اهْبِطُوا)**[5]. فَإِنَّ الهِدَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ هَادِياً مَهْدِيّاً، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيئاً أَوْ وَارِث نَبِيءٍ، وَسَيِّدُنَا آدَمُ لَمْ يَرِثْ نَبِيئاً، فَثَبَتَ أَنَّهُ نَبِيءٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، **ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَتْمِيمِ الكَلَامِ عَلَى أَقْسَامِ الوَحْيِّ وَتَفْصِيلِهِ**[6]، **فَأَقُولُ:** اعْلَمْ أَنَّ[7] بِالنَّظَرِ[8] فِي أَقْسَامِ الوَحْيِّ وَتَمَامِهِ[9] يُعْرَفُ

---

[1]- ح: الكونية الإلهية

[2]- سورة البقرة، الآية 31

[3]- ع هـ ق ص: أو من نبيءٍ لبعض

[4]- سورة البقرة، الآية 38

[5]- سورة البقرة، الآية 38

[6]- ح: (وتفصيله) ساقطة

[7]- ح: (فَأَقُولُ: اعْلَمْ أَنَّ) ساقطة

[8]- ح: وبالنظر

[9]- ح: (وتمامه) ساقطة

كَمَالُ اجْتِهَادِ النَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1] فِي طَلَبِهِمُ الحَقَّ وَالصَّوَابَ فِي الحُكْمِ بِأَمْرِ اللَّهِ،

فَإِنَّهُمْ لَا يُفَارِقُونَ أَقْسَامَ الوَحْيِّ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ حُكْمُهُ[2] حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي بَاطِنِ الأَمْرِ، لِكَوْنِهِ أَخَذَ الحُكْمَ عَنِ اللَّهِ أَيْنَ مَا أَخَذَهُ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِّ، لِأَنَّ الخَطَأَ فِي الحُكْمِ لَا يَتَأَتَّى إِلَّا بِمُمَازَجَةِ الطِّبَاعِ البَشَرِيَّةِ لِنُورِ العَقْلِ وَتَخَبُّطِهِ فِي بَعْضِ دَوَاعِي الهَوَى وَوُقُوعِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ بُنَيَات الطَّرِيقِ الَّتِي ذَكَرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ لَهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)**[3].

قَالَ: (خَطَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطّاً مُسْتَقِيماً وَقَالَ: هَذَا هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، ثُمَّ خَطَّ حَوْلَهُ خُطُوطاً صِغَاراً رِقَاقاً، أَوْ كَمَا قَالَ. وَقَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا)، وَهِيَ حَوْلَ ذَلِكَ الخَطِّ، وَتُسَمَّى فِي اللُّغَةِ بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا طُرُقٌ لَكِنَّهَا خَفِيَّةٌ، وَقَدْ قَالَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا)، فَمَنْ تَخَلَّصَ مِنْهَا عَرَفَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّوَازِلِ بِتَأْيِيدٍ إِلَهِي، وَنُورٍ رَبَّانِي. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً)**[4].

وَهَذَا الفُرْقَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ نُورٌ يُمِدُّ بِهِ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فَيُظْهِرُ لَهُ بِذَلِكَ النُّورِ صُورَةَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَصْحَابُ هَذَا إِذَا أَدْرَكَتْهُمُ العِنَايَةُ الإِلَهِيَةُ مَهْمَا نَظَرَ فِي نَازِلَةٍ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى تَبَدَّى لَهُ فِي البَاطِنِ كِسْوَتُهَا بِأَنْوَارٍ عَظِيمَةِ المِقْدَارِ، فَيَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَنَّ تِلْكَ المَسْأَلَةَ وَاجِبَةٌ، وَإِنْ ظَهَرَ لِبَاسُ النُّورِ عَلَيْهَا ضَعِيفاً عَلِمَ أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ مَنْدُوبَةٌ، وَإِنْ رَأَى عَلَيْهَا ظَلَاماً مُتَرَاكِماً عَلِمَ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ، وَإِنْ رَأَى عَلَيْهَا ظَلَاماً خَفِيفاً عَلِمَ أَنَّهَا مَكْرُوهَةٌ، وَإِنْ

---

[1]- ح: (عليهم الصلاة والسلام) ساقطة

[2]- ح ك م ي: كان حكمه هو

[3]- سورة الأنعام، الآية 153

[4]- سورة الأنفال، الآية 29

لَمْ يَرَ عَلَيْهَا لَا نُوراً وَلَا ظُلْمَةً عَلِمَ أَنَّهَا مُبَاحَةٌ، وَهَذَا لِأَرْبَابِ الكَشْفِ بِالغَيْبِ لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِغَيْرِهِمْ،

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ اجْتِهَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأُمُورِ لَيْسَ كَاجْتِهَادِ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ مَا أَخَذَ الحُكْمَ وَالأَمْرَ مِنْ أَيِّ أَقْسَامِ الوَحْيِّ كَانَ مِنَ الأَقْسَامِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كَانَ آخِذاً الحُكْمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَ[1] **(لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)**[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَيْفَ مَا حَكَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ[3] هُوَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الغَلَطُ وَلَا السَّهْوُ وَلَا الضَّلَالُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ أَصْلاً[4]، وَلِذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)**[5].

فَكُلُّ أَحْكَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِ كُلُّهَا بِطَرِيقِ الوَحْيِّ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُخَامَرَةِ الهَوَى وَلَا مِنْ طِبَاعِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي تَخْرُجُ عَنِ الحَقِّ، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنْ جَمِيعِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ[6] عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى هَذَا المَهْيَعِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ كَمُلَ خُلُوصُهُ إِلَى أَوْطَانِ القُرْبِ وَالتَّمْكِينِ مِنْ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي لَا مَطْمَعَ فِيهَا لِغَيْرِهِ أَنَّهُ قَائِمٌ فِيهَا بِتَكْمِيلِ الأَدَبِ وَتَكْمِيلِ وَظَائِفِ الخِدْمَةِ فِي كُلِّ مَا بَرَزَ عَنِ[7] الحَضْرَةِ مِنَ الأَسْرَارِ وَالتَّوَقُّعَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ فِي ظَاهِرِ العِلْمِ[8] وَبَاطِنِهِ وَبَاطِنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَلَا يَفْتُرُ مِنْ ذَلِكَ مِقْدَارَ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَلَا يَقَعُ مِنْهُ التَّفْرِيطُ فِي

---

[1] - ح: (فَ) ساقطة ـ ي: فإنه

[2] - سورة فصلت، الآية 42

[3] - ح: (كان) ساقطة

[4] - ح: (بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ أَصْلاً) ساقطة

[5] - سورة النور، الآية 54

[6] - ح: (وَالمُرْسَلِينَ) ساقطة

[7] - ح: من

[8] - ح: العالم

تَكْمِيلِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ التَّجَلِّيَاتِ، كُلُّ مَا بَرَزَ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ عَلَى غَايَةِ كَثْرَتِهَا وَعَدَمِ نِهَايَتِهَا يُعْطِيهَا حَقَّهَا مِنَ العُبُودِيَةِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ وَلَا ضُعْفٍ وَلَا تَزَحْزُحٍ عَنْ مَوْقِفِ الكَمَالِ،
فَإِنَّ أَطْوَارَ الوُجُودِ بِكُلِّ مَا تَطَوَّرَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ دَفْعٍ أَوْ جَلْبٍ أَوْ إِعْطَاءٍ أَوْ مَنْعٍ أَوْ تَحْرِيكٍ أَوْ تَسْكِينٍ أَوْ تَمْكِينٍ أَوْ تَلْوِينٍ إِلَى سَائِرِ أَقْسَامِ التَّطَوُّرَاتِ مِمَّا يَعْرِفُهُ العَامَّةُ فِي ظَوَاهِرِ الوُجُودِ وَمَا يَتَطَوَّرُ فِي بَوَاطِنِ الوُجُودِ مِنَ الإِرَادَاتِ وَالتَّخَيُّلَاتِ وَالتَّوَهُّمَاتِ وَالخَوَاطِرِ وَالأَفْكَارِ.
كُلُّ ذَلِكَ تَجَلِّيَاتُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِآثَارِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، مَا ثَمَّ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّ مَا سَمِعْتَ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْقِفِ كَمَالِهِ دَائِماً أَبَداً سَرْمَداً يُعْطِي جَمِيعَ[1] التَّجَلِّيَاتِ حَقَّهَا، وَيُوَفِّي أَدَبَهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ، وَلِذَا بَرَّأَهُ اللَّهُ مِنَ الهَوَى بِقَوْلِهِ جَلَّ عُلَاهُ[2]: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)**[3].
وَلَيْسَ مِنَ الوَحْيِ عِنْدَ أَرْبَابِ الظَّوَاهِرِ إِلَّا مَجِيءُ المَلَكِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالخَبَرِ لِلنَّبِيئِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَا يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْيِ غَيْرَ هَذَا، فَلِذَلِكَ تَخَبَّطُوا فِي مَعَانِي هَذِهِ الآيَةِ تَخَبُّطاً كَبِيراً لَمْ يَقَعُوا مِنْهُ عَلَى تَحْقِيقٍ وَإِنَّمَا الأَمْرُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَحْيٍ يُوحَى إِنَّمَا هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ، فَإِنَّ مَنْ[4] كَانَ مَوْقِفُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الحَضْرَةِ بِالكَمَالِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَهَّرَهُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ لَهُ نَقْصاً أَوْ شَيْناً أَوْ لَوْماً أَوْ إِبْعَاداً أَوْ ذَمّاً، فَبِكَمَالِ طَهَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِوَحْيٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى** مِنْ كَوْنِهِ يَأْخُذُ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا. وَلَيْسَ وَحْيُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّحْقِيقِ لِمَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ إِلَّا إِعْلَامُهُ بِأَمْرِهِ لِمَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ بِأَنَّ الأَمْرَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ مِمَّا هُوَ مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا هُوَ الوَحْيُ، وَيَكُونُ صَاحِبُهُ لَا خُرُوجَ لَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

---

[1] - ح: وجميع
[2] - ح: (جَلَّ عُلَاهُ) ساقطة
[3] - سورة النجم، الآية 3-4
[4] - ح: (من) ساقطة

ثُمَّ إِنَّهُ تُورَدُ عَلَيْنَا هُنَا اعْتِرَاضَاتٌ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِحَقِيقَةِ الأَمْرِ. **الإِعْتِرَاضُ الأَوَّلُ** هُوَ[1] أَنْ يَقُولَ المُعَارِضُ إِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ بِوَحْيِ فَمَا بَالُ القَضِيَّةِ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبَيْباً وَأَصْحَابَهُ مَعَ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الإِسْلَامَ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يُفَقِّهُهُمْ[2] فِي الدِّينِ، فَبَعَثَ مَعَهُمْ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبَيْباً وَعَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ ابْنِ أَبِي الأَقْلَحِ فِي رِجَالٍ مَعَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغُوا أَرْضَهُمْ أَظْهَرُوا كُفْرَهُمْ وَقَتَلُوهُمْ إِلَّا خُبَيْباً فَإِنَّهُمْ بَاعُوهُ لِقُرَيْشٍ، فَقَتَلَتْهُ قُرَيْشٌ. فَلَوْ كَانَتِ القَضِيَّةُ عَنْ وَحْيٍ مَا بَلَغَتْ هَذَا المَبْلَغَ.

قُلْنَا[4] الْجَوَابُ[5] عَنْ هَذَا الإِعْتِرَاضِ: اعْلَمْ[6] أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمِلَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**)[7]. وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم**)[8]، فَكَانَ عَمَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[9] فِيهَا بِهَذَا الوَحْيِ، وَكَوْنُهُ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ الأَمْرِ وَلَا عَرَّفَهُ اللَّهُ بِصَرْفِ البَلَاءِ عَنْهُ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ الَّذِي أَصَابَ أَصْحَابَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ خَلْقَهُ إِذَا كَلَّفَهُمْ بِأَمْرٍ بِجَمِيعِ مَا يُلَاقُونَ مِنَ البَلَايَا، إِنَّمَا كَلَّفَهُمْ لِيُوَفُّوا بِأَمْرِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ فِيهَا الهَلَاكُ الدُّنْيَوِي، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَلَّفَ عِبَادَهُ بِتَوْفِيَةِ أَمْرِهِ لِيُكَمِّلَ ثَوَابَهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ وَيَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ،

1- ح: (هو) ساقطة

2- ح: يُفَهِّمْهُمْ - ي: يفقهم

3- ح: (مَعَهُمْ) ساقطة

4- ح هـ: (قلنا) ساقطة

5- ح هـ: وَالجَوَابُ

6- ح هـ: (اعْلَمْ) ساقطة

7- سورة المائدة، الآية 67

8- سورة النحل، الآية 44

9- ح: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

وَأَمَّا بَلَاءُ الدُّنْيَا فَمَا أَخْبَرَهُمْ فِي تَكْلِيفِهِ بِأَنَّهُ لَا يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ فِي تَوْفِيَةِ أَمْرِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾**[1]. أَلَا تَرَى كَيْفَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ لِلخَلْقِ، وَفِي الرُّسُلِ مَنْ كَانَتْ عَاقِبَتُهُ أَنْ قَتَلَتْهُ أُمَّتُهُ، فَلَيْسَ لِلرَّسُولِ أَنْ يَلُومَ رَبَّهُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ مُعَاتِباً: كَيْفَ تُرْسِلُنِي إِلَيْهِمْ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَنِي، فَلَوْ عَلِمْتُ بِهَذَا مَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِمْ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُعَاتِبَ اللَّهَ بِهَذَا العِتَابِ، وَلَكِنَّهُ بَلَاءٌ لَحِقَهُ فِي تَأْدِيَةِ التَّكْلِيفِ، فَثَوَابُهُ وَاقِعٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُخَاصِمَ رَبَّهُ. فَهَذَا جَوَابُ هَذِهِ القَضِيَّةِ.

وَالإِعْتِرَاضُ[2] الثَّانِي هُوَ[3] أَنْ يَقُولَ المُعَارِضُ مَثَلاً كَيْفَ تَصْنَعُ فِي قَضِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ بَعَثَ أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ مُبَلِّغِينَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ رِسَالَتَهُ وَأَحْكَامَهُ وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ. وَكَانَ الَّذِي أَثَارَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبُو بَرَاءٍ العَامِرِي حَيْثُ قَالَ لَهُ: أَنَا جَارٌ لَهُمْ[4] إِذْ كَانَ قَالَ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ بَعَثْتَ أَصْحَابَكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِكَ لَرَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ.

قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ. قَالَ لَهُ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ). وَالجَارُ هُوَ المَانِعُ، فَبَعَثَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، قَتَلُوهُمْ أَهْلُ نَجْدٍ إِلَّا عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ كَانَ أَعْتَقَهُ عَدُوُّ اللَّهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَقَدْ كَانَ أَرَادَ قَتْلَهُ، ظَنَّ أَنَّهُ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْتُ مِنَ الأَنْصَارِ، إِنَّمَا أَنَا مِنْ مُضَرٍ. فَقَالَ لَهُ عَدُوُّ اللَّهِ: كَانَ نَذْرٌ عَلَى أُمِّهِ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، فَحَيْثُ أَنْتَ مِنْ مُضَرٍ، أَنْتَ هُوَ. فَأَعْتَقَهُ فِي نَذْرِ أُمِّهِ، فَمَا نَجَا مِنْ أُولَئِكَ الرَّهْطِ غَيْرُهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَهُ بِمَقْتَلِ أَصْحَابِهِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]: (هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ لِي، قَدْ كُنْتُ لِبَعْثِهِمْ كَارِهاً) وَقَدْ تَوَجَّعَ بَاطِنُهُ لِذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 23

[2]- م: الاعتراض

[3]- ح: (هو) ساقطة

[4]- ح ق: أنا لهم جارٌ

[5]- ح: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ تَوَجَّعَ بَاطِنُهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]. يَقُولُ المُعَارِضُ: لَوْ كَانَ هَذَا عَنْ[2] وَحْيٍّ مَا حَلَّ بِهِمْ هَذَا الأَمْرُ[3] وَلَا قَالَ: كُنْتُ لِبَعْثِهِمْ كَارِهاً.

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا الاعْتِرَاضِ[4]: اعْلَمْ[5] أَنَّ أَذْوَاقَ العَارِفِينَ فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَعْيَانَ المَوْجُودَاتِ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ. الآيَةُ. فَمَا فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَجَلَّى بِصُوَرِهَا وَأَسْمَائِهَا، وَمَا ثَمَّ إِلَّا أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، فَظَاهِرُ الوُجُودِ صُوَرُ المَوْجُودَاتِ، وَصُوَرُهَا وَأَسْمَاؤُهَا ظَاهِرَةٌ بِصُوَرِ[6] الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَهُوَ مَقَامُ أَصْحَابِ الحِجَابِ الَّذِينَ حُجِبُوا بِظَاهِرِ[7] المَوْجُودَاتِ عَنْ مُطَالَعَةِ الحَقِّ فِيهَا، وَإِنَّمَا[8] مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِينَ الكَوْنُ عِنْدَهُمْ مُعْتَقَدٌ فَقَطْ.

وَالظَّاهِرُ المَحْضُ إِنَّمَا هُوَ وُجُودُ الحَقِّ وَحْدَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا رَأَيْتَ مَا يَظْهَرُ مِنْ صُوَرِ المَوْجُودَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ وَتَبَايُنِ أَشْكَالِهِ، وَتَشْتِيتِ أُمُورِهِ مِنْ مَذْمُومِهِ وَمَحْمُودِهِ فَمَا فِيهَا إِلَّا تَجَلِّيَاتُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشُئُونِهِ. قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: **(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)**[9].

وَتِلْكَ الشُّئُونُ فِي المَوْجُودَاتِ هِيَ تَجَلِّيَاتُهُ فِيهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِضُرُوبِ أُمُورِهِ وَاخْتِلَافِ شُؤُونِهِ، **فَيَقُولُ المُعَارِضُ مَثَلاً:** إِذَا كَانَ هَذَا أَمْرُ الصِّدِّيقِينَ، فَكَيْفَ يَتَعَقَّلُ أَنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَهُ، وَهَذَا مُحِبٌّ لَهُ، وَهَذَا يَحْمَدُهُ، وَهَذَا يَذُمُّهُ، وَهَذَا يُفِيضُ عَلَيْهِ الخَيْرَاتِ، وَهَذَا يَتَرَصَّدُ لَهُ

---

[1]- ح: (وَقَدْ تَوَجَّعَ بَاطِنُهُ لِذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

[2]- ك: (عن) ساقطة

[3]- ح: (الأمر) ساقطة

[4]- ح: (الاعتراض) ساقطة

[5]- ح: (اعلم) ساقطة

[6]- ك م ي: بصورة

[7]- ك ق: بظواهر

[8]- ك ي: وأما

[9]- سورة الرحمان، الآية 29

الهَلَاكَ وَالشُّرُورَ، وَالحَقُّ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَعَدَّدُ، فَكَيْفَ يَكُونَ هَذَا فِي الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَرَى اخْتِلَافَ أَحْوَالِ الأَكْوَانِ.

الجَوَابُ[1]: اعْلَمْ أَنَّ[2] عِنْدَ الصِّدِّيقِ بَلْ كُلِّ صِدِّيقٍ مِنَ العِلْمِ القَطْعِيِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِطَرِيقِ الوَحْيِّ التَّحْقِيقِي بِمَا أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنَ العُلُومِ، وَعَرَّفَهُ مِنْ حَقَائِقِهَا كَأَنَّهُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَا الوَاحِدُ الحَقُّ الَّذِي لَا شَيْءَ غَيْرِي وَأَتَجَلَّى فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَا أَشَاءُ مِنَ الشُّئُونِ سَوَاءٌ طَابَقَتِ الأَغْرَاضَ أَوْ خَالَفَتْهَا. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِكُلِّ صِدِّيقٍ: إِنَّ تَجَلِّيَاتِي فِي فُلَانٍ لَكَ لَا أُعْطِيكَ مِنْهُ إِلَّا صُورَةَ المَحَبَّةِ وَإِفَاضَةَ الخَيْرَاتِ مِنْهُ وَأَثَرْتُكَ[3] عَلَى نَفْسِهِ، وَكَذَا فِي بَنِي فُلَانٍ لَا أَتَجَلَّى لَكَ فِيهِمْ إِلَّا بِصُورَةِ المَحَبَّةِ وَالنِّعْمَةِ وَبَذْلِ الخَيْرَاتِ، وَكَذَا فِي بَلَدِ كَذَا لَا أَتَجَلَّى لَكَ فِيهِمْ إِلَّا بِصُورَةِ المَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَمَا ثَمَّ غَيْرِي، إِنَّمَا هُمْ صُوَرٌ لَا شَيْءَ فِيهَا، فَاحْمَدْنِي وَاشْكُرْنِي عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّ فُلَاناً مَثَلاً لَا أَتَجَلَّى لَكَ فِيهِ إِلَّا بِصُورَةِ العَدَاوَةِ المَحْضَةِ وَالشَّرِّ البَالِغِ وَالقَهْرِ وَالقَتْلِ، فَخَفْ مِنِّي وَاحْذَرْنِي فِيهِ وَلَا تَأْمَنْ مَكْرِي فِيهِ، فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ بِكَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ إِلَّا شَرّاً، وَلَا تَرَى مِنِّي فِيهَا إِلَّا شَرّاً.

وَكَذَا فِي بَنِي فُلَانٍ لَا تَرَى مِنِّي فِيهِمْ إِلَّا شَرّاً وَهَلَاكاً وَضَرَراً وَكَذَا فِي بَلَدِ كَذَا لَا تَرَى مِنِّي فِيهَا إِلَّا ذُلّاً وَإِهَانَةً وَانْخِفَاضاً وَاسْتِكَانَةً، وَلَا تَرَى مِنِّي فِيهِمْ مَا تُحِبُّ أَصْلاً، فَخَفْ مِنِّي وَاحْذَرْنِي فِي جَمِيعِهِمْ، وَلَا تَأْمَنْ مَكْرِي فِيهِمْ، وَكُنْ شَدِيدَ الإِحْتِرَازِ مِنِّي فِيهِمْ. فَمَا ثَمَّ غَيْرِي فِي جَمِيعِهِمْ، فَأَنَا المُتَجَلِّي فِيهِمْ بِشُئُونِي، فَإِنَّكَ إِنْ أَمِنْتَ مِنِّي فِيهِمْ أَهْلَكْتُكَ، وَسَلِّمْ لِي تَدْبِيرِي فِي مُلْكِي، وَسَلِّمْ تَصْرِيفَ[4] مَشِيئَتِي، فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مَقْهُورٌ تَحْتَ حُكْمِي وَإِرَادَتِي، وَلَوْ بَلَغْتَ مِنَ الشَّرَفِ عِنْدِي إِلَى الذِّرْوَةِ العُلْيَا، فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدِي لَا خُرُوجَ لَكَ عَنِ العُبُودِيَةِ، كَمَا أَنِّي أَنَا الإِلَهُ الكَامِلُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مُنَاقَشَتِي أَحَدٌ فِي مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ، وَلَيْسَ لَكَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَنْ تَقُولَ:

---

[1]- ي: والجواب

[2]- ح: فالجواب أن

[3]- ح م ص: وَأَثْرَتُكَ مِنْهُ

[4]- ح: تصرُّف

أَنَا لَكَ مُحِبٌّ وَلِأَمْرِكَ مُطِيعٌ فَكَيْفَ تَفْعَلُ بِي شَرّاً فِي صُوَرِ المَوْجُودَاتِ، لَيْسَ لَكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَنَا إِلَهٌ[1] أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ وَأَحْكُمُ مَا أُرِيدُ، رَضِيَ العَبِيدُ أَمْ سَخِطُوا، وَلَيْسَ لَكُمْ مَعْشَرَ العَبِيدِ إِلَّا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ أَنْ تُحَجِّرُوا تَجَلِّيَاتِي فِي خَلْقِي فَتَجْعَلُوهَا جَارِيَةً عَلَى أَغْرَاضِكُمْ، فَهَذَا مَشْهَدُ الصِّدِّيقِينَ، فَإِنَّهُمْ فِي كُلِّ مَا يَرَوْنَ مِنَ الوُجُودِ لَمْ يَرَوْا عَلَى البَدِيهَةِ إِلَّا الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ وَتَجَلَّى بِهِ، فَهُمْ يَأْخُذُونَ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى[2] فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الوُجُودِ ظَاهِراً وَبَاطِناً. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا مَشْرَبُ الصِّدِّيقِينَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ غَرِيقَ هَذَا البَحْرِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ إِلَّا نُقْطَةٌ مِنْ هَذَا البَحْرِ.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ فِي مَظْهَرِ أَبِي بَرَاءٍ العَامِرِيِّ حَيْثُ خُوطِبَ بِالخِطَابِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الأَمْرِ بِقَوْلِهِ: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**[3]. فَهُوَ يُبَلِّغُ. وَحَيْثُ عَرَضَ عَلَيْهِ أَبُو بَرَاءٍ بِبَعْثِ[4] أَصْحَابِهِ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ لِيُومِنُوا بِهِ، قَالَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَإِنَّهُ مَا تَعَقَّلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا مَحْضَ تَجَلِّيهِ عَلَيْهِ بِالشَّرِّ فِيهِمْ، فَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]: أَخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَإِنَّهُ كَمَا قَدَّمْنَا فِي حَقِّ الصِّدِّيقِ أَنَّ العِلْمَ القَطْعِيَّ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ:

أَنَّ أَهْلَ نَجْدٍ لَا أَتَجَلَّى عَلَيْكَ فِيهِمْ إِلَّا بِالشَّرِّ، فَخَفْنِي فِيهِمْ، وَاحْذَرْ مِنِّي فِيهِمْ، وَلَا تَأْمَنْ مِنْ[6] مِنْ[6] مَكْرِي فِيهِمْ. فَلَمَّا خَاطَبَهُ أَبُو بَرَاءٍ قَالَ[7]: أَنَا لَهُمْ جَارٌ، وَالجَارُ قُلْنَا هُوَ المَانِعُ، وَأَبُو بَرَاءٍ بَرَاءٍ مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ الحَقِّ، وَسَمِعَ خِطَابَ الحَقِّ فِيهِ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا

1- ح: الإله

2- ح: (تعالى) ساقطة

3- سورة المائدة، الآية 67

4- ح هـ ق ص: أن يبعث

5- ح: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

6- ك ي: (من) ساقطة

7- ك ي: قال له

يَفْعَلُ مَعَهُ إِلَّا شَرّاً فِيهِمْ، فَوَثِقَ بِقَوْلِ أَبِي بَرَاءٍ، وَوُثُوقُهُ بِهِ مِنْ حُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ القَوْلَ يَحْمِيهِ مِمَّا خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْهُ أَوَّلاً.

فَإِنَّهُ أَوَّلاً امْتَنَعَ مِنْ بَعْثِهِمْ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ بِاللَّهِ[1] أَنَّهُ لَا يَتَجَلَّى[2] لَهُ فِيهِمْ إِلَّا بِصُورَةِ الشَّرِّ، فَلِهَذَا العِلْمِ المُقَرَّرِ عِنْدَهُ قَالَ فِي آخِرِ الأَمْرِ: كُنْتُ لِبَعْثِهِمْ كَارِهاً، وَكَرَاهِيَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] لِأَجْلِ هَذَا العِلْمِ. فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَ أَبِي بَرَاءٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا خِطَابُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، وَهُوَ صَرِيحُ الوَحْيِّ الَّذِي هُوَ قَذْفُ العِلْمِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى بَصِيرَةِ الصِّدِّيقِ فِي صُوَرِ المَرَاتِبِ، فَإِذَا أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى بِمَا سَمِعَ مِنْ أَبِي بَرَاءٍ، وَظَنَّ أَنَّمَا خَوَّفَهُ مِنْهُ أَوَّلاً سَتُطْفَى[4] نَارُهُ وَيَعْقُبُهُ الخَيْرُ، فَمَا تَمَكَّنَ مَا ظَنَّهُ، وَأُوقِعَ الأَمْرُ عَلَى مَا خُوِّفَ مِنْهُ أَوَّلاً،

وَرَدَّ الذَّمَّ إِلَى أَبِي بَرَاءٍ ظَاهِراً، وَلَمْ يَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ قِيَاماً بِحَقِّ الأَدَبِ وَمُرَاعَاتِ بَاطِنِ[5] العِلْمِ الإِلَهِي مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَا ثَمَّ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ الوَحْيُّ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ. فَفِعْلُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ مِنْ بَعْثِهِمْ بِوَحْيٍّ يُوحَى، حَيْثُ أَخَذَ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ فِي مَرْتَبَةِ أَبِي بَرَاءٍ، وَظَنَّ أَنَّ مَا خُوِّفَ مِنْهُ أَوَّلاً لَا يَقَعُ، فَمَا خَرَجَ عَنِ الوَحْيِّ. انْتَهَى.

وَكَذَا يَقُولُ المُعَارِضُ أَيْضاً فِي قَضِيَّةِ غَنِيمَةِ بَدْرٍ[6] حَيْثُ ابْتَدَرُوهَا[7]، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ[8] لَهُمْ وَحْيٌّ إِلَهِي فِي تَحْلِيلِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ[9] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[10]: **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا**

---

[1]- ح: من العلم بالله تعالى

[2]- ح: لا تجلي

[3]- ح: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[4]- ح: سَتُطْفَأُ

[5]- ح: لباطن

6- ح: الغنيمة في بدر

[7]- ي: في قضية غنيمة بدر فتدروها

8- ح: ولم يقع

9- ح: (الله) ساقطة

[10]- ي: (تعالى) ساقطة

أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1]. فَلَوْ كَانَ أَخْذُ الغَنِيمَةِ عَنْ وَحْيٍّ إِلَهِي مَا وَقَعَ هَذَا؟ **الجَوَابُ اعْلَمْ**[2]: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ اعْتِقَاداً لَا تَصْرِيحاً، حَيْثُ أَمَرَهُ بِجِهَادِ[3] المُشْرِكِينَ وَتَضْيِّيقِ الأَمْرِ عَلَيْهِمْ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُبِيحُ لَهُ أَمْوَالَهُمْ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ لِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ لَمْ يَتَأَتَّ لَهُ القِتَالُ، لِأَنَّهُ يُحْتَاجُ فِي القِتَالِ إِلَى السَّيْفِ وَالسِّلَاحِ وَالخَيْلِ وَالدَّوَابِ لِحَمْلِ الجَيْشِ وَتَمْكِينِ الزَّادِ، فَلَا يَتَأَتَّى هَذَا إِلَّا بِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، فَظَنَّ أَنَّ الإِذْنَ فِي القِتَالِ إِذْنٌ فِي أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ وَإِلَّا فَمَا كَانَ يَقْدِرُ مِنَ القِتَالِ عَلَى شَيْءٍ لَوْلَا الغَنَائِمُ. فَهَذَا كَانَ اعْتِقَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَحْلِيلِ الغَنِيمَةِ.

ثُمَّ قَوِيَ اعْتِقَادُهُ وَظَنُّهُ بَعْدَ هَذَا فِي تَحْلِيلِ الغَنَائِمِ بِمَا أَخَذَ أَصْحَابُهُ مِنْ عِيرِ عَمْرِو بْنِ الحَضْرَمِيِّ وَهِيَ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ كَانُوا أَخَذُوهَا قَبْلَ بَدْرٍ وَاقْتَسَمُوا أَمْوَالَهَا، فَمَا سَمِعُوا فِيهَا نَهْيّاً وَلَا وَقَعَ لَهُمْ هَلَاكٌ بِسَبَبِهَا، فَتَقَوَّى اعْتِقَادُهُ فِي تَحْلِيلِ الغَنَائِمِ، فَلَمَّا وَقَعُوا فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ غَنِيمَةِ بَدْرٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهَا التَّهْوِيلَ وَالتَّرْوِيعَ وَالتَّغْلِيظَ وَالأَرَاجِيفَ[4] الشَّدِيدَةَ[5] بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا)**[6]. الآيَةُ[7]. فَهَذَا وَجْهُ الجَوَابِ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ المُعَارِضُ مَثَلاً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْفَرَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهِ: **(اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)**[8].

1- سورة الأنفال، الآية 68

2- ح: والجواب

3- ح: بجهاده

4- ي: والأرجاف

5- ح: أنزل الله سبحانه وتعالى في شأنها التغليظ والتهويل والأرجاف الشديدة

6- سورة الأنفال، الآية 68

7- ع ك هـ ق ص: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ. الآيَةُ

8- سورة التوبة، الآية 80

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا[1]: لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا. **يَقُولُ المُعَارِضُ:** لَوْ كَانَ هَذَا عَنْ[2] وَحْيٍ مَا تَعَقَّبَهُ اللَّهُ[3] بِهَذَا النَّهْيِ.

الجَوَابُ: اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَهُ[4] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا[5] كَانَ عَنْ وَحْيٍ إِلَهِي، وَالوَحْيُّ هَا هُنَا الَّذِي عَمِلَ عَلَيْهِ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[6]. وَقَالَ لَهُ: **(خُذِ العَفْوَ وَامُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ)**[7]. وَقَالَ لَهُ فِي حَقِّ اليَهُودِ: **(وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُم إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)**[8].

وَقَالَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[9]: **(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)**[10]. الآيَةُ.

وَقَالَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَنْ أُعِدَّتْ لَهُمُ الجَنَّةُ: **(وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ[11])**[12]. فَعَمَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ الآيَاتِ كَانَ يُعَامِلُ النَّاسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالعَفْوِ وَالإِحْسَانِ وَعَدَمِ المُؤَاخَذَةِ بِذُنُوبِهِمْ وَالصَّفْحِ عَنْ زَلَّاتِهِمْ،

1- ح: فيها ـ ك: (في هذا) ساقطة

2- ح: على

3- ح: ما تعقبه الله تعالى

4- ح: والجواب أن عمله ـ م ي: الجواب اعلم أن عمله

5- ح ك م هـ ق ص: في ذلك

6- سورة الأنبياء، الآية 107

7- سورة الأعراف، الآية 199

8- سورة المائدة، الآية 13

9- ك: وقال له صلى الله عليه وسلم

10- سورة الجاثية، الآية 14

11- ع ك ي: وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. الآيَةُ

12- سورة آل عمران، الآية 134

فَهَذَا كَانَ عَمَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالوَحْيِّ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَهُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ بِالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالعَفْوِ (وَالإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ الإِلَهِيَةِ)[1]، فَلِذَا اسْتَغْفَرَ لِابْنِ أُبَيٍّ مُعَامَلَةً بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ[2]، فَقَدْ أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الوَحْيِّ، وَهِيَ الآيَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا قَبْلُ، **فَإِنْ قِيلَ:** إِذَا كَانَ هَكَذَا عَمَلُهُ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ بِالوَحْيِّ فَمَا بَالُهُ تَعَقَّبَهُ اللَّهُ بِمَا سَمِعْتَ مِنَ الخَبَرِ حَتَّى قَالَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)**[3]. الآيَةُ[4].

الجَوَابُ اعْلَمْ أَنَّ عَمَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلاً[5] بِالوَحْيِّ بِمُقْتَضَى الآيَاتِ الَّتِي سَمِعْتَهَا أَوَّلاً، وَذَلِكَ الأَمْرُ شَامِلٌ لِجَمِيعِ فُرُوعِ تِلْكَ الشُّئُونِ، وَهَذِهِ[6] القَضِيَّةُ فَرْعٌ[7] مِنْ فُرُوعِ تِلْكَ الشُّؤُونِ، نَسَخَ ذَلِكَ الحُكْمَ فِيهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَعَقَّبَهُ بِحُكْمٍ آخَرَ، وَبَقِيَتِ الأَحْكَامُ[8] جَارِيَةً عَلَى جَمِيعِ فُرُوعِهَا، إِلَّا فِي هَذَا الفَرْعِ، فَقَدْ نُسِخَ فِيهِ الحُكْمُ وَحْدَهُ[9]، وَلَا حَجْرَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَنْسَخَ حُكْماً وَيَرْفَعَهُ بَعْدَ تَقْرِيرِهِ فِيمَا شَاءَ مِنَ الأَحْكَامِ. **وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يَعْتَرِضُهُ المُعَارِضُ** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)**[10]. الآيَةُ. فَلَوْ كَانَ

1- ح: ما بين القوسين محذوف

2- ح: معاملة بالرحمة والشفقة

3- سورة التوبة، الآية 84

4- ع ك هـ ي: حَتَّى قَالَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ. الآيَةُ

5- ح: وَالجَوَابُ أَنَّ عَمَلَهُ أَوَّلاً كَانَ

6- ح: وفي هذه

7- ح: وهي فرع

8- ك ي: وبقيت تلك الأحكام

9- ح: فقد نسخ الحكم فيه وحده

10- سورة التوبة، الآية 43

فِعْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] عَنْ وَحْيٍ مَا عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِالعَفْوِ عَنْ فِعْلِهِ. فِعْلِهِ.

الجَوَابُ اعْلَمْ أَنَّ[2] الَّذِينَ أَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] فِي القُعُودِ عَنِ الجِهَادِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّ مَنْ جَاءَهُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَذْكُرُ لَهُ عُذْراً فِي قُعُودِهِ عَنِ الجِهَادِ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ قَبلَ عُذْرِهُ[4] عَمَلاً بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[5]. وَعَمَلاً بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)**[6]. الآيَةُ[7]. فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الإِذْنِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْهُمْ مُسْتَنِدٌ[8] لِهَذِهِ لِهَذِهِ الآيَاتِ وَأَضْرَابِهَا فِي العَفْوِ عَنْهُمْ وَمُسَامَحَتِهِمْ فِيمَا يَعْتَذِرُونَ فِيهِ، وَرَفْعِ الأَثْقَالِ عَنْهُمْ فِيمَا يَشْكُونَ مِنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ عَمَلاً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي أُمِرَ بِهَا حَيْثُ يَقُولُ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(بِالمُومِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)**[9]. هَكَذَا كَانَ اسْتِنَادُهُ لِلْوَحْيِ[10]، فَلَمَّا كَثُرَ المُتَلَاعِبُونَ فِي بَثِّ هَذِهِ الشَّكْوَى وَعَدَمِ تَحَمُّلِ هَذِهِ الأَثْقَالِ كَمَا قَالَ فِي حَقِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ**

1- ح: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

2- ح: فَالجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ

3- ح: (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

4- ح ع ك م هـ ق ص ي: (قبل عذره) ساقطة

5- سورة الأنبياء، الآية 107

6- سورة آل عمران، الآية 159

7- ع ك ي: (الآيَةُ) ساقطة

8- ع ك م هـ ق ص: مُسْتَنِداً. جاء في هامش النسخة ع: يقول المحقق: وكلاهما صحيح، فمستندا فمستندا هنا حال، وخبر إن هو: "كل ذلك عملا منه ..". ومستندٌ صحيح كذلك، لأنه خبر إن.

9- سورة التوبة، الآية 128

10- ع ك م ي: لِلْوَحْيِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الشُّقَّةُ)[1]. ثُمَّ فَضَحَ أَسْرَارَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2] بِقَوْلِهِ: **(وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)**[3].

فَلَمَّا كَثُرَ هَذَا التَّخْلِيطُ مِنْهُمْ وَاسْتَأْثَرَ[4] الكَاذِبُ مِنْهُمْ[5] بِالصَّادِقِ عَاتَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا، وَأَخْبَرَهُ بِالعَفْوِ عَنْ فِعْلِهِ طَلَباً مِنْهُ وَأَمْراً لَهُ[6] بِأَنْ لَا يَأْذَنَ لَهُمْ حَتَّى يَسْتَثْبِتَ أَمْرَهُمْ، وَيَفْصَحَ[7] عَنْ صِحَّةِ دَعْوَاهُمْ، لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ. فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنَدَ لِلوَحْيِّ فِي فِعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[8]، فَلَمَّا كَثُرَ الكَذَّابُونَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالصَّادِقِينَ[9] عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمُرَادُ اللَّهِ مِنْهُ تَعَالَى[10] أَنْ لَا يَأْذَنَ[11] حَتَّى يَسْتَثْبِتَ الأَمْرَ كَمَا ذَكَرْنَا.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يَعْتَرِضُهُ المُعْتَرِضُ[12] أَيْضاً[13] مَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[14] فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ بِقَوْلِهِ: **(لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)**[1]. الآيَةُ. يَقُولُ المُعْتَرِضُ: لَوْ كَانَ هَذَا عَنْ وَحْيٍّ مَا عَاتَبَهُ عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ مَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يُوجَدُ فِيهِ الإِخْتِلَافُ.

---

[1]- سورة التوبة، الآية 42

2- ح: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ساقطة

[3]- سورة التوبة، الآية 42

4- ح: وَاسْتَتَرَ

5- ح: (مِنْهُمْ) ساقطة

6- ح: لَهُم

[7]- ك م: ويفحص - ي ق: ويمحص

8- ح: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

9- ع: بِالصِّدِّيقِينَ

10- ح: مُرَادُ اللَّهِ - ك ي: (تعالى) ساقطة

[11]- ك ي: أن لا يأذن لهم

12- ح: المُعَارِضُ

[13]- ح: (أيضا) ساقطة

14- ع ك هـ ي: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

الجَوَابُ اعْلَمْ أَنَّهُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُسْتَنِداً لِلوَحْيِّ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ حَيْثُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ لَمَّا عَاتَبَتْهُ مَا مُقْتَضَاهُ: (إِنِّي أَتْرُكُهَا مِنْ أَجْلِكَ)، وَهِيَ أَمَتُهُ الَّتِي وَاقَعَهَا[3] فِي غَيْبَةِ زَوْجَتِهِ، فَلَمَّا اطَّلَعَتْ عَلَى ذَلِكَ غَضِبَتْ، وَقَالَ لَهَا[4]: إِنِّي أَتْرُكُهَا مِنْ أَجْلِكِ، أَوْ مَا مَعْنَاهُ هَذَا، كَانَ عَمَلُهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ)**[5]. وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)**[6].

فَأَشْفَقَ عَلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا حَلَّ بِهَا مِنَ الغَيْرَةِ وَعَامَلَهَا بِالمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى الآيَةِ. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)[7] : **(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ)**[8]. رَفَعَ حُكْمَ الآيَةِ الأُولَى فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ وَحْدَهَا، وَنَسَخَهُ بِالآيَةِ الثَّانِيَةِ حَيْثُ قَالَ: **(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ)**[9]. الآيَةُ[10]. وَهُوَ أَمْرٌ لَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَمَتِهِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[11].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى[12] **قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**[13]: **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)**[1]. الآيَةُ. **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ اعْلَمْ** أَنَّهُ[2] وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1- سورة التحريم، الآية 1

2- ح: وَالجَوَابُ عَنْهُ أَنَّهُ

3- ح ع ك م هـ ق ص ي: وقع

4- ك هـ ص: وقال

5- سورة النساء، الآية 19

6- سورة البقرة، الآية 229

7- ح: ما بين القوسين محذوف

8- سورة التحريم، الآية 2

9- سورة التحريم، الآية 2

10- ع ك هـ ق ص ي: (الآية) ساقطة

11- ح: (مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ) ساقطة

12- ح: (وسألته رضي الله عنه عن معنى) ساقطة

13- ح ك: قوله تعالى

وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُقَالُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ[4] حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا[5] كَانَ[6] يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصِّفَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً،

فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا خَرَّ سَاجِداً، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً وَسُمْعَةً إِلَّا انْتَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ، وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تَقَعُ بِأَهْلِ المَوْقِفِ. فَهُوَ مُرَادُ الآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى[7]: **﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**[8]. إِلَى قَوْلِهِ: **﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾**[9].

وَأَمَّا الكَلَامُ عَلَى العِبَارَةِ بِالكَشْفِ وَالسَّاقِ، فَالمُرَادُ بِالكَشْفِ وَالسَّاقِ هَا هُنَا هُوَ[10] تَبَدِّي ذَلِكَ الجَلَالِ العَظِيمِ وَالكَمَالِ العَدِيمِ المِثَالِ. فَهُوَ المُرَادُ بِالسَّاقِ، وَالعِبَارَةُ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الأَمْثَالِ عَلَى طَرِيقِ السِّيَاقِ عِنْدَ العَرَبِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اشْتَدَّ الأَمْرُ وَاحْتِيجَ إِلَى القِتَالِ الشَّدِيدِ وَالمُصَابَرَةِ العَظِيمَةِ لِلأَمْرِ قَالُوا: الآنَ كُشِفَ عَنْ سَاقٍ، يَعْنِي زَالَ الرَّيْبُ وَانْزَاحَ الرَّجَاءُ الَّذِي كَانَ يَعْتَقِدُهُ المُعْتَقِدُ وَأَنَّ الشِّدَّةَ لَا تَقَعُ بِهِمْ، فَانْكَشَفَ الغِطَاءُ وَتَبَيَّنَ الاِحْتِيَاجُ

1- سورة القلم، الآية 42

2- ح: الجواب في هذا أنه

3- ح: بعدما ذكر ما ذكر

4- ح: فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ الشَّمْسَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيت

5- ك ي: من

6- ح: حتى لم يبق إلا من كان

7- ح: وَهُوَ قَوْلُهُ

8- سورة القلم، الآية 42

9- سورة القلم، الآية 43

10- ح: (هُوَ) ساقطة

وَالاِضْطِرَارُ إِلَى مُقَاسَاتِ الشَّدَائِدِ وَالثُّبُوتِ فِي مَوْقِفِ الشَّجَاعَةِ وَشِدَّةِ الصَّبْرِ لِتَحَمُّلِ الأَثْقَالِ العَظِيمَةِ، حَيْثُ لَا رَيْبَ فِي وُضُوحِهَا وَلَا رَجَاءَ فِي عَدَمِ وُقُوعِهَا. فَيَقُولُونَ: كُشِفَ عَنْ سَاقٍ. هَذَا مِنْ حَيْثُ صُورَةُ الشَّيْءِ الظَّاهِرِ المُقَابَلِ (بِفَتْحِ البَاءِ).

وَكَذَا أَيْضاً هَذَا المَثَلُ فِي الشَّخْصِ العَامِلِ عَلَى مُقَاسَاتِ الشَّدَائِدِ حَيْثُ ظَهَرَتْ، وَالوُقُوفِ فِي مَوْقِفِ الشَّجَاعَةِ وَتَحَمُّلِ الصَّبْرِ عَلَى[1] الأَثْقَالِ العَظِيمَةِ[2]، فَإِنَّهُ مِنْ شَأْنِ صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ الأَمْرِ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ سَاقِهِ وَيُشَمِّرَ وَيَشُدَّ[3] حَيَازِيمَهُ[4] وَيَكْشِفَ عَنْ عَضُدَيْهِ لِمُلَاقَاتِ مَا هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ الشَّدَائِدِ فَيُقَالُ: كُشِفَ عَنْ سَاقٍ، لِأَنَّ كَشْفَ السَّاقِ وَالعَضُدَيْنِ وَاشْتِدَادَ الحَيَازِيمِ[5] لَازِمٌ لِهَذَا الأَمْرِ لَا يَتَأَتَّى بِدُونِهِ. فَيَقُولُونَ: كُشِفَ عَنْ سَاقٍ تَعْبِيراً عَنِ المَلْزُومِ بِلَازِمِهِ.

ثُمَّ وَجْهُ ضَرْبِ المَثَلِ فِي هَذِهِ الآيَةِ، بِقَوْلِهِ: **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ)**[6]. كَانَ كُلُّ عَابِدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ[7] مِنَ الأَوْثَانِ وَالطَّوَاغِيتِ يَظُنُّ[8] أَنَّهُ نَاجٍ بِعَمَلِهِ، رَاجٍ الفَوْزَ بِبُلُوغِ أَمَلِهِ، فَانْكَشَفَ لَهُمُ[9] الأَمْرُ مِنَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَإِذَا اتَّبَعَ العَابِدُونَ مَا عَبَدُوهُ قُذِفَ بِهِمْ مَعَ مَعْبُودَاتِهِمْ فِي النَّارِ. فَذَلِكَ هُوَ الكَشْفُ عَنْ سَاقٍ فِي ضَرْبِ المَثَلِ فِي الآيَةِ، حَيْثُ بَطُلَ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ بِالفَوْزِ بِالبُلُوغِ لِلآمَالِ بِسَبَبِ عِبَادَتِهِمْ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا قُذِفَ بِهِمْ فِي النَّارِ بَطُلَ الرَّجَاءُ وَزَالَ الرَّيْبُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الحَقُّ المَحْضُ[10] الخَالِصُ. فَهَذَا وَجْهُ ضَرْبِ المَثَلِ

1- ح: (الصبر على) ساقطة

2- ح: العَظِيمَةِ وَالصَّبْرِ

3- ح: ويشد عن

4- ي: حيازمه

5- ح ك ص ي: الحيازم

6- سورة القلم، الآية 42

7- ك ي: الله تعالى

8- ح: (يظن) ساقطة

9- ح: لَهُ

10- ح: (المحض) ساقطة

لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الطَّوَاغِيتِ، ثُمَّ تَبْقَى الفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ لِمَنْ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ قَوْلُهُ: فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ) الحَدِيثُ.

وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ الأَسْتَارِ، وَلَمْ يَكْشِفْ لَهُمْ صَرِيحَ الجَلَالِ، وَأَسْمَعَهُمْ مَعَ هَذَا خِطَابَ ذَاتِهِ بِقَوْلِهِ: أَنَا رَبُّكُمْ. وَالمَوْقِفُ جَمَعَ أَصْحَابَ اليَقِينِ وَأَصْحَابَ الإِيمَانِ، فَأَمَّا أَصْحَابُ اليَقِينِ فَسَكَتُوا عِلْماً مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي يُخَاطِبُهُمْ بِذَاتِهِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا تِلْكَ الأَسْتَارَ الَّتِي تَجَلَّى لَهُمْ بِهَا[1] مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ الأَسْتَارِ[2]. يَقُولُ لَهُمْ[3] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذَا المَعْنَى: **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَاتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ)**[4]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)**[5].

فَعَامَّةُ المُومِنِينَ لِجَهْلِهِم بِاللَّهِ فِي مَرَاتِبِهِ ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ إِلَّا إِذَا تَبَدَّى لَهُمْ جَلَالُهُ وَزَالَتْ حُجُبُ الأَسْتَارِ، فَلِذَا قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. وَالصِّدِّيقُونَ وَالنَّبِيئُونَ وَقَدْ شَمِلَهُمْ المَوْقِفُ مَعَ أَهْلِ الإِيمَانِ مُوقِنُونَ بِهِ أَنَّهُ هُوَ المُتَجَلِّي مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ الأَسْتَارِ كَمَا قَالَ: فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ. فَلَمْ يَشُكُّوا فِيهِ لِأَنَّ لَهُمْ صفْوَ اليَقِينِ، لَا يَقَعُ لَهُمْ مَعَهُ رَيْبٌ وَلَا تَوَهُّمٌ، وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِيمَانِ وَاليَقِينِ أَنَّ رُتْبَةَ[6] الإِيمَانِ فِي مَنْزِلَةِ اللَّبَنِ الحَلِيبِ.

وَمَرْتَبَةُ اليَقِينِ فِي مَرْتَبَةِ السَّمْنِ إِذَا كَمُلَ خُلُوصُهُ وَصَفَاؤُهُ، فَإِنَّهُ أَوَّلاً كَانَ[7] حَلِيباً مُخْتَلِطاً صَفْوُهُ وَغُثَاؤُهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ رَايِباً، فَزَالَتْ عَنْهُ مُمَازَجَةُ المَائِيَةِ الَّتِي صَحِبَتْهُ مِنَ الجَسَدِ، فَلَمَّا

1- ح: (بها) ساقطة

2- ح: من ورائها

3- ح: (لَهُمْ) ساقطة

4- سورة البقرة، الآية 210

5- سورة الشورى، الآية 51

6- ك: مرتبة

7- ح: فإنه كان أولا

مُخِضَ زَالَتْ عَنْهُ اللَّبَنِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَعَ السَّمْنِ بِمَنْزِلَةِ النُّخَّالَةِ مَعَ الدَّقِيقِ، فَلَمَّا صُفِّى زَبَدُهُ زَالَ عَنْهُ مَا بَقِيَ مِنَ القُشُورِ عَلَيْهِ، فَظَهَرَتْ صُورَةُ السَّمْنِيَّةِ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالتَّجَوْهُرِ. فَهَكَذَا اليَقِينُ كَانَ أَوَّلاً إِيمَاناً، فَمَا زَالَ يَنْتَقِلُ رُتْبَةً فَرُتْبَةً إِلَى أَنْ زَالَ الرَّانُ والرَّيْبُ وَالوَهْمُ: مِثَالُهُ مِثَالُ[1] الشَّمْسِ مَا دَامَ اللَّيْلُ ظَلَاماً، فَصَاحِبُهَا مُومِنٌ بِوُقُوعِ الضَّوْءِ، ثُمَّ يَنْشَقُّ الفَجْرُ عَنْهُ فَيَنْكَشِطُ الظَّلَامُ شَيْئاً فَشَيْئاً، حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ لَمْ يَبْقَ أَثَرٌ لِلظَّلَامِ وَلَا عَيْنٌ. كَذَلِكَ صَاحِبُ اليَقِينِ سَلَبَهُ اللَّهُ صُورَةَ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي حِسِّهِ وَشُهُودِهِ وَإِدْرَاكَاتِهِ وَذَوْقِهِ إِلَّا الحَقُّ مَحْضاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ * فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَلَا ثَمَّ بَائِنُ

فَإِنَّهُ عِنْدَ صَفْوِ اليَقِينِ وَكَمَالِهِ يَظْهَرُ العَالَمُ كُلُّهُ مُتَرَاءٍ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ، يَظْهَرُ بِصُورَةِ الشَّيْئِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **(يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ)**[2]. فَهَذَا نَظَرُ المُوقِنِ فِي الأَكْوَانِ. قَالَ العَارِفُ بِاللَّهِ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]:

وَلَمْ نُلِفْ كُنْهَ الكَوْنِ إِلَّا تَوَهُّما * ولَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا الفَيْنَا

فَلِهَذَا التَّحْقِيقِ لَمْ يَقَعْ لِلمُوقِنِينَ فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بَلْ يَتَحَقَّقُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَسْتَارَ الَّتِي تَجَلَّى مِنْ وَرَائِهَا، لَا شَيْءَ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ، وَصُورَتُهَا فِي ذَلِكَ صُورَةُ الهَبَاءِ فِي الهَوَاءِ، أَنْتَ تَرَاهُ صُورَةً[4] مَرْئِيَّةً، فَإِذَا قَبَضْتَهُ بِيَدِكَ[5] لَمْ تَرَ شَيْئاً. هَكَذَا

1- ح: (مِثَالُ) ساقطة

2- سورة النور، الآية 39

3- ح: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

4- ح ص ي: صورا

5- ح: بِيَدَيْكَ

هَكَذَا صُورَةُ الكَوْنِ عِنْدَ المُوقِنِينَ. وَأَمَّا أَصْحَابُ الإِيمَانِ فَلَيْسَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ صُورَةً مُعَيَّنَةً، وَلَا جِسْماً وَلَا فِي جِهَةٍ، وَلَا يُوجَدُ فِي حَدٍّ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الكَيْفُ، هَذَا حَدُّهُ عِنْدَهُمْ.

فَلَمَّا تَجَلَّى بِخِلَافِ هَذَا قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَالكَلَامُ سَمِعُوهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكِنْ أَنْكَرُوهُ فِي الصُّوَرِ، فَمَا مَقَتَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّ تِلْكَ رُتْبَةُ إِيمَانِهِمْ، فَتَجَلَّى لَهُمْ حِينَئِذٍ فِي الصِّفَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، وَهِيَ الحُدُودُ المَذْكُورَةُ آنِفاً. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً. الحَدِيثُ. لَكِنَّ إِنْكَارَهُمْ فِي المَرَّةِ الأُولَى سَلَبَهُمْ أَنْوَارَ اليَقِينِ فَلَا يَتَحَقَّقُونَ شَيْئاً، فَأَنْكَرُوا[1] لَمَّا خَاطَبَهُمْ،

وَفِي التَّجَلِّي الثَّانِي قَذَفَ فِيهِمْ أَنْوَارَ اليَقِينِ، فَعَرَفُوهُ بِتِلْكَ الأَنْوَارِ فَقَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا. وَلَا تَظُنَّ أَنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَيّاً كَانَ مِنَ المُومِنِينَ وَالمُوقِنِينَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قُوَّتِهِ أَوْ فِكْرِهِ، إِنَّمَا[2] هُوَ بِنُورٍ مَقْذُوفٍ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنِ اخْتَصَّهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَبِتِلْكَ الأَنْوَارِ عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَآمَنَ بِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَبِفَقْدِ تِلْكَ الأَنْوَارِ كَفَرَ مَنْ كَفَرَ[3]. يَقُولُ فِي الخَبَرِ:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ آمَنَ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ[4] ذَلِكَ النُّورُ كَفَرَ، فَمَا عَرَفَ اللَّهَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ بِاللَّهِ، فَهُوَ المُعَرِّفُ وَالمُتَعَرَّفُ، وَمَنْ أَبَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَرَكَهُ يَخُوضُ فِي ظَلَامِ الكُفْرِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذَا أَنَّ هَذِهِ آخِرُ فِتْنَةٍ تَقَعُ بِأَهْلِ المَوْقِفِ، فَإِنَّ الفِتَنَ الَّتِي قَبْلَهَا فِي يَوْمِ القِيَامَةِ كُلَّهَا قَدِ انْفَصَلَتْ وَانْقَضَى زَمَانُهَا، وَصَفَا المَوْقِفُ مِنَ المُشْرِكِينَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِثْلَ اليَهُودِ، فَحِينَئِذٍ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى النَّارِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا المُومِنُونَ[5]، فَيَفْصِلُ[6]

1- ح ك م هـ ق ص ي: فَأَنْكَرُوهُ

2- ح: وَإِنَّمَا

3- ح هـ: من كفر به

4- ح: ومن فقد

5- ي: المومنين

6- ح: فَيَفْصِلُ اللَّهُ

بَيْنَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَظَاهِرُ مَا فِي الأَخْبَارِ يُعْطِي الإِشْكَالَ العَظِيمَ فِي أَخْبَارِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى حِينَ يَشْفَعُ فِي تَعْجِيلِ الحِسَابِ لِأَهْلِ المَوْقِفِ. يَقُولُ لَهُ[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ يُشَفِّعَهُ: قَدِّمْ أُمَّتَكَ لِلحِسَابِ.

فَتَتَقَدَّمُ[2] الأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ لِلحِسَابِ بِمَا فِيهِمْ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَوَلِيٍّ وَفِرْعَوْنٍ[3]، تَتَقَدَّمُ كَبْكُبَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ جَمَعَتْهُمُ المَلَائِكَةُ، فَيَقِفُونَ لِلحِسَابِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُلْتَفَتُ لِلْأُمَمِ حَتَّى يَفْصِلَهُمْ، فَيُبْعَثُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ. لَكِنْ، يُعَارِضُهُ حَدِيثَانِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَتَطَايُرُ الصُّحُفِ. فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ. وَهَذَا صَرِيحٌ فِي اجْتِمَاعِ الأُمَمِ كُلِّهَا عَلَى هَذَا المِنْوَالِ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ سُؤَالِ الرُّسُلِ مَعَ أُمَمِهِمْ عَنِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا، فَكُلُّ رَسُولٍ تَجْحَدُهُ أُمَّتُهُ الَّتِي كَفَرَتْ بِهِ، وَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ، وَلَا أَخْبَرَنَا بِشَيْءٍ، وَلَا أَتَانَا بِرِسَالَةٍ بَعْدَ سُؤَالِ اللَّهِ لَهُ عَنِ الرِّسَالَةِ، فَيَقُولُ: بَلَّغْتُ وَأَدَّيْتُ الأَمَانَةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِهَذَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُوتَى بِهَذِهِ الأُمَّةِ تَشْهَدُ لِلرُّسُلِ عَلَى أُمَمِهِمْ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ وَأَدَّوْا الأَمَانَةَ. فَيَخْرُجُ الجَوَابُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى[4] بِأَنَّكُمْ[5] عُدُولٌ مَقْبُولُونَ الشَّهَادَةِ عَلَى مَنْ شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ.

وَفَكُّ الإِشْكَالِ فِي هَذَا أَنَّ مَبْدَأَ الحِسَابِ العَرَضَاتُ الثَّلَاثُ يُوَبِّخُ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى فِعْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. كَمَا قَالَ: **(وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً)**[6]. فَكُلُّ وَاحِدٍ يُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَعْتَذِرُ عَنْ قَبِيحِ فِعْلِهِ حَيْثُ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]:

1- ح ي: (لَهُ) ساقطة

2- ح: فتقدم

3- ح: مِنْ بَرٍّ وَوَلِيٍّ وَفَاجِرٍ وَفِرْعَوْنٍ

4- ح: (تَعَالَى) ساقطة

5- ك ق ص ي: فإنكم

6- سورة الكهف، الآية 48

فَأَمَّا[2] عَرْضَتَانِ: فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى[3]: **(يَوْمَ تَاتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَّفْسِهَا)**[4].
وَأَمَّا العَرْضَةُ الثَّالِثَةُ: فَتَطَايُرُ الصُّحُفِ، فَكُلٌّ يَأْخُذُ صَحِيفَتَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ.
فَهَذَا لِلْجَمَاعَةِ، لَا يُخْتَصُّ بِأُمَّةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ فِي هَذَا العَرْضِ. ثُمَّ يُنْقَلُ الحَالُ إِلَى سُؤَالِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهَا عَنِ الرِّسَالَةِ، وَالأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ فِي هَذَا كُلِّهِ مُخْتَلِطَةٌ بِالأُمَمِ حَتَّى تَقَعَ الشَّهَادَةُ مِنْهُمْ لِلرُّسُلِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، ثُمَّ تَنْفَصِلُ الأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ إِلَى الحِسَابِ وَحْدَهَا فَيَفْصِلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ. ثُمَّ يَنْقُلُ الأَمْرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَاسَبَةِ الأُمَمِ، أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، فَإِذَا فَصَلَ الكُفَّارَ مِنَ المَوْقِفِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا المُومِنُونَ وَمَنْ[5] كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنَ الكُفَّارِ مِثْلُ اليَهُودِ، تَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الفِتْنَةِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا المُومِنُونَ فَصَلَ بَيْنَهُمْ فِي الحُقُوقِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ مِنْهُمْ أَهْلَ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ.
وَأَمَّا خَبَرُ الحَوْضِ فِي الحَدِيثِ، فَإِنَّمَا هُوَ فِي مُدَّةِ مُحَاسَبَةِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ لِلحِسَابِ فَيَأْتُونَهُ فِي غَايَةِ العَطَشِ وَالكُرْبِ مِنْ شِدَّةِ الظَّمَأِ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ مَنْ يَشْرَبُ، وَيُطْرَدُ عَنْهُ مَنْ يُطْرَدُ مِمَّنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ مِنَ المُخَلِّطِينَ مَنْ غُفِرَ لَهُ أَوْ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَغُفِرَ لَهُ، وَهُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ عَلَى التَّحْقِيقِ لِتَوَاتُرِ الأَخْبَارِ عَلَيْهِ. وَمَا ذَكَرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهُ بَعْدَ الصِّرَاطِ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ مَنْ جَاوَزَ الصِّرَاطَ لَا يَتَأَتَّى طَرْدُهُ عَنِ الحَوْضِ، لِأَنَّ مَنْ جَاوَزَ الصِّرَاطَ فَقَدْ كَمُلَتْ نَجَاتُهُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[6].

1- ح : (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ساقطة

2- ك ص: أما

3- ع ك هـ ق ص ي: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

4- سورة النحل، الآية 111

5- ح : أو من

6- في نسخة ح بعد هذه الفقرة: "الكلام في القرآن على وجهين، الوجه الأول ..." إلى قوله: "فقال له لا تفعل فسكت. انتهى"، وهذه الفقرة سبق ذكرها في الفصل الأول من الباب الخامس. ثم انتقلت النسخة ح إلى الباب السادس.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(وَإِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ)**[1]. وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى)**[2]. الآيَةُ. هَلْ كَلَامُ المَلَائِكَةِ يَسْتَلْزِمُ نُبُوءَتَهَا، وَكَذَلِكَ الوَحْيُ لِأُمِّ مُوسَى يَسْتَلْزِمُ نُبُوءَتَهَا أَمْ لَا؟ وَهَلْ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ وَسَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ وَالتَّرْتِيبُ الَّذِي ذَكَرُوهُ العُلَمَاءُ فِي التَّفْضِيلِ يُنْهِي[3] أَنَّ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ أَفْضَلُ نِسَاءِ العَالَمِينَ ثُمَّ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ ثُمَّ خَدِيجَةُ ثُمَّ عَائِشَةُ ثُمَّ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِنَّ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: الجَوَابُ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لِلصَّوَابِ: **اعْلَمْ** أَنَّ نُبُوءَةَ السَّيِّدَةِ مَرْيَمٍ[4] وَاحْتِجَاجَ القَائِلِ بِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَإِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ**[5]**)**[6]. الآيَةُ. وَكَذَلِكَ[7] القَوْلُ[8] بِنُبُوءَةِ أُمِّ مُوسَى تَمَسُّكاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى)**[9]. فَكُلُّ هَذِهِ الأَقَاوِيلِ بَاطِلَةٌ لَا يُعَوَّلُ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ. وَالقَوْلُ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ المَصِيرُ إِلَيْهِ أَنَّ النُّبُوءَةَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى النِّسَاءِ لَا سَبِيلَ لَهُنَّ إِلَيْهَا، ثُمَّ إِنَّ مَرْيَمَ وَآسِيَةَ[10] قَالَ فِيهِمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يُكَمَّلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ آسِيَّةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ وَمَرْيَمَ بِنْتِ

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 42

[2]- سورة القصص، الآية 7

[3]- ك ي: بينهن

[4]- ل: وسألته رضي الله عنه عن السيدة مريم وآسية وخديجة وعائشة وفاطمة أيهن أفضل؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: أما نبوة مريم

[5]- ك ي: (يا مريم) ساقطة

[6]- سورة آل عمران، الآية 42

[7]- ل: (الآية. وكذلك) ساقطة

[8]- ل: والقول

[9]- سورة القصص، الآية 7

[10]- ل: ثم إن آسية ومريم

عِمْرَانٍ). وَالمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ أَدْرَكْنَ مَرْتَبَةَ[1] الصِّدِّيقِيَةِ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا فِي المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالعِلْمِ بِهِ وَالرُّسُوخِ فِي العِلْمِ إِلَّا القُطْبَانِيَةُ وَالنُّبُوءَةُ. وَهَذَا غَايَةُ مَا أَدْرَكْنَ.

وَأَمَّا خَدِيجَةُ، فَقَدْ صَرَّحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلِهَا فِي أَحَادِيث حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كُنْتُ أَغَارُ مِن امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ مَا يَذْكُرُهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعَظِّمُهَا. وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ سَبْعٍ فِي شِفَاهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْماً لِلنَّاسِ: أَلَا وَإِنَّ صَفْوَتِي مِنْ نِسَائِي عَائِشَةُ ابْنَتُ الصِّدِّيقِ، إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الفَضْلِ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ. فَأَظْهَرَ فَضْلَهَا هُنَا عَلَيْهَا.

وَقَدْ نَقَلَ أَيْضاً ابْنُ سَبْعٍ فِي الشِّفَا حَدِيثاً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْماً لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ. فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً. ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: فَأَيْنَ آسِيَةُ ابْنَتُ مُزَاحِمٍ وَمَرْيَمُ ابْنَتُ عِمْرَانٍ وَخَدِيجَةُ ابْنَتُ[2] خُوَيْلِدٍ؟ فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَسَلَّمَ: آسِيَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا، (وَمَرْيَمُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا)[3]، وَخَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِكِ.

وَقَدْ قَالَ يَوْماً لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا عَقَدَ لَهُ عَلَى فَاطِمَةَ قَالَ لَهُ: زَوَّجْتُكَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ. وَأَمَّا عَائِشَةُ فَقَدْ قَالَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ عَائِشَةٍ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ. وَقَدْ تَعَارَضَتْ أَقَاوِيلُ العُلَمَاءِ فِي التَّفْضِيلِ فِيمَا بَيْنَ فَاطِمَةٍ وَعَائِشَةٍ، كُلُّ طَائِفَةٍ مَالَتْ إِلَى تَفْضِيلِ إِحْدَاهُنَّ مُحْتَجِّينَ بِهَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أُفَضِّلُ أَحداً عَلَى بِضْعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مَعَ كَوْنِ جَمَاعَةٍ مِنَ العَارِفِينَ أَجْمَعُوا مِنْ طَرِيقِ الكَشْفِ لَا مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ عَلَى أَنَّ **فَاطِمَةَ أَدْرَكَتْ مِنْ بَعْدِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْتَبَةَ القُطْبَانِيَةِ العُظْمَى**، وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَلَا نِسْبَةَ بَيْنَ فَاطِمَةَ وَعَائِشَةَ.

1- ل: مقام

2- ك ي: بنت

3- ع ق ص: ما بين القوسين محذوف

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. وَلَيْسَ فِي خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلِّهَا عُمُوماً وَإِطْلَاقاً مِنْ بَعْدِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ البَشَرِ وَالمَلَائِكَةِ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى مِقْدَارِ أَلْفِ جُزْءٍ مِنْ تَقْوَى قُطْبِ الأَقْطَابِ. وَلَوْ بَلَغَ مَا بَلَغَ فَهُوَ أَفْضَلُ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَّفَاتِيحِ الكُنُوزِ، فَهُوَ[2] أَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي أُمُورٍ، وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي أُمُورٍ،

فَإِذَا تَعَقَّلْتَ هَذَا **فَفَاطِمَةُ أَفْضَلُ مِنْ عَائِشَةَ قَطْعاً وَمَرْيَمٍ[3] وَآسِيَةٍ،** وَكَوْنُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَدْرَكَتِ القُطْبَانِيَةَ دُونَ سَائِرِ النِّسَاءِ لِكَوْنِهَا لَا تَحِيضُ، وَمِنْ كَوْنِهَا أُعْطِيَتْ مِنْ مَرْتَبَةِ الكَمَالِ مِنْ أَبِيهَا مَا لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِلنِّسَاءِ، فَلِذَلِكَ أَدْرَكَتِ القُطْبَانِيَةَ، وَالقُطْبُ سَيِّدُ الوُجُودِ فِي كُلِّ عَصْرٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَّفَاتِيحِ الكُنُوزِ، وَسَبَبُ عَدَمِ حَيْضَتِهَا أَنَّ تَكْوِينَ[4] نُطْفَتِهَا الَّتِي تَكَوَّنَتْ فِي صُلْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَكَوَّنَتْ مِنْ أَكْلِهِ تُفَّاحَةً مِنْ تُفَّاحِ الجَنَّةِ، فَلِذَا قَالَ فِيهَا أَبُوهَا: (هِيَ حَوْرَاءُ آدَمِيَّةٌ)،

وَكَوْنُهَا حَوْرَاءَ لِأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ مِنْ فَضَلَاتِ التُّرَابِ الَّتِي مَادَّتُهَا سَارِيَةٌ فِي جَسَدِ آدَمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ[5] إِلَى سَائِرِ بَنِيهِ، فَإِنَّهَا[6] كَانَتْ مَادَّةَ نُطْفَتِهَا مِنْ مَعَانِي الجَنَّةِ وَأَسْرَارِهَا الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهَا الحُورَ، فَكَمُلَتْ طَهَارَتُهَا مِنْ مُلَابَسَةِ أَحْوَالِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي تُلَابِسُ النِّسَاءَ، فَكَانَتْ بِذَلِكَ حَوْرَاءَ آدَمِيَّةً وَبِذَلِكَ وَصَلَتْ المَرْتَبَةَ العُلْيَا بَيْنَ يَدَي الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي[7] لَيْسَ فَوْقَهَا فَوْقَهَا إِلَّا النُّبُوءَةُ. وَعَائِشَةُ وَغَيْرُهَا لَا مَطْمَعَ لَهُنَّ فِي هَذَا. فَبَانَ لَكَ حِينَئِذٍ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ الفَاضِلَاتِ.

---

[1]- سورة الحجرات، الآية 13

[2]- ل: فهذا

[3]- ل ي: ومن مريم

[4]- ك: تكون

[5]- ل ق: عليه الصلاة والسلام

[6]- ك ل م هـ ق ص ي: فإنما

[7]- ك ل م هـ ق ص ي: التي

وَأَمَّا القَوْلُ بِنُبُوءَةِ مَرْيَمٍ، قُلْنَا إِنَّهُ بَاطِلٌ، وَوَجْهُ بُطْلَانِهِ[1] أَنَّ القُطْبَ فِي كُلِّ عَصْرٍ لَهُ وِجْهَةٌ إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ يُمِدُّهَا وَيُقَوِّمُهَا[2] فِي[3] كُلِّ الوُجُودِ ذَرَّةً ذَرَّةً فِي هَذَا، فَمَا مِنْ سَاجِدٍ سَجَدَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الوُجُودِ، أَوْ رَاكِعٍ رَكَعَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ قَائِمٍ قَامَ لِلَّهِ تَعَالَى[4]، أَوْ مُتَحَرِّكٍ تَحَرَّكَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ ذَاكِرٍ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَيِّ ذِكْرٍ فِي جَمِيعِ الوُجُودِ، فَالقُطْبُ فِي ذَلِكَ هُوَ المُقِيمُ لَهُ، فَبِهِ سَبَّحَ[5] المُسَبِّحُ، وَبِهِ عَبَدَ العَابِدُ، وَبِهِ سَجَدَ السَّاجِدُ، وَبِهِ وَقَعَتِ الوِجْهَةُ الأُخْرَى الَّتِي لَا تُذْكَرُ.

فَحَاصِلُ الأَمْرِ فِيهِ أَنَّهُ لِلوُجُودِ كُلِّهِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لِلجَسَدِ، كَمَا أَنَّ الجَسَدَ لَا قِيَامَ لَهُ[6] وَلَا تَعَقُّلَ لَهُ إِلَّا بِالرُّوحِ، وَلَا حَرَكَةَ لَهُ إِلَّا بِالرُّوحِ[7]، وَجَمِيعُ خَوَاصِّ الجِسْمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ[8] مِنْ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ كُلُّهَا بِالرُّوحِ الحَيَوَانِي المُتَعَلِّقِ بِهِ، فَإِذَا انْعَدَمَتْ الرُّوحُ مِنْهُ انْعَدَمَتْ جَمِيعُ خَوَاصِّ الجَسَدِ وَصَارَ مَيِّتاً مَعْدُوماً، كَذَلِكَ **جَمِيعُ أَجْسَادِ الوُجُودِ فِي نِسْبَتِهَا إِلَى القُطْبِ هُوَ لَهَا كَالرُّوحِ لِلجَسَدِ**، فَلَوْ زَالَتْ رُوحَانِيَّتُهُ مِنْهَا لَانْعَدَمَ الوُجُودُ كُلُّهُ، فَهُوَ رُوحُ الوُجُودِ،

وَكُلُّ خَوَاصِّ الوُجُودِ بِأَسْرِهَا عَلَى الْتِئَامِهَا وَافْتِرَاقِهَا[9] وَعُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا وَإِطْلَاقِهَا وَتَقْيِيدِهَا كُلُّهَا لَا تُلَازِمُ ذَوَاتَ الوُجُودِ إِلَّا بِوُجُودِ رُوحَانِيَّةِ القُطْبِ فِيهَا، فَإِذَا أَزَالَ القُطْبُ رُوحَانِيَّتَهُ عَنْهَا انْعَدَمَ الوُجُودُ كُلُّهُ وَصَارَ مَيِّتاً لَا خَاصِيَةَ لَهُ، وَهَذِهِ القُوَّةُ لَهُ مِنْ تَحَمُّلِهِ لِسِرِّ

---

[1]- ك ل م هـ ق ص ي: إبطاله

[2]- ل: ويقيمها

[3]- ك ل ص ي: (في) ساقطة

[4]- ك ي: (تعالى) ساقطة

[5]- ك ص ي: يسبح

[6]- ل: لا يقام له

[7]- ح ع ق ص: (ولا حركة له إلا بالروح) ساقطة

[8]- ل: الظاهر والباطن

[9]- ل هـ: على افتراقها والتئامها

الإِسْمِ الأَعْظَمِ وَسَرَيَانِهِ فِي كُلِّيَّةِ عَوَالِمِهِ، وَبِسِرِّ الإِسْمِ الأَعْظَمِ صَارَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى قَائِماً مُسْتَكْمِلاً آدَابَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ وَمُسْتَكْمِلاً أَدَاءَ حُقُوقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ تَجَلِّيَاتِهِ الأَسْمَائِيَةِ وَالصِّفَاتِيَةِ وَالذَّاتِيَةِ، فِي كُلِّ آنٍ وَفِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَلَا نِهَايَةَ لِمَا يَتَجَلَّى بِهِ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْ اسْتِمْرَارِ الزَّمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَتَقَلُّبِ شُؤُونِهِ.

وَالقُطْبُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى يُعْطِي جَمِيعَ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الآدَابِ وَالوَظَائِفِ وَالخِدْمَةِ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَإِنْ كَثُرَتْ التَّجَلِّيَاتُ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ، فَهُوَ يُوَفِّي جَمِيعَ حُقُوقِهَا وَآدَابِهَا، فَلَيْسَ فِي الوُجُودِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَحَمُّلِ[1] جَمِيعِ مَا يَتَجَلَّى بِهِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ الوُجُودِ غَيْرُهُ. فَهُوَ فِي هَذَا فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْ عُمْرِهِ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الصِّدِّيقِينَ وَقَفُوا مَعَ اللَّهِ فِي هَذَا المَوْقِفِ لَانْعَدَمُوا فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَهَذَا دَأْبُهُ دَيْدَناً.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَالنِّسَاءُ لَا قُدْرَةَ لَهُنَّ عَلَى هَذَا[2] التَّحَمُّلِ لِضُعْفِهِنَّ، وَلِكَوْنِ الحَيْضِ شَاغِلاً لَهُنَّ عَنْ إِقَامَةِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ. فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً قَامَتْ مَقَامَ القُطْبَانِيَةِ لَتَعَطَّلَ القِيَامُ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَجَلِّيَاتِهِ فِي أَيَّامٍ مِنْ عُمْرِهَا وَهِيَ أَيَّامُ الحَيْضِ، فَإِذَا تَعَطَّلَ القِيَامُ بِوَاجِبَاتِ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى انْهَدَمَتِ المَرْتَبَةُ، أَعْنِي القُطْبَانِيَةُ، وَبِهَدْمِهَا يَنْهَدِمُ الوُجُودُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ **لَا نِسْبَةَ لِلنِّسَاءِ فِي تَحَمُّلِ مَرْتَبَةِ القُطْبَانِيَةِ**. هَذَا فِي القُطْبَانِيَةِ، فَانْقِطَاعُ طَمَعِهِنَّ فِي النُّبوءَةِ أَحْرَى وَأَوْلَى، لِأَنَّ النُّبوءَةَ أَكْبَرُ مِنَ القُطْبَانِيَةِ. وَأَمَّا فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَإِنَّهَا وَصَلَتْ مَرْتَبَةَ القُطْبَانِيَةِ لِأَنَّهَا اسْتَمَدَّتْ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةَ الَّتِي تَتَحَمَّلُ بِهَا سِرَّ الإِسْمِ الأَعْظَمِ وَالثُّبُوتَ فِي مَرْتَبَةِ القُطْبَانِيَةِ، وَلَا مَطْمَعَ لِلنِّسَاءِ فِي اسْتِمْدَادِ تِلْكَ الكَمَالَاتِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَطْ، فَبِذَلِكَ كَانَتْ هِيَ

---

[1]- ل: على عمل

[2]- ل: (هذا) ساقطة

أَفْضَلَ النِّسَاءِ عَلَى الإِطْلَاقِ. وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ مِنْهُ أَنَّهُ لَا مَطْمَعَ لِلنِّسَاءِ فِي دَرْكِ الإِسْمِ الأَعْظَمِ.

وَأَمَّا مَا اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى نُبُوءَةِ سَيِّدَتِنَا مَرْيَمَ بِكَلَامِ المَلَائِكَةِ وَعَلَى نُبُوءَةِ أُمِّ مُوسَى بِالوَحْيِّ. **فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ** أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ إِبْلِيسَ بِذَاتِهِ، فَلَا فِيهَا نُبُوءَةٌ، إِذِ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَا مِنَ المَلَكِ، وَلَيْسَتْ بِنُبُوءَةٍ[1] فِي حَقِّ إِبْلِيسَ. وَأَمَّا نُبُوءَةُ أُمِّ مُوسَى فَوَجْهُ إِبْطَالِ نُبُوءَتِهَا بِالوَحْيِّ، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**)[2]. وَلَيْسَتْ بِنُبُوءَةٍ فِي النَّحْلِ. وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**)[3]. وَلَا قَائِلَ بِنُبُوءَةِ السَّمَاوَاتِ. وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**)[4]. يَعْنِي الأَرْضَ. وَلَا قَائِلَ بِنُبُوءَتِهَا. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الوَحْيَّ لَا يَسْتَلْزِمُ النُّبُوءَةَ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ بِمَجْلِسٍ وَاحِدٍ وَالسَّلَامُ[5].

كَمُلَ الجُزْءُ الأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ جَوَاهِرِ المَعَانِي. وَبُلُوغِ الأَمَانِي. فِي فَيْضِ شَيْخِنَا القُطْبِ الرَّبَّانِي. وَالغَوْثِ الصَّمَدَانِي. أَبِي العَبَّاسِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ التِّجَانِي الحَسَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. وَمَتَّعَنَا وَسَائِرَ الأَحِبَّةِ بِرِضَاهُ. آمِينَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ الجَمِيلِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

---

[1]- ل: نبوة

[2]- سورة النحل، الآية 68

[3]- سورة فصلت، الآية 12

[4]- سورة الزلزلة، الآية 5

[5]- ل: (بمجلس واحد والسلام) ساقطة

جَوَاهِرُ المَعَانِي
وَبُلُوغُ الأَمَانِي
فِي فَيْضِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ
التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(الجُزْءُ الثَّانِي)

لِلعَلَّامَةِ العَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي
عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ العَرْبِي بَرَّادَةَ الفَاسِي
رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ



تَحْقِيقُ وَتَصْحِيحُ
ذ. مُحَمَّد الرَّاضِي كَنُّون الإِدْرِيسِي الحَسَنِي

رقم الإيداع القانوني
ردمك

مطبعة
المؤلف ... محمد الراضي كنون
الهاتف ... 0661683399

الموقع الإلكتروني:
www.cheikh-skiredj.Com

الفَصْلُ الثَّانِي
فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ. وَعُلُومِهِ الإِخْتِصَاصِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ

[وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى مَا وَرَدَ[1]] فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ[2] مُخْبِراً[3] عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ[4] تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.انْتَهَى.

(**وَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ الكَرِيمِ**، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ السِرِّ الجَسِيمِ[5])[6]، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ[7]: مَعْنَاهُ[8] أَنَّ **العِنْدِيَّةَ[9] هُنَا**، هِي[10] مِنْ إِطْلَاقَاتِ[11] الكِنَايَةِ[12] الإِلَهِيَةِ، وَذَلِكَ عِلْمٌ اخْتَصَّتْ بِهِ الرُّسُلُ، يَعْنِي عِلْمَ الكِنَايَةِ الإِلَهِيَةِ. وَفِي عِلْمِ الكِنَايَةِ،

---

[1] ـ أ ح ع ك ي س : ما بين القوسين ساقط
[2] - ي: (فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ) ساقطة
[3] - ي: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا وآله، مخبرا
[4] - ل: وإن
[5] - ح ك: العميم
[6] - ل: ما بين القوسين محذوف
[7] - ل: فأجاب رضي الله عنه بما نصه، قال:
[8] - ل: اعلم
[9] - ل: أن معنى العندية ها
[10] - ل: (هي) ساقطة
[11] - ل: إطلاق
[12] - ح: الكنايات

وَقَعَتْ عَلَى الحَقِّ عِبَارَاتٌ اسْتَحَالَ ظَاهِرُهَا مِنَ النُّزُولِ، وَالدُّنُوِّ وَالتَّدَلِّي، وَالمَعِيَّةِ وَالعِنْدِيَّةِ، وَالمَجِيءِ وَالضَّحِكِ وَالعَجَبِ، وَأَمْثَالُهَا كَثِيرَةٌ فِي الشَّرْعِ، وَظَوَاهِرُهَا مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ العِبَارَاتِ، وَقَعَتْ مِنَ الرُّسُلِ عَنْ مَعَانِي غَيْبِيَّةٍ، لَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا فِي حَقِّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَعَبَّرُوا عَنْهَا لَكِنْ عَبَّرُوا لِلْخَلْقِ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، عَرَفَ مَعَانِي[1] تِلْكَ الأَلْفَاظِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ لَا يَعْلَمُ مِنْهَا شَيْئاً، وَمِنْ جُمْلَتِهَا العِنْدِيَّةُ.

قَوْلُهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. فَالعِنْدِيَّةُ اقْتَضَتِ الحُلُولَ مَعَهُ فِي المَكَانِ، لِأَنَّ العَبْدَ فِي مَكَانٍ مُسْتَكِنٍّ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الحُلُولُ فِي الأَمْكِنَةِ وَالخُرُوجُ عَنْهَا، وَمَعْنَى العِنْدِيَّةِ هَا هُنَا إِسْعَافُهُ لِلْعَبْدِ[2] بِمَطْلَبِهِ، فِيمَا ظَنَّ بِهِ فِيهِ. فَمَنْ ظَنَّ بِرَبِّهِ خَيْراً وَجَدَ مِنْ رَبِّهِ خَيْراً، وَمَنْ ظَنَّ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ وَجَدَ[3] غَيْرَ ذَلِكَ.

قَالَتِ الجُلُودُ لِلْمُشْرِكِينَ حِينَ شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ قَالَ المُشْرِكُونَ لِجُلُودِهِمْ: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ قَالَتِ الجُلُودُ لَهُمْ فِي الجَوَابِ: **(أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)**. إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ)**[4] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[5] فِي وَصْفِ المُنَافِقِينَ **(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)**[6] الآيَةُ ذَكَرَهَا فِي ذَمِّهِمْ.

---

[1]- ي: (معاني) ساقطة

[2] - ل: إسعاف العبد

[3]- ك ي: وَجَدَ مِنْهُ

[4]- سورة فصلت، الآيات 22-23

[5]- ي: (وتعالى) ساقطة

[6]- سورة آل عمران، الآية 154

وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُوقِفُ العَبْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: مَا الَّذِي جَرَّأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِي، حَتَّى خَالَفْتَ[1] أَمْرِي؟ أَوْ مِمَّا هَذَا مَعْنَاهُ فَيَقُولُ العَبْدُ: رَبِّ[2] ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَغْفِرُ لِي، فَيَغْفِرُ لَهُ لِحُسْنِ ظَنِّهِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَكَانَتْ حَالَتُهُ مَعْرُوفَةً، قَالَ بَعْضُ مَنْ رَآهُ فِي النَّوْمِ وَسَأَلَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ[3] فَقَالَ: غَفَرَ لِي، قَالَ: قُلْتُ لَهُ بِمَاذَا؟ قَالَ: قَالَ لِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ[4].

قَالَ: قُلْتُ[5] إِلَهِي مَا بِهَذَا حُدِّثْتُ[6] عَنْكَ، فَقَالَ[7]: وَبِمَاذَا حُدِّثْتَ[8] عَنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ[9] حَدَّثَنِي فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ، وَذَكَرَ[10] الرُّوَاةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي مِنْ ذِي الشَّيْبَةِ[11] فِي الإِسْلَامِ أَنْ يُعَذِّبَهُ أَوْ مَا[12] مَعْنَاهُ هَذَا قَالَ فَقَالَ: صَدَقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ. وَذَكَرَ الرُّوَاةَ ثُمَّ قَالَ لِي: اذْهَبْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ.

وَهَذَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ خَيْراً عَامَلَهُ بِخَيْرٍ، وَمَنْ ظَنَّ بِهِ شَرّاً عَامَلَهُ بِظَنِّهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ أَنَّ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا العُقُوبَةُ وَالعَذَابُ، عَامَلَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَمَنْ ظَنَّ

---

[1]- ك: خلفت

[2]- ي: ربي

[3]- ل: بك

[4]- ل: فعلتَ وفعلتَ

[5]- ل: فقلت

[6]- ل: حدث

[7]- ك ل: قال

[8]- ل: حدث

[9]- ل: قلت له

[10]- ل: وذكرت

[11]- ل: شيبة

[12]- ل: وما

بِهِ[1] العَفْوَ عَامَلَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ الأَعْرَابِيُّ: مَنْ يَلِي حِسَابَ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ لَهُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ، يَعْنِي: اللَّهُ يَتَوَلَّى حِسَابَ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ. قَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ: بِذَاتِهِ؟ قَالَ لَهُ: بِذَاتِهِ. فَضَحِكَ الأَعْرَابِيُّ ضَحِكاً[3] شَدِيداً. فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَعْرَابِي؟ قَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا حَاسَبَ سَمَحَ، وَإِذَا قَدَرَ عَفَا، فَسَكَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَهُ مَعَ حُسْنِ ظَنِّهِ[4]، وَلَمْ يُزْعِجْهُ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُنْهَمِكاً، وَكَانَ ذَلِكَ غَرِيزَةَ قَلْبِهِ، يُفِيدُهُ ذَلِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَخْرُجُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى[5] بَاطِلاً، لَكِنْ فِي بِسَاطِ الشَّرْعِ يُطْرَدُ عَنْ ذَلِكَ، وَيُزْجَرُ إِلَى الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ[6] وَالتَّخْوِيفِ، وَيُسَمُّونَ حَقِيقَتَهُ اغْتِرَاراً بِاللَّهِ تَعَالَى. قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ الشَّاعِرُ المَشْهُورُ[7] وَكَانَتْ حَالَتُهُ مَعْرُوفَةً، قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ[8] بَعْدَ مَوْتِهِ، فِي حَالَةٍ حَسَنَةٍ مَحْمُودَةٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. قُلْتُ لَهُ[9]: بِمَاذَا؟

---

[1] - ل: بالله

[2] - ل: قال

[3] - ح: (ضَحِكاً) ساقطة

[4] - ل: ظنه بالله

[5] - ك: (تَعَالَى) ساقطة

[6] - ل: من الله تعالى

[7] - ح ل: المعروف

[8] - ك: (فِي النَّوْمِ) ساقطة

[9] - ل: قال قلت له

قَالَ لِي[1]: بِأَبْيَاتٍ قُلْتُهَا عِنْدَ مَوْتِي: قَالَ قُلْتُ لَهُ: مَا هِيَ؟ قَالَ لِي[2] هِيَ عِنْدَ رَأْسِي فِي الوِسَادَةِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ إِلَيْهَا فَوَجَدْتُهَا أَرْبَعَةَ أَبْيَاتٍ هِيَ[3]:

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً * فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً * فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ * فَمَنِ الَّذِي يَرْجُو المُسِيءُ المُجْرِمُ

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا * وَجَمِيلُ ظَنِّي[4] ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

غَفَرَ[5] اللَّهُ لَهُ بِهِنَّ. وَبِالجُمْلَةِ فَالمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي بِسَاطِ التَّحْقِيقِ، أَنَّ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ[6] يُحَسِّنُ[7] الظَّنَّ بِهِ فِي العَفْوِ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ المُنْهَمِكِينَ، لَقِيَ مِنْ رَبِّهِ عَفْواً، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا سِيمَا إِنْ كَانَ يُكْثِرُ التَّضَرُّعَ (مِنْ ذُنُوبِهِ، فِي أَوْقَاتٍ مِنْ أَيَّامِهِ، بِطَلَبِ[8] العَفْوِ وَتَرْكِ المُؤَاخَذَةِ، فَمَا خَرَجَتْ حَالَتُهُ مِنَ اللَّهِ بَاطِلَةً. وَمَنْ أَرَادَ هَذَا الحَالَ، فَعَلَيْهِ بِمُلَازَمَةِ حِزْبِ التَّضَرُّعِ)[9] وَالإِبْتِهَالِ إِلَخ.. فَلْيُطَالِعْهُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ العَامَّةِ، أَنَّهُ كَانَتْ حَالَتُهُ مَعْرُوفَةً فِيمَا لَا يُرْتَضَى[10]، فَمَاتَ وَرِيءَ[11] بَعْدَ

---

[1]- ك: (لي) ساقطة

[2]- ك: قال قال لي

[3] - ل: وهي

[4]- ي: عفوك

[5] - ل: فغفر

[6] - ل: الله تعالى

[7] - ل: بحسن

[8]- ع ي: يطلب

[9] - ل: ما بين القوسين محذوف

[10] - ل: يرضى

[11] - ل: فريء

مَوْتِهِ فِي حَالَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَ لَهُ الرَّائِي: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ[1] لَهُ[2]: فَعَلَ بِي، وَفَعَلَ بِي، يَعْنِي مِنَ الخَيْرَاتِ. قَالَ لَهُ: بِمَاذَا؟ قَالَ لَهُ: بِدُعَاءٍ كُنْتُ أَتَضَرَّعُ بِهِ، قَالَ لَهُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ يَا سَيِّدِي حَبَسْتَ مَنْ حَبَسْتَ عَنْ خِدْمَتِكَ، وَأَطْلَقْتَ لَهَا مَنْ أَحْبَبْتَ مِنْ خَلْقِكَ، غَيْرَ ظَالِمٍ وَلَا مَسْؤُولٍ عَنْ فِعْلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ لِي فِيكَ آمَالٌ، فَلَا تَجْمَعْ عَلَيَّ المَنْعَ مِنَ الطَّاعَةِ، مَعَ خَيْبَةِ الآمَالِ فِيكَ يَا كَرِيمُ. اهـ.

قَوْلُهُ: وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي. مَعْنَاهُ أَنَّ **المَعِيَّةَ هَا هُنَا** مِنْ إِطْلَاقَاتِ الكِنَايَاتِ[3] الإِلَهِيَةِ، إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[4] فَإِنَّ تِلْكَ هِيَ لَهُ صِفَةٌ ذَاتِيَةٌ، وَهَذِهِ المَعِيَّةُ هُنَا هِيَ مَعِيَّةُ العِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ مَعَ الذَّاكِرِ بِعِنَايَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، كَمَا أَنَّ مَعِيَّتَهُ مَعَ الصَّابِرِ فِي الجِهَادِ بِالنَّصْرِ[5] وَالتَّأْيِيدِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ**﴾[6] هُنَا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، بَعْدَ المَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ فَإِنَّهُ مَعَ الصَّابِرِ فِي الجِهَادِ لِلَّهِ بِالعِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ.

وَكَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ: ((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يَقْضِيَهُ))، فَإِنَّ المَعِيَّةَ هَا هُنَا بِالمَعُونَةِ وَالتَّيْسِيرِ، حَتَّى كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَكَابِرِ الأَغْنِيَاءِ، لَمْ يُرِدْ أَنْ يَخْلُوَا مِنْ دَيْنٍ. قِيلَ لَهُ: ((لَيْسَتْ بِكَ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا)) فَأَشَارَ إِلَى الحَدِيثِ.

وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَعِي، فَهَذِهِ المَعِيَّةُ هُنَا هِيَ مَعِيَّةُ الصِّفَاتِ، فَهِيَ مَعَ الذَّاكِرِ بِالمَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ، وَمَعَ الصَّابِرِ فِي الجِهَادِ بِالمَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَمَعَ

---

[1]- ك ي ل: فقال

[2] - ل: (له) ساقطة

[3]- ع ك ي: الكناية.

[4]- سورة الحديد، الآية 4

[5] - ل: بالصبر

[6]- سورة محمد، الآية 35

الدَّائِنِ بِالمَعُونَةِ وَالتَّيْسِيرِ. وَهَكَذَا فَالمَعِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)** [1]، فَهِيَ مَعِيَّةُ الذَّاتِ، فَهُوَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ، وَتِلْكَ لَا تَقْبَلُ انْفِصَالاً[2]، يَعْنِي الإِنْفِصَالَ عَنْ تِلْكَ المَرْتَبَةِ، فَهُوَ فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ، لَا بِحُلُولٍ وَلَا اتِّصَالٍ، وَلَا انْفِصَالٍ وَلَا مَسَافَةٍ وَلَا قُرْبٍ وَلَا بُعْدٍ، إِذْ تِلْكَ صِفَاتُهُ الذَّاتِيَةُ،

وَهَذِهِ المَعِيَّةُ، يَعْنِي مَعِيَّةَ الصِّفَاتِ مُقَيَّدَةٌ بِالشُّرُوطِ، الَّتِي هِيَ مَعَهَا، فَمَعَ الذَّاكِرِ بِالمَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ، إِذَا كَانَ ذَاكِراً، وَتَنْعَدِمُ إِذَا انْعَدَمَ، يَعْنِي إِذَا انْقَطَعَ انْقِطَاعاً كُلِّياً عَنِ الذِّكْرِ بِلَا عَوْدَةٍ لَهُ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ لِاسْتِرَاحَةِ أَوْقَاتِهِ بَيْنَ أَذْكَارِهِ، فَمَعِيَّةُ اللَّهِ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ، فَهُوَ مَعَهُ بِالمَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ، فَإِنَّهُ[3] يَقُولُ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: إِذَا اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِ عَبْدِي، فَرَأَيْتُ الغَالِبَ عَلَيْهِ ذِكْرِي، مَلَأْتُهُ بِحُبِّي، وَحُبُّ اللَّهِ هُوَ غَايَةُ المَطَالِبِ. وَمَنْ حَلَّ فِيهِ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى[4]، سَعِدَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً جَلَدَ رَجُلاً فِي الخَمْرِ، وَكَانَ قَدْ أَتَوْا إِلَيْهِ[5] بِهِ[6] مَرَّاتٍ، وَقَعَ فِي الخَمْرِ وَجَلَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: لَعَنَكَ اللَّهُ. فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَمَا ذَنْبُهُ أَخْرَجَهُ عَنْ حُرْمَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَهُوَ يَقُولُ فِي الحَدِيثِ: لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ إِلَخ..

---

[1]- سورة الحديد، الآية 4

[2]- ح ل: انفصال

[3]- ي: (فإنه) ساقطة

[4]- ي: (تعالى) ساقطة

[5] - ل: (إليه) ساقطة

[6]- ك: به إليه

وَأَعْظَمُ النَّوَافِلِ تَقَرُّباً: الذِّكْرُ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ بِتَعَاهُدِهَا[1] بِالحُضُورِ القَلْبِيِّ، لِأَنَّهَا مِثْلُ الذِّكْرِ، لَا يَزَالُ العَبْدُ مَرَّةً يَذْكُرُ، وَمَرَّةً يَسْتَرِيحُ، حَتَّى إِذَا رَأَى الحَقُّ مِنْهُ ذَلِكَ، صَبَّ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ أَنْوَاراً إِلَهِيَّةً، شَغَلَتِ القَلْبَ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَلَأَتْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَارَ القَلْبُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُطْمَئِنّاً بِذِكْرِ اللَّهِ، وَمِنَ الطُّمَأْنِينَةِ يَنْتَقِلُ إِلَى المُرَاقَبَةِ، وَهِيَ حَالَةٌ عَزِيزَةٌ، مَا نَالَهَا إِلَّا الأَفْرَادُ، يَعْنِي أَفْرَادَ السَّالِكِينَ، فَإِنَّهَا إِنْ دَامَتْ لِلْعَبْدِ، وَتَمَكَّنَ أَمْرُهَا مِنَ القَلْبِ، خَرَجَتْ بِهِ إِلَى الذُّهُولِ عَنِ الأَكْوَانِ، ثُمَّ إِلَى السُّكْرِ عَنْهَا وَهُوَ أَعْلَى مِنَ الذُّهُولِ، ثُمَّ إِلَى الفَنَاءِ عَنِ الأَكْوَانِ مَعَ شُعُورِهِ بِفَنَائِهِ، ثُمَّ إِلَى الفَنَاءِ عَنِ الفَنَاءِ،

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الحَدِّ، انْمَحَقَ الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ بِهَدْمِ جَمِيعِ الرُّسُومِ وَالأَطْلَالِ، وَانْمِحَاقِ[2] جَمِيعِ الآثَارِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الحَقُّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ عَنِ الحَقِّ، وَهُوَ بَابُ المَدْخَلِ إِلَى مَحَبَّةِ الذَّاتِ، وَهِيَ غَايَةُ الغَايَاتِ، فَإِذَا وَصَلَ العَبْدُ إِلَيْهَا، ارْتَفَعَ الحِجَابُ لَهُ عَنِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَطَلَعَتْ لَهُ شَمْسُ المَعَارِفِ، فَرُفِعَتْ لَهُ الأَسْتَارُ عَمَّا فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، وَالأَنْوَارِ وَالأَحْوَالِ العَلِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ السَّنِيَّةِ الكَرِيمَةِ، وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ، وَالحِكَمِ وَالحَقَائِقِ وَالعَجَائِبِ الَّتِي لَا تُعْرَفُ، وَلَا تُذْكَرُ، وَهِيَ غَايَةُ الغَايَاتِ. وَأَكْثَرُ مَا يُوصِلُ إِلَيْهَا مِنَ النَّوَافِلِ الذِّكْرُ، بِمُلَازَمَتِهِ وَمُعَانَقَتِهِ لَهُ[3]، فَإِنَّ الذِّكْرَ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالمَوَاهِبِ.

قَوْلُهُ: فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. فَإِنَّ هَذَا المَحَلَّ مِنْ إِطْلَاقَاتِ الكِنَايَةِ الإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ أَنَّهُ مَا أُخْرِجَ مَوْجُودٌ عَنْ ذِكْرِهِ مُطْلَقاً، لِأَنَّ

---

[1]- ي ل: يتعاهدها

[2]- ع ل: وانمحق

[3]- ي: (له) ساقطة

المَوْجُودَاتِ مُرْتَسِمَةٌ فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ الإِلَهِي، وَلَا تَسْقُطُ عَنِ العِلْمِ الإِلَهِي وَلَوْ لَحْظَةً وَاحِدَةً،

فَإِنَّ حَقِيقَةَ الذِّكْرِ فِي نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هُوَ حَقِيقَةُ عِلْمِهِ بِالمَوْجُودَاتِ، فَإِذَا عُلِمَ هَذَا، دَلَّ الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ هَذَا الذِّكْرَ ذِكْرٌ خَاصٌّ، لَيْسَ الذِّكْرَ الأَصْلِيَّ الَّذِي هُوَ فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ الإِلَهِي، لِأَنَّ هَذَا الذِّكْرَ الخَاصَّ، جَعَلَهُ جَزَاءً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِذِكْرِ العَبْدِ، حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**)[1] وَالمُرَادُ بِهِ بَسْطُ الثَّوَابِ عَلَى الذِّكْرِ فَقَطْ، ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا ذَكَرَهُ العَبْدُ فِي نَفْسِهِ، أَعْطَاهُ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا تُطِيقُهُ العُقُولُ، وَجَعَلَهُ مَكْتُوماً عَنْ خَلْقِهِ، لَا يُظْهِرُهُ لَهُ إِلَّا إِذَا أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ. يَقُولُ لَهُ: هَذَا ثَوَابُ مَا ذَكَرْتَنِي بِهِ، وَلَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ حَتَّى الحَفَظَةُ.

وَإِذَا[2] ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، يُرِيدُ إِذَا أَظْهَرَ ذِكْرِي فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ، وَاطَّلَعُوا عَلَيْهِ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَعْطَيْتُ فُلَاناً بِذِكْرِهِ لِي كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا[3] مِنَ الخَيْرَاتِ، فَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ الَّذِي أَظْهَرَهُ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ، جَمَعَ الثَّنَاءَ عَلَى العَبْدِ وَالعَطَاءَ لَهُ، **وَقَوْلُهُ:** خَيْرٍ مِنْهُ، المُرَادُ بِهِ مِنَ المَلَائِكَةِ أَهْلِ المَلَإِ الأَعْلَى، وَذَكَرَهُمْ هُنَا بِالخَيْرِيَّةِ عَلَى بَنِي آدَمَ.

وَهَذَا مَحَلُّ الخِلَافِ بَيْنَ العُلَمَاءِ، **فِي تَفْضِيلِ الآدَمِيِّ عَلَى المَلَكِ** عَلَى الإِطْلَاقِ إِلَّا الرُّسُلُ، يَعْنِي مِنَ المَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ قَطْعاً، لِأَنَّهُمْ رُسُلٌ، وَفِي تَفْضِيلِ المَلَكِ عَلَى الآدَمِيِّ مُطْلَقاً، إِلَّا النَّبِيئُونَ[4] وَالمُرْسَلُونَ.

---

[1] - سورة البقرة، الآية 152

[2] - ع ك ي ل: وَإِنْ

[3] - ك ل: كَذَا وَكَذَا

[4] - ك: النبيون

قُلْنَا: اخْتَلَفَ[1] العُلَمَاءُ فِيمَا عَدَا رُسُلَ المَلاَئِكَةِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، وَفِيمَا عَدَا الأَنْبِيَاءَ مِنَ البَشَرِ. فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ المَلَكِ مُطْلَقاً، مُحْتَجِّينَ بِهَذَا الحَدِيثِ: ((ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ)) وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ البَشَرِ عَلَى المَلاَئِكَةِ مَا عَدَا الكُفَّارَ، مُحْتَجِّينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ[2] وَتَعَالَى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيئَةِ)**[3] وَالمَلاَئِكَةُ مِنْ جُمْلَةِ البَرِيئَةِ، وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ)) الحَدِيثُ.

(قُلْنَا: هُوَ مَحَلُّ الخِلاَفِ[4] بَيْنَ العُلَمَاءِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ حُجَّةٌ تَقْتَضِي قَوْلَهُ)[5]. وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ، أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ وَقَائِعِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَةِ **أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: البَشَرُ أَمِ المَلاَئِكَةُ؟** فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المَلاَئِكَةُ أَفْضَلُ. قَالَ لَهُ[6]: قُلْتُ لَهُ[7] يَا رَسُولَ اللَّهِ العُلَمَاءُ يُنَازِعُونَنِي فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، فَمَا الَّذِي أَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي[8] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِي فِي الحَدِيثِ: ((وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ)) ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ الخِلاَفِ: المَلاَئِكَةُ أَفْضَلُ وَالبَشَرُ أَكْمَلُ.

---

[1]- ع ك ي: اختلفوا ـ ل: اختلاف

[2]- ي: (سبحانه) ساقطة

[3]- سورة البينة، الآية 7

[4]- ك: خلاف

[5] - ل: ما بين القوسين محذوف

[6]- ك ل: (له) ساقطة

[7]- ح ي ل: (له) ساقطة

[8]- ي: (لي) ساقطة

وَنَعْنِي بِالبَشَرِ هَا هُنَا العَارِفُونَ بِاللَّهِ، فَإِنَّ العَارِفِينَ بِاللَّهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ أَكْمَلُ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَإِنَّ العَارِفَ يَتَجَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ[1] فِي ذَاتِهِ، بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الَّتِي اقْتَضَاهَا ظُهُورُ الكَوْنِ عَلَى العُمُومِ وَالإِطْلَاقِ، وَلَيْسَ لِلْمَلَكِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ، تَجَلَّى اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ لَا غَيْرُ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، أَنْ يَتَجَلَّى اللَّهُ فِيهِمْ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ[2]، بِإِسْمَيْنِ فَأَكْثَرَ، لَيْسَ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ،

وَذَاتُ الآدَمِيِّ مُحِيطَةٌ بِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، فَإِنَّ فِي حَقِيقَةِ كُلِّ عَارِفٍ، الإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ المَلَائِكَةِ وَبِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ مِنَ العَرْشِ إِلَى الفَرْشِ، يَرَاهَا فِي ذَاتِهِ كُلِّهَا فَرْداً فَرْداً، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُطَالِعَ غَيْباً فِي اللَّوْحِ[3]، يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي ذَاتِهِ وَيُفَتِّشُ فِيهِ، وَلَيْسَ هَذَا الكَمَالُ إِلَّا لِلآدَمِيِّ، وَلِهَذَا جُعِلَتِ الخِلَافَةُ العَامَّةُ المُطْلَقَةُ عَنِ اللَّهِ[4] فِيهِ لِأَجْلِ هَذِهِ الإِحَاطَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي الخَبَرِ أَنَّ المَلَائِكَةَ رَأَتْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِبَنِي آدَمَ فِي الجَنَّةِ، مِمَّا لَا يُكَيَّفُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ، وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الأَفْكَارُ، قَالُوا: رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِسْطاً مِمَّا جَعَلْتَهُ لَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: لَا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدَيْ، كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ، فَسَكَتُوا وَأَيِسُوا مَا عَدَا **الرُّوحَ الأَعْظَمَ**، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَنْ هَذِهِ القَاعِدَةِ.

وَالعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ إِلَى المَلَائِكَةِ، كَمَا هُوَ[5] رَسُولٌ إِلَى البَشَرِ وَالجِنِّ، يُشِيرُونَ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ الرُّوحَ الأَعْظَمَ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ كَلَامَ الرَّبِّ

---

[1] - ح ل: (عليه) ساقطة

[2] - ع: وحدة

[3] - ك: في اللوح المحفوظ

[4] - ي: عن الله تعالى

[5] - ي: (هو) ساقطة

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَتَلَقَّى عَنْهُ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَيُلْقِيهِ إِلَى المَلاَئِكَةِ، فَهُوَ الوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ، فَلَيْسَ لِمَلَكٍ أَنْ يَتَلَقَّى الأَمْرَ مِنَ اللَّهِ، إِلَّا مِنَ الرُّوحِ الأَعْظَمِ.

فَبِهَذَا الاعْتِبَارِ كَانَ رَسُولاً إِلَى المَلاَئِكَةِ. وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ الرُّوحَ الأَعْظَمَ، مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَهِيَ بَاطِنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ ذَاتٍ، وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ[1] أَلْفَ ذَاتٍ. انْتَهَى الحَدِيثُ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يَعْنِي حَدِيثاً قُدْسِيّاً[2]: ((مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً)) إلخ. **التَّقَرُّبُ هُنَا مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ**، هُوَ مِنْ عِلْمِ الكِنَايَةِ، الَّتِي[3] عَبَّرَتْ[4] بِهَا الرُّسُلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذِكْرُ التَّقَرُّبِ وَالهَرْوَلَةِ، كِلاَهُمَا مُسْتَحِيلاَنِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالمُرَادُ بِهِمَا هَا هُنَا يَعْنِي: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَلَهُ مَطْلَبَانِ: المَطْلَبُ الأَوَّلُ: فِي مَقَامِ الشَّرِيعَةِ. وَالثَّانِي: فِي مَرْتَبَةِ السُّلُوكِ وَالحَقِيقَةِ.

فَفِي الشَّرِيعَةِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِيَسِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، أَعْطَيْتُهُ ضِعْفَهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً مِنَ الثَّوَابِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى[5]: **(مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)**[6] وَكَقَوْلِهِ فِي الإِنْفَاقِ فِي الجِهَادِ: **(كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ)**[7] أَخْبَرَ هُنَاكَ، أَنَّ

---

[1]- ك ل: وعشرون

[2]- ح ع ك: حديث قدسي

[3]- ي: (التي) ساقطة

[4]- ك: عبر

[5]- ك: (تعالى) ساقطة

[6]- سورة الأنعام، الآية 160

[7]- سورة البقرة، الآية 261

الحَسَنَةَ بِسَبْعِمِائَةِ أَمْثَالِهَا وَهَكَذَا. فَهَذَا مَعْنَى مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً.

وَمَعْنَى البَاعِ فِيهِ خُطْوَتَانِ، فِي كُلِّ خُطْوَةٍ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَقُلْنَا الشِّبْرُ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَقَلِّ قَلِيلٍ مِنَ العَمَلِ، يَتَقَرَّبُ بِهِ العَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيُعْطِيهِ[1] ضِعْفَهُ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، هُوَ[2] مَعْنَى الذِّرَاعِ كَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ، أَنَّ اللَّفْظَةَ الوَاحِدَةَ مِنَ الذِّكْرِ، يُعْطِي اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَهَكَذَا عَلَى طُولِهِ وَامْتِدَادِهِ وَالقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ، وَهَذَا لِعَامَّةِ النَّاسِ فَقَطْ.

وَأَمَّا أَهْلُ التَّخْصِيصِ فَلَا يُعْرَفُ قَدْرُهُمْ، أَيْ مَا يُعْطِيهِمْ مِنَ الثَّوَابِ، حَتَّى إِنَّ الوَاحِدَ مِنْ أَهْلِ التَّخْصِيصِ إِذَا نَطَقَ بِالكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ مِنْهُمْ عَدَلَتْ لَهُ أَعْمَالَ الثَّقَلَيْنِ، وَهَكَذَا. وَهَذَا مَعْنَى البَاعِ كُلَّ مَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالعَمَلِ، ضَاعَفَ لَهُ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، وَمِثَالُهُ فِي كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا خَمْسَةُ عَشَرَ حَرْفاً، فَيَكُونُ ثَوَابُهَا مِائَةً وَخَمْسِينَ حَسَنَةً إِذَا ذَكَرَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَإِنْ ذَكَرَهَا مَثَلاً أَلْفَ مَرَّةٍ، كَانَ ثَوَابُهَا مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ. فَهَذَا مَعْنَى الذِّرَاعِ وَالبَاعِ.

وَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، تُحْسَبُ حُرُوفُهَا بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَلَكٍ فِي الكَوْنِ يُصَلِّي عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَصَلَاةُ المَلَكِ لَيْسَتْ كَصَلَاةِ الإِنْسَانِ، فَإِنَّ كُلَّ حَرْفٍ فِي صَلَاةِ المَلَكِ بِمِائَةِ حَسَنَةٍ، وَالحَسَنَةُ مِنَ المَلَكِ لَيْسَتْ كَالحَسَنَةِ مِنَ الآدَمِيِّ، فَإِنَّ حَسَنَةَ الآدَمِي مِنْهَا كَالحُبُوبِ وَكَالأَوَاقِي، وَكَالأَرْطَالِ وَكَالقَنَاطِيرِ وَكَالجِبَالِ عَلَى قَدْرِ قُلُوبِهِمْ، فَالعَدَدُ وَاحِدٌ وَالمِيزَانُ مُفْتَرِقٌ،

---

[1] - ل: فيعطيه الله

[2] - ي: وهو

وَحَسَنَاتُ المَلَكِ هِيَ عَلَى قَدْرِ الجَبَلِ، الَّذِي طُولُهُ مَسِيرَةُ عِشْرِينَ سَنَةً[1] وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ وَعُلُوُّهُ كَذَلِك، فَإِذَا كُتِبَتْ فِي صَلَاةِ المَلَكِ[2] مِائَةٌ بِكُلِّ حَرْفٍ، فَأَيْنَ يُحْسَبُ ثَوَابُ هَذَا العَمَلِ، لِكَثْرَةِ عَدَدِ المَلَائِكَةِ، فَإِنَّ عَدَدَهُمْ لَا يُحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ، إِلَّا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، فَانْظُرْ مَا بَلَغَتِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَذْكَارِ، فَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَذْكَارِ.

وَقَوْلُهُ: وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً يُرِيدُ إِذَا اسْتَغْرَقَ أَوْقَاتَهُ فِي ذِكْرِي، أَعْطَيْتُهُ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ مِنَ الثَّوَابِ، وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الأَفْكَارُ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: **(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)**[3] وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَذَا حَمْدَانُ جَبَلٌ كَانَ يَسِيرُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِيرُوا سَبَقَ المُفَرَّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا المُفَرَّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((المُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَاتُونَ القِيَامَةَ[4] خِفَافاً))[5]، **فَهَذَا مَعْنَى الهَرْوَلَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،** هُوَ إِعْطَاؤُهُ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا تُطِيقُهُ العُقُولُ، وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الأَفْكَارُ، فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ: **(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)**[6] وَكَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ

---

[1]- ع ي: عشر سنين

[2]- ك: (الملك) ساقطة

[3]- سورة الأحزاب، الآية 35

[4]- ي: فياتون يوم القيامة

[5]- يقول المؤلف: (المُسْتَهْتَرُ المُولَعُ)

[6]- سورة السجدة، الآية 17

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))، فَإِنَّهُ يُعْطِيهِ تعَالَى بِلَا حَدٍّ وَلَا حِسَابٍ، فَهَذَا مَعْنَى الهَرْوَلَةِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا مَطْلَبُ الحَقِيقَةِ وَالسُّلُوكِ، فَإِنَّ حَدَّهَا هُوَ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ طَبَائِعِ النُّفُوسِ، فَإِنَّ العَبْدَ خُلِقَ مَطْبُوعاً عَلَى الإِدْبَارِ عَنِ اللَّهِ، وَالإِشْتِغَالِ عَنْهُ بِاشْتِغَالِهِ بِمُقْتَضَيَاتِ طَبْعِهِ وَهَوَاهُ، وَالشَّرْعُ أَوْجَبَ الرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا هُوَ فِيهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**)[1] يَعْنِي مِنْ مُقْتَضَيَاتِ طَبْعِكُمْ وَهَوَاكُمْ. وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**)[2] وَالإِنَابَةُ إِلَى الشَّيْءِ هِيَ[3] الرُّجُوعُ[4] عَنْ ضِدِّهِ، وَالإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، هِيَ الرُّجُوعُ عَنْ مُتَابَعَةِ النَّفْسِ وَالهَوَى.

فَإِنَّ هَذَا المَسْلَكَ هُوَ مَسْلَكُ جَمِيعِ الصِّدِّيقِينَ، فَإِنَّهُمْ سَلَكُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِالرُّجُوعِ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَهَوَاهُمْ إِلَى الإِشْتِغَالِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالدُّؤُوبِ عَلَى خِدْمَتِهِ وَالآدَابِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ أَبَداً هُوَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى عَلِمَ ذَلِكَ أَمْ جَهِلَهُ. وَمُقْتَضَى الحَدِيثِ عَلَى هذَا، مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً. (يَعْنِي إِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ مِنْ مُتَابَعَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ بِالرُّجُوعِ إِلَيَّ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً)[5].

وَتَقَرُّبُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، هُوَ إِعْطَاؤُهُ قِسْطاً مِنْ مُنَاسَبَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، نِسْيَانُ جَمِيعِ الأَكْوَانِ وَذَهَابُهَا[6] مِنْ عَقْلِ الإِنْسَانِ، لِبُرُوزِ مَا

---

[1]- سورة الذاريات، الآية 50

[2]- سورة الزمر، الآية 54

[3]- ي: هو

[4]- ل: هي الرجوع إليه

[5]- ي: ما بين القوسين محذوف

[6]- ي: وذهابه

هُنَالِكَ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، الَّتِي لَا تُذْكَرُ وَلَا تُعْرَفُ، وَالعَجَائِبِ الَّتِي تَعْجِزُ العُقُولُ عَنْ ذِكْرِهَا. فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أُلْقِيَ فِي الحَضْرَةِ، ذَهَبَتْ عَنْهُ نِسَبُ[1] جَمِيعِ[2] الأَكْوَانِ، وَهُوَ غَايَةُ القُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَغَايَةُ قُرْبِ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ، وَمَحَطُّ الإِنْسَانِ هُوَ فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لِاشْتِبَاكِ حَقَائِقِ الوُجُودِ فِي عَقْلِهِ، وَتَعَلُّقِ شَهَوَاتِهِ بِهَا تَمَتُّعاً وَتَلَذُّذاً وَاكْتِسَاباً.

فَلِهَذَا بَعُدَتْ نِسْبَتُهُ لِلْحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِذَا أَخَذَ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِمُفَارَقَةِ الأَكْوَانِ وَعَدَمِ الإِشْتِغَالِ بِهَا، إِنْ أَخَذَ فِي ذَلِكَ بِيَسِيرٍ مِنَ العَمَلِ، **فَهُوَ مَعْنَى الشِّبْرِ،** تَقَرَّبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذِرَاعاً، فَإِنَّهُ يُذِيقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ لَذَّةِ الإِشْتِغَالِ بِهِ، وَلَذَّةِ إِقْبَالِ العَبْدِ عَلَيْهِ، وَنِسْيَانِهِ فِي وَقْتِهَا لِجَمِيعِ الأَكْوَانِ، يُذِيقُهُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِمَّا تَقَرَّبَ بِهِ، فَهُوَ قِسْطٌ مِنْ مُنَاسَبَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ. وَالذِّكْرُ فِي نَفْسِهِ أَيْ ذِكْرُ اللَّهِ، هُوَ مِنْ نِسَبِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ[3].

قَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الذِّكْرُ مَنْشُورُ الوِلَايَةِ وَمَنَارُ الوُصْلَةِ فَمَنْ أُعْطِيَ الذِّكْرَ فَقَدْ أُعْطِيَ المَنْشُورَ، يُرِيدُ بِجُلُوسِهِ عَلَى بِسَاطِ الوِلَايَةِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، وَهُوَ مَعْنَى القُرْبِ، **وَقَوْلُهُ:** وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، يُرِيدُ إِذَا فَارَقَ كَثِيراً مِنْ مُقْتَضَيَاتِ طَبْعِهِ، عَمَلاً بِمَا يُنَاسِبُ الحَضْرَةَ الإِلَهِيَةَ مِنَ الأَذْكَارِ وَالعِبَادَةِ، تَقَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَاعاً،

---

[1]- ي: (نسب) ساقطة

[2] - ل: (جميع) ساقطة

[3]- ك: (وَالذِّكْرُ فِي نَفْسِهِ أَيْ ذِكْرُ اللَّهِ، هُوَ مِنْ نِسَبِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ) ساقطة

وَالبَاعُ هُوَ مَا يُظْهِرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلذَّاكِرِ، مِنَ المُؤَانَسَاتِ[1] فِي نَوْمِهِ أَوْ يَقَظَتِهِ، وَرُبَّمَا أَظْهَرَ لَهُ خَرْقَ العَادَةِ، حَتَّى يُشَاهِدَ الأَنْوَارَ طَالِعَةً وَنَازِلَةً[2]، ثُمَّ يَنْتَهِي بِهَا، حَتَّى يَرَاهَا تَحُومُ حَوْلَ قَلْبِهِ، دَاخِلَةً فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى أَنْ يَرَاهَا حَلَّتْ فِي قَلْبِهِ وَجَالَتْ فِيهِ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِ هَكَذَا، أَكْسَبَتْهُ مِنَ العُلُومِ أَمْراً عَظِيماً، حَتَّى يُعَبِّرَ عَمَّا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ الدِّرَاسَةِ، وَلَا يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ العُلُومُ، لِأَنَّهَا تَنْصَبُّ فِي قَلْبِهِ بِالوَضْعِ الإِلَهِي، **فَهُوَ مَعْنَى التَّقَرُّبِ بِالبَاعِ.**

ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَهَا إِلَى أَنْوَاعٍ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، بِدَوَامِ مُخَالَفَتِهِ لِهَوَاهُ وَطَبْعِهِ، كَالمَشْيِ عَلَى المَاءِ، وَالمَشْيِ فِي الهَوَاءِ وَهُوَ أَعْلَى، وَتَكْثِيرِ القَلِيلِ وَنَبْعِ المِيَاهِ فِي الأَرْضِ، حَيْثُ أَرَادَهَا بِلَا سَبَبٍ، وَتَكْوِينِ الدَّرَاهِمِ[3] وَالأَمْوَالِ وَالأَرْزَاقِ، إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهَا بِلَا سَبَبٍ، وَكَعِلْمِهِ بِالمُغَيَّبَاتِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، وَهُوَ مَعْنَى التَّقَرُّبِ بِالبَاعِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ.

وَقَوْلُهُ: وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، **المَشْيُ هَا هُنَا** هُوَ وُقُوعُ العَبْدِ فِي آخِرِ مَرَاتِبِ السُّلُوكِ، فَإِنَّهُ فِي البِدَايَةِ كَانَ مُقَيَّداً بِمُقْتَضَيَاتِ طَبْعِهِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى المَشْيِ، لَكِنْ يَتْرُكُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ طَبْعِهِ أُمُوراً قَلَائِلَ، ثُمَّ إِذَا دَامَ عَلَيْهَا، سَهُلَ عَلَيْهِ تَرْكُ[4] مَا بَعْدَهَا مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الهَوَى، فَبِدَايَتُهَا هُوَ التَّقَرُّبُ بِالشِّبْرِ وَبَعْدَ مَا يَتْرُكُ مِنْهَا كَثِيراً، بَعْدَ تَرْكِ القَلِيلِ هُوَ التَّقَرُّبُ بِالذِّرَاعِ.

فَإِنْ دَامَ أَمَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالقُوَّةِ الإِلَهِيَةِ، حَتَّى يَتْرُكَ جَمِيعَ مُقْتَضَيَاتِ طَبْعِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى حَالَةٍ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ، قَدِ انْسَلَخَتْ عَنْهُ بِجَمِيعِ هَوَاهَا، وَيَنْظُرَ فِي رُوحِهِ، فَيَرَاهَا تَخَلَّصَتْ مِنْ جَمِيعِ تِبَاعَاتِ الهَوَى، فَحِينَئِذٍ يَكْمُلُ سَيْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّيَتِهِ، سَيْراً لَا

---

[1]- ي ل: من الموانسة

[2]- ع: طَالِعَةً أَوْ نَازِلَةً

[3]- ع: الدَّرَاهِيمِ

[4]- ك: (ترك) ساقطة

يُثَبِّطُهُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُتَابَعَةِ الهَوَى. وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ إِقْبَالاً كُلِّياً، حَيْثُ لَمْ تَبْقَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِغَيْرِهِ، فَحِينَئِذٍ يَرْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ الحُجُبَ، وَيُدْخِلُهُ حَضْرَةَ القُدْسِ، فَيَكُونُ مِنَ الصِّدِّيقِينَ. **فَهَذَا مَعْنَى الهَرْوَلَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،** وَهَذَا كُلُّهُ كِنَايَةٌ فِي العِلْمِ الإِلَهِي، الَّتِي تَعْلَمُهُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كَمَالُهُ، ((لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ. وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَاهُ[2] الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُومِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ)). الحَدِيثُ. **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:** مَعْنَاهُ أَنَّ العَبْدَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ[3] بِالنَّوَافِلِ، وَالنَّوَافِلُ هُوَ مَا زَادَ عَلَى الفَرَائِضِ المَعْلُومَةِ.

وَأَفْضَلُ النَّوَافِلِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الذِّكْرُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ بِشُرُوطِهِ، فَهِيَ[4] أَعْظَمُ النَّوَافِلِ وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ. وَالمُرَادُ بِالنَّوَافِلِ هَاهُنَا بِقِيَامِ رُوحِهَا فِي السُّلُوكِ، وَرُوحُ الأَعْمَالِ فِي السُّلُوكِ هُوَ عَمَلُهَا خَالِصَةً لِلَّهِ، لَا لِحَظٍّ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، بَلْ يُرِيدُ الخُرُوجَ بِهَا إِلَى اللَّهِ مَحْضاً مِنْ جَمِيعِ حُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ[5] وَمُتَابَعَةِ هَوَاهُ،

---

[1]- ح ل: انتهى

[2]- ك ي ل: ورجله

[3]- ي: إلى الله تعالى

[4]- ي ل: فهو

[5]- ي ل: من جميع حظوظها وشهواتها

فَالعَبْدُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، بِمَنْزِلَةِ الشَّخْصِ المُلَطَّخِ بِالنَّجَاسَاتِ، وَتِلْكَ النَّجَاسَاتُ شَدِيدَةُ الإِلْتِصَاقِ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ يَسْعَى فِي زَوَالِ النَّجَاسَاتِ عَنْ[1] ذَاتِهِ، لِيَخْرُجَ إِلَى اللَّهِ طَاهِراً مُطَهَّراً. فَلَا شَكَّ أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الحَالَةِ، وَهُوَ التَلَطُّخُ بِالنَّجَاسَاتِ[2]، لَا[3] يَلْتَفِتُ لِعَمَلٍ[4] لِلثَّوَابِ[5]، بَلْ يَشْتَغِلُ بِتَطْهِيرِ نَفْسِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الرُّوحَ وَلَعَتْ بِالبُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّخَذَتْ[6] وُلُوعَهَا وَطَناً وَمَسْكَناً، وَصَعُبَ[7] عَلَى العَبْدِ التَخَلُّصُ مِنْ هَذِهِ الوَرْطَةِ، فَأَخَذَ فِي تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِمَّا تَعَلَّقَتْ بِهِ.

فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الرُّوحِ هَذِهِ تُسَمِّيهَا الصُّوفِيَةُ فِيهَا الغُرَابَ، لَا بَيَاضَ فِيهَا أَصْلاً بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَهُوَ[8] فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَنَوَافِلُ العَبْدِ فِي هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ هِيَ[9] الرُّجُوعُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ لِلَّهِ مَحْضاً لَا لِطَلَبِ الثَّوَابِ، فَهُوَ سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِتَطْهِيرِ رُوحِهِ، مِمَّا اسْتَوْطَنَتْهُ مِنَ الوُلُوعِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَأْخُذُهَا بِالمُجَاهَدَةِ وَالمُكَابَدَةِ، وَالقَمْعِ عَنْ هَوَاهَا، وَمُزَاوَلَةِ المَأْلُوفَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالمُعِينُ لَهُ عَلَى هَذِهِ المُجَاهَدَةِ هُوَ الذِّكْرُ عَلَى أَصْلِهِ، فَإِنَّهُ لَا تَخَلُّصَ لِلْعَبْدِ مِنْ وَرَطَاتِهِ إِلَى[10]

---

[1]- ك: من

[2] - ل: بالنجاسة

[3]- ك: (لا) ساقطة

[4]- ع ك: للعمل

[5]- ي ل: الثواب

[6] ـ أ ح ك س ي ع : واتخذ

[7]- ي: وضعف

[8]- ك ي ل: وهي

[9] ـ أ ح ك س ي ع : هو

[10] - ل: إلا

الصَّفَاءِ، الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ[1] إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ القُدْسِيَّةِ، إِلَّا بِفَيْضِ الأَنْوَارِ مِنْ حَضْرَةِ القُدُسِ.

وَفَيْضُ الأَنْوَارِ أَكْبَرُ مَا يَأْتِي بِهَا الذِّكْرُ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ العَبْدُ يَتَعَاهَدُ أَوْقَاتَ ذِكْرِهِ، ثُمَّ يَسْتَرِيحُ وَالأَنْوَارُ تُقْدَحُ فِي قَلْبِهِ وَقْتَ الذِّكْرِ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ لِعَدَمِ اسْتِقْرَارِهَا فِيهِ، لَكِنْ وُرُودُهَا عَلَيْهِ يَعْمَلُ فِي رُوحِهِ شَيْئاً مِنَ الصَّفَاءِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلاً تُقْدَحُ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى تَمْكُثُ فِي القَلْبِ قَدْرَ الدَّقِيقَتَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى تَمْكُثُ فِي القَلْبِ قَدْرَ سَاعَةٍ.

ثُمَّ تَنْتَقِلُ فَلَا يَزَالُ حَالَةً بَعْدَ حَالَةٍ حَتَّى تَسْتَقِرَّ الأَنْوَارُ فِي قَلْبِهِ، فَتُكْسِبَهُ حَالَةً لَمْ يَعْهَدْهَا مِنْ نَفْسِهِ مِنَ القُوَّةِ عَلَى الذِّكْرِ، وَالحَنِينِ إِلَى الوُقُوفِ بِبَابِ اللَّهِ، وَتَوَجُّعِ القَلْبِ مِنْ مُخَالَطَةِ الخَلْقِ، وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ تَخْلِيطَاتِهِمْ، ثُمَّ لَا يَزَالُ العَبْدُ بِاسْتِمْرَارِهِ مَعَ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ بِهِ الأَنْوَارُ إِلَى اسْتِغْرَاقِ أَوْقَاتِهِ فِي الذِّكْرِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَجِدُ فِي رُوحِهِ اكْتِسَاباً لَمْ يَعْهَدْهُ مِنَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرِ لِلْبَلَايَا، وَعَدَمِ الإِنْزِعَاجِ مِنْهَا، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نَفَقَاتِهِ وَأُمُورِهَا، وَالبُعْدِ عَنِ[2] التَّكَالُبِ عَلَى[3] الدُّنْيَا وَاكْتِسَابِهَا، ثُمَّ لَا يَزَالُ بِهِ الأَمْرُ[4] حَتَّى يَطْمَئِنَّ بِذِكْرِ اللَّهِ.

فَإِذَا اطْمَأَنَّ القَلْبُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِحَيْثُ يَصِيرُ الذِّكْرُ لَهُ وَطَناً لَا يَقْدِرُ عَنِ التَّخَلُّفِ عَنْهُ وَلَوْ لَحْظَةً، ذَاقَ بَاكُورَةَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، وَلَمَعَتْ لَهُ لَوَامِعُ مِنْ أَحْوَالِ الخَاصَّةِ العُلْيَا، وَيَشْهَدُ فِي نَفْسِهِ مِنَ القُرْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْراً عَظِيماً، وَيَجِدُ فِي قَلْبِهِ مِنَ العُلُومِ

---

[1]- ك: بها

[2] - ل: على

[3]- ع ي: عن

[4]- ك: الذكر

الإِلَهِيَةِ أَمْراً جَسِيماً، فَهُنَاكَ تَجَرَّدَ[1] مِنْ كُلِّ مَخِيطٍ وَمُحِيطٍ، وَأَحْرَمَ بِالبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَصَلَّى عَلَى الأَكْوَانِ صَلَاةَ الجَنَازَةِ، وَدَخَلَ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ المُرَاقَبَةِ، يُفَتِّشُ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ، فَلَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ قَصْداً غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَا يَتَغَافَلُ عَمَّا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ قُصُودُهُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا حَظٌّ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الخَفِيَّةِ، فَإِنَّهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ شَدِيدَةُ المَكْرِ بِصَاحِبِهَا، تَتَلَبَّسُ لَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مُظْهِرَةً لَهُ أَنَّهَا مَا تُرِيدُ فِيهَا إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، ثُمَّ أَنْوَارُهُ لِقُوَّتِهَا تُظْهِرُ لَهُ خَوَاطِرَ النَّفْسِ مِنَ الخَوَاطِرِ الإِلَهِيَةِ، لَا تَغِيبُ عَنْهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ شَدِيدُ الحَذَرِ مِنْ خَوَاطِرِهَا لِصُعُوبَةِ مَكْرِهَا، فَإِنَّهَا عَدُوَّةٌ لِلَّهِ وَلِصَاحِبِهَا، وَالعَدُوُّ لَا تَتَأَتَّى مِنْهُ النَّصِيحَةُ، فَلَا يَزَالُ مُلَازِماً لِمُرَاقَبَتِهِ، وَهُوَ عِلْمُ القَلْبِ بِاطِّلَاعِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى المُشَاهَدَةِ، وَهِيَ الإِسْتِهْلَاكُ فِي التَّوْحِيدِ،

وَغَايَةُ المُشَاهَدَةِ: يَنْمَحِقُ الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ، فَلَيْسَ إِلَّا الحَقُّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ لِلْحَقِّ عَنِ الحَقِّ، فَلَا عِلْمَ وَلَا رَسْمَ وَلَا عَقْلَ، وَلَا وَهْمَ وَلَا خَيَالَ، وَلَا كَيْفِيَّةَ وَلَا كَمِّيَةَ وَلَا نِسْبَةَ، انْتَفَتِ الغَيْرِيَّةُ كُلُّهَا، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ مُصْطَلِماً، حَتَّى يَنْتَقِلَ إِلَى الصَّحْوِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ الحَالِ يُقِيمُ بِقِيَامِ الحَقِّيَّةِ وَالخَلْقِيَّةِ، بِتَأْيِيدٍ إِلَهِي لَا شُعُورَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الصَّحْوِ، تُسَمِّيهِ الصُّوفِيَةُ الحَيَاةَ بَعْدَ المَوْتِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ المَرَاتِبِ الحَقِّيَّةِ وَالخَلْقِيَّةِ، وَتَمْيِيزِ خَوَاصِّهَا وَأَحْوَالِهَا وَمَرَاتِبِهَا، وَمَا فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الأَحْكَامِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، فَيُقِيمُ حُقُوقَ اللَّهِ فِي جَمِيعِهَا، فَهُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ. انْتَهَى.

قَوْلُهُ حَتَّى أُحِبَّهُ مَعْنَاهُ اعْلَمْ أَنَّ **مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ،** هُوَ إِفَاضَةُ مَحَبَّةِ ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ عَلَيْهِ، فَهِيَ غَايَةُ الغَايَاتِ، وَإِلَيْهَا[2] يَنْتَهِي سَيْرُ كُلِّ سَائِرٍ، مَنْ وَصَلَهَا كَمُلَتْ لَهُ مَطَالِبُ الدُّنْيَا

---

[1]- ك ي ل: يتجرد

[2] ـ أ ح ك س ي ع : وإليه

وَالآخِرَةِ. قَالَ: حَتَّى أُحِبَّهُ[1]، يَعْنِي أُفِيضَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ ذَاتِي، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**)[2] فَلَوْلَا مَحَبَّتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ مَا وَصَلُوا إِلَى مَحَبَّةِ ذَاتِهِ.

قَوْلُهُ: فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ إلخ.. يَشْهَدُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً إِلَهِيَةً، كَأَنَّهُ هُوَ الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهَا وَأَسْمَائِهَا، كَأَنَّهُ هُوَ وَلَيْسَ هُوَ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لِعُلُوِّ مَقَامِهِ، حَتَّى أَنَّهُ[3] إِنَّمَا يَحْمِلُ مَا لَا يَحْمِلُهُ جَمِيعُ الخَلْقِ مِنَ الثِّقَلِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: مَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنَ التَّوْحِيدِ حَمَلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ عَلَى شَعْرَةٍ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنَيْهِ، لِأَنَّهُ نَهَضَ فِي هَذَا المَقَامِ بِالقُوَّةِ الإِلَهِيَةِ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِاللَّهِ كَأَنَّ ذَاتَهُ ذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْمَعُ بِاللَّهِ.

وَعَلَامَةُ هَذَا النَّظَرِ وَالسَّمْعِ بِاللَّهِ، فَفِي النَّظَرِ: أَنْ يَنْظُرَ[4] الوُجُودَ كُلَّهُ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ، مِنْ حَيْثُ أَنْ لَا يَخْفَى مِنْهُ ذَرَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَيَسْتَوِيَ أَمْرُهَا فِيمَا كَانَ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ، وَيَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَفَوْقَهُ وَتَحْتَهُ.

يَرَى ذَلِكَ فِي الآنِ الوَاحِدِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَيَرَاهُ كَالجَوْهَرِ الفَرْدِ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ القِسْمَةَ، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ المَرْئِيَّاتُ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهَا وَأَوْضَاعُهَا، وَحَرَكَاتُهَا وَأَلْوَانُهَا كُلُّهَا[5]، يَرَاهَا عَلَى مَا هِيَ[6] عَلَيْهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً فِي الآنِ الوَاحِدِ فِي كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ذَرَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَبَبُ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ أَنَّ بَصَرَ الرُّوحِ قَدِ انْفَتَحَ، فَإِذَا انْفَتَحَ بَصَرُ

---

[1]- ك: (أُحِبَّهُ) ساقطة

[2]- سورة المائدة، الآية 54

[3]- ع ك ح هـ ق ص ي ل: (حَتَّى أَنَّهُ) ساقطة

[4]- ع: أَنْ يَنْظُرَ بِاللَّهِ

[5] - ل: (كلها) ساقطة

[6]- ع: هو

الرُّوحِ فِي ذَاتِهِ، طَالَعَ جَمِيعَ الأَكْوَانِ وَالعَوَالِمِ، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الرُّؤْيَةُ. فَهَذَا هُوَ النَّظَرُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَالسَّمْعُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَسْمَعَ جَمِيعَ أَلْفَاظِ الوُجُودِ فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ وَاخْتِلَافَ تَسْبِيحِهَا وَأَذْكَارِهَا فِي الآنِ الوَاحِدِ، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ كَثْرَةُ أَلْفَاظِهَا وَتَسْبِيحِهَا، كَأَنَّهُ فِي كُلِّ لَفْظٍ لَا يَسْمَعُ غَيْرَهُ، فَإِنَّ أَمْرَ العَامَّةِ فِي السَّمَاعِ لَا يَسْمَعُ إِلَّا لَفْظاً وَاحِداً، فَإِذَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الأَلْفَاظُ، عَجَزَ عَنْ تَمْيِيزِهَا. وَالسَّالِكُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ، قُلْنَا يَسْمَعُ جَمِيعَ أَلْفَاظِ المَوْجُودَاتِ وَتَسْبِيحَهَا، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ. انْتَهَى.

قَوْلُهُ: وَيَدَهُ[1] الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا: فَإِنَّمَا يَبْطِشُ بِاللَّهِ تَعَالَى، لَا بِقُوَّتِهِ، فَيَكُونُ فِي قُوَّتِهِ، لَوْ أُذِنَ لَهُ فِي البَطْشِ لَقَتَلَ أَلْفَ أَلْفِ رَجُلٍ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَكَذَا فَهَذِهِ القُوَّةُ الإِلَهِيَّةُ. انْتَهَى. **قَوْلُهُ:** وَرِجْلَاهُ[2] الَّتِي يَمْشِي بِهَا: فَإِنَّهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ إِنْ يَتَخَطَّى الوُجُودَ كُلَّهُ فِي خُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ، يَضَعُ رِجْلَهُ مَثَلاً فِي الأَرْضِ، وَيَضَعُ الرِّجْلَ الأُخْرَى وَرَاءَ العَرْشِ، لَكِنْ بِالرُّوحِ لَا بِالجَسَدِ. انْتَهَى.

وَقَوْلُهُ: وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ: فَإِنَّهُ يَنْطِقُ هَاهُنَا بِنُطْقِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَقْدِرُ فِي هَذَا الحَالِ أَنْ يَقْرَأَ مِائَةَ أَلْفِ خَتْمَةٍ، فِي مِقْدَارِ مَا يَقْرَأُ القَارِئُ سُورَةَ الإِخْلَاصِ. قُلْنَا: لِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِأَنْوَارِ صِفَاتِ الحَقِّ فَلَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ، فَإِذَا سَرَى فِيهِ نُورُ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، عَمِلَ فِي الوُجُودِ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ، حَتَّى أَنَّهُ يَقْدِرُ فِي مِقْدَارِ سَاعَةٍ فَلَكِيَّةٍ فِي مَحَلٍّ وَيَعْمَلُ فِي مَحَلٍّ آخَرَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُولَدُ لَهُ مِنْهَا عِشْرُونَ وَلَداً مَثَلاً وَهَكَذَا. وَقَدْ وَقَعَ كَثِيراً لِلْأَوْلِيَاءِ هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي المَوْجُودَاتِ وَلَا يَتَقَيَّدُ بِالعَادَاتِ، فَفِي غَيْبِهِ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ العُقُولُ. انْتَهَى.

---

[1]- ي: ويداه

[2]- ك ي ل: ورجله

قَوْلُهُ: وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي[1] لَأُعِيذَنَّهُ: لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى غَايَةِ الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِ، كَانَ مُجَاباً فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ، إِنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ خَافَ مِنْهُ أَعَاذَهُ، وَإِنْ سَأَلَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أَرَادَهُ أَعْطَاهُ لَهُ فِي الحِينِ وَهَكَذَا. ثُمَّ هَذَا القُرْبُ الَّتِي[2] اجْتَمَعَتْ[3] عَلَيْهِ الطَّائِفَةُ، المُصَرَّحُ بِهِ فِي الكِتَابِ[4] وَالسُّنَّةِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، لَيْسَ هُوَ قُرْبَ المَسَافَةِ وَلَا قُرْبَ الاتِّصَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ قُرْبُ النِّسْبَةِ فَقَطْ،

فَإِنَّ العَبْدَ وُضِعَ أَوَّلاً فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنْ نِسْبَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِنَّ **نِسْبَةَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ تَقْتَضِي** أَنْ لَا وُجُودَ لِشَيْءٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا حُكْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعالَى، وَلَا الْتِفَاتَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَعْوِيلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَدُّهَا أَنْ لَا يَكُونَ فِي قَلْبِ المُقَرَّبِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لَا غَيْرُ، وَالعَبْدُ وُضِعَ فِي وَضْعِهِ الأَوَّلِ، حَيْثُ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَحَيْثُ أَفَاقَ مِنْ غَيْبَتِهِ هُوَ فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لِكَوْنِهِ مَشْغُولاً بِحُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ، دَائِمَ العُكُوفِ عَلَى تَحْصِيلِ أَوْطَارِهِ مِنْ حَالِ دُنْيَاهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يَلُمُّ بِهِ. فَهَذَا هُوَ البُعْدُ عَنْ نِسْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ البُعْدُ هَاهُنَا بُعْدَ المَسَافَةِ، فَإِنَّ الذَّاتَ العَلِيَّةَ: جَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَيْءٍ خَلَقَتْهُ مَسَافَةٌ تَقْتَضِي الانْفِصَالَ.

---

[1] - ع: اسْتَعَاذَ بِي

[2] - ل: الذي

[3] - ع ك ص: أجمعت

[4] - ك ح هـ: الكتب

وَكَذَا تجَلَّتْ[1] وَتَقَدَّسَتْ أَنْ يَكُونَ[2] لَهَا اتِّصَالٌ بِشَيْءٍ، بَلْ الوُجُودُ كُلُّهُ فِي قَبْضَتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْ نَشْأَتِهِ الأُولَى إِلَى الأَبَدِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ، وَنَعْنِي بِهِمْ أَهْلَ البُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، المَشْغُولِينَ بِشَهَوَاتِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ، فَهُمْ فِي جَمِيعِ تَقَلُّبَاتِهِمْ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَنْ مَشَى مِنْهُمْ مَشَى بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ حَيْثُ مَا مَشَى، وَمَنْ سَعَى مِنْهُمْ كَذَلِكَ، وَمَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ كَذَلِكَ، جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ حَيْثُمَا جَلَسَ، وَمَنْ رَقَدَ مِنْهُمْ رَقَدَ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ كَيْفَ مَا رَقَدَ، وَالحَاصِلُ مِنْهُمْ مَنْ تَحَرَّكَ تَحَرَّكَ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ، وَمَنْ سَكَنَ مِنْهُمْ سَكَنَ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ، وَإِنَّمَا هُمْ عَمُونَ عَنْ هَذَا.

وَفِي هَذَا المَيْدَانِ الكَافِرُ وَالمُسْلِمُ، وَالمُؤْمِنُ وَالصِّدِّيقُ، وَالقُطْبُ وَالرَّسُولُ، وَالنَّبِيءُ وَالمَلَكُ، كُلُّهُمْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ فِي هَذَا المَيْدَانِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَخَصَّ مِنَ الآخَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَمَنْ وَرَاءَهُمْ انْكَشَفَ لَهُ[3] ذَلِكَ، فَرَأَوْهُ عِيَاناً فَأَعْطَوْا جَمِيعَ هَذَا المَشْهَدِ حَقَّهُ، وَالعَامَّةُ عَمُوا عَنْ هَذَا وَجَهِلُوهُ، فَأَدْبَرُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِمُعَانَقَةِ أَغْرَاضِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ بِمُتَابَعَةِ هَوَاهُمْ، لَكِنْ لَهُمْ عُذْرٌ فِي هَذَا، فَإِنَّ الصَّفْوَةَ العُلْيَا مِنَ الصِّدِّيقِينَ إِلَى الرُّسُلِ، أُعْرِيَ عَنْهُمُ الحِجَابُ فَتَجَلَّى اللَّهُ لَهُمْ عِيَاناً، فَإِنَّ مَنْ تَجَلَّى اللَّهُ لَهُ حَتَّى رَآهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَطَهَّرَهُ ذَلِكَ التَّجَلِّي مِنْ جَمِيعِ حُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ.

يُقَالُ فِي الإِشَارَةِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مَنْ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ صِفَاتِي أَلْزَمْتُهُ الأَدَبَ، وَمَنْ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ ذَاتِي أَلْزَمْتُهُ العَطَبَ وَهُوَ الإِسْتِهْلَاكُ. قَالُوا إِنَّ هَذَا العَطَبَ هُوَ غَايَةُ

---

[1] - ل: جلت

[2] - ك: (بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَيْءٍ خَلَقَتْهُ مَسَافَةً تَقْتَضِي الانْفِصَالَ. وَكَذَا تَجَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ أَنْ يَكُونَ) ساقطة

[3] - ع ك ص ي: لهم

الأَرَبِ وَمَطْلَبُ[1] العَبِيدِ، فَإِنَّهُ عَيْنُ الوُصُولِ. وَأَمَّا العَوَامُّ فَإِنَّهُمْ أُرْخِيَ عَلَيْهِمُ الحِجَابُ، فَلَمْ يَرَوْا رَبَّهُمْ وَلَا عَرَفُوهُ، فَاشْتَغَلُوا بِهَوَاهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ مَعَ كَوْنِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِذْ لَا يَرَوْنَهُ، لَكِنَّ مَوْضِعَ التَّحْقِيقِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ كُلُّ ذَلِكَ مُرَادُ اللَّهِ مِنْهُمْ، لَيْسَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ هُوَ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ هُوَ بِإِقَامَةِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ الحَالِ.

ثُمَّ إِنَّ ذَاتَ العَارِفِ تَبْلُغُ أَنْ تَكُونَ هِيَ العَامِلَةُ فِي الأَشْيَاءِ بِلَا دُعَاءٍ وَلَا ذِكْرٍ، تَبْلُغُ حَتَّى أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَلْفُ رَجُلٍ، يَقْتُلُونَهُ فِي مَحَلٍّ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُ، حَيْثُ تُعْجَزُ إِغَاثَتُهُ، ثُمَّ نَطَقَ فِي ضَمِيرِهِ أَنْ يَعْجِزُوا، أَوْ تَحَرَّكَ ضَمِيرُهُ لِعَجْزِهِمْ عَجَزُوا عَنْهُ فِي الحِينِ، وَإِنْ[2] شَاءَ تَفْرِيقَ شَمْلِهِمْ وَقَعَ القِتَالُ بَيْنَهُمْ فِي الحِينِ، وَعَجَزُوا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ العِلَّةُ المَعْرُوفَةُ عِنْدَ العَامَّةِ بِالنُّقْطَةِ وَهِيَ السُّبَاتُ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ فِي الحِينِ، وَتَعَطَّلَتْ الحَرَكَةُ مِنْهُمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا، دُونَ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يَفْعَلُ الأَشْيَاءَ بِاللَّهِ.

وَلَوْ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ العَطَشُ الشَّدِيدُ المُهْلِكُ فِي بَرِّيَّةٍ قَفْرَاءَ، وَشَاءَ بِضَمِيرِهِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ المَطَرُ فِي الحِينِ بِلَا دُعَاءٍ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُفَجِّرَ المَاءَ فِي الأَرْضِ تَفَجَّرَ مِنْ حِينِهِ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، لَكِنْ إِذَا وَقَعَ لِلرِّجَالِ هَذَا لَمْ يَتْرُكُوهُ دَائِماً إِذَا شَرِبَ أَوْ تَوَضَّأَ، أَوْ قَضَى حَاجَتَهُ طَمَسَهُ فِي الحِينِ، الحَاصِلُ أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَهُ فِي ضَمِيرِهِ وَقَعَ فِي الحِينِ.

قَالَ بَعْضُ الرِّجَالِ: كُنْتُ أَخْدُمُ شَيْخاً مِنْ شُيُوخِ العَارِفِينَ، وَقَدْ سَافَرْتُ مَعَهُ إِلَى الحَجِّ أَخْدُمُهُ، وَكَانَ فِي أَقْصَى العِرَاقِ، فَكَانَ وَقَعَ بِهِ الطَّلْقُ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: فَكَانَ أَكْرَبَنِي فِي كُلِّ لَحْظَةٍ نُعْطِيهِ يَقْضِي الحَاجَةَ، ثُمَّ نُعْطِيهِ إِنَاءَ الوُضُوءِ فَيَتَوَضَّأُ[3]، فَشَقَّ عَلَيَّ[4] ذَلِكَ

[1]- ك: ومطلوب

[2]ـ أع ك ح هـ ق ص ي ل : إن

[3]- ك: يتوضأ

[4]-أع ك ح هـ ق ص ي : عليه

حَتَّى وَصَلَ[1] إِلَى مَدِينَةٍ نَزَلُوا بِسَاحَتِهَا، قُلْتُ لَهُ: إِنَّ بِهَذِهِ المَدِينَةِ دَارَ السَّبِيلِ، قَدْ أَعَدُّوا فِيهَا جَمِيعَ الأَدْوِيَةِ لِذَوِي العَاهَاتِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أُرِيدُ الدُّخُولَ إِلَيْهَا، لِآتِيكَ مِنْهَا بِدَوَاءٍ يُمْسِكُ البَطْنَ، قَالَ: فَقَالَ لِي ادْخُلْ إِنْ شِئْتَ، لِكَثْرَةِ مَا رَأَى مِنِّي مِنْ كَثْرَةِ الاحْتِرَاقِ، وَالحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ الأَمْرِ.

قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ قُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى الأَمِيرِ لِيَقْضِيَ مُرَادِي، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الأَمِيرِ فَبِنَفْسِ مَا رَآنِي قَامَ وَعَانَقَنِي، وَفَرِحَ بِي وَبَشَّ بِي، كَأَنِّي كُنْتُ لَهُ صَدِيقاً مُلَاطِفاً مُنْذُ سِنِينَ، ثُمَّ رَحَّبَ تَرْحِيباً عَظِيماً وَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي حَرَّكَكَ حَتَّى شَقَيْتَ إِلَيْنَا؟ قَالَ: رَأَيْتُ مِنْهُ عَجَباً فِي الإِكْرَامِ وَالبُرُورِ، مَعَ كَوْنِهِ مَا فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ قَطُّ، ثُمَّ قَالَ لِي: مَا تُرِيدُ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ الحَاجَةَ وَالأَمْرَ الَّذِي أُرِيدُهُ مِنَ الدَّوَاءِ لِإِمْسَاكِ البَطْنِ. فَقَالَ: حُبّاً وَكَرَامَةً، ثُمَّ[2] قَالَ لِحَرَسِهِ: عَلَيَّ بِهِ الآنَ، فَجَاؤُوا بِهِ مِنْ دَارِ السَّبِيلِ وَأَعْطَاهُ لِي، وَانْصَرَفْتُ مُكَرَّماً مِنْ عِنْدِهِ. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَعْطَيْتُهُ الدَّوَاءَ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا فَعَلَ الأَمِيرُ مَعِي مِنَ الفَرَحِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِكْرَامِ، بِحَالٍ لَمْ يَكُنْ مُعْتَاداً مِنْهُ.

قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ[3]: أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ، لَمَّا رَأَيْتُ حِرْصَكَ وَشَوْقَكَ وَاحْتِرَاقَكَ عَلَى الدَّوَاءِ، وَذَهَبْتَ عِنْدَهُ خِفْتُ عَلَيْكَ أَنْ يَسُوءَ حَالُكَ عِنْدَهُ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِكَ، فَتَسْتَوْحِشَ مِنْ ذَلِكَ، فَانْتَقَلْتُ مِنْ هَاهُنَا بِرُوحِي، نَقَلْتُ رُوحِي مِنْ جَسَدِي وَسَبَقْتُكَ إِلَيْهِ، وَدَخَلْتُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى لَبِسْتُ رُوحَهُ وَجَسَدَهُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ[4] أَنَا الَّذِي قُمْتُ إِلَيْكَ، فَإِنِّي كُنْتُ حَاكِماً عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنِّي، لِأَنِّي أَنَا الرُّوحُ وَهُوَ الجَسَدُ. فَفَعَلْتُ بِكَ مَا رَأَيْتَ،

---

[1]- ك: وصلوا

[2]- ح: (ثم) ساقطة

[3]- ك ي ل: فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ

[4]- ك: فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ

فَأَنَا الَّذِي أَكْرَمْتُكَ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ[1]. فَلَمَّا خَرَجْتَ وَسِرْتَ، خَرَجَتْ رُوحِي مِنْهُ وَرَجَعَتْ إِلَى جَسَدِهَا، وَالدَّوَاءُ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، وَلَا أُرِيدُهُ وَلَا أَفْعَلُهُ.

وَوَجْهُ الشَّاهِدِ فِي هَذَا أَنَّ العَارِفَ يَفْعَلُ[2] مَا يُرِيدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا أَنَّ فِي هَذَا المَحَلِّ مَوْضِعَ الحَيَاءِ وَالأَدَبِ إِنْ دَخَلَ الحَضْرَةَ، عَلَى أَنَّ وَصْفَهُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ وَالثُّبُوتُ لِمَجَارِي الأَقْدَارِ، وَتَرْكُ المُرَادَاتِ وَالاخْتِيَارِ[3]. فَلَمَّا كَانَ وَصْفُهُ هَذَا، لَمْ يَتَأَتَّ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ بَشَرِيَّتُهُ، إِلَّا إِذَا وَقَعَ بِهِ الأَضْرَارُ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، حَرَّكَ سِرَّهُ وَفَعَلَ مَا أَرَادَ.

وَأَمَّا قَوْلُنَا إِنَّ القُرْبَ قُرْبُ النِّسْبَةِ لَا قُرْبُ المَسَافَةِ، وَقُلْنَا: إِنَّ الخَلْقَ كُلَّهُ[4] بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ فِي قُرْبِهِ مِنْهَا كُلِّهَا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ. فَالكَافِرُ وَالرَّسُولُ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالحَقُّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا مُتَّصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، فَهُوَ قَرِيبٌ فِي غَايَةِ القُرْبِ وَأَبْعَدُ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ، وَتِلْكَ الصِّفَةُ تَتْبَعُ حَقِيقَةَ وُجُودِهِ، وَلَا يَعْرِفُ الوُجُودَ المُطْلَقَ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ عَالِمٌ وَلَا غَيْرُهُ.

وَأَمَّا النِّسْبَةُ المَذْكُورَةُ لِلرِّجَالِ، فَإِنَّهَا قُرْبُ النِّسْبَةِ، فَإِنَّ الحَضْرَةَ القُدْسِيَّةَ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ، لَا تَقْبَلُ التَّلْوِيثَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، فَإِنَّ مَنْ دَخَلَهَا غَابَ عَنْهُ الوُجُودُ كُلُّهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الأُلُوهِيَّةُ المَحْضَةُ، حَتَّى نَفْسُهُ تَغِيبُ عَنْهُ. فَفِي هَذَا الحَالِ لَا نُطْقَ لِلْعَبْدِ، وَلَا عَقْلَ وَلَا وَهْمَ وَلَا حَرَكَةَ، وَلَا سُكُونَ وَلَا رَسْمَ، وَلَا كَيْفَ، وَلَا أَيْنَ، وَلَا حَدَّ وَلَا عِلْمَ. فَلَوْ نَطَقَ العَبْدُ فِي هَذَا الحَالِ لَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي، لِأَنَّهُ مُتَرْجِمٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[1] ـ ل : ليس شيء منه

[2] - ك: (يَفْعَلُ) ساقطة

[3] - ع: وترك الاخْتِيَارِ.

[4] - ك: كلها

وَفِي هَذَا المَيْدَانِ قَالَ أَبُو يَزِيدٍ قَوْلَتَهُ الَّتِي قَالَ فِي وَسَطِ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ دَائِرُونَ بِهِ، قَالَ: سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي فَهَابُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ غَائِبٌ، فَلَمَّا صَحَا مِنْ سَكْرَتِهِ وَتَحَقَّقُوا مِنْهُ الصَّحْوَ، أَخْبَرُوهُ بِمَا سَمِعُوهُ مِنْهُ، فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ، وَهَلَّا قَتَلْتُمُونِي فِي تِلْكَ الحَالَةِ فَإِنَّكُمْ لَوْ قَتَلْتُمُونِي لَكُنْتُمْ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنْتُ شَهِيداً، قَالُوا لَهُ: لَمْ نَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ الحَضْرَةَ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ، لَا تَقْبَلُ الغَيْرَ وَالغَيْرِيَّةَ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا تَجَلَّى بِكَمَالِ جَلَالِهِ لِلْعَبْدِ، أَمَاتَهُ عَنْ جَمِيعِ الأَكْوَانِ، فَلَمْ يَعْقِلْ لَا غَيْراً وَلَا غَيْرِيَّةً، فَهَذَا غَايَةُ الصَّفَاءِ. قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِراً عَنْ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ، حَيْثُ أَخْبَرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ لِرَبِّهِ: ((وَلَمْ أَرَ عِنْدَ رُؤْيَةِ رَبِّي أَحداً مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلُّهُمْ قَدْ مَاتُوا))، فَهَذَا هُوَ الصَّفَاءُ وَالقُرْبُ.

وَمَعْنَى القُرْبِ هُوَ نِسْيَانُ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَكَانَ الوُجُودُ فِي مَحَطِّهِ الأَوَّلِ، هُوَ[1] فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، إِلَّا مَنْ رُفِعَ الحِجَابُ عَنْهُ[2] مِنْهُمْ يَعْنِي مِنَ المَوْجُودَاتِ. فَرَأَى القُرْبَ بِعَيْنِهِ، وَالبَاقِي كُلُّهُمْ مَشْغُولُونَ[3] عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ ذَوَاتَهُمْ لَمَّا ظَهَرَتْ لَهُمْ أَنْسَتْهُمْ الخَالِقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَانْعَطَفَتْ ذَوَاتُهُمْ عَلَى طَلَبِ مَصَالِحِهَا، وَالسَّعْيِ فِي دَفْعِ مَضَارِّهَا. فَبِهَذَا الحَدِّ بَعُدُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا شَغَلَ الخَلْقَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى تَدْبِيرُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَلَوْ أَنَّهُمْ تَرَكُوا التَّدْبِيرَ لِأَنْفُسِهِمْ وَخَرَجُوا عَنْهُ لَنَظَرُوا كُلُّهُمْ إِلَى اللَّهِ عِيَاناً. فَهَذَا هُوَ البُعْدُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى يَعْنِي بُعْدَ النِّسْبَةِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ مَنْ تَجَلَّى لَهُ بِالعَظَمَةِ وَالجَلَالِ أَذْهَبَ الخَلْقَ عَنْهُ مِنْ بَالِهِ، فَلَمْ

---

[1] ـ ل : وهو

[2] ـ أع ك ح هـ ق ص ي : عنه ساقطة

[3] - ع ك ي: مشتغلون

يَرَ لَا غَيْراً وَلَا غَيْرِيَّةً، وَلَمْ يَرَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَنَاسَبَ الحَضْرَةَ الإِلَهِيَةَ فِي حَالَتِهِ هَذِهِ، لِكَوْنِ الحَضْرَةِ لَا تَقْبَلُ الإِشْتِغَالَ بِالغَيْرِ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَيْثُ قَالَ فِي الطَّاغُوتِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالكُفْرِ بِهِ، حَيْثُ قَالَ: (**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**)[1] الآيَةُ. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كُلُّ مَا شَغَلَ عَنِ اللَّهِ طَاغُوتٌ وَلَوْ لَحْظَةً مِنَ الدَّهْرِ. قُلْنَا: هَذَا نِسْبَةُ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ الإِشْتِغَالَ بِالغَيْرِ حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّ العَارِفَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَوْ أَشَارَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً لَطُرِدَ، أَوْ سُلِبَ، أَوْ عُوقِبَ عُقُوبَةً عَظِيمَةً إِنْ كَانَ ذَا عِنَايَةٍ.

قَالَ بَعْضُ الرِّجَالِ: كُنَّا عِنْدَ الجَرِيرِيِّ يَوْماً فَجَاءَهُ رَجُلٌ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: كُنْتُ عَلَى بِسَاطِ الأُنْسِ فَزَلَلْتُ زَلَّةً حُجِبْتُ عَنْ مَقَامِي، دُلَّنِي عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَالوُصُولِ. فَقَالَ لَهُ الجَرِيرِيُّ وَعَقَدَ النَّقْرَةَ بَيْنَ سَبَّابَتِهِ وَإِبْهَامِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَخِي الكُلُّ فِي قَهْرِ هَذِهِ الخُطَّةِ، أَشَارَ لَهُ إِلَيَّ أَنَا وَأَنْتَ كُلُّنَا فِي قَبْضَةِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَكِنِّي أُنْشِدُكَ أَبْيَاتاً تَجِدُ فِيهَا جَوَابَكَ:

قِفْ بِالدِّيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ * تَبْكِي الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا
كَمْ ذَا وَقَفْتُ بِرَبْعِهَا مُسْتَخْبِراً * عَنْ أَهْلِهَا أَوْ سَائِلاً أَوْ مُشْفِقَا[2]
فَأَجَابَنِي دَاعِي الهَوَى مِنْ رَبْعِهَا * فَارَقْتَ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ المُلْتَقَى

ثُمَّ قَامَ يَبْكِي وَذَهَبَ، فَلَمَّا ذَهَبَ، قَالَ أَصْحَابُ الجَرِيرِي لِلْجَرِيرِي: مَا شَأْنُهُ؟ قَالَ لَهُمْ: انْبَسَطَ مَعَ الحَقِّ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَطُرِدَ عَنْ مَقَامِهِ، لِأَنَّ انْبِسَاطَهُ بِغَيْرِ[3] إِذْنٍ، فِيهِ اشْتِغَالٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالعَارِفُ أَبَداً عَلَى بِسَاطِ الأَدَبِ.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 256

[2]- ع: متشفقا

[3]ـ ل : من غير

قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الجُنَيْدِ: كُنَّا لَيْلَةً مَارِّينَ مَعَهُ بِأَزِقَّةِ بَغْدَادَ، فَسَمِعَ مُنْشِداً يُنْشِدُ، وَيَبْكِي وَيَنْتَحِبُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَنَازِلاً كُنْتُ أَهْوَاهَا[1] وَنَأْلَفُهَا[2] * أَيَّامَ كُنْتُ عَلَى الأَيَّامِ مَنْصُورَا

فَبَكَى الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ: مَا أَطْيَبَ الأُلْفَةَ وَالمُؤَانَسَةَ، يَعْنِي بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَا أَوْحَشَ الوَحْشَةَ وَالمُفَارَقَةَ، ثُمَّ قَالَ: لَا أَزَالُ أَحِنُّ إِلَى بَدْءِ إِرَادَتِي، وَرُكُوبِ الأَهْوَالِ طَمَعاً فِي الوِصَالِ، أَتَأَسَّفُ عَلَى الأَيَّامِ المَاضِيَةِ. انْتَهَى.

قَوْلُهُ: وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، هَذِهِ إِحْدَى المَسَائِلِ الَّتِي هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ السَّمْعِيَّةِ، الَّتِي تَسْتَحِيلُ[3] ظَوَاهِرُهَا مِنَ[4] الحَقِّ، وَهِيَ التَّرَدُّدُ عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ[5]، هَلْ يَقْبِضُهَا أَمْ لَا؟ وَالأَسَفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ)**[6] وَالعَجَبُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ)) وَبِقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ: ((يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ)) وَكَذَلِكَ النَّظَرُ الوَارِدُ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ،

حَيْثُ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا قَالَ العَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَتَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا)) الحَدِيثُ. وَبِقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً، وَلَمْ يَقُلْهَا إِلَّا مِنَ الحَدِيثِ لَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ،

---

[1] - ل: تهواها

[2] - ك: وآلفها ـ ل: تألفها

[3] - ي: يستحيل

[4] - ع ي: عن ـ ل: على

[5] - ع ي ل: وَهِيَ التَّرَدُّدُ عَنْ نَفْسِهِ، أَيْ المُؤْمِنِ

[6] - سورة الزخرف، الآية 55

فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. وَبِقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ إِنَّ إِسْرَافِيلَ جَاءَهُ يَوْماً فَقَالَ لَهُ: قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مِلْءَ مَا عَلِمَ وَعَدَدَ مَا عَلِمَ وَزِنَةَ مَا عَلِمَ. قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ثَوَابُ مَنْ قَالَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ: مَنْ قَالَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، كُتِبَ[1] لَهُ[2] سِتُّ خِصَالٍ. أَوَّلُهَا: كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً، وَكَانَتْ لَهُ غَرْساً فِي الجَنَّةِ، وَتَحَاتَتَ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَالوَرَقِ اليَابِسِ عَنِ الشَّجَرَةِ، وَنَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَكَانَتْ أَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

قُلْنَا: وَجْهُ الشَّاهِدِ فِي هَذَا أَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَنَظَرُ اللَّهِ دَائِماً إِلَى المَوْجُودَاتِ فِي كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ. وَهَذَا النَّظَرُ[3] نَظَرٌ خَاصٌّ، غَيْرُ النَّظَرِ المُتَقَدِّمِ، يَقُولُ أَهْلُ الحَقَائِقِ النَّظَرُ الأَصْلِيُّ هُوَ عَيْنُ الصِّفَةِ، يَقُولُ: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**)[4]، وَهَذَا النَّظَرُ المَذْكُورُ فِي الحَدِيثِ، هُوَ بِعَيْنِ الإِضَافَةِ لَا بِعَيْنِ الصِّفَةِ. وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الآيَةِ: (**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً**) إِلَى قَوْلِهِ: (**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**)[5] فَإِنَّ هَذَا النَّظَرَ لَيْسَ هُوَ عَيْنَ الصِّفَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَيْنُ الإِضَافَةِ،

---

[1]- ك: كتبت

[2] - ل: كتب الله إليه

[3]- ك ي ل: وَهَذَا النَّظَرُ هُوَ

[4]- سورة آل عمران، الآية 5

[5]- سورة آل عمران، الآية 77

وَكَذَا الضَّحِكُ وَارِدٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الطَّوِيلِ لِلْأَعْرَابِيِّ، الَّذِي كَانَ يَسْأَلُهُ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ شِدَّةِ القَحْطِ وَالجَدْبِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُشْرِفُ عَلَيْهِمْ أَزَلِيٌّ يَظَلُّ يَضْحَكُ)) يَعْنِي مِنْ[1] قُنُوطِهِمْ ((يَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَهُ قَرِيبٌ)).

وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ، فِي الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ جُهَيْنَةُ أَوْ هَنَّادُ. يَقُولُ فِي الحَدِيثِ: يَسْتَغِيثُ الرَّجُلُ مِنَ النَّارِ[2] فِي آخِرِ أَمْرِهِ، يَقُولُ رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا[3] وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَأَخْرِجْنِي مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَرَأَيْتَ إِنْ أَخْرَجْتُكَ مِنْهَا أَتَسْأَلُ غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَطْلُبُهُ رَبُّهُ بِالعُهُودِ وَالمَوَاثِيقِ، أَنْ لَا يَسْأَلَ غَيْرَ الخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَأَجْلَسَهُ قَرِيباً مِنْهَا، يَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ[4] ضَرَرَهَا وَحَرَّهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ أَبْعِدْنِي عَنْهَا فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَلَسْتَ[5] أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الخُرُوجِ مِنْهَا فَيَعْتَذِرُ بِضَرَرِهِ بِقُرْبِهَا، فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَرَأَيْتَ إِنْ أَبْعَدْتُكَ عَنْهَا أَتَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ فَيَطْلُبُهُ رَبُّهُ بِإِعْطَاءِ العُهُودِ وَالمَوَاثِيقِ، أَنْ لَا يَسْأَلَ غَيْرَ البُعْدِ عَنْهَا، فَيُبْعِدُهُ اللَّهُ عَنْهَا، بِحَيْثُ أَنْ لَا يَرَاهَا، وَلَا يَسْمَعَهَا، وَلَا يَشُمَّ رِيحَهَا، فَتَكُونُ الجَنَّةُ بَادِيَةً لَهُ مِنْ بُعْدٍ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ.

ثُمَّ يَقُولُ رَبِّ قَرِّبْنِي مِنَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: أَلَمْ تُعْطِ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ البُعْدِ عَنِ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، ثُمَّ يَقُولُ الرَّبُّ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَرَّبْتُكَ مِنَ الجَنَّةِ أَتَسْأَلُ غَيْرَهَا؟

---

[1]- ع: في

[2]- ك: (جُهَيْنَةُ أَوْ هَنَّادُ. يَقُولُ فِي الحَدِيثِ: يَسْتَغِيثُ الرَّجُلُ مِنَ النَّارِ) ساقطة

[3]- يقول المؤلف: (قَوْلُهُ: قَشَبَنِي رِيحُهَا، أَيْ آذَانِي)

[4]- ع ي ل: إِلَى اللَّهِ مِنْ

[5]- ك: أَلَسْتَ قَدْ

فَيَقُولُ: لَا، فَيَأْخُذُ عَلَيْهِ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ، أَنْ لَا يَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِيهِ العُهُودَ وَالمَوَاثِيقَ، فَيُقَرِّبُهُ اللَّهُ إِلَى الجَنَّةِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَاتَّضَحَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا، وَشَمَّ رَوَائِحَهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ،

فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: وَيْحَكَ أَلَمْ تُعْطِ عُهُودَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ القُرْبِ مِنْهَا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيُقَرِّبُهُ اللَّهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَرَى أَهْلَ الجَنَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ، يَرَى ذَلِكَ تَحْقِيقاً، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَلَمْ تُعْطِ عُهُودَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ القُرْبِ مِنْ بَابِهَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَقُولُ الرَّبُّ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ، فَإِذَا رَأَى الخَلْقَ يَتَنَعَّمُونَ فِي أَمْلَاكِهِمْ وَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهَا، أَخَذَهُ مَا يَأْخُذُ أَمْثَالَهُ مِنَ التَّضَرُّرِ بِرُؤْيَةِ ذَلِكَ، حَيْثُ لَا نَصِيبَ لَهُ فَيَقُولُ: رَبِّ ارْزُقْنِي مِنْهَا شَيْئاً.

فَيَقُولُ: أَلَمْ تُعْطِ عُهُودَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مَا تُرِيدُ مِنْهَا؟ فَيَذْكُرُ لَهُ مَا يُرِيدُ مِنْ تَمَتُّعِ أَمْثَالِهِ، فَيَقُولُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: تَمَنَّ فِيهَا مَا تُرِيدُ، فَلَا يَزَالُ يَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ ثُمَّ يَقُولُ هَذَا غَايَةُ مَا أَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: لَكَ هَذَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، فَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ لِذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ مِنْهُ، ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ[1] وَيَقُولُ لَهُ: هَذَا الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ.

وَوَجْهُ الشَّاهِدِ فِي هَذَا هُوَ الضَّحِكُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبِقَوْلِهِ فِي الخَبَرِ: فِي جَنَّةِ التَّجَلِّي حَيْثُ يَتَجَلَّى فِيهَا رَبُّنَا ضَحِكاً[2]، وَظَاهِرُ هَذِهِ كُلِّهَا مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى،

[1]- ك: (كُلَّهُ) ساقطة

[2] ـ ل : ضاحكا

وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الكِنَايَةِ الإِلَهِيَةِ، وَكَذَلِكَ[1] الغَضَبُ وَالسَّخطُ، وَكَذَلِكَ[2] المَحَبَّةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّذِي يَسْتَحِيلُ ظَاهِرُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى[3]، وَإِنَّمَا هِيَ عِبَارَاتٌ[4] تُنْبِئُ[5] عَنْ أُمُورٍ مَكْتُومَةٍ فِي جَانِبِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تُعْرَفُ، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّسْلِيمُ لِمَا يُسْمَعُ. وَافْتَرَقَ النَّاسُ فِيهَا عَلَى فِرَقٍ، فَطَائِفَةٌ خَاضُوهَا بِالتَّأْوِيلِ بَعْدَ صَرْفِ ظَوَاهِرِهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَحَالُوا ظَوَاهِرَهَا، وَفَوَّضُوا أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَسَلَّمُوا الأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَقَائِقِهَا، فَلَمْ يَخُوضُوا فِيهَا بِشَيْءٍ. وَبَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ تَكَلَّمُوا فِي حَقَائِقِهَا، وَلَكِنْ[6] بِإِشَارَةٍ دُونَ تَصْرِيحٍ.

قَالَ العَارِفُونَ بِاللَّهِ: مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ أَرْضَ السِّمْسِمَةِ، انْكَشَفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُ تِلْكَ الصِّفَاتِ المُشْكِلَةِ، وَنَظَرُوهَا عِيَاناً، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِشْكَالٌ بَعْدَهَا، لَكِنْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِهَا، لِأَنَّ تِلْكَ الأَرْضَ مِنْ جِبِلَّتِهَا[7]، ارْتَفَعَ التَّلْبِيسُ عَنْ جَمِيعِ الإِشْكَالَاتِ فِي أَيِّ عِلْمٍ كَانَ. ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الكَلَامِ عَلَى الصِّفَاتِ،

أَمَّا التَّرَدُّدُ الَّذِي ذُكِرَ فِي الحَدِيثِ، فَإِنَّ ظَاهِرَهُ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ التَّرَدُّدَ يُوهِمُ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ قَبْضِ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَتَرَدَّدُ بِالجَزْمِ بِقَبْضِ رُوحِهِ لِتَعَلُّقِ مَشِيئَتِهِ وَنُفُوذِ حُكْمِهِ، وَبَيْنَ تَرْكِهِ لِلْقَبْضِ كَرَاهِيَةً لِمَسَاءَةِ عَبْدِهِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَتَأَتَّى فِي حَقِّ الحَقِّ

---

[1]- ع: وكذاك

[2]- ع: وكذاك

[3]- ع: (تَعَالَى) ساقطة

[4]- ك ي: عبارة

[5]- ك: (تُنْبِئُ) ساقطة

[6]- ك ي ل: لكن

[7]- ح ل: جبلها

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّهُ نَفَذَ حُكْمُهُ وَنَفَذَ قَضَاؤُهُ. بِأَنَّ[1] كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَأَنَّ أَجَلَ الحَيِّ الَّذِي يُقْبَضُ فِيهِ مُعَيَّنٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي سَابِقِ العِلْمِ، يَسْتَحِيلُ تَقَدُّمُهُ أَوْ تَأَخُّرُهُ عَنِ الوَقْتِ الَّذِي عَيَّنَهُ فِي سَابِقِ العِلْمِ، لِاسْتِحَالَةِ تَخَلُّفِ مَطْلُوبِ العِلْمِ الإِلَهِي، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا، فَكَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ التَّرَدُّدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَالحَدِيثُ ثَابِتٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الكِنَايَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِنَّهَا يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ أَمْرٍ لَيْسَ هُوَ ظَاهِرَ لَفْظِهِ.

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ أَخْبَرَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُوجِبٌ لِلتَّرَدُّدِ لَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّا نُقَدِّرُ لَوْ كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا مَعْشَرَ البَشَرِ، لَوْ كَانَ لَهُ حَبِيبٌ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ المَحَبَّةِ عِنْدَهُ، حَتَّى أَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ إِنَّهُ ظَهَرَ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَنَّ مَحْبُوبَهُ الَّذِي يُحِبُّهُ لَا يَصِلُ إِلَى مَا يَرُومُهُ مِنَ الخَيْرَاتِ العَظِيمَةِ إِلَّا بِقَتْلِهِ لَهُ، وَإِلَّا بَقِيَ مَحْرُوماً مِنْهَا إِلَى الأَبَدِ، فَيَبْقَى هَذَا البَشَرُ مُتَرَدِّداً إِنْ قَتَلَ مَحْبُوبَهُ، كَانَ مِنْ أَصْعَبِ الأُمُورِ عَلَيْهِ لِكَوْنِ مَحْبُوبِهِ يَكْرَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ تَرَكَهُ بِلَا قَتْلٍ بَقِيَ مَحْرُوماً مِنَ الخَيْرَاتِ، فَهُوَ يَتَرَدَّدُ فِي ذَلِكَ لِأَجْلِ هَذَا فِي القَتْلِ وَعَدَمِهِ،

فَإِنَّ قَتْلَ مَحْبُوبِهِ أَصْعَبُ الأُمُورِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَحْبُوبِهِ، وَحِرْمَانُهُ مِنَ الخَيْرِ الدَّائِمِ أَصْعَبُ وَأَصْعَبُ، فَهُوَ يَتَرَدَّدُ لِأَجْلِ هَذَا وَقَدْ حُتِمَ الأَمْرُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى شَيْءٍ، وَبَقِيَ مَحْرُوماً كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا مِنْكُمْ لَتَرَدَّدْتُمْ فِيهِ غَايَةَ التَّرَدُّدِ، وَلَمْ تَجْزِمُوا بِشَيْءٍ. فَهَذَا غَايَةُ مَا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، وَهُوَ التَّرَدُّدُ المَذْكُورُ فِي الحَدِيثِ عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الضَّحِكُ فَحَقِيقَتُهُ مَعْرُوفَةٌ فِي حَقِّ البَشَرِ، وَتِلْكَ الحَالَةُ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى ذَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّهُ انْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّهُ كَانَ سَاكِناً أَوْ سَاكِتاً قَبْلَ الضَّحِكِ، وَفِي حَالَةِ الضَّحِكِ وَقَعَ بِهِ حَالٌ نَقَلَهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ السُّكُونِ أَوِ السُّكُوتِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الضَّحِكِ، وَحَالَةُ الضَّحِكِ غَيْرُ الحَالَةِ الأُولَى، يَعْلَمُ هَذَا كُلُّ أَحَدٍ بِالضَّرُورَةِ، لَكِنَّ

---

[1]- ع: لأن

الضَّحِكَ المَعْهُودَ فِي حَقِّ البَشَرِ مُسْتَحِيلٌ[1] عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَأَتَّى فِي ذَاتِهِ العَلِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أَمْراً تَلْزَمُ مَعْرِفَتُهُ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَيْهِ لِذَوِي الأَلْبَابِ.

إِنَّ المُخَاطِبَ فِي البَشَرِ لِرَجُلٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ وَالسُّلْطَانِ، ضَخْمِ المَمْلَكَةِ، عَظِيمِ الخَزَائِنِ مِنَ الأَمْوَالِ، شَدِيدِ السَّطْوَةِ وَالصَّوْلَةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ، تَرْتَعِبُ النُّفُوسُ مِنْهُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ، فَمُخَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ وَجَلِيسُهُ يُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الوَجَلِ وَالخَوْفِ وَالذُّعْرِ وَالهَيْبَةِ، فَإِذَا رَآهُ ضَحِكَ لَهُ[2] لِأَجْلِ[3] فَرَحِ ذَلِكَ المُخَاطِبِ، وَتَأَنَّسَ وَزَالَ خَوْفُهُ وَذُعْرُهُ لِأَجْلِ ضَحِكِ المَلِكِ، الَّذِي ضَحِكَ لَهُ وَخَاطَبَهُ، فَالضَّحِكُ مِنْ ذِي الهَيْبَةِ وَالسُّلْطَانِ شَدِيدِ[4] السَّطْوَةِ، مُؤْنِسٌ لِجَلِيسِهِ مُفْرِحٌ لَهُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَظِيمُ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، عَظِيمُ العِزِّ وَالغِنَى عَنِ العَالَمِينَ، عَظِيمُ العُلُوِّ وَالجَلَالِ، مَا عَايَنَ أَحَدٌ جَلَالَهُ إِلَّا نَسِيَ نَفْسَهُ، وَتَلَفَ عَنْهُ وُجُودُهُ لِعَظَمَةِ الجَلَالِ وَالكِبْرِيَاءِ.

فَلَا شَكَّ أَنَّ[5] فِي[6] هَذَا المَيْدَانِ، مَنْ حَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ يُخَاطِبُهُ، كَانَ فِي غَايَةِ الدَّهَشِ وَالذُّعْرِ وَالتَّلَفِ عَنْ نَفْسِهِ، أَشَدَّ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي وُضِعَ لِضَرْبِ عُنُقِهِ خَوْفاً مِنْ سَطْوَتِهِ وَجَلَالِهِ. كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَوْقَفَ العَبْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ عَرَقَ مِنَ الهَيْبَةِ، حَتَّى لَوْ وَرَدَ عَرَقَهُ سَبْعُونَ جَمَلاً عِطَاشاً لَأَرْوَاهُمْ عَرَقُهُ هَذَا السَّعِيدُ، فَإِذَا كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا وَصْفُهُ، فَمَنْ ضَحِكَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِنَفْسِ مَا يَرَى

---

[1]- ع: مستحيلة

[2]- ع ك ق ص ي: (لَهُ) ساقطة

[3]- ك ح ي ل: لِأَجْلِهِ

[4]- ع ك ي ل: الشديد

[5]- ك: أنه

[6]- ع: (في) ساقطة

الضَّحِكَ أَخْبَرَهُ فِي ضَحِكِهِ أَنَّ اللَّهَ أَنْجَاهُ مِنْ جَمِيعِ مُوجِبَاتِ الخَوْفِ، وَبَشَّرَهُ فِي ضَحِكِهِ أَنَّهُ مِنَ الفَائِزِينَ بِخَيْرَاتِهِ وَرِضَاهُ.

فَالضَّحِكُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُنْسٌ لِمُخَاطَبِهِ[1] وَأَمَانٌ لَهُ[2] مِنْ عَذَابِهِ، وَبِشَارَةٌ لَهُ بِالفَوْزِ بِخَيْرَاتِهِ، فَهَذَا هُوَ الضَّحِكُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ قَرَّرُوهُ بِعِبَارَاتٍ غَيْرِ مُوفِيَةٍ بِالمَقْصُودِ، وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا[3] أَنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ كَمَالَاتِهِ الذَّاتِيَةِ كَالمَجْدِ، وَالكَرَمِ وَالعَفْوِ وَكَذَا الضَّحِكِ، ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ الحُجُبَ دُونَ صِفَةِ الضَّحِكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقُلْنَا: هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ كَمَالَاتِهِ، لَائِقَةٌ بِجَلَالِ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، جَعَلَهَا مَحْجُوبَةً عَنْ خَلْقِهِ، لَا يُظْهِرُهَا لَهُمْ.

فَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رَفَعَ[4] الحُجُبَ عَنْ تِلْكَ الصِّفَةِ الكَامِلَةِ، وَأَظْهَرَهَا لَهُ فَبِنَفْسِ مَا يَرَاهَا النَّاظِرُ يَمْتَلِئُ فَرَحاً وَسُرُوراً، وَيَذْهَبُ عَنْهُ الخَوْفُ وَالوَجَلُ، فَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِصِفَةِ الضَّحِكِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا الصِّفَةَ المَعْهُودَةَ فِي حَقِّ البَشَرِ. وَلِهَذَا[5] قَالَ فِي الخَبَرِ فِي جَنَّةِ التَّجَلِّي، حَيْثُ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ قَالَ: يَتَجَلَّى فِيهَا ضَاحِكاً لِيُؤْنِسَ أَوْلِيَاءَهُ وَيُفْرِحَهُمْ، وَيُذْهِبَ عَنْهُمْ جَمِيعَ الرَّوْعِ مِنْ سَطْوَةِ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ. وَلِذَا قَالَ الشَّيْخُ الكَامِلُ مَوْلَانَا عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَلِفَ البَهَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يُطَالِعْ إِلَّا صِفَاتَ الجَمَالِ مِنَ الحَقِّ[6] تَعَالَى، لَا يَثْبُتُ لِبُدُوِّ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ. انْتَهَى.

---

[1]- ح: أنسا مخاطبه

[2]- ح: وأمانا له ـ ي: وأمانا ـ ل: وأمان

[3]- ع: فيه

[4]- ك ي ل: رَفَعَ لَهُ

[5]- ك ي: ولذا

[6]- ع: من الله

وَمَعْنَى لَا يَثْبُتُ لِبُدُوِّ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لَهَا إِلَّا الأَكَابِرُ مِنَ الرِّجَالِ لَا العَارِفُونَ، فَإِنَّ أَكْمَلَهُمْ وَهُوَ القُطْبُ[1]، لَا تَتَجَلَّى لَهُ حَقِيقَةُ الكِبْرِيَاءِ، إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِهِ لِلرُّتْبَةِ العُلْيَا مِنَ القُطْبَانِيَةِ، وَذَلِكَ المَقَامُ يُسَمُّونَهُ خَتْمَ المَقَامَاتِ، وَلَمْ يَرْتَقِهِ مِنَ الأَقْطَابِ إِلَّا القَلِيلُ[2] لِبُعْدِ مَرَامِهِ، فَإِذَا ارْتَقَاهُ القُطْبُ وَوَصَلَهُ هُنَاكَ[3]، يَتَجَلَّى لَهُ[4] بِالكِبْرِيَاءِ الذَّاتِي، وَلَا يَزَالُ مُرْتَقِياً فِيهَا إِلَى الأَبَدِ. وَلَوْ تَجَلَّى بِذَلِكَ الكِبْرِيَاءِ بِمِقْدَارِ ذَرَّةٍ مِنْهُ لِجَمِيعِ العَارِفِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، لَصَارُوا هَبَاءً مَنْثُوراً فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا القُطْبُ الفَرْدُ الجَامِعُ، لَكِنْ بَعْدَ بُلُوغِهِ مَقَامَ الخَتْمِ، وَقَبْلَ بُلُوغِهِ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ. قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: المَعْرِفَةُ كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلَالِ، وَغَايَتُهَا الدَّهَشُ فِي كِبْرِيَاءِ اللَّهِ، أَرَادَ بِغَايَتِهَا مَقَامَ الخَتْمِ فِي القُطْبَانِيَةِ، فَهُوَ ((غَايَةُ الغَايَاتِ)) انْتَهَى.

وَأَمَّا العَجَبُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ)) وَحَقِيقَةُ العَجَبِ فِي نَفْسِهِ، أَنَّ المُتَعَجِّبَ يَتَعَجَّبُ مِنَ الشَّيْءِ لِغَرَابَتِهِ[5] وَخَفَاءِ أَسْبَابِهِ، كَخَرْقِ العَوَائِدِ الَّذِي يَقَعُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا غَرَابَةَ عِنْدَهُ فِي فِعْلِهِ وَلَا عَجَبَ عِنْدَهُ، إِذْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْبَابُ الأَشْيَاءِ. فَإِنَّ أَسْبَابَ الأَشْيَاءِ الوَاقِعَةِ كُلِّهَا هُوَ القَضَاءُ وَالقَدَرُ، وَالقَضَاءُ وَالقَدَرُ بِيَدِهِ، فَمِنْهُ مَنْشَؤُهُ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُ، إِلَّا أَنَّ القَضَاءَ وَالقَدَرَ يَقَعَانِ فِي كُلِّ وَاقِعٍ فِي الكَوْنِ.

---

[1]- ع ك ص ي: وَهُوَ القُطْبُ الكَامِلُ

[2]- ع: قليل

[3]- ك: هنالك

[4]- ع: (لَهُ) ساقطة

[5]- ك : لِغَرَابَتِهِ عِنْدَهُ

فَالقَضَاءُ هُوَ صُدُورُ الحُكْمِ بِوُقُوعِ الشَّيْءِ، وَهُوَ بَارِزٌ عَنْ صِفَتَيْنِ: تَعَلُّقُ المَشِيئَةِ، وَبُرُوزُ الكَلِمَةِ بِقَوْلِهِ[1]: كُنْ. فَهَذَا هُوَ القَضَاءُ وَتَعَلُّقُهُ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، لَا فِي المَشِيئَةِ وَلَا فِي الكَلِمَةِ. وَأَمَّا القَدَرُ فَبُرُوزُ الشَّيْءِ الَّذِي نَفَذَ بِالمَشِيئَةِ وَالكَلِمَةِ بَرَزَ بِالقُدْرَةِ، فَكَيْفَ يَتَعَجَّبُ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ مُحِيطٌ بِهِ عِلْماً؟ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ سَبَبٌ مِنَ الأَسْبَابِ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا إِخْبَارَنَا بِأَنَّ ذَلِكَ عَجَبٌ، لِأَنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْهُ، لِانْتِقَاصِ صُورَتِهِ المَعْرُوفَةِ المَعْلُومَةِ عِنْدَنَا،

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ وَاضِحَةُ البَيَانِ بِاسْتِقْرَاءِ أَخْبَارِهَا، فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وَأَخْبَارِ الرُّسُلِ، صَارَتْ بِحَيْثُ أَنْ لَا يَجْهَلَ أَمْرَهَا لَا عَامٌّ وَلَا خَاصٌّ، وَكُلُّ بَنِي آدَمَ يُحِبُّ السَّيْرَ إِلَيْهَا وَالتَّمَتُّعَ بِهَا، لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الشَّهَوَاتِ جَمِيعِهَا. ثُمَّ إِنَّهُ أَخْبَرَنَا أَنَّ قَوْماً يُسَاقُونَ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ، يَعْنِي أَنَّهُمْ فَارُّونَ مِنْهَا، وَهُمْ يُقَادُونَ إِلَيْهَا بِالسَّلَاسِلِ قَهْراً. فَهَذَا غَايَةُ العَجَبِ، وَالمُرَادُ بِهَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي عَجِبَ مِنْهَا رَبُّنَا، هُمْ أَصْحَابُ المَصَائِبِ وَالبَلَايَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ البَلَايَا وَالمَصَائِبَ تُطَهِّرُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ بِالمَغْفِرَةِ، فَإِنَّ العَوَائِقَ الَّتِي تَعُوقُ العَبْدَ عَنِ الجَنَّةِ هِيَ الذُّنُوبُ، وَلَوْلَا ذُنُوبُهُ لَقَامَ مِنْ قَبْرِهِ إِلَى قَصْرِهِ، وَالبَلَايَا وَالمَصَائِبُ تَمْحَقُ جَمِيعَ ذُنُوبِ العَبْدِ، وَتُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا يُعْرَفُ لَهُ قَدْرٌ وَلَا كَيْفِيَّةٌ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)[2] وَصَاحِبُ البَلَايَا وَالمِحَنِ يَرِدُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ تَشْوِيشٍ وَلَا تَعْوِيقٍ، وَمُقْتَضَى الأَمْرِ فِي هَذَا، أَنْ يَكُونَ العَبْدُ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُ البَلَايَا وَالمِحَنَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ[3] فِيهَا، فَكَيْفَ يَفِرُّ مِنْهَا إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ؟ فَهَذَا غَايَةُ العَجَبِ.

---

[1]- ع: بِقَوْلِهِ تعالى

[2]- سورة الزمر، الآية 10

[3]- ع: ذَكَرْنَا

وَأَمَّا النَّظَرُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الوَارِدُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي هُوَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) إلخ. قَالَ فِي فَضْلِهِ، وَنَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَحَقِيقَةُ النَّظَرِ هَا هُنَا لَيْسَ هِيَ صِفَةُ البَصَرِ، فَإِنَّ تِلْكَ الصِّفَةَ قَالَ فِيهَا **(لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)**[1]. وَالمُرَادُ بِالنَّظَرِ هَا هُنَا هُوَ النَّظَرُ الخَاصُّ بِحُكْمِ العِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((إِنَّ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ فِي[2] كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً))، وَالمُرَادُ بِهَذِهِ النَّظَرَاتِ هِيَ فُيُوضُ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ، الَّتِي يُفِيضُهَا عَلَى خَلْقِهِ مِنْ سَوَابِغِ فَضْلِهِ، فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهَا مِمَّنْ يَشَاءُ، فَهَذَا هُوَ النَّظَرُ.

وَالمُرَادُ بِهِ نَظَرُ العِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عَبِيدِهِ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ نَظْرَةٌ مِنْ هَذِهِ النَّظَرَاتِ فَقَدْ سَعِدَ، فَهَذَا هُوَ النَّظَرُ. وَكَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: ((مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا فَتَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا)). فَهَذَا هُوَ الحَدِيثُ، وَتَعَالَى اللَّهُ أَنْ[3] تَحْجُبَهُ السَّمَاوَاتُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى العَبِيدِ، وَإِنَّمَا هَذَا النَّظَرُ هُوَ فَيْضُ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ عَلَى العَبْدِ، وَهُوَ رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ مِنْ عِنْدِهِ، لِخَوَاصِّ عِبَادِهِ تَخْرِقُ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ إِلَى صَاحِبِهَا، ثُمَّ يُدَّخَرُ لَهُ ثَوَابُهَا.

وَالنَّظَرُ هَا هُنَا قُلْنَا هُوَ نَظَرُ الرَّحْمَةِ وَالعِنَايَةِ لَا نَظَرَ الصِّفَةِ، فَإِنَّ بَصَرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ الخَلَائِقِ مُنْكَشِفَةٌ لِبَصَرِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا النَّظَرُ الَّذِي قُلْنَا وَفَسَّرْنَا بِهِ الحَدِيثَ هُوَ المَنْفِيُّ فِي الآيَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ**

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 5

[2]- ع: (في) ساقطة

[3]- ك: عن أن

بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ)[1] إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[2] الآيَةُ[3].

وَالنَّظَرُ هَا هُنَا نَعْنِي[4] بِهِ هُوَ نَظَرُ الرَّحْمَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رَفَعَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الآيَةِ. فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ الرَّحْمَةِ، كَنَّى بِذَلِكَ عَنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ وَشِدَّةِ عِقَابِهِ بِقَوْلِهِ: **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[5] لَكِنَّ نَفْيَنَا نَظَرَ الرَّحْمَةِ يُعَارِضُنَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[6]: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)**[7] فَتِلْكَ الرَّحْمَةُ العَامَّةُ هِيَ لِلْمُعَذَّبِ وَغَيْرِهِ حَتَّى لِأَهْلِ النَّارِ، وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الخَاصَّةُ الَّتِي يَنْظُرُ بِهَا لِخَلْقِهِ فَهِيَ المُقَيَّدَةُ بِقَوْلِهِ: **(فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)**[8] الآيَةُ.

فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ النَّظْرَةِ لَا يَنَالُهُ عَذَابٌ مِنَ النَّارِ، وَلَا تُفْضَحُ مَسَاوِيهِ فِي مَوْقِفِ القِيَامَةِ، بَلْ يَكُونُ مِنَ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ إِذَا عَرَضَ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ، اسْتَحْيَى العَبْدُ مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ[9] فِي الدُّنْيَا، فَلَا أُوَاخِذُكَ بِهَا اليَوْمَ، اذْهَبْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ. أَوْ كَمَا يَقُولُ مِمَّا مَعْنَاهُ هَذَا، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، بِنَظَرِ الرَّحْمَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالعِنَايَةِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ جَمِيعاً، بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، فَهَذَا هُوَ النَّظَرُ

---

[1]- ك: أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ـ ل: (أولئك لا خلاق لهم) ساقطة

[2]- ك: ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم

[3]- سورة آل عمران، الآية 77

[4]- ك: يعني

[5]- سورة آل عمران، الآية 77

[6]- ع ي: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

[7]- سورة الأعراف، الآية 156

[8]- سورة الأعراف، الآية 156

[9]- ع ك: عنك

المَذْكُورُ فِي الحَدِيثِ. وَقَدْ قَالَ فِي حَدِيثِ التَّسْبِيحِ: وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ. انْتَهَى.

وَرَدَ فِي الحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)) الكَلَامُ هَا هُنَا عَلَى الأُصْبُعِ وَعَلَى اسْمِ الرَّحْمَانِ، **فَالرَّحْمَانُ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ المَرْتَبَةِ** وَهِيَ[1] مَرْتَبَةُ الأُلُوهِيَةِ، لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّاتِ، كَالعَظِيمِ وَالكَبِيرِ وَالجَلِيلِ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ الذَّاتِ لَا تَعَلُّقَ بِهَا لِلْخَلْقِ، وَأَسْمَاءُ المَرْتَبَةِ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالمَخْلُوقَاتِ، لِأَنَّ الأُلُوهِيَةَ اقْتَضَتْ وُجُودَ المَخْلُوقَاتِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِالإِلَهِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا المَخْلُوقَاتُ اقْتَضَاهُمْ كَمَالُ الأُلُوهِيَةِ لِكَوْنِهِمْ أَبَداً يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الأُلُوهِيَةِ.

فَالأُلُوهِيَةُ هِيَ مَرْتَبَةُ الإِلَهِ المَعْبُودِ بِالحَقِّ، وَمِنْ أَكْبَرِهَا اسْمُهُ الرَّحْمَانُ، فَإِنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ الوُجُودِ. وَفِي الحَدِيثِ إِنَّمَا قَامَ الوُجُودُ كُلُّهُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَجَمِيعُ الأَسْمَاءِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ بِتَمَامِهَا وَكَمَالِهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ حِيطَةِ اسْمِهِ الرَّحْمَانِ، لِأَنَّ هَذَا الاسْمَ مِنْهُ الفَيْضُ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ، وَبِهَذِهِ الحَيْثِيَّةِ قَارَبَ الاسْمَ الأَعْظَمَ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فِي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الاسْمِ الأَكْبَرِ، إِلَّا كَمَا بَيْنَ بَيَاضِ العَيْنِ وَسَوَادِهَا)).

قُلْنَا: فَالرَّحْمَانُ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْمَاءِ الأُلُوهِيَةِ، لِكَوْنِ أَسْمَاءِ الوُجُودِ كُلِّهَا تَحْتَ حِيطَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الوُجُودِ، يَخْرُجُ عَنْ حِيطَةِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)**[2] وَلِهَذَا الأَمْرِ وَقَعَ الاسْتِوَاءُ بِهَذَا الاسْمِ عَلَى العَرْشِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(الرَّحْمَانُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى)**[3] كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَوَى عَلَى حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ بِاسْمِهِ اللَّهِ.

---

[1]- ع: وهو

[2]- سورة الأعراف، الآية 156

[3]- سورة طه، الآية 5

فَكَانَ الإِنْسَانُ[1] عَرْشَ اللَّهِ لِاسْتِوَائِهِ بِاسْمِهِ اللَّهِ، وَلَيْسَ فِي الوُجُودِ مَوْجُودٌ يَسْتَوِي عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذَا الاِسْمِ الشَّرِيفِ، إِلَّا هَذَا الإِنْسَانُ وَهُوَ الَّذِي أَطَاقَ حَمْلَهُ، وَلَيْسَ فِي الوُجُودِ مَنْ يُطِيقُ حَمْلَ التَّجَلِّي بِهَذَا الاِسْمِ إِلَّا الإِنْسَانُ، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَوَى عَلَى الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ بِالاِسْمِ الأَعْظَمِ الكَبِيرِ، الَّذِي لَا تُعْرَفُ لَهُ كَيْفِيَّةٌ، وَلَا يُطِيقُ فِي ذَلِكَ حَمْلَهُ[2] إِلَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مَحَلُّ اسْتِوَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قُلْنَا: الرَّحْمَانُ هُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّيَّاتِ الوُجُودِ، وَبِهِ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، لِأَنَّ فِي العَرْشِ نِسَبَ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، فلِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ بِاسْمِهِ الرَّحْمَانِ، وَنِسْبَةُ العَرْشِ بَيْنَ المَوْجُودَاتِ لِشَرَفِهِ، كَنِسْبَةِ القُطْبِ بَيْنَ العَالَمِ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ العَرْشَ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: يَا رَبِّ لِمَاذَا خَلَقْتَنِي؟ قَالَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: لِتَقِيَ عِبَادِي مِنْ نُورِ الحُجُبِ. انْتَهَى.

وَأَمَّا مَعْنَى الأُصْبُعِ: فَهُوَ فِي اللُّغَةِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ اليَدِ، نُؤْمِنُ أَنَّ لِلَّهِ أَصَابِعَ، لَكِنْ نَقُولُ إِنَّ الأَصَابِعَ هِيَ مُتَعَلِّقَاتُ مَشِيئَتِهِ، فَالمَشِيئَةُ بِمَنْزِلَةِ اليَدِ وَمُتَعَلِّقَاتُهَا بِمَنْزِلَةِ الأَصَابِعِ، وَكَذَا القُدْرَةُ بِمَنْزِلَةِ اليَدِ وَمُتَعَلِّقَاتُهَا بِمَنْزِلَةِ الأَصَابِعِ[3]، وَالتَّثْنِيَةُ فِي الأَصَابِعِ حَيْثُ يَقُولُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ. مَعْنَاهُ: أَنَّ كُلَّ قَلْبٍ هُوَ مُقَامٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَهِيَيْنِ: أَمْرٌ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ المَشِيئَةِ وَأَمْرٌ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ القُدْرَةِ. فَكُلُّ قَلْبٍ حِينَئِذٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَمْرٌ مِمَّا اقْتَضَتْهُ المَشِيئَةُ الإِلَهِيَةُ وَأَمرٌ مِمَّا اقْتَضَتْهُ القُدْرَةُ الإِلَهِيَةُ. هَذَا مَعْنَى الأَصَابِعِ فِي الحَدِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

[1]- ع ك هـ ق ص ي ل: فَكَانَ الإِنْسَانُ هُوَ

[2]- ع ك هـ ق ي: حَمْلَهُ فِي ذَلِكَ

[3]- ك ل: (وَكَذَا القُدْرَةُ بِمَنْزِلَةِ اليَدِ وَمُتَعَلِّقَاتُهَا بِمَنْزِلَةِ الأَصَابِعِ) ساقطة

قَالَ: ((لَا تَزَالُ النَّارُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولَ: قَطٌّ قَطٌّ[1]، بِمَعْنَى حَسْبِي حَسْبِي امْتَلَأْتُ)). وَلِهَذَا الحَدِيثِ مَعْنَيَانِ كِلَاهُمَا صَحِيحَانِ. المَعْنَى الأَوَّلُ: أَنَّ القَدَمَ هَا هُنَا، هِيَ المَخْلُوقَاتُ الَّتِي يَخْلُقُهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الخَلَائِقِ فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَخْلُقُ خَلْقاً يَمْلَأُ بِهِمْ الجَنَّةَ فَهُوَ **القَدَمُ الأَوَّلُ**، **وَالقَدَمُ الثَّانِي** يَخْلُقُ خَلْقاً يَمْلَأُ بِهِمْ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى تَقُولَ قَطٌّ قَطٌّ حَسْبِي حَسْبِي هَؤُلَاءِ أَقْدَامُ الجَبَّارِ.

يَعْنِي هُمْ آخِرُ خَلْقٍ يَخْلُقُهُ. لِذَا اسْتُعِيرَ لَهُمْ لَفْظُ القَدَمِ، لِأَنَّهُمْ آخِرُ خَلْقٍ يَخْلُقُهُمْ اللَّهُ، فَلَا خَلْقَ بَعْدَهُمْ أَبَداً، فَهَذَا المَعْنَى الأَوَّلُ. وَأَمَّا المَعْنَى[2] الثَّانِي: فَالقَدَمُ مُسْتَعَارٌ لَهَا مِنْ اسْمِهِ الجَبَّارِ، وَهُوَ القَهْرُ وَالسَّطْوَةُ وَالجَبْرُ، وَالمُرَادُ بِهِ هَا هُنَا لَا تَزَالُ بِقُوَّةِ صَوْلَتِهَا عَلَى الخَلْقِ، وَبِقُوَّةِ إِحْرَاقِهَا وَعَذَابِهَا، حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ. مَعْنَاهُ: يَتَجَلَّى عَلَيْهَا بِاسْمِهِ الجَبَّارِ، فَيَدُكُّهَا دَكّاً مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ فَتَخْضَعَ وَتَذِلَّ وَتَقُولَ: قَطٌّ قَطٌّ، وَبِهَذِهِ السَّطْوَةِ يَنْقَضِي عَذَابُهَا[3].

---

[1]- ع: قطي قطي

[2]- ك: (المَعْنَى) ساقطة

[3]- يقول العارف بالله الفقيه سيدي محمد بن أحمد أكنسوس رضي الله عنه في هامش نسخته (ك): اعلم أن هذه العبارة وقعت في عبارة كثير من أولياء الله تعالى كالشيخ الأكبر ابن عربي، ولابد من تأويلها بأحدِ أمرين: الأول أن عذابها ينقضي بالنسبة لعصاة المومنين فيخرجون منها بالشفاعة فيهم وانقضاء نفوذ الوعيد، وأما الكفار فلا ينقضي أبد الآباد عَذابهم وهذا معلوم بالضرورة. والأمر الثاني أن المراد بقضاء عذابها أنه لا يزاد على ما حَكوا من أنواع عذابها التي وجدته من أول نشأتها إلى ذلك العهد، وهو قولها قط قط، فلا يزاد شيء مِن أنواع العذاب على ما كان حصل قبل ذلك، ولكن تبقى تلك الأنواع على أَهل النار الذين حكم القرآن بخلودهم فيها إلى ما لا نهاية له. إهـ وقد ذكر المناوي وغيره غير هذا التأويل.

وَأَمَّا الفَرَحُ الوَارِدُ فِي الحَدِيثِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَحَقِيقَتُهُ كَحَقِيقَةِ الضَّحِكِ، لِأَنَّ الضَّحِكَ صِفَةٌ مَحْجُوبَةٌ، إِذَا أَرَادَ الضَّحِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفَعَ الحُجُبَ عَنْ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَبِنَفْسِ مَا يَرَاهَا المُتَجَلَّى عَلَيْهِ، يَعْلَمُ إِفَاضَةَ خَيْرِهِ عَلَيْهِ وَالأَمْنَ مِنْ عَذَابِهِ، وَكَذَا الفَرَحُ عِنْدَ التَّوْبَةِ، فَلَوْ رَآهَا التَّائِبُ لَأَيْقَنَ بِجَمِيعِ وُجُودِ الخَيْرَاتِ، وَالأَمْنِ مِنْ جَمِيعِ عَذَابِهِ بِحَسَبِ وَعْدِهِ الصَّادِقِ، (**أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[1].

وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْكَ احْتِجَابُ الصِّفَاتِ، فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الحُجُبَ دُونَ صِفَاتِهِ كُلِّهَا، فَإِذَا رَفَعَ الحِجَابَ عَنْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، حَجَبَ غَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَجَلَّى بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ عَلَى العَبْدِ، غَطَّى عَلَيْهِ صِفَةَ الانْتِقَامِ وَالقَهْرِ، وَضَرَبَ الحُجُبَ دُونَهَا، لِمَا فِيهَا مِنَ الانْزِعَاجِ وَالخَوْفِ. وَهَكَذَا عَكْسُهُ، وَهَكَذَا جَمِيعُ الصِّفَاتِ كُلَّمَا[2] تَجَلَّى[3] بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، ضَرَبَ الحُجُبَ دُونَ الصِّفَاتِ الأُخْرَى، فَلَا يَتَجَلَّى بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ الَّتِي اتَّصَفَتْ بِهَا ذَاتُهُ فِي الآنِ الوَاحِدِ، فَلَا يَتَأَتَّى مَتَى تَجَلَّى بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ غَطَّى غَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ مَنْ طَلَعَ بِالتَّرَقِّي مِنَ الرِّجَالِ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ، يُكْشَفُ لَهُ عَنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ، وَالبَاقِي فِي حِجَابٍ.

وَهَكَذَا فِي عُمُرِ الآخِرَةِ الأَبَدِيِّ، يُرْفَعُ لَهُ الحُجُبُ عَنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَالبَاقِيَةُ مَحْجُوبَةٌ، وَهَكَذَا فَمَا فِي الوُجُودِ كُلِّهِ مَخْلُوقٌ، يُطِيقُ حَمْلَ تَجَلِّيهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ فِي الآنِ الوَاحِدِ، فَلَا يُطِيقُهَا مَخْلُوقٌ أَصْلاً، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ صِفَتَيِّ الضَّحِكِ وَالفَرَحِ مِنَ اللَّهِ، كَانَتَا مُحْتَجِبَتَيْنِ بِالحُجُبِ، فَإِذَا أَرَادَ التَّجَلِّي بِهِمَا رَفَعَ الحُجُبَ عَنْهُمَا، وَتَجَلَّى بِهِمَا بِالفَرَحِ أَوْ بِالضَّحِكِ،

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 54

[2]- ع: كما ـ ي: كلها

[3]- ي: (تجلى) ساقطة

وَالمُرَادُ بِهِمَا أَنْ يَبْذُلَ عِنْدَ التَّجَلِّي بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ مِنَ الخَيْرَاتِ، وَيَمْنَعَ مِنَ الشُّرُورِ وَالمَضَارِّ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ. فَهَذَا غَايَةُ التَّجَلِّي بِهِمَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَالسَّلَامُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا)) إلخ.. الحَدِيثُ. **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ لِلحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَرْتَبَةِ ذَاتِهِ نِسْبَتَيْنِ[1]: **نِسْبَةُ الكُنْهِ،** وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ بَعِيدَةٌ عَنِ التَّغَيُّرِ بِالزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَالنِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ وَالجِهَاتِ وَالتَّوَجُّهَاتِ، لَا تَقْبَلُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ النِّسَبِ لَا ظَاهِراً وَلَا بَاطِناً وَلَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازاً.

وَالنِّسْبَةُ الثَّانِيَةُ: نِسْبَةُ التَّنَزُّلِ، إِمَّا بِالنِّيَابَةِ وَإِمَّا بِالرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ، وَإِمَّا بِالغَضَبِ وَالبَطْشِ وَإِمَّا بِالاشْتِرَاكِ، فَأَمَّا نِسْبَةُ النِّيَابَةِ فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الأَرْضِ)) وَمَعْنَاهُ يَنُوبُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِي إِيقَاعِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ لِإِصْلَاحِ الأَرْضِ، كُلٌّ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ. وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)**[2] فَهَذا**تَنَزُّلُ النِّيَابَةِ**،

وَأَمَّا تَنَزُّلُ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ مِثْلُ مَا قِيلَ فِي الحَجَرِ مِنْ أَنَّهَا يَمِينُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ يُرِيدُ مَنْ قَبَّلَهَا كَأَنَّمَا قَبَّلَ يَدَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَنْغَمِسُ فِي بَحْرِ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ، وَكَقَوْلِهِ: يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَهُوَ مِنْ هَذَا القَبِيلِ تَنَزُّلُ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ.

كَمَا يَقُولُ فِي آخِرِ الحَدِيثِ: ((هَلْ مِنْ دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ يَتُوبُ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يَسْأَلُنِي

---

[1]- ع ي: نسبتان

[2]- سورة البقرة، الآية 30

فَأُعْطِيَهُ؟)) وَكَمَا فِي البَيْتِ الحَرَامِ حَيْثُ جَعَلَهَا خَاصَّةً بِهِ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَنَزَّلَ[1] فِيهَا بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، لِتَكُونَ لَهُ حِمًى، مَنْ لَاذَ بِحِمَاهُ اسْتَوْجَبَ رِضَاهُ وَعَفْوَهُ مِنَ الطَّائِفِينَ بِهِ، فَإِنَّهُ كَسَاهَا كِسْوَةَ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، فَإِنَّ مَنْ رَآهَا ذَلَّ لَهَا وَخَضَعَ لِمَا كُسِيَتْ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالجَلَالِ، وَكَسَاهَا كِسْوَةَ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ لِمَا ثَبَتَ فِي الخَبَرِ مِنْ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً، مِنْهَا سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ. وَكَسَاهَا كِسْوَةَ البَطْشِ وَالغَضَبِ، لِمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ هَلَاكَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنْ شِدَّةِ العَذَابِ وَأَلِيمِ النَّكَالِ فِي الآخِرَةِ، مِمَّا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ.

وَهَذِهِ تَنَزُّلَاتُهُ فِيهَا، وَأَوَّلُ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الأَرْضِ، هِيَ بُقْعَةُ الكَعْبَةِ وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ بِسَاطِ الأَرْضِ، وَالنَّظَرُ هَا هُنَا عَيْنُ الإِضَافَةِ لَا عَيْنَ الصِّفَةِ، فَإِنَّ عَيْنَ الصِّفَةِ لَا أَوَّلِيَّةَ لَهَا عَلَى شَيْءٍ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُهَا فِي الأَزَلِ قَبْلَ وُجُودِهَا، كَصُورَةِ نَظَرِهِ إِلَيْهَا بَعْدَ وُجُودِهَا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الحَالُ، وَهَذَا خِلَافُ مَا عَلَيْهِ الجُمْهُورُ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ.

فَإِنَّ مَذْهَبَ الجُمْهُورِ أَنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ لَا يَتَعَلَّقَانِ إِلَّا بِالمَوْجُودَاتِ دُونَ المَعْدُومَاتِ، وَأَمَّا نَظَرُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى العَالَمِ بِعَيْنِ الإِضَافَةِ، فَهُوَ نَظَرُهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ وَالمَحَبَّةِ، وَكَانَتِ الأَشْيَاءُ فِي هَذَا النَّظَرِ مُخْتَلِفَةً وَالقِسَمُ فِيهَا مُتَبَايِنَةٌ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً، فَهَذِهِ النَّظَرَاتُ كُلُّهَا بِعَيْنِ الإِضَافَةِ،

وَالمُرَادُ بِهَا المِنَحُ الَّتِي يَمْنَحُهَا، وَالفُيُوضُ الَّتِي يُفِيضُهَا مِنْ خَزَائِنِ فَضْلِهِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ النَّظَرِ مَجَازاً، وَكَانَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الأَرْضِ، رَوْضَتَهُ الَّتِي ضَمَّتْ جَسَدَهُ الشَّرِيفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ: هَذَا مَحَلُّ نَظَرِهِ مِنَ الأَرْضِ. كَمَا أَنَّ

[1]- ك: يتنزل

الإِنْسَانَ الكَامِلَ هُوَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ العَالَمِ فِي وَقْتِهِ، كَمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ الوُجُودِ، مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ.

وَأَمَّا تَنَزُّلُهُ بِالغَضَبِ وَالبَطْشِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ)**[1] الآيَةُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، وَأَمَّا تَنَزُّلُ الاشْتِرَاكِ مِثْلُ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**[2] فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ يُظْهِرُ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ عَلَى طَائِفَةٍ، وَيُظْهِرُ بَطْشَهُ وَغَضَبَهُ عَلَى طَائِفَةٍ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَآنٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ مِنْ تَنَزُّلِ الاشْتِرَاكِ وَكَقَوْلِهِ فِي التَّوْرَاةِ: جَاءَ اللَّهُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاغِينَ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ بَارَانَ.

طُورُ سِينَاءَ هُوَ مَحَلُّ نُزُولِ التَّوْرَاةِ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالشَّرَائِعِ. وَسَاغِينُ هُوَ مَحَلُّ نُزُولِ الإِنْجِيلِ، بِمَا أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ[3] مِنَ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالشَّرَائِعِ، وَبَارَانُ هِيَ جِبَالُ مَكَّةَ وَهِيَ مَحَلُّ نُزُولِ القُرْآنِ، بِمَا أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالشَّرَائِعِ، وَعُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بِمَجِيءِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَظُهُورِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ نُزُولِ[4] الاشْتِرَاكِ، لِأَنَّ كُلَّ شَرْعٍ مِنْ هَذِهِ الشَّرَائِعِ الثَّلَاثِ مُشْتَمِلٌ عَلَى تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ عَلَى طَوَائِفَ، وَعَلَى تَنَزُّلِ الغَضَبِ وَالبَطْشِ[5] عَلَى طَوَائِفَ.

وَمِنْ تَنَزُّلِ الاشْتِرَاكِ قَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ[6] فِيهِ بِالتَّجَلِّي بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، جَلَالاً وَجَمَالاً

---

[1]- سورة الحشر، الآية 2

[2]- سورة الفجر، الآية 22

[3]- ع ك هـ ي ل: فيها

[4]- ع ك ص ي: تنزل

[5]- ع ك ص: البطش والغضب

[6]- ع ك ص ي: تنزل

وَاشْتِرَاكاً، فَضْلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجُوداً فِي عَبْدِهِ، وَهَذَا خَاصٌّ بِالآدَمِيِّ وَهُوَ العَارِفُ بِاللَّهِ فَقَطْ، وَلَمْ يَتَجَلَّ اللَّهُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ العَالَمِ إِلَّا بِاسْمٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ غَيْرِ الإِنْسَانِ الكَامِلِ، وَلَمْ تَشْتَرِكْ ذَرَّتَانِ فِي اسْمٍ وَاحِدٍ وَلَمْ يَتَجَلَّ بِاسْمَيْنِ فِي ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. وَبِعِبَارَةٍ لَمْ يَتَجَلَّ رَبُّنَا بِاسْمٍ وَاحِدٍ فِي حَقِيقَتَيْنِ، وَلَا بِاسْمَيْنِ فِي حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مَا عَدَا الإِنْسَانَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ.

وَأَمَّا تَنَزُّلُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَهُ تَنَزُّلَانِ. التَّنَزُّلُ الأَوَّلُ: تَنَزُّلُ الوُجُودِ، وَالثَّانِي: تَنَزُّلُ الإِمْدَادِ. فَأَمَّا التَّنَزُّلُ الأَوَّلُ: فَهُوَ تَنَزُّلُهُ مِنْ مَظْهَرِ الأَحَدِيَّةِ إِلَى مَظْهَرِ صُورَةِ الأُلُوهِيَةِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ[1] فِي الخَبَرِ القُدْسِيِّ[2]، كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي. فَوُجُودُهُ الأَوَّلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ الذَّاتُ السَّاذَجُ لَا مَظْهَرَ فِيهِ لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ لِشِدَّةِ الغَيْرَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَسَطْوَةِ العِزَّةِ وَصَوْلَةِ الجَلَالِ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ المَظْهَرِ لَهُ العُلُوُّ الكَامِلُ وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةُ التَّامَّانِ، وَلَهُ العِزُّ الشَّامِلُ الَّذِي لَا يُدْرَكُ أَمْرُهُ، وَلَا تُعْرَفُ حَقِيقَتُهُ،

وَمَنْ سَعَى مِنْ خَلْقِهِ فِي أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، ضَاعَ سَعْيُهُ وَخَسِرَ عُمْرُهُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا الخَيْبَةُ وَالحِرْمَانُ، فَإِنَّ هَذِهِ المَرْتَبَةَ هِيَ مَرْتَبَةُ كُنْهِ الحَقِّ. الَّذِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ الَّتِي هِيَ كُنْهُ الحَقِّ، تُسَمَّى حَضْرَةَ الطَّمْسِ وَالعَمَا الذَّاتِي، وَالبُطُونَ الأَكْبَرَ الَّذِي لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِ حَقِيقَتِهِ. وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الصِّفَاتِ العِظَامِ مِنَ العُلُوِّ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ، وَالجَلَالِ وَالكَرَمِ وَالمَجْدِ، وَأَشْبَاهِهَا مِنَ الصِّفَةِ الجَامِعَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا صِفَةُ[3] الذَّاتِ السَّاذَجِ، الَّذِي حَرُمَ عَلَى العُقُولِ وَالأَفْكَارِ شَمُّ أَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهَا فَضْلاً عَنْ ذَوْقِهَا.

---

[1]- ك ي: يقال

[2]- ع ك هـ ص ي: فِي الخَبَرِ القُدْسِيِّ عَنْهُ

[3]- ك: صفات

وَفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يُقَالُ: لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، وَكُلُّ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ لِلذَّاتِ السَّاذَجِ، مِنْ فَوْقِ مَا يُعْقَلُ وَيُدْرَكُ وَيُفْهَمُ، وَلَوْ بَرَزَ لِلوُجُودِ مِنْهَا أَقَلُّ مِنْ مِثْقَالِ هَبَئَةٍ، لَاحْتَرَقَ الوُجُودُ كُلُّهُ، وَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ، فَلَا يُطِيقُ مَخْلُوقٌ العِلْمَ بِهِ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، ثُمَّ تَنَزَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ عُلُوِّهِ إِلَى حَضْرَةِ تَعَالِيهِ، وَمِنْ حَضْرَةِ كِبْرِيَائِهِ إِلَى حَضْرَةِ تَكَبُّرِهِ، حَيْثُ يُدْرِكُ الخَلْقُ العِلْمَ بِهِ، لِأَنَّ التَّكَبُّرَ وَالتَّعَالِيَ وَصْفَانِ قَائِمَانِ قَدِيمَانِ، يُدْرَكُ العِلْمُ بِهِمَا بِوُجُودِ الخَلْقِ، وَإِنْ كَانَا وَصْفَيْنِ لِلذَّاتِ، لَكِنَّهُ أَظْهَرَ مَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَيَتَعَالَى عَنْهُ مِنْ أَوْصَافِ خَلْقِهِ،

وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ هِيَ الَّتِي اقْتَضَتْ مِنْهُ وُجُودَ الخَلْقِ، وَلَا يُقَالُ إِنَّ هَذَا التَّنَزُّلَ حَادِثٌ، بَلْ كَانَ قَدِيماً وَصْفاً مِنْ أَوْصَافِ الذَّاتِ، إِلَّا أَنَّ وُجُودَ الخَلْقِ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ الَّتِي تَنَزَّلَ الحَقُّ إِلَيْهَا، هُوَ أَمْرٌ اقْتَضَاهُ كَمَالُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ، فَإِنَّ وَصْفَ التَّكَبُّرِ وَالتَّعَالِي، وَصْفَانِ مِنْ كَمَالَاتِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ.

فَكَمَا اقْتَضَتِ الذَّاتُ فِي مَرْتَبَةِ الكُنْهِ الَّتِي فَرَغْنَا مِنْهَا، عَدَمَ وُجُودِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ لِعِظَمِ العِزِّ وَعَظَمَةِ[1] العُلُوِّ. كَذَلِكَ الذَّاتُ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ اقْتَضَتْ وُجُودَ الخَلْقِ، لِأَنَّ وُجُودَ الخَلْقِ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ هُوَ مِنْ كَمَالَاتِ الذَّاتِ، إِذْ لَوْلَا وُجُودُ الخَلْقِ مَا عُرِفَ تَكَبُّرُهُ وَلَا تَعَالِيهِ، لِعَدَمِ وُجُودِ مَنْ يَتَعَالَى عَنْهُ، وَلَا مَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ.

فَالمَرْتَبَةُ الأُولَى هِيَ مَرْتَبَةُ البُطُونِ الأَكْبَرِ لِلحَقِّ، وَالمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي هِيَ حَضْرَةُ التَّعَالِي وَالتَّكَبُّرِ، هِيَ حَضْرَةُ ظُهُورِ الحَقِّ لِغَيْرِهِ، وَهِيَ المُقْتَضِيَاتُ لِوُجُودِ الخَلْقِ. فَهَذِهِ مَرْتَبَةُ تَنَزُّلِ وُجُودِ الخَلْقِ، وَإِلَيْهَا يُشِيرُ قَوْلُهُ: فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي. فَهَذِهِ مَرْتَبَةُ التَّنَزُّلِ إِلَى وُجُودِ الخَلْقِ. وَالمَرْتَبَةُ الأُولَى الَّتِي لَا وُجُودَ لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ فِيهَا هِيَ قَوْلُهُ: كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ، يَعْنِي لَا يَعْرِفُنِي غَيْرِي لَا غَيْرِيَّةَ هُنَالِكَ. وَهَذَا التَّنَزُّلُ اقْتَضَى وُجُودَ الخَلْقِ عُمُوماً وَخُصُوصاً، وَجُمْلَةً وَتَفْصِيلاً مِنْ أَوَّلِ

[1]- ك: وعظم

وُجُودِ العَالَمِ إِلَى الأَبَدِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ وُجُودِ الذَّوَاتِ، أَيْ ذَوَاتِ المَوْجُودَاتِ شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، وَمَرْحُومِهَا وَمُعَذَّبِهَا.

وَالتَّنَزُّلُ الثَّانِي: هُوَ تَنَزُّلُهُ بِفَيْضِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ المُسَمَّاتِ بِالنَّفَسِ الرَّحْمَانِي، وَهِيَ الَّتِي اقْتَضَتْ مُلايَمَةَ أَغْرَاضِ الخَلْقِ، مِنْ كُلِّ مَا يُطَابِقُ أَغْرَاضَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالمَلْذُوذَاتِ وَالمَسَرَّاتِ مُطْلَقاً. هَذَا هُوَ التَّنَزُّلُ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي عَمَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، مَا فِي الوُجُودِ إِلَّا مَرْحُوماً كَافِرَهُ وَمُؤْمِنَهُ. وَهَذَا التَّنَزُّلُ الثَّانِي، وَالتَّنَزُّلُ الأَوَّلُ كِلَاهُمَا مَجْمُوعَانِ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّهَا أَوَّلُ وُجُودٍ[1] أَنْشَأَهُ اللَّهُ مِنْ حَضْرَةِ العَمَى الرَّبَّانِيِّ، وَأَوْجَدَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُشْتَمِلَةً عَلَى جَمِيعِ ذَوَاتِ الوُجُودِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ[2] مُتَنَسِّلٌ[3] مِنْهَا، كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وُجُودُهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى وُجُودِ ذُرِّيَتِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَمَا فِي الوُجُودِ آدَمِيٌّ خَارِجٌ عَنْهُ، كَذَلِكَ مَا فِي الوُجُودِ ذَرَّةٌ مَوْجُودَةٌ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، خَارِجَةٌ عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، إِذْ هُوَ الأَبُ الأَوَّلُ لِلْوُجُودِ كُلِّهِ، فَهَذَا هُوَ التَّنَزُّلُ الأَوَّلُ، وَهُوَ تَنَزُّلُ وُجُودِ الذَّوَاتِ.

وَكَانَ التَّنَزُّلُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ فَيْضُ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ الَّذِي اقْتَضَاهُ النَّفَسُ الرَّحْمَانِيُّ، مَجْمُوعاً[4] أَيْضاً كُلَّهُ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَمَا فِي الوُجُودِ رَحْمَةٌ تَصْعَدُ أَوْ تَنْزِلُ مِمَّا عَمَّ أَوْ خَصَّ، إِلَّا وَهِيَ نُقَطٌ مِنْ فَيْضِ بَحْرِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَكَمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ السَّبَبُ فِي إِيجَادِ الخَلْقِ، كَذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي إِمْدَادِهِمْ بِالرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ. فَيُشَارُ لِلتَّنَزُّلِ الأَوَّلِ الَّذِي هُوَ وُجُودُ الذَّوَاتِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ**

---

[1]- ك ي: موجود

[2]- ك: كلها

[3]- ي: منتسل

[4]- ح ع ك هـ ق ص ي: مجموع

وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ)[1] فَهُوَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ عَبَدَ اللَّهَ، لِكَوْنِهِ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَحَدٌ فِي الوُجُودِ، وَيُشَارُ لِلتَّنَزُّلِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ النَّفَسُ الرَّحْمَانِي بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[2] انْتَهَى.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الأَحَدِيَّةِ فَهِيَ مَرْتَبَةُ كُنْهِ الحَقِّ، وَهِيَ الذَّاتُ السَّاذَجُ الَّتِي لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي نَيْلِ الوُصُولِ إِلَيْهَا، وَتُسَمَّى حَضْرَةَ الطَّمْسِ وَالعَمَى الذَّاتِي المَرْمُوزَةَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ سَأَلَهُ السَّائِلُ بِقَوْلِهِ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ[3]؟ فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كَانَ فِي عَمَى مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هواءٌ)) وَهَذَا العَمَى هُوَ غَايَةُ بُطُونِ الحَقِّ. حَيْثُ لَا عُثُورَ لِأَحَدٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَإِلَيْهَا يُشَارُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)**[4] وَهِيَ مَرْتَبَةُ بُطُونِ الحَقِّ وَهُوَ البُطُونُ الأَكْبَرُ.

وَأَمَّا حَضْرَةُ التَّعَالِي وَحَضْرَةُ التَّكَبُّرِ، فَهُوَ مَرْتَبَةُ ظُهُورِ الحَقِّ لِغَيْرِهِ، وَإِذَا سَأَلْتَ عَنْ حَقِيقَةِ الأَحَدِيَّةِ، فَهِيَ مَرْتَبَةُ ظُهُورِ الحَقِّ بِمَرْتَبَةِ تَفْرِيدِهِ فِي الوُجُودِ، حَيْثُ لَا وُجُودَ لِشَيْءٍ مَعَهُ، وَالفَرْقُ بَيْنَ الأَحَدِيَّةِ وَالذَّاتِ السَّاذَجِ، أَنَّ الذَّاتَ السَّاذَجَ لَا امْتِيَازَ فِيهَا لِأَحَدِيَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، إِذْ طُمِسَتْ النِّسَبُ كُلُّهَا فِيهَا، فَلَيْسَ فِيهَا اخْتِصَاصُ نِسْبَةٍ عَلَى نِسْبَةٍ، وَهِيَ غَايَةُ البُطُونِ وَهِيَ العَمَى كَمَا قَدَّمْنَا، وَالأَحَدِيَّةُ تُمَاثِلُهَا فِي الذَّاتِ السَّاذَجِ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا ظُهُورَ نِسْبَةِ[5] الأَحَدِيَّةِ عَنِ[6] الكَثْرَةِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ ظُهُورِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

[1]- سورة الزخرف، الآية 81

[2]- سورة الأنبياء، الآية 107

[3]- ع ك ي: قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ

[4]- سورة طه، الآية 110

[5]- ك: ظهورا لنسبة ـ ي ل: ظهور النسبة

[6]- ك ل: على

وَأَمَّا الوَحْدَةُ فَهِيَ تَجَلِّيهِ بِكَمَالِ ذَاتِهِ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَهِي ذَاتٌ سَاذَجٌ أَيْضاً تَجَلَّى فِيهَا فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَهُوَ تَجَلِّيهِ بِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ لِغَيْرِهِ فِي غَيْرِهِ. فَهَذِهِ هِيَ[1] مَرْتَبَةُ الوَحْدَةِ.

وَأَمَّا الوَاحِدِيَّةُ فَهُوَ تَجَلِّيهِ بِكَمَالِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ فِي مَظْهَرِيَّةِ ذَاتِهِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِحَضْرَةِ اللَّاهُوتِ، وَهَذِهِ هِيَ الحَقِيقَةُ الآدَمِيَّةُ، وَالفَرْقُ بَيْنَ المَرَاتِبِ الأَرْبَعِ، أَنَّ الذَّاتَ السَّاذَجَ هُوَ تَجَلِّيهِ بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ لِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ مَعَ عُرُوِّ النِّسَبِ، فَلَا أَحَدِيَّةَ وَلَا كَثْرَةَ وَلَا وَصْفَ وَلَا اسْمَ عَرِيَّةٌ عَنِ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ، وَأَمَّا الأَحَدِيَّةُ فَهُوَ تَجَلِّيهِ بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ لِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ مَعَ ظُهُورِ نِسْبَةِ الأَحَدِيَّةِ، وَمَحْوِ جَمِيعِ النِّسَبِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالكَثْرَةِ وَالغَيْرِيَّةِ.

فَالأُولَى مَرْتَبَةُ بُطُونِ الحَقِّ وَهَذِهِ مَرْتَبَةُ ظُهُورِ الحَقِّ، وَأَمَّا الوَحْدَةُ فَهُوَ تَجَلِّيهِ بِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ هِيَ الرَّائِيَةُ لَهُ فِي ذَاتِهَا فَهُوَ تَجَلِّيهِ لِغَيْرِهِ فِي غَيْرِهِ. وَأَمَّا الوَاحِدِيَّةُ فَهُوَ تَجَلِّيهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فِي غَيْرِهِ لِغَيْرِهِ وَهِيَ الحَقِيقَةُ الآدَمِيَّةُ، فَهَذَا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ المَرَاتِبِ الأَرْبَعَةِ. وَاللَّهُ المُوَفِّقُ.

وَحَقِيقَةُ الذَّاتِ السَّاذَجِ مَعْنَاهَا الصَّرْفُ وَالمَحْضُ وَالخَالِصُ، مِثَالُهَا فِي الشَّاهِدِ **﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾**[2] مِثَالُ الشَّمْسِ، إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ فِي اللَّيْلِ، ظَهَرَتِ النُّجُومُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ انْطَمَسَتِ النُّجُومُ كُلُّهَا مَعَ وُجُودِهَا، لَكِنَّهَا انْطَمَسَتْ فِي نِسْبَةِ الشَّمْسِ، كَذَلِكَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الإِلَهِيَّةُ مَوْجُودَةٌ لَا يَرَاهَا الرَّائِي، وَيَتَعَقَّلُهَا المُتَعَقِّلُ إِلَّا فِي احْتِجَابِ الذَّاتِ عَنْهُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الذَّاتُ العَلِيَّةُ، انْطَمَسَتْ عَنِ الرَّائِي لَهَا نِسَبُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ وُجُودِهَا فَلَا اسْمَ وَلَا وَصْفَ وَهَذَا هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ، وَالبُطُونُ الذَّاتِي وَالعَمَى الذَّاتِي، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَفِي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ الجِيلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

[1]- ع: (هي) ساقطة

[2]- سورة النحل، الآية 60

فَلِلَّهِ خَلْفَ الاسْمِ وَالوَصْفِ مَظْهَرٌ * وَعَـنْـهُ عُـيُونُ العَـالَمِينَ هَـوَاجِعُ
وَلَيْسَ يُـرَى الرَّحْمَانُ إِلَّا بِعَيْنِهِ * وَذَلِـكَ حُكْمٌ فِـي الـحَقِيقَةِ وَاقِعُ
وَإِيَّـاكَ لَا تَـسْـتَـبْعِدِ الأَمْـرَ إِنَّـهُ * قَـرِيبٌ عَـلَى مَـنْ فِيهِ لِلْحَقِّ تَـابِعُ

انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

ثُمَّ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَجْمُوعُ المَرَاتِبِ كُلِّهَا هُوَ الحَضَرَاتُ الخَمْسُ.** الحَضْرَةُ الأُولَى: هِيَ حَضْرَةُ عَالَمِ النَّاسُوتِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ وُجُودِ الأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ. وَالحَضْرَةُ الثَّانِيَةُ: هِيَ مَرْتَبَةُ[1] عَالَمِ المَلَكُوتِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ فَيْضِ الأَنْوَارِ القُدْسِيَّةِ، وَهِيَ مِنَ السَّمَاءِ الأُولَى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَهُوَ عَالَمُ المِثَالِ وَهُوَ عَالَمُ الرُّوحَانِيَةِ وَالأَفْلَاكِ. وَالحَضْرَةُ الثَّالِثَةُ: هِيَ[2] حَضْرَةُ عَالَمِ الجَبَرُوتِ وَهِيَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ، وَهِيَ حَضْرَةُ فَيْضِ الأَسْرَارِ الإِلَهِيَةِ، وَهُوَ عَالَمُ الأَرْوَاحِ المُجَرَّدَةِ وَهُوَ عَالَمُ المَلَائِكَةِ.

وَالحَضْرَةُ الرَّابِعَةُ: حَضْرَةُ عَالَمِ اللَّاهُوتِ وَهِيَ حَضْرَةُ ظُهُورِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ بِأَسْرَارِهَا، وَأَنْوَارِهَا وَفُيُوضِهَا وَتَجَلِّيَاتِهَا. وَالحَضْرَةُ الخَامِسَةُ: هِيَ حَضْرَةُ الهَاهُوتِ وَهِيَ حَضْرَةُ البُطُونِ الذَّاتِي وَالعَمَى الذَّاتِي، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ لَا مَطْمَعَ فِي نَيْلِهَا إِلَّا التَّعَلُّقُ بِهَا فَقَطْ، وَالسَّلَامُ.

وَتَسْمِيَةُ المَرَاتِبِ فِي التَّنَزُّلِ، الأَوَّلُ مِنْهَا: مَرْتَبَةُ الذَّاتِ السَّاذَجِ. الثَّانِي: مَرْتَبَةُ الأَحَدِيَّةِ. الثَّالِثُ: مَرْتَبَةُ الوَحْدَةِ. الرَّابِعُ: مَرْتَبَةُ الوَاحِدِيَّةِ. الخَامِسُ: مَرْتَبَةُ الأَرْوَاحِ. السَّادِسُ: مَرْتَبَةُ المِثَالِ. السَّابِعُ: مَرْتَبَةُ الحِسِّ، وَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ المَرَاتِبِ أَسَامِي.

أَمَّا تَسْمِيَةُ الأَوَّلِ مِنْهَا: الذَّاتُ السَّاذَجُ، وَكُنْهُ الحَقِّ، وَحَضْرَةُ الطَّمْسِ، وَالعَمَى الذَّاتِي، وَالبُطُونُ الأَكْبَرُ.

---

[1]- ك: حضرة

[2]- ع ك: (هي) ساقطة

الثَّانِي: مَرْتَبَةُ الأَحَدِيَّةِ، أَقْدَمُ قِدَمٍ، أَحَدِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ، أَحَدِيَّةٌ وَحْدِيَّةٌ، مَكْنُونُ المَكْنُونِ، أَحَدِيَّةٌ صَرْفٌ، وُجُودٌ صَرْفٌ، حَقُّ الحَقِّ، ذَاتٌ بَحْثٌ، وُجُودٌ بَحْثٌ، عَدَمُ العَدَمِ، ذَاتٌ صَرْفٌ، ذَاتٌ بِلَا تَعَدُّدٍ، بُطُونُ البُطُونِ، ذَاتٌ سَاذَجٌ، وُجُودٌ مُطْلَقٌ، مَجْهُولُ النَّعْتِ، ذَاتُ الهَوِيَّةِ، ذَاتٌ مُطْلَقٌ، عَيْنُ الكَافُورِ، ذَاتٌ أَحَدِيَّةٌ، مُجَرَّدُ الشُّؤُونِ، أَزَلُ الأَزَلِ، لَا تَعَيُّنٌ، أَبَدُ الآبَادِ، أَوَّلٌ لَا نِهَايَةٍ، لَاهُوتٌ، آخِرٌ بِلَا نِهَايَةٍ، غَيْبُ الغَيْبِ، غَيْبٌ مَصُونٌ، مِشْكَاتُ الغَيْبِ.

الثَّالِثُ: مَرْتَبَةُ الوَحْدَةِ، الاسْمُ الأَعْظَمُ، الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، أُمُّ الفَيْضِ، القَلَمُ الأَعْلَى، البَرْزَخُ الكُبْرَى، أُمُّ الكِتَابِ، كَنْزُ الكُنُوزِ، عَالَمُ الجَبَرُوتِ، كَنْزُ الصِّفَاتِ، عَالَمٌ مُطْلَقٌ، مَوْجُودٌ إِجْمَالِيٌّ، مَوْجُودٌ أَوَّلٌ، الوَحْدَةُ الصِّرْفَةُ، أَحَدِيَّةُ الجَمْعِ، الدُّرَّةُ البَيْضَاءُ، حَقِيقَةُ الحَقَائِقِ، بَرْزَخُ البَرَازِخِ، الخَلْقُ الأَوَّلُ، الرُّوحُ الأَعْظَمُ، أَبُو الأَرْوَاحِ، الوَلَدُ الأَكْبَرُ، عَيْنُ الأَوَّلِ، النَّشَاطُ الأَوَّلُ، الظِّلُّ الأَوَّلُ، العَقْلُ الأَوَّلُ، المَبْدَأُ الأَوَّلُ، الظُّهُورُ الأَوَّلُ، عَالَمُ الرُّمُوزِ، عَالَمُ الوَحْدَةِ، عَالَمُ الصِّفَاتِ.

الرَّابِعُ: مَرْتَبَةُ الوَاحِدِيَّةِ، حَضْرَةُ الأُلُوهِيَةِ، حَضْرَةُ الجَمْعِ، حَضْرَةُ الرُّبُوبِيَةِ، مُنْبَعَثُ الوُجُودِ، المَوْجُودُ الفَيَّاضُ، ظَاهِرُ الوُجُودِ، ظِلُّ الوَحْدَةِ، أَحَدِيَّةُ الكَثْرَةِ، الظِّلُّ المَمْدُودُ، عَالَمُ الأَسْمَاءِ، صُوَرُ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ، الأَعْيَانُ الثَّابِتَةُ، أَسْمَاءُ الصِّفَاتِ، مَنْشَأُ الكَثَرَاتِ، التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ، البَدْءُ الثَّانِي، النَّشَاطُ الثَّانِي، مَنْزِلُ القُدُسِ، الآنَ الدَّائِمُ، قَابِلِيَّةُ الظُّهُورِ، نَفَسُ الرَّحْمَانِ، أَسْمَاءُ المَبْدَأِ الثَّانِي، مُنْتَهَى المَعْرِفَةِ، مُنْتَهَى العَارِفِينَ، مُنْتَهَى العَابِدِينَ، حَقُّ اليَقِينِ، عِلْمُ[1] اليَقِينِ، عَيْنُ اليَقِينِ.

الخَامِسُ: مَرْتَبَةُ الأَرْوَاحِ، التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ، عَالَمُ الأَمْرِ، النُّفُوسُ المُجَرَّدَةُ، عَالَمُ البَاطِنِ، حَقِيقَةُ الإِنْسَانِ، قَابُ قَوْسَيْنِ، مَعْدِنُ الأَرْوَاحِ، كَنْزُ الأَرْوَاحِ، مَجْمَعُ الأَرْوَاحِ، عَالَمُ المَعَانِي، عَالَمُ المَلَكُوتِ، عَالَمُ العُقُولِ، مَعَادُ الأَرْوَاحِ، مَقَامُ الأَرْوَاحِ، رُتْبَةُ الأَرْوَاحِ.

---

[1]- ك ي ل: عالم

السَّادِسُ: مَرْتَبَةُ المِثَالِ، التَّعَيُّنُ الرَّابِعُ، الكَوْنُ الجَامِعُ، مَنْشَأُ النُّورِ، رُتْبَةُ الخَيَالِ، المُنْفَصِلُ، المُرَكَّبَاتُ الطَّبِيعِي، مَالِكُ الجِنَانِ، بَاطِنُ المُلْكِ، حَضْرَةُ الأَسْمَاءِ، العَقْلُ الكُلِّي، النَّفَسُ الكُلِّي، الطَّبِيعَةُ الكُلِّيَّةُ، الشَّكْلُ الكُلِّي، الهُيُولُ الكُلِّي، الجِسْمُ الكُلِّي.
السَّابِعُ: مَرْتَبَةُ الحِسِّ، عَالَمُ الحِسِّ، عَالَمُ الأَجْسَامِ، المُرَكَّبَاتُ الكَثِيفَةُ، عَالَمُ الشَّهَادَةِ، عَالَمُ المُلْكِ، عَالَمُ الخَلْقِ، التَّعَيُّنُ، مَرْتَبَةُ الإِنْسَانِ، المَرْتَبَةُ الجَامِعَةُ. انْتَهَى مِنَ الشَّنَّاوِي عَلَى الجَوَاهِرِ الخَمْسِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَعْنَى النَّفَسِ وَالعَيْنِ وَالذَّاتِ وَالحَقِيقَةِ وَالمَاهِيَةِ وَالمَائِيَةِ[1]: كُلُّهَا أَلْفَاظٌ مُتَرَادِفَةٌ، أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ، وَالكُلُّ يُطْلَقُ عَلَى الذَّاتِ بِشَاهِدِ قَوْلِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)**[2] يَعْنِي الذَّاتَ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي)) فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهُ **اعْلَمْ** أَنَّ حَاسَّةَ البَشَرِيَّةِ، تَرْكُضُ فِي النَّوْمِ كَعَادَةِ البَشَرِ، وَقَلْبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزَالُ مُسْتَغْرِقاً فِي مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، بِمُرَاقَبَةِ مَا يَبْرُزُ مِنْهَا مِنَ الفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ، وَالأَحْوَالِ وَالمَعَارِفِ، وَتَجَلِّيَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، بِمُلَازَمَتِهِ لِمَا يَلْزَمُهُ فِي مُقَابَلَتِهَا مِنَ الأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَوَظَائِفِ مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الخِدْمَةِ وَالعُبُودِيَةِ، فَهُوَ عَلَى هَذَا المِنْوَالِ دَائِبٌ فِي يَقَظَتِهِ، لَا يَفْتُرُ عَنْهُ لَحْظَةً، وَلَا يَشْغُلُهُ عَنْهُ شَاغِلٌ حَتَّى أَقَلَّ مِنْ لَحْظَةٍ، وَكَمَا كَانَ دَائِباً عَلَى هَذَا فِي يَقَظَتِهِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ، كَانَ دَائِباً عَلَيْهِ فِي حَالَةِ نَوْمِهِ، لَا فَرْقَ فِي مُلَازَمَةِ ذَلِكَ فِي يَقَظَتِهِ وَنَوْمِهِ.
وَأَمَّا نَوْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّمَا حَدُّهُ وَغَايَتُهُ وُقُوعُهُ عَلَى حَوَاسِّهِ البَشَرِيَّةِ، وَلَا يَتَعَدَّى نَوْمُهُ إِلَى قَلْبِهِ، حَتَّى يَغْفَلَ عَنْ مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، كَمَا هُوَ حَالُ البَشَرِ وَلَا

---

[1]- ك: (والمائية) ساقطة

[2]- سورة المائدة، الآية 116

خُصُوصِيَةَ لَهُ فِي هَذَا، بَلْ جَمِيعُ النَّبِيئِينَ هَكَذَا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **عَدَدُ الحُجُبِ الَّتِي فَوْقَ العَرْشِ** سَبْعُونَ حِجَاباً، بَيْنَ كُلِّ حِجَابٍ وَحِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَغِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَمِنْ فَوْقِ ذَلِكَ عَالَمُ الرَّقَّا، عَالَمٌ مَمْلُوءٌ بِالخَلْقِ يَعْنِي المَلَائِكَةَ، وَكُلُّ هَذِهِ الحُجُبِ مَمْلُوٌّ بِالمَلَائِكَةِ الكِرَامِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، وَكُلُّ حِجَابٍ هُوَ عَالَمٌ، وَمِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الحُجُبِ كُلِّهَا الطَّوْقُ الأَخْضَرُ، وَهُوَ انْتِهَاءُ عَوَالِمِ المَخْلُوقَاتِ، وَمِنْ وَرَائِهِ لَا خَلَاءَ وَلَا مَلَاءَ، كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ: ((وَلَمْ أَرَ عِنْدَ رُؤْيَةِ رَبِّي أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، كُلَّهُمْ قَدْ مَاتُوا)) انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ، مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ[2] مِنْ خَلْقِهِ)) فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى هَذَا أَنَّ المَوْجُودَاتِ لَوْ نَظَرَتْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا حِجَابٍ، وَأَدْرَكَتْهُ أَبْصَارُهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ، الَّتِي أَدْرَكَتْهُ أَبْصَارُهَا بِلَا حِجَابٍ، وَلَرَجَعَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ إِلَى عَدَمِيَّتِهَا الأُولَى.

وَقَوْلُهُ: مَا، صَادِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، وَالضَّمِيرُ الأَخِيرُ فِي أَدْرَكَهُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَفَاعِلُ أَدْرَكَ هُوَ بَصَرُهُ، وَالضَّمِيرُ فِي بَصَرِهِ هُوَ المُفَسَّرُ بِقَوْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ. انْتَهَى.

قَوْلُهُ: حِجَابُهُ النُّورُ فَهُمَا نُورَانِ حَاجِبَانِ لِلْخَلْقِ عَنِ النَّظَرِ لِلحَقِّ، الحِجَابُ الأَوَّلُ: هُوَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّهَا هِيَ البَرْزَخُ الأَكْبَرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَالحِجَابُ الثَّانِي:

---

[1]- ح: انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ. إلخ..

[2]- ع ي: مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ

رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا سَبِيلَ إِلَى انْخِرَاقِهِ. وَقَوْلُ الشَّيْخِ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ،

أَرَادَ بِهِ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ، فَإِنَّ حِجَابِيَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُضِعَتْ لِتَمَامِ الإِفَادَةِ لَا لِلْمَنْعِ مِنَ الإِفَادَةِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا الحِجَابُ، لَمْ يَقْدِرْ الخَلْقُ أَنْ يُبَاشِرُوا رَبَّهُمْ بِالإِفَادَةِ مِنْهُ، بِنَفْسِ وُقُوعِ أَبْصَارِهِمْ عَلَى سُبُحَاتِ وَجْهِهِ تَحْتَرِقُ المَوْجُودَاتُ، فَلَا وُجُودَ أَصْلاً فَضْلاً عَنِ الإِفَادَةِ، فَإِنَّ الإِفَادَةَ مِنْ وَرَاءِ الوُجُودِ، فَنَصَبَ حِجَاباً بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَسْتَفِيدَ الخَلْقُ بِسَبَبِ وُجُودِهِ[1] مَادَّةَ وُجُودِهِمْ، وَإِبْقَاءَ وُجُودِهِمْ وَمَادَّةَ الإِفَادَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ جَمِيعُ الإِفَادَةِ مِنَ اللَّهِ مُطْلَقاً، يَتَلَقَّاهَا الحِجَابُ الأَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ لِكَوْنِهِ قَوَّاهُ بِقُوَّتِهِ، ثُمَّ يُفِيضُهَا هُوَ[2] عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ، وَلَوْلَا هُوَ مَا اسْتَفَادَ أَحَدٌ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً.

فَهَذَا مَعْنَى: الحِجَابِيَّةُ نُصِبَتْ لِلْإِفَادَةِ. يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي)) يُشِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ الاقْتِطَاعَاتِ الإِلَهِيَةَ لِلْقَوَابِلِ الأَصْلِيَّةِ، كَانَتْ مَقْسُومَةً بِحُكْمِ المَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَةِ، لَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِيهَا مَدْخَلٌ، ثُمَّ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْنِي نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِماً لَهُ فِي تَوْصِيلِ تِلْكَ القِسَمِ المُفَصَّلَةِ، بِحُكْمِ المَشِيئَةِ الَّتِي قُلْنَا هِيَ الاقْتِطَاعَاتُ الإِلَهِيَةُ إِلَى أَرْبَابِهَا وَهِيَ القَوَابِلُ الأَصْلِيَّةُ، فَلَيْسَ يُعْطِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَيْءٍ مِنَ الوُجُودِ أَمْراً مِنَ الأُمُورِ، إِلَّا مَا أَعْطَاهُ الاقْتِطَاعُ الإِلَهِي. فَبَانَ لَكَ أَنَّ بُرُوزَ العَطَاءِ مِنَ الحَقِّ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، لِمَنْ[3] أُرِيدَ ذَلِكَ، وَتَفْصِيلُهُ عَلَى أَرْبَابِهِ وَفِي مَرْتَبَةِ حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْطِيهِ لِأَرْبَابِهِ بِحَسَبِ النِّسَبِ.

---

[1] - ع: وجود

[2] - ك: (هو) ساقطة

[3] - ع: من

فَهَذَا مَعْنَى الحَدِيثِ: إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي، **الحِجَابِيَّةُ الأُولَى لِلحَقِّ:** حِجَابُ الكِبْرِيَاءِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى انْخِرَاقِهِ، **وَالحِجَابُ الثَّانِي لِلحَقِّ:** حِجَابُ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الوُجُودِ، وَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ دُونَهَا حُجُبُ الأَنْوَارِ، فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، يَتَخَطَّى حُجُبَ الأَنْوَارِ الَّتِي دُونَهَا، وَإِنَّمَا تَجَلِّيَّاتُ الحَقِّ كُلُّهَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الكِبْرِيَاءِ، وَمِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَمِنْ وَرَاءِ الحُجُبِ[1] الَّتِي دُونَهَا.

وَأَمَّا الوُصُولُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَوْنِهِ بَاباً فِي الوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي الوُصُولِ إِلَى اللَّهِ بِدُونِهِ، فَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ بِمُتَابَعَةِ شَرْعِهِ وَاقْتِفَاءِ سَبِيلِهِ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ، مَعَ إِخْلَاصِ الوِجْهَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَبِهَذَا المِقْدَارِ يَصِلُ العَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَبِغَيْرِ هَذَا المِقْدَارِ لَا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَالوَاصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَنْزَاحَ عَنْهُ الحِجَابُ مُطْلَقاً، وَيَصِلَ إِلَى اللَّهِ مَحْضاً بِلَا حِجَابٍ، أَوْ يَتَخَطَّى الحِجَابَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، فَهَذَا أَمْرٌ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِهِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وَمِنْ إِمْلَائِهِ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِي: لَا يُدْخَلُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مِنْ بَابَيْنِ، مِنْ بَابِ الفَنَاءِ الأَكْبَرِ وَهُوَ المَوْتُ الطَّبِيعِي، أَوْ مِنَ الفَنَاءِ الَّذِي تَدَّعِيهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: ((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ)) الحَدِيثُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: قَالَ أَمَّا مَحَبَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- ع ك هـ ق ص: الحجاب

[2]- ح: مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا

[3]- ع: وَمِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا

وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ وَالطِّيبِ المَذْكُورَيْنِ فِي الحَدِيثِ وَالحَدِيثُ صَحِيحٌ، يَقْتَضِيَانِ أَنَّ لَهُ بَشَرِيَّةً مِثْلَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **اعْلَمْ** أَنَّ لَهُ بَشَرِيَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، لَكِنَّ تِلْكَ البَشَرِيَّةَ مَعْصُومَةٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ، مُطْلَقَةٌ فِيمَا أُذِنَ لَهَا فِيهِ كَالجِمَاعِ وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَلَيْسَ أَنَّ تِلْكَ البَشَرِيَّةَ مَعْصُومَةٌ مِنْ جَمِيعِ تَوَابِعِهَا، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، مَا وَقَعَ التَّنَاسُلُ مِنْ جَسَدِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَا خَرَجَتْ حَوَّاءُ مِنْهُ، وَلَبَطُلَتْ عِمَارَةُ الدَّارَيْنِ، الَّتِي هِيَ مُرَادُ اللَّهِ مِنَ العَالَمِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَارِفٍ مَحَبَّتَيْنِ: مَحَبَّةٌ فِي رُوحِهِ، مُتَعَلَّقُهَا الذَّاتُ القُدْسِيَّةُ، مَنْشَؤُهَا مُطَالَعَةُ الجَمَالِ، وَهَذِهِ المَحَبَّةُ تَسْتَأْصِلُ جَمِيعَ وُجُوهِ المَحَبَّةِ وَعُرُوقِهَا، وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ)) إِلَى أَنْ قَالَ: ((مِنَ المَاءِ البَارِدِ لِلْعَطْشَانِ)) الخ.. فَهَذِهِ هِيَ المَحَبَّةُ الوَاقِعَةُ فِي الرُّوحِ، وَمَحَبَّةٌ لَهُ مِنْ حَيْثُ البَشَرِيَّةُ هُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ)) الخ..

فَهَذِهِ المَحَبَّةُ لَا تُنَاقِضُ[1] تِلْكَ المَحَبَّةَ وَلَا تُسَمَّى نَقْصاً، لِأَنَّ هَذِهِ المَحَبَّةَ فِي البَشَرِيَّةِ، وَضَعَهَا اللَّهُ لِلرُّسُلِ لِلتَّأْلِيفِ مَعَ الخَلْقِ، وَتَأْدِيَةِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَالتَّنَاسُلِ الَّذِي[2] تَقَعُ بِهِ عِمَارَةُ الدَّارَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ عَيْنُ الكَمَالِ الإِلَهِي، فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ بَقِيَ عَلَى المَحَبَّةِ الأُولَى مُجَرَّداً عَنِ المَحَبَّةِ البَشَرِيَّةِ، لَبَطُلَتِ الأَحْكَامُ الإِلَهِيَةُ، وَبَطُلَتِ الرِّسَالَةُ وَبَطُلَ التَّنَاسُلُ، وَبَطُلَتْ عِمَارَةُ الدَّارَيْنِ، لِأَنَّ صَاحِبَ تِلْكَ المَحَبَّةِ لَا يَلْتَفِتُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَصْلاً، وَلَا يُبَالِي بِغَيْرِ اللَّهِ أَصْلاً.

شَاهِدُ ذَلِكَ أَنَّ المَلَائِكَةَ العَالِينَ غَرِقُوا فِي مَحَبَّةِ ذَاتِهِ، فَهُمْ دَائِبُونَ الهَيَمَانِ فِي جَمَالِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ، سُكَارَى لَا يَفِيقُونَ مِنَ الحُبِّ، وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ المَحَبَّةُ الثَّانِيَةُ، لَمْ يَعْلَمُوا بِآدَمَ وَلَا إِبْلِيسَ، وَلَا كُلِّفُوا بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَلَا يَحْضُرُونَ بَيْعَةَ القُطْبِ، لِأَنَّهُمْ

---

[1]- ع ل: فَهَذِهِ المَحَبَّةُ تُنَاقِضُ

[2]- ح: التي

غَائِبُونَ عَنِ التَّأَلُّفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْ كَانَتِ الرُّسُلُ هَكَذَا لَبَطُلَتِ الرِّسَالَةُ لِعَدَمِ التَّأَلُّفِ بِغَيْرِ اللَّهِ[1]، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَاذَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ لِخَلْقِهِ، وَضَعَ اللَّهُ فِيهِمْ المَحَبَّةَ البَشَرِيَّةَ، لِيَتَأَلَّفُوا بِغَيْرِ اللَّهِ، فَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَثُبُوتِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالقِيَامِ بِحَقِّ التَّكْلِيفِ، وَظُهُورِ التَّنَاسُلِ وَكَمَالِ عِمَارَةِ الدَّارَيْنِ.

وَهَذَا غَايَةُ الكَمَالِ، فَإِنَّ هَذِهِ المَحَبَّةَ البَشَرِيَّةَ فِيهِمْ مَوْجُودَةٌ، وَلَمْ يَنْقُصُوا بِهَا عَنْ مَحَبَّةِ المَلَائِكَةِ العَالِينَ لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُمْ مُمَاثِلُونَ لَهُمْ فِيهَا وَكَانَ كَمَالُهُمْ بِهَذِهِ المَحَبَّةِ البَشَرِيَّةِ، فَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِيهِمْ مِنَ البَشَرِيَّةِ وَالأَصْلِيَّةِ لَا تَهْدِمُ أُخْتَهَا، وَلِذَلِكَ صَحَّتْ لَهُ الخِلَافَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَأَلُّفِهِ بِالعَوَالِمِ بِالمَحَبَّةِ البَشَرِيَّةِ، **وَهَذَا هُوَ مَعْنَى اسْمِهِ مُحَمَّدٍ** يَحْمَدُهُ جَمِيعُ العَوَالِمِ، بِمَا أَفَاضَ[2] عَلَيْهِ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ،

وَالمَحَبَّةُ الأَصْلِيَّةُ هِيَ الَّتِي يُسَمَّى فِيهَا أَحْمَدَ، لِأَنَّ تِلْكَ الحَضْرَةَ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مَخْلُوقٌ، فَهُوَ أَحْمَدُ مَنْ حَمِدَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، لِعُلُوِّ عِلْمِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ فِيهِ مَطْمَعٌ، وَهَذَا يُنْبِئُكَ عَنْ حَضْرَتَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَضْرَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَحَضْرَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَخِلَافَةُ الإِنْسَانِ عَلَى العَوَالِمِ، إِلَّا إِذَا كَانَ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ العَالَمِ يَجِدُ نِسْبَةً فِيهِ، فَنِسْبَةُ مَا فِيهِ لِلْبَهَائِمِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالجِمَاعِ، وَنِسْبَةُ مَا فِيهِ لِلْمَلَائِكَةِ مِنَ الوُلُوعِ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَكَمَالِ الهَيَمَانِ فِي جَلَالِ اللَّهِ وَجَمَالِهِ، فَاشْتِغَالُهُ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَهِيَ الحَضْرَةُ الَّتِي فِيهَا المَلَائِكَةُ، لَا يَشْغُلُهُ عَنْ تَأْدِيَةِ حُقُوقِ حَضْرَةِ البَهَائِمِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالجِمَاعِ وَسَائِرِ التَّقَلُّبَاتِ البَشَرِيَّةِ، وَهَذِهِ الحَضْرَةُ لَا تَشْغُلُهُ عَنِ الوُلُوعِ وَالهَيَمَانِ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ،

---

[1]- ك: بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى

[2]- ك: بِمَا أَفَاضَ اللَّهُ

فَإِنَّ الكُلَّ مِنَ[1] الحَضْرَتَيْنِ مَظَاهِرُ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ الرَّاتِعُ فِي الحَضْرَةِ البَهِيمِيَةِ إِذَا شُغِلَ بِهَا عَنِ الاسْتِغْرَاقِ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يُعْطِي لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَذَلِكَ غَايَةُ الكَمَالِ، وَمَا سَمِعْتَ مِنْ إِطْلَاقِ حَضْرَةِ البَهِيمِيَةِ، فَلَا يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَى الكَامِلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُقَالُ إِنَّ لَهُ صِفَةَ البَهِيمِيَةِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ إِنَّ فِي مُطْلَقِ الإِنْسَانِ مِنْ نِسْبَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، نِسْبَةَ مَا عِنْدَ البَهَائِمِ كَغَيْرِهَا مِنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ التَّكْمِيلُ فِي مُطْلَقِ الإِنْسَانِ، مِنْ كَوْنِهِ مَظْهَراً لِجَمِيعِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ لَا مِنْ حَيْثُ الذَّمُّ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ الرُّؤْيَا** الَّتِي وَرَدَتْ فِي الحَدِيثِ، وَهِيَ[2] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الرُّؤْيَةُ الصَّالِحَةُ)) الخ.. الحَدِيثُ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي يَرَاهَا النَّائِمُ هِيَ خَوَاطِرُ تَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ فِي حَالَةِ النَّوْمِ، وَيَصُوغُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِالرُّؤْيَا لِلرَّائِي، صُورَةً تُنَاسِبُ ذَلِكَ الخَاطِرَ، عَلَى قَدْرِ مَا يَرَاهُ فِي الصُّورَةِ المُتَخَيَّلَةِ، وَهَذِهِ حَقِيقَتُهَا، ثُمَّ الرُّؤْيَا وَصَوْغُ الأَجْسَادِ مِنَ المَلَكِ لِلرَّائِي، عَلَى قَدْرِ قُوَّتِهِ المُتَخَيِّلَةِ، وَضَعْفِهَا، وَالقُوَّةُ المُتَخَيِّلَةُ عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَانَ قَلْبُ صَاحِبِهَا تَامَّ الخُلُوصِ إِلَى الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، مُتَمَكِّناً مِنْ صَفَاءِ اليَقِينِ، صَاغَ لَهُ المَلَكُ أَجْسَاداً لِخَوَاطِرِهِ عَلَى قَدْرِ صَفَائِهِ، ثُمَّ أُمِدَّ مِنَ الغَيْبِ بِعِلْمٍ لَدُنِّي، يُعْطِيهِ العِلْمَ بِتِلْكَ الصُوَرِ وَمَا تَأْوِيلُهَا وَمَا يُرَادُ بِهَا، يَعْنِي فِي اليَقَظَةِ.

وَهَذَا التَّعْبِيرُ مِنْهُ وَالتَّأْوِيلُ لَا يُخْطِئُ، وَيَكُونُ مُضَاهِياً لِلْكَشْفِ الصَّحِيحِ، أَوْ يُعْطِيهِ الحَقُّ أَمْراً آخَرَ فِي الرُّؤْيَا، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَهُ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ أَمَرَ المَلَكَ المُوَكَّلَ بِالرُّؤْيَا أَنْ يَصُوغَ لَهُ جَسَداً عَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ الغَيْبِ، الَّذِي وَقَعَ بِهِ الإِخْبَارُ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ

---

[1] - ع: في

[2] - ك ي: وهو

مِنْ طَارِقِ الخَاطِرِ عَلَى القَلْبِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَحْيٌ إِلَهِي يُوجِبُهُ لِلرُّوحِ المُتَمَكِّنَةِ مِنْ حَضْرَةِ القُدُسِ، وَيُعْطِيهَا[1] العِلْمَ مَعَهُ بِصُورَةِ الشَّيْءِ المَرْئِيِّ وَمِثَالِهِ[2]، وَمَا يُرَادُ مِنْهُ.

وَمِثَالُ هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيْ صِوَارَيْنِ[3] مِنْ ذَهَبٍ، فَكَرِهْتُهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فطَارَا، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا بِاليَمَامَةِ وَالآخَرُ بِاليَمَنِ)) فَقِيلَ لَهُ مَا أَوَّلْتَهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي)) وَالنِّسْبَةُ الَّتِي وَقَعَ التَّعْبِيرُ بِهَا، لَمَّا كَانَ الذَّهَبُ أَشْرَفَ المَرَاتِبِ المَعْدِنِيَّةِ وَأَعْلَاهَا، نَاسَبَ رُتْبَةَ الرِّسَالَةِ فِي المَرْتَبَةِ الآدَمِيَّةِ، لِأَنَّهَا أَعْلَى الكَمَالَاتِ الإِنْسَانِيَةِ وَلَا كَمَالَ أَكْبَرَ مِنْهَا، ثُمَّ أُضِيفَ الصِّوَارَيْنِ[4] إِلَيْهِ، ثُمَّ جُعِلَ فِي ذِرَاعَيْهِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا وَاقِعَانِ فِي وَقْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدَّعِيَانِ مَرْتَبَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا فِي الحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِ[5]: ((كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي)) لِمَا أَنَّهُ مِنْ إِعْطَاءِ الحُكْمِ مَرْتَبَةَ القُرْبِ: مَا قَارَبَ الشَّيْءَ يُعْطَى حُكْمَهُ، لَمَّا[6] قَرُبَتْ وَفَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[7]، قَامَا هُنَاكَ فَكَانَا كَأَنَّهُمَا خَرَجَا مِنْ بَعْدِهِ.

---

[1]- ي: ويعطيه

[2]- ع ك هـ ق ص ي: بِصُورَةِ الشَّيْءِ المَرْئِيِّ وَمَا تَاوِيلُهُ

[3]- ع ك ق ص ي ل: سِوَارَيْنِ

[4]- ع ك ق ص ي ل: السِّوَارَيْنِ

[5]- ك: مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[6]- ك: فلما

[7]- ع ك ي: عليه الصلاة والسلام

وَأَمَّا أَنَّ البَعْدِيَّةَ هَا هُنَا بَعْدَ فَرَاغِ الرِّسَالَةِ وَفَرَاغِ زَمَنِهَا[1]، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: **(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ)**[2] اعْلَمْ أَنَّهَا نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَفِيهَا إِخْبَارٌ بِانْقِضَاءِ زَمَنِ رِسَالَتِهِ، بِقَوْلِهِ: **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)**[3] الخ الآيَةِ، لِأَنَّهُ فِي زَمَنِ الرِّسَالَةِ وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا، وَإِصْلَاحِ مَجَارِيهَا وَتَمْهِيدِ طُرُقِهَا، وَمُكَابَدَةِ مَا يَبْدُوا لَهُ مِنَ الخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ، وَتَبْلِيغِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ مَا تَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الحُكْمِ الإِلَهِي. وَهَذَا التَّعَبُ إِذْ تَحَمَّلَهُ لِلَّهِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ رُوحَهُ القُدْسِيَّةَ كَانَتْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ فِي نَعِيمٍ لَا يُمَاثِلُهُ نَعِيمٌ، وَفِي صَفَاءٍ مِنَ الوَقْتِ وَهَنَاءٍ مِنَ العَيْشِ لَا يُدْرَكُ قِيَاسُهُ، فَلَمَّا وَجَّهَهُ اللَّهُ مَعَ هَذَا إِلَى الرُّتَبِ الخَلْقِيَّةِ، وَتَرْبِيَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَتَحَمُّلِ ثِقَلِ أَعْبَائِهِمْ، عَلَى مَا فِيهِمْ مِنَ البُعْدِ عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ.

فَلَمَّا قَالَ لَهُ: **(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ)**[4]، المُرَادُ بِهِ[5] فَتْحُ مَكَّةَ: **(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً)**[6] أَخْبَرَهُ فِي هَذَا، وَأَشَارَ لَهُ إِلَى أَنَّهُ بَزَغَتْ شَمْسُ الوَقْتِ الَّذِي يَرُدُّهُ فِيهِ إِلَى الحَالَةِ الأُولَى، وَهُوَ تَفَرُّدُهُ بِالحَقِّ فِي حَضْرَةِ قُدْسِهِ وَعَدَمُ التَّوَجُّهِ لِغَيْرِهِ حَيْثُ يَطِيبُ لَهُ النَّعِيمُ كَالنَّعِيمِ الأَوَّلِ، فَلَمَّا انْتَهَى وَقْتُ الرِّسَالَةِ وَانْقَضَى، وَتَمَكَّنَ مَا يُرَادُ مِنْهَا، كَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَغَ عُمْرُهُ، فَهُنَاكَ قَامَ[7] المَلْعُونَانِ بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الرِّسَالَةِ، فَصَدَقَ قَوْلُهُ: ((يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي)) فَكَانَ

---

[1]- ك ي: زمانها

[2]- سورة النصر، الآية 1

[3]- سورة النصر، الآية 3

[4]- سورة النصر، الآية 1

[5]- ع: الناشر المراد به

[6]- سورة النصر، الآيات 2-3.

[7]- ع ك ص: قَامَا ـ ل: (قام) ساقطة

مُسَيْلِمَةُ بِاليَمَامَةِ ادَّعَى الرِّسَالَةَ، وَالأَسْوَدُ العَنْسِيُّ ادَّعَى الرِّسَالَةَ بِاليَمَنِ، وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَأَى اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ نِيطَ أَبُو بَكْرٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ)) وَمَعْنَى هَذَا تَتَابُعُهُمْ بِالخِلَافَةِ.

وَإِنْ كَانَتْ القُوَّةُ المُتَخَيِّلَةُ فِي غَايَةِ الضُّعْفِ لِقُوَّةِ ضَعْفِ قَلْبِ صَاحِبِهَا، وَالقَلْبُ الضَّعِيفُ هُوَ الَّذِي أَلِفَ العَادَاتِ، وَانْغَرَقَ فِي بَحْرِ الجِبِلَّاتِ، وَأَلِفَ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ وَالخَوْضَ فِي قِيلٍ وَقَالٍ وَفِي خُذْ وَهَاتِ، حَتَّى كُشِفَ لَهُ الحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَعُدِمَ خَبَرُ النُّورِ، صَاغَ لَهُ المَلَكُ عَلَى قَدْرِ خَوَاطِرِهِ الغَرِيقَةِ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ. فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ أَكْثَرَهَا كَذِباً لَا يُبَالَى بِهَا، وَهَذِهِ هِيَ مَرْتَبَةُ النَّفْسِ البَعِيدَةِ عَنِ اللَّهِ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ وَالَّتِي قَبْلَهَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ حُكْمٌ عَلَى قَدْرِ مَا يُنَاسِبُهَا. وَأَصْلُ الرُّؤْيَا كُلِّهَا إِمَّا مِنْ عَالَمِ الخَوَاطِرِ وَإِمَّا مِنْ عَالَمِ الوَحْيِ، وَالوَحْيُ فِيهَا هُوَ كَاليَقَظَةِ لِلرُّوحِ المُتَمَكِّنَةِ مِنَ الصَّفَاءِ، وَيَبْعُدُ غَوْرُهُ عَلَى قَدْرِ بُعْدِ الرُّوحِ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنَ الصَّفَاءِ، وَعَالَمُ النَّوْمِ شَامِلٌ لِعَالَمِ الخَوَاطِرِ وَعَالَمِ الوَحْيِ.

وَأَمَّا مَا يَصْدُقُ مِنْ مَرَائِي بَعْضِ الكُفَّارِ، فَإِنَّمَا فِيهَا حَقٌّ لِبَعْضِ أَهْلِ اللَّهِ، كَرُؤْيَةِ العَزِيزِ حَقٌّ لِسَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرُؤْيَا مُؤَبَّدَانِ[1] كِسْرَى، إِنَّمَا فِيهَا حَقٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمْكِينُ دِينِهِ، وَأَمَّا تَفْسِيرُ الرُّؤْيَا فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهَا إِلَّا إِذَا عَلِمَ تَأْوِيلَهَا، وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا صِدِّيقٌ، أَوْ مَنْ قَارَبَ مَقَامَ الصِّدِّيقِيَةِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)) مَعَ أَنَّ المُعْتَقَدَ وَالَّذِي يَجِبُ المَصِيرُ إِلَيْهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بِذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا، مَعَ أَنَّ رُوحَهُ الشَّرِيفَةَ دَائِمَةٌ فِي حَضْرَةِ القُدْسِ أَبَدَ الآبِدِينَ، وَمَعْنَى حَيَاتِهِ فِي قَبْرِهِ، لِأَنَّ الرُّوحَ تَمُدُّ الجَسَدَ فِي

---

[1]- ع: إيوانُ ـ ي: موبذان

القَبْرِ بِنُورِهَا مِنَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، فَهَذَا مَعْنَى الحَيَاةِ فِي القَبْرِ، وَكَذَلِكَ حَيَاةِ العَارِفِينَ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي يَعْنِي رُوحَهُ الَّتِي فِي حَضْرَةِ القُدُسِ تَرْجِعُ إِلَى جَسَدِهِ الشَّرِيفِ، لِرَدِّ السَّلَامِ عَلَى المُسَلِّمِ عَلَيْهِ، وَتَرْجِعُ إِلَى مَقَرِّهَا وَهِيَ حَضْرَةُ القُدُسِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].
وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لَا أَعْلَمُ عُزَيْرٌ نَبِيٌّ أَمْ لَا)) وَهَذَا قَبْلَ عِلْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنُبُوَّتِهِ[2] عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ صَاحِبُ الحِمَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الآيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: **(فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ)**[3] فَوَجَدَهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ **(وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً)**[4] فَأَحْيَى اللَّهُ لَهُ الحِمَارَ فِي الحِينِ **(قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[5] إِنَّهُ تَشَكَّى إِلَى اللَّهِ مَرَّةً حِينَ كَانَ أَسِيراً فِي يَدِ بُخْتُ نَصَّرَ قَالَ: رَبِّ فَعَلَتْ بِي بَنُوا إِسْرَائِيلَ مَا هُوَ كَيْتُ وَكَيْتُ أُمُوراً مُسْتَقْبَحَةً عَادِيَةً، تَكْرَهُهَا الطِّبَاعُ وَهَدَمَتْ بَيْتَ عِبَادَتِكَ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ قَالَ لَهُ:
يَا عُزَيْرُ جِئْتُكَ لِأَسْأَلَكَ فَتُخْبِرَنِي: أَخْبِرْنِي كَمْ فِي البَحْرِ[6] مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَمْ فِي الأَرْضِ مِنْ رَمْلَةٍ إِلَى أُمُورٍ ذَكَرَهَا بَعِيدَةٍ لَا[7] يُحْصِيهَا العَقْلُ، فَقَالَ عُزَيْرٌ: مَنْ يُحْصِي هَذَا؟ أَوْ يَعْلَمُ

1- ح: انْتَهَى.
2- ع: بنبوءته
3- سورة البقرة، الآية 259
4- سورة البقرة، الآية 259
5- سورة البقرة، الآية 259
6- ع ك ي: البحار
7- ع ك ح هـ ق ص: (لا) ساقطة

هَذَا؟ قَالَ لَهُ: مَنْ يَسْأَلُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ اشْتَكَتْ[1] لَهُ[2] الأَرْضُ وَالبَحْرُ؟ قَالَ لَهُ البَحْرُ: ضِقْتُ بِمَا فِيَ مِنْ خَلْقِ رَبِّي، وَأُرِيدُ أَنْ أَمْتَدَّ فِي الأَرْضِ، لِيَتَّسِعَ الحَالُ عَلَى الخَلْقِ الَّذِي فِي جَوْفِي. فَقَالَتْ لَكَ الأَرْضُ: ضِقْتُ بِمَا فِيَ مِنْ خَلْقِ رَبِّي، وَأُرِيدُ أَنْ أَمْتَدَّ فِي البَحْرِ، لِيَتَّسِعَ الحَالُ عَلَى مَا فِيَ مِنْ خَلْقِ رَبِّي، مَاذَا كُنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ لَهُ: أَقُولُ لَهُمَا كُلٌّ مِنْكُمَا أَتَى بِحُجَّةٍ لَا تَنْفَعُهُ، إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لِكُلٍّ مِنْكُمَا قَدْراً، وَحَدَّ لِكُلٍّ مِنْكُمَا حَدّاً لَا يَتَعَدَّاهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى مَا تُرِيدَانِ. فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: فَهَلْ لَا[3] حَكَمْتَ بِهَذَا عَلَى نَفْسِكَ؟ أَرَادَ المَلَكُ أَنَّ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَبُخْتُ نَصَّرَ فِيهِ، كُلٌّ مِنْكُمَا مِنْكُمَا لَهُ حَدٌّ[4] عِنْدَ اللَّهِ لَا يَتَعَدَّاهُ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ: لَمَّا ذَهَبَ التَّوْرَاةُ مِنْ يَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ ذَهَابِهِمْ، فَالْتَفَتُوا إِلَى التَّوْرَاةِ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مَحَلّاً وَلَا أَصْلاً، فَتَضَرَّعَ عُزَيْرٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رَدِّ التَّوْرَاةِ عَلَيْهِمْ، فَصَبَّهُ اللَّهُ فِي صَدْرِهِ فَيْضاً إِلَهِيا، فَأَخْرَجَهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَتَبُوهَا مِنْ حِفْظِهِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لَوْ أُرْسِلَ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، لَوَصَلَ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى اللَّيْلِ، وَهَذَا الحَجَرُ أُلْقِيَ مِنْ رَأْسِ جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، مَا بَلَغَ قَعْرَهَا إِلَى الآنَ)) ثُمَّ ذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهَا تُمْلَأُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ[5] كُلِّهَا. وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَقْطَعُ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ تَضْرِبُ هَذَا العَدَدَ فِي سَبْعِينَ، فَيَخْرُجُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ

---

[1]- ع ك هـ: اختصمت ـ ل: أشكت

[2]- ع ك هـ ي ل: لك

[3]- ع ك: فهلا

[4]- ع ك: لَهُ حَدٌّ مِنْ

[5]- ك: من الإنس والجن

أَلْفِ[1] عَامٍ، وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانُونَ[2] أَلْفاً، فَهَذِهِ مُدَّةُ جَهَنَّمَ بَيْنَ الفَلَكَيْنِ، أَعْنِي رَأْسَهَا وَقَعْرَهَا. أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

وَفِي الحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((غَشِيَتْكُمْ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ حُبِّ العَيْشِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ المَالِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيَكُونُ القَائِمُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)) انْتَهَى. وَفِي الحَدِيثِ أَيْضاً قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((العَمَلُ فِي الهَرَجِ كَالهِجْرَةِ مَعِي أَوْ كَالهِجْرَةِ إِلَيَّ)) إهـ. وَفِي الحَدِيثِ أَيْضاً قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ)) اهـ. **قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** المُرَادُ بِالفَقِيهِ هُنَا العَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً[6] وَلَا عَدْلاً)) فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ**[7]: مَعْنَاهُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ، وَالعَرَبُ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ هَاذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ، يَقُولُونَ: لَا أَقْبَلُ مِنْكَ لَا صَرْفاً وَلَا عَدْلاً، يَعْنِي بِالصَّرْفِ صَرْفَ الدَّنَانِيرِ بِالدِّرْهَمِ، وَالعَدْلُ هِيَ المُوَازَنَةُ إِذَا أَرَادُوا أَنْ لَا يَقْبَلُوا مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ك ي: (ألف) الثانية ساقطة

[2]- ح ع ك ي ل: وثمانين

[3]- ح: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[4]- ح: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[5]- ح ك هـ ق ص: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[6]- ي: لا صرفا

[7]- ك ي: (اعْلَمْ) ساقطة

قِيلَ لِلشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَرَدَ فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ فِي الحَدِيثِ أَنَّهُ يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ لِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهِجْرَانِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، تَجَلَّيْتُ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَرَانِي كَأَنِّي كُلُّ شَيْءٍ. قَالَ الشَّاذِلِيُّ لِلسَّائِلِ: **هَذِهِ طَرِيقَةُ العَوَامِّ،** لَيْسَتْ طَرِيقَةَ الخَوَاصِّ الأَكَابِرِ. **وَأَمَّا**[1] **طَرِيقُ الخَوَاصِّ** كَأَنَّهُ يَقُولُ فِيهَا: مَنْ أَقْبَلَ لِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِحُسْنِ اخْتِيَارِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، قَطَعْتُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَرَانِي أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَالأَوَّلُ مَشْهَدُ العَارِفِينَ، وَالثَّانِي مَشْهَدُ الأَفْرَادِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَتَوْبَةُ الخَوَاصِّ، الرُّجُوعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ بِالبَرَاءَةِ مِنْ جَمِيعِ غَيْرِهِ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ التَّوْبَةِ الحَدِيثُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَاجِرُوا إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) وَالآيَةُ أَيْضاً دَلَّتْ عَلَى هَذِهِ التَّوْبَةِ. قَالَ[3] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً آخَرَ)**[4] الآيَةُ. وَعِنْدَ العَارِفِينَ كُلُّ مَا شَغَلَ عَنِ اللَّهِ وَلَوْ لَحْظَةً مِنَ الدَّهْرِ فَهُوَ إِلَهٌ دُونَهُ، فَمَا يَشْتَغِلُونَ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَهَذِهِ تَوْبَةُ العَارِفِينَ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5].

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَدَ فِي[6] الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: ((إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الإِخْلَاصِ مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، وَبَعَثَ مُنَادِياً يُنَادِي فِي القِيَامَةِ: مَنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى فُلَانٍ فَلْيَأْتِنِي أُؤَدِّيهِ عَنْهُ))، وَلْيَفْعَلْ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى يُكَمِّلَ،

---

[1]- ك : أما

[2]- ح: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[3]- ع ك: قال الله

[4]- سورة الذاريات، الآيات 50-51.

[5]- ح: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[6]- ع: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِي

وَتِلَاوَتُهَا مَعَ البَسْمَلَةِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَاسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ، وَعَدَمِ الكَلَامِ فِي وَقْتِ الذِّكْرِ، وَفِيهَا عَدَدُ: ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ[1] أَلْفَ سَلْكَةٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ سَلْكَةٍ، وَثَلَاثٌ[2] وَثَلَاثُونَ سَلْكَةٍ، وَثَلَاثُ[3] سَلْكَةٍ، وَفِيهَا عَشْرَةُ[4] آلَافِ قَصْرٍ فِي الجَنَّةِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ[5]: ((أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ[6] يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)) الحَدِيثُ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: **اعْلَمْ** أَنَّ البِسَاطَ الَّذِي أَثَارَ هَذَا الحَدِيثَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ العَرَبَ كَانَتْ عَادَتُهَا اتِّبَاعَ الرُّؤَسَاءِ فِي الحَجِّ، فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةَ العَرَبِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَبْنَاءِ العَرَبِ كَانَتْ أُمُّهُ وَهَبَتْهُ طِفْلاً لِلْكَعْبَةِ، يَخْدُمُهَا لِلَّهِ تَعَالَى مَمْلُوكاً،

فَكَانَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الكَعْبَةِ لِلْخِدْمَةِ وِلعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَلْتَفِتُ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَلَا يَتَوَجَّهُ لِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ مِمَّا النَّاسُ مُكِبُّونَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَتْ هِمَّتُهُ إِلَّا خِدْمَةَ الكَعْبَةِ وَتَعْظِيمَهَا، فَنَشَأَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ كَبُرَ، فَأَعْظَمَتِ العَرَبُ شَأْنَهُ، لَمَّا رَأَوْهُ كَذَلِكَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ المُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ بِهِ فِي الحَجِّ فِي كُلِّ عَامٍ، يَقْتَدُونَ بِهِ، وَيَتَّبِعُونَهُ لِتَعْظِيمِهِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ،

وَكَانَتِ العَرَبُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ شَأْنُهَا التَّطَيُّرُ وَالتَّفَاؤُلُ بِالأُمُورِ، فَرَأَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَصَابُوا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً فِي دُنْيَاهُمْ، بِسَبَبِ مُتَابَعَتِهِمْ لَهُ فِي الحَجِّ، وَرُبَّمَا تَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ

---

[1] - ع ك هـ ق ل: وثلاثين

[2] - ي ل: وثلاثة

[3] - ع ك هـ ق ص ي ل: وثلث

[4] - ك : ثلاثة

[5] - ح ي: (في الحديث) محذوفة

[6] - ع: كهيئة

فِي الأُمُورِ، يَسْأَلُهَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَتُقْضَى بِهِ حَوَائِجُهُمْ، فَزَادَ تَعْظِيمُهُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَكَانُوا كَذَلِكَ يَتَّبِعُونَهُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَ فِي الحَجِّ، يَقْتَدُونَ بِهِ وَيَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ، فَاجْتَمَعَتْ العَرَبُ عَلَى قَبِيلَتِهِ وَهُمْ يُقَالُ لَهُمْ النِّسَاتُ فِي العَرَبِ.

فَقَالَتْ العَرَبُ لِقَبِيلَتِهِ: قَدِّمُوا لَنَا مِنْكُمْ وَاحِداً نَقْتَدِي بِهِ فِي حَجِّنَا، فَقَدَّمُوا وَاحِداً مِنْهُمْ، فَمَا زَالُوا كُلَّمَا تُوُفِّيَ وَاحِدٌ قَدَّمُوا مَكَانَهُ آخَرَ مِنْ تِلْكَ القَبِيلَةِ، فَمَا زَالُوا وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، إِلَى أَنْ قَامَ عَلَيْهِمْ الإِسْلَامُ فَكَانَتْ رُؤَسَاؤُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّخْصِ الأَوَّلِ، رُبَّمَا ضَاقَ عَلَيْهِمْ الحَالُ مِنَ الأَشْهُرِ الحُرُمِ، لِكَوْنِهِمْ لَا يَقْتَتِلُونَ فِيهَا، وَلَا يَقْتُلُونَ فِيهَا أَحَداً أَصْلاً، فَرُبَّمَا ضَاقَ حَالُهُمْ مِنْ تَرْكِهِمْ الأُمُورَ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ، فَطَلَبُوا مِنْ رَئِيسِ الحَجِّ أَنْ يُحِلَّ لَهُمْ الشَّهْرَ الحَرَامَ وَهُوَ المُحَرَّمُ، يَجْعَلُهُ لَهُمْ حَلَالاً، ثُمَّ يَجْعَلُ مَكَانَهُ صَفَرَ هُوَ المُحَرَّمَ وَيُحَرِّمُهُ لَهُمْ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ الشُّهُورُ عَلَى هَذَا المَهْيَعِ،

فَكَانَتْ السَّنَةُ عِنْدَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْراً فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَإِذَا فَرَغُوا مِنَ الحَجِّ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَأَحَلَّ لَهُمْ المُحَرَّمَ وَجَعَلَهُ فِي مَكَانِ صَفَرَ مِنَ العَامِ السَّابِقِ، ثُمَّ فِي كُلِّ عَامٍ يُنْقَلُ المُحَرَّمُ إِلَى مَحَلِّ صَفَرَ فِي العَامِ السَّابِقِ، فَلَا يَزَالُ هَكَذَا يَنْتَقِلُ المُحَرَّمُ فِي الشُّهُورِ وَالشُّهُورُ تَنْتَقِلُ بِانْتِقَالِهِ، فَيَصِيرُ الشَّهْرُ الحَرَامُ حَلَالاً وَالشَّهْرُ[1] الحَلَالُ حَرَاماً[2]، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ المُحَرَّمُ إِلَى مَحَلِّهِ فِي الدَّوْرَةِ الأُولَى، ثُمَّ يَحْدُثُ لَهُ دَوْرَةٌ ثَانِيَةٌ وَثَالِثَةٌ وَهَكَذَا.

فَمَا زَالَتْ عَادَةُ الرُّؤَسَاءِ وَالعَرَبِ عَلَى هَذَا المَهْيَعِ، وَالشُّهُورُ كُلُّهَا تُحْسَبُ بِذَلِكَ الحِسَابِ لَا يَتَخَطَّاهَا أَحَدٌ، إِلَى أَنْ كَانَتْ الحَجَّةُ الَّتِي قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، حَجَّ أَبُو بَكْرٍ

[1]- ل: والشهور

[2]- ع ك: فَيَصِيرُ الشَّهْرُ الحَلَالُ حَرَاماً وَالشَّهْرُ الحَرَامُ حَلَالاً ـ ي: فيصير الشهر الحلال حراما والحرام حلالا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ، بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَحُجَّ بِالنَّاسِ، وَقَدْ حَجَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ، وَقَدْ حَجَّ بِالنَّاسِ رَئِيسُ النَّسَاتِ، كَانَ يَرْكَبُ عَلَى حِمَارَةٍ وَيُجِيزُ بِالنَّاسِ فِي الحَجِّ فَيَقْتَدُونَ[1] بِهِ فِي كُلِّ مَا فَعَلَ، وَقَدْ حَجَّ عَلَى حِمَارَتِهِ تِلْكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ تِلْكَ الحَجَّةُ فِي ذِي[2] القِعْدَةِ، وَهِيَ المُسَمَّاتُ بِذِي الحِجَّةِ عِنْدَهُمْ، وَأَحَلَّ لَهُمْ الشَّهْرَ الَّذِي يَلِيهَا وَهُوَ المُحَرَّمُ فِي عَادَتِهِمْ،

وَالشَّهْرُ الَّذِي أَحَلَّهُ فِي عَادَتِهِمْ هُوَ شَهْرُ ذِي الحِجَّةِ المُقَرَّرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الغَيْبِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ المُحَرَّمُ عَادَةً، فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَنَقَلَهُ إِلَى شَهْرِ صَفَرَ، وَجَعَلَهُ هُوَ المُحَرَّمَ عِنْدَهُمْ، وَذَلِكَ المُحَرَّمُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ[3] هُوَ الشَّهْرُ المُحَرَّمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الغَيْبِ، وَتَابَعَتْهُ الشُّهُورُ فِي ذَلِكَ العَامِ عَلَى سُنَّتِهَا كُلُّ شَهْرٍ فِي مَحَلِّهِ، المُسَمَّى بِهِ فِي الغَيْبِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَحَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي العَامِ الَّذِي بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ كَانَ شَهْرُ ذِي الحِجَّةِ فِي ذَلِكَ العَامِ، جَاءَ فِي مَحَلِّهِ المُقَرَّرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الغَيْبِ، حَيْثُ كَانَتْ الشُّهُورُ كُلُّهَا فِي مَحَلِّهَا.

وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ، حَجَّ النَّاسُ مُخْتَلِطِينَ مُؤْمِنٌ وَمُشْرِكٌ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ سَفَرِ الحُجَّاجِ[4] مِنْ عِنْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُورَةِ بَرَاءَةٍ، لِيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ فِي المَوْقِفِ، وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ هَذَا العَامِ مُشْرِكٌ، وَ(**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**)[5]، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الأَحْكَامِ المُقَرَّرَةِ فِي تِلْكَ السُّورَةِ.

---

[1]- ك ي: يَقْتَدُونَ

[2]- ح: ذلك ـ ي: ذا

[3]- ع ك ق: الساعة

[4]- ع ك: الحاج

[5]- سورة التوبة، الآية 3

وَقَرَأَهَا عَلِيٌّ[1] عَلَى النَّاسِ بِالمَوْقِفِ، وَوَقَعَ النِّدَاءُ بَعْدَهَا فِي المَوْقِفِ، أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ هَذَا العَامِ مُشْرِكٌ، وَأَخْبَرَهُمْ فِيهَا أَنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ مِنْ تَبْدِيلِ الشُّهُورِ، وَتَصْيِيرِ الشَّهْرِ الحَرَامِ حَلَالاً وَالحَلَالِ حَرَاماً، وَالسَّنَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْراً فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الأَمْرِ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ)**[2]،

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ الآيَةُ، إِلَى أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَسَّسُوهُ فِي دِينِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ)**[3] وَكَانَ رَئِيسُ المُشْرِكِينَ[4] حَجَّ فِي ذَلِكَ العَامِ، وَنَقَلَ شَهْرَ[5] المُحَرَّمِ عَلَى عَادَتِهِ إِلَى شَهْرِ صَفَرَ، وَكَانَ صَفَرُ الَّذِي نَقَلَ إِلَيْهِ المُحَرَّمَ هُوَ المُحَرَّمُ الأَصْلِيُّ، وَوَقَعَتْ الشُّهُورُ بَعْدَهُ فِي أُصُولِهَا، وَحَجَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي العَامِ الثَّانِي، فَطَابَقَتْ حَجَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرَ ذِي الحِجَّةِ الأَصْلِيِّ.

وَلَمَّا عَلِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اعْتَادَتْهُ العَرَبُ مِنْ تَبْدِيلِ الشُّهُورِ، وَنَقْلِهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا إِلَى غَيْرِهَا، قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَغَ مِنَ الحَجِّ: ((أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ[6] يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)) يُرِيدُ بِذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشُّهُورَ كُلَّهَا رَجَعَتْ إِلَى أُصُولِهَا الأُولَى، بِصَيْرُورَةِ كُلِّ شَهْرٍ فِي مَكَانِهِ الَّذِي قَرَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[1]- ح ي: (عَلِيٌّ) ساقطة

[2]- سورة التوبة، الآية 36

[3]- سورة التوبة، الآية 37

[4]- ك: العرب

[5]- ح: الشهر

[6]- ع: كهيئة

وَسَلَّمَ عَنِ النَّسِيءِ فِي الشُّهُورِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَادُهُ العَرَبُ وَأَبْطَلَهُ، وَتَرَكَ الشُّهُورَ فِي أَمَاكِنِهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، فَهَذَا مَعْنَى الحَدِيثِ[1]، وَالسَّلَامُ[2].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الأُمَمِ المَاضِيَةِ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُفْرٌ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ قَبْلَهُ رُسُلاً كَثِيرِينَ جِدّاً، لِتَقْوِيمِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ مَعَ الإِيمَانِ، فَكَانَتْ الأُمَمُ تُهْلَكُ بِعِصْيَانِهَا لِرُسُلِهَا، بِتَخَطِّي الأَحْكَامِ فِي الأَفْعَالِ فَقَطْ دُونَ الإِيمَانِ، إِذْ لَا كُفْرَ فِيهِمْ، إِنَّمَا كَانُوا يُنْهَوْنَ عَنْ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ عَلَيْهِمْ، فَيَتَخَطَّوْنَ الحَدَّ فِيهَا، فَيُهْلِكُهُمْ اللَّهُ مَعَ إِيمَانِهِمْ. فَكَانَ أَوَّلُ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى الكَفَرَةِ هُوَ سَيِّدَنَا نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ بِتَفْرِيدِ العِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَرْكِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ[3]، فَكَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ وَسَرْمَدُوا عَلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا ذَكَرَ فِي الطُّوفَانِ[4]،

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَوْثَانِهِمْ وُدٌّ وَسُوَاعٌ وَيَغُوث وَيَعُوقَ وَنَسْرٌ، وَكَانَ سَبَبُ عِبَادَتِهِمْ لِهَؤُلَاءِ الخَمْسَةِ أَنَّ أَسْمَاءَ هَذِهِ الخَمْسَةِ، كَانُوا رِجَالاً صَالِحِينَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانُوا مُعَظَّمِينَ عِنْدَ العَامَّةِ لِقِيَامِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا زَالَ تَعْظِيمُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ يُعَظِّمُهُمْ العَامَّةُ غَايَةً، وَيَتَشَفَّعُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الأُمُورِ[5].

---

[1]- ل: فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ألا وإن الزمان قد استدار الخ.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[2]- ل: (والسلام) ساقطة. ثم جاء بعد ذلك في نسخة ل: وسألته رضي الله عنه عن السيدة مريم وآسية وخديجة وعائشة وفاطمة أيهن أفضل؟.. إلخ إلى قوله: انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه حفظه ولفظه. ثم الفصل الثالث في رسائله

[3]- ع ك: من دون الله

[4]- ع ك ي: كما ذكر بالطوفان

[5]- ك: (فِي الأُمُورِ) ساقطة

فَسَوَّلَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ وَقَالَ لَهُمْ: لَوْ عَبَدْتُمُوهُمْ لِيَكُونُوا لَكُمْ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُقَرِّبِينَ لَكُمْ إِلَيْهِ لَكَانَ هُوَ خَيْراً لَكُمْ. فَعَبَدُوهُمْ عَلَى هَذَا المَهْيَعِ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِيهِمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ هُلِكُوا بِالطُّوفَانِ، وَإِنَّمَا كَانَ أَمْرُهُمْ حِينَ سَوَّلَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا سَوَّلَ أَنْ نَحَتُوا بِأَيْدِيهِمْ، وَصَوَّرُوا أَوْثَاناً سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ عَبَدُوهَا إِلَى أَنْ هُلِكُوا. فَهَذَا سَبَبُ عِبَادَتِهِمْ. وَأَمَّا مَا يُسْمَعُ فِي العَرَبِ مِنْ أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الأَوْثَانِ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَإِنَّمَا سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ أُولَئِكَ الأَوْثَانِ، الَّتِي كَانَتْ فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَطْ. فَهَذَا خَبَرُهُمْ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ وَالسَّلَامُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ: ((كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُنِي القُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ مَرَّةً)) الحَدِيثُ. مَا مَعْنَى المُدَارَسَةِ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: قَالَ **اعْلَمْ** أَنَّ حَقِيقَةَ المُدَارَسَةِ هِيَ المُفَاعَلَةُ عِنْدَ العَرَبِ، وَهِيَ أَمْرٌ وَاقِعٌ بَيْنَ شَخْصَيْنِ أَوْ أَشْخَاصٍ، كُلُّ وَاحِدٍ عَامِلٌ فِي الآخَرِ[1] كَالمُشَارَكَةِ وَالمُشَارَطَةِ[2]، وَالمُضَارَبَةِ وَالمُنَاقَلَةِ، وَالمُذَاكَرَةِ وَالمُحَادَثَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُلَابَسَتِهَا لِلْمَعَانِي، أَعْنِي لَفْظَةَ المُفَاعَلَةِ، **وَحَقِيقَةُ المُدَارَسَةِ** تُطْلَقُ عَلَى التِّلَاوَةِ وَعَلَى المُسَائَلَةِ وَالبَحْثِ فِي مَعَانِي الأَمْرِ المَتْلُوِّ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمْ السَّكِينَةُ)) الخ الحَدِيث فَهَذِهِ المُدَارَسَةُ وَهِيَ البَحْثُ فِي مَعَانِي القُرْآنِ وَالْتِمَاسُ غَرَائِبِهِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)**[3] فَالمُدَارَسَةُ هِيَ البَحْثُ فِي مَعَانِي الكُتُبِ، كُلٌّ مِنَ المُتَدَارِسِينَ يَسْتَفِيدُ مِنَ

---

[1] - ك: كُلُّ وَاحِدٍ عَامِلٌ فِيهِمَا ـ ي: كل واحد عامل فيها

[2] - ع ك ي: وَالمُشَاطَرَةِ

[3] - سورة آل عمران، الآية 79

الآخَرِ، وَكَوْنُ ذَلِكَ الأَمْرِ فِي رَمَضَانَ، لِأَنَّ رَمَضَانَ مَحَلُّ فُيُوضَاتِ مَوَاهِبِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَحَلُّ فُيُوضَاتِ رَحْمَتِهِ الإِلَهِيَةِ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ فُيُوضُ الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَالأَنْوَارِ عَلَى قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجِدُونَهُ فِي غَيْرِهِ. وَلِذَا خُصَّتْ المُدَارَسَةُ فِي رَمَضَانَ لِمَا يُفِيضُهُ الحَقُّ مِنَ الأَسْرَارِ وَالمَعَارِفِ وَالعُلُومِ، وَالمَوَاهِبِ وَالأَسْرَارِ عَلَى قُلُوبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، كُلُّ[1] وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الآخَرِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ.

فَهَذَا هُوَ المَعْنَى الأَوَّلُ، وَالمَعْنَى الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ كُلٌّ[2] مِنْهُمَا يَتْلُوا عَلَى الآخَرِ القُرْآنَ وَهُوَ يَسْمَعُ لَهُ، فَيَسْتَفِيدُ السَّامِعُ مِنَ القَارِئِ بِسَبَبِ الاسْتِمَاعِ عُلُوماً وَأَسْرَاراً، وَكَذَا القَارِئُ يَسْتَفِيدُ مِنَ السَّامِعِ لَهُ عُلُوماً وَأَسْرَاراً، فَكُلٌّ مِنْهُمَا قَارِئٌ وَمُسْتَمِعٌ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُسْتَفِيدٌ وَمُفِيدٌ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حُفَّتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)) فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[3] مِنْ مَحْضِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، يَغْفِرُ مِنَ الذُّنُوبِ العِظَامِ بِالكُرَبِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِبِ، مَا لَا يَغْفِرُهُ بِكَثْرَةِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، حَتَّى يَتَمَنَّى العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَنَّهُ لَمْ يَصْفُ لَهُ وَقْتٌ مِنَ الأَوْقَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا عَرَضَ عَلَى العَبْدِ أَعْمَالَهُ فِي صَحِيفَتِهِ، يَقْرَأُ مَا فِيهَا مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِذَا وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ كَرْباً أَلَمَّ بِهِ يَقُولُ اللَّهُ لَهُ[4] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بِهَذَا الكَرْبِ غَفَرْنَا لَكَ مَا تَقَدَّمَهُ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا،

---

[1]- ك ي: فكل

[2]- ح ي: كلا

[3]- ح: (وَتَعَالَى) محذوفة

[4]- ح: (لَهُ) ساقطة

ثُمَّ يَمْضِي قَارِئاً يَقْرَأُ ذُنُوبَهُ، كُلَّمَا مَرَّ بِكَرْبٍ مِنَ الكُرُوبِ فِي صَحِيفَتِهِ يَقُولُ لَهُ: غَفَرْنَا لَكَ مَا تَقَدَّمَهُ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الثَّوَابِ إِلَى آخِرِ صَحِيفَتِهِ، حَتَّى يَتَمَنَّى أَنَّهُ مَا صَفَا لَهُ وَقْتٌ مِنَ الدُّنْيَا وَهَذَا هُوَ مَظْهَرُ الحَدِيث فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ)) وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُفَّتْ الجَنَّةُ. الحَدِيثُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ[1] فِي إِشَارَاتِهِ الوَلَوِيَّةْ وَحَلِّ مُشْكِلَاتِهَا بِعِبَارَةٍ[2] وَهْبِيَّةْ

اعْلَمْ أَنَّهُ وَرَدَتْ أَسْئِلَةٌ عَلَى سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ فَأَجَابَ عَنْهَا: مِنْهَا **قَوْلُهُ:**

تَطَهَّرْ بِمَاءِ الغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ * وَإِلَّا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ وَبِالصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ * وَصَلِّ صَلَاةَ الفَجْرِ فِي أَوَّلِ العَصْرِ
فَهَذِي صَلَاةُ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ * فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ البَرَّ بِالبَحْرِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّ **مَاءَ الغَيْبِ الَّذِي أَشَارَ إِلَى التَّطْهِيرِ بِهِ،** هُوَ الفَيْضُ الأَكْبَرُ الفَائِضُ مِنْ حَضْرَةِ القُدُسِ الَّذِي هِيَ حَضْرَةُ اللَّاهُوتِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ العَارِفِينَ بِالفَتْحِ، فَإِنَّ تَسْمِيَتَهُ بِالفَتْحِ فِيهِ تَسَامُحٌ، فَإِنَّ الفَتْحَ هُوَ زَوَالُ الحُجُبِ الحَائِلَةِ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ حَضْرَةِ القُدُسِ، وَهِيَ مِائَةُ أَلْفِ حِجَابٍ، وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ أَلْفَ حِجَابٍ، وَزَوَالُ هَذِهِ الحُجُبِ

[1]- ح ل: الفصل الرابع.
[2]- ل: بعبارات

بِأَسْرِهَا هُوَ الفَتْحُ، لِأَنَّهُ[1] فُتِحَ عَنِ انْغِلَاقٍ، فَإِنَّ العَبْدَ قَبْلَهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنِ انْحَصَرَ فِي بَيْتٍ غَلِيظَةِ الحِيطَانِ وَالسُّقُفِ، لَيْسَ فِيهَا مَنْفَذٌ لِلضَّوْءِ مِنَ الطِّيقَانِ لَا قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، وَمِنْ وَرَائِهَا بُيُوتٌ مَضْرُوبَةٌ فَوْقَهَا وَحَوْلَهَا، كُلُّ بَيْتٍ مُنْغَلِقَةٌ مَا فِيهَا مِنَ الطِّيقَانِ، وَمِثْلُ البُيُوتِ المُتَرَادِفَةِ عَلَى البَيْتِ الَّذِي فِيهِ العَبْدُ، مِائَةُ أَلْفِ بَيْتٍ، وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ أَلْفَ بَيْتٍ، كُلُّ بَيْتٍ لَا مَنْفَذَ فِيهِ لِلضَّوْءِ، وَالعَبْدُ مُنْحَصِرٌ فِي هَذَا البَيْتِ لَمْ يَرَ إِلَّا ظَلَاماً، فَإِذَا انْهَدَمَتْ البُيُوتُ كُلُّهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً فَذَلِكَ مِثَالُ الفَتْحِ، وَالفَيْضُ الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْدَ الفَتْحِ بِمَنْزِلَةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ إِذَا انْهَدَمَتْ البُيُوتُ المَضْرُوبَةُ عَلَيْهِ بِالنَّهَارِ، وَرَأَى الشَّمْسَ طَالِعَةً صَاحِيَةً[2]، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الظَّلَامِ، لِإِشْرَاقِ ضَوْءِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ.

فَالفَيْضُ الوَارِدُ عَلَيْهِ بَعْدَ الفَتْحِ، مِنْ حَضْرَةِ القُدُسِ عِنْدَ دُخُولِهِ فِي ذَاتِ العَبْدِ، يَتَطَهَّرُ بِسَبَبِهِ مِنْ جَمِيعِ الأَخْلَاقِ وَالأَوْصَافِ، وَالنُّعُوتِ البَهِيمِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالشَّيْطَانِيَّةِ، مِثْلِ الكِبْرِ وَالعَجَبِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ وَالمَيْلِ لِغَيْرِ اللَّهِ[3]، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَنِسْيَانِ[4] الآخِرَةِ، وَالكَذِبِ وَالبُهْتَانِ وَالخِدَاعِ وَالمَكْرِ، وَحُبِّ المَحْمَدَةِ وَبُغْضِ المَذَمَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَوْصَافِ وَالأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ، المَذْكُورَةِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ.

فَعِنْدَ وُرُودِ ذَلِكَ الفَيْضِ عَلَى العَبْدِ، يَتَطَهَّرُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْصَافِ المَذْكُورَةِ، لَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الأَوْصَافِ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، يَهْدِمُهَا عَيْناً وَأَثَراً، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ الفَيْضِ، يَتَّصِفُ بِأَضْدَادِ الصِّفَاتِ المَمْحُوَّةِ مِنْ صِفَاتِ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحَانِيِّينَ وَالنَّبِيئِينَ، وَيَصِيرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ كَأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ المَلَائِكَةِ، بِمَا فِيهِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ لِذَاتِهِ، وَالقِيَامِ بِالآدَابِ

---

[1] - ك: هو

[2] - ك: ضاحية

[3] - ك ل هـ ق ص ي: لغير الله تعالى

[4] - ع: (نسيان) ساقطة

مَعَ اللَّهِ، وَمَحْوِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَالزُّهْدِ فِي كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَنِسْيَانِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا، وَنِسْيَانِ الآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، وَالحُبِّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضِ فِي اللَّهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الفَيْضُ مَتَى وَرَدَ عَلَى العَبْدِ، لَا يَبْقَى مِنْ أَوْصَافِهِ المَذْمُومَةِ لَا عَيْناً وَلَا أَثَراً، وَلَا يَتَأَتَّى أَنْ يَرِدَ عَلَى العَبْدِ وَتَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ البَقَايَا، فَلِذَلِكَ حَضَّ الطَّالِبَ عَلَى التَّطْهِيرِ بِمَاءِ الغَيْبِ، الَّذِي هُوَ الفَيْضُ الأَقْدَسُ، لِأَنَّهُ لَا يُبْقِي مِنَ المَذْمُومَاتِ لَا قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً. فَهَذَا مَاءُ الغَيْبِ الَّذِي حَثَّ الطَّالِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالتَّطْهِيرِ بِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ التَّطْهِيرَ لَا يُمَاثِلُ التَّطْهِيرَ الَّذِي يَكُونُ بِتَعَمُّلِ العَبْدِ، فَإِنَّ التَّطْهِيرَ الَّذِي يَكُونُ بِتَعَمُّلِ العَبْدِ، يُدَاخِلُهُ الخَلَلُ وَالنَّقْصُ، مِنْ حَيْثُ مُلَاحَظَةُ العَبْدِ لِعَيْنِهِ وَرُؤْيَتُهُ لِعِلْمِهِ[1]، وَلِأَجْلِ هَذَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ التَّطْهِيرُ مُوفِياً بِالمَقْصُودِ.

وَأَمَّا التَّطْهِيرُ بِالفَيْضِ الأَقْدَسِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي قَهْراً عَنْ تَجَلٍّ إِلَهِي، لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلْعَبْدِ، يَهْدِمُ قَوَاعِدَ الرُّسُومِ البَشَرِيَّةِ، وَيُخْرِجُ العَبْدَ عَنْ مُلَاحَظَاتِهِ[2] وَرُؤْيَتِهِ وَإِدْرَاكَاتِهِ، وَيُلْقِيهِ فِي بَحْرِ فَنَاءِ الفَنَاءِ، وَيَقْذِفُهُ فِي البَحْرِ الأَعْظَمِ وَالسِّرِّ الأَكْبَرِ، المُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)) وَيَقْذِفُهُ فِي بَحْرِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: ((لَمْ تَسَعْنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ)).

وَمَعَانِي هَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ لَا تُدْرَكُ بِاللَّفْظِ، وَلَا تَكْشِفُ العِبَارَةُ عَنْ مَعَانِيهِمَا شَيْئاً، وَإِنَّمَا هِيَ أَسْرَارٌ عَالِيَاتٌ وَفُيُوضٌ أَقْدَسِيَّاتٌ، يَهَبُهَا اللَّهُ لِمَنْ أَحَبَّهُ وَاصْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُدْرِكُ أَسْرَارَ هَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ ذَوْقاً حَقِيقِياً وَإِدْرَاكاً يَقِينِياً لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى العِبَارَةِ، وَلَا يُفْتَقَرُ فِيهِ إِلَى الرُّمُوزِ بِالإِشَارَةِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ يَكُونُ عَارِفاً بِاللَّهِ كَامِلاً وَعَبْداً مَحْضاً خَالِصاً، وَأَدْرَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ التَّجَلِّي الأَكْبَرِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ. وَأَحَاطَ العَبْدُ بِعَيْنِهِ، وَعَرَفَ

---

[1]- ك ل: لعمله

[2]- ع ك ل هـ ق ص ي: ملاحظته

بِسَبَبِ ذَلِكَ وُجُودَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ولِمَاذَا وُجِدَتَا وَمَاذَا يُرَادُ بِهِمَا، وَهَذَا الفَيْضُ هُوَ التَّطْهِيرُ الكَامِلُ الَّذِي مَنْ عَثَرَ عَلَيْهِ، قِيلَ فِيهِ ((عَبْدٌ وَاصِلٌ)).

وَقَوْلُهُ: إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ، مَعْنَاهُ: تَطَهَّرْ بِهَذَا التَّطْهِيرِ الأَقْدَسِ، المُعَبَّرِ عَنْهُ بِمَاءِ الغَيْبِ، إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ فَإِنَّ هَذَا الفَيْضَ الأَقْدَسَ وَالفَتْحَ المُتَّصِلَ بِهِ، لَا يَرِدُ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الأَسْرَارِ لَا لِمَنْ عَدَاهُمْ، وَالسِّرُّ هَا هُنَا هُوَ فَيْضٌ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ يَرِدُ عَلَى العَبْدِ قَبْلَ الفَتْحِ، إِذَا سَرَى فِي ذَاتِهِ وَقَلْبِهِ، حَمَلَ الذَّاتَ عَلَى طَلَبِ الحَقِّ وَمُتَابَعَتِهِ، وَمَنَعَهَا مِنَ البَاطِلِ وَمُتَابَعَتِهِ عَمَلاً وَحَالاً. فَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ يَعْنِي، أَنَّهُ لَا يَرِدُ عَلَى العَبْدِ مَا ذُكِرَ مِنَ الفَتْحِ وَالفَيْضِ الأَقْدَسِ، إِلَّا إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ السِّرُّ المَذْكُورُ قَبْلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا سِرٍّ، فَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِيمَا ذُكِرَ مِنَ الفَتْحِ وَالفَيْضِ الأَقْدَسِ،

وَلِذَا قَالَ النَّاظِمُ: وَإِلَّا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ وَبِالصَّخْرِ، أَشَارَ بِالصَّعِيدِ وَالصَّخْرِ إِلَى ظَوَاهِرِ الشَّرْعِ الَّتِي يَكُونُ التَّطْهِيرُ بِهَا، بِتَعَمُّلِ العَبْدِ وَتَكَلُّفِهِ عَلَى حَدِّ مَنْ فَقَدَ المَاءَ لِلْوُضُوءِ، صَرَفَهُ الشَّارِعُ إِلَى التَّيَمُّمِ نِيَابَةً عَنِ المَاءِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ طَهَارَةَ التَّيَمُّمِ لَيْسَتْ كَطَهَارَةِ[1] المَاءِ، وَإِنَّمَا تَجُوزُ بِهَا لِلضَّرُورَةِ ولِفَقْدِ المَاءِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ المُرَادِ. كَذَلِكَ قَالَ النَّاظِمُ لِلطَّالِبِ: إِنْ كُنْتَ مِنْ أَرْبَابِ الأَسْرَارِ فَتَطَهَّرْ بِمَاءِ الغَيْبِ، لِأَنَّهُ التَّطْهِيرُ الكُلِّي المُوفِي بِغَايَةِ المَقْصُودِ، إِذْ بِسَبَبِ هَذَا التَّطْهِيرِ يَكُونُ العَبْدُ مَلَكِيّاً رَبَّانِيّاً وَعَبْداً مَحْضاً إِلَهِيّاً، وَحَصَلَ عَلَى التَّجَلِّي الإِلَهِي، إِذَا تَجَلَّى لَهُ الجَبَّارُ مِنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الكِبَارِ: إِذَا تَجَلَّى اللَّهُ لِسِرِّ عَبْدٍ، مَلَّكَهُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ، وَأَلْحَقَهُ بِدَرَجَةِ الأَحْرَارِ، وَكَانَ لَهُ تَصَرُّفٌ ذَاتِي.

وَهَذَا العَبْدُ هُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ أَبُو القَاسِمِ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ لَمَّا سُئِلَ عَنِ المُحِبِّ قَالَ: هُوَ عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ رَبِّهِ، قَائِمٌ بِأَدَاءِ حَقِّهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ. أَحْرَقَتْ قَلْبَهُ أَنْوَارُ هُوِيَّتِهِ، وَصَفَا شَرَابُهُ مِنْ كَأْسِ وُدِّهِ، وَتَجَلَّى لَهُ الجَبَّارُ مِنْ

---

[1]- ع: لَيْسَتْ طَهَارَةَ

أَسْتَارِ غَيْبِهِ. وَهَذَا العَبْدُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ قَلْبُهُ مُعَبَّراً عَنْهُ بِالبَيْتِ المُحَرَّمِ، يَحْرُمُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ دُخُولُهُ، وَكُلُّ هَذَا أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ التَّطْهِيرُ المَذْكُورُ،

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ أَرْبَابِ الأَسْرَارِ، فَتَطَهَّرْ بِالصَّعِيدِ وَبِالصَّخْرِ، كَالَّذِي فَقَدَ المَاءَ وَنَزَلَ لِلتَّيَمُّمِ، وَهَذَا التَّطْهِيرُ بِالصَّعِيدِ وَبِالصَّخْرِ، هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ)) وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ مُخْبِراً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ((هَذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي وَلِمَنْ أُحِبُّ، وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَالتَّكَرُّمُ فَأَصْلِحُوهُ بِالسَّخَاءِ وَالتَّكَرُّمِ مَا صَحِبْتُمُوهُ)) وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَالِيَ الأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)) وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ الحَيَاءُ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحْكَامِ المُتَفَرِّقَةِ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالآيَاتِ القُرْآنِيَةِ.

فَعَلَى العَبْدِ مُلَازَمَتُهَا وَالدُّؤُوبُ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهَا، بِدَوَامِ مُعَانَقَةِ الذِّكْرِ مَعَهَا. وَنَعْنِي بِالذِّكْرِ الَّذِي يَكُونُ بِتَلْقِينِ شَيْخٍ وَاصِلٍ، لَا الَّذِي يَأْخُذُهُ العَبْدُ بِاخْتِيَارِهِ، مَعَ دَوَامِ الاسْتِنَادِ بِالقَلْبِ إِلَى شَيْخٍ كَامِلٍ، فَإِنَّ بِدَوَامِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمُورِ، يَصِلُ العَبْدُ إِلَى أَنْ يُنَازِلَهُ السِّرُّ الرَّبَّانِي، الَّذِي بِسَبَبِهِ يَصِلُ إِلَى التَّطْهِيرِ الأَكْبَرِ المَذْكُورِ أَوَّلاً الَّذِي هُوَ غَايَةُ الغَايَاتِ وَمُنْتَهَى الرَّغَبَاتِ، المُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الإِشَارَةِ عَنِ اللَّهِ يُقَالُ عَنْهُ: مَنْ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ صِفَاتِي أَلْزَمْتُهُ الأَدَبَ، وَمَنْ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ ذَاتِي أَلْزَمْتُهُ العَطَبَ،

وَهَذَا العَطَبُ هُوَ غَايَةُ مُنْتَهَى الأَرَبِ وَمُنْتَهَى مَطْلَبِ العَبْدِ، فَإِنَّ هَذَا العَطَبَ هُوَ مَحَلُّ الاسْتِهْلَاكِ وَالمَحْقِ حَيْثُ يُسْلَبُ العَبْدُ مِنْ أَوْصَافِهِ البَشَرِيَّةِ، وَيَلْبَسُ خِلْعَةَ الاتِّصَافِ بِالأَوْصَافِ الرَّبَّانِيَةِ وَيَكُونُ عَيْنَ العَيْنِ، حَيْثُ يَنْمَحِقُ الفَرْقُ وَالبَيْنُ، وَهَذَا هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِجَمْعِ الجَمْعِ. فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَإِلَّا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ وَبِالصَّخْرِ.

وَقَوْلُهُ: وَقَدِّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ. مَعْنَاهُ: اعْلَمْ أَنَّ الإِمَامَ الَّذِي يَلْزَمُ تَقْدِيمُهُ هَا هُنَا، يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هُوَ الشَّارِعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هُوَ العَقْلُ. فَأَمَّا إِنْ قُلْنَا هُوَ الشَّارِعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَعْنَاهُ حَيْثُ وَصَلْتَ أَيُّهَا العَبْدُ إِلَى التَّطْهِيرِ بِمَاءِ الغَيْبِ المَذْكُورِ، وَحَصَلْتَ عَلَى غَايَتِهِ وَأَرَدْتَ الصَّلاَةَ لِرَبِّكَ، فَقَدِّمْ الإِمَامَ الأَكْبَرَ وَالقُدْوَةَ العُظْمَى الأَشْهَرَ، وَاقْتَدِ بِهِ فِي حَضْرَةِ رَبِّكَ، لِكَوْنِكَ شَاهَدْتَ حَقِيقَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الوَاسِطَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ خَيْرٌ إِلَّا مِنْهَا، وَلَا مَطْمَعَ لَكَ فِي وُصُولِ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكَ خَارِجاً عَنْ دَائِرَتِهَا.

وَمَعْنَى قَدِّمْهُ: تَأَدَّبْ بِآدَابِهِ وَالْتَزِمْ بِمُتَابَعَتِهِ، وَاجْعَلْهُ قِبْلَةَ وَجْهِكَ وَتَوَجُّهَاتِكَ، لِيَحْصُلَ لَكَ بِذَلِكَ الرِّضَا مِنْ رَبِّكَ. **وَقَوْلُهُ:** كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ، فَإِنَّكَ قَبْلَ هَذَا التَّطْهِيرِ كُنْتَ مُتَقَدِّماً عَلَى هَذَا الشَّارِعِ[1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، تَحْكُمُ لِنَفْسِكَ بِهَوَاكَ وَلَا تَسْعَى إِلَّا فِي مُتَابَعَةِ مُرَادِكَ، وَلَا يَكُونُ[2] لَكَ وُلُوعٌ إِلَّا بِإِرْضَاءِ نَفْسِكَ، بَعِيداً عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَمُتَنَائِياً عَنِ الاتِّصَافِ بِالأَوْصَافِ الرُّوحَانِيَةِ، وَغَرِيقاً فِي بَحْرِ الظُّلْمَةِ بِمَا بَعُدْتَ عَنْهُ مِنَ الأَنْوَارِ الرَّحْمَانِيَةِ، لَا تَلُمُّ بِأَحْكَامِ الشَّارِعِ، وَلَا تَلْتَفِتُ[3] إِلَيْهَا لِغَلَبَةِ الهَوَى عَلَيْكَ، وَسَرَيَانِ سُمِّهِ فِي كُلِّيَتِكَ، فَأَنْتَ فِي الحَقِيقَةِ عَبْدٌ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، لِكَوْنِكَ نَصَبْتَ نَفْسَكَ إِلَهاً تَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ[4].

فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا المَعْنَى: ((مَا تَحْتَ قُبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ))، فَلِذَا عَبَّرَ النَّاظِمُ بِكَوْنِكَ كُنْتَ أَمَامَهُ، إِذْ لَوْ كُنْتَ خَلْفَهُ مُتَّبِعاً لَهُ، لَمْ تُخَالِفْهُ بِمُتَابَعَةِ هَوَاكَ وَرِضَاكَ عَنْ نَفْسِكَ وَسَعْيِكَ فِي مَرْضَاتِهَا وَمَحَابِّهَا،

---

[1]- ح ل: على الشارع

[2]- ك: ولم يكن

[3]- ع: تلفت

[4]- ع ك ي: من دونه

وَهَرَبِكَ مِنْ مَكَارِهِهَا وَمَضَارِّهَا، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ سَخَطُ رَبِّكَ، وَهَذَا هُوَ التَّقْدِيمُ بَيْنَ يَدَيْ الشَّارِعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُصَرَّحُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)**[1] وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)**[2] فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ.

وَإِنْ قُلْنَا الإِمَامُ الَّذِي تُقَدِّمُهُ هُوَ العَقْلُ، وَالعَقْلُ هَا هُنَا هُوَ العَقْلُ الرَّبَّانِيُ المُسْتَتِرُ فِي حَضْرَةِ الغَيْبِ، الَّذِي كَانَ صِفَةً لِلرُّوحِ أَوَّلاً قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجِسْمِ، فَإِنَّهُ كَانَ لِلرُّوحِ بِمَنْزِلَةِ البَصَرِ لِلْعَيْنِ، كَمَا أَنَّ البَصَرَ تَنْكَشِفُ بِهِ حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ الظَّاهِرَةِ فِي العَيْنِ، كَذَلِكَ العَقْلُ الرَّبَّانِي الَّذِي كَانَ وَصْفاً لِلرُّوحِ قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجِسْمِ، تَنْكَشِفُ بِهِ حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ البَاطِنَةِ، وَتُعْرَفُ بِهِ حَقِيقَةُ الحَقِّ حَقّاً[3] وَالبَاطِلُ بَاطِلاً حَقِيقِياً، وَكَشْفاً يَقِينِيّاً لَا تُلْتَبَسُ عَلَيْهِ الأُمُورُ، وَلَا تُدْهِشُهُ مُعْضِلَاتُ الفِتَنِ، فَهُوَ القِسْطَاسُ المُسْتَقِيمُ بَيْنَ كَفَّتَيْ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ المُوَازَنَةِ لِلْأَشْيَاءِ، وَوَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي كَفَّةِ الحَقِّ أَوْ فِي كَفَّةِ البَاطِلِ، وَيُعْرَفُ بِهِ صُورَةُ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ وَالمُعَادَلَةُ.

وَهَذَا العَقْلُ الرَّبَّانِي يَأْخُذُ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيمِ مُعَلِّمٍ وَلَا لِإِخْبَارِ مُخْبِرٍ، بَلْ كُلُّ مَا أَرَادَهُ مِنَ العِلْمِ أَخَذَهُ عَنِ الحَقِّ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَهَذَا العَقْلُ هُوَ[4] الَّذِي يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، **ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِبَ العَقْلِ ثَلَاثَةٌ:** الأَوَّلُ هُوَ **العَقْلُ الرَّبَّانِي** الَّذِي هُوَ مَحْضُ النُّورِ الرَّبَّانِي، المُنْصَبُّ فِي بَاطِنِ حَقِيقَةِ الرُّوحِ، فَإِنَّهُ هُوَ الهَادِي وَالمُبَلِّغُ إِلَى الغَايَةِ، وَلَا يَصِلُ إِلَى هَذَا العَقْلِ إِلَّا العَارِفُ بِاللَّهِ الكَامِلُ. **وَالمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ فِي العَقْلِ، هُوَ**

---

[1]- سورة الحجرات، الآية 1.

[2]- سورة النساء، الآية 65.

[3]- ع ك ل هـ ق ص ي: (حقا) ساقطة

[4]- ع ك هـ: وهذا هو العقل

العَقْلُ الكُلِّي الَّذِي اسْتَتَرَ بِقُشُورٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ الخَفِيَّةِ، فَانْكَشَفَتْ لَهُ حَقِيقَةُ الأَشْيَاءِ الكَوْنِيَّةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً،

وَالفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَقْلِ الأَوَّلِ، أَمَّا العَقْلُ الأَوَّلُ: تَنْكَشِفُ لَهُ الأَشْيَاءُ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَيُعَايِنُ أَسْرَارَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ السَّلْطَنَةِ العُظْمَى، وَيَحْكُمُ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ بِمَا يُرِيدُ فَتَنْفَعِلُ لَهُ، وَلَا يُسْتَعْصَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وَأَمَّا العَقْلُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ العَقْلُ الكُلِّي، فَإِنَّهُ احْتَجَبَتْ عَنْهُ الحَضْرَةُ الإِلَهِيَةُ بِحُجُبٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ يَحْظَ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ انْكَشَفَتْ لَهُ حَقَائِقُ الكَوْنِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، لَكِنْ بِنُورٍ إِلَهِي قُذِفَ فِيهِ فَتَحَكَّمَ فِي الأَشْيَاءِ بِمَا يُرِيدُ[1]، تَارَةً يُنَفِّذُ مُرَادَهُ وَتَارَةً يُسْتَعْصَى عَلَيْهِ مُرَادُهُ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الأُمُورِ وَمَصَادِرَهَا مِنْ ظَاهِرِ الكَوْنِ، لَا مِنْ بَاطِنِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، فَإِنَّ المَعْرِفَةَ الَّتِي تَأْتِي عَنْ بَاطِنِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ بِحَقَائِقِ الكَوْنِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَالمَعْرِفَةُ الَّتِي تَأْتِي مِنْ ظَاهِرِ الأَكْوَانِ الغَيْبِيَّةِ الظَّاهِرَةِ بَيْنَهُمَا بُونٌ بَعِيدٌ،

وَالعَقْلُ الكُلِّي فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يَزِنُ الأَشْيَاءَ بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ، فَيَعْرِفُ الأَشْيَاءَ وَعَوَاقِبَهَا وَمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ المَطَالِبِ وَأَعْلَاهَا. وَإِنْ كَانَ قَصُرَ بِهِ الأَمْرُ عَنْ بُلُوغِ رُتْبَةِ العَقْلِ الرَّبَّانِي، فَإِنَّهُ يُفِيدُ إِفَادَةً عَظِيمَةً، وَلَهُ عُلُومٌ وَمَعَارِفُ جَسِيمَةٌ، إِلَّا أَنَّهَا فِي صُوَرِ الأَكْوَانِ فَقَطْ. وَهَذَا العَقْلُ يَشْتَرِكُ فِيهِ المُؤْمِنُ وَالكَافِرُ، فَقَدْ يُؤْتَى هَذَا العَقْلَ الثَّانِي بَعْضُ الكَفَرَةِ، بِدَوَامِ مُخَالَفَتِهِمْ لِهَوَى نُفُوسِهِمْ وَارْتِقَابِهِمْ لِلْحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً لِعَدَمِ الإِيمَانِ، لَكِنْ يَظْفَرُونَ بِخَوَاصِّهِ أَيْ العَقْلِ الكُلِّي فِي الدُّنْيَا مِنْ كَشْفِ بَعْضِ الغُيُوبِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي بَعْضِ الخَوَاصِّ وَالأَسْرَارِ، وَنُفُوذِ الكَلِمَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ، لَكِنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ إِلَى مَا يُرِيدُ بِهِمْ مِنْ إِهْلَاكِهِ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ. عَافَانَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

---

[1]- ك: يريده

وَالمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ فِي العَقْلِ وَهِيَ أَحَطُّ المَرَاتِبِ وَأَسْفَلُهَا، هُوَ **العَقْلُ المَعَاشِي** الَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَظَوَاهِرَهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالعُكُوفِ عَلَيْهَا، وَحُبِّ الرَّاحَاتِ وَالانْهِمَاكِ فِي مُتَابَعَةِ الهَوَى، وَالفِرَارِ مِنْ كُلِّ مَا يُنَاقِضُ هَذِهِ الأُمُورِ. وَهَذَا العَقْلُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الآدَمِيُّ وَالبَهَائِمُ، وَالعَقْلُ الَّذِي يَجِبُ تَقْدِيمُهُ هُوَ العَقْلُ الأَكْبَرُ الرَّبَّانِيُّ، الَّذِي هُوَ مِنْ وَرَاءِ العَقْلِ الكُلِّي.

وَقَوْلُهُ قَدِّمْهُ: لِأَنَّ هَذَا العَقْلَ يَدْعُوا إِلَى كَمَالِ التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ الطَّهَارَةِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى عَيْناً وَأَثَراً، تَعَلُّقاً وَمُسَاكَنَةً، وَمُلَاحَظَةً وَاسْتِئْنَاساً وَإِرَادَةً. وَلِذَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، لِأَنَّهُ يَجْذِبُ مُتَّبِعَهُ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَحْضاً، بِكَمَالِ الطَّهَارَةِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَلِذَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ وَمُتَابَعَتُهُ. وَقَوْلُهُ كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ، يُشِيرُ إِلَى حَالَةِ الشَّخْصِ، حَيْثُ كَانَتْ البَشَرِيَّةُ مُسْتَوْلِيَةً عَلَيْهِ، لَا يَسْعَى إِلَّا فِي مُتَابَعَةِ هَوَاهُ نَصْبَ عَيْنَيْهِ، وَإِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَنَبَذَ العَقْلَ الرَّبَّانِيَ وَحُكْمَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَلِذَا كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ.

وَقَوْلُهُ: وَصَلِّ صَلَاةَ الفَجْرِ فِي أَوَّلِ العَصْرِ مَعْنَاهُ صَلِّ صَلَاةً كَصَلَاةِ الفَجْرِ فِي أَوَّلِ العَصْرِ، الفَجْرُ هَا هُنَا هُوَ فَجْرُ إِيجَادِ الأَرْوَاحِ، حَيْثُ بَزَغَتْ شَمْسُهَا مِنْ حَضْرَةِ العَدَمِ إِلَى حَضْرَةِ الوُجُودِ، وَاشْتَقَّ لَهُ اسْمَ الفَجْرِ، لِأَنَّ ضِيَاءَ الأَرْوَاحِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ الوُجُودِ، بَزَغَ مِنْ ظُلْمَةِ العَدَمِ كَبُزُوغِ الفَجْرِ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ العَصْرِ، فِي أَوَّلِ عَصْرِ عُمُرِ الأَرْوَاحِ مِنْ أَوَّلِ نَشْأَتِهَا، يُشِيرُ إِلَى حَالَةِ الرُّوحِ وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الطَّهَارَةِ وَالصَّفَاءِ، وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ حُبِّهَا لِذَاتِهِ، وَنِسْيَانِهَا لِكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعُكُوفِهَا عَلَى خِدْمَتِهِ وَالآدَابِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَذُؤُوبِهَا طَبِيعَةً جِبِلِّيَةً عَلَى تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ غَيْرَ مُبَالِيَةٍ بِغَيْرِهِ.

فَهَذِهِ كَانَتْ حَالَةَ الرُّوحِ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهَا، الَّذِي هُوَ أَوَّلُ عَصْرِ عُمْرِهَا، وَهُوَ انْشِقَاقُ فَجْرِ إِيجَادِهَا، يَقُولُ النَّاظِمُ: أَيُّهَا الطَّالِبُ، إِذَا صَلَّيْتَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَصَلِّ صَلَاةً كَصَلَاةِ الأَرْوَاحِ فِي أَوَّلِ عَصْرِ عُمْرِهَا عِنْدَ انْشِقَاقِ فَجْرِهَا، حَيْثُ كَانَتْ تَامَّةَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى

الحَالَةِ المَذْكُورَةِ آنِفاً، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ اللاَّئِقُ بِالحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ لَا غَيْرَ، فَإِنَّكَ مَتَى مَرَّ بِقَلْبِكَ فِي الصَّلَاةِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا أَنْتَ بِمُصَلٍّ، وَلَا هِيَ صَلَاةُ العَارِفِينَ، بَلْ صَلِّ صَلَاةَ العَارِفِينَ عَلَى حَالَةِ الرُّوحِ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهَا المَذْكُورَةِ أَوَّلاً.

فَلِذَا قَالَ النَّاظِمُ فَهَذِهِ صَلَاةُ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ، وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ نُسَخِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ، وَصَلِّ صَلَاةَ الظُّهْرِ فِي أَوَّلِ العَصْرِ، أَشَارَ بِالظُّهْرِ إِلَى أَوَّلِ ظُهُورِ الأَرْوَاحِ، مِنْ ظُلْمَةِ العَدَمِ إِلَى ضِيَاءِ الوُجُودِ فِي أَوَّلِ عَصْرِ عُمْرِهَا، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالفَجْرِ، فَلِذَا قَالَ: فَهَذِهِ صَلَاةُ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ، لِأَنَّ العَارِف إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، نَبَذَ الوُجُودَ كُلّاً[1] وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الحَقِّ بِكُلِّيَتِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَلَا مَحَبَّةَ عِنْدَهُ وَلَا تَعْظِيمَ وَلَا إِجْلَالَ وَلَا اعْتِبَارَ، وَلَا وُجُودَ وَلَا وَهْمَ وَلَا حِسَّ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، مِثْلَ حَالَةِ الرُّوحِ كَمَا ذَكَرْتُ أَوَّلاً.

وَقَوْلُهُ: فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ، أَيْ مِنَ العَارِفِينَ فَانْضَحِ البَرَّ بِالبَحْرِ، مَعْنَاهُ: البَرُّ ظَوَاهِرُ الشَّرْعِ مِنَ المَأْمُورَاتِ التَّكْلِيفِيَةِ، الَّتِي هِيَ القِيَامُ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادَةً وَعُبُودِيَةً وَعُبُودَةً، وَقَوْلُهُ بِالبَحْرِ: هُوَ بَحْرُ الحَقِيقَةِ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ فِعْلاً مِنَ المَأْمُورَاتِ التَّكْلِيفِيَةِ شَرْعاً، إِلَّا وَأَنْتَ تُشَاهِدُ الحَقَّ أَمَامَكَ وَمُحِيطاً بِكَ وَنَاظِراً إِلَيْكَ، وَأَنَّكَ فِي قَبْضَتِهِ وَفِي حَضْرَتِهِ، وَقُدْرَتُهُ هِيَ المُحَرِّكَةُ لَكَ وَالمُسَكِّنَةُ، وَهَذَا الشُّهُودُ لَيْسَ اعْتِقَاداً، بَلْ عَيْنِيّاً حَقِيقِياً وَإِدْرَاكاً يَقِينِيّاً يُثْمِرُهُ صَفَاءُ الأَحْوَالِ، وَيُعْطِيهِ كَمَالُ التَّحْقِيقِ فِي مَقَامَاتِ الإِنْزَالِ، وَلَا إِدْرَاكَ فِيهِ لِلْمَقَالِ. فَهَذَا الأَمْرُ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِنَضْحِ بَرِّ الشَّرِيعَةِ بِبَحْرِ الحَقِيقَةِ، وَالسَّلَامُ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ العِبَادَةِ وَالعُبُودِيَةِ وَالعُبُودَةِ، فَأَمَّا العِبَادَةُ فَهِيَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي مَقَامِ الإِسْلَامِ، صَاحِبُهَا لَا حُضُورَ لَهُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا نَزْرٌ قَلِيلٌ بِكَدٍّ شَدِيدٍ، وَالعُبُودِيَةُ هِيَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي مَقَامِ الإِيمَانِ، وَصَاحِبُهَا يَكُونُ حَاضِراً مَعَ اللَّهِ، أَوَّلُهَا مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ كَثِيفٍ، وَآخِرُهَا مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ رَقِيقٍ، وَالعُبُودَةُ هِيَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي مَقَامِ الإِحْسَانِ، فَإِنَّ

---

[1] - ك: كله

صَاحِبَهَا لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنِهِ وُجُودٌ إِلَّا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ يَرَى الحَقَّ عِيَاناً بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ وَنُورِ يَقِينِهِ.

قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ: شُعَاعُ البَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ مِنْكَ، وَعَيْنُ البَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ فَنَاءَكَ لِوُجُودِهِ، وَحَقُّ البَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ وُجُودَهُ لَا فَنَاءَكَ وَلَا وُجُودَكَ، فَشُعَاعُ البَصِيرَةِ هُوَ نُورُ العَقْلِ، وَعِبَادَةُ صَاحِبِهَا هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالعِبَادَةِ، وَعَيْنُ البَصِيرَةِ هُوَ نُورُ العِلْمِ، وَعِبَادَةُ صَاحِبِهَا هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالعُبُودِيَةِ[1]، وَحَقُّ البَصِيرَةِ هُوَ نُورُ الحَقِّ، وَعِبَادَةُ صَاحِبِهَا هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالعُبُودَةِ، وَالسَّلَامُ.

وَقَوْلُهُ فِيمَا تَقَدَّمَ وَأَلْحِقْهُ بِدَرَجَةِ الأَحْرَارِ، فَعِنْدَهُ[2] الحُرُّ الَّذِي تَحَرَّرَ مِنْ رِقِّيَةِ الأَغْيَارِ حُبّاً وَإِرَادَةً وَمَيْلاً، وَتَعْظِيماً وَاسْتِئْنَاساً وَمُسَاكَنَةً وَمُلَاحَظَةً، وَغَرِقَ فِي حَضْرَةِ الجَبَّارِ فَلَا عِلْمَ لَهُ بِغَيْرِهِ، لَيْسَ لَهُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ سُكُونٌ وَلَا قَرَارٌ وَلَا عَنْ غَيْرِ اللَّهِ أَخْبَارٌ، وَيَصِيرُ الخَلْقُ فِي عَيْنَيْهِ[3] كَالأَبَاعِرِ عَلَى وَجْهِ المَاءِ، قَالَ بَعْضُ الكِبَارِ:

أَتَمَنَّى عَلَى الزَّمَانِ مُحَالاً * أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلْعَةَ حُرٍّ

انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا أَبُو العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ أَوَاخِرَ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ[4] وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، وَالسَّلَامُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[5].

[1]- ح ل: بالمعرفة

[2]- ع ك ل هـ ق ص ي: معناه

[3]- ك: عينه

[4]- ح: ستا

[5]- ع ك ي: (تَسْلِيماً) ساقطة

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ **النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالقَلْبِ وَالسِّرِّ**، هَلْ هِيَ[1] أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ، أَوْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حِدَتِهِ، فَإِنْ قُلْنَا أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ فَمَا فَائِدَةُ التَّعَدُّدِ، وَإِنْ قُلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حِدَتِهِ، فَالخِطَابُ إِنَّمَا هُوَ لِلرُّوحِ وَهِيَ الَّتِي تَتَنَعَّمُ وَتَذُوقُ أَلَمَ العَذَابِ، بَيِّنْ لَنَا بَيَاناً شَافِياً، وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَأُسْتَاذِنَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: **اعْلَمْ** أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ المُتَعَدِّدَةَ، إِنَّمَا هِيَ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ لَا تَعَدُّدَ فِيهَا، وَإِنَّمَا تَتَعَدَّدُ أَسْمَاؤُهَا أَيْ الرُّوحُ لِتَعَدُّدِ مَرَاتِبِهَا. وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الرُّوحَ الإِنْسَانِيَ مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي، وَانْتِشَاؤُهَا مِنْ فَيْضِ العَمَا الرَّبَّانِي، وَأَسْكَنَهَا مَحَلَّ الرُّوحِ، لَمْ تَزَلْ فِيهِ كَامِلَةَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَقِرَّةً فِي مَحَبَّتِهِ وَوَحْدَانِيَتِهِ، عَارِفَةً بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لَا تَلْتَفِتُ لِغَيْرِهِ، وَلَا تُبَالِي بِسِوَاهُ، فَلَمْ تَزَلْ عَلَى هَذَا فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَفِي غَايَةِ البُعْدِ عَنْ فُهُومِ العُقُولِ، ثُمَّ أَسْكَنَهَا قَارُورَةَ الجِسْمِ الإِنْسَانِي، اكْتَسَبَ الجِسْمُ بِحَسَبِ اسْتِقْرَارِهَا فِيهِ حَيَاةً وَإِدْرَاكاً، وَتَكَوَّنَ فِي الجَسَدِ بِحَسَبِ الرُّوحِ نَفْسٌ، وَهِيَ[2] البُخَارُ اللَّطِيفُ الحَامِلُ لِقُوَّةِ الحَيَاةِ وَالحِسِّ وَالحَرَكَةِ وَالإِدْرَاكِ.

فَالنَّفْسُ شَيْءٌ يُوجَدُ حُكْمُهُ وَلَا تُوجَدُ عَيْنُهُ، إِذْ هُوَ يَتَكَوَّنُ مِنَ اجْتِمَاعِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، فَإِنْ افْتَرَقَا انْعَدَمَ وُجُودُهُ، أَيْ النَّفْسُ وَهُوَ البُخَارُ اللَّطِيفُ، وَهَذَا الشَّيْءُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالنَّفْسِ، هُوَ مَنْبَعُ الأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالأَخْلَاقِ[3] وَالأَوْصَافِ[4] الفَاسِدَةِ السَّقِيمَةِ، مَا دَامَ حُكْمُهُ مُسْتَوْلِياً عَلَى العَبْدِ، فَالرُّوحُ أَسِيرٌ فِي يَدِهِ لَا يَسْعَى إِلَّا فِي مَرْضَاتِهِ، وَهُوَ فِي

[1]- ح ل: هم

[2]- ح ل: وهو

[3]- ح ي: (وَالأَخْلَاقِ) ساقطة

[4]- ك: (والأوصاف) ساقطة

غَايَةِ الهَلَاكِ وَالبُعْدِ عَنِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، عَلَى قُوَّةِ نُورَانِيَةِ الرُّوحِ بِسَبَبِ اسْتِقْرَارِهِ فِي الجِسْمِ، لَمَّا تَلَطَّخَ بِأَدْرَانِهِ وَأَوْسَاخِهِ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ حُكْمُ النَّفْسِ الخَبِيثَةِ، وَصَارَ فَاسِقاً عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ آثَارُ حُكْمِ الجِسْمِ، لِأَنَّ الجِسْمَ مُتَكَوِّنٌ فِي مَحَلِّ الظُّلُمَاتِ، وَهُوَ المَاءُ وَالتُّرَابُ وَكَانَ فِي غَايَةِ الكَثَافَةِ.

وَالرُّوحُ مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالتَّجَوْهُرِ، فَهُوَ أَصْفَى الجَوَاهِرِ وَأَعْلَاهَا، وَاكْتَسَبَتِ الرُّوحُ الظُّلْمَةَ فِي عَالَمِ الجِسْمِ، فَمَا دَامَتِ الرُّوحُ مَيَّالَةً إِلَى المَعَاصِي وَالمُخَالَفَاتِ وَمُتَابَعَةِ الهَوَى، تُسَمَّى فِي هَذَا المَقَامِ **النَّفْسَ الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ**، فَإِذَا طَرَأَ عَلَيْهَا مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، مَا يُخْرِجُهَا عَنْ بَعْضِ مَا كَانَتْ مُتَّصِفَةً بِهِ مِنَ المَعَاصِي وَالمُخَالَفَاتِ بِوُجُودِ التَّوْبَةِ، أَخَذَتْ فِي تَوْبِيخِ نَفْسِهَا، وَلَوْمِهَا لِذَاتِهَا عَمَّا فَرَّطَتْ فِيهِ مِنَ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، وَتَأْخُذُ نَفْسَهَا بِالزَّجْرِ وَالتَّوْبِيخِ الشَّدِيدِ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَابِ الجَوَادِ الكَرِيمِ.

فَهِيَ فِي هَذَا المَقَامِ تُسَمَّى **النَّفْسَ اللَّوَّامَةَ**، لِأَنَّهَا تَلُومُ نَفْسَهَا عَمَّا فَرَّطَتْ فِيهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهَا مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، مَا يَقْضِي بِإِخْرَاجِهَا عَنْ كَثَائِفِ المَعَاصِي وَالمُخَالَفَاتِ المُعَبَّرِ عَنْهَا بِالكَبَائِرِ، وَبَقِيَ عَلَيْهَا لَطَائِفُ المُخَالَفَاتِ وَدَقَائِقُهَا، تُسَمَّى فِي هَذَا المَقَامِ قَلْباً، لِأَنَّهَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الحَضْرَةِ[1] القُدْسِيَةِ، وَتَارَةً تَهُزُّهَا شَمُّ تِلْكَ الرَّوَائِحِ القُدْسِيَّةِ، فَتَحِنُّ شَوْقاً إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ وُجُودِهَا الأَوَّلِ، وَتَارَةً تَغْلِبُ عَلَيْهَا كَثَافَةُ ظُلُمَاتِ طَبِيعَتِهَا الجِبِلِّيَةِ[2]، المُكْتَسَبَةِ مِنْ اسْتِقْرَارِهَا فِي الجِسْمِ، فَتَحِنُّ إِلَى مُقْتَضَيَاتِ شَهَوَاتِهَا وَمُتَابَعَةِ هَوَاهَا. فَلِتَقَلُّبِهَا بَيْنَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ سُمِّيَتْ **قَلْباً**، لِأَنَّهَا

---

[1]- ع: (الحَضْرَةِ) ساقطة

[2]- ك: الجبلة

تَتَقَلَّبُ فِي حَنِينٍ إِلَى الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ وَالنُّهُوضِ إِلَيْهَا، وَمِنْ[1] حَنِينٍ إِلَى ظُلْمَةِ طَبْعِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالمُخَالَفَاتِ فَتَرْكَنُ إِلَى التَّثَبُّطِ بِهَا.

فَلِذَا سُمِّيَتْ فِي هَذَا المَقَامِ قَلْباً لِكَثْرَةِ تَقَلُّبِهَا، ثُمَّ إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ مِنْ حَضْرَةِ القُدُسِ، مَا يَقْتَضِي[2] بِكَمَالِ طَهَارَتِهَا مِنْ جَمِيعِ المُخَالَفَاتِ كَثِيفِهَا وَلَطِيفِهَا، وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا[3]، وَرَسَخَتْ قَدَمُهَا فِي العَمَلِ لِطَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَسَكَنَ اضْطِرَابُهَا مِنْ ذَلِكَ، تُسَمَّى فِي ذَلِكَ المَقَامِ النَّفْسَ المُطْمَئِنَّةَ، لَكِنَّهَا بَقِيَتْ عَلَيْهَا مِنَ المَيْلِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ حَلاَلاً، وَبَقِيَ فِيهَا أَثَرُ الاعْوِجَاجِ عَنِ الاسْتِقَامَةِ، وَبَقِيَ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالاخْتِيَارِ فِي مَصَالِحِهَا، ثُمَّ إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، مَا يَقْضِي بِهَدْمِ أَبْنِيَةِ جَمِيعِ اخْتِيَارَاتِهَا وَمَأْلُوفَاتِهَا، بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَارِيَةً عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهِيَ فِي هَذَا المَقَامِ تُسَمَّى **النَّفْسَ الرَّاضِيَةَ**،

لَكِنَّهَا بَقِيَتْ فِيهَا آثَارٌ مِنَ الأَبْنِيَةِ الَّتِي تَهَدَّمَتْ قَبْلَهَا، وَتِلْكَ الآثَارُ كَآثَارِ الجُرُوحِ إِذَا بَرِئَتْ، فَهِيَ بِتِلْكَ النِّسْبَةِ فِيهَا كَزَازَةٌ عَنْ حَضْرَةِ الحَقِّ، ثُمَّ إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْوَارِ حَضْرَةِ القُدُسِ، مَا يَقْضِي بِكَمَالِ طَهَارَتِهَا مِنْ آثَارِ الأَوْهَامِ وَبُخُورَاتِ المَحْسُوسَاتِ، وَقَطْعِ ذَاكَ عَيْناً وَأَثَراً، وَانْمَحَقَ وُجُودُهُ وَانْعَدَمَ شُهُودُهُ.

وَهَذَا الفَيْضُ هُوَ النُّورُ الأَكْبَرُ المُعَبَّرُ عَنْهُ فِي اصْطِلَاحِ العَارِفِينَ **بِالفَتْحِ الأَعْظَمِ**، فَهِيَ تُسَمَّى فِي هَذَا المَقَامِ بِالنَّفْسِ المَرْضِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا انْعَدَمَ مِنْهَا الحِسُّ وَالإِدْرَاكُ، فَلَا عِلْمَ وَلَا رَسْمَ وَلَا اسْمَ، إِلَّا مُشَاهَدَةُ الحَقِّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ لِلْحَقِّ عَنِ الحَقِّ، فَهَذَا هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِفَنَاءِ الفَنَاءِ. هَا هُنَا قَدْ كَمُلَ رِضَا خَالِقِهَا عَنْهَا، وَلِذَا تُسَمَّى **النَّفْسَ المَرْضِيَّةَ**، فَإِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْوَارِ حَضْرَةِ القُدُسِ، مَا يَقْضِي لَهَا بِتَمْيِيزِ المَرَاتِبِ وَتَفْصِيلِهَا، وَمَعْرِفَةِ

---

[1]- ك: وبين

[2]- ك ي: ما يقضي

[3]- ك: وجليها

خَوَاصِّهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا، وَإِحَاطَتِهَا بِمُقْتَضَيَاتِ[1] المَرَاتِبِ وَلَوَازِمِهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، تُسَمَّى فِي هَذَا المَقَامِ **النَّفْسَ الكَامِلَةَ**،

ثُمَّ إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْوَارِ حَضْرَةِ القُدُسِ مَا يَقْضِي بِهَدْمِ بِنَاءِ الإِشَارَاتِ، وَدَكِّ مَحْسُوسَاتِ العِبَارَاتِ، وَاتَّصَفَتْ بِذَلِكَ ظَاهِراً وَبَاطِناً تُسَمَّى فِي هَذَا المَقَامِ **بِالسِّرِّ الخَفَاءِ**[2]، ثُمَّ إِذَا أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْوَارِ[3] حَضْرَةِ القُدُسِ بَعْدَ ذَلِكَ، مَا يَقْضِي لَهَا بِمَا نِسْبَتُهُ فِي الصَّفَاءِ الأَوَّلِ فِي مَرْتَبَةِ الخَفَاءِ، كَنِسْبَةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ إِلَى اللَّيْلِ، سُمِّيَتْ فِي هَذَا المَقَامِ **أَخْفَى**، لِأَنَّهَا بَعُدَتْ[4] عَنْ إِدْرَاكِ العُقُولِ وَأَفْكَارِ الفُهُومِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا هِيَ دَائِمَةٌ فِي التَّرَقِّي فِي المَقَامَاتِ بِلَا نِهَايَةٍ، فِي طُولِ عُمُرِ الدُّنْيَا، وَفِي مُدَّةِ البَرْزَخِ، وَفِي الخُلُودِ الأَبَدِيِّ فِي الجَنَّةِ، لَا يَنْقَضِي تَرَقِّيهَا وَلَا يَتَنَاهَى. فَهِيَ فِي كُلِّ مَقَامٍ، يَنْكَشِفُ لَهَا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، وَأَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ، وَفُتُوحَاتِهِ وَفُيُوضَاتِهِ، مَا يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَقَامِ الَّذِي ارْتَقَتْ عَنْهُ، كَالبَحْرِ لِلنُّقْطَةِ فِي الاتِّسَاعِ وَهَكَذَا دَائِماً.

وَكُلَّمَا ارْتَقَتْ مَقَاماً، اكْتَسَبَتْ بِسَبَبِ فُيُوضِهِ وَتَجَلِّيَاتِهِ وَمَعَارِفِهِ، وَعُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ وَفُتُوحَاتِهِ، مَا يَكُونُ نِسْبَتُهُ لَهَا فِي المَقَامِ الَّذِي ارْتَقَتْ عَنْهُ، كَنِسْبَةِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ إِلَى سَوَادِ اللَّيْلِ فِي الصَّفَاءِ. فَفِي المَقَامِ الَّذِي تَرْتَقِيهِ فَوْقَ مَقَامِ الإِخْفَاءِ[5] تُسَمَّى **سِرّاً**، لِشِدَّةِ بُعْدِهَا عَنْ مَقَامِ الإِخْفَاءِ[6]، وَفِي المَقَامِ الَّذِي فَوْقَ مَقَامِهَا الَّذِي تُسَمَّى فِيهِ سِرّاً، تُسَمَّى **سِرَّ السِّرِّ**.

---

[1]- ح ي: لمقتضيات

[2]- ح ع ك هـ ق ص ي: (تسمى في هذا المقام بالسر الخفاء) ساقطة

[3]- ح: (أَنْوَارِ) ساقطة

[4]- ع: بعد

[5]- ك: الأخفى

[6]- ك: الأخفى

وَفِي المَقَامِ الثَّالِثِ بَعْدَهُ تُسَمَّى **سِرَّ سِرِّ السِّرِّ**، وَفِي المَقَامِ الرَّابِعِ تُسَمَّى **سِرَّ سِرِّ سِرِّ السِّرِّ** أَرْبَعَةُ مَرَاتِبَ، وَفِي المَقَامِ الخَامِسِ تُسَمَّى فِيهِ[1] **سِرَّ سِرِّ سِرِّ سِرِّ السِّرِّ** خَمْسَةُ مَرَاتِبَ وَهَكَذَا دَائِماً، كُلَّمَا ارْتَقَتْ مَقَاماً، تَأْخُذُ فِيهِ اسْماً مِنْ أَسْمَاءِ السِّرِّ إِلَى عَشْرِ مَرَاتِبَ فِي السِّرِّ إِلَى مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ وَهَكَذَا. فَتَبَيَّنَ لَكَ مِنْ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ المُتَعَدِّدَةَ، إِنَّمَا هِيَ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ وَهِيَ الرُّوحُ، لَا تَغَايُرَ فِي المُسَمَّى وَهُوَ الرُّوحُ، وَإِنَّمَا تَغَايَرَتْ أَسْمَاؤُهُ لِتَغَايُرِ مَرَاتِبِهِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَأَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ: مَنِ المُخَاطَبُ؟ هَلْ الرُّوحُ أَوْ النَّفْسُ أَوْ الجَسَدُ الخ؟ فَالجَوَابُ: أَنَّ المُخَاطَبَ بِالخِطَابِ الإِلَهِي التَّكْلِيفِيِّ إِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ، لِأَنَّهَا هِيَ القَلْبُ وَهِيَ النَّفْسُ، كَمَا قَدَّمْنَا فِي مَرَاتِبِهَا، وَلَيْسَ الجَسَدُ هُوَ المُخَاطَبُ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مَقَرّاً لِلرُّوحِ وَمَطِيَّةً لَهَا[2]، تَرْكَبُ عَلَيْهَا لِتُؤَدِّيَ بِهَا الحُقُوقَ الَّتِي كَلَّفَهَا بِهِ خَالِقُهَا، فَهِيَ المُكَلَّفَةُ أَيْ الرُّوحُ، وَهِيَ المَأْخُوذُ عَلَيْهَا المِيثَاقُ، وَهِيَ المُثَابَةُ وَالمُعَذَّبَةُ، وَهِيَ المُنَعَّمَةُ وَالمُنَغَّصَةُ، فَلَا يَنَالُهَا عَذَابٌ وَلَا نَعِيمٌ، إِلَّا بِوَاسِطَةِ جِسْمٍ بِالاخْتِيَارِ الإِلَهِي فَقَطْ، فَهِيَ مُرَكَّبَةٌ فِي هَذَا الجِسْمِ، تُعَذَّبُ بِعَذَابِهِ وَتُنَعَّمُ بِنَعِيمِهِ، وَبَعْدَ المَوْتِ تُرَكَّبُ فِي البَرْزَخِ فِي جَسَدٍ آخَرَ، تُدْرِكُ بِسَبَبِهِ النَّعِيمَ وَالعَذَابَ. يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ[3] خُضْرٍ)) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا مَاتَ المُؤْمِنُ أُعْطِيَ نِصْفَ الجَنَّةِ)). الحَدِيثُ.

وَالمُرَادُ بِهَذَا التَّنْصِيفِ نِصْفُ النَّعِيمِ فِي الجَنَّةِ، لِأَنَّ كَمَالَ النَّعِيمِ فِي الجَنَّةِ بِاجْتِمَاعِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، فَلَهَا نِصْفُ النَّعِيمِ وَلَهُ نِصْفُ النَّعِيمِ، وَلِعَدَمِ تَرْكِيبِهَا فِي جَسَدِهَا فِي البَرْزَخِ، تَتَنَعَّمُ بِدُونِهِ فِي الجَنَّةِ، فَلَهَا نِصْفُ النَّعِيمِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الحَدِيثِ بِنِصْفِ

---

[1]- ح ي: (فِيهِ) ساقطة

[2]- ع ك: له

[3]- ع ك ي: فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ

الجَنَّةِ، وَهَذَا لِلْعَارِفِ فَقَطْ وَلِلشَّهِيدِ[1]، وَالبَاقِي مِنَ المُؤْمِنِينَ مَحْجُورُونَ عَنِ السِّيَاحَةِ[2] فِي الجَنَّةِ، لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِمْ مَقَاعِدُهُمْ فِي الجَنَّةِ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنِ المُكَالَمَةِ لِلْعَارِفِينَ فِي هَذَا المَقَامِ، لَيْسَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ الَّذِي هُوَ المَعْنَى القَائِمُ بِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ بِصَرِيحِ الآيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً**)[3] مَا عَدَا سَيِّدَنَا مُوسَى، وَسَيِّدَنَا مُحَمَّداً[4] عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سَمِعَا المَعْنَى القَائِمَ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا المُكَالَمَةُ المَعْلُومَةُ لِلْعَارِفِينَ، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ فِيهِمْ كَلَامَهُ فِي الرُّوحِ، إِذَا صَارَتْ خَفَاءً أَوْ أَخْفَى أَوْ سِرّاً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ المَرَاتِبِ، يَخْلُقُ فِي ذَلِكَ المَعْنَى كَلَاماً يَعْنِي فِي الرُّوحِ، لَا يَشُكُّ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،

فَنِسْبَةُ ذَلِكَ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، نِسْبَةُ الحَادِثِ إِلَى المُحْدِثِ، وَنِسْبَةُ المَخْلُوقِ إِلَى الخَالِقِ، لَا نِسْبَةَ الكَلَامِ إِلَى المُتَكَلِّمِ، وَيُنْسَبُ الكَلَامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا المَحَلِّ، لِكَوْنِ ذَلِكَ المَحَلِّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ غَلَطٌ وَلَا تَخْمِينٌ، وَلَا فَسَادٌ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ وُجُوهِ الخَطَأِ، لِأَنَّ الرُّوحَ فِي هَذَا المَحَلِّ يُسَمَّى البَيْتَ المُحَرَّمَ، لِكَوْنِهِ حُرِّمَ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ دُخُولُهُ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الكَلَامَ عِنْدَ وُرُودِهِ عَلَى العَبْدِ، مُخْتَطَفٌ عَنْ دَائِرَةِ حِسِّهِ وَشُهُودِهِ، وَعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَلَا يَعْقِلُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا يُحِسُّ إِلَّا بِوُجُودِ الحَقِّ مَمْحُوّاً وَمَمْحُوقاً عَنْ غَيْرِهِ.

يَتَدَلَّى لَهُ فِي هَذَا التَّجَلِّي مِنْ نُورِ القُدُسِ، وَالسِّرِّ السَّرْمَدِيِّ مِنَ الكَلَامِ، مَا يَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْنَى القَائِمِ بِالذَّاتِ، وَيُدْرِكُ لَهُ مِنَ اللَّذَّاتِ، مَا يُدْرِكُهُ عِنْدَ سَمَاعِ

---

[1]- ع ك: أَوْ لِلشَّهِيدِ

[2]- ح ك: السباحة

[3]- سورة الشورى، الآية 51.

[4]- ع ك ل هـ ق ص ي: محمد

المَعْنَى القَائِمِ بِالذَّاتِ العَلِيَّةِ، فَيُطْلِقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ، مِثَالُهُ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ النَّائِمِ، بِأَنْ يُخْبِرَ النَّائِمَ بِالغُيُوبِ وَيُوحِيهَا إِلَيْهِ لَا بِعَيْنِ التَّصْرِيحِ، وَلَكِنْ بِوَاسِطَةِ مِثَالٍ يُلْقِيهِ إِلَيْهِ فِي النَّوْمِ فَيَقُولُ لَهُ المُعَبِّرُ لَهُ فِي الرُّؤْيَا العَالِمُ بِهَا: إِنَّ رُؤْيَاكَ تَدُلُّ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِنَ الغَيْبِ أَوْ الخَبَرِ.

فَالعِلْمُ بِذَلِكَ الغَيْبِ فِي النَّوْمِ، لَمْ يَكُنْ لِلنَّائِمِ بِالتَّصْرِيحِ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِوَاسِطَةِ مِثَالٍ أَلْقَاهُ الحَقُّ إِلَيْهِ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مِنَ العِلْمِ بِالغَيْبِ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ المِثَالِ مَا أَلْقَى، فَهَكَذَا تِلْكَ المُكَالَمَةُ، إِنَّمَا هِيَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ المُكَلَّمِ وَبَيْنَ المَعْنَى القَائِمِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا المُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ العُلَمَاءِ بِالإِلْهَامِ. فَقَدْ اتَّضَحَ الجَوَابُ، أَتَمَّ الإِيضَاحِ، وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ وَلَيْسَ فِي طَاقَةِ البَشَرِ، أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ، إِذْ لَوْ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ لَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ، فَجَعَلَ الحَقُّ لَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْنَى القَائِمِ بِالذَّاتِ العَلِيَّةِ، يُدْرِكُ مِنْهُ مَعَانِي الكَلَامِ الأَزَلِيِّ، وَمِنْ هَذَا البَابِ أُطْلِقَ عَلَيْهِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنْ كَوْنِ الرُّوحِ عَالِمَةً، لِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي العَاقِبَةِ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ، حِينَ كَانَتْ فِي البَرْزَخِ قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجِسْمِ، فَالجَوَابُ: أَنَّهَا غَيْرُ عَالِمَةٍ لِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا، لِأَنَّهَا حِينَ خَلَقَهَا فِي البَرْزَخِ، لَا تَدْرِي لِمَاذَا خُلِقَتْ وَلَا مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِلَى أَنْ ظَهَرَ[1] أَخْذُ المِيثَاقِ وَحَمْلُ الأَمَانَةِ، فَعَرَفَتْ حِينَئِذٍ مَاذَا أَرَادَ بِهَا تَكْلِيفاً، وَلَمْ تَدْرِ عَاقِبَتَهَا مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنْ كَوْنِ العَارِفِ بَعْدَ بُلُوغِهِ المَعْرِفَةَ، هَلْ يَرْجِعُ إِلَى مَقَامِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجِسْمِ، أَوْ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ أَوْ أَدْنَى؟ الخ. فَالجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَقَامِهِ الأَوَّلِ أَوْ أَدْنَى أَوْ أَعْلَى، وَإِنَّمَا المَرَاتِبُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي المَعْرِفَةِ، يُولِيهَا عِبَادَهُ بِحُكْمِ مَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ، فَالأَذْوَاقُ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ وَالمَرَاتِبُ

---

[1]- ع: أظهر

مُتَبَايِنَةٌ وَكَذَلِكَ الإِدْرَاكَاتُ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا يَنْزِلُهُ بِحُكْمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِهِ، لَا نِسْبَةَ لِلْعَبْدِ فِي ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنِ السَّلْبِ لِلْعَارِفِينَ هَلْ يَقَعُ لَهُمْ السَّلْبُ مِنْ مَقَامِهِمْ أَمْ[1] لَا؟ الجَوَابُ: لَا أَمْنَ لِأَحَدٍ مِنَ السَّلْبِ لِجَمِيعِ العَارِفِينَ، إِلَّا قُطْبُ الأَقْطَابِ وَحْدَهُ، أَوْ لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ فَقَطْ، أَوْ لِمَنْ ضَمِنَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ، وَالسَّلَامُ. وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ وَمِمَّ وُجِدَ الخ.. وَمَا يُرَادُ بِهِ الخ.. **الجَوَابُ عَنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ**، فَهُوَ مَجْمُوعُ الرُّوحِ وَالجَسَدِ لَا اسْتِبْدَادَ لِحَقِيقَةِ أَحَدِهِمَا[2] دُونَ الآخَرِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا ذَكَرَ مِنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ إِلَّا الجَسَدَ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[3] مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾[4] الآيَةُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا ذَكَرَ خَلْقَ الإِنْسَانِ، مَا ذَكَرَ إِلَّا صُورَةَ جَسَدِهِ، وَأَمَّا رُوحُهُ فَقَدْ كَتَمَ اللَّهُ أَمْرَهَا وَاسْتَبَدَّ بِعِلْمِهَا عَنْ خَلْقِهِ، حَيْثُ قَالَ حِينَ وَقَعَ السُّؤَالُ عَنْهَا: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[5] وَلَمْ يَزِدْ فِي بَيَانِهَا لِاسْتِبْدَادِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِلْمِهَا، فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الإِنْسَانِ الظَّاهِرَةُ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ البَاطِنَةُ فَهِيَ مَرْمُوزَةٌ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)) وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا بِإِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ بِقَوْلِهِ: الإِنْسَانُ حَضْرَةُ كَمَالٍ قُوبِلَ بِهَا

---

[1]- ك ي: أو

[2]- ك: لا استبداد لأحدهما

[3]- سورة المؤمنون، الآية 12.

[4]- سورة العلق، الآية 1.

[5]- سورة الإسراء، الآية 85.

حَضْرَةُ الجَمَالِ، حَوَتْ سِرَّ الإِلَهِ بِأَسْرِهِ، وَقَدْ قَالَ فِي[1] الفُتُوحَاتِ: مَا صِفَةُ آدَمَ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ قُلْتَ صُورَةَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ[2]، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ مَجْمُوعَ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ عَمَّا يُرَادُ مِنَ الإِنْسَانِ: المُرَادُ مِنْهُ مَظْهَرُ صِفَاتِ الحَقِّ، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِيمَا سَبَقَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ بَعْضُ أَهْلِ الكَشْفِ، أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرُّوحَ طُولَهُ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ، وَتَرَكَهُ فِي تَرْبِيَتِهِ يُلَاطِفُهُ بِعَوَاطِفِ بِرِّهِ وَامْتِنَانِهِ، وَإِظْهَارِ آثَارِ مَحَبَّتِهِ لَهُ، فَقَامَ فِي هَذِهِ التَّرْبِيَةِ. فَلَمَّا ذَاقَ أَلَمَ الفِرَاقِ، اشْتَكَى وَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لَا أُطِيقُ هَذَا الفِرَاقَ. فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: مَا خَلَقْنَاكَ لِتَكُونَ مُرِيداً لِنَفْسِكَ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكَ لِنُظْهِرَ فِيكَ[3] سِرَّ وَحْدَانِيَتِنَا، هَذَا الَّذِي يُرَادُ مِنَ الإِنْسَانِ وَلِهَذَا خُلِقَ بَاطِناً، وَالَّذِي خُلِقَ لَهُ ظَاهِراً قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: **(وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ)**[4] فَهَذَا خِطَابٌ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ، وَالخِطَابُ فِي عَالَمِ المَشِيئَةِ بَاطِناً هُوَ مَا سَبَقَ فِي العِبَارَةِ،

وَالمُرَادُ مِنَ الإِنْسَانِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، هُوَ مَا أَجَابَ بِهِ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ سُئِلَ مَا مُرَادُ اللَّهِ مِنَ العَالَمِ؟ قَالَ: مَا هُمْ فِيهِ، أَرَادَ أَنَّهُ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ، وَلَيْسَ المُرَادُ بِالجَوَابِ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا صُورَةُ التَّقَلُّبَاتِ وَالحَرَكَاتِ، بَلْ المُرَادُ مِنْ كَلَامِ الجُنَيْدِ، أَنَّ جَمِيعَ تَحَرُّكَاتِ العَالَمِ وَتَقَلُّبَاتِهِ وَقُصُودِهِ وَخَوَاطِرِهِ، كُلُّهَا مَظَاهِرُ الأُلُوهِيَةِ، لِأَنَّهَا آثَارُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَمِنْ هَذَا المَعْنَى يَقُولُ مَنْ قَالَ مِنَ العَارِفِينَ: مَا فِي الكَوْنِ كُلِّهُ إِلَّا الكَمَالُ، مَا فِيهِ صُورَةُ نَقْصٍ أَصْلاً، لِأَنَّ تِلْكَ كَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ، إِنَّمَا النَّقْصُ فِيهَا أَمْرٌ نِسْبِيٌّ، وَفِي الحَقِيقَةِ مَا ثَمَّ إِلَّا الكَمَالُ، لِأَنَّهَا كَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ. **ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ

---

[1] - ح: وقد قال صاحب

[2] - ح: (الإِلَهِيَةِ) ساقطة

[3] - ع: وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكَ لِتُظْهِرَ

[4] - سورة الذاريات، الآية 56.

المَعْرِفَةَ عَثَرَ عَلَى هَذِهِ الحَقِيقَةِ لَا مَحَالَةَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا وَأُسْتَاذُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، **وَسَمَّيْتُ هَذَا التَّقْيِيدَ،** بِإِشَارَةٍ مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بِالدُّرِّ النَّفِيسِ فِي الفَرْقِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ تَلْبِيسٍ،** وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَسَائِلَ مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) وَمِنْهَا قَوْلُ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي: لَوْ حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، مَا عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِينَ، وَمِنْهَا خُضْنَا بَحْراً وَقَفَتِ الأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ. الجَوَابُ: وَاللَّهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لِلصَّوَابِ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الحَدِيثِ وَهُوَ عُلَمَاءُ أُمَّتِي الخ.. فَلَيْسَ بِحَدِيثٍ نَصَّ عَلَيْهِ الأَسْيُوطِيُّ فِي الدُّرَرِ المُنْتَثَرَةِ فِي الأَحَادِيثِ المُشْتَهَرَةِ،

وَسَأَلَ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ شَيْخَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: لَيْسَ بِحَدِيثٍ، وَذَكَرَهُ مِنْ جِهَةِ الكَشْفِ، لِأَنَّهُ لَا دِرَايَةَ لَهُ بِعِلْمِ الحَدِيثِ، وَقَوْلُهُ حُجَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ قُطْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ صَاحِبُ الإِبْرِيزِ المَذْكُورُ. وَأَمَّا المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ، فَلَيْسَ فِيهَا نَصُّ قَوْلِ المُرْسِي فِيهَا كَمَا ذَكَرَهُ السَّائِلُ، وَتَحْقِيقُ قَوْلِ المُرْسِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، مَا حُجِبْتُ فِيهَا عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً، وَلَوْ حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، مَا عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِينَ.

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الخُصُوصِيَةَ لَيْسَتْ لِلْمُرْسِي وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ لِقُطْبِ الأَقْطَابِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، مُنْذُ جُلُوسِهِ عَلَى كُرْسِيِّ القُطْبَانِيَةِ، لَا تَقَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِجَابِيَةٌ أَصْلاً، وَحَيْثُ مَا جَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ وَمِنْ حَضْرَةِ الشَّهَادَةِ، إِلَّا وَعَيْنُ قُطْبِ الأَقْطَابِ مُتَمَكِّنَةٌ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، لَا يَحْتَجِبُ عَنْهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ،

وَأَمَّا المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ وَهِيَ خُضْنَا بَحْراً وَقَفَتِ الأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ، فَهِيَ مِنْ كَلَامِ أَبِي يَزِيدٍ البِسْطَامِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ المُرْسِي كَمَا ذَكَرْتَ، وَالجَوَابُ عَنْهَا: اعْلَمْ أَنَّ الأَصْلَ الأَصِيلَ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ اعْتِقَادِهِ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُ خَرَجَ عَنْ قَاعِدَةِ الإِيمَانِ، هُوَ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى بِعُلُوِّ كِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَعُمُومِ صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ وَأَسْمَائِهِ وَخُصُوصِهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ التَّجَلِّيَ لَيْسَ هُوَ فِي كُلِّ شَخْصٍ كَمَا عِنْدَ الآخَرِ، وَلَا عَلَى قَانُونٍ وَاحِدٍ وَلَا عَلَى كَيْفِيَةٍ مُطَّرَدَةٍ، بَلِ البَصَائِرُ فِيهِ مُتَفَاوِتَةٌ، وَأَسْرَارُ الخَلْقِ فِي ذَلِكَ مُتَبَايِنَةٌ مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ، فَهُوَ يَتَجَلَّى لِكُلِّ شَخْصٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ مَا تَسَعُهُ حَوْصَلَتُهُ مِنْ تَجَلِّي الجَمَالِ القُدْسِيِّ، الَّذِي لَا تُدْرَكُ لَهُ غَايَةٌ، وَلَا يُوقَفُ لَهُ عَلَى حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ تَجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالحَقَائِقِ، لَا مَطْمَعَ فِي دَرْكِهِ لِأَحَدٍ مِنْ أَكَابِرِ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَضْلاً عَمَّنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّ الَّذِي فِي مَرْتَبَةِ أُولِي[1] العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِهِ مِنْ عُمُومِ المُرْسَلِينَ[2]، وَالَّذِي[3] فِي مَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ، لَا مَطْمَعَ لَهُ فِي دَرْكِهِ لِأَحَدٍ مِنْ عُمُومِ النَّبِيِّينَ، وَالَّذِي[4] فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوءَةِ لَا مَطْمَعَ فِي دَرْكِهِ لِأَحَدٍ مِنْ عُمُومِ الأَقْطَابِ[5]، وَإِنَّ الَّذِي فِي مَرْتَبَةِ القُطْبَانِيَةِ لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِهِ مِنْ عُمُومِ الصِّدِّيقِينَ.

---

[1]- ح: أُولوا

[2]- ح: النَّبِيئِين ـ ل: الأقطاب

[3]- ع ك ي: وإن الذي

[4]- ع: وإن الذي

[5]- ل: (وَالَّذِي فِي مَرْتَبَةِ الرِّسَالَةِ، لَا مَطْمَعَ لَهُ فِي دَرْكِهِ لِأَحَدٍ مِنْ عُمُومِ النَّبِيِّينَ، وَالَّذِي فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوءَةِ لَا مَطْمَعَ فِي دَرْكِهِ لِأَحَدٍ مِنْ عُمُومِ الأَقْطَابِ) ساقطة

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، وَعَرَفْتَ هَذَا التَّفْصِيلَ، **فَاعْلَمْ** أَنَّ الشَّطَحَاتِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ أَكَابِرِ العَارِفِينَ، مَا[1] يُوهِمُ، أَوْ يَقْتَضِي أَنَّ لَهُمْ شُفُوفاً وَعُلُوّاً عَلَى مَرَاتِبِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، مِثْلَ قَوْلِ أَبِي يَزِيدٍ البِسْطَامِي: خُضْنَا بَحْراً وَقَفَتِ الأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ، وَمِثْلَ قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلِي: مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُوتِيتُمْ اللَّقَبَ وَأُوتِينَا مَا لَمْ تُؤْتَوْهُ، وَمِثْلَ قَوْلِ ابْنِ الفَارِضِ:

وَدُونَكَ بَحْراً خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلَى * بِسَاحِلِهِ صَوْناً لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي

وَكَقَوْلِهِ:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً * فَلِي فِيهِ[2] مَعْنًى شَاهِدٌ بِالأُبُوَّةِ

إِلَى أَنْ قَالَ فِيهِ[3]:

وَفِي المَهْدِ حِزْبِي الأَنْبِيَاءُ وَفِي عَنَا * صِرِ لَوْحِي المَحْفُوظُ وَالفَتْحُ سُورَتِي

وَكَقَوْلِهِ أَيْضاً:

فَحَيَّ عَلَى جَمْعِي[4] القَدِيمِ الَّذِي بِهِ * وَجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أَطْفَالَ صَبْوَتِي

وَمِنْ فَضْلِ مَا أَسْأَرْتُ شُرْبُ مُعَاصِرِي * وَمَنْ كَانَ قَبْلِي فَالفَضَائِلُ فُضْلَتِي

وَكَقَوْلِهِ فِي الكَافِيَةِ:

كُلُّ مَنْ حِمَاكَ يَهْوَاكَ لَكِنْ * أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَ

---

[1]- ك ل هـ: مما

[2]- ع ك ي: منه

[3]- ي: (فيه) ساقطة

[4]- ا ق هـ ص ع: جمع - ي: جميعي

وَكَقَوْلِ بَعْضِ العَارِفِينَ: نِهَايَةُ أَقْدَامِ النَّبِيئِينَ بِدَايَةُ أَقْدَامِ الأَوْلِيَاءِ. **وَالجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الشَّطَحَاتِ** أَنَّ لِلْعَارِفِ وَقْتاً يَطْرَأُ عَلَيْهِ الفَنَاءُ وَالاسْتِغْرَاقُ، حَتَّى يَخْرُجَ بِذَلِكَ عَنْ دَائِرَةِ حِسِّهِ وَشُهُودِهِ، وَيَخْرُجَ عَنْ جَمِيعِ مَدَارِكِهِ وَوُجُودِهِ، لَكِنْ تَارَةً يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَتَدَلَّى لَهُ[1] مِنْ قُدُّوسِ اللَّاهُوتِ مِنْ بَعْضِ أَسْرَارِهِ فَيْضاً، يَقْتَضِي مِنْهُ أَنَّهُ يَشْهَدُ ذَاتَهُ عَيْنَ ذَاتِ الحَقِّ لِمَحْقِهِ فِيهَا وَاسْتِهْلَاكِهِ فِيهَا، وَيُصَرِّحُ فِي هَذَا المَيْدَانِ بِقَوْلِهِ: ((سُبْحَانِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي)) الخ.. مِنَ التَّسْبِيحَاتِ كَقَوْلِهِ: ((جَلَّتْ عَظَمَتِي وَتَقَدَّسَ كِبْرِيَائِي)) وَهُوَ فِي ذَلِكَ مَعْذُورٌ، لِأَنَّ العَقْلَ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الشَّوَاهِدَ وَالعَوَائِدَ، وَيُعْطِيهِ تَفْصِيلَ المَرَاتِبِ، بِمَعْرِفَةِ كُلٍّ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ، غَابَ عَنْهُ وَانْمَحَقَ، وَتَلَاشَى وَاضْمَحَلَّ. وَعِنْدَ فَقْدِ هَذَا العَقْلِ وَذَهَابِهِ، وَفَيْضِ ذَلِكَ السِّرِّ القُدْسِيِّ عَلَيْهِ، تَكَلَّمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ.

فَالكَلَامُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ خَلَقَهُ اللَّهُ[2] فِيهِ نِيَابَةً عَنْهُ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الحَقِّ لَا بِلِسَانِهِ وَمُعْرِباً عَنْ ذَاتِ الحَقِّ لَا عَنْ ذَاتِهِ، وَمِنْ هَذَا المَيْدَانِ[3] قَوْلُ أَبِي يَزِيدٍ البِسْطَامِي ((سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي)) وَقَوْلُ الحَلَّاجِ: ((أَنَا الحَقُّ، وَمَا فِي الجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ)) وَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: فَالأَرْضُ أَرْضِي وَالسَّمَاءُ سَمَائِي، وَكَقَوْلِ التُّسْتَرِيِّ[4]:

أُنْظُرْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ لِمَنْ رَآنِي * أَنَا المُحِبُّ وَالحَبِيبُ مَا ثَمَّ ثَانِي

وَكَقَوْلِهِ أَيْضاً: أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا. البَيْتُ. وَأَقْوَالُ ابْنِ الفَارِضِ مِثْلُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ. وَهَذَا مِمَّا يُعْطِيهِ الفَنَاءَ وَالاسْتِغْرَاقَ فِي ذَاتِ الحَقِّ وَهَذَا أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ القَالِ يُدْرَكُ

---

[1]- ك : (له) ساقطة

[2]- ع ك ي: خلقه الحق

[3]- ك: القبيل

[4]- ح ع ك ل هـ ق ص: الششتري

بِالذَّوْقِ وَصَفَاءِ الأَحْوَالِ، فَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَنْ ذَاقَهُ، وَتَارَةً يَكُونُ الاسْتِغْرَاقُ لِلْعَارِفِ وَالفَنَاءُ فِي ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِغَيْبَتِهِ عَنْ ذَاتِهِ فِي ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَدَلَّى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ أَسْرَارِهِ،

فَإِذَا كُسِيَتْ ذَاتُهُ ذَلِكَ السِّرَّ، فَلَا يَشْهَدُ ذَاتَهُ، إِلَّا ذَاتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُعْلِمُهُ اللَّهُ بِبَعْضِ مَا اخْتَصَّ اللَّهُ[1] بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الخُصُوصِيَاتِ، الَّتِي لَا مَطْمَعَ فِيهَا لِغَيْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِيَابَةً عَنْهُ، بِبَعْضِ مَا اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الخُصُوصِيَاتِ العِظَامِ، مَا لَهُ بِهِ عُلُوٌّ وَشَرَفٌ، وَشُفُوفٌ عَلَى مَرَاتِبِ جَمِيعِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، فَهُوَ يُخْبِرُ عَمَّا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْبِراً عَنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ يَسْمَعُهُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُنْسِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِغَيْبَتِهِ فِي ذَاتِهِ، فَإِذَا انْفَصَلَ عَنْ هَذَا الفَنَاءِ وَالاسْتِغْرَاقِ، وَرَجَعَ لِحِسِّهِ وَشَاهِدِهِ، تَبَرَّأَ مِنْ ذَلِكَ، لِعِلْمِهِ بِمَرْتَبَتِهِ، وَسِوَى هَذَا المَسَاقِ فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ مِنَ الشُّيُوخِ، مِمَّا يَقْتَضِي أَنَّ لَهُمْ شُفُوفاً عَلَى مَرَاتِبِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، مِثْلِ قَوْلِ الدُّسُوقِي:

أَنَا كُنْتُ مَعْ نُوحٍ بِمَا شَهِدَ الوَرَى * بُحُوراً وَطُوفَاناً عَلَى كَفِّ قُدْرَتِي
أَنَا كُنْتُ فِي رُؤْيَا الذَّبِيحِ فِدَاءَهُ * وَمَا أُنْزِلَ بِالكَبْشِ[2] إِلَّا بِفُتُوَّتِي
أَنَا كُنْتُ مَعْ أَيُّوبَ فِي زَمَنِ البَلَا * وَمَا شُفِيَتْ بَلْوَاهُ إِلَّا بِدَعْوَتِي

وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكُلُّ ذَلِكَ لِفَنَائِهِ فِي ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَرْجِماً عَنْ مَقَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا يُغْنِي فِي الجَوَابِ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا لَا يَلْحَقُهُ العَقْلُ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ القَوْلُ، وَلَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ لِبُعْدِهِ عَنِ الأَفْهَامِ، وَالسَّلَامُ. وَهَذَا

[1] - ك ي: (الله) محذوفة

[2] - ك: الكبشين

الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ فَنَاءِ العَارِفِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَفِي ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ هَذَا لِكُلِّ العَارِفِينَ، وَلَا فِي كُلِّ وَقْتٍ[1] مِنْ أَوْقَاتِ مَنْ وَقَعَ لَهُ، بَلْ هُوَ خَاصٌّ بِبَعْضِ الأَوْقَاتِ لِبَعْضِ العَارِفِينَ فَقَطْ، وَالسَّلَامُ.

اسْتِدْرَاكٌ: البَحْرُ الَّذِي خَاضَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَقَفَتْ الأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ، هِيَ بِحَارُ الحَقَائِقِ الَّتِي تَجَلَّى اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَكَابِرِ الرُّسُلِ وَالنَّبِيئِينَ، فَمَنْ دُونَهُمْ إِلَى هَلُمَّ جَرّاً، فَإِنَّ تِلْكَ الحَقَائِقَ لَوْ تَجَلَّى اللَّهُ بِهَا لِلنَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَلَوْ بِأَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهَا، لَصَارُوا مَحْضَ العَدَمِ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ البَصَرِ، وَإِنَّمَا وَقَفُوا بِسَاحِلِ تِلْكَ التَّجَلِّيَاتِ، وَهِيَ التَّجَلِّيَاتُ الَّتِي خَصَّهُمْ[2] اللَّهُ بِهَا مِنْ طُلُوعِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ وَالعَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، فَتِلْكَ الحَقَائِقُ الَّتِي هِيَ لَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَقَائِقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُنْكَشِفَةِ لَهُ خُصُوصاً كَالسَّاحِلِ لِلْبَحْرِ، فَإِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِلِسَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِغَيْبَتِهِمْ فِيهِ وَفَنَائِهِمْ فِيهِ، وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا مِنَ العِبَارَةِ عَلَى[3] حَقِيقَةِ البَحْرِ فَلَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ، فَضْلاً عَنْ كَتْبِهِ فِي الأَوْرَاقِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ فِي مَجْلِسٍ[4] وَاحِدٍ بِتَارِيخِ تِسْعَةَ عَشَرَ[5] 19 مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةَ 1206 أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَسِتَّةٍ[6]، **وَسَمَّيْتُ هَذَا التَّقْيِيدَ** المُفِيدَ بِمُوَافَقَةِ شَيْخِنَا **غَوْصَ البَحْرِ لِجَمْعِ دُرَرِهِ**

---

[1]- ك ي: ولا في كل وقت وقت

[2]- ع ك ي: اختصهم

[3]- ك: عن

[4]- ك: بمجلس

[5]- ع ك ي: (تِسْعَةَ عَشَرَ) ساقطة

[6]- ع ك ي: (أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَسِتَّةٍ) ساقطة

وَمَسَائِلِهِ فِي مَسْأَلَةٍ خُضْنَا بَحْراً وَقَفَتِ الأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ الإِمَامِ الأَكْبَرِ وَالقُطْبِ الأَشْهَرِ أَبِي[1] حَامِدٍ الغَزَالِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ». فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَشْرَفُ وَأَعْلَى وَأَجْمَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ صُورَةِ الكَوْنِ كُلِّهِ، وَمَا صُورَةُ الكَوْنِ[2] إِلَّا سَيِّدَنَا مُحَمَّداً[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ فِي الكَوْنِ فَالصُّوَرُ وَالأَشْكَالُ مُخْتَلِفَةُ المَبَانِي وَالمَعَانِي المُتَّحِدَةُ الوَاقِعَةُ فِي جِسْمٍ وَاحِدٍ مَا ثَمَّ إِلَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلِقَ مِنَ السِّرِّ المَكْتُومِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى شَرَفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّقْلِ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ[4] آدَمَ وَلَا فَخْرَ"،

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ" هَذَا مِنَ النَّقْلِ، وَفِي بِسَاطِ الحَقَائِقِ أَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّقَتْ مَشِيئَةُ الحَقِّ بِإِيجَادِ خَلْقِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ثَوَرَانِ المَيْلِ الحُبِّي، حَيْثُ يَقُولُ: "كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقاً، فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي" وَهَذِهِ المَحَبَّةُ مِنَ الحَقِّ فِي إِيجَادِ الخَلْقِ كَانَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ عَنْ هَذِهِ المَحَبَّةِ رُوحَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هُوَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ المَحَبَّةُ الكُلِّيَّةُ مِنَ الحَقِّ وَعَنْهُ وَمِنْ[5] تِلْكَ المَحَبَّةِ تَفَرَّعَ وُجُودُ الكَوْنِ،

---

[1]- ع ك ي: أبو

[2]- ك ي: وما صورة الكون كله

[3]- ع ك ل ي: محمدٍ

[4]- ع: أنا ولد سيد

[5]- ك ي: وعن

فَهُوَ الأَصْلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالكَوْنُ كُلُّهُ فَرْعٌ عَنْهُ، فَلَا يَشُكُّ أَحَدٌ فِي شَرَفِ الأَصْلِ عَلَى فَرْعِهِ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَوَّلَ مَوْجُودٍ انْصَبَّ فِيهِ بِحُكْمِ مَحَبَّةِ الحَقِّ جَمِيعُ مَا أَرَادَ إِبْرَازَهُ لِلْوُجُودِ مِنَ الجَوَاهِرِ وَالأَعْرَاضِ وَالمِنَحِ وَالمَوَاهِبِ، وَجَمِيعُ آثَارِ الكَرَمِ وَالمَجْدِ وَجَمِيعُ آثَارِ السَّطْوَةِ وَالقَهْرِ، فَجَمَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي تِلْكَ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ جَمِيعَ مَا ذُكِرَ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، ثُمَّ جَعَلَهُ مَنْبَعاً وَعُنْصُراً مِنْ جَمِيعِ مَا يَصِلُ إِلَى الأَكْوَانِ مِنْ جَمِيعِ مَا ذُكِرَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً أَزَلاً وَأَبَداً، وَمُحَالٌ بِحُكْمِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ أَنْ يُبْرِزَ شَيْئاً فِي الوُجُودِ جَوْهَراً أَوْ عَرْضاً مِمَّا دَقَّ أَوْ جَلَّ خَارِجاً عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ،

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا اتَّضَحَ لَكَ شَرَفُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ تَجَلِّي السِّرِّ المَكْتُومِ وَمَا اخْتُصَّتْ بِهِ مِنَ المِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَالعَطَايَا وَالتُّحَفِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ الَّتِي لَا مَطْمَعَ لِغَيْرِهَا فِي نَيْلِ أَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهَا بِوَجْهٍ أَوْضَحَ مِنْ وُضُوحِ الشَّمْسِ، وَحَيْثُ عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَشْرَفُ وَأَكْمَلُ وَأَعْلَى وَأَجْمَلُ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ المَعْلُومَةِ الكَوْنِيَّةِ، وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[1].

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: مَعْرِفَةُ الوَلِيِّ أَصْعَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ: مَعْرِفَةُ الوَلِيِّ أَصْعَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، يُبَيِّنُهُ قَوْلُ المُرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَوْ كُشِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الوَلِيِّ لَعُبِدَ، وَحَقِيقَةُ الوَلِيِّ أَنَّهُ يُسْلَبُ مِنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ، وَيَتَحَلَّى[2] بِالأَخْلَاقِ الإِلَهِيَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً. وَقَوْلُ السَّائِلِ مَعْرِفَةُ الوَلِيِّ أَصْعَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ مَعْنَاهُ أَيْضاً: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعْرُوفٌ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، مُخَالِفٌ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ أَوْصَافِهِ وَهِيَ بَيِّنَةٌ، وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الوَلِيِّ بِالصِّفَاتِ الَّتِي

---

[1]- ح: هذا السؤال وهذا الجواب، أي من قوله: "وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ الإِمَامِ الأَكْبَرِ وَالقُطْبِ الأَشْهَرِ أَبِي حامد الغزالي"... إلى قوله: "من إملائه علينا". سقطا برمتهما

[2]- ع ل ي: ويتجلى

يَكُونُ بِهَا وَلِيّاً، فَإِنَّهَا بَاطِنَةٌ فِيهِ لَا تُعْرَفُ، لِأَنَّ ظَاهِرَهُ مُسْتَوٍ مَعَ ظَاهِرِ غَيْرِ الأَوْلِيَاءِ أَكْلاً وَشُرْباً وَنِكَاحاً، وَسَعْياً فِي أُمُورِ الدُّنْيَا كَحَالَةِ الغَافِلِينَ مِنْ غَيْرِ الأَوْلِيَاءِ.

فَلِذَا صَعُبَتْ عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهُ بِكَوْنِهِ وَلِيّاً، فَإِنَّ اللَّهَ تَمَيَّزَتْ صِفَاتُهُ ظَاهِراً عَنْ خَلْقِهِ، وَالوَلِيُّ لَمَّا[1] لَمْ يَتَمَيَّزْ عَنْ غَيْرِ الأَوْلِيَاءِ مِنْ جِنْسِهِ، شَارَكَهُمْ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ أَوْصَافِ وِلَايَتِهِ لِلظَّاهِرِ شَيْءٌ. فَلِذَا صَعُبَتْ مَعْرِفَتُهُ الَّتِي تُمَيِّزُهُ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: لَوْ كُشِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الوَلِيِّ لَعُبِدَ، لِأَنَّ أَوْصَافَهُ مِنْ أَوْصَافِ إِلَهِهِ وَنُعُوتَهُ مِنْ نُعُوتِهِ، لِأَنَّهُ يَنْسَلِخُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْصَافِ البَشَرِيَّةِ، كَمَا تَنْسَلِخُ الشَّاةُ مِنْ جِلْدِهَا، وَيَلْبَسُ خِلْعَةَ الأَخْلَاقِ الإِلَهِيَةِ، فَلَوْ كُشِفَتْ لِلْعَبْدِ لَعُبِدَ الوَلِيُّ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]: وَأَمْرِي بِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ قُلْتُ كُنْ يَكُنْ، وَكَذَا قَوْلِ الشَّيْخِ زَرُّوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَيِّ قَبْضَتِي، وَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: يَا رِيحُ اسْكُنِي عَلَيْهِمْ بِإِذْنِي، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَقَاوِيلِ السَّادَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مِثْلِ هَذَا. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَلَّكَهُمْ الخِلَافَةَ العُظْمَى، وَاسْتَخْلَفَهُمْ الحَقُّ عَلَى مَمْلَكَتِهِ تَفْوِيضاً عَامّاً، أَنْ يَفْعَلُوا فِي المَمْلَكَةِ كُلَّ مَا يُرِيدُونَ، وَيُمَلِّكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةَ التَّكْوِينِ مَتَى قَالُوا لِلشَّيْءِ كُنْ كَانَ مِنْ حِينِهِ. وَهَذَا مِنْ حَيْثُ بُرُوزُهُ بِالصُّورَةِ الإِلَهِيَةِ، المُعَبَّرِ عَنْهَا بِالخِلَافَةِ العُظْمَى، فَلَا يُسْتَعْصَى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ[3] الوُجُودِ.

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أَنَا مُبْرِقُ البُرُوقِ، وَمُرْعِدُ الرُّعُودِ، وَمُحَرِّكُ الأَفْلَاكِ وَمُدِيرُهَا)). يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ. وَأَمَّا قَوْلُ

---

[1]- ك ي: (لما) ساقطة

[2]- ع ك: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[3]- ك: في

السَّائِلِ: مَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ: سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوصِلْ إِلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ. مَعْنَاهُ: هُوَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ: مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُمْ: ((هُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ))

لَكِنَّ هَذَا الحَدِيثَ لَا يَصْدُقُ إِلَّا فِي طَائِفَةٍ خَاصَّةٍ، وَهُمْ مَفَاتِيحُ الكُنُوزِ لَا مَنْ عَدَاهُمْ[1] حَتَّى القُطْبُ، وَمَعْنَى الحِكْمَةِ هُوَ[2] أَنَّهُ إِذَا أَوْصَلَ اللَّهُ عَبْداً إِلَى وَلِيٍّ، وَأَقَرَّ سُبْحَانَهُ فِي قَلْبِ ذَلِكَ العَبْدِ أَنَّ هَذَا مِنَ الأَوْلِيَاءِ قَطْعاً، لَا يَتَرَدَّدُ وَلَا يَشُكُّ، ثُمَّ خَدَمَهُ بِالصِّدْقِ وَالأَدَبِ، وَأَشْرَقَتْ مَحَبَّةُ ذَلِكَ الوَلِيِّ فِي قَلْبِهِ، وَلَكِنَّ المَحَبَّةَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ حَضْرَةِ اللَّهِ، وَمِمَّنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، فَيُحِبُّهُ لِأَجْلِ هَذَا الغَرَضِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ المَحَبَّةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَأَمَّا إِذَا وَصَلَ إِلَى الوَلِيِّ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَغْرَاضِهِ وَشَهَوَاتِهِ، وَلَمْ يَنَلْ مِنَ الوَلِيِّ إِلَّا مَا طَابَقَ أَغْرَاضَهُ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا مِنْ أَهْلِ الوُصُولِ إِلَى الوَلِيِّ.

غَايَةُ الوَلِيِّ فِي هَذَا، أَنَّهُ يُدِيمُ مُعَاشَرَتَهُ مِنْ بَابِ الإِحْسَانِ لِلْخَلْقِ، الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَمُعَاشَرَتِهِمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُ عَنْهُ أَسْرَارَهُ، فَهَذَا لَوْ بَقِيَ مَعَ الوَلِيِّ أَلْفَ عَامٍ، لَمْ يَنَلْ مِنْهُ[3] شَيْئاً، لِأَنَّ لِسَانَ حَالِ الوَلِيِّ يَقُولُ لَهُ: مَا وَصَلْتَنَا لِلَّهِ وَلَا وَصَلْتَنَا لِأَجْلِنَا، وَإِنَّمَا وَصَلْتَنَا لِغَرَضِكَ الَّذِي كُنْتَ تَنَالُهُ، لَا نِسْبَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَادَاتِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ قَدْ اسْتُشْكِلَ عَلَيْنَا أُمُورٌ، فَنُرِيدُ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ مِنْ كَمَالِ فَضْلِكُمْ، أَنْ تُبَيِّنُوا لَنَا مَا ظَهَرَ لَكُمْ بِفَضْلِكُمْ مِنْهَا. مَا هَذِهِ الأَنْوَارُ

---

[1]- ع: عاداهم

[2]- ع ك: (هُوَ) ساقطة

[3]- ك: من الله

المُشْرِقَةُ عَلَى أَهْلِ البِدَايَاتِ فِي الطَّرِيقِ؟ هَلْ هِيَ أَنْوَارٌ أَزَلِيَّةٌ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ يُكْشَفُ لَهُ عَنْهَا بِسَبَبِ التَّوْبَةِ، أَمْ لَا تُشْرِقُ إِلَّا عِنْدَ تَمَكُّنِ القَلْبِ مِنَ الإِيمَانِ، وَمَا لَا يُعَطِّلُ نُورَ البَصِيرَةِ[1] عَنْ شُهُودِ المِنَّةِ؟ وَمَا يَكُونُ المَشْرُوبُ عَنْ طَعْمِ بَرْدِ الرِّضَا بِمَا يَفْعَلُ المَحْبُوبُ؟ وَبِمَا يَجُولُ المُرِيدُ فِي المُلْكِ عَنِ الأَكْوَانِ الظُّلْمَانِيَةِ؟

وَبِمَا يَجُولُ فِي المَلَكُوتِ هَلْ بِالعُلُومِ أَوْ بِالفُهُومِ؟ وَهَلْ لِلْعَقْلِ مَجَالٌ فِي ذَلِكَ؟ وَهَلْ لِلْعُلُومِ إِدْرَاكُ التَّحْقِيقِ الَّذِي سُلِكَ عِنْدَ القَوْمِ؟ وَهَلْ لِلْفُهُومِ إِدْرَاكُ لِلْعَالَمِ الأَسْنَى؟ وَمَا قَمَرُ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مُمْتَدٌّ مِنْ شَمْسِ المَعَارِفِ؟ وَمَا رِيَاحُ الصَّبَا الَّتِي تَشْغَفُ الأَرْوَاحَ؟ وَهَلْ هِيَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ أَوْ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَهَلْ الشَّيْخُ دَالٌّ عَلَى اللَّهِ بِمَقَالِهِ أَمْ دَالٌّ عَلَى اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ؟ أَمْ لَهُ قُوَّةٌ وَأَسْرَارٌ يَجْلِبُ بِهَا الأَرْوَاحَ إِلَى الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ؟ وَمَا يُعْتَقَدُ فِي الشَّيْخِ هَلْ هُوَ مَظْهَرٌ لِلْحَقَائِقِ الَّتِي لَا تُدْرِكُهَا العُقُولُ وَلَا الفُهُومُ، أَمْ هُوَ حَاكِمٌ لِلنُّفُوسِ بِتَقْوَى الأَرْوَاحِ فَقَطْ؟

أَمْ هُوَ قُوتُ الأَرْوَاحِ لِتَقْبَلَ مِنَ الوَارِدَاتِ مَا تُطِيقُ، أَمْ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْلُغُ مِنْ أَسْرَارِهِ البَاطِنَةِ، الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا مَنْ اشْتَغَلَ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قُلْنَا دَالّاً بِظَاهِرِهِ فَقَطْ، وَغَالِباً[2] عَلَيْهِ الحِسُّ، فَلَيْسَ لِلْمَغْلُوبِ أَنْ يَرْقَى فِي مَوَاضِعِ[3] الأَرْوَاحِ. وَهَلْ لِلشَّيْخِ تَصْرِيفٌ فِي رُوحِ الرُّوحِ أَمْ هُوَ بَرْزَخُ الأَرْوَاحِ فَقَطْ؟ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ المُرِيدُ وَيَرْجِعَ عَنْهُ، أَمْ لَا يَنْفَصِمُ عَنْهُ أَبَداً؟ وَأَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِ الشَّيْخِ، مَا السَّبَبُ فِي كَوْنِهِ تَارَةً يَجْمَعُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَارَةً[4] عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَارَةً عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ،

---

[1]- ع: البصرية

[2]- ح ع ك ل هـ ق ص ي: وغالب

[3]- ع ك: موضع

[4]- ك: وتارة يجمع

أَكُلُّ[1] ذَلِكَ مُدْرَجٌ فِي صِفَاتِهِ[2] أَمْ لَا؟ بَيِّنْ لَنَا سَيِّدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ بِعَيْنِهَا، بِمَا يُشْفِي الغَلِيلَ وَيُبْرِئُ العَلِيلَ، فَلَمْ نَجِدْ أَحَداً مَنْ[3] يُشْفِي غَلِيلِي حَتَّى انْتَهَيْتُ[4] لِعِلْمِكَ الَّذِي يُبْرِئُ عَلِيلِي، فَاللَّهَ اللَّهَ سَيِّدِي فِي كَشْفِ مَا غَمَى عَلَيَّ، وَحُلَّ رُمُوزَ مَا أَشْكَلَ لَدَيَّ بِوَهْبٍ رَبَّانِيٍّ وَعِلْمٍ عِرْفَانِيٍّ وَسِرٍّ إِلَهِي، كُلُّ مَسْأَلَةٍ بِمَا لَهَا مِنَ الكَلَامِ مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ، وَإِنْ أَطْنَبْتَ فَهُوَ المَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ العُلُومِ العِرْفَانِيَةِ، وَاللَّهُ يُدِيمُكَ نَفْعاً لِلْعِبَادِ فِي جَمِيعِ البِلَادِ. اهـ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجَوَابُ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ: **اعْلَمْ** أَنَّ هَذِهِ الأَنْوَارَ لَيْسَت أَزَلِيَّةً، بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ تَأْنِيساً مِنَ اللَّهِ لِأَهْلِ الطَّرِيقِ، وَلَيْسَتْ لَازِمَةً لِكُلِّ سَالِكٍ وَلَا فِي كُلِّ مَقَامٍ وَلَا فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا فِي كُلِّ تَوَجُّهٍ، فَقَدْ تَقَعُ وَقَدْ لَا تَقَعُ،

وَقَوْلُهُ وَمَا يُعَطِّلُ نُورَ البَصِيرَةِ عَنْ شُهُودِ المِنَّةِ، الجَوَابُ عَنْ هَذَا: أَنَّ مِنَّةَ الحَقِّ وَهُوَ نُورُ العَطَاءِ البَارِزِ مِنْ حَضْرَتِهِ، المُثِيرُ لِلْمِنَحِ الوَارِدَةِ مِنْ خَزَائِنِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هُوَ مِمَّا اسْتَبَدَّ بِهِ الحَقُّ، لَا تَتَّصِلُ بِهِ أَنْوَارُ البَصَائِرِ حَتَّى تَرَاهُ عِيَاناً، وَإِنَّمَا تَرَى البَصَائِرُ مَا بَرَزَ عَنْهُ مِنَ المِنَحِ فَقَطْ، وَأَمَّا ذَلِكَ النُّورُ الوَارِدُ مِنَ الحَضْرَةِ المُثِيرُ لِلْمِنَحِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ مَادَّةِ المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، وَهُوَ مِنَ الكُنُوزِ الَّتِي اسْتَبَدَّ الحَقُّ بِعِلْمِهَا، فَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَقَدْ يَكْشِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَعْضِ الخَاصَّةِ الكِبَارِ حَتَّى يَرَوْهَا عِيَاناً.

وَقَوْلُهُ: وَمَا يَكُونُ المَشْرُوبُ عَنْ طَعْمِ بَرْدِ الرِّضَا بِمَا يَفْعَلُ المَحْبُوبُ؟ الجَوَابُ: أَنَّ المَشْرُوبَ هُوَ تَلَذُّذُ صَاحِبِهِ بِالمَعَاطِبِ وَالمَهَالِكِ وَفَدَائِحِ[5] المَصَائِبِ، تَلَذُّذاً يُمَاثِلُ تَلَذُّذَ

---

[1]- ح ل ي: كل

[2]- ك: في حقيقته

[3]- ك: ممن ـ ل ي: (من) ساقطة

[4]- ع ك: أنهيت

[5]- ع ك ي: وفواجئ

البَالِغِ الغَايَةَ فِي الجُوعِ، بِأَلَذِّ المَطَاعِمِ وَأَكْبَرِهَا شَهْوَةً وَلَذَّةً، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ تَعَمُّلِ العَبْدِ، وَلَا حِيلَةَ لَهُ فِي الوُصُولِ إِلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ مَحْضُ مَوْهِبَةٍ مِنْ مَوَاهِبِ الحَقِّ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَقَدْ يَنْتَهِي بِهِ التَّلَذُّذُ بِذَلِكَ، حَتَّى يُنْسِيَهُ الإِحْسَاسَ بِآلَامِ تِلْكَ المَصَائِبِ وَالمَهَالِكِ.

وَقَوْلُهُ: بِمَا يَجُولُ المُرِيدُ فِي المُلْكِ عَنِ الأَكْوَانِ الظُّلْمَانِيَةِ؟ وَبِمَا يَجُولُ فِي المَلَكُوتِ هَلْ بِالعُلُومِ أَوْ بِالفُهُومِ؟ وَهَلْ لِلْعَقْلِ مَجَالٌ فِي ذَلِكَ؟ وَهَلْ لِلْعُلُومِ إِدْرَاكُ التَّحْقِيقِ الَّذِي سُلِكَ عِنْدَ القَوْمِ؟ وَهَلْ لِلْفُهُومِ إِدْرَاكٌ لِلْعَالَمِ الأَسْنَى؟ الجَوَابُ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنَّ جَوَلَانَ المُرِيدِ[1] فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ إِمَّا بِالخَيَالِ أَوْ بِالأَرْوَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ لَا بِالعُلُومِ وَلَا بِالفُهُومِ، بَلْ بِأَنْوَارٍ قُدْسِيَّةٍ مَقْذُوفَةٍ مِنْ[2] حَضْرَةِ الحَقِّ، تَرِدُ عَلَى مَنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَتُكْسِبُهُ بِذَلِكَ صَفَاءً وَتَمْكِيناً، وَقُرْباً مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، يَقْدِرُ بِسَبَبِ تِلْكَ عَلَى الجَوَلَانِ فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَالجَبَرُوتِ، وَحَيْثُ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: وَمَا قَمَرُ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مُسْتَمِدٌّ مِنْ شَمْسِ المَعَارِفِ؟ الجَوَابُ: قَمَرُ التَّوْحِيدِ هُوَ شُهُودُ الوَحْدَانِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى شُهُوداً ذَوْقِيّاً، وَكَشْفاً عَيْنِيّاً يَقِينِياً فِي جَمِيعِ مُفْتَرِقَاتِ الوُجُودِ، حَتَّى يَرَى جَمِيعَ مُفْتَرِقَاتِهَا فِي اتِّحَادِهَا، كَالجَوْهَرِ الفَرْدِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ القِسْمَةَ. وَهَذَا الشُّهُودُ لَوْ رَامَ غَيْرَهُ، لَمْ يَقْدِرْ مِنْ مُطَالَعَةِ الكَثْرَةِ وَغَيْرِهَا، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ العَارِفِينَ بِالتَّقْرِيرِ المُطْلَقِ، وَلَا يُنَالُ إِلَّا بَعْدَ صَفَاءِ المَعْرِفَةِ وَكَمَالِهَا.

وَقَوْلُهُ: وَمَا رِيَاحُ الصَّبَا الَّتِي تُشْغِفُ الأَرْوَاحَ؟ وَهَلْ هِيَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ أَوْ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ الجَوَابُ أَنَّ رِيَاحَ الصَّبَا هِيَ أَنْوَارُ المِنَنِ الوَارِدَةِ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ، المُشْتَمِلَةِ عَلَى الأَنْوَارِ القُدْسِيَّةِ وَالأَحْوَالِ العَلِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ وَالطَّهَارَةِ

---

[1]- ع ك ل هـ ق: المريدين

[2]- ع ك ي: في

[3]- ي: النبي

وَالصَّفَاءِ، وَالغَرَقِ فِي بَحْرِ اليَقِينِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهَا عِنْدَ العَارِفِينَ بِالجَذْبِ، تَأْتِي بِيَدِ الأَلْطَافِ الإِلَهِيَةِ، لِمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُ وَأَهَّلَهُ لِمُطَالَعَةِ حَضْرَتِهِ وَارْتَضَاهُ.

فَإِذَا وَرَدَتْ عَلَى الأَرْوَاحِ أَوْ عَلَى القُلُوبِ أَوْ عَلَى الأَسْرَارِ، أَخَذَتْهَا وَجَذَبَتْهَا إِلَى الحَضْرَةِ بِحُكْمِ القَهْرِ وَالصَّوْلَةِ، حَتَّى لَا تَقْدِرَ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنْهَا، وَوُرُودُهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَحْضِ مِنَّةِ الحَقِّ بِلَا سَبَبٍ، بَلْ بِحُكْمِ عِنَايَةِ الحَقِّ وَاصْطِفَائِهِ لِمَنْ شَاءَ، وَتَرِدُ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، ثُمَّ تَنْبُعُ مِنْهَا.

وَقَدْ يَكُونُ الشَّيْخُ حَاضِراً مَعَهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ حَاضِراً. وَقَدْ تَأْتِي بِتَوَجُّهِ هِمَّةِ الشَّيْخِ إِذَا أَرَادَهَا مِنَ اللَّهِ لِبَعْضِ تَلَامِذَتِهِ، وَقَدْ تَمْتَنِعُ وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهَا هِمَّتُهُ. **وَقَوْلُهُ:** هَلْ الشَّيْخُ دَالٌّ عَلَى اللَّهِ بِمَقَالِهِ أَوْ دَالٌّ عَلَى اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ؟ أَوْ لَهُ قُوَّةٌ وَأَسْرَارٌ يَجْلِبُ بِهَا الأَرْوَاحَ لِلْحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ؟ **الجَوَابُ:** أَنَّ دَلَالَتَهُ عَلَى اللَّهِ[1] بِكُلِّيَتِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ. **قَوْلُهُ:** وَأَمَّا جَلْبُهُ الأَرْوَاحَ الخ. الجَوَابُ عَنْ هَذَا هُوَ مَا سَبَقَ فِي جَوَابِ رِيَاحِ الصَّبَا.

وَقَوْلُهُ: وَمَا يُعْتَقَدُ فِي الشَّيْخِ؟ هَلْ هُوَ مَظْهَرٌ لِلْحَقَائِقِ الَّتِي لَا تُدْرِكُهَا العُقُولُ وَلَا الفُهُومُ؟ أَمْ هُوَ حَاكِمٌ لِلنُّفُوسِ لِتَقْوَى الأَرْوَاحُ[2] فَقَطْ؟ أَمْ هُوَ قُوتُ الأَرْوَاحِ، لِتَقْبَلَ مِنَ الوَارِدَاتِ مَا تُطِيقُ[3]؟ أَمْ هُوَ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَبْلُغُ أَسْرَارَهُ البَاطِنَةَ[4]

---

[1]- ك: (على الله) ساقطة

[2]- جاء في السؤال الأصلي المجموع: بتقوى الأرواح فقط.

[3]- ع ك: لِتَقْبَلَ مِنَ الوَارِدَاتِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا

[4]- جاء في السؤال الأصلي المجموع: يبلغ من أسراره الباطنة.

الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا مَنْ اشْتَغَلَ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قُلْنَا دَالّاً[1] بِظَاهِرِهِ فَقَطْ، وَغَالِباً عَلَيْهِ[2] الحِسُّ، فَلَيْسَ لِلْقُلُوبِ[3] أَنْ تَرْقَى مَوَاقِعَ الأَرْوَاحِ؟

الجَوَابُ فِي هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الشَّيْخَ فِي الطَّرِيقِ بِمَنْزِلَةِ الدَّلِيلِ، يَعْرِفُ الطَّرِيقَ وَمَخَاوِفَهَا[4]، وَيُعِدُّ لِكُلِّ مَحَلٍّ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الرَّاحِلَةِ[5] وَالزَّادِ، وَهُوَ لِلْأَرْوَاحِ وَالقُلُوبِ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ المَاهِرِ فِي مَعْرِفَةِ الأَمْرَاضِ العَارِضَةِ، وَمِنْ أَيْنَ مَادَّتُهَا، وَكَيْفِيَّةِ مُعَالَجَتِهَا كَمّاً وَكَيْفاً، وَمَعْرِفَةِ الأَدْوِيَةِ الَّتِي يُلْقِيهَا عَلَى[6] تِلْكَ الأَمْرَاضِ، حَتَّى تَعُودَ القُلُوبُ وَالأَرْوَاحُ إِلَى كَمَالِ صِحَّتِهَا، فَهَذَا غَايَةُ مَا عِنْدَ الشَّيْخِ. وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ، وَالأَنْوَارِ وَالأَسْرَارِ وَالأَحْوَالِ، وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّفْرِيدِ، وَالتَّرَقِّي فِي المَنَازِلِ وَالمَقَامَاتِ، فَإِنَّمَا هُوَ بِيَدِ الخَلَّاقِ الوَاحِدِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُعْطِي مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَالشَّيْخُ سَبَبٌ فِي ذَلِكَ عَلَى القَانُونِ المَذْكُورِ أَوَّلاً فَقَطْ.

وَقَوْلُهُ: وَهَلْ لِلشَّيْخِ تَصْرِيفٌ فِي رُوحِ الرُّوحِ أَمْ هُوَ بَرْزَخُ الأَرْوَاحِ فَقَطْ؟ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ المُرِيدُ وَيَرْجِعَ عَنْهُ، أَمْ لَا يَنْفَصِمُ عَنْهُ أَبَداً؟ وَأَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِ الشَّيْخِ، مَا السَّبَبُ فِي كَوْنِهِ تَارَةً يَجْمَعُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَارَةً عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَتَارَةً عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟ أَكُلُّ ذَلِكَ مُدْرَجٌ فِي صِفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ أَمْ لَا[7]؟ وَالسَّلَامُ.

---

[1]- ح ع ك ل ي: دالٌّ

[2]- ع ل: عليها

[3]- جاء في السؤال الأصلي المجموع: فليس للمغلوب أن يرقى في مواضع الأرواح

[4]- ك ل ي: ومخوفها

[5]- ع ك: من التعبية

[6]- ع: عن

[7]- جاء في السؤال الأصلي المجموع: أكل ذلك مدرج في صفاته أم لا؟

الجَوَابُ: أَنَّ رُوحَ الرُّوحِ هُوَ رُوحُ حَضْرَةِ القُدُسِ، الَّذِي[1] يَأْتِي بِالفَيْضِ الأَقْدَسِ، مَشْحُوناً بِالمَعَارِفِ وَالعُلُومِ، وَالأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ وَالحِكَمِ وَالدَّقَائِقِ وَالرَّقَائِقِ، وَالتُّحَفِ وَالمَوَاهِبِ الَّتِي لَا تُدْرَكُ وَلَا تُعْقَلُ، وَالأَخْلَاقِ وَالأَحْوَالِ وَاليَقِينِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالكَشْفِ التَّامِّ وَالشُّهُودِ الأَكْبَرِ، وَالمَعْرِفَةِ البَالِغَةِ الغَايَةَ فِي جَمِيعِ المَرَاتِبِ، مَعْرِفَةً ذَوْقِيَةً عَيْنِيَّةً لَا اعْتِقَادِيَةً. هَذَا هُوَ الرُّوحُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِرُوحِ الأَرْوَاحِ،

وَالأَرْوَاحُ لَهُ كَالأَجْسَادِ الكَثِيفَةِ لِلْأَرْوَاحِ الحَيَوَانِيَّةِ تُدَبِّرُ الأَجْسَادَ، وَأَيُّ رُوحٍ مِنْ أَرْوَاحِ البَشَرِ يُرَى فِيهَا هَذَا الرُّوحُ، وَتَرَكَّبَ فِيهَا كَتَرْكِيبِ الأَرْوَاحِ الحَيَوَانِيَّةِ لِلْأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ، كَانَ ذَلِكَ الرُّوحُ حَيّاً بِالحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ البَاقِيَةِ، لَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا مَوْتٌ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، وَلَا تَذُوقُ المَوْتَةَ الَّتِي تَذُوقُهَا البَشَرُ، وَإِنَّمَا مَوْتُهُ عِبَارَةٌ عَنْ مُفَارَقَةِ رُوحِهِ الحَيَوَانِيِّ لِجَسَدِهِ[2] الكَثِيفِ فَقَطْ، ثُمَّ تَتَّصِلُ بِمَا لَا مَعْرِفَةَ بِحَقَائِقِهِ لِأَحَدٍ مِنْ وُجُوهِ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ لَا تُكَيَّفُ، وَلَا يَعْقِلُهَا إِلَّا مَنْ رَآهَا. وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)**[3] الآيَةُ.

وَأَمَّا بَرْزَخِيَّةُ الأَرْوَاحِ فَهِيَ الأَرْوَاحُ الوَاصِلَةُ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ، بِكَمَالِ المَعْرِفَةِ وَصَفَاءِ اليَقِينِ وَرُوحِ المُشَاهَدَةِ، وَبَرْزَخُهَا الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الحَضْرَةِ هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا غَيْرَ، وَلَا بَرْزَخِيَّةَ لِلشَّيْخِ فِي هَذَا.

وَهَلْ غَايَةُ تَوَلِّي الشَّيْخِ لِلْمُرِيدِ إِلَى أَنْ يَصِلَ لِلْحَضْرَةِ، ثُمَّ يَنْفَصِمُ عَنْهُ أَوْ لَا يَنْفَصِمُ عَنْهُ[4] أَبَداً؟ **الجَوَابُ: اعْلَمْ** أَنَّهُ يَنْفَصِمُ عَنْهُ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى مُطَالَعَةِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَلَا

---

[1]- ك: التي

[2]- ح ع ل هـ ق ص ي: بجسده

[3]- سورة الأنعام، الآية 122

[4]- ح: (أو لا ينفصم عنه) ساقطة

يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ مُلَاحَظَةِ الشَّيْخِ، إِلَّا تَعْظِيمُهُ وَاحْتِرَامُهُ وَإِجْلَالُهُ وَمَعْرِفَةُ شُفُوفِ رُتْبَتِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ إِنْ قَطَعَ التِّلْمِيذُ نَظَرَهُ عَنْ هَذَا فِي حَقِّ شَيْخِهِ سُلِبَ وَطُرِدَ،

وَكَوْنُ أَحْوَالِ الشَّيْخِ تَارَةً يَجْمَعُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَارَةً عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَارَةً عَلَى اللَّهِ. **الجَوَابُ:** أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ أَحْوَالِ الشَّيْخِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، فَإِنَّهُ إِنْ دَلَّ عَلَى اللَّهِ، كَانَ ذَلِكَ غَايَةَ المَطْلُوبِ، وَإِنْ دَلَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَمْعِ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ جَمْعاً عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَلِيفَةُ المُطْلَقُ عَنِ اللَّهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَالمُجْتَمِعُ عَلَيْهِ يَجْتَمِعُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ دَلَّ الشَّيْخُ بِالجَمْعِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى اللَّهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَجَمْعُ النَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ جَمْعٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ خَلِيفَةٌ صَحِيحٌ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى البَيْتَيْنِ المَشْهُورَيْنِ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ العَارِفِينَ وَهُمَا:

عَيْنَانِ عَيْنَانِ لَمْ يَكْتُبْهُمَا قَلَمٌ * فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنَ العَيْنَيْنِ[1] نُونَانِ
نُونَانِ نُونَانِ لَمْ يَكْتُبْهُمَا قَلَمٌ * فِي كُلِّ نُونٍ مِنَ النُّونَيْنِ[2] عَيْنَانِ

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ[3]: **اعْلَمْ** أَنَّ **العَيْنَ الأُولَى:** عَيْنُهُ الوَاجِبَةُ الوُجُودِ لِذَاتِهَا مِنْ ذَاتِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، **وَالعَيْنُ الثَّانِيَةُ:** عَيْنُكَ الجَائِزَةُ الوُجُودِ مِنْ وَجْهٍ، وَالوَاجِبَةُ الوُجُودِ مِنْ وَجْهٍ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَاتِهَا لِذَاتِهَا جَائِزَةُ الوُجُودِ، وَمِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُ المَشِيئَةِ بِوُجُودِهَا، وَإِحَاطَةُ العِلْمِ بِهَا وَاجِبَةُ الوُجُودِ.

---

[1]- ع ي: من العينان

[2]- ع ي: من النونان

[3]- ك: (قال) ساقطة

وَقَوْلُهُ: فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنَ العَيْنَيْنِ[1] نُونَانِ. **النُّونُ الأُولَى:** أَنَانِيَةُ الحَقِّ، **وَالثَّانِيَةُ:** أَنَانِيَةُ العَبْدِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَنَزَّلَ بِهِ السِّرُّ القُدْسِيُّ اللَّاهُوتِيُّ، بِمَا صَحِبَهُ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، الَّتِي عَجَزَ العَقْلُ عَنْ فَهْمِ أَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهَا، فَضْلاً عَنِ الإِحَاطَةِ بِكُنْهِهَا، وَسَرَى فِي كُلِّيَّةِ العَبْدِ ذَلِكَ السِّرُّ وَالنُّورُ، أَرَاهُ اللَّهُ بِسَبَبِهَا مَحْوَ دَائِرَةِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي شُهُودِ العَبْدِ إِلَّا أَحَدٌ فِي أَحَدٍ، بِسَلْبِ التَّعَدُّدِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ.

وَفِي هَذَا الأَمْرِ إِذَا نَظَرَ فِي ذَاتِهِ لَمْ يَرَ إِلَّا أَحداً، لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَلَا الغَيْرِيَّةَ، وَإِذَا نَظَرَ فِي اللَّهِ لَمْ يَرَ إِلَّا نَفْسَهُ، وَإِذَا نَظَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَرَ إِلَّا مَا نَظَرَ وَفِي[2] نَفْسِهِ، وَهَذَا هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالجَمْعِ الكُلِّي، وَالاتِّحَادِ الحَقِّ وَالمَحْوِ المُحَقَّقِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ ظُهُورِ ذَلِكَ السِّرِّ وَالنُّورِ فِيهِ، فَغَطَّى عَلَيْهِ مَا كَانَ يَجِدُهُ قَبْلُ مِنْ وُجُودِهِ وَدَائِرَةِ حِسِّهِ، فَإِنْ نَظَرَ فِي عَيْنِ نَفْسِهِ الَّتِي هِيَ وَاجِبَةُ الوُجُودِ مِنْ وَجْهٍ، وَجَائِزَةُ الوُجُودِ مِنْ وَجْهٍ، نَظَرَ فِيهَا أَنَانِيَتَهُ عَيْنَ أَنَانِيَةِ الحَقِّ، وَأَنَانِيَةَ الحَقِّ عَيْنَ أَنَانِيَتِهِ، فَهُمَا[3] أَنَانِيَتَانِ قَائِمَتَانِ فِيهِ، إِدْرَاكاً ذَوْقِياً حِسِّياً وَشُهُوداً يَقِينِياً.

فَهَذِهِ العَيْنُ الَّتِي فِيهَا نُونَانِ: نُونُ أَنَانِيَتِهِ وَنُونُ أَنَانِيَةِ الحَقِّ، وَإِذَا نَظَرَ فِي اللَّهِ نَظَرَ عَيْنَ الحَقِّ عَيْنَ نَفْسِهِ، وَجَدَ[4] فِي عَيْنِ الحَقِّ نُونَ أَنَانِيَةِ الحَقِّ وَنُونَ أَنَانِيَتِهِ، لِاتِّحَادِهِمَا فِي مَشْهَدِهِ القُدْسِيِّ. وَهَذَا سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الغَيْبِ، لَا تُدْرِكُهُ العُقُولُ وَلَا القِوَى البَشَرِيَّةُ، وَإِنَّمَا يُنَالُ بِالفَيْضِ الرَّبَّانِي وَالفَتْحِ الإِلَهِي، لَيْسَ لِلْكَسْبِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ. فَهَذَا مَا فِي البَيْتِ الأَوَّلِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُنَالُ بِالذَّوْقِ وَالكَشْفِ لَا بِالمَقَالِ.

---

[1]- ع ي: من العينان

[2]- ك ي: إلا ما نظر في ـ ل: إلا ما نظره في

[3]- ك: فهي

[4]- ك ل ي: ووجد

وَأَمَّا البَيْتُ الثَّانِي وَهُوَ نُونَانِ نُونَانِ الخ: أَنَانِيَتُكَ لِأَنَّكَ إِنْ قُلْتَ: أَنَا فِي هَذَا المَحَلِّ وَجَدْتَ عَيْنَكَ هِيَ القَائِلَةَ، وَوَجَدْتَ عَيْنَ الحَقِّ هِيَ القَائِلَةَ. فَهِيَ نُونٌ فِيهَا عَيْنَانِ. **وَأَمَّا النُّونُ الثَّانِيَةُ:** فَهِيَ أَنَانِيَةُ الحَقِّ حَيْثُ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: أَنَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**)[1] وَجَدْتَ فِي تِلْكَ الكَلِمَةِ عَيْنَ الحَقِّ هِيَ القَائِلَةَ، وَعَيْنَكَ هِيَ القَائِلَةَ لِاتِّحَادِهِمَا فِي نَظَرٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي نَظَرِ العَبْدِ فَقَطْ. وَجَلَّ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي شُهُودِهِ، بَلْ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَإِدْرَاكُهُ وَرَاءَ هَذَا، لَا تَلْتَبِسُ عَلَيْهِ الأَحْوَالُ، وَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ العُبُودِيَّةُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

فَأَنَانِيَةُ الحَقِّ هُنَا تَجِدُ فِيهَا عَيْنَكَ وَعَيْنَهُ ثَابِتَتَيْنِ، بِنَظَرٍ يَقِينِي وَكَشْفٍ عِيَانِي، فَأَنَانِيَتُكَ فِيهَا عَيْنُكَ وَعَيْنُهُ، وَأَنَانِيَتُهُ فِيهَا عَيْنُهُ وَعَيْنُكَ، فِي كُلِّ نُونٍ مِنَ النُّونَيْنِ عَيْنَانِ. وَهَذَا مَا سَمَحَ بِهِ الوَقْتُ، وَوَرَاءَهُ مَا لَمْ يَخْطُرْ قَطُّ عَلَى بَالٍ، وَلَا تَكْشِفُ عَنْهُ دَائِرَةُ المَقَالِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى العَالِمِ العَلَّامَةِ الدَّرَّاكَةِ الفَهَّامَةِ سَيِّدِي المُخْتَارِ بْنِ الطَّالِبِ التِّلْمْسَانِي وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَكْبَرِهِمْ عِلْماً وَأَوْسَعِهِمْ حِلْماً وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ، وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الجِنِّ هَلْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَالآدَمِيِّينَ؟ أَوْ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا؟ وَهَلْ يَرْجِعُونَ تُرَاباً كَالحَيَوَانَاتِ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ **اعْلَمْ** أَنَّ القَوْلَ الَّذِي يَجِبُ المَصِيرُ إِلَيْهِ وَهُوَ عَيْنُ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، أَنَّ الجَانَّ مُسْتَوُونَ مَعَ بَنِي آدَمَ فِي عُمُومِ التَّكْلِيفِ بِالقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمْراً وَنَهْياً وَتَحْرِيماً وَوُجُوباً وَفِي عُمُومِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي آدَمَ فِي هَذَا الأَمْرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِقَوَاطِعِ نُصُوصِ الكِتَابِ[2] وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ.

---

[1]- سورة طه، الآية 14.

[2]- ك: الكتب

أَمَّا الكِتَابُ فَمَا ذَكَرَ[1] اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الأَحْقَافِ وَفِي سُورَةِ الجِنِّ، وَهُوَ صَرِيحٌ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ. وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بُعِثْتُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالجِنِّ"، وَهُوَ حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّتِهِ وَتَوَاتُرِهِ. كُلُّ مَنِ اعْتَقَدَ خِلَافَهُ كَفَرَ. وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ الأُمَّةِ عَلَى هَذَا فِي عُمُومِ الرِّسَالَةِ لَنَا وَلَهُمْ وَعُمُومِ دَعْوَتِنَا وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُمُومِ تَكْلِيفِنَا وَتَكْلِيفِهِمْ بِالقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَهُمْ مُسَاوُونَ لَنَا فِيمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عُمُومُ الخِطَابِ الإِلَهِي وَالنَّبَوِي مِنْ تَقْرِيرِ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ مِمَّنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ مِنَّا وَمِنْهُمْ، وَدُخُولِ الجَنَّةِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَا لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ غُفِرَ لَهُ مَعَاصِيَهُ، وَكَانَ مُؤْمِناً مِنَّا وَمِنْهُمْ، وَالعَذَابِ بِالنَّارِ وَدُخُولِهَا لِمَنْ عَصَا اللَّهَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ مِنَّا وَمِنْهُمْ.

يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**[2]. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**[3] فَهِيَ صَادِقَةٌ فِي كُلِّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَقَامَ بِرِعَايَةِ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ أَمْراً وَنَهْياً فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الآدَمِيِّينَ فِي هَذَا الشُّمُولِ الرِّسَالَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ[4] وَالتَّكْلِيفِ بِالقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْهُمْ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**... إِلَى قَوْلِهِ: **(مُهِينٌ)** [5].

---

[1]- ك: ذكره

[2]- سورة النساء، الآية 64

[3]- سورة النساء، الآية 80

[4]- ك ي: إلى الله تعالى

[5]- سورة النساء، الآية 13-14.

الآيَةُ[1] مُشْتَمِلَةٌ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهَا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ المَرْسُولِ إِلَيْهِمْ الَّذِينَ أُمِرَ الرَّسُولُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً)** [2] فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ الرَّسُولُ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ أُولِي الأَلْبَابِ مِنَ المُؤْمِنِينَ حَيْثُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا **(رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ)**[3]

إِلَى قَوْلِهِ **(مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)**[4] فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرِّسَالَةُ وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)**[5] الآيَةُ.(فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ أَيْضاً. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**[6]**)**[7] الآيَةُ) [8].

[8].

وَكُلُّ هَذِهِ الآيَاتِ وَأَمْثَالُهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ المَرْسُولِ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُلْتَفَتُ لِمَا سُطِّرَ فِي الأَوْرَاقِ مِمَّا يُنَاقِضُ هَذَا، فَإِنَّ تِلْكَ تَخَيُّلَاتٌ عَقْلِيَّةٌ بَيِّنَةُ البُطْلَانِ بِصَرِيحِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفاً وَفِي غَيْرِهَا، وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ،

---

[1]- ع ك ي: (الآيَةُ) ساقطة

[2]- سورة النساء، الآية 124.

[3]- سورة آل عمران، الآية 193.

[4]- سورة آل عمران، الآية 195.

[5]- سورة التوبة، الآية 72.

[6]- ك: (نزلا) ساقطة

[7]- سورة الكهف، الآية 107.

[8]- ي: ما بين القوسين محذوف

وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ خَطِّ مُحِبِّنَا سَيِّدِي المُخْتَارِ بْنِ الطَّالِبِ مِنْ إِمْلَاءِ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ[1].

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَقِيقَةِ التَّصَوُّفِ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ التَّصَوُّفَ هُوَ امْتِثَالُ الأَمْرِ، وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ مِنْ حَيْثُ يَرْضَى، لَا مِنْ حَيْثُ تَرْضَى. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَقِيقَةِ الوِلَايَةِ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: الوِلَايَةُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، فَالعَامَّةُ: هِيَ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالخَاصَّةُ: هِيَ[2] مِنْ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الخَتْمِ، وَالمُرَادُ بِالخَاصَّةِ هُوَ مَنِ اتَّصَفَ اتَّصَفَ صَاحِبُهَا بِأَخْلَاقِ الحَقِّ الثَّلَاثِمِائَةِ عَلَى الكَمَالِ، وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا وَاحِداً، إِنَّ لِلَّهِ ثَلَاثَمِائَةِ خُلُقٍ، مَنِ اتَّصَفَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الجَنَّةَ. وَهَذَا خَاصٌّ بِسَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ وَرِثَهُ مِنْ أَقْطَابِ هَذِهِ الأُمَّةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى الخَتْمِ، هَكَذَا قَالَ. وَنَسَبَهُ لِلْحَاتِمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذِهِ الخُصُوصِيَةِ، الَّتِي هِيَ الاتِّصَافُ بِالأَخْلَاقِ عَلَى الكَمَالِ، أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِ فِي المَقَامِ، وَأَظُنُّهُ يُشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْضِ الأَكَابِرِ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ مَقَامَهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ المَقَامَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ح ل: هذا السؤال وهذا الجواب من قوله: " وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الجِنِّ هَلْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَالآدَمِيِّينَ؟ أَوْ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا؟" إلى قوله: " انْتَهَى مِنْ خَطِّ مُحِبِّنَا سَيِّدِي المُخْتَارِ بْنِ الطَّالِبِ مِنْ إِمْلَاءِ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ " سقطا برمتهما

[2]- ك: (هي) ساقطة

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَقِيقَةِ العِلْمِ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ العِلْمِ هِيَ مَلَكَةٌ، تَحْصُلُ فِي الشَّخْصِ بِحَسَبِ اسْتِقْرَائِهِ لِضَوَابِطِ العِلْمِ وَقَوَانِينِهِ، يَقْدِرُ بِسَبَبِهَا أَنْ يَدْفَعَ جَمِيعَ وُجُوهِ الإِشْكَالِ وَالتَّلْبِيسَ عَنْ ذَلِكَ العِلْمِ، وَأَنْ يَأْتِيَ فِيهِ بِاسْتِشْهَادَاتٍ تُفَصِّلُ حَقَائِقَ ذَلِكَ العِلْمِ مِنْ مَجَازَاتِهِ، وَارْتِبَاطِ لَوَازِمِهِ مِنْ مَلْزُومَاتِهِ، وَانْفِصَالِ مَا يُوجِبُ الفَرْقَ بَيْنَ مُتَفَرِّقَاتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْ مُدَارَسَةِ كُتُبٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبٍ وَلَا تَفْهِيمٍ، بَلْ بِحَسَبِ مَا تُعْطِيهِ القُوَّةُ المَلَكِيَّةُ لَا الصُّورَةُ المَنْقُولَةُ، وَالمَنْقُولَةُ عِنْدَهُمْ إِمَّا عَنْ قُوَّةٍ ضَرُورِيَّةٍ، وَإِمَّا عَنْ أَسْمَاعٍ خَبَرِيَّةٍ، انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْنَا وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] عَنْ حَقِيقَةِ الوَلِيِّ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ الوَلِيِّ هُوَ مَنْ تَوَلَّى اللَّهُ[2] أَمْرَهُ بِالخُصُوصِيَةِ، مَعَ مُشَاهَدَةِ أَفْعَالِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ[3]، وَمَرَّةً قَالَ: مَعَ[4] مُشَاهَدَةِ الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ. قُلْنَا لَهُ: أَيَجْهَلُ الوَلِيُّ أَوْ العَارِفُ شَيْئاً مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ المَطْلُوبَةِ فِي حَقِّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِلَّا بِالتَّعْلِيمِ وَالسُّؤَالِ، وَلَا تُفَاضُ[5] مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ إِلَّا النَّادِرَ مِنَ العَارِفِينَ، وَلَا يُحِيطُ[6] بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَجَمِيعِ العُلُومِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ، لِأَنَّهُ هُوَ الحَامِلُ لِلشَّرِيعَةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَلَوْ كَانَ أُمِّياً لَمْ تَسْبِقْ

---

[1]- ح ك: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة

[2]- ك: (الله) محذوفة

[3]- ع ك: (سُبْحَانَهُ) ساقطة ـ ل: سبحانه وتعالى

[4]- ع ك: (مَعَ) ساقطة

[5]- ك: ولا تفاض عليه

[6]- ك ل هـ ي: ولا يحاط

لَهُ قِرَاءَةٌ. انْتَهَى. قَالَ الشَّيْخُ العَيَّاشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الوِلَايَةُ مِنَّةٌ تَقَدَّمَتْهَا خِدْمَةٌ. انْتَهَى. قَالَ[1] شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَحْضُ[2] مِنَّةٍ تَقَدَّمَتْهَا[3] مَحْضُ خِدْمَةٍ. انْتَهَى.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[4]: **إِنَّ دَائِرَةَ الوَلِيِّ، أَوْسَعُ مِنْ دَائِرَةِ النَّبِيِّ،** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: المُرَادُ بِالوَلِيِّ أَوْلِيَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ فَقَطْ، وَالمُرَادُ مِنْهُ مَنْ أُمِرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِجَالِهِمْ، فَهُمُ الَّذِينَ دَوَائِرُهُمْ أَوْسَعُ مِنْ دَوَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَاتِّسَاعُ الدَّائِرَةِ وَضَيْقُهَا بِاعْتِبَارِ الطَّوَائِفِ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَكُلُّ رَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ غَيْرُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رِسَالَتُهُ خَاصَّةٌ بِمَوْطِنٍ أَوْ جِنْسٍ أَوْ بَلَدٍ لَا يَتَعَدَّى[5] إِلَى غَيْرِهِ، وَرِسَالَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ البُلْدَانِ وَالأَقْطَارِ، وَفِي جَمِيعِ الأَجْنَاسِ وَالأُمَمِ، وَفِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ. فَالأَوْلِيَاءُ الدَّاعُونَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، دَعْوَتُهُمْ تَعُمُّ كَعُمُومِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا تَخْتَصُّ بِبَلَدٍ وَلَا جِنْسٍ وَلَا أُمَّةٍ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ كَعُمُومِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِمْ[6] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَهَذَا اتِّسَاعُ دَائِرَةِ الوَلِيِّ عَلَى دَائِرَةِ النَّبِيِّ.

ثُمَّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي حَقِّ الأَوْلِيَاءِ، هِيَ مَلْزُومَةٌ لَهُمْ بِطَرِيقِ الشَّرْعِ الظَّاهِرِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)) الحَدِيثُ. وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ)) لَكِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ المَذْكُورَةَ هُنَا، إِنَّمَا هِيَ

---

[1]- ك ل هـ ي: وقال

[2]- ك ل هـ ي: هي محض

[3]- ع ك هـ ص: تقدمها

[4]- ح ي: (رضي الله عنهم) ساقطة

[5]- ك: لا تتعدى

[6]- ع ك ي: نَبِيِّهِ

بِالإِذْنِ الخَاصِّ كَإِذْنِ الرِّسَالَةِ، فَمَنْ نَهَضَ إِلَى الخَلْقِ، يَدْعُوهُمْ[1] إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالإِذْنِ الخَاصِّ لَهُ مِنَ اللَّهِ، سَرَتْ كَلِمَتُهُ فِي جَمِيعِ القُلُوبِ، وَوَقَعَ الإِقْبَالُ مِنَ الخَلْقِ عَلَيْهِ وَالاسْتِجَابَةُ لَهُ، وَوَقَعَ امْتِثَالُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ فِي الخَلْقِ وَأُطِيعَ وَحُلِّيَ كَلَامُهُ فِي القُلُوبِ، وَمَنْ نَهَضَ إِلَى دَعْوَةِ الخَلْقِ إِلَى اللَّهِ بِالإِذْنِ العَامِّ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الإِذْنِ الخَاصِّ لَمْ يُنْتَفَعْ بِكَلَامِهِ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ إِقْبَالٌ، فَإِنَّ لِسَانَ الحَقِّ يَقُولُ لَهُ بِلِسَانِ الحَالِ فِي بِسَاطِ الحَقَائِقِ: مَا أَمَرْنَاكَ بِهَذَا وَلَا أَنْتَ لَهُ بِأَهْلٍ، إِنَّمَا أَنْتَ فُضُولِيٌّ، فَمَنْ وَقَفَ هَذَا المَوْقِفَ ابْتُلِيَ بِحُظُوظِ نَفْسِهِ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ[2]، لَيْسَ[3] مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ. قَالَ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَعَالِمُنَا مِنْهُمْ نَبِيءٌ وَمَنْ دَعَا * إِلَى الحَقِّ مِنَّا قَامَ بِالرُّسُلِيَّةِ[4]

قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ مَنْ أُذِنَ لَهُ فِي التَّعْبِيرِ، فُهِمَتْ فِي مَسَامِعِ الخَلْقِ عِبَارَتُهُ وَجُلِّيَتْ[5] لَدَيْهِمْ إِشَارَتُهُ. وَحِكَايَةُ الشَّيْخِ الجِيلَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْلُومَةٌ قَالَ: كُنْتُ بِالأَمْسِ صَائِماً، فَوَضَعَتْ لِي أُمُّ يَحْيَى بُوَيْضَاتٍ إِلَى فُطُورِي عَلَى طَرَفِ السَّرِيرِ، فَأَتَتْ هِرَّةٌ فَخَطَفَتْهَا، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي البُكَاءِ عَلَى عَادَتِهِمْ إِلَى آخِرِ الحِكَايَةِ. وَمَنْ ادَّعَى الإِذْنَ الخَاصَّ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ كَاذِبٌ فِيهِ، وَانْبَسَطَ لِلْخَلْقِ بِالدَّعْوَةِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ كَافِراً إِلَّا أَنْ يَتُوبَ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ بِجَاهِ النَّبِيِّ وَآلِهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ح: يدعونهم

[2]- ي: والتصنيع

[3]- ع ك ل ي: وليس

[4]- القصيدة من بحر الطويل

[5]- ع ك: وحليت

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَقِيقَةِ العَارِفِ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ العَارِفَ يَكُونُ كَامِلَ اليَقَظَةِ وَالرِّضَا لِأَمْرَيْنِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا. الأَمْرُ الأَوَّلُ: مَا يُفَاتَحُ بِهِ فِي مَقَامِهِ مِنَ الفُتُوحَاتِ وَالفُيُوضِ، وَالتَّجَلِّيَاتِ وَعَجَائِبِ الحَقَائِقِ وَالأَسْرَارِ، الَّتِي لَا يُطِيقُ العَقْلُ إِحَاطَةَ الإِدْرَاكِ لَهَا فَضْلاً عَنِ التَّلَفُّظِ بِهَا، فَيَعْرِفُ مَا يَلْزَمُهُ فِي كُلِّ فَصْلٍ، وَفِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حِدَتِهِ، مِنَ الوَظَائِفِ وَالآدَابِ وَالمُقَابَلَاتِ، الَّتِي هِيَ مُقْتَضَيَاتُ العُبُودِيَةِ.

وَالأَمْرُ الثَّانِي: تَيَقُّظُهُ[1] وَرَصْدُهُ لِمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ الوُجُودُ مِنَ الأَوْطَارِ[2]، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَعْلَمُ فِي كُلِّ فَصْلٍ مِنْ ذَلِكَ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ، أَيَّ تَجَلٍّ لِلْحَقِّ هُوَ[3] البَارِزَ فِيهِ، وَمِنْ أَيِّ حَضْرَةٍ كَانَ ذَلِكَ الطَّوْرُ، وَلِمَاذَا وُجِدَ؟ وَمَاذَا يُرَادُ مِنْهُ؟ فَيُعْطِي لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَكُلِّ أَمْرٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ بِحُكْمِ الوَقْتِ مِنَ الوَظَائِفِ وَالآدَابِ، وَالمُقَابَلَاتِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَيَاتُ العُبُودِيَةِ، حَتَّى لَا يَشِذَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنَ الزَّمَانِ شَيْءٌ. وَهَذَا الأَمْرُ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالمُرَاقَبَةِ فِي مَقَامِ العَارِفِينَ، وَهِيَ مَشْرُوطَةٌ بِتَقْدِيمِ المُشَاهَدَةِ وَكَمَالِ المَعْرِفَةِ، فَلَا تَقَعُ مَا لَمْ تَقَعَا المَعْرِفَةُ وَالمُشَاهَدَةُ، فَإِنَّ الرُوحَ عِنْدَ مُطَالَعَةِ الجَمَالِ القُدْسِيِّ، مُقْتَضَاهَا الذُّهُولُ عَنِ الأَكْوَانِ، لِمَا فِي الجَمَالِ القُدْسِيِّ مِنَ الشُّغْلِ عَنْهَا.

وَهَذِهِ المُرَاقَبَةُ لِأَكَابِرِ الكُمَّلِ مِنَ العَارِفِينَ، وَهِيَ بِسَاطُ الخِلَافَةِ الكُبْرَى، فَصَاحِبُهَا هُوَ الَّذِي يَتَأَتَّى لَهُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، لِاسْتِكْمَالِهِ مَرْتَبَةَ العُبُودِيَةِ، فَإِنْ دَامَتْ هَذِهِ لِلْعَارِفِ، يَتَأَتَّى لَهُ التَّحَقُّقُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالقُطْبِ وَقَدْ لَا يَكُونُ قُطْباً انْتَهَى. **ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** المُتَحَقِّقُ بِالحَقِّ مَنْ يَرَاهُ فِي كُلِّ مُتَعَيَّنٍ بِلَا

---

[1] - ي: تقيظه

[2] - ع ك ل هـ ق ص ي: من الأطوار

[3] - ك: (هو) ساقطة ـ ي: وهو

تَعَيُّنٍ، وَالمُتَحَقِّقُ بِالحَقِّ وَالخَلْقِ، يَرَى أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي الوُجُودِ لَهَا وَجْهٌ إِلَى الإِطْلَاقِ وَوَجْهٌ إِلَى التَّقْيِيدِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الخَلْقِ، أَعْنِي المَلَائِكَةَ وَالجِنَّ وَالإِنْسَ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ أَوْلِيَاءَ الجِنِّ دَوَرَانُهُمْ حَوْلَ الفِعْلِ، وَسِرِّ الفِعْلِ، وَنُورِ الفِعْلِ، وَالرُّوحَانِيُّونَ دَوَرَانُهُمْ حَوْلَ الاسْمِ، وَسِرِّ الاسْمِ، وَنُورِ الاسْمِ. وَالمَلَائِكَةُ دَوَرَانُهُمْ حَوْلَ الصِّفَاتِ، وَسِرِّ الصِّفَاتِ، وَنُورِ الصِّفَاتِ. وَأَوْلِيَاءُ الآدَمِيِّينَ دَوَرَانُهُمْ حَوْلَ الذَّاتِ، وَسِرِّ الذَّاتِ وَنُورِ الذَّاتِ. قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ. الآدَمِيُّ: أَوَّلُ مَرْتَبَةٍ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا فِي الكَشْفِ مَرْتَبَةُ الجِنِّ، ثُمَّ يَتَرَقَّى إِلَى الرَّابِعَةِ لَا حَرَمَنَا اللَّهُ مِنْهَا، وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَوَلَانُ أَرْوَاحِ الرِّجَالِ وَمُشَاهَدَتُهُمْ مُتَفَاوِتَةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ حَدُّهُ عَالَمُ المُلْكِ، وَهُوَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الأَرْضِ فَهَذَا أَصْغَرُهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِلُ إِلَى عَالَمِ المَلَكُوتِ وَهُوَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى هُنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ انْتَهَتْ عُلُومُهُ إِلَى عَالَمِ الجَبَرُوتِ، وَهُوَ مِنَ العَرْشِ إِلَى هُنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَخْرِقُ رُوحُهُ الطَّوْقَ الأَخْضَرَ، وَتَخْرُجُ عَنْ كُورَةِ العَالَمِ وَهُمُ الأَكَابِرُ. جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

ثُمَّ قَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَرَاتِبُ الرِّجَالِ ثَلَاثَةٌ: الأُولَى: مَرْتَبَةُ العَارِفِينَ وَهِيَ شُهُودُ الحَقِّ فِي المَرَاتِبِ. الثَّانِيَةُ: مَرَاتِبُ[1] الأَفْرَادِ وَهِيَ شُهُودُ الحَقِّ لَا فِي المَرَاتِبِ. الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ القُطْبِ وَهِيَ فِي غَيْبِ الغَيْبِ مَكْتُومَةٌ، لَا تُذْكَرُ وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا صَاحِبُهَا وَهُوَ القُطْبُ الجَامِعُ، لِأَنَّ لَهُ المَرْتَبَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ وَهُوَ شُهُودُهُ لِلْحَقِّ فِي المَرَاتِبِ لِلتَّصَرُّفِ فِي الكَوْنِ، وَيُشَاهِدُهُ فِي غَيْرِ المَرَاتِبِ، وَلَهُ هَذِهِ المَرْتَبَةُ المَكْتُومَةُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ.

وَمِمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ قُطْبَ الأَقْطَابِ، أَنْ يُعَلِّمَهُ عِلْمَ مَا قَبْلَ وُجُودِ الكَوْنِ، وَمَا وَرَاءَهُ وَمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَأَنْ يُشْهِدَهُ الذَّاتَ بِعَيْنِ الذَّاتِ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُ عِلْمَ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ القَائِمِ بِهَا نِظَامُ

---

[1] - ك ي: مرتبة

كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ[1]، وَهِيَ الأَسْمَاءُ العَالِيَةُ، وَأَنْ يُخَصِّصَهُ بِأَسْرَارِ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ، وَجَمِيعِ فُيُوضِهِ وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ. وَبِهَذِهِ خُصَّ عَنْ[2] رُؤُوسِ الأَفْرَادِ الَّذِينَ هُمْ مَفَاتِيحُ الكُنُوزِ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا خَاصَّةٌ بِهِ، إِلَّا قَوْلَ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَهُ أَنَّهُ خَاصٌّ بِهِ، وَأَمَّا مَشْهَدُهُ فَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، لِأَنَّهُ يَدْخُلُ الحَضْرَةَ مِنْ بَابِ المَخْدَعِ، وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنْهُمْ. وَنَسَبَ هَذَا الكَلَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ أَيْضاً: الخَلِيفَةُ لَهُ التَّصَرُّفُ العَامُّ، وَالحُكْمُ الشَّامِلُ التَّامُّ فِي جَمِيعِ المَمْلَكَةِ الإِلَهِيَةِ، وَلَهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالتَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيخُ، وَالحَمْدُ وَالذَّمُّ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مُرَادُ الخَلِيفَةِ، سَوَاءٌ كَانَ نَبِيّاً أَوْ وَلِيّاً مُسْتَوُونَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَالرَّسُولُ لَيْسَ لَهُ عُمُومُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِّ، إِلَّا مَا سَمِعَهُ مِنْ مُرْسِلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَزِيدُ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْئاً، وَإِنَّمَا هُوَ فِي ذَلِكَ مُبَلِّغٌ فَقَطْ لَيْسَ بِآمِرٍ وَلَا[3] نَاهِي[4]، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ خَلِيفَةً فَلَهُ المَرْتَبَةُ الأُولَى،

فَالخَلِيفَةُ الوَلِيُّ أَوْسَعُ دَائِرَةً فِي الأَمْرِ وَالنَّهْيِّ وَالحُكْمِ، مِنَ الرَّسُولِ الَّذِي لَيْسَ بِخَلِيفَةٍ، مِثَالُهُ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ المَلِكِ الأَعْظَمِ، يُولِي أَحَداً مِنْ حَاشِيَتِهِ رُتْبَةَ[5] التَّصَرُّفِ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ تَوْكِيلاً لَهُ وَاسْتِخْلَافاً، وَلَا يُولِي ذَلِكَ وَزِيرَهُ وَلَا أَهْلَ مُجَالَسَتِهِ، مَعَ كَوْنِهِمْ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ حَاشِيَتِهِ فِي المَرْتَبَةِ. وَهَذَا المِثَالُ يَدْفَعُ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْ شُفُوفِ

---

[1]- ع ك ل هـ ق ص ي: نظام كل ذرة من الوجود

[2]- ح: (عن) ساقطة

[3]- ح ك: (لا) ساقطة

[4]- ي: ناه

[5]- ع: مرتبة

مَرْتَبَةِ الوَلِيِّ الخَلِيفَةِ، عَلَى مَرْتَبَةِ الرَّسُولِ الَّذِي لَيْسَ بِخَلِيفَةٍ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1] الآيَةُ. مَعْنَاهُ: يَنُوبُ عَنْهُ[2] فِي مَمْلَكَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَحَيْثُ مَا كَانَ الرَّبُّ إِلَهاً، كَانَ هُوَ عَلَيْهِ خَلِيفَةً فِي الأَحْكَامِ فِي جَمِيعِ المَمْلَكَةِ. قَالَ الجِيلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا المَعْنَى:

وَأَمْرِي بِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ قُلْتُ[3] كُنْ يَكُنْ * وَكُلٌّ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاحْكُمْ بِقُدْرَتِي

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْخِ زَرُّوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَقَوْلِ غَيْرِهِ: يَا رِيحُ اسْكُنِي عَلَيْهِمْ بِإِذْنِي، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ خَلِيفَةٌ اسْتَخْلَفَهُ الحَقُّ عَلَى مَمْلَكَتِهِ تَفْوِيضاً عَامّاً، أَنْ يَفْعَلَ فِي المَمْلَكَةِ كُلَّ مَا يُرِيدُ، وَيُمَلِّكَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ التَّكْوِينِ مَتَى قَالَ[4] لِشَيْءٍ كُنْ كَانَ مِنْ حِينِهِ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ بُرُوزُهُ بِالصُّورَةِ الإِلَهِيَةِ، المُعَبَّرِ عَنْهَا بِالخِلَافَةِ العُظْمَى، فَلَا يُسْتَعْصَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي[5] الوُجُودِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ[6] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أَنَا مُبْرِقُ البُرُوقِ، وَمُرْعِدُ الرُّعُودِ، وَمُحَرِّكُ الأَفْلَاكِ وَمُدِيرُهَا)). يُرِيدُ بِهَا أَنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ. انْتَهَى مِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 30

[2]- ك: عن الله

[3]- ع: كنت

[4]- ك: يقال

[5]- ك ل: من ـ ي: من في

[6]- ك: (ابن أبي طالب) ساقطة ـ ل: قال سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ كَلَامَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَوْلُ بَعْضِ الكِبَارِ: إِنِّي أَرَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَالعَرْشَ[1] دَاخِلاً[2] فِي وَسَطِ ذَاتِي، وَكَذَا مَا فَوْقَ العَرْشِ مِنَ السَّبْعِينَ حِجَاباً، وَفِي كُلِّ حِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ حِجَابٍ وَحِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْمُورٌ بِالمَلَائِكَةِ الكِرَامِ، وَكَذَا مَا فَوْقَ الحُجُبِ السَّبْعِينَ مِنْ عَالَمِ الرَّقَّا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالقَافِ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ المَخْلُوقَاتِ لَا يَقَعُ فِي فِكْرِهِمْ شَيْءٌ فَضْلاً عَنْ جَوَارِحِهِمْ، إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِ الوَقْتِ، أَعْنِي بِهِ القُطْبَ. انْتَهَى.

وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ أَعْطَاهَا الحَقُّ لَهُ، لِكَوْنِهِ خَلِيفَةً عَلَيْهِ، **وَمِمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ الخَلِيفَةَ**، وَهُوَ قُطْبُ الأَقْطَابِ، مَعَ الوَصْفِ المُتَقَدِّمِ أُمُورٌ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ وَهُمْ رُؤُوسُ الأَفْرَادِ، هُوَ مَا أَجَابَ بِهِ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَمُ الشُّهُودِ سَيِّدَنَا وَشَيْخَنَا، حِينَ سَأَلَهُ عَنْ مَفَاتِيحِ الكُنُوزِ، وَقُطْبِ الأَقْطَابِ أَيُّهُمَا أَعْلَى مَرْتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟

فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ فِي مَقَامَاتٍ وَمَرَاتِبَ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ التَّجَلِّيَ الكَامِلَ المُحِيطَ بِالتَّجَلِّيَاتِ كُلِّهَا، وَأَوْرَثَهُ اللَّهُ الاسْمَ الأَعْظَمَ بِجَمِيعِ إِحَاطَاتِهِ، وَأَوْرَثَهُ اللَّهُ المَدَدَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَأَوْرَثَهُ اللَّهُ مَدَدَ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَحْرِيكَ الجَمَادَاتِ، وَتَحْرِيكَ كُلِّ حَيٍّ حَيٍّ حَيٍّ، وَالإِمَارَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالتَّعْظِيمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَبِالمَعَانِي التَّابِعَةِ لِلْكَلَامِ المُتَقَدِّمِ، هَذَا المِفْتَاحُ الَّذِي أُورِثَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ خَلِيفَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ.
انْتَهَى جَوَابُ سَيِّدِ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسَيِّدِنَا وَقُدْوَتِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصَافُ القُطْبِ يُرَى عَالِماً كَجَاهِلٍ، أَبْلَهَ فَطِناً، آخِذاً تَارِكاً، زَاهِداً رَاغِباً، سَهْلاً عَسِيراً، هَيِّناً صَعْباً، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ي: (والعرش) ساقطة

[2]- ح ع ك ل ي: داخل

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَقِيقَةِ القُطْبَانِيَةِ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ القُطْبَانِيَةِ هِيَ الخِلَافَةُ العُظْمَى عَنِ الحَقِّ مُطْلَقاً، فِي جَمِيعِ الوُجُودِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، حَيْثُ مَا كَانَ الرَّبُّ إِلَهاً، كَانَ هُوَ خَلِيفَةً فِي تَصْرِيفِ الحُكْمِ وَتَنْفِيذِهِ، فِي كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ أُلُوهِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ قِيَامُهُ بِالبَرْزَخِيَّةِ العُظْمَى بَيْنَ الحَقِّ وَالخَلْقِ، فَلَا يَصِلُ إِلَى الخَلْقِ شَيْءٌ كَائِناً مَا كَانَ مِنَ الحَقِّ، إِلَّا بِحُكْمِ القُطْبِ وَتَوَلِّيهِ[1]، وَنِيَابَتِهِ عَنِ الحَقِّ فِي ذَلِكَ، وَتَوْصِيلِهِ كُلَّ قِسْمَةٍ إِلَى مَحَلِّهَا، ثُمَّ قِيَامُهُ فِي الوُجُودِ بِرُوحَانِيَّتِهِ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الوُجُودِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً،

فَتَرَى الكَوْنَ كُلَّهُ أَشْبَاحاً لَا حَرَكَةَ لَهَا، وَإِنَّمَا هُوَ الرُّوحُ القَائِمُ فِيهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَقِيَامُهُ فِيهَا فِي أَرْوَاحِهَا وَأَشْبَاحِهَا. ثُمَّ تَصَرُّفُهُ فِي مَرَاتِبِ الأَوْلِيَاءِ، فَيَذُوقُ مُخْتَلِفَاتِ أَذْوَاقِهِمْ، فَلَا تَكُونُ مَرْتَبَةٌ فِي الوُجُودِ لِلْعَارِفِينَ وَالأَوْلِيَاءِ خَارِجَةً عَنْ ذَوْقِهِ، فَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِهَا وَالمُمِدُّ لِأَرْبَابِهَا، وَلَهُ الاخْتِصَاصُ بِالسِّرِّ المَكْتُومِ، الَّذِي لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِهِ، وَالسَّلَامُ.

وَمَعْنَى البَرْزَخِيَّةِ العُظْمَى قِيَامُهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالخَلْقِ، بِالنِّيَابَةِ عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَاخْتِصَاصُهُ أَيْضاً بِالتَّحَقُّقِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الوُجُودِ، وَإِعْطَائِهِ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ المَرَاتِبِ حَقِّيَةٍ أَوْ خَلْقِيَّةٍ حَقَّهَا بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الأَدَبِ[2]، وَلَيْسَ هَذَا لِغَيْرِهِ مِنَ العَارِفِينَ وَلَا لِمَفَاتِيحِ الكُنُوزِ، فَهُوَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأُمُورِ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

وَجُمْلَةُ مَا فِيهِ أَنَّهُ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِهِ فِي حَضْرَةِ الحَقِّ، نِسْبَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الوُجُودِ مِنَ العَارِفِينَ، وَمَنْ وَرَاءَهُمْ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانِ العَيْنِ مِنَ العَيْنِ، بِهِ يَرْحَمُ الوُجُودَ، وَبِهِ يُفِيضُ

---

[1]- ك: وتوليته

[2]- ع ك ي: الآداب

الإِفَادَةَ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ، وَبِهِ يَبْقَى الوُجُودُ فِي حِجَابِ الرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ، وَبِهِ يَبْقَى الوُجُودُ فِي بَقَاءِ الوُجُودِ، رَحْمَةً لِكُلِّ العِبَادِ وَسَحَابَةً مَاطِرَةً[1] فِي سَائِرِ البِلَادِ.

وُجُودُهُ فِي الوُجُودِ حَيَاةٌ لِرُوحِهِ الكُلِّيَةِ، وَتَنَفُّسُ نَفْسِهِ يَمُدُّ اللَّهُ بِهِ العُلْوِيَّةَ وَالسُّفْلِيَّةَ، ذَاتُهُ مِرْآةٌ مُجَرَّدَةٌ، يَشْهَدُ كُلُّ قَاصِدٍ فِيهَا مَقْصَدَهُ، حَضْرَتُهُ صِبَاغَةٌ تَصْبُغُ كُلَّ مَنْ أَمَّ لَهُ، فِيمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَأَمَّلَهُ، مَا شَهِدْتَهُ فِيهِ خَلَعَهُ عَلَيْكَ، وَمَا نَسِبْتَهُ إِلَيْهِ صَيَّرَهُ إِلَيْكَ. إِيَّاكَ أَنْ تُحْرَمَ احْتِرَامَ أَصْحَابِ الوَقْتِ، فَتَسْتَوْجِبَ الطَّرْدَ وَالمَقْتَ. مَنْ أَنْكَرَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ حُرِمَ بَرَكَةَ أَوَانِهِ، المُتَسَوِّقُ مِنْ بِضَاعَةِ الزَّمَانِ مُمْتَدٌّ بِمَدَدِ رِزْقِ الأَوَانِ، وَمَنْ أَنْكَرَ وَأَكْثَرَ المِرَاءَ، فَقَدْ مَنَعَ نَفْسَهُ الشِّرَاءَ[2]. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الإِمَامِ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَةِ هَذَا الهُمَامِ، بِجَاهِ خَيْرِ الأَنَامِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.

انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ الصَّادِقِينَ[3]، **كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قُوَّتِهِ** قُوَّةُ مِائَةِ رَجُلٍ، وَالعَارِفُونَ بِاللَّهِ أَهْلُ عَالَمِ المُلْكِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قُوَّتِهِ قُوَّةُ[4] ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ، وَأَهْلُ عَالَمِ المَلَكُوتِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُوَّةُ خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ، وَأَهْلُ عَالَمِ الجَبَرُوتِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُوَّةُ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، أَيْ مِنْ أَهْلِ عَالَمِ الأَمْرِ قُوَّةُ أَلْفِ رَجُلٍ، وَقُوَّةُ قُطْبِ الأَقْطَابِ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ، وَقُوَّةُ الأَفْرَادِ الأَرْبَعَةِ سَبْعَةُ عَشَرَ مِائَةِ رَجُلٍ، وَقُوَّةُ مَفَاتِيحِ الكُنُوزِ: قُوَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَيْ رَجُلٍ. انْتَهَى.

---

[1]- ع: قاطرة

[2]- ح ل: هذه الفقرة الأخيرة من قوله: " رَحْمَةً لِكُلِّ العِبَادِ وَسَحَابَةً..." إلى قوله "فقد منع نفسه الشراء" ساقطة

[3]- ح: الصادقون

[4]- ع: (قوة) ساقطة

وَمَعْنَى عَالَمِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَالجَبَرُوتِ وَعَالَمِ الأَمْرِ، أَمَّا **عَالَمُ المُلْكِ** هُوَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، **وَعَالَمُ المَلَكُوتِ** هُوَ مِنَ السَّمَاءِ الأُولَى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، **وَعَالَمُ الجَبَرُوتِ** هُوَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ، **وَعَالَمُ الأَمْرِ** هُوَ مِنَ الكُرْسِيِّ إِلَى العَرْشِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، فَمَعْنَى المُلْكِ هُوَ عَالَمُ النَّاسُوتِ، وَهِيَ شِدَّةُ الكَثَافَةِ وَهُوَ التَّجَلِّي بِالأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ، وَالمَلَكُوتُ عَالَمُ الأَنْوَارِ، وَهُوَ التَّجَلِّي بِصُوَرِ الأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ، وَالجَبَرُوتُ عَالَمُ الأَسْرَارِ، وَهُوَ التَّجَلِّي بِصُوَرِ الأَجْسَامِ القُدْسِيَّةِ مِنَ الكُرُوبِيِينَ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، وَعَالَمُ الأَمْرِ هُوَ التَّجَلِّي بِصُوَرِ الرُّوحَانِيَةِ القُدْسِيَّةِ، المُنَزَّهَةِ عَنِ المَادَّةِ وَالطَّبِيعَةِ، فَكُلُّ عَالَمٍ تَجَلَّى فِيهِ بِنِسْبَةٍ مِنْ نِسَبِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَدَامَ عُلَاهُ آمِينَ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأَصْلُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ فِي الكَوْنِ، هِيَ مَرْتَبَةٌ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَتَجَلَّى فِيهَا بِمَا شَاءَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ مَظَاهِرُ أَحْكَامِهِ وَكَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ، فَلَا تَرَى ذَرَّةً فِي الكَوْنِ خَارِجَةً عَنْ هَذَا الأَمْرِ، فَمَا ثَمَّ إِلَّا كَمَالَاتُ أُلُوهِيَتِهِ، وَيَسْتَوِي فِي هَذَا المَيْدَانِ الحَيَوَانُ وَالجَمَادَاتُ وَالآدَمِيُّ وَغَيْرُهُ، وَلَا فَرْقَ فِي الآدَمِيِّ بَيْنَ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ، فَإِنَّهُمَا مُسْتَوِيَانِ فِي هَذَا البِسَاطِ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا الأَصْلِ فِي الكَافِرِ التَّعْظِيمُ، لِأَنَّهُ مَرْتَبَةٌ[1] مِنْ مَرَاتِبِ الحَقِّ، وَالإِذْلَالُ وَالإِهَانَةُ، وَالصَّوْلَةُ عَلَيْهِ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ أَحْكَامٍ تُرَى طَارِئَةً عَلَيْهِ، لَا تَهْدِمُ قَوَاعِدَ الأَصْلِ لِأَنَّ الأَصْلَ لَا يَنْهَدِمُ، وَالأَحْكَامُ الطَّارِئَةُ عَوَارِضُ، وَالمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ لِلْأَصْلِ لَا لِلْعَوَارِضِ،

وَكَمَالُ العِلْمِ فِيهِ أَنْ يُعَظَّمَ، لِأَنَّهُ مَرْتَبَةٌ لِلْحَقِّ تَجَلَّى فِيهِ بِأَحْكَامِهِ، لَكِنْ يُعَظَّمُ بَاطِناً، وَيُهَانُ وَيُذَلُّ وَيُقَاتَلُ ظَاهِراً، لِأَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ الشَّرْعِ وَالحِكْمَةِ. وَهَذَا الأَمْرُ فِي نَظَرِ العَارِفِينَ فَقَطْ، لَا فِي بِسَاطِ الشَّرِيعَةِ. وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

[1]- ع: (مرتبة) ساقطة

((لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، فَإِنَّ مَنْ عَلَا عَلَى العِبَادِ عَلَا عَلَى اللَّهِ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ)).

وَتَحْقِيقُ مَا فِي الحَدِيثِ هُوَ مَا قُلْنَاهُ أَوَّلاً، وَهُوَ أَنَّ **جَمِيعَ المَخْلُوقَاتِ مَرَاتِبٌ لِلْحَقِّ**، يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ فِي حُكْمِهِ وَفِي كُلِّ مَا أَقَامَ فِيهِ خَلْقَهُ لَا يُعَارَضُ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ حُكْمُ الشَّرْعِ مِنْ وَرَاءِ هَذَا يُتَصَرَّفُ فِيهِ ظَاهِراً لَا بَاطِناً، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ عَرَفَ وَحْدَةَ الوُجُودِ، فَيُشَاهِدُ فِيهَا الفَصْلَ وَالوَصْلَ، فَإِنَّ الوُجُودَ عَيْناً وَحْدَةٌ[1]، لَا تَجَزُّئَ فِيهَا عَلَى كَثْرَةِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا،

وَوَحْدَتُهَا لَا تُخْرِجُهَا عَنْ افْتِرَاقِ أَشْخَاصِهَا بِالأَحْكَامِ وَالخَوَاصِّ، وَهِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا عِنْدَ العَارِفِينَ، بِأَنَّ الكَثْرَةَ عَيْنُ الوَحْدَةِ وَالوَحْدَةُ عَيْنُ الكَثْرَةِ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ الوُجُودِ وَافْتِرَاقِ أَجْزَائِهِ، نَظَرَهُ عَيْناً وَحْدَةً[2] عَلَى كَثْرَتِهِ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى عَيْنِ الوَحْدَةِ، نَظَرَهُ مُتَكَثِّراً بِمَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنَ الكَثْرَةِ، وَهَذَا النَّظَرُ لِلْعَارِفِ فَقَطْ لَا غَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ الحِجَابِ، وَهَذَا لِمَنْ عَايَنَ الوَحْدَةَ ذَوْقاً لَا رَسْماً، وَهَذَا خَارِجٌ عَنِ القَالِ، وَمَعْنَى الوَصْلِ وَالفَصْلِ، فَالوَحْدَةُ هِيَ الوَصْلُ وَالكَثْرَةُ هِيَ الفَصْلُ. انْتَهَى.

ثُمَّ[3] وَرَاءَ هَذِهِ الحَقِيقَةِ تَجَلَّى لَهُمْ فِيهِمْ بِظُهُورِ حِجَابٍ كَثِيفٍ، غَطَّى عَلَيْهِمْ فِي ذَوَاتِهِمْ رُؤْيَةَ فِعْلِهِ وَتَحْرِيكِهِ وَتَسْكِينِهِ، وَرُؤْيَةَ قِيَامِهِ لَهُمْ فِيمَا أَرَادَ، وَأَعْطَاهُمْ بِحَسَبِ هَذَا التَّجَلِّي وَالحِجَابِ رُؤْيَةَ اسْتِبْدَادِهِمْ بِالفِعْلِ، وَرُؤْيَةَ اسْتِبْدَادِهِمْ بِالاخْتِيَارِ وَالحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَرُؤْيَةَ اسْتِبْدَادِهِمْ بِالتَّقَلُّبِ وَالتَّصَرُّفِ، حَيْثُ شَاؤُوا كَيْفَ[4] شَاؤُوا، بِلَا وَسْطَةٍ[5]

---

[1]- ع ك: واحدة

[2]- ع ك: واحدة

[3]- ع ك ل هـ ق ص ي: ثم من

[4]- ع ك ل هـ ق ص: وكيف

[5]- ك ل ي: واسطة

مَانِعٍ وَلَا حَجْرَ عَنِ الجَوَلَانِ فِي هَذَا المَيْدَانِ، يَرَوْنَ أَنْ لَا فَاعِلَ فِيهِمْ غَيْرُهُمْ، وَلَا يُحَرِّكُ[1] لَهُمْ سِوَاهُمْ، وَلَا دَافِعَ لَهُمْ فِي اخْتِيَارِهِمْ فِي نُفُوسِهِمْ.

وَعَلَى هَذَا التَّجَلِّي وَالحِجَابِ وَقَعَتْ الشَّرَائِعُ، وَبُعِثَتْ الرُّسُلُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَثَبَتَتْ الأَحْكَامُ وَالحُدُودُ، وَطُوِّقَ فِي أَعْنَاقِهِمْ رِبْقَةُ التَّكْلِيفِ بِالأَمْرِ الإِلَهِي، أَمْراً وَنَهْياً وَفِعْلاً وَتَرْكاً وَطَاعَةً وَمَعْصِيَةً وَوُجُوباً وَتَحْرِيماً، وَرُتِّبَ عَلَى ذَلِكَ ثُبُوتُ الجَزَاءِ فِي المَآلِ نَعِيماً وَعَذَاباً وَتَوْبِيخاً وَعِتَاباً، وَحَمْداً وَثَنَاءً. وَهَذَا التَّجَلِّي وَالحِجَابُ هُوَ الَّذِي بَسَطَ عَلَيْهِ الحِكْمَةَ وَالشَّرِيعَةَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ نُقْطَةِ دَائِرَةِ الفِطْرَةِ القُدْسِيَّةِ،** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى دَائِرَةِ الفِطْرَةِ القُدْسِيَّةِ هِيَ دَائِرَةُ الأَرْوَاحِ حَيْثُ خُلِقَتْ أَوَّلاً، وَنُقْطَتُهَا هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَالفِطْرَةُ هِيَ نَشْأَةُ الأَشْيَاءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَالفِطْرَةُ القُدْسِيَّةُ هِيَ كَوْنُهَا وُجِدَتْ عَلَى نِسْبَةِ حَضْرَةِ القُدُسِ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالشَّرَفِ، فَلَا تَعْرِفُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تُحِبُّ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُبَالِي بِغَيْرِهِ، وَلَا تُعَظِّمُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، فَهَذَا هُوَ القُدُسُ الَّذِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَفِي هَذَا المَيْدَانِ كَانَتْ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، حَتَّى أُخِذَ عَلَيْهَا العَهْدُ وَالمِيثَاقُ. فَحِينَئِذٍ عَرَفَتْ مَاذَا يُرَادُ بِهَا مِنَ العُبُودِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَحَمْلِ التَّكَالِيفِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ اللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ وَالأَحْكَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِمْ: **الآنَ الدَّائِمُ مَا هُوَ؟** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: الآنَ الدَّائِمُ عِنْدَ العَارِفِينَ، هُوَ دَوَامُ اسْتِمْرَارِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَفِيهِ يَنْدَرِجُ اسْمُ الزَّمَانِ، فَهُوَ فِي حَقِّ القَدِيمِ قَدِيمٌ، وَفِي حَقِّ الحَادِثِ حَادِثٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ وَحْدَةٌ[2]، مِثَالُهُ دَوَامُ وُجُودِ

---

[1]- ك ل: ولا محرك

[2]- ع ك: واحدة

الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، هُوَ عَيْنُ الزَّمَانِ الَّذِي هُوَ الزَّمَانُ السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ وَالوَقْتُ فَهُوَ صِفَةُ الحَقِّ، إِذْ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِصِفَةِ البَقَاءِ،

وَعَيْنُ هَذَا الزَّمَانِ فِي حَقِّ الحَادِثِ، حَادِثٌ لِانْحِصَارِهِ فِي تَقَاطُعِ الزَّمَانِ، مِنَ الدَّقَائِقِ وَالدُّرَجِ وَالسَّاعَاتِ وَالأَيَّامِ، وَالسِّنِينَ وَالقُرُونِ وَالأَحْقَابِ، فَهُوَ لَهَا أَيْ الزَّمَانُ وَالتَّقَاطِيعُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّوْحِ الَّذِي نُقِشَتْ عَلَيْهِ السُّطُورُ وَالحُرُوفُ، وَفِي اللَّوْحِ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى السُّطُورِ وَالحُرُوفِ مُتَقَطِّعٌ، وَإِذَا مُحِيَتْ الحُرُوفُ وَالسُّطُورُ[1] مَا بَقِيَ إِلَّا اللَّوْحُ، فَاللَّوْحُ هُوَ الآنَ الدَّائِمُ، وَتَقَاطِيعُ الزَّمَانِ هِيَ النُّقُوشُ عَلَى اللَّوْحِ وَالزَّمَانِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ النُّبُوءَةِ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ النُّبُوءَةِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَهِيَ شَرْطٌ فِيهَا، إِنْ نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهَا، فَلَيْسَتْ بِنُبُوءَةٍ، الأَوَّلُ: كَمَالُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ البَاطِنَةِ العِيَانِيَةِ، وَالإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، تَحَقُّقاً بِمَا[2] ثَبَتَتِ الإِحَاطَةُ بِهِ لِلنُّبُوءَةِ وَالصِّدِّيقِيَةِ لَا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ. الثَّانِي: إِيحَاءُ اللَّهِ إِلَيْهِ بِأَمْرٍ إِنْ شَاءَ يَتَعَبَّدُهُ بِهِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ إِنْ كَانَ نَبِيئاً، أَوْ بِالتَّبْلِيغِ لِغَيْرِهِ إِنْ كَانَ رَسُولاً. وَالثَّالِثُ: يَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَنْتَ نَبِيءٌ أَوْ أَنْتَ نَبِيئِي إِمَّا مِنْهُ إِلَيْهِ، أَوْ بِوَاسِطَةِ المَلَكِ. انْتَهَى. وَهَذَا الحَدُّ مَانِعٌ جَامِعٌ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الوُضُوحِ، كُلُّ مَنْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَرَفَ مَعْنَى النُّبُوءَةِ، وَزَالَ عَنْهُ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْ دُخُولِ الغَيْرِ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا، مَا أَوْضَحَ عِبَارَتَهُ وَمَا أَحْسَنَ إِشَارَتَهُ. انْتَهَى.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ الرَّبِّ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ الرَّبِّ هُوَ العَلِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الرَّبْوَةُ رَبْوَةً لِعُلُوِّهَا، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ المَالِكُ وَالمُتَصَرِّفُ، وَالخَالِقُ وَالقَاهِرُ، وَالنَّافِذُ حُكْمُهُ وَمَشِيئَتُهُ وَكَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا سِوَاهُ،

---

[1]- ك ي: السطور والحروف

[2]- ك: مما

وَحضْرَةُ الأُلُوهِيَةِ هِيَ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالحَضَرَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَحَقِيقَةُ الأُلُوهِيَةِ: هُوَ تَوَجُّهُ المَوْجُودَاتِ إِلَيْهِ بِالعِبَادَةِ، وَالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالفَقْرِ، وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ وَالمَحَبَّةِ. وَأَمَّا مَعْنَى الهُوِيَّةِ يُشَارُ بِهَا إِلَى الذَّاتِ العَلِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ شُهُوداً وَرُؤْيَةً عَارِيَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، مُتَبَاعِدَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، عِيَاناً وَحَقِيقَةً، فَإِنَّ الشَّخْصَ الظَّاهِرَ فِي المِرْآةِ تُرَى ذَاتُهُ طَالِعَةً فِي المِرْآةِ، وَلَا هُوَ حَالٌّ فِيهَا وَلَا مُقَارِبٌ لَهَا، بَلْ هُوَ مُفَارِقٌ لَهَا فِي كُلِّ وَجْهٍ وَمُغَايِرٌ لَهَا بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَتُرَى ذَاتُهُ فِي المِرْآةِ وَمَا هِيَ فِيهَا، وَالمِثَالُ يُغْنِي عَنْ بَسْطِ المَقَالِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ المُرَاقَبَةِ وَالمُشَاهَدَةِ،** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: حَقِيقَةُ المُرَاقَبَةِ فِي[1] حَقِّ أَهْلِ الحِجَابِ، هِيَ المُطْلَقَةُ عِنْدَ العَارِفِينَ، وَهِيَ عِلْمُ القَلْبِ بِاطِّلَاعِ الرَّبِّ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَبِدَوَامِهَا تَقَعُ المُشَاهَدَةُ، وَهُنَاكَ مُرَاقَبَةٌ أُخْرَى لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعَارِفِينَ، وَهِيَ اسْتِغْرَاقُ العَبْدِ فِي المُشَاهَدَةِ القُدْسِيَّةِ، بِمَحْقِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ عِلْماً وَعَمَلاً وَحَالاً وَذَوْقاً وَمُنَازَلَةً، وَتَحَقُّقاً وَتَخَلُّقاً وَإِحَاطَةً، وَحَقِيقَةُ المُشَاهَدَةِ هِيَ مُطَالَعَةُ القَلْبِ لِلْجَمَالِ القُدْسِيِّ، وَالمُشَاهَدَةُ صِفَةُ العَبْدِ، وَالتَّجَلِّي صِفَةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ معنًى يَتَّصِفُ بِهِ المُتَجَلِّي. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **دَائِرَةِ العَارِفِ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] بِمَا نَصُّهُ قَالَ: اتِّسَاعُ دَائِرَةِ العَارِفِ إِذَا رُفِعَ إِلَى مَحَلِّ القُرْبِ، إِنَّ لِلَّهِ صِفَةَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَالكَلَامِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ، كُلُّ صِفَةٍ مِنْ هَذِهِ تُحِيطُ بِجَمِيعِ الوُجُودِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهَا اخْتِلَاطُ الوُجُودِ بِذَوَاتِهِ، أَوْ بِأَلْفَاظِهِ أَوْ بِحَرَكَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُمَيِّزُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حِدَتِهِ، تَمْيِيزاً لَا يَخْتَلِطُ بِغَيْرِهِ لَا فِي سَمْعِهِ وَلَا فِي بَصَرِهِ، وَلَا فِي صِفَةٍ مِنْ بَاقِي صِفَاتِهِ.

---

[1]- ك: (في) ساقطة

[2]- ك: (رضي الله عنه) محذوفة

وَهَكَذَا العَارِفُ إِذَا رَفَعَهُ إِلَى مَحَلِّ القُرْبِ، يَصِيرُ سَمْعُهُ يَسْمَعُ كَسَمَاعِ الحَقِّ بِاتِّسَاعِ دَائِرَتِهِ، فَإِنَّهُ فِي ضَيْقِ الدَّائِرَةِ لَا يَحْمِلُ إِلَّا فَرْداً وَاحِداً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَا فِي الأَلْفَاظِ وَلَا فِي الذَّوَاتِ وَلَا فِي الحَرَكَاتِ، لِضَيْقِ دَائِرَتِهِ وَوِعَائِهِ، فَإِذَا ارْتَفَعَ إِلَى مَحَلِّ القُرْبِ، اتَّسَعَتْ دَائِرَتُهُ بِاتِّسَاعِ مَعْرُوفِهِ، فَحَمَلَ[1] مِنَ الأَكْوَانِ فِي الآنِ الوَاحِدِ، مِنَ الحَرَكَاتِ وَالذَّوَاتِ وَالأَلْفَاظِ ضَرْباً مَا وَسِعَهُ مَعْرُوفُهُ، فَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ أَصْوَاتُ الوُجُودِ فِي الآنِ الوَاحِدِ، وَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ذَوَاتُ الوُجُودِ فِي الآنِ الوَاحِدِ، وَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ حَرَكَاتُ الوُجُودِ فِي الآنِ الوَاحِدِ، سَمْعاً وَبَصَراً،

وَهَكَذَا فِي قَوْلِهِ: "وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا"، فَإِنَّ بَطْشَهُ يَتَّسِعُ بِاتِّسَاعِ القُدْرَةِ الأَزَلِيَّةِ. يَقْدِرُ مَثَلاً عَلَى أَنْ يَقْدُمَ الأَرْضَ كُلَّهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَهَكَذَا رِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَإِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْشِي الوُجُودَ بِرِجْلِهِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ. وَهَذَا مَعْنَى الحَدِيثِ كُنْتُ سَمْعَهُ إلخ.. وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى كُنْتُهُ، مَعْنَاهُ: كُنْتُ نَائِباً عَنْهُ بِجَمِيعِ صِفَاتِي، وَمَعْنَاهُ يَسْمَعُ بِسَمْعِ الحَقِّ، وَيَرَى بِبَصَرِ الحَقِّ[2] الخ مَا تَقَدَّمَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: المَعْرِفَةُ الحَقِيقِيَّةُ هِيَ أَخْذُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَخْذاً لَا يَعْرِفُ لَهُ أَصْلاً وَلَا فَصْلاً وَلَا سَبَباً، وَلَا يَتَعَقَّلُ فِيهِ كَيْفِيَّةً مَخْصُوصَةً، وَلَا يَبْقَى لَهُ شُعُورٌ بِحِسِّهِ وَشَوَاهِدِهِ، وَمَمْحُوَّاتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ[3]، بَلْ تَقَعُ عَنْ تَجَلٍّ إِلَهِي لَيْسَ لَهُ بِدَايَةٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا يُوقَفُ لَهُ عَلَى حَدٍّ وَلَا نِهَايَةٍ، وَمَحْقُ العَبْدِ مَحْقاً لَا يَبْقَى لَهُ شُعُورٌ بِشَيْءٍ وَلَا بِعَدَمِ شُعُورِهِ وَلَا بِمَحْقِهِ، وَلَا

---

[1]- ك: يحمل

[2]- ع: (الحق) ساقطة

[3]- ك: وإراداته

يُمَيِّزُ أَصْلاً مِنْ فَرْعِهِ وَلَا عَكْسَهُ، بَلْ لَا يَعْقِلُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الحَقُّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ عَنِ الحَقِّ فَهَذِهِ المَعْرِفَةُ الحَقِيقِيَّةُ،

ثُمَّ يُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ قُدْسِهِ فَيْضاً يُعْطِيهِ كَمَالَ التَّمْيِيزِ وَالتَّفْصِيلِ بَيْنَ المَرَاتِبِ وَخَوَاصِّهَا، وَمَا تُعْطِيهِ حَقَائِقُهَا فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا، وَتَفْصِيلِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَمَرَاتِبِ آثَارِهَا وَمَعَارِفِهَا وَعُلُومِهَا، وَهَذَا التَّمْيِيزُ يُسَمَّى بِالبَقَاءِ التَّامِّ وَالصَّحْوِ الكَامِلِ، وَالأَصْلُ الأَوَّلُ يُسَمَّى بِالفَنَاءِ التَّامِّ وَالصَّحْوِ الكَامِلِ[1]، وَلَا قِيَامَ لِهَذَا البَقَاءِ إِلَّا بِفَنَاءِ الفَنَاءِ الأَوَّلِ عَلَى أَصْلِهِ وَقَاعِدَتِهِ، وَمَتَى انْهَدَمَ الأَوَّلُ انْهَدَمَ الثَّانِي، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ[2] عَلَيْنَا[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَمَنْ تَجَلَّى[4] بِهَذَا الوَصْفِ المُتَقَدِّمِ، صَحَّ لَهُ الظُّهُورُ فِي الخَلْقِ وَالتَّقَدُّمُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَيْهِ يُلْقِي المُرِيدُ نَفْسَهُ، وَيَقْتَفِي آثَارَهُ وَيَمْتَثِلُ أَوَامِرَهُ، وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيهِ وَمُعَارَضَتَهُ وَلَوْ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا فَعَلَ هَذَا سَأَلَ مِنْ مَحْضِ فَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، بِإِظْهَارِ فَقْرِهِ وَلِسَانِ ذُلِّهِ، وَبِجَاهِ حَبِيبِهِ وَنَبِيِّهِ أَنْ يَرْحَمَهُ بِالفَتْحِ الأَكْبَرِ عَلَى يَدِ قُدْوَتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الفَتْحَ مِنْ غَيْرِ[5] أَبْوَابِهِ[6] طُرِدَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِأَسْبَابِهِ.

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: **قَاعِدَةٌ:** اعْلَمْ أَنَّ **الفَتْحَ وَالوُصُولَ إِلَى اللَّهِ فِي حَضْرَةِ المَعَارِفِ،** لَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا عَلَى يَدِ[7] أَصْحَابِ الإِذْنِ الخَاصِّ كَإِذْنِ الرِّسَالَةِ، وَمَتَى

---

[1]- ك: (وَالأَصْلُ الأَوَّلُ يُسَمَّى بِالفَنَاءِ التَّامِّ وَالصَّحْوِ الكَامِلِ) ساقطة

[2]- ع ك: انتهى ما أملاه

[3]- ل: (علينا) ساقطة

[4]- ع ك: تحلى

[5]- ع ك: (غير) ساقطة

[6]- ل: ومن لم يطلب الفتح من بابه

[7]- ع ك: أيدي

وَمَتَى فُقِدَ الإِذْنُ الخَاصُّ لَمْ يُوجَدْ مِنَ اللَّهِ فَتْحٌ وَلَا وُصُولٌ، وَلَيْسَ لِصَاحِبِهِ إِلَّا التَّعَبُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِمُطَالَعَةِ كُتُبِ التَّصَوُّفِ، وَسَارَ إِلَى اللَّهِ بِالنَّقْلِ مِنْهَا، وَالأَخْذِ عَنْهَا وَالرُّجُوعِ إِلَيْهَا وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، لَيْسَ لَهُ مِنْ سَيْرِهِ إِلَّا التَّعَبُ، وَلَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ، نَعْنِي مِنَ الوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ المَعَارِفِ وَالإِخْتِصَاصِ. وَأَمَّا الثَّوَابُ فَيَحْصُلُ لَهُ بِقَدْرِ إِخْلَاصِهِ، وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِمْ: **الفَقِيرُ ابْنُ وَقْتِهِ.** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهُ هُوَ مَا يَرَاهُ وَاجِباً عَلَيْهِ فِي وَقْتِهِ، يَنْتَهِجُهُ وَيَتْرُكُ مَا وَرَاءَهُ مِمَّا لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ. فَالمُرِيدُ يَنْظُرُ مَا كَانَ مَصْلَحَةً لَهُ فِي وَقْتِهِ، وَإِنْ فَارَقَهُ تَضَرَّرَ، فَيَنْتَهِجُهُ وَيَتْرُكُ مَا عَدَاهُ. هَذَا هُوَ المُرِيدُ الصَّادِقُ، وَالعَارِفُ بِاللَّهِ هُوَ[1] فِي كُلِّ وَقْتٍ بِحُكْمِ تَجَلِّيهِ، يُعْطِي لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَالعَالُونَ مِنَ العَارِفِينَ هُمْ مُرْتَقِبُونَ مَا يَبْرُزُ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، فَيُقَابِلُونَهُ بِالعُبُودِيَّةِ، وَالأَدَبِ[2] الَّتِي تَخْتَصُّ بِهِ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى مَعْنَاهُ: أَنَّ الفَقِيرَ ابْنَ وَقْتِهِ هِيَ لِأَصْحَابِ المُرَاقَبَةِ الكُبْرَى هُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، بِحَسَبِ مَا يُصَادِمُهُ مِنَ التَّجَلِّي، يَتَلَوَّنُ بِتَلَوُّنِ تَجَلِّيَاتِهِ فِي مُقَابَلَتِهَا بِالعُبُودِيَّةِ وَالأَدَبِ، لِيُعْطِيَ لِكُلِّ تَجَلٍّ حَقَّهُ مِنَ العُبُودِيَّةِ وَالأَدَبِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ **الفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالغَنِيِّ الشَّاكِرِ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: التَّفْضِيلُ بَيْنَ الفَقِيرِ الصَّابِرِ، وَالغَنِيِّ الشَّاكِرِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، وَالخِلَافُ فِي تَفْضِيلِ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ، مَعْرُوفٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ. قُلْتُ: وَمَحَلُّ الخِلَافِ إِنَّمَا هُوَ فِي أَهْلِ الحِجَابِ، دُونَ المُتَمَكِّنِينَ مِنَ الوُقُوفِ فِي بِسَاطِ الحَقَائِقِ، وَأَمَّا أَهْلُ الوُقُوفِ فِي بِسَاطِ الحَقَائِقِ، فَكُلٌّ مِنَ الغَنِيِّ وَالفَقِيرِ لَهُ شُكْرٌ وَصَبْرٌ.

---

[1]- ح: (هو) ساقطة

[2]- ك ي: والآداب

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ لِلنَّفْسِ وُلُوعاً بِهَوَاهَا وَمُمَازَجَةَ جِبِلِّيَّتِهَا وَبَشَرِيَّتِهَا، فَفِي الفَقْرِ بِنُفُورِهَا عَنْهُ، وَاشْتِغَالِهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الهَرَبُ مِنَ الفَقْرِ، طَلَباً لِلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَهُرُوباً[1] مِنْ عَذَابِ الفَقْرِ وَنَكَالِهِ، وَفِي هَذَا الأَمْرِ، لِلنَّفْسِ شُغْلٌ[2] لَهَا عَنْ قِيَامِهَا بِالحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، وَبُعْدٌ[3] لَهَا[4] عَنِ الاتِّصَالِ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، كَمَا أَنَّهَا فِي الغِنَى تُرِيدُ الخُرُوجَ إِلَى الرَّاحَةِ وَالأَمْنِ، وَالتَّمَتُّعَ بِلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، إِخْلَاداً إِلَى أَرْضِ الطَّبِيعَةِ وَالجِبِلَّةِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَيْضاً شُغْلٌ[5] لَهَا عَنِ القِيَامِ بِالحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، وَبُعْدٌ[6] لَهَا عَنِ الاتِّصَالِ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ[7].

وَهَاتَانِ هُمَا[8] الفِتْنَتَانِ فِي البَلَاءَيْنِ، اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: **(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)**[9] يَعْنِي فِيهِمَا لِأَنَّ اتِّصَالَ النَّفْسِ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، مُمِيتٌ لَهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا وَحُظُوظِهَا وَمَأْلُوفَاتِهَا، فَخَرَجَ لَهَا عَنْ مُقْتَضَى جِبِلَّتِهَا وَطَبِيعَتِهَا، فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّفْسِ فِي ذَلِكَ المَيْدَانِ، إِلَّا ظُهُورُ الوُجُودِ بِالحَقِّ لِلحَقِّ فِي الحَقِّ عَنِ الحَقِّ، مَعَ تَمْيِيزِ المَرَاتِبِ وَتَفْصِيلِ جُمَلِهَا، وَتَفْصِيلِهَا وَمَعْرِفَةِ خَوَاصِّهَا، وَإِعْطَائِهَا

---

[1]- ح: وهروب

[2]- ع ك: شغلا

[3]- ع ك: وبعدا

[4]- ل: وبعدها

[5]- ع ل: شغلا

[6]- ع ل: وبعدا

[7]- ك: هذه الفقرة، من قوله: " كَمَا أَنَّهَا فِي الغِنَى تُرِيدُ الخُرُوجَ".. إلى قوله " عَنِ الاتِّصَالِ بِالحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ" سقطت برمتها

[8]- ك: وهذان هي

[9]- سورة الأنبياء، الآية 35

لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَهُوَ عَيْنُ القِيَامِ بِتَكْمِيلِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، فَلَهُ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ تَكْمِيلُ القِيَامِ بِحُقُوقِ كُلِّ تَجَلٍّ مِنَ التَّجَلِّيَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَبِحَقِّ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُتَّصِفٌ بِالقِيَامِ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْهِ حُكْمُ وَقْتِهِ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَالغَنِيُّ كَامِلُ الشُّكْرِ بِتَكْمِيلِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَةِ، ثَابِتُ الصَّبْرِ بِزَمِّ النَّفْسِ عَنِ الإِخْلَادِ إِلَى أَرْضِ طَبِيعَتِهَا وَجِبِلَّتِهَا مَعَ شِدَّةِ مَيْلِهَا لِذَلِكَ وَكَمَالِ هُبُوطِهَا، فَهُوَ فِي مُقَاسَاتِ زَمِّهَا فِي تَعَبٍ شَدِيدٍ فَهُوَ صَابِرٌ شَاكِرٌ، لِأَنَّهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ لَمْ يَكُنْ قِيَامُهُ فِي الغِنَى لِحَظِّ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالثُّبُوتِ فِيمَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، فَبَانَ لَكَ أَنَّهُ صَابِرٌ شَاكِرٌ، لِكَوْنِهِ يَشْهَدُ نَفْسَهُ خَلِيفَةً لَهُ فِيمَا وَلَّاهُ عَلَيْهِ مِنَ الأَمْوَالِ، بِمَنْزِلَةِ الوَكِيلِ لِرَبِّ المَالِ، يُعْطِي إِذَا أَمَرَهُ رَبُّ المَالِ بِالعَطَاءِ، وَيُمْسِكُ إِذَا أَمَرَهُ رَبُّ المَالِ بِالإِمْسَاكِ. يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)**[1].

وَأَمَّا الفَقِيرُ فَإِنَّهُ إِذَا اتَّصَفَتْ نَفْسُهُ بِالاتِّصَالِ بِالحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَطَالَعَ عَيْنَ الجَمَالِ القُدْسِيِّ، فَهُوَ فِي فَقْرِهِ صَابِرٌ شَاكِرٌ أَيْضاً، وَشُكْرُهُ تَكْمِيلُهُ لِلْقِيَامِ بِحُقُوقِ التَّجَلِّيَاتِ الإِلَهِيَةِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَبِحُقُوقِ مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ، فَهُوَ يُعْطِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، لَا تَطْرَأُ عَلَيْهِ الغَفَلَاتُ، وَلَا تُدْهِشُهُ مُعْضِلَاتُ التَّنَزُّلَاتِ، إِذْ[2] صَارَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ قِيَامُهُ لِلَّهِ بِاللَّهِ مِنَ اللَّهِ عَنِ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ اللَّهِ أَخْبَارٌ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ،

وَبِحَسَبِ تَكْمِيلِهِ لِهَذِهِ الحُقُوقِ، يَصِيرُ كَامِلَ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ، وَصَبْرُهُ هُوَ زَمُّهُ لِنَفْسِهِ عَنِ المَيْلِ لِمُقْتَضَى طَبْعِهَا وَجِبِلَّتِهَا، وَعَنْ هُبُوطِهَا إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، بِالمَيْلِ إِلَى الرَّاحَاتِ

---

[1]- سورة الحديد، الآية 7.

[2]- ع ل ي: إذا

وَاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالتَّمَتُّعِ بِمُقْتَضَيَاتِ الحُظُوظِ[1] بِشِدَّةِ الهَرَبِ، وَالبُعْدِ عَنْ أَضْدَادِهَا مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالتَّنْغِيصِ الَّتِي هِيَ لَوَازِمُ الفَقْرِ، فَهُوَ أَيْضاً صَابِرٌ شَاكِرٌ[2]، إِذْ لَمْ يَكُنْ قِيَامُهُ فِي الفَقْرِ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ ثَابِتُ القِيَامِ فِيمَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ،

فَظَهَرَ لَكَ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي هَذَا المَيْدَانِ، إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا تَكُونُ هُنَاكَ بَعْضُ هَنَّاتٍ لِلْغَنِيِّ بِمُلَاحَظَةِ التَّلَذُّذِ بِالرَّاحَةِ مِنَ الأَلَمِ الَّذِي يَجِدُهُ الفَقِيرُ فِي نَفَقَةِ الأَهْلِ وَالأَوْلَادِ وَالأَصْحَابِ وَغَيْرِهِمْ، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَازِمٌ لِلْبَشَرِيَّةِ دُونَ الرُّوحِ، وَهُنَاكَ أَيْضاً هَنَّاتٌ لِلْفَقِيرِ بِوُجُودِ الأَلَمِ وَالتَّنْغِيصِ وَالضِّيْقِ وَالحَرَجِ فِي مَقَامِ بَشَرِيَّتِهِ فَقَطْ، لِمُطَالَبَتِهِ بِمَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَقَةِ الأَهْلِ وَالأَوْلَادِ وَالأَصْحَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَبِحَسَبِ هَذِهِ الهَنَّاتِ يَكُونُ صَبْرُهُمَا وَشُكْرُهُمَا، وَيَدْخُلُهُمَا الخِلَافُ فِي التَّفْضِيلِ، وَإِذَا انْتَقَلَ الفَقِيرُ إِلَى مَقَامِ التَّلَذُّذِ بِالفَقْرِ وَابْتِهَاجِهِ بِنَعِيمِهِ، فَلَا صَبْرَ لَهُ حِينَئِذٍ إِنَّمَا هُوَ شَاكِرٌ فِي كُلِّ حَالٍ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الغَنِيِّ الشَّاكِرِ، وَهَذَا يُنَالُ بِمَحْضِ المَوْهِبَةِ، لَيْسَ لِلْكَسْبِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَمِعْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: **الجَهْلُ بِاللَّهِ تَعَالَى[3] عَيْنُ الكُفْرِ الصُّرَاحِ**، المُجْمَعِ عَلَى خُلُودِ صَاحِبِهِ فِي النَّارِ أَبَداً، وَالجَهْلُ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ عَيْنُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَصَرِيحِ الإِيمَانِ المُجْمَعِ عَلَى خُلُودِ صَاحِبِهِ فِي الجَنَّةِ أَبَداً. فَأَمَّا الجَهْلُ الَّذِي هُوَ عَيْنُ الكُفْرِ، فَهُوَ الجَهْلُ بِمَرْتَبَةِ أُلُوهِيَتِهِ، بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الكَمَالَاتِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، وَمَا تَتَنَزَّهُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهِ المُسْتَحِيلَاتِ، فَهَذَا هُوَ عَيْنُ الكُفْرِ بِاللَّهِ.

وَأَمَّا الجَهْلُ الثَّانِي: فَهُوَ الجَهْلُ بِالحَقِيقَةِ الَّذِي هُوَ كُنْهُ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ، فَإِنَّ هَذَا الجَهْلَ هُوَ صَرِيحُ الإِيمَانِ وَكَمَالُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، إِذْ حَقِيقَةُ العَجْزِ عَنْ دَرْكِ

---

[1]- ع ك: الحقوق

[2]- ع ك ي: صابر وشاكر

[3]- ك ل ي: (تعالى) محذوفة

المَعْرِفَةِ بِالكُنْهِ، هُوَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَنْ ادَّعَى مَعْرِفَةَ الكُنْهِ فَقَدْ كَفَرَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِيضَاحِ وَحْدَةِ الوُجُودِ وَبَيَانِهَا عَلَى مَذْهَبِ القَوْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِبْطَالِ[2] مَا قَالَ أَهْلُ الظَّاهِرِ مِنْ إِحَالَةِ الوَحْدَةِ، وَبُطْلَانِ مَا أَلْزَمُوهُ لِمَنْ قَالَ بِهَا. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** بَيَانُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ. **الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أَنَّ العَالَمَ الكَبِيرَ كَذَاتِ الإِنْسَانِ فِي التَّمْثِيلِ، فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا، وَجَدْتَهَا مُتَّحِدَةً مَعَ اخْتِلَافِ مَا تَرَكَّبَتْ مِنْهُ فِي الصُّورَةِ وَالخَاصِّيَةِ، مِنْ شَعْرٍ وَجِلْدٍ وَلَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعُصَبٍ وَمُخٍّ، وَكَذَلِكَ اخْتِلَافِ جَوَارِحِهِ وَطَبَائِعِهِ الَّتِي رُكِّبَتْ فِيهِ وَبِهَا قِيَامُ بُنْيَانِهِ[3]، فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا، ظَهَرَ لَكَ بُطْلَانُ مَا أَلْزَمُوهُ مِنْ نَفْيِ الوَحْدَةِ، لِاسْتِلْزَامِ تَسَاوِي الشَّرِيفِ وَالوَضِيعِ، وَاجْتِمَاعِ المُتَنَافِيَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ إِلَى آخِرِ مَا قِيلَ. قُلْنَا: لَا يَلْزَمُ مَا ذَكَرَهُ هُنَا، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ الخَوَاصُّ مُتَبَاعِدَةً، فَالأَصْلُ الجَامِعُ لَهَا ذَاتٌ وَحْدَةٌ، كَذَاتِ الإِنْسَانِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ.

الوَجْهُ الثَّانِي اتِّحَادُ ذَاتِ العَالَمِ فِي كَوْنِهِ مَخْلُوقاً كُلُّهُ لِلْخَالِقِ الوَاحِدِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَثَراً لِأَسْمَائِهِ، فَلَا يَخْرُجُ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ عَنْ هَذَا الحُكْمِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَنْوَاعُهُ، فَالأَصْلُ الَّذِي بَرَزَ مِنْهُ وَاحِدٌ، فَبِهَذَا النَّظَرِ هُوَ مُتَسَاوِي، فَيَلْزَمُ اتِّحَادُهُ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَجْزَاؤُهُ كَمَا ذُكِرَ فِي ذَاتِ الإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا تَخْتَلِفُ نِسَبُهُ بِحَسَبِ مَا فَصَّلَتْهُ مَشِيئَةُ الحَقِّ فِيهِ، مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، وَعَالٍ وَسَافِلٍ، وَذَلِيلٍ وَعَزِيزٍ، وَعَظِيمِ الشَّأْنِ وَحَقِيرِهِ، إِلَى آخِرِ النِّسَبِ فِيهِ،

---

[1]- ع ك ل هـ ق ص: (علينا) ساقطة

[2]- ح: وإبقاء

[3]- ع ك: وبها قام بنيانه.

وَلَمْ تُخْرِجْهُ تَفْرِقَةُ النِّسَبِ عَنْ وَحْدَةٍ ذَاتِيَةٍ، كَمَا أَنَّ ذَاتَ الإِنْسَانِ وَحْدَةٌ[1]، وَوَحْدَتُهَا لَا تُنَافِي اخْتِلَافَ نِسَبِ أَجْزَائِهَا، وَاخْتِصَاصُ كُلِّ جُزْءٍ بِخَاصِّيَّتِهِ، فَإِنَّ خَاصِيَّةَ اليَدِ غَيْرُ خَاصِيَّةِ الرِّجْلِ، وَخَاصِيَّتُهَا غَيْرُ خَاصِيَّةِ العَيْنِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الخَوَاصِّ وَالأَعْضَاءِ وَالأَجْزَاءِ، وَأَنَّ ارْتِفَاعَ وَجْهِهِ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ، وَانْخِفَاضُ مَحَلِّهِ فِي غَايَةِ الضَّعَةِ وَالإِهَانَةِ، لَمْ يُخْرِجْهُ[2] عَنْ كَوْنِ ذَاتِهِ وَحْدَةً[3] مَعَ اخْتِلَافِ الخَوَاصِّ، مِثْلُ مَا قُلْنَا فِي ذَاتِ الإِنْسَانِ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَزِيدَ[4] **وَجْهاً ثَالِثاً** فِي إِيضَاحِهِ وَهُوَ اتِّحَادُ وُجُودِهِ مِنْ حَيْثُ فَيَضَانُ الوُجُودِ عَلَيْهِ، مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ فَيْضاً مُتَّحِداً، ثُمَّ تَخْتَلِفُ خَوَاصُّهُ وَأَجْزَاؤُهُ بِحَسَبِ مَا تَفَصَّلَ ذَلِكَ الوُجُودُ، فَإِنَّهُ يَتَّحِدُ فِي عَيْنِ الجُمْلَةِ، وَيَفْتَرِقُ فِي حَالِ التَّفْصِيلِ، مِثَالُهُ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ المِدَادِ، فَإِنَّ الحُرُوفَ المُتَفَرِّقَةَ[5] فِي المِدَادِ، وَالكَلِمَاتُ المُتَنَوِّعَةُ وَالمَعَانِي المُخْتَلِفَةُ، الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهِ صُورَةُ المِدَادِ، لَمْ تُخْرِجْهُ عَنْ وَحْدَةِ مِدَادِيَتِهِ، فَإِنَّهُ مَا ثَمَّ إِلَّا المِدَادُ تَصَوَّرَ فِي أَشْكَالِهِ، الدَّالَّةِ عَلَى المَعَانِي المُخْتَلِفَةِ، وَالحُرُوفِ المُتَفَرِّقَةِ[6]، وَالخَوَاصِّ المُتَنَوِّعَةِ غَيْرِ المُؤْتَلِفَةِ وَلَا المُتَمَاثِلَةِ.

فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَيْنِ تِلْكَ الصُّوَرِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ حُرُوفُهَا وَكَلِمَاتُهَا لَمْ تَرَ إِلَّا المِدَادَ، تَجَلَّى فِي أَشْكَالِهَا بِمَا هُوَ عَيْنُ المِدَادِ، فَتَتَّحِدُ بِالمِدَادِيَةِ وَتَخْتَلِفُ بِالصُّوَرِ وَالأَشْكَالِ وَالكَلِمَاتِ وَالمَعَانِي، فَكَمَا أَنَّ المِدَادَ فِي تِلْكَ الحُرُوفِ عَيْنُ تِلْكَ الحُرُوفِ، وَالحُرُوفُ

---

[1]- ع ك ل: واحدة

[2]- ع: لم يخرج

[3]- ع ك ل: واحدة

[4]- ل: وزد

[5]- ك ل: المفترقة

[6]- ع ل: المفترقة

فِي ذَلِكَ المِدَادِ عَيْنُ تِلْكَ[1] المِدَادِ، وَهِيَ مُخْتَلِفَةُ الأَشْكَالِ وَالأَسْرَارِ وَالخَوَاصِّ وَالمَعَانِي إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، كَذَلِكَ نِهَايَةُ الوُجُودِ فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ عَيْنُ تِلْكَ الذَّوَاتِ،

وَتِلْكَ الذَّوَاتُ فِي ذَلِكَ الوُجُودِ عَيْنُ ذَلِكَ الوُجُودِ، وَهِيَ أَيْضاً مُخْتَلِفَةُ الأَشْكَالِ وَالأَسْرَارِ وَالخَوَاصِّ، فَوَحْدَتُهَا فِي عَيْنِ ذَلِكَ الوُجُودِ، لَمْ تُخْرِجْهَا عَنْ اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَسْرَارِهَا، وَمَعَانِيهَا وَخَوَاصِّهَا، وَلَا افْتِرَاقُهَا بِتِلْكَ الأَسْرَارِ وَالخَوَاصِّ وَالمَعَانِي يُخْرِجُهَا عَنْ وَحْدَتِهَا بِذَلِكَ الوُجُودِ، مِثْلُ مَا فِي الحُرُوفِ وَالمِدَادِ، كَمَا أَنَّ وَحْدَةَ المِدَادِ لَمْ تُخْرِجْهَا عَنْ اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَسْرَارِهَا، وَمَعَانِيهَا وَخَوَاصِّهَا، وَلَا افْتِرَاقُهَا فِي هَذِهِ الأُمُورِ يُخْرِجُهَا عَنْ اتِّحَادِهَا فِي ذَلِكَ المِدَادِ. **ثُمَّ قَالَ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ العَزِيزَ:** وَقَدْ اتَّضَحَ الحَقُّ لِمَنْ فَهِمَ، وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: **الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا الخَضِرَ مِنَ الأَفْرَادِ،** وَلَيْسَ نَبِيّاً عَلَى القَطْعِ، مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي القُرْآنِ فِي قَضِيَّتِهِ مَعَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[2]: (**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**)[3]

(**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**)[4]، لَوْ كَانَ نَبِيّاً مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا مُوسَى فِعْلَهُ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْلَمُ عِصْمَةَ النُّبُوءَةِ، وَأَنَّ صَاحِبَهَا لَا يَتَقَدَّمُ إِلَى فِعْلِ شَيْءٍ إِلَّا بِالأَمْرِ الإِلَهِي[5]، وَيَكُونُ الأَمْرُ فِي تِلْكَ القَضِيَّتَيْنِ الأَوَّلِيَّيْنِ[6] فِي القُرْآنِ وَهُمَا: خَرْقُ

---

[1]- ك ل: ذلك

[2]- ك: (تعالى) محذوفة

[3]- سورة الكهف، الآية 74.

[4]- سورة الكهف، الآية 71.

[5]- ع ك ل: إلا بأمر إلهي - ي: إلا بأمر

[6]- ك ل: الأولين

السَّفِينَةِ وَقَتْلُ الغُلَامِ، فَإِنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ المُسْتَقْبَحَةِ شَرْعاً وَطَبْعاً، فَإِنَّ العُقَلَاءَ اتَّفَقَتْ عَلَى قُبْحِ[1] ذِينَيْكِ[2] الفِعْلَيْنِ، وَالأُمُورُ الإِلَهِيَّةُ أَطْبَقَتْ كُلُّهَا عَلَى تَحْرِيمِهِمَا، لِأَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نَبِيءٌ، لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِمَا إِلَّا بِأَمْرٍ إِلَهِي لَا يُمْكِنُ تَرْكُهُمَا، وَحَيْثُ أَنْكَرَ عَلَيْهِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيءٍ.

وَأَيْضاً فِي الاسْتِدْلَالِ عَلَى عَدَمِ نُبُوءَتِهِ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الأَوَّلِ، إِذْ لَوْ كَانَ الخَضِرُ نَبِيئاً لَأَعْلَمَ اللَّهُ مُوسَى بِنُبُوءَتِهِ، لِأَجْلِ أَنْ لَا يُنْكِرَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الإِنْكَارَ عَلَى صَاحِبِ النُّبُوءَةِ تَضْلِيلٌ لَهُ، وَالمُضَلِّلُ لِلنَّبِيِّ كَافِرٌ وَسَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعْصُومٌ فَمَا تَجَرَّأَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: **(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً)** إِلَّا لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيءٍ، فَاتَّضَحَ لَكَ الأَمْرُ وَالحَمْدُ لِلَّهِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَاعِدَةٌ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ، أَنَّ **المَدَدَ الوَاصِلَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ،** هُوَ فِي كُلِّ عَصْرٍ يَجْرِي مَعَ الخَاصَّةِ العُلْيَا مِنْ خَلْقِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، فَمَنْ فَزِعَ إِلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الأَحْيَاءِ، مِنْ ذَوِي الخَاصَّةِ العُلْيَا وَصَحِبَهُمْ، وَاقْتَدَى بِهِمْ وَاسْتَمَدَّ مِنْهُمْ، فَازَ بِنَيْلِ المَدَدِ الفَائِضِ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ أَهْلِ عَصْرِهِ مُسْتَغْنِياً بِكَلَامِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الأَمْوَاتِ، طُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعِ الحِرْمَانِ، وَكَانَ مَثَلُهُ كَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ نَبِيٍّ زَمَانِهِ وَتَشْرِيعِهِ، مُسْتَغْنِياً بِشَرَائِعِ النَّبِيئِينَ الَّذِينَ خَلَوْا قَبْلَهُ، فَيُسَجَّلَ عَلَيْهِ بِطَابَعِ الكُفْرِ، وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ **الصُّحْبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلحَيِّ** قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((سَلِ العُلَمَاءَ وَخَالِطِ الحُكَمَاءَ وَاصْحَبِ الكُبَرَاءَ)) **فَالعَالِمُ** دَلَالَتُهُ عَلَى الأَمْرِ العَامِّ أَمْراً وَنَهْياً، بِمَا يُوجِبُ المَدْحَ عِنْدَ اللَّهِ

---

[1]- ع ك ي: (قبح) ساقطة

[2]- ك: ذينك

وَسُقُوطَ اللَّائِمَةِ عَلَى العَبْدِ، وَنِهَايَتُهُ الجَنَّةُ، **وَالحَكِيمُ** دَلَالَتُهُ عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالطَّهَارَةِ، مِنْ أَهْوِيَةِ النُّفُوسِ[1] وَمُتَابَعَةِ الهَوَى، وَنِهَايَتُهُ مَنَازِلُ القُرْبَةِ، **وَالكَبِيرُ** دَلَالَتُهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ حَيْثُ مَحْقُ[2] النَّفْسِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ التَّدْبِيرِ لَهَا بِكُلِّ مَا يَجْلِبُ المَصْلَحَةَ لَهَا دُنْيَا وَأُخْرَى، وَبِكُلِّ مَا يَدْفَعُ المَضَرَّةَ عَنْهَا دُنْيَا وَأُخْرَى، وَنِهَايَتُهُ اللَّهُ. **ثُمَّ قَالَ**: يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ الصُّحْبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلحَيِّ، إِذْ المَيِّتُ لَا يُصْحَبُ، وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُخَالَطُ. انْتَهَى.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ لَنَا مَرْتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ، تَنَاهَتْ فِي العُلُوِّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى حَدٍّ يَحْرُمُ ذِكْرُهُ، لَيْسَ هِيَ مَا أَفْشَيْتُهُ لَكُمْ، وَلَوْ صَرَّحْتُ بِهَا لَأَجْمَعَ أَهْلُ الحَقِّ وَالعِرْفَانِ عَلَى كُفْرِي، فَضْلاً عَمَّا عَدَاهُمْ، وَلَيْسَتْ هِيَ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكُمْ، بَلْ هِيَ مِنْ وَرَائِهَا، وَمِنْ خَاصِّيَّةِ تِلْكَ المَرْتَبَةِ أَنَّ مَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى تَغْيِيرِ قَلْبِي مِنْ أَصْحَابِنَا، بِعَدَمِ حِفْظِ حُرْمَةِ أَصْحَابِنَا، طَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ قُرْبِهِ وَسَلَبَهُ مَا مَنَحَهُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، وَنَصُّهُ قَالَ: **جَوَاهِرُ القَلْبِ سَبْعَةٌ**، وَالقَلْبُ فِيهِ سَبْعَةُ خَزَائِنٍ، كُلُّ خِزَانَةٍ مَحَلٌّ لِجَوْهَرَةٍ مِنَ الجَوَاهِرِ السَّبْعَةِ. فَالجَوْهَرَةُ الأُولَى: جَوْهَرَةُ الذِّكْرِ. وَالجَوْهَرَةُ الثَّانِيَةُ: جَوْهَرَةُ الشَّوْقِ. وَالجَوْهَرَةُ الثَّالِثَةُ: جَوْهَرَةُ المَحَبَّةِ لِلَّهِ وَالعِشْقِ. وَالجَوْهَرَةُ الرَّابِعَةُ: جَوْهَرَةُ السِّرِّ وَهُوَ غَيْبٌ مِنْ غُيُوبِ اللَّهِ

---

[1]- ع: النفس

[2]- ك ل ي: محو

[3]- ي: (علينا) ساقطة

[4]- ع ك: هذه الفقرة الأخيرة من قوله: " ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ لَنَا مَرْتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ.." إلى قوله: " طَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ قُرْبِهِ وَسَلَبَهُ مَا مَنَحَهُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" سقطت برمتها

تَعَالَى، لَا تُدْرَكُ مَاهِيَتُهُ، وَلَا تُعْرَفُ. وَالجَوْهَرَةُ الخَامِسَةُ: جَوْهَرَةُ الرُّوحِ. وَالجَوْهَرَةُ السَّادِسَةُ: جَوْهَرَةُ المَعْرِفَةِ. وَالجَوْهَرَةُ السَّابِعَةُ: جَوْهَرَةُ الفَقْرِ.

الجَوْهَرَةُ الأُولَى: جَوْهَرَةُ الذِّكْرِ إِذَا انْفَتَحَتْ فِي قَلْبِ العَبْدِ، يَكُونُ أَبَداً مُنْفَرِداً عَنْ وُجُودِهِ، غَائِباً عَنْ شُهُودِهِ، وَيُسَمَّى عِنْدَ السَّالِكِينَ ذُهُولاً عَنِ الأَكْوَانِ، وَطُمَأْنِينَةُ القَلْبِ بِذِكْرِ اللَّهِ. **وَالجَوْهَرَةُ الثَّانِيَةُ:** جَوْهَرَةُ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ[1] أَنْ يَكُونَ العَبْدُ أَبَداً فِي الشَّوْقِ وَالاشْتِيَاقِ إِلَى اللَّهِ، يَطْلُبُ المَوْتَ فِي كُلِّ نَفَسٍ، لِحَرَارَةِ الاشْتِيَاقِ مُشْتَعِلَةً فِيهِ.
وَالجَوْهَرَةُ الثَّالِثَةُ: جَوْهَرَةُ المَحَبَّةِ، فَإِذَا انْفَتَحَتْ فِي القَلْبِ يَكُونُ العَبْدُ أَبَداً رَاضِياً عَنِ اللَّهِ وَرَاضِياً بِحُكْمِهِ بِلَذَّةٍ، وَإِيثَارٍ لِذَلِكَ الرِّضَا عَلَى كُلِّ مَا عَدَاهُ، لَوْ وَقَعَ بِهِ فِي الوَقْتِ أَعْظَمُ الهَلَاكِ لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ.

وَالجَوْهَرَةُ[2] الرَّابِعَةُ: جَوْهَرَةُ السِّرِّ، وَهُوَ غَيْبٌ مِنْ غُيُوبِ اللَّهِ، لَا تُعْرَفُ مَاهِيَتُهُ، وَلَا تُدْرَكُ، وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ فِي كُلِّ حَالٍ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَقَعُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ أَصْلاً لِكَمَالِ طَهَارَتِهِ. **وَالجَوْهَرَةُ الخَامِسَةُ:** جَوْهَرَةُ الرُّوحِ وَهُوَ أَنْ يُكَاشَفَ بِحَقِيقَتِهَا وَمَاهِيَتِهَا كَشْفاً حَقِيقِياً حِسِّياً، حَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ جُمَلِهَا وَتَفْصِيلِهَا شَاذٌّ وَلَا فَاذٌّ[3]، وَهِيَ حَضْرَةُ وُرُودِ الاصْطِلَامِ سُكْراً وَصَحْواً وَمَحْقاً.
وَالجَوْهَرَةُ السَّادِسَةُ: جَوْهَرَةُ المَعْرِفَةِ، وَهُوَ تَمْكِينُ العَبْدِ مِنَ الفِعْلِ بَيْنَ حَقِيقَةِ الرُّبُوبِيَةِ وَالعُبُودِيَةِ، وَمَعْرِفَةِ كُلِّ حَقِيقَةٍ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا، وَهِيَ حَضْرَةُ البَقَاءِ وَالصَّحْوِ.

---

[1]- ك: وهي

[2]- ع ك: الجوهرة

[3]- ح ع ي هـ ق ص: شاذا ولا فاذا

وَالجَوْهَرَةُ السَّابِعَةُ: وَهِيَ جَوْهَرَةُ الفَقْرِ لِلَّهِ تَعَالَى[1] إِذَا انْفَتَحَتْ فِي العَبْدِ، يَشْهَدُ افْتِقَارَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاضْطِرَارَهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ، فَلَا يُزْعِجُهُ عَنْ هَذَا التَّمْكِينِ وُرُودُ كُلِّ خَطْبٍ مِنْ أَضْدَادِ فَقْرِهِ، وَمَنْ تَمَكَّنَ مِنْ هَذِهِ الجَوْهَرَةِ، صَارَ أَغْنَى الخَلْقِ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، بِحَيْثُ أَنْ لَا يُبَالِيَ بِجَمِيعِ الخَلْقِ أَحَبُّوهُ أَمْ أَبْغَضُوهُ[2]، أَمْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ أَمْ أَدْبَرُوا عَنْهُ لِكَمَالِ غِنَاهُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ تَمَكَّنَ مِنْ هَذِهِ الجَوْهَرَةِ، أَمِنَ مِنَ السَّلْبِ فِي حَضْرَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا نِهَايَةُ السَّالِكِينَ. إهـ

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ الذِّكْرِ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ[3] الذِّكْرِ أَدْنَى مَرَاتِبِهِ أَنْ يَنْسَى مَا دُونَهُ، وَأَعْلَاهُ هِيَ أَعْلَا مَرَاتِبِ الاصْطِلَامِ، وَأَعْلَا مَرَاتِبِ الاصْطِلَامِ أَنْ يَشْهَدَ نَفْسَهُ عَيْنَ ذَلِكَ الوُجُودِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالسُّحْقِ وَالمَحْقِ، وَحَقِيقَةُ الاصْطِلَامِ أَوَّلُهُ ذُهُولٌ عَنِ الأَكْوَانِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالسُّكْرِ، وَوَسَطُهُ فَنَاءٌ عَنِ الأَكْوَانِ مَعَ عِلْمِهِ بِفَنَائِهِ، وَأَعْلَاهُ فَنَاءٌ عَنِ الأَكْوَانِ وَفَنَاءٌ عَنْ فَنَائِهِ، وَالمَرْتَبَةُ العُلْيَا مِنْهُ أَنْ يَشْهَدَ نَفْسَهُ عَيْنَ ذَلِكَ الوُجُودِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالسُّحْقِ وَالمَحْقِ، وَحَقِيقَةُ السُّحْقِ وَالمَحْقِ عِبَارَتَانِ مُتَرَادِفَتَانِ وَهُمَا: فَنَاءُ العَبْدِ بِالكُلِّيَّةِ، قَالَ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

[1]- ع ك ي هـ ق ص: إلى الله تعالى

[2]- ح ك: بغضوه

[3]- ع: (حَقِيقَةُ) ساقطة

ومُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ فِي * وُجُودِي فَلَمْ تَعْثُرْ بِكَوْنِي حَقِيقَتِي[1]

وَقَالَ غَيْرُهُ:

حَيَّرْتَنِي فِي أَمْرِي مُذْ غِبْتَ عَنِّي حَتَّى * خَاطَبْتَنِي فِي سِرِّي مَنْ أَنْتَ قُلْتُ أَنْتَ

انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَحَبَّةِ الخَلْقِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **مَحَبَّةُ الخَلْقِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:** القِسْمُ الأَوَّلُ: مَحَبَّتُهُمْ لِلثَّوَابِ. وَالقِسْمُ الثَّانِي: مَحَبَّتُهُمْ لِآلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ. وَالقِسْمُ الثَّالِثُ: مَحَبَّتُهُمْ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الكَمَالِ وَالجَمَالِ. وَالقِسْمُ الرَّابِعُ: مَحَبَّتُهُمْ لِلذَّاتِ العَلِيَّةِ. أَمَّا مَحَبَّتُهُمْ لِلثَّوَابِ فَمَعْلُومَةٌ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُمْ لِآلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ، وَهَاتَانِ المَحَبَّتَانِ لِعَامَّةِ المُؤْمِنِينَ مِنْهُمَا حَظٌّ وَنَصِيبٌ، وَلَكِنْ قَدْ تَزُولَانِ هَاتَانِ المَحَبَّتَانِ بِزَوَالِ سَبَبِهِمَا.

وَأَمَّا القِسْمُ الثَّالِثُ مُسَبِّبُهَا ثَابِتٌ، وَهُوَ مَا عَلَيْهِ رَبُّنَا مِنْ أَوْصَافِ الكَمَالِ وَالعَظَمَةِ وَالجَمَالِ، وَهَذِهِ لِصِغَارِ الأَوْلِيَاءِ وَلَكِنْ لَا تَلْحَقُ المَرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ ، لِأَنَّ المَرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الأَسْبَابِ وَالعِلَلِ وَالأَوْصَافِ، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ فُتِحَ عَلَيْهِ، وَرُفِعَ عَلَيْهِ الحِجَابُ، وَشَاهَدَ أَسْرَارَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالمَوَاهِبِ وَالحَقَائِقِ وَالكَمَالَاتِ. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَفِي الحَدِيثِ دَلِيلُ المَرْتَبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

[1]- يقول العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه في هامش نسخته المباركة: قولهُ: وهِمْتَ بكسر الهاء، معناه صرت هائما في وجودي، والهائم هو الواقع في قفراء مُتْلِفَة، لا يعلم أين يتوجه من الطريق، فهذا الهائم، ومنذ عفا رسمي والرسم هو الحب المسمى غلا عنه وتاب عنه، وهَمت بفتح الهاء من الوهم، والوهم هو عدم الاهتداء إلى عين الشيء المطلوب، فلم تعثر بكوني حقيقتي فإن ذاته تلِفَتْ عنه لما هو فيه من تبديل الوجود. إهـ.. من لفظ سيدنا رضي الله عنه. انتهى ما وجد من خط المؤلف رحمه الله.

((أَحِبُّوا[1] اللَّهَ لِمَا يُغَذِّيكُمْ بِهِ مِنْ نِّعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي))
وَقَالَتْ رَبِيعَةُ العَدَوِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبُّ الهَوَى * وَحُبٌّ لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ

إِشَارَةٌ لِلْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ. ثُمَّ[2] **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَالمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ هِيَ الَّتِي تُورِّثُ الغَيْرَةَ لِصَاحِبِهَا. قِيلَ لِلشِّبْلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَتَى تَسْتَرِيحُ؟ قَالَ: إِذَا لَمْ نَرَ لَهُ ذَاكِراً غَيْرِي. وَقَالَ أَبُو يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِصَاحِبِهِ حِينَ قَالَ لَهُ وَهَلَّا[3] سَأَلْتَهُ المَعْرِفَةَ بِهِ؟ قَالَ لَهُ: اسْكُتْ غِرْتُ عَلَيْهِ مِنِّي[4] أَنْ يَعْرِفَهُ غَيْرُهُ[5]. وَقَالَ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا المَعْنَى:

فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى الحُبِّ وَادْعُ لِغَيْرِهِ * فُؤَادَكَ[6] وَادْفَعْ عَنْكَ غَيَّكَ بِالَّتِي
وَجَانِبْ جَنَابَ الوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ * وَهَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقاً مُتِ
هُوَ الحُبُّ إِنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَباً[7] * مِنَ الحُبِّ فَاخْتَرْ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتِي
فَقُلْتُ لَهَا رُوحِي لَدَيْكِ وَقَبْضُهَا * إِلَيْكِ فَمَنْ لِي أَنْ تَكُونَ بِقَبْضَتِي

---

[1]- ح: أحب
[2]- ح: (ثم) ساقطة
[3]- ح: وهل لا
[4]- ح: علي من
[5]- ح ي: غيري
[6]- ح: مرادك
[7]- ح: مآرب

وَقَالَ قَبْلَ هَذِهِ[1] المَوْضِعِ[2]:

فَقَالَتْ هَوَى غَيْرِي قَصَدْتَ وَدُونَهُ اقْ * تَصَدْتَ عَمِيّاً عَنْ سَوَاءِ مَحَجَّتِي

وَغَرَّكَ حَتَّى قُلْتَ مَا قُلْتَ لَابِساً * بِهِ شَيْنَ مَيْنِ لُبْسُ نَفْسٍ تَمَنَّتِ

وَفِي أَنْفَسِ الأَوْطَارِ أَمْسَيْتَ طَامِعاً * بِنَفْسٍ تَعَدَّتْ طَوْرَهَا فَتَعَدَّتِ

فَكَيْفَ بِحُبِّي وَهُوَ أَحْسَنُ خُلَّتِي * تَفُوهُ[3] بِدَعْوَى وَهُوَ أَقْبَحُ خُلَّةِ

وَأَيْنَ السُّهَى إِلَى آخِرِهِ . . .

وَقَالَ قَبْلَ هَذَا:

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الحُبِّ مَالِيَ مَذْهَبٌ * وَإِنْ مِلْتُ عَنْهُ يَوْماً فَارَقْتُ مِلَّتِي

وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ * عَلَى خَاطِرِي سَهْواً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

وَقَالَ فِي الكَافِيَةِ:

كُلُّ مَنْ فِي حِمَاكَ يَهْوَاكَ لَكِنْ * أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَ

انْتَهَى.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **التَّوْحِيدُ الخَاصُّ** قَالَ الجُنَيْدُ: عِلْمُ التَّوْحِيدِ مُبَايِنٌ لِوُجُودِهِ، وَوُجُودُهُ مُفَارِقٌ لِعِلْمِهِ، فَإِذَا تَنَاهَتْ عُقُولُ العُقَلَاءِ فِي التَّوْحِيدِ، تَنَاهَتْ إِلَى الحَيْرَةِ. قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ عَرَفَ الفَصْلَ وَالوَصْلَ وَالحَرَكَةَ

---

[1]- ح ي ل: هذا

[2]- ل: (الموضع) ساقطة

[3]- ح: تفوز

وَالسُّكُونَ، بَلَغَ القَرَارَ فِي التَّوْحِيدِ. انْتَهَى. وَوَجَدْتُ مُقَيَّداً مَا نَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا تَوْحِيدُ العَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُولُ لَهُمْ الحَقُّ مُخَاطِباً لَهُمْ:

يَا عِبَادِي فِيمَاذَا وَحَّدْتُمُونِي؟ وَبِمَاذَا وَحَّدْتُّمُونِي؟ وَمَا الَّذِي اقْتَضَى لَكُمْ تَوْحِيدِي؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَحَّدْتُمُونِي فِي المَظَاهِرِ، فَأَنْتُمْ القَائِلُونَ بِالحُلُولِ. وَالقَائِلُ بِالحُلُولِ غَيْرُ مُوَحِّدٍ، لِأَنَّهُ أَثْبَتَ أَمْرَيْنِ: حَالٌّ وَمَحَلٌّ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَحَّدْتُمُونِي فِي الذَّاتِ دُونَ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ، فَمَا وَحَّدْتُمُونِي، فَإِنَّ العُقُولَ وَالأَفْكَارَ لَا تَبْلُغُ إِلَيْهَا، وَالخَبَرُ مِنْ عِنْدِي، فَمَنْ جَاءَكُمْ بِهَا؟

وَإِنْ كُنْتُمْ وَحَّدْتُمُونِي فِي مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ، بِمَا تَحَمَّلَتْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ وَالذَّاتِيَةِ، مِنْ كَوْنِهَا عَيْنَ وَحْدَةٍ[1]، مُخْتَلِفَةَ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ وَالأَحْكَامِ، وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ وَسَائِرِ أَحْكَامِ مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ فَبِمَا وَحَّدْتُمُونِي؟ هَلْ بِعُقُولِكُمْ أَوْ بِي؟ وَكَيْفَ مَا كَانَ فَمَا وَحَّدْتُمُونِي، لِأَنَّ وَحْدَانِيَتِي مَا هِيَ بِتَوْحِيدِ مُوَحِّدٍ، لَا بِعُقُولِكُمْ وَلَا بِي، فَإِنَّ تَوْحِيدَكُمْ إِلَيَّ بِي هُوَ تَوْحِيدِي لَا تَوْحِيدُكُمْ، وَبِعُقُولِكُمْ كَيْفَ يُحْكَمُ عَلَيَّ بِأَمْرِ مَنْ خَلَقْتُهُ وَنَصَبْتُهُ.

وَبَعْدَ أَنِ ادَّعَيْتُمْ تَوْحِيدِي بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، وَفِي أَيِّ وَجْهٍ كَانَ، فَمَا الَّذِي اقْتَضَى لَكُمْ تَوْحِيدِي؟ إِنْ كَانَ اقْتَضَاهُ وُجُودُكُمْ، فَأَنْتُمْ تَحْتَ حُكْمِ مَا اقْتَضَاهُ مِنْكُمْ، فَقَدْ خَرَجْتُمْ عَنِّي فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟ وَإِنْ كَانَ اقْتَضَاهُ أَمْرِي، فَأَمْرِي مَا هُوَ غَيْرِي، فَعَلَى يَدِي مَنْ وَصَلَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ مِنِّي، فَمَنِ الَّذِي رَآهُ مِنْكُمْ؟ وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ مِنِّي، فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ يَا أَيُّهَا المُوَحِّدُونَ؟ كَيْفَ يَصِحُّ لَكُمْ هَذَا المَقَامُ وَأَنْتُمْ المَظَاهِرُ لِعَيْنِي وَأَنَا الظَّاهِرُ؟ وَالظَّاهِرُ يُنَاقِضُ الهُوِيَّةَ؟ فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟

لَا تَوْحِيدَ فِي المَعْلُومَاتِ، فَإِنَّ المَعْلُومَاتَ أَنَا وَأَعْيَانُكُمْ وَالنِّسَبُ وَالمَحَالَّاتُ، فَلَا تَوْحِيدَ فِي المَعْلُومَاتِ، فَإِنْ قُلْتَ فِي الوُجُودِ فَلَا تَوْحِيدَ، فَإِنَّ الوُجُودَ عَيْنُ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَاخْتِلَافُ المَظَاهِرِ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِ الظَّاهِرِ، فَنِسْبَةُ عَالِمٍ مَا هِيَ نِسْبَةُ جَاهِلٍ وَلَا

[1]- ع ك: واحدة

نِسْبَةُ مُتَعَلِّمٍ فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟ وَمَا ثَمَّ إِلَّا المَعْلُومَاتُ أَوْ المَوْجُودَاتُ. فَإِنْ قُلْتَ: لَا مَعْلُومَ وَلَا مَجْهُولَ، وَلَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ، هُوَ عَيْنُ التَّوْحِيدِ.

قُلْنَا: بِنَفْسِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي تَقْسِيمِ المَعْلُومَاتِ مَنْ يَقْبَلُ هَذَا الوَصْفَ، فَقَدْ دَخَلَ تَحْتَ قِسْمِ المَعْلُومَاتِ فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟ فَيَا أَيُّهَا المُوَحِّدُونَ اسْتَدْرِكُوا الغَلَطَ، فَمَا ثَمَّ إِلَّا اللَّهُ، وَالكَثْرَةُ فِي ثَمَّ وَمَا هُمْ سِوَاهُ، فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ التَّوْحِيدُ المَطْلُوبُ فِي عَيْنِ الكَثْرَةِ، قُلْنَا ذَلِكَ تَوْحِيدُ الجَمِيعِ فَأَيْنَ التَّوْحِيدُ؟ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ لَا يُضَافُ وَلَا يُضَافُ إِلَيْهِ. اسْتَعِدُّوا أَيُّهَا المُوَحِّدُونَ لِلْجَوَابِ عَنْ هَذَا الكَلَامِ، إِذَا وَقَعَ السُّؤَالُ.

فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ، فَبِحَقِيقَةٍ مَا نَالُوا ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ غُفِرَ لَهُمْ، مَا قَالُوا بِالشَّرِيكِ[1]، فَشَاهَدُوا الأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمِنْ أَيْنَ جَاءَهُمْ الشَّقَاءُ وَهُمْ بِهَذِهِ المَثَابَةِ، وَإِنَّ عَدَمَ المَغْفِرَةِ فِي حَقِّهِمْ ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ قُلْنَا: لِأَنَّهُمْ عَيَّنُوا الشَّرِيكَ فَأَشْقَاهُمْ تَوْحِيدُ التَّعْيِينِ، فَلَوْ لَمْ يُعَيِّنُوا لَسَعِدُوا، وَلَكِنَّهُمْ أَرْجَى مِنَ المُوَحِّدِينَ لِدَرَجَةِ العِلْمِ. جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ وَحَّدَهُ بِتَوْحِيدِ نَفْسِهِ جَلَّ عُلَاهُ. انْتَهَى[2].

فَسَأَلْتُ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ هَذَا التَّوْحِيدِ فَأَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَهُوَ تَوْحِيدُهُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالفَنَاءِ. قَالَ الجَرِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُلُّ إِشَارَةٍ أَشَارَ بِهَا الخَلْقُ إِلَى الحَقِّ، فَهِيَ مَرْدُودَةٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يُشِيرُوا إِلَى الحَقِّ بِالحَقِّ، أَرَادَ بِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ عُرُوُّ النِّسَبِ، حَيْثُ تَنْطَمِسُ النِّسَبُ فِي الذَّاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الَّذِي أَدْرَكَ هَذَا فِي كَمَالِ الفَنَاءِ، انْمَحَقَتْ الإِشَارَةُ وَالمُشِيرُ، فَلَيْسَ إِلَّا هُوَ بِنَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ[3] عَنْ نَفْسِهِ، فَلَا إِشَارَةَ وَلَا مُشِيرَ.

---

[1]- ع ل: بالشرك

[2]- ح ل: (انتهى) ساقطة ـ ي: بتوحيد نفسه جل وعلا. انتهى.

[3]- ح ع: (لنفسه) ساقطة

وَلِذَا قَالَ: لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا وَحَّدُوهُ المُوَحِّدُونَ فِي مَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ، لِيَنَالُوا بِذَلِكَ سَعَادَتَهُمْ وَقِيَامَهُمْ بِتَكْلِيفِهِمْ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ لَا لَهُ، لِأَنَّ الَّذِي لَهُ خَارِجٌ عَنْ نَفْسِهِ وَطُورِهَا، لَا شُعُورَ لَهُ بِهَا، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ. قَالَ الشِّبْلِيُّ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ لَهُ: أَسْأَلُ عَنِ الشِّبْلِي قَالَ لَهُ: مَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الأَحَدِيَّةِ فَلَا تَوْحِيدَ فِيهَا، لِأَنَّهَا إِنْ تَجَلَّتْ، إِنْ كَانَ الرَّائِي مُشْعَراً بِهَا فَلَا أَحَدِيَّةَ، إِذْ هُمَا اثْنَانِ، وَغَيْرَةُ الحَقِّ تَأْبَى عَنْ هَذَا، فَلَيْسَتْ هِيَ الأَحَدِيَّةَ، وَإِذَا انْمَحَقَ تَحْتَهَا، وَذَهَبَ شُعُورُهُ بِنَفْسِهِ وَبِفَنَائِهِ، فَلَا مُشَاهَدَةَ حِينَئِذٍ، إِنَّمَا هُوَ الحَقُّ بِنَفْسِهِ فِي نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَأَيْنَ الغَيْرُ حَتَّى تَتَجَلَّى لَهُ الأَحَدِيَّةُ؟ وَلِذَا أَجْمَعُوا العَارِفُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ التَّجَلِّي بِالأَحَدِيَّةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، كَذَلِكَ الذَّاتُ التَّجَلِّي بِهَا غَيْرُ مُمْكِنٍ، يَعْنِي الذَّاتَ المُطْلَقَةَ السَّاذَجَةَ العَارِيَةَ عَنِ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ، إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ، فَإِنَّهُ تَتَجَلَّى لَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الحِجَابُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الوُجُودِ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ عَائِشٌ فِي ظِلِّهِ، وَلَوْ زَالَتْ ظِلِّيَّتُهُ لَانْمَحَقَ الوُجُودُ كُلُّهُ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ.

فَلِلْفَرْدِ الجَامِعِ وِجْهَتَانِ: وِجْهَةٌ إِلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، فَهِيَ مُتَلَاشِيَةٌ فِيهَا، يَتَلَقَّى تَجَلِّيهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ العِزِّ وَالعَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَالجَلَالِ وَالعُلُوِّ، وَلَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ فِي الوُجُودِ عَلَى هَذَا إِلَّا هُوَ، وَلَهُ وِجْهَةٌ إِلَى الوُجُودِ يُفِيضُ عَلَى الوُجُودِ، مَا اقْتَضَتْهُ مَرْتَبَةُ الأُلُوهِيَةِ، فَهُوَ البَرْزَخُ الجَامِعُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَهَذَا الأَمْرُ لَا يُعْرَفُ بِالقَالِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِالذَّوْقِ وَالحَالِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَأَنْشَدَنِي سَيِّدُنَا هُنَا بَيْتاً وَهُوَ:

---

[1]- ك ع: (انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ساقطة ـ ي: انتهى ما أملاه علينا رضي الله تعالى عنه

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ * فَهْوَ المُرَادُ وَأَيْنَ ذَاكَ الوَاحِدُ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا البَيْتُ لَهُ مَعْنَيَانِ **المَعْنَى الأَوَّلُ**: وَهُوَ الشَّاهِدُ هُنَا، يَعْنِي إِذَا صَفَا لَكَ الوَاحِدُ مِنْ زَمَانِكَ. فَالمُرَادُ بِهِ هُوَ الإِلَهُ الحَقُّ، وَصَفَاؤُهُ هُوَ مَحْقُ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، حَتَّى لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا نِسْبَةَ، وَلَا تَوَهُّمَ وَلَا رَسْمَ وَلَا اتِّصَالَ، وَلَا انْفِصَالَ إِلَّا هُوَ فِيهِ مِنْهُ عَنْهُ لَهُ بِهِ، فَهَذَا هُوَ المُرَادُ الَّذِي تَوَجَّهَتْ الهِمَمُ كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَأَيْنَ ذَاكَ الوَاحِدُ الَّذِي صَفَا لَهُ الوَاحِدُ بِالصَّفَاءِ المَذْكُورِ؟ وَأَيْنَ ذَاكَ الوَاحِدُ دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ بُعْدِهِ؟
وَالمَعْنَى الثَّانِي: إِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ، يَعْنِي صَاحِبٌ وَهُوَ الوَاحِدُ، يُوفِي بِجَمِيعِ أَغْرَاضِكَ دَفْعاً وَجَلْباً، حَتَّى لَا يُقَصِّرُ عَنْكَ فِي شَيْءٍ، فَهَذَا الوَاحِدُ هُوَ المُرَادُ، وَأَيْنَ ذَاكَ الوَاحِدُ الَّذِي هَذَا وَصْفُهُ؟ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَحَقِيقَةُ التَّجَلِّي هُوَ الظُّهُورُ، وَالتَّجَلِّي بِالأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ، يَكُونُ لِكُلِّ عَارِفٍ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ، وَالفَرْدُ الجَامِعُ هُوَ المُحِيطُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَالعَارِفُ يَرَى فِي نَفْسِهِ أَنْ لَيْسَ ثَمَّ غَيْرُهُ يَتَجَلَّى بِتِلْكَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ إِلَّا هُوَ، وَهَكَذَا[2] لِكُلِّ عَارِفٍ، لَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ إِفَاضَةِ القُطْبِ عَلَيْهِ، لَوْ أَرَادَ القُطْبُ إِمْسَاكَهُ لَأَمْسَكَهُ عَنْهُ، وَكُلُّ عَارِفٍ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ إِلَّا القُطْبُ الجَامِعُ، فَإِنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ المَرَاتِبِ أَيّاً كَانَ حَتَّى مَرَاتِبَ المَلَائِكَةِ،

وَلَهُ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ التَّجَلِّي بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ بِقَدْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا نِهَايَةَ لِلَّهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكُلُّ عَارِفٍ يَرَى أَنَّ[3] الوُجُودَ دَاخِلٌ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ،

---

[1]- ح ل: هذه الفقرة أو الفقرتان، من قوله: " وَأَنْشَدَنِي سَيِّدُنَا هُنَا بَيْتاً وَهُوَ" إلى قوله " وَأَيْنَ ذَاكَ الوَاحِدُ الَّذِي هَذَا وَصْفُهُ؟ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" سقطت برمتها.

[2]- ك ل: وهذا

[3]- ح ع ك ي ل هـ ق ص: (أن) ساقطة

مَوْجُودٌ بِقُدْرَتِهِ، حَيٌّ بِحَيَاتِهِ، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ، فَلَهُ جَمِيعُ المَرَاتِبِ، وَلَهُ الاسْتِيلَاءُ عَلَى جَمِيعِ المَرَاتِبِ، وَلَهُ الذَّوْقُ فِي جَمِيعِ المَرَاتِبِ، وَلَهُ الإِحَاطَةُ الشَّامِلَةُ فِي جَمِيعِ المَرَاتِبِ، وَلَهُ المَنْعُ وَالعَطَاءُ فِي جَمِيعِ المَرَاتِبِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **الأَسْمَاءُ القَائِمَةُ الَّتِي يَطْلُبُهَا الكَوْنُ،** وَهِيَ الَّتِي لَا وُجُودَ لِلْكَوْنِ بِدُونِهَا، وَهِيَ الَّتِي تَعْثُرُ عَلَيْهَا العَارِفُونَ، هِيَ الأَسْمَاءُ العَالِيَاتُ، الَّتِي مَنْ عَرَفَهَا عَلِمَ مِنْهَا لِمَا وُجِدَتْ تِلْكَ الذَّاتُ، وَمَا مُرَادُ اللَّهِ مِنْهَا، وَمَا عَاقِبَةُ أَمْرِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَاسْتِقْرَارَهَا فِي الدَّارِ الآخِرَةِ. فَتَعْلَمُ مِنْ هَذَا، أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنَ الكَوْنِ لَهَا اسْمٌ، وَهَكَذَا أَجْزَاءُ الكَوْنِ كُلِّهِ ذَرَّةً ذَرَّةً.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَرَادَ الكَبِيرُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى كَوْنٍ مِنَ الأَكْوَانِ، فَيَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ بِاسْمِهِ الخَاصِّ بِهِ، فَيَاتِيهِ كَرْهاً، وَكَذَلِكَ عَسْكَرَةُ الأَسْمَاءِ، وَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ أَسْمَاءِ الكَوْنِ، وَهِيَ فِي التَّوَجُّهِ لِلْكَبِيرِ مِثْلُ أَسْمَاءِ الكَوْنِ سَوَاءً. وَهَذَا مِنَ المَكْتُومِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ لِلْعَامَّةِ. انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ جَمِيعَ[1] أَسْمَاءِ الكَائِنَاتِ لَيْسَتْ بِحَادِثَةٍ، أَيْ مَعَانِيهَا لَا حُرُوفُهَا وَأَصْوَاتُهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَكَلَّمَ بِهَا فِي أَزَلِهِ، فَحَيْثُ كَانَتْ مِنْ كَلَامِهِ فَهِيَ قَدِيمَةٌ. وَلَمْ يُسْبَقْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى هَذِهِ المَعَانِي، وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحْكَامٌ مِنَ القَدَرِ فِي خَلْقِهِ،** مِمَّا هُوَ مُخَالِفٌ لِصُورَةِ الشَّرْعِ، تَرِدُ عَلَى ذَلِكَ[2] الأَحْكَامِ أَحْكَامٌ مِنَ المُقَابَلَاتِ، تُسَمَّى بِلِسَانِ الحِكْمَةِ عُقُوبَاتٍ وَجَزَاءً، وَلَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ وُرُودِهَا، فَتَارَةً يَصْرِفُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تِلْكَ العُقُوبَاتِ الوَارِدَةَ عَلَى تِلْكَ الذُّنُوبِ، بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الصَّرْفِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ: كَسَبْقِ

---

[1]- ح: (إِنَّ جَمِيعَ) ساقطة

[2]- ك ل: تلك

صَدَقَةٍ أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَوْ إِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ أَوْ شَفَاعَةِ وَلِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الوُجُوهِ، وَتَارَةً تَرِدُ[1] العُقُوبَاتُ بِلَا صَارِفٍ[2]، فَتَتَلَقَّاهَا ذَوَاتُ أَهْلِ التَّصَرُّفِ، فَتَقَعُ فِي ذَوَاتِهِمْ. وَتَارَةً تَرِدُ[3] عَلَى ذَوَاتِ أَهْلِ التَّصَرُّفِ، فَتَقَعُ عَلَى أَصْحَابِهَا، وَمَنْ تَعَرَّضَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ، لِدَفْعِ ذَلِكَ عَنْهُمْ طَلَباً لِرَاحَتِهِمْ، سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا لَا تَخْرُجُ مَجَّاناً. انْتَهَى.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **لِلَّهِ تَصْرِيفٌ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ، يَجْعَلُ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ،** فَمَنْ حَفِظَهَا مِنْهُمْ مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَضْيِيعٍ، حَفِظَهَا اللَّهُ فِي يَدِهِ وَصَانَهُ بِهَا، وَجَعَلَهَا لَهُ بَرَكَةً، وَمَنْ ضَيَّعَهَا مِنْ يَدِهِ تَهَاوُناً بِهَا، ضَيَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَحْوَجَهُ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَجِدْهَا فِي يَدِهِ[4]. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **مَعْنَى أَنَّ كُلَّ وَلِيٍّ قَدَمُهُ عَلَى قَدَمِ نَبِيٍّ،** أَيْ يَذُوقُ ذَوْقَ ذَلِكَ النَّبِيِّ، وَيَتَوَجَّهُ تَوَجُّهَ ذَلِكَ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ، بَلْ يَحْصُلُ لَهُ قِسْطٌ وَنَصِيبٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ. انْتَهَى.

---

[1]- ك: ترد تلك

[2]- ك: (بلا صارف) ساقطة

[3]- ع ك ي هـ ق ص: تزيد

[4]- ح: (في يده) ساقطة

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اخْتِلَافُ عُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْلُوكٌ بِهِ طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ[1] الرُّسُلِ، أَعْنِي العُلَمَاءَ المُجْتَهِدِينَ بِالحَقِّ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَلَا يَصِحُّ إِنْكَارُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، لِكَوْنِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَاهِلٌ، وَالسَّلَامُ. اهـ مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[2] عَنْهُ[3].

وَسَمِعْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ[4] يَقُولُ: وَصْفٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ القَدِيمِ وَالحَادِثِ، وَحَقِيقَتُهُ وَاحِدَةٌ[5] لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ، وَلَكِنْ مَعَ القَدِيمِ يَكُونُ قَدِيماً، وَبِالنَّظَرِ لِلْحَادِثِ يَكُونُ حَادِثاً. قَالَ: هُوَ الآنَ الدَّائِمُ عِنْدَ العَارِفِينَ وَهَذَا مِنَ الإِشْكَالَاتِ الصَّعْبَةِ، وَلَا يَتَفَطَّنُ لَهُ إِلَّا أَهْلُ العِلْمِ بِاللَّهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ آمِينَ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى الدَّهْرِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **مَعْنَى حَقِيقَةِ الدَّهْرِ** هُوَ اسْتِمْرَارُ وُجُودِ الحَقِّ بِلَا بِدَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالبَقَاءِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي السِّيفِي دَائِماً مِنَ الدَّهْرِ إِلَى الدَّهْرِ بِأَلْوَانِ التَّسْبِيحِ مَعْنَاهُ. وَأَمَّا مَعْنَى مِنْ وَإِلَى فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ، وَلَا يُبْحَثُ فِيهِ، لِأَنَّهُ أَلْفَتْهُ البَصِيرَةُ النَّافِذَةُ، الَّتِي لَا يَطْرُقُهَا البَاطِلُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ.

قَالَ الشَّيْخُ سَيِّدِي أَبُو مَدْيَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنْ أَهْتِكَ حُرْمَةَ الشَّرِيعَةِ، لَدَخَلْتُ عَلَى

---

[1]- ك ي: طريق

[2]- ع ك ي: (تعالى) ساقطة

[3]- ع ك ي ل: (وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اخْتِلَافُ عُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْلُوكٌ بِهِ طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ الرُّسُلِ، أَعْنِي العُلَمَاءَ المُجْتَهِدِينَ بِالحَقِّ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَلَا يَصِحُّ إِنْكَارُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، لِكَوْنِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَاهِلٌ، وَالسَّلَامُ. اهـ مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) ساقطة

[4]- ع ك: (رضي الله تعالى عنه) ساقطة

[5]- ح ي: وحدة

الْمُخْدَرَاتِ فِي بُيُوتِهِنَّ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَنِي أَنَّ مَنْ وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهِ، أَوْ بَصَرُهُ عَلَيَّ حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَفَكَّرْتُ فِي **اخْتِصَاصِ سَيِّدِ الْوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَوْمِ الإِثْنَيْنِ**، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ لَمَّا كَانَ هُوَ الْوُجُودَ الثَّانِي، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ إِلَّا الوُجُودُ القَدِيمُ، وَكَذَلِكَ هَذَا اليَوْمُ هُوَ الثَّانِي مِنَ الأَيَّامِ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ إِلَّا يَوْمُ الأَحَدِ، فَلِهَذَا كَانَ تَقَلُّبُ أَطْوَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ، فِيهِ وِلَادَتُهُ، وَفِيهِ هِجْرَتُهُ، وَفِيهِ دُخُولُهُ لِطِيبَةَ، وَفِيهِ أُرْسِلَ،

وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فِي اخْتِصَاصِهِ بِيَوْمِ الجُمُعَةِ، وَتَقَلُّبِ أَطْوَارِهِ فِيهِ لِمُنَاسَبَةٍ وُجُودِيَةٍ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ هُوَ المَوْجُودُ الأَخِيرُ مِنَ المَوْجُودَاتِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ العَارِفِينَ بِالتَّجَلِّي الأَخِيرِ وَاللِّبَاسِ الأَخِيرِ، وَهَذَا اليَوْمُ هُوَ الأَخِيرُ مِنَ الأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا خَلْقَهُ. قَالَ تَعَالَى: **(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)**[1] وَفِي اليَوْمِ السَّابِعِ قَالَ تَعَالَى: **(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ)** [2] عَلَى مَا أَرَادَ وَعَلِمَ، وَلَمْ يَخْلُقْ فِيهِ مَخْلُوقاً، فَلِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ كَانَتْ أَطْوَارُ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَلْقٍ، وَدُخُولِ الجَنَّةِ وَخُرُوجِهِ مِنْهَا وَتَوْبَتِهِ فِيهِ. انْتَهَى.

ثُمَّ قِيلَ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَى هَذَا القِيَاسِ يَكُونُ يَوْمُ الاثْنَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، لِاخْتِصَاصِ أَطْوَارِ سَيِّدِ الوُجُودِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا، التَّفْضِيلُ أَمْرٌ إِلَهِي لَا عِلَّةَ لَهُ وَلَا قِيَاسَ، يُفَضِّلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ عَلَى مَا شَاءَ، فَمَا سُمِعَ مِنَ التَّفْضِيلِ بِمَخْلُوقٍ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ، وَخَبَرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ المُفَضَّلُ وَمَا لَا فَلَا. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- سورة الفرقان، الآية 59

[2]- سورة الفرقان، الآية 59

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ مِنَ المَحَلِّ؟ أَوْ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنِّي رَأَيْتُ فِي بَعْضِ التَّقَايِيدِ، نَقَلَ صَاحِبُهُ مِنْ كِتَابِ الشِّفَا لِابْنِ سَبْعٍ قَالَ: **إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ،** وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَحَلِّ الوِلَادَةِ، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ. هَكَذَا نَقَلَهُ ابْنُ سَبْعٍ،

وَلَعَلَّ المُسْتَبْعِدِينَ لِذَلِكَ يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ هَذَا كَمَا قِيلَ لَنُقِلَ وَتَوَاتَرَ لِأَنَّهُ أَهَمُّ الأُمُورِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الوِلَادَةَ يَحْضُرُهَا جَمْعٌ مِنَ النِّسْوَةِ، وَالنِّسْوَةُ أَشَدُّ النَّاسِ حِرْصاً عَلَى إِفْشَاءِ مَا يَرَوْنَ مِنَ العَجَبِ، فَلَوْ وَقَعَ هَذَا الخَارِقُ، لَرَأَيْنَهُ كُلُّ نِسْوَةٍ حَضَرْنَ لِوِلَادَةِ كُلِّ نَبِيٍّ مِنَ النَّبِيئِينَ، وَلَوْ وَقَعَ لَفَشَتْهُ[1] النِّسْوَةُ الحَوَاضِرُ، لِعَدَمِ صَبْرِهِنَّ عَلَى الكَتْمِ، وَلَوْ حَدَّثَ بِهِ النِّسْوَةُ لَتَوَاتَرَ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، فَدَلَّ عَدَمُ تَوَاتُرِهِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَسُكُوتُ النِّسْوَةِ عَلَيْهِ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِهِ، وَهُوَ الخُرُوجُ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ.

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا المَحَطِّ: أَنَّ هَذَا خَرْقٌ أَذِنَ اللَّهُ فِي سَتْرِهِ وَعَدَمِ إِفْشَائِهِ لِلْخَلْقِ، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي نَظَرَيْنِ: النَّظَرُ الأَوَّلُ: أَنَّ الإِخْفَاءَ لِمَا خَفِيَ وَالظُّهُورَ لِمَا ظَهَرَ، هُوَ أَمْرٌ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُظْهِرُ مَا يَشَاءُ بِسَبَبٍ أَوْ بِلَا سَبَبٍ، وَلَوْ تَوَفَّرَتْ دَوَاعِي الإِخْفَاءِ، وَيُخْفِي مَا يَشَاءُ[2] بِسَبَبٍ[3] أَوْ بِلَا سَبَبٍ، وَلَوْ تَوَفَّرَتْ دَوَاعِي الظُّهُورِ، وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ القَبِيلِ.

وَالنَّظَرُ الثَّانِي أَنَّ خُرُوجَ الصَّفْوَةِ العُلْيَا مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ، تَنْزِيهاً عَنْ مَحَلِّ القَذَرِ، فَيَكُونُ أَمْرُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ الأَغْلِقَةَ كُلَّهَا مِنَ الأُمِّ: مِنْ جِلْدٍ وَصِفَاقٍ وَأَرْحَامٍ حَتَّى يُخْرِجَهُ، وَيَرُدَّهَا كَمَا كَانَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَيَرُدَّهَا كَذَلِكَ، وَهَذَا غَيْرُ بَعِيدٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ

---

[1]- ع: لوشته

[2]- ك: ما شاء

[3]- ح ع: (بسبب) ساقطة

تَعَالَى، ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى الإِخْفَاءَ، أَلْقَى الغَفْلَةَ عَلَى النِّسَاءِ الحَوَاضِرِ، مِثْلَ أَنْ يَمْسَسْنَهَا[1] فَيَقُلْنَ: مَا زَالَ أَمْرُهَا مُتَأَخِّراً عَنِ الوِلَادَةِ وَهِيَ تَتَوَجَّعُ، فَيَغْفَلْنَ عَنْهَا فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى[2] المَرْأَةِ الوَالِدَةِ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ، فَيَخْرُجُ الوَلَدُ أَسْرَعَ[3] مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ،
وَيَرُدُّهَا إِلَى حَالَتِهَا الأُولَى فِي الالْتِمَامِ[4] فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَيُجْرِي الدَّمَ مِنْ مَحَلِّ الوِلَادَةِ، فَتَقُولُ النِّسْوَةُ: قَدْ خَرَجَ الوَلَدُ، فَيَأْتِي النِّسْوَةُ وَلَا يَرَيْنَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَحَلِّ الوِلَادَةِ لِوُجُودِ الدَّمِ، وَعَدَمِ وُجُودِ الدَّمِ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ، وَيَقَعُ الكَتْمُ مِنَ الأُمِّ الوَالِدَةِ لِلنَّبِيِّ بِأَمْرَيْنِ: الأَمْرُ الأَوَّلُ: إِلْقَاءُ سِرٍّ مِنَ الأَسْرَارِ الإِلَهِيَةِ عَلَى قَلْبِهَا، فَيَرْتَبِطُ القَلْبُ عَلَى الإِفْشَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ لِوُجُودِ ذَلِكَ السِّرِّ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**[5])[6] كَمَا رَبَطَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِنَّ فِي حَالِ الحَمْلِ، إِنْ رَأَيْنَ[7] شَيْئاً مِنَ الأَحْوَالِ الخَارِقَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوءَةِ ذَلِكَ الوَلَدِ فِي نَوْمٍ أَوْ يَقَظَةٍ، وَالأَمْرُ الثَّانِي: إِنْ أَرَادَتْ الأُمُّ الوَالِدَةُ إِفْشَاءَ ذَلِكَ، لَتَحَقَّقَتْ التَّكْذِيبَ مِنَ النِّسَاءِ الحَوَاضِرِ، لِظُهُورِ الدَّمِ فِي مَحَلِّ الوِلَادَةِ، وَعَدَمِ وُجُودِ الأَثَرِ مِنْ تَحْتِ السُّرَّةِ، لَا عَيْناً وَلَا أَثَراً[8] وَلَا شَاهِدَ يُصَدِّقُهَا، فَتَتَوَفَّرُ دَوَاعِي العَادَةِ عَلَى

---

[1]- ح: يمسسناها

[2]- ع ك: (على) ساقطة

[3]- ع ك: في أسرع

[4]- ع ك ل هـ ص: الإلتئام

[5]- ح ك ل هـ ص: (لتكون من المؤمنين) ساقطة

[6]- سورة القصص، الآية 10

[7]- ح ع: رأينا

[8]- ع: ولا أثر

تَكْذِيبِ مَا تَدَّعِيهِ إِنْ ادَّعَتْهُ، فَيَحْمِلُهَا تَحَقُّقُ هَذَا التَّكْذِيبِ عَلَى الكَتْمِ. فَإِذَا لَمْ يُنْقَلْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ شَيْءٌ. فَهَذَا هُوَ الجَوَابُ عَنْ هَذَا المَحطِّ. انْتَهَى.

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّهُ طَاهِرٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِذَلِكَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَحَلِّ القَذَارَةِ، فَكَيْفَ دَخَلَ مَعَهُ وَهُوَ نُطْفَةٌ؟ فَيَلْزَمُ أَيْضاً مَا هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَوَّلاً أَوْ نَقُولُ: خُلِقَ مِنْ رِيقِ أَبِيهِ، كَمَا قَالَهُ بَعْضُ مَنْ هَرَبَ مِنْ أَنَّ النُّطْفَةَ قَذِرَةٌ. **فَأَجَابَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** لَا يَصِحُّ كَوْنُهُ خُلِقَ مِنْ رِيقِ أَبِيهِ، بَلْ هُوَ مِنَ النُّطْفَةِ كَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ البَشَرِ، وَدَخَلَتِ النُّطْفَةُ مِنَ المَحَلِّ المَعْلُومِ كَغَيْرِهَا وَلَمْ تَكُنْ النُّطْفَةُ كَخُرُوجِهِ حِينَ الوِلَادَةِ، لِأَنَّهَا حِينَ الدُّخُولِ عَارِيَةٌ عَنِ الرُّوحِ، وَأَمَّا عِنْدَ الوِلَادَةِ فَبِسَبِبِ طَهَارَةِ الرُّوحِ الكَرِيمِ، خَرَجَتْ مِنْ غَيْرِ المَحَلِّ.

قَالَ السَّائِلُ: فَمَا تَقُولُ[1] فِي الرُّوحِ حِينَ كَانَتْ فِي الرَّحِمِ وَالدَّمُ مَعَهَا؟ **فَأَجَابَهُ:** أَنَّ الرَّحِمَ طَاهِرٌ، وَالدَّمُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الرَّحِمِ طَاهِرٌ كَذَلِكَ. انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ المَشْرِي حَفِظَهُ اللَّهُ بِمَنِّهِ. **وَمِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ،** وَأَنَّهَا مَقْبُولَةٌ قَطْعاً. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدَّلِيلُ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ أَنَّهُ قَطْعِيٌّ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ)**[2] الآيَةَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً)** إِلَى **(رَحِيماً)**[3] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)**[4] إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى القَبُولِ أَنَّهُ قَطْعِيٌّ، لِأَنَّهُ وَعَدَ التَّائِبَ بِالقَبُولِ، وَوَعْدُهُ لَا يَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ،

فَإِنْ قِيلَ عَلَى مَذْهَبِ الجُمْهُورِ: إِنَّ القَبُولَ القَطْعِيَّ المَأْخُوذَ مِنَ الوَعْدِ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ الأَفْرَادِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ العُمُومُ، **قُلْتُ:** إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ المَذْكُورَةَ عَامَّةٌ فِي جِنْسِ

---

[1]- ع ي ل هـ ق: نقول

[2]- سورة النساء، الآية 17

[3]- سورة الفرقان، الآية 70

[4]- سورة الشورى، الآية 25

التَّائِبِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى خُصُوصِهَا بِفَرْدٍ دُونَ آخَرَ، وَأَيْضاً إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا وَعَدَ بِأَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْ وَفَائِهِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ، بِخِلَافِ إِذَا أَوْعَدَ، فَإِنَّهُ مِنَ الكَرَمِ أَنْ يَتْرُكَهُ كُلَّهُ، وَلَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ نَقْصٌ، بَلْ مِنَ الكَمَالِ تَخَلُّفُ الوَعِيدِ دُونَ الوَعْدِ. وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)) وَفِي التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ المَاضِي إِشَارَةٌ إِلَى تَحْقِيقِ الوُقُوعِ، لِأَنَّ تِلْكَ حَقِيقَةُ المَاضِي.

فَإِنْ قِيلَ عَلَى مَذْهَبِ الجُمْهُورِ: لَوْ كَانَ القَبُولُ قَطْعِياً[1] لَزِمَ أَنْ لَا يَعْصِيَ[2] مَنْ تَابَ. **قُلْنَا:** لَا يَلْزَمُ، بَلْ كُلُّ ذَنْبٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ، وَلَا يَكُونُ نَقْضاً لِتَوْبَتِهِ الأُولَى لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَا أَصَرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ، وَلَوْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً)) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)) دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ تَوْبَتِهِ قَطْعاً، وَإِذَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَنْباً، رَجَعَ إِلَى التَّوْبَةِ وَهَكَذَا.

وَفِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا)) الحَدِيثُ إِشَارَةٌ إِلَى اعْتِنَائِهِ بِعَبْدِهِ التَّائِبِ مِنْ ذُنُوبِهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)**[3] وَلَوْ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ مَا أَحَبَّهُمْ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ قَبُولِ التَّوْبَةِ أَنْ تَقْطَعَ لِلتَّائِبِ بِالسَّعَادَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مُغَيَّبُ العَاقِبَةِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَيْضاً إِنَّ السَّعَادَةَ لَيْسَتْ مُتَوَقِّفَةً عَلَى فِعْلِ المَعَاصِي،

وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَلَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ)) هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ بِمَحْضِ الفَضْلِ، وَالنَّارِ بِمَحْضِ العَدْلِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ عَلَامَاتٌ فِي الظَّاهِرِ عَلَى مَا سَبَقَ، وَقَدْ تَوَافَقَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَقَدْ تَخَالَفَ، لِأَنَّ اللَّاحِقَ لَا يَكُونُ سَبَباً فِي السَّابِقِ كَمَا

---

[1]- ع: قطعا

[2]- ح: يعطي

[3]- سورة البقرة، الآية 222

قَالَهُ بَعْضُ المُحَقِّقِينَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي أَمَّنَهُ اللَّهُ وَحَفِظَ عُلَاهُ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]:

(فَهَذَا جَـوَابٌ عَـنْ سُـؤَالٍ مُهَذَّبٍ * أَتَـى بِنِظَامٍ رَائِقٍ مُـحْكَمِ الـوَصْفِ
فَمِنْهُ سُجُودُ المَرْءِ فَوْقَ الفِرَاشِ لَا * مُـصَـلَّاهُ فِـيـهِ كَـاللِّحَافِ وَكَـالقَطْفِ
تَـوَقَّفَ فِـيـهِ الـبَـعْضُ مِـنْ عُـلَمَائِنَا * وَشَـهَّرَ فِـيهِ الـمَنْعَ بَعْضٌ بِـلَا وَقْفِ
وَذَا كُـلُّهُ مَـا دَامَ رَخْـواً فَـإِنْ يَـكُنْ * تَـلَـبَّدَ قَالُـوا بِـالـجَوَازِ بِلَا ضَـعْـفِ)[3]

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: سَادَاتِنَا الأَعْلَامَ وَمَصَابِيحَ الأَنَامِ، جَوَابُكُمْ عَنْ اخْتِلَافِ[4] أَهْلِ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **فِي حَوْضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ هُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ أَوْ بَعْدَهُ؟** لِأَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: هُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ، وَدَلِيلُهُ حَدِيثُ أَنَّ مَنْ[5] بَدَّلَ أَوْ غَيَّرَ يُذَادُ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ بَعْدَ الصِّرَاطِ لَمْ يُذَدْ عَنْهُ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُوَ بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَدَلِيلُهَا حَدِيثُ: إِنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً، وَلَوْ كَانَ قَبْلَ الصِّرَاطِ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ.

وَمِنَ الأَمْرِ الَّذِي يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ[6]، أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْخُلُ النَّارَ، وَتَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ. نَجَّانَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ آمِينَ. وَقَالَ غَيْرُ الطَّائِفَتَيْنِ: إِنَّ لَهُ حَوْضَيْنِ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الصِّرَاطِ وَهُوَ

---

[1]- ل: (أمنه الله وحفظ علاه) ساقطة
[2]- ع ك ي: (رضي الله عنه) ساقطة
[3]- ع ك ي ل هـ ق ص: ما بين القوسين محذوف
[4]- ل: وسئل سيدنا رضي الله عنه عن خلاف
[5]- ك: (من) ساقطة
[6]- ع: الذي يجب عليه الإيمان بعده

الَّذِي يُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ أَوْ[1] غَيَّرَ، وَآخَرُ بَعْدَ الصِّرَاطِ وَهُوَ الَّذِي مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ لِأَنَّ مَا وَرَاءَهُ إِلَّا الجَنَّةَ.

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّهُ حَوْضٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ يَكُونُ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ قَبْلَ الصِّرَاطِ، حَتَّى يُذَادَ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ ثُمَّ إِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ يُذَادُ عَنْهُ، حُوِّلَ وَوُضِعَ بَعْدَ الصِّرَاطِ لِلشَّرَابِ مِنْهُ. وَانْتِقَالُ الأُمُورِ فِي الآخِرَةِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَرَدَتْ بِهِ الأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ خَبَرٌ فِي هَذَا بِعَيْنِهِ، كَمَا وَرَدَ أَنَّ النَّارَ تَأْتِي إِلَى أَهْلِ المَحْشَرِ، وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى مَوْضِعِهَا حَتَّى يَأْمُرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَحَلِّهَا، وَكَذَلِكَ وَرَدَ أَنَّ الجَنَّةَ تَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، كَمَا أَنَّ النَّارَ عَنْ شِمَالِهِ.

وَالمَعْلُومُ مِنَ الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ اليَوْمَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَنَّ الجَنَّةَ سَقْفُهَا العَرْشُ وَلَيْسَ هِيَ عَنْ يَمِينِهِ، كَمَا أَنَّ النَّارَ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فَالَّذِي قَالَهُ[2] سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كَوْنِ الحَوْضِ وَاحِداً، وَيَظْهَرُ مَرَّةً قَبْلَ الصِّرَاطِ وَمَرَّةً بَعْدَهُ، هُوَ الَّذِي تَتَمَشَّى عَلَيْهِ الأَخْبَارُ الوَارِدَةُ، وَلَمْ يُهْمَلْ مِنْهَا شَيْءٌ. وَسُئِلَ مِرَاراً عَنْ هَذَا بَعْدَ العِلْمِ بِاخْتِلَافِ العُلَمَاءِ فِيهِ، وَبَعْدَ العِلْمِ بِالأَخْبَارِ الوَارِدَةِ فِيهِ وَبِاخْتِلَافِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهِ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَّا بِالجَوَابِ الَّذِي أَجَابَ بِهِ أَوَّلاً وَلَمْ يَتَرَدَّدْ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الحَقَّ بِمَا أَجَابَ بِهِ حَيْثُ لَمْ يَتَرَدَّدْ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الجَمِيعِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **مُحْبِطَاتُ الأَعْمَالِ** مِنْهَا الرِّدَّةُ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ، وَمِنْهَا قَذْفُ المُحْصَنَاتِ، وَتَأْخِيرُ العَصْرِ إِلَى الغُرُوبِ، وَالاسْتِرْسَالُ فِي أَكْلِ الحَرَامِ، وَعَدَمُ إِعْطَاءِ الأُجْرَةِ لِصَاحِبِهَا، وَاحْذَرْ مِنَ العُجْبِ جُهْدَكَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ العَمَلَ. أَمَّا

---

[1]- ك: و

[2]- ح ل: قال

الرِّدَّةُ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى[1] فَلَهَا أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ قَوْلِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ وَهِيَ قَلِيلَةٌ، **أَمَّا القَوْلِيَّةُ** مِنْهَا مَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ، كَنِسْبَةِ الحُدُوثِ لِلْمَوْلَى تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

إِمَّا تَصْرِيحاً أَوْ إِلْزَاماً كَنِسْبَةِ الشَّرِيكِ لَهُ، وَالشَّرِيكُ إِمَّا تَصْرِيحاً، أَوْ بِنِسْبَةِ بَعْضِ أَفْعَالِ اللَّهِ لِغَيْرِهِ كَالقَدَرِيَّةِ، وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الجُهَّالِ، أَوْ بِقِدَمِ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ، وَمِنْهَا صُدُورُ التَّهَاوُنِ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ جَهْلاً أَوْ عِنَاداً، كَالشَّتْمِ وَالسَّبِّ، وَتَهَوُّرِ اللِّسَانِ فِي جَانِبِ الحَقِّ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ، أَوْ يُرِيدُ شَتْمَ العَبْدِ فَيُغَيِّرُ اسْمَ اللَّهِ أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، كَمَا شَاهَدْنَاهُ كَثِيراً فِي أَلْسِنَةِ العَامَّةِ، فِي أَسْمَاءِ العَبِيدِ المُضَافَةِ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ كَعَبْدِ الحَقِّ، وَعَبْدِ الكَرِيمِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَانِ، وَعَبْدِ الحَاكِمِ، وَعَبْدِ البَاقِي، وَعَبْدِ القَادِرِ، وَعَبْدِ البَرِّ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَعَبْدِ الغَنِيِّ، وَعَبْدِ الحَمِيدِ، وَعَبْدِ الرَّحِيمِ، وَعَبْدِ الغَفُورِ، وَعَبْدِ الغَفَّارِ، وَعَبْدِ السَّتَّارِ، وَعَبْدِ الحَلِيمِ، وَعَبْدِ الجَلِيلِ.

وَهَكَذَا حَتَّى تَعُدَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ المُضَافَةَ لِلْخَلْقِ، فَإِنَّ تَغَيُّرَهَا رِدَّةٌ، وَلَمْ يَعْذُرْ صَاحِبُهَا بِعَدَمِ قَصْدِهِ لِاسْمِ اللَّهِ وَلَا بِجَهْلِهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا البَابِ، وَكَذَلِكَ مَذْهَبُهُ فِيمَنْ بَدَّلَ حُكْمَ اللَّهِ لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ، مِمَّا[2] كَانَ النَّصُّ فِي عَيْنِهِ كَتَحْلِيلِ المُطَلَّقَةِ ثَلَاثاً لِزَوْجِهَا الأَوَّلِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ. وَقَالَ: إِنَّ الحَكَمَ هُوَ[3] وَصْفٌ مِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ غَيَّرَ وَصْفاً مِنْ أَوْصَافِ الحَقِّ[4] فَهُوَ مُرْتَدٌّ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

---

[1]- ح: (تعالى) ساقطة

[2]- ح: ممن

[3]- ح: (هو) ساقطة

[4]- ح: من أوصاف الله تعالى

وَصَدَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ عِنْدَهُمْ مَنْ اسْتَحَلَّ مُحَرَّماً مُجْمَعاً عَلَيْهِ كَفَرَ، وَكَذَلِكَ مَنْ جَحَدَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً كَالصَّلَاةِ، وَمِنْهَا التَّهَاوُنُ بِمَرْتَبَةِ النُّبُوءَةِ[1] وَالمَلَائِكَةِ: كَصُدُورِ شَتْمٍ أَوْ سَبٍّ أَوْ تَهَوُّرِ لِسَانٍ، أَوْ نُسِبَ إِلَيْهِمْ مَا يَحُطُّ قَدْرَهُمْ عَنْ مَرَاتِبِهِمْ العَلِيَّةِ، كَارْتِكَابِ المَنْهِيَّاتِ أَوْ عَيْبٍ فِي ذَوَاتِهِمْ وَمَا فِي مَعْنَاهُ. وَمِمَّا هُوَ فِي هَذَا البَابِ عَدَمُ الرِّضَا بِالقَدَرِ، وَالتَّسَخُّطُ عِنْدَ نُزُولِ المَصَائِبِ بِالعَبْدِ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُ جُهَّالِ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ: أَيُّ شَيْءٍ فَعَلْتُهُ تَحْتَكَ يَا رَبِّ حَتَّى فَعَلْتَ هَذَا بِي مِنْ دُونِ النَّاسِ؟ قَالَ سَيِّدُنَا وَأُسْتَاذُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَهَذِهِ رِدَّةٌ تَلْزَمُ التَّوْبَةُ مِنْهَا، لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ كَلَامُهُ نِسْبَةَ الظُّلْمِ لِخَالِقِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً عَنِ الظُّلْمِ وَالجُورِ.

وَكَذَلِكَ مَا يَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ الجُهَّالِ عِنْدَ الغَضَبِ يَقُولُ: لَا أَفْعَلُ هَذَا لَوْ قَالَهَا المُنَادِي، يَتَضَمَّنُ مِنْ هَذَا القَوْلِ الرِّدَّةُ أَيْضاً، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَوْ قَالَهَا اللَّهُ أَوْ الرَّسُولُ. فَلْيَحْذَرْ المُؤْمِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الشَّنِيعَةِ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً، وَيُحَذِّرُ جُهَّالَ المُسْلِمِينَ مِنْهَا، وَمِمَّا يَلْحَقُ بِهَذَا مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الكَشْفِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ قَالَ: مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا، يَمُوتُ عَلَى سُوءِ الخَاتِمَةِ، وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَعْوَى الوِلَايَةِ بِالكَذِبِ وَادِّعَاءُ المَشْيَخَةِ، وَهُوَ التَّصَدُّرُ لِإِعْطَاءِ الوِرْدِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الإِذَايَةِ لِلْخَلْقِ، وَكَثْرَةُ الزِّنَا، وَالكَذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَثْرَةُ النَّمِيمَةِ وَالغَيْبَةِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ جَمِيعِهَا.

وَمِمَّا يَلْحَقُ بِهَذَا البَابِ سَبُّ الأَوْلِيَاءِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ سَبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ[2] كُلِّهِمْ، فَهَذِهِ أَعْظَمُ أُمُورِ الرِّدَّةِ وَالمَوْتِ عَلَى سُوءِ الخَاتِمَةِ، ذَكَرْنَاهَا هُنَا تَحْذِيراً وَنَصِيحَةً لَهُمْ لِلَّهِ، فَهَذِهِ أَسْبَابُهَا قَبْلَ الوُقُوعِ فِيهَا، لِيَهْرُبَ مِنْهَا العَاقِلُ. **وَأَمَّا الخَلَاصُ مِنْهَا** بَعْدَ الوُقُوعِ فَبِالتَّوْبَةِ مِنْهَا. أَمَّا فِي المُهْلِكَاتِ غَيْرِ الرِّدَّةِ، فَبِمُجَرَّدِ التَّوْبَةِ يَتَخَلَّصُ مِنْهَا، إِلَّا

---

[1]- ع: الأنبياء

[2]- ك: من سب الأولياء

مَا كَانَ فِيهِ حُقُوقُ العِبَادِ، فَبِالتَّحَلُّلِ مِنْهُمْ وَالتَّوْبَةِ فِي الرِّدَّةِ. أَمَّا فِي السَّبِّ الصَّرِيحِ فِي جَانِبِ الرُّبُوبِيَةِ أَوْ[1] النُّبُوءَةِ، فَيُزَادُ مَعَ التَّوْبَةِ القَتْلُ حَدّاً، وَإِنْ تَابَ وَلَمْ يُقْتَلْ فَتَوْبَتُهُ صَحِيحَةٌ، وَأَمْرُهُ مُوَكَّلٌ إِلَى اللَّهِ.

وَأَمَّا فِي غَيْرِ السَّبِّ الصَّرِيحِ فَتَوْبَتُهُ صَحِيحَةٌ وَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ رِدَّتِهِ قُتِلَ كُفْراً، وَإِنْ كَانَ المُرْتَدُّ ذَا زَوْجَةٍ أَوْ ذَاتَ زَوْجٍ بَطُلَ نِكَاحُهَا، وَيَنْبَغِي لِمَنْ اسْتَفْتَاهُ أَنْ لَا يَحْكُمَ لَهُمَا بِطَلْقَةٍ لَا بَائِنَةٍ وَلَا رَجْعِيَّةٍ، بَلْ يَحْكُمَ لَهُمَا بِالفَسْخِ بَيْنَهُمَا. فَإِنْ تَرَاجَعَا فَلَا تَحْرُمُ الزَّوْجَةُ، وَإِنْ تَكَرَّرَ مِنْ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ ثَلَاثاً أَوْ أَكْثَرَ، وَأَمَّا إِنْ أَفْتَاهُمَا بِالطَّلَاقِ، رُبَّمَا يَتَكَرَّرُ مِنْ أَحَدِهِمَا الرِّدَّةُ، أَوْ يَكُونَ مَضَتْ لَهُمَا[2] طَلْقَةٌ أَوْ طَلْقَتَانِ[3]، وَلَمْ يَصْبِرَا عَلَى الرُّجُوعِ، فَيُؤَدِّيهِمَا إِلَى[4] ارْتِكَابِ مُحَرَّمٍ صَرِيحاً مَعَ دَعْوَى الحِلِيَّةِ وَالزَّوْجِيَّةِ، فَيَقَعُ فِي عَيْنِ الكُفْرِ الَّذِي أَرَدْنَا أَنْ نُخْرِجَهُ مِنْهُ، وَهُوَ تَحْلِيلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَهَذِهِ نُكْتَةُ فَسْخِ النِّكَاحِ بَيْنَ مَنْ ارْتَدَّ وَزَوْجِهِ بِهَا. كَذَا قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَمَتَّعَنَا بِرِضَاهُ آمِينَ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: سَيِّدَنَا أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّكَ وَارْتِقَاءَكَ، بَيِّنَ لَنَا **حَقِيقَةَ الكَشْفِ الصَّحِيحِ، إِذَا خَالَفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ مَاذَا يُقَدَّمُ؟** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ النَّصَّ الصَّرِيحَ، وَالكَشْفَ الصَّحِيحَ مِنْ أَرْبَابِهِ، لَا يَخْتَلِفُ لَا مَادَّةً وَلَا نِهَايَةً، فَكِلَاهُمَا وَاحِدٌ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، لِأَنَّ النَّصَّ الصَّرِيحَ مِنْ ذَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرَزَ، سَوَاءٌ كَانَ حَدِيثاً أَوْ قُرْآناً، وَالكَشْفُ الصَّحِيحُ لِأَرْبَابِهِ عَنْ فَيْضِ

---

[1] - ح ل: و

[2] - ك: له ـ ي: لهم

[3] - ي: أو طلقتين

[4] - ع ي: (إلى) ساقطة ـ ل: على

حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ فَاضَ، وَكِلَاهُمَا إِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمَا وَاسِطَةً، وَهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَنْشَأً.

فَلِذَا قُلْنَا لَا يَخْتَلِفَانِ، فَإِنَّ الكَشْفَ الصَّحِيحَ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ، بِتَصْرِيحٍ أَوْ تَلْوِيحٍ أَوْ تَضَمُّنٍ، فَإِنَّ المُكَاشَفَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ، إِذَا تَوَجَّهَ مُطَالِعاً لِلْحُكْمِ فِي عَيْنِ المَسْأَلَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا، إِنْ رَآهَا نُوراً أَوْ لَبِسَتْ نُوراً أَوْ أَحَاطَ بِهَا النُّورُ، دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ شَرْعاً، إِمَّا وُجُوباً أَوْ نَدْباً، وَإِنْ رَأَى المَسْأَلَةَ ظُلْمَةً أَوْ كَسَتْهَا ظُلْمَةٌ، أَوْ أَحَاطَتْ بِهَا ظُلْمَةٌ، دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مَطْلُوبٌ تَرْكُهَا شَرْعاً إِمَّا تَحْرِيماً وَإِمَّا كَرَاهَةً، وَإِنْ رَآهَا فِي كَشْفِهِ، لَمْ يَقَعْ عَلَيْهَا لَا[1] نُورٌ وَلَا ظُلْمَةٌ، دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مُبَاحَةٌ لَا يُطْلَبُ فِعْلُهَا وَلَا تَرْكُهَا لِذَاتِهَا.

وَقَدْ يَنْتَقِلُ حُكْمُ المُبَاحِ إِلَى الوُجُوبِ أَوْ التَّحْرِيمِ لِعَارِضٍ فِي الوَقْتِ، إِذَا كَانَ يُؤَدِّي ارْتِكَابُهُ إِلَى مُحَرَّمٍ، أَوْ كَانَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَحْصِيلِ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ، وَإِلَّا بَقِيَ فِي حَيِّزِ الإِبَاحَةِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ المُفْتُونَ فِي المَسْأَلَةِ فَاسْتَفْتِ فِيهَا قَلْبَكَ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لِلْعَارِفِ الكَامِلِ فَقَطْ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ الكَشْفِ الصَّحِيحِ لِبُعْدِ نَفْسِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ[2] حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ بِأَنْوَارِ القُدْسِ، فَكُلُّ مَا يَتَوَجَّهُ لَهُ فِي أُمُورِهِ هُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنْ فِي أُمُورِ دِينِهِ لَا فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ، فَإِنَّ أُمُورَ دُنْيَاهُ هُوَ فِيهَا كَسَائِرِ الخَلْقِ.

وَقَدْ حَكَى الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ كَثِيراً أَبْحَثُ عَنْ كَلَامِ القَوْمِ حَتَّى قَالَ لَهُ الحَقُّ فِي بَعْضِ وَقَائِعِهِ، نَاهِياً لَهُ عَمَّا يَبْحَثُ عَنْهُ مِنْ كَلَامِ القَوْمِ قَالَ لَهُ: تَعْرِيفِي لَكَ يُغْنِيكَ عَنْ عِلْمِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، مَا عَدَا عِلْمَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ. انْتَهَى. فَإِنَّهُ هُوَ الأَصْلُ المَرْجُوعُ إِلَيْهِ، لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ العِبَادِ إِلَّا النُّبُوءَةُ، وَمَنْ رَامَ الخُرُوجَ عَنْهَا أَعْنِي النُّبُوءَةَ، طَالِباً لِلْأَخْذِ عَنِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهَا، كَفَرَ وَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ،

---

[1]- ك: (لا) ساقطة

[2]- ح: فإن

وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ العَقْلَ يَأْخُذُ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، فَإِنَّهُ نَفَى الوَاسِطَةَ المَشْهُودَةَ، لَا يَشْهَدُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَقِّ أَصْلاً، لَكِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي نَفْسِهَا غَيْرُ مَشْهُودَةٍ لَهُ وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّهُ لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِ حَقِيقَتِهَا فَضْلاً عَنْ مُشَاهَدَتِهَا، فَإِنَّهَا أَخْفَى مِنَ السِّرِّ الخَفِيِّ، فَإِنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ يَأْخُذَ العِلْمَ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَمَا بَرَزَ لَهُ ذَلِكَ العِلْمُ إِلَّا مِنَ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهَا، وَإِنْ رَآهُ مِنَ الحَقِّ، فَإِنَّهُ مُغَطًّى عَلَيْهِ بِحِجَابِ التَّلْبِيسِ.

فَهَذَا مَعْنَى أَخْذِ العِلْمِ عَنِ اللَّهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَأَمَّا أَنْ يُتَوَهَّمَ أَنَّ العَقْلَ أَوْ غَيْرَهُ، يَأْخُذُ العِلْمَ[1] عَنِ اللَّهِ تَعَالَى[2] مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مُجَرَّداً عَنْهَا، فَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَهَذَا الوَهْمُ أَمْرٌ بَاطِلٌ، وَإِنَّمَا نَفَى الوَاسِطَةَ فِي حَقِّهِ نَفْياً شُهُودِياً لَا نَفْياً وُجُودِياً، فَإِنَّهُ فِي وَقْتِ الأَخْذِ عَنِ اللَّهِ يَنْمَحِقُ الآخِذُ مَحْقاً كُلِّياً، فَلَا يَبْقَى لَهُ شُعُورٌ بِنَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الوُجُودِ، فَيَسْمَعُ مَا يَسْمَعُ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ مِنَ الإِلْقَاءَاتِ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا الحَقُّ المُتَكَلِّمُ وَالآخِذُ لَا غَيْرُ.

وَقَدْ قُلْنَا فِي بَعْضِ الأَجْوِبَةِ، أَنَّهُ يَتَدَلَّى لِلْعَارِفِ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، يَأْخُذُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَيُغَطِّي عَنْهُ وُجُودَهُ مَعَ جَمِيعِ الوُجُودِ، وَيُرِيهِ ذَاتَهُ عَيْنِيَّةَ الحَقِّ، فَيَكُونَ نَاطِقاً لَا بِلِسَانِهِ، سَامِعاً وَرَائِياً[3] لَا بِأَيْنِيَّةٍ[4]، مُدْرِكاً لَا بِجَنَانِهِ[5]، بَلْ هُوَ بِالحَقِّ لِلْحَقِّ فِي الحَقِّ عَنِ الحَقِّ، إِدْرَاكاً وَإِحْسَاساً، وَشُهُوداً وَتَلَقِّياً، وَلَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ إِذَا صَادَمَهُ هَذَا السِّرُّ عَنِ[6]

---

[1]- ك: (العلم) ساقطة

[2]- ع ل: (تعالى) ساقطة

[3]- ع ك: سامعا رائيا

[4]- ع: لا بنية ـ ح: لا بخياله ـ ل: لا ينال

[5]- ل: مدركا بجنابة

[6]- ك ي: على

الخُرُوجِ عَنْ دَائِرَةِ حِيطَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا السِّرَّ إِذَا وَرَدَ عَلَى العَبْدِ، قَاهِرٌ بِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ غَالِبٌ بِسَطْوَةِ جَلَالِهِ، لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُ، إِلَّا إِذَا سَرَى مِنْهُ، وَالوِسَاطَةُ لِلْحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ فِي هَذَا، مَوْجُودَةٌ غَيْرُ مَشْهُودَةٍ، وَلَا مَعْقُولَةٍ وَلَا مَحْسُوسَةٍ. انْتَهَى.

قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ أَوْ كَمَا قَالَ: لَأَتَتْ الأَوْلِيَاءُ عَنِ اللَّهِ، بِمَا أَتَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. مَعْنَاهُ فِي غَيْرِ التَّشْرِيعِ، فَإِنَّ التَّشْرِيعَ بِإِحْدَاثِ حُكْمٍ لَمْ يَكُنْ سَابِقاً طَلَباً لِلْفِعْلِ، أَوْ طَلَباً لِلتَّرْكِ أَوْ تَعَبُّداً أَوْ إِبَاحَةً، أَوْ نَقْضِ حُكْمٍ سَابِقٍ فِي الشَّرِيعَةِ، فَتُبُدِّلَ بِحُكْمٍ آخَرَ، فَهَذَا لَا سَبِيلَ لِلْأَوْلِيَاءِ إِلَيْهِ، إِذْ هُوَ[1] مُتَوَقِّفٌ عَلَى النُّبُوءَةِ فَقَطْ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَاسْتَوَتْ فِيهِ النُّبُوءَةُ وَالوِلَايَةُ. انْتَهَى.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ: **مَنْ وَحَّدَ فَقَدْ أَلْحَدَ.** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَى الإِلْحَادِ هُوَ الخُرُوجُ عَنِ الجَادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ، فَإِنَّ العَارِفَ إِذَا وَحَّدَ بِتَوْحِيدِ العَامَّةِ فَقَدْ أَلْحَدَ، وَالعَامِّيُّ إِذَا وَحَّدَ بِتَوْحِيدِ العَارِفِ فَقَدْ أَلْحَدَ، يَعْنِي كَفَرَ، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْنَا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أَنْ نُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ)) أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا هَذَا مَعْنَاهُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ **المَحَبَّةِ الكَائِنَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا**، هَلْ هِيَ تَابِعَةٌ لِمَا وَقَعَ مِنَ الاجْتِمَاعِ وَالافْتِرَاقِ، وَالتَّقَابُلِ وَالتَّدَابُرِ لِلْأَرْوَاحِ حِينَ خَلَقَهَا اللَّهُ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَرَدَ فِي الحَدِيثِ المَعْلُومِ: (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ). ثُمَّ قَالَ: وَمَعْنَاهُ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا فِي الابْتِدَاعِ الثَّانِي، ائْتَلَفَ فِي الاخْتِرَاعِ الثَّانِي، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فِي الابْتِدَاعِ الثَّانِي، اخْتَلَفَ فِي الاخْتِرَاعِ الثَّانِي.

---

[1]- ع ك ي: هذا

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّ لَهَا ابْتِدَاعَيْنِ وَاخْتِرَاعَيْنِ: **الابْتِدَاعُ الأَوَّلُ:** هُوَ كَتْبُهَا فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَهَا وَأَزْمِنَتَهَا وَأَمْكِنَتَهَا، وَكُلَّ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهَا وَبِهَا وَلَهَا مِنْ بَدْئِهَا إِلَى الاسْتِقْرَارِ فِي الدَّارَيْنِ، **وَالابْتِدَاعُ الثَّانِي** هُوَ خَلْقُ الأَرْوَاحِ وَإِخْرَاجُهَا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الكَشْفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: خَلَقَ اللَّهُ الأَرْوَاحَ أَوَّلاً مِنَ النُّورِ المُكَرَّمِ مُجْمَلَةً، ثُمَّ مَيَّزَهَا قِطَعاً قِطَعاً، وَخَلَقَ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ رُوحاً عَلَى عَدَدِ الأَرْوَاحِ.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالاخْتِرَاعُ الأَوَّلُ هُوَ إِخْرَاجُ جَمِيعِ الأَرْوَاحِ مِنْ ظَهْرِ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِثْلَ الذَّرِّ. قِيلَ: إِنَّهُ بِبَطْنِ نَعْمَانَ، وَأَخَذَ عَلَيْهَا المِيثَاقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. **وَالاخْتِرَاعُ الثَّانِي** هُوَ خَلْقُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي وَقْتِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَفِي الاخْتِرَاعِ الأَوَّلِ، دَعَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَجَابَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَهُوَ المُؤْمِنُ فِي عَالَمِ ظُهُورِ الأَشْبَاحِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَهُوَ الكَافِرُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ أَجَابَ وَرَجَعَ هُنَاكَ فَهُوَ كَذَلِكَ فِي عَالَمِ ظُهُورِ الأَشْبَاحِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ هُنَاكَ أَوَّلاً، ثُمَّ أَجَابَ بَعْدَ مُدَّةٍ، فَهُوَ كَذَلِكَ فِي هَذَا العَالَمِ، وَمَا ظَهَرَ هُنَا[1] إِلَّا مَا وَقَعَ هُنَاكَ شِبْراً بِشِبْرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمِنْ ثَمَّ تَعْرِفُ الشُّيُوخُ الأَكَابِرُ التَّلَامِيذَ، فَإِذَا جَاءَ التِّلْمِيذُ لِلشَّيْخِ يَنْظُرُ هُنَاكَ، فَإِذَا كَانَ مُرِيدَهُ قَبِلَهُ هُنَا، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ لَيْسَ مَكْتُوباً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمْ يَقْبَلْهُ هُنَا. وَفِي الابْتِدَاعِ الثَّانِي تَمَيَّزَ المُؤْمِنُ مِنَ الكَافِرِ.

وَفِي الحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالَّذِي لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ الكَافِرُ). وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ فِي صَلَاتِهِ، بِالنُّورِ المَرْشُوشِ فِي الأَزَلِ. قَالَ: صَلَاةً تُكَحِّلُ بِهَا بَصِيرَتِي بِالنُّورِ المَرْشُوشِ فِي الأَزَلِ.

---

[1]- ع: هناك

ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَمَّا تَجَلَّى الحَقُّ لِلْأَرْوَاحِ عِنْدَ أَخْذِهِ العَهْدَ مِنْهَا، تَطَايَرَتْ مِنَ الهَيْبَةِ وَالجَلَالِ، فَكُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الأَرْضِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، اسْتَقَرَّ فِيهِ حِينَ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الاخْتِرَاعِ الثَّانِي، فَوَاحِدٌ يَسْكُنُ مَوْضِعاً وَوَاحِدٌ[1] مَوْضِعَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ بِحَسَبِ ذَلِكَ التَّطَايُرِ، وَكَذَلِكَ المَحَبَّةُ بَيْنَ الخَلْقِ وَقَعَتْ عِنْدَ هَذَا التَّطَايُرِ، بِحَسَبِ المُقَابَلَةِ وَالمُدَابَرَةِ. انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَعْنَاهُ لَا بِلَفْظِهِ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **عَدَدِ أَنْفَاسِ الإِنْسَانِ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] بِقَوْلِهِ: عَدَدُ أَنْفَاسِ الإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً، نِصْفُهَا دَاخِلٌ وَنِصْفُهَا خَارِجٌ. وَأَمَّا الخَوَاطِرُ فَعَدَدُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ خَاطِرٍ، تَخْطُرُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى القَلْبِ حَتْماً، لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهَا وَاحِدٌ، لِأَنَّ القَلْبَ مِثْلُ البَيْتِ المَعْمُورِ، كَمَا أَنَّهَا كُلَّ يَوْمٍ تَدْخُلُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَإِذَا خَرَجَتْ لَمْ تَعُدْ لَهَا أَبَداً، كَذَلِكَ القَلْبُ كُلَّ يَوْمٍ يَدْخُلُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ خَاطِرٍ، وَجَمِيعُهَا مَقْسُومَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى القَلْبِ المَحْجُوبِ. فَقِسْمٌ مِنْهَا يَلْبَسُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ دُخُولِهِ لِلْقَلْبِ، وَيُلْقِي عَلَيْهِ مِنْ وَسَاوِيسِهِ، وَقِسْمٌ تَلْبَسُهُ النَّفْسُ، وَقِسْمٌ يَدْخُلُ مَعَهُ المَلَكُ، وَقِسْمٌ لَا يَدْخُلُ مَعَهُ شَيْءٌ.

وَلِذَلِكَ قَسَّمُوا **الخَوَاطِرَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:** شَيْطَانِيٌّ وَنَفْسَانِيٌّ وَمَلَكِيٌّ وَرَبَّانِيٌّ، وَبَيَانُهَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالمُخَالَفَةِ وَلَا يَثْبُتُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ أَمْرٍ إِلَى أَمْرٍ وَكَيْدُهُ ضَعِيفٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)**[3] وَأَمَّا النَّفْسَانِيُّ فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالانْهِمَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ، سَوَاءٌ كَانَتْ مُحَرَّمَةً أَوْ مُبَاحَةً، وَانْتِقَالُهَا عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ أَوْ أَلِفَتْهُ صَعْبٌ، لَا يَزُولُ إِلَّا بِالمُجَاهَدَةِ، وَأَمَّا المَلَكِيُّ فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالخَيْرِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ

---

[1]- ع: وواحدا

[2]- ح ك ل هـ ق ص: (رضي الله عنه) ساقطة

[3]- سورة النساء، الآية 76

قَوْلٍ، وَأَمَّا الرَّبَّانِيُّ فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِاللَّهِ وَالزُّهْدِ فِيمَا سِوَاهُ. فَهَذَا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهَا لِيُمَيِّزَهَا، وَلَا يُمَيِّزُهَا إِلَّا أَهْلُ المُحَاسَبَةِ[1]،
وَأَمَّا الغَافِلُونَ لَا دِرَايَةَ لَهُمْ بِهَا، وَأَمَّا القَلْبُ المُجَرَّدُ وَهُوَ قَلْبُ العَارِفِ، فَخَوَاطِرُهُ كُلُّهَا قِسْمٌ وَاحِدٌ، فَلَا تَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا تَأْمُرُ إِلَّا بِهِ، لِطَهَارَةِ البَيْتِ الَّتِي تَرِدُ عَلَيْهِ وَبُعْدِهِ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ. وَأَمَّا القَلْبُ الَّذِي بَيْنَهُمَا، أَيْ بَيْنَ المَحْجُوبِ وَالمَفْتُوحِ عَلَيْهِ، فَتَرِدُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ حَالِهِ أَيْضاً. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنِ **المُكَالَمَةِ** الَّتِي يَدَّعِيهَا الصُّوفِيَّةُ وَمُحَادَثَتِهِمْ وَمَا مَعْنَى المُكَالَمَةِ؟ وَالفَرْقِ بَيْنَ سَمَاعِ الأَنْبِيَاءِ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرِهِمْ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ **اعْلَمْ** أَنَّ مَعْنَى مُكَالَمَةِ الصُّوفِيَةِ، أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا رَحِمَ عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ بِسَمَاعِ كَلَامِهِ، فَإِنَّهُ يُزِيلُ عَنْهُ الحِجَابَ وَيَخْطَفُهُ عَنْ[2] حِسِّهِ، حَتَّى يَغِيبَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَغِيبَ عَنْهُ حَتَّى ذَاتُهُ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ فِي ذَلِكَ الحَالِ، ثُمَّ يُسْمِعُهُ اللَّهُ مِنْ كَلَامِهِ مَا قَسَّمَ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ[3]. ثُمَّ يَرُدُّهُ لِلْحِجَابِ حَتَّى يَرْجِعَ[4] إِلَى حِسِّهِ وَحَالِهِ الأَوَّلِ.
ثُمَّ يَسْمَعُ أَيْضاً كَلَاماً فِي عَوَالِمِهِ اللَّطِيفَةِ، الَّتِي هِيَ مَرَاتِبُ الرُّوحِ مِنَ السِّرِّ، وَالخَفَاءِ وَالإِخْفَاءِ[5] وَسِرِّ السِّرِّ، فَيَغِيبُ أَيْضاً غَيْبَةً مِثْلَ الأُولَى، حَتَّى لَا يَشْعُرَ بِشَيْءٍ مِنَ الكَوْنِ حَتَّى ذَاتِهِ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى حِسِّهِ وَيَصْحَى عَنْ غَيْبَتِهِ، فَيَجِدُ[6] عِنْدَهُ كَلَاماً فِي سِرِّهِ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ مَا شَاهَدَهُ فِي الحَالَتَيْنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِمَا أَرَادَ، فَهَذِهِ هِيَ مُكَالَمَةُ الأَوْلِيَاءِ،

---

[1]- ع: إلا أهل المعرفة
[2]- ح: من
[3]- ح ل: من غير صوت ولا حرف
[4]- ح ك ل: فيرجع
[5]- ع: والخفى والأخفى ـ ل: والخفا والإخفا
[6]- ع: فيجيد

وَأَمَّا الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ لِكَمَالِهِمْ فِي غَايَةِ العَقْلِ وَالصَّحْوِ وَالثَّبَاتِ، وَفِي مَعْنَى هَذَا يَقُولُ العَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى سَيِّدِي أَبُو العَبَّاسِ بْنُ العَرِيفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُهُ * وَلَاحَ صَبَاحٌ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
فَأَنْتَ حِجَابُ القَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ * وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ
إِذَا غِبْتَ عَنْهُ حَلَّ فِيهِ وَطَنَّبَتْ * عَلَى مَوْكِبِ الكَشْفِ المَصُونِ خِيَامُهُ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ * شَهِيٌّ إِلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ
إِذَا سَمِعَتْهُ[1] النَّفْسُ طَابَ نَعِيمُهَا * وَزَالَ عَنِ القَلْبِ المُعَنَّى غَرَامُهُ

ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ فُتِحَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الأَمْرِ العَظِيمِ وَالنَّعِيمِ الجَسِيمِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ الخَلْقِ، إِلَّا إِذَا اعْتَزَلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَذْكُرُ اللَّهَ، فَحِينَئِذٍ يَقْدِرُ عَلَى سَمَاعِ كَلَامِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ذُكِرَ فَإِنَّهُ مَهْمَا سَمِعَ كَلَامَهُمْ يَتَقَيَّأُ لِقُبْحِهِ، بِالنِّسْبَةِ لِلَذَّةِ مَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ الحَقِّ، وَسَمَاعُ كَلَامِ اللَّهِ[2] لِمَنْ سَمِعَهُ لَا بِأُذُنٍ فَقَطْ، بَلْ بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ ذَاتِهِ كُلِّهَا، حَتَّى تَصِيرَ كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَاتِهِ، تَلْتَذُّ مِثْلَ جَمِيعِ ذَاتِهِ بِكَمَالِهَا. رَزَقَنَا اللَّهُ مَا رَزَقَ أَحِبَّاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ وَخَاصَّتَهُ العُلْيَا مِنْ خَلْقِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ **الفَرْقِ بَيْنَ العُلُومِ وَالأَسْرَارِ، وَالفُتُوحَاتِ** وَالمَوَاهِبِ وَالفُيُوضَاتِ وَالحَقَائِقِ وَالدَّقَائِقِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمُشَاهَدَاتِ وَالمُكَاشَفَاتِ وَالمَعَارِفِ وَالحَضَرَاتِ وَالمَقَامَاتِ، وَالمَنَازِلِ وَالأَنْوَارِ وَالوَارِدَاتِ وَالأَحْوَالِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

[1]- ح ل: أَلِفَتْهُ

[2]- ك: الحق

بِمَا نَصُّهُ فَقَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ بَيَانَ هَذِهِ الأُمُورِ الفَتْحُ، وَحَقِيقَةُ الفَتْحِ هُوَ مَا بَزَغَ مِنَ الغَيْبِ عَنْ زَوَالِ حِجَابٍ بَعْدَ احْتِجَابِهِ، فَهُوَ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الحَقَائِقِ المَذْكُورَةِ مِنَ العُلُومِ وَغَيْرِهَا، كُلُّ مَا كَانَ مَحْجُوباً عَنْهُ، وَانْفَتَحَ لَهُ فِيهِ فَهُوَ فَتْحٌ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ **الفَتْحَ عِبَارَةٌ عَنْ زَوَالِ الحِجَابِ**، وَمَا بَزَغَ بَعْدَهُ مِنْ حَقَائِقِ المَعَانِي المَذْكُورَةِ يُسَمَّى **فَيْضاً**، لِأَنَّهُ فَاضَ بَعْدَ حَبْسِهِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ الفَيْضَ شَامِلٌ لِلْعُلُومِ وَالأَسْرَارِ، وَالحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ وَالأَنْوَارِ، **وَأَمَّا السِّرُّ** مِنْهُ هُوَ مَا يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ العَبْدِ مِنَ الفُهُومِ، وَمِنْهَا مَا يُعَرِّفُ العَبْدَ بِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ فِي تَصَارِيفِ الأَكْوَانِ، لِمَاذَا وُجِدَ هَذَا الكَوْنُ جَوْهَراً أَوْ عَرَضاً؟ وَمَا يُرَادُ مِنْهُ؟ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ؟ وَمِنْ أَيِّ حَضْرَةٍ هُوَ؟

وَمِنَ الأَسْرَارِ فُيُوضُ الحِكَمِ وَدَقَائِقِهَا، وَمِنَ الأَسْرَارِ مَا يُرِيحُ العَبْدَ عَنْ كُلِّيَتِهِ، وَيُخْرِجُهُ عَنْ دَائِرَةِ حِسِّهِ، وَيُغْرِقُهُ فِي بَحْرِ حَضْرَةِ الأُلُوهِيَةِ، بِحَيْثُ أَنْ لَا شُعُورَ لَهُ فِيمَا عَدَاهَا مِنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهَا، فَيَسْمَعُ هُنَاكَ وَيَشْهَدُ مَا لَا طَاقَةَ لِلْعُقُولِ بِفَهْمِ مَبَادِيهِ، فَضْلاً عَنْ دَرْكِ غَايَتِهِ، وَبِذَلِكَ السِّرِّ الَّذِي أَغْرَقَهُ يُدْرِكُ مَبَادِيَهُ وَغَايَتَهُ، شُهُوداً وَسَمْعاً وَإِدْرَاكاً وَذَوْقاً. وَهَذَا مِنْ أَعَزِّ الأَسْرَارِ الَّتِي تُفَاضُ عَلَى العَبْدِ، وَمِنَ الأَسْرَارِ مَا لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ وَلَا تَوَهُّمُهُ، فَضْلاً عَنْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ العِبَارَةُ، وَتُحِيطَ بِهِ دَائِرَةُ الإِشَارَةِ لِعِزَّةِ سَطْوَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ فَوَائِدِهِ وَكَمَالِهِ،

وَلَا حَدَّ لِلْأَسْرَارِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا وَفِيهِ كِفَايَةٌ. **وَالمَعْرِفَةُ** ارْتِفَاعُ الحُجُبِ عَنْ غُيُوبِ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، فَإِنَّ المَعْرِفَةَ مَعَ الفَتْحِ مُتَلَازِمَانِ مُتَغَايِرَانِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الفَتْحِ هُوَ ارْتِفَاعُ الحُجُبِ، الحَائِلَةِ[1] بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ مُطَالَعَةِ حَقَائِقِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، وَمَحْقُ صُوَرِ الأَكْوَانِ مِنْ عِلْمِ العَبْدِ، وَحِسِّهِ وَإِدْرَاكِهِ وَفَهْمِهِ وَتَعَقُّلِهِ[2]، حَتَّى لَا يَبْقَى لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ وُجُودٌ، إِلَّا وُجُودُ الحَقِّ بِالحَقِّ لِلْحَقِّ فِي الحَقِّ عَنِ الحَقِّ، فَإِذَا وَقَعَ هَذَا

---

[1]- ك: (الحائلة) ساقطة

[2]- ح ل: وتعلقه

بَرَزَتِ المَعْرِفَةُ العِيَانِيَةُ بِالضَّرُورَةِ، وَفَاضَ عَلَى العَبْدِ بَحْرُ اليَقِينِ الكُلِّي، لَكِنْ مَعَ الصَّحْوِ وَالبَقَاءِ، وَأَمَّا مَا كَانَ قَبْلَ هَذَا مِنْ مُشَاهَدَةِ غُيُوبِ الأَكْوَانِ وَظُهُورِهَا لِلْعَبْدِ، فَإِنَّهُ يُسَمَّى **كَشْفاً** وَلَا يُسَمَّى فَتْحاً وَلَا مَعْرِفَةً.

وَأَمَّا الوَارِدُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بُرُوزِ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ إِلَى العَبْدِ، بِصُورَةٍ قَهْرِيَّةٍ أَوْ بِصُورَةٍ جَمَالِيَةٍ، وَهُوَ يَشْمَلُ جَمِيعَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، وَالأَحْوَالِ وَاليَقِينِ وَالأَنْوَارِ. **وَأَمَّا الحَالُ** فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَمْرٍ يَرِدُ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ بِصُورَةٍ قَهْرِيَّةٍ أَوْ جَمَالِيَةٍ، يُكَيِّفُ العَبْدَ بِصُورَةِ مَا هُوَ مُنْطَبِقٌ عَلَيْهِ، وَمِثَالُهُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي ضُرِبَ مِائَةَ سَوْطٍ مَاسَّةً لِجِلْدِهِ، فَمَا تَحَرَّكَ وَلَا أَنَّ وَلَا تَغَيَّرَ لَهُ وَجْهٌ، فَلَمَّا أُطْلِقَ وَضُرِبَ سَوْطاً وَاحِداً صَاحَ.

فَكَانَ فِي الأَوَّلِ وَرَدَ عَلَيْهِ حَالٌ مِنْ مُشَاهَدَةِ الحَقِّ، مُنْطَبِقٌ عَلَى كَمَالِ المَحَبَّةِ فِي ذَاتِ الحَقِّ، وَكَمَالِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ لَهَا، فَسَرَى فِي كُلِّيَتِهِ ذَلِكَ الحَالُ، فَأَزَالَ إِحْسَاسَهُ بِالأَلَمِ، لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّلَذُّذِ بِالشُّهُودِ، فَمَا أَحَسَّ بِثِقَلِ الضَّرْبِ وَلَا أَلَّمَهُ، فَلَمَّا طُوِيَ عَلَيْهِ بِسَاطُ الحَالِ وَحُجِبَ عَنِ الشُّهُودِ، ضُرِبَ سَوْطاً وَاحِداً فَصَاحَ مِنْ فَقْدِ ذَلِكَ الحَالِ.

وَأَمَّا الأَنْوَارُ فَحَقِيقَتُهَا مَعْلُومَةٌ[1] وَهِيَ[2] الضِّيَاءُ، **وَأَمَّا الرَّقَائِقُ وَالدَّقَائِقُ وَاللَّطَائِفُ**، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَمَّا يَغْمُضُ مِنْ حَقَائِقِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ، **وَأَمَّا الحَضَرَاتُ وَالمَنَازِلُ وَالمُشَاهَدَاتُ وَالمَوَاقِفُ**، فَقَدْ تَقَدَّمَتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي مَوَاضِعَ مِنَ الكِتَابِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العِلْمُ الرِّيَاضِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى أُمُورٍ: أَوَّلُهَا مَعْرِفَةُ تَعْدِيلِ المِزَاجِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ غَايَةِ القَصْدِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ السَّعْيِ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الحِجَابِ القَاطِعِ عَنْهُ، ثُمَّ

---

[1]- ك: معروفة

[2]- ك ي: وهو

مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ زَوَالِهِ لِيَصِلَ إِلَى[1] غَايَةِ المَقْصَدِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ أُصُولِ الحِجَابِ الَّتِي مِنْهَا مَوَادُّهُ، ثُمَّ الجِدُّ فِي قَطْعِ تِلْكَ الأُصُولِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ الأُمُورِ الَّتِي بِهَا زَوَالُ الحِجَابِ، إِمَّا كُلِّيَّةً أَوْ تَفْصِيلِيَةً، ثُمَّ سَلُّ سَيْفِ العَزْمِ وَرُكُوبُ جَوَادِ المُجَاهَدَةِ، بِمُتَابَعَةِ مَا عُرِفَ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ وَالعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَاهَا،

أَمَّا **مَعْرِفَةُ تَعْدِيلِ المِزَاجِ**، فَهُوَ لُزُومُ طَرِيقِ الاعْتِدَالِ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، ثُمَّ النَّظَرُ فِي الوَقْتِ وَالبَلَدِ حَرَارَةً وَبُرُودَةً وَرُطُوبَةً وَيُبُوسَةً وَكَذلِكَ السِّنِّ، ثُمَّ مُقَابَلَتُهُ كُلٍّ بِمَا يُقَوِّيهِ عَنِ الانْحِرَافِ. وَأَمَّا **غَايَةُ القَصْدِ** فَهُوَ رَفْعُ الحِجَابِ عَنِ الرُّوحِ الرَّبَّانِي، وَرَدُّهُ إِلَى حَالَةِ الصَّفَاءِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ التَّرْكِيبِ فِي الجَسَدِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ إِدْرَاكُ سَائِرِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَالأَحْوَالِ وَالأَخْلَاقِ، وَالمَقَامَاتِ وَالفُتُوحَاتِ، وَالمَوَاهِبِ وَالقُرْبِ الحَقِيقِيِّ، وَبِهِ إِدْرَاكُ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ فَقَدَهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى سَعَادَةِ الآخِرَةِ.

وَأَمَّا **مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ السَّعْيِ إِلَيْهِ**، فَهُوَ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحَالِهِ وَخُلُقِهِ، بِإِقَامَةِ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِرّاً وَإِعْلَاناً، مُخْلِصاً لِلَّهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ تَعْظِيماً وَإِجْلَالاً لِلَّهِ تَعَالَى، عَلَى بِسَاطِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا **مَعْرِفَةُ الحِجَابِ القَاطِعِ عَنِ المَطْلُوبِ**، فَهُوَ غَرَقُ الرُّوحِ فِي بَحْرِ الحُظُوظِ وَالشَّهَوَاتِ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهَا، وَالسَّعْيِ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهَا وَدَفْعِ مَضَارِّهَا.

وَأَمَّا **مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ زَوَالِ هَذَا الحِجَابِ**، فَهُوَ السَّعْيُ فِي قَطْعِ الحُظُوظِ وَالشَّهَوَاتِ، وَتَرْكِ تَعْظِيمِ النَّفْسِ وَقَطْعِ السَّعْيِ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهَا، وَقَطْعِ مَضَارِّهَا بِالزُّهْدِ فِيهَا بِالكُلِّيَةِ لَكِنْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ. وَأَمَّا **مَعْرِفَةُ أُصُولِ الحِجَابِ**، فَهِيَ كَثْرَةُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَمُلَاقَاةُ الخَلْقِ وَكَثْرَةُ الكَلَامِ، وَكَثْرَةُ المَنَامِ، وَدَوَامُ الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

---

[1]- ع ك ل ي هـ ق ص: (إلى) ساقطة

وَأَمَّا الجِدُّ[1] فِي قَطْعِ تِلْكَ الأُصُولِ، فَهِيَ الجُوعُ وَالعَطَشُ بِالرِّفْقِ، وَدَوَامُ الانْقِطَاعِ عَنْ مُلَاقَاةِ الخَلْقِ، وَدَوَامُ الصَّمْتِ مُطْلَقاً إِلَّا فِيمَا قَلَّ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِ، وَدَوَامُ السَّهَرِ بِالرِّفْقِ، وَمُدَاوَمَةُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَقَطْعُ الفِكْرِ فِي المَحْسُوسَاتِ. وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الأُمُورِ الَّتِي بِهَا زَوَالُ الحِجَابِ كُلِّيَةً أَوْ تَفْصِيلِيَةً، فَهُوَ دَوَامُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ دَائِماً بِأَيِّ ذِكْرٍ كَانَ، ثُمَّ إِنَّ الأَذْكَارَ الَّتِي بِهَا زَوَالُ الحِجَابِ مِنْهَا كُلِّيَاتٌ، وَهِيَ الَّتِي تَقْطَعُ كُلَّ حِجَابٍ عَنِ الرُّوحِ مِنْ أَيِّ أَمْرٍ كَانَ، وَمِنْهَا تَفْصِيلَاتٌ لَا تَقْطَعُ إِلَّا حِجَاباً مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ.
أَمَّا الكُلِّيَاتُ فَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَوْ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ الحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَوْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَوْ اللَّهُ اللَّهُ أَوْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ.
وَأَمَّا التَّفْصِيلَاتُ فَهِيَ سَائِرُ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، أَوْ كُلُّ اسْمٍ يَذْهَبُ بِجُزْءٍ مِنَ الحِجَابِ، وَلَا يَتَعَدَّى لِلْجُزْءِ الآخَرِ. وَاللَّهُ المُوَفِّقُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: سَلُّ سُيُوفِ[2] العَزْمِ الخ.. لَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهَا لِوُضُوحِهَا. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي أَدَامَ اللَّهُ عُلَاهُ وَارْتِقَاءَهُ.
وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى هَذَا التَّسْبِيحِ وَهُوَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ المِيزَانِ وَمُنْتَهَى العِلْمِ، وَمَبْلَغَ الرِّضَا وَزِنَةَ العَرْشِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: مَعْنَاهُ أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً يَمْلَأُ المِيزَانَ، إِمَّا حَسَنَاتٍ وَإِمَّا نُوراً وَإِمَّا تَسْبِيحاً.
وَقَوْلُهُ وَمُنْتَهَى العِلْمِ مَعْنَاهُ. أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً يَبْلُغُ عَدَدُهُ عَدَدَ مَعْلُومَاتِ عِلْمِ اللَّهِ، وَيَنْتَهِي بِنِهَايَتِهَا كَمَا لَا نِهَايَةَ لِمَعْلُومَاتِ عِلْمِ اللَّهِ، كَذَلِكَ لَا نِهَايَةَ لِهَذَا التَّسْبِيحِ. وَقَوْلُهُ: وَمَبْلَغَ الرِّضَا، أَيْ أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً يَبْلُغُ مَبْلَغُهُ مَبْلَغَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَرِضَا

---

[1]- ع: (الجد) ساقطة
[2]- ع ك ي: سيف

اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الآثَارُ النَّاشِئَةُ عَنِ الرِّضَا، مِنَ المِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَالعَطَايَا وَالنِّعَمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الوُجُوهِ.

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً يَبْلُغُ قَدْرُهُ أَوْ عَدَدُهُ مِثْلَ كُلِّ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ، وَنَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ، مِمَّا يَهَبُهُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ النِّعَمِ وَالمِنَنِ، وَالعَطَايَا وَالمِنَحِ، وَالتُّحَفِ وَالمَوَاهِبِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ.

وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مَعْنَيَانِ: **المَعْنَى الأَوَّلُ:** الوَصْفُ القَائِمُ بِذَاتِهِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَغَيُّرٌ بِغَضَبٍ أَوْ رِضاً أَوْ مَحَبَّةٍ أَوْ بُغْضٍ، فَلَيْسَتْ إِلَّا صِفَةٌ كَامِلَةٌ تَامَّةٌ، لَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا تَغَيُّرٌ وَلَا نَقْصٌ وَلَا زِيَادَةٌ، وَذَلِكَ المَعْنَى هُوَ وَصْفٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، فَذَلِكَ لَا قَدْرَ لَهُ وَلَا غَايَةَ[1] وَلَا نِهَايَةَ، وَهِيَ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الوَاجِبَةِ[2] لِذَاتِهِ. **وَالمَعْنَى الثَّانِي:** هِيَ الآثَارُ الصَّادِرَةُ عَنِ الرِّضَا مِنَ النِّعَمِ وَالتُّحَفِ وَالعَطَايَا وَالمِنَحِ، وَصَرْفِ المَكَارِهِ وَالمَضَارِّ، وَتَكْمِيلِ وُجُوهِ النَّعِيمِ وَالآمَالِ،

وَالمَعْنَى المُسْتَعَاذُ بِهِ فِي الحَدِيثِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ)) هُوَ المَعْنَى الأَوَّلُ، الَّذِي هُوَ وَصْفٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ لَا المَعْنَى الثَّانِي، لِأَنَّ المَعْنَى الثَّانِي حَادِثٌ مِنْ جُمْلَةِ الحَوَادِثِ وَلَا يُسْتَعَاذُ بِحَادِثٍ، إِنَّمَا يُسْتَعَاذُ بِالوَصْفِ القَدِيمِ[3] وَهُوَ صِفَةُ الذَّاتِ، وَقَوْلُهُ وَزِنَةَ العَرْشِ: أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً يَبْلُغُ وَزْنُهُ زِنَةَ العَرْشِ إِذَا وُزِنَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ك ل: ولا غاية له

[2]- ح: الواجبات

[3]- ع: القائم

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **شِرْكُ الأَغْرَاضِ** هُوَ أَحَدُ أَقْسَامِ[1] الشِّرْكِ[2] السِّتَّةِ، وَالمُرَادُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ، هُوَ عَمَلُ أَعْمَالِ البِرِّ لِغَيْرِ اللَّهِ، بَلْ لِأَجْلِ نَيْلِ مَحْمَدَةٍ مِنَ الخَلْقِ، أَوْ تَحْصِيلِ غَرَضٍ مِنْ قِبَلِهِمْ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ مِنْهُمْ أَوْ اتِّقَاءِ مَذَمَّةٍ، أَوْ[3] العَمَلُ لِأَجْلِ نَيْلِ القُصُورِ وَالحُورِ فِي الجَنَّةِ مُجَرَّداً، وَخُلُوُّهُ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ.

وَأَمَّا إِذَا نَوَى بِعِبَادَتِهِ وَعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ وَأَدَاءَ حَقِّ رُبُوبِيَتِهِ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، وَعِبَادَتَهُ لِأَجْلِهِ لَا لِشَيْءٍ غَيْرِهَا، وَرَجَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يُهَيِّئُ لَهُ فِي الجَنَّةِ مِنَ الحُورِ وَالقُصُورِ وَغَيْرِهَا لَا لِأَجْلِ عِبَادَتِهِ، بَلْ بِمَحْضِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ وَالتَّصْدِيقِ بِوَعْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَلِكَ لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا قَادِحَ فِي إِخْلَاصِهِ، وَإِنَّمَا يَذْهَبُ إِخْلَاصُهُ إِذَا عَمِلَ لِأَجْلِ نَيْلِهَا، خَالِياً عَنْ إِرَادَةِ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَنْ عِبَادَتِهِ لِأَجْلِهِ، فَهَذَا هُوَ[4] الَّذِي يُقَالُ لَهُ: عَابِدٌ[5] هَوَاهُ، وَعَمَلُهُ مُحْبَطٌ بِغَيْرِ خِلَافٍ، بَلْ وَعَلَيْهِ الإِثْمُ زَائِداً عَلَى الإِحْبَاطِ.

وَإِنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ لِأَجْلِهِ، أَوْ لِإِرَادَةِ وَجْهِهِ أَوْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، أَوْ امْتِثَالَ أَمْرِهِ أَوْ تَوْفِيَةَ أَمْرِهِ بِعِبَادَتِهِ أَوْ أَدَاءً لِحَقِّ العُبُودِيَةِ، أَوْ قِيَاماً بِحَقِّ الرُّبُوبِيَةِ أَوْ تَعْظِيماً لَهُ، أَوْ إِجْلَالاً لَهُ أَوْ مَحَبَّةً لَهُ أَوْ حَيَاءً مِنْهُ، أَنْ يَرَاهُ تَخَلَّفَ عَنْ أَمْرِهِ، أَوْ شَوْقاً إِلَيْهِ أَوْ شُكْراً لِنِعَمِهِ، فَهُوَ مُخْلِصٌ حَقّاً وَلَا يُخَالِطُهُ رِيَاءٌ، حَيْثُ تَجَرَّدَ عَنِ الأَغْرَاضِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ، وَإِنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الإِخْلَاصِ فَهُوَ المُخْلِصُ الكَامِلُ، ثُمَّ إِنْ قَارَنَهُ الرَّجَاءُ لِفَضْلِ اللَّهِ

---

[1]- ي: الأقسام

[2]- ح ل ي هـ ق ص: (الشرك) ساقطة

[3]- ك: و

[4]- ي: (هو) ساقطة

[5]- ح: عابدا

عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجَاءُ الحُورِ وَالقُصُورِ وَنَعِيمِ الجَنَّةِ بِمَحْضِ الفَضْلِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَهَبُهُ عِنْدَهَا لَا بِهَا، فَلَا قَادِحَ فِي إِخْلَاصِهِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ.

وَأَمَّا عِنْدَ العَارِفِينَ، فَذَلِكَ مِنْ شِرْكِ الأَغْرَاضِ، وَالإِخْلَاصُ عِنْدَهُمْ تَجْرِيدُ العِبَادَةِ لِوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَادَتُهُ لِأَجْلِهِ، وَإِسْقَاطُ الرَّجَاءِ مِنْ غَيْرِهِ أَنَفَةً مِنْهُمْ أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الأَكْوَانِ بِقُلُوبِهِمْ لَحْظَةً، أَوْ يُعَوِّلُوا[1] عَلَيْهَا لَمْحَةً، أَوْ يُحِبُّونَ مِنْهَا شَيْئاً مَعَ المَحْبُوبِ الأَكْبَرِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ مَا أَحَبَّ اللَّهُ لِأَجْلِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يُحِبُّونَ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[2] لِشَهْوَةٍ أَوْ غَرَضٍ أَوْ قَضَاءِ وَطَرٍ، وَمِنْ هَا هُنَا يَفْتَرِقُونَ مَعَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ فِي مَحَبَّةِ الجَنَّةِ وَالفِرَارِ مِنَ النَّارِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الجَنَّةَ لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِمْ فِيهَا، وَيَفِرُّونَ مِنَ النَّارِ، لِمَا يَجِدُونَ مِنَ الأَلَمِ فِيهَا، فَهُمْ مَعَ الأَكْوَانِ لِذَاتِهَا طَلَباً وَهَرَباً. وَأَمَّا العَارِفُونَ، فَالأَكْوَانُ كُلُّهَا[3] عِنْدَهُمْ[4] عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، لَيْسَ فِيهَا تَخْصِيصٌ لِذَاتِهَا، إِلَّا مَا خَصَّصَهُ مَحْبُوبُهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُمْ يَفِرُّونَ مِنَ النَّارِ وَيَسْأَلُونَ النَّجَاةَ مِنْهَا لَا لِذَاتِهَا وَلَا لِوُجُودِ أَلَمِهَا، بَلْ لِكَوْنِهَا دَارَ أَعْدَاءِ اللَّهِ، فَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَجْتَمِعُوا مَعَ الأَعْدَاءِ لَحْظَةً فَضْلاً عَنِ الاسْتِقْرَارِ، وَأَيْضاً لِكَوْنِ أَهْلِهَا مَحْجُوبِينَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[5]، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْظَمِ مَطَالِبِهِمْ، وَأَيْضاً لِامْتِثَالِ الأَمْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَهُمْ بِالتَّوَقِّي مِنْهَا وَطَلَبِ النَّجَاةِ مِنْهَا.

---

[1]- ح: يعدلوا

[2]- ح ل: غير الله تعالى

[3]- ل: (كلها) ساقطة

[4]- ح: عندهم كلها

[5]- ح ل: الله تعالى

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**)[1] الآيَةُ. وَقَالَ: (**فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)[2] فَهُمْ لِامْتِثَالِ أَمْرِهِ لَا لِذَاتِهَا وَأَلَمِهَا، وَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الجَنَّةَ لَا لِذَاتِهَا وَلَا لِقَضَاءِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ، بَلْ يُحِبُّونَهَا لِأَنَّهَا دَارُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُسْتَقَرُّهُمْ، وَأَيْضاً لِأَنَّهَا دَارٌ يَكُونُ فِيهَا النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَيْضاً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهَا بِحُكْمِ شَرْعِهِ[3]، حَيْثُ اخْتَارَهَا لِلْأَوْلِيَاءِ فَهُمْ يُحِبُّونَهَا لِمَحَبَّتِهِ تَعَالَى.

فَإِنَّ المُحِبَّ الصَّادِقَ يُحِبُّ مَحْبُوبَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ مَحْبُوبُهُ وَمَا أَحَبَّ مَحْبُوبُهُ، وَذَلِكَ مِنْ ضَرُورَاتِ المَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ، وَأَيْضاً هُمْ مُمْتَثِلُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِطَلَبِهَا، وَيُحِبُّونَ حُورَهَا وَجَوَارِيهَا وَوِلْدَانَهَا، لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّهُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ، فَهُمْ فِي مَحَبَّتِهَا، وَالفِرَارُ مِنَ النَّارِ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ، لَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا بِأَنْفُسِهِمْ بِخِلَافِ الأَوَّلِينَ، فَإِنَّهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا أَحَبُّوا وَمَا هَرَبُوا مِنْهُ، لَكِنْ بَعْدَ تَخْلِيصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّونَ مِنَ الأَكْوَانِ مَا لَا[4] يُنْهَوْا عَنْ مَحَبَّتِهِ. وَالكُلُّ لَمْ يَخْرُجُوا عَنْ دَائِرَةِ الشَّرْعِ وَلَيْسَ يَلْحَقُونَ بِالعَارِفِينَ، لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ العَارِفِينَ. كَمَا قِيلَ: ((حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ)).

لِأَنَّ العَارِفِينَ مُسْتَهْلِكُونَ فِي عَيْنِ الجَمْعِ، غَرْقَى فِي بِحَارِ التَّوْحِيدِ، غَائِبُونَ عَنِ الأَكْوَانِ بِشُهُودِ المَلِكِ الحَقِّ، لَا يَنْظُرُونَ إِلَى غَيْرِهِ لَحْظَةً إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. فَهُمْ مَعَ الأَكْوَانِ بِأَبْدَانِهِمْ، بَائِنُونَ عَنْهَا بِأَرْوَاحِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، لَيْسَ لَهُمْ فِي غَيْرِهِ إِرَادَةٌ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَا يَسَعُ خَرْدَلَةً أَوْ أَقَلَّ لِغَيْرِهِ، فَإِنَّ أَسْرَارَهُمْ مُخْتَطَفَةٌ عَنْ غَيْرِهِ، مُقَيَّدَةٌ عِنْدَهُ فِي حَضْرَتِهِ، عَاكِفَةٌ عَلَى شُهُودِهِ لَا عِلْمَ لَهَا بِغَيْرِهِ، وَأَرْوَاحُهُمْ تَابِعَةٌ

---

[1]- سورة التحريم، الآية 6

[2]- سورة آل عمران، الآية 191.

[3]- ك: (شرعه) ساقطة

[4]- ك: ما لم

لِأَسْرَارِهِمْ، لَا تَقْدِرُ عَنِ[1] التَّخَلُّفِ عَنْهَا فَهِيَ طَائِرَةٌ فِي بَيْدَاءِ الجَبَرُوتِ[2]، قَدْ اشْتَدَّ شَوْقُهَا إِلَى مَحْبُوبِهَا لَا يَنْقَطِعُ شَوْقُهَا أَبَداً.

وَقُلُوبُهُمْ تَابِعَةٌ لِأَرْوَاحِهِمْ لَا تَقْدِرُ عَلَى[3] التَّخَلُّفِ عَنْهَا، فَهِيَ تَرْتَعِدُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ، مُطْرِقَةٌ مِنَ الحَيَاءِ وَالدَّهَشِ مِنْ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَعُقُولُهُمْ تَابِعَةٌ لِقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ لَا تَقْدِرُ عَنِ التَّخَلُّفِ عَنْهَا، فَهِيَ مُتَفَكِّرَةٌ فِي عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ، شَاهِدَةٌ لِأَسْرَارِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ لِشِدَّةِ مَعْرِفَتِهَا بِهِ، وَنُفُوسُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ تَابِعَةٌ لِعُقُولِهِمْ قَهْراً، لَا تَقْدِرُ عَلَى[4] التَّخَلُّفِ عَنْهَا، فَنُفُوسُهُمْ مَقْهُورَةٌ عَنْ هَوَاهَا تَحْتَ سُلْطَانِ عَظَمَتِهِ[5]، وَأَبْدَانُهُمْ دَائِبَةٌ أَبَداً فِي خِدْمَتِهِ، قَدْ اسْتَرَقَ المَحْبُوبُ مِنْهُمْ البَعْضَ وَالكُلَّ، لَا تَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ ذَرَّةٌ عَنْ مُرَادِهِ جَلَّ وَعَلَا وَلِذَلِكَ كَانُوا لِلَّهِ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ، وَأَنَالَنَا مَا أَنَالَهُمْ بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الأَذْكَارِ وَالعِبَادَاتِ لِسَعَةِ الرِّزْقِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ، وَهَلَاكِ الظَّالِمِ وَدَفْعِ الفَقْرِ وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جَلْبِ رِزْقٍ، وَدَفْعِ فَقْرٍ وَقَضَاءِ حَاجَةٍ مَطْلُوباً لِذَاتِهِ بِذَلِكَ الذِّكْرِ أَوْ العِبَادَةِ، فَهُوَ شِرْكُ الأَغْرَاضِ وَهُوَ حَرَامٌ بِالإِجْمَاعِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ المَطْلُوبُ لِيُعِينَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَخْلُوا مِنْ أَمْرَيْنِ أَيْضاً. إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ فِي ذَلِكَ الذِّكْرِ الخَاصِّ أَوْ العِبَادَةِ الخَاصَّةِ مُجَرَّدَ غَرَضِهِ مِنْ[6] سَعَةِ الرِّزْقِ

---

[1]- ك: على

[2]- ح ل ي هـ ق ص: الحيرة

[3]- ح ي: عن

[4]- ح ي: عن

[5]- ح ل: عتبه

[6]- ل: مع

وَغَيْرِهِ عَنْ قَصْدِ وَجْهِ[1] اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ، فَذَلِكَ مِنْ شِرْكِ الأَغْرَاضِ أَيْضاً وَهُوَ حَرَامٌ،

وَإِنْ قَصَدَ بِالذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجَا مَعَ ذَلِكَ قَضَاءَ غَرَضِهِ، لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَلِيَدْعُوَا عَقِبَ عِبَادَتِهِ اللَّهَ[2] بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَهُوَ جَائِزٌ وَلَا حَرَجَ فِيهِ، لَكِنْ بَعْدَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الفَاعِلُ بِاخْتِيَارِهِ لَا بِذَلِكَ الذِّكْرِ، بَلْ عِنْدَهُ لَا بِهِ، وَطَلَبَ بِالذِّكْرِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ الأَذْكَارَ وَالعِبَادَاتِ لَا تَأْثِيرَ لَهَا، وَخَوَاصُّهَا مِنَ الثَّوَابِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الفَاعِلُ عِنْدَهَا، بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ لَا لِعِلَّةٍ فَهَذَا وَجْهُ صِحَّتِهِ. وَكُلُّ هَذَا تَكْتَنِفُهُ الأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ. وَاللَّهُ المُوَفِّقُ.

وَالحَاصِلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِوَجْهِهِ، لَمْ يَخْرُجْ عَنْ دَائِرَةِ الشَّرْعِ دُونَ غَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فَبَعْضُهُمْ الحَامِلُ لَهُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجْهُهُ، أَعْنِي الَّذِي نَوَّرَهُمْ وَنَهَّضَهُمْ إِلَيْهَا رَجَاءُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَاتِّقَاءُ عِقَابِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ، وَبَعْضُهُمْ حَمَلَهُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى[3] وَنُهُوضِهِمْ إِلَيْهَا، مَعْرِفَتُهُمْ بِجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَعَبَدُوهُ عَلَى الحُبِّ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، أَدَاءً لِحَقِّ رُبُوبِيَتِهِ لَا لِغَرَضٍ[4] وَهُمُ العَارِفُونَ، العَارِفُونَ، وَسِوَى هَذَيْنِ هَالِكٌ لَا عِبَادَةَ لَهُ فَضْلاً عَنِ الثَّوَابِ.

تَنْبِيهٌ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ، أَنَّ **الأَكْوَانَ عِنْدَ العَارِفِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،** بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِهَا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، لَا تَفْضِيلَ لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَلَا تَشْرِيفَ لَهَا وَلَا تَفَاوُتَ، إِلَّا مِنْ حَيْثُ فَضَّلَهَا خَالِقُهَا، فَالعَارِفُونَ قَطَعُوا نَظَرَهُمْ عَنِ الأَكْوَانِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا، لَمْ يَعْرُجُوا

---

[1] - ح ل: (وجه) ساقطة ـ ل: خاليا عن قصد

[2] - ك ي: لله

[3] - ك: (تعالى) ساقطة

[4] - ح: لغرضه

عَلَيْهَا بِوَجْهٍ وَلَا حَالٍ، وَلَا يُحِبُّونَ شَيْئاً مِنْهَا لِذَاتِهَا كَائِنَةً مَا كَانَتْ، وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مِنْهَا،

وَلَا يُحِبُّونَ مِنْهَا إِلَّا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، فَهُمْ بِحُبِّهِ يُحِبُّونَ، وَمَا شَرَّفُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ بِتَشْرِيفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عَظَّمَهُ عَظَّمُوهُ، وَمَا حَقَّرَهُ حَقَّرُوهُ، وَمَا وَضَعَهُ وَضَعُوهُ، وَمَا مَدَحَهُ مَدَحُوهُ، وَمَا ذَمَّهُ ذَمُّوهُ، وَمَا أَبْغَضَهُ أَبْغَضُوهُ، فَهُمْ مَعَ اللَّهِ لِلَّهِ بِاللَّهِ لَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا مَعَ أَنْفُسِهِمْ، فَقَدْ فَنِيَتْ إِرَادَتُهُمْ تَحْتَ إِرَادَةِ اللَّهِ، وَاخْتِيَارُهُمْ تَحْتَ اخْتِيَارِ اللَّهِ، وَنَظَرُهُمْ تَحْتَ نَظَرِ اللَّهِ، فَهُمْ يُحِبُّونَ الأَنْبِيَاءَ وَالمَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ لِأَجْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَكْرَهُونَ ضِدَّهُمْ لِأَجْلِهِ، وَيَطْلُبُونَ الجَنَّةَ لِأَجْلِهِ لَا لِغَرَضٍ غَيْرِهِ.

وَإِلَى هَذَا المَعْنَى الإِشَارَةُ بِقَوْلِ الشَّيْخِ العَارِفِ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَيْثُ سَأَلَهُ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ وِرْدِ المُحَقِّقِينَ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِسْقَاطُ الهَوَى وَمَحَبَّةُ المَوْلَى، وَالمَعْنَى أَنَّهُمْ فِي الأَشْيَاءِ بِمُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ لِأَجْلِهِ[1]، وَالقِيَامِ بِحَقِّ رُبُوبِيَتِهِ بِعَزْلِ أَغْرَاضِهِمْ، وَمُفَارَقَةِ شَهَوَاتِهِمْ وَعَزْلِ أَهْوَائِهِمْ، وَمُبَايَنَةِ حُظُوظِهِمْ لَمْ يَقْضُوا فِيهَا لِأَنْفُسِهِمْ وَطَراً، وَإِنَّمَا قَامُوا فِي الأَشْيَاءِ بِمُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِشَيْءٍ سِوَاهُ، كَيْفَ مَا دَارَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي العَمَلِ وَالإِرَادَاتِ، فَكُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ بِالغَيْبَةِ عَنِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا وَقَضَاءِ وَطَرِهَا، وَكُلَّمَا وُجِدَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ فِيهِ غَرَضٌ فَرُّوا مِنْهُ وَتَرَكُوهُ.

هَذَا مَذْهَبُهُمْ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَنْ دَائِرَةِ الحُظُوظِ، وَالحَامِلُ عَلَى الحُظُوظِ هُوَ الطَّمَعُ، وَالطَّمَعُ كُلُّهُ كَاذِبٌ وَاتِّبَاعُ الطَّمَعِ هُوَ عَيْنُ الهَلَاكِ، وَالَّذِي قَادَهُمْ إِلَى الطَّمَعِ هُوَ الوَهْمُ، وَالوَهْمُ خَيَالٌ كَاذِبٌ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ، وَالطَّمَعُ فِي مَذْهَبِ العَارِفِينَ

---

[1]- ح ع: (لأجله) ساقطة

حَرَامٌ، بَلْ الطَّمَعُ هُوَ خَرَابُ الدِّينِ وَمِلَاكُ الدِّينِ الوَرَعُ[1]، وَالعَارِفُونَ نَظَرُوا فِي الأَشْيَاءِ سِوَى اللَّهِ، فَوَجَدُوهَا لَا نَفْعَ لَهَا مِنْ نَفْسِهَا[2] وَلَا تَنْفَعُ غَيْرَهَا، وَوَجَدُوهَا لَا تَمْلِكُ ضَرّاً[3] وَلَا نَفْعاً مِنْ ذَاتِهَا، فَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنْهَا وَأَسْقَطُوهَا مِنْ أَذْهَانِهِمْ، تَعْوِيلاً وَإِرَادَةً وَمَحَبَّةً وَاعْتِمَاداً وَخُطُوراً. فَلَمَّا تَوَرَّعُوا عَنْهَا رَجَعُوا بِكُلِّيَّتِهِمْ إِلَى خَالِقِهَا، فَانْجَمَعَتْ هُمُومُهُمْ بِالتَّعَلُّقِ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا الأَشْيَاءَ، فَإِذَا هِيَ فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ فَكَّرُوا فِيهَا فَوَجَدُوا أَمْرَهَا عَلَى قِسْمَيْنِ: شَيْءٌ قَدَّرَهُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ نَفْعاً أَوْ ضَراً، فَلَا بُدَّ مِنْ لُحُوقِهِ وَإِنْ كَانَ مَا كَانَ، لِمَا عَلِمُوا مِنْ نُفُوذِ مَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَرَأَوْا أَنَّ الالْتِفَاتَ لِمَا قَدَّرَهُ لَهُمْ نَفْعاً أَوْ ضَرّاً مِنْ أَكْبَرِ الطَّمَعِ، فَتَرَكُوا الطَّمَعَ وَتَوَرَّعُوا عَنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ طَمَعاً لِأَنَّ الاشْتِغَالَ بِهِ هُوَ تَحْصِيلُ الحَاصِلِ، وَالاشْتِغَالُ بِتَحْصِيلِ الحَاصِلِ[4] هَذَيَانٌ، وَاتِّبَاعُ الهَوَى غُرُورٌ وَالغُرُورُ مِنْ فُرُوعِ الطَّمَعِ فَتَرَكُوهُ وَرَعاً. وَشَيْءٌ لَمْ يُقَدِّرْهُ لَهُمْ فَلَا سَبِيلَ لِنَيْلِهِ وَلُحُوقِهِ نَفْعاً أَوْ ضَرّاً.

فَلَوْ وَقَعَتِ الحِيَلُ كُلُّهَا عَلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ لَمْ يُقَدِّرْهُ جَلَّ وَعَلَا، لَمْ تَحْصُلْ مِنْهُ ذَرَّةٌ وَلَا أَقَلُّ، وَرَأَوْا أَنَّ التَّعْوِيلَ عَلَى مَا لَمْ يُقَدِّرْ نَفْعاً أَوْ ضَرّاً هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الطَّمَعِ وَالطَّمَعُ حَرَامٌ، فَتَوَرَّعُوا عَنِ الطَّمَعِ كُلِّهِ، وَغَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَنِ المَقْدُورَاتِ بِكُلِّ جِهَتِهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ لَاحِقَةً أَوْ غَيْرَ لَاحِقَةٍ، وَأَوْقَعُوا نَظَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَطْعِ العَلَاقَاتِ[5] وَالأَهْوِيَةِ[6]،

---

[1]- إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير، ح 10807، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:فَضْلُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَمِلاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ.

[2]- ع: نفسه

[3]- ع: ضررا

[4]- ح: الحصيل

[5]- ع: العلامات

[6]- ل: والأهواء

فَلَحِقَهُمْ مَا هُوَ مَقْدُورٌ لَهُمْ دُونَ إِرَادَةٍ لَهُ، بَلْ بِالرِّضَا[1] وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُمْ، فَهُمْ مِنْهُ مُسْتَرِيحُونَ وَنُفُوسُهُمْ طَيِّبَةٌ بِتَرْكِهِ، فَهُمْ زَاهِدُونَ فِيمَا قُدِّرَ وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ، هَذَا مَذْهَبُهُمْ، أَنَالَنَا اللَّهُ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ، فَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ[2] هُنَا وَهُنَاكَ.

وَلِهَذَا قِيلَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَلَى الحَقِيقَةِ لَمْ يَلْحَقْهُ هَمٌّ، بَلْ يَجِدُونَ لِلأَضْرَارِ لَذَّةً كَلَذَّةِ المَنَافِعِ، لَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا مِنْ اخْتِيَارِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُمْ يُحِبُّونَ الأَضْرَارَ وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا، لِأَجْلِ مَحْبُوبِهِمْ جَلَّ وَعَلَا لِكَوْنِهَا مِنْ اخْتِيَارِهِ، فَهُمْ يَفْرَحُونَ بِالجَمِيعِ ضَرّاً أَوْ نَفْعاً، لِأَنَّهُمْ مُقْبِلُونَ عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا بِاللَّهِ لِلَّهِ مَعَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ اخْتِيَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا. وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ عِنْدَهُمْ أَلَماً فِي الأَضْرَارِ الفَادِحَةِ الَّتِي لَا تُطِيقُهَا قُوَّةُ البَشَرِيَّةِ، لِمَا شَغَلَهُمْ عَنْهَا مِنَ الفَرَحِ بِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالكُلُّ عِنْدَهُمْ مِنْهُ نِعْمَةٌ كَيْفَ مَا كَانَتْ ضَرّاً أَوْ نَفْعاً أَوْ وَصْلاً أَوْ إِبْعَاداً، لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ فَنَاءِ إِرَادَتِهِمْ وَحُظُوظِهِمْ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ فِيمَا يُقَالُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: كَأَنَّهُ يَقُولُ عَلَى أَلْسُنِ هَوَاتِفِ الحَقَائِقِ: يَا عَبْدِي تُرِيدُ وَأُرِيدُ، فَاتْرُكْ مَا تُرِيدُ وَكُنْ لِي مَعَ مَا أُرِيدُ، أُبَلِّغْكَ مَا تُرِيدُ، وَأُنَعِّمُكَ فِيمَا أُرِيدُ، وَإِنْ لَمْ تَتْرُكْ مَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ، أَتْعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ، وَعَذَّبْتُكَ بِمَا أُرِيدُ بِالبَيْنِ عَمَّا تُرِيدُ، وَلَا يَقَعُ إِلَّا مَا أُرِيدُ. أَوْ كَمَا قِيلَ عَنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ **الفَرَحَ بِالنِّعَمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:** فَرَحٌ بِهَا لِكَوْنِهَا قَضَاءً لِلْوَطَرِ وَالشَّهَوَاتِ، وَصَاحِبُ هَذَا الفَرَحِ مِثْلُ البَهِيمَةِ سَوَاءٌ، وَفَرَحٌ بِهَا لِكَوْنِهَا فِيهَا قَضَاءُ الوَطَرِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلِكَوْنِهَا مِنَّةً مِنْهُ لِاخْتِيَارِهِ لَهَا جَلَّ وَعَلَا، فَهَذَا مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الدَّنَاءَةِ وَالشَّرَفِ. وَفَرَحٌ بِهَا مِنْ أَجْلِهِ جَلَّ وَعَلَا وَأَنَّهَا مِنْ اخْتِيَارِهِ مِنْهُ، لَا لِكَوْنِهَا فِيهَا قَضَاءُ الوَطَرِ وَالشَّهَوَاتِ. فَهَذَا هُوَ غَايَةُ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ لِصَاحِبِ هَذَا الفَرَحِ، وَكَذَلِكَ فِي ضِدِّ

---

[1]- ع: بل الرضا

[2]- ع: الأبد

النِّعَمِ فِي الكَرَاهَةِ لَهَا هَكَذَا سَوَاءٌ، وَبِهَذَا يَفْتَرِقُ الأَمْرُ فِي مَحَبَّةِ الجَنَّةِ وَمَا فِيهَا وَكَرَاهَةِ النَّارِ.

فَالأَوَّلُ: مَذْمُومٌ قَطْعاً وَالثَّانِي: مَذْمُومٌ وَمَمْدُوحٌ وَالثَّالِثُ: مَمْدُوحٌ مُشَرَّفٌ قَطْعاً، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْرَحْ بِالجَنَّةِ لِلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، بَلْ لِأَنَّهَا مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِهِ، وَأَنَّهَا دَارُ جِوَارِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَهُمْ يُحِبُّونَهَا وَيَفْرَحُونَ بِهَا مِنْ أَجْلِهِ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ عَزْلِ شَهَوَاتِهِمْ وَحُظُوظِهِمْ، لِمُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاخْتِيَارِهِ، أَنَالَنَا اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يَكْمُلُ القِيَامُ لِلَّهِ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَتَوَرَّعَ صَاحِبُهُ عَنْ جَمِيعِ المَقْدُورَاتِ، وَيَقْطَعَ الطَّمَعَ مِنَ اللَّهِ، أَنْ يُعْطِيَهُ غَيْرَ مَا قَدَّرَ لَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ مَا قَدَّرَهُ، وَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ غَرَضٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَكْوَانِ كَمَا قِيلَ: حَرَامٌ عَلَيْكَ الاتِّصَالُ بِالمَحْبُوبِ، وَيَبْقَى لَكَ فِي العَالَمِينَ مَصْحُوبٌ. وَهُوَ نُكْتَةُ البَابِ.

وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا: مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى الخَلْقِ إِلَّا وَهُمْ جُهَّالٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا مَنْ يُؤْثِرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، وَآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، فَانْظُرْ فِي هَذَا، هَلْ تَجِدُ لَهُ غَرَضاً فِي الأَكْوَانِ، وَهَذِهِ هِيَ الحُرِّيَّةُ الخَالِصَةُ مِنْ شَوَائِبِ رِقِّيَّةِ الأَكْوَانِ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِهَذَا المَقَامِ، يَكُونُ الدُّعَاءُ فِي حَقِّهِ لِمَحْضِ العُبُودِيَةِ فَقَطْ، لَا تَطَلُّعاً إِلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ إِنْ تَطَلَّعَ بِدُعَائِهِ إِلَى تَحْصِيلِ مَا قُدِّرَ لَهُ، أَوْ دَفْعِ مَا هُوَ مَدْفُوعٌ عَنْهُ، فَهُوَ عَبَثٌ لَا فَائِدَةَ لَهُ، وَيَلْزَمُهُ تَأْدِيبُ قَلْبِهِ عَنْ هَذَا التَّطَلُّعِ لِلْعَبَثِ، وَإِنْ تَطَلَّعَ لِذَلِكَ فَهُوَ طَمَعٌ وَمُضَادَّةٌ لِأَحْكَامِ الرُّبُوبِيَةِ.

وَكِلَاهُمَا فِي مَذْهَبِ العَارِفِينَ حَرَامٌ، فَيَلْزَمُهُ تَأْدِيبُ قَلْبِهِ أَيْضاً عَنْ هَذِهِ الخَسَائِسِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّعَلُّقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُبُودِيَةً لَهُ لَا لِأَجْلِ تَحْصِيلِ شَيْءٍ مِنْهُ بِالتَّعَلُّقِ بِهِ لِئَلَّا يَدْخُلَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّمَعِ وَالعَبَثِ وَشِرْكِ الأَغْرَاضِ، وَيَلْزَمُهُ حِينَئِذٍ الوُقُوفُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ عَلَى حُدُودِ الأَدَبِ بِالرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّضَا بِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالتَّفْوِيضُ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالاسْتِسْلَامُ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِقَامَةُ النَّفْسِ لَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ.

وَتَفْسِيرُ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ تَرْكُ السَّخَطِ عَنْهُ، فِيمَا يُجْرِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الأَضْرَارِ، بَلْ يَتَلَقَّى حُكْمَهُ بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَإِنْ كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ لِصِدْقِ مَحَبَّتِهِ، وَلَا يَتَمَنَّى زَوَالَ شَيْءٍ مِمَّا فَعَلَهُ بِهِ مِنَ الضَّرَرِ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُهُ جَلَّ وَعَلَا. وَتَفْسِيرُ الرِّضَا بِأَحْكَامِهِ وَمَقَادِيرِهِ، هُوَ نَفْيُ السَّخَطِ لِمَا حَكَمَ بِهِ عَلَيْكَ أَوْ غَيْرِكَ، فَتَسْتَوِي عِنْدَكَ المَضَارُّ وَالمَنَافِعُ، وَلَنْ تَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ هَذَا المَقَامِ، إِلَّا بِكَمَالِ زُهْدِكَ فِيكَ، وَكَمَالِ رَغْبَتِكَ فِيهِ لِأَجْلِهِ، لَا لِشَيْءٍ يَعُودُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَيَغِيبُ عَنْكَ رُؤْيَةُ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَيَسْقُطُ عَنْكَ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا مِنْ ذَاتِهِمَا حُبّاً وَبُغْضاً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الحُبُّ وَالبُغْضُ مِنْ أَجْلِهِ سُبْحَانَهُ. فَلْتَكُنْ فِي ذَلِكَ لِلَّهِ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ.

وَتَفْسِيرُ التَّفْوِيضِ هُوَ تَرْكُ التَّدْبِيرِ فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ، وَلَوْ بِالتَّمَنِّي فَضْلاً عَنِ السَّعْيِ فِيهِ، لِمَا عُلِمَ مِنْ سَبْقِ تَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا مَحِيصَ عَمَّا[1] قُدِّرَ حُصُولُهُ نَفْعاً أَوْ ضُرّاً، وَلَا سَبِيلَ لِمَا قُدِّرَ نَفْيُهُ نَفْعاً أَوْ ضُرّاً. فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَرْكُ التَّدْبِيرِ وَهُوَ التَّفْوِيضُ.

وَتَفْسِيرُ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ تَرْكُ مُنَازَعَةِ المَقَادِيرِ، تَمَنِّياً أَوْ سَعْياً، جَلْباً أَوْ دَفْعاً، وُقُوعاً أَوْ نَفْياً لِمَا سَبَقَ أَيْضاً مِنْ تَقْدِيرِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاخْتِيَارِهِ فِي سَابِقِ أَزَلِهِ لِمَا قُدِّرَ وُقُوعُهُ أَوْ عَدَمُهُ، وَالمُنَازَعَةُ كُلُّهَا حَرَامٌ عِنْدَ العَارِفِينَ لِأَنَّهَا إِمَّا عَبَثٌ أَوْ طَمَعٌ كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّسْلِيمُ وَهُوَ تَرْكُ المُنَازَعَةِ عُبُودِيَّةً، لَا تَطَلُّعاً إِلَى شَيْءٍ جَلْباً أَوْ دَفْعاً، فَيَدْخُلُ شِرْكُ الأَغْرَاضِ وَالطَّمَعُ وَالعَبَثُ.

---

[1]- ح ل: عَلَى مَا ـ ي: عن ما

وَتَفْسِيرُ الاسْتِسْلَامِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ إِسْقَاطُ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ مِنْكَ، حَتَّى تَكُونَ كَالمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ غَاسِلِكَ، يُقَلِّبُكَ كَيْفَ شَاءَ دُونَ اخْتِيَارٍ، وَلَا إِرَادَةَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ، لِأَنَّكَ فِي الحَقِيقَةِ لَا حَوْلَ لَكَ وَلَا قُوَّةَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي النَّفْسِ الكَاذِبَةِ وَمِنْ شَأْنِهَا الانْقِيَادُ لِلْوَهْمِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَرْكُ الدَّعْوَى وَتَأْدِيبُ النَّفْسِ عَنِ الانْقِيَادِ وَالوَهْمِ، وَرَدُّهَا إِلَى مَحْضِ العُبُودِيَةِ الخَالِصَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَتَفْسِيرُ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا هُوَ هُدُوُّ القَلْبِ سُكُوناً مِنَ الاضْطِرَابِ بِقَيُّومِيَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَسَابِقِ تَدْبِيرِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَتَبَرِّياً مِنَ الطَّمَعِ وَالعَبَثِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكُلُّ هَذِهِ مَقَامَاتٌ مُتَجَاذِبَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَى اسْتِفَائِهَا[1] كَمَالاً إِلَّا العَارِفُونَ، فَكُلَّمَا سَكَنْتَ إِلَى شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَائِناً مَا كَانَ، فَقَدْ اعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى السُّكُونِ هُوَ هُدُوُّ القَلْبِ وَالاسْتِيثَارُ بِوُجُودِ مَا سَكَنَ إِلَيْهِ، وَالاضْطِرَابُ وَالوَحْشَةُ وَالحُزْنُ عِنْدَ فَقْدِ المَسْكُونِ إِلَيْهِ[2]،

وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الحَالِ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وُكِّلَ إِلَى مَا سَكَنَ إِلَيْهِ، وَهَلَاكُهُ مُحَقَّقٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي دَرْكِ الفَلَاحِ الكَامِلِ. وَمَنْ كَانَ سُكُونُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأُنْسُهُ بِهِ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَكَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى تَدْبِيرِ أُلُوهِيَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَتَوَلَّاهُ بِالعِنَايَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَمَنَحَهُ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الأَحْوَالِ العَلِيَّةِ، وَالمَقَامَاتِ السَّنِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ.

وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا يَجِدُهُ هُنَالِكَ مِنَ الفَرَحِ وَاللَّذَّاتِ، وَالشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ، وَلَا يَعْلَمُ غَايَتَهُ إِلَّا الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ، وَلَمْ يَحْظَ بِهَذِهِ المَقَامَاتِ إِلَّا العَارِفُونَ، لِانْخِلَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَمِيعِ مَلَابِسِ الأَكْوَانِ، وَتَطْهِيرِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا لَحْظَةً أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ، فَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْرَارٍ مُخْتَطَفَةٍ عَمَّا سِوَاهُ، مَغْمُورَةٍ بِشُهُودِهِ، غَائِبَةٍ عَنْ وُجُودِ سِوَى اللَّهِ

---

[1]- ك ي: استيفائها

[2]- ع: (إليه) ساقطة

عَزَّ وَجَلَّ، مُقَيَّدَةٍ عِنْدَهُ فِي حَضْرَتِهِ، جَالِسَةٍ عَلَى بِسَاطِ تَفْرِيدِهِ، بِأَرْوَاحٍ مُطَهَّرَةٍ مِنْ عَلَائِقِ الأَجْسَامِ الظُّلْمَانِيَةِ، مُتَعَالِيَةٍ عَمَّا يُثَبِّطُهَا عَنِ الطَّيَرَانِ فِي رِيَاضِ الجَبَرُوتِ، مُنَزَّهَةٍ عَمَّا يَقْدَحُ فِي حُبِّهَا وَكَمَالِ شَوْقِهَا إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا دَائِماً،

وَبِعُقُولٍ مُطَهَّرَةٍ مِنْ دَنَسِ الهَوَى، دَائِمَةِ السَّيْرِ وَالفِكْرِ وَالنَّظَرِ فِي مَصْنُوعَاتِهِ جَلَّ وَعَزَّ، مُلْتَقِطَةٍ أَسْرَارَ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، بِقُلُوبٍ قَدْ كَمُلَ تَعَلُّقُهَا بِهِ، بِقَطْعِ العَلَاقَاتِ وَالتَّطْهِيرِ مِنَ الإِرَادَاتِ، وَالانْخِلَاعِ مِنَ المَأْلُوفَاتِ، وَغَضِّ البَصَرِ عَنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، وَوُقُوفِهَا عَلَى حُدُودِ الأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، بِنُفُوسٍ زَكِيَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ عَنْ جَمِيعِ الاضْطِرَابَاتِ، طَاهِرَةٍ مُطَهَّرَةٍ مُنْخَلِعَةٍ عَنِ الهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، وَبِأَجْسَادٍ مُسْتَغْرِقَةٍ[1] البَعْضَ وَالكُلَّ، لَا تَتَخَلَّفُ مِنْهَا شَعْرَةٌ وَلَا ذَرَّةٌ عَنْ خِدْمَةِ خَالِقِ المَوْجُودَاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي حَجَبَ الخَلْقَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ سُكُونُهُمْ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوْهُ كُلُّهُمْ بِبَصَائِرِهِمْ عِيَاناً، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ فِي الحِجَابِ أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، وَالكُلُّ فِي الانْحِجَابِ عَنْهُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، لِاسْتِحَالَةِ المَسَافَةِ وَالأَمْكِنَةِ وَالجِهَاتِ عَنْهُ جَلَّ وَعَلَا. وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِنِسْبَةِ مَا حَجَبَ العَبْدَ عَنْ شُهُودِهِ سُبْحَانَهُ، فَطَائِفَةٌ حَجَبَهُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَالانْكِبَابُ عَلَيْهَا وَهَذَا أَعْظَمُ الحُجُبِ، وَطَائِفَةٌ حَجَبَهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَهَوَاتُهُمْ وَأَغْرَاضُهُمْ وَهَوَاهُمْ وَنُفُوسُهُمْ، وَهَذَا أَدْنَى مِنَ الأَوَّلِ،

وَطَائِفَةٌ حَجَبَتْهُمْ الآخِرَةُ وَأَنْوَاعُ نَعِيمِهَا، وَحُورُهَا وَقُصُورُهَا وَأَلِيمُ عَذَابِهَا، وَالخَوْفُ مِنْ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ، وَطَائِفَةٌ حَجَبَهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[2] سُكُونُهُمْ إِلَى العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، وَالأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ، لِكَوْنِهَا هِيَ مَقْصُودُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ، فَهُمْ يَسْكُنُونَ لِوُجُودِهَا وَيَضْطَرِبُونَ لِفَقْدِهَا[3].

---

[1]- ك: منغرقة

[2]- ك: (عز وجل) ساقطة

[3]- ع: (لفقدها) ساقطة

وَالعَارِفُونَ خَرَقُوا هَذِهِ الحُجُبَ كُلَّهَا، وَجَلَسُوا مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بِسَاطِ شُهُودِهِ، وَالتَّبَرِّي عَنْ رُؤْيَةِ الأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَإِرَادَتِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ الَّتِي خَرَجُوا عَنْهَا، وَإِنَّمَا كَانَ الأَوَّلُونَ أَعْظَمَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ فِي الحِجَابِ، لِأَنَّهُمْ حُجِبُوا بِالحِجَابِ الأَوَّلِ بَعْدَ الثَّانِي، وَأَهْلُ الحِجَابِ الثَّانِي خَرَقُوا الحِجَابَ الأَوَّلَ بِالزُّهْدِ، فَقَطَعَ عَلَيْهِمْ الطَّرِيقَ دَوَاعِي النَّفْسِ وَالهَوَى فَحُجِبُوا. وَأَهْلُ الحِجَابِ الثَّالِثِ خَرَقُوا الحِجَابَيْنِ فَقَطَعَ عَلَيْهِمْ الطَّرِيقَ لَذَّةُ النَّعِيمِ الدَّائِمِ فَحُجِبُوا،

وَأَهْلُ الحِجَابِ الرَّابِعِ خَرَقُوا الثَّلَاثَةَ وَقَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَيْهِمْ إِرَادَةُ الرِّفْعَةِ وَالمَنْزِلَةِ بِحُصُولِ المَقَامَاتِ إِلَّا أَنَّ الثَّلَاثَةَ الأَوَّلِينَ حُجِبُوا بِالظُّلُمَاتِ، وَالآخِرِينَ حُجِبُوا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالأَنْوَارِ وَكُلُّهَا مُسْتَوِيَةٌ، حَيْثُ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ خَرَقَ الحُجُبَ كُلَّهَا، نَظَرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعَيْنِ البَصِيرَةِ.

وَأَمَّا[1] تَفْسِيرُ إِقَامَةِ النَّفْسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يُرِيدُ، فَهُوَ القِيَامُ بِمُرَادِهِ عُبُودِيَّةً لِأَجْلِهِ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ، بِإِسْقَاطِ الرَّجَاءِ مِنْهُ عَلَى العِبَادَةِ فَقَطْ، لَا أَنَّهُ يَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْهُ قُنُوطاً مِنْ خَيْرِهِ[2]، فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْنُ الكُفْرِ المَنْهِيِّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا يَسْقُطُ الرَّجَاءُ عَلَى العِبَادَةِ، لِتَتَخَلَّصَ عِبَادَتُهُ لِرَبِّهِ عَنْ شِرْكِ الأَغْرَاضِ، وَيَرْجُوا الخَيْرَ مِنْ رَبِّهِ لِمَحْضِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ، وَالرَّجَاءُ هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَاسِنِ الصِّفَاتِ العَظِيمَةِ.

وَأَمَّا الرَّجَاءُ لِنَيْلِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ مِنَ الآخِرَةِ، فَهُوَ طَمَعٌ عِنْدَ العَارِفِينَ، وَكُلُّهُ حَرَامٌ، لِمَا عُلِمَ مِنْ سَبْقِ تَقْدِيرِهِ وَقِسْمَتِهِ فِي الأَزَلِ، فَلَا مَطْمَعَ فِي نَيْلِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ، كَمَا لَا خَوْفَ مِنْ فَوْتِ مَا قُدِّرَ حُصُولُهُ فَأَيُّ شَيْءٍ الرَّجَاءُ بَعْدَ هَذَا، وَمَا هُوَ إِلَّا حُسْنُ الظَّنِّ بِهِ[3] تَعَالَى، بِقَطْعِ الطَّمَعِ مِنْهُ فِي نَيْلِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ، وَقَطْعِ اتِّهَامِهِ فِي فَوْتِ مَا قُدِّرَ.

---

[1]- ع: أما

[2]- ح ل ي: غيره

[3]- ك: بالله

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَخْلِيصُ العُبُودِيَةِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى مَا يُرِيدُ بِحُكْمِ شَرْعِهِ بِمُفَارَقَةِ الحُظُوظِ، وَقَطْعِ الاخْتِيَارِ مَعَهُ وَمُبَايَنَةِ الإِرَادَاتِ مَعَ إِرَادَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلْيَكُنْ مَعَهُ كَالمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ غَاسِلِهِ، يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَوْلاً وَلَا قُوَّةً، وَيَبْقَى مُسْتَسْلِماً لِلْأَحْكَامِ تَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ لِشَيْءٍ مِنْهَا،

فَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الأَضْرَارِ الَّتِي جَرَتْ عَلَى الخَلْقِ، مَا تَأَلَّمَتْ مِنْهُ شَعْرَةٌ، لِمَا تَحَقَّقَ مِنْ قَيُّومِيَةِ[1] مَحْبُوبِهِ، وَهَذَا مِنَ الأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ مَحْضُ المَوَاهِبِ الإِلَهِيَةِ، لَيْسَ لِلْكَسْبِ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، وَلَنْ يَسْتَكْمِلَهُ مَنْ فِيهِ أَدْنَى لَحْظَةٍ مِنَ الالْتِفَاتِ لِنَفْسِهِ أَوْ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَنَالَنَا اللَّهُ ذَلِكَ بِمَحْضِ فَضْلِهِ آمِينَ، بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالوَاجِبُ فِي حَقِّ السَّالِكِ، أَنْ يُمْسِيَ وَيُصْبِحَ وَيَظَلَّ وَيَبِيتَ، وَلَيْسَ لَهُ مُرَادٌ إِلَّا شَيْئَانِ: الأَوَّلُ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اخْتِيَاراً لَهُ مِنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ[2]، وَاسْتِغَانَةً بِهِ عَنْهَا وَأُنْفَةً مِنْ لَحْظِهَا لَمْحَةً، وَغَيْرَةً أَنْ يَخْتَارَ سِوَاهُ، وَلْيَكُنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَبْدَأُ مُرَادِهِ وَمُنْتَهَاهُ، وَأَوَّلُ مُرَادِهِ وَآخِرُه، وَمُفْتَتَحُهُ وَخَتْمُهُ، وَمُسْتَغْرِقاً لِقِصَرِ مُرَادِهِ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ، حَتَّى لَا تَبْقَى لَمْحَةٌ يُرِيدُ فِيهَا غَيْرَهُ، لِأَنَّ إِرَادَةِ الغَيْرِ إِمَّا طَمَعٌ أَوْ عَبَثٌ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَالثَّانِي مِنْ مُرَادَاتِ السَّالِكِ، أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصاً مِنْ رِقِّيَّةِ غَيْرِهِ، كَامِلَ التَّعَلُّقِ بِهِ، تَعَلُّقاً سِرّاً وَرُوحاً، وَعَقْلاً وَنَفْساً، وَقَلْباً وَقَالَباً، حَتَّى لَا تَكُونَ مِنْهُ ذَرَّةٌ مُتَخَلِّفَةٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاقِفاً مَعَ مُرَادِهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُنْسَلِخاً عَنْ جَمِيعِ الإِرَادَاتِ وَالاخْتِيَارَاتِ وَالتَّدْبِيرَاتِ، وَالحُظُوظِ وَالشَّهَوَاتِ وَالأَغْرَاضِ، وَاقِفاً فِي ذَلِكَ لِلَّهِ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ، لَا شَيْءَ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ وَلَا مَعَ نَفْسِهِ،

---

[1]- ح: قيومة

[2]- ع: الوجود

وَلْيَكُنْ ذَلِكَ عُبُودِيَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِهِ وَإِرَادَةً لِوَجْهِهِ وَأَدَاءً لِحَقِّ رُبُوبِيتِهِ، لَا لِيَعُودَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَخْتَرْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُكَمِّلَ لَهُ مُرَادَهُ، بَلْ لِتَخْلُصَ[1] عُبُودِيَتُهُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا قُنُوطاً مِنْ خَيْرِهِ لِئَلَّا يَكْفُرَ، وَيُحَسِّنَ ظَنَّهُ بِهِ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الصِّفَاتِ المَحْمُودَةِ. انْتَهَى. وَهَذَا التَّنْبِيهُ قَدْ كَتَبَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِيماً، حِينَ كَانَ يُدَرِّسُ العِلْمَ، وَكَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَنْ احْتَلَمَ فِي السَّفَرِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الاغْتِسَالِ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ. هَلْ يَذْكُرُ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الأَوْرَادِ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ يَتَيَمَّمُ، وَيَذْكُرُ جَمِيعَ أَوْرَادِهِ كَالسِّيفِي وَغَيْرِهِ، إِلَّا الفَاتِحَةَ بِنِيَّةِ الاسْمِ فَلَا يَقْرَبْهَا، وَلَوْ طَالَ الحَالُ إِلَى الأَبَدِ، إِلَّا بِطَهَارَةٍ مَائِيَةٍ كَامِلَةٍ. قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَذْكُرُ الاسْمَ الأَعْظَمَ بِالتَّيَمُّمِ لِلْمَرَضِ إِذَا أَصَابَنِي، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الوُضُوءِ؟

قَالَ لِي: لَا إِلَّا أَنْ تَذْكُرَهُ بِالقَلْبِ دُونَ اللِّسَانِ. **ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: هَذَا حُكْمُ مَنْ احْتَلَمَ فِي السَّفَرِ. وَأَمَّا مَنْ احْتَلَمَ فِي الحَضَرِ وَالصِّحَّةِ، فَلَا يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ وِرْدِهِ، إِلَّا إِذَا اغْتَسَلَ. ثُمَّ قَالَ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُؤَخِّرَ صَلَاةَ الصُّبْحِ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ صَلَاةِ الفَرْضِ، حَتَّى يَخْرُجَ الوَقْتُ لِأَجْلِ الغُسْلِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا لِلْمَرَضِ، أَوْ لِعَدَمِ القُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِ المَاءِ، وَأَمَّا ذِكْرُ الفَاتِحَةِ بِنِيَّةِ الاسْمِ فَلَا تَقْرَبْهَا بِالتَّيَمُّمِ، لَا فِي السَّفَرِ وَلَا فِي المَرَضِ، وَلَوْ طَالَ الحَالُ إِلَى الأَبَدِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ الجَزُولِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حِزْبِ الفَلَاحِ **أَفْضَلُ مَا هُوَ أَهْلُهُ؟** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ** أَنَّ لِلرُّبُوبِيَةِ إِفَاضَاتٍ مُتَبَايِنَةً فِي الكَيْفِيَّةِ، وَالعِظَمِ وَاللَّذَّاتِ وَالخَوَاصِّ عَلَى المَرْتَبَةِ الوَاحِدَةِ المُفَاضِ عَلَيْهَا، سَوَاءٌ كَانَ[2]

---

[1]- ك: بل لتكمل ـ ل: بل لتخليص

[2]- ك: كان ذلك

الفَيْضُ فِي مُقَابَلَةِ عَمَلٍ، أَوْ تَوَجُّهٍ مِنَ المَرْتَبَةِ المُفَاضِ عَلَيْهَا أَوْ فِي غَيْرِ مُقَابَلَةِ شَيْءٍ، وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ تَخْلُ رُتْبَتُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ مِنْ هَذَا الفَيْضِ أَبَداً سَرْمَداً، وَهَذَا الفَيْضُ هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالفَضْلِ وَالعَطَايَا وَالمِنَحِ وَالإِنْعَامِ، إِلَى مَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ ظُهُورِ سِرِّ العِنَايَةِ مِنْهُ، وَالمَحَبَّةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ وَالتَّكْرِيمِ لِلْمَرْتَبَةِ المُفَاضِ عَلَيْهَا مَا ذُكِرَ قَبْلُ، مِنَ الفَضْلِ وَالعَطَايَا وَالمِنَحِ.

وَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا، عَلِمْتَ قَطْعاً أَنَّ مَا أَفَاضَهُ الحَقُّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاجِلاً وَآجِلاً مِنَ العَطَايَا وَالمِنَحِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ العُقُولُ عَلَى دَرْكِ أَدَانِيهَا فَضْلاً عَنْ أَقَاصِيهَا، وَعَلِمْتَ أَنَّ تِلْكَ الإِفَاضَاتِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتَبَايِنَةُ الكَيْفِيَّاتِ وَالحُدُودِ فِي الكَثْرَةِ وَالقِلَّةِ وَالصِّغَرِ وَالعَظَمَةِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَلُوحُ لِلنَّاظِرِ فِيهَا تَصْرِيحاً لِعُلُوِّ رُتْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ، وَعَظَمَةِ مَكَانَتِهِ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ، وَأَهْلِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتِلْكَ العَطَايَا، ثَابِتَةٌ بِحُكْمِ عِنَايَةِ الحَقِّ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ فِيهِ، فَهُوَ أَهْلٌ لِقَلِيلِهَا كَمَا هُوَ أَهْلٌ لِعَظِيمِهَا.

وَالدَّاعِي طَلَبَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجَازِيَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ مَّا عَلَّمَنَا مِنَ الخَيْرَاتِ وَالمَكَارِمِ، وَمَا أَتَاحَ لَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّعَمِ العَظِيمَةِ وَالمَوَاهِبِ العَظَائِمِ، الَّتِي يَدْهَشُ العَقْلُ وَيَكَعُّ جَوَادُ عَزْمِهِ عَنِ الإِحَاطَةِ بِأَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهَا، وَمَا بَذَلَ إِلَيْنَا مِنَ النَّصِيحَةِ، وَعَلَّمَنَا مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ، الَّتِي تَصْلُحُ لِمَنْ تَوَجَّهَ بِهَا إِلَى حَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، ثُمَّ مَا وَقَانَا بِهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَلِيمِ العَذَابِ الأَبَدِيِّ، الَّذِي لَا تُطِيقُ العُقُولُ وَصْفَهُ، وَمَا أَعْقَبَنَا بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ النَّعِيمِ السَّرْمَدِيِّ، الَّذِي يُدْهِشُ العُقُولَ ذِكْرُهُ، وَكُلُّ[1] شُكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا[2] فِي هَذَا غَيْرُ مُتَنَاهٍ،

---

[1]- ح ك ل ي هـ ق ص: وكان

[2]- ل: وكان شكره علينا صلى الله عليه وسلم

لَوْ اسْتَغْرَقْنَا طُولَ أَعْمَارِنَا لِلْقِيَامِ[1] بِشُكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ نُؤَدِّ حَتَّى مِثْقَالَ هَبَئَةٍ فِي مُقَابَلَةِ بِرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَمَّا عَلِمَ الدَّاعِي عَجْزَهُ عَنِ القِيَامِ بِشُكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا ذُكِرَ، رَدَّ ذَلِكَ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِمَا لَهُ مِنْ سَعَةِ القُدْرَةِ الإِلَهِيَةِ عَلَى تَوْفِيَةِ شُكْرِهِ عَنَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، فَكَأَنَّ الدَّاعِيَ يَقُولُ:

يَا رَبَّنَا إِذَا عَلِمْتَ عَجْزَنَا عَمَّا وَجَبَ عَلَيْنَا مِنَ القِيَامِ بِشُكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْزِهِ عَنَّا بِأَعْظَمِ مَا مَنَحْتَ رُتْبَتَهُ العَظِيمَةَ مِنْ مَوَاهِبِكَ وَمِنَحِكَ، الَّتِي خَصَّصْتَهُ بِهَا الَّتِي كَانَ أَهْلاً لِعَظِيمِهَا، كَمَا هُوَ أَهْلٌ لِقَلِيلِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَجَازِهِ عَنَّا بِأَعْظَمِ مَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْ مِنَحِكَ وَمَوَاهِبِكَ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْكَ سُبْحَانَكَ، نِيَابَةً عَنَّا فِي شُكْرِنَا لَهُ[2] الَّذِي لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَالسَّلَامُ. فَافْهَمْ هَذَا المَهْيَعَ الصَّافِي وَالتَّعْبِيرَ الوَافِي، وَلَا تَلْتَفِتْ لِمُنَاقَشَةِ الأَلْفَاظِ المُضْطَرِبَةِ بَيْنَ أَهْلِ الظَّاهِرِ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِمَحَبَّةِ الكُمَّلِ العَارِفِينَ بِاللَّهِ، المُغْتَرِفِينَ مِنْ فَيْضِ الأَسْرَارِ البَاطِنَةِ الإِلَهِيَةِ، وَأَمَاتَنَا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ آمِينَ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى بَعْضِ الفُقَهَاءِ، وَمِنْ خَطِّهِ كَتَبْتُ، وَالسَّلَامُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ الزُّهْدِ** فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ الزُّهْدِ فِي المَزْهُودِ فِيهِ، هُوَ التَّرْكُ وَالإِعْرَاضُ عَنْهُ، وَبِدَايَتُهُ التَّرْكُ وَالإِعْرَاضُ، وَتَمَكُّنُهُ الاسْتِئْنَاسُ بِتَرْكِهِ، وَنِهَايَتُهُ دَوَامُ نِسْيَانِهِ حَتَّى لَا يَخْطُرَ بِالبَالِ، وَنِهَايَتُهُ العُظْمَى احْتِقَارُ الزُّهْدِ وَالمَزْهُودِ فِيهِ، فَلَا يَرَى الزُّهْدَ شَيْئاً وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا دَامَتِ الأَشْيَاءُ قَائِمَةً فِي النَّفْسِ فَالزُّهْدُ فِيهَا مَطْلُوبٌ، حَتَّى إِذَا تُرِكَتْ الأَشْيَاءُ مِنَ النَّفْسِ، وَصَفَتْ مِنْ جَمِيعِ الكَادُورَاتِ، وَذَهَبَتْ صُوَرُ الأَكْوَانِ مِنَ القَلْبِ عَيْناً وَأَثَراً فَلَا زُهْدَ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الحَالِ يَتَمَكَّنُ مِنْهُ حُبُّ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَإِذَا تَمَكَّنَ حُبُّ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، ذَهَبَتْ الأَكْوَانُ

---

[1]- ع ك ي: القيام

[2]- ك: (له) ساقطة

وَمُحِقَتْ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، فَلَا يُتَصَوَّرُ خُطُورُهَا عَلَى القَلْبِ، فَهُنَا لَا زُهْدَ وَلَا مَزْهُودَ فِيهِ.

وَفِي هَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِ[1] الشِّبْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ سُئِلَ عَنِ الزُّهْدِ فَقَالَ لَهُ مَا مَعْنَاهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا كُلُّهَا بِجَمِيعِ مَا فِيهَا كَحَصَاةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ، مَرَّ عَلَيْهَا مَارٌّ، فَإِنَّ تَرْكَ المَارِّ لِتِلْكَ الحَصَاةِ لَا يُعَدُّ زُهْداً. وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ زُهْدِ أَصْحَابِ المَقَامَاتِ مِمَّا وَرَاءَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ، فَلَا تَخْطُرُ الدُّنْيَا بِبَالِهِ حَتَّى يَزْهَدَ فِيهَا، وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي الزُّهْدِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ[2]، وَهِيَ البُعْدُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُلَائِمُ مَقَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ المَقَامَاتِ، أَوْ يُوجِبُ فِيهِ نَقْصاً أَوْ خَلَلاً فِي الكَمَالِ، وَمَا سِوَى هَذَا فَلَا زُهْدَ فِي شَيْءٍ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **لِكُلِّ جَوْهَرٍ قَلْبٌ وَخُلَاصَةٌ:** فَمَا فِي الأَوَّلِ صُورَةُ مَا فِي الثَّانِي، وَمَا فِي الثَّانِي صُورَةُ مَا فِي الثَّالِثِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الجِسْمُ صُورَةَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ، وَالطَّبِيعَةُ صُورَةُ مَا فِي النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ صُورَةُ مَا فِي العَقْلِ، وَالعَقْلُ صُورَةُ مَا فِي الرُّوحِ، وَالرُّوحُ صُورَةُ مَا فِي العَمَا، وَالعَمَا صُورَةُ مَا فِي العَيْنِ، وَالعَيْنُ صُورَةُ الذَّاتِ المُطْلَقَةِ عَنِ الاعْتِبَارَاتِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَالَمَ صُورَةُ العِلْمِ الإِلَهِي. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ المَشْرِي، وَمِنْ خَطِّهِ كَتَبْتُ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يُقَالُ فِي الإِشَارَةِ عَنِ اللَّهِ قَالَ: **إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً،** وَفِي المُضْغَةِ قَلْبٌ، وَفِي القَلْبِ فُؤَادٌ، وَفِي الفُؤَادِ ضَمِيرٌ، وَفِي الضَّمِيرِ سِرٌّ، وَفِي السِّرِّ أَنَا. مَعْنَاهُ المُضْغَةُ هِيَ اللَّحْمَةُ الصَّنَوْبَرِيَّةُ، وَالَّذِي فِيهَا هُوَ القَلْبُ، وَالمُرَادُ بِالقَلْبِ الرُّوحُ فِي مَرْتَبَةِ كَوْنِهَا قَلْباً، وَفِي القَلْبِ فُؤَادٌ، وَالفُؤَادُ هِيَ الرُّوحُ فِي مَرْتَبَةِ كَوْنِهَا نَفْساً مُطْمَئِنَّةً، وَفِي الفُؤَادِ ضَمِيرٌ،

1- ع ل ي: يقول

2- ح: وحدة

وَالمُرَادُ بِالضَّمِيرِ هِيَ الرُّوحُ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ[1] كَوْنِهَا نَفْساً رَاضِيَةً، وَفِي الضَّمِيرِ سِرٌّ، وَالسِّرُّ هِيَ الرُّوحُ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ كَوْنِهَا نَفْساً مَرْضِيَّةً، وَهِيَ الَّتِي الْتَحقَتْ بِمَرْتَبَةِ فَنَاءِ الفَنَاءِ، وَهُوَ مَقَامُ السُّحْقِ وَالمَحْقِ وَالدَّكِّ وَالاسْتِهْلَاكِ، حَتَّى لَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ وَلَا غَيْرَ وَلَا غَيْرِيَّةَ، وَفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يَقُولُ: وَفِي السِّرِّ أَنَا. وَفِي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنْ دُعِيَتْ كُنْتَ المُجِيبَ الخ.. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **زُبْدَةُ الأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ وَغَايَةُ ارْتِفَاعِهَا،** هُوَ التَّعَلُّقُ بِاللَّهِ تَعَالَى بِلَا انْفِصَامٍ وَلَا تَزَلْزُلٍ. وَلَوْ دَهَمَتْهُ دَهَمَاتُ الفِتَنِ الصَّعْبَةِ، الَّتِي لَا يَنْجُوا مِنْهَا إِلَّا بِانْخِلَاعِ يَدِهِ[2] مِنْ سِوَى[3] اللَّهِ تَعَالَى وَانْفِصَامِهِ عَنْهُ، فَهَذَا غَايَةُ العَمَلِ وَمُنْتَهَاهُ، وَهَذَا هُوَ الفِقْهُ فِي الدِّينِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، حِينَ ذَكَرَ مَا حَلَّ بِالمُنَافِقِينَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مِمَّا لَحِقَهُمْ مِنَ الضَّيْقِ الأَعْظَمِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: **(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ)** إِلَى قَوْلِهِ **(غُرُوراً)**[4]،

فَهَتَكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْتَارَ المُنَافِقِينَ، بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالكَذِبِ فِي الحَالِ، حَيْثُ قَالَ: **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ)** [5] وَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الطَّائِفَةِ الأُخْرَى حَيْثُ قَالُوا: **(إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً)** [6] ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أَكَابِرِ المُؤْمِنِينَ

---

[1]- ك: (مرتبة) ساقطة

[2]- ي: يديه

[3]- ك ي: (سوى) ساقطة

[4]- سورة الأحزاب، الآية 10-12.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 18-19.

[6]- سورة الأحزاب، الآية 13.

حَيْثُ يَقُولُ: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)[1] وَكَمَا قَالَ عَنْهُمْ: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)**[2] هَكَذَا هُوَ ثُبُوتُ التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمُ الانْفِصَامِ عَنْهُ، إِذَا هَاجَتْ أَمْوَاجُ الفِتَنِ الصَّعْبَةِ. انْتَهَى.

وَلَيْسَتْ هَذِهِ إِلَّا صِفَةَ العَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى، **فَهَذَا هُوَ الفِقْهُ فِي الدِّينِ،** وَعَلَى هَذَا يَتَنَزَّلُ صَفَاءُ اليَقِينِ، وَعَيْنُ الفِقْهِ فِي الدِّينِ غَيْرُ هَذَا الَّذِي ذُكِرَ، بَلْ هُوَ انْكِشَافُ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ البَاطِنَةِ، وَتَكْمِيلُ القِيَامِ بِحُقُوقِهَا وَآدَابِهَا. فَهَذَا هُوَ الفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الفُقَهَاءِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا النَّبِيئُونَ وَالعَارِفُونَ وَالصِّدِّيقُونَ. فَهَذَا هُوَ الفِقْهُ فِي الدِّينِ المُشَارُ إِلَيْهِ فِي الحَدِيثِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ)). انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] عَنْ **مَعْنَى العَافِيَةِ وَحَقِيقَتِهَا**. فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ العَافِيَةِ هِيَ القِيَامُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُطَابَقَةِ مُرَادِهِ، بِكَمَالِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ وَالاسْتِسْلَامِ، وَسُقُوطِ التَّدْبِيرِ وَالحِيَلِ، وَدَوَامِ التَّبَرِّي مِنْ جَمِيعِ المُلَاحَظَاتِ، وَالمُسَاكَنَاتِ وَالمُصَاحَبَاتِ وَالمُرَادَاتِ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ غَيْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ نَفَسٍ أَبَداً دَائِماً سَرْمَداً، وَصِحَّةُ ذَلِكَ وَمِصْدَاقُهُ أَنْ لَا يَخْطُرَ غَيْرُ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ دَائِماً فَهَذِهِ هِيَ العَافِيَةُ، وَإِذَا سَأَلْتَ العَافِيَةَ مِنَ اللَّهِ، فَاسْأَلْهُ العَافِيَةَ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُهَا لَكَ، عَافِيَةً لَا فِيمَا تُرِيدُهُ وَتَخْتَارُهُ.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 23.

[2]- سورة الأحزاب، الآية 22.

[3]- ح: (رضي الله عنه) ساقطة

وَأَمَّا قَوْلُ القَائِلِ مُنْكِراً عَلَى المُرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ سَأَلَ اللَّهَ العَافِيَةَ فَمَاتَ مَسْمُوماً، وَعُمَرُ سَأَلَ اللَّهَ العَافِيَةَ فَمَاتَ مَقْتُولاً، وَعُثْمَانُ سَأَلَ اللَّهَ العَافِيَةَ فَمَاتَ مَقْتُولاً، وَعَلِيٌّ سَأَلَ اللَّهَ العَافِيَةَ فَمَاتَ مَقْتُولاً، فَتِلْكَ مَرْتَبَةُ الفُقَهَاءِ عَنِ اللَّهِ، وَالَّذِي أَنْكَرَهَا غَرِيقٌ فِي بَحْرِ هَوَاهُ، قَدِ انْطَمَسَتْ حَضْرَةُ قُدْسِهِ وَمُنَاهُ، فَأَنْكَرَ مَا أَنْكَرَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً * وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ، مُشِيراً إِلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي مَرْتَبَةِ العَافِيَةِ. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: لَا تَخْتَرْ مِنْ أَمْرِكَ شَيْئاً وَاخْتَرْ أَنْ لَا تَخْتَارَ، وَفِرَّ مِنْ ذَلِكَ المُخْتَارِ وَمِنِ اخْتِيَارِكَ، وَمِنْ فِرَارِكَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ، **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)**[1]. وَأَمَّا قَتْلُ هَؤُلَاءِ السَّادَاتِ الكِرَامِ، فَالقَتْلُ لَهُمْ عَيْنُ العَافِيَةِ. أَتَرَى سَيِّدَنَا يَحْيَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُتِلَ، أَتَرَاهُ خَرَجَ عَنِ العَافِيَةِ؟ حَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا السَّادَاتُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَغَيْرُهُمْ كَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّادَاتِ، فَإِنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمُ العَافِيَةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ فِي ذَلِكَ القَتْلِ، وَشَرَّفَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى جِنْسِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا هَذَا العِلْمَ إِلَّا الأَكَابِرُ مِنَ الرِّجَالِ، وَكَذَلِكَ لَا يُطِيقُونَ لِحَمْلِ أَعْبَاءِ هَذِهِ العَافِيَةِ إِلَّا أُولَئِكَ الرِّجَالُ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَا كَلَامَ عَلَيْهِمْ.

وَالعَافِيَةُ فِي حَقِّهِمْ لَيْسَتْ خَارِجَةً عَنِ البَلَاءِ إِلَّا بِتَأْيِيدٍ إِلَهِي، وَالعَافِيَةُ هِيَ الَّتِي عِنْدَهُمْ تَوَاتُرُ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ، المُطَابِقَةِ لِلْأَغْرَاضِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالأَمْنُ مِنَ البَلَايَا وَالمِحَنِ، فَهَذَا غَايَةُ البَلَاءِ وَالمِحْنَةِ الشَّدِيدَةِ. قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ وَهُوَ مِنْ فُقَهَاءِ هَذَا المَيْدَانِ لِبَعْضِ

---

[1]- سورة القصص، الآية 68

السَّادَاتِ مُسْتَغِيثاً بِهِ: يَا سَيِّدِي ادْعُ[1] اللَّهَ لِي فَقَدْ قُرِنْتُ بِالعَوَافِي، مَعَ تَوْفِيرِ النِّعَمِ. أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، وَخَافَ سُوءَ عَاقِبَةِ هَذَا الأَمْرِ فَاسْتَغَاثَ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَأَهْلُ الظَّاهِرِ وَاقِفُونَ[2] مَعَ نُفُوسِهِمْ، غَارِقُونَ[3] فِي بَحْرِ الهَوَى، فَلَا كَلَامَ مَعَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ زَرُّوقُ يُوصِي أَصْحَابَهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَوْصَاهُمْ بِهِ قَالَ لَهُمْ: عَظِّمُوا العُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ حَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ وَلَا تُخَالِطُوهُمْ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ غَالِبَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ العُجْبِ**. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: هُوَ اسْتِعْظَامُ العَمَلِ وَنِسْيَانُ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَحَقِيقَةُ الرِّيَاءِ هُوَ العَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ، لِرَجَاءِ نَفْعٍ مِنْهُمْ حِسِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ، أَوْ لِدَفْعِ ضُرٍّ أَوْ خَوْفِ مِنَّةٍ، وَحَقِيقَةُ العَمَلِ هُوَ مُطَابَقَةُ أَمْرِ اللَّهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً[4] مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ، وَنِيَّةُ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَالَّذِي يَعْمَلُ لِلَّهِ مُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ، رَاجِياً مِنْهُ الثَّوَابَ عَلَى عَمَلِهِ، فَهَذَا مَحَلٌّ تَدَافَعَ فِيهِ الرِّجَالُ، فَمِنْ قَائِلٍ بِإِبْطَالِهِ وَلَا ثَوَابَ لَهُ، وَمِنْ قَائِلٍ بِصِحَّتِهِ وَصِحَّةِ ثَوَابِهِ، وَمِنْ قَائِلٍ بِإِبْطَالِ العَمَلِ حَتَّى يَرْجُوَا الثَّوَابَ عَلَيْهِ.

وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذَا، أَنَّ العَمَلَ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصاً، لَا لِلثَّوَابِ وَلَا لِطَمَعٍ هُوَ الأَفْضَلُ وَالأَعْلَى، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا حَكَى عَنْهُ فِي الزَّبُورِ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَدَّ الأَوِدَّاءِ مَنْ عَبَدَنِي لِغَيْرِ نَوَالٍ، لَكِنْ لِيُعْطِيَ الرُّبُوبِيَةَ حَقَّهَا) وَحُكِيَ عَنْهُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ يَقُولُ فِيهَا: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ عَبَدَنِي لِجَنَّةٍ أَوْ لِنَارٍ، لَوْ لَمْ أَخْلُقْ جَنَّةً وَلَا نَاراً،

---

[1]- ع: ادعوا

[2]- ع ك ي: واقفين

[3]- ع ك ي: غارقين

[4]- ع: أو باطنا

أَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِأُعْبَدَ[1]) وَإِنْ كَانَ لِطَمَعٍ وَرَجَاءَ الثَّوَابِ، فَالعَمَلُ صَحِيحٌ مَقْبُولٌ مُثَابٌ عَلَيْهِ. وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى اسْمِهِ العَدْلِ. فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: العَدْلُ الإِلَهِي هُوَ إِعْطَاؤُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَفْسِهِ، عَلَى طِبْقِ مَا سَبَقَ لَهُ فِي العِلْمِ الأَزَلِيِّ، بِمِيزَانٍ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ النَّقْصُ وَالزِّيَادَةُ، فَهَذَا مَعْنَى اسْمِهِ العَدْلِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِمَّا أَنْشَدَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ فَاتَهُ حُسْنُ وَجْهِي فَاتَهُ الإِحْسَانْ * وَمَنْ رَآنِي رَأَى التَّحْقِيقَ وَالتِّبْيَانْ
ظَهَرْتُ فِي الجِسْمِ فِي كَشْفٍ وَفِي كِتْمَانْ * فَلِي خَفَاءٌ وَلِي سِرٌّ وَلِي إِعْلَانْ
لَمَّا خَلُصْنَا نَجَوْنَا مِنْ تَنَاجِينَا * أَوْحَى لَنَا فَوْقَ مَا نَرْجُو مُنَاجِينَا
وَقَدْ جَلَانَا تَجَلَّا فِي مَجَالِينَا * فَمَنْ لَهُ مَحْوُنَا حَتَّى يُجَالِينَا

ذُكِرَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[2] مَرِضَ فَطَالَ مَرَضُهُ، فَنَادَتْهُ عُشْبَةٌ أَنْ كُلْنِي فَشِفَاؤُكَ يَحْصُلُ بِي، فَقَالَ لَهَا: لَا جَرَمَ أَنَّ[3] اللَّهَ هُوَ الشَّافِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَكَى مَرَضَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[4]، فَأَمَرَهُ بِأَكْلِ تِلْكَ العُشْبَةِ فَأَكَلَهَا، فَازْدَادَ مَرَضُهُ فَشَكَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى الطَّبِيبِ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَى الطَّبِيبِ وَشَكَى إِلَيْهِ، أَمَرَهُ بِأَكْلِ تِلْكَ العُشْبَةِ، فَأَكَلَهَا فَبَرِئَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: شَفَيْتُكَ مِنْ غَيْرِ مُدَاوَاةٍ لِتَعْلَمَ قُدْرَتِي، وَشَفَيْتُكَ بِالحَشِيشَةِ لِتَعْلَمَ حِكْمَتِي،

[1]- ع ك ي: لأن أعبد
[2]- ح: سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ـ ي: سيدنا عليه الصلاة والسلام
[3]- ك: (أن) ساقطة
[4]- ع: (تعالى) حذفت

وَزِدْتُ فِي مَرَضِكَ بِهَا لِتُحَقِّقَ قَهْرِي وَسَطْوَتِي، وَأَحَلْتُكَ عَلَى الطَّبِيبِ لِتَعْرِفَ تَرْتِيبَ مَمْلَكَتِي، أَنَا الشَّافِي لِمَنْ أَشَاءُ بِمَا أَشَاءُ. وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِيقَةِ المَكْرِ**. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ المَكْرِ هُوَ إِظْهَارُ النِّعْمَةِ عَلَى العَبْدِ، وَبَسْطُهَا لَهُ ثُمَّ يُدْرِجُهُ إِلَى غَايَةِ الهَلَاكِ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)**[2]. وَصِفَةُ العَبْدِ أَنْ يَكُونَ دَائِماً خَائِفاً مِنْ رَبِّهِ، لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ بِحَالٍ، وَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ سُبْحَانَهُ[3] تَعَالَى: **(وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَامُونٍ)**[4] وَالإِيمَانُ لَهُ جَنَاحَانِ كَالطَّائِرِ، جَنَاحٌ وَهُوَ الأَوَّلُ هُوَ الخَوْفُ، وَهُوَ تَوَجُّعُ القَلْبِ مِنْ خَشْيَةِ الوَعِيدِ.

وَفِي الحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((المُؤْمِنُ يَرَى ذُنُوبَهُ، كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَالمُنَافِقُ يَرَى ذُنُوبَهُ كَالذُّبَابِ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ)) وَالجَنَاحُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّجَاءُ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَلَا يُعَذِّبَهُ، وَلَا يَتَوَقَّعُ فِيهِ الأَمَانَ، فَإِذَا تَمَحَّضَ الرَّجَاءُ وَحْدَهُ بِلَا خَوْفٍ كَانَ أَمْناً، وَالأَمْنُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَيْنُ الكُفْرِ بِاللَّهِ، وَإِذَا تَمَحَّضَ الخَوْفُ وَحْدَهُ، كَانَ يَأْساً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاليَأْسُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَيْنُ الكُفْرِ، وَالسَّلَامُ. وَفِي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ الشَّرِيشِي:

---

[1]- ح ك ل: (رضي الله عنه) ساقطة

[2]- سورة المؤمنون، الآية 55-56.

[3]- ح: (سبحانه) حذفت

[4]- سورة المعارج، الآية 27-28.

وَلَا تَرَيَنْ فِي الأَرْضِ دُونَكَ مُؤْمِناً * وَلَا كَافِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي القَبْرِ
فَإِنَّ خِتَامَ الأَمْرِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ * وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ المَكْرِ

وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كُلُّ العَارِفِينَ فِي شُغْلٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى،** لِأَنَّهُمْ بَقِيَ لَهُمْ ضَرْبٌ مِنْ حُظُوظِهِمْ، **إِلَّا أَهْلُ التَّجَلِّي الأَكْبَرِ**، الَّذِينَ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الجَنَّةِ، فَإِنَّهُمْ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُقَيَّدُونَ فِي حَضْرَةِ قُرْبِهِ، وَوَاصَلَهُمْ بِمَا لَا تُطِيقُ العُقُولُ وَصْفَهُ، وَلَوْ أَنَّهُ وَصَلَ العَارِفِينَ بِتَجَلِّيهِ لَهُمْ، وَمَا أَعْطَاهُمْ فِي ذَلِكَ لَذَابُوا مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا الْتِفَاتَ لَهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَلَا عِبْرَةَ لَهُمْ بِهَا أُوجِدَتْ أَمْ عُدِمَتْ، وَفِيهِمْ يَقُولُ بَعْضُ العَارِفِينَ:

قَوْمٌ بِشَهَوَاتِ الفَرْجِ وَالبَطْنِ[1] مَشْغُولُونَ، وَلِلْمُجَالَسَةِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَمَا فَازَ بِاللَّهِ غَيْرُهُمْ، فَإِنَّهُمْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَتَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِمَا نِسْبَتُهُ لِلتَّجَلِّي الأَوَّلِ كَبَحْرٍ إِلَى نُقْطَةٍ. وَهَكَذَا فِيمَا يُدْرِكُونَ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالنَّعِيمِ وَالفَرَحِ وَالسُّرُورِ، بِحَيْثُ أَنْ لَوْ طُولِبُوا بِالحُورِ لَحْظَةً وَاحِدَةً، لَاسْتَغَاثُوا مِنْهُمْ كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ، فَهُمُ الخَاصَّةُ العُلْيَا مِنْ صَفْوَةِ اللَّهِ، وَهَذَا المَقَامُ أَفْضَلُ المَقَامَاتِ وَأَعْلَاهَا،

وَهَذَا المَقَامُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ سِوَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ، إِلَّا أَنَّهُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ هَذِهِ الرُّتْبَةُ العَلِيَّةُ، مَعَ مُشَارَكَتِهِ لِلْعَالَمِينَ فِي شَهْوَةِ البَطْنِ وَالفَرْجِ، فَهَذَا لَا يَحْجُبُهُ عَنْ هَذَا، وَهَذَا لَا يَحْجُبُهُ عَنِ الآخَرِ، فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ مَنْ ذَاقَ ذَلِكَ فِي جَنَابٍ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ أَلِفَ التَّلَذُّذَ بِالحُورِ وَأَنْوَاعِ النَّعِيمِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَثْبُتَ

---

[1]- ك ل: البطن والفرج

[2]- ح ك ل ي هـ ق ص: هو

لِهَذَا المَطْلَبِ، وَلَا أَنْ يَحُومَ حَوْلَهُ إِلَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **مَعْنَى النَّهْضَةِ الإِلَهِيَةِ** هِيَ القِيَامُ لِلَّهِ بِاللَّهِ بِلَا مُمَازَجَةِ هَوَاءٍ[2]، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ مُتَابَعَةِ هَوَاهُ، وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّ بَعْضَ الرِّجَالِ دَخَلَ بَلَداً غَرِيباً، فَجَاءَ إِلَى دُكَّانٍ لِيَشْتَرِيَ الخَلَّ، فَرَأَى الأَوَانِي مَمْلُوَّةً وَظَنَّ أَنَّهُ خَلٌّ[3]، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الدُّكَّانِ: أَيُّ شَيْءٍ تَنْظُرُ إِنَّمَا هِيَ خَمْرٌ[4] قَالَ حِينَئِذٍ: لَزِمَنِي فَرْضٌ، فَاشْتَغَلَ بِإِهْرَاقِهَا وَكَسْرِ أَوَانِيهَا، وَقَدْ وَجَدَ فِيهَا سَبْعِينَ[5] قِسْطاً، فَكَسَرَ مِنْهَا تِسْعاً وَسِتِّينَ وَبَقِيَ وَاحِدٌ، فَظَنَّ رَبُّ الدُّكَّانِ أَنَّ أَمِيرَ البَلَدِ أَرْسَلَهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، فَذَهَبَ لِأَمِيرِ البَلَدِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ بَعَثْتَ لِي مَنْ يَكْسِرُ أَوَانِيَ الخَمْرِ الَّذِي عِنْدِي؟ قَالَ: لَا لَمْ أَبْعَثْ شَيْئاً فَقَالَ الأَمِيرُ عَلَيَّ بِهِ الآنَ،

فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ قَالَ لَهُ الأَمِيرُ: لِمَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ لَهُ: فَعَلْتُ مَا بَدَا لِي فَافْعَلْ مَا بَدَا لَكَ. فَقَالَ: هَلْ تَرَكَ شَيْئاً؟ قَالُوا: نَعَمْ تَرَكَ قِسْطاً وَاحِداً. فَقَالَ لَهُ: لِمَ تَرَكْتَ ذَلِكَ القِسْطَ؟ قَالَ: لَمَّا قَالَ لِي رَبُّ الدُّكَّانِ إِنَّهُ خَمْرٌ، أَخَذَتْنِي غَيْرَةُ الإِسْلَامِ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَنَا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ حَدَّثَتْنِي نَفْسِي بِأَنْ قَالَتْ: لَكَ حَالٌ مَعَ اللَّهِ حَتَّى فَعَلْتَ هَذَا[6]، أَنْتَ مِمَّنْ

---

[1]- ح ك: (رضي الله عنه) ساقطة – ل: انتهى من إملائه علينا

[2]- ك ل: هوى

[3]- ع: خلا

[4]- ع ي: خمرة

[5]- ع ك ي: سبعون

[6]- ك: (حتى فعلت هذا) ساقطة

يُغَيِّرُ المُنْكَرَ[1]، فَتَرَكْتُهُ خَوْفاً[2] أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَظّاً[3] لِنَفْسِي. فَقَالَ الأَمِيرُ: أَخْرِجُوهُ عَنِّي فَإِنِّي لَا طَاقَةَ لِي بِهِ. فَأَخْرَجُوهُ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ إِلَى بَلَدٍ فَوَجَدَ[4] فِيهَا شَجَرَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخَذَ فَأْساً وَذَهَبَ إِلَيْهَا لِيَقْطَعَهَا، فَاعْتَرَضَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ. فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أُرِيدُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِنَقْطَعَهَا. قَالَ لَهُ: اتْرُكْهَا وَارْجِعْ، تَجِدُ عِنْدَ رَأْسِكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، فَرَجَعَ فَلَمْ يَجِدْ، فَرَجَعَ مِنَ الغَدِ لِيَقْطَعَهَا، فَاعْتَرَضَهُ إِبْلِيسُ فِي الطَّرِيقِ. فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ لَهُ: قَطْعَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ إِنْ طُفْتَ حَوْلَهَا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ، فَإِنَّ النَّهْضَةَ الأُولَى لَا يُقَاوِمُكَ فِيهَا أَحَدٌ، وَنَهْضَتُكَ هَذِهِ لِمَا فَاتَكَ مِنْ حَظِّكَ فَقَطْ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ فِي الجَنَّةِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيرُ وَالقُنْفُذُ[5]، **وَجَمِيعُ دَوَابِّ الأَرْضِ لَا تَدْخُلُ الجَنَّةَ**، إِلَّا أَشْيَاءُ أَشْيَاءُ مُسْتَثْنَيَاتٌ، نَاقَةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفَصِيلُهَا، وَطَيْرُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ الهُدْهُدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَوْ السَّرَنْدُ، وَحِمَارُ عُزَيْرٍ، وَكَبْشُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَحِمَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَاقَتُهُ أَوْ بَغْلَتُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَلْبُ أَهْلِ الكَهْفِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ح ل ي: (أَنْتَ مِمَّنْ يُغَيِّرُ المُنْكَرَ) ساقطة

[2]- ح ل ي: فتركت وخفت

[3]- ع ك: حظ

[4]- ح ل: وجد

[5]- ع ي: والقنفوذ

وَمِنْ كَلَامِهِ[1] **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: خُلِقَتِ الجَنَّةُ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ، وَخُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ. قَالَ الرِّفَاعِي: إِنَّ لِلَّهِ ثَمَانَمِائَةَ[2] أَلْفِ عَالَمٍ، العَرْشُ بِجَمِيعِ مَا فِي جَوْفِهِ مِنَ العَوَالِمِ مِنْهَا عَالَمٌ وَاحِدٌ، الكَامِلُ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الفَرْدُ الجَامِعُ. انْتَهَى.

وَأَمَّا السَّنَةُ فَكَانَتْ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَيَّامُهَا أَيَّامَ الرَّبِّ، **وَيَوْمُ الرَّبِّ** هُوَ مَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)**[3] وَهَذَا اليَوْمُ المَذْكُورُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ إِلَى خَلْقِ الجَنَّةِ، وَأَمَّا مِنْ خَلْقِ الجَنَّةِ إِلَى آدَمَ فَهُوَ أَقْصَرُ مِنْهَا. انْتَهَى.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **عَيْنِيَّةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ،** الَّتِي هِيَ مُعْتَقَدُ المُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: أَمَّا الذَّاتُ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ، فَهِيَ عَيْنٌ قَائِمَةٌ، وَهِيَ مُتَّصِفَةٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الأُلُوهِيَةِ وَأَسْمَائِهَا، لَكِنَّهَا فِي غَايَةِ البُعْدِ وَنِهَايَةِ الصُّعُوبَةِ فِي الإِدْرَاكِ لَهَا وَالعِلْمِ بِهَا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ المُحَقِّقِينَ، بَلْ وَلَا لِجَمِيعِ[4] النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، مَا عَدَا القُدْوَةَ العُظْمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُحِيطَ بِهَا عِلْماً أَوْ يُدْرِكَ لَهَا حَقِيقَةً، تَمْتَازُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا، كَتَمَايُزِ الأَشْيَاءِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ.

وَإِنَّمَا مَعْرِفَتُهُمْ بِهَا وَإِدْرَاكُهُمْ لَهَا، هُوَ قَطْعُهُمْ بِالعَجْزِ عَنْهَا مَعَ احْتِرَاقِ ذَوَاتِهِمْ مِنْ هَيْبَةِ عَظَمَتِهَا وَجَلَالِهَا. وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ لَوْ فَرَضْنَا رَجُلاً أَكْمَهَ لَا يُبْصِرُ شَيْئاً، وَوَضَعْنَاهُ حَوْلَ النَّارِ قَرِيباً مِنْهَا، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُحِسُّ بِإِحْرَاقِ النَّارِ وَشِدَّةِ حَرَارَتِهَا، وَلَا يُدْرِكُ لَهَا حَقِيقَةً لِفَوَاتِ بَصَرِهِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ النَّارِ إِلَّا الإِحْسَاسُ بِحَرِّهَا مَعَ جَهْلِهِ بِحَقِيقَتِهَا،

---

[1]- ك: ومن إملائه

[2]- ح ل: ثلاثمائة

[3]- سورة الحج، الآية 47.

[4]- ح ك ل ي: جميع

وَالقَطْعُ بِصِحَّةِ وُجُودِهَا وَامْتِيَازِهَا عَنْ غَيْرِهَا، فَهَذَا غَايَةُ مَا تَمْتَازُ بِهِ الذَّاتُ عَنِ الأَشْيَاءِ فِي هَذَا المِثَالِ.

وَإِنَّمَا الإِدْرَاكُ لِلنَّارِ رُؤْيَةُ[1] عَيْنِهَا بِعَيْنِ البَصَرِ، وَقَذْفُهُ فِيهَا حَتَّى يَحْتَرِقَ بِهَا، فَهَذَا هُوَ المُدْرِكُ لِحَقِيقَتِهَا، وَلَكِنَّ الكَمَهَ غَلَبَهُ عَلَى هَذَا. قُلْنَا فَغَايَةُ إِدْرَاكِ المُحَقِّقِينَ مِنَ الذَّاتِ وُجُودُ حُبِّهَا فِي ذَوَاتِهِمْ، وَذَلِكَ أَمْرٌ صَعْبُ المُلْتَقَى لَا يُدْرَكُ بِالمَقَالِ، وَإِدْرَاكُ مَاهِيَتِهَا حِسِّيَّةٌ فِي ذَوَاتِهِمْ، فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ حَجَبَتِ الخَلْقَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَلِلْوَاصِلِ اخْتِرَاقٌ وَرُعْبٌ شَدِيدٌ، وَوَجَلٌ مِنْ هَيْبَةِ عَظَمَتِهَا وَجَلَالِهَا، فَهَذَا غَايَةُ مَا[2] لَهُمْ[3] مِنَ الذَّاتِ لَا زَائِدَ، وَلِذَا يَقُولُ: العَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ.

فَفِي ذَا يَقُولُ المُسَبِّحُ: سُبْحَانَ مَنْ لَا وُصُولَ لِمَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالجَهْلِ بِمَعْرِفَتِهِ. وَأَمَّا الصِّفَاتُ الإِلَهِيَّةُ لِلْعَارِفِينَ فِيهَا إِدْرَاكٌ حِسِّي، لَا تَكْشِفُ العِبَارَةُ مِنْهُ شَيْئاً، إِنَّمَا يَكْشِفُهُ الذَّوْقُ وَالحَالُ. وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ: حَلَاوَةُ العَسَلِ وَالسُّكَّرِ مَثَلاً مَعَ مَرَارَةِ الحَنْظَلِ وَالصِّبْرِ مَثَلاً، مَعَ مُلُوحَةِ المِلْحِ مَعَ حَرَافَةِ الحُرِّيفَاتِ، مَعَ حُمُوضَةِ الحَامِضِ الشَّدِيدَةِ الحُمُوضَةِ، إِذَا فَرَضْنَا شَخْصاً لَمْ يَذُقْ مِنْهَا شَيْئاً، وَلَمْ يَعْرِفْ لَهَا حَقِيقَةً[4]،

يَقُولُ لَنَا مَثَلاً: أَخْبِرُونِي عَنْ حَقِيقَةِ المِلْحِ فِي المَالِحِ وَالمَرَارَةِ فِي المُرِّ، وَحَقِيقَةِ الحُرِّيفِ فِي الحُرِّيفَاتِ، وَحَقِيقَةِ الحَامِضِ فِي الحَوَامِضِ، وَحَقِيقَةِ الحَلَاوَةِ فِي الحُلْوِ. فَلَا شَكَّ أَنْ نَقُولَ لَهُ العِبَارَةُ لَا تَكْشِفُ لَكَ عَنْ هَذَا شَيْئاً. فَكَذَلِكَ حَقَائِقُ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ لَا تَكْشِفُ العِبَارَةُ عَنْهَا شَيْئاً، إِنَّمَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا بِالذَّوْقِ وَالحَالِ.

---

[1]- ح ك: ورؤية

[2]- ع: لما

[3]- ك: فهذا غاية ما يعلم

[4]- ع ك ل ي هـ ق ص: حقائق

وَأَمَّا رُجُوعُ الصِّفَاتِ كُلِّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَصِفَةٍ وَاحِدَةٍ[1]. فَالْجَوَابُ[2] عَنْ هَذَا أَنَّ الصِّفَةَ الوَاحِدَةَ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَيْهَا جَمِيعُ الصِّفَاتِ، فَتَصِيرُ بِهَا صِفَةً وَاحِدَةً قُلْنَا: هِيَ مَرْتَبَةُ الأُلُوهِيَةِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالأُلُوهِيَةُ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحَقِيقَتُهَا تَوَجُّهُ جَمِيعِ غَيْرِهِ إِلَيْهِ، بِالعِبَادَةِ وَالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالتَّصَاغُرِ لِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مَعَ وَحْدَتِهَا، اسْتَغْرَقَتْ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ فَلَا يَشِذُّ عَنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ هَذِهِ الصِّفَةُ الوَاحِدَةُ وَهِيَ الأُلُوهِيَةُ، لَا يَصِحُّ اتِّصَافُ الحَقِّ بِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَّا إِذَا اتَّصَفَ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَةِ وَالأَسْمَاءِ الكَمَالِيَةِ أَيْضاً، فَلَوْ انْعَدَمَ مِنْهَا صِفَةٌ أَوْ اسْمٌ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَمْ يَصِحَّ اتِّصَافُهُ بِالأُلُوهِيَةِ قُلْنَا: هَذَا هُوَ مَرْجِعُ الصِّفَاتِ إِلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَأَمَّا المَغْفِرَةُ الوَاقِعَةُ فِي الفَتْحِ، فَإِنَّمَا هُوَ فَتْحُ الحُدَيْبِيَةِ لَا فَتْحَ مَكَّةَ، فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ يَعْنِي سُورَةَ الفَتْحِ، نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ الحُدَيْبِيَةِ قَبْلَ الفَتْحِ بِسَنَتَيْنِ، فِيهَا أُعْطَى هَذِهِ الأَرْبَعَ وَهِيَ: **(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً)**[3] ثُمَّ اسْتَمَرَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذِكْرِ[4] مَا وَقَعَ فِي قَضِيَّةِ الحُدَيْبِيَةِ إِلَى قَوْلِهِ: **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(فَتْحاً قَرِيباً)**[5] يُرِيدُ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا غَيْرَ فَتْحِ مَكَّةَ.

وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ آمِناً فَلَمَّا صُدَّ عَنِ البَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى الرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ العَامِ بِلَا عُمْرَةٍ، سَاءَ

---

[1]- ك: وأما رجوع الصفات كلها إلى صفة واحدة

[2]- ح ك ل: الجواب

[3]- سورة الفتح، الآية 2-3.

[4]- ك: يذكر

[5]- سورة الفتح، الآية 27.

ظَنُّ النَّاسِ وَاضْطَرَبَ إِيمَانُهُمْ، وَرَكِبَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ بِضَرْبٍ مِنَ القَدْحِ فِي الإِيمَانِ، أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1] **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ)** إِلَى قَوْلِهِ **(فَتْحاً قَرِيباً)**[2] **هُوَ فَتْحُ الحُدَيْبِيَةِ،** لِأَنَّ فَتْحَ الحُدَيْبِيَةِ تَقَوَّى الإِسْلَامُ فِيهِ وَكَثُرَ النَّاسُ، حَتَّى كَانَ فِي الحُدَيْبِيَةِ غَزَا فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَزَا لِمَكَّةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، فَفَتَحَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا)**[3].

قُلْنَا: فَالفَتْحُ الَّذِي وَقَعَ بِسَبَبِهِ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَإِتْمَامُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِدَايَتُهُ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَنَصْرُ اللَّهِ لَهُ نَصْراً عَزِيزاً.

قُلْنَا: هُوَ فَتْحُ الحُدَيْبِيَّةِ لَا فَتْحَ مَكَّةَ، وَمَعْنَى المَغْفِرَةِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى عَلَيْهِ تَجَلِّياً، أَعْطَاهُ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الأَرْبَعَةَ المَذْكُورَةَ فِي الآيَةِ، وَأَمَّا مَعْنَى[4] الذُّنُوبِ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَدْ ذَكَرَهَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ)**[5] الآيَةُ. فَلْيُطَالِعْهَا فِي فَصْلِ الآيَاتِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ[6] عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **أَوَّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ** هُوَ رُوحُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَسَّلَ اللَّهُ أَرْوَاحَ العَالَمِ مِنْ رُوحِهِ[7] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالرُّوحُ هَا هُنَا هِيَ الكَيْفِيَّةُ الَّتِي بِهَا مَادَّةُ الحَيَاةِ فِي الأَجْسَامِ، وَخَلَقَ

---

[1] - ك: (وتعالى) ساقطة

[2] - سورة الفتح، الآية 27.

[3] - سورة الفتح، الآية 27.

[4] - ع ك ي: وَمَعْنَى

[5] - سورة الفتح، الآية 1-2.

[6] - ع ك: انتهى ما أملاه

[7] - ح ل: مِنْ رُوحِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

مِنْ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَجْسَامَ النُّورَانِيَةَ كَالمَلَائِكَةِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، وَأَمَّا الأَجْسَامُ الكَثِيفَةُ الظُّلْمَانِيَةُ، فَإِنَّمَا خُلِقَتْ مِنَ النِّسْبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَإِنَّ لِرُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْبَتَيْنِ أَفَاضَهَا عَلَى الوُجُودِ كُلِّهِ، فَالنِّسْبَةُ الأُولَى نِسْبَةُ النُّورِ المَحْضِ، وَمِنْهُ خُلِقَتْ الأَرْوَاحُ كُلُّهَا، وَالأَجْسَامُ النُّورَانِيَةُ الَّتِي لَا ظُلْمَةَ فِيهَا، وَالنِّسْبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ نِسْبَةِ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْبَةُ الظَّلَامِ، وَمِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ خَلَقَ الأَجْسَامَ الظُّلْمَانِيَةَ، كَالشَّيَاطِينِ وَسَائِرِ الأَجْسَامِ الكَثِيفَةِ وَالجَحِيمِ وَدَرَكَاتِهَا، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ وَجَمِيعَ دَرَجَاتِهَا خُلِقَتْ مِنَ النِّسْبَةِ النُّورَانِيَةِ، فَهَذِهِ نِسْبَةُ العَالَمِ كُلِّهِ إِلَى رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا حَقِيقَتُهُ المُحَمَّدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى[1] مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ، وَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَوْجُودٌ قَبْلَهَا، لَكِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ لَا تُعَرَّفُ بِشَيْءٍ، **وَقَدْ تَعَسَّفَ بَعْضُ العُلَمَاءِ** بِالبَحْثِ فِي هَذِهِ الحَقِيقَةِ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ مُفْرَدَةٌ لَيْسَ مَعَهَا شَيْءٌ، فَلَا تَخْلُوا إِمَّا أَنْ تَكُونَ جَوْهَراً أَوْ عَرْضاً، فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَوْهَراً، افْتَقَرَتْ إِلَى المَكَانِ الَّذِي تَحُلُّ فِيهِ، فَلَا تَسْتَقِلُّ بِالوُجُودِ دُونَهُ، فَإِنْ وُجِدَتْ مَعَ مَكَانِهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً فَلَا أَوَّلِيَّةَ لَهَا لِأَنَّهُمَا اثْنَانِ، وَإِنْ كَانَتْ عَرْضاً لَيْسَتْ بِجَوْهَرٍ، فَالعَرَضُ لَا كَلَامَ عَلَيْهِ، إِذْ لَا وُجُودَ لِلْعَرَضِ إِلَّا قَدْرَ لَمْحَةِ العَيْنِ ثُمَّ يَزُولُ. أَيْنَ الأَوَّلِيَّةُ الَّتِي قُلْتُمْ؟

وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا المَحَطِّ: أَنَّهَا جَوْهَرُ حَقِيقَةٍ لَهُ نِسْبَتَانِ: نُورَانِيَةٌ وَظُلْمَانِيَةٌ، وَكَوْنُهُ مُفْتَقِراً إِلَى المَحَلِّ لَا يَصِحُّ هَذَا التَّحْدِيدُ، لِأَنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ يَعْتَدُّ بِهِ مَنْ تَثَبَّطَ عَقْلُهُ فِي مَقَامِ الأَجْسَامِ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ تَحُلُّ فِيهِ، وَكَوْنُ العَقْلِ يُقَدِّرُ اسْتِحَالَةَ هَذَا الأَمْرِ، بِعَدَمِ الإِمْكَانِ بِوُجُودِ الأَجْسَامِ

---

[1]- ح: (تعالى) ساقطة

بِلَا مَحَلٍّ، فَإِنَّ تِلْكَ عَادَةٌ أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى تَثَبَّطَ بِهَا العَقْلُ، وَلَمْ يُطْلِقْ سَرَاحَهُ[1] فِي فَضَاءِ الحَقَائِقِ.

وَلَوْ أَطْلَقَ سَرَاحَهُ[2] فِي فَضَاءِ الحَقَائِقِ، لَعَلِمَ أَنَّ[3] اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ العَالَمِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ. وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ[4] تَعَالَى خَلَقَ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ جَوْهَراً غَيْرَ مُفْتَقِرٍ إِلَى المَحَلِّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كُشِفَ لَهُ عَنِ الحَقِيقَةِ الإِلَهِيَةِ، عَلِمَ يَقِيناً قَطْعِيّاً أَنَّ إِيجَادَ العَالَمِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ مُمْكِنٌ إِمْكَاناً صَحِيحاً.

أَمَّا الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ فَهِيَ فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، لَا تُعْرَفُ وَلَا تُدْرَكُ وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي نَيْلِهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ، ثُمَّ اسْتَتَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ، وَاحْتَجَبَتْ بِهَا عَنِ الوُجُودِ، فَهِيَ فِي هَذَا المَيْدَانِ تُسَمَّى رُوحاً بَعْدَ احْتِجَابِهَا بِالأَلْبَاسِ، وَهَذَا غَايَةُ إِدْرَاكِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالأَقْطَابِ، يَصِلُونَ إِلَى هَذَا المَحَلِّ وَيَقِفُونَ، ثُمَّ اسْتَتَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى وَبِهَا سُمِّيَتْ عَقْلاً، ثُمَّ اسْتَتَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى، فَسُمِّيَتْ بِسَبَبِهَا قَلْباً، ثُمَّ اسْتَتَرَتْ بِأَلْبَاسٍ مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَةِ أُخْرَى، فَسُمِّيَتْ بِسَبَبِهَا نَفْساً، وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ظَهَرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَالأَوْلِيَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي الإِدْرَاكِ لِهَذِهِ المَرَاتِبِ، فَطَائِفَةٌ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ **نَفْسُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ عُلُومٌ وَأَسْرَارٌ وَمَعَارِفُ، وَطَائِفَةٌ فَوْقَهُمْ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ **قَلْبُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ عُلُومٌ وَأَسْرَارٌ وَمَعَارِفُ أُخْرَى، وَطَائِفَةٌ فَوْقَهُمْ غَايَةُ إِدْرَاكِهِمْ **عَقْلُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُمْ بِحَسَبِ ذَلِكَ عُلُومٌ وَأَسْرَارٌ وَمَعَارِفُ أُخْرَى، وَطَائِفَةٌ وَهُمْ الأَعْلُونَ بَلَغُوا الغَايَةَ القُصْوَى فِي الإِدْرَاكِ، فَأَدْرَكُوا مَقَامَ **رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ**

---

[1]- ع ي: صراحه

[2]- ع ي: صراحه

[3]- ك: (أن) ساقطة

[4]- ح ك ل هـ ق ص ي: فالله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غَايَةُ مَا يُدْرَكُ، وَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِ **الحَقِيقَةِ فِي مَاهِيَتِهَا** الَّتِي خُلِقَتْ فِيهَا[1].

وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو يَزِيدٍ: غُصْتُ[2] لُجَّةَ المَعَارِفِ طَلَباً لِلْوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ حَقِيقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَلْفُ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ[3]، لَوْ دَنَوْتُ مِنَ الحِجَابِ الأَوَّلِ، لَاحْتَرَقْتُ بِهِ[4] كَمَا تَحْتَرِقُ الشَّعْرَةُ إِذَا أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ. وَكَذَا قَالَ[5] الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ فِي صَلَاتِهِ: وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ. وَفِي هَذَا يَقُولُ أُوَيْسٌ القَرْنِي لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ، وَسَيِّدِنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ تَرَيَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ظِلَّهُ، قَالَا: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَعَلَّهُ غَاصَ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَلَباً لِلْوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ عَجَزَ عَنْهُ أَكَابِرُ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ[6]، فَلَا مَطْمَعَ لِغَيْرِهِمْ فِيهِ. انْتَهَى.

وَمَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ فِي صَلَاتِهِ: **اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ**، مَعْنَاهُ هُوَ كَوْنُهُ خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ المَمْلَكَةِ الإِلَهِيَةِ بِلَا شُذُوذٍ، مُتَّصِفاً بِجَمِيعِ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ عَيْنُهُ، فَهَذَا هُوَ نَسَبُهُ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ. (وَبِعِبَارَةٍ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: يَعْنِي شَيْخَنَا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُحَقِّقَهُ بِنِسْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[7] مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَتَحَقُّقُهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ النَّسَبِ، وَهِيَ العُلُومُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَالأَوْلِيَاءُ فِيهَا كُلٌّ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ وَمُحْتَدِّهِ،

---

[1]- ك: (فيها) ساقطة

[2]- ل: خضت

[3]- ح ك ل هـ ق ص: (من نور) ساقطة

[4]- ك ي: (به) ساقطة

[5]- ك: وكذا قول

[6]- ك: (والنبيين) ساقطة

[7]- ك: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

فَغَايَةُ مَا يُدْرَكُ مِنْهَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ[1]. وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ وَصَلَ إِلَى سِتَّةٍ وَسِتِّينَ مِنَ العُلُومِ المُحَمَّدِيَّةِ أَوْ أَزْيَدَ، فَلَا يَضُرُّهُ مُجَالَسَةُ الخَلْقِ وَلَا مُكَالَمَتُهُمْ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَاسْتَوَتْ خَلْوَتُهُ وَجَلْوَتُهُ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَدْرَكَ العِلْمَ الأَوَّلَ مِنَ العُلُومِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَقَسَّمَهُ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءاً، وَعَلِمَ جُزْءاً وَاحِداً مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءاً، فَلَهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَسِّرَ كُلَّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى[2] بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَجْهاً مِنَ التَّفْسِيرِ، وَأَحَاطَ بِجَمِيعِ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، هَذَا لِمَنْ عَلِمَ جُزْءاً وَاحِداً مِنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ العِلْمِ الأَوَّلِ، فَضْلاً عَنِ العِلْمِ الوَاحِدِ كُلِّهِ، فَضْلاً عَنْ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ إِلَى آخِرِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ عِلْماً، فَاعْرِفْ النِّسْبَةَ. انْتَهَى)[3].

قَوْلُهُ: وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ يَعْنِي إِذَا أَلْحَقْتَنِي بِذَلِكَ النَّسَبِ حَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ، وَالحَسَبُ هُنَا هُوَ الشَّرَفُ يَعْنِي شَرِّفْنِي بِشَرَفِهِ، وَالمُرَادُ بِهَذَا الشَّرَفِ مَا تَهَبُهُ لَهُ فِي هَذِهِ الحَضْرَةِ مِنَ الأَخْلَاقِ الإِلَهِيَةِ، وَالأَحْوَالِ العَلِيَّةِ وَالنَّسَمَاتِ الزَّكِيَّةِ، الَّتِي مَنْ تَحَقَّقَ بِهَا صَارَ سَيِّدَ العَالَمِ بِأَسْرِهِ، فَهَذَا هُوَ الحَسَبُ الَّذِي طَلَبَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **قَوْلُهُ:** وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ طَلَباً إِلَى الوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا غَايَةُ مَا يُدْرَكُ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **الرُّوحُ طُولُهُ مَسِيرَةُ تِسْعِمِائَةِ أَلْفِ عَامٍ وَكَذَلِكَ عَرْضُهُ،** ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] هَذَا فِي أَرْوَاحِ العَارِفِينَ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَكَالحَمَامَةِ أَوْ أَقَلُّ، وَأَمَّا مَسْكَنُ

---

[1]- ع ي: اثنين وسبعين

[2]- ح ك: (تعالى) ساقطة

[3]- ح: ما بين القوسين محذوف

[4]- ح ل: انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ

[5]- ح ل: (رضي الله عنه) ساقطة

أَرْوَاحِ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ أَصْحَابِ الحِجَابِ، فَمِنَ السَّمَاءِ الأُولَى إِلَى الرَّابِعَةِ، وَأَمَّا مِنَ[1] الرَّابِعَةِ فَمَسْكَنُ أَرْوَاحِ العَارِفِينَ عَلَى تَفَاوُتِهِمْ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُخَاطَبَتِهِ لِلْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنَّ الكَافِرَ وَإِنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ إِيمَانِكَ، فَقَدْ أَجَابَ دَاعِيَ سُلْطَانِكَ، **فَالكُلُّ مُمْتَثِلُونَ لِأَمْرِكَ**، **(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[2]، فَكُلُّ مَا فِي الكَوْنِ دَابٌّ مُتَحَرِّكُهُ وَجَمَادُهُ، فَإِنَّ الجَمَادَاتِ أَلْبَسَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْوَاحاً لَا نُدْرِكُهَا، وَتِلْكَ الأَرْوَاحُ هِيَ تَامَّةُ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِتِلْكَ المَعْرِفَةِ تُسَبِّحُ اللَّهَ وَتُقَدِّسُهُ، وَتَسْجُدُ لَهُ وَتَعْبُدُهُ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلضَّبِّ حِينَ كَلَّمَهُ قَالَ لَهُ[3]: ((يَا ضَبُّ قَالَ لَهُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى القِيَامَةَ. قَالَ لَهُ: مَنْ تَعْبُدُ؟ قَالَ لَهُ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الهَوَى رُوحُهُ، وَفِي الجَنَّةِ ثَوابُهُ، وَفِي النَّارِ سَيْلُهُ. قَالَ لَهُ مَنْ أَنَا؟ قَالَ لَهُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ)) فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ، إِذْ كَانَ شَرْطُ إِسْلَامِهِ عَلَى كَلَامِ الضَّبِّ لَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ أَسْلَمَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ شَيْءٍ يَعْلَمُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا عُصَاةُ بَنِي آدَمَ وَالجِنِّ)). انْتَهَى وَجْهُ الشَّاهِدِ فِي عِبَادَةِ الضَّبِّ، لِأَنَّ الكَوْنَ كُلَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ، وَكَذَا قَضِيَّةُ الفِيلِ حِينَ كَلَّمَهُ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ، وَكَانَ أَسِيراً فِي يَدِ أَبْرَهَةَ إِلَى آخِرِ القَضِيَّةِ، وَهِيَ مَعْلُومَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ فَلَا نُطِيلُ بِهَا. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: وَيَجِبُ أَنْ لَا يُوَاصَلَ مَنْ لَمْ تُرْجَ مَوَدَّتُهُ وَائْتِلَافُهُ، وَإِنْ طَلَبَكَ فِي المُوَاصَلَةِ، لِأَنَّ فَائِدَةَ المُوَاصَلَةِ إِنَّمَا هِيَ تَطْيِيبُ القُلُوبِ، وَأَمَّا

---

[1]- ع: ومن

[2]- سورة هود، الآية 56.

[3]- ك: (قال له) ساقطة

مَنْ يُظْهِرُ الوُدَّ وَيَكْتُمُ البُغْضَ، فَيَجِبُ هِجْرَانُهُ. إهـ[1]. إلخ..[2] **فَأَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ[3]: أَمَّا **قَطْعُ مَوَدَّتِهِ وَائْتِلَافِهِ** بِإِظْهَارِ العَدَاوَةِ وَتَبَدِّي الشَّكْوَى[4] **فَلَا يَحِلُّ لَا شَرْعاً وَلَا طَبْعاً**، وَلَا يَتَأَتَّى لِذِي عَقْلٍ وَافِرُ التَّوَجُّهِ لِذَلِكَ،

لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَصَبَ هَذَا الخَلْقَ فِي مَعْرِضِ بُرُوزِ الشَّرِّ مِنْهُمْ لِكُلِّ أَحَدٍ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ خَيْرٍ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ تَجَلٍّ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِأَمْرٍ مَعْلُومٍ وَلَا يَخْلُوا كُلُّ وَقْتٍ مِنْ تَجَلِّيهِ بِالشَّرِّ مِنْ بَعْضِ خَلْقِهِ، فَالتَّوَجُّهُ لِمُقَاوَمَةِ ذَلِكَ وَمُقَابَلَتِهِ بِالشَّرِّ فِيهِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ عَلَى العَاقِلِ، لَكِنَّ العَاقِلَ يَلْزَمُهُ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى[5] فِيمَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ وَالتَّوَاضُعُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَإِظْهَارُ اللِّينِ وَالإِعْرَاضُ، فَبِذَلِكَ يَنْجُوا مِنْ عَوَارِضِ شَرِّهِ.

وَأَمَّا مَنْ قَابَلَهُ بِالمُقَابَلَةِ بِمَا بَرَزَ لَهُ مِنَ الخَلْقِ مِنَ الشَّرِّ فَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ إِلَّا شِدَّةً وَثِقَلاً عُقُوبَةً لَهُ لَمَّا لَمْ يَتَعَرَّفْ[6] بِالعُبُودِيَةِ الَّتِي يَحُطُّهَا التَّوَاضُعُ وَالانْكِسَارُ، فَإِنَّ المُقَابَلَةَ بِالشَّرِّ خُرُوجٌ عَنْ حَدِّ العُبُودِيَةِ، وَيَكُونُ صَاحِبُهُ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَزِيدُ الحَطَبَ لِلنَّارِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا اشْتِعَالاً، وَأَمَّا مَنْ قَاوَمَهَا بِالتَّوَاضُعِ وَالانْكِسَارِ وَاللِّينِ، طُفِئَتِ النَّارُ عَنْ قُرْبٍ. فَاللَّازِمُ عَلَى العَبْدِ إِذَا عَلِمَ مِنْ شَخْصٍ شِدَّةَ العَدَاوَةِ، أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُ أَوْ يُظْهِرَ لَهُ[7] اللِّينَ أَوْ الإِعْرَاضَ فَقَطْ يَنْجُوا مِنْ شَرِّهِ، وَلْيَكُنْ خَائِفاً مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ الخَلْقَ مُسَلَّطُونَ بِتَسْلِيطِ

---

[1]- ع: (اهـ) ساقطة

[2]- ح: (إهـ. إلخ..) ساقطة

[3]- ح ك: (بقوله) ساقطة

[4]- ح ك ل ي: الشكوة

[5]- ح: (تعالى) ساقطة

[6]- ح: يعترف

[7]- ح: لنا

اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَنْفَعُ فِيهِمْ إِلَّا الإِعْرَاضُ[1] عَمَّا هُمْ[2] فِيهِ مِنَ الشَّرِّ. قَالَ الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَـمَّا عَـفَوْتُ وَلَـمْ أَحْـقِدْ عَـلَى أَحَدٍ * أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ حَمْلِ المَشَقَّاتِ
إِنِّـي أُحَيِّي عَـدُوِّي عِـنْدَ رُؤْيَتِهِ * كَيْ أُذْهِبَ الشَّرَّ عَنِّي[3] بِالتَّحِيَّاتِ
وَلَـسْتُ أَسْـلَمُ مِـنْ خِـلٍّ يُـصَادِقُنِي * فَـكَيْفَ أَسْـلَمُ مِـنْ أَهْلِ العَدَاوَاتِ

يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ)) قُلْنَا فَالوَاجِبُ أَوَّلاً إِطْفَاءُ شَرِّهِمْ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَإِلَّا فَبِإِظْهَارِ اللِّينِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ، وَإِلَّا فَبِالإِعْرَاضِ عَنْ مُقَابَلَتِهِ بِشَرِّهِ. فَالمَرَاتِبُ ثَلَاثَةٌ[4]. **الأُولَى:** مُقَابَلَةُ إِسَاءَتِهِ بِالإِحْسَانِ وَهَذِهِ وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ هِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ[5])** إِلَى قَوْلِهِ: **(ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**[6]. **وَالمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ الثَّانِيَةُ** بِإِظْهَارِ اللِّينِ وَالتَّوَاضُعِ لِيَسْهُلَ الأَمْرُ فِي ذَلِكَ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ هِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا

[1] - ع: (فَقَطْ يَنْجُوا مِنْ شَرِّهِ، وَلْيَكُنْ خَائِفاً مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ الخَلْقَ مُسَلَّطُونَ بِتَسْلِيطِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَنْفَعُ فِيهِمْ إِلَّا الإِعْرَاضُ) ساقطة
[2] - ع: عن ما هم
[3] - ك: عندي
[4] - ك: ثلاث
[5] - ح ع هـ: (عداوة كأنه ولي حميم) ساقطة ـ ي: (كأنه ولي حميم) ساقطة
[6] - سورة فصلت، الآية 34-35.

مَوْلَانَا[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ)**[2] الآيَةُ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا أَيْضاً: **(وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)**[3] فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ[4].

وَالمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ الإِعْرَاضُ عَنْهُ جُمْلَةً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الإِعْرَاضَ عَنِ الجَاهِلِينَ، وَفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَضِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرُو، حِينَ كَتَبَ الهُدْنَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَكَانَ الكَاتِبُ عَلِيّاً[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اكْتُبْ: هَذَا مَا عَاقَدَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرُو، فَانْقَضَّ لَهَا سُهَيْلٌ وَقَالَ: لَا بَلْ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ كَذَّبَهُ وَأَظْهَرَ اللِّينَ وَالإِعْرَاضَ عَنْ جَهْلِهِ.

فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ هَذَا مَا عَاقَدَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرُو)، وَفِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ[6] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)**[7]. وَكَلِمَةُ التَّقْوَى هُوَ تَوَاضُعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِظْهَارُ اللِّينِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَمُ اكْتِرَاثِهِ بِجَهْلِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرُو، حِينَ كَذَّبَهُ فِي الرِّسَالَةِ وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا

---

[1]- ك ع ي: (مولانا) ساقطة

[2]- سورة الأعراف، الآية 199.

[3]- سورة آل عمران، الآية 134.

[4]- ح: (في هذه المرتبة) ساقطة

[5]- ك ع ل هـ ق ص: علي

[6]- ح ع: (الله) ساقطة

[7]- سورة الفتح، الآية 26.

فعَلَ، فَهَذَا اللَّائِقُ بِالمَقَامِ. وَمَعْنَى كَلِمَةِ التَّقْوَى الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ، لِأَنَّ القُرْآنَ وَاسِعُ المَعَانِي فَهَذِهِ مِنْ بَعْضِ التَّأْوِيلَاتِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا أَنْشَدَنِيهِ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ وَهُمَا:

إِذَا كُنْتَ قُوتَ الرُّوحِ ثُمَّ هَجَرْتَهَا * فَكَمْ تَلْبَثُ الرُّوحُ الَّتِي أَنْتَ قُوتُهَا

سَتَبْقَى بَقَاءَ النَّارِ فِي المَاءِ أَوْ كَمَا * يَعِيشُ بِغُدْرَانِ المَفَاوِزِ حُوتُهَا

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَعْنَى البَيْتَيْنِ أَنَّ المُحِبَّ إِذَا كَانَ قُوتُ رُوحِهِ مَحْبُوبَهُ، رُؤْيَةً وَشُهُوداً وَمُلَاطَفَةً وَوِصَالاً ثُمَّ هَجَرَهُ، فَإِنَّ رُوحَهُ لَا تَبْقَى إِلَّا كَبَقَاءِ[1] النَّارِ فِي المَاءِ، وَكَمَا يَعِيشُ الحُوتُ بَعْدَ ذَهَابِ المَاءِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ حِينِهِ. كَذَلِكَ رُوحُ المُحِبِّ تَمُوتُ مِنْ حِينِهَا عِنْدَ الهَجْرِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ، وَهُمَا[3]:

أَيَا سِرِّي يَا جَهْرِي وَبَعْضِي وَجُمْلَتِي * وَيَا كُلَّ أَجْزَائِي وَمَكْنُونَ خُفْيَتِي

وَيَا عَيْنَ بَهْجَتِي وَأَنْوَارَ مُهْجَتِي * وَبَرْدَ فُؤَادِي امْنُنْ عَلَيَّ بِرُؤْيَتِي[4]

---

[1]- ع: إلا بقاء

[2]- ح ل ص: (علينا) ساقطة

[3]- ح ك ق ص: (وهما) ساقطة

[4]- ك: برؤية

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ أَيَا سِرِّي يَا جَهْرِي، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَرَى فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَلَا عَقْلَ لَهُ وَلَا وَهْمَ وَلَا حِسَّ، وَلَا كَيْفِيَّةَ وَلَا صُورَةَ وَلَا أَيْنَ، وَلَا وَجْهَ وَلَا كَلَامَ وَلَا تَصَرُّفَ فِي شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَهُوَ مُرَادُ قَوْلِهِ أَيَا سِرِّي يَا جَهْرِي، أَيَا سِرِّي هُوَ مَا أَسَرَّهُ مِنَ الأَحْوَالِ، وَيَا جَهْرِي هُوَ مَا أَظْهَرَهُ مِنَ الأَحْوَالِ. يَقُولُ الشَّيْخُ[1] مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ فِي صَلَاتِهِ: وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الوَحْدَةِ، حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعَ، وَلَا أَجِدَ وَلَا أُحِسَّ إِلَّا بِهَا، فَهَذَا مَعْنَى أَيَا سِرِّي يَا جَهْرِي، يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الاسْتِغْرَاقِ:

تَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ * إِلَّا وَأَنْتَ مُنَى قَلْبِي وَوَسْوَاسِ
وَلَا تَنَفَّسْتُ مَسْرُوراً وَمُكْتَئِباً * إِلَّا وَذِكْرُكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِ
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ * إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَّاسِ
وَلَا تَنَاوَلْتُ شُرْبَ المَاءِ مِنْ عَطَشٍ * إِلَّا رَأَيْتُ خَيَالاً مِنْكَ فِي الكَاسِ

فَهَذَا يُشَارُ بِهِ لِلاسْتِغْرَاقِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَيَا[2] سِرِّي يَا جَهْرِي. **قَوْلُهُ** وَبَعْضِي وَجُمْلَتِي، يَعْنِي: مَا[3] فِيَّ غَيْرُكَ فَأَنْتَ بَعْضِي وَجُمْلَتِي وَيَا كُلَّ أَجْزَائِي، فَمَا أَنَا غَيْرُكَ وَلَا أَنْتَ غَيْرِي. **وَقَوْلُهُ:** وَمَكْنُونَ خُفْيَتِي مَا أُكِنُّهُ وَأُخْفِيهِ مِنْ جَمِيعِ الخَفَايَا أَنْتَ هُوَ ذَاكَ، وَمَعْنَى هَذَا هُوَ أَخْذُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ. وَيُعَبِّرُونَ عَنْ هَذَا الأَخْذِ بِقَوْلِهِمْ[4]: هُوَ اخْتِطَافُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ مِنْ وَادِ التَّفْرِقَةِ وَطَرْحُهُ فِي بَحْرِ الجَمْعِ، بِحَيْثُ أَنْ لَا يُمَيِّزَ أَصْلاً وَلَا قَاعِدَةً، وَلَا كَمّاً وَلَا كَيْفاً، وَلَا صُورَةَ وَلَا وَهْمَ، وَلَا تَعَقُّلَ وَلَا خَيَالَ. وَلَا حِسَّ وَلَا غَيْرَ وَلَا غَيْرِيَّةَ،

---

[1]- ح: (الشيخ) ساقطة
[2]- ح ل: يا
[3]- ع ل: فما
[4]- ع: (بقولهم) ساقطة

فَمَا ثَمَّ إِلَّا الحَقُّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ لِلْحَقِّ[1] عَنِ الحَقِّ، وَيُسَمَّى هَذَا الأَخْذُ صُورَةَ فَنَاءِ الفَنَاءِ. وَمِنْ هُنَا يَقَعُ الحَيَاةُ لِلْعَبْدِ مَعَ غَرَقِهِ فِي هَذَا البَحْرِ، يَخْرُجُ لِتَمْيِيزِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالشُّؤُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ، بِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

قَوْلُهُ[2]: وَيَا عَيْنَ بَهْجَتِي، البَهْجَةُ هُوَ مَا بِهِ الابْتِهَاجُ، وَالابْتِهَاجُ[3] هُوَ مَا بِهِ[4] صُورَةُ النَّعِيمِ الطَّالِعِ فِي النَّفْسِ بَاطِناً، الَّذِي هُوَ بَعْدَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ فِي وَصْفِ أَهْلِ الجَنَّةِ **(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)**[5]. فَهَذَا هُوَ الابْتِهَاجُ، يَعْنِي لَا ابْتِهَاجَ لِي بِغَيْرِكَ لَا الجَنَّةُ وَلَا غَيْرُهَا. فَإِنَّ صَاحِبَ الاسْتِغْرَاقِ فِي اللَّهِ، حَيْثُ طُرِحَ فِي بَحْرِ الجَمْعِ عِنْدَ إِحْسَاسِهِ بِالمَرَاتِبِ وَتَمْيِيزِهَا[6]، كَانَ الْتِذَاذُهُ بِوُجُودِ الحَقِّ كَأَنَّ نِسْبَتَهُ، أَنْ لَوْ جَمَعْتَ جَمِيعَ نَعِيمِ[7] الجَنَّةِ، وَنُسِبَ إِلَى هَذَا الإِلْتِذَاذِ بِالحَقِّ كَانَ نُقْطَةً فِي بَحْرٍ.

قِيلَ لِلْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَيِّ حَالَةٍ كُنْتَ فِي وَقْتِ المُكَالَمَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي الهَيْبَةِ فَتَصَوَّرْ مُوَاقَعَةَ الصَّوَاعِقِ تَنْصَبُّ حَوْلَكَ مُتَّصِلَةً، فَلَا يُوصَفُ خَوْفُ صَاحِبِهِ فِي هَذَا الحَالِ، وَأَمَّا فِي اللَّذَّةِ فَلَا يُوصَفُ. وَقَدْ قِيلَ: لَذَّةُ الجِمَاعِ فِي ذَلِكَ الحَالِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ، فَاللَّذَّةُ غَايَتُهَا وَالهَيْبَةُ غَايَتُهَا.

قَوْلُهُ: وَأَنْوَارَ مُهْجَتِي. المُهْجَةُ هَا هُنَا هِيَ الرُّوحُ أَوْ بَصَرُ العَيْنِ، وَنُورُهَا الَّذِي تَرَى بِهِ هُوَ أَنْتَ. أَمَّا العَيْنُ فَهِيَ الرُّوحُ. **قَوْلُهُ:** وَبَرَدَ فُؤَادِي. البَرْدُ هَا هُنَا، يُشَارُ بِهِ إِلَى المَاءِ

---

[1]- ع: للحق في الحق

[2]- ع: (قوله) ساقطة

[3]- ك: (والابتهاج) ساقطة

[4]- ع ل ي: (ما به) ساقطة

[5]- سورة المطففين، الآية 24.

[6]- ع: وتميزها

[7]- ح: نِعَم

البَارِدِ الحُلْوِ، الَّذِي جَاءَ عَنْ[1] شِدَّةِ احْتِرَاقِ العَطَشِ، فَلَا تُصَوَّرُ لَذَّتُهُ فَهَذَا يُدْرِكُهَا، يَعْنِي الفُؤَادَ احْتَرَقَ بِالشَّوْقِ، وَلَيْسَ بَرَدٌ يُطْفِئُ ذَلِكَ الاحْتِرَاقَ إِلَّا الرُّؤْيَةُ. يَقُولُ ابْنُ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَائِيَتِهِ:

أَرُومُ وَإِنْ طَالَ المَدَا مِنْكَ نَظْرَةً * وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ دُونَ مَرْمَايَ[2] طُلَّتِ

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ حِينَ كَانَ فِي النَّزْعِ وَعِنْدَهُ بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ رُفِعَ لَهُ الحِجَابُ عَنِ الجَنَّةِ. وَقِيلَ لَهُ: هَذَا مَقَامُكَ فَبَكَى وَقَالَ:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمُ * مَا قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أُمْنِيَةٌ ظَفِرَتْ رُوحِي بِهَا زَمَناً * فَاليَوْمَ[3] أَحْسِبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

قَالَ الرَّاوِي فَقِيلَ لَهُ مِنَ الحَضْرَةِ: مَاذَا تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ فَأَنْشَدَ:

أَرُومُ وَإِنْ طَالَ المَدَى مِنْكَ نَظْرَةً * وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ دُونَ مَرْمَايَ[4] طُلَّتِ[5]

قَالَ الرَّاوِي فَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَيْتُهُ ضَاحِكاً[6] ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحُهُ. ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ أُعْطِيَ أَمَلَهُ. **قَوْلُهُ:** **قَوْلُهُ:** امْنُنْ عَلَيَّ بِرُؤْيَتِي[7] هُوَ مَا حُكِيَ عَنِ ابْنِ الفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي البَيْتِ.

---

[1]- ع: عند
[2]- ح: مرمى
[3]- ك ي: واليوم
[4]- ح: مرمى
[5]- ي: أروم وإن طال المدى إلخ..
[6]- ع: ضحكا
[7]- ك ل هـ ص ي: برؤية

انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وَمِمَّا أَنْشَدَنِيهِ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ وَهُمَا:

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَابِهِ * فَصِرْتُ أَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ مَا اسْمِيَ مَا دَرَتْ * وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَعْنَى البَيْتَيْنِ هِيَ مَرْتَبَةُ الخَلِيفَةِ الأَعْظَمِ، إِذْ لَا اسْمَ لَهُ يَخْتَصُّ بِهِ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ الوُجُودِ كُلَّهَا أَسْمَاءٌ لَهُ لِتَحَقُّقِهِ بِمَرَاتِبِهَا، وَلِكَوْنِهِ هُوَ الرُّوحَ فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، فَمَا فِي الكَوْنِ ذَاتٌ إِلَّا وَهُوَ الرُّوحُ المُدَبِّرُ لَهَا، وَالمُحَرِّكُ لَهَا وَالقَائِمُ فِيهَا، وَلَا فِي كُورَةِ العَالَمِ مَكَانٌ إِلَّا وَهُوَ حَالٌّ فِيهِ وَمُتَمَكِّنٌ مِنْهُ. فَبِهَذَا الاعْتِبَارِ لَا اسْمَ لَهُ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الوُجُودِ، وَلَا مَكَانَ يَخْتَصُّ بِهِ دُونَ آخَرَ، فَلِهَذَا قَالَ: فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ (وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي)[1].
يُشِيرُ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ وَهِيَ الخِلَافَةُ العُظْمَى. قَالَ المُرْسِي: لَوْ كُشِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الوَلِيِّ لَعُبِدَ، لِأَنَّ أَوْصَافَهُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَنُعُوتَهُ مِنْ نُعُوتِهِ، وَمَعْنَى الوَلِيِّ هُنَا هُوَ[2] الإِنْسَانُ الكَامِلُ وَهُوَ الخَلِيفَةُ الأَعْظَمُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ)**[3] الآيَةُ.
وَقَدْ قَالَ مُحْيِي الدِّينِ فِي الإِنْسَانِ المَحْجُوبِ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا هُوَ شِبْهُ إِنْسَانٍ كَالذَّاتِ المَيِّتَةِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا، فَهِيَ ذَاتُ الإِنْسَانِ وَلَكِنْ لَا رُوحَ فِيهَا، وَحَيْثُ يُسْمَعُ فِي كَلَامِ الصُّوفِيَةِ أَنَّ الرُّوحَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، بَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ، يُشِيرُونَ إِلَى هَذَا الرُّوحِ وَهِيَ

---

[1] - ي: ما بين القوسين محذوف
[2] - ح ع ل هـ ق ص ي: (هو) ساقطة
[3] - سورة الأنعام، الآية 122.

صَفَاءُ المَعْرِفَةِ بَعْدَ الفَتْحِ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فِي كُلِّ مَا أَرَادَهُ، يُحْيِي المَوْتَى إِذَا شَاءَ وَيُنَادِيهَا، فَتُجِيبُهُ مُسْرِعَةً وَلَوْ كَانَتْ رَمِيمَةً، وَيُثْمِرُ الشَّجَرَةَ اليَابِسَةَ فِي الحِينِ إِذَا شَاءَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الخَوَارِقِ، فَلَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَرْقِ العَادَةِ، إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ جِبَالَ الأَدَبِ مَعَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَهِيَ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنْ هَذَا.

فَإِنْ أَظْهَرَ مِنَ الخَوَارِقِ مَا يَأْبَاهُ الوَقْتُ، عُوقِبَ فِي الحِينِ وَطُرِدَ وَسُلِبَ، لِأَنَّهُ مَمْحُوٌّ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، مَيِّتٌ عَنْ جَمِيعِ حُظُوظِهِ، فَلَا قِيَامَ لَهُ إِلَّا بِقِيَامِ الحَقِّ، وَلَوْ قِيلَ لَهُ مَا تُرِيدُ؟ لَقَالَ: مَا أُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ بِيَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ فَانٍ عَنْ مُرَادَاتِهِ، قَائِمٌ بِإِرَادَةِ الحَقِّ لَهُ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ[1] وَإِرَادَاتِهِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الأَبْيَاتِ:

حَقِيقَةٌ ظَهَرَتْ فِي الكَوْنِ قُدْرَتُهَا * فَأَظْهَرَتْ هَذِهِ الأَكْوَانَ وَالحُجُبَا
تَنَكَّرَتْ بِعُيُونِ العَالَمِينَ كَمَا * تَعَرَّفَتْ بِقُلُوبِ العُرَّفِ الأُدَبَا
الخَلْقُ كُلُّهُمْ أَسْتَارُ طَلْعَتِهَا * وَجُمْلَةُ الأَمْرِ قَدْ صَارُوا لَهَا نُقَبَا
مَا فِي التَّسَتُّرِ فِي الأَكْوَانِ مِنْ عَجَبٍ * بَلْ كَوْنُهَا عَيْنَهَا فَمَا تَرَى عَجَبَا

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ الحَقِيقَةَ هَا هُنَا، هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ الَّذِي يُسَمَّى عَيْنَ الطَّمْسِ وَالعَمَى، فَلَا نِسْبَةَ فِيهِ وَلَا تَوَهُّمَ وَلَا تَعَقُّلَ، وَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا رَسْمَ وَلَا وَهْمَ، قَدْ انْعَدَمَتِ النِّسَبُ كُلُّهَا. وَالقُدْرَةُ الَّتِي أَظْهَرَتْهَا الحَقِيقَةُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلاً فِي حِجَابِ الطَّمْسِ وَالعَمَى، لَا تَعَقُّلَ لِلصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ هُنَاكَ، مِنْ حَيْثُ الظُّهُورُ لَا مِنْ حَيْثُ الوُجُودُ، أَظْهَرَتْ قُدْرَتَهَا بِمَا أَظْهَرَتْ مِنَ الأَكْوَانِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلاً فِي حِجَابِ

[1]- ح ل: (قائم بإرادة الحق له في جميع حركاته وسكناته وتقلباته) ساقطة

الكَنْزِيَّةِ حَيْثُ قَالَ: (كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ)، يُرِيدُ أَنَّهُ أَحَبَّ الظُّهُورَ لِغَيْرِهِ، (فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَبِي عَرَفُونِي)، وَهَذِهِ القُدْرَةُ هِيَ الَّتِي بَسَطَهَا فِي الأَكْوَانِ، حَيْثُ أَظْهَرَ الأَكْوَانَ بِهَذِهِ القُدْرَةِ.

قَوْلُهُ: تَنَكَّرَتْ الخ.. التَّنَكُّرُ هَا هُنَا هُوَ الاحْتِجَابُ عَنِ الغَيْرِ، فَإِنَّهَا فِي مَاهِيَةِ وُجُودِهَا فِي غَايَةِ الظُّهُورِ وَالوُضُوحِ، لِأَنَّهَا مَتَى ظَهَرَتْ انْطَمَسَ الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ، فَلَا يَلُمُّ بِسَاحَةِ رَائِيهَا شَكٌّ وَلَا وَهْمٌ، فَهِيَ فِي هَذَا التَّجَلِّي فِي غَايَةِ الظُّهُورِ، حَيْثُ انْطَمَسَ الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ، ثُمَّ احْتَجَبَتْ بِظُهُورِ المَوْجُودَاتِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَنَكَّرَتْ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي غَايَةِ المَعْرِفَةِ عِنْدَ تَجَلِّيهَا انْطَمَسَ الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ، وَلَمَّا ظَهَرَ الوُجُودُ تَنَكَّرَتْ بِهِ، يَعْنِي: احْتَجَبَتْ بِهِ يَعْنِي بِصُوَرِ المَوْجُودَاتِ، وَالَّذِي احْتَجَبَ هُنَا هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ بِصُوَرِ المَوْجُودَاتِ.

قَوْلُهُ: بِعُيُونِ العَالَمِينَ عَيْنُ الشَّيْءِ هُنَا هِيَ ذَاتُهُ، وَسُمِّيَتْ عَيْناً لِتَعَيُّنِهَا مِنَ العَمَى الرَّبَّانِي، فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي العِلْمِ الأَزَلِيِّ أَعْيَاناً ثَابِتَةً، فَهِيَ هُنَا سُمِّيَتْ عُيُوناً وَهِيَ ذَوَاتُ المَوْجُودَاتِ. **قَوْلُهُ:** كَمَا تَعَرَّفْتَ لِلْعَارِفِينَ الأُدَبَا: مَعْنَاهُ العُرَّفُ: جَمْعُ عَارِفٍ، وَالمُرَادُ بِهِمْ هُنَا العَارِفُونَ بِآدَابِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ تَعَرَّفْتَ لِقُلُوبِهِمْ، فَإِنَّ العَارِفِينَ رَفَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ حِجَابَ الكَوْنِ. فَعَايَنُوا الحَضْرَةَ القُدْسِيَّةَ مُعَايَنَةً لَا عَنْ خَبَرٍ، كَغَرِيقِ البَحْرِ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُخْبِرَهُ أَحَدٌ عَنْهُ[1]. **قَوْلُهُ:** الخَلْقُ كُلُّهُمْ أَسْتَارُ طَلْعَتِهَا يَعْنِي: اسْتَأْثَرَتْ. يَعْنِي الوُجُودَ المُطْلَقَ بِصُوَرِ الأَكْوَانِ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ أَسْتَارُ طَلْعَتِهَا.

قَوْلُهُ: وَجُمْلَةُ الأَمْرِ قَدْ صَارُوا لَهَا نُقَبَا. مَعْنَاهُ: أَنَّ النَّقِيبَ فِي اللُّغَةِ هُوَ المُتَحَمِّلُ لِلشَّيْءِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ بِمَكَّةَ وَبَايَعُوهُ، بِأَنْ يَقُومُوا بِجَمِيعِ مَئُونَتِهِ وَتَحَمَّلُوا لَهُ، عَلَى أَنَّ مَنْ أَبَى مِنْ قَوْمِهِمْ بَقِيَ تَحْتَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ، فَلَمَّا بَايَعُوهُ عَلَى هَذَا، لَمْ يُقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى أَخَذَ مِنْهُمْ نُقَبَاءَ، كُلُّ نَقِيبٍ تَحَمَّلَ مِنْ قَبِيلَتِهِ، عَلَى

---

[1]- ح: لَا يَحْتَاجُ أَحَداً يُخْبِرُهُ عَنْهُ

أَنَّ مَنْ أَبَى مِنْهُمْ بَقِيَ تَحْتَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ، لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُظْهِرَ لَهُ خِلَافاً وَلَا قِتَالاً، وَلَا أَنْ يُسَاعِدَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءَ. فَبِهَذَا الثِّقَلِ أَخَذَ النُّقَبَاءُ مِنْهُمْ، وَهُمُ المُتَحَمِّلُونَ لِمَا شُرِطَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأَمْرِ، هَذَا هُوَ النَّقِيبُ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَخْذَ مِيثَاقِهِمْ: (**وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ إِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً**)[1].

وَالنَّقِيبُ هُنَا هُوَ[2] المُتَحَمِّلُ مِنْ قَبِيلَتِهِ، أَنْ يَقْهَرَهُمْ عَمَّا لَا يُرَادُ، وَجُمْلَةُ الأَمْرِ هَا هُنَا قَدْ صَارُوا لَهَا نُقَبَاءَ، جُمْلَةُ الأَمْرِ هُنَا هِيَ صُوَرُ المَوْجُودَاتِ بِأَسْرِهَا، قَدْ صَارُوا لَهَا نُقَبَاءَ، وَالمُرَادُ بِهِمْ: كُلُّهُمْ تَحَمَّلُوا ثِقَلَ مَعْرِفَتِهَا فَإِنَّهَا أَصْعَبُ الأُمُورِ، وَتَحَمَّلُوا ثِقَلَ تَسْبِيحِهَا وَعِبَادَتِهَا وَالسُّجُودِ لَهَا، أَيْ لِلذَّاتِ المُطْلَقَةِ، وَالأَكْوَانُ كُلُّهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ كُلُّهُمْ نُقَبَاءُ فَرْداً فَرْداً، وَتَحَمَّلُوا ثِقَلَ مَعْرِفَتِهِ وَثِقَلَ عِبَادَتِهِ، وَثِقَلَ السُّجُودِ لَهُ وَثِقَلَ التَّسْبِيحِ، كُلُّهَا تُسَبِّحُ لَهُ، فَالحَقُّ ذَاتٌ وَمَرْتَبَةٌ، فَالذَّاتُ غَيْبٌ لَا تُعْقَلُ وَلَا تُدْرَكُ، وَمَا ظَهَرَ فِي وُجُودِهِ إِلَّا بِالمَرْتَبَةِ وَهِيَ الأُلُوهِيَّةُ.

وَالأُلُوهِيَّةُ مَعْنَاهَا: تَوَجُّهُ الوُجُودِ كُلِّهِ إِلَيْهِ بِالعِبَادَةِ وَالخُضُوعِ، وَالتَّذَلُّلِ وَالمَعْرِفَةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالسُّجُودِ، فَمَا فِيهَا ذَرَّةٌ خَارِجَةٌ عَنْ هَذَا المَيْدَانِ. **قَوْلُهُ:**

مَا فِي التَّسَتُّرِ فِي الأَكْوَانِ مِنْ عَجَبٍ * بَـلْ كَوْنُـهَا عَـيْنَهَا فَـمَا تَـرَى عَـجَبَا

مَعْنَاهُ مَا فِي تَسَتُّرِهَا بِالأَكْوَانِ مِنْ عَجَبٍ. **قَوْلُهُ:** بَلْ كَوْنُهَا عَيْنَهَا، بَلِ الكَوْنُ كُلُّهُ عَيْنُهَا، أَيْ الوُجُودُ المُطْلَقُ وَمَعْنَى "كَوْنُهُ عَيْنَهَا": قَدْ صَارَ الكَوْنُ لَهَا مِرْآةً تَتَرَاءَى فِيهِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَوِيَ نُورُهُ، فَشَاهَدَ المِرْآةَ وَشَاهَدَ المُتَجَلِّيَ فِيهَا، وَمَنْ[3] ضَعُفَ نُورُهُ[1]

---

[1]- سورة المائدة، الآية 12.

[2]- ك ع ل: (هو) ساقطة

[3]- ي: من

رَأى المُتَجَلِّيَ فِي المِرْآةِ، وَوُجُودُ المُتَجَلِّي غَطَّى عَلَيْهِ المِرْآةَ[2]، فَلَا يَرَى غَيْرَهُ أَيْ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَصَاحِبُ هَذَا يَقُولُ: الكَوْنُ كُلُّهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَا فِيهِ غَيْرُهُ لِضُعْفِ نُورِهِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ * فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَمَا ثَمَّ بَائِنُ

وَأَمَّا مَنْ قَوِيَ نُورُهُ فَيَشْهَدُ المِرْآةَ وَالمُتَجَلِّيَ فِيهَا، وَيُعْطِي كُلَّ مَرْتَبَةٍ حَقَّهَا مِنَ الحَقِّيَّةِ وَالخَلْقِيَّةِ، فَلَا يَحْجُبُهُ وَاحِدٌ عَنِ الآخَرِ. **قَوْلُهُ:** فَمَا تَرَى عَجَباً: مَا هُنَا مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى الَّذِي. قَالَ ابْنُ العَرَبِي الحَاتِمِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ لَقِيَ سَيِّدَنَا هَارُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: قَوْلُكَ **(فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ)**[3]، أَيْنَ العَدُوُّ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ؟ وَهَلْ ثَمَّ شَيْءٌ خَارِجٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؟ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، وَإِنَّا مَعْشَرَ العَارِفِينَ نَرَى كُلَّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ عَدُوّاً ؟ قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا هَارُونُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَا تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، قَالَ لَهُ: لَا. قَالَ لَهُ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ[4]: فَاتَكَ مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ مَا فَاتَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَقِيقَةُ التَّجَلِّي هُوَ الظُّهُورُ وَتَجَلِّي الحَقِّ بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ لِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ، وَهَذَا التَّجَلِّي هُوَ مَرْتَبَةُ كُنْهِ الحَقِّ، وَلَا اطِّلَاعَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ، **وَالتَّجَلِّي الثَّانِي:** تَجَلِّيهِ لِغَيْرِهِ فِي غَيْرِهِ، بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَهَذَا التَّجَلِّي هُوَ الَّذِي يُدْرِكُهُ[5] الخَلْقُ، وَكَانَ تَجَلِّي المَقَادِيرِ الإِلَهِيَةِ

---

[1] - ي: نورها

[2] - ع: (وَشَاهَدَ المُتَجَلِّيَ فِيهَا، وَمَنْ ضَعُفَ نُورُهُ رَأَى المُتَجَلِّيَ فِي المِرْآةِ، وَوُجُودُ المُتَجَلِّي غَطَّى عَلَيْهِ المِرْآةَ) ساقطة

[3] - سورة الأعراف، الآية 150.

[4] - ح ل: (عليه السلام) ساقطة

[5] - ح: يدرك

فِي صُوَرِ الأَكْوَانِ مُطْلَقاً، إِنَّمَا كَانَ عَنْ سَبَبٍ وَهُوَ تَعَلُّقُ المَشِيئَةِ، وَسَبْقُ الحُكْمِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَعَلُّقُ كَلِمَةِ كُنْ. فَهَذَا السَّبَبُ هُوَ الَّذِي بَرَزَتْ بِهِ المَقَادِيرُ فِي صُوَرِ الأَكْوَانِ، فَإِنَّ تِلْكَ المَقَادِيرَ بَرَزَتْ لَا عَنْ ذَاتِهَا بِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا بَرَزَتْ عَنْ غَيْرِهَا بِغَيْرِهَا. فَذَلِكَ السَّبَبُ هُوَ الَّذِي تَقَدَّمَ عَلَيْهَا وَبِهِ وُجِدَتْ، وَأَمَّا تَجَلِّي الذَّاتِ فَلَمْ يَتَقَدَّمْهَا شَيْءٌ، لِأَنَّهَا أَجَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُنْفَعِلَةً لِلْمَشِيئَةِ أَوْ غَيْرِهَا، إِنَّمَا تَجَلَّتْ بِذَاتِهَا[1] فِي الخَلْقِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذِهِ الأَبْيَاتُ الَّتِي نَذْكُرُهَا بَعْدُ عَلَّمَهَا سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ، لِلْوَلِيِّ الصَّالِحِ وَالسَّعْيِ الرَّابِحِ، صَاحِبِ المَشْهَدِ الكَرِيمِ الوَاضِحِ أَبِي[2] عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ العَرْبِيِّ التَّازِي دَاراً الدَّمْرَاوِيِّ أَصْلاً. المُتَوَفَّى بِعَيْنِ مَاضِي سَنَةَ 1214، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَجَدَهَا فِي فِيهِ يَذْكُرُهَا فَحَفِظَهَا، فَبَعْدَ ذَلِكَ لَقِيَ مَوْلَانَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً، وَكَانَ يُلَاقِيهِ فِي اليَقَظَةِ كَثِيراً.

فَسَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى الأَبْيَاتِ وَطَلَبَ مِنْهُ[3] شَرْحَ الأَبْيَاتِ، فَأَجَابَهُ لِذَلِكَ مَوْلَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَحَبَّتِهِ فِي شَيْخِنَا وَأُسْتَاذِنَا مَوْلَانَا أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ تِلْمِيذٌ لَهُ، وَصَرَّحَ لَهُ سَيِّدُ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ قَالَ لَهُ: لَوْلَا مَحَبَّتُكَ فِي التِّجَانِي مَا رَأَيْتَنِي قَطُّ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ مِمَّا هَذَا مَعْنَاهُ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِ شَرْحَ هَذِهِ الأَبْيَاتِ لِلتِّجَانِي، وَهَذَا نَصُّ الأَبْيَاتِ:

---

[1]- ك ع: بذاته

[2]- ك ع ي: أبو

[3]- ح ل: وطلبه

فَبِالـمَجْدِ[1] وَالتَّـحْـمِيدِ بِـهِ تَـتَجَلَّى ذَاتُـهُ * وَبِـالـقَـصْـدِ كَـــانَ الـمَـنْـعُ لِـــي وَحْـــدِي
وَبِـحَـقِّ الـحَـقِّ بِالحَـقِّ تَـرَى حَـقِيقَـتَـهُ * وَبِـالـحَـقِّ لَا بِـالـحَـقِّ احْـتَـجَبَ عَـنِّي زَنْـدِي
وَفِـــي تَـدْبِـيـرِ أَمْـــرِهِ أَحَـاطَـتْ قُدْرَتُـهُ * وَبِـالـقَصْدِ لَا بِـالـقَصْدِ احْـتَـجَبَ عَـنْـهُمْ أَخْذِي
فَـاغْـرَقْ فِـــي بَـحْـرِ الـوَحْـدَةِ تَـرَى وَحْدَتَهُ * تَرْتَفِعُ عَنْكَ الحُجُبُ حَتَّى تَرَى الأَسْوَدَ بِالضِّدِّ

انْتَهَتْ الأَبْيَاتُ **وَنَصُّ شَرْحِ سَيِّدِ الوُجُودِ** وَلَفْظُهُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ: وَاحْتَفِظْ عَلَى كُلِّ[3] مَا تَسْمَعُهُ مِنِّي فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ، الَّتِي أَمَرْتُكَ بِحِفْظِهِمْ فِي المَنَامِ، فَاكْتُبْ مَعْنَاهُمْ بِالتَّحْقِيقِ وَاعْطِهِ لِلتِّجَانِي **وَقُلْ لَهُ:** بَابُ هَذِهِ الأَبْيَاتِ هُوَ أَعْظَمُ البِيبَانِ[4]، **وَقُلْ لَهُ:** لَا يَدْخُلُونَ[5] عَلَى هَذَا البَابِ إِلَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ المُحَقِّقِينَ، وَأَهْلُ التَّجْرِيدِ الصَّابِرِينَ، وَأَهْلُ الوَفَاءِ المُخْلِصِينَ، وَأَهْلُ التَّحْقِيقِ المُوقِنِينَ، وَأَهْلُ الصَّبْرِ الكَاتِمِينَ، وَأَهْلُ التَّخْلِيصِ هُمْ أَهْلُ التَّجَلِّي، وَأَهْلُ التَّجَلِّي هُمُ الَّذِينَ يَرِثُونَ مَقَامِي.
قُلْ لِأَحْمَدَ التِّجَانِي: مَعْنَى هَذِهِ الأَبْيَاتِ هُوَ البَابُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى المَعْرِفَةِ، **وَقُلْ لَهُ:** كُلُّ بَابٍ فِيهِ بَابَانِ[6]: أَحَدُهُمَا مَفْتُوحٌ[7] وَالآخَرُ مَسْدُودٌ[8]. **وَقُلْ لَهُ:** لِهَاذَيْنِ البَابَيْنِ طَرِيقَانِ: طَرِيقَانِ: وَكُلُّ طَرِيقٍ تُوصِلُ إِلَى بَابِهَا، فَمَنْ أَخَذَ طَرِيقَ البَابِ المَفْتُوحِ، وَصَلَ وَدَخَلَ

---

[1]- ح: فبالحمد
[2]- ح: (ولفظه) ساقطة
[3]- ح ل: (كل) ساقطة
[4]- ح ل ي: البيان
[5]- ح: لا يدخل
[6]- ك ع ي: بابين
[7]- ك ع ص ي: مفتوحا
[8]- ك ع ي: مسدودا

وَتَجَلَّى، وَصَلَ أَيْ أَعْمَالُهُ وَرَدَتْ عَلَى رَبِّهِ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ يُعَارِضُهَا، فَإِذَا أَبْعَدَتْهَا المُعَارِضَاتُ ارْتَفَعَتْ لَهَا الحُجُبُ وَدَخَلَتْ، فَإِذَا دَخَلَتْ أُنْزِلَتِ المَلَائِكَةُ إِلَى صَاحِبِهَا وَأَحَبَّتْهُ، وَكَانَتْ حَيَاتُهَا لَهُ دَفْعَ المُعَارَضَةِ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَاتِبِ **نَقِّطْ**، **وَقُلْ لَهُ** الدُّخولُ، فَإِذَا حَالَتِ الرُّوحُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الإِعْرَاضِ[1]، دَخَلْتَ عَلَى بَابِ المَعْرِفَةِ الكَامِلَةِ، وَبَابُ المَعْرِفَةِ الكَامِلَةِ هُوَ تَجَلِّي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

قُلْ لَهُ: إِشَارَتِي لَكَ هُنَا هِيَ مُشَاهَدَةُ جَمِيعِ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَمُشَاهَدَةُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَرِدُ مِنْهَا هَذِهِ العُلُومُ المُتَقَدِّمَةُ، فَإِذَا وَصَلَ هَذَا المَعْنَى دَخَلَ عَلَى بَابِ تَجَلِّي الذَّاتِ، وَارْتَفَعَ عَنْهُ حِجَابُهَا نَزَلَ الحَقُّ فِي الحَقِّ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا التَّجَلِّي مَحْجُوباً عَنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، وَجَمِيعُ المَوْجُودَاتِ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ. **قُلْ لَهُ:** مُشَاهَدَةُ الحَقِّ فَنَاءٌ، وَلَا يَكُونُ يَنْطِقُ فِي حَالَةِ التَّجَلِّي إِلَّا بِالحَقِّ، فَانْظُرْ مَا أَوْسَعَ هَذِهِ البَابَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ لِلْكَاتِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اكْتُبُ **البَيْتَ الأَوَّلَ:**

فَبِالمَجْدِ[2] وَالتَّحْمِيدِ بِهِ تَتَجَلَّى ذَاتُهُ * وَبِالقَصْدِ[3] كَانَ المَنْعُ لِي وَحْدِي

ثُمَّ قَالَ لِلْكَاتِبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قُلْ لَهُ** هُنَا تَجَرُّدُ العِبَادَةِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، كَمَا كَانَتْ الكَعْبَةُ مُرَبَّعَةً، وَكَمَا كَانَتِ الأَرْضُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، وَكَمَا كَانَتِ الكُتُبُ أَرْبَعَةً وَكَمَا كَانَتْ مَذَاهِبُ التَّحْقِيقِ أَرْبَعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَقِّطْ** **قُلْ لَهُ:** عِبَادَةٌ مُوجَبَةٌ وَمَمْنُوعَةٌ، وَعِبَادَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ وَمُعْوَجَّةٌ، وَعِبَادَةٌ مُحِيطَةٌ وَمُتَوَسِّطَةٌ[4]، وَعِبَادَةٌ كَامِلَةٌ وَمُتَّصِلَةٌ.

---

[1]- ك ل ي: الأغراض

[2]- ح: فبالحمد

[3]- ح ك: وبالقصد لا بالقصد

[4]- ح ع ل هـ ق ص ي: وموسّطة

العِبَادَةُ الأُولَى هُنَا: هُوَ التَّجْرِيدُ وَالانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ[1] بِالأَعْمَالِ الكَامِلَةِ وَالإِخْلَاصِ التَّامِّ، وَيَكُونُ هَذَا الانْقِطَاعُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَيَكُونُ مُرَادُهُ بِهَذَا الانْقِطَاعِ، إِنَّمَا يُمَجِّدُ اللَّهَ وَيُعَظِّمُهُ وَيُسَبِّحُهُ وَيُقَدِّسُهُ، وَيَحْمَدُهُ عَلَى الحَالَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَلَا يَقْصِدُ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئاً، وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى شَيْءٍ، فَتَصْعَدُ أَفْعَالُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[2]، وَتَدْخُلُ عَلَى البَابِ المَفْتُوحِ وَتَشْتَغِلُ، تَجُولُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلاً، وَلَا يَكُونُ لَهُ وُقُوفٌ إِلَّا التَّجَلِّي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**)[3] الآيَةُ. وَأَهْلُ العَمَلِ الصَّالِحِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَقْصِدُوا فِي أَعْمَالِهِمْ شَيْئاً مِنْ مَصْلَحَةٍ وَلَا مَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْأَلُ فِي عِبَادَتِهِ إِلَّا الإِعَانَةَ وَالعَافِيَةَ الكَامِلَةَ يَسْأَلُهَا إِلَى آخِرَتِهِ.

قُلْ لَهُ: أَخْيَارُ[4] السُّؤَالِ إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْأَلْهُ فِي العَفْوِ وَالعَافِيَةِ، وَإِذَا كَانَ قَصْدُهُ فِي تَجْرِيدِهِ وَانْقِطَاعِهِ، وُصُولاً إِلَى مَقَامٍ أَوْ طَلَبَ عِلْمٍ أَوْ سِرٍّ، تَطْلُعُ أَعْمَالُهُ حَتَّى تَرِدَ عَلَى البَابِ المَغْلُوقِ فَتَجْلِسُ تُعَايِنُهُ يَنْفَتِحُ سَاعَةً، تَرْجَى صَاحِبَهَا يَرْجِعُ وَيَقُولُ: عِبَادَتِي لِلَّهِ لَا أَطْلُبُ حَاجَةً فَإِذَا الْتَهَمَ وَقَالَ هَذَا، رَجَعَتْ وَدَخَلَتْ عَلَى البَابِ المَفْتُوحِ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ مَا ذُكِرَ، رَجَعَتْ تِلْكَ الأَعْمَالُ مُنْقَطِعَةً كَانْقِطَاعِ الرِّيحِ فِي الهَوَى، فَتَجُولُ حَتَّى تَسْكُنَ، بِمَعْنَى تَنْقَلِبُ عَلَيْهِ خُسْرَاناً[5]. هَذَا مَعْنَى البَيْتِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ[6] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبِ اكْتُبِ **البَيْتَ الثَّانِي:**

وَبِحَقِّ الحَقِّ بِالحَقِّ تَرَى حَقِيقَتَهُ * وَبِالحَقِّ لَا بِالحَقِّ احْتَجَبَ عَنِّي زَنْدِي

1- ع: (إلى الله) ساقطة ـ ي: إلى الله تعالى

2- ك ع ل هـ ق ص ي: (تعالى) ساقطة

3- سورة البقرة، الآية 82.

4- ي: اختيار

5- ح: حسرانا

6- ي: (له) ساقطة

قُلْ لَهُ: أَشَرْتُ فِي هَذَا البَيْتِ إِلَى صَاحِبِ التَّجْرِيدِ، وَهُوَ الإِنْسَانُ الكَامِلُ الوَرِعُ، الحَامِلُ العِلْمَ عَلَى العَمَلِ، لِأَنَّ القُوَّةَ هِيَ تَحْمِلُ الضَّعِيفَ، لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِذَا تَجَرَّدَ إِلَى اللَّهِ بِالعَمَلِ وَالعِلْمِ، لِأَنَّ العَمَلَ وَالعِلْمَ حَقٌّ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الشَّرِيعَةِ تَابِعاً[1] لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الحَقُّ، حَيْثُ اتَّخَذَهُ اللَّهُ حَبِيباً مَحْمُوداً، وَأَرْسَلَهُ لِأُمَّتِهِ مُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ وَهِيَ الحَقُّ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[2] الآيَةُ. فَإِذَا تَجَرَّدَ الإِنْسَانُ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ، فَصَارَ هُوَ خَلِيفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِيرَاثِ تَجَلِّي الذَّاتِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الحُقُوقُ قُدَّامَهَا، لَا تَكُونُ إِلَّا هِيَ حَقٌّ.

وَكَوْنُهُ بِالحَقِّ لَا بِالحَقِّ. البَيْتُ. **قُلْ لَهُ:** المُرَادُ بِهِ الإِنْسَانُ إِذَا انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ الَّذِي هُوَ حَقٌّ، وَقَصَدَ بِعِبَادَتِهِ مَقَاماً يُوصِلُهُ، أَوْ حَاجَةً نَفْعِيَّةً احْتَجَبَتْ عَنْهُ جَمِيعُ[3] الحَقَائِقِ، كَالشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ فِي سَمَائِهَا، احْتَجَبَتْ مِنْهَا جَمِيعُ الدَّرَارِي وَالظَّلَامُ الَّذِي سَابَقَهَا، لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ الَّتِي[4] هِيَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ ظَاهِرَةً شَرِيعَتُهَا، وَطَالِعَةً أَنْوَارُهَا كَالكَوَاكِبِ، وَلَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ الشَّرِيفَةَ وَهُوَ: **(مُحَمَّدٌ)**[5] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَشَرَ[6] نُورُهُ كَالشَّمْسِ فِي سَمَائِهَا، فَأَدْرَقَتْ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ المُشَارِ إِلَيْهَا بِالكَوَاكِبِ،

---

[1]- ح ك ع ل هـ ق ص ي: تابع

[2]- سورة الأنبياء، الآية 107.

[3]- ي: (جميع) ساقطة

[4]- ك ع: الذي

[5]- سورة الفتح، الآية 29.

[6]- ح ك ل هـ ق ص: أنشر

وَيَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِي أَعْمَالِهِ، كَالإِنْسَانِ إِذَا يَقْرَعُ النَّارَ مِنْ غَيْرِ شُعْلٍ، يَكُونُ نُورُهَا يَظْهَرُ بَعِيداً، أَوْ يَكُونُ[1] يَطْفَحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَنْتَفِعُ مِنْهُ أَوْ كَالبَرْقِ إِذَا تَلَأْلَأَ بَيْنَ يَدَيْ الإِنْسَانِ، يَرَاهُ وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ[2] سِوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أُسْرَى عَلَيْهِ، وَلَيْلَةُ الإِسْرَاءِ كَانَتْ مَعَهُ أَحِبَّتُهُ، وَأُسْرَى مِنْ وَسَطِهَا وَلَمْ يَرَوْهُ. وَمَا هُنَا مُشَارُ كُلُّ مَعَانِيهِ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ[3] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبِ **البَيْتَ الثَّالِثَ**:

وَفِي تَدْبِيرِ أَمْرِهِ أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ * وَبِالقَصْدِ لَا بِالقَصْدِ احْتَجَبَ عَنْهُمْ أَخْذِي

قُلْ لَهُ: مَعْنَى هَذَا البَيْتِ هُوَ حم عسق، لَمَّا دَبَّرَ أَمْرَهُ قَبْلَ وُجُودِ العَالَمِ أَحَاطَتْ بِهِ قُدْرَتُهُ وَهُوَ سِرٌّ فِي **القَافِ**، وَتَقَدَّرَتْ مِنَ القَافِ الأَرْوَاحُ وَالأَنْفُسُ، وَجَمِيعُ المَوْجُودَاتِ المُقَدَّرَاتِ فِي العَالَمِ، **وَالحَاءُ** لَهَا سِرٌّ وَهِيَ حِكْمَةٌ أَحَاطَتْ بِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ المُقَدَّرَاتِ كَالحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَسِرٌّ فِي[4] **المِيمِ** أَحَاطَ بِجَمِيعِ المَكْنُونِ فِي العَالَمِ، وَهُوَ المُقَدَّرُ كَالأَنْوَارِ فِي الأَبْصَارِ، وَكَالنَّبَاتِ وَالحَيَاةِ[5] وَالمَمَاتِ.

وَالسِّينُ سِرُّهُ مُودَعٌ فِي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ[6] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَاطَ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعُ العَالَمِ خُلِقَ مِنْ نُورِهِ وَبِالقَصْدِ إِلَى آخِرِهِ، لِأَنَّ أَهْلَ هَذَا[7] العِلْمِ عِنْدَهُمْ هَذِهِ الحُرُوفُ،

---

[1]- ك ل ي: ويكون

[2]- ي: أحدا

[3]- ي: (له) ساقطة

[4]- ي: (في) ساقطة

[5]- ح: و كالحياة

[6]- ح: (محمد) ساقطة

[7]- ك ع: (هذا) ساقطة

كَلِمَتَانِ مِنَ الكِتَابِ وَهِيَ سِرُّ السِّرِّ، المُسْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الأَسْرَارِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا[1] مَعْنَاهَا إِلَّا بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ، لِأَنَّ سِرَّهَا مَحْجُوبٌ مَكْتُومٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ

البَيْتَ الرَّابِعَ:

فَاغْرَقْ فِي بَحْرِ الوَحْدَةِ تَرَى وَحْدَتَهُ * تَرْتَفِعُ عَنْكَ الحُجُبُ حَتَّى تَرَى الأَسْوَدَ بِالضِّدِّ

قُلْ لَهُ هَذَا المَعْنَى[3] الرِّجَالُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ المَعْرِفَةَ وَالوُصُولَ إِلَى تَجَلِّي الذَّاتِ، فَإِذَا وَقَفَ الوَاقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يَنْتَظِرُ غَيْرَهُ، وَلَا يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ شَيْئاً مَعَهُ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، بَلْ يَقْصِدُ بِهِ الوُصُولَ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ الحِرْصَ وَالإِعَانَةَ فِي مَحَبَّتِهِ، وَيَسْأَلُهُ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ، وَفِي أَكْلِهِ[4] وَشُرْبِهِ وَيَعْبُدُ اللَّهَ بِالإِخْلَاصِ، وَيَنْتَظِرُ أَحْكَامَ اللَّهِ الجَارِيَةَ عَلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ فِي مَعَانِي أَلْفَاظِهِ، الَّتِي يُسَبِّحُ بِهَا مَوْلَاهُ، وَلَا يَقْصِدُ فِي عِبَادَتِهِ شَيْئاً إِلَّا التَّعْظِيمَ لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَيَدُومُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَى أَنْوَاراً انْتَشَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَلْبِهِ[5]، وَلَا يُشَاهِدُ غَيْرَهَا أَصْلاً. فَإِذَا تَفَكَّرَ أُمُورَ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةَ، الَّذِي كَانَ يُشَاهِدُ قَبْلَ إِفَاضَةِ النُّورِ عَلَيْهِ بِنِسْبَةِ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ.

وَقُلْ لِحَبِيبِي التِّجَانِي كُلُّ هَذِهِ المَعَانِي فِي القُرْآنِ العَظِيمِ. **وَقُلْ لَهُ:** هَذَا الكِتَابُ يَدُلُّكَ عَلَى مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، **قُلْتُ لَكَ** لَا تَقْصِدْ شَيْئاً وَلَا تَجْتَهِدْ فِي حِرْصِ شَيْءٍ، اجْتَهِدْ فِي العِبَادَةِ وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ، وَالحِرْصُ وَالاجْتِهَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي العِبَادَةِ لِلَّهِ وَمُخَالَفَةِ

---

[1] - ح: ولم يعرف

[2] - ي: (له) ساقطة

[3] - ح ل: قال له المعنى

[4] - ي: وأكله

[5] - ي: قبله

النَّفْسِ، وَالحِرْصُ فِيمَا يَقْصِدُهُ الإِنْسَانُ فِي العِبَادَةِ (وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ، وَالحِرْصُ وَالاجْتِهَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي العِبَادَةِ وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ، وَالحِرْصُ فِيمَا يَقْصِدُهُ الإِنْسَانُ فِي العِبَادَةِ) [1] هُوَ تَأْخِيرُ الفَتْحِ. **قُلْ لَهُ:** هُوَ تَأْخِيرُ الفَتْحِ. **قُلْ لَهُ:** هُوَ[2] تَأْخِيرُ الفَتْحِ. **قُلْ لَهُ:** هُوَ[3] تَعْوِيقُ الفَتْحِ إِلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ[4] **قُلْ لَهُ** انْتَهَى. وَاشْتَغِلْ تَعْبُدُ مَوْلَاكَ، بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مُجَرَّداً عَنْ جَمِيعِ المَقَاصِدِ، تَعْظِيماً لِلَّهِ وَإِجْلَالاً وَتَحْمِيداً لَهُ وَتَقْدِيساً حَتَّى تَبْلُغَ المُقَدَّرَ[5]، وَتَصِلَ مُرَادَكَ وَجَمِيعَ مَقَاصِدِكَ.

وَقُلْ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَنْتَ مَكْتُوبٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ. أَنْتَ مَكْتُوبٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ. أَنْتَ مَكْتُوبٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ. **وَقُلْ لَهُ:** إِذَا بَنَيْتَ الدَّارَ اجْعَلْ فِيهَا بَيْتاً وَسَمِّهَا[6] بَيْتَ السِّرِّ، وَاجْعَلْ أَوْرَادَكَ وَأَذْكَارَكَ وَجَمِيعَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، اجْعَلْهُ فِيهِ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ غَيْرُكَ فِيهِ، تُعْرَضُ عَلَيْكَ الخَيْرَاتُ وَالبَرَكَاتُ، وَتَنَالُ جَمِيعَ المَقَاصِدِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ سَيِّدُ الوُجُودِ وَعَلَمُ الشُّهُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِي ذُكِرَ أَوَّلاً فِي أَوَّلِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ **تَفْضِيلِ الصَّحَابِي الَّذِي لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ،** وَعَنِ القُطْبِ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْضِيلِ الصَّحَابِي الَّذِي لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ عَنِ[7] القُطْبِ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ الصَّحَابِي، وَذَهَبَتْ

---

[1] - ي: ما بين القوسين محذوف

[2] - ي: (هو) ساقطة

[3] - ي: (هو) ساقطة

[4] - ك ي: مَراتب

[5] - ي: المقدار

[6] - ح ع ي: وسميها ـ ل: وسميه

[7] - ي: على

طَائِفَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ القُطْبِ، وَالرَّاجِحُ تَفْضِيلُ الصَّحَابِي عَلَى القُطْبِ، بِشَاهِدِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى أَصْحَابِي عَلَى سَائِرِ العَالَمِينَ سِوَى النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينْ). وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُ) الحَدِيثُ. وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ[1] تَعَالَى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)**[2] الآيَةُ. وَهَذَا مِنْ شِدَّةِ اعْتِنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى[3] بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِيَّةٌ[4] لَهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5].

وَلْنَذْكُرْ هُنَا قَصِيدَةً تَائِيَةً لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَظَمَهَا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَبَ فِيهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَتَمَنَّاهُ فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ، وَنَصُّهَا:

---

[1]- ح ل: (سبحانه) ساقطة

[2]- سورة آل عمران، الآية 110.

[3]- ح ك ل ي: (تعالى) ساقطة

[4]- ي: وخصوصيته

[5]- جاء في النسخة ح بعد هذه الفقرة: (قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى). الآيَةُ). إلى قوله: (لِأَنَّ مَنْ جَاوَزَ الصِّرَاطَ لَا يَتَأَتَّى طَرْدُهُ عَنِ الحَوْضِ، لِأَنَّ مَنْ جَاوَزَ الصِّرَاطَ فَقَدْ كَمُلَتْ نَجَاتُهُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.) أي في أزيد من 30 صفحة، كلها مذكورة في الجزء الأول من جواهر المعاني. ثم بعد ذلك، جاء في ح: (الكَلَامُ فِي القُرْآنِ عَلَى وَجْهَيْنِ، الوَجْهُ الأَوَّلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ العَامَّةُ وَأَحْوَالُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَجَزَائِهِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ) إلى قوله: (وَعِزَّتِكَ لَوْ أَخْبَرْتُ النَّاسَ بِمَا كَشَفْتَ لِي مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ لَمَا عَبَدَكَ أَحَدٌ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. فَسَكَتَ. انْتَهَى.) وهذه الفقرة موجودة أيضا في الجزء الأول من جواهر المعاني. ثم بعد ذلك جاء في هذه النسخة ح: الباب السادس في جملة مِنْ كَرَامَاتِهِ وَبَعْضِ مَا جَرَى مِنْ تَصْرِيفَاتِهِ.

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِسَكْرَةٍ * مِنَ الحُبِّ تُحْيِي[1] مِنِّي كُلَّ رَمِيمَةِ
وَهَلْ لِذُرَى[2] الإِحْسَانِ تَرْقَى عَوَالِمِي * وَهَلْ تَتَجَلَّى الذَّاتُ فِيهَا لِفِكْرَةِ
وَهَلْ لِي بِغَيْبِ الغَيْبِ بِاللَّهِ غَيْبَةٌ * تُغَيِّبُ كُلِّي عَنْ جَمِيعِ الخَلِيقَةِ
وَهَلْ نَفَحَاتُ القُرْبِ فَضْلاً تَعَمُّنِي * وَقَدْ هُدِمَتْ مِنِّي رُسُومُ الطَّبِيعَةِ
وَهَلْ جَذَبَاتٌ بِالتَّجَلِّي تَؤُمُّنِي * فَتَسْلُبُنِي عَنْ كُلِّ كُلِّي وَجُمْلَتِي[3]
وَهَلْ وَارِدَاتُ الوَصْلِ مِنَّا[4] تُزَفُّ لِي * لِكَيْ أَرْتَقِي العَلْيَاءَ مِنْ كُلِّ رُتْبَةِ
وَهَلْ أَرِدَنْ بَحْرَ الشُّهُودِ فَيَشْتَفِي * غَلِيلِي بِغَوْصِي فِيهِ فِي كُلِّ لَمْحَةِ
وَهَلْ تَطْلُعَنْ شَمْسُ المَعَارِفِ جَهْرَةً * بِبَاطِنِ قَلْبِي وَالهُدَى لِيَ زُفَّتِ
وَهَلْ أَرْتَقِي عَرْشَ الحَقَائِقِ وَاصِلاً * إِلَى اللَّهِ مَحْفُوفاً بِكُلِّ كَرِيمَةِ
وَهَلْ حُلَّةُ التَّوْحِيدِ أَلْبَسُهَا وَقَدْ * تَمَكَّنَ سِرِّي مِنْ بِسَاطِ الحَقِيقَةِ
وَهَلْ لِي بِجَمْعِ الجَمْعِ بِاللَّهِ وَصْلَةٌ * وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الوُصُولِ بِقِبْلَتِي
وَهَلْ وَابِلُ العِلْمِ اللَّدُنِيِّ هَاطِلٌ * إِلَيَّ وَيَبْقَى دَائِماً كُلَّ لَحْظَةِ
وَهَلْ أَمَلِي مِنْ هَذِهِ بَالِغُ المَدَى * فَيَا حَبَّذَا أَمْ لَا بُلُوغَ لِمُنْيَتِي
وَهَلْ تَجْمَعُ الأَيَّامُ شَمْلِي بِبُغْيَتِي * وَنَيْلِ مُرَادِي أَمْ أَمُوتُ بِحَسْرَتِي

انْتَهَتْ مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وَلَهُ أَبْيَاتٌ فِي التَّشْمِيرِ وَالحَزْمِ** خَلَّلَ[5] بَيْتَيْنِ لِبَعْضِ الفُضَلَاءِ، وَهِيَ:

---

[1]- ك: تُفْنِي
[2]- ي: وهل أدري
[3]- ا هـ ق ص: وجملة
[4]- ي: مني
[5]- ي: خلل بهما

تُـرِيدُ الـمَجْدَ ثُـمَّ تَـنَـامُ لَـيْلاً * لَـقَدْ أَطْـمَعْتَ نَـفْسَكَ بِـالمُحَالِ
يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي * وَمَـنْ طَـلَبَ العُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تُـرِيدُ الـمَجْدَ ثُـمَّ تَـنَـامُ لَـيْلاً * لَـقَدْ أَطْـمَعْتَ نَـفْسَكَ بِـالمُحَالِ
لَقَدْ رُمْتَ الحَصَادَ بِغَيْرِ زَرْعٍ[1] * يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي
فَـدَعْ عَـنْكَ التَّعَلُّلَ بِـالأَمَانِي * وَجِـدَّ تَـنَـلْ مَقَامَاتِ الـرِّجَالِ
فَـلَيْسَ يَـنَـالُهَا سَعْيُ الـهُوَيْنَا * وَلَا بِـالـهُونِ تَـرْقَـى لِـلْجِبَالِ
أَلَا خَـلِّ الـتَّـكَاسُلَ وَالـتَّـوَانِـي * وَنَـفْسَـكَ جَـرِّعَـنْ مُـرَّ الـنَّـكَالِ
وَجُدْ[2] فِي الكَدِّ وَاحْتَزِمَنْ وَشَمِّرْ * بِـعَـزْمٍ إِنَّ سَـوْمَ الـدُّرِّ غَـالِي
فَـمَنْ رَكَـنَتْ سَجِيَّتُهُ لِـعَجْزٍ * تَـقَاعَسَ عَـنْ مُـحَاوَلَةِ المَعَالِي
فَـإِنْ قَـصَدَ الـمَفَاخِرَ لَـمْ يَـنَلْهَا * وَمَنْ طَلَبَ العُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي

انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وَلِبَعْضِ الفُضَلَاءِ**، وَنَصُّهُ:

كُـلُّ مَـنْ قَـلَّـلَ أَنْـجَالَهُ * كَـانَ مِـنَ الزَّلَّاتِ أَنْجَى لَهُ
كُـلُّ مَـنْ قَـلَّـلَ أَقْـوَالَـهُ * كَانَ مِنَ الطَّاعَاتِ أَقْوَى لَهُ
كُـلُّ مَـنْ أَهْـمَلَ أَفْـعَالَـهُ * أَوْشَـكَ أَنْ تَـرْجِعَ أَفْـعَى لَهُ[3]

---

[1]- ك ي: حرث
[2]- ك ي: وخذ
[3]- هذا البيت هو مطلع هذه الأبيات في النسخة ي

فَأَجَابَهُ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّهُ:

كُلُّ مَنْ رَاقَبَ أَحْوَالَهُ * كَانَ لَدَى الخَيْرَاتِ أَحْوَى لَهُ

كُلُّ مَنْ لَمْ يَرْعَ أَعْمَالَهُ * كَانَ عَنِ الإِرْشَادِ أَعْمَى لَهُ

كُلُّ مَنْ بَايَنَ أَعْلَالَهُ * كَانَ عَنِ الخُسْرَانِ أَعْلَى لَهُ

كُلُّ مَنْ بَاعَدَ أَغْلَالَهُ * كَانَ لِرَفْعِ القَدْرِ أَغْلَى لَهُ

كُلُّ مَنْ فَارَقَ أَوْحَالَهُ * وَارِدٌ بِالخَيْرِ أَوْحَى لَهُ

انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّهُ:

أَرَاكَ تَرَانِي بِحَيْثُ لَا تَرَانِي * وَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَلَا تَرَانِي

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَعْنَاهُ: الكَوْنُ كُلُّهُ وُجُودٌ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ حَقِيقَتَهُ وُجُودُ الحَقِّ صِفَةً وَإِسْماً لَا ذَاتاً، وَالكَوْنُ كُلُّهُ عَدَمٌ مِنْ حَيْثُ صُورَةُ الغَيْرِيَّةِ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (**وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)[1] فَإِنَّ عَيْنَ الأَحَدِيَّةِ فِيهِ فَاضَتْ بِالقَهْرِ المَاحِقِ لِجَمِيعِ صُوَرِ الأَغْيَارِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا كَوْنُهُ وَاحِداً لَا مُشَارَكَةَ فِيهِ لِلْوُجُودِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

---

[1]- سورة إبراهيم، الآية 48

[2]- ح ل: هذه الفقرات الأخيرة من قوله (وَلْنَذْكُرْ هُنَا قَصِيدَةً تَائِيَّةً لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَظَمَهَا فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَبَ فِيهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَتَمَنَّاهُ فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ، وَنَصُّهَا: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ...) إلى قوله: (فَاضَتْ بِالقَهْرِ المَاحِقِ لِجَمِيعِ صُوَرِ الأَغْيَارِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا كَوْنُهُ وَاحِداً لَا مُشَارَكَةَ فِيهِ لِلْوُجُودِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سقطت برمتها.

الفَصْلُ الرَّابِعُ[1]
فِي رَسَائِلِهِ

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ، وَتَعَالَى عِزُّهُ[2] وَتَقَدَّسَ مَجْدُهُ وَكَرَمُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى كَافَّةِ مَنْ كَانَ بِفَاسٍ وَبِالمَغْرِبِ مِنَ الإِخْوَانِ وَالفُقَرَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. يَتَرَاكَمُ بِدَوَامِ مُلْكِ اللَّهِ مِنَ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ ، أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي.

وَبَعْدُ: نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَعَالَتْ عَظَمَتُهُ، أَنْ يَنْظُرَ فِي جَمِيعِكُمْ بِعَيْنِ المَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَالعِنَايَةِ، وَإِفَاضَةِ الفَضْلِ وَالاصْطِفَاءِ وَالاجْتِبَاءِ، حَتَّى لَا يَدَعَ لَكُمْ خَيْراً مِنْ خَيْرَاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا آتَاكُمْ مِنْهُ أَكْبَرَ حَظٍّ وَنَصِيبٍ، وَلَا يَتْرُكَ شَرّاً مِنْ شُرُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَبْعَدَكُمْ مِنْهُ وَوَقَاكُمْ مِنْهُ، وَحَتَّى لَا يَتْرُكَ لَكُمْ ذَنْباً كَبِيراً وَلَا صَغِيراً، إِلَّا أَغْرَقَهُ[3] فِي بَحْرِ عَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، وَحَتَّى لَا يَتْرُكَ لَكُمْ مُطَالَبَةً بِالذُّنُوبِ، إِلَّا صَفَحَ عَنْهَا وَعَفَا، وَحَتَّى لَا يَتْرُكَ لَكُمْ حَاجَةً وَلَا مَطْلَباً فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا أَسْرَعَ لَكُمْ بِإِعْطَائِهِ، وَأَمَدَّكُمْ فِيهِ بِالمَعُونَةِ وَالتَّأْيِيدِ فِي إِمْضَائِهِ إِنْ طَابَقَ سَابِقَ الحُكْمِ، فَإِنْ لَمْ يُطَابِقْ سَابِقَ الحُكْمِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَوِّضَ لَكُمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَعْلَى مِنْهُ، وَحَتَّى لَا يَتْرُكَ لَكُمْ شَرّاً مِنَ الشُّرُورِ الوَارِدَةِ عَلَى أَيْدِي الخَلْقِ إِلَّا جَعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا جُنْداً مِنْ سَطْوَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مُحَتَّمَةً فِي سَابِقِ الحُكْمِ، فَإِنْ كَانَتْ مُحَتَّمَةً فِي سَابِقِ الحُكْمِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُدَّكُمْ فِيهَا بِكَمَالِ اللُّطْفِ وَالمَعُونَةِ، وَالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ حَتَّى تَنْفَصِلَ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْهَا فِي عَافِيَةٍ.

---

[1] - ح ل: الفَصْلُ الثالث

[2] - ل: (وتعالى عزه) ساقطة

[3] - ك: أغرقها

وَأُوصِيكُمْ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، **وَارْتِقَابِ المُؤَاخَذَةِ مِنْهُ فِي الذُّنُوبِ**، فَإِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ مُصِيبَتَيْنِ[1]، لَا يَخْلُوا العَبْدُ عَنْهُمَا[2]، وَالمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ فِي الدُّنْيَا وَوَاحِدَةٌ فِي الآخِرَةِ، **فَمُصِيبَةُ الآخِرَةِ** وَاقِعَةٌ قَطْعاً، إِلَّا أَنْ تُقَابَلَ بِالعَفْوِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وَمُصِيبَةُ الدُّنْيَا** وَاقِعَةٌ بِكُلِّ مَنْ اقْتَرَفَ ذَنْباً، إِلَّا أَنْ يَدْفَعَهَا[3] وَارِدٌ إِلَهِي بِصَدَقَةٍ لِمِسْكِينٍ أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ بِمَالٍ، أَوْ تَنْفِيسٍ عَنْ مِدْيَانٍ بِقَضَاءِ الدَّيْنِ عَنْهُ، أَوْ بِعَفْوِهِ عَنْهُ إِنْ كَانَ لَهُ. وَإِلَّا فَهِيَ وَاقِعَةٌ، **فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ**، فَإِنْ وَقَعَتْ مُخَالَفَةٌ وَالعَبْدُ غَيْرُ مَعْصُومٍ، فَالمُبَادَرَةُ بِالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ،

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَاجِلاً، فَلْيَعْلَمْ العَبْدُ أَنَّهُ سَاقِطٌ مِنْ عَيْنِ الحَقِّ، مُتَعَرِّضٌ لِغَضَبِهِ إِلَّا أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ، وَيَسْتَدِيمَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبٌ لِهَذَا مِنَ اللَّهِ، فَيَسْتَدِيمُ بِذَلِكَ انْكِسَارُ قَلْبِهِ، وَانْحِطَاطُ رُتْبَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَعَزُّزٍ. فَمَا دَامَ العَبْدُ عَلَى هَذَا، فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ خَيْرٍ، **وَإِيَّاكُمْ**، وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ، **مِنْ لِبَاسِ حُلَّةِ الأَمَانِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ** فِي مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ، بِاعْتِقَادِ العَبْدِ أَنَّهُ آمِنٌ مِنْ مُؤَاخَذَةِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ وَقَفَ هَذَا المَوْقِفَ[4] بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ تَعَالَى وَدَامَ عَلَيْهِ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ[5] يَمُوتَ كَافِراً وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَمَا سَمِعْتُمْ[6] مِنَ الخَاصِيَةِ الَّتِي فِي الوِرْدِ فَهِيَ وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ، **وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفْرِيطُ فِي الوِرْدِ**[7] وَلَوْ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ، **وَشَرْطُ الوِرْدِ** المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الجَمَاعَاتِ

---

[1] - ك ي: مصيبة

[2] - ك ي: عنها

[3] - ك: يرفعها

[4] - ح: (هَذَا المَوْقِفَ) ساقطة

[5] - ك ي: أنه

[6] - ي: وما سمعتموه

[7] - ك: وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفْرِيطُ فِيهِ

وَالأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ. وَإِيَّاكُمْ وَلِبَاسُ حُلَّةِ الأَمَانِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ فِي الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا عَيْنُ الهَلَاكِ، وَتَرْكُ المُقَاطَعَةِ مَعَ جَمِيعِ الخَلْقِ، وَآكِدُ ذَلِكَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الإِخْوَانِ **وَزُورُوا فِي اللَّهِ، وَوَاصِلُوا فِي اللَّهِ، وَأَطْعِمُوا فِي اللَّهِ** مَا اسْتَطَعْتُمْ فِي غَيْرِ تَعْسِيرٍ وَلَا كَدٍّ، **وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ** فِيمَا وَقَعَ مِنَ البَلَايَا وَالمِحَنِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ الفِتَنِ، وَبَلَايَاهَا كَأَمْوَاجِ البَحْرِ.

وَمَا أَنْزَلُ اللَّهُ بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِمُصَادَمَةِ فِتْنَتِهَا وَبَلَايَاهَا، فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي الخُرُوجِ عَنْ هَذَا مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا، وَالصَّبْرُ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِ، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ، وَاعْمَلُوا فِي نُفُوسِكُمْ سَلْوَةً. إِذَا نَزَلَتْ البَلَايَا وَالمِحَنُ بِأَحَدِكِمْ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لِهَذَا خُلِقَتْ الدُّنْيَا وَلِهَذَا بُنِيَتْ، وَمَا نَزَلَهَا الآدَمِيُّ إِلَّا لِهَذَا الأَمْرِ، وَكُلُّ النَّاسِ رَاكِضُونَ فِي هَذَا المَيْدَانِ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ كَأَحَدِهِمْ مُسَاوٍ لَهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الذُّنُوبَ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى الانْفِصَالِ عَنْهَا، فَإِنَّهَا تَنْصَبُّ عَلَى النَّاسِ كَالمَطَرِ الغَزِيرِ، **لَكِنْ[1] أَكْثِرُوا مِنْ مُكَفِّرَاتِ الذُّنُوبِ**، وَآكَدُ ذَلِكَ **صَلَاةُ الفَاتِحِ** لِمَا أُغْلِقَ الخ.. فَإِنَّهَا لَا تَتْرُكُ مِنَ الذُّنُوبِ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً **وَكَصَلَاةِ التَّسْبِيحِ** وَمِمَّا هُوَ فِي هَذَا المَعْنَى، يُلَازِمُهُ الإِنْسَانُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. **اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ** أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي. وَكَذَلِكَ **وَظِيفَةُ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ** لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَكَذَلِكَ **دُعَاءُ السِّيفِي** لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِهِ، وَكَذَلِكَ هَذَا الاسْتِغْفَارُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا** تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ أَخْلَفْتُكَ فِيهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَنِي فِيهِ مَا لَيْسَ لَكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعَاصِيكَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

---

[1]- ك: ولكن

الحَيَّ القَيُّومَ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَلِكُلِّ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتُهَا، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَتَيْتُ بِهِ أَحَاطَ عِلْمُ اللَّهِ بِهِ. وَكَذَلِكَ دُعَاءُ: يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ وَسَتَرَ القَبِيحَ إلخ...

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **بِشَارَةٌ**[1]: أَبْشِرُوا إِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ فِي مَحَبَّتِنَا إِلَى أَنْ مَاتَ عَلَيْهَا، يُبْعَثُ مِنَ الآمِنِينَ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ، مَا لَمْ يَلْبَسْ حُلَّةَ الأَمَانِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَخَذَ وِرْدَنَا يُبْعَثُ مِنَ الآمِنِينَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، هُوَ وَوَالِدَاهُ وَأَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ المُنْفَصِلَةُ عَنْهُ، لَا الحَفَدَةُ بِشَرْطِ الاعْتِقَادِ، وَعَدَمِ نَكْثِ المَحَبَّةِ، وَعَدَمِ الأَمْنِ[2] مِنْ مَكْرِ اللَّهِ كَمَا قَدَّمْنَا. وَيَكُونُ فِي جِوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَا عِلِّيِّينَ، وَيَكُونُ مِنَ الآمِنِينَ مِنْ مَوْتِهِ إِلَى دُخُولِ الجَنَّةِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى[3] وَبَرَكَاتُهُ. انْتَهَى مَا أَمْلَاَهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى فُقَرَاءِ فَاسٍ، صَانَهُمْ[4] اللَّهُ مِنْ كُلِّ بَاسٍ، وَنَصُّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ صِفَتُهُ[5] وَأَسْمَاؤُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى كَافَّةِ أَحْبَابِنَا فُقَرَاءِ فَاسٍ وَمَا بِإِزَائِهَا، حَفِظَ اللَّهُ جَمِيعَكُمْ مِنْ جَمِيعِ المِحَنِ وَمِنْ مُعْضِلَاتِ الفِتَنِ آمِينَ. السَّلَامُ[6] عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ تَعُمُّكُمْ وَتَعُمُّ أَحْوَالَكُمْ مِنْ مُحِبِّكُمْ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي.

---

[1]- ك ي: (بِشَارَةٌ) ساقطة
[2]- ك: الأمان
[3]- ع ك هـ ق ص ي: (تَعَالَى) ساقطة
[4]- ل: صانها
[5]- ع ك ص ي: صفاته
[6]- ع: والسلام

وَبَعْدُ، أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِمَا أَوْصَاكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَمَرَكُمْ[1] بِهِ مِنْ حِفْظِ الحُدُودِ، وَمُرَاعَاتِ الأَمْرِ الإِلَهِي عَلَى حَسَبِ جُهْدِكُمْ وَاسْتِطَاعَتِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا زَمَانٌ انْهَدَمَتْ فِيهِ قَوَاعِدُ الأَمْرِ الإِلَهِي جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَانْهَمَكَ النَّاسُ فِيمَا يَضُرُّهُمْ دُنْيَا وَأُخْرَى، بِحَيْثُ أَنْ لَا رُجُوعَ وَلَا يَقَظَةَ لِمَا يَرُدُّ[2] القُلُوبَ إِلَى اللَّهِ وَالوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ أَمْراً وَنَهْياً، وَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِتَوْفِيَةِ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فِي هَذَا الوَقْتِ، إِلَّا لِمَنْ لَبِسَ حُلَّةَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَوْ قَارَبَهَا.

وَلَكِنْ حَيْثُ كَانَ الأَمْرُ كَمَا ذُكِرَ، وَلَمْ يَجِدْ العَبْدُ مَصْرِفاً عَمَّا أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، فَالأَبْقَعُ خَيْرٌ مِنَ الأَسْوَدِ كُلِّهِ، فَاتْرُكُوا مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَقُومُوا بِأَمْرِهِ[3] عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَاجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ عُدَّةً مِنْ مُكَفِّرَاتِ الذُّنُوبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَهِيَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، كَتَبْنَا لَكُمْ مِنْهَا فِي الوَصِيَّةِ الأُولَى نُبْذَةً كَافِيَةً، وَأَيْضاً مِنْ ذَلِكَ الحِزْبُ السِّيفِي، لِمَنِ اتَّخَذَهُ وِرْداً صَبَاحاً وَمَسَاءً، أَقَلُّ مِنْ[4] ذَلِكَ مَرَّةً مَرَّةً وَأَكْثَرُهُ لَا حَدَّ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ المُسَبَّعَاتُ العَشْرُ، لِمَنْ اتَّخَذَهَا وِرْداً صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَمِنْ ذَلِكَ صَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ الخ.. وَأَقَلُّهَا مِائَةٌ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، فَلَا يَلْحَقُهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ عَمَلٌ مِنْ أَيِّ عَامِلٍ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَى غَايَتِهَا أَمَلٌ مِنْ أَيِّ آمِلٍ.

وَأَدِيمُوا الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ فِي الجَمَاعَاتِ بِالمُحَافَظَةِ، فَإِنَّهَا مُتَكَفِّلَةٌ بِالعِصْمَةِ مِنْ جَمِيعِ المُهْلِكَاتِ، إِلَّا فِي نُبَذٍ قَلِيلَةٍ تُوجِبُ العُقُوبَاتِ، وَإِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالمُدَاوِمِ عَلَيْهَا عِنَايَةً عَظِيمَةً، فَكَمْ يَجْبُرُ لَهُ مِنْ كَسْرَةٍ، وَكَمْ يَسْتُرُ لَهُ مِنْ عَوْرَةٍ، وَكَمْ يَعْفُوا لَهُ عَنْ زَلَّةٍ، وَكَمْ يَأْخُذُ لَهُ بِيَدِهِ فِي كُلِّ كَبْوَةٍ. وَعَلَيْكُمْ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ

---

[1]- ح ك: وآمركم

[2]- ح: يُعَرِّفُ

[3]- ك: بأمر الله

[4]- ع ك ل هـ ق ص ي: (من) ساقطة

عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلاً وَنَهَاراً عَلَى حَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ، وَعَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِيهِ الوَقْتُ وَالطَّاقَةُ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ،

وَاقْصِدُوا بِذَلِكَ التَّعْظِيمَ وَالإِجْلَالَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّحَلِّي فِي ذَلِكَ بِالوُقُوفِ فِي بَابِ اللَّهِ، طَالِباً لِمَرْضَاتِهِ لَا لِطَلَبِ حَظٍّ، فَإِنَّ لِلعَامِلِ بِذَلِكَ عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةً، يَجِدُ بَرَكَتَهَا فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ، وَيَجِدُ حَلَاوَةَ لَذَّتِهَا فِيمَا هُوَ آمِلٌ، وَهِيَ فِي الخَوَاصِّ وَالأَسْرَارِ، كَالمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الجَمَاعَاتِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

وَعَلَيْكُمْ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّدَقَاتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ، وَلَوْ فِلْسَ نُحَاسٍ أَوْ لُقْمَةً وَاحِدَةً، بَعْدَ المُحَافَظَةِ عَلَى أَدَاءِ المَفْرُوضَاتِ المَالِيَةِ، فَإِنَّ عِنَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِالعَامِلِ فِي ذَلِكَ، قَرِيبٌ مِنْ مُحَافَظَةِ المَفْرُوضَاتِ فِي الجَمَاعَاتِ. وَلْيَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ أَوْرَادِكُمْ الَّتِي تُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، بَعْدَ الوِرْدِ الَّذِي هُوَ لَازِمُ الطَّرِيقَةِ، الحِزْبُ السِّيفِي، وَصَلَاةُ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ. فَإِنَّهُمَا يُغْنِيَانِ عَنْ جَمِيعِ الأَوْرَادِ، وَيُبَلِّغَانِ بِفَضْلِ اللَّهِ غَايَةَ المُرَادِ، وَلَا يَفِي بِقَدْرِهِمَا عَمَلٌ.

وَعَلَيْكُمْ بِصِلَةِ الأَرْحَامِ مِنْ كُلِّ مَا يَطِيبُ مِنَ القَلْبِ[1] وَيُوجِبُ المَحَبَّةَ، وَلَوْ بِتَفَقُّدِ الحَالِ وَإِلْقَاءِ السَّلَامِ، وَتَجَنَّبُوا مُعَادَاتَ الأَرْحَامِ وَعُقُوقَ الوَالِدَيْنِ، وَكُلَّ مَا يُوجِبُ الضَّغِينَةَ فِي قُلُوبِ الإِخْوَانِ، وَتَجَنَّبُوا البَحْثَ عَنْ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ فَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ ذَلِكَ فَضَحَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَهَتَكَ عَوْرَةَ بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَكْثِرُوا العَفْوَ عَنِ الزَّلَلِ، وَالصَّفْحَ عَنِ الخَلَلِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ. وَآكَدُ ذَلِكَ لِمَنْ وَاخَاكُمْ فِي الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّ مَنْ عَفَا عَنْ زَلَّةٍ عَفَا اللَّهُ لَهُ عَنْ زَلَّاتٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ وَقَعَ فِيكُمْ بِزَلَّةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ مُعْتَذِراً، فَاقْبَلُوا عُذْرَهُ وَسَامِحُوهُ، لِكَيْ يَقْبَلَ اللَّهُ أَعْذَارَكُمْ وَيُسَامِحَكُمْ فِي زَلَّاتِكُمْ، فَإِنَّ أَشَرَّ الإِخْوَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَا يَقْبَلُ عُذْراً، وَلَا يُقِيلُ عَثْرَةً.

---

[1]- ع ك ل هـ ق ص ي: يُطيبُ القلبَ

وَتَأَمَّلُوا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)**[1]، **وَعَلَيْكُمْ بِالغَفْلَةِ عَنْ شَرِّ النَّاسِ**، وَعَدَمِ المُبَالَاتِ بِمَا يَجْرِي مِنْهُمْ مِنَ الشُّرُورِ[2]، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُمْ، فَإِنَّ مُنَاقَشَةَ النَّاسِ عَمَّا يَبْدُوا مِنْهُمْ وَعَدَمَ العَفْوِ عَنْهُمْ، يُوجِبُ لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ البَوَارَ[3] فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَكُلَّمَا دَنَوْتَ بِمُقَابَلَةِ شَرٍّ بِمِثْلِهِ تَزَايَدَتْ الشُّرُورُ، وَتَنْكَسِرُ بِالعَبْدِ قَوَائِمُهُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ، فَلَا مُقَابَلَةَ لِلشَّرِّ إِلَّا الغَفْلَةُ وَالعَفْوُ وَالمُسَامَحَةُ،

وَعَلَيْكُمْ بِعَدَمِ الاعْتِرَاضِ عَلَى النَّاسِ فِيمَا أَقَامَهُمْ اللَّهُ فِيهِ، مِمَّا لَيْسَ بِمَحْمُودٍ شَرْعاً وَلَا طَبْعاً، فَإِنَّ أُمُورَهُمْ تَجْرِي عَلَى المَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، فَهُمْ مَقْبُوضُونَ فِي قَبْضَةِ[4] اللَّهِ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْ حُكْمِهِ، وَجَمِيعُ أُمُورِهِمْ تَصْدُرُ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، إِلَّا مَا أَوْجَبَ الشَّرْعُ القِيَامَ بِهِ عَلَيْهِمْ أَمْراً وَزَجْراً، بِحَسَبِ العَوَارِضِ وَالنَّائِبَاتِ فِي بَعْضِ الأَزْمَانِ لَا كُلَّ الأَزْمَانِ.

وَقِفُوا عِنْدَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَاتِ نَفْسِكَ) وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ). **وَعَلَيْكُمْ بِمُنَاصَحَةِ إِخْوَانِكُمْ فِي الطَّرِيقَةِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَسِيَاسَةٍ**، مِنْ غَيْرِ ضَغِينَةٍ وَلَا حِقْدٍ، وَيَجْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ **وَقْتاً يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ**، وَيَتَعَبَّدُ لَهُ فِيهِ فِي خَلْوَةٍ[5]، أَقَلُّ ذَلِكَ عَدَدُ الوِرْدِ الَّذِي هُوَ لَازِمُ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّ العَامِلَ بِذَلِكَ يَجِدُ بَرَكَتَهُ فِي جَمِيعِ مَآرِبِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ،

---

[1]- سورة آل عمران، الآيات 133-134.

[2]- ك: الشر

[3]- ك: البوار عند الله

[4]- ك: بقبضة

[5]- ك: خلوته

وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ المُقَدَّمِ بِإِعْطَاءِ الوِرْدِ، مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ سَعَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ،

وَعَلَيْكُمْ بِمُلَازَمَةِ الوَظِيفَةِ المَعْلُومَةِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ صَبَاحاً وَمَسَاءً وَإِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الصَّبَاحِ أَوْ المَسَاءِ فَإِنَّهَا تَكْفِي، وَخَفِّفُوا مِنْ وِرْدِهَا إِنْ ثَقُلَ عَلَيْكُمْ، وَاجْعَلُوهَا خَمْسِينَ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ الخ.. وَالاسْتِغْفَارُ إِنْ شِئْتُمْ اذْكُرُوا: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ثَلَاثِينَ مَرَّةٍ، يَكْفِي عَنِ الاسْتِغْفَارِ مَائَةَ مَرَّةٍ فِي الوَظِيفَةِ.

وَأُوصِي مَنْ كَانَ مُقَدَّماً عَلَى إِعْطَاءِ الوِرْدِ، أَنْ يَعْفُوَ لِلإِخْوَانِ عَنِ الزَّلَلِ، وَأَنْ يَبْسُطَ رِدَاءَ عَفْوِهِ عَلَى كُلِّ خَلَلٍ **وَأَنْ يَجْتَنِبَ مَا يُوجِبُ فِي قُلُوبِهِمْ ضَغِينَةً** أَوْ شَيْناً أَوْ حِقْداً، **وَأَنْ يَسْعَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ،** وَفِي كُلِّ مَا يُوجِبُ فِي قُلُوبِهِمْ بُغْضاً[1] بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَإِنْ اشْتَعَلَتْ نَارٌ بَيْنَهُمْ سَارَعَ فِي إِطْفَائِهَا، **وَلْيَكُنْ سَعْيُهُ فِي ذَلِكَ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ تَعَالَى،** لَا لِحَظٍّ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ، **وَأَنْ يَنْهَى مَنْ رَآهُ يَسْعَى فِي النَّمِيمَةِ بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَزْجُرَهُ بِرِفْقٍ وَكَلَامٍ لَيِّنٍ،**

وَعَلَيْهِ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِالرِّفْقِ وَالتَّيْسِيرِ، وَالبُعْدِ عَنِ التَّنْفِيرِ وَالتَّعْسِيرِ، فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الإِخْوَانِ، وَيُرَاعِي فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا). **وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَبَاعَدَ عَنْ تَغْرِيمِ دُنْيَاهُمْ،** وَأَنْ لَا يَلْتَفِتَ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ، مُعْتَقِداً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ المُعْطِي وَالمَانِعُ، وَالخَافِضُ وَالرَّافِعُ، وَلْيَجْعَلْ هِمَّتَهُ فِي تَحْرِيرِ دُنْيَاهُمْ فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ التَّشْتِيتِ وَالتَّبْذِيرِ، وَأَنْ لَا يَطْلُبَهُمْ بِإِعْطَاءِ شَيْءٍ لَا مِنَ القَلِيلِ وَلَا مِنَ الكَثِيرِ، إِلَّا مَا سَمَحَتْ نُفُوسُهُمْ بِبَذْلِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ، فَإِنَّ عُقُولَ النَّاسِ حَوْلَ هَذَا المَطَافِ تَدُورُ وَعَلَى هَذَا المِقْدَارِ تَجْرِي بِهِمْ جَمِيعُ الأُمُورِ.

[1]- ك ل ي: (بُغْضاً) ساقطة

وَسَلِّمُوا لِلْعَامَّةِ وَوُلَاةِ الأَمْرِ، مَا أَقَامَهُمُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمُنَافَرَةٍ أَوْ تَبْغِيضٍ أَوْ تَنْكِيرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ خَلْقَهُ فِيمَا أَرَادَ، وَلَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْرِجَ الخَلْقَ عَمَّا أَقَامَهُمُ اللَّهُ فِيهِ، **وَاتْرُكُوا التَّعَرُّضَ لِلرِّيَاسَةِ وَأَسْبَابِهَا**، فَإِنَّهَا كَعْبَةٌ تَطُوفُ بِهَا جَمِيعُ الشُّرُورِ، وَهِيَ مَقَرُّ الهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، **وَمَنْ ابْتُلِيَ مِنْكُمْ** بِمُصِيبَةٍ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ الشُّرُورِ نَائِبَةٌ، **فَلْيَصْبِرْ بِانْتِظَارِ الفَرَجِ مِنَ اللَّهِ**، فَإِنَّ كُلَّ شِدَّةٍ لَابُدَّ لَهَا مِنْ غَايَةٍ، وَكُلُّ كَرْبٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْ فَرَجٍ، وَإِنْ ضَاقَ بِهِ الحَالُ، **فَعَلَيْهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ**، حَتَّى يَبْلُغَ بِالفَرَجِ مِنَ اللَّهِ غَايَةَ الآمَالِ،

وَلَا تَجْزَعُوا مِنَ المَصَائِبِ وَالبَلِيَّاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا أَنْزَلَ العِبَادَ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِلَّا لِتَصَارِيفِ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالأَقْدَارِ الرَّبَّانِيَةِ، مِمَّا تَضِيقُ بِهِ النُّفُوسُ مِنْ أَجْلِ البَلَاءِ وَالبُوسِ، وَلَمْ يَجِدْ العِبَادُ مَصْرِفاً عَنْ هَذَا، وَلَا إِمْكَانَ لِلْعَبْدِ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنْ دَوَامِ الرَّاحَةِ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا، بَلْ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ، أَنَّ أَحْوَالَ الدُّنْيَا أَبَداً مُتَعَاقِبَةٌ، بَيْنَ سَاعَاتِ انْقِبَاضٍ وَانْبِسَاطٍ، وَخَيْرَاتٍ وَشُرُورٍ، وَأَفْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ، لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِمَّنْ سَكَنَ الدُّنْيَا عَلَى هَذَا المِقْدَارِ، فَإِنْ نَزَلَتْ مُصِيبَةٌ أَوْ ضَاقَتْ نَائِبَةٌ، **فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا وَقْتاً تَنْتَهِي**[1] **إِلَيْهِ**[2]، **ثُمَّ يَعْقُبُهَا الفَرَحُ**[3] **وَالسُّرُورُ**، فَإِنَّ مَنْ عَقَلَ هَذَا عَنِ اللَّهِ فِي تَصَارِيفِ دُنْيَاهُ، **تَلَقَّى كُلَّ مُصِيبَةٍ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا بِالقَضَاءِ، وَالشُّكْرِ التَّامِّ عَلَى النَّعْمَاءِ**. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ أَيْضاً لِكَافَّةِ الفُقَرَاءِ وَنَصُّهُ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ

---

[1]- ل: تنهى

[2]- ع: (إليه) ساقطة

[3]- ع ك: الفرج

إِلَى كَافَّةِ أَحْبَابِنَا الفُقَرَاءِ، كُلِّ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ وَعَيْنِهِ عُمُوماً مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي.

وَبَعْدُ، نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى[1] لِكَافَّتِكُمْ وَخَاصَّتِكُمْ أَنْ يُفِيضَ عَلَيْكُمْ بُحُورَ العِنَايَةِ وَالمَحَبَّةِ مِنْهُ وَالرِّضَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. عَلَى طِبْقِ مَا مَنَحَ مِنْ ذَلِكَ أَكَابِرَ العَارِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَهْلِ الخُصُوصِيَةِ حَتَّى تَكُونَ عِنْدَهُ جَمِيعُ مَسَاوِيكُمْ مَمْحُوَّةً غَيْرَ مُؤَاخَذِينَ بِهَا، وَجَمِيعُ ذُنُوبِكُمْ وَآثَارُ سَهْوِكُمْ مُقَابَلَةً بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْهُ غَيْرَ مُقَابَلِينَ بِهَا، وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَكْتُبَكُمْ جَمِيعاً فِي دِيوَانِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، الَّذِي مَا كَتَبَ فِيهِ إِلَّا أَكَابِرَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلَ خُصُوصِيَتِهِ، بِوَجْهٍ لَا يُمْكِنُ فِيهِ المَحْوُ وَلَا التَّبْدِيلُ،

وَأَنْ يُكَحِّلَ بَصَائِرَكُمْ بِنُورِهِ الَّذِي رَشَّهُ عَلَى الأَرْوَاحِ فِي الأَزَلِ، وَأَنْ يُوَاجِهَكُمْ بِفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِيكُمْ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ، الَّتِي مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِهَا، صَرَفَ عَنْهُ جَمِيعَ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. **هَذَا وَلْيَكُنْ فِي عِلْمِكُمْ** أَنَّ جَمِيعَ العِبَادِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، أَغْرَاضٌ[2] لِسَهْمِ[3] مَصَائِبِ الزَّمَانِ، إِمَّا بِمُصِيبَةٍ تَنْزِلُ أَوْ بِنِعْمَةٍ تَزُولُ أَوْ بِحَبِيبٍ يُفْجَعُ بِمَوْتِهِ أَوْ هَلَاكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا لَا حَدَّ لِجُمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنْكُمْ مِثْلُ ذَلِكَ، **فَالصَّبْرَ الصَّبْرَ** لِتَجَرُّعِ مَرَارَتِهَا، فَإِنَّهُ لِذَلِكَ نَزَلَ العِبَادُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَمَنْ كَبَا بِهِ مِنْكُمْ جَوَادُهُ عَنْ تَحَمُّلِ ثِقَلِهَا، وَمُقَاوَمَةِ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْبَائِهَا، فَعَلَيْهِ بِمُلَازَمَةِ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ أَوْ هُمَا مَعاً وَهُوَ أَكْمَلُ الأَوَّلُ **مُلَازَمَةُ يَا لَطِيفُ أَلْفاً** خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ إِنْ قَدَرَ وَإِلَّا أَلْفاً فِي الصَّبَاحِ وَأَلْفاً فِي المَسَاءِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَسْرُعُ خَلَاصُهُ مِنْ مُصِيبَتِهِ. وَالثَّانِي: **مِائَةُ صَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ الخ. **وَيُهْدِي ثَوَابَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِنْ قَدَرَ مِائَةً خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَإِلَّا مِائَةً صَبَاحاً وَمِائَةً

---

[1]- ح ل: (تعالى) ساقطة

[2]- ي: أغراضا

[3]- يقول المؤلف: قِف هنَا على جميع العباد في هذه الدار أغراض السّهم

فِي اللَّيْلِ **وَيَنْوِي بِهِمَا،** أَعْنِي بِاللَّطِيفِ[1]، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي[2] يُهْدِي ثَوَابَهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُنْقِذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ وَحْلَتِهِ، وَيُعَجِّلَ خَلَاصَهُ مِنْ كُرْبَتِهِ، فَإِنَّهَا[3] تُسْرِعُ لَهُ الإِغَاثَةُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ،

وَكَذَا مَنْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ وَعَجَزَ عَنْ أَدَائِهَا، أَوْ كَثُرَ عِيَالُهُ وَاشْتَدَّ فَقْرُهُ، وَانْغَلَقَتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ[4] أَسْبَابِ المَعَاشِ. فَلْيَفْعَلْ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ أَوْ هُمَا مَعاً، **فَإِنَّهُ يَرَى الفَرَجَ مِنَ اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ،** وَمَنْ دَهَاهُ خَوْفُ هَلَاكٍ مُتَوَقَّعٍ نُزُولُهُ بِهِ، مِنْ خَوْفِ ظَالِمٍ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ صَاحِبِ دَيْنٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ عُذْراً وَلَا إِمْهَالاً، وَلَا يَجِدُ مِنَ المَالِ مَا يُؤَدِّيهِ لَهُ أَوْ كِلَا الأَمْرَيْنِ وَمِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، فَلْيُلَازِمْ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ أَوْ هُمَا مَعاً، فَإِنَّهُ يَنْقَشِعُ عَنْهُ عَنْ قَرِيبٍ **وَإِنْ أَسْرَعَ مَعَ ذَلِكَ بِصَدَقَةٍ** قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، بِنِيَّةِ دَفْعِ مَا يَتَوَقَّعُهُ مِنَ المَخُوفِ، أَوْ بِنِيَّةِ تَعْجِيلِ الخَلَاصِ مِنْ أَلَمِهِ وَكُرَبِهِ، كَانَتْ أَجْدَرَ فِي إِسْرَاعِ[5] الخَلَاصِ وَالفَرَجِ.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ، وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ[6]، وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ يُهْمِلَ أَحَدُكُمْ حُقُوقَ إِخْوَانِهِ، مِمَّا هُوَ جَلْبُ مَوَدَّةٍ، أَوْ دَفْعُ مَضَرَّةٍ، أَوْ إِعَانَةٌ عَلَى كُرْبَةٍ، فَإِنَّ مَنْ ابْتُلِيَ بِتَضْيِيعِ حُقُوقِ الإِخْوَانِ، ابْتُلِيَ بِتَضْيِيعِ الحُقُوقِ الإِلَهِيَّةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. **وَصُونُوا قُلُوبَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَداً فَعَلَ حَقّاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ،** أَوْ هَدَمَ بَاطِلاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ، أَنْ تُبْغِضُوهُ أَوْ تُؤْذُوهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنَ الشِّرْكِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

---

[1]- ع ك ل هـ ق ص: أعني يا لطيف - ي: أعني اللطيف

[2]- ك: (الَّتِي) ساقطة

[3]- ك ي: فإنه

[4]- ع: (أبواب) ساقطة

[5]- ع ك ل ي: أسرع

[6]- ك ل ي: بالمرحمة

فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا وَأَقَلُّ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ عَلَى بَاطِلٍ أَوْ تُبْغِضَ عَلَى حَقٍّ) أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا مَعْنَاهُ هَذَا. **وَكَذَا صُونُوا قُلُوبَكُمْ عَمَّنْ فَعَلَ بَاطِلاً** أَوْ هَدَمَ حَقّاً يُطَابِقُ هَوَاكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ أَوْ تُثْنُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَيْضاً مَعْدُودٌ مِنَ الشِّرْكِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ المُؤْمِنَ يُحِبُّ الحَقَّ وَيُحِبُّ أَهْلَهُ، وَيُحِبُّ أَنْ يُقَامَ الحَقُّ وَيُعْمَلَ بِهِ، وَيُبْغِضُ البَاطِلَ وَيُبْغِضُ أَهْلَهُ، وَيُبْغِضُ أَنْ يُقَامَ البَاطِلُ وَيُعْمَلَ بِهِ، وَالسَّلَامُ.

اسْتِدْرَاكٌ مَا ذَكَرْنَا **مِنْ مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الإِخْوَانِ،** فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ حَرَجٍ وَلَا ثِقَلٍ وَلَا كُلْفَةٍ، بَلْ بِمَا تَيَسَّرَ وَأَمْكَنَ فِي الوَقْتِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ العَوَارِضِ، يَخَافُ مِنْ أَخِيهِ العَدَاوَةَ وَالقَطِيعَةَ أَوْ فَسَادَ القَلْبِ، فَلْيُسْرِعْ لِإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَجْلِبُ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا[1] مِنْ بُغْضِ أَهْلِ البَاطِلِ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مَحَلُّهُ القَلْبُ فَقَطْ، وَإِنْ خَرَجَ إِلَى جَارِحَةٍ مِنَ الجَوَارِحِ، أَدَّى إِلَى مُنْكَرٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَتَرْكُ إِخْرَاجِهِ مِنَ القَلْبِ إِلَى الجَوَارِحِ أَوْلَى، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى[2] عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الطَّلَبَةِ وَنَصُّهُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَبَعْدُ، فَالَّذِي أَعِظُكَ بِهِ** وَأُوصِيكَ بِهِ عَلَيْكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[3] فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ، **بِتَصْفِيَةِ قَلْبِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَالتَّعْوِيلَ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِكَ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ** فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، **وَالصَّبْرَ لِمَجَارِي مَقَادِيرِهِ** فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ، وَاسْتَعِنْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ **بِالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ بِحُضُورِ قَلْبِكَ، فَهُوَ مُعِينٌ لَكَ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْصَيْتُكَ عَلَيْهِ، وَأَكْبَرُ ذِكْرِ اللَّهِ فَائِدَةً وَأَعْظَمُهُ جَدْوَى وَعَائِدَةً، هِيَ **الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ حُضُورِ القَلْبِ، فَإِنَّهَا

---

[1]- ل: ذكرناه

[2]- ع ك ل هـ ق ص ي: (تعالى) محذوفة

[3]- ك: عَلَيْكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مُتَكَفِّلَةٌ بِجَمِيعِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، دَفْعاً وَجَلْباً فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَإِنَّ مَنْ كَثَّرَ اسْتِعْمَالَهَا كَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ.

وَالأَمْرُ الثَّانِي مِمَّا أُوصِيكَ بِهِ، **تَرْكُ المُحَرَّمَاتِ المَالِيَةِ شَرْعاً**، أَكْلاً وَلِبَاساً وَمَسْكَناً، فَإِنَّ الحَلاَلَ هُوَ القُطْبُ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَفْلاَكُ سَائِرِ العِبَادَاتِ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ ضَيَّعَ العِبَادَةَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَيْنَ تَجِدُهُ؟ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الوُجُودِ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، لَكِنْ يُوجَدُ بِالبَحْثِ عَنْ تَوْفِيَةِ أَمْرِ اللَّهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَمُرَاعَاةِ ضَرُورَةِ الوَقْتِ، إِنْ لَمْ يُوجَدْ الحَلاَلُ الصَّرِيحُ، وَهَذَا المَحَلُّ يَحْتَاجُ إِلَى فِقْهٍ دَقِيقٍ، وَاتِّسَاعِ مَعْرِفَةٍ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ وُجُودُ الحَلاَلِ.

وَالأَمْرُ الَّذِي لاَبُدَّ مِنْهُ بَعْدَ هَذَا، وَهُوَ بِدَايَةُ جَمِيعِ الأُمُورِ وَنِهَايَتُهَا، هُوَ تَعَلُّقُ القَلْبِ بِاللَّهِ تَعَالَى، بِالإِنْحِيَاشِ إِلَيْهِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَتَرْكِ كُلِّ مَا سِوَاهُ عُمُوماً وَخُصُوصاً، فَإِنْ قَدَرَ العَبْدُ عَلَى **ارْتِحَالِ القَلْبِ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ**، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ بِحَرَكَةِ القَلْبِ حِسّاً فَهُوَ الغَايَةُ، **وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيُلاَزِمْ بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ هَذَا الدُّعَاءَ** ثَلاَثاً أَوْ سَبْعاً، ثُمَّ يَمُرُّ بِهِ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْرِ الصَّلَوَاتِ وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، يَصِيرُ لَهُ ذَلِكَ حَالاً.

وَالدُّعَاءُ هُوَ هَذَا: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ مُعَوَّلِي، وَبِكَ مَلاَذِي، وَإِلَيْكَ الْتِجَائِي، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلِي، وَبِكَ ثِقَتِي، وَعَلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ اعْتِمَادِي، وَبِجَمِيعِ مَجَارِي أَحْكَامِكَ رِضَايَ[1]، وَبِإِقْرَارِكَ[2] بِسَرَيَانِ قَيُّومِيَّتِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعَدَمِ احْتِمَالِ خُرُوجِ شَيْءٍ دَقَّ أَوْ جَلَّ عَنْ عِلْمِكَ وَقَهْرِكَ، حَتَّى لَحْظَةَ سُكُونِي. انْتَهَى.

فَإِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِ كُلَّمَا رَأَى مِنْ أَحْوَالِ النَّفْسِ مَا لاَ يُطَابِقُ هَذَا الدُّعَاءَ، ذَكَّرَ نَفْسَهُ بِمَعَانِي هَذَا الدُّعَاءِ وَصَبَرَ عَلَى حَمْلِ نَفْسِهِ، سَهُلَ عَلَيْهِ تَعَلُّقُ القَلْبِ بِاللَّهِ تَعَالَى بِرَفْضِ كُلِّ مَا سِوَاهُ. **وَهَذَا بَابٌ كَبِيرٌ مِنَ العِلْمِ**، يَعْلَمُهُ مَنْ ذَاقَ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ الرِّجَالِ، وَيَعْلَمُ

---

[1]- ع ك ل هـ ق ص ي: رضائي

[2]- ك ي: وبإقراري ـ ل: وبإقرار

قَدْرَهُ فَلَا تَهْمِلْهُ، وَعَلَيْكَ بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ، فَإِنَّ العُمُرَ قَصِيرٌ، وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ، وَالعَقَبَةُ كَؤُودٌ، وَالحَمْلُ ثَقِيلٌ، وَالحِسَابُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ شَدِيدٌ. وَالعَمَلُ[1] بِأَمْرِ اللَّهِ هُوَ المُنَجِّي مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الأُمُورِ.

قَالَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ وَالصَّدْرُ المُبَرَّزُ العَارِفُ بِاللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، وَصَرَفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ، أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ جُمْلَةً وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللَّهُ يَرْحَمُهُ وَقْتاً مَا. وَالحَاصِلُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ بِرَفْضِ مَا سِوَاهُ، وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِمُعَامَلَةِ النَّاسِ وَمُخَالَطَتِهِمْ، **فَخَالِطْهُمْ وَعَامِلْهُمْ لِلَّهِ**، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ، وَأَكْبَرُ مَا أَحُضُّكَ عَلَيْهِ، هُوَ **كَثْرَةُ الصَّلَاةِ بِحُضُورِ القَلْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ الكَنْزُ الأَعْظَمُ وَالذُّخْرُ الأَفْخَمُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ[2] إِلَى كَافَّةِ الإِخْوَانِ أَيْنَمَا كَانُوا وَنَصُّهُ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَبَعْدُ**، فَأُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَى اللَّهُ بِهِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)**[3] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً)** إِلَى قَوْلِهِ: **(كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ)**[4] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)**[5] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)** إِلَى قَوْلِهِ **(قَدْراً)**[6]

---

[1]- ل: العمل

[2]- ك: وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ

[3]- سورة النساء، الآية 131

[4]- سورة الشورى، الآية 13

[5]- سورة آل عمران، الآية 103

[6]- سورة الطلاق، الآيات 2-3

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) إِلَى قَوْلِهِ: (وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً)[1]

وَاعْلَمُوا أَنَّ **التَّقْوَى قَدْ صَعُبَ مَرامُهَا** وَتَنَاءَتْ بُعْداً[2] عَنْ أَنْ تَمُدَّ بِيَدِ[3] أَحَدٍ خِطَامَهَا[4] وَاحْتِكَامَهَا[5]، وَكَعَّتِ[6] الهِمَمُ دُونَهَا فَلَا يَصِلُ بِيَدِ أَحَدٍ أَسَاسُهَا وَاحْتِكَامُهَا[7] إِلَّا الفَرْدُ الشَّاذُّ النَّادِرُ، لِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ القُلُوبُ وَالنُّفُوسُ مِنَ الإِدْبَارِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ أَمْرِهِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَاعْتِبَارٍ وَوَحْلِهَا فِي رُتَعِ أَحْوَالِ البَشَرِيَّةِ وَحْلاً لَا مَطْمَعَ لَهَا فِي الانْفِكَاكِ عَنْهُ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ العَصْرِ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ كُلِّ مَا عَلَى الأَرْضِ إِلَّا الشَّاذُّ النَّادِرُ الَّذِي عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَبِسَبَبِ[8] مَا ذَكَرْنَا هَاجَ بَحْرُ الأَهْوَالِ وَالفِتَنِ، وَطَمَا بَحْرُ المَصَائِبِ وَالمِحَنِ، وَغَرِقَ النَّاسُ النَّاسُ فِيهِ كُلَّ الغَرَقِ، وَصَارَ العَبْدُ كُلَّمَا سَأَلَ النَّجَاةَ مِنْ مُصِيبَةٍ وَعُصِمَ مِنْهَا اكْتَنَفَتْهُ مَصَائِبُ. وَفِي هَذَا قِيلَ: سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَتَرَاكَمُ فِيهِ بُحُورُ المِحَنِ وَالفِتَنِ، فَلَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا دُعَاءٌ كَدُعَاءِ الغَرِيقِ، وَلْيَكُنْ مُلَازَمَتُكُمُ الأَمْرَ المُنْجِيَ لِمَا ذَكَرْنَا، أَوْ مُطْفِئاً[9] مُطْفِئاً[9] لِأَكْثَرِ نِيرَانِهِ، وَهُوَ **كَثْرَةُ الاسْتِغْفَارِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،**

---

[1]- سورة الطلاق، الآيات 4-5

[2]- ل: وتناءت أساسُها بعدا

[3]- ل: بين

[4]- ل: (خطامها) محذوفة

[5]- ل: أسبابها واحتكامها

[6]- ع: وَكُفَّت

[7]- ل: (وكعت الهمم دونها فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها) محذوفة

[8]- ع: وبحسب

[9]- ع: مطفي. س ل ي: مطفئ

وَذِكْرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُجَرَّدَةً **وَذِكْرُ** لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. **وَقَوْلُ** حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، فَإِنَّهُ بِقَدْرِ الإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الأَذْكَارِ، تَتَنَاءَى عَنِ العَبْدِ كَثْرَةُ المَصَائِبِ وَشُرُورُ الأَوْزَارِ، وَبِقَدْرِ تَقْلِيلِهِ مِنْهَا يَقِلُّ بُعْدُهُ عَنِ المَصَائِبِ وَالشُّرُورِ.

وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَدْرٌ مِنْ هَذِهِ الأَذْكَارِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، **وَعَلَيْكُمْ بِكَثْرَةِ التَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ** لِمَنْ لَهُ كَمَالُ العِزِّ وَالجَلَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ[1] رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ وَدُودٌ، فَإِنَّهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ فَضْلاً مِنْ أَنْ يَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ مُتَضَرِّعٌ أَحَاطَتْ بِهِ المَصَائِبُ وَالأَحْزَانُ، وَمَدَّ إِلَيْهِ يَدَيْهِ مُسْتَعْطِفاً نَوَالَهُ، رَاجِياً كَرَمَهُ وَإِفْضَالَهُ أَنْ يَرُدَّهُ خَائِباً أَوْ يُعْرِضَ عَنْهُ بِرَحْمَتِهِ[2]، وَالعَاجِزُ مَنْ عَجَزَ حَتَّى عَلَى التَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ، وَمَنْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ فَلَا جَابِرَ لَهُ:

وَلْيَكُنْ لَكُمْ بِبَابِ اللَّهِ لَمَّاتٌ عَلَى مُرُورِ السَّاعَاتِ وَكُرُورِ الأَوْقَاتِ، فَإِنَّ مَنِ اعْتَادَ ذَلِكَ فِي كُرُورِ أَوْقَاتِهِ غَشِيَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَنَفَحَاتِهِ مَا يَكُونُ مَاحِقاً لِمَصَائِبِهِ وَكُدُورَاتِهِ وَمُسَهِّلاً[3] لِثِقَلِ أَعْبَاءِ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنْ مُلِمَّاتِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَنِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي لِكَرَمِهِ إِذَا رَأَى عَبْداً قَدْ تَعَوَّدَ الوُقُوفَ فِي بَابِهِ وَلَوْ فِي أَقَلِّ الأَوْقَاتِ أَنْ يُسَلِّمَهُ لِلْمَصَائِبِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لَهُ مِنْهَا، أَوْ يَكْدِحَهُ بِهَلَكَةٍ يَعِزُّ عَلَيْهِ الخَلَاصُ مِنْهَا.

احْفَظُوا هَذَا العَهْدَ، وَارْكَضُوا فِي هَذَا المَيْدَانِ، وَلَوْ فِي أَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْ مُرُورِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، تَجِدُوا التَّيْسِيرَ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَالخَلَاصَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشُّرُورِ. وَإِنْ قَدَرَ الوَاحِدُ عَلَى **أَنْ يَكُونَ تَضَرُّعُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِهَذَا الدُّعَاءِ** وَهُوَ: إِلَاهَنَا، أَنْتَ المُحَرِّكُ وَالمُسَكِّنُ، لِكُلِّ مَا وَقَعَ فِي الوُجُودِ مِنَ الخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ، وَفِي حُكْمِكَ الحَلُّ وَالعَقْدُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ، وَبِيَدِكَ وَعَنْ مَشِيئَتِكَ، تَصَارِيفُ الأَقْدَارِ وَالقَضَاءِ الْمَقْدُورِ،

---

[1]- ع: فإنه

[2]- ك: أن يرده خائبا إن يعرض برحمته

[3]- ع: أَوْ مُسَهِّلاً

وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِعَجْزِنَا وَضَعْفِنَا، وَذَهَابِ حَوْلِنَا وَقُوَّتِنَا، عَنْ تَبَاعُدِنَا مِمَّا يَحُلُّ بِنَا مِنَ الشُّرُورِ وَعَنِ اتِّصَالِنَا بِمَا نُرِيدُ الوُقُوعَ فِيهِ مِنَ الخَيْرَاتِ، أَوْ مَا يُلَائِمُ أَغْرَاضَنَا فِي جَمِيعِ الأُمُورِ. وَقَدْ وَقَفْنَا بِبَابِكَ، وَالْتَجَأْنَا بِجَنَابِكَ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَعْتَابِكَ، مُسْتَغِيثِينَ بِكَ فِي صَرْفِ مَا يَحُلُّ بِنَا مِنَ الشُّرُورِ، وَمَا يَنْزِلُ بِنَا مِنَ الْهَلَاكِ، مِمَّا يَجْرِي بِهِ تَعَاقُبُ الدُّهُورِ، مِمَّا لَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى تَحَمُّلِهِ، وَلَا قُوَّةَ بِنَا عَلَى طَلِّهِ، فَضْلاً عَنْ وَبْلِهِ، وَأَنْتَ الْعَفُوُّ الْكَرِيمُ، وَالمَجِيدُ الرَّحِيمُ، الَّذِي مَا اسْتَغَاثَ بِكَ مُسْتَغِيثٌ إِلَّا أَغَثْتَهُ، وَلَا تَوَجَّهَ إِلَيْكَ مَكْرُوبٌ يَشْكُو كَرْبَهُ إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا نَادَاكَ ضَرِيرٌ مِنْ أَلِيمِ بَلَائِهِ إِلَّا عَافَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ.

وَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَغِيثِ بِكَ وَالْمُلْتَجِئِ إِلَيْكَ، فَارْحَمْ ذُلِّي وَتَضَرُّعِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَكُنْ لِي عَوْناً وَنَاصِراً وَدَافِعاً، لِكُلِّ مَا يَحُلُّ بِي مِنَ المَصَائِبِ وَالأَحْزَانِ. وَلَا تَجْعَلْ عَظَائِمَ ذُنُوبِي، حَاجِبَةً لِمَا يَنْزِلُ إِلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا مَانِعَةً لِمَا تُتْحِفُنَا بِهِ[1] مِنْ طَوْلِكَ، وَعَامِلْنَا فِي جَمِيعِ ذُنُوبِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَفِي جَمِيعِ زَلَّاتِنَا وَعَثَرَاتِنَا بِرَحْمَتِكَ وَإِحْسَانِكَ. فَإِنَّا لِفَضْلِكَ رَاجُونَ، وَعَلَى كَرَمِكَ مُعَوِّلُونَ، وَلِنَوَالِكَ سَائِلُونَ، وَلِكَمَالِ عِزِّكَ وَجَلَالِكَ مُتَضَرِّعُونَ، فَلَا تَجْعَلْ حَظَّنَا مِنْكَ الْخَيْبَةَ وَالحِرْمَانَ.

وَلَا يُنِيلُنَا مِنْ فَضْلِكَ الطَّرْدُ وَالخِذْلَانُ، فَإِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ وَقَفَ بِبَابِهِ السَّائِلُونَ، وَأَوْسَعُ مَجْداً مِنْ كُلِّ مَنْ طَمِعَ فِيهِ الطَّامِعُونَ، فَإِنَّهُ لَكَ المَنُّ الأَعْظَمُ، وَالجَنَابُ الأَكْرَمُ، وَأَنْتَ أَعْظَمُ كَرَماً وَأَعْلَى مَجْداً، مِنْ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِكَ مُسْتَغِيثٌ فَتَرُدَّهُ خَائِباً. أَوْ يَسْتَعْطِفَ أَحَدٌ نَوَالَكَ، مُتَضَرِّعاً إِلَيْكَ، فَيَكُونَ حَظُّهُ مِنْكَ الْحِرْمَانَ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، يَا مَجِيدُ يَا كَرِيمُ يَا وَاسِعَ الجُودِ يَا بَرُّ يَا رَحِيمُ. عِشْرِينَ مَرَّةً،

تَذْكُرُ هَذِهِ الأَسْمَاءَ مِنْ قَوْلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الخ ثُمَّ صَلَاةَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ الخ عَشْراً فِي أَوَّلِهِ وَعَشْراً فِي آخِرِهِ، فَإِنَّ المُدَاوَمَةَ لِهَذَا الدُّعَاءِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبْعاً أَوْ خَمْساً أَوْ ثَلَاثاً،

---

[1]- ع: (به) ساقطة

تَدْفَعُ عَنْهُ كَثِيراً مِنَ المَصَائِبِ وَالأَحْزَانِ، وَإِنْ تَحَتَّمَ نُزُولُهَا نَزَلَ بِهِ لُطْفٌ عَظِيمٌ فِيهَا. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى كَافَّةِ تَلَامِذَتِهِ وَنَصُّهُ: بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالحَمْدَلَةِ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ **أَمَّا بَعْدُ: فَالَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ وَإِيَّايَ: المُحَافَظَةَ المُحَافَظَةَ[1] عَلَى قَوْلِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٍ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٍ، فَأَمَّا المُنْجِيَاتُ فَهِيَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَكَلِمَةُ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ. وَأَمَّا المُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِرَأْيِهِ)

وَعَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا تَحْتَ قُبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ) **وَعَلَى قَوْلِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) **وَعَلَى قَوْلِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) الحَدِيثَ.

وَهَذَا وَإِنْ وَرَدَ فِي مَيَادِينِ الجِهَادِ فِي قِتَالِ الكُفَّارِ، فَهُوَ مُنْقَلِبٌ فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ فِي الصَّفْحِ عَنْ شَرِّ النَّاسِ، فَمَنْ تَمَنَّى بِقَلْبِهِ أَوْ أَرَادَ تَحْرِيكَ الشَّرِّ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ، سَلَّطَهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِمْ، **وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ العَافِيَةَ مِنْ تَحْرِيكِ شَرِّ النَّاسِ وَفِتْنَتِهِمْ**، فَإِنْ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ، فَالوَجْهُ الأَعْلَى الَّذِي تَقْتَضِيهِ رُسُومُ العِلْمِ، **مُقَابَلَتُهُمْ بِالإِحْسَانِ فِي إِسَاءَتِهِمْ**،

فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ **فَبِالصَّفْحِ وَالعَفْوِ عَنْهُمْ** إِطْفَاءً لِنِيرَانِ الفِتْنَةِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ **فَبِالصَّبْرِ لِثُبُوتِ مَجَارِي الأَقْدَارِ**، وَلَا يَتَحَرَّكُ فِي شَيْءٍ مِنْ إِذَايَتِهِمْ لِإِسَاءَتِهِمْ، وَإِنْ اشْتَعَلَتْ عَلَيْهِ نِيرَانُ شَرِّهِمْ، فَلْيُدَافِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِلِينٍ وَرِفْقٍ، فَإِنْ لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِالهَرَبِ إِنْ قَدَرَ وَالخُرُوجِ عَنْ مَكَانِهِ، فَإِنْ عَوَّقَتِ العَوَائِقُ عَلَى الارْتِحَالِ وَلَمْ يَجِدْ قُدْرَةً، فَلْيُدَافِعْ بِالأَقَلِّ

---

[1]- ع ك ي: (المحافظة) الثانية ساقطة

فَالأَقَلِّ مِنَ الإِذَايَةِ، فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ ظَاهِراً **وَيُكْثِرِ التَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ**، وَالابْتِهَالَ سِرّاً[1] فِي رَفْعِ شَرِّهِمْ عَنْهُ، مُدَاوِماً ذَلِكَ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الوُجُوهَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ الَّتِي تَقْتَضِيهَا رُسُومُ العِلْمِ.

وَالحَذَرَ الحَذَرَ لِمَنْ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ شَرُّ النَّاسِ مِنْكُمْ **أَنْ يُبَادِرَ إِلَيْهِ بِالتَّحَرُّكِ بِالشَّرِّ لِمُقْتَضَى حَرَارَةِ طَبْعِهِ** وَظُلْمَةِ جَهْلِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ، فَإِنَّ المُبَادِرَ لِلشَّرِّ بِهَذَا وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً فَاضَتْ عَلَيْهِ بُحُورُ الشَّرِّ مِنَ الخَلْقِ، يَسْتَحِقُّ الهَلاَكَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَتِلْكَ عُقُوبَتُهُ لِإِعْرَاضِهِ عَنْ جَنَابِ اللَّهِ أَوَّلاً فَإِنَّهُ لَوْ فَزِعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالشِّكَايَةِ، وَاعْتَرَفَ بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ، لَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ ضَرَرَ الخَلْقِ بِلَا سَبَبٍ أَوْ بِسَبَبٍ لَا تَعَبَ عَلَيْهِ فِيهِ أَوْ يُشْغِلَهُمْ اللَّهُ بِشَاغِلٍ يَعْجِزُونَ عَنْهُ، فَإِمَّا أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ لَهُ هَذَا،

وَإِمَّا أَنْ[2] يُنْزِلَ عَلَيْهِ اللُّطْفَ العَظِيمَ أَوْ الصَّبْرَ الجَمِيلَ، فَيُكَابِدُ غُصَصَ تِلْكَ الشُّرُورِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللُّطْفِ وَالصَّبْرِ، حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ الفَرَجُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَكُونَ مُثَاباً دُنْيَا وَأُخْرَى. أَمَّا ثَوَابُ الدُّنْيَا فَبِحَمْدِ العَاقِبَةِ وَظُهُورِ نَصْرِهِ فِي الخَلْقِ عَلَى قَدْرِ رُتْبَتِهِ، وَأَمَّا ثَوَابُ الآخِرَةِ فَبِالفَوْزِ بِمَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا)**[3] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**[4] وَقَالَ تَعَالَى حَاكِياً عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ)**[5] وَقَالَ

---

[1]- ك: فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ ظَاهِراً وَيُكْثِرِ التَّضَرُّعَ وَالابْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ سِرّاً

[2]- ك: (أن) ساقطة

[3]- سورة الأعراف، الآية 137

[4]- سورة الأنفال، الآية 46

[5]- سورة يوسف، الآية 90

تَعَالَى: (**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**)[1] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، وَلِعَدَمِ اعْتِبَارِ النَّاسِ لِمَا[2] ذَكَرْنَا نَرَى[3] النَّاسَ أَبَداً فِي عَذَابٍ عَظِيمٍ مِنْ مُكَابَدَةِ شُرُورِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَوَقَعُوا بِذَلِكَ فِي المَهَالِكِ العِظَامِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا مَنْ حَفَّتْهُ عِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَهِيَّةٌ،

فَإِنَّ العَامَّةَ لَا يَرَوْنَ فِي تَحْرِيكِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ إِلَّا صُورَةَ الشَّخْصِ الَّذِي حَرَّكَهُ عَلَيْهِمْ لِغَيْبَتِهِمْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنْ غَالِبِ حُكْمِهِ، فَنَهَضُوا فِي مُقَابَلَةِ الشُّرُورِ بِحَوْلِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ وَصَوْلَةِ سُلْطَانِ نُفُوسِهِمْ، فَطَالَتْ عَلَيْهِمْ مُكَابَدَةُ الشُّرُورِ، وَحُبِسُوا فِي سِجْنِ العَذَابِ عَلَى تَعَاقُبِ الدُّهُورِ.

فَإِنَّ الكَيِّسَ العَاقِلَ **إِذَا انْصَبَّ عَلَيْهِ الشَّرُّ مِنَ النَّاسِ،** أَوْ تَحَرَّكُوا لَهُ بِهِ، **رَآهُ تَجَلِّيّاً إِلَهِيا لَا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ إِلَّا بِتَأْيِيدٍ إِلَهِي،** فَكَانَ مُقْتَضَى مَا دَلَّهُ عَلَيْهِ عِلْمُهُ وَعَقْلُهُ **الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ** بِالهَرَبِ وَالالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَتَتَابُعِ التَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ لَدَيْهِ وَالاعْتِرَافِ بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ، فَنَهَضَ مُعْتَصِماً بِاللَّهِ فِي مُقَابَلَةِ خَلْقِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تُدْفَعُ عَنْهُ الشُّرُورُ بِلَا تَعَبٍ مِنْهُ، وَلَوْ الْتَهَبَتْ عَلَيْهِ نِيرَانُ الشَّرِّ مِنَ الخَلْقِ لَعَجَزُوا عَنِ الوُصُولِ إِلَيْهِ لِاعْتِصَامِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْوَى لَهُ شَيْءٌ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**) إِلَى قَوْلِهِ: (**فَهُوَ حَسْبُهُ**)[4].

وَهَذَا البَابُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ[5]، كُلُّ الخَلْقِ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الوَقْتِ، فَمَنْ أَدَامَ السَّيْرَ عَلَى هَذَا المِنْهَاجِ، سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ فَارَقَهُ وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَنَهَضَ

---

[1]- سورة النحل، الآية 126

[2]- ل : بما

[3]- ك ل ي: ترى

[4]- سورة الطلاق، الآيات 2-3

[5]- ك: (الَّذِي ذَكَرْنَاهُ) ساقطة

إِلَى مُقَابَلَةِ الشُّرُورِ بِحَوْلِهِ وَاحْتِيَالِهِ، فَهَلَكَ كُلَّ الهَلَاكِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ.

وَعَلَيْكُمْ بِشُكْرِ النِّعَمِ الوَارِدَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِسَبَبٍ أَوْ بِلَا سَبَبٍ، **وَالشُّكْرُ يَكُونُ فِي مُقَابَلَتِهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى** إِنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ تَكُونَ كُلِّيَّةً، وَإِلَّا فَالأَبْقَعُ خَيْرٌ مِنَ الأَسْوَدِ، **وَأَقَلُّ ذَلِكَ شُكْرُ اللِّسَانِ**، فَلَا أَعْجَزَ مِمَّنْ[1] عَجَزَ عَنْ شُكْرِ اللِّسَانِ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ بِالوُجُوهِ الجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ، **فَأَعْلَى ذَلِكَ فِي شُكْرِ اللِّسَانِ:** تِلَاوَةُ الفَاتِحَةِ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُكْراً،

وَلْيَنْوِ عِنْدَ تِلَاوَتِهَا أَنَّهُ يَسْتَغْرِقُ شُكْرَ جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِ، الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَالحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، وَالمَعْلُومَةِ عِنْدَ العَبْدِ وَالمَجْهُولَةِ لَدَيْهِ، وَالعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالمُتَقَدِّمَةِ وَالمُتَأَخِّرَةِ، وَالدَّائِمَةِ وَالمُنْقَطِعَةِ، وَيَتْلُوا بِهَذِهِ النِّيَّةِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الفَاتِحَةِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَى مِائَةٍ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِراً، وَكَانَ ثَوَابُهُ المَزِيدَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى قَدْرِ رُتْبَتِهِ بِحَسَبِ وَعْدِهِ الصَّادِقِ.

وَأَمَّا وُجُوهُ المَحَامِدِ الجَامِعَةِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ، لَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا **مِثْلُ** قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ). **وَمِنْهَا:** إِلَهِي لَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، مِثْلَ جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِنْ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ وَجَمِيعِ مَحَامِدِكَ، الَّتِي حَمِدْتَ بِهَا نَفْسَكَ بِكَلَامِكَ[2]، وَالَّتِي حَمِدَكَ بِهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْ خَلْقِكَ، بِأَيِّ لَفْظٍ ذَكَرُوكَ بِهِ، كُلُّ حَمْدٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ عَلَى جَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ مِنْ نِعَمِكَ عَلَيَّ، فَهُوَ حَمْدٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ المَحَامِدِ، مُسْتَغْرِقٌ لِلشُّكْرِ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ.

---

[1]- ع: عمن

[2]- ك: (بِكَلَامِكَ) ساقطة

وَأُحَذِّرُكُمْ لِكُلِّ مَنْ خَوَّلَهُ اللَّهُ نِعْمَةً، أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِهَا[1] فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ مِثْلَ شِرَاءِ الخَمْرِ، وَالوُقُوعِ فِي الزِّنَا، وَمَدِّ اليَدِ بِهَا فِي المُعَامَلَةِ فِي الرِّبَا، أَوْ صَرْفِهَا فِي وُجُوهِ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالسَّلْطَنَةِ، أَوْ فِي طَلَبِ إِذَايَةِ المُسْلِمِينَ، مِنْ سَفْكِ دِمَائِهِمْ، وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ، أَوْ هَتْكِ حَرِيمِهِمْ، أَوْ بِإِذَايَتِهِ[2] وَلَوْ بِأَقَلِّ قَلِيلٍ، فَإِنَّ الفَاعِلَ لِهَذِهِ الأُمُورِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مُسْتَحِقٌّ لِسَلْبِ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ، مَعَ مَا يُعْرَضُ لَهُ[3] مِنْ مَّقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَإِنْ فَعَلَ الأُمُورَ أَوْ بَعْضَهَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَرَ مِنَ اللَّهِ سَلْبَ نِعَمِهِ، فَلْيَعْلَمْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مِمَّنْ يَحُلُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَسُخْطُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالسَّعِيدُ إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، يَرَى عَنْ قَرِيبٍ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ، وَيَرَى التَّنْبِيهَ فِي قَلْبِهِ مِنَ اللَّهِ أَنَّ هَذِهِ المُصِيبَةَ وَقَعَتْ عَلَى تِلْكَ الفَعْلَةِ.

وَأُوصِيكُمْ فِي مُعَامَلَةِ الأَسْوَاقِ عَلَى مُحَافَظَةِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَأُصُولِهِ، عَلَى حَسَبِ مَا يُعْطِيهِ الوَقْتُ، وَتَجَنَّبُوا جَمِيعَ وُجُوهِ الغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ، وَالكَذِبِ فِي تَقْوِيمِ الأَثْمَانِ، وَاقْتِحَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ، فَإِنَّ المُنْهَمِكَ فِي ذَلِكَ يَهْلَكُ كُلَّ الهَلَاكِ، ثُمَّ إِذَا أَلْجَأَتِ الضَّرُورَةُ وَاشْتَدَّتْ الحَاجَةُ، وَلَمْ يَجِدْ العَبْدُ مَلْجَأً، إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ قُوتَهُ مِمَّا حُرِّمَ شَرْعاً فِي الأَسْوَاقِ، فَلْيَأْخُذْ قَدْرَ مَا يَتَقَوَّتُ، وَلْيَكُنْ جَارِياً فِي ذَلِكَ عَلَى حُكْمِ المُضْطَرِّ فِي أَكْلِ المَيْتَةِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْكُلُهَا بَلَاغاً وَسَدّاً لِلْفَاقَةِ، لَا كَسْباً وَتَمَوُّلاً.

وَأُحَذِّرُكُمْ أَنْ تَتَهَافَتُوا[4] فِي المُعَامَلَاتِ المُحَرَّمَاتِ شَرْعاً، تَهَافُتَ الجَهَلَةِ مِنَ العَامَّةِ، مُحْتَجِّينَ بِعَدَمِ وُجُودِ الحَلَالِ المُعَيَّنِ، يُرِيدُونَ أَنْ يُسْقِطُوا عَنْهُمُ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فِي المُعَامَلَاتِ، فَقَدْ صَارُوا فِي ذَلِكَ كَأَنَّهُمْ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ وَزُورٌ.

---

[1]- ك: به

[2]- ك: بإذاية

[3]- ع ك: (له) ساقطة ـ ل: إليه

[4]- ح: تساقطوا وتتابعوا

فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**)[1] الآيَةُ. فَهَذِهِ الآيَةُ وَإِنْ نَزَلَتْ فِي مَطْلَبٍ خَاصٍّ، فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ مِنَ القَضَايَا، إِمَّا تَضَمُّناً وَإِمَّا تَلْوِيحاً، وَالعَالِمُ يَأْخُذُ حُكْمَهُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ فِي كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ وَإِنْ لَمْ تَنْزِلْ لِأَجْلِهِ، وَالوَاقِعُ مِنْهُ مِنَ الآيَةِ فِي قَضِيَّتِنَا هَذِهِ، أَنَّ الَّذِي فِي الأَرْضِ هُوَ مَا أَمْكَنَ وُجُودُهُ مِنْ حَلَالٍ أَصْلِيٍّ أَوْ عَارِضٍ، عَلَى حَسَبِ عَوَارِضِ الوَقْتِ، وَهِيَ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ عَلَى حَسَبِ مَا فَصَّلْنَا فِي جَوَابِ المُعَامَلَةِ.

وَخُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، هِيَ المُعَامَلَاتُ المُحَرَّمَاتُ[2] شَرْعاً[3]، حَيْثُ يَجِدُ العَبْدُ عَنْهَا مَعْدِلاً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عَنْهَا[4] مَعْدِلاً، وَأَلْجَأَتْهُ عَوَارِضُ الأَقْدَارِ بِحُكْمِ القَهْرِ وَالتَّحَتُّمِ، إِلَّا[5] أَنْ يَأْخُذَ قُوتَهُ مِنَ المُحَرَّمِ شَرْعاً، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ مَاتَ فِي الوَقْتِ، أَوْ مَاتَ بَعْضُ عِيَالِهِ جُوعاً لِضَيْقِ الوَقْتِ وَفَقْدِ السَّبِيلِ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ الوَاقِعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**)[6] وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى مَا[7] نُقِلَ عَنْ السَّيِّدِ

---

[1]- سورة البقرة، الآية 168

[2]- ع ك ي: المحرمة

[3]- ك: (شرعا) ساقطة

[4]- ل : (هي المعاملات المحرمات شرعا حيث يجد العبد عنها معدلا، فإن لم يجد عنها) ساقطة

[5]- ع ل: إلى

[6]- سورة البقرة، الآية 173

[7]- ع ك ي: ولا تلتفتوا لما

لَحْسَنِ[1] بْنِ رَحَّالٍ فِي قَوْلِهِ: كُلُّ عُقْدَةٍ لَا يُوجَدُ فِيهَا إِلَّا مَنْ يُعَامِلُ بِالحَرَامِ فَهِيَ حَلَالٌ، فَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ لِكَوْنِهِ تَغَافُلٌ عَنْ ضَبْطِ القَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِيهِ[2]،
وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَهَا آنِفاً. يَشْهَدُ لَهُ[3] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ" وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا) وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا)**[4]. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ * وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَفِي هَذَا مَعَ مَا فِي الرَّسَائِلِ الأُوَلِ كِفَايَةٌ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ فُقَرَاءِ الأَغْوَاطِ، يَتَحَدَّثُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَفَضَّلَ. **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْدِ اللَّهِ يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى يَدِ أَحْبَابِنَا وَأَصْفِيَائِنَا فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَكَافَّةِ الفُقَرَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ بِالأَغْوَاطِ، كُلُّ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ وَعَيْنِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنْ كَاتِبِهِ إِلَيْكُمْ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي.
وَبَعْدُ: نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَوَلَّاكُمْ بِعِنَايَتِهِ، وَأَنْ يُفِيضَ عَلَيْكُمْ بُحُورَ فَضْلِهِ وَوِلَايَتِهِ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ هَمَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يُنَجِّيَكُمْ مِنْ فَقْرِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، **يَلِيهِ إِعْلَامُكُمْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ،** وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، **وَأَقُولُ لَكُمْ** إِنَّ

---

[1]- ع ك ل: الحسن
[2]- ل: (فيه) ساقطة
[3]- ك: لذلك
[4]- سورة التغابن، الآية 16

مَقَامَنَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الآخِرَةِ، لَا يَصِلُهُ أَحَدٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ، وَلَا يُقَارِبُهُ لَا مَنْ صَغُرَ وَلَا مَنْ كَبُرَ، وَأَنَّ جَمِيعَ الأَوْلِيَاءِ مِنْ عَصْرِ الصَّحَابَةِ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ، لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَصِلُ مَقَامَنَا وَلَا يُقَارِبُهُ، لِبُعْدِ مَرَامِهِ عَنْ جَمِيعِ العُقُولِ، وَصُعُوبَةِ مَسْلَكِهِ عَلَى[1] أَكَابِرِ الفُحُولِ، وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُهُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْقِيقاً، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يُدْخِلَ كَافَّةَ أَصْحَابِهِ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، وَلَوْ عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَمِلُوا، وَبَلَغُوا مِنَ المَعَاصِي مَا بَلَغُوا إِلَّا أَنَا وَحْدِي.

وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ لِي فِيهِمْ وَضَمِنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ أَمْرٌ لَا يَحِلُّ لِي ذِكْرُهُ، وَلَا يُرَى وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا فِي الآخِرَةِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَلَسْنَا نَسْتَهْزِئُ بِحُرْمَةِ[2] سَادَتِنَا[3] الأَوْلِيَاءِ، وَلَا نَتَهَاوَنُ بِتَعْظِيمِهِمْ، فَعَظِّمُوا حُرْمَةَ الأَوْلِيَاءِ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، فَإِنَّ مَنْ عَظَّمَ حُرْمَتَهُمْ، عَظَّمَ اللَّهُ حُرْمَتَهُ، وَمَنْ أَهَانَهُمْ أَذَلَّهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ، فَلَا تَسْتَهِينُوا بِحُرْمَةِ الأَوْلِيَاءِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَحِبَّائِهِ[4] وَنَصُّهُ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ كَاتِبُهُ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي بَعْدَ السَّلَامِ التَّامِّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ، نَسْأَلُ اللَّهَ[5] أَنْ يُمَكِّنَكُمْ مِنْهَا عَاجِلاً، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ إِنْ أَرَدْتُمُوهَا بِالمُدَاوَمَةِ عَلَى جَوْهَرَةِ الكَمَالِ سَبْعاً عِنْدَ النَّوْمِ عَلَى وُضُوءٍ دَائِماً، فَإِنَّهَا كَفِيلَةٌ بِهَا، وَهِيَ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الخ.

---

[1]- ك ي: عن

[2]- ع: بحُرمنا

[3]- ك ي: ساداتنا

[4]- ك ل: أحبابه

[5]- ك: اللَّهَ تَعَالَى

وَأَمَّا سَنَدُ طَرِيقَتِنَا فَطَرِيقُنَا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتِّصَالاً مِنْهُ إِلَيْنَا، **وَسَنَدُنَا أَيْضاً فِي الوِرْدِ المَعْلُومِ مَعَ السِّيفِي** عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّصِلاً إِلَيْنَا[1]، **وَأَمَّا المُسَبَّعَاتُ العَشْرُ، فَأَخَذْنَاهَا** مُشَافَهَةً عَنْ شَيْخِنَا الشَّيْخِ مَحْمُودٍ الكُرْدِيِّ المِصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَخَذَهَا عَنِ الخَضِرِ مُشَافَهَةً.

وَأَمَّا أَحْزَابُ الشَّاذِلِيِّ، وَوَظِيفَةُ الزَّرُّوقِ[2]**، وَدَلَائِلُ الخَيْرَاتِ، وَالدَّوْرُ الأَعْلَى،** فَكُلُّهَا أَخَذْنَا الإِجَازَةَ فِيهَا عَنْ شَيْخِنَا القُطْبِ الكَامِلِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ السَّمَّانِ، قَاطِنِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ **شَرْطِ اتِّحَادِ الوَقْتِ فِي ذِكْرِ الخَلْوَةِ،** فَهُوَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي جَمِيعِهَا، وَلَا يَضُرُّ إِنْ تَخَلَّفَ إِلَى غَيْرِ وَقْتِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الأَسْمَاءِ الإِدْرِيسِيَةِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَخَلَّفَ الوَقْتُ تَضَرَّرَ العَامِلُ ضَرَراً كَبِيراً، وَأَجَزْنَا لَكُمْ فِي الوِرْدِ وَفِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَا لَكُمْ سَنَدَهُ فِيمَا طَلَبْتُمْ فِيهِ السَّنَدَ، نَفَّعَكُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ وَالسَّلَامُ. وَأَجَازَنَا سَيِّدُنَا فِي كُلِّ مَا أَجَازَ فِيهِ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ، وَكَتَبَ لَنَا بِخَطِّ يَدِهِ فِي هَذَا المَحَلِّ فِي غَيْرِ هَذَا، وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَحِبَّائِهِ وَنَصُّهُ: بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدُ: **فَتَعَلُّقُكَ بِالخَوَاصِّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا** وَأَغْرَاضِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِإِطْلَاقِ لِسَانِكَ فِي الغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَفِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ، **وَمُنْهَمِكٌ فِي البُعْدِ عَنِ اللَّهِ لَا رِبْحَ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ إِلَّا التَّعَبُ،** فَلَا تَظْفَرُ مِنْهَا بِشَيْءٍ. وَإِنَّ الخَوَاصَّ بَحْرُ الطَّمَعِ، المُتَعَلِّقُ بِهَا كَالَّذِي يُرِيدُ الظَّفَرَ بِسَرَابٍ بِقِيعَةٍ، إِنَّمَا الخَوَاصُّ وَأَسْرَارُهَا، لَا يَتَمَكَّنُ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ،

---

[1]- ك: (وَسَنَدُنَا أَيْضاً فِي الوِرْدِ المَعْلُومِ مَعَ السِّيفِي عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّصِلاً إِلَيْنَا) ساقطة

[2]- ع ك ل: زروق

إمَّا رَجُلٌ ظَفِرَ بِالوِلَايَةِ، وَإِمَّا رَجُلٌ جَعَلَ أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَفِي صِحَّةِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طَلَباً لِوَجْهِ اللَّهِ الكَرِيمِ لَا لِغَرَضٍ غَيْرِ ذَلِكَ**، وَدَاوَمَ[1] عَلَى هَذَا المِنْوَالِ، **وَصَانَ لِسَانَهُ** عَنِ الأَقَاوِيلِ الَّتِي لَا تُرْتَضَى شَرْعاً، كَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالكَذِبِ وَالسُّخْرِيَّةِ، وَسَائِرِ مَا لَا يُرْتَضَى، **وَصَانَ قَلْبَهُ** عَمَّا[2] لَا يُرْضِي اللَّهَ، كَالكِبْرِ وَالحَسَدِ وَظُلْمِ النَّاسِ، وَالبُغْضِ بِغَيْرِ أَمْرٍ شَرْعِيٍّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ فِي هَذَا كُلِّهِ قَائِمٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَعَلَّهُ يُدْرِكُ بَعْضَ أَسْرَارِ الخَوَاصِّ، وَمَنْ سِوَى هَذَيْنِ لَا يُفِيدُهُ التَّعَلُّقُ بِالخَوَاصِّ إِلَّا التَّعَبَ، وَالَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَقْتُهُ، **أَنْ يَجْعَلَ وِرْدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى** مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِرْدٌ فِي اللَّيْلِ، وَوِرْدٌ فِي النَّهَارِ. فِي كُلِّ وِرْدٍ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسُمِائَةِ مَرَّةٍ فِي كُلِّ وِرْدٍ، ثُمَّ تُدْرِجُ كُلَّ وِرْدٍ بِالزِّيَادَةِ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ، لَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَصِيرَ الوِرْدَانِ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ وِرْدٍ.

وَدَاوِمْ[3] عَلَى الوِرْدَيْنِ هَكَذَا أَبَداً سَرْمَداً لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، وَاقْصِدْ بِذَلِكَ صِحَّةَ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ فَقَطْ لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ بِالدَّوَامِ عَلَى ذَلِكَ تَنْفَرِجُ عَنْكَ[4] الأُمُورُ، وَزِدْ عَلَى[5] ذَلِكَ وِرْداً مِنْ قَوْلِكَ **يَا لَطِيفُ أَلْفٌ بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ فَقَطْ، وَاقْصِدْ**

---

[1]- ع ك ي: ودام

[2]- ك: وصان لسانه عن ما

[3]- ع ك: ودام

[4]- ع ك: عليك

[5]- ع ك ي: مع

بِذَلِكَ الاسْتِغَاثَةَ بِاللَّهِ مِنْ ضَرَرِ الفَقْرِ. وَدَاوِمْ عَلَيْهِ يُفَرِّجُ اللَّهُ عَنْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الفُقَهَاءِ مِنْ أَحْبَابِهِ بِفَاسٍ وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ أَفْقَرِ العَبِيدِ إِلَى مَوْلَاهُ الغَنِيِّ الحَمِيدِ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي عَامَلَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ إِلَى مُحِبِّنَا فِي اللَّهِ تَعَالَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. **أَمَّا بَعْدُ: فَالَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ مِنَ التَّصَرُّفِ** بِالدَّائِرَةِ الشَّاذِلِيَّةِ وَأَسْمَائِهَا وَخَوَاصِّهَا.

فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: اعْلَمْ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِمَا فِي كُتُبِ أَهْلِ[2] الخَوَاصِّ مِنْ دَائِرَةِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَسْمَاءِ اللَّهِ وَالحُرُوفِ وَالجَدَاوِيلِ، كُلُّهُ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، **مَا فِي جَمِيعِهَا إِلَّا التَّعَبُ وَالطَّمَعُ** الَّذِي لَا يُوجَدُ فِيهِ قَلِيلٌ مِنَ الفَائِدَةِ، وَلَا جَدْوَى مِنَ العَائِدَةِ، إِلَّا أَنَّ لِتِلْكَ الأَسْرَارِ تَصَارِيفَ عَالِيَةً وَأَفْعَالَ[3] عَظِيمَةً، لَكِنَّهَا مَشْرُوطَةٌ بِالوُقُوفِ عَلَى أَمْرَيْنِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ بِدُونِهَا شَيْئاً.

الأَمْرُ الأَوَّلُ: هُوَ الفَتْحُ لِلْعَبْدِ فِي كَمَالِ المَعْرِفَةِ العِيَانِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ، فَصَاحِبُهَا لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى وُجُودِ شَرْطٍ أَوْ زَوَالِ مَانِعٍ، مَتَى أَرَادَ شَيْئاً أَوْجَدَهُ بِتِلْكَ الأَسْبَابِ. **وَالأَمْرُ الثَّانِي** أَنَّ لِتِلْكَ الأَسْرَارِ أَرْوَاحاً عُلْوِيَّةً طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً، قَائِمَةً بِتَصْرِيفِ تِلْكَ الأَسْرَارِ، دَائِمَةَ التَّمَادِي فِي التَّصَرُّفِ بِأَسْرَارِهَا، وَتِلْكَ الرُّوحَانِيَّةُ لَهَا طُرُقٌ مَخْصُوصَةٌ، يُتَوَصَّلُ بِتِلْكَ الطُّرُقِ إِلَى تَسْخِيرِ رُوحَانِيَتِهَا، حَتَّى لَا يَتَوَقَّفَ[4] عَلَى دَاعِيهَا فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَجَابَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، وَهَذِهِ الطُّرُقُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الأَوْلِيَاءُ.

---

[1]- ح ل: (عَلَيْنَا) ساقطة

[2]- ك: (أَهْلِ) ساقطة

[3]- ك ل: وَأَفْعَالاً

[4]- ع ك: تتوقف

وَقَدْ أُخِذَ العَهْدُ عَلَى الأَوْلِيَاءِ فِي ظَهْرِ الغَيْبِ، أَنَّهُمْ لَا يُطْلِعُونَ عَلَى هَذِهِ الأَسْرَارِ أَوْ شَيْءٍ مِنْهَا أَحَداً مِنَ الوَاقِفِينَ مَعَ حُظُوظِهِمْ، وَمَنْ تَعَدَّى مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الحُظُوظِ، ابْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، إِمَّا بِقَتْلَةٍ شَنِيعَةٍ، وَإِمَّا أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَارِدٌ مِنْ قِبَلِ الحَقِّ، يَسْتَأْصِلُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَبْتَلِيَهُ اللَّهُ بِالفَقْرِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، أَوْ بِالسَّلْبِ أَوْ بِالكُفْرِ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، بِجَاهِ النَّبِيِّ وَآلِهِ.

وَمَا مِثَالُ[1] ذَلِكَ إِلَّا كَحِصْنٍ عَظِيمٍ مَمْلُوءٍ بِخَزَائِنِ الكُنُوزِ[2] وَالأَمْوَالِ وَالتُّحَفِ، مِمَّا يَقْضِي بِتَوْفِيَةِ جَمِيعِ الأَغْرَاضِ، وَعَلَى ذَلِكَ الحِصْنِ أَسْوَارٌ عَظِيمَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الغِلَظِ وَالتَّوْثِيقِ، وَلَا أَبْوَابَ لِتِلْكَ الأَسْوَارِ وَلَا مَفَاتِيحَ، ثُمَّ إِنَّ لِتِلْكَ الأَسْوَارِ وَذَلِكَ الحِصْنِ أَبْوَاباً وَطُرُقاً مَخْبُوءَةً تَحْتَ الأَرْضِ، تَأْتِي مِنَ الحِصْنِ عَلَى مَسِيرَةِ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةٍ تَحْتَ[3] الأَرْضِ،

كُلُّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً مِنْ تِلْكَ الطُّرُقِ، أَفْضَتْ بِهِ إِلَى بَابِ الحِصْنِ الَّتِي تَحْتَ الأَرْضِ، وَدَخَلَ الحِصْنَ وَأَخَذَ كُلَّ مَا أَرَادَ وَرَجَعَ مِنْ طَرِيقِهِ، فَهُوَ أَبَداً يَدْخُلُ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا، وَوُضِعَتْ أَبْوَابُ تِلْكَ الطُّرُقِ مِنْ خَارِجٍ مُغْلَقَةً[4] مُدَلَّسَةً عَلَيْهَا، بِحَيْثُ أَنْ لَا يُوقَفَ عَلَيْهَا إِلَّا بِالنَّقْلِ وَالأَخْبَارِ وَمَنْ لَمْ يُخْبَرْ بِتِلْكَ الأَبْوَابِ، لَا يَهْتَدِي لِتِلْكَ الطُّرُقِ وَلَا يَدْخُلُ إِلَى الحِصْنِ. فَالرَّجُلُ الأَوَّلُ المَفْتُوحُ عَلَيْهِ بِالمَعْرِفَةِ، مَتَى جَاءَ إِلَى الحِصْنِ زَالَتْ عَنْهُ تِلْكَ الأَسْوَارُ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّلٍ مِنْهُ، وَوَصَلَ إِلَى كُنُوزِهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ.

---

[1] - ك: مثل

[2] - ك: مملو الخزائن من الكنوز

[3] - ع: أو سبعة من تحت

[4] - ك: (مُغْلَقَةً) ساقطة

وَأَصْحَابُ الأَمْرِ الثَّانِي هُمْ العُلَمَاءُ بِالطَّرِيقِ[1]، الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا إِلَى تَسْخِيرِ الرُّوحَانِيَةِ وَالتَّعَرُّفِ[2] فِيهَا، وَالبُلُوغِ بِهَا إِلَى كُلِّ غَرَضٍ، هُمُ الَّذِينَ فِي المِثَالِ الثَّانِي: المُطَّلِعُونَ عَلَى الطُّرُقِ[3] المَخْبُوءَةِ تَحْتَ الأَرْضِ المُدَلَّسَةِ أَبْوَابُهَا، وَالعَامَّةُ الخَارِجَةُ[4] عَنْ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَطُوفُ حَوْلَ الحِصْنِ، يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ مِمَّا فِي دَاخِلِهِ مِنَ الكُنُوزِ مِنْ غَيْرِ بَابٍ وَلَا مِفْتَاحٍ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ طَوَافِهِ إِلَّا التَّعَبُ.

نَعَمْ قَدْ يَقَعُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ لِلْعَامِّي الَّذِي لَاحَظَّ لَهُ فِي الأَمْرَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، إِجَابَةٌ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ، وَقَعَتْ بِنَفْحَةٍ[5] إِلَهِيَةٍ، اقْتَضَتْ تِلْكَ النَّفْحَةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ مِنْهُ فِي وَقْتِ تِلْكَ النَّفْحَةِ شَيْئاً، سَوَاءٌ عَلِمَ تِلْكَ النَّفْحَةَ أَوْ جهلَهَا، أَوْ عَلِمَ وَقْتَهَا أَوْ جَهِلَهُ، أَنْ يُعْطِيَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ سُؤَالَهُ، سَوَاءٌ كَانَ عَلَى جَادَّةٍ مُسْتَقِيمَةٍ أَوْ عَلَى غَيْرِ صَوَابٍ، سَوَاءٌ كَانَ أَهْلاً لِذَلِكَ السُّؤَالِ أَمْ لَا.

لَكِنْ لَا يُطَّرَدُ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَوْ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ، لِأَنَّ تِلْكَ الإِجَابَةَ اقْتَضَتْ[6] تِلْكَ النَّفْحَةَ النَّفْحَةَ الإِلَهِيَةَ البَارِزَةَ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا أَنَّهُ اقْتَضَاهَا عِلْمُهُ بِذَلِكَ السِّرِّ وَتِلْكَ الخَاصِيَةِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الأَمْرَيْنِ الأَوَّلَيْنِ تُطَّرَدُ لَهُمُ الإِجَابَةُ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ. وَهَذَا الثَّالِثُ لَا تَقَعُ لَهُ الإِجَابَةُ، إِلَّا إِذَا وَافَقَتْ نَفْحَةً إِلَهِيَةً بِحُكْمِ الاتِّفَاقِ، وَفِيمَا

---

[1]- ي: الطريق

[2]- ع: والتعريف ـ ك: والتصرف.

[3]- ع ك: الطريق

[4]- ك ي: الخارجون

[5]- ع: وقعت نفحة

[6]- ك: اقتضتها

ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ فَهِمَ فَلَا تُتْعِبُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الأَسْرَارِ الخَوَاصِّ[1] فِي شَيْءٍ، وَالْزَمُوا[2] الأَمْرَ الَّذِي قُلْنَاهُ لَكُمْ فِي الوَصِيَّةِ هُوَ أَنْفَعُ.

سِرٌّ شَرِيفٌ: قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا تَجَلَّى اللَّهُ لِسِرِّ عَبْدٍ، مَلَّكَهُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ، وَأَلْحَقَهُ بِدَرَجَةِ الأَحْرَارِ، وَكَانَ لَهُ تَصَرُّفٌ ذَاتِي، مَتَى مَا تَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُ لِأَيِّ خَارِقٍ كَانَ انْخَرَقَ لَهُ فِي الحِينِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ يُضِيفُ لَهَا كَلِمَةَ كُنْ، وَبَعْضُهُمْ بِمُجَرَّدِ الإِرَادَةِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ)**[3] انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ بِمَجْلِسٍ وَاحِدٍ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الفُقَهَاءِ مِنْ أَصْفِيَائِهِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قَالَ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي لَطَفَ اللَّهُ بِهِ، **أَجَزْتُ لِحَبِيبِنَا وَصَفِيِّنَا** الفَقِيهِ النَّبِيهِ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ فِي قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ، بِنِيَةِ تِلَاوَةِ الاسْمِ الأَعْظَمِ[4] بِتِلَاوَتِهَا وَفِي قِرَاءَةِ الحِزْبِ السِّيفِي، وَسَنَدُنَا فِي ذَلِكَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَأَجَزْتُ لَهُ** فِي قِرَاءَةِ سُورَةِ الإِخْلَاصِ إِحْدَى عَشَرَ مَرَّةٍ صَبَاحاً وَمَسَاءً لِلتَّحْصِينِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ وَالسَّلَامُ[5]. انْتَهَى مِنْ خَطِّ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1]- ع: والخواص ـ ل: من أسرار الخواص

[2]- ع ك: والزم

[3]- سورة النجم، الآيات 29-30.

[4]- ك: (الأعظم) ساقطة

[5]- ك: (والسلام) ساقطة

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَيْنَا[1] **سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنَ الأَخْبَارِ لَكَ بِبَعْضِ الأُمُورِ، لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ وَتَزِيدَ مَحَبَّتُكَ وَيَدُومَ سُرُورُكَ فَأَقُولُ لَكَ: الأَوْلَى مِنْ ذَلِكَ الكَرَامَةُ الَّتِي شَاعَتْ وَذَاعَتْ عِنْدَ المُعْتَقِدِ، عَلَى رَغْمِ المُنْتَقِدِ، وَهِيَ أَعْظَمُ خَيْرٍ يُرْجَى، وَأَفْضَلُ مَوْعِدَةٍ لِلْعَاقِلِ تُتَرَجَّى، هُوَ أَنَّ **كُلَّ مَنْ أَخَذَ وِرْدَنَا وَدَاوَمَ عَلَيْهِ إِلَى المَمَاتِ**، أَنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، هُوَ وَوَالِدَاهُ وَأَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ إِنْ سَلِمَ الجَمِيعُ مِنَ الانْتِقَادِ،

وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُحِبّاً، وَلَمْ يَأْخُذِ الوِرْدَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَكُونَ وَلِيّاً، وَكَذَلِكَ مَنْ حَصَلَ لَهُ النَّظَرُ فِينَا يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ الإِثْنَيْنِ، يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، إِنْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ سَبٌّ فِي جَانِبِنَا وَلَا بُغْضٌ وَلَا إِذَايَةٌ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ النَّظَرُ فِي هَذَيْنِ اليَوْمَيْنِ، فَهُوَ مِنَ الآمِنِينَ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ، وَإِنْ سَبَقَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ العَذَابُ فِي الآخِرَةِ فَلَا يَمُوتُ إِلَّا كَافِراً فَهَذَا مَا يُمْكِنُ بِهِ إِعْلَامُكُمْ فِي هَذَا الوَقْتِ، وَفِي وَقْتٍ آخَرَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. انْتَهَى.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ أَيْضاً إِلَى بَعْضِ خَوَاصِّهِ وَأَصْفِيَائِهِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى يَدِ حَبِيبِنَا وَصَفِيِّنَا فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، وَعَلَى كَافَّةِ أَهْلِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَكُلِّ مَنْ يَلُوذُ بِكُمْ، مِنْ كَاتِبِهِ إِلَيْكُمْ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ، أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي **وَبَعْدُ: نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ** وَتَقَدَّسَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ، أَنْ يُفِيضَ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا بُحُورَ الأَمْوَالِ وَالخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ بِلَا نَقْصٍ، وَالعَافِيَةَ التَّامَّةَ مِنْ شَرِّ الخَلْقِ وَمِنَ الاحْتِيَاجِ إِلَى الخَلْقِ.

وَأَمَّا الآخِرَةُ فَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعَامِلَكُمْ فِيهَا جَمِيعاً، وَجَمِيعَ أَهْلِيكُمْ بِمُعَامَلَتِهِ لِأَكَابِرِ أَحْبَابِهِ وَأَصْفِيَائِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَخَوَاصِّ حَضْرَتِهِ بِلَا عَمَلٍ مِنْكُمْ بَلْ بِمَحْضِ فَضْلِهِ،

[1]- ح ل: (إِلَيْنَا) ساقطة

وَأَنْ يُفِيضَ عَلَيْكُمْ بُحُورَ رِضَاهُ وَفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الآخِرَةِ، وَلِيّاً وَنَاصِراً وَمُحِبّاً وَرَاضِياً وَمُتَفَضِّلاً وَمُلَاطِفاً، وَلِجَمِيعِ الشُّرُورِ وَالمَكَارِهِ وَالمَضَارِّ دَافِعاً وَمُنَجِّياً وَأَنْ يُلْبِسَكُمْ لِبَاسَ عِزِّهِ وَعِنَايَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يُخْلِصَ وِجْهَتَكُمْ إِلَيْهِ[1] وَانْقِطَاعَ قُلُوبِكُمْ إِلَيْهِ، مِثْلَ إِخْلَاصِهِ لِوِجْهَاتِ قُلُوبِ العَارِفِينَ وَالصِّدِّيقِينَ مِنْ عِبَادِهِ،

وَأَنْ يَجْعَلَ انْقِطَاعَ قُلُوبِكُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِثْلَ انْقِطَاعِ قُلُوبِ الأَقْطَابِ مِنْ خَلْقِهِ، وَتِلْكَ الحَالَةُ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، مُسْتَكْمِلَةٌ لِعِصْمَتِهِ مِنْ كُلِّ زَيْغٍ وَكُلِّ ضَلَالٍ وَغَفْلَةٍ عَنِ اللَّهِ، وَكُلِّ تَفْرِيطٍ فِي حُقُوقِ اللَّهِ، وَتُوجِبُ لِصَاحِبِهَا أَنْ يَمُوتَ عَلَى السَّعَادَةِ العُظْمَى، الَّتِي تُوجِبُ بَعْثَهُ مِنَ الآمِنِينَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ. وَكَوْنُكَ طَلَبْتَ هَذِهِ الحَالَةَ مِنِّي، فَاصْبِرْ حَتَّى يَأْتِيَ الوَقْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلاً مُقَدَّراً. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. انْتَهَى مِنْ خَطِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَعْيَانِ فُقَهَاءِ سَلَا بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدُ:** فَقَدْ وَصَلَنَا كِتَابُكُمْ وَقَرَأْنَاهُ، وَفَهِمْنَا مَا تَضَمَّنَهُ خِطَابُكُمْ، وَسَأَلْتَ فِيهِ عَنْ أَحْوَالِنَا وَأَحْوَالِ أَصْحَابِنَا. **فَاعْلَمْ** وَأَنَّنَا وَالحَمْدُ لِلَّهِ بِخَيْرٍ وَعَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ الحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ حَتَّى يَرْضَى بِمَا يَرْضَى، وَقَدْ عَمَّنَا وَعَمَّ أَصْحَابَنَا مَا عَمَّ عَامَّةَ المُسْلِمِينَ،

فَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، **وَنَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ** أَنْ يَحُفَّنَا وَإِيَّاكُمْ بِلُطْفِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَغْمُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسَوَابِغِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ حَالاً وَمَآلاً أَبَداً سَرْمَداً، وَأَنْ يَكُونَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِيّاً وَنَاصِراً وَمُعِيناً وَمُؤَيِّداً، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَأَنْ يُتْحِفَنَا وَإِيَّاكُمْ بِكَمَالِ العَافِيَةِ وَدَوَامِ العَافِيَةِ وَعِزِّ العَافِيَةِ، وَالاسْتِتَارِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِينَا بِالعَافِيَةِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ.

---

[1]- ك: (إليه) ساقطة

وَالَّذِي أُوصِيكَ بِهِ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ سَيْرُكَ وَعَمَلُكَ، هُوَ أَنْ **تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِاللَّهِ** مَا اسْتَطَعْتَ، وَوَطِّنْ قَلْبَكَ عَلَى **الثُّبُوتِ لِمَجَارِي الأَقْدَارِ الإِلَهِيَةِ، وَلَا تُعَوِّدْ**[1] **نَفْسَكَ بِالجَزَعِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ،** فَإِنَّ ذَلِكَ مُهْلِكٌ لِلْعَبْدِ دُنْيَا وَأُخْرَى. وَإِنْ اشْتَدَّ بِكَ الكَرْبُ، وَضَاقَ بِكَ الأَمْرُ، فَالْجَأْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقِفْ مَوْقِفَكَ فِي بَابِ لُطْفِهِ، وَاسْأَلْهُ مِنْ كَمَالِ لُطْفِهِ تَفْرِيجَ مَا ضَاقَ، وَزَوَالَ مَا اشْتَدَّ كَرْبُهُ، **وَأَكْثِرْ الضَّرَاعَةَ وَالابْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى** فِي ذَلِكَ،

وَلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنْكَ عَلَى حَالَةِ مُنْفَرِدِ[2] القَلْبِ بِاللَّهِ، مُتَفَرِّداً عَنِ الشَّوَاغِلِ مِثْلَ حَالَةِ المَرْأَةِ الكَبِيرَةِ السِّنِّ، الَّتِي لَيْسَ لَهَا إِلَّا وَلَدٌ وَاحِدٌ، أُخِذَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا لِيُقْطَعَ رَأْسُهُ. فَهِيَ تَتَوَسَّلُ بِاللَّهِ وَبِالنَّاسِ فِي كَشْفِ مَا نَزَلَ بِهَا، فَإِنَّهَا فِي هَذَا الحَالِ لَيْسَ لَهَا هَمٌّ غَيْرُ وَلَدِهَا، وَلَا يَلْتَفِتُ قَلْبُهَا لِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ، وَفَزِعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نُزُولِ الكُرَبِ وَالشَّدَائِدِ عَلَى هَذَا الحَدِّ، وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ اللَّطِيفِ مَا اسْتَطَاعَ، أَسْرَعَ إِلَيْهِ الفَرَجُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ أَبْطَأَ بِهِ الأَمْرُ.

وَإِيَّاكَ وَالانْهِمَاكَ فِي طَلَبِ دُنْيَاكَ، حَتَّى تَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ الَّتِي حَدَّهَا فِي شَرْعِهِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ، وَمَا لَكَ مَلْجَأٌ مِنَ اللَّهِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ: " أَلَا وَإِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ" وَهَذَا البَحْرُ هُوَ الَّذِي تَرَى فِيهِ جَمِيعَ الخَلْقِ غَرْقَى وَهَلْكَى إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ،

---

[1] - ع: تعد

[2] - ع ي: متفرد

ثُمَّ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ تَكَرُّرِ الفَزَعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ كَرْبٍ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ يَصِيرُ لَكَ الجَزَعُ مِنَ[1] اللَّهِ عَادَةً وَلَا تَنْتَفِعُ بِحَيَاتِكَ، **بَلْ يَكُونُ الأَمْرُ مَرَّةً وَمَرَّةً، مَرَّةً تَثْبُتُ لِأَمْرِ اللَّهِ** وَلَا تَجْزَعُ وَلَا تَطْلُبُ التَّفْرِيجَ، **وَمَرَّةً تَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ التَّفْرِيجَ،** فَمَنْ صَارَ إِلَى اللَّهِ عَلَى هَذَا المِنْوَالِ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ[2] السَّعَادَةِ الأُخْرَوِيَّةِ، وَتَمَكَّنَ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الوَاقِعَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)**[3] الآيَةُ. وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَعْضِ فُقَهَاءِ زَاوِيَةِ زَرْهُونٍ عَمَّرَهَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِمَا[4] هُوَ أَهْلُهُ، **قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَبَعْدُ: **نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ** وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، أَنْ يَسْلُكَ بِكَ حَالاً وَمَآلاً مَسَالِكَ أَوْلِيَائِهِ المُتَّقِينَ، وَأَنْ يُوقِفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوَاقِفَ أَحْبَابِهِ العَارِفِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّكَ طَلَبْتَ مِنِّي أَنْ آذَنَ لَكَ فِي زِيَادَةِ الأَذْكَارِ عَلَى الوِرْدِ، **فَاعْلَمْ** أَنِّي **أَجَزْتُكَ** فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ، مِنَ الأَذْكَارِ وَالأَسْمَاءِ وَالآيَاتِ وَالأَدْعِيَةِ، حَيْثُ مَا أَرَدْتَ، وَكَيْفَ مَا أَرَدْتَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَوْرَادِ الشُّيُوخِ، الَّتِي هِيَ لَازِمَةٌ لِلدُّخُولِ فِي طُرُقِهِمْ فَلَا آذَنُ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا تَذْكُرُهُ مِنَ الأَذْكَارِ، وَالصَّلَوَاتِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَدْعِيَةِ، لَوْ تَوَجَّهْتَ بِجَمِيعِهَا مِائَةَ أَلْفِ عَامٍ، كُلَّ يَوْمٍ تَذْكُرُهَا مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ، وَجَمِيعُ

---

[1] - ع ي: من أمر

[2] - ع: باب

[3] - سورة النحل، الآية 97

[4] - ع : مما

ثَوَابِ ذَلِكَ كُلُّهُ مَا بَلَغَ ثَوَابَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِكَ لِلآخِرَةِ، فَاشْتَغِلْ بِهَا عَلَى قَدْرِ جُهْدِكَ، فَإِنَّهَا كَنْزُ اللَّهِ الأَعْظَمِ لِمَنْ ذَكَرَهَا، وَكُلُّ مَا تَزِيدُهُ مِنَ الأَذْكَارِ فَوْقَ الوِرْدِ، فَزِدْهُ مِنْهَا زَائِداً عَلَى الوِرْدِ، فَقَدْ نَصَحْتُكَ لِلَّهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُعُوبَةِ انْقِيَادِ نَفْسِكَ عَلَيْكَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَدَوَامِهَا عَلَى التَّخَبُّطِ فِيمَا لَا يَرْضَى، فَتِلْكَ عَادَةٌ جَارِيَةٌ، أَقَامَهَا اللَّهُ فِي الوُجُودِ لِكُلِّ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ، وَتَرَكَهَا جَارِيَةً فِي هَوَاهَا، أَنْ لَا يُسَهِّلَ عَلَيْهِ سَبِيلاً[1] إِلَى القِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ، بَلْ لَا يَرَى مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الخُبْثَ وَالمَعَاصِي وَالخُرُوجَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيمَ اعْوِجَاجِ نَفْسِهِ، فَلْيَشْتَغِلْ بِقَمْعِ نَفْسِهِ عَنْ مُتَابَعَةِ هَوَاهَا، مَعَ دَوَامِ العُزْلَةِ عَنِ الخَلْقِ وَالصَّمْتِ وَتَقْلِيلِ الأَكْلِ، وَالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِالتَّدْرِيجِ، وَحُضُورِ القَلْبِ مَعَ الذِّكْرِ، وَحَصْرِ القَلْبِ عَنِ الخَوْضِ فِيمَا يَعْتَادُهُ مِنَ الخَوْضِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَتَمَنِّيهَا وَحُبِّهَا، وَحَصْرِ القَلْبِ عَنْ جَمِيعِ المُرَادَاتِ وَالاخْتِيَارَاتِ وَالتَّدْبِيرَاتِ، وَعَنْ أَخْبَارِ الخَلْقِ، وَزَمِّ القَلْبِ عَنِ الجَزَعِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَبِدَوَامِ هَذِهِ الأُمُورِ تَتَزَكَّى النَّفْسُ، وَتَخْرُجُ مِنْ خُبْثِهَا إِلَى مُطَابَقَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَإِلَّا فَلَا، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[2].

وَالشَّيْخُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ دَالٌّ وَمُعِينٌ، لَا خَالِقٌ وَلَا فَاعِلٌ، إِذِ الخَلْقُ وَالفِعْلُ لِلَّهِ، وَالدَّلَالَةُ لِلشُّيُوخِ وَالسَّلَامُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. وَكَتَبَ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ، أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي عَامَلَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ. انْتَهَى مِنْ خَطِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرْفاً بِحَرْفٍ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِبَعْضِ رُؤَسَاءِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ وَتَعَالَى عِزُّهُ، وَتَقَدَّسَ مَجْدُهُ وَكَرَمُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى العَلَّامَةِ النَّبِيهِ، الدَّرَّاكَةِ الفَقِيهِ، السُّمَيْدِعِ

---

[1]- ع: سبيل

[2]- سورة الفتح، الآية 23

الوَجِيهِ، حُلْوِ الشَّمَائِلِ، كَرِيمِ الأَخْلَاقِ وَالفَضَائِلِ، فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَرَحَمَاتُهُ، مِنْ كَاتِبِهِ إِلَيْكُمْ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّجَانِي الحَسَنِي،

وَبَعْدُ نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، أَنْ يَجْعَلَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَخْيَارِ الأُمَّةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ يَنْظُرُ فِيهِمْ بِعَيْنِ العِنَايَةِ، وَالاسْتِخْلَاصِ وَالمَحَبَّةِ الكَامِلَةِ مِنْهُ، وَخُلُوصِ الاخْتِصَاصِ حَتَّى تَكُونَ ذُنُوبُكَ كُلُّهَا كَلَا شَيْءٍ، وَحَتَّى تَكُونَ حَسَنَاتُكَ مَقْبُولَةً عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كُنْتَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبْعِدَ هَذَا، فَإِنَّ **لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَائِرَةً مِنْ فَضْلِهِ،** جَعَلَهَا مَكْنُوزَةً مِنْ وَرَاءِ خُطُوطِ الدَّوَائِرِ، الَّتِي هِيَ دَوَائِرُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالجَزَاءِ خَيْراً وَشَرّاً، وَالاعْتِبَارَاتِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، فَإِنَّ هَذِهِ المَرَاتِبَ هِيَ مَرَاتِبُ عُمُومِ الخَلْقِ، **وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ الفَضْلِيَّةُ هِيَ دَائِرَةُ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.

وَهَذِهِ الدَّائِرَةُ جَعَلَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَهُ فَيْضُهَا فَائِضٌ[1] مِنْ بَحْرِ الجُودِ وَالكَرَمِ، لَا يَتَوَقَّفُ فَيْضُهَا عَلَى وُجُودِ سَبَبٍ وَلَا شَرْطٍ وَلَا زَوَالِ مَانِعٍ، بَلْ **الأَمْرُ فِيهَا وَاقِعٌ عَنْ اخْتِصَاصِ مَشِيئَتِهِ فَقَطْ،** وَلَا يُبَالِي بِمَنْ كَانَ فِيهَا أَوْفَى بِالعُهُودِ أَمْ لَا، أَمْ انْتَهَجَ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، أَمْ سَقَطَ مِنَ المَعَاصِي فِي الطَّرِيقِ الوَخِيمِ، لَا يُبَالِي فِيهَا لِمَنْ أَعْطَى وَلَا عَلَى مَاذَا أَعْطَى، **وَمَنْ وَقَعَ فِي هَذِهِ الدَّائِرَةِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، كَمُلَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي الآخِرَةِ بِلَا شَوْبِ أَلَمٍ وَلَا تَرْوِيعٍ.**

وَأَمَّا مَا أَعِظُكَ بِهِ: فَاسْمَعْ مَا يَقُولُهُ رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ وَكَفَى بِهِ وَاعِظاً قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)** إِلَى قَوْلِهِ **(أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ)**[2]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً**

---

[1]- ح ي: فائضا

[2]- سورة الحشر، الآية 18-20.

سَدِيداً) إِلَى قَوْلِهِ **(فَوْزاً عَظِيماً)**[1]، وَقَالَ تَعَالَى[2]: **(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)**[3] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)**[4] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا)** إِلَى قَوْلِهِ: **(يُؤْمَرُونَ)**[5].

وَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي مَرْتَبَةٍ قَدْ حَوَتْ مَا لَا يُحَاطُ بِهِ مِنَ الخَيْرَاتِ وَالبُرُورِ، وَجَمَعَتْ مَا لَا يُنْتَهَى إِلَى غَايَتِهِ مِنَ البَلَايَا وَالشُّرُورِ، وَأَنْتَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ، **فَرَاقِبْ اللَّهَ فِي قَلْبِكَ، وَانْظُرْ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ بِعَيْنِ الشَّفَقَةِ،** وَلِضَعِيفِهِمْ وَمِسْكِينِهِمْ بِعَيْنِ الرَّأْفَةِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَالاسْتِهْزَاءَ وَالتَّوَانِي بِهِمْ فِي تَبْلِيغِ أُمُورِهِمْ إِلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، فَإِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَظَراً فِي العَبْدِ عِنْدَ[6] كُلِّ نَظْرَةٍ يَنْظُرُهَا،

فَمَنْ رَآهُ مِنْ ذَوِي العُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ، نَظَرَ فِي خَلْقِهِ بِعَيْنِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَخَفَضَ لَهُمْ جَنَاحَهُ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ إِضَافَتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَعَظَّمَهُمْ لِذَلِكَ النَّظَرِ، وَسَارَعَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنْهُ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى، نَظَرَ فِيهِ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَعَيْنِ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، وَسَارَعَ لَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَكَلَأَهُ كِلَاءَةَ الوَلِيدِ مِنْ أَبِيهِ.

فَيَا سَعَادَةَ مَنْ ظَفِرَ بِهَذِهِ النَّظْرَةِ مِنْ رَبِّهِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى الأُخْرَى وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ عَدَمِ المُبَالَاةِ بِخَلْقِ اللَّهِ، وَالتَّبَاعُدِ عَنْ قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَالتَّنَائِي عَنْ رَحْمَتِهِمْ وَالشَّفَقَةِ

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 70-71.

[2]- ع: وقال سبحانه وتعالى

[3]- سورة النساء، الآية 131.

[4]- سورة البقرة، الآية 281.

[5]- سورة التحريم، الآية 6.

[6]- ح: (عند) ساقطة

عَلَيْهِمْ، فَجَزَاؤُهُ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي النَّارِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ: **(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ)**[1]. الآيَةُ. وَهَذَا يَكْفِيكَ إِنِ اتَّعَظْتَ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ التَّوْفِيقَ وَالرَّشَادَ، وَالغَرَقَ فِي بَحْرِ الهُدَى وَالسَّدَادَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ[2] عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَحْبَابِهِ مِنْ تُجَّارِ فَاسٍ وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: بِحَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ، وَتَقَدَّسَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى يَدِ حَبِيبِنَا وَرَفِيعِ القَدْرِ وَالمَكَانَةِ مِنْ قُلُوبِنَا، فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَرِضْوَانُهُ، مِنْ كَاتِبِهِ إِلَيْكُمْ مُحِبِّكُمْ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ، أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي الحَسَنِي **وَبَعْدُ:**

فَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ كَمَالُهُ أَنْ يُعَامِلَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِفَضْلِهِ وَرِضَاهُ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِيكُمْ بِعَيْنِ رِضَاهُ وَعِنَايَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَعِنَايَتِهِ[3] وَكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي جَمِيعِ تَقَلُّبَاتِكُمْ وَحَرَكَاتِكُمْ وَسَكَنَاتِكُمْ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ شَرَّ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُنَافِي كَمَالَ السُّرُورِ، وَيَلِيهِ[4] إِعْلَامُكُمْ عَمَّا كَتَبْتُمْ بِهِ إِلَيْنَا مِنْ شَكْوَاكُمْ، **بِإِعْطَاءِ مَالِكُمْ لِلسَّائِلِينَ وَمُضَايَقَتِهِمْ لَكُمْ، وَعَدَمِ طَاقَتِكُمْ لِرَدِّهِمْ. فَاعْلَمْ** يَا أَخِي أَنَّكَ فِي هَذَا الحَالِ مُضِرٌّ بِنَفْسِكَ شَرْعاً وَطَبْعاً.

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ، حَيْثُ مَدَحَ عِبَادَهُ المَخْصُوصِينَ بِالزُّلْفَى مِنْهُ. قَالَ: **(إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ**

---

[1]- سورة الحاقة، الآية 30-34.

[2]- ك ل ي: انتهى من إملائه

[3]- ك ي: (وعنايته) ساقطة

[4]- ع ك ي: يليه.

قَوَاماً)[1] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**[2] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ وَحَبِيبِهِ وَصَفِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)**[3]. الآيَةُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَئَاتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ)**[4]، **(وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً)**[5]. الآيَةُ. وَالنَّهْيُ عَنْ إِضَاعَةِ المَالِ وَلُزُومُ حِفْظِهِ، هُوَ أَمْرٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، وَلَا نَعْلَمُ بَيْنَهُمْ فِيهِ خِلَافاً[6]. هَذَا وَقَدْ سَمِعْتَ أَلْفَاظَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، الَّذِي **(لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)**[7]، وَلَيْسَ لَكَ إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالاتِّبَاعُ، فَلَا تَنْهَمِرْ فِي إِعْطَاءِ المَالِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى التَّبْذِيرِ، فَتَقَعَ فِيمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا تُمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الإِعْطَاءِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى البُخْلِ.

فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ شَرْعاً وَطَبْعاً، **وَكُنْ فِي وَسَطِ الأَمْرَيْنِ بَيْنَ البُخْلِ وَالتَّبْذِيرِ**، يَعْنِي تَوَسَّطْ فِي ذَلِكَ، وَأَعْطِ لِلَّهِ[8] بِقَدْرِ اتِّسَاعِ مَالِكَ، وَقَدْرِ مَصْرُوفِكَ عَلَى أَهْلِكَ وَنَوَائِبِكَ، وَعَلَى قَدْرِ مَا مَا يَدْخُلُ يَدَكَ مِنَ التِّجَارَةِ وَالأَسْبَابِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ خَمْسُونَ قِنْطَاراً مِنَ

---

[1]- سورة الفرقان، الآية 67.

[2]- سورة البقرة، الآية 195.

[3]- سورة الإسراء، الآية 29.

[4]- سورة الروم، الآية 38.

[5]- سورة الإسراء، الآية 26-27.

[6]- ع: خلاف

[7]- سورة فصلت، الآية 42.

[8]- ع ك: (لِلَّهِ) ساقطة

المَعْهُودَةِ عِنْدَكُمْ، وَكَانَ كَثِيرَ الأَهْلِ وَالعِيَالِ، وَصَرَفَ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِثْقَالاً أَجْزَأَهُ وَلَمْ يُطَالَبْ بِحُقُوقِ المَالِ فِي شَيْءٍ،

فَإِنْ زَادَ وَأَعْطَى كُلَّ يَوْمٍ مِثْقَالَيْنِ، فَقَدْ أَكْثَرَ العَطَاءَ، وَإِنْ زَادَ عَلَى مِثْقَالَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَدْ خَرَجَ إِلَى التَّبْذِيرِ، وَهَذَا فِي غَيْرِ سَائِلٍ أَتَاكَ جَائِعاً، يَطْلُبُ خُبْزَةً أَوْ خُبْزَتَيْنِ يَأْكُلُهُمَا، مِنْ وَاحِدٍ إِلَى اثْنَيْنِ إِلَى ثَلَاثَةٍ، فَلَا سَبِيلَ لِرَدِّهِمْ، وَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِيمَا تَمْنَعُهُ مِنَ الإِعْطَاءِ. فَإِنْ جَاءَكَ مَا يَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَقُلْ لَهُمْ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، فَإِنْ ذَكَرَ لَكَ[1] وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَجْهَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطِهِ مِنْ أُوْقِيَةٍ إِلَى أُوْقِيَتَيْنِ، وَلَا عَلَيْكَ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ.

فَاحْفَظْ هَذَا القَدْرَ **وَاعْتَنِ بِتَحْصِينِ مَالِكَ مِنَ التَّلَفِ**، فَإِنَّ مَالَكَ بِهِ تَصُونُ[2] إِيمَانَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ أَتْلَفْتَهُ أَتْلَفْتَ إِيمَانَكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِي الخَبَرِ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَصْلُحُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِالغِنَى، وَلَوْ افْتَقَرَ لَكَفَرَ. وَلَعَلَّهُ يُقَصُّ عَلَيْكَ حِكَايَةُ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ وَإِفْرَاطِهِمْ فِي إِعْطَاءِ المَالِ، حَتَّى تَفْرُغَ أَيْدِيهِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَلَباً لِتَأَسِّيكَ بِهِمْ، وَلَا يَقُصُّ عَلَيْكَ هَذَا إِلَّا جَاهِلٌ بِالوَقْتِ وَتَصَارِيفِهِ، وَجَاهِلٌ بِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَأُصُولِهِ،

فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَلَا تُبَالِ بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُنُودِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّ الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَذْكُرُهُمْ لَكَ، غَرْقَى فِي بِحَارِ اليَقِينِ وَالتَّوْحِيدِ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَخْطُرُ فِي قُلُوبِهِمْ غَيْرُهُ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ لِغَيْرِهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، لِأَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ أَصْحَابُ عِنَايَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الحَقِّ بِهِمْ لَا يَتْرُكُهُمْ فَارِغِينَ، بَلْ يَسُوقُ إِلَيْهِمْ الأَمْوَالَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، عَلَى رِضَا الخَلْقِ أَوْ كُرْهٍ مِنْهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَعْلَمُونَ مِنْهُ[3] لِغَامِضِ العِلْمِ اللَّدُنِّي الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ، أَنَّ كُلَّ مَا يُحِبُّ مِنْهُمْ فَرْغُهُمْ

---

[1]- ك: (لك) ساقطة

[2]- ع ح ي: يصون ـ ل: يصان

[3]- ك: (منه) ساقطة

مِنَ الدُّنْيَا وَتَفْرِيقُهَا عَنْهُمْ، وَيَهَبُ لَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَاليَقِينِ، عِنْدَمَا تَشْتَدُّ بِهِمْ الحَاجَةُ إِلَى المَالِ فِي نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ، حَتَّى لَا يُحِسَّ بِأَلَمِ ذَلِكَ الاحْتِيَاجِ.

وَأَصْحَابُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ لَا يُلَامُ أَحَدُهُمْ فِي تَفْرِيقِ الدُّنْيَا كُلِّهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ فَلَيْسَتْ لَكُمْ تِلْكَ القُوَى، وَاعْرِفْ المَرْتَبَةَ الَّتِي أَقَامَكَ اللَّهُ فِيهَا. وَقِفْ عِنْدَ حَدِّهَا وَتَصَرَّفْ فِي أَحْكَامِهَا، **وَلَا تُزِفَّ[1] بِنَفْسِكَ إِلَى مَرَاتِبِ أَهْلِ الخُصُوصِ، إِذْ لَيْسَتْ لَكَ قُوَّتُهُمْ وَلَا يَقِينُهُمْ**. وَقَدْ قِيلَ فِي المَثَلِ النَّمْلَةُ لَا تَحْمِلُ حَمْلَ الجَمَلِ، فَإِنْ أَرَادَتْ التَّعَدِّي إِلَيْهِ تَخَطَّتْ طُورَهَا، وَلَا قُوَّةَ لَهَا عَلَى مَا تُرِيدُهُ،

وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَعَنَهُ اللَّهُ مَكْراً خَفِيّاً بِصَاحِبِ المَالِ، إِذَا رَآهُ تَقِيّاً مُقِيماً لِأَمْرِ رَبِّهِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، كَافّاً كَثِيراً مِنْ شَرِّهِ، مُنْغَمِساً فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ التَّقْوَى، وَيَرَاهُ فِي ذَلِكَ مُطْمَئِنّاً بِمَالِهِ لَا يَنْزَعِجُ، فَيَأْتِيهِ اللَّعِينُ بِمَكْرِهِ الخَفِيِّ، وَيَسُوقُ النَّاسَ إِلَيْهِ لِطَلَبِ العَطَاءِ لِلَّهِ، وَيُخَوِّفُهُ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَنْعِهِ لَهُمْ يَقُولُ[2] فِي قَلْبِهِ: إِنْ رَدَدْتَ هَؤُلَاءِ سَخِطَ اللَّهُ[3] عَلَيْكَ أَوْ سَلَبَكَ نِعْمَتَهُ، وَلَا يَزَالُ يَسْتَدْرِجُهُ فِي مِثْلِ هَذَا، وَقَصْدُهُ أَنْ يُفَرِّقَ عَنْهُ المَالَ، لِيُذْهِبَ دِينَهُ وَإِيمَانَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُفَّ عَنْهُ، حَتَّى يُفَرِّقَ جَمِيعَ مَالِهِ.

فَإِذَا فَرَّقَهُ وَقَعَ التَّشْوِيشُ فِي قَلْبِهِ، فَيُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ نَفَقَتَهُ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُهَا فِي سَعَةِ[4] اتِّسَاعِ المَالِ، فَلَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهَا، فَيَقَعُ التَّشْوِيشُ وَالتَّرْوِيعُ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ، طَلَباً لِمَا اعْتَادُوهُ مِنْ اتِّسَاعِ النَّفَقَةِ، فَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا آلَ الأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ إِلَى اتِّسَاعِ السَّخَطِ وَالغَضَبِ وَالعَدَاوَةِ، فَيَكْثُرُ عَلَيْهِ الضِّيقُ وَالغَيْظُ، فَلَا يَجِدُ وَقْتاً يَذْكُرُ فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يُؤَدِّي فِيهِ أَمْراً مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَرُبَّمَا أَضَاعَ عَلَيْهِ فَرْضَ الصَّلَاةِ، فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى أَخْذِ الدَّيْنِ

---

[1]- ك ي: ولا ترق

[2]- ك ي: يقول له

[3]- ع: (اللَّهُ) ساقطة

[4]- ك: في حالة سعة. ل: (سعة) ساقطة

مِنَ النَّاسِ وَإِتْلَافِهِ فِي النَّفَقَةِ، فَعَنْ قَرِيبٍ يَحُلُّ بِهِ البَلَاءُ وَالوَبَلُ[1] مِنْ عَدَمِ وُجُودِهِ مَا يَقْضِي بِهِ دَيْنَ النَّاسِ، وَيُصْبِحُ فِي زُمْرَةِ الهَالِكِينَ. فَقَدْ تَلَفَ دِينُهُ وَعَقْلُهُ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ. فَهَذَا مُرَادُ الشَّيْطَانِ مِنْهُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ مِنَ الإِعْطَاءِ لِلَّهِ وَعَدَمِ المَنْعِ، فَاحْذَرْ هَذَا المَكْرَ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ فِيهِ[2] كِفَايَةٌ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِ أَوْرَادِكَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَأْتِيَ بِالفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ الخ، مِائَتَيْنِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، زَائِدَةً عَلَى مَا فِي الوِرْدِ المَعْلُومِ، وَاجْعَلْ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ مِنْ قَوْلِكَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِلْءَ مَا عَلِمَ، وَعَدَدَ مَا عَلِمَ، وَزِنَةَ مَا عَلِمَ، فَمَرَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذَا التَّسْبِيحِ، أَفْضَلُ مِنْ اسْتِغْرَاقِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى،

وَاتْرُكْ عَنْكَ تِلْكَ الأَذْكَارَ مَعَ الفَاتِحَةِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ، وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عِشْرِينَ مَرَّةً مِنْ قَوْلِكَ هَذَا الدُّعَاءَ وَهُوَ: يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ، وَسَتَرَ القَبِيحَ، وَلَمْ يُوَاخِذْ بِالجَرِيرَةِ، وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ، يَا عَظِيمَ العَفْوِ، وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، وَيَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ، وَيَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى، وَيَا كَرِيمَ الصَّفْحِ، وَيَا عَظِيمَ المَنِّ، وَيَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبِّ وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلَايَ وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي، أَسْأَلُكَ أَنْ لَا[3] تُشَوِّهَ خِلْقَتِي بِبَلَاءِ الدُّنْيَا وَلَا بِعَذَابِ النَّارِ. إهـ.. وَاجْعَلْهَا مُتَفَرِّقَةً أَوْ مَجْمُوعَةً، وَحَضِّرْ قَلْبَكَ عِنْدَ التِّلَاوَةِ قَدْرَ مَا تُطِيقُ، فَإِنَّ الحُضُورَ هُوَ رُوحُ الأَعْمَالِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ أَتَى بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَتَيْتُكَ بِهَدِيَّةٍ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تِلْكَ الهَدِيَّةُ يَا جِبْرِيلُ: فَذَكَرَ

---

[1]- ك: والوبال ـ ل: والويل

[2]- ح: (فِيهِ) ساقطة ـ ل: (لك فيه) ساقطة

[3]- ع ك: ألا

لَهُ هَذَا الدُّعَاءَ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ثَوَابُ مَنْ قَرَأَ هَذَا الدُّعَاءَ؟ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: لَوِ اجْتَمَعَتْ مَلَائِكَةُ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ مَا وَصَفُوهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَصِفُ مَا لَا يَصِفُهُ الآخَرُ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ،

وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِيهِ: أُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ مَا خَلَقْتُ فِي سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَفِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَفِي العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ، وَعَدَدَ قَطْرِ المَطَرِ وَالبِحَارِ، وَعَدَدَ الحَصَا وَالرَّمْلِ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا أَيْضاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِ ثَوَابَ جَمِيعِ الخَلَائِقِ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا أَيْضاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى[1] يُعْطِيهِ ثَوَابَ سَبْعِينَ نَبِيئاً كُلُّهُمْ بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ثَابِتٌ فِي صَحِيفَةِ عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَدُّهُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ العَاصِي مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. صَحَّحَهُ الحَاكِمُ، وَقَالَ: رُوَاتُهُ كُلُّهُمْ مَدَنِيُّونَ.

وَاتْرُكْ عَنْكَ جَمِيعَ الأَذْكَارِ، فَلَوْ ذَكَرْتَ أَذْكَارَكَ الَّتِي تَذْكُرُ مِائَةَ أَلْفِ عَامٍ مِنْ غَيْرِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ لَمْ تَبْلُغْ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْهَا، فَفِيهَا كِفَايَةٌ عَنْ جَمِيعِ الأَذْكَارِ. **وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ تَفَرُّغِ قَلْبِكَ إِلَى الاشْتِغَالِ بِاللَّهِ** وَعَدَمِ المُبَالَاةِ بِسِوَاهُ، **فَاعْلَمْ** أَنَّ لِذَلِكَ وَقْتاً وَأَجَلاً لَيْسَ هَذَا وَقْتُهُ. **وَاعْلَمْ** أَنَّ ذِكْرَكَ لِلْفَاتِحَةِ بِنِيَّةِ كَذَا وَكَذَا، يُغْنِيكَ عَنْ جَمِيعِ الأُمُورِ، وَكُلُّ العِبَادَاتِ إِذَا جُمِعَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ. وَلَازِمْ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ فَلَوْ اجْتَمَعَتْ عِبَادَةُ جَمِيعِ العَارِفِينَ، مَا بَلَغُوا مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْهَا.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَجَمِيعِ مُتَعَلِّقَاتِكُمْ، أَنْ يَجْعَلَكُمْ فِي كَفَالَةِ اللَّهِ وَكَفَالَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[2] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ.

---

[1]- ح: (تَعَالَى) ساقطة

[2]- ع ك: وعلى آله

وَكَتَبَ هُنَا فِي هَذَا المَحَلِّ بِخَطِّهِ الشَّرِيفِ قَالَ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي، كُلُّ مَا كُتِبَ فِي هَذَا الكِتَابِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، كُلُّهُ بِإِمْلَائِنَا عَلَى الكَاتِبِ حَرْفاً حَرْفاً، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ كَافَّةَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرَهُمْ وَنَصُّ الوَصِيَّةِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **وَصِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ نَصِيحَةَ نَفْسِهِ وَنَصِيحَةَ رَبِّهِ** الجَارِيَةَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلِكِتَابِهِ وَلِعَامَّةِ المُؤْمِنِينَ وَخَاصَّتِهِمْ". فَأَوَّلُ ذَلِكَ **تَقْوَى اللَّهِ** الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الوَاقِعَةُ فِي وَصِيَّةِ عَلِيٍّ لِأَوْلَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ يَا بَنِيَّ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ العَظِيمِ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةِ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَالعَدْلِ عَلَى الصَّدِيقِ وَالعَدُوِّ، وَالقَصْدِ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ،

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ **الفَزَعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى**، وَاللَّجْإِ إِلَيْهِ مِنْ ضَغْطِ كُلِّ لَاحِقٍ مِنَ الأُمُورِ، **وَتَعَلُّقِ القَلْبِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَةِ صَاحِبِهِ، **وَالحَيَاءِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الجَارِي عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ قَالُوا إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الحَيَاءَ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَا، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ ".

وَهَذَا الحَيَاءُ الَّذِي خَاطَبَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِطَابَ العَامَّةِ، **وَأَمَّا الحَيَاءُ فِي حَقِّ الصِّدِّيقِينَ**، فَهُوَ إِطْرَاقُ الرُّوحِ مِنْ هَيْبَةِ الجَلَالِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ العَارِفِينَ:

أَشْتَاقُهُ فَإِذَا بَدَا * أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خِيفَةً بَلْ هَيْبَةً * وَصِيَانَةً لِجَمَالِهِ

وَأَصُدُّ عَنْهُ تَجَلُّداً * وَأَرُومُ طَيْفَ خَيَالِهِ
فَالمَوْتُ فِي إِدْبَارِهِ * وَالعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ

إهـ[1]

وَكَمَا قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سُبْحَانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالعُيُونِ لَهُ * عَلَى شَفَا الشَّوْكِ وَالمُحْمَى مِنَ الإِبَرِ
لَمْ تَبْلُغِ[2] العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ نِعْمَتِهِ * وَلَا العُشَيْرَ وَلَا عُشْراً مِنَ العُشُرِ

ثُمَّ أَنْشَدَ بَعْدَهَا[3] أَبْيَاتاً وَغَابَ[4] فِي وَسَطِ الخَلْقِ، وَكَانَ فِي مَوْقِفِ عَرَفَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ الخَوَاصِّ، وَلَهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ حَيَاءُ العَارِفِينَ، ثُمَّ **التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى** بِمَحْوِ العَلَائِقِ وَقَطْعِ العَوَائِقِ، وَتَرْكِ المُلَابَسَاتِ وَالمُسَاكَنَاتِ وَالمُلَاحَظَاتِ، لَا لِغَرَضٍ وَلَا لِتَخَتُّلٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ قِيَاماً بِحَقِّ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَحُبّاً لِذَاتِهِ.

لَكِنْ كُلُّ شَخْصٍ فِي هَذَا عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ وَرُتْبَتِهِ، **وَمَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ مُخَالَفَةِ هَذَا الأَمْرِ،** فَلْيَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى **بِالضَّرَاعَةِ وَالابْتِهَالِ،** وَالاسْتِغْفَارِ وَالانْكِسَارِ وَالتَّذَلُّلِ وَالاحْتِقَارِ، مُعْتَرِفاً بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ، ثُمَّ الوُقُوفُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِلُزُومِ الذُّلِّ وَالمَسْكَنَةِ فِي مَرْكَزِ الافْتِقَارِ وَالاضْطِرَارِ، **وَخَوْفِ القَلْبِ مِنْ مُزْعِجَاتِ سَطْوَتِهِ، وَفَرَقاً مِنْ خَفِيِّ مَكْرِهِ. وَلُزُومُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ** لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكُلِّ وَاقِعٍ فِي الوُجُودِ

---

[1]- ح ع ل ي: (إهـ) ساقطة
[2]- ك ل ي: لم نبلغ
[3]- ع ل: بعد هذا
[4]- ك: وكان

بِلَا انْزِعَاجٍ وَلَا اضْطِرَابٍ، وَلَا طَلَباً لِزَوَالِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَفْعَالِ نَفْسِهِ، **فَلْيُبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ** فِيمَا وَقَعَ مِنْ خُرُوجِ أَفْعَالِهِ عَنِ الشَّرْعِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ البَقَاءُ فِي مُلَابَسَتِهِ شَرْعاً، وَإِنْ لَمْ[1] يَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ فَلَا عُذْرَ لَهُ فِي تَرْكِ التَّوْبَةِ.

وَلْيَعْمَلْ بَعْضاً مِنْ أَوْقَاتِهِ، فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ **النَّفْعِ لِعِبَادِ اللَّهِ** لَا عُمُوماً، بَلْ خُصُوصاً الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، **وَلْيَكُنْ شَدِيدَ الاهْتِمَامِ مِنْ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ فِي طَرِيقَتِهِ، الَّتِي لَا يُمْكِنُهُ التَّأَخُّرُ عَنْهَا،** لَكِنْ مُلَازَمَةَ الوَاجِبِ مِنْهَا فَقَطْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَهَا هَجِيرَاهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَوْقَاتاً يَخْلُوا فِيهَا بِرَبِّهِ[2]، لَا يُمْكِنُهُ التَّأَخُّرُ عَنْهَا، وَالاشْتِغَالُ عَنْهَا، وَأَوْقَاتاً يُجَالِسُ فِيهَا إِخْوَانَهُ فِي الطَّرِيقَةِ لِلَّهِ تَعَالَى لِتَذْكِيرٍ أَوْ تَعْلِيمٍ أَوْ اسْتِفَادَةٍ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ.

ثُمَّ لِيَتَحَيَّنَ فِي خَلْوَتِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى الأَوْقَاتَ الفَاضِلَةَ، كَوَسَطِ اللَّيْلِ بَعْدَ نَوْمِ النَّاسِ إِلَى طُلُوعِ الفَجْرِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى، وَبَعْدَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى صَلَاةِ العِشَاءِ، عَامِلاً فِي ذَلِكَ بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّقْرِيبِ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَمَا[3] يُوجِبُ لِلنَّفْسِ كَسَلاً وَلَا ضَجَراً، جَارِياً عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَبِشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَتَوَغَّلْ[4] فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أَبْقَى" الحَدِيثُ. وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا" **وَلْيَحْذَرْ**

---

[1]- ك ي: (لم) ساقطة

[2]- ع: لربه.

[3]- ك ل ي: ولا

[4]- ك ل: فأَوْغِل

كُلَّ الحَذَرِ مِنَ المَجَالِسِ وَمَآخِذِ العِلْمِ، الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الدُّخُولِ فِي مَدَاخِلِ العَامَّةِ أَوْ الأَحْوَالِ المَخْزَنِيَّةِ.

فَإِنَّ مَنْ تَبِعَ ذَلِكَ لَا يُفْلِحُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، وَلْيَكُنْ اهْتِمَامُهُ بِالأَخْذِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَلَا يَجْعَلْ لِإِخْوَانِهِ فِي مَنَافِعِهِمْ إِنْ أُهِّلَ لِذَلِكَ إِلَّا مَا فَضَلَ عَنْ أَوْقَاتِهِ. قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ فَقَالَ: حَسَنٌ[1] وَلَكِنْ اعْرِفْ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَى مَسَائِكَ فَالْزَمْهُ، فَإِنَّهُ آكَدُ عَلَى لَوَازِمِ الشَّخْصِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يُطَالِبُهُ اللَّهُ بِهَا وَلَا يُسَامِحُهُ فِي تَرْكِهَا،

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ مُتَعَلِّلاً بِطَلَبِ العِلْمِ، فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، وَالقَوْلُ الحَقُّ فِي ذَلِكَ، **فَلَيْسَ لَكَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** فَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِغَيْرِهِ، وَلَا تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ إِلَى سِوَاهُ مُنْتَجَعاً، وَلَا إِلَى الإِعْرَاضِ عَنْ بَابِهِ تَعَلُّلاً، وَلَا عَنِ الانْحِيَاشِ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالمَضَائِقِ وَالكُرُوبِ مَلْجَأً، وَلَا فِي الرَّخَاءِ وَتَوَاتُرِ النِّعَمِ عَنْ مُرَاعَاةِ شُكْرِهِ مَصْرِفاً.

وَلْيَكُنْ الأَمْرُ فِي ذَلِكَ جَارِياً عَلَى قَوْلِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي: أَوْقَاتُ العَبْدِ أَرْبَعَةٌ لَا خَامِسَ لَهَا وَهِيَ: **إِمَّا أَنْ تَكُونَ** فِي وَقْتِ نِعْمَةٍ، فَمُقْتَضَى الحَقِّ مِنْكَ وُجُودُ الشُّكْرِ، **أَوْ تَكُونَ** فِي وَقْتِ شِدَّةٍ، فَمُقْتَضَى الحَقِّ مِنْكَ وُجُودُ الصَّبْرِ، **أَوْ تَكُونَ** فِي وَقْتِ مَعْصِيَةٍ، فَمُقْتَضَى الحَقِّ مِنْكَ وُجُودُ التَّوْبَةِ، **أَوْ تَكُونَ** فِي وَقْتِ طَاعَةٍ، فَمُقْتَضَى الحَقِّ مِنْكَ شُهُودُ المِنَّةِ.

وَهَذِهِ الحُدُودُ الَّتِي ذَكَرَهَا، فِيهَا اسْتِغْرَاقُ أَوْقَاتِ العَبْدِ كُلِّهَا، وَهِيَ المَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ) ثُمَّ سَكَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الجَالِسِينَ: مَاذَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (**أُولَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**)[2] أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ لَهُمُ الأَمْنُ يَعْنِي لَهُمْ

---

[1]- ع: (حَسَنٌ) ساقطة

[2]- سورة الأنعام، الآية 82

الأَمْنُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الآخِرَةِ وَهُمْ مُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَلْيَكُنْ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ، أَنْ يَكُونَ خَالِصاً لِلَّهِ لَا يُخَالِطُهُ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذِهِ الوَصِيَّةُ لِأَصْحَابِ الحِجَابِ. **وَأَمَّا مَنْ صَفَتْ لَهُ المَعَارِفُ** حَتَّى رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِيهَا، فَهُوَ مَعَ مَا يُعْطِيهِ وَقْتُهُ وَحَالُهُ وَمَقَامُهُ، وَتَجَلِّيهِ لَيْسَ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ أَخْبَارٌ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ، وَالسَّلَامُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِمْلَائِهِ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَعْضِ الأُمَرَاءِ وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مِثْلِ جَمِيعِ مَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فِي حَضْرَةِ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ مِنْ حَيْثُ لَا اطِّلَاعَ لِغَيْرِهِ عَلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ ، وَتَعَالَى عِزُّهُ، وَتَقَدَّسَ مَجْدُهُ وَكَرَمُهُ، يَصِلُ الكِتَابُ إِلَى الدُّرَّةِ اليَتِيمَةِ ، وَالنَّسْمَةِ الكَرِيمَةِ، ذِي الأَوْصَافِ الجَلِيلَةِ شَرَفاً، وَالأَخْلَاقِ البَهِيَّةِ تَرَفاً، وَالجَوَانِبِ الوَاسِعَةِ كَنَفاً،

الجَوْهَرَةِ الَّتِي انْطَبَقَتْ عَلَيْهَا أَفْرَادُ الأَحْيَاءِ[1] صَدَفاً، حُلْوِ الشَّمَائِلِ، كَرِيمِ الأَخْلَاقِ وَالفَضَائِلِ، الحَائِزِ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى مَلَاكِ كُلِّ غَالِي، وَالمُرْتَفِعِ فِي أَوْجِ العِزِّ إِلَى مُعَانَقَةِ المَعَالِي، رَافِعِ رَايَةِ العُلَى وَالكَرَمِ، وَالسَّامِي بِعُلُوِّ هِمَّتِهِ عَنْ مَوَاقِفِ الذُّلِّ وَالتُّهَمِ، مَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مِنَ اللَّهِ جُنُودُ العِزِّ وَالتَّأْيِيدِ، وَأَهْرَعَتْ إِلَى حِمَاهُ سَوَابِقُ الجَلَالَةِ وَالتَّفْرِيدِ، مَنْ طَلَعَتْ شَمْسُ سَعْدِهِ فِي سَمَاءِ المَجْدِ وَالعُلَى، وَضِيَاءُ بَدْرِهِ فِي غَيَاهِبِ الوَقْتِ قَدْ تَجَلَّى، أَعْنِي بِذَلِكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، خَلِيفَةَ رَبِّ العَالَمِينَ، سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا فُلَاناً[2] بْنَ فُلَانٍ[3] الشَّرِيفَ الأَصِيلَ المَاجِدَ الأَثِيلَ. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، مِنْ كَاتِبِهِ إِلَيْكُمْ العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي الحَسَنِي.

---

[1]- ك: أحياء الأفراد

[2]- ع ك ي: فلان

[3]- المقصود بهذه الرسالة هو السلطان سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا سُلَيْمَانُ بْنُ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رضي الله عنه.

هَذَا **وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ،** وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، أَنْ يُدِيمَ عَلَى سَيِّدِنَا عَوَاصِفَ رِيَاحِ نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَأَنْ يَحُلَّهُ فِي[1] رِيَاضِ الهُدَى مَحَلَّ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَأَنْ يَمْلَأَ قَلْبَهُ بِالخَوْفِ مِنَ اللَّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ. فَإِنَّ تِلْكَ المَرْتَبَةَ مَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا بِهَا، وَلَا فَازَ بِرِضَا اللَّهِ مَنْ فَازَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا بِهَا. وَيَا لَهَا مِنْ مَرْتَبَةٍ تَرْقَى بِالعَبْدِ إِلَى أَوْجِ مَلَاكِ المَعَالِي، وَتُطَهِّرُهُ مِنْ رَذَائِلِ الأَخْلَاقِ الَّتِي تَهْبِطُ بِهِ إِلَى حَضِيضِ الإِتِّصَافِ بِالأَوْصَافِ الرَّدِيَّةِ البَوَالِي، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَبَعْدُ، فَالَّذِي أُوصِيكَ بِهِ كُلَّ الوَصِيَّةِ، بَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ مَنْ خَالَفَهَا هَلَكَ، وَهُوَ الكَتْمُ عَمَّا ذَكَرْنَاهُ لَكَ قَبْلُ، ثُمَّ الكَتْمُ مُطْلَقاً مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ. **فَالأَسْرَارُ قُبُورُهَا صُدُورُ الأَحْرَارِ.** وَالأَسْرَارُ قُبُورُهَا صُدُورُ الأَخْيَارِ. وَالأَسْرَارُ قُبُورُهَا صُدُورُ الكِبَارِ. قَالَ بَعْضُ الكِبَارِ:

السِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ * ضَاعَتْ مَفَاتِحُهُ[2] وَالبَابُ[3] مَقْفُولُ
وَلَيْسَ يَكْتُمُ سِرّاً غَيْرُ ذِي[4] كَرَمٍ * وَالسِّرُّ عِنْدَ لِئَامِ النَّاسِ مَبْذُولُ

وَالَّذِي[5] تَسْمَعُ فِي الوَصِيَّةِ أَنَّهُ مَا اسْتَغْنَى عَنِ الوَصِيَّةِ غَيْرُهُ[6] لَا كَرِيمٌ وَلَا كَامِلٌ . **اعْلَمْ** أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ خَلْقِهِ، وَائْتَمَنَكَ عَلَى بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ. فَأَنْتَ أَمِينٌ مِنْ أُمَنَاءِ اللَّهِ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ أَمَانَتِهِ، وَعَنْ مَا فَعَلْتَ فِيهَا. فَاحْذَرْ مِنَ اللَّهِ

---

[1]- ك ي: من
[2]- ك: مفاتيحه
[3]- ك ي: والبيت
[4]- ع ك ي: إلا ذو
[5]- ع: والتي
[6]- ك ي: من غيره

أَنْ يَجِدَكَ فَرَّطْتَ أَوْ اشْتَغَلْتَ عَنْ أَمْرِهِ بِلَعِبٍ. لَكِنَّ تَكْمِيلَ الأَمْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لَا يُسْتَطَاعُ بِحُكْمِ الوَقْتِ وَالحَالِ، وَعَدَمِ المُسَاعِفِ وَعَدَمِ القَابِلِيَّةِ فِي الخَلْقِ. لَكِنْ لِيَكُنْ سَيْرُكَ عَلَى حَدِّ (قَوْلِهِ تَعَالَى **(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)**[1]، وَعَلَى حَدِّ[2])[3] قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا".

وَأُحَذِّرُكَ بِمَا سَمِعْتَ مِنَ الخُصُوصِيَةِ الَّتِي أُعْطِيتَهَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى. **فَلَا تَأْمَنْ مَكْرَ اللَّهِ** فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **(فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)**[4]. فَإِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَرَاءِ خُصُوصِيَتِهِ مَكْراً وَتَدْبِيراً وَغَيْرَةً يُؤَاخِذُ عَبْدَهُ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَظُنُّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الخُصُوصِيَةِ.

وَأُوصِيكَ بِالضُّعَفَاءِ[5] مِنَ الخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ. فَعَلَى قَدْرِ اعْتِنَائِكَ بِهِمْ بِهِمْ تَرْتَفِعُ رُتْبَتُكَ عِنْدَ اللَّهِ. **وَأُوصِيكَ بِالمَظْلُومِينَ**، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا مَعْنَاهُ "مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ مُلْكاً فَأَتَاهُ ذَوُو الحَاجَاتِ فَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ[6]، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْ[7] حَاجَتِهِ" الحَدِيثُ. وَمَعْنَاهُ إِنْ احْتَاجَ إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرٍ نَزَلَ بِهِ، فَرَفَعَ حَاجَتَهُ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغِيثاً مِمَّا نَزَلَ بِهِ، احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْ حَاجَتِهِ. فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَلَا يَعْبأُ بِدُعَائِهِ وَاسْتِغَاثَتِهِ. فَاللَّهَ اللَّهَ دَبِّرْ كَيْفَ تُرْضِي رَبَّكَ فِي حَوَائِجِ المَظْلُومِينَ، فَلَا تَتَغَافَلْ وَلَا

---

[1] - سورة التغابن، الآية 16

[2] - ع: (حد) ساقطة

[3] - ي: ما بين القوسين محذوف

[4] - سورة الأعراف، الآية 99

[5] - ع ك ي: في الضعفاء

[6] - ك: منهم

[7] - ك ي: من

تُفْرِطْ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ[1]. وَالسَّلَامُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.[2]

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ: وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ تَعَلَّقَ قَلْبِك بِمَا سَمِعْت وُقُوعَهُ لِفُلَانٍ ظَنّاً مِنْكَ أَنِّي آثَرْتُهُ عَلَيْك فَاعْلَمْ أَنِّي لَمْ يَقَعْ مِنِّي شَيْءٌ، لَكِنِّي أُخْبِرُك بِأَمْرٍ لَا عِلْمَ بِهِ لِأَحَدٍ هُوَ أَنَّ لِلَّهِ[3] نَفَحَاتٌ وَتَوَقُّعَاتٌ مِنَ الغَيْبِ يَهَبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَبْعَثُ تِلْكَ النَّفَحَاتِ عَلَى أَيْدِي صُوَرٍ مِنَ الغَيْبِ يُظْهِرُهَا اللَّهُ مُتَصَوِّرَةً فِي صُورَةِ بَعْضِ الأَوْلِيَاءِ الأَحْيَاءِ أَوْ الأَمْوَاتِ،

تُلْقِي تِلْكَ الصُّوَرُ بَعْضَ الأَسْرَارِ الَّتِي يَقَعُ عَنْهَا الفِعْلُ أَوْ الانْفِعَالُ أَوْ بَعْضُ النَّفَحَاتِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ فِي النَّوْمِ أَوْ اليَقَظَةِ، فَيَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ، وَيَرَاهَا أَيْ الصُّورَةَ فِي صُورَةِ وَلِيٍّ يَعْرِفُهُ فَيَقُولُ مَنْ نَالَ ذَلِكَ: أَعْطَانِي سَيِّدِي فُلَانٌ السِّرَّ وَلَا عِلْمَ لِذَلِكَ الوَلِيِّ بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، ثُمَّ إِنَّ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ شَرْطُ انْتِفَاعِهِ أَنْ يَدُومَ اعْتِقَادُهُ وَتَعْظِيمُهُ لِذَلِكَ الوَلِيِّ الَّذِي وَقَعَتْ الصُّورَةُ عَلَى صُورَتِهِ،

فَإِنْ سَاءَ اعْتِقَادُهُ فِي ذَلِكَ الوَلِيِّ الَّذِي جَاءَتْهُ الصُّورَةُ عَلَى صُورَتِهِ أَوْ نَقَصَ تَعْظِيمُهُ مِنْ[4] مِنْ[4] قَلْبِهِ سَلَبَهُ اللَّهُ سِرَّهُ، وَتَحَوَّلَتْ عَنْهُ تِلْكَ الصُّورَةُ فَلَا تَأْتِيهِ أَبَداً وَلَا يَنَالُ سِرّاً أَبَداً وَبَقِيَ فِي ذُلٍّ وَإِهَانَةٍ. انْتَهَى وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.[5] 5

---

[1] - ك: (وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) ساقطة

[2] - ح ل: هذه الرسالة المبعوثة منه رضي الله عنه إلى بعض الأمراء ساقطة برمتها

[3] - ع: هو لله

[4] - ع: في

[5] - ح ل: هذه الرسالة المبعوثة منه رضي الله عنه إلى بعض أصحابه ساقطة برمتها

وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ بِتُونُسَ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدُ نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْكَ اللُّطْفَ وَالرَّاحَةَ مِمَّا تَشْتَكِي مِنْهُ. وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْظُرَ فِيكَ بِعَيْنِ اللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالمُعَافَاةِ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَأَنْ يُبَلِّغَكَ جَمِيعَ الآمَالِ، وَأَنْ يَتَكَفَّلَ بِقَضَاءِ جَمِيعِ حَوَائِجِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَنَسْأَلُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُفِيضَ عَلَيْكَ بُحُورَ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يُفِيضَ عَلَيْكَ بُحُورَ رِضَاهُ وَفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ آمِينَ.

وَأَمَّا مَا كَتَبْتَهُ لِي وَأَخْبَرْتَنِي بِهِ مِنْ تَصَرُّفَاتِ الأَوْلِيَاءِ السَّابِقِينَ، طَالِباً[1] مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ فِي ضَرَرِكَ مِثْلَ ذَلِكَ كَيْ تَسْتَرِيحَ، فَالجَوَابُ أَنَّ أَحْوَالَ الأَوْلِيَاءِ لَا تَجْرِي عَلَى قَانُونٍ وَاحِدٍ، وَلَا فِي سَبِيلٍ وَاحِدٍ، وَلَا حَيْثُ كُلِّ مَا أَرَادُوا. بَلْ الأَمْرُ فِي ذَلِكَ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ، جَارٍ[2] عَلَى قَانُونِ مَشِيئَتِهِ. فَمَا قَامَ وَلِيٌّ فِي أَمْرٍ بِاخْتِيَارِهِ، وَلَا تَصَرَّفَ وَلِيٌّ فِي شَيْءٍ بِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ. بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ جَارٍ عَلَى حُكْمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى[3].

فَإِنَّهُ هُوَ الفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ. فَكَمْ مِنْ وَلِيٍّ يَجْرِي فِي إِظْهَارِ الكَرَامَاتِ عَلَى القَانُونِ الَّذِي تَعْلَمُهُ العَامَّةُ حَيْثُ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، وَكَمْ مِنْ وَلِيٍّ عَظِيمِ القَدْرِ عَالِي المَقَامِ قَدْ أَدْبَرَ عَنِ[4] الكَوْنِ بِاللَّهِ بِحَيْثُ أَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ. فَإِذَا أَرَادَ التَّصَرُّفَ وَإِظْهَارَ الكَرَامَةِ عَلَى حَدِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ لِلْأَوْلِيَاءِ، مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ بِحُكْمِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لِأَمْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ.

قَالَ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ مَشَى بِاليَقِينِ رِجَالٌ عَلَى المَاءِ، وَمَاتَ بِالعَطَشِ رِجَالٌ أَفْضَلُ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّ الأَمْرَ الَّذِي طَلَبْتَهُ مِنِّي فِي التَّصَرُّفِ فِي زَوَالِ ضَرَرِكَ، لَمْ أَجِدْ إِلَيْهِ

---

[1]- ع ك ي: طلبا

[2]- ع ك ي: جاريا

[3]- ع ك ي: (تَعَالَى) ساقطة

[4]- ع: على

سَبِيلاً وَلَا حِيلَةً وَلَا تَعْوِيلاً. وَكُلٌّ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1]. وَالخَوَاصُّ عَلَى الجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ القِيَاسِ، وَالحُكْمُ لِلَّهِ بِمَشِيئَتِهِ[2] فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ النَّاسِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى مِنْ خَطِّهِ حَرْفاً حَرْفاً مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالسَّلَامُ[3].

الفَصْلُ الخَامِسُ[4]
فِي المَسَائِلِ الفِقْهِيَّةِ وَفَتَاوِيهِ العِلْمِيَّةِ

سُئِلَ سَيِّدُنَا[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ **الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ**. فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: حَقِيقَةُ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ هُوَ خِطَابُ اللَّهِ المُتَعَلِّقُ بِأَحْكَامِ المُكَلَّفِينَ الخ.. فَأَمَّا فِي نُصُوصِ الكُتُبِ الإِلَهِيَةِ فَظَاهِرُ الَّتِي هِيَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ بِذَاتِهِ، مِثْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ الخ.. وَأَمَّا مَا أَمَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ خَارِجاً عَنِ الكُتُبِ، فَالأَمْرُ فِيهِ مُشْكِلٌ، وَزَوَالُ إِشْكَالِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[6].

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 4

[2]- ك: بحكم مشيئته

[3]- ح ل: هذه الرسالة المبعوثة منه رضي الله عنه إلى بعض أصحابه بتونس ساقطة برمتها.

[4]- ح ل: هذا الفصل سقط برمته، وذكر مكانه سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه في نسخته المباركة "ح" بضع فقرات من الجزء الأول، ثم انتقل إلى الباب السادس في جملة من كراماته .

[5]- ع: (سيدنا) ساقطة

[6]- سورة النساء، الآية 64

وَقَوْلُهُ: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[1]. وَقَوْلُهُ: (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)[2]. وَقَوْلُهُ: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ). إِلَى أَنْ قَالَ (وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ)[3].

فَهَذِهِ الآيَاتُ مُصَرِّحَةٌ بِأَنَّ أَمْرَ الرَّسُولِ هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ. كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**)[4]. ثُمَّ إِنْشَاءُ الرَّسُولِ لِلْحُكْمِ الَّذِي لَيْسَ هُوَ فِي الكِتَابِ المَبْعُوثِ، هُوَ أَمْرٌ إِلَهِي لَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، **وَأَخْذُهُ لِلْحُكْمِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** بِأَحَدِ أُمُورٍ، **إِمَّا مِنْ طَرِيقِ**[5] **النِّسَبِ** وَهُوَ أَمْرٌ قَطْعِيٌّ، **وَإِمَّا مِنْ طَرِيقِ الأَسْرَارِ** وَهُوَ أَمْرٌ قَطْعِيٌّ أَيْضاً، **وَإِمَّا مِنْ طَرِيقِ الإِلْهَامِ** وَهُوَ قَطْعِيٌّ أَيْضاً، **وَإِمَّا مِنْ طَرِيقِ الوَحْيِ** بِوُرُودِ المَلَكِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّهِ، مُجَرَّداً عَنْ قَوْلِ اللَّهِ الَّذِي تُشَابِهُ[6] الأَمْرَ وَهُوَ قَطْعِيٌّ.

فَأَمَّا النِّسَبُ فَهُوَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِنَّ الحَضْرَةَ الإِلَهِيَةَ[7] كُلَّهَا مُتَنَاسِبَةٌ عَلَى قَانُونٍ لَا تُنَافِرُهُ الحِكْمَةُ، فَلَا يَتَأَتَّى فِي الوُجُودِ مِنْ مِنْ طَرِيقِ الحِكْمَةِ[8] أَنْ تَلِدَ الآدَمِيَّةُ حِمَاراً أَوْ جَمَلاً، وَلَا عَكْسُهُ لِعَدَمِ التَّنَاسُبِ، فَإِنَّ الاقْتِطَاعَ الإِلَهِي، وَإِنْ كَانَ أَمْراً صَادِقاً لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى وُجُودِ شَيْءٍ وَلَا عَدَمِهِ، لِأَنَّهُ اقْتِطَاعٌ بِحُكْمِ المَشِيئَةِ، وَهِيَ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى شَيْءٍ،

---

[1]- سورة النساء، الآية 80

[2]- سورة النور، الآية 54

[3]- سورة النساء، الآية 115

[4]- سورة الحشر، الآية 7

[5]- ك: بطريق

[6]- ك: يشابه. ي: نشأ به

[7]- ع ك ي هـ ق ص: (فَإِنَّ الحَضْرَةَ الإِلَهِيةَ) ساقطة

[8]- ع ك ي هـ ق ص: (فَلَا يَتَأَتَّى فِي الوُجُودِ مِنْ طَرِيقِ الحِكْمَةِ) ساقطة

وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لَهُ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ نِسَباً حِكَمِيّاً، أَنْ لَا يَقَعَ الاقْتِطَاعُ الإِلَهِي إِلَّا فِي قَابِلِيَّةٍ طَبِيعِيَةٍ لَا غَيْرَ، فَإِنَّ الزَّرْعَ مَثَلاً لَا يَصِحُّ زِرَاعَتُهُ عَلَى الحَجَرِ الصَّلْدِ الصَّمَّاءِ، ثُمَّ يَتَخَلَّلُهَا زَرْعاً كَامِلاً، وَيَخْرُجُ كَمَا هُوَ فِي التُّرَابِ الطَّيِّبِ، فَلَا يَتَأَتَّى لِعَدَمِ النِّسْبَةِ القَابِلِيَّةِ لَهُ، وَلَا يَتَأَتَّى مَثَلاً خُرُوجُ الزَّرْعِ بَعْدَ بَذْرِهِ فِي أَرْضٍ، إِلَّا بِتُرَابٍ طَيِّبٍ وَقَذْفِ مَاءٍ أَوْ ثَرَى فِيهِ، ثُمَّ تَنْمِيَةُ الرِّيَاحُ وَالشَّمْسُ لَهُ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ زَرْعاً كَامِلاً، وَبِدُونِ هَذِهِ الأُمُورِ لَا يَخْرُجُ زَرْعاً كَامِلاً، لِعَدَمِ المُنَاسَبَةِ لِفَقْدِ القَابِلِيَّةِ الطَّبِيعِيَةِ. وَهَكَذَا.

وَأَمَّا طَرِيقُ الأَسْرَارِ، فَهُوَ عِلْمٌ ثَابِتٌ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَهْمَا[1] أَمَرَهُمْ اللَّهُ بِأَمْرٍ أَوْ نَهَاهُمْ بِنَهْيٍ، أَطْلَعَهُمْ عَلَى سِرِّ ذَلِكَ نَفْعاً أَوْ ضُرّاً[2]. وَهَذَا مَعْقُولٌ لَهُمْ مَعْلُومٌ مِنَ الأَمْرِ الإِلَهِي، فَإِذَا عَلِمَ الرَّسُولُ هَذَا فِي الأَمْرِ، أَيْ أَمْرٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَجَدَ السِّرَّ الَّذِي عَايَنَهُ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمْرٍ آخَرَ، أَمَرَ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ لِلسِّرِّ الَّذِي عَلِمَهُ. هَذَا هُوَ الحُكْمُ مِنْ طَرِيقِ الأَسْرَارِ.

وَأَمَّا طَرِيقُ الإِلْهَامِ، فَهُوَ **إِمَّا بِالتَّلَقِّي أَوْ بِالإِلْقَاءِ أَوْ بِاللِّقَاءِ. أَمَّا التَّلَقِّي** فَهُوَ تَوَجُّهُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِكُلِّيَةِ بَاطِنِهِ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ فِي طَلَبِ العِلْمِ كَشْفاً فَيُجَابُ فِي الحِينِ، أَنَّ الحُكْمَ فِيهِ كَيْتْ وَكَيْتْ أَمْراً وَنَهْياً وَهُوَ قَطْعِيٌّ، **وَأَمَّا بِالإِلْقَاءِ** وَهُوَ أَمْرٌ يَتَوَجَّهُ مِنَ الحَقِّ إِلَى سِرِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَلَى بَغْتَةٍ مِنَ الرَّسُولِ وَعَلَى غَيْرِ تَوَجُّهٍ مِنْهُ، لِطَلَبِ السُّؤَالِ عَنِ الحُكْمِ، فَهُوَ الإِلْقَاءُ، وَكِلَا الأَمْرَيْنِ يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا إِلْقَاءٌ وَتَلَقِّي، إِلَّا أَنَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ فِيمَا يَتَوَجَّهُ فِيهِ الرَّسُولُ إِلَى الحَضْرَةِ وَمَا جَاءَ عَنْ[3] غَيْرِ تَوَجُّهٍ.

وَأَمَّا اللِّقَاءُ، فَلَا يُذْكَرُ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَرْبَابُهُ. **وَأَمَّا الوَحْيُ** فَهُوَ مَا يَأْتِي فِيهِ المَلَكُ بِأَمْرِ اللَّهِ، مُخْبِراً بِأَمْرِهِ أَمْراً وَنَهْياً لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَكِنَّ وُرُودَ المَلَكِ بِالأَمْرِ

1- ي ك: مهما

2- ي ك: نفعا وضرا

3- ي ك: على

مُجَرَّداً عَنْ قَوْلِ اللَّهِ المَسْمُوعِ مِنْ ذَاتِهِ، وَذَلِكَ الأَمْرُ فِي حَقِيقَتِهِ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى.

وَخِطَابُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قِسْمَيْنِ، خِطَابٌ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ، وَخِطَابٌ فِي عَالَمِ المَشِيئَةِ. وَكِلَا الخِطَابَيْنِ صَحِيحٌ ثَابِتٌ، يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالإِيمَانُ بِهِ، **فَخِطَابُهُ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ[1] وَتَعَالَى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**[2]. أَيْ لِأُوجِبَ عَلَيْهِمْ عِبَادَتِي، فَإِنْ وَفُّوا بِهَا أُثَبِّتُهُمْ، وَإِنْ خَالَفُوا اسْتَحَقُّوا العُقُوبَةَ مِنِّي، **وَالخِطَابُ فِي عَالَمِ المَشِيئَةِ** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً)**. إِلَى قَوْلِهِ: **(خَلَقَهُمْ)**[3].

وَمِنَ الخِطَابِ فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)**[4]. وَالخِطَابُ فِي المَشِيئَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ)**. إِلَى قَوْلِهِ: **(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)**[5]. فَفِي الآيَةِ الأُولَى قَوْلُهُ: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ)**[6] الخ.. أَثْبَتَ[7] الإِيمَانَ مَمْلُوكاً لِلْعِبَادِ، وَفِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ جَرَّدَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّهُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كِتَابُ أَسْئِلَةٍ تُعْرَضُ عَلَى عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ مِمَّنْ لَهُمُ النَّظَرُ التَّامُّ،

---

[1]- ك: (سبحانه و) ساقطة

[2]- سورة الذاريات، الآية 56

[3]- سورة هود، الآية 118-119

[4]- سورة النساء، الآية 64

[5]- سورة الأنعام، الآية 111

[6]- سورة النساء، الآية 64

[7]- ك: أثبت أن

وَالاسْتِبْصَارُ الكَامِلُ العَامُّ، فِي فَهْمِ مَعَانِي نُصُوصِ الكِتَابِ وَمَعْرِفَةِ مَقَاصِدِهَا، يُجِيبُوا عَنْ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ.

السُّؤَالُ الأَوَّلُ: امْرَأَةٌ تَحْتَ حُكْمِ زَوْجِهَا بِلُزُومِ عِصْمَتِهِ[1] الشَّرْعِيَّةِ فِي بَلَدٍ لَا حَاكِمَ بِهَا يَأْخُذُ مِنَ الظَّالِمِ الإِنْصَافَ، وَيُعِينُ المَظْلُومَ بِالنَّصْرِ وَالإِسْعَافِ، لِكَوْنِ البَلَدِ هَمْلاً مِنَ الحُكَّامِ، وَيَصْعُبُ الوُقُوفُ فِيهَا عَلَى تَحْقِيقِ شَرْعِيَّةِ[2] الأَحْكَامِ، ثُمَّ ذَهَبَتْ مِنْ دَارِ زَوْجِهَا لِدَارِ أَهْلِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ يَرُدُّهَا امْتَنَعَتْ مِنْهُ بِكُلِّ وَجْهٍ وَقَالَتْ: لَا أَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبداً، إِلَّا أَنْ تَلْتَزِمَ لِي فِي ذِمَّتِكَ إِنْ تَزَوَّجْتَ عَلَيَّ فَأَنَا مِنْكَ طَالِقٌ بَائِنٌ، بِكُلِّ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ صَدَاقِي، وَإِلَّا فَلَا أَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبداً،

وَالحَالُ أَنَّهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا ذَلِكَ عَنْ ضَرَرٍ نَالَهَا، وَلَا لِضَيْقٍ مِنْهُ أَوْجَبَ ذَلِكَ لَهَا، إِلَّا قَصْدَ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنْ نِكَاحِ غَيْرِهَا، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ حِينَ العَقْدِ، إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ الدُّخُولِ بِكَثِيرٍ، فَالْتَزَمَ الزَّوْجُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهَا وَأَنْعَمَ لَهَا بِهِ، فَهَلْ هَذَا الإِلْتِزَامُ لِلزَّوْجِ المَذْكُورِ لَازِمٌ لَهُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ أَمْ بَاطِلٌ؟

السُّؤَالُ الثَّانِي: خُرُوجُ المَرْأَةِ مِنْ دَارِ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ[3] إِذْنِهِ، خُرُوجاً تَمْتَنِعُ فِيهِ بِدَارِ أَبِيهَا مُظْهِرَةً لِلنُّشُوزِ مِنْ زَوْجِهَا، وَالحَالُ أَنَّهَا لَمْ يَلْحَقْهَا ضَرَرٌ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، يُوجِبُ ذَلِكَ النُّشُوزَ لَهَا، وَحَلَفَ الزَّوْجُ بَعْدَهُ، لَا مَشَى إِلَيْهَا وَلَا طَلَّقَهَا، حَتَّى تَأْتِيَ إِلَى دَارِهِ وَحْدَهَا أَوْ مَعَ أَبِيهَا أَوْ أُمِّهَا، وَإِلَّا تَرَكَهَا مُعَلَّقَةً، وَيَتَزَوَّجُ هُوَ وَيَتْرُكُهَا.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ الَّتِي وَقَعَتِ السُّؤَالَاتُ عَنْهَا حَامِلاً مِنْ زَوْجِهَا المَذْكُورِ، وَفَرَّتْ بِحَمْلِهَا إِلَى دَارِ أَبِيهَا نَاشِزاً مِنْ زَوْجِهَا، ثُمَّ وَضَعَتْ هَذَا الحَمْلَ، وَامْتَنَعَتْ مِنْ إِرْضَاعِ الوَلَدِ، هَلْ عَلَيْهَا إِرْضَاعُهُ أَمْ لَا؟

---

[1] - ع: عصمة

[2] - ع ي: شرعة

[3] - ي ك: بغير

السُّؤَالُ الرَّابِعُ لَمْ نَكْتُبْهُ هُنَا بَلْ وَحْدَهُ لِقِلَّةِ الكَلَامِ فِيهِ وَبَيَانِ بُطْلَانِهِ لِكُلِّ مَنْ لَهُ أَدْنَى فَهْمٍ[1].

الجَوَابُ الأَوَّلُ عَنِ السُّؤَالِ الأَوَّلِ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ: إِنَّ هَذَا الإِلْتِزَامَ الوَاقِعَ مِنَ الزَّوْجِ المَذْكُورِ، لِهَذِهِ المَرْأَةِ المَذْكُورَةِ، عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ البَلَدِ وَالوَقْتِ كُلُّهُ بَاطِلٌ، لَا يَلْزَمُ الزَّوْجَ فِيهِ طَلَاقٌ وَلَا تَحَمُّلٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الزَّوْجَ المَذْكُورَ مُكْرَهٌ عَلَى التَّحَمُّلِ لِمَا تَحَمَّلَ، لِأَنَّ عِصْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ عَلَى زَوْجَتِهِ ثَابِتَةٌ بِحُكْمِ الشَّرْعِ، فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَمْتَنِعَ مِنْهُ، حَتَّى تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئاً، أَوْ تَحْجُرَهُ عَنْ نِكَاحِ غَيْرِهَا، إِذْ لَا حَقَّ لَهَا فِي ذَلِكَ، فَهِيَ ظَالِمَةٌ لَهُ،

وَحَيْثُ تَحَمَّلَ هُوَ[2] ذَلِكَ بِحُكْمِ الإِكْرَاهِ لَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ، لِأَنَّ حَقَّهُ ثَابِتٌ فِي رَقَبَتِهَا، وَلَا تَمْلِكُ مِنْهُ انْفِكَاكاً، وَحَيْثُ امْتَنَعَتْ مِنْهُ بِغَيْرِ مُوجِبٍ شَرْعِيٍّ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى فِرَاقِهَا لِشِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَلَا حَاكِمَ يَقْهَرُهَا عَلَى رَدِّهَا إِلَيْهِ، فَالْتِزَامُهُ لِمَا طَلَبَتْ مِنْهُ كَرْهاً، لَا يَلْزَمُهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ غَصَبَ مَالاً مِنْ شَخْصٍ بِلَا شُبْهَةٍ وَلَا حَقٍّ، فَلَمَّا طَلَبَ المَغْصُوبُ مِنْهُ مِنَ الغَاصِبِ رَدَّ مَالِهِ قَالَ لَهُ:

لَا أَرُدُّ لَكَ مَالَكَ، إِلَّا أَنْ تُعْطِيَنِي كَذَا وَكَذَا مَالاً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَعْطَى لِلْغَاصِبِ مَا طَلَبَ مِنْهُ طَلَباً لِرَدِّ مَالِهِ، فَلَمَّا أَعْطَاهُ الغَاصِبُ مَالَهُ، طَلَبَ المَغْصُوبُ مِنْهُ مِنَ الغَاصِبِ أَنْ يَرُدَّ لَهُ مَا أَعْطَاهُ عَلَى رَدِّ المَالِ، امْتَنَعَ الغَاصِبُ مِنْ رَدِّ مَا أَخَذَ عَلَى رَدِّ المَالِ، مُحْتَجّاً أَنَّهُ أَعْطَاهُ بِاخْتِيَارِهِ، فَلَا رَدَّ لَهُ.

---

[1]- المقصود به ما جاء مذكورا في الجزء الثاني من الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، لسيدي محمد بن المشري رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: (السؤال الرابع: إذا قالت المرأة لزوجها: لا تعطي شيئا من مالك إلا بإذني وإذنِ أبي وإلا فلا أُقِيم معك. هل تُجاب إلى ذلك أم لا؟).

[2]- ع: (هو) ساقطة

وَحُكْمُ الشَّرْعِ أَنْ يَرُدَّ الغَاصِبُ مَا أَخَذَهُ مِنَ المَغْصُوبِ مِنْهُ عَلَى رَدِّ المَالِ الأَوَّلِ، لِأَنَّ المَغْصُوبَ مِنْهُ أَعْطَى مَا أَعْطَى عَلَى رَدِّ مَالِهِ، وَحَيْثُ قَدَرَ عَلَى الانْتِصَافِ مِنَ الغَاصِبِ، فَلَهُ أَخْذُ جَمِيعِ مَا أَعْطَاهُ. وَمَسْأَلَةُ هَذِهِ المَرْأَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، مِثْلُ مَسْأَلَةِ الغَاصِبِ سَوَاءٌ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ حَقّاً لِغَيْرِهِ، فَأَدَاؤُهُ إِلَى صَاحِبِهِ لَازِمٌ شَرْعاً، فَإِنْ حَبَسَ ذَلِكَ الحَقَّ حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِ شَيْئاً، فَأَخْذُهُ حَرَامٌ، وَالدَّافِعُ مُكْرَهٌ لَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيمَا دَفَعَ،

وَأَمْرُ الإِكْرَاهِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ عَلَى رَفْعِهِ وَعَدَمِ لُزُومِ حُكْمِ الإِكْرَاهِ، وَلَوْ بَلَغَ مَا بَلَغَ. قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ[1] قَبْلَكُمْ لِحَبْسِهِمُ الحَقَّ حَتَّى يُشْتَرَى، وَعَدَمِ رَفْعِهِمُ البَاطِلَ حَتَّى يُفْتَدَى"، وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ[2] قَالَ: (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ). وَثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ).

وَالإِغْلَاقُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الإِكْرَاهُ، وَمَعْنَاهُ: لَا طَلَاقَ فِي إِكْرَاهٍ. وَثَبَتَ عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِمَامِ مَذْهَبِنَا أَنَّهُ اسْتَفْتَاهُ أَمِيرُ المَدِينَةِ فِي طَلَاقِ المُكْرَهِ عَلَى الطَّلَاقِ هَلْ يَلْزَمُ؟ فَأَفْتَاهُ الإِمَامُ بِعَدَمِ لُزُومِ طَلَاقِ المُكْرَهِ، وَكَانَ قَصْدُ الأَمِيرِ مِنَ الإِمَامِ، أَنْ يُصَحِّحَ لَهُ طَلَاقَ المُكْرَهِ، فَحِينَئِذٍ أُخِذَ الإِمَامُ، وَعُمِلَ بِهِ صُورَةُ الذُّلِّ مِنْ تَعْرِيَةِ رَأْسِهِ وَأَكْتَافِهِ، وَالجَلَّادُ يَطُوفُ بِهِ فِي المَدِينَةِ وَيُنَادِي عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَعْصِي الأُمَرَاءَ، وَيُضْرَبُ وَيُقَالُ لَهُ قُلْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَعْصِي الأُمَرَاءَ.

فَيَقُولُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الحَالِ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا مَالِكٌ بْنُ أَنَسٍ: طَلَاقُ المُكْرَهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَيَتَمَادَى الجَلَّادُ فِي جَلْدِهِ، وَلَا يَقْلَعُ هُوَ عَنْ ذَلِكَ القَوْلِ. وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ مَا الْتَزَمَهُ الزَّوْجُ المَذْكُورُ

[1]- ي ك: إنما هلك من هلك ممن كان

[2]- ع ي: (أنه) ساقطة

لِزَوْجَتِهِ المَذْكُورَةِ بَاطِلٌ لَا يَلْزَمُهُ مِنْهُ شَيْءٌ، لِمَا أَوْضَحْنَاهُ مِنْ بَيَانِ إِكْرَاهِهِ، وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى رَفْعِ حُكْمِ الإِكْرَاهِ، لِمَا تَقَرَّرَ فِي ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ.

نَعَمْ، لَوْ كَانَ بِالبَلَدِ حَاكِمٌ مُنْصِفٌ لِلْحُقُوقِ، قَادِرٌ عَلَى تَنْفِيذِ الأَحْكَامِ، قَاهِرٌ لِلْعَامَّةِ وَالسُّوقَةِ[1] بِخَوْفِ سَطْوَةِ الإِنْتِقَامِ، وَالْتَزَمَ الزَّوْجُ المَذْكُورُ لِلزَّوْجَةِ المَذْكُورَةِ مَا الْتَزَمَهُ مِمَّا ذُكِرَ، وَلَمْ يَرْفَعْ أَمْرَهُ إِلَى الحَاكِمِ، لَلَزِمَ الزَّوْجَ مَا الْتَزَمَهُ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ مُلْتَزِمٌ بِاخْتِيَارِهِ، لِكَوْنِهِ يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ ذَلِكَ الظُّلْمِ، بِرَفْعِ أَمْرِهِ إِلَى الحَاكِمِ المَذْكُورِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَا الْتَزَمَهُ الزَّوْجُ[2] المَذْكُورُ لِلزَّوْجَةِ المَذْكُورَةِ بَعْدَ هَرَبِهَا عَنْهُ لِضَرَرٍ يَلْحَقُهَا[3] مِنْهُ، فَالحُكْمُ أَنَّ الإِلْتِزَامَ مِنَ الزَّوْجِ المَذْكُورِ إِنْ كَانَ عَنْ ظُلْمٍ صَدَرَ مِنْهُ لِزَوْجَتِهِ،

وَالحَالُ أَنَّ ذَلِكَ الضَّرَرَ، يُوجِبُ تَطْلِيقَهَا مِنْهُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ، فَالْتِزَامُهُ لَهَا مَا الْتَزَمَهُ لَازِمٌ لَهُ، لِأَنَّ عِصْمَتَهُ مُنْحَطَّةٌ عَنْهَا لِكَوْنِهَا لَهَا إِبْقَاؤُهَا، وَلَهَا حَطُّهَا لِتَقْرِيرِ الحَقِّ لَهَا بِوُقُوعِ الظُّلْمِ المُوجِبِ لِتَطْلِيقِهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الزَّوْجِ، لَا يُوجِبُ تَطْلِيقَ الحَاكِمِ لَهَا لِخِفَّتِهِ، حَيْثُ يَجِبُ عَلَيْهِ رَفْعُهُ وَالأَدَبُ مَعَهُ. وَحِينَئِذٍ طَلَبَتْ هِيَ مِنَ الزَّوْجِ مَا طَلَبَتْ مِنْ الْتِزَامِ طَلَاقِهَا إِنْ تَزَوَّجَ عَلَيْهَا،

فَالْتِزَامُهُ بَاطِلٌ وَهُوَ إِكْرَاهٌ، لِكَوْنِ حَقِّ عِصْمَتِهِ بَاقٍ فِي رَقَبَتِهَا، وَلَا حَقَّ لَهَا فِيمَا زَادَ عَلَى رَفْعِ الظُّلْمِ أَصْلاً. وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ شَخْصَيْنِ ظَلَمَ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ مِنْ وَجْهٍ لَمْ يَظْلِمْهُ مِنْهُ الآخَرُ، وَالحُكْمُ أَنَّ كُلّاً مِنْهُمَا يُؤْمَرُ بِزَوَالِ ظُلْمِهِ فَقَطْ بِلَا زَائِدٍ. وَفِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ الزَّوْجُ

---

[1]- السُّوقةُ من الناس الرعية ومَنْ دون الملِك وكثير من الناس يظنون أَن السُّوقة أَهل الأَسْواق والسُّوقة من الناس من لم يكن ذا سُلْطان

[2]- ع: (الزوج) ساقطة

[3]- ي ك: لحقها

ظَالِمٌ بِالظُّلْمِ الخَفِيفِ، يُؤْمَرُ بِرَفْعِهِ، وَالمَرْأَةُ ظَالِمَةٌ بِإِلْزَامِهِ الطَّلَاقَ، وَهُوَ لَا يَلْزَمُهُ، تُؤْمَرُ بِرَفْعِ مَا أَلْزَمَتْهُ[1]. وَقَدْ شَاعَتْ هَذِهِ القَوْلَةُ عِنْدَ أَهْلِ المَذْهَبِ وَهِيَ:

وَمِلْـــكٌ لَيْـــسَ لَهُ بِمُـــلْزَمٍ * فِي مُكْرَهٍ فِي الحِنْثِ أَوْ فِي القَسَمِ

فَالرَّجُلُ المَذْكُورُ أَوَّلاً تَعَيَّنَ حَقُّهُ فِي رَقَبَةِ المَرْأَةِ المَذْكُورَةِ بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الوُصُولِ لِحَقِّهِ لِفَقْدِ الحَاكِمِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ حَقِّهِ فِي رَقَبَةِ المَرْأَةِ المَذْكُورَةِ، لِشِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، فَأَلْزَمَتْهُ المَرْأَةُ المَذْكُورَةُ إِمَّا فِرَاقَهَا وَبَيْنُونَتَهَا مِنْ عِصْمَتِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، أَوْ يَلْتَزِمُ لَهَا بَيْنُونَةَ الطَّلَاقِ إِنْ تَزَوَّجَ عَلَيْهَا. فَالْتَزَمَ لَهَا[2] بَيْنُونَةَ طَلَاقِهَا إِنْ تَزَوَّجَ عَلَيْهَا كَرْهاً وَطَلَباً لِوُصُولِ غَرَضِهِ إِلَى مَا أَرَادَ مِنْهَا، حَيْثُ أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ عَلَيْهَا بِدُونِ تَعْلِيقٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا وَلَا مُنْصِفَ يُنْصِفُهُ مِنْهَا، الْتَزَمَ قَهْراً لِوُصُولِهِ إِلَى حَقِّهِ مِنْهَا، فَهُوَ مُكْرَهٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، عِنْدَ مَنْ عَرَفَ صُوَرَ الإِكْرَاهَاتِ فِي الشَّرْعِ. انْتَهَى الجَوَابُ الأَوَّلُ.

ثُمَّ الجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ، اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ كُلُّهَا عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهَا بِهِ وَيَنْهَاهَا عَنْهُ، وَفِي كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهَا رُكُوبُهُ، فَلَا طَاعَةَ لِلزَّوْجِ فِي ذَلِكَ عَلَيْهَا. أَمَّا المَعْصِيَةُ دَلِيلُهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ). وَأَمَّا مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[3]: **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ)**[4]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)**[5].

---

[1]- ع: ما ألزمه

[2]- ك: فالتزم الزوج

[3]- ي ك: فقوله تعالى

[4]- سورة النساء، الآية 19

[5]- سورة البقرة، الآية 229

وَتَكْلِيفُ الزَّوْجَةِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا، خَارِجٌ عَنِ المُعَاشَرَةِ بِالمَعْرُوفِ، إِذْ ذَلِكَ ظُلْمٌ يُوجِبُ تَطْلِيقَ الحَاكِمِ إِنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ، وَيَلْزَمُ أَدَبُهُ وَزَجْرُهُ إِنْ لَمْ يَتَكَرَّرْ، وَأَمَّا فِيمَا عَدَى المَعْصِيَةَ وَالأَمْرَ الشَّاقَّ عَلَيْهَا فَطَاعَتُهُ عَلَيْهَا وَاجِبَةٌ بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، لِأَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا، هُوَ مُقْتَضَى الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ مَطْلُوبَ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ، هُوَ عِمَارَةُ الدَّارَيْنِ، الجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي التَّنَاسُلَ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالتَّنَاسُلُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى يَسْتَدْعِي عَقْدَ نِكَاحٍ شَرْعِيٍّ، لَا اخْتِيَارَ فِيهِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَعْدَ انْبِرَامِهِ. وَالتَّنَاكُحُ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ فِي النَّسْلِ يَسْتَدْعِي حُسْنَ المُعَاشَرَةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، إِبْقَاءً عَلَيْهِمَا مِنْ كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا يَسْعَى فِي تَوْفِيَةِ غَرَضِ الآخَرِ، فَمَتَى تَنَافَرَتْ أَغْرَاضُ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَقَعَتْ المُعَادَاتُ وَالفِرَاقُ وَبَطُلَ مَقْصُودُ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ وَهُوَ النَّسْلُ،

فَالزَّوْجُ لَا يَسْتَقِرُّ مَعَ الزَّوْجَةِ إِلَّا بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، فَمَتَى لَمْ تَمْتَثِلْ[1] أَمْرَهُ، وَقَعَ التَّنَافُرُ وَالفِرَاقُ، وَالمَرْأَةُ لَا تَسْتَقِرُّ مَعَ الزَّوْجِ، إِلَّا بِمُعَاشَرَتِهَا بِالمَعْرُوفِ، فَمَتَى لَمْ يَكُنْ، وَقَعَ التَّنَافُرُ وَالفِرَاقُ. فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ مَقْصُودَ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ هُوَ وُجُوبُ طَاعَةِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)**[2].

وَهَذِهِ صُورَةُ الحُكْمِ وَالتَّحْكِيمِ لِلمُحَكِّمِ وَالحَاكِمِ، وَيَلْزَمُ طَلْقَةُ الحَاكِمِ المُحَكِّمِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ[3]، فَاللَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ، وَلِلرِّجَالِ الحُكْمُ عَلَى النِّسَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَلَى النِّسَاءِ فَرْضُ طَاعَةِ مَنْ حَكَّمَهُ اللَّهُ فِيهِنَّ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صُورَةِ هَذَا الحُكْمِ:

---

[1]- ك: يمتثل

[2]- سورة النساء، الآية 34

[3]- ع ي: (به) ساقطة

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ). إِلَى **(سَبِيلاً)**[1]. وَلَا يَكُونُ الضَّرْبُ فِي المَضْرُوبِ إِلَّا لِلْحَاكِمِ المُحَكَّمِ فِيهِ الَّتِي تَلْزَمُ لِلْمَحْكُومِ عَلَيْهِ طَاعَةُ الحَاكِمِ عَلَيْهِ،
وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَطَاعَةُ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا مِمَّا اجْتَمَعَتْ الأُمَّةُ عَلَيْهِ **وَمِنْ جُمْلَةِ طَاعَتِهِ لُزُومُهَا بَيْتَهُ،** فَلَا تَخْرُجُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ خَرَجَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَهِيَ عَاصِيَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ يَلْزَمُهَا التَّوْبَةُ وَالأَدَبُ عَلَى مَا فَعَلَتْ، وَتَوْبَتُهَا رُجُوعُهَا لِدَارِ زَوْجِهَا وَلِطَاعَتِهِ وَعَدَمُ عَوْدَتِهَا.
فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ وَلَمْ تَتُبْ فَقَدْ بَاءَتْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ فِي الحَالِ وَالمَئَالِ، بَلْ هِيَ مُرْتَكِبَةٌ لِأَعْظَمِ الكَبَائِرِ وَيَجِبُ عَلَى مَنْ دَخَلَتْ دَارَهُ مِنْ أَبٍ أَوْ قَرِيبٍ قَهْرُهَا وَطَرْدُهَا وَعَدَمُ تَرْكِهَا حَتَّى سَاعَةً، وَإِلَّا بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ مِثْلَهَا. وَأَمْرُهَا فِي هَذَا مِثْلُ أَمْرِ القَاتِلِ ظُلْماً وَعَمْداً. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَتَلَ مُومِناً عَمْداً فَأَيْدِي المُومِنِينَ كُلِّهِمْ عَلَيْهِ، فَمَنْ آوَاهُ أَوْ مَنَّعَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). فَكَذَلِكَ أَمْرُ الزَّوْجَةِ إِذَا هَرَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا بِلَا ضَرَرٍ فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَتْرُكَهَا فِي بَيْتِهِ لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ مُشَاقَّةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ)**[2].
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا رَأَى قَوْمٌ الظَّالِمَ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ). فَظَهَرَ بِمَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ المَرْأَةَ المَذْكُورَةَ يَجِبُ عَلَيْهَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الرُّجُوعُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَحْدَهَا بِلَا طَلَبٍ مِنْهُ لَهَا، وَالتَّوْبَةُ مِنْ عِصْيَانِهِ، فَهَذَا أَصْلُ الشَّرْعِ المَعْرُوفِ. لَكِنْ، تَبَاعَدَ أَمْرُهُ وَجَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ وَهُوَ أَنَّهُ لَابُدَّ لِلزَّوْجِ الَّذِي هَرَبَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ دَارِهِ أَنْ يَمْشِيَ لِدَارِهَا،
وَهَذِهِ عَادَةُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدٍ لِذَهَابِ رُسُومِ الشَّرْعِ بِالكُلِّيَةِ وَتَمَسُّكِ النَّاسِ بِالعَادَةِ، وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ العَادَةُ شَرْعاً مُسْتَقِرّاً يَحْكُمُ بِهِ كُلُّ قَاضٍ لِجَهْلِهِمْ بِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَأَصْلِهِ

[1]- سورة النساء، الآية 34

[2]- سورة النساء، الآية 115

وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَقَاصِدِهِ. وَحَيْثُ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَيُؤْمَرُ الزَّوْجُ بِالمَشْيِ إِلَيْهَا طَلَباً لِرَدِّهَا حَيْثُ لَا إِمْكَانَ لِأَصْلِ الشَّرْعِ الأَوَّلِ، كَالَّذِي يَتَقَوَّتُ بِالمَيْتَةِ عِنْدَ فَقْدِ الطَّعَامِ لِشِدَّةِ الجُوعِ وَخَشْيَةِ المَوْتِ، فَإِنْ سَبَقَ مِنْهُ يَمِينٌ أَنَّهُ لَا مَشَى إِلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ ظَالِماً لَهَا لِاسْتِمْسَاكِهِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ الأَوَّلِ العَزِيزِ القَوِيمِ، بَلْ عَلَيْهَا أَنْ تَرْجِعَ وَحْدَهَا أَوْ مَعَ مَنْ شَاءَتْ إِلَى دَارِ زَوْجِهَا.

فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ وَلَمْ يَذْهَبِ الزَّوْجُ إِلَيْهَا فَحُكْمُ الشَّرْعِ أَنَّهَا عَاصِيَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ[1] أَمْرِ اللَّهِ لَا نَفَقَةَ لَهَا وَإِنْ طَالَ أَمْرُهَا فِي قُعُودِهَا ذَلِكَ بِلَا زَوْجٍ فَلَا تُطَلَّقُ، وَلَا كَلَامَ لَهَا إِنِ اشْتَكَتْ بِالضَّرَرِ. وَلَا تُطَلَّقُ بِهَذَا الضَّرَرِ لِكَوْنِ هَذَا الضَّرَرِ رَفْعُهُ هَيِّنٌ عَلَيْهَا، فَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْ الضَّرَرَ عَلَى نَفْسِهَا بِاخْتِيَارِهَا، فَلَا تُجَابُ إِلَى الطَّلَاقِ إِنْ دَعَتْ إِلَيْهِ. وَمَنْ أَجَابَهَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى الطَّلَاقِ بِصُورَةِ هَذَا الضَّرَرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَطَلَّقَهَا عَلَى زَوْجِهَا كَانَ هَذَا العَالِمُ فَاسِقاً جَائِراً.

فَإِنْ تَزَوَّجَتْ بَعْدَ هَذَا الطَّلَاقِ كَانَ كُلُّ وَطْءٍ فِيهَا مَحْضَ زِنًى، مَكْتُوباً عَلَى الحَاكِمِ وَعَلَيْهَا وَعَلَى مَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ لَا يَنْقُصُ مِنْ وِزْرِ الآخَرِ شَيْئاً. وَمَا أَجْهَلَ هَذَا العَالِمَ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ قَوَاعِدَ الشَّرْعِ وَلَا عَرَفَ وُجُوهَ تَفْصِيلِ الضَّرَرِ المُوجِبِ لِلطَّلَاقِ وَالَّذِي لَا يُوجِبُ الطَّلَاقَ.

وَأَمَّا سُقُوطُ النَّفَقَةِ عَلَى الزَّوْجِ لِهَذِهِ الزَّوْجَةِ عَلَى صِفَةِ الأَمْرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بَيْنَهُمَا فَأَمْرٌ بَيِّنٌ اقْتَضَتْهُ قَوَاعِدُ الشَّرْعِ لَمْ يُخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ. وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ النَّفَقَةَ فِي مُقَابَلَةِ الاسْتِمْتَاعِ، فَمَتَى امْتَنَعَ أَحَدُهُمَا امْتَنَعَ الآخَرُ، وَهَذِهِ المَرْأَةُ هِيَ الَّتِي مَنَعَتْ زَوْجَهَا مِنَ الاسْتِمْتَاعِ بِهَا ظُلْماً وَعُدْوَاناً، فَلَا نَفَقَةَ لَهَا عَلَى الزَّوْجِ المَذْكُورِ.

---

[1]- ك: من

قَالَ فِي "المُخْتَصَرِ"[1]: يَجِبُ لِمُمْكِنَةٍ مُطِيقَةٍ لِلْوَطْءِ وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا مُسْرِفاً[2] قُوتٌ وَإِدَامٌ[3] بِالعَادَةِ، وَمَفْهُومُ الصِّفَةِ، وَهِيَ المُمْكِنَةُ أَيْ غَيْرُ المُمْكِنَةِ مَعَ فَقْدِ العُذْرِ لَا نَفَقَةَ لَهَا وَهُوَ الأَصَحُّ وَالمُعَوَّلُ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَامِلاً مِنْهُ فَلَهَا نَفَقَةُ الحَمْلِ، وَلَوْ كَانَتْ عَاصِيَةً لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يُنْفِقُ عَلَى وَلَدِهِ لَا عَلَيْهَا، وَنَفَقَةُ الوَلَدِ لَا تَسْقُطُ لِعِصْيَانِ أُمِّهِ. انْتَهَى.

ثُمَّ الجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّالِثِ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوابِ: **اعْلَمْ** أَنَّ إِرْضَاعَ الأُمِّ لِوَلَدِهَا لَا تَخْلُوا إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ أَوْ خَارِجَةً مِنْ عِصْمَتِهِ[4] بِطَلَاقٍ أَوْ مَوْتٍ. أَمَّا إِنْ كَانَتْ فِي عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ فَإِرْضَاعُ وَلَدِهَا وَاجِبٌ عَلَيْهَا بِالإِجْمَاعِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ)**[5]. وَهَذِهِ الصِّفَةُ فِيمَا إِذَا كَانَتْ المَرْأَةُ فِي عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهَا الرَّضَاعَةَ بِمَا ذُكِرَ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ أَبُو الوَلَدِ قَادِراً عَلَى نَفَقَتِهَا،

فَإِنْ عَجَزَ عَنِ النَّفَقَةِ طُلِّقَتْ عَلَيْهِ بِعُسْرِ النَّفَقَةِ، وَإِنْ طُلِّقَتْ عَلَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ عِصْمَتِهِ، وَبِالخُرُوجِ عَنْ عِصْمَتِهِ سَقَطَ عَنْهَا الرِّضَاعُ وَصَارَ الوَلَدُ وَاجِبَ النَّفَقَةِ وَالقِيَامُ بِأَمْرِهِ عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَلَا يَجِبُ عَلَى أُمِّهِ إِرْضَاعُهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ[6] الوَلَدُ لَا يَقْبَلُ غَيْرَ أُمِّهِ،

---

[1]- المقصود به: "مختصر الشيخ خليل" على مذهب الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو العلامة سيدي خليل بن إسحاق الجندي المتوفى سنة 776 هـ.

[2]- ا ح ع ك م ل هـ ق ص ي: مشرفا

[3]- ي: وإيدام

[4]- ع: عصمة

[5]- سورة البقرة، الآية 233

[6]- ك ي: اللهم إلا أن يكون

فَحِينَئِذٍ تُجْبَرُ أُمُّهُ عَلَى إِرْضَاعِهِ قَهْراً، وَنَفَقَتُهَا وَاجِبَةٌ عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ لِأَجْلِ نَفْيِ إِضَاعَةِ الوَلَدِ وَهَلَاكِهِ.

وَإِنْ كَانَتْ المَرْأَةُ الحَامِلُ بِالوَلَدِ خَارِجَةً عَنْ عِصْمَةِ أَبِيهِ بِمَوْتٍ أَوْ طَلَاقٍ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهَا إِرْضَاعُ هَذَا الوَلَدِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)**[1]. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ المُطَلَّقَاتِ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: **(فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)**[2].

دَلَّ ذَلِكَ عَلَى **عَدَمِ وُجُوبِ الرَّضَاعَةِ عَلَيْهِنَّ** وَهِيَ فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ وَفِي سُورَةِ البَقَرَةِ، ذَكَرَ الرَّضَاعَةَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَجْراً، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الرَّضَاعَةِ عَلَيْهِنَّ وَذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ كَانَتْ فِي عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ، وَهَذَا أَمْرٌ بَيِّنٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَلَا تَرَدُّدٍ. وَإِنْ كَانَتْ المَرْأَةُ خَارِجَةً عَنْ عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ بِمَوْتِ أَبِيهِ يَنْتَقِلُ الحُكْمُ فِي الرَّضَاعَةِ إِلَى الوَلَدِ، إِنْ[3] كَانَ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى الأُمِّ وَيُعْطِي مِنْهُ أَجْرَهَا فَإِنْ شَاءَتْ أَرْضَعَتْ وَلَدَهَا وَإِنْ شَاءَتْ امْتَنَعَتْ وَاسْتُؤْجِرَتْ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُهَا مِنْ مَالِهِ إِنْ كَانَ الوَلَدُ يَقْبَلُ غَيْرَ أُمِّهِ.

فَإِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ غَيْرَ أُمِّهِ، أُجْبِرَتْ أُمُّهُ[4] عَلَى رَضَاعَتِهِ وَأُعْطِيَتْ أَجْرَهَا مِنْ مَالِهِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَلَدِ مَالٌ وَجَبَ أَمْرُهُ فِي الرَّضَاعَةِ وَالاسْتِيجَارِ لِمَنْ يُرْضِعُهُ عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ وَيَنْتَقِلُ الحُكْمُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ إِنْ كَانَ الوَلَدُ لَمْ يَقْبَلْ غَيْرَ أُمِّهِ فَلَا رَضَاعَةَ عَلَى أُمِّهِ إِلَّا بِاخْتِيَارِهَا وَأُجْرَتُهَا عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ غَيْرَ أُمِّهِ أُجْبِرَتْ الأُمُّ عَلَى إِرْضَاعِهِ بِحُكْمِ الشَّرْعِ **لِدَفْعِ إِضَاعَةِ الوَلَدِ**، وَأُجْرَتُهَا وَاجِبَةٌ عَلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ،

---

[1]- سورة الطلاق، الآية 6

[2]- سورة الطلاق، الآية 6

[3]- ك: وإن

[4]- ع: (أُجْبِرَتْ أُمُّهُ) ساقطة

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَظَهَرَ بِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ المَرْأَةَ المَذْكُورَةَ فِي السُّؤَالَاتِ لَمْ تَخْرُجْ عَنْ عِصْمَةِ الزَّوْجِ المَذْكُورِ وَلَوْ طَالَ قُعُودُهَا بِبَيْتِ أَبِيهَا، وَلَا تُطَلَّقُ بِطُولِ هَذَا القُعُودِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الضَّرَرِ المُوجِبِ لِلطَّلَاقِ عَلَى الزَّوْجِ لِكَوْنِهَا أَوْقَعَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا بِاخْتِيَارِهَا، وَهِيَ قَادِرَةٌ عَلَى رَفْعِهِ بِرُجُوعِهَا إِلَى دَارِ زَوْجِهَا،

وَإِذَا[1] كَانَ هَكَذَا، فَإِرْضَاعُ وَلَدِهَا مِنْ زَوْجِهَا المَذْكُورِ وَاجِبٌ عَلَيْهَا شَرْعاً لِبَقَائِهَا فِي عِصْمَةِ الزَّوْجِ أَبِي الوَلَدِ وَلَا أَجْرَ لَهَا فِي ذَلِكَ لِمَا قَدَّمْنَاهُ، لَكِنَّ النَّفَقَةَ عَلَيْهَا مِنَ الزَّوْجِ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ لِكَوْنِهَا هُنَا عَلَى الوَلَدِ لَا عَلَى الأُمِّ، وَإِنْ كَانَتْ عَاصِيَةً إِذْ لَا تَسْقُطُ نَفَقَةُ الوَلَدِ عَلَى أَبِيهِ بِعِصْيَانِ أُمِّهِ. انْتَهَى.

تَنْبِيهٌ: قَالَ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي: كُنْتُ كَتَبْتُ فِي جَوَابِ وُجُوبِ الرَّضَاعِ عَلَى كُلِّ وَالِدَةٍ إِذَا كَانَتْ فِي عِصْمَةِ أَبِي الوَلَدِ، وَنَفَقَتُهُ جَارِيَةٌ عَلَيْهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَةً مَحْشُوَّةً فِي كُتُبِ الفُقَهَاءِ يُعَوِّلُ عَلَيْهَا مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، لِكَوْنِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ مَا سُطِّرَ فِي الكُتُبِ صَحِيحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فَيَضِلُّوا لِمُخَالَفَةِ[2] أَمْرِ اللَّهِ، وَتِلْكَ القَوْلَةُ هِيَ أَنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الفِقْهِ قَالَ: إِنَّ المَرْأَةَ الشَّرِيفَةَ لَا يَجِبُ عَلَيْهَا رَضَاعَةُ وَلَدِهَا. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ عَادَةُ البَلَدِ أَنَّ نِسَاءَ الأَشْرَافِ بِهَا لَا يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ فَلَا رَضَاعَةَ عَلَى الأُمِّ الشَّرِيفَةِ. قُلْنَا: إِنَّ هَذَا مَحْضُ الكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَمْ يُشَرِّعْهُ فِي كِتَابِهِ وَلَا فِي دِينِهِ بِمَا سَنُبَيِّنُهُ الآنَ[3] إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَقُولُ: اعْلَمْ أَنَّ **إِرْضَاعَ الأُمِّ لِوَلَدِهَا الَّتِي هِيَ فِي عِصْمَةِ أَبِيهِ وَنَفَقَتُهُ جَارِيَةٌ عَلَيْهَا وَاجِبٌ مِنْ طَرِيقَيْنِ**، طَرِيقٌ نَظَرِيٌّ فِقْهِيٌّ وَطَرِيقٌ قَطْعِيٌّ مُصَرَّحَةٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ العَظِيمِ، **فَأَمَّا الطَّرِيقُ النَّظَرِيُّ** فَهُوَ: أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، عِمَارَةُ الدَّارَيْنِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ

---

[1] - ك: وإن

[2] - ك: بمخالفة

[3] - ك: (الآن) ساقطة

يَكُونَ خَلْقُهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً بَلْ خَلْقاً بَعْدَ خَلْقٍ كَمَا قَالَ فِي القُرْآنِ، وَأَنَّ هَذَا الخَلْقَ لَمْ يَتَأَتَّ تَكْوِينُهُ إِلَّا مِنْ مَاءِ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى مَعاً دُونَ أَحَدِهِمَا فَقَطْ. فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الازْدِوَاجِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، شُرِعَ عَقْدُ النِّكَاحِ بِشُرُوطِهِ لِيَقَعَ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِخْرَاجِ الأَوْلَادِ مِنَ الأَصْلَابِ إِلَى الأَرْحَامِ[1]، ثُمَّ مِنَ الأَرْحَامِ إِلَى ظَهْرِ الأَرْضِ،

وَدَعَا هَذَا النِّكَاحُ إِلَى التَّنَاكُحِ الَّذِي هُوَ الجِمَاعُ ثُمَّ فُرِضَ حِفْظُ الحَمْلِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ فِيهِ فَسَاداً، وَلَوْ جَازَ إِفْسَادُ الحَمْلِ لَأَدَّى إِلَى إِضَاعَةِ النَّسْلِ وَبَطُلَ مُرَادُ اللَّهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، وَبَعْدَ الحَمْلِ إِذَا خَرَجَ الوَلَدُ وَجَبَ عَلَى الأُمِّ وَالأَبِ حِفْظُهُ وَتَنْمِيَتُهُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى البُلُوغِ، فَتَسْقُطُ حِينَئِذٍ مُؤُونَةُ نَفَقَتِهِ عَلَى الأَبَوَيْنِ.

فَحِفْظُ الوَلَدِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ البَطْنِ وَاجِبٌ عَلَى الأُمِّ وَالأَبِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِ شُرُوعِ النِّكَاحِ وَالجِمَاعِ، فَحِفْظُ الأُمِّ إِرْضَاعُهُ وَصَوْنُهُ عَنِ المَهَالِكِ وَغَسْلُ الأَذَى عَنْهُ مَسْحاً وَغَسْلاً إِلَى أَنْ يَكْمُلَ أَجَلُهُ. وَحِفْظُ الأَبِ هُوَ سَعْيُهُ فِي نَفَقَةِ الأُمِّ وَكِسْوَتُهَا وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الوَلَدُ مِمَّا خَرَجَ عَنِ التَّرْبِيَةِ كَالدُّهْنِ وَالحِنَّاءِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حِفْظُ الوَلَدِ وَاجِباً عَلَى أَبَوَيْهِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى إِضَاعَةِ الوَلَدِ، وَإِضَاعَةُ الوَلَدِ مُحَرَّمَةٌ شَرْعاً إِجْمَاعاً، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبُ الرَّضَاعَةِ وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى الأُمِّ لَضَاعَ الوَلَدُ، إِذْ لَا يُوجَدُ مَنْ يَتَحَمَّلُ ثِقَلَهُ وَمُعَانَاتَ تَعَبِهِ إِلَّا أُمُّهُ فَقَطْ، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ لِغَيْرِهَا، إِذْ لَا صَبْرَ لِامْرَأَةٍ عَلَى مُعَانَاتِ أَمْرِ الرَّضِيعِ غَيْرِ وَالِدَتِهِ،

وَلَوْ لَمْ تَجِبْ نَفَقَتُهُ وَنَفَقَةُ أُمِّهِ عَلَى الأَبِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى إِضَاعَتِهِ أَيْضاً، وَدَلِيلُ تَحْرِيمِ الإِضَاعَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ). فَتَرْكُ رَضَاعِ الأُمِّ لِوَلَدِهَا الَّذِي هُوَ مَوْلُودٌ لِصَاحِبِ عِصْمَةِ المَرْأَةِ مُوجِبٌ لِإِضَاعَةِ الوَلَدِ وَهُوَ مُحَرَّمٌ وَلَوْ سَقَطَ الوُجُوبُ عَلَى كُلِّ وَالِدَةٍ لَضَاعَتْ الأَوْلَادُ.

---

[1]- ع: (إِلَى الأَرْحَامِ) ساقطة

فَالقَوْلُ بِوُجُوبِ رَضَاعَةِ الصَّبِيِّ عَلَى أُمِّهِ الَّتِي هِيَ فِي عِصْمَةِ أَبِي الصَّبِيِّ الجَارِيَةِ عَلَيْهَا نَفَقَتُهُ، هُوَ مُقْتَضَى الحِكْمَةِ الإِلَهِيَةِ، وَتَرْكُ الوُجُوبِ فِيهِ يُوجِبُ إِضَاعَةَ الصَّبِيِّ وَهُوَ حَرَامٌ إِجْمَاعاً. فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ النَّظَرِيُّ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا الطَّرِيقُ القَطْعِيُّ فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1]: (**وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**[2]). إِلَى قَوْلِهِ: (**بِالمَعْرُوفِ**)[3]. وَهَذِهِ الآيَةُ فِيمَنْ كَانَتْ فِي عِصْمَةِ الأَبِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ خَارِجَةً عَنْ عِصْمَتِهِ بِطَلَاقٍ، فَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ "الطَّلَاقِ": (**فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**)[4]. فَالمُطَلَّقَةُ لَا وُجُوبَ عَلَيْهَا فِي رَضَاعَةِ وَلَدِهَا، وَالَّتِي فِي العِصْمَةِ يَجِبُ عَلَيْهَا رَضَاعَةُ وَلَدِهِ، وَهِيَ مِنْ تَوَابِعِ النِّكَاحِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ الأَجْرَ فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ[5] فِي سُورَةِ البَقَرَةِ وَهُوَ ظَاهِرٌ[6]، ثُمَّ زَادَ فِي البَيَانِ وَالإِيضَاحِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ**[7])[8].

وَهَذَا الخِطَابُ[9] لِلرِّجَالِ فَقَطْ دُونَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَرْضِعَ وَلَدَهَا أَعْنِي أَعْنِي تَطْلُبَ لَهُ أَجِيرَةً تُرْضِعُهُ بِالأُجْرَةِ فَلَا كَلَامَ لَهَا فِي ذَلِكَ لِكَوْنِهَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهَا شَيْئاً فِي ذَلِكَ،

---

[1]- ي: فقوله تعالى

[2]- ك ي: (حولين كاملين) ساقطة

[3]- سورة البقرة، الآية 233

[4]- سورة الطلاق، الآية 6

[5]- ك ي: ولم يذكر

[6]- ع: (وهو ظاهر) ساقطة

[7]- ك ي: وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

[8]- سورة البقرة، الآية 233

[9]- ك ي: خطاب

بِخِلَافِ الأَبِ إِذَا أَرَادَ اسْتِرْضَاعَ وَلَدِهِ فَلَهُ ذَلِكَ[1] بِاخْتِيَارِهِ. وَقَدْ تَحَيَّنْتُ أَنَّ القَضِيَّةَ رُبَّمَا رُفِعَتْ إِلَى طُوَيْلِبٍ قَصِيرِ البَاعِ عَاجِزِ الاِطِّلَاعِ فِي العِلْمِ لِظَنِّ العَامَّةِ أَنَّهُ ذُو عِلْمٍ وَاطِّلَاعٍ فَيَقُولُ إِنَّ الخِطَابَ فِي **(تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ)**[2] شَامِلٌ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِأَجْلِ الجَمْعِ، وَذَلِكَ مِنْ عَدَمِ كَمَالِ المَعْرِفَةِ بِوَجْهِ السِّيَاقِ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الخِطَابَ لِلرِّجَالِ فَقَطْ، وَلَوْ أُرِيدَ دُخُولُ النِّسَاءِ لَقَالَ تَسْتَرْضِعْنَ أَوْلَادَكُنَّ.

فَإِنَّ الرِّجَالَ تُجْمَعُ بِالمِيمِ وَالنِّسَاءَ يُجْمَعْنَ بِالنُّونِ، وَيَدُلُّ أَيْضاً عَلَى نَفْيِهِ فِي النِّسَاءِ قَوْلُهُ: **(إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالمَعْرُوفِ)**[3] وَهُوَ أُجْرَةُ المُرْضِعَةِ وَلَيْسَ لِلْمَرْأَةِ مَالٌ تُؤَدِّي مِنْهُ مِنْهُ أُجْرَةَ المُرْضِعَةِ. فَإِنْ كَانَ لَهَا مَالٌ فَلَا يَجِبُ عَلَيْهَا دَفْعُ الأُجْرَةِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِ النَّفَقَةِ، وَلَا نَفَقَةَ عَلَى الأُمِّ بَلْ عَلَى الأَبِ.

فَقَدْ بَانَ لَكَ بِمَا قَرَّرْنَا وُجُوبُ الرَّضَاعَةِ وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى الأُمِّ وَأَنَّ القَوْلَ بِسُقُوطِهَا عَلَى المَرْأَةِ الشَّرِيفَةِ بَاطِلٌ لَا يَحِلُّ ارْتِكَابُهُ. وَأَيْضاً[4]، إِنَّ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ عَمَلُ الإِسْلَامِ فِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ وَالبُلْدَانِ فِي البَادِيَةِ وَالأَمْصَارِ هُوَ أَنَّ كُلَّ وَالِدَةٍ تُرْضِعُ وَلَدَهَا بِلَا مُحَاشَاتٍ مِنْهُمْ[5]، وَلَا مُشَاحَاتَ[6] فِي ذَلِكَ فِي عَصْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ إِلَى هَلُمَّ جَرّاً لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الأُمَّةِ نِزَاعٌ فِي وُجُوبِ الرَّضَاعَةِ عَلَى الأُمَّهَاتِ لِأَوْلَادِهِنَّ اللَّوَاتِي هُنَّ فِي عِصَمِ آبَائِهِنَّ وَلَمْ يُوجَدْ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الإِسْلَامِ وَفِي كُلِّ عَصْرٍ قَوْلَةٌ لِقَاضٍ أَوْ

---

[1]- ع: (فله ذلك) ساقطة

[2]- سورة البقرة، الآية 233

[3]- سورة البقرة، الآية 233

[4]- ع: (وأيضا) ساقطة

[5]- ك: بلا مشاخات

[6]- ك: ولا محاشات

مُفْتٍ بِسُقُوطِ الرَّضَاعَةِ عَلَى الأُمِّ. وَمَضَى عَلَى وُجُوبِ الرَّضَاعَةِ عَمَلُ المُسْلِمِينَ فِي عَصْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ بَعْدَهُ إِلَى هَلُمَّ جَرّاً.

فَبَانَ لَكَ أَنَّ تِلْكَ القَوْلَةَ الَّتِي فِيهَا **سُقُوطُ الوُجُوبِ لِلرَّضَاعَةِ عَلَى المَرْأَةِ**[1] **الشَّرِيفَةِ مَحْضُ الكَذِبِ وَالزُّورِ** بَيِّنَةُ البُطْلَانِ لِمُخَالَفَتِهَا لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ **مِنَ الأَقَاوِيلِ المُزَوَّرَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي كُتُبِ الفِقْهِ** وَحُشِيَتْ بِهَا وَبِنَظَائِرِهَا كُتُبُ الفُرُوعِ، وَهِيَ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا هَذِهِ، **وَمِنْهَا** قَتْلُ الثُّلُثِ لِإِصْلَاحِ الثُّلُثَيْنِ جَوَازاً،

وَمِنْهَا إِبَاحَةُ وَطْءِ الزَّوْجِ فِي دُبُرِ زَوْجَتِهِ، **وَمِنْهَا** نِكَاحُ المُتْعَةِ، **وَمِنْهَا** الزِّيَادَةُ فِي جَمْعِ النِّسْوَةِ عَلَى أَرْبَعٍ، **وَمِنْهَا** تَحْلِيلُ شَحْمِ الخِنْزِيرِ مَعَ تَحْرِيمِ لَحْمِهِ، **وَمِنْهَا** إِبَاحَةُ طَعَامِ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ ذَبَائِحُهُمْ المَيْتَةُ إِذَا طَبَخُوهَا فِي الطَّعَامِ، **وَمِنْهَا** إِبَاحَةُ النَّبِيذِ المُسْكِرِ، **وَمِنْهَا** شُفْعَةُ الجَارِ، **وَمِنْهَا** مَسْئَلَةُ العَرُوسِ فِي أَيَّامِ أُسْبُوعِهَا الأَوَّلِ إِذَا كَانَ العِطْرُ فِي رَأْسِهَا كَثِيراً جِدّاً أَنَّهَا لَا تَغْتَسِلُ وَتَمْسَحُ رَأْسَهَا فَقَطْ فِي الغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ دُونَ الغُسْلِ لِرَأْسِهَا، خَوْفاً مِنْ فَسَادِ العِطْرِ لِكَوْنِهِ إِضَاعَةَ مَالٍ لَا يَحِلُّ.

وَكُلُّ هَذِهِ المَسَائِلِ وَأَشْبَاهُهَا ظَاهِرَةُ البُطْلَانِ وَإِنَّ اتِّبَاعَ أَقَاوِيلِ مَنْ نَصَّ عَلَيْهَا ضَلَالٌ لَا جَزَاءَ لِصَاحِبِهِ إِلَّا النَّارُ. وَلَوْلَا خَوْفُ الإِطَالَةِ المُمِلَّةِ لَسَرَدْنَا كَثِيراً مِنَ المَسَائِلِ المَحْشُوَّةِ فِي كُتُبِ الفِقْهِ الظَّاهِرَةِ الإِبْطَالِ لِمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِمَعَانِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَمَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى عَالِمٍ أَوْ عُلَمَاءَ يَتْبَعُونَ لَهُمْ كُتُبَ الفُقَهَاءِ يُنَقِّحُونَهَا مِمَّا حُشِيَتْ بِهِ مِنَ البَاطِلِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يُنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الضَّالِّينَ وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ). وَلَنَا قَاعِدَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَيْهَا تَنْبَنِي جَمِيعُ الأُصُولِ، أَنَّهُ **لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** وَلَا عِبْرَةَ فِي الحُكْمِ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ

---

[1]- ك: على الأم

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ أَقَاوِيلَ العُلَمَاءِ كُلَّهَا بَاطِلَةٌ إِلَّا مَا كَانَ مُسْتَنِداً لِقَوْلِ اللَّهِ أَوْ قَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَكُلُّ قَوْلٍ لِعَالِمٍ لَا مُسْنَدَ[1] لَهُ مِنَ القُرْآنِ وَلَا مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ بَاطِلٌ[2]، وَكُلُّ قَوْلَةٍ لِعَالِمٍ جَاءَتْ مُخَالِفَةً لِصَرِيحِ القُرْآنِ المُحْكَمِ وَلِصَرِيحِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَرَامٌ الفَتْوَى بِهَا وَإِنْ دَخَلَتْ فِي كُتُبِ الفِقْهِ، لِأَنَّ الفَتْوَى بِالقَوْلِ المُخَالِفِ لِنَصِّ القُرْآنِ أَوْ الحَدِيثِ كُفْرٌ صَرِيحٌ مَعَ العِلْمِ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**)[3]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ). وَالقَوْلُ بِسُقُوطِ الرَّضَاعَةِ عَلَى المَرْأَةِ الشَّرِيفَةِ مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ القُرْآنِ، قَوْلُهُ: (**وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ**)[4]. فَحُكْمُهُ: (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**)[5]. وَتِلْكَ القَوْلَةُ مُحْدَثَةٌ لَمْ تَسْتَنِدْ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَهِيَ رَدٌّ لِحَدِيثِ (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ).

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ لَا تُوقَفَ عَلَى الصِّرَاطِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَلَا تُحْدِثَنَّ فِي دِينِ اللَّهِ حَدَثاً بِرَأْيِكَ). وَامْتِثَالُ أَمْرِ القُرْآنِ وَاتِّبَاعُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ هُوَ سُنَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ

---

[1]- ك: لا مستند

[2]- ي: (وَكُلُّ قَوْلٍ لِعَالِمٍ لَا مُسْنَدَ لَهُ مِنَ القُرْآنِ وَلَا مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ بَاطِلٌ) ساقطة

[3]- سورة المائدة، الآية 44

[4]- سورة البقرة، الآية 233

[5]- سورة المائدة، الآية 44

كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ، يَأْتَمِرُ بِأَوَامِرِهِ وَيَنْتَهِي بِنَوَاهِيهِ.

وَحَيْثُ عُرِفَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ سُنَّتُهُ مُتَابَعَةَ أَحْكَامِ القُرْآنِ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَوَجَبَ رَفْضُ تِلْكَ القَوْلَةِ الرَّذِيلَةِ الَّتِي هِيَ سُقُوطُ الرَّضَاعَةِ عَلَى المَرْأَةِ الشَّرِيفَةِ، لِأَنَّهَا بِدْعَةٌ مُخَالِفَةٌ لِقَوْلِ اللَّهِ وَلِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ وَصَاحِبُهَا فِي النَّارِ) (الحَدِيثُ). وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الحُكْمِ فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)**[1]. الآيَةُ. انْتَهَى.

وَقَدْ وَرَدَ سُؤَالٌ عَلَى سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَصُّهُ: مَا تَقُولُ العُلَمَاءُ أَهْلُ النَّظَرِ وَالبَصِيرَةِ وَكَمَالِ المَعْرِفَةِ بِرُسُومِ الشَّرْعِ وَمَقَاصِدِهِ فِي زَوْجَةٍ ذَاتِ عِصْمَةٍ صَحِيحَةٍ شَرْعاً لِزَوْجِهَا فِي بَلَدٍ لَا حَاكِمَ بِهَا فَرَّتْ مِنْ زَوْجِهَا بِغَيْرِ ضَرَرٍ يُوجِبُ فِرَارَهَا إِلَى دَارِ أَهْلِهَا وَطَلَبَ زَوْجُهَا مِنْ أَهْلِهَا رَدَّ زَوْجَتِهِ إِلَى دَارِهِ فَمَنَعُوهَا مِنْهُ ظُلْماً، حَيْثُ لَا حَاكِمَ يُنْصِفُهُ مِنْهَا، فَلَمَّا كَثُرَ النِّزَاعُ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَأَهْلِهَا وَالزَّوْجِ المَذْكُورِ قَامَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ القَرْيَةِ وَأَوْقَعُوا الطَّلَاقَ عَلَى تِلْكَ الزَّوْجَةِ بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا مُعْتَمِدِينَ فِي نَظَرِهِمْ عَلَى وُجُوبِ الصُّلْحِ وَالطَّلَاقِ دَفْعاً لِلْمُشَاجَرَةِ المُفْضِيَةِ إِلَى القِتَالِ[2] إِنْ دَامَتْ،

وَالزَّوْجُ دَائِمُ الإِبَايَةِ عَنِ الرِّضَا بِذَلِكَ الطَّلَاقِ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ، هَدَأَ[3] النِّزَاعُ وَتَرَاضَى الزَّوْجُ المَذْكُورُ مَعَ أَهْلِ المَرْأَةِ المَذْكُورَةِ وَرُدَّتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ لِدَارِهِ وَهُوَ[4] يَعْتَقِدُ عَدَمَ طَلَاقِهَا، بَلْ

---

[1]- سورة المائدة، الآية 50

[2]- ك ي: للقتال

[3]- ع ك ي: هذا

[4]- ع ك ي: هو

إِنَّمَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ بِدُونِ طَلَاقٍ لِكَوْنِهِ لَمْ يَرْضَ بِطَلَاقِ الجَمَاعَةِ، وَأَهْلُ المَرْأَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا رُدَّتْ إِلَيْهِ بِإِثْرِ طَلَاقٍ وَهُمْ مُعْتَدُّونَ بِهِ. ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ هَرَبَتْ أَيْضاً إِلَى دَارِ أَهْلِهَا بِغَيْرِ ضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ مُعْتَقِدَةً هِيَ وَأَهْلُهَا أَنَّهُ لَا عِصْمَةَ عَلَيْهَا لِزَوْجِهَا المَذْكُورِ لِصِحَّةِ طَلَاقِ الجَمَاعَةِ فِي زَعْمِهِمْ.

ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ، تَرَاضَى الزَّوْجُ المَذْكُورُ مَعَ أَهْلِهَا وَرَدُّوهَا إِلَى دَارِهِ، فَبَقِيَتْ بِدَارِ زَوْجِهَا مُدَّةً أَيْضاً ثُمَّ[1] هَرَبَتْ[2] إِلَى دَارِ أَهْلِهَا بِغَيْرِ ضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ مُعْتَقِدَةً أَيْضاً مَعَ أَهْلِهَا أَنَّهُ لَا عِصْمَةَ لِلزَّوْجِ عَلَيْهَا لِصِحَّةِ طَلَاقِ الجَمَاعَةِ فِي زَعْمِهِمْ. انْتَهَى السُّؤَالُ.

فَأَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ: اعْلَمْ أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ مُحْتَوٍ عَلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ، **الفَصْلُ الأَوَّلُ** فِي صِحَّةِ طَلَاقِ الجَمَاعَةِ المَذْكُورَةِ وَعَدَمِ صِحَّتِهِ. **الفَصْلُ الثَّانِي** فِي جَوَازِ تَطْلِيقِ المَرْأَةِ مِنْ زَوْجِهَا بِغَيْرِ رِضَاهُ إِذَا كَانَ بَقَاؤُهَا فِي عِصْمَتِهِ يُؤَدِّي إِلَى القِتَالِ وَالقَتْلِ تَحْقِيقاً وَعَدَمِ جَوَازِهِ. **الفَصْلُ الثَّالِثُ** فِي الكَلَامِ عَلَى رَدِّ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا بَعْدَ إِيقَاعِ الطَّلَاقِ المَذْكُورِ، ثُمَّ هُرُوبِهَا مُعْتَدَّةً بِالطَّلَاقِ الأَوَّلِ.

فَأَمَّا الجَوَابُ عَنِ الأَوَّلِ أَنَّ عِصْمَةَ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ الشَّرْعِيَّةِ لَا تَنْحَلُّ إِلَّا بِمَوْتِ الزَّوْجِ أَوْ طَلَاقِهِ صَرِيحاً أَوْ كِنَايَةً أَوْ تَطْلِيقِ الحَاكِمِ وَهُوَ القَاضِي أَوْ السُّلْطَانُ الشَّرْعِيُّ بِشُرُوطِهِ مِنْ وُقُوعِ الضَّرَرِ الثَّقِيلِ أَوْ الخَفِيفِ الدَّائِمِ مِنَ الزَّوْجِ لَا غَيْرَ. وَمَا سِوَى هَذِهِ الأُمُورِ لَا تَنْحَلُّ بِهَا عِصْمَةُ الزَّوْجِ عَنْ زَوْجَتِهِ شَرْعاً.

فَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَطَلَاقُ الجَمَاعَةِ بَاطِلٌ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ شَرْعاً، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَةَ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا فَهُوَ فُضُولِيٌّ وَطَلَاقُ الفُضُولِيِّ كَبَيْعِهِ، مَوْقُوفٌ عَلَى إِجَازَةِ مَنْ بِيَدِهِ العِصْمَةُ إِنْ أَجَازَهُ صَحَّ وَإِلَّا بَطُلَ مَا لَمْ يَكُنْ المُطَلِّقُ لِزَوْجَةِ غَيْرِهِ حَاكِماً شَرْعاً بِسَبَبِ ضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ يُبِيحُ تَطْلِيقَ الزَّوْجَةِ مِنْهُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ.

---

[1]- ع: (ثم) ساقطة

[2]- ك: ذهبت

فَطَلَاقُ الحَاكِمِ حِينَئِذٍ صَحِيحٌ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ. وَأَمَّا سِوَى الحَاكِمِ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى تَطْلِيقِ زَوْجَةِ الغَيْرِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَحِينَئِذٍ طَلَاقُ الجَمَاعَةِ لَمْ يُصَادِفْ مَحَلّاً، إِذْ لَيْسُوا فِي مَرْتَبَةِ الحَاكِمِ الَّذِي لَهُ النَّظَرُ وَلَمْ يَكُنْ الزَّوْجُ أَجَازَ طَلَاقَهَا، فَظَهَرَ إِبْطَالُ طَلَاقِ الجَمَاعَةِ شَرْعاً لِبَيَانِ أَنَّهُمْ فُضُولِيُّونَ، فَلَا حُكْمَ لَهُمْ فِي الطَّلَاقِ.

وَأَمَّا الجَوَابُ عَنِ الفَصْلِ الثَّانِي وَهُوَ جَوَازُ تَطْلِيقِ المَرْأَةِ مِنْ زَوْجِهَا لِلْحَاكِمِ بِغَيْرِ ضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ، لَكِنْ: بَقَاؤُهَا فِي عِصْمَتِهِ يُفْضِي إِلَى القَتْلِ وَالقِتَالِ وَعَدَمُ جَوَازِهِ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ: **اعْلَمْ** أَنَّ خَوْفَ وُقُوعِ القَتْلِ وَالقِتَالِ عَلَى دَوَامِ عِصْمَةِ زَوْجٍ شَرْعِيٍّ عَلَى زَوْجَتِهِ لَا يُوجِبُ تَطْلِيقَ الزَّوْجَةِ المَذْكُورَةِ مِنْ زَوْجِهَا مَا لَمْ يُقْتَرَنْ بِضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ يُبِيحُ التَّطْلِيقَ مِنْهُ بِحُكْمِ الحَاكِمِ لَا غَيْرَ، لِكَوْنِ انْحِلَالِ عِصْمَةِ الزَّوْجِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ وَبِغَيْرِ ضَرَرٍ إِلَّا خَوْفَ التَّأَدِّي إِلَى القِتَالِ عَنْ زَوْجَتِهِ لَا مَحَلَّ لَهُ فِي رُسُومِ الشَّرْعِ لَا كِتَاباً وَلَا سُنَّةً وَلَا فِي كُتُبِ الفُرُوعِ،

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ سَفْكَ الدِّمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ وَمِنْ أَعْظَمِ الضَّرُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ حَيْثُ لَا حَاكِمَ يَرْفَعُهُ، وَإِيقَاعُ الطَّلَاقِ كَرْهاً عَلَى الزَّوْجِ دَفْعاً لِسَفْكِ الدِّمَاءِ هُوَ أَمْرٌ أَخَفُّ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَارْتِكَابُ أَخَفِّ الضَّرَرَيْنِ أَوْلَى.

قُلْنَا: إِنَّ هَذَا النَّظَرَ بَاطِلٌ، وَبَيَانُهُ أَنَّ الطَّلَاقَ حِينَئِذٍ طَلَاقُ إِكْرَاهٍ، وَطَلَاقُ الإِكْرَاهِ[1] فِي الشَّرْعِ بَاطِلٌ لَا يَلْزَمُ مِمَّا ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ)، وَالإِغْلَاقُ هُوَ الإِكْرَاهُ، **فَإِنْ قَالَ المُعَارِضُ** أَنَّ طَلَاقَ الحَاكِمِ بِالضَّرَرِ بِغَيْرِ إِذْنِ الزَّوْجِ إِكْرَاهٌ وَطَلَاقُ الإِكْرَاهِ بَاطِلٌ، فَكَيْفَ صَحَّ طَلَاقُ الحَاكِمِ بِالضَّرَرِ؟ **قُلْنَا:** إِنَّ طَلَاقَ الحَاكِمِ بِالضَّرَرِ مُتَّبَعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ.

---

[1]- ع ك ي هـ ق ص: (وَطَلَاقُ الإِكْرَاهِ) ساقطة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)**[1]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ)**. إِلَى قَوْلِهِ: **(وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا)**[2]. الآيَةُ. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي مَسْأَلَةِ الرَّجْعَةِ عِنْدَ كَمَالِ العِدَّةِ مَضَارَّةً بِالزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجِهَا فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ جَمِيعَ وُجُوهِ الإِمْسَاكِ بِالضَّرَرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ[3]: **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ)**[4].

فَمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَضَرَّ بِزَوْجَتِهِ طَلَّقَهَا الحَاكِمُ عَلَيْهِ كَرْهاً، وَلَيْسَ مِنْ صُوَرِ الطَّلَاقِ بِالإِكْرَاهِ، لِأَنَّ الطَّلَاقَ بِالإِكْرَاهِ بَاطِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الحَاكِمِ عَنْ ضَرَرٍ مِنَ الزَّوْجِ، وَأَيْضاً إِذَا طُلِّقَتْ المَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ دُونَ ضَرَرٍ لَحِقَهَا مِنْ زَوْجِهَا، بَلْ لِأَجْلِ خَوْفِ القَتْلِ وَالقِتَالِ، وَدَفْعاً لِلْفَسَادِ بِهِمَا، فَإِنَّ فَرْجَهَا حِينَئِذٍ لَا يَحِلُّ وَطْئُهُ بِغَيْرِ زَوْجِهَا الَّذِي طُلِّقَتْ مِنْهُ إِذَا تَزَوَّجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّهَا بَاقِيَةٌ فِي عِصْمَةِ الأَوَّلِ، وَلَا سَبِيلَ لِطَلَاقِهَا مِنْهُ، فَهِيَ مُحْصَنَةٌ بِعِصْمَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ نِكَاحَ المُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مُحَرَّمَاتِ النِّكَاحِ عَاطِفاً عَلَيْهَا بِالتَّحْرِيمِ: **(وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ)**[5]. **فَإِنْ قَالَ المُعَارِضُ** أَنَّهَا لَيْسَتْ مُحْصَنَةً بَلْ إِنَّمَا طَلَّقْنَاهَا خَوْفاً مِنْ وُقُوعِ القَتْلِ وَالقِتَالِ فَهِيَ مُنْحَلَّةُ العِصْمَةِ. **قُلْنَا:** قَدْ قَدَّمْنَا الوُجُوهَ الَّتِي تَنْحَلُّ بِهَا العِصْمَةُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ مِنْهَا[6]، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنْ لَا[7] وُجُودَ لِهَذِهِ المَسْأَلَةِ فِي الشَّرْعِ أَصْلاً، وَلَا قَائِلَ بِهَا مِنَ الأَئِمَّةِ. فَالطَّلَاقُ لِأَجْلِهَا بَاطِلٌ.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 229

[2]- سورة البقرة، الآية 231

[3]- ك: وقال سبحانه وتعالى

[4]- سورة النساء، الآية 19

[5]- سورة النساء، الآية 24

[6]- ع ك ي: (منها) ساقطة

[7]- ك: ألا

وَأَمَّا الجَوَابُ عَنِ الفَصْلِ الثَّالِثِ فَيُغْنِي عَنْهُ مَا قَدَّمْنَاهُ فِي جَوَابِ الفَصْلَيْنِ، وَاللَّهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَاءِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مُحِبِّنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ المَشْرِي، وَكَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَجُلٍ تَخْرُجُ العِمَارَةُ مِنْ مِكْحَلَتِهِ بِغَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ، وَتَضْرِبُ البُنْدُقَةُ حَيَوَاناً آخَرَ تَجْرَحُهُ أَوْ تَقْتُلُهُ، مَاذَا يَلْزَمُ صَاحِبَ المِكْحَلَةِ، فَإِنَّ الفُقَهَاءَ عِنْدَهُمْ هَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ الخَطَأِ وَلَا مِنْ بَابِ العَمْدِ، أَعْنِي فُقَهَاءَ عَصْرِنَا لِفَقْدِهِمْ وُجُودَ النَّصِّ فِي النَّازِلَةِ فِي كُتُبِ الأَوَائِلِ لِعَدَمِ وُجُودِ المِكْحَلَةِ فِي الزَّمَانِ المُتَقَدِّمِ.

قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي أَقُولُ بِهِ وَأُجِيبُ بِهِ السَّائِلَ أَنَّ صَاحِبَ المِكْحَلَةِ إِذَا لَمْ يَحُطَّ الزِّنَادَ مِنْ نِصْفِ الطَّلْعَةِ وَتَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ حَتَّى طَلَعَ وَحْدَهُ، فَالضَّمَانُ لَازِمٌ لَهُ وَعَلَيْهِ الدِّيَةُ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لَا ضَمَانَ فِيهَا لِأَنَّ الشَّارِعَ سَمَّاهَا بِأَعْيَانِهَا وَهِيَ: البِئْرُ وَالمَعْدِنُ وَالعُجْمَى، وَلَيْسَ مِنَ الخَطَأِ حَتَّى تَكُونَ الدِّيَةُ عَلَى العَاقِلَةِ[1] فِيمَا زَادَ عَلَى الثُّلُثِ، لِأَنَّهُ فَرَّطَ حِينَ[2] لَمْ يَحُطَّ الزِّنَادَ عَلَى[3] المَوْضِعِ الَّذِي تُقْدَحُ[4] مِنْهُ النَّارُ، وَكُلُّ مَنْ فَرَّطَ فِي شَيْءٍ يَقَعُ مِنْ تَفْرِيطِهِ الضَّرَرُ لِغَيْرِهِ، فَالضَّمَانُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ وُقُوعُ هَذِهِ نَادِراً بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهَا. هَكَذَا قَرَّرَهَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَحْرِيرُ المَسْئَلَةِ عَلَى مَا فَهِمْتُ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ حَدَّ العَمْدِ وَحَدَّ الخَطَأِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ **العَمْدَ عِنْدَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَنْ يَقْصِدَ الفَاعِلُ** إِتْلَافَ المَالِ أَوْ النَّفْسِ ابْتِدَاءً أَوْ يَقْصِدُ ضَرْبَ أَحَدٍ ظُلْماً فَتَجُوزُ الضَّرْبَةُ لِغَيْرِهِ أَوْ يَفْعَلُ فِعْلاً مَأْذُوناً لَهُ فِيهِ مِنْ ضَرْبِهِ لِصَيْدٍ أَوْ غَرَضٍ، وَهُوَ فِي وَسَطِ العِمَارَةِ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا وَرَاءَ الصَّيْدِ، أَوْ

---

[1]- العَاقِلَة: جَمْع عَاقِل وَهُوَ دَافِع الدِّيَة

[2]- ع ك ي هـ ق ص: (حين) ساقطة

[3]- ي: عن

[4]- ع: نقدح

الغَرَضَ مِنْ آدَمِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، فَيَجُوزُ السَّهْمُ أَوْ البُنْدُقَةُ فَتُصِيبُ غَيْرَ مَا أَرَادَهُ، فَهَذَا وَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْصِدْهُ ابْتِدَاءً فَهُوَ مِنْ بَابِ العَمْدِ لِكَوْنِهِ مُفَرِّطاً لِعَدَمِ بَحْثِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ المَرْمَى مِنْ صَيْدٍ أَوْ غَرَضٍ.

وَالمُفَرِّطُ ضَامِنٌ عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الفُقَهَاءِ. **وَأَمَّا حَدُّ الخَطَأِ،** فَهُوَ كُلُّ فِعْلٍ مَأْذُونٌ فِيهِ لِفَاعِلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مُفَرِّطاً فِيهِ، مَفْهُومُهُ إِذَا فَرَّطَ فَعَلَيْهِ الضَّمَانُ، وَإِنْ كَانَ العَمَلُ مَأْذُوناً لَهُ فِيهِ، فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ البَارُودَ وَالبُنْدُقَةَ فِي مِكْحَلَتِهِ وَتَرَكَ زِنَادَهُ فِي الطَّلْعَةِ الصُّغْرَى وَطَاحَ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ وَقَتَلَ أَحَداً، فَالضَّمَانُ لَازِمٌ لَهُ وَحْدَهُ لِتَفْرِيطِهِ، لِأَنَّهُ كَالعَامِدِ لِخِلَافِهِ المَأْمُورَ بِهِ شَرْعاً، لِأَنَّ المَأْمُورَ إِذَا كَانَ فِي مَحَلِّ الأَمْنِ أَنْ لَا يَعْمَلَ البَارُودَ وَمَا مَعَهُ فِي المِكْحَلَةِ، وَعَلَى تَقْدِيرِ عَمَلِهِ فِيهَا فَلْيَحُطَّ الزِّنَادَ مِنْ طَلْعَتِهِ الصُّغْرَى،

فَإِذَا خَالَفَ مَا ذَكَرْنَا فَهُوَ مُفَرِّطٌ وَعَلَيْهِ الضَّمَانُ. وَيُفْهَمُ مِنَ الأَمْنِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي مَحَلِّ خَوْفٍ وَلَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَحُطَّ زِنَادَهُ مِنَ الطَّلْعَةِ السُّفْلَى لِلْخَوْفِ مِمَّا يَفْجَأُهُ مِنْ لِصٍّ أَوْ سَبُعٍ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِرَفْعِ فَمِ مِكْحَلَتِهِ إِلَى نَاحِيَةِ السَّمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَرْفَعْهَا وَطَاحَ الزِّنَادُ وَضَرَبَتْ أَحَداً فَعَلَيْهِ دِيَةُ خَطَأٍ لِأَنَّهُ مُفَرِّطٌ وَلَمْ يَكُنْ كَالعَمْدِ، لِأَنَّ الشَّارِعَ يَعْذُرُهُ لِلْخَوْفِ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ العَاقِلَةَ إِلَّا إِذَا قَامَتْ البَيِّنَةُ عَلَى صِدْقِهِ، وَتُصَدِّقُهُ العَاقِلَةُ لِعَدَمِ التُّهْمَةِ، لِأَنَّ العَاقِلَةَ لَا تُحْمَلُ إِلَّا مَا قَامَتْ عَلَيْهِ البَيِّنَةُ، فَإِذَا لَمْ تَقُمْ البَيِّنَةُ عَلَى[1] دَعْوَى القَاتِلِ وَلَمْ تُصَدِّقْهُ العَاقِلَةُ فَهُوَ مَحَلُّ نَظَرٍ عِنْدَ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَقَّفَ فِيهِ وَلَمْ يَجْزِمْ فِيهِ بِشَيْءٍ لِشِدَّةِ وَرَعِهِ وَمُحَافَظَتِهِ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَيْسَ هَذِهِ النَّازِلَةُ مِنَ الهَدَرِ الَّذِي لَا دِيَةَ فِيهِ وَلَا قِصَاصَ، لِأَنَّ الأُمُورَ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا ذَكَرَهَا الشَّارِعُ بِأَعْيَانِهَا وَهِيَ: العُجْمَى وَالبِئْرُ وَالمَعْدِنُ. وَيَلْحَقُ بِهَا مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ،

---

[1]- ك: (صِدْقِهِ، وَتُصَدِّقُهُ العَاقِلَةُ لِعَدَمِ التُّهْمَةِ، لِأَنَّ العَاقِلَةَ لَا تُحْمَلُ إِلَّا مَا قَامَتْ عَلَيْهِ البَيِّنَةُ، فَإِذَا لَمْ تَقُمْ البَيِّنَةُ عَلَى) ساقطة

وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا دِيَةَ لَهُ لِنَهْيِ الشَّارِعِ عَنْ فِعْلِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ سَقَطَ مِنْ سَطْحٍ وَهُوَ نَائِمٌ لِلنَّهْيِ أَيْضاً عَنِ النَّوْمِ بِالسَّطْحِ، وَلَيْسَ فِيهِ حَائِلٌ يَقِيهِ مِنَ السُّقُوطِ لِأَنَّهُ قَالَ فِيمَنْ نَامَ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمَّةُ اللَّهِ مِنْهُ. فَإِنَّ هَذَا لَا دِيَةَ فِيهِ لِكَوْنِهِ فَعَلَ مَا نَهَى عَنْهُ. هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انْتَهَى مَا فَهِمَهُ وَسَمِعَهُ مِنْ تَقْرِيرِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحِبُّنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ المَشْرِي حَفِظَهُ اللَّهُ بِمَنِّهِ آمِينَ.

وَوَرَدَ[1] عَلَى سَيِّدِنَا سُؤَالٌ وَنَصُّهُ: سَادَاتِنَا العُلَمَاءَ، جَوَابُكُمْ فِيمَنْ حَصَدَ زَرْعَهُ وَجَمَعَهُ وَبَقِيَ إِلَى آخِرِ رَمَضَانَ وَشَرَعَ فِي الدِّرَاسِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَلْحَقُ الزَّرْعَ وَأَكَلَ رَمَضَانَ. هَلْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ الأَكْلُ وَيَبْقَى حَتَّى تَمْضِيَ الأَيَّامُ البَاقِيَةُ مِنَ الصِّيَامِ نَحْوَ السِّتَّةِ أَيَّامٍ فَقَطْ وَيَشْرَعُ فِي الدِّرَاسِ، وَالحَالَةُ أَنَّ رَبَّ الزَّرْعِ المَذْكُورِ لَمْ يَكُنْ لَهُ[2] مُعِينٌ[3] فِي الخِدْمَةِ، وَهُوَ مَلِيٌّ يَقْدِرُ أَنْ يُؤَاجِرَ عَلَى دَرْسِ زَرْعِهِ مِنْ مَالِهِ، أَجِيبُوا، لَنَا وَلَكُمْ الأَجْرُ[4] وَالثَّوَابُ.

فَأَجَابَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: اعْلَمْ أَنَّ وُجُوبَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَيْنِهِ لَازِمٌ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ، مُعَلَّقٌ فِي رَقَبَتِهِ، لَا يَنْحَطُّ عَنْهُ وَلَا يَنْحَلُّ، **وَلَا يُبَاحُ فِطْرُهُ إِلَّا لِنَاقِلٍ أَصْلِيٍّ** كَالعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ المَرَضِ وَالسَّفَرِ فَقَطْ. **أَمَّا السَّفَرُ** فَمَعْلُومٌ عِنْدَ المُسْلِمِينَ مِنْ جَوَازِهِ، وَمَسَافَةُ القَصْرِ المُشْتَرَطَةُ فِيهِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشُّرُوطِ.

وَأَمَّا المَرَضُ فَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الأَبْدَانِ، وَلَا نُطِيلُ بِتَفْصِيلِهِ هُنَا، إِذْ لَيْسَ مَقْصُوداً. فَإِنْ كَانَتْ العِلَّةُ هِيَ إِضَاعَةُ المَالِ المُنْهَى عَنْهَا، فَلْيَنْظُرْ إِنْ كَانَ[5] تَرَكَهَا حَتَّى يُكَمِّلَ صَوْمَ

---

[1]- ك: ورد

[2]- ك ي: (له) ساقطة

[3]- ع ك ي: معينا

[4]- ك ي: الأجر من الله

[5]- ك ي: إن كان إذا

رَمَضَانَ لَمْ يَفْسُدْ فَلَا يُبَاحُ لَهُ فِعْلُهَا المُؤَدِّي لِإِفْطَارِهِ، فَإِنْ فَعَلَهَا وَأَفْطَرَ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ وَالكَفَّارَةُ، وَإِنْ كَانَ إِذَا[1] تَرَكَهَا تَفْسُدُ وَتُهْلَكُ فَيُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ، لَكِنْ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الخِدْمَةِ وَهُوَ صَائِمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ فَلَا يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ، هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ فِعْلٍ.

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الزَّرْعِ الَّتِي ذَكَرَهَا، أَمَّا الدَّرَّاسُ فَلَا يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ لِأَنَّهُ لَا يَفْسُدُ وَلَوْ بَقِيَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ العَامِّ وَالخَاصِّ فَضْلاً عَنِ الأَيَّامِ القَلِيلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُمْ، فَمَنْ أَفْطَرَ بِفِعْلِهِ لَهُ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ وَالكَفَّارَةُ وَهُوَ عَاصٍ مُنْتَهِكٌ لِحُرْمَةِ الشَّهْرِ الَّتِي لَا تُبَاحُ إِلَّا بِوُجُودِ العِلَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّارِعُ، وَهِيَ إِضَاعَةُ المَالِ، وَهِيَ مَنْفِيَّةٌ هُنَا.

وَأَمَّا الحَصَادُ فَلْيَنْظُرْ صَاحِبُ الزَّرْعِ إِنْ كَانَ إِذَا تَرَكَهُ لَا يَخَافُ هَلَاكَهُ بِسُقُوطِهِ لِشِدَّةِ يُبْسِهِ أَوْ بِأَمْرٍ آخَرَ مُتَحَقَّقٌ وُقُوعُهُ فَيَتْرُكُهُ وَيَتَمَادَى عَلَى صَوْمِهِ، فَإِنْ حَصَدَهُ مَعَ هَذَا وَأَدَّاهُ لِلْإِفْطَارِ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ وَالكَفَّارَةُ أَيْضاً، وَإِنْ كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ بِتَرْكِهِ مِمَّا ذَكَرْنَا فَيَجُوزُ لَهُ الفِطْرُ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ لَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ يَقْدِرُ أَنْ يُؤَاجِرَ عَلَيْهِ، هَذَا إِذَا كَانَ الأَجِيرُ كَافِراً وَأَمَّا إِنْ كَانَ مُسْلِماً فَحُكْمُهُ وَرَبِّ الزَّرْعِ سَوَاءٌ، فَلَا يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِذَا تَرَكَ الخِدْمَةَ وَصَارَ حُكْمُهُ مِمَّنْ تَحِلُّ لَهُ المَيْتَةُ، فَعِنْدَ هَذَا يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ لِخِدْمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الحَالَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَأَفْطَرَ لِخِدْمَتِهِ، فَعَلَيْهِ القَضَاءُ وَالكَفَّارَةُ وَهُوَ عَاصٍ أَيْضاً، وَلَا أَظُنُّهُ يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الحَالَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا إِلَّا فِي وَقْتِ الجُوعِ الشَّدِيدِ وَلَا جُوعَ اليَوْمَ فِي قُطْرِنَا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ.

فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يَجِبُ سُلُوكُهُ وَالصِّرَاطُ الَّذِي قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(فَاتَّبِعُوهُ)**[2].

---

[1]- ك (إذا) ساقطة

[2]- سورة الأنعام، الآية 153

وَأَمَّا مَا يُوجَدُ فِي[1] الفَتَاوِي فِي القِيَاسَاتِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا صَحِيحٌ، فَهُوَ بُنَيَّةُ الطَّرِيقِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا بِقَوْلِهِ: **(وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)**[2]. الآيَةُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مُحِبِّنَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ المَشْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُئِلَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَسَائِلَ مِنْهَا مَا حُكْمُ اللَّهِ فِي مَالِ الأَعْرَابِ المُحَارِبِينَ النَّاهِبِينَ أَمْوَالَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً؟ وَمَا حُكْمُ المُعَامَلَةِ مَعَهُمْ؟ وَمَا الحُكْمُ فِي صَدَقَاتِهِمْ وَعَطِيَّتِهِمْ وَمُشَارَطَةِ الطَّلَبَةِ عِنْدَهُمْ لِلْقِرَاءَةِ؟ فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا نَصُّهُ قَالَ: **اعْلَمْ** أَنَّ إِجْمَاعَ الأُمَّةِ انْعَقَدَ عَلَى أَنَّهُ **لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ**، وَكُلُّ مَا أُخِذَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَحَرَامٌ إِلَّا مَا يَأْخُذُهُ بِصُورَةٍ شَرْعِيَّةٍ قَهْرِيَّةٍ كَأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْ مَانِعِهَا وَكَأَخْذِ حُقُوقِ المَظْلُومِينَ مِنْ مَانِعِهَا وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الحُقُوقِ اللَّازِمَةِ شَرْعاً وَهِيَ كَثِيرَةٌ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ الفُرُوعِ، فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا،

فَإِنَّ أَخْذَ ذَلِكَ مِنْ صَاحِبِهِ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ حَلَالٌ لِتَعَلُّقِ الحَقِّ الشَّرْعِيِّ بِهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ). وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا، فَإِنَّ أَخْذَ مَالِ المُسْلِمِ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ حَرَامٌ بِالإِجْمَاعِ، يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ). وَالحَدِيثُ، وَقَضِيَّتُهُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ، فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)**[3]. فَالمَرْجِعُ فِي الحُكْمِ إِلَى هَذِهِ النُّصُوصِ القَطْعِيَّةِ،

---

[1]- ك ي: من

[2]- سورة الأنعام، الآية 153

[3]- سورة النساء، الآية 29

وَالوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهَا فَرْضٌ لَازِمٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. فَإِذَا عُرِفَ هَذَا، فَمَا مَضَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ الأَعْرَابِ وَالظَّلَمَةِ مِنْ اقْتِحَامِهِمْ وَأَخْذِ مَالِ المُسْلِمِينَ بِغَيْرِ صُورَةٍ شَرْعِيَّةٍ، فَكُلُّ مَا بِأَيْدِيهِمْ حَرَامٌ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مُعَامَلَتُهُمْ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ العِوَضِ وَلَا قَبُولُ عَطِيَّاتِهِمْ[1] وَهَدَايَاهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ، فَهَذَا حَدُّهُ فِي الأَصْلِ،

ثُمَّ إِنْ كَانَ البَلَدُ غَلَبَ عَلَيْهَا جَمِيعُ ذَلِكَ وَلَا يُوجَدُ غَيْرُهُ بِأَيْدِيهِمْ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ المُخَالَطَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ، وَمَنْ تَعَلَّلَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الفِقْهِ أَوْ إِلَى الإِسْلَامِ فَأَخَذَ ذَلِكَ مُسْتَحِلّاً لَهُ مُعْتَذِراً بِعَدَمِ وُجُودِ غَيْرِهِ فَلَا عُذْرَ لَهُ فِي الشَّرْعِ، وَيُسَجَّلُ عَلَيْهِ فِي الشَّرْعِ بِأَنَّهُ مُقْتَحِمٌ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ظُلْماً. وَلَا يَحِلُّ سُكْنَاهُ فِي تِلْكَ البَلَدِ وَلَا بَقَاؤُهُ بَيْنَهُمْ، وَالهِجْرَةُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ وَاجِبَةٌ بِتَوَاتُرِ نُصُوصِ الشَّرْعِ وَمَا كَانَ مُخَلَّطاً عِنْدَهُمْ بِوُجُوهِ التِّجَارَةِ فِي ذَلِكَ الحَرَامِ وَإِتْلَافِ عَيْنِهِ وَاشْتِرَاءِ بَدَلِهِ عَيْناً أُخْرَى أَوْ بِوُجُوهِ الحِرَاثَةِ وَالصِّنَاعَةِ أَوْ ضَمِّ مَالٍ بِصُورَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَيْهِ.

فَالأَصْلُ المُعَوَّلُ عَلَيْهِ، أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَرَامٌ بِجَمِيعِ مَا اخْتَلَطَ فِيهِ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ تَمَسَّكَ بِهَذَا الأَصْلِ وَجَرَى عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنْ تَنَزَّلَ الأَمْرُ إِلَى عُمُومِ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ وَاخْتِلَاطِ ذَلِكَ بِصُورَةِ حَلَالٍ، وَصُورَةِ حَرَامٍ بِأَيْدِي كَاسِبِيهِ كَمَا هِيَ صُورَةُ الوَقْتِ، فَعَلَى المُؤْمِنِ فِي إِقَامَةِ طَلَبِ فَرْضِ الحَلَالِ أَنْ يَجْتَنِبَ مَا عَمِلَتْ صُورَتُهُ صُورَةَ الغَصْبِ وَالمُحَرَّمِ.

وَمَا جُهِلَ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ الأَصْلُ الاخْتِلَاطُ بِصُورَةِ حَلَالٍ وَصُورَةِ حَرَامٍ كَمَا ذَكَرْنَا أَوَّلاً، وَعَمَّ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ كَمَا هُوَ صُورَةُ الوَقْتِ، رَجَعَ إِلَى أَصْلِ الحَلَالِ الثَّالِثِ وَهُوَ أَنَّ الحَلَالَ مَا جُهِلَ أَصْلُهُ، فَإِنَّ **صُورَةَ الحَلَالِ** كَانَ فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا عُرِفَ أَصْلُهُ وَأَصْلُ أَصْلِهِ**. ثُمَّ لَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ الخِلَافَةِ وَرَجَعَتْ مُلْكاً عَضُوداً[2]، **رَجَعَ الحَلَالُ**

[1]- ع: عطاياتهم

[2]- ك ي: عضوضا

مَا عُرِفَ أَصْلُهُ فَقَطْ، ثُمَّ لَمَّا زَادَ الفَسَادُ وَطَمَا بَحْرُهُ **صَارَ الحَلَالُ مَا جُهِلَ أَصْلُهُ، وَهِيَ المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ** فِي الحَلَالِ.

وَعَلَى هَذَا الحَدِّ وَهَذَا المِنْوَالِ، يَجْرِي الحُكْمُ فِي مُعَامَلَةِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ بِوُجُوهِ العِوَضِ وَقَبُولِ عَطِيَّاتِهِمْ. فَلَا يُجْتَنَبُ مِنْهَا إِلَّا مَا عُرِفَ صُورَةُ الحَرَامِ فِيهِ مِثْلُ الشَّيْءِ المَغْصُوبِ وَالمَأْخُوذِ فِي ثَمَنِ الخَمْرِ، وَالمَأْخُوذِ فِي صُورَةِ رِبَا النَّسِيئَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، يُقَاسُ مَا لَمْ يُذْكَرْ مِنْهَا عَلَى مَا ذُكِرَ. وَأَمَّا مَا جُهِلَتْ صُورَتُهُ، فَإِنْ عُلِمَ مِنْ صَاحِبِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا الحَرَامُ لَمْ يُخَلِّطْهُ بِصُورَةٍ أُخْرَى كَالحِرَاثَةِ وَالتِّجَارَةِ وَإِبْدَالِ عَيْنٍ بِعَيْنٍ أُخْرَى.

فَكُلُّ مَا بِيَدِهِ حَرَامٌ لَا تَحِلُّ مُعَامَلَتُهُ وَلَا قَبُولُ عَطِيَّاتِهِ وَمَا اخْتَلَطَ بِهَذِهِ الصُّوَرِ مِنْ تِجَارَةٍ وَحِرَاثَةٍ وَصِنَاعَةٍ وَإِبْدَالِ عَيْنٍ بِعَيْنٍ أُخْرَى وَإِضَافَةِ حَلَالٍ لَهُ، لَمْ يَحْرُمْ مَا فِي يَدِهِ إِلَّا مَا لَهُ عَيْنٌ قَائِمَةٌ فِي التَّحْرِيمِ، وَمَا جُهِلَ أَصْلُهُ فَحَلَالٌ. **وَقَوْلُنَا فِي هَذَا المَحَلِّ "حَلَالٌ" فَإِنَّمَا هُوَ حَلَالٌ عَرَضِيٌّ لَا أَصْلِيٌّ** لِعَدَمِ وُجُودِ غَيْرِهِ بِكَثْرَةِ الفَسَادِ وَعُمُومِهِ فِي الأَرْضِ وَاحْتِيَاجِ العَبْدِ إِلَى القُوتِ، فَيَكُونُ حَلَالاً بِمَا أَعْطَاهُ حُكْمُ الوَقْتِ وَالضَّرُورَةِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**)[1].

وَكَذَا قَالَ القُطْبُ الكَامِلُ وَالوَارِثُ الوَاصِلُ وَالقُدْوَةُ الشَّامِلُ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَقْطَةً مِنْ دَمٍ لَكَانَ قُوتُ المُؤْمِنِ مِنْهَا حَلَالاً لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ العِبَادَةَ عَلَى العَبْدِ وَأَبَاحَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ (**مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً**)[2] كَمَا هُوَ نَصُّ الآيَةِ، فَإِذَا تَتَبَّعَ فِي الأَرْضِ وُجُوهَ الحَلَالِ، وَعَمَّتْ البَلِيَّةُ فِي الأَرْضِ كَانَ اقْتِحَامُهُ لِلْحَلَالِ الأَعْلَى فَالأَعْلَى إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا عُرِفَ أَصْلُهُ وَأَصْلُ أَصْلِهِ كَمُعَامَلَةِ

---

[1]- سورة الحج، الآية 78

[2]- سورة البقرة، الآية 168

الحَرْبِيِّينَ بِأَخْذِ الأُجْرَةِ مِنْهُمْ عَلَى الخِدْمَةِ وَالإِشْتِرَاءِ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ، فَإِنْ كَانَ مَا بِأَيْدِيهِمْ كُلُّهُ حَلَالاً[1] لَا مُعَارَضَةَ فِيهِ.

فَمَنْ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى هَذَا وَأَمْكَنَهُ فَلَا يَحِلُّ لَهُ مُعَامَلَةُ المُسْلِمِينَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَلَا يُعَامِلُ إِلَّا الكُفَّارَ الحَرْبِيِّينَ لِتَمَحُّضِ الحَلَالِ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَوْ أَخَذُوا مَالَ المُسْلِمِينَ فَكُلُّهُ حَلَالٌ، وَمُعَامَلَتُهُمْ حَلَالٌ فِي غَيْرِ الخِيَانَةِ وَالأَخْذِ بِالأَيْمَانِ الكَاذِبَةِ وَالغَدْرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ. ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا، فَيَتَنَزَّلُ إِلَى مَا عُرِفَ أَصْلُهُ كَمَنْ وَجَدَ كَنْزاً مِنَ المَالِ بِصُورَةِ الجَاهِلِيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَمْلُوكَةٍ، وَكَذَلِكَ المَعْدِنُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَالصَّيْدُ وَغَيْرُهُ.

وَدُونَ هَذَا مِنَ المَرَاتِبِ مَا جُهِلَ أَصْلُهُ وَعُرِفَ اخْتِلَاطُهُ بِأَيْدِي كَاسِبِيهِ وَلَهُ مَرَاتِبُ مُفَصَّلَةٌ فِي الفُرُوعِ **وَآخِرُ مَرَاتِبِ الحَلَالِ** إِذَا عَمَّتْ البَلِيَّةُ فِي الأَرْضِ وَلَمْ يَجِدْ المُؤْمِنُ مِنْهَا لِقُوتِهِ إِلَّا الصُّورَةَ المُحَرَّمَةَ، وَأَلْجَأَهُ الحَالُ إِلَى ذَلِكَ، **حَلَّ لَهُ أَخْذُ قُوتِهِ فَقَطْ، كَاقْتِيَاتِ الجَائِعِ مِنَ المَيْتَةِ وَلَحْمِ الخِنْزِيرِ فَقَطْ**. **وَأَمَّا الزَّكَاةُ فِي المُحَرَّمِ بِصُورَةِ الغَصْبِ** وَشَبَهِهِ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ لِأَنَّ الزَّكَاةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ مُلْكَ الشَّخْصِ بِهِ وَلَا مِلْكِيَّةَ فِي الغَصْبِ وَشَبَهِهِ.

وَأَمَّا مَا اخْتَلَطَ وَذَهَبَتْ عَيْنُهُ بِعَيْنٍ أُخْرَى وَخُلِّطَ بِالحِرَاثَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ، فَيُزَكَّى كُلُّهُ. وَأَمَّا أَخْذُ الزَّكَاةِ مِنْ مَانِعِهَا لِمُسْتَحِقِّهَا بِصُورَةِ السَّرِقَةِ أَوْ الخِيَانَةِ أَوْ الغَصْبِ فَكُلُّهُ حَرَامٌ، فَلَمْ يُعْرَفْ فِيهِ مُخَالِفٌ مِنْ أَهْلِ الأُصُولِ، وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ إِلَّا لِلسُّلْطَانِ فَقَطْ لَا مَا عَدَاهُ. وَلَا يَقُولُ بِإِبَاحَتِهَا إِلَّا مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ. ثُمَّ مُشَارَطَةُ الطَّلَبَةِ فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي تَفْصِيلِ المُعَامَلَةِ السَّالِفَةِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الزَّكَاةِ إِذَا طَلَبَهَا الأَمِيرُ، هَلْ تُعْطَى لَهُ أَمْ لَا؟ **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ: إِنْ كَانَ صَاحِبُهَا يَأْمَنُ مِنْ شَرِّ الأَمِيرِ لَا يُعْطِيهَا لَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَأْمَنُ مِنْ شَرِّهِ يُعْطِيهَا لَهُ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَالمُزَكِّي إِنْ حَصَلَتْ لَهُ مَشَقَّةٌ فَيَجْعَلُ يَوْماً مُعَيَّناً فِي السَّنَةِ يُخْرِجُ فِيهَا زَكَاتَهُ عَلَى جَمِيعِ مَا بِيَدِهِ مِنَ العُرُوضِ وَالدُّيُونِ وَالنَّاضِّ وَغَيْرِهِ.

---

[1]- ع ك ي: حلال

وَأَمَّا صَرْفُ الذَّهَبِ بِالفِضَّةِ وَحَصَلَ نَقْصٌ، فَالنَّقْصُ لَازِمٌ لَهُ فِي ذِمَّتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْخُذُ إِلَّا كَامِلاً، وَقَدْ سَأَلَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدَ الوُجُودِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يُعْطِي الزَّكَاةَ لِلْمُلُوكِ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَمَرْتُهُمْ بِطَاعَتِهِمْ، أَوْ[1] كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقُلْتُ لَهُ[2] مِمَّا مَعْنَاهُ فَمَنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهَا مِنْهُمْ وَلَا يَخَافُ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَعْطَاهَا لَهُمْ عَلَى هَذَا الحَالِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ) إهـ.

وَأَمَّا صَرْفُ الزَّكَاةِ لِلْأَشْرَافِ فَلَا تَحِلُّ لَهُمْ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانُوا، إِلَّا أَنْ تَحِلَّ لَهُمُ المَيْتَةُ، فَإِنْ دَفَعَهَا إِلَيْهِمْ فَهِيَ فِي ذِمَّتِهِ لَا تُجْزِيهِ وَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَلَا إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ). **وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ** إِنَّ الزَّكَاةَ تَجُوزُ لِلْأَشْرَافِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُمْ أَرْزَاقٌ مِنْ بَيْتِ المَالِ فَتَحْرُمُ عَلَيْهِمْ، **فَالجَوَابُ**[3] أَنَّهُ لَا يَصِحُّ هَذَا التَّوْجِيهُ، وَقَائِلُهُ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالأُصُولِ، بَلْ الَّذِي حُرِّمَتْ الصَّدَقَةُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهِ هُوَ شِدَّةُ قُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعُلُوُّ مَنْصِبِهِمْ عِنْدَهُ، وَالزَّكَاةُ أَوْسَاخُ الخَلْقِ يَتَطَهَّرُونَ بِهَا، فَمَا رَضِيَ لَهُمْ أَنْ يَتَقَذَّرُوا وَيَتَلَطَّخُوا بِأَوْسَاخِ الخَلْقِ، وَهَذَا الوَصْفُ قَائِمٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ يَقُولُ بِهَا لِلْأَشْرَافِ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ[4] عَلَيْنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِمْ: مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، **فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِقَوْلِهِ: الكَلَامُ عَلَى اجْتِهَادِ[5] المُجْتَهِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ

---

[1]- ع: و

[2]- ك: (له) ساقطة

[3]- ك ي: الجواب

[4]- ك ي: انتهى من إملائه

[5]- ك ي: اختلاف

عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ. وَعِنْدَهُمْ أَنَّ المُصِيبَ وَاحِدٌ إِلَى آخِرِ أَقْوَالِهِمْ، **قَالَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: الكَلَامُ عَلَى هَذِهِ المَسْأَلَةِ مِنَ الاجْتِهَادِ، قَالَ:

الاجْتِهَادُ هُوَ الحُكْمُ فِي نَازِلَةٍ لَا نَصَّ فِيهَا بِعَيْنِهَا عَلَى طَرِيقِ الاسْتِنْبَاطِ وَهُوَ أَخْذُ الحُكْمِ لِلنَّازِلَةِ الحَادِثَةِ مِنْ نَصٍّ مِنَ الكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ لِعِلَّةٍ جَامِعَةٍ بَيْنَ النَّازِلَةِ وَذَلِكَ النَّصِّ المُسْتَنْبَطِ مِنْهُ الحُكْمُ. وَأَمَّا مَا نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهَا أَوْ نَصَّ عَلَيْهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ فِيهَا اجْتِهَادٌ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالنَّوَازِلُ الوَاقِعَةُ مِنْهَا مَا وَقَعَ النَّصُّ فِيهَا بِعَيْنِهَا مِنَ القُرْآنِ أَوْ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاءٌ كَانَ هَذَا النَّصُّ مَعْلُوماً عِنْدَ النَّاسِ أَوْ كَانَ مَنْسِيّاً لَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ،

وَمِنَ النَّوَازِلِ مَا لَمْ يَقَعْ فِيهَا نَصٌّ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأَمَّا مَا وَقَعَ فِيهِ النَّصُّ** وَكَانَ مَعْلُوماً بَالِغاً لِلْخَلْقِ فَيَلْزَمُ الوُقُوفُ عِنْدَهُ فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ، وَالحَاكِمُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ بِذَلِكَ النَّصِّ يُسَمَّى حَاكِماً بِالحَقِّ، وَالحَاكِمُ الَّذِي تَعَدَّى ذَلِكَ الحُكْمَ المَنْصُوصَ فِي النَّازِلَةِ يُسَمَّى حَاكِماً بِالجُورِ، ثُمَّ هُنَا بَحْثٌ فِي هَذَا النَّصِّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى رُتْبَةِ أَهْلِ الصَّحِيحِ فِي نَقْلِهِ وَبَلَغَ حَدَّ التَّوَاتُرِ، فَمَنْ حَكَمَ بِخِلَافِهِ عَمْداً كَفَرَ، وَمِنَ النَّصِّ مَا هُوَ خَبَرُهُ خَبَرُ الآحَادِ وَبَلَغَ حَدَّ التَّوَاتُرِ، فَمَنْ خَالَفَهُ أَيْضاً كَفَرَ كَالأَوَّلِ، وَمِنَ النُّصُوصِ مَا نُقِلَ غَرِيباً فَبَقِيَ غَرِيباً لَمْ يَتَوَاتَرْ وَلَمْ يَشْتَهِرْ، فَمُخَالِفُ هَذَا النَّصِّ لَا يُكَفَّرُ مُخَالِفُهُ عَمْداً مَعَ العِلْمِ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِثْمٌ عَظِيمٌ،

وَمَا كَانَ مِنَ المَنْصُوصِ لَمْ يَخْرُجْ لِلْوُجُودِ أَصْلاً وَنُسِيَ أَوْ خَرَجَ وَنُسِيَ، فَهَذَا يَلْزَمُ الحُكْمُ بِهِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ، ثُمَّ إِنَّ الوُصُولَ إِلَى هَذَا النَّصِّ مُتَعَذِّرٌ لَا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ، وَوَجَبَ الرُّجُوعُ إِلَى الاجْتِهَادِ، ثُمَّ إِنَّ المُجْتَهِدِينَ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ الَّتِي وَقَعَ النَّصُّ فِيهَا وَنُسِيَ فَمَنْ صَادَفَ مِنَ المُجْتَهِدِينَ ذَلِكَ الحُكْمَ الَّذِي وَقَعَ النَّصُّ

بِهِ وَنُسِيَ هُوَ المُصِيبُ مِنَ المُجْتَهِدِينَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَالبَاقُونَ مُخْطِئُونَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ،

وَعَلَى هَذَا الفَصْلِ يَتَنَزَّلُ قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ المُجْتَهِدِينَ إِنَّ جَمِيعَ المُجْتَهِدِينَ مُخْطِئُونَ وَالمُصِيبُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَا بِعَيْنِهِ، وَنَعْنِي بِهِ الَّذِي صَادَفَ الحُكْمَ الوَاقِعَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَنُسِيَ، فَجَمِيعُ مَنْ صَادَفَ هَذَا الحُكْمَ مِنَ المُجْتَهِدِينَ فَهُوَ المُصِيبُ فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ، وَالبَاقُونَ مُخْطِئُونَ، **وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ النَّازِلَةُ لَمْ يَبْرُزْ فِيهَا نَصٌّ لَا مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ظَاهِراً وَلَا بَاطِناً، فَهَذَا مَحَطُّ المُجْتَهِدِينَ، فَفِي هَذِهِ النَّازِلَةِ وَأَشْبَاهِهَا كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ وَلَيْسَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ أَخْطَأَ الغَيْرُ،

وَالصَّوَابُ عِنْدِي حَرَامٌ عَلَيْهِ هَذَا لِيَلَّا يَلْزَمَ عَلَيْهِ تَضْلِيلُ العُلَمَاءِ، ثُمَّ إِنَّ المُجْتَهِدِينَ إِنْ يَكُونُ المُجْتَهِدُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ عَلَى شَرْطِهِ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالعِلَلِ الَّتِي وَقَعَ الحُكْمُ لِأَجْلِهَا فِي كُلِّ نَصٍّ وَعَرَفَ العِلَّةَ الجَامِعَةَ بَيْنَ حَادِثَتِهِ[1] وَبَيْنَ النَّصِّ الَّذِي أَوْرَدَهَا عَلَيْهِ،

هَذَا شَرْطُ المُجْتَهِدِ الَّذِي نَقُولُ فِيهِ أَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ لَا غَيْرُ، لَا كُلُّ قَائِلٍ فِي العِلْمِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَدْرِي إِيرَادَ الحَوَادِثِ عَلَى النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالعِلَّةِ الجَامِعَةِ بَيْنَهُمَا، فَمَثَلُ هَذَا الأَخِيرِ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، كُلَّمَا مَاتَ عَالِمٌ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)،

وَالقِسْمُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ آخِراً هُوَ المُرَادُ بِآخِرِ الحَدِيثِ، وَالَّذِي يَشْهَدُ لِلْقِسْمِ الأَوَّلِ وَهُوَ المُجْتَهِدُ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَكَرْنَا شُرُوطَهُ أَوَّلاً هُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَمَا أَشْكَلَ

---

[1] - ع: حادثه

عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أُولِي العِلْمِ مِنْ بَعْدِي كَيْمَا يُخْبِرُوكُمْ[1] بِتَاوِيلِهِ) وَكَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الآيَةِ الصَّرِيحَةِ (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**)[2]

فَالآيَةُ وَالحَدِيثُ شَاهِدَانِ لِصِحَّةِ الاسْتِنْبَاطِ وَإِجْمَاعِ المُحَقِّقِينَ عَلَى مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مَنْ خَالَفَهَا خَرَجَ عَنْ إِجْمَاعِ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَهِيَ قَوْلُهُمْ: لَا تَخْلُوا الأَرْضُ عَنْ وَلِيٍّ إِمَّا قَائِمٌ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ فِي دِينِهِ وَإِمَّا مَدْفُوعٌ بِهِ البَلَاءُ عَنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ قَائِمٌ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ فِي دِينِهِ قَدِ اتَّسَعَ عِلْمُهُ فِي مَعْرِفَةِ النُّصُوصِ القَطْعِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا كِتَاباً وَسُنَّةً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً،

وَعَرَفَ العِلَّةَ فِي كُلِّ نَصٍّ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الحُكْمِ فِي ذَلِكَ النَّصِّ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قُوَّةِ النُّورِ الإِلَهِي مَا لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ أَلْفُ مَسْأَلَةٍ فِي الوَقْتِ كُلٌّ لَا نَصَّ فِيهَا لَأَوْرَدَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ عَلَى نَصِّهَا الَّذِي يَقُومُ الحُكْمُ مِنْهُ عَلَيْهَا بِالعِلَّةِ الجَامِعَةِ بَيْنَهُمَا، وَيَعْرِفُ هَذَا كُلَّهُ عَلَى التَّمَامِ، وَيَكُونُ بِحَيْثُ أَنْ لَوْ نُسِيَتْ الشَّرِيعَةُ كُلُّهَا مِنَ الأَرْضِ لَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وَجَمَعَ الشَّرِيعَةَ كُلَّهَا مِنْ صَدْرِهِ،

وَهَذَا المَظْهَرُ فِي هَذَا الشَّخْصِ لَا يَكُونُ بِشِدَّةِ السَّعْيِ وَلَا بِكَثْرَةِ الحِفْظِ فَقَطْ، بَلْ بِنُورٍ إِلَهِي وَتَأْيِيدٍ رَبَّانِي مَعَ شِدَّةِ سَعْيِهِ وَتَعَلُّمِهِ لِحِفْظِ العُلُومِ ظَاهِراً وَصَلَ بِهِ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ، فَإِنَّهُ لَوْ خَلَتْ الأَرْضُ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ لَسَقَطَتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ إِلَّا الفَرْدُ الكَامِلُ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا المَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ مِمَّنْ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

---

[1]- ع ي: يخبركم

[2]- سورة النساء، الآية 83

البَابُ السَّادِسُ فِي جُمْلَةٍ مِنْ كَرَامَاتِهِ وَبَعْضِ مَا جَرَى مِنْ تَصْرِيفَاتِهِ

قَدْ مَنَحَ اللَّهُ سَيِّدَنَا أَبَا العَبَّاسِ التِّجَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الإِحْسَانِ وَالعِرْفَانِ وَالرُّسُوخِ وَالإِيقَانِ وَمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ. وَالسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ. وَكَمَالِ الاسْتِقَامَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ هَذَا البَابِ. وَخُلَاصَةِ كُلِّ كَرَامَةٍ وَلُبَابٍ. وَحَبَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَالاً وَعِلْماً وَعَمَلاً. مَا عُدِمَ فِيهِ النَّظِيرُ وَضُرِبَ فِي النَّاسِ[1] مَثَلاً. مِمَّا يُخْبِرُكَ عَنْ جَمْعِهِ مَا قَدَّمْنَاهُ. وَيُرْشِدُكَ إِلَى تَفْصِيلِهِ مَا أَسْلَفْنَاهُ. وَأَكْرَمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2] بِكَرَامَاتٍ ذَوَاتِ عَدَدٍ. وَمَدَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ مَدَدٍ.

وَأَظْهَرَ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ التَّصْرِيفِ. وَالكَشْفِ وَالتَّعْرِيفِ. مَا يُنَبِّئُ عَنِ الخُصُوصِيَةِ العُظْمَى. وَالمَحْبُوبِيَةِ الكُبْرَى. المُشِيرِ إِلَيْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا)، وَنَاهِيكَ بِهَا مَعَ المُتَابَعَةِ آيَةً وَكَرَامَةً وَعِنَايَةً. **(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)**[3] ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ العَظِيمُ. وَالمَدَدُ الجَسِيمُ. وَمَا اتَّفَقَ إِلَّا لِعَبْدٍ مَحْبُوبٍ. وَمَرْغُوبٍ فِيهِ مَطْلُوبٍ.

وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ مِنَ الكَرَامَاتِ عَلَى يَدِ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا[4] أَبِي العَبَّاسِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ التِّجَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا لَا يَكَادُ يُعَدُّ. وَلَا يَنْحَصِرُ كَثْرَةً وَلَا يُحَدُّ. فَلَا تَلْقَى أَحَداً مِنْ قَرَابَتِهِ

---

[1]- ح ل: للناس

[2]- ي ع ك ل هـ ق ص: (وتعالى) ساقطة

[3]- إشارة إلى سورة هود، الآية 17

[4]- ح ل: شيخنا وسيدنا

وَذَوِيهِ. أَوْ مِمَّنْ يُصَاحِبُهُ وَيَلِيهِ. إِلَّا وَجَدْتَهُ لَهِجاً بِمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَمُحَدِّثاً بِمَا[1] رَأَى لَدَيْهِ وَشَهِدَ مِنَ العَجَبِ هُنَالِكَ. فَصَارَتْ عِنْدَهُمْ لِكَثْرَةِ مَا يُشَاهِدُونَ مِنْهَا وَيَرَوْنَ مِنَ الأُمُورِ المُنَبِّئَةِ عَنْهَا أَمْراً ضَرُورِياً. وَعِلْماً يَقِينِياً. لَا يَسْتَغْرِبُونَ صُدُورَهَا. وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ أُمُورَهَا. فَحَدِّثْ عَنِ البَحْرِ وَلَا حَرَجَ. وَارْوِ عَنِ المُشَاهَدَةِ لَا فِيمَا[2] سِلْكِ[3] النُّقُولِ انْدَرَجَ. وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ سَيِّدِنَا مَا لَا يُحْصَى وَلَا يُسْتَقْصَى مِنَ الخَوَارِقِ العِظَامِ. وَالكَرَامَاتِ الجِسَامِ. فِي الغَيْبَةِ وَالحُضُورِ. وَفِي السَّفَرِ وَالإِقَامَةِ وَفِي جُلِّ الأُمُورِ. وَهِيَ عَلَى أَصْنَافٍ. مُخْتَلِفَةِ الأَوْصَافِ. مَا بَيْنَ تَصْرِيفَاتٍ. مِنْ دَفْعِ خُطُوبٍ. وَنَصْرِ مَظْلُومٍ. وَتَكْثِيرِ طَعَامٍ وَإِبْرَاءِ عَاهَةٍ[4] وَبَيْنَ مُكَاشَفَاتٍ. وَإِجَابَةِ دَعَوَاتٍ. وَغَيْرِهَا مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ. مِنَ الأُمُورِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ وَعَلَى يَدَيْهِ،

فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ التَّصْرِيفَاتِ إِمَّا ظَاهِراً بِحَيْثُ يُفْهَمُ ذَلِكَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَصْرِيحاً أَوْ إِشَارَةً وَتَلْوِيحاً، **وَإِمَّا مُحْتَمَلاً** بِحَيْثُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ التَّصْرِيفِ أَوْ المُكَاشَفَةِ، فَقَدْ رَأَيْنَاهُ[5] مِنْهُ وَشَاهَدْنَاهُ. وَتَحَقَّقْنَا ذَلِكَ عِيَاناً وَأَبْصَرْنَاهُ. مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الخَطُّ وَالقَلَمُ. وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ حَدٌّ وَلَا عَلَمٌ. إِذْ هَذَا[6] البَابُ لَا تُسْتَوْفَى آيَاتُهُ. وَلَا تُلْحَقُ غَايَاتُهُ. وَلَا تَنْحَصِرُ أَنْوَاعُهُ وَأَصْنَافُهُ. وَلَا تُسْتَكْمَلُ نُعُوتُهُ وَأَوْصَافُهُ. وَلَا يُحْصَى عَدَدُهُ. وَلَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ. بَلْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَى. أَوْ يُنَالَ مَرَامُهُ الأَقْصَى. لَكَانَ يُغْنِينَا

---

[1]- ح: مما

[2]- ح ي: لا ما في. ك: لا فيما في

[3]- ل: وارو عن المشاهدة لا في مسالك

[4]- ح: هاعة

[5]- ي ع ك ل: رأينا

[6]- ي ح ل هـ ق: هو

ذَلِكَ عَنْ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ. وَتَلَقَّيْنَاهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الثِّقَاتِ الأَعْيَانِ وَوَعَيْنَاهُ. مَا شَاهَدْنَاهُ[1] مِنْهُ عِيَاناً. وَتَحَقَّقْنَاهُ بِأَفْكَارِنَا عِلْماً وَإِيقَاناً. وَلَوْ جُمِعَ[2] لَمَلَأْتُ مِنْ ذَلِكَ[3] أَسْفَاراً.

وَلَكِنَّا[4] ثَنَيْنَا عَنْ ذَلِكَ العِنَانَ لِنَهْيِ سَيِّدِنَا عَنْ إِثْبَاتِ ذَلِكَ زَجْراً فَانْتَهَيْنَا عَنْهُ سَمْعاً وَطَاعَةً وَاقْتِصَاراً. وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَا وَقَعَ مِنْهُ وَاسْتَقْرَأْنَاهُ. وَحَفِظْنَاهُ كُلَّهُ وَجَمَعْنَاهُ. وَمِنْ أَيْنَ لَنَا ذَلِكَ. وَأَنَّى الوُصُولُ إِلَى هُنَالِكَ. لَكَانَ دِيوَاناً جَامِعاً. وَكِتَاباً فِي فَنِّهِ مُسْتَقِلّاً وَاسِعاً.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ **الكَرَامَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ** كَمَا عِنْدَ الشَّيْخِ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ. **فَالمَحْسُوسَةُ** هِيَ الخَوَارِقُ الَّتِي يُجْرِيهَا اللَّهُ عَلَى يَدِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ كَطَيِّ الأَرْضِ وَالمَشْيِ عَلَى المَاءِ وَالطَّيَرَانِ فِي الهَوَى، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالإِتْيَانِ بِثَمْرَةٍ فِي غَيْرِ إِبَّانِهَا وَإِنْبَاعِ مَاءٍ مِنْ غَيْرِ حَفْرٍ أَوْ إِجَابَةِ دَعْوَةٍ بِإِتْيَانِ مَطَرٍ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ أَوْ اطِّلَاعٍ عَلَى المَغِيبَاتِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَشَرْطُ اعْتِبَارِهَا وُجُودُ الاسْتِقَامَةِ بَلْ لَا تُسَمَّى كَرَامَةً إِلَّا مَقْرُونَةً مَعَ ذَلِكَ، وَهَذَا إِذَا ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ ثَابِتِ العَقْلِ ظَاهِرِ التَّمْيِيزِ،

وَقَدْ يُظْهِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ بَهْلُولٍ لِيُظْهِرَ بِهَا نِصَابَهُ. وَيَحْمِيَ بِهَا مِنَ الإِذَايَةِ جَنَابَهُ. فَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا حِينَئِذٍ وُجُودُ الاسْتِقَامَةِ لِكَوْنِهِ سَاقِطَ التَّكْلِيفِ مِنْ ذَوِي الاسْتِقَامَةِ، عَلَى الخُصُوصِيَةِ أَدَلُّ وَأَعْلَى مَنْصِباً[5] وَأَجَلُّ. لِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الفَضِيلَتَيْنِ دَوَامَ العَادَاتِ. وَخَرْقَ العَادَاتِ.

---

[1]- ي ح ل هـ ق: ما شهدناه

[2]- ي ع ك ل هـ ق ص: (ولو جمع) ساقطة

[3]- ي ح ل: منه

[4]- ح ل: ولكن

[5]- ح: منصب

وَالمَعْنَوِيَّةُ هِيَ مَا يَمُنُّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ المِنَنِ البَاطِنَةِ كَالمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالخَشْيَةِ لَهُ[1] وَدَوَامِ المُرَاقَبَةِ وَالرُّسُوخِ فِي اليَقِينِ. وَالقُوَّةِ وَالتَّمْكِينِ. وَدَوَامِ المُتَابَعَةِ وَالفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَدَوَامِ الثِّقَةِ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ عِنْدَ أَهْلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الأُولَى وَأَجَلُّ وَلَعَلَّ سَيِّدَنَا أَشَارَ بِالمَنْعِ لِلْأُولَى لِأَنَّ هَذِهِ أَشْرَفُ وَأَكْمَلُ. كَمَا قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ وَأَصْلُهَا وَأَفْضَلُهَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ.

قَالَ فِي لَطَائِفِ المِنَنِ وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى العِبَادَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَرَامَةً مِثْلَ الإِيمَانِ بِهِ وَالمَعْرِفَةِ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَإِنَّمَا هُوَ فَرْعٌ عَنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ مِنْ أَحْوَالٍ وَمَقَامَاتٍ وَأَوْرَادٍ وَوَارِدَاتٍ، وَكُلُّ نُورٍ وَعِلْمٍ وَفَتْحٍ وَنُفُوذٍ إِلَى غَيْبٍ وَسَمَاعِ مُخَاطَبَةٍ وَجَرَيَانِ كَرَامَةٍ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ الجَنَّةُ مِنْ حُورٍ وَقُصُورٍ وَأَنْهَارٍ وَثِمَارٍ أَوْ كَانَ بِهِ أَهْلُهَا فِيهَا مِنْ رِضَا عَنِ[2] اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرُؤْيَةٍ لِلَّهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ نَتَائِجُ الإِيمَانِ وَوُجُودُ آثَارِهِ وَإِمْدَادُ أَنْوَارِهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ المُومِنِينَ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ، وَبَسَطَنَا وَإِيَّاكُمْ لِلتَّسْلِيمِ لَهُ فِي مُرَادِهِ. إهـ كَلَامُ لَطَائِفِ المِنَنِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يُخْفِي الكَرَامَاتِ وَلَا يُظْهِرُ مِنْهَا شَيْئاً،** فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ خُمُولَهُ ظُهُوراً. وَظُهُورَ غَيْرِهِ دُثُوراً. وَقَطَعَ النَّاسُ بِتَعْظِيمِهِ دُهُوراً. وَبَقِيَ غَيْرُهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُ شَيْئاً مَذْكُوراً. وَقَالَ يَوْماً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الكَرَامَاتِ المُكَاشَفَةِ: الحَقِيقَةُ[3] أَنْ يُكَاشَفَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِفَهْمِ كَلَامِهِمَا وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الأَسْرَارِ العَقْلِيَّةِ وَالأَنْوَارِ التَّوْحِيدِيَّةِ مِنْ عُلُومٍ غَامِضَةٍ. وَأَفْهَامٍ دَقِيقَةٍ. وَحَقَائِقَ رَبَّانِيَّةٍ. وَكُلَّمَا كَرَّرَ النَّظَرَ فِيهِمَا تُجَدَّدُ لَهُ أَفْهَامٌ وَأَسْرَارٌ وَحِكَمٌ وَإِشَارَاتٌ غَيْرُ مَا فَهِمَ أَوَّلاً وَهَكَذَا لَوْ بَقِيَ أَبَدَ الآبَادِ.

---

[1]- ح: (له) ساقطة

[2]- ك: (عن) ساقطة

[3]- ي ع ك ل: الحقيقية

فَهَذِهِ المُكَاشَفَةُ الَّتِي بِهَا يَزْدَادُ مَعْرِفَةً وَمَحَبَّةً وَقُرْباً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُعْطِي اللَّهُ هَذِهِ إِلَّا لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، **وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ،** فَإِذَا شَرَعَ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ أَبْدَى فِيهِمَا مِنْ بَدِيعِ التَّأْوِيلَاتِ وَكَثْرَةِ الاحْتِمَالَاتِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ وَلَا يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُطَوَّلَاتِ وَلَا يَزَالُ يَتَرَقَّى[1] فِيهِمَا، فَيَكُونُ الثَّانِي أَبْدَعَ مِنَ الأَوَّلِ وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ وَفِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ وَفِي الآيَةِ الوَاحِدَةِ أَوْ الحَدِيثِ.

وَأَمَّا كَلَامُهُ فِي الحَقَائِقِ فَلَا يَقُومُ بِمَعْنَاهُ إِلَّا مَنْ تَمَكَّنَتْ مَعْرِفَتُهُ. وَاتَّسَعَتْ فِي سَائِرِ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ مَادَّتُهُ. وَعَلَتْ فِي الوِلَايَةِ دَرَجَتُهُ، **وَمِنْ خَصَائِصِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ نَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] أَنَّهُ يُطَالِعُ فِي الكِتَابِ وَيَدُهُ تَجْذِبُ عَقْدَ التَّسْبِيحِ وَيُسَبِّحُ بِلِسَانِهِ حَتَّى يَخْتِمَ وِرْدَهُ فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَلَا يَشْغَلُهُ وَاحِدٌ عَنِ الآخَرِ. وَقَدْ[3] حَدَّثَنِي أَيْضاً أَنَّهُ يُطَالِعُ وَيَذْكُرُ وَيُمْلِي عَلَى الغَيْرِ فِي العُلُومِ، وَيَتَكَلَّمُ مَعَ النَّاسِ وَيَكْتُبُ بِمَجْلِسٍ وَاحِدٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَشْغَلْهُ وَاحِدٌ عَنِ الآخَرِ. فَسُبْحَانَ مَنْ أَكْرَمَ قَوْماً وَأَكْمَلَ عُقُولَهُمْ وَعَلَّاهُمْ أَعْلَى المَنَازِلِ. وَحَطَّ آخَرِينَ مَعَ مُسَاوَاتِهِمْ فِي الصُّورَةِ إِلَى أَرْذَلِ الحَضِيضِ السَّافِلِ.

---

[1]- ح: يرتقي

[2]- ح: (رضي الله عنه) ساقطة

[3]- ي ع: (قد) ساقطة

خَاتِمَةٌ هَادِيَةٌ
لِمَحَبَّةِ[1] رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَاقْتِفَاءِ آثَارِهِ دَاعِيَةٌ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَبِهِ الإِعَانَةُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. اعْلَمْ أَنِّي أُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الخَاتِمَةِ مُقَدِمَّةً تُنْبِئُ عَنْ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَامَتِهِ وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مِنَحِهِ وَعِنَايَتِهِ. وَمَقْصَداً[2] فِي صَلَوَاتٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَتْ عَنْهُ مِنْ فَيْضِهِ الشَّرِيفِ وَعَمِيمِ فَضْلِهِ المُنِيفِ، وَبِهَذِهِ الخَاتِمَةِ خُتِمَ الكِتَابُ وَهِيَ فَصُّ هَذَا الكِتَابِ. وَالسَّلَامُ.

مُقَدِّمَةٌ فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ. وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ
وَالاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]

اعْلَمْ أَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ المَنْزِلَةُ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا المُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا يَشْخَصُ العَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَتَفَانَى المُحِبُّونَ. وَبِرَوْحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ العَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ القُلُوبِ وَغَذَاءُ الأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ العُيُونِ. وَهِيَ الحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ[4] الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عُدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ فِي غَايَةِ الهُمُومِ وَالآلَامِ.

---

[1]- ي: بمحبة

[2]- ع ك ي: ومقصد

[3]- ك: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[4]- ح ل: بحر

وَهِيَ رُوحُ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ. وَالمَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ. الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَداً وَاصِلِيهَا وَتُبَوِّئُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ فِي[1] مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَا هِيَ دَاخِلِيهَا وَهِيَ مَطَايَا القَوْمِ الَّتِي سَرَّاهُمْ فِي ظُهُورِهَا دَائِماً إِلَى الحَبِيبِ. وَطَرِيقُهُمْ الأَقْوَمُ الَّذِي تُبَلِّغُهُمْ إِلَى مَنَازِلِ[2] الأُولَى مِنْ قَرِيبٍ.

تَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ حَظٍّ وَنَصِيبٍ وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ[3] بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ البَالِغَةِ أَنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. وَشَاهِدُهُ مَا فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ القَاضِي عِيَاضٌ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَجِيءَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ فَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيئِينَ وَإِنْ دَخَلْتُهَا لَا أَرَاكَ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**)[4]، فَدَعَا بِهِ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَطْرُقُ، فَقَالَ مَا بَالُكَ؟ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَتَمَتَّعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعَكَ اللَّهُ بِتَفْضِيلِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ. إهـ[5] فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى المُحِبِّينَ سَابِغَةٍ، لَقَدْ سَبَقَ

---

[1]- ح ي: إلى ـ ل: وإلى

[2]- ح ك ي ل: منازلهم

[3]- ك: الخلق

[4]- سورة النساء، الآية 69

[5]- ح ع: (إهـ) ساقطة

القَوْمُ لِلسَّعَادَةِ وَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الفُرْشِ نَائِمُونَ، وَلَقَدْ تَقَدَّمُوا الرَّكْبَ بِمَرَاحِلَ وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ، مَنْ لِّي بِمِثْلِ سَيْرِكَ المُدَلَّلِ تَمْشِي رُوَيْداً وَتَجِيءُ فِي الأَوَّلِ.

أَجَابَهُ مُؤَذِّنُ الشَّوْقِ إِذْ نَادَى بِهِمْ حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي طَلَبِ الوُصُولِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ وَكَانَ بَذْلُهُمْ بِالرِّضَا وَالسَّمَاحِ وَوَاصَلُوا إِلَيْهِ المَسِيرَ بِالإِدْلَاجِ وَالغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ. وَلَقَدْ حَمِدُوا عِنْدَ الوُصُولِ مَسْرَاهُمْ وَإِنَّمَا يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ. **وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي المَحَبَّةِ،** وَعِبَارَاتُهُمْ وَإِنْ كَثُرَتْ فَلَيْسَتْ فِي الحَقِيقَةِ تَرْجِعُ إِلَى اخْتِلَافِ مَقَالٍ وَإِنَّمَا هِيَ اخْتِلَافُ أَحْوَالٍ وَأَكْثَرُهَا يَرْجِعُ إِلَى ثَمَرَاتِهَا دُونَ حَقِيقَتِهَا.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ المُحَقِّقِينَ حَقِيقَةُ المَحَبَّةِ عِنْدَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ مِنَ المَعْلُومَاتِ الَّتِي لَا تُحَدُّ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهَا مَنْ قَامَتْ بِهِ وِجْدَاناً لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ وَهِيَ لَا تُحَدُّ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا، فَالحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً، فَحُدُودُهَا وُجُودُهَا وَلَا تُوصَفُ المَحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ المَحَبَّةِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا وَمُوجِبَاتِهَا وَعَلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا، فَحُدُودُهُمْ وَرُسُومُهُمْ دَارَتْ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ وَتَنَوَّعَتْ بِهِمْ العِبَارَاتُ وَكَثُرَتْ الإِشَارَاتُ بِحَسَبِ الإِدْرَاكِ وَالمَقَامِ وَالحَالِ. **وَهَذِهِ بَعْضُ رُسُومٍ وَحُدُودٍ قِيلَتْ فِي المَحَبَّةِ** بِحَسَبِ آثَارِهَا وَشَوَاهِدِهَا:

فَمِنْهَا مُوَافَقَةُ الحَبِيبِ. فِي المَشْهَدِ وَالمَغِيبِ. وَهَذَا مُوجِبُهَا وَمُقْتَضَاهَا. **وَمِنْهَا** مَحْوُ المُحِبِّ لِصِفَاتِهِ وَإِثْبَاتُ المَحَبَّةِ لِذَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ أَحْكَامِ الفَنَاءِ فِي المَحَبَّةِ وَهُوَ أَنْ يَمْحُوَ صِفَاتِ المُحِبِّ وَيَفْنَى فِي صِفَاتِ مَحْبُوبِهِ وَذَاتِهِ وَهَذَا يَسْتَدْعِي بَيَاناً أَتَمَّ مِنْ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ أَفْنَاهُ وَارِدُ[1] المَحَبَّةِ عَنْهُ وَأَخَذَهُ مِنْهُ. **وَمِنْهَا** أَنْ تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ وَالمُرَادُ أَنْ تَهَبَ إِرَادَتَكَ وَعَزِيمَتَكَ وَأَفْعَالَكَ وَنَفْسَكَ وَمَالَكَ وَوَقْتَكَ

[1] - ح ع ي: وأراد

لِمَنْ تُحِبُّهُ وَتَجْعَلَهَا حُبُساً فِي مَرْضَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ[1] وَلَا تَأْخُذَ مِنْهَا لِنَفْسِكَ إِلَّا مَا أَعْطَاكَهُ فَتَأْخُذَ لَهُ مِنْهُ،

وَمِنْهَا أَنْ تَمْحُوَ مِنَ القَلْبِ مَا سِوَى المَحْبُوبِ، وَكَمَالُ المَحَبَّةِ يَقْتَضِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَا دَامَتْ فِي القَلْبِ بَقِيَّةٌ لِغَيْرِهِ وَمَسْكَنٌ لِغَيْرِهِ، فَالمَحَبَّةُ مَدْخُولَةٌ، **وَمِنْهَا** أَنْ تَغَارَ عَلَى المَحْبُوبِ أَنْ يُحِبَّهُ مِثْلُكَ وَمَعْنَاهُ احْتِقَارُكَ لِنَفْسِكَ وَاسْتِصْغَارُهَا أَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ مِمَّنْ[2] يُحِبُّ.

وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامَاتٌ أَعْظَمُهَا الاقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ وَسُلُوكُ طَرِيقَتِهِ وَالاهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَالوُقُوفُ عِنْدَ مَا حَدَّ لَنَا مِنْ شَرِيعَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**[3]، فَجَعَلَ تَعَالَى مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ مَحَبَّةِ العَبْدِ رَبَّهُ وَجَعَلَ جَزَاءَ العَبْدِ عَلَى حُسْنِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ،

وَهَذِهِ المَحَبَّةُ تَنْشَأُ مِنْ مُطَالَعَةِ العَبْدِ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ فَبِقَدْرِ مُطَالَعَةِ ذَلِكَ تَكُونُ قُوَّةُ المَحَبَّةِ، **وَمِنْ أَعْظَمِ مُطَالَعَةِ مِنَّةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ** مِنَّةُ تأهُّلِهِ لِمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمُتَابَعَةِ حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْلُ هَذَا نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ العَبْدِ، فَإِذَا دَارَ ذَلِكَ النُّورُ فِي القَلْبِ أَشْرَقَتْ لَهُ ذَاتُهُ فَرَأَى فِي نَفْسِهِ وَمَا أُهِّلَتْ لَهُ مِنَ الكَمَالَاتِ وَالمَحَاسِنِ فَعَلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ وَقَوِيَتْ عَزِيمَتُهُ وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ ظُلُمَاتُ نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ لِأَنَّ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا وَيَطْرَحُ[4] أَحَدُهُمَا الآخَرَ فَوَقَعَتْ الرُّوحُ حِينَئِذٍ

---

[1]- ك: (ومحبته) ساقطة

[2]- ح ي ل: من

[3]- سورة آل عمران، الآية 31

[4]- ح ل: إلا ويطرد

بَيْنَ الهَيْبَةِ وَالأُنْسِ إِلَى الحَبِيبِ وَبِحَسَبِ هَذَا الاتِّبَاعِ تُوهَبُ[1] المَحَبَّةُ وَالمَحْبُوبِيَّةُ مَعاً وَلَا يَتِمُّ الأَمْرُ إِلَّا بِهِمَا،

فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ بَلْ **الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ** وَلَا يُحِبُّكَ إِلَّا إِذَا اتَّبَعْتَ حَبِيبَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَصَدَّقْتَهُ خَبَراً وَأَطَعْتَهُ أَمْراً وَأَجَبْتَهُ دَعْوَةً وَآثَرْتَهُ طَوْعاً وَفَنَيْتَ عَنْ حُكْمِ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ وَعَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ مِنَ الخَلْقِ وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَسْتَ عَلَى شَيْءٍ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى **(فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**[2]، فَاتِّبَاعُ هَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ حَيَاةُ القُلُوبِ وَنُورُ البَصَائِرِ وَشِفَاءُ الصُّدُورِ وَرَيَاحِينُ النُّفُوسِ وَلَذَّةُ الأَرْوَاحِ وَأُنْسُ المُسْتَوْحِشِينَ وَدَلِيلُ المُتَحَيِّرِينَ، **وَمِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**[3] أَنْ يَرْضَى مُدَّعِيهَا بِمَا شَرَّعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَا يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجاً مِمَّا قَضَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ)**[4] الخ الآيَةِ. فَسَلَبَ اسْمَ[5] الإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجاً مِنْ قَضَائِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ.

وَمِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ وَالانْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ، فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً خَضَعَ لَهُ. **وَمِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ إِذْ كُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ، **وَمِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حُبُّ القُرْآنِ الَّذِي أَتَى بِهِ وَهُدِيَ بِهِ وَاهْتَدَى بِهِ وَتَخَلَّقَ بِهِ

---

[1]- ع ي: توجب

[2]- سورة آل عمران، الآية 31

[3]- ك ي: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[4]- سورة النساء، الآية 65

[5]- ع ك: (اسم) ساقطة

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَانْظُرْ مَحَبَّةَ القُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ، وَالتَّلَذُّذَ لِسَمَاعِهِ أَعْظَمَ مِنَ الْتِذَاذِ سَمَاعِ المَلَاهِي وَالغِنَاءِ وَالطَّرَبِ.

وَمِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَبَّةُ سُنَّتِهِ وَقِرَاءَةِ حَدِيثِهِ فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ حَلَاوَةُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَرُّ بِهَا رُوحُهُ وَنَفْسُهُ وَقَلْبُهُ فَحِينَئِذٍ يَسْتَنِيرُ قَلْبُهُ وَيُشْرِقُ سِرُّهُ وَتَتَلَاطَمُ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ التَّحْقِيقِ عِنْدَ ظُهُورِ البَرَاهِينِ وَيَرْتَوِي[1] بِرَيِّ عَطْفِ مَحْبُوبِهِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَرْوَى لِقَلْبِهِ مِنْ عَطْفِهِ عَلَيْهِ، فَلْنُقَصِّرِ العِنَانَ وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَا فِي هَذَا مِنَ العَلَامَاتِ لَمْ يَسَعْنَا[2] مُجَلَّدَاتٌ.

وَأَمَّا فَضْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ أَوْ بُرْهَانٌ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهُ لِسَانٌ بَلْ هُوَ أَظْهَرُ مِنَ القَمَرِ عِنْدَمَا كَمَلْ[3]، وَأَجْلَى مِنَ الشَّمْسِ فِي دَرَجَةِ الحَمَلْ، وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَكَيْفَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ * إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

وَذَكَرَ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ **وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**). وَالأَحَادِيثُ الوَارِدَةُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا المَعْنَى كَثِيرَةٌ وَآيُ القُرْآنِ المُفْصِحَةُ بِعَظِيمِ قَدْرِهِ شَهِيرَةٌ يَكْفِي فِي عُلُوِّ مَنْصِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ وَاخْتِصَاصِهِ وَقُرْبِهِ عَنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَالمَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ

---

[1] - ك: وترتوي

[2] - ك: لم تسعنا

[3] - ح ي: عند الكمال ـ ل: عندما اكتمل

الشَّفَاعَةُ العُظْمَى فِي المَوْقِفِ الأَكْبَرِ بَيْنَ سَائِرِ الخَلْقِ[1] أَجْمَعِينَ. وَمَا وَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ[2] وَخَصَّهُ بِهِ مِنْ **نَهْرِ الكَوْثَرِ**. قَالَ تَعَالَى: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**)[3]. الآيَةُ.
وَأَمَّا حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ فَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ وَصَارَ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهِ فَانْظُرْ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ مِنْ فَخَامَةِ قَدْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَلَالَةِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِي كُلِّ حِينٍ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ لِأَنَّ أَكَابِرَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُنَازِعُوهُ فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَهِيَ الشَّفَاعَةُ العُظْمَى وَلَا شَكَّ أَنَّ بِعْثَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] **رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ**. فَقَالَ[5] جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[6].
وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ عَلَى بَنِي آدَمَ خُصُوصاً، فَمِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ). **وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ عَلَى آدَمَ** فَمِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُنْتُ نَبِيئاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ). وَمِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ لِوَائِي). وَمِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ[7]: (أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ). وَقَالَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى[8]: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**)[9] الخ

---

[1]- ح: الخلائق
[2]- ح: (له) ساقطة
[3]- سورة الكوثر، الآية 1
[4]- ح ي ل: عليه الصلاة والسلام
[5]- ح: قال
[6]- سورة الأنبياء، الآية 107
[7]- ح ي: صلى الله عليه وسلم
[8]- ح: وقال تعالى في حقه
[9]- سورة التوبة، الآية 128

الآيَةِ. وَقَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: **(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ)**[1]. الآيَةُ[2]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ)**[3]. الآيَةُ.

وَقَالَ أَيْضاً فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)**[4]. الخ السُّورَةِ. قَالَ قَتَادَةُ **رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَ نَبِيِّنَا** فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ. قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي). وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ **جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ.** فَقَالَ **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**[5]. وَقَالَ تَعَالَى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)**[6]. وَقَالَ تَعَالَى: **(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ)**[7]، وَكُلُّ هَذَا[8] مِنْ زِيَادَةِ البُرُورِ وَالإِحْسَانِ وَالإِنْعَامِ وَالاعْتِنَاءِ بِهِ مِنْ رَبِّهِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ. وَفِي **قَسَمِهِ تَعَالَى بِعَظِيمِ قَدْرِهِ** لَدَيْهِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)**[9]. اتَّفَقَ أَهْلُ

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 164

[2]- ك ي: (الآية) ساقطة

[3]- سورة البقرة، الآية 151

[4]- سورة الشرح، الآية 1

[5]- سورة النساء، الآية 80

[6]- سورة آل عمران، الآية 31

[7]- سورة آل عمران، الآية 32

[8]- ح: هذه

[9]- سورة الحجر، الآية 72

التَّفْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذِهِ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَالتَّشْرِيفِ وَغَايَةُ التَّكْرِيمِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: **(ق وَالقُرْآنِ المَجِيدِ)**[1]. **أَقْسَمَ بِقُوَّةِ قَلْبِ حَبِيبِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَيْثُ حَمَلَ الخِطَابَ وَالمُشَاهَدَةَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ فِيهِ لِعُلُوِّ حَالِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَالفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)**[2]. سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ **مِنْهُ تَفَجَّرَ الإِيمَانُ،** وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَفَخَامَةِ أَمْرِهِ وَجَلَالَةِ مَنْصِبِهِ خِطَابُهُ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)**[3] . الخ. الخ. السُّورَةُ.

وَمِمَّا شَرَّفَهُ بِهِ تَعَالَى وَاخْتَصَّهُ بِهِ بَيْنَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَأَشَادَ بِهِ رُتْبَتُهُ الشَّرِيفَةُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)**[4].

وَقَالَ[5] تَعَالَى[6]: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)**[7]. قَالَ قَتَادَةُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- سورة ق، الآية 1

[2]- سورة الفجر، الآية 1-2

[3]- سورة الضحى، الآية 1-3

[4]- سورة آل عمران، الآية 81

[5]- ح: وقوله

[6]- ل: (تعالى) حذفت

[7]- سورة الأحزاب، الآية 7

وَسَلَّمَ قَالَ: (كُنَّا أَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ)، فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدَّماً قَبْلَ ذِكْرِ نُوحٍ وَغَيْرِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

وَيَكْفِي فِي عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الفَتْحِ مِنَ الاعْتِنَاءِ بِهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ فَابْتَدَأَهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ القَضَاءِ البَيِّنِ **بِظُهُورِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ** وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ **وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ** غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا وَقَعَ وَمَا لَمْ يَقَعْ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ **بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ.** فَقَالَ تَعَالَى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)[1]. الآيَةُ. أَيْ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ. (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)[2]. يُرِيدُ عِنْدَ البَيْعَةِ. وَلِنُقَصِّرِ العِنَانَ. وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَا وَرَدَ فِي عَظِيمِ قَدْرِهِ مِنَ الآيَاتِ وَالأَخْبَارِ لَطَالَ الخِطَابُ وَخَرَجْنَا إِلَى الإِطْنَابِ وَقَصَدْنَا[3] مِنْ هَذَا نُبْذَةٌ لِنَتَبَرَّكَ بِهَا فِي هَذَا الكِتَابِ.

وَبِالجُمْلَةِ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] **أَعْلَى النَّاسِ قَدْراً وَأَرْفَعُهُمْ ذِكْراً** وَأَعْظَمُهُمْ مَحَلّاً وَأَكْمَلُهُمْ مَحَاسِناً وَفَضْلاً، فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى خِصَالِ الكَمَالِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ وَجَدْتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَائِزاً لِجَمِيعِهَا، مُحِيطاً بِشَتَاتِ مَحَاسِنِهَا دُونَ خِلَافٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الأَخْبَارِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[5].

---

[1]- سورة الفتح، الآية 10

[2]- سورة الفتح، الآية 10

[3]- ح: ومقصدنا

[4]- ح ي ل هـ ق ص: عليه الصلاة والسلام

[5]- ع ك ي هـ ق ص: (وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً) ساقطة

المَقْصَدُ فِي الصَّلَوَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهِ[1] مِنْ فَيْضِ فَضْلِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[2]

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ[3] أَسْتَعِينُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِعَلِيٍّ جَنَابِهِ. أَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ ذِكْرُ الصَّلَوَاتِ الَّتِي أَمْلَاهَا مَوْلَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَيْضِهِ الشَّرِيفِ يَقَظَةً عَلَى شَيْخِنَا أَبِي العَبَّاسِ ثُمَّ نُتْبِعُهَا بِشُرُوحِهَا لِشَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الأُولَى سَمَّاهَا شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يَاقُوتَةَ الحَقَائِقِ فِي التَّعْرِيفِ بِحَقِيقَةِ سَيِّدِ الخَلَائِقِ**. وَنَصُّهَا :

اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَالِي فِي عَظَمَةِ انْفِرَادِ حَضْرَةِ أَحَدِيَّتِكَ، الَّتِي شِئْتَ فِيهَا بِوُجُودِ شُئُونِكَ وَأَنْشَأْتَ مِنْ نُورِكَ الْكَامِلِ نَشْأَةَ الْحَقِّ، وَأَنَطْتَهَا وَجَعَلْتَهَا صُورَةً كَامِلَةً تَامَّةً، تَجِدُ مِنْهَا بِسَبَبِ وُجُودِهَا، مِنَ انْفِرَادِ أَحَدِيَّتِكَ، قَبْلَ نَشْرِ أَشْبَاحِهَا، وَجَعَلْتَ مِنْهَا فِيهَا بِسَبَبِهَا انْبِسَاطَ الْعِلْمِ، وَجَعَلْتَ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْعَظَمَةِ وَمِنْ بَرَكَاتِهَا شَبْحَةَ الصُّوَرِ كُلِّهَا، جَامِدِهَا وَمُتَحَرِّكِهَا، وَأَنَطْتَهَا بِإِقْبَالِ التَّحْرِيكِ وَالتَّسْكِينِ،

وَجَعَلْتَهَا فِي إِحَاطَةِ الْعِزَّةِ مِنْ كَوْنِهَا قَبِلَتْ مِنْهَا وَفِيهَا وَلَهَا، وَتَشَعْشَعَتِ الصُّوَرُ البَارِزَةُ بِإِقْبَالِ الوُجُودِ، وَقَدَّرْتَ لَهَا وَفِيهَا وَمِنْهَا مَا يُمَاثِلُهَا، مِمَّا يُطَابِقُ أَرْقَامَ صُوَرِهَا، وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِالبُرُوزِ لِتَوْدِيَةِ مَا قَدَّرْتَهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلْتَهَا مَنْقُوشَةً فِي لَوْحِهَا المَحْفُوظِ، الَّذِي خُلِقَتْ مِنْهُ بِبَرَكَاتِهِ وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِمَا أَرَدْتَ لَهَا وَبِمَا تُرِيدُ بِهَا وَجَعَلْتَ كُلَّ الكُلِّ فِي

[1] - ح ل: (فيه) ساقطة

[2] - ح ع ل: صلى الله عليه وسلم

[3] - ك ي: وبه

كُلِّكَ، وَجَعَلْتَ هَذَا الكُلَّ مِنْ كُلِّكَ، وَجَعَلْتَ الكُلَّ قَبْضَةً مِنْ نُورِ عَظَمَتِكَ، رُوحاً لِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ وَلِمَا هُوَ أَهْلٌ لَكَ.

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِمَرْتَبَةِ هَذِهِ العَظَمَةِ وَإِطْلَاقِهَا، فِي وُجْدٍ وَعَدَمٍ، أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى تَرْجُمَانِ لِسَانِ القِدَمِ، اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وَالنُّورِ السَّارِي المَمْدُودِ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ دَارِكٌ، وَلَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ الخَلَائِقِ الإِنْسَانِيَةِ وَالْجَانِّيَةِ، صَاحِبِ الأَنْوَارِ الفَاخِرَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ، وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ مَقْبُولَةً، لَا مَرْدُودَةً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْهُ لَنَا رُوحاً وَلِعِبَادَتِنَا سِرّاً، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا قُوَّةً أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى تَعْظِيمِهِ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ تَعْظِيمَهُ فِي قُلُوبِنَا حَيَاةً أَقُومُ بِهَا وَأَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى ذِكْرِهِ وَذِكْرِ رَبِّهِ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ مِفْتَاحاً، وَافْتَحْ لَنَا بِهَا يَا رَبِّ حِجَابَ الإِقْبَالِ وَتَقَبَّلْ مِنِّي بِبَرَكَاتِ حَبِيبِي وَحَبِيبِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، مَا أَنَا أُؤَدِّيهِ مِنَ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ وَالمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ لِذَاتِكَ: لِلَّهِ، لِلَّهِ، لِلَّهِ، آهْ آمِينْ، هُوَ، هُوَ، هُوَ آمِينْ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ آمِينْ. انْتَهَتْ الصَّلَاةُ الأُولَى[1].

وَنَصُّ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ أَيْضاً مِنْ إِمْلَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَيْخِنَا يَقَظَةً وَهِيَ:

" اللَّهُمَّ صَلِّ و سَلِّم عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الربَّانِيَةِ و اليَاقُوتَةِ المُتَحَقِّقَةِ الحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الفُهُومِ وَالمَعَانِي، وَنُورِ الأَكْوَانِ المُتَكَوِّنَةِ الآدَمِي صَاحِبِ الحَقِّ الرَبَّانِي البَرْقِ الأَسْطَعِ بِمُزُونِ الأَرْبَاحِ المَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ البُحُورِ و الأَوَانِي، وَنُورِكَ اللاَّمِعِ الَّذِي مَلَأْتَ بِهِ كَوْنَكَ الحَائِطَ بِأَمْكِنَةِ المَكَانِي، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى عَيْنِ الحَقِّ الَّتِي تَتَجَلَّى مِنْهَا

---

[1]- ح: (الصلاة الأولى) ساقطة

عُرُوشُ الحَقَائِقِ عَيْنِ المَعَارِفِ الأَقْوَمِ صِرَاطِكَ التَّامِّ الأَسْقَمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الحَقِّ بِالحَقِّ الكَنْزِ الأَعْظَمِ إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ، إِحَاطَةِ النُّورِ المُطَلْسَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَلاَةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ". انْتَهَتْ.

وَنَصُّ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ مِنَ الغَيْبِ وَاسْمُهَا **الصَّلَاةُ الغَيْبِيَّةُ فِي الحَقِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ**، وَهِيَ:

"اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ ذَاتِكَ العَلِيَّةِ بِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِكَ البَهِيَّةِ فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الأَبَدِيَّةِ عَلَى عَبْدِكَ القَائِمِ بِكَ مِنْكَ لَكَ إِلَيْكَ بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ الزَّكِيَّةِ. المُصَلِّي فِي مِحْرَابِ عَيْنِ هَاءِ الهُوِيَّةِ. التَّالِي السَّبْعَ المَثَانِي بِصِفَاتِكَ النَّفْسِيَّةِ. المُخَاطَبِ بِقَوْلِكَ لَهُ[1] وَاسْجُدْ[2] وَاقْتَرِبْ. الدَّاعِي بِكَ لَكَ بِإِذْنِكَ لِكَافَّةِ شُئُونِكَ العِلْمِيَّةِ، فَمَنْ أَجَابَ اصْطُفِيَ وَقُرِّبَ، المُفِيضِ عَلَى كَافَّةِ مَنْ أَوْجَدْتَهُ بِقَيُّومِيَّةِ سِرِّكَ. المَدَدِ السَّارِي فِي كُلِّيَةِ أَجْزَاءِ مَوْهِبَةِ فَضْلِكَ.

المُتَجَلَّى عَلَيْهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ بِكَمَالَاتِ أُلُوهِيَتِكَ فِي عَوَالِمِكَ وَبَرِّكَ وَبَحْرِكَ. فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً تَامَّةً بِكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ وَعَلَيْكَ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ سَلَاماً تَامّاً عَامّاً شَامِلاً لِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِ قُدْسِكَ دَائِمَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ عَلَى خَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ القَدِيمِ وَعَمِيمِ فَضْلِكَ العَظِيمِ. وَنُبْ عَنَّا بِمَحْضِ فَضْلِكَ الكَرِيمِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَاتَكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَهُوِيَّةِ أُنْسِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَةِ رَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَسْلِيماً عَدَدَ إِحَاطَةِ عِلْمِكَ." انْتَهَتْ.

* شَرْحُ الصَّلَاةِ الأُولَى وَنَصُّهُ *

---

[1]- ع ك ل: بقولك

[2]- ح ل: اسجد (بدون واو)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى الكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَظْهَرَ الكَمَالِ. وَحَلَّاهُ مِنْ أَوْصَافِهِ بِمَا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الجَلَالِ وَالجَمَالِ. وَخَصَّهُ بِالوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ فِي مَقَامِ "أَوْ أَدْنَى" ثُمَّ دَلَّاهُ بَعْدَمَا أَدْنَاهُ لِيُظْهِرَهُ[1] فِي العَالَمِ بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتِهِ الكَرِيمَةَ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَعَرَّفَهُ بِحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ صُورَةً وَمَعْنًى،

فَلَهُ الحَمْدُ سُبْحَانَهُ أَنْ جَعَلَهُ النُّسْخَةَ الكَامِلَةَ العُظْمَى لِمُطْلَقِ العَدَمِ وَالوُجُودِ، وَفَتَحَ عَلَى يَدَيْهِ خَزَائِنَ الكَرَمِ وَالجُودِ، أَحْمَدُهُ حَمْداً لَائِقاً بِمَرْتَبَةِ أُلُوهِيَتِهِ وَاجِباً لِكَمَالِ رُبُوبِيَتِهِ، جَامِعاً لِفُنُونِ الكَمَالِ المُطْلَقِ كَمَا يَسْتَحِقُّهُ فِي ذَاتِهِ ذَاتِ الحَقِّ، وَأَشْكُرُهُ شُكْراً مُتَّصِلاً مُتَوَاتِرَ الآلَاءِ، مُوَازِياً لِأَنْوَاعِ النَّعْمَاءِ. وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ فِي مَلَائِكَةِ قُدْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الأَحَدُ بِذَاتِهِ، الوَاحِدُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ المُكَرَّمُ وَحَبِيبُهُ المُعَظَّمُ وَعَبْدُهُ المُبَجَّلُ المُفَخَّمُ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَشَرَّفَ وَعَظَّمَ وَمَجَّدَ وَكَرَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَيِّدَنَا وَشَيْخَنَا وَاسِطَةَ عِقْدِ حَضْرَةِ الوِلَايَةِ، وَعَلَمَ أَهْلِ الحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ وَالعِنَايَةِ: عِمَادُ المِلَّةِ وَالدِّينِ وَمَحَلُّ رِحَالِ الطَّالِبِينَ، لِسَانُ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ وَتُرْجُمَانُ مَا اعْتَاصَ مِنْ مُقْفَلِ كَلَامِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ، إِمَامُ الوَاصِلِينَ وَتُحْفَةُ[3] المُقَرَّبِينَ، وَرَافِعُ لِوَاءِ العَارِفِينَ وَسُلْطَانُ المَحْبُوبِينَ، قُطْبُ الحَالِ وَالمَقَالِ، وَإِمَامُ جَامِعِ أَهْلِ القَبْضَةِ وَالوِصَالِ، أَبُو العَبَّاسِ مَوْلَانَا أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِيِّ الحَسَنِيِّ[4]،

---

[1]- ع ك: ليظهر

[2]- ح: المفخم المعظم

[3]- ح ل: ونخبة

[4]- ك: (الحسني) ساقطة

وَضَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَقْيِيداً مُفِيداً، وَتَنْبِيهاً مُرْشِداً سَدِيداً عَلَى الصَّلَاةِ المُسَمَّاةِ "بِيَاقُوتَةِ الحَقَائِقِ فِي التَّعْرِيفِ بِحَقِيقَةِ سَيِّدِ الخَلَائِقِ" الَّتِي هِيَ مِنْ إِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ لَفْظِهِ الشَّرِيفِ عَلَى[1] شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقَظَةً لَا مَنَاماً، وَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضَعَ عَلَيْهَا هَذَا التَّقْيِيدَ المُبَارَكَ لِيَحُلَّ مُشْكِلَاتِهَا، وَيُعْرِبَ عَنْ مِشْكَاتِهَا، فَأَبْدَعَ فِيهِ وَأَجَادَ وَبَلَغَ فِيهِ غَايَةَ المُرَادِ وَأَفْصَحَ عَنِ الحَقَائِقِ وَأَفَادَ، وَسَمَّيْتُهُ **"جَوَاهِرَ الحَقَائِقِ فِي شَرْحِ يَاقُوتَةِ الحَقَائِقِ"**.

وَذَكَرَ لَنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ **مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَتِهَا** تَضْمَنُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ[2] الآخِرَةِ، **وَمَنْ ذَكَرَهَا** مَرَّتَيْنِ فِي الصَّبَاحِ وَمَرَّتَيْنِ فِي المَسَاءِ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، الكَبَائِرُ وَالصَّغَائِرُ، بَالِغَةً مَا بَلَغَتْ وَلَا يَقَعُ لَهُ وَهْمٌ فِي التَّوْحِيدِ، لَكِنْ، بِالإِذْنِ الصَّحِيحِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ[3] أَوْ مِمَّنْ أَذِنَ لَهُ. وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي مَعَانِيهَا وَشَرْحِ مَبَانِيهَا.

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْتَعِيناً بِهِ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ: **الكَلَامُ عَلَى البَسْمَلَةِ** وَاضِحٌ[4] بَيِّنٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهِ وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الكَلَامَ عَلَيْهِمَا أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهِمَا، فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ الإِعَانَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالهِدَايَةُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

قَوْلُهُ: "اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ"، اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الاسْمَ الشَّرِيفَ اخْتُلِفَ فِيهِ، هَلْ هُوَ مُشْتَقٌّ أَوْ مُرْتَجَلٌ. قُلْنَا: الصَّحِيحُ أَنَّهُ اسْمٌ مُرْتَجَلٌ، وَجَمِيعُ مَا ذَكَرَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِيهِ مِنَ التَّصَرُّفِ، لَا يَصِحُّ وَلَا يُتَصَوَّرُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَصِحُّ فِي الأَسْمَاءِ المُعَلَّلَةِ وَهِيَ أَسْمَاءُ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ

---

[1]- ح ل: على واسطة
[2]- ح ل: (خير) ساقطة
[3]- ك: (وأرضاه) ساقطة
[4]- ح ل: (واضح) ساقطة

كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا يَخْتَصُّ بِمَعْنًى مِنَ المَعَانِي مُحَقَّقٍ فِي الذَّاتِ العَلِيَّةِ، فَتِلْكَ الأَسْمَاءُ هِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا التَّصَرُّفُ، يُقَالُ فِيهَا مُتَصَرِّفَةٌ لِتَعْلِيلِهَا بِمَعَانِيهَا.

وَأَمَّا هَذَا الاسْمُ الشَّرِيفُ، فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا الذَّاتُ العَلِيَّةُ[1] المُطْلَقَةُ لَا غَيْرُ، وَلِذَا قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ لِكَوْنِهِ ظَهَرَ فِي مَظْهَرِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ لِعَدَمِ اخْتِصَاصِهِ بِمَعْنًى دُونَ مَعْنًى. فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمَّى بِهَا[2] نَفْسَهُ فِي غَيْبِ الغَيْبِ، حَيْثُ لَا وُجُودَ لِشَيْءٍ مَعَهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَتَعَلَّلُ بِهِ، وَلَقَدْ وَقَعَ الخَبَرُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ فِي الأَزَلِ لَا شَيْءَ مَعَهُ، فَبَرَزَتْ حَقَائِقُ الوُجُودِ المَحْسُوسَةُ شُئُوناً مَلْحُوظَةً لَا وُجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ، وَخَاطَبَتِ الأَسْمَاءَ الإِلَهِيَةَ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الاسْمِ الشَّرِيفِ كَالفَلَكِ المُحِيطِ عَلَى قُطْبِهِ.

فَقَالَتْ المَوْجُودَاتُ لِلْأَسْمَاءِ: إِنَّكُمْ الآنَ لَا تُعْرَفُونَ، لِأَنَّكُمْ فِي بُطُونِ البُطُونِ، فَلَوْ أَبْرَزْتُمُونَا[3] لِلظُّهُورِ لَظَهَرَتْ فِينَا أَحْكَامُكُمْ وَتَوَجَّهَتْ فِينَا تَصَارِيفُكُمْ فَتَمَيَّزَتْ مَرَاتِبُكُمْ عَنْ بُطُونِهَا وَعُرِفْتُمْ وَعُرِفْنَا. فَقَالَتْ الأَسْمَاءُ لِلْإِسْمِ الجَامِعِ، وَهُوَ الرَّبُّ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الأَسْمَاءُ بِمَا تَوَجَّهَتْ إِلَيْهَا حَقَائِقُ الوُجُودِ.

فَقَالَ لَهُمْ اسْمُ الرَّبِّ: حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى الاسْمِ الجَامِعِ وَهُوَ اللَّهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَضْرَتَهُ وَخَاطَبَهُ بِمَا خَاطَبَتْهُ بِهِ الأَسْمَاءُ، فَقَالَ لَهُ: حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى مَدْلُولِي، فَدَخَلَ عَلَى الحَقِّ فِي حَضْرَةِ جَلَالِهِ جَلَّ وَعَلَا وَهِيَ حَضْرَةُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، فَخَاطَبَهُ بِمَا خَاطَبَتِ الأَسْمَاءُ بِهِ الرَّبَّ، وَطَلَبَ مِنْهُ مَا طَلَبَتْهُ[4] بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اُخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَإِنِّي مُبْرِزٌ مَا طَلَبْتُمُوهُ. فَكَانَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بُرُوزُ الوُجُودِ بِأَسْرِهِ.

---

[1]- ك: (العلية) ساقطة

[2]- ح ي ل هـ ق ص: به

[3]- ح: برزتمونا

[4]- ح ك ي: طالبته

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الاسْمَ الأَعْظَمَ لَيْسَ لِعِلَّةٍ مِنَ العِلَلِ، إِنَّمَا هُوَ اسْمُ الذَّاتِ المُطْلَقَةِ الوَاجِبَةِ الوُجُودِ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا يَصِحُّ التَّعْلِيلُ فِيهِ، لَوْ كَانَ مُخْتَصّاً بِلُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ كَالعَرَبِيَّةِ مَثَلاً، لِأَنَّ اللُّغَةَ لَا يُوضَعُ فِيهَا لَفْظٌ إِلَّا بِمُلَاحَظَةِ مَعْنًى مِنَ المَعَانِي. وَهَذَا الاسْمُ فِي عَيْنِهِ لَمْ يَخْتَصَّ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَلَا غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ، بَلْ جَمِيعُ المَوْجُودَاتِ فِي كُلِّ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الوُجُودِ تَعْرِفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ عَيْنُ هَذَا الاسْمِ وَهُوَ اللَّهُ لَا غَيْرُ.

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ، فَقَدْ اتَّفَقَ العَارِفُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّهُ عَيْنُ المَرْتَبَةِ لَا عَيْنَ الذَّاتِ، إِذْ مَرْتَبَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأُلُوهِيَةُ، وَالذَّاتُ فِي غَايَةِ البُطُونِ لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَمَا بَرَزَ لِلْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا بِالمَرْتَبَةِ. وَالذَّاتُ غَيْبٌ لَا يُدْرِكُهَا أَحَدٌ، فَهِيَ فِي غَايَةِ البُطُونِ، وَالمَرْتَبَةُ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ، فَمَا تَسْمَعُ فِي كَلَامِ العَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ هُوَ الظَّاهِرُ وَحْدَهُ لَا وُجُودَ لِغَيْرِهِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ ظُهُورَ المَرْتَبَةِ لَا ظُهُورَ الذَّاتِ[1]،

فَصَحَّ لَنَا مِنْ هَذَا الكَلَامِ أَنَّ هَذَا الاسْمَ الشَّرِيفَ غَيْرُ مُعَلَّلٍ، فَهُوَ عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ الوَاجِبَةِ الوُجُودِ، وَمَا نَطَقَ بِهِ المُتَكَلِّمُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهُ اسْمٌ جُزْئِيٌّ، فَبَاطِلٌ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ الجُزْئِيَّ فِيمَا شَأْنُهُ أَنْ يَكُونَ كُلِّياً أَوْ جُزْئِياً مِنَ المَوْجُودَاتِ. فَالكُلِّي مَا دَلَّ عَلَى جَمْعٍ أَوْ جِنْسٍ لَمْ يَخْتَصَّ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ ذَلِكَ الكُلِّي، وَانْطِوَاءِ الأَجْزَاءِ تَحْتَ ذَلِكَ الكُلِّي، وَالجُزْئِي مَا دَلَّ عَلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الجَمْعِ أَوْ الجِنْسِ بِحَيْثُ أَنْ لَا مُشَارَكَةَ فِيهِ لِغَيْرِهِ[2].

وَهَذَا الاسْمُ الأَعْظَمُ خَارِجٌ عَنْ جَمِيعِ الكُلِّيَاتِ وَالجُزْئِيَاتِ فَلَا يَقْبَلُ دُخُولَ الجِنْسِ مَعَهُ لِعَدَمِ مُجَانَسَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ، وَلَا يَقْبَلُ دُخُولَ الكُلِّي مَعَهُ لِنَفْيِ المُشَارَكَةِ مَعَهُ

---

[1]- ع ك ح ي ل هـ ق ص: (لا ظهور الذات) ساقطة

[2]- ك: (وَالجُزْئِي مَا دَلَّ عَلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الجَمْعِ أَوْ الجِنْسِ بِحَيْثُ أَنْ لَا مُشَارَكَةَ فِيهِ لِغَيْرِهِ) ساقطة

فِي مَرْتَبَتِهِ[1]، فَبَطُلَ قَوْلُهُمْ هُوَ اسْمٌ جُزْئِيٌّ. فَلَا يَصِحُّ فِي إِطْلَاقِهِ إِلَّا القَوْلُ بِأَنَّهُ اسْمٌ مُرْتَجَلٌ عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ الوَاجِبَةِ الوُجُودِ مِنْ حَيْثُ المَرْتَبَةُ لَا مِنْ حَيْثُ بُطُونُ الذَّاتِ. فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ صُوَرَ المَوْجُودَاتِ مَعْدُومَةٌ فِي الأَزَلِ لَا ظُهُورَ لَهَا، فَكَيْفَ صَحَّ مِنْهَا التَّوَجُّهُ وَالكَلَامُ مَعَ مَرْتَبَةِ الأَسْمَاءِ؟

قُلْنَا: إِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ فِي عَدَمِهَا، وَلَكِنْ لَمَّا أَرَادَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظُهُورَهَا أَبْرَزَ مِنْهَا صُوَراً كَالخَيَالَاتِ أَوْ هِيَ عَيْنُ الخَيَالَاتِ فَتَوَجَّهَ مِنْهَا الخِطَابُ المُضْمَرُ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ الحِسُّ، فَخَاطَبَتْ الأَسْمَاءَ بِهَذَا الخِطَابِ، فَتَوَجَّهَتْ مَشِيئَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ[2] وَتَعَالَى لِإِبْرَازِهَا، وَالخَيَالُ يَصِحُّ ظُهُورُهُ بِحَيْثُ أَنْ لَا ظُهُورَ لَهُ فِي الخَارِجِ، وَصُورَةُ ذَلِكَ مَا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي المَنَامِ، فَإِنَّهُ يَرَى صُورَةً أَوْ[3] صُوَراً مَحْسُوسَةً وَيُخَاطِبُهَا وَتُخَاطِبُهُ وَيُدْرِكُ مِنْهَا عُلُوماً لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ، وَهِيَ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ إِلَّا التَّخَيُّلُ فَقَطْ. فَإِذَا اسْتَيْقَظَ زَالَتْ تِلْكَ الصُّوَرُ لِكَوْنِهَا لَا وُجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ إِلَّا فِي الخَيَالِ. فَكَذَلِكَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي حَقَائِقِ الوُجُودِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَاقِعٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ.

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي ابْتِدَاءِ هَذِهِ الصَّلَاةِ بِهَذَا الاسْمِ الشَّرِيفِ، فَلِكَوْنِهِ هُوَ الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَتَقَدَّمْهُ شَيْءٌ. فَيَلْزَمُ تَقَدُّمُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْتَدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ)، **وَكَوْنُهُ ثَلَاثاً** لِلْحَثِّ عَلَيْهِ وَعَلَى مُسَمَّاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ تَعْوِيلاً وَاسْتِنَاداً وَاعْتِمَاداً وَتَوَكُّلاً وَالْتِجَاءً وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيماً وَاعْتِبَاراً فِي جَمِيعِ الأُمُورِ، بِحَيْثُ لَا يَشِذُّ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ إِلَّا كَانَ المَطْلُوبُ مِنَ العَبْدِ الرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ فِيهِ، فَلِهَذَا كَرَّرَ ثَلَاثاً كَأَنَّهُ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِاللَّهِ، عَلَيْكَ بِاللَّهِ، عَلَيْكَ بِاللَّهِ.

---

[1]- ع ك هـ ص: في مرتبةٍ

[2]- ع ك: (سبحانه و) ساقطة

[3]- ع: (صورة أو) ساقطة

قَوْلُهُ: " **اللَّهُمَّ** "، اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ تَقُولُهَا العَرَبُ جَرَتْ فِي أَلْسِنَتِهَا أَنَّهَا تُخَاطِبُ اللَّهَ بِهَا فِي جَمِيعِ أَدْعِيَتِهَا، وَهِيَ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ مَجْرَى الاسْتِغَاثَةِ وَالتَّضَرُّعِ، وَشِدَّةِ الابْتِهَالِ وَطَلَبِ التَّعْجِيلِ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: عَجِّلْ إِجَابَتِي، أَوْ عَجِّلْ إِغَاثَتِي يَا اللَّهُ. هَذَا المُرَادُ بِهَا عِنْدَ العَرَبِ.

قَوْلُهُ: " **أَنْتَ اللَّهُ** "، مَعْنَاهُ: هُوَ[1] ضَمِيرُ المُخَاطَبِ، وَاسْمُ الجَلَالَةِ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: " **الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** " **اعْلَمْ** أَنَّ الإِلَهَ فِي لُغَةِ العَرَبِ هُوَ المَعْبُودُ بِالحَقِّ، وَأَطْلَقُوهَا عَلَى غَيْرِهِ غَلَطاً مِنْهُمْ. قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ[2]: **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ)**[3]. مَعْنَاهُ: لَا مَعْبُودَ بِالحَقِّ إِلَّا هُوَ، وَالإِلَهُ الَّذِي قُلْنَا إِنَّهُ هُوَ المَعْبُودُ، هُوَ المُتَحَقِّقُ بِمَرْتَبَةِ الأُلُوهِيَةِ، وَهُوَ الَّذِي خَضَعَ لَهُ الوُجُودُ كُلُّهُ بِالعِبَادَةِ وَالتَّذَلُّلِ وَالخُمُودِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَالتَّصَاغُرِ لِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَلَيْسَ فِي الوُجُودِ شَيْءٌ يَشِذُّ عَنْ هَذَا قَاصِيهِ وَدَانِيهِ، فَهُوَ الإِلَهُ الحَقُّ الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ بِسَطْوَتِهِ وَقَهْرِهِ وَانْفِرَادِهِ بِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعُلُوِّهِ وَجَلَالِهِ.

قَوْلُهُ: " **الْعَالِي** "، **اعْلَمْ** أَنَّ مَعْنَاهُ هُوَ اتِّصَافُهُ بِصِفَةِ العُلُوِّ، وَهِيَ العَظَمَةُ وَالكِبْرِيَاءُ وَالعِزُّ وَالجَلَالُ وَالمَجْدُ وَالكَرَمُ وَالتَّعَالِي وَالقُدْسُ وَمَحَامِدُ الصِّفَاتِ كُلِّهَا مِنْ غَيْرِ شُذُوذِ شَيْءٍ مِنْهَا. فَبِهَذَا عَلَا وَتَكَبَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

قَوْلُهُ: " **فِي عَظَمَتِهِ** " مَعْنَى العَظَمَةِ هُوَ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ عَظِيمٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَحُلُّ بِهِ الاحْتِقَارُ مِنْ وَجْهٍ، وَكُلُّ مَنْ دُونَهُ إِذَا تَبَدَّتْ لَهُ عَظَمَتُهُ ذَابَ ذُلّاً وَتَصَاغُراً وَصَعِقَ هَيْبَةً وَإِجْلَالاً.

---

[1]- ك: (هو) ساقطة

[2]- ك: جل من قال

[3]- سورة البقرة، الآية 255. وكذلك سورة آل عمران، الآية 2.

قَوْلُهُ: " انْفِرَادِ حَضْرَةِ أَحَدِيَّتِكَ ". **اعْلَمْ** أَنَّ حَضْرَةَ الأَحَدِيَّةِ هِيَ[1] أَوَّلُ نِسْبَةٍ بَرَزَتْ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ، لِأَنَّ الحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي حَضْرَةِ ذَاتِهِ لَا تُعْرَفُ لَهُ نِسْبَةٌ، فَإِنَّ حَضْرَةَ الذَّاتِ السَّاذَجِ بَحْرُ العَمَى وَالطَّمْسِ لَا يُعْقَلُ فِيهَا وَصْفٌ وَلَا اسْمٌ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَلَا غَيْرٌ وَلَا وَهْمٌ وَلَا كَمٌّ وَلَا كَيْفٌ وَلَا اخْتِصَاصٌ وَلَا خَاصِيَةٌ. فَهِيَ القَاطِعَةُ لِجَمِيعِ التَّوَجُّهَاتِ إِذَا بَرَزَتْ بِعَيْنِهَا، فَلَا تُعْقَلُ لَهَا نِسْبَةٌ، وَعِنْدَ الخُرُوجِ عَنْ[2] سَذَاجَةِ الذَّاتِ تَبَدَّى[3] هُنَاكَ ظُهُورُ النِّسَبِ.

وَأَوَّلُ نِسْبَةٍ بَرَزَتْ هِيَ الأَحَدِيَّةُ وَهِيَ انْفِرَادُهُ بِالوُجُودِ، وَهِيَ مِثْلُ الذَّاتِ السَّاذَجِ فِي مَحْوِ النِّسَبِ وَالغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْفَرِدُ عَنِ الذَّاتِ السَّاذَجِ بِنِسْبَةِ الأَحَدِيَّةِ، لِأَنَّ الأَحَدِيَّةَ هِيَ أَوَّلُ النِّسَبِ، لِأَنَّ خُرُوجَ الفَانِي عَنْ سَذَاجَةِ الذَّاتِ يَأْخُذُ فِي تَعَقُّلِ المَرَاتِبِ وَالنِّسَبِ.

وَأَوَّلُ نِسْبَةٍ يَتَعَقَّلُهَا، نِسْبَةُ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا التَّعَقُّلُ لَا الظُّهُورُ، لِأَنَّ ظُهُورَ الأَحَدِيَّةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ لَا يَرَاهَا غَيْرُ المُتَّصِفِ بِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَنْ سِوَاهُ لَيْسَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا التَّعَقُّلُ، فَإِنَّ التَّجَلِّيَ بِهَا لِغَيْرِهِ لَا يَتَأَتَّى وَلَا يَتَمَكَّنُ لِأَنَّهُ إِنْ تَجَلَّى بِهَا وَتَعَقَّلْتَهَا وَعَرَفْتَهَا فَأَنْتَ وَهُوَ اِثْنَانِ لَا وَاحِدٌ فِي الظُّهُورِ، فَلَا أَحَدِيَّةَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ مُحِقْتَ وَسُحِقْتَ حَتَّى لَا عَيْنَ مِنْكَ وَلَا أَثَرَ وَلَا شُعُورَ وَلَا وَهْمَ وَلَا فَنَاءَ وَلَا شُعُورَ بِالفَنَاءِ كَانَ حِينَئِذٍ مُتَجَلِّياً لِنَفْسِهِ فَقَطْ، لَيْسَ لَكَ مِنْهَا شَيْءٌ.

فَبِهَذَا، تَعْلَمُ أَنَّ التَّجَلِّيَ بِالأَحَدِيَّةِ مُسْتَحِيلٌ لَا يَتَجَلَّى بِهَا إِلَّا لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ **المَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ**[4] فِي هَذَا المَيْدَانِ الَّتِي هِيَ أُصُولُ النِّسَبِ. **المَرْتَبَةُ**[5] **الأُولَى: الأَحَدِيَّةُ**، وَهِيَ مَرْتَبَةُ كُنْهِ

---

[1] - ح: هو

[2] - ح: عند ـ ك: من.

[3] - ك: تتبدى

[4] - ك: ثلاث

[5] - ح ل: الرتبة

الحَقِّ حَيْثُ لَا تَوَهُّمَ لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، وَلَا اسْمَ وَلَا صِفَةَ وَلَا رَسْمَ وَلَا كَمَّ وَلَا كَيْفَ وَلَا تَعَقُّلَ وَلَا تَخَيُّلَ إِلَّا الحَقُّ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ لِلْحَقِّ عَنِ الحَقِّ. فَهَذِهِ هِيَ مَرْتَبَةُ كُنْهِ الحَقِّ. **المَرْتَبَةُ[1] الثَّانِيَةُ:** هِيَ مَرْتَبَةُ الوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَرَاتِبِ الظُّهُورِ لِلْغَيْرِ، حَيْثُ يُتَعَقَّلُ فِيهَا الغَيْرُ وَالغَيْرِيَّةُ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ هِيَ مَرْتَبَةُ شُهُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا مُشَارَكَةَ فِيهَا لِغَيْرِهِ إِلَّا مَنْ اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِالخُصُوصِيَةِ العُظْمَى، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الخِلَافَةِ، فَلَهُ هَذَا المَشْرَبُ. **المَرْتَبَةُ[2] الثَّالِثَةُ:** هِيَ مَرْتَبَةُ الوَاحِدِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ عُمُومِ الأُلُوهِيَةِ حَيْثُ يَتَّصِفُ الحَقُّ فِيهَا بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَظُهُورِ خَوَاصِّهَا وَنِسَبِهَا عَلَى جُمَلِهَا وَتَفَاصِيلِهَا كَمّاً وَكَيْفاً وَإِطْلَاقاً وَتَقْيِيداً. وَكُلُّهَا قَدِيمَةٌ لِلْحَقِّ. اهـ

قَوْلُهُ: " الَّتِي شِئْتَ فِيهَا بِوُجُودِ شُئُونِكَ "، **اعْلَمْ** أَنَّ الشُّئُونَ هَا هُنَا هِيَ **حَقَائِقُ الوُجُودِ** وَسُمِّيَتْ شُئُوناً لِعَدَمِ التَّمَايُزِ بَيْنَ حَقَائِقِهَا، فَإِنَّهَا **مُضْمَرَةٌ فِي الأَحَدِيَّةِ** لَيْسَ لَهَا عَيْنٌ وَلَا وَصْفٌ وَلَا اسْمٌ وَلَا رَسْمٌ وَلَا كَيْفِيَّةٌ وَلَا لَوْنٌ وَلَا مِقْدَارٌ. فَلِهَذَا سُمِّيَتْ شُئُوناً، إِذْ لَا مَعْرِفَةَ لِشَيْءٍ مِنْ حَقَائِقِهَا بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ التَّعْرِيفِ. فَهِيَ مُسْتَوِيَةُ المَبَانِي، مُتَمَاثِلَةُ المَعَانِي، وَفِي هَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ:

كُنَّا حُرُوفاً عَالِيَاتٍ لَمْ تُقَلْ * مُتَمَسِّكِينَ مِنَ العُلَا بِذُرَى القُلَلْ
أَنَا أَنْتَ فِيهِ وَنَحْنُ أَنْتَ وَأَنْتَ هُو * وَالكُلُّ فِي هُو هُو فَسَلْ عَمَّنْ وَصَلْ

أَشَارَ بِهَذَا إِلَى حَضْرَةِ الأَحَدِيَّةِ، فَإِنَّ الأَشْيَاءَ فِيهَا مَعْدُومَةٌ مِنْ آلَاتِ التَّعْرِيفِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ، وَالأَلْوَانِ وَالمَقَادِيرِ وَالكَمِّيَّاتِ وَالكَيْفِيَّاتِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ، فَهَذِهِ

---

[1] - ح ل: الرتبة

[2] - ح ل: الرتبة

أَسْبَابُ التَّعْرِيفِ بَيْنَ حَقَائِقِ الوُجُودِ، وَبِهَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَبِذَا تُعْرَفُ نِسَبُهَا وَمَرَاتِبُهَا، وَحَيْثُ انْعَدَمَتْ آلَاتُ التَّعْرِيفِ، صَارَتْ شُئُوناً مُضْمَرَةً،

وَالشُّؤُونُ هَا هُنَا يَسْتَوِي فِيهَا مَا حُكِمَ عَلَيْهِ بِالظُّهُورِ لِلْوُجُودِ وَمَا حُكِمَ عَلَيْهِ بِبَقَائِهِ فِي طَيِّ العَدَمِ، فَالكُلُّ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، لَا تَفَاوُتَ لِشَيْءٍ مِنْهَا، وَعَلَى هَذَا الحَدِّ وَقَعَ خِطَابُ الآيَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**)[1]. وَسَمَّاهَا شُئُوناً مَعَ كَوْنِهَا يُبْدِيهَا صُوَراً مَحْدُودَةً بِالكَمِّ وَالكَيْفِ وَاللَّوْنِ وَالصُّورَةِ وَالاسْمِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ[2]، فَهِيَ مَعْرُوفَةٌ مَحْدُودَةٌ، لَكِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَوَّلِهَا لِأَنَّ أَوَّلَهَا كَانَ شُئُوناً فِي مَرْتَبَةِ الأَحَدِيَّةِ،

فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرِّفَاعِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُدَرِّسُ فِي مَجْلِسِهِ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا مَعْنَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ؟ فَتَحَيَّرَ وَلَمْ يَجِدْ جَوَاباً. فَسَكَتَ، ثُمَّ نَامَ لَيْلاً، فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الآيَةِ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : شُئُوناً يُبْدِيهَا لَا يَبْتَدِئُهَا. فَلَمَّا عَادَ لِلدَّرْسِ مِنْ غَدٍ، عَادَ السَّائِلُ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: شُئُوناً يُبْدِيهَا لَا يَبْتَدِئُهَا. فَقَالَ لَهُ: صَلِّ عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ. وَظَهَرَ أَنَّ السَّائِلَ هُوَ الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. إهـ[3]

قَوْلُهُ: " **وَأَنْشَأْتَ مِنْ نُورِكَ الْكَامِلِ** " **اعْلَمْ** أَنَّ النُّورَ الكَامِلَ هَا هُنَا لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى نُورِ الذَّاتِ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهَا، وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ وَصُورَتُهُ فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهَا فَضْلاً عَنْ رُؤْيَتِهَا. **قَوْلُهُ**[4] " **نَشْأَةَ الْحَقِّ** " مَعْنَى نَشْأَةِ الحَقِّ هَا[5] هُنَا هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.

---

[1]- سورة الرحمان، الآية 29

[2]- ع: (والمكان) ساقطة

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[4]- ح ل: (قوله) ساقطة

[5]- ح: (ها) ساقطة

وَسَمَّاهَا نَشْأَةَ الحَقِّ لِأَنَّهَا حَقٌّ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ عَنْ حَقٍّ لِحَقٍّ، **فَلَا يَحُومُ البَاطِلُ حَوْلَهَا** بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، فَهِيَ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالطَّهَارَةِ وَالعُلُوِّ، فَلَيْسَ فِي جَوَاهِرِ الوُجُودِ أَشْرَفُ وَأَعْلَا مِنْهَا وَلَا أَصْفَا وَلَا أَطْهَرَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهَا. ثُمَّ إِنَّهَا فِي حَقِيقَتِهَا لَا تُدْرَكُ وَلَا تُعْقَلُ. قَالَ أُوَيْسٌ القَرْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَيِّدِنَا عُمَرَ وَسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ لَقِيَاهُ: لَمْ تَرَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ظِلَّهُ. قَالُوا: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ: وَلَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ.

لِأَنَّهُ مَا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَلَباً لِلْوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ. فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ عَجَزَ عَنِ الوُصُولِ إِلَيْهِ أَكَابِرُ الرُّسُلِ، فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ بِوَجْهٍ وَلَا حَالٍ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاتِهِ: وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ. الخ .. قَالَ أَبُو يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: غُصْتُ لُجَّةَ المَعَارِفِ طَلَباً لِلْوُقُوفِ عَلَى عَيْنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَإِذَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَلْفُ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ لَوْ دَنَوْتُ مِنَ الحِجَابِ الأَوَّلِ لَاحْتَرَقْتُ كَمَا تَحْتَرِقُ الشَّعْرَةُ إِذَا أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ، فَتَأَخَّرْتُ القَهْقَرَى. اهـ[2]

قَوْلُهُ: "وَأَنَطْتَهَا" يَعْنِي جَعَلْتَ الوُجُودَ كُلَّهُ مَنُوطاً بِهَا مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ، لَا وُجُودَ لِشَيْءٍ بِدُونِهَا، فَإِنَّ **الوُجُودَ كُلَّهُ وُجِدَ لِأَجْلِهَا** فَقَطْ لَا لِذَاتِهِ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ لِذَاتِهَا لَا عِلَّةَ لَهَا إِلَّا الذَّاتُ. فَهِيَ مَوْجُودَةٌ لِأَجْلِ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا. وَالوُجُودُ كُلُّهُ مَنُوطٌ بِهَا، فَهِيَ الوَاسِطَةُ بَيْنَ الوُجُودِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْلَاهَا لَتَلَاشَى الوُجُودُ كُلُّهُ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، فَالوُجُودُ كُلُّهُ قَائِمٌ تَحْتَ ظِلِّهَا،

---

[1]- ك: (رضي الله عنه) ساقطة

[2]- ح: (إهـ) ساقطة

قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاتِهِ: وَلَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ إِذْ لَوْلَا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوطُ، وَقَوْلُهُ أَيْضاً فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ. انْتَهَى.

قَوْلُهُ: " وَجَعَلْتَهَا صُورَةً ". قُلْنَا: **الصُّورَةُ هُنَا هِيَ أَوَّلُ أَمْرٍ بَرَزَ مِنْ حَضْرَةِ الشُّؤُونِ** الَّتِي هِيَ العَمَى، فَإِنَّ حَضْرَةَ الشُّؤُونِ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا، وَهِيَ حَضْرَةُ العَمَى. فَالشُّؤُونُ كُلُّهَا لَا تَمَايُزَ لِشَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ فِيهَا، فَلَا صُورَةَ وَلَا كَمَّ وَلَا كَيْفَ وَلَا مِقْدَارَ وَلَا تَقْدِيمَ وَلَا تَأْخِيرَ وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ، فَلِهَذَا سُمِّيَتْ عَمًى. فَإِذَا بَرَزَتِ الأَشْيَاءُ مِنْ[1] هَذِهِ الحَضْرَةِ سُمِّيَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا صُورَةً، لِأَنَّهُ بَرَزَ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ وَالمِقْدَارِ وَالاسْمِ وَالصِّفَةِ وَالرَّسْمِ، وَتَمَيَّزَ عَنْ غَيْرِهِ بِالضَّرُورَةِ، فَمِنْ هُنَا، أُطْلِقَ عَلَيْهِ صُورَةٌ،

وَكَانَ أَوَّلُ بَارِزٍ مِنْ حَضْرَةِ الشُّؤُونِ الَّتِي هِيَ العَمَى، هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ. قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ أَدِمْ صِلَةَ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامَ تَسْلِيمَاتِكَ عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ المُفَاضَةِ مِنَ العَمَى الرَّبَّانِي.

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّائِلِ حِينَ سَأَلَهُ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ؟ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ فِي عَمًى مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ. وَالعَمَى عِنْدَ العَرَبِ هُوَ السَّحَابُ، وَسَمَّتْهُ العَرَبُ عَمًى لِكَوْنِهِ يُغَطِّي عَيْنَ الشَّمْسِ، وَلَمْ يُرِدْ هَذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِالعَمَى المَرْتَبَةَ[2] الأُولَى مِنْ مَرَاتِبِ الذَّاتِ**، وَهِيَ حَضْرَةُ الطَّمْسِ وَالعَمَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيْهَا، فَهِيَ العَمَى الأَوَّلُ، **وَالعَمَى الثَّانِي حَضْرَةُ الشُّؤُونِ**، حَيْثُ لَا يَتَمَيَّزُ فِيهَا شَيْءٌ، **وَعِنْدَ خُرُوجِ الشَّيْءِ مِنْ حَضْرَةِ العَمَى الثَّانِي يُسَمَّى صُورَةً**. اهـ.

---

[1]- ك: على

[2]- ح ل: الرتبة

قَوْلُهُ: " كَامِلَةً تَامَّةً " اعْلَمْ أَنَّ الكَامِلَ وَالتَّامَّ، لَمْ يُعْرَفْ عِنْدَ العَرَبِ، إِلَّا أَنَّهُمَا مُتَرَادِفَانِ، الكَامِلُ هُوَ التَّامُّ، وَالعَكْسُ، وَأُطْلِقَ هَا هُنَا فِي التَّفَنُّنِ لِلْمَدْحِ وَيَلُوحُ فِي هَذَا المَحَلِّ لِلْفَهْمِ، أَنَّ الكَامِلَ هُوَ الَّذِي يُفِيضُ الكَمَالَ عَلَى غَيْرِهِ، وَالتَّامُّ هُوَ الَّذِي لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَالكَامِلُ هُوَ الَّذِي يُفِيضُ الكَمَالَاتِ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا[1]، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا المَيْدَانِ تَامٌّ فِي نَفْسِهِ، لَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ النَّقْصُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، كَامِلٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفِيضُ الكَمَالَاتِ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ وَالفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمَوَاهِبِ وَالمِنَحِ وَجَمِيعِ وُجُوهِ العَطَايَا،

فَكُلَّمَا يُفِيضُهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى[2] الوُجُودِ مُطْلَقاً وَمُقَيَّداً أَوْ كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً مِمَّا اشْتُهِرَ أَوْ شَذَّ، إِنَّمَا **يُفِيضُهُ بِوَاسِطَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَيْءٌ لِلْوُجُودِ بِغَيْرِ وَاسِطَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ جَهِلَ أَمْرَ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ بِهَذَا الاعْتِقَادِ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ مِنْ بَلَائِهِ بِجَاهِ رُسُلِهِ[3] وَأَنْبِيَائِهِ. اهـ[4]

قَوْلُهُ: " تَجِدُ مِنْهَا " مَعْنَاهُ أَيْ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا مِنَ النُّورِ الكَامِلِ، وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ.

قَوْلُهُ: " بِسَبَبِ وُجُودِهَا "، أَيْ فَإِنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهَا لَا يُدَاخِلُهَا شَيْءٌ[5] فِي العَالَمِ الصُّوَرِي إِلَّا مَا يَجِدُ مِنْهَا فِي حَضْرَةِ العِلْمِ لِكَوْنِهَا عَيْناً ثَابِتَةً.

---

[1] - ك: كما قدمنا

[2] - ح ل: في

[3] - ح ل: رسوله

[4] - ح ي ل هـ ص: (اهـ) ساقطة

[5] - ح ع ي ل هـ ق ص: شيئا

قَوْلُهُ: " **مِنِ انْفِرَادِ أَحَدِيَّتِكَ** " مَعْنَاهُ أَنْ[1] تَجِدَ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ مِنِ انْفِرَادِ أَحَدِيَّتِكَ بَعْدَ ظُهُورِ الصُّورَةِ، وَعَيْنُ مَا يَجِدُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ هُوَ شُهُودُ ذَاتِهِ المُطْلَقَةِ السَّاذَجِ، يَشْهَدُهَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ. وَالصُّورَةُ لَهَا كَالمِرْآةِ تَتَرَاءَى فِيهَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرَى فِي تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَ ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ، وَهِيَ المُرَادُ بِانْفِرَادِ الأَحَدِيَّةِ، فَإِنَّ الأَحَدِيَّةَ عَيْنُ الذَّاتِ عَيْناً بِعَيْنٍ وَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنَّ فِيهَا نِسْبَةَ الأَحَدِيَّةِ لِكَوْنِ الذَّاتِ السَّاذَجِ عَارِيَةً عَنِ النِّسَبِ، وَالأَحَدِيَّةُ نِسْبَةٌ مِنَ النِّسَبِ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: " **قَبْلَ نَشْرِ أَشْبَاحِهَا** " **اعْلَمْ** أَنَّ مَعْنَى نَشْرِ الأَشْبَاحِ هُنَا هِيَ ذَوَاتُ الوُجُودِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، كُلَّمَا وَقَعَ مِنْ ذَوَاتِ الوُجُودِ، هُوَ نَاشِئٌ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ إِنَّهُ الأَبُ الأَوَّلُ لِكَوْنِ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا تَنَاسَلَتْ مِنْ حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَهُوَ لِجَمِيعِهَا كَأَصْلِ الشَّجَرَةِ، وَذَوَاتُ الوُجُودِ كُلُّهَا كَأَغْصَانِ الشَّجَرَةِ فَهُوَ عَيْنُهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَلَا يَتَرَاءَى هَذَا إِلَّا لِمَنْ تَخَطَّى نِسَبَ الوُجُودِ وَبَرَزَ لَهُ الحَقُّ عَيْناً بِعَيْنٍ، يَشْهَدُ هَذَا السِّرَّ وَإِلَّا فَلَا. إهـ[3]

قَوْلُهُ: " **وَجَعَلْتَ مِنْهَا فِيهَا** " يَعْنِي أَيْ مِنَ الصُّورَةِ فِيهَا " **بِسَبَبِهَا انْبِسَاطَ الْعِلْمِ** " جَعَلَ اللَّهُ انْبِسَاطَ العِلْمِ فِي الوُجُودِ الجَارِي عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾[4]. فَذَلِكَ العِلْمُ مُنْبَسِطٌ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ، فَهِيَ[5] يَنْبُوعُ

---

[1]- ع ك ي ق: أي

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ح ي ل: (إهـ) ساقطة

[4]- سورة البقرة، الآية 255

[5]- ح ل: فهو

العِلْمِ وَعُنْصُرُهُ، فَهِيَ لَهُ كَالبَحْرِ الجَامِعِ، وَيَنْشَقُّ مِنْهَا[1] لِذَوَاتِ الوُجُودِ بِحَاراً وَأَنْهَاراً وَسَوَاقِيَ وَخُيُوطاً. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "بِسَبَبِهَا" يَعْنِي أَنَّ العِلْمَ الجَارِيَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَهِيَ يَنْبُوعُهُ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِهَا فَقَطْ، إِذْ لَا عِلَّةَ لَهَا[3] بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَاتِ الحَقِّ حَتَّى تَكُونَ لَهَا سَبَباً، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ هَذِهِ الصُّورَةَ لِذَاتِهَا، فَهِيَ سَبَبُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ سَبَبٌ لِنَفْسِهَا.

قَوْلُهُ: " **وَجَعَلْتَ مِنْ أَثَرِ هَذِهِ الْعَظَمَةِ** " يَعْنِي سَمَّاهَا عَظَمَةً لِكَوْنِهَا قَبْضَةً مِنْ نُورِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلِذَا سَمَّاهَا عَظَمَةً. **وَقَوْلُهُ** مِنْ أَثَرِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِي إِظْهَارِ ذَوَاتِ الوُجُودِ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ. فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَاهُ مَا أَظْهَرَ اللَّهُ شَيْئاً مِنَ المَوْجُودَاتِ، وَلَبَقِيَتْ كُلُّهَا فِي طَيِّ العَدَمِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ لَوْ جَرَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي عَنْهَا وُجِدَتِ الأَكْوَانُ، بِأَنْ لَا يَخْلُقَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَجَرَى فِي مَشِيئَتِهِ أَنْ لَا يَخْلُقَ شَيْئاً مِنَ الوُجُودِ، فَذَوَاتُ الوُجُودِ هِيَ الأَشْبَاحُ البَارِزَةُ عَنْ حَقِيقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلَةِ الأَوْلَادِ، البَارِزَةِ عَنِ الأَبِ الوَاحِدِ. إهـ[4]

قَوْلُهُ: " **وَمِنْ بَرَكَاتِهَا[5] شَبْحَةَ الصُّوَرِ كُلِّهَا، جَامِدِهَا وَمُتَحَرِّكِهَا** " **اعْلَمْ** أَنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ كُلَّهَا بَرَزَتْ عَنْ حَقِيقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَامِدَهَا وَمُتَحَرِّكَهَا.

قَوْلُهُ: " **وَأَنْطَتْهَا بِإِقْبَالِ التَّحْرِيكِ وَالتَّسْكِينِ** " يَعْنِي أَنَّ العَوَارِضَ الحَالَّةَ فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ، وَهِيَ الحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ هِيَ أَيْضاً بَارِزَةٌ فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ عَنِ الحَقِيقَةِ

---

[1] - ح ل: منه

[2] - ح ل: (إهـ) ساقطة

[3] - ح ل: (لها) ساقطة

[4] - ح ي ل هـ ق: (إهـ) ساقطة

[5] - ك ح ي ل هـ ق ص: بركتها

المُحَمَّدِيَّةِ، فَهِيَ مَنُوطَةٌ بِهَا كَمَا أَنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ وَهِيَ الصُّورَةُ[1] المَحْسُوسَةُ مَنُوطَةٌ بِالحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ لَا وُجُودَ لَهَا بِدُونِهَا، كَذَلِكَ الأَعْرَاضُ الحَالَّةُ[2] فِي ذَوَاتِ الوُجُودِ، وَهِيَ الحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنْ قَبْضٍ وَبَسْطٍ وَإِعْطَاءٍ وَمَنْعٍ وَمَدْحٍ وَذَمٍّ، كُلُّ ذَلِكَ بَارِزٌ عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ. إهـ[3]

قَوْلُهُ: " **وَجَعَلْتَهَا فِي إِحَاطَةِ الْعِزَّةِ** " يَعْنِي يُرِيدُ بِهَا الصُّورَةَ الَّتِي خَلَقَهَا مِنْ نُورِهِ الكَامِلِ، وَجَعْلُهَا فِي إِحَاطَةِ العِزَّةِ: يُرِيدُ أَنَّهُ جَعَلَهَا فِي غَايَةِ المَنْعِ وَالاحْتِجَابِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى فَهْمِهَا وَمَعْرِفَتِهَا غَيْرُهَا مِنْ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، فَهِيَ الَّتِي احْتُجِبَتْ فِي سُرَادِقَاتِ العِزِّ وَالجَلَالِ، فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهَا فَضْلاً عَنْ نَيْلِهَا وَرُؤْيَتِهَا.

قَوْلُهُ: " **مِنْ كَوْنِهَا قَبِلَتْ** " يَعْنِي الوُجُودَ مِنْهَا فِيهَا وَلَهَا، فَهِيَ مَوْجُودَةٌ لَا مُعَلَّلَةٌ بِشَيْءٍ، فَوُجُودُهَا مِنْهَا لَا عِلَّةَ لَهُ إِلَّا الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ.

قَوْلُهُ: " **مِنْهَا وَفِيهَا** " أَيْ وَكَانَ وُجُودُهَا مُسْتَمَدّاً مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَطْ، لَا شَيْءَ وَرَاءَهَا، فَإِنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ كُلَّهَا مُعَلَّلٌ وُجُودُهَا بِشَيْءٍ تُرَادُ لَهُ، إِلَّا الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّمَا[4] هِيَ[5] مُرَادَةٌ لِذَاتِهَا، لَا لِشَيْءٍ يُرَادُ بِهَا.

قَوْلُهُ: "**وَلَهَا**" يَعْنِي قَبِلَتْ الوُجُودَ لَهَا أَيْ لَا[6] لِذَاتِهَا، لَا لِشَيْءٍ وَرَاءَ ذَلِكَ فَإِنَّ الوُجُودَ كُلَّهُ مَنُوطٌ بِهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ مَنُوطَةً بِشَيْءٍ إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ كَمَا

---

[1]- ح ك: الصور ـ ل: وهو الصور

[2]- ح: (الحالة) ساقطة

[3]- ح ي ل: (إهـ) ساقطة

[4]- ح ل: فإنها

[5]- ي: فإنها

[6]- ك ي ل: (لا) ساقطة

وَرَدَ فِي الخَبَرِ: يَقُولُ لَهُ خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِكَ، وَخَلَقْتُكَ أَنْتَ مِنْ أَجْلِي. فَدَلَّ هَذَا الخَبَرُ أَنَّ الوُجُودَ كُلَّهُ لَا يُرَادُ لِذَاتِهِ، إِنَّمَا خُلِقَ لِأَجْلِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ مَنُوطَةً بِشَيْءٍ تُخْلَقُ لِأَجْلِهِ لَيْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ إِلَّا الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ.
وَإِلَى هَذَا يُشَارُ فِي "الصَّلَاةِ البَكْرِيَّةِ" الَّتِي هِيَ مِنْ إِمْلَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، بِقَوْلِهِ فِيهَا: عَبْدُكَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ كَمَا هُوَ عَبْدُكَ مِنْ حَيْثُ كَافَّةُ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ.
مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ **يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ مِنْ حَيْثُ الوُجُودُ المُطْلَقُ،** وَهِيَ الذَّاتُ الصِّرْفَةُ السَّاذَجُ مِنْ حَيْثُ أَنْ لَا تَعَلُّلَ لَهُ فِي شَيْءٍ، فَلَوْ بَقِيَ فِي هَذَا المَحَلِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ غَيْباً[1] مِنْ غُيُوبِ الذَّاتِ، لَا يَصِحُّ أَنْ يُنَاطَ الوُجُودُ المُعَلَّلُ بِهِ، لِأَنَّ الوُجُودَ بِأَسْرِهِ عَيْنُ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ وَالأَسْمَاءِ الكَرِيمَةِ، وَهِيَ فِي نَفْسِهَا تُومِئُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ المُغَايَرَةِ لِكَوْنِهَا عَيْنَ الوُجُودِ. وَالوُجُودُ قَائِمٌ بِهَا وَالذَّاتُ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا المِنْوَالِ لِأَنَّهَا بَحْرُ الطَّمْسِ وَالعَمَى، بِحَيْثُ أَنْ لَا تَعَقُّلَ فِيهَا لِلْغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ.
وَلَمَّا كَانَ المُرَادُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكَمَالَ العَالِيَ، الَّذِي بِهِ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ الوُجُودُ[2]، وَيَكُونُ سَبَباً فِي وُجُودِ[3] الوُجُودِ **أُعْطِيَ الرُّتْبَةَ الأُخْرَى وَهِيَ قِيَامُهُ بِحُقُوقِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ،** اِتِّصَافاً بِهَا وَتَحَقُّقاً بِهَا. **وَبِذَا، اسْتَمَدَّ مِنْهُ الوُجُودُ** حَيَاةً وَقِيَاماً وَوُجُوداً. فَهَذَا قِيَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَكَانَ عَبْداً لِلَّهِ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ المُطْلَقَةُ وَمِنْ حَيْثُ أَنْ لَا عِلَّةَ وَلَا غَيْرِيَّةَ، وَكَانَ عَبْداً لَهُ مِنْ حَيْثُ

---

[1] - ع ح: غيب
[2] - ح: للوجود
[3] - ح: بوجود

جَمْعُ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ. فَبِهَذَا، حَمَلَ سِرَّ الخِلاَفَةِ عَنِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ المَمْلَكَةِ الإِلَهِيَةِ[1] مِنْ غَيْرِ شُذُوذٍ. إهـ[2]

قَوْلُهُ " وَتَشَعْشَعَتِ الصُّوَرُ البَارِزَةُ بِإِقْبَالِ الوُجُودِ " **اعْلَمْ** أَنَّهُ لَمَّا قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَمَالِ الرُّتْبَتَيْنِ فِي العُبُودِيَةِ وَالعُبُودَةِ[3] اسْتَمَدَّ مِنْهُ الوُجُودُ حَيَاتَهُ وَوُجُودَهُ وَقِيَامَهُ، فَبِذَلِكَ انْبَسَطَ سِرُّ الوُجُودِ عَلَيْهِ وَالحَيَاةُ. وَهَذَا عَيْنُ التَّشَعْشُعِ، لِأَنَّ تَشَعْشُعَ الشَّيْءِ بِقُوَّةِ ظُهُورِهِ لِقُوَّةِ النُّورِ. فَهَذَا مَعْنَى تَشَعْشَعَتِ الصُّوَرُ، مَعْنَاهُ هِيَ ذَوَاتُ الوُجُودِ ذَرَّةً ذَرَّةً، وَتَشَعْشُعُهَا[4] لَيْسَ دُفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ[5] اللَّهُ مِنْهَا فِي تَعَاقُبِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ وَالأَسْبَابِ وَالإِضَافَاتِ. إهـ[6]

قَوْلُهُ: "بِإِقْبَالِ الوُجُودِ"، يَعْنِي أَنَّهَا ظَهَرَتْ حَتَّى تَبَدَّتْ لِظُهُورِ العِيَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي غَيْبِ العَدَمِ.

قَوْلُهُ: "وَقَدَّرْتَ لَهَا" مَعْنَاهُ أَيْ قَدَّرْتَ لِتِلْكَ الصُّوَرِ[7] المَخْلُوقَةِ مِنَ النُّورِ الكَامِلِ لَهَا لَا لِشَيْءٍ غَيْرِهَا.

قَوْلُهُ: "وَفِيهَا" أَيْ مِنْ كَوْنِهَا ظَرْفاً لِجَمِيعِ الوُجُودِ، فَهِيَ فِي هَذَا المَيْدَانِ هِيَ عَيْنُ الوُجُودِ بِأَسْرِهِ وَهِيَ لَهُ كَالجَسَدِ، فَالوُجُودُ كُلُّهُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الجَوَارِحِ المُلْتَصِقَةِ بِالجَسَدِ، وَهَذَا السِّرُّ لَا يُكْشَفُ وَلَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى.

---

[1] - ح: الألوهية

[2] - ح ل: (إهـ) ساقطة

[3] - ح ل: (والعبودة) ساقطة

[4] - ح ي ل: وتشعشعت

[5] - ح ك ي ل هـ ق ص: أراده

[6] - ح ع ل: (إهـ) ساقطة

[7] - ك: الصورة

قَوْلُهُ: "وَمِنْهَا" يَعْنِي تَنَاسُلاً وَامْتِدَاداً، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهَا الأَبُ الأَوَّلُ الَّذِي لَهُ الوُجُودُ كُلُّهُ بِمَنْزِلَةِ الأَوْلَادِ.

قَوْلُهُ: "مَا يُمَاثِلُهَا" يَعْنِي أَرَادَ بِهَا الصُّورَةَ الآدَمِيَّةَ، فَإِنَّهَا تُمَاثِلُ صُورَتَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "مِمَّا يُطَابِقُ أَرْقَامَ صُوَرِهَا" هُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا يُمَاثِلُهَا. وَالمُطَابَقَةُ عِنْدَ المَنْطِقِيِّينَ هِيَ المُمَاثَلَةُ بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَالمُوَافَقَةُ هِيَ المُمَاثَلَةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي بَعْضِ الوُجُوهِ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَتِ الصُّورَةُ الآدَمِيَّةُ مُطَابِقَةً لِصُورَتِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ.

قَوْلُهُ: " وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِالبُرُوزِ " يَعْنِي أَرَادَ بِهَا الصُّوَرَ المُقَدَّرَةَ فِي الغَيْبِ الَّتِي هِيَ مُطَابِقَةٌ لِصُورَتِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَكَمَ عَلَيْهَا بِالبُرُوزِ لِإِخْرَاجِهَا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ لِيُنَفِّذَ فِيهَا أَحْكَامَهُ وَهِيَ الجُمَلُ وَالتَّفْصِيلِيَةُ الَّتِي نَفَذَتْ فِيهَا المَشِيئَةُ فِي الأَزَلِ، لِأَنَّ الصُّورَةَ البَارِزَةَ لَهَا أَحْكَامٌ تُلَازِمُهَا مُتَعَلَّقُهَا المَشِيئَةُ وَهِيَ الصُّورَةُ وَاللَّوْنُ وَالمِقْدَارُ وَالمَكَانُ وَالزَّمَانُ وَالأَرْزَاقُ وَالأَحْكَامُ، **فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مُلَازِمَةٌ لِكُلِّ صُورَةٍ، وَالصُّورَةُ**[1] ظَاهِرَةُ[2] مَا صُوِّرَتْ عَلَيْهِ الذَّوَاتُ[3] كُلُّهَا، **وَاللَّوْنُ** مِنَ الصِّبَغِ. وَالتَّنْوِيعُ هُوَ اخْتِلَافُ الأَلْوَانِ فِي الصِّبْغِ الوَاحِدِ مِثْلِ الأَبْيَضِ لَهُ أَشْكَالٌ كَثِيرَةٌ، **وَالمِقْدَارُ** هُوَ مَا تَتَكَيَّفُ بِهِ حَقِيقَةُ المَوْجُودِ[4] مِنْ طُولٍ وَقِصَرٍ وَصِغَرٍ وَكِبَرٍ وَثِقَلٍ وَخِفَّةٍ.

فَهَذِهِ مَقَادِيرُ المَوْجُودَاتِ، **وَالزَّمَانُ** هُوَ الَّذِي تَخْتَصُّ بِهِ الذَّاتُ مِنْ أَوَّلِ بُرُوزِهَا إِلَى وَقْتِ انْعِدَامِهَا إِنْ كَانَتْ مَعْدُومَةً. **وَالمَكَانُ** هُوَ الَّذِي يَخُصُّهَا فِيمَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ وَتَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنَ

---

[1]- ل: والصور

[2]- ك: ظاهره

[3]- ح ل: الذات

[4]- ح: الوجود

الاسْتِقْرَارِ. فَهَذَا هُوَ المَكَانُ. **وَالأَرْزَاقُ** هِيَ القَوَانِينُ الَّتِي تَجْرِي بِهَا مَنَافِعُ الذَّاتِ فِيمَا هِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَتَنْتَفِعُ بِهِ دَوَاماً أَوْ مَحْدُوداً. فَالدَّوَامُ هُوَ مَا عَلَيْهِ حُكْمُهَا فِي الجَنَّةِ، فَإِنَّهَا أَرْزَاقٌ دَائِمَةُ الاتِّصَالِ لَا غَايَةَ لَهَا، لَكِنَّهَا مَقْسُومَةٌ بِالمَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَةِ، فَلَيْسَتْ النَّاسُ فِيهَا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَلَا غَيْرُ النَّاسِ مِنَ البَهَائِمِ وَالطُّيُورِ كُلُّهَا مُتَمَتِّعَةٌ وَكُلُّهَا مُخْتَلِفَةُ الكَيْفِيَّاتِ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً)**[1]. فَأَقَلُّهُمْ مَنْزِلَةً لَهُ مِثْلُ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَمَا فِي الحَدِيثِ. وَأَكْبَرُهُمْ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ، فَكَيْفُ يُقَاسُ مَنْ لَهُ مِنْ عَدَدِ الحُورِ وَحْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ المَلَائِكَةِ بِأَسْرِهَا وَالجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالحَشَرَاتِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَتَنَاهَى ضِعْفُهُ، فَإِنَّ الحَوْرَاءَ الوَاحِدَةَ خَدَمُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ جَارِيَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا تَحْتَ حُكْمِهَا مِنَ الخُدَّامِ الذُّكُورِ، فَإِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الجَوَارِي مُلَازِمُونَ لَهَا يَقُومُونَ بِقِيَامِهَا وَيَقْعُدُونَ بِقُعُودِهَا، فَمَا عَسَى أَنْ يُقَاسَ مُلْكُهُ، فَهَذَا فِي أَهْلِ الجَنَّةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ وَالأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَإِنَّهُمْ أَعْلَا رُتْبَةً مِمَّا ذُكِرَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ[2].

وَفَائِدَةُ هَذَا أَنَّ الأَرْزَاقَ تَجْرِي بِالمَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ دَائِمَةً كَأَرْزَاقِ الجَنَّةِ أَوْ مَحْدُودَةً كَأَرْزَاقِ الدُّنْيَا. **وَأَمَّا الأَحْكَامُ** فَهِيَ الأُمُورُ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهَا عَلَى قَانُونِ التَّنْغِيصِ وَالعَذَابِ كَذَلِكَ دَائِمَةٌ أَوْ مَحْدُودَةٌ. الدَّائِمَةُ كَعَذَابِ أَهْلِ النَّارِ فِي الآخِرَةِ وَالمَحْدُودَةُ كَمَصَائِبِ أَهْلِ[3] الدُّنْيَا. فَهَذِهِ الأَحْكَامُ هِيَ اللَّازِمَةُ لِلذَّاتِ البَارِزَةِ لِلْوُجُودِ.

---

[1]- سورة الإسراء، الآية 21

[2]- ك: (فَهَذَا فِي أَهْلِ الجَنَّةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ وَالأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَإِنَّهُمْ أَعْلَا رُتْبَةً مِمَّا ذُكِرَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ) ساقطة

[3]- ك: (أهل) ساقطة

قَوْلُهُ: " لِتَوْدِيَةِ مَا قَدَّرْتَهُ عَلَيْهَا" مَعْنَاهُ هُوَ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ أَبْرَزَهُ[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ لِتَوْدِيَةِ مَا قَدَّرَهُ عَلَيْهَا وَلَهَا مِنَ الأَحْكَامِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا.

قَوْلُهُ: " وَجَعَلْتَهَا مَنْقُوشَةً فِي لَوْحِهَا المَحْفُوظِ " الضَّمِيرُ فِي جَعَلْتَهَا يَعُودُ عَلَى الصُّوَرِ البَارِزَةِ لِلْوُجُودِ الَّتِي ذَكَرْنَا لَهَا الأَحْكَامَ السَّبْعَةَ مَنْقُوشَةً فِي لَوْحِهَا، وَالنَّقْشُ هَا هُنَا هُوَ تَجَلِّي حَقَائِقِهَا فِي الصُّورَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَهِيَ المُرَادُ بِاللَّوْحِ المَحْفُوظِ، فَإِنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ البَارِزَةِ مِنَ الغَيْبِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ كُلَّهَا مُتَجَلِّيَةٌ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ فِي صَلَاتِهِ: "وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ". إهـ[2]

قَوْلُهُ: " الَّذِي خُلِقَتْ مِنْهُ " فَإِنَّهُ سَبَقَ لَنَا أَنَّهُ هُوَ الأَبُ الأَوَّلُ فِي جَمِيعِ الوُجُودِ مُطْلَقاً وَمُقَيَّداً حَتَّى لَا يَشِذَّ عَنْهُ فِي هَذَا البَابِ شَيْءٌ، فَإِنَّهُمْ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الأَوْلَادِ البَارِزَةِ عَنِ الأَبِ الوَاحِدِ.

قَوْلُهُ: "بِبَرَكَاتِهِ" مَعْنَاهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِكَوْنِهِ عَيْنَ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، أَفَاضَ الوُجُودَ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ مِنْ تِلْكَ البَرَكَةِ.

قَوْلُهُ: " وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِمَا أَرَدْتَ لَهَا وَبِمَا تُرِيدُ بِهَا " مَعْنَاهُ هِيَ: **الأَحْكَامُ السَّبْعَةُ السَّابِقَةُ** لَنَا المُلَازِمَةُ لِكُلِّ ذَاتٍ.

قَوْلُهُ: " وَجَعَلْتَ كُلَّ الكُلِّ فِي كُلِّكَ " مَعْنَاهُ: أَنَّ الكُلِّيَةَ وَالجُزْئِيَةَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ وَاحِدٌ فِي وُجُودِهِ لَا يَقْبَلُ كَمّاً وَلَا كَيْفاً وَلَا تَعَدُّداً وَلَا شَيْئاً مِنْ أَحْوَالِ التَّعَدُّدِ، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي وُجُودِهِ المُطْلَقِ وَفِي الاتِّصَافِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَا غَيْرُهُ. وَالكُلِّيَّةُ المَذْكُورَةُ هُنَا فِي جَانِبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِيَ **كُلِّيَّةُ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ**، فَإِنَّهَا مُتَعَدِّدَةٌ لَا حَصْرَ لَهَا. **وَقَوْلُهُ:** وَجَعَلْتَ كُلَّ الكُلِّ.

---

[1]- ك ي: أبرزها

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

الكُلُّ الثَّانِي هُنَا[1] هِيَ: ذَوَاتُ الوُجُودِ، يَعْنِي: وَجَعَلْتَ كُلَّ ذَوَاتِ الوُجُودِ فِي كُلِّكَ. الضَّمِيرُ هَا هُنَا يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَعَلْتَ كُلَّ ذَوَاتِ الوُجُودِ فِي كُلِّيَةِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ لِأَنَّهَا بَعْضٌ مِنْهَا، إِذْ مَا فِي الوُجُودِ ذَرَّةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَهِيَ ظَاهِرَةٌ بِإِسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ البَاطِنَةِ بِهِ قِوَامُهَا، وَبِهِ تَمَّ وُجُودُهَا وَلَوْلَا ذَلِكَ الاسْمِ مَا ظَهَرَتْ لِلْعِيَانِ.

يَقُولُ ابْنُ عَطَاءِ اللَّهِ فِي الحِكَمِ: لَوْلَا ظُهُورُهُ فِي المُكَوَّنَاتِ مَا وَقَعَ عَلَيْهَا وُجُودُ أَبْصَارٍ، إِذْ لَا حَدَّ لِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ. فَلَوْ قَدَّرْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ بَقِيَ تَنْكَشِفُ لَهُ صِفَاتُ اللَّهِ وَأَسْمَاؤُهُ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ إِلَى الخُلُودِ الأَبَدِيِّ فِي الجَنَّةِ، وَطُولِ أَبَدِ الأَبَدِ وَالصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ تَنْكَشِفُ لَهُ فِي كُلِّ مِقْدَارِ طَرْفَةِ العَيْنِ قَدْرَ سَعَةِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نُقْطَةِ القَلَمِ[2] لَمَا فَرَغَ أَمْرُهَا وَلَمَا تَمَّ عَدَدُهَا. فَلَا غَايَةَ لَهَا. فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ كُلَّهَا قِوَامُهَا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ البَاطِنَةِ، وَقُلْتُمْ لَا نِهَايَةَ لَهَا، فَأَيْنَ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى؟ قُلْنَا إِنَّ الأَسْمَاءَ أُمَّهَاتٌ، وَهِيَ الأُصُولُ، وَالأَسْمَاءُ البَاطِنَةُ هِيَ لَهَا كَالأَغْصَانِ لِلشَّجَرَةِ مُتَفَرِّعَةٌ عَنْهَا. إهـ[3]

قَوْلُهُ: " وَجَعَلْتَ هَذَا الكُلَّ" المُشَارُ إِلَيْهِ بِهَذَا الكُلِّ هُنَا هِيَ ذَوَاتُ الوُجُودِ.

وَقَوْلُهُ: "مِنْ كُلِّكَ" هِيَ مَجْمُوعُ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ وَالأَسْمَاءِ.

قَوْلُهُ: " وَجَعَلْتَ الكُلَّ قَبْضَةً مِنْ نُورِ عَظَمَتِكَ " المُرَادُ بِهِ[4] هَا هُنَا هِيَ الصُّورَةُ المَخْلُوقَةُ أَوَّلاً مِنَ النُّورِ الكَامِلِ، وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ وَمَا تَوَلَّدَ عَنْهَا مِنْ ذَوَاتِ الوُجُودِ كُلِّهِ، فَإِنَّهُ لَهَا هُوَ الأَبُ الأَوَّلُ، وَعَنْ تِلْكَ الحَقِيقَةِ وُجِدَتْ تِلْكَ المَوْجُودَاتُ كُلُّهَا، بِهَا قِوَامُهَا وَعَنْهَا نِظَامُهَا وَمِنْهَا مَدَدُهَا، إِذْ مِنْ تِلْكَ الحَقِيقَةِ اسْتَمَدَّ الوُجُودُ كُلُّهُ.

1- ك: (هنا) ساقطة

2- ك: (إلى نقطة القلم) ساقطة

3- ح ل: (إهـ) ساقطة

4- ك ي ل: بها

قَوْلُهُ: "قَبْضَةً مِنْ نُورِ عَظَمَتِكَ" مَعْنَاهُ: هِيَ كُلُّهَا قَبْضَةٌ مِنْ نُورِ العَظَمَةِ، إِلَّا أَنَّهَا مُخْتَلِفَةُ المَآخِذِ، فَمَا كَانَ مِنْهَا عَاقِلاً كَالآدَمِيِّ وَالمَلَكِ وَالجِنِّ وَأَشْبَاهِهِ، ظَهَرَ بِصُورَةِ العَظَمَةِ فِي نَفْسِهِ ظَاهِرَةً أَوْ خَفِيَّةً، لِأَنَّ تِلْكَ المَظْهَرَةَ فِيهَا هِيَ أَثَرُ صِفَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَلَّاهَا بِهَا لِأَجْلِ تَجَلِّيهِ فِيهَا وَلَوْ شَاءَ لَاسْتَلَبَهَا مِنْهَا فَتَدَكْدَكَتْ وَصَارَتْ مَحْضَ العَدَمِ. وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ عَاقِلٍ فَلَيْسَتْ فِيهِ تِلْكَ الصِّفَةُ بِظَاهِرَةٍ بَلْ هِيَ كَامِنَةٌ فِيهِ لَا يَشْعُرُ بِهَا. فَإِنَّ البَهَائِمَ وَأَمْثَالَهَا لَا يَشْعُرُونَ بِتِلْكَ العَظَمَةِ.

فَالإِنْسَانُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، خَلَقَ اللَّهُ رُوحَهُ مِنْ صَفَاءِ صَفْوَةِ النُّورِ الإِلَهِي وَحَلَّاهَا بِصِفَاتِهِ العَظِيمَةِ مِنَ العَظَمَةِ وَالعِزِّ وَالكِبْرِيَاءِ وَالسَّطْوَةِ وَالقَهْرِ، فَظَهَرَتْ بِهَذِهِ العَظَمَةِ فِي الوُجُودِ، وَظُهُورُهُ بِهَا مَذْمُومٌ شَرْعاً، إِلَّا مَنْ قَهَرَتْهُ التَّقْوَى مِنْهُمْ. ثُمَّ مَعَ هَذَا التَّحَلِّي[1] الَّذِي حَلَّاهُ، صَبَّ عَلَيْهِ مَوَاقِعَ مِنْ أَحْكَامِهِ القَهْرِيَّةِ لِيَعْرِفَ قَدْرَهُ وَرُتْبَتَهُ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالمَصَائِبِ وَالفَقْرِ وَالمَوْتِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الفَضَلَاتِ الخَبِيثَةِ.

وَلَوْ أَنَّهُ أَرَاحَهُ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ عَلَى الدَّوَامِ مَعَ أَمْنِهِ مِنَ المَوْتِ لَصَرَّحَ بِالأُلُوهِيَةِ صَرَاحَةً مِنْ غَيْرِ إِخْفَاءٍ، وَقَدْ تَجَلَّى فِي الإِنْسَانِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ قُبُولاً أَوْ وُقُوعاً. القُبُولُ مِنْهُ لِأَرْبَابِ الحِجَابِ وَالوُقُوعُ لِلْعَارِفِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا مَرْتَبَةَ الكَشْفِ، حَيْثُ كُوشِفُوا بِصَفَاءِ المَعْرِفَةِ وَاليَقِينِ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا الأَمْرَ، عَرَفْتَ أَنَّ الوُجُودَ كُلَّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ عُمُوماً وَخُصُوصاً هُوَ جُزْءٌ مِنَ الإِنْسَانِ، لَا الإِنْسَانَ كُلَّهُ، لِأَنَّ الإِنْسَانَ حَمَلَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ[2] وَتَجَلَّى فِيهِ الحَقُّ بِهَا وَلَيْسَ فِي كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الوُجُودِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ لَا تَشْتَرِكُ ذَرَّتَانِ فِي اسْمٍ وَاحِدٍ وَلَا يَشْتَرِكُ اسْمَانِ فِي ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ مُتَنَاهِيَةٌ، وَالأَسْمَاءُ بِعَدَدِهَا، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الَّتِي لَا تَعَلُّقَ

---

[1]- ك ي ل: التجلي

[2]- ح: الأسماء والصفات

لِلْوُجُودِ بِهَا مَا لَا غَايَةَ لَهُ وَلَا حَدَّ، وَهِيَ مُتَجَلِّيَةٌ فِي الإِنْسَانِ مَعَ أَسْمَاءِ الوُجُودِ كُلِّهِ، فَالوُجُودُ كُلُّهُ بَعْضٌ مِنَ الإِنْسَانِ. وَفِي هَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِذَا كُنْتَ تَقْرَأُ عِلْمَ الحُرُوفْ * فَشَخْصُكَ لَوْحٌ بِهِ أَسْطُرُ
وَتِمْثَالُ ذَلِكَ أُنْمُوذَجٌ * لِكُلِّ الوُجُودِ لِمَنْ يُبْصِرُ
لَئِنْ كَانَ حَرْفُكَ جُزْءاً[1] صَغِيرْ * فَفِيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأَكْبَرُ
فَلَا ذَرَّةٌ مِنْكَ إِلَّا غَدَتْ * بِهَا يُوزَنُ الكَوْنُ بَلْ أَكْثَرُ
وَلَا قَطْرَةٌ مِنْكَ إِلَّا وَفِي * يَنَابِيعِ أَسْرَارِهَا أَبْحُرُ
لَأَنْتَ الوُجُودُ وَكُلُّ الوُجُو * دِ وَمَا فِيكَ مَوْجُودٌ لَا يُحْصَرُ
وَكُلُّ الوُجُودِ إِذَا قِسْتَهُ[2] * إِلَيْكَ فَذَاكَ هُوَ الأَصْغَرُ

يُشِيرُ إِلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَفِي هَذَا المَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ أَيْضاً:

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَابِهِ * فَصِرْتُ أَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِيَ
فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ عَنِّي[3] مَا دَرَتْ * وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِيَ

وَمَعْنَى البَيْتَيْنِ هِيَ مَرْتَبَةُ الخَلِيفَةِ الأَعْظَمِ، إِذْ لَا اِسْمَ لَهُ يَخْتَصُّ بِهِ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ الوُجُودِ كُلَّهَا أَسْمَاءٌ لَهُ، لِتَحَقُّقِهِ بِمَرَاتِبِهَا، وَلِكَوْنِهِ هُوَ الرُّوحُ فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ. فَمَا فِي الكَوْنِ[4] ذَاتٌ إِلَّا وَهُوَ الرُّوحُ المُدَبِّرُ لَهَا، وَالمُحَرِّكُ لَهَا وَالقَائِمُ فِيهَا، وَلَا فِي كُورَةِ العَالَمِ

---

[1]- ع ك ي هـ ق ص: جزء
[2]- ح: إذا قسمته
[3]- ح: عليّ ـ ك: فلو تسأل الأيام ما اسمي.
[4]- ك: الوجود

مَكَانٌ إِلَّا وَهُوَ حَالٌّ فِيهِ، وَمُتَمَكِّنٌ مِنْهُ. فَبِهَذَا الاعْتِبَارِ لَا اسْمَ لَهُ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ[1] الوُجُودِ، وَلَا مَكَانَ يَخْتَصُّ بِهِ دُونَ آخَرَ، فَلِهَذَا قَالَ: فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ الخ .. يُشِيرُ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ وَهِيَ الخِلَافَةُ العُظْمَى. قَالَ المُرْسِي: لَوْ كُشِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الوَلِيِّ لَعُبِدَ. لِأَنَّ أَوْصَافَهُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَنُعُوتُهُ مِنْ نُعُوتِهِ، وَمَعْنَى الوَلِيِّ هُنَا[2] هُوَ[3] الإِنْسَانُ الكَامِلُ وَهُوَ الخَلِيفَةُ الأَعْظَمُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ)**[4]. الآيَةُ.

وَقَدْ قَالَ[5] مُحْيِي الدِّينِ فِي الإِنْسَانِ المَحْجُوبِ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا هُوَ شِبْهُ إِنْسَانٍ[6]، كَالذَّاتِ المَيِّتَةِ الَّتِي[7] لَا رُوحَ فِيهَا، فَهِيَ ذَاتُ الإِنْسَانِ وَلَكِنْ لَا رُوحَ فِيهَا[8]، وَحَيْثُ يُسْمَعُ فِي كَلَامِ الصُّوفِيَةِ أَنَّ الرُّوحَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، بَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ، يُشِيرُونَ إِلَى هَذَا الرُّوحِ وَهِيَ صَفَاءُ المَعْرِفَةِ بَعْدَ الفَتْحِ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فِي كُلِّ مَا أَرَادَهُ، يُحْيِي المَوْتَى إِذَا شَاءَ وَيُنَادِيهَا، فَتُجِيبُهُ مُسْرِعَةً وَلَوْ كَانَتْ رَمِيمَةً، وَيُثْمِرُ الشَّجَرَةَ اليَابِسَةَ فِي الحِينِ إِذَا شَاءَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الخَوَارِقِ، فَلَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَرْقِ العَادَةِ، إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ جِبَالَ الأَدَبِ مَعَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَهِيَ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنْ هَذَا.

فَإِنْ أَظْهَرَ مِنَ الخَوَارِقِ مَا يَأْبَاهُ الوَقْتُ، عُوقِبَ فِي الحِينِ أَوْ طُرِدَ وَسُلِبَ، لِأَنَّهُ مَمْحُوٌّ فِي الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، مَيِّتٌ عَنْ جَمِيعِ حُظُوظِهِ، فَلَا قِيَامَ لَهُ إِلَّا بِقِيَامِ الحَقِّ، وَلَوْ قِيلَ لَهُ

---

[1]- ك: على.

[2]- ك: (هنا) ساقطة

[3]- ع ي: (هو) ساقطة

[4]- سورة الأنعام، الآية 122

[5]- ك: وقال

[6]- ع ك ي ل: الإنسان

[7]- ع: (التي) ساقطة ـ ي: لكن لا روح كالذات الميتة التي

[8]- ك: (فَهِيَ ذَاتُ الإِنْسَانِ وَلَكِنْ لَا رُوحَ فِيهَا) ساقطة

مَا تُرِيدُ؟ لَقَالَ مَا أُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ بِيَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ فَانٍ عَنْ مُرَادَاتِهِ، قَائِمٌ بِإِرَادَةِ الحَقِّ لَهُ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ. إهـ[1]

قَوْلُهُ: " رُوحاً لِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ وَلِمَا هُوَ أَهْلٌ لَكَ " الرُّوحُ هَا هُنَا مُفَرَّعَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ فِي **قَوْلِهِ**: وَجَعَلْتَ الكُلَّ قَبْضَةً مِنْ نُورِ عَظَمَتِكَ، جَعَلْتَهَا رُوحاً لِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ وَلِمَا هُوَ أَهْلٌ لَكَ. وَالرُّوحُ هَا هُنَا عَامٌّ وَخَاصٌّ، وَكِلَاهُمَا يُقَالُ فِيهِ: أَهْلٌ لَكَ وَأَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، فَالرُّوحُ العَامُّ هُوَ سَرَيَانُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّيَةِ[2] العَالَمِ جُزْءاً جُزْءاً، حَتَّى لَا يَشِذَّ شَيْءٌ مِنْهُ[3]، وَسَرَيَانُهُ فِيهِ بِهِ تَمَامُ قِيَامِهِ وَبِهِ قِوَامُ نِظَامِهِ فَلَا شَيْءَ فِي الوُجُودِ يَسْتَبِدُّ بِصَرِيحِ الوُجُودِ فِي ذَاتِهِ دُونَ سَرَيَانِهِ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُكْمِ السِّرِّيَّةِ،

وَتِلْكَ السِّرِّيَّةُ وَسَرَيَانُهَا فِي كُلِّيَةِ[4] العَالَمِ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالرُّوحِ، يَعْنِي رُوحاً لِجَمِيعِ العَوَالِمِ[5] كُلِّيَتِهَا وَجُزْئِيَّتِهَا، حَتَّى الكُفَّارَ وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ قِيَامَهُمْ بِسَرَيَانِ رُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ وَهُوَ سَرَيَانُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّيَةِ[6] العَالَمِ، وَكَوْنُهَا "هِيَ أَهْلٌ لَكَ وَأَنْتَ أَهْلٌ لَهَا" فِي هَذَا العُمُومِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا كُلَّهَا نَشَأَتْ عَنْ مَشِيئَتِهِ الإِلَهِيَةِ وَإِحَاطَةِ قُدْرَتِهِ وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ وَنُفُوذِ كَلِمَتِهِ السَّارِيَةِ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ "كُنْ" فَمِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ كُلُّهَا أَهْلٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِنْ وَقَعَ فِي بَعْضِهَا الكُفْرُ وَالإِشْرَاكُ، وَإِنَّمَا نُنْفِيهَا عَنْ أَهْلِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْ كَانَ وُجُودُهَا وَاقِعاً عَنْ عَدَمِ صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ، فَنَقُولُ لَهُ: لَيْسَتْ أَهْلاً لَهُ لِأَنَّهَا مِنْ غَيْرِهِ عَنْ غَيْرِهِ.

---

[1]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[2]- ك: كليات

[3]- ح: منه شيء

[4]- ح ي: كليات

[5]- ك: العالم

[6]- ح ك ي: كليات

وَهَذَا الوَصْفُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهَا إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ[1] فِي الوُجُودِ دَقَّ أَوْ جَلَّ فَرْداً فَرْداً إِلَّا بِإِحَاطَةِ صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ، فَهِيَ حِينَئِذٍ أَهْلٌ لِلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ أَهْلٌ لَهَا أَيْضاً لِأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي وُجُودِهَا بِاخْتِيَارِهِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ المَشِيئَةِ وَبِإِحَاطَةِ القُدْرَةِ وَالعِلْمِ وَنُفُوذِ الكَلِمَةِ السَّارِيَةِ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ "كُنْ" فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ هُوَ أَهْلٌ لَهَا أَيْضاً وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ رُوحٌ لِجَمِيعِ وُجُودِهَا سَارٍ فِي جَمِيعِ وُجُودِهَا كَسَرَيَانِ المَاءِ فِي الأَشْجَارِ، فَإِنَّ الأَشْجَارَ فِي الأَرْضِ كُلَّهَا تَسْتَمِدُّ مِنَ المَاءِ، وَلَوْلَا المَاءُ لَهَلَكَتْ كُلُّهَا وَيَبِسَتْ، فَهَذَا مَعْنَى رُوحِيَتِهِ لِجَمِيعِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا الرُّوحُ الخَاصُّ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا، فَالمُرَادُ بِهِ هَا هُنَا مَا كَانَ لِلْحَقِّ بِحُكْمِ الخُصُوصِيَةِ وَالعِنَايَةِ وَشُفُوفِ الرُّتْبَةِ وَعُلُوِّ الوِلَايَةِ كَالخَاصَّةِ العُلْيَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَكَافَّةِ الأَقْطَابِ وَالصِّدِّيقِينَ، بَلْ وَعُمُومِ الصَّالِحِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَكَجَمِيعِ المَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى اخْتِلَافِ رُتْبَتِهِمْ[2] وَكَأَهْلِ أَرْضِ[3] السِّمْسِمَةِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنَ المَوْجُودَاتِ،

فَإِنَّ هَذِهِ الطَّوَائِفَ لَهَا الأَهْلِيَّةُ مِنَ الحَقِّ وَلِلْحَقِّ مِنْهُمْ الأَهْلِيَّةُ بِحُكْمِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ وَالتَّخْصِيصِ وَالعِنَايَةِ وَشُفُوفِ الرُّتْبَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ جَمِيعَهُمْ مُعَظَّمُونَ فِي حَضْرَتِهِ دَائِماً سَرْمَداً لَا يَطْرَأُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أُفُولٌ[4] عَنْ هَذَا المَطْلِعِ وَشُمُوسُهُمْ أَبَداً طَالِعَةٌ فِي سَمَاءِ[5] هَذَا الوَصْفِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ جَمِيعَهُمْ مُطِيعِينَ لِأَمْرِهِ مُنْهَمِكِينَ فِي حُبِّهِ أَبَداً، سَرَيَانُهُمْ فِي رِيَاضِ قُرْبِهِ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ هَذَا المَيْدَانِ.

---

[1] - ح: شيئا

[2] - ك: رتبهم

[3] - ي: الأرض

[4] - ح ي: أفل

[5] - ح: أسماء

فَمِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ، حَصَلَتْ لَهُمْ أَهْلِيَّةُ الحَقِّ، فَهُمْ أَهْلٌ لِلْحَقِّ بِهَذَا الوَصْفِ، وَالحَقُّ أَهْلٌ لَهُمْ بِمَا اخْتَصَّهُمْ بِهِ بِشُفُوفِ المَرَاتِبِ وَالمَزَايَا العَلِيَّةِ، وَهُوَ فِي هَذَا الوَصْفِ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوحٌ فِي جَمِيعِ مَا نَالُوهُ مِنَ الحَقِّ مِنَ الأَهْلِيَّةِ وَبِمَا اخْتَصَّهُمْ بِهِ مِنَ المَرَاتِبِ العَلِيَّةِ، فَهَذَا الرُّوحُ خَرَجَ عَنْهُ الكُفَّارُ وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ خَلَّطَ فِي إِيمَانِهِ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ هَذَا الرُّوحِ شَيْءٌ. إهـ[1]

قَوْلُهُ: " أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِمَرْتَبَةِ هَذِهِ العَظَمَةِ وَإِطْلَاقِهَا، فِي وُجْدٍ وَعَدَمٍ" اعْلَمْ أَنَّ مَرْتَبَةَ هَذِهِ العَظَمَةِ وَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي خَلَقَهَا مِنْ نُورِهِ الكَامِلِ القَابِلِ، تَوَسَّلَ بِهَا وَسِيلَةً لِمَا يَطْلُبُهُ بَعْدُ بِمَرْتَبَةِ هَذِهِ العَظَمَةِ.

وَقَوْلُهُ: وَإِطْلَاقِهَا فِي وُجْدٍ وَعَدَمٍ. أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ العَظَمَةَ وَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ سَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ ذَوَاتِ الوُجُودِ مِنْ كُلِّ مَا نَفَذَتِ المَشِيئَةُ بِهِ مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، وَمِنْ كُلِّ مَا نَفَذَتْ المَشِيئَةُ بِإِبْقَائِهِ فِي طَيِّ العَدَمِ، وَهُوَ المُرَادُ **بِقَوْلِهِ:** وَإِطْلَاقِهَا فِي وُجْدٍ وَعَدَمٍ، أَرَادَ بِهَا هُنَا الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ وَهِيَ[2] الرُّوحُ السَّارِي فِي جَمِيعِ ذَوَاتِ مَوْجُودِهِ وَمَعْدُومِهِ، لَكِنَّ سَرَيَانَهَا فِي المَوْجُودِ[3] ظَاهِرٌ وَسَرَيَانُهَا فِي المَعْدُومِ البَاقِي فِي طَيِّ العَدَمِ، بِحَيْثُ أَلَّا[4] وُجُودَ لَهُ، صَعْبُ المَدْرَكِ، لَا تُطِيقُ العُقُولُ فَهْمَهُ وَلَا إِدْرَاكَهُ، وَلَا يَعْلَمُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ[5] إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. فَهَذَا إِطْلَاقُهَا فِي وُجْدٍ وَعَدَمٍ. إهـ[6]

1- ح ل: (إهـ) ساقطة

2- ك: وهو

3- ح: الوجود

4- ح ك: أن لا

5- ح ك ل: حقيقته

6- ح ل: (إهـ) ساقطة

قَوْلُهُ: " **أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ** " فَهَذَا مَسْئُولُ السَّائِلِ بِقَوْلِهِ: أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ. سَأَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ هَا هُنَا تَوْقِيفِيَّةٌ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهَا.

قَوْلُهُ: " **عَلَى تُرْجُمَانِ لِسَانِ القِدَمِ** " التُّرْجُمَانُ هُوَ الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْ مَعْنَى الكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَ السَّامِعِ مَعْرِفَتُهُ. وَهَا هُنَا مَعْنَاهُ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلِسَانُ القِدَمِ هُوَ: القُرْآنُ. وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اللِّسَانُ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِلِسَانٍ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ اسْمِ اللَّازِمِ عَلَى اسْمِ مَلْزُومِهِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾[1].

أَمَّا الاخْتِلَافُ فِي اللَّوْنِ ظَاهِرٌ وَأَمَّا اخْتِلَافُ الأَلْسِنَةِ، فَاللِّسَانُ فِي حَقِّ كُلِّ آدَمِيٍّ، فَهُوَ مُتَمَاثِلٌ، وَإِنَّمَا اخْتِلَافُهُ فِي العِبَارَاتِ الوَارِدَةِ فِي البَيَانِ عَنِ المَعَانِي، فَهَذِهِ هِيَ الَّتِي فِيهَا الاخْتِلَافُ وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ اللِّسَانِ لِكَوْنِهَا لَازِمَةً لَهُ، وَاللِّسَانُ مَلْزُومٌ بِهَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَلْزُومِهِ، فَلِهَذَا أُطْلِقَ اللِّسَانُ عَنِ[2] القُرْآنِ لِكَوْنِهِ وَارِداً عَلَى أَلْسِنَةِ البَشَرِ، مُقْرَاءٌ[3] بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اللِّسَانُ بِهَذَا لِكَوْنِهِ مُلَازِماً لِأَلْسِنَتِهِمْ. **وَلَعَلَّ مَنْ يَقُولُ** لَا يَصِحُّ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ لِسَانَ القِدَمِ هُوَ الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ اللِّسَانُ، وَذَلِكَ وَصْفُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، إِذْ لَا قِدَمَ لِغَيْرِهَا.

قُلْنَا: إِنَّ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ عَلَيْهِ فِي تَسْمِيَتِهِ بِالقُرْآنِ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ تَسْمِيَتِهِ بِالقُرْآنِ فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اللِّسَانُ، إِذْ لَا يُسَمَّى قُرْآناً إِلَّا إِذَا وَقَعَ عَلَى أَلْسِنَةِ البَشَرِ، يَقْرَؤُونَ كَلَامَ اللَّهِ، فَلِذَا[4] يُسَمَّى قُرْآناً. وَأَمَّا مَاهِيَتُهُ فِي عَيْنِ الذَّاتِ، فَلَا يُسَمَّى بِهَا قُرْآناً أَصْلاً لِأَنَّهَا صِفَةٌ

---

[1]- سورة الروم، الآية 22

[2]- ح ل: على

[3]- ح ل: يقرأ ـ ك: مقرءا.

[4]- ح: فلهذا

الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، فَلَا يَكُونُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَارِئاً، وَيُوصَفُ تَعَالَى بِكَوْنِهِ[1] مُتَكَلِّماً، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اللِّسَانُ بِهَذَا مِنْ جَرَيَانِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ البَشَرِ، حَيْثُ يُسَمَّى قُرْآناً لَا فِي مَاهِيَتِهِ فِي عَيْنِ الذَّاتِ، فَلَا يُسَمَّى هُنَاكَ لَا[2] قُرْآناً وَلَا لِسَاناً، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا اِسْمُ الكَلَامِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)**[3] وَالمُرَادُ بِهِ القُرْآنُ، وَالقُرْآنُ فِي نَفْسِهِ. قَالَ العُلَمَاءُ: هُوَ دَالٌّ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ القَائِمِ بِذَاتِهِ، يُرِيدُونَ بِهِ القُرْآنَ المَقْرُوَّ بِأَلْسِنَتِنَا وَهُوَ[4] دَالٌّ عَلَى المَعْنَى القَائِمِ بِالذَّاتِ المُقَدَّسَةِ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

قُلْنَا: هَذَا إِطْلَاقُ تَسَامُحٍ، وَإِلَّا فَعَيْنُ الحَقِيقَةِ تُعْطِي أَنَّ **القُرْآنَ المَقْرُوَّ بِأَلْسِنَتِنَا دَالٌّ عَلَى مَدْلُولِ كَلَامِ اللَّهِ لَا عَلَى عَيْنِ كَلَامِ اللَّهِ،** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ فِي مَاهِيَتِهِ هُوَ المَعْنَى القَائِمُ بِالذَّاتِ، مُنْطَمِسٌ[5] مُضْمَرٌ لَا عِبَارَةَ عَنْهُ وَلَا تُدْرَكُ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلَا تُعْرَفُ لَهُ كَيْفِيَّةٌ، فَكَيْفَ نُعَبِّرُ عَنْهُ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ تَابِعَةٌ لِحَقِيقَةِ وُجُودِهِ المُطْلَقِ، وَهِيَ الذَّاتُ المُطْلَقَةُ المُقَدَّسَةُ، فَكَمَا لَا تُعْرَفُ حَقِيقَةُ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ، كَذَلِكَ لَا تُعْرَفُ حَقِيقَةُ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ فِي عَيْنِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ، فَلَا تُدْرَكُ حَقِيقَتُهُ مَا لَمْ تُدْرَكْ حَقِيقَتُهَا، فَلَا مَطْمَعَ فِي دَرْكِ حَقِيقَتِهَا بِوَجْهٍ وَلَا حَالٍ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ،

---

[1]- ح ل: ويوصف بكونه تعالى

[2]- ح: (لا) ساقطة

[3]- سورة التوبة، الآية 6

[4]- ع: يقول هو ـ ك ي: يقولون هو ـ ل: هو.

[5]- ح ل: مطمس

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)**[1]. فَكَمَا بَعُدَ دَرْكُ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ، كَذَلِكَ بَعُدَ دَرْكُ حَقِيقَةِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ العَلِيَّةِ مِنَ القُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالعِلْمِ إِلَى آخِرِ صِفَاتِ المَعَانِي كُلِّهَا، حَقَائِقُهَا تَابِعَةٌ لِحَقِيقَةِ وُجُودِ ذَاتِهِ، فَمَا لَمْ تُعْلَمْ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ، لَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا، فَالقُرْآنُ الَّذِي بِأَيْدِينَا دَالٌّ عَلَى مَدْلُولَاتِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى القَائِمِ بِذَاتِهِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)**[2].

أَيْ مَدْلُولَاتُ هَذَا الكَلَامِ: اللَّهُ هُوَ العَلَمُ عَلَى الذَّاتِ العَلِيَّةِ الوَاجِبَةِ الوُجُودِ، وَخَلَقَ دَالٌّ عَلَى إِنْشَاءِ مَا بَعْدَهَا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ. وَسَبْعَ دَلَّ عَلَى العَدَدِ المَعْلُومِ، وَالسَّمَاوَاتِ دَلَّ عَلَى القِبَابِ المُرْتَفِعَةِ فَوْقَنَا سَبْعاً، وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ دَالٌّ عَلَى السَّبْعِ البَسُوطِ المُنْبَسِطَةِ تَحْتَنَا، وَهِيَ مَعْلُومَةٌ. فَالكَلَامُ القَائِمُ بِذَاتِهِ تَعَالَى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ إلخ .. وَمَدْلُولَاتُهُ هِيَ الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهِ، وَمَعْلُومٌ فِي عَيْنِ التَّحْقِيقِ أَنَّ المَدْلُولَ غَيْرُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الكَلَامَ فِي نَفْسِهِ مَعْنًى قَائِماً بِالذَّاتِ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ عَيْنَ أَجْرَامِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، فَهِيَ مَدْلُولَاتٌ فِيهِ وَنُطْقُنَا بِهَذِهِ الآيَةِ: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ إلخ .. مَا نُطْقُنَا إِلَّا دَالٌّ[3] عَلَى مَدْلُولِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ وَهِيَ أَجْرَامُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ،

فَدَلَّ بِهَذَا أَنَّ قِرَاءَتَنَا دَالَّةٌ عَلَى مَدْلُولِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ لَا عَلَى عَيْنِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ، فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ الكَلَامَ الأَزَلِيَّ مُتَّحِدُ الحَقِيقَةِ لَا يَتَجَزَّأُ وَمَحْمُولَاتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ الكَلَامُ مُتَّحِدٌ مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ[4])**. إِلَى قَوْلِهِ **(مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)**[5].

---

[1]- سورة طه، الآية 110

[2]- سورة الطلاق، الآية 12

[3]- ح ع ك ي هـ ق ص: دالا

[4]- ح ك ي: (والبحر يمده) ساقطة

[5]- سورة لقمان، الآية 27

فَدَلَّ هَذَا عَلَى[1] التَّعَدُّدِ فِي حَقِيقَةِ الكَلَامِ. قُلْنَا إِنَّ الكَلَامَ فِي نَفْسِهِ وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ، وَإِنَّمَا التَّعَدُّدُ فِي مُتَعَلَّقَاتِهِ الَّتِي هِيَ مَحْمُولَةٌ فِيهِ، وَهِيَ مَدْلُولَاتُهُ. لِأَنَّ الكَلَامَ فِي نَفْسِهِ أَسْمَاءٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ مُسَمَّيَاتٍ وَتُطْلَقُ أَسْمَاءُ المُسَمَّيَاتِ عَلَى الكَلَامِ.

وَمِنْ هَا هُنَا، تَعْلَمُ أَنَّ ذَوَاتَ الوُجُودِ كُلَّهَا عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ الإِطْلَاقُ وَالتَّسَامُحُ، لَا مِنْ حَيْثُ الحَقِيقَةُ فَإِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ الكَلَامَ القَائِمَ بِالذَّاتِ لَا يُطْلَقُ عَلَى المَوْجُودَاتِ، وَلَا تُسَمَّى المَوْجُودَاتُ بِهِ، لَكِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا نَشَأَتْ عَنِ الكَلِمَةِ العَلِيَّةِ بِقَوْلِهِ لَهَا[2]: كُنْ. وَالتَّوَجُّهُ إِلَى الشَّيْءِ بِقَوْلِهِ لَهُ كُنْ يُعْطِيهِ ذَلِكَ فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ فِي نَفْسِهِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ كُنْ. فَإِنَّهُ مُضْمَرٌ عِنْدَهُ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ مَا قَالَ لَهُ كُنْ، فَإِنَّهُ مُتَصَوَّرٌ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ[3] بِاسْمِهِ الخَاصِّ بِهِ وَمَاهِيَتِهِ المَعْلُومَةِ، وَصُورَتِهِ وَلَوْنِهِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ. كُلُّ ذَلِكَ مُقَرَّرٌ فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ الإِلَهِي، مُضْمَرٌ بَاطِنٌ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ، وَعِنْدَ قَوْلِهِ لَهُ: كُنْ، يُبْرِزُهُ إِلَى الوُجُودِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[4]. **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ** إِنَّ الكَلِمَةَ البَارِزَةَ مِنَ الحَقِّ بِقَوْلِهِ: كُنْ لِجَمِيعِ الوُجُودِ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ فَيَلْزَمُ مَعَهَا قِدَمُ الوُجُودِ لِأَنَّهُ مُقْتَرِنٌ بِالكَلِمَةِ، فَيَلْزَمُ قِدَمُهُ بِقِدَمِهَا أَوْ حُدُوثُهُ بِحُدُوثِهِ[5]. **قُلْنَا** إِنَّ كَلِمَةَ: كُنْ، كُنْ، بَرَزَتْ مِنَ الحَقِّ فِي الأَزَلِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وَلَا اقْتِرَانٍ بِزَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ، إِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِ ذَاتِهِ، وَالوُجُودُ الَّذِي نَشَأَ عَنْهَا قَالَ لَهُ مَثَلاً:

---

[1]- ك: على أن

[2]- ح ل: (لها) ساقطة

[3]- ح: (وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ مَا قَالَ لَهُ كُنْ، فَإِنَّهُ مُتَصَوَّرٌ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ) ساقطة

[4]- سورة النحل، الآية 40

[5]- ح: بحدوثها ـ ي: أو حدوثها بحدوثه

كُنْ يُرِيدُ فِي الوَقْتِ[1] الَّذِي أَرَدْتُكَ[2] فِيهِ وَالمَكَانِ الَّذِي أَرَدْتُكَ فِيهِ، فَإِنَّ الأَمْكِنَةَ وَالأَزْمِنَةَ مُخْتَلِفَةُ المَبَانِي، مُتَغَايِرَةُ المَعَانِي، وَبِهَذَا فَارَقَ الوُجُودُ عَيْنَ الكَلِمَةِ، فَلَا يُقَالُ قَدِيمٌ بِقِدَمِهَا وَلَا حَادِثَةٌ[3] بِحُدُوثِهِ، لِأَنَّ الزَّمَانَ وَالمَكَانَ مُضْمَرَانِ فِي قَوْلِهِ لَهَا: كُنْ. يُرِيدُ فِي الوَقْتِ الَّذِي أَرَدْتُكَ فِيهِ وَفِي المَكَانِ الَّذِي أَرَدْتُكَ فِيهِ[4] وَبِالسَّبَبِ الَّذِي أَرَدْتُكَ بِهِ.

فَالكَلِمَةُ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِ ذَاتِهِ، وَالوُجُودُ الَّذِي نَشَأَ عَنْهَا لَيْسَ لَهُ فِي القِدَمِ مَرْتَبَةٌ إِلَّا تَعَيُّنُهُ فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ الأَزَلِيِّ مِنْ حَيْثُ أَنَّ لَهُ أَحْكَاماً سَبْعَةً كَمَا قَدَّمْنَاهَا فِي حَقِيقَةِ المَوْجُودِ. وَهِيَ الصُّورَةُ وَالصِّبْغُ وَاللَّوْنُ وَالمِقْدَارُ وَالزَّمَانُ وَالمَكَانُ وَالأَرْزَاقُ، فَمِنْ حَيْثُ تَمْيِيزُهُ[5] فِي حَقِيقَةِ العِلْمِ بِهَذِهِ الأُمُورِ السَّبْعَةِ، نَقُولُ لَهُ ضَرْبٌ[6] مِنْ مَرْتَبَةِ القِدَمِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُتَصَوَّرٌ فِي العِلْمِ بِأَحْكَامِهِ السَّبْعَةِ، فَهُوَ قَدِيمٌ بِقِدَمِ العِلْمِ، أَرَدْنَا أَنَّ العِلْمَ بِهِ قَدِيمٌ، فَإِنَّ عِلْمَ اللَّهِ لَا يَتَأَتَّى حُدُوثُهُ بَلْ هُوَ قَدِيمٌ بِقِدَمِ ذَاتِهِ. وَكُلُّ الوُجُودِ مُصَوَّرٌ فِي حَقِيقَةِ عِلْمِهِ، فَلَا يَقَعُ فِي الوُجُودِ إِلَّا مَا تَصَوَّرَ فِي العِلْمِ، وَمُحَالٌ قَطْعاً أَنْ يَقَعَ فِي الوُجُودِ غَيْرُ مَا تَصَوَّرَ فِي العِلْمِ.

فَالحَاصِلُ لَنَا مِنْ هَذَا أَنَّ الكَلِمَةَ الإِلَهِيَةَ الَّتِي هِيَ: كُنْ، قَدِيمَةٌ بِقِدَمِ ذَاتِهِ وَالوُجُودُ البَارِزُ عَنْهَا حَادِثٌ بِحُدُوثِ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ، ثُمَّ إِنَّ حُدُوثَ الزَّمَانِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ[7] الحُدُوثُ مِنْ حَيْثُ حَيْثُ إِضَافَتُهُ لِلْمَوْجُودَاتِ لَا مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ لِلْحَقِّ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ. وَبِهَذَا، يُلْغَزُ

---

[1]- ك: المكان

[2]- ع: أدركتك

[3]- ح: حادث

[4]- ع ك ي هـ ص: (فيه) ساقطة ـ ل: وفي المكان الذي أردت

[5]- ح ك ي ل هـ ق ص: تميزه

[6]- ع: (ضرب) ساقطة

[7]- ح ل: على

وَيُقَالُ: أَخْبِرُونَا عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا يَتَبَعَّضُ. ظَاهِرُ الكَيْفِيَّةِ وَالصُّورَةِ لِلْخُصُوصِ وَالعُمُومِ، ثُمَّ هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَحَادِثٌ مُمْكِنٌ، قُلْنَا هُوَ الزَّمَانُ فَهُوَ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَى الحَقِّ فَهُوَ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لِأَنَّهُ مَا ثَمَّ إِلَّا دَوَامُ وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ، مُسْتَمِرَّ الأَبَدِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وَلَا آخِرِيَّةٍ.

فَبِهَذَا كَانَ قَدِيماً لِأَنَّ صِفَتَهُ القِدَمُ وَالبَقَاءُ، وَمِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَى المَوْجُودَاتِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ هَذَا يَبْرُزُ بَعْدَهُ[1] هَذَا وَهَذَا بَعْدَ هَذَا، فَهُوَ حَادِثٌ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ. **لَكِنْ تَحْقِيقُ الجَوَابِ فِيهِ** أَنَّهُ لَا يَتَأَتَّى فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ أَنْ يُقَالَ قَدِيمٌ حَادِثٌ، وَالأَصَحُّ القَوْلُ بِقَلْبِ الحَقَائِقِ وَهُوَ مُحَالٌ.

قُلْنَا: وَجْهُ التَّحْقِيقِ فِي هَذَا أَنَّ صُورَةَ الزَّمَانِ المُسْتَمِرِّ هُوَ صُورَةُ بَقَاءِ الحَقِّ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ قَدِيمٌ وَالأَوْقَاتُ المُتَعَاقِبَةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هِيَ بِمَنْزِلَةِ النُّقُوشِ عَلَى ظَاهِرِ اللَّوْحِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّوْحَ غَيْرُ النُّقُوشِ الَّتِي عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا النُّقُوشُ عَلَامَةٌ عَلَى أَجْزَاءِ اللَّوْحِ. كَذَلِكَ الأَوْقَاتُ المُتَعَاقِبَةُ عَلَى صُورَةِ الزَّمَانِ مِنَ السَّاعَاتِ وَالدُّرَجِ وَالدَّقَائِقِ وَالأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ وَالأَحْقَابِ إِنَّمَا هِيَ نُقُوشٌ عَلَى ظَاهِرِ الزَّمَانِ،

فَافْتَرَقَ الحَالُ فِي هَذَا فِي كَوْنِ الزَّمَانِ قَدِيماً وَحَادِثاً، فَقِدَمُهُ بِحَسَبِ اسْتِمْرَارِ وُجُودِ الحَقِّ فِيهِ وَهُوَ بِعَيْنِهِ عَيْنُ قِدَمِ الحَقِّ وَبَقَائِهِ، وَالنُّقُوشُ الَّتِي عَلَى ظَهْرِهِ مِنَ الدُّرَجِ وَالدَّقَائِقِ وَالسَّاعَاتِ وَالأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ وَالأَحْقَابِ[2] هِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا حُدُوثُ الزَّمَانِ، وَإِذَا زَالَتِ النُّقُوشُ وُجِدَتْ صُورَةُ الزَّمَانِ عَيْناً وَاحِدَةً مَاضِيهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ وَحَالِهِ كُلِّهِ عَيْناً وَاحِدَةً. فَكُلُّ كَلَامِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلِمَةٌ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ كَلَامٌ لِأَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ حَمَلَتْ جَمِيعَ مَا يَحْتَمِلُهُ الكَلَامُ الأَزَلِيُّ، فَلَيْسَ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى

---

[1]- ح ي ل: بعد

[2]- ح: (وَالسَّاعَاتِ وَالأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ وَالأَحْقَابِ) ساقطة، وجاء في النسخة بدلها: إلخ..

تَعَاقُبُ وَلَا افْتِرَاقُ فِي المَعَانِي، **فَإِنْ قُلْتُمْ** هَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّا نَجِدُ فِي القُرْآنِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ مِنَ المَعَانِي مَا لَيْسَ فِي الكَلِمَةِ الأُخْرَى، فَكَيْفَ يُقَالُ إِنَّ الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ حَمَلَتْ جَمِيعَ مَعَانِي الكَلَامِ؟

قُلْنَا: مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ المُعَارَضَةِ صُورَتُهَا حَيْثُ كَانَ الكَلَامُ قُرْآناً، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا يُسَمَّى قُرْآناً إِلَّا إِذَا وَقَعَ عَلَى أَلْسِنَةِ البَشَرِ يَتْلُونَهُ، وَأَمَّا فِي حَقِيقَةِ قِيَامِهِ بِالذَّاتِ، فَصُورَتُهُ لَا تُدْرَكُ وَلَا تُفْهَمُ، فَلَوْ كَانَ كَلَامُهُ فِي ذَاتِهِ كُلُّ كَلِمَةٍ مُخْتَصَّةٍ بِمَعْنًى دُونَ أُخْرَى، كَمَا نَقْرَؤُهُ فِي القُرْآنِ لَاتَّصَفَ حِينَئِذٍ بِالعَجْزِ فِي كَلَامِهِ إِذْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِجَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ فِي الكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ، وَالعَجْزُ مُنَافٍ لِلْأُلُوهِيَّةِ وَهُوَ مُحَالٌ.

فَلَوْ ارْتَفَعَ الحِجَابُ عَنِ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ وَسَمِعْتَ كَلَامَهَا مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ هُوَ لَأَدْرَكْتَ أَنَّ[1] الكَلَامَ كُلَّهُ كَلِمَةٌ، وَتِلْكَ الكَلِمَةُ مُحِيطَةٌ فِي تَعَلُّقِهَا بِجَمِيعِ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى[2] وَلَا زَمَانَ وَلَا تَقْدِيمَ وَلَا تَأْخِيرَ، إِذْ مَا ظَهَرَتْ صُورَةُ الزَّمَانِ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الحِجَابِ، فَلَوْ انْكَشَطَ[3] الحِجَابُ لَرَأَيْتَ أَنَّ الزَّمَانَ لَا وُجُودَ لَهُ أَصْلاً، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الوُجُودُ المُطْلَقُ وَقِدَمُهُ وَبَقَاؤُهُ.

فَتَحَصَّلَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَصْفٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ القُرْآنُ كَمَا يَقُولُهُ العُلَمَاءُ، وَإِنَّمَا القُرْآنُ دَالٌّ عَلَى مَدْلُولَاتِ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ. **وَأَمَّا المُكَالَمَةُ** الَّتِي يَدَّعِيهَا العَارِفُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَمِعْتُ وَقِيلَ لِي، إِنَّمَا حَدُّهَا فِي هَذَا المَحَلِّ أَنَّ الكَلَامَ الوَارِدَ عَلَى الرِّجَالِ فِي هَذَا المَيْدَانِ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نِسْبَةُ الخَلْقِ إِلَى الخَالِقِ، لَا نِسْبَةَ الكَلَامِ إِلَى المُتَكَلِّمِ.

---

[1]- ع: (أن) ساقطة

[2]- ع ك ي: (تعالى) ساقطة

[3]- ح ل: انكشف

وَمَنْ ظَنَّ مِنَ الرِّجَالِ أَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَ الذَّاتِ كَمَا سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَدْ ضَلَّ، وَفَارَقَ الحَقَّ وَخَسِرَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً)**[1]. الآيَةُ. وَصُورَةُ الكَلَامِ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ الرِّجَالُ إِنَّمَا هُوَ يَخْلُقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلَاماً مَكْسُوّاً بِالهَيْبَةِ وَالعَظَمَةِ وَالجَلَالِ وَالأَرْعَادِ وَالأَرْجَافِ ثُمَّ يَخْتَطِفُ العَبْدَ عَنْ دَائِرَةِ حِسِّهِ وَيَسْتَلِبُهُ عَنْ أَنَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ، كَمَا هُوَ فِي صُورَةِ سَمَاعِ كَلَامِ ذَاتِهِ ثُمَّ يَبُثُّ فِي ذَاتِهِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ عِنْدَ سَمَاعِ ذَلِكَ الكَلَامِ بِحَيْثُ لَوْ أُضِيفَ إِلَى نَعِيمِ الجَنَّةِ لَكَانَ مَعَهُ نَعِيمُ الجَنَّةِ كَلَا شَيْءٍ، ثُمَّ يُلْقِي إِلَيْهِ مَا يُلْقِي فِي هَذِهِ الحَالِ.

وَهَذَا مِثْلُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي سَمَاعِ كَلَامِ ذَاتِهِ، فَيَقُولُ: سَمِعْتُ كَلَامَ اللَّهِ، وَقِيلَ لِي وَقُلْتُ، فَهَذِهِ المُكَالَمَةُ المُطْلَقَةُ عِنْدَ العَارِفِينَ، وَوَرَاءَ هَذَا مِنَ الأَمْرِ الوَاقِعِ مَا لَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ وَلَا يُعْطِيهِ الوَقْتُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لِلْأَكَابِرِ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَيَجِبُ كَتْمُهُ لِمَنْ أَدْرَكَهُ. وَالكَلَامُ الَّذِي يَسْمَعُهُ فِي وَقْتِ غَيْبَتِهِ يَسْمَعُهُ وَيَعِيهِ، فَإِذَا سُرِيَ عَنْهُ وَرَجَعَ إِلَى شَوَاهِدِ حِسِّهِ وَجَدَ الكَلَامَ مَحْفُوظاً عِنْدَهُ لَا يَنْسَاهُ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَ مَعَانِيهِ وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهَا فَيَرْجِعُ فِي هَذَا إِلَى صَاحِبِ الوَقْتِ فَإِنَّهُ مِنَ العِلْمِ بِهَذَا فِي غَايَةِ العِلْمِ يُخْبِرُهُ بِتَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ، إِنَّهُ لَوْ ظَهَرَتْ حَقِيقَةُ الكَلَامِ الأَزَلِيِّ حَتَّى سَمِعَهَا السَّامِعُ لَانْمَحَقَ الوُجُودُ فِي نَظَرِهِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ وُجُودٌ أَصْلاً، وَلَوْ صَوَّتَ الوُجُودُ كُلُّهُ عَلَيْهِ[2] بِأَصْوَاتِهِ لَمَا فَهِمَ مِنْ كَلَامِهِ مَعْنًى، كَصُورَةِ النُّجُومِ مَعَ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُ لَا ظُهُورَ لِلنُّجُومِ إِلَّا بِغَيْبَةِ الشَّمْسِ. فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَغَطَّتِ النُّجُومُ كُلُّهَا. فَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي نَفْسِهَا لَكِنْ لَا ظُهُورَ لِوُجُودِهَا[3] مَعَ الشَّمْسِ. وَهَكَذَا صُورَةُ الوُجُودِ مَعَ سَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

---

[1]- سورة الشورى، الآية 51

[2]- ح ك ي ل: ولو صوت عليه الوجود كله

[3]- ع: لا وجود لظهورها

قِيلَ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: كَيْفَ كُنْتَ فِي سَمَاعِ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ مُخْبِراً عَنْ حَالِهِ: لَا شُعُورَ لِمُوسَى بِمُوسَى، يُرِيدُ فِي ذَلِكَ الكَلاَمِ لَا شُعُورَ لَهُ. فَهَكَذَا كَيْفِيَّةُ سَمَاعِ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَوْلُهُمْ: **إِنَّ مَنْ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الرِّجَالِ خَرَجَ إِلَى حَالَةٍ** مَهْمَا سَمِعَ كَلَامَ الخَلْقِ، ارْتَدَعَ جَمِيعُ مَا فِي جَوْفِهِ قَيْئاً وَرَمَاهُ مِنْ شَنَاعَةِ كَلَامِ البَشَرِ عِنْدَهُ، وَإِنْ بَقِيَ فِي هَذَا الحَالِ بَقِيَ هَكَذَا أَبَداً، وَلَكِنْ قَالُوا: **صَاحِبُ هَذَا تَخَلُّصُهُ مِنْ هَذِهِ الحَالَةِ**[1] أَنْ يَدْخُلَ الخَلْوَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَسْمَعُ كَلَامَ أَحَدٍ وَلَا يَرَاهُ، فَإِذَا جَاوَزَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: " اللَّوْحِ المَحْفُوظِ " اعْلَمْ إِنَّ اللَّوْحَ المَحْفُوظَ هُنَا هُوَ نَبِيُّنَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَجْمَلُ[3] مَا فِي حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ فَكَمَا أَنَّ اللَّوْحَ المَحْفُوظَ اجْتَمَعَتْ فِيهِ عُلُومُ الأَكْوَانِ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ، أَحَاطَ بِهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً مِمَّا دَقَّ أَوْ جَلَّ مِنَ الجَوَاهِرِ وَالأَعْرَاضِ، كَذَلِكَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجْتَمَعَتْ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعُ حَقَائِقِ العُلُومِ الإِلَهِيَّةِ،

وَتَشْبِيهُهُ هُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّوْحِ المَحْفُوظِ، يُسَمَّى عِنْدَ المُتَكَلِّمِينَ تَشْبِيهَ التَّسَامُحِ وَإِلَّا فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ لِأَنَّ غَايَةَ عُلُومِ اللَّوْحِ وَمَا سُطِّرَ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنْشَأِ العَالَمِ إِلَى النَّفْخِ فِي الصُّورِ فَرْداً فَرْداً بِلَا شُذُوذٍ.

وَأَمَّا مَا وَرَاءَ هَذَا[4] مِنْ أَحْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِمْ فِيهِمَا مِنَ الأَدْوَارِ وَالأَطْوَارِ مِنْ جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَالأُمُورِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَاللَّوَازِمِ

---

[1]- ع: تخلصه من هذا

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ح: أحمل

[4]- ح ك ي ل هـ ق ص: ذلك

وَالمُقْتَضَيَاتِ كُلِّهَا لَيْسَ فِي اللَّوْحِ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا أُمُورٌ قَلِيلَةٌ مِثْلُ فُلَانٍ يَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الأَعْمَالِ وَجَزَاؤُهُ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ أَوْ جَنَّةِ النَّعِيمِ أَوْ جَنَّةِ المَأْوَى لَهُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، أَوْ فُلَانٌ[1] يَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الشَّرِّ وَمُسْتَقَرُّهُ فِي الدَّرَكِ الثَّانِيَةِ أَوْ الثَّالِثَةِ، وَهَكَذَا وَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِأَحْوَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَحْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَمَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ جُمِعَ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ كُلَّ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ مِنْ عُلُومِ المَخْلُوقَاتِ بِأَسْرِهَا، وَمَعْرِفَةِ مُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا. وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَلَا يُحِيطُ بِجَمِيعِ عِلْمِ اللَّهِ مُحِيطٌ أَصْلاً. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[2]. **وَجُمْلَةُ مَا فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مِنَ العُلُومِ** ثَلَاثُمِائَةِ عِلْمٍ[3] وَسِتُّونَ عِلْماً، كُلُّ عِلْمٍ فِيهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ عِلْماً.

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ مِائَةُ أَلْفِ عِلْمٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ عِلْمٍ تَنْقُصُ أَرْبَعمِائَةِ عِلْمٍ. فَهَذِهِ عُلُومُ الأَكْوَانِ كُلِّهَا. **وَعَدَدُ الأَلْوَاحِ** ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ لَوْحاً، فَهَذِهِ الأَلْوَاحُ هِيَ **أَلْوَاحُ التَّبْدِيلِ** يَقَعُ فِيهَا التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ[4]. وَأَمَّا **"أُمُّ الكِتَابِ"** فَلَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ فَكُلُّ مَا فِيهِ وَاقِعٌ لَا يَتَبَدَّلُ. وَمَحَلُّ هَذِهِ الأَلْوَاحِ كُلِّهَا فِي السَّمَاءِ وَرُؤْيَتُهُ عَامَّةِ الأَوْلِيَاءِ لِأَلْوَاحِ التَّبْدِيلِ فَقَطْ. وَأَمَّا "أُمُّ الكِتَابِ" فَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا[5] إِلَّا الأَكَابِرُ.

قَوْلُهُ: " وَالنُّورِ السَّارِي المَمْدُودِ " اعْلَمْ أَنَّ النُّورَ السَّارِي المَمْدُودَ هُوَ الوَضْعُ الإِلَهِي الَّذِي عَنْهُ وُجِدَتْ الأَكْوَانُ جَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، فَلَا يَتِمُّ وُجُودُ[6] شَيْءٍ مِنَ

---

[1]- ح ك ل هـ ص: وفلان

[2]- سورة البقرة، الآية 255

[3]- ح: (علم) ساقطة

[4]- ح: التبديل والتغيير

[5]- ح ك ي: عليه ـ ل: فلا يطلع عليه أحد

[6]- ح ك ي ل هـ ق ص: لوجود

مِنَ المَوْجُودَاتِ إِلَّا بِالمَدَدِ مِنْ نُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ النُّورُ المُطْلَقُ. وَالنُّورُ هَا هُنَا لَيْسَ هُوَ كَمَا يُفْهَمُ أَنَّهُ الضِّيَاءُ المُنْبَسِطُ، بَلْ النُّورُ المُرَادُ بِهِ هُوَ الَّذِي يَتِمُّ الوُجُودُ بِهِ[1] مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا وَاسِطَةٍ.

وَالنُّورُ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ، وَالوُجُودُ المُطْلَقُ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ جَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَكَوْنُهُ مُطْلَقاً لَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ التَّقْيِيدُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ لِأَنَّ وُجُودَهُ مِنْ ذَاتِهِ لِذَاتِهِ عَنْ ذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ[2]، لَيْسَ عَنْ مَادَّةٍ وَلَا عَنْ كَيْفِيَّةٍ وَلَا عَنْ صُورَةٍ. وَمِنْ هُنَا كَانَ[3] وَاجِبَ الوُجُودِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. كَمَا أَنَّ الظُّلْمَةَ حَقِيقَتُهَا هِيَ العَدَمُ المَحْضُ، فَالوُجُودُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ عَدَمٌ مَحْضٌ لَا نُورِيَّةَ فِيهِ، وَإِنَّمَا وُجُودُهُ اسْتُمِدَّ مِنْ نُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْهُ وُجِدَ وَمِنْهُ تُصُوِّرَ وَبِهِ كَانَ.

وَأَمَّا نُورِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُقَالُ فِيهَا نُورٌ مُطْلَقٌ لِأَنَّهَا مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ نُورِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ. وَمَعْنَى اسْتِمْدَادِهِ هُوَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَجْلِ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ لَا لِأَجْلِ شَيْءٍ دُونَهَا جَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ. فَلَا عِلَّةَ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَقِّ تَعَالَى، خُلِقَ مِنْ أَجْلِ الحَقِّ لَا غَيْرَ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ عَلَى العُمُومِ وَالإِطْلَاقِ مُعَلَّلٌ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَجْلِهِ وُجِدَ الكَوْنُ كُلُّهُ، فَهُوَ لَهُ كَالخَادِمِ وَلَوْلَا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَوْجَدَ اللَّهُ شَيْئاً مِنَ الأَكْوَانِ.

وَقَدْ اسْتَرَابَ فِي هَذِهِ القَوْلَةِ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ حَتَّى قَالَ: إِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ خَلْقِ الأَكْوَانِ، لَا يَتَأَتَّى لَهُ إِيجَادُهَا إِلَّا بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِعَانَةً بِهِ، وَخُرُوجاً بِهِ عَنِ العَجْزِ. قُلْنَا لَهُ: لَيْسَ المُرَادُ هَذَا الَّذِي ذُكِرَ وَإِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ لَوْ

---

[1]- ح ك ي ل هـ ق ص: به الوجود

[2]- ك: (في ذاته) ساقطة

[3]- ح ل: ومن هناك

سَبَقَ فِي حُكْمِهِ وَعِلْمِهِ أَنْ لَا يَخْلُقَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَفَذَ الحُكْمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً مِنَ الأَكْوَانِ.

فَهَذَا مَعْنَى تَوَقُّفِ الكَوْنِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُمْلَةِ الأَكْوَانِ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانِ العَيْنِ مِنَ العَيْنِ، إِلَيْهِ النَّظَرُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَلَيْهِ المَدَارُ، وَفِيهِ جَمِيعُ الاعْتِبَارَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الوُجُودُ، كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أُزِيلَ مِنَ العَيْنِ، لَيْسَتِ العَيْنُ بِشَيْءٍ، وَهَذَا النُّورُ هُوَ سَيِّدُ الوُجُودِ وَعَلَمُ الشُّهُودِ[1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ).

وَهَذَا النُّورُ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هُوَ القَائِمُ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالمُبَاشَرَةِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالوُجُودُ كُلُّهُ تَحْتَ ظِلِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَتِراً بِهِ عَنْ جَلَالِ الحَقِّ وَعَظَمَتِهِ، وَلَوْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَشَفَ هَذَا النُّورَ، وَكَشَطَهُ حَتَّى رَآهُ الوُجُودُ بِعَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ النُّورِ[2]، لَاحْتَرَقَ كُلُّ مَا أَدْرَكَ اللَّهُ بَصَرَهُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ وَيَصِيرُ مَحْضَ العَدَمِ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَبِوُجُودِ هَذَا النُّورِ تَمَتَّعَ الوُجُودُ بِالوُجُودِ، وَتَقَلَّبَ فِي أَطْوَارِ المَصَادِرِ وَالوُرُودِ. اهـ[3]

قَوْلُهُ: "السَّارِي" مَعْنَاهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَارٍ فِي جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ كَسَرَيَانِ المَاءِ فِي الأَشْجَارِ، لَا قِيَامَ لَهَا بِدُونِهِ، وَتِلْكَ السِّرَايَةُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَوْجُودَاتِ لَا مَطْمَعَ لِلْعَقْلِ فِي دَرْكِهَا، وَلَا أَنْ يَحُومَ حَوْلَ حِمَاهَا فَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا عَرَفَ لَهَا كَيْفِيَّةً وَلَا صُورَةً، وَكُلُّ الوُجُودِ فِي حِجَابٍ عَنْ هَذَا الإِدْرَاكِ يَعْنِي إِدْرَاكَ السِّرَايَةِ مِنْهُ فِي المَوْجُودَاتِ فَمَا أَدْرَكَتْهَا أَكَابِرُ المَلَائِكَةِ العَالِينَ، وَلَا أَكَابِرُ

---

[1]- ح: (وعلم الشهود) ساقطة

[2]- ح ل: (وَكَشَطَهُ حَتَّى رَآهُ الوُجُودُ بِعَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ النُّورِ) ساقطة

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة

الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كُلُّهُمْ لَمْ يَشُمُّوا لَهَا رَائِحَةً فَمَنْ دُونَهُمْ أَحْرَى وَأَوْلَى لَا يَذُوقُ مِنْهَا شَيْئاً.

وَغَايَةُ السَّرَيَانِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ فُقِدَ سَرَيَانُهُ فِي ذَاتٍ مِنْ ذَوَاتِ الأَكْوَانِ لَصَارَتْ مَحْضَ العَدَمِ مِنْ سَاعَتِهَا، وَإِلَى هَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[1]. وَلِهَذَا، حَيْثُ دَعَا بِالهَلَاكِ زَمَاناً طَوِيلاً عَلَى طَوَائِفَ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ[2] وَعَاتَبَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[3] يَعْنِي لَمْ أَبْعَثْكَ لِهَذَا، وَهُوَ جَلْبُ الهَلَاكِ لِلْخَلْقِ[4]. إهـ[5]

قَوْلُهُ: " المَمْدُودِ" مَعْنَاهُ هُوَ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ امْتَدَّتْ سِرَايَتُهُ فِي جَمِيعِ الأَكْوَانِ مِنْ كُلِّ مَا انْطَبَقَتْ عَلَيْهِ كُورَةُ العَالَمِ، بَلْ وَجَمِيعِ مَا دَخَلَ تَحْتَ حِيطَةِ الطَّوْقِ الأَخْضَرِ مِنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى[6]، وَزَادَ امْتِدَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَرَى فِي جَمِيعِ المَعْلُومَاتِ الَّتِي أَحَاطَ العِلْمُ الإِلَهِي بِهَا وَنَفَذَتْ المَشِيئَةُ الرَّبَّانِيَةُ بِأَنْ لَا خُرُوجَ لَهَا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ أَصْلاً، وَكَيْفِيَّةُ السِّرَايَةِ فِي هَذَا المَعْدُومِ أَيْضاً لَا يُطِيقُهَا العَقْلُ تَصَوُّراً وَقُبُولاً، بَلْ هِيَ فِي إِحَاطَةِ العِلْمِ الإِلَهِي، فَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهَا وَصُورَتَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 107

[2]- ح ل: (له) ساقطة

[3]- سورة الأنبياء، الآية 107

[4]- ع: من الخلق

[5]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[6]- ع ك ي هـ ق ص: (تعالى) ساقطة

قَوْلُهُ: " الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ دَارِكٌ " يَعْنِي وَصَفَهُ بِكَوْنِهِ لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِهِ مِنَ المَوْجُودَاتِ أَصْلاً[1] إِلَّا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَفِي هَذَا، يَقُولُ بَعْضُ العَارِفِينَ: مَا عَرَفَ قَدْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: لَا يُدْرِكُهُ دَارِكٌ.

قَوْلُهُ: "وَلَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ" مَعْنَاهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاتِهِ، حَيْثُ قَالَ: وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ" **اعْلَمْ** أَنَّ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُمِّيَ بِهِ لِكَوْنِهِ طَرِيقاً مَمْدُوداً إِلَى الحَقِّ وَلَا[3] وُصُولَ لِأَحَدٍ إِلَى الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، وَذَوْقِ أَسْرَارِهَا وَالابْتِهَاجِ بِأَنْوَارِهَا إِلَّا بِالسُّلُوكِ عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَهُوَ بَابُ اللَّهِ الأَعْظَمِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَمَنْ رَامَ مِنَ السَّالِكِينَ الدُّخُولَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَضْرَةِ جَلَالِهِ وَقُدْسِهِ مُعْرِضاً عَنْ حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُرِدَ وَلُعِنَ وَسُدَّتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ وَالأَبْوَابُ وَرُدَّ بَعْدَ الأَدَبِ إِلَى إِصْطَبْلِ الدَّوَابِّ. إهـ[4]

قَوْلُهُ: " نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ " مَعْنَاهُ: **الوَجْهُ الأَوَّلُ فِيهِ** أَنَّ الحَقَّ فِي اللَّفْظَيْنِ هُوَ: اللَّهُ تَعَالَى. وَمَعْنَاهُ، أَنَّهُ نَصَرَ اللَّهَ بِاللَّهِ نَهَضَ إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِالنُّصْرَةِ لَهُ، فَنَهَضَ مُسْرِعاً إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ بِاللَّهِ اعْتِمَاداً وَحَوْلاً وَقُوَّةً وَاسْتِنَاداً وَاضْطِرَاراً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقِيَاماً[5] عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَهَذَا هُوَ الوَجْهُ الأَوَّلُ.

---

[1]- ح: (أصلا) ساقطة

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ك ي ل: لا

[4]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[5]- ح ك ي: وقيامه به ـ ل: وقياما به.

وَالوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ الحَقَّ فِي اللَّفْظِ الأَوَّلِ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى[1] بِتَبْلِيغِهِ وَإِقَامَتِهِ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلَامِ. نَصَرَهُ بِالحَقِّ أَدَاةً وَآلَةً، يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَنْصُرِ الإِسْلَامَ بِبَاطِلٍ وَلَا تَحَيُّلٍ وَلَا خَدِيعَةٍ بَلْ نَهَضَ إِلَى نُصْرَةِ دِينِ الإِسْلَامِ بِحَالٍ يُعْطِي التَّصْرِيحَ بِالحَقِّ تَصْرِيحاً لَا يُمَازِجُهُ شَيْءٌ[2] مِنَ البَاطِلِ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى تَمَكَّنَ دِينُهُ وَشَرْعُهُ فِي الأَرْضِ. إهـ[3]

قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ الخَلَائِقِ الإِنْسَانِيَةِ وَالْجَانِّيَّةِ " يَعْنِي أَنَّهُ زُبْدَتُهَا وَيَاقُوتُهَا. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ). وَدَلَّ الحَدِيثُ، بَلْ صَرَّحَ أَنَّ هَذَا الجِنْسَ مِنَ الآدَمِيِّ هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ مَحَلُّ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ، وَهُوَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، فَجِنْسُ الإِنْسَانِ خُلِقَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخُلِقَتِ الأَكْوَانُ كُلُّهَا مِنْ أَجْلِهِ،

وَكَانَ التَّخْصِيصُ لِهَذَا الجِنْسِ مِنَ الإِنْسَانِ أَنَّ اللَّهَ[4] اتَّخَذَ خَلِيفَةً[5] فِي الأَكْوَانِ مِنْ هَذَا الجِنْسِ، وَهُوَ الفَرْدُ الجَامِعُ، فَهُوَ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ كُلِّهِ، وَالعَالَمُ كُلُّهُ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ وَتَصَرُّفِهِ يَفْعَلُ فِيهِ كُلَّ مَا يُرِيدُ بِلَا مُنَازِعٍ وَلَا مُدَافِعٍ. وَقُصَارَى أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ حَيْثُ مَا كَانَ الرَّبُّ إِلَهاً كَانَ هُوَ خَلِيفَةً[6] عَلَيْهِ، فَلَا خُرُوجَ لِشَيْءٍ مِنَ الأَكْوَانِ عَنْ أُلُوهِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَذَلِكَ لَا خُرُوجَ لِشَيْءٍ مِنَ الأَكْوَانِ عَنْ سَلْطَنَةِ هَذَا الفَرْدِ الجَامِعِ، يَتَصَرَّفُ فِي

---

[1]- ك: (تعالى) ساقطة
[2]- ح ك ي ل: وجه
[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة
[4]- ك: أن الله تعالى
[5]- ح ك ي ل هـ ق ص: خليفته
[6]- ح: خليفته

المَمْلَكَةِ بِإِذْنِ مُسْتَخْلِفِهِ، وَحَيْثُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ الخَلَائِقِ الإِنْسَانِيَةِ كَانَ أَشْرَفَ العَوَالِمِ كُلِّهَا، لِأَنَّ الإِنْسَانَ كَمَا فِي الخَبَرِ هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ. فَبِالضَّرُورَةِ غَيْرُ الإِنْسَانِ دَاخِلٌ تَحْتَ حُكْمِهِ فِي الأَفْضَلِيَّةِ.

قَوْلُهُ: "وَالْجَانِّيَّةِ" يَعْنِي الجَانَ مَا غَابَ عَنِ الأَبْصَارِ وَاسْتَتَرَ وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْجَانِّ وَالمَلَائِكَةِ وَلِجَمِيعِ مَنْ[1] غَابَ مِثْلُهُمْ عَنْ عَيْنِ الإِنْسَانِ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الجَمِيعِ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "**صَاحِبِ الأَنْوَارِ الفَاخِرَةِ**" يَعْنِي أَنَّ الأَنْوَارَ هِيَ أُمُورٌ فَائِضَةٌ مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ وَهِيَ حَضَرَاتُ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي بِالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ وَالمَعَارِفِ وَالأَنْوَارِ وَالأَحْوَالِ العَالِيَةِ إِلَى مَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنَ الفُيُوضِ وَالمَوَاهِبِ. وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا المَيْدَانِ أَكْبَرُ خَلْقِ اللَّهِ حظّاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ[3] وَأَوْسَعُهُمْ دَائِرَةً وَأَعْظَمُهُمْ حُظْوَةً. فَلَوْ هَبَّ عَلَى جَمِيعِ العَالَمِ جُزْءٌ مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّا يَهُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الأَنْوَارِ لَصَارَ مَحْضَ العَدَمِ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ العَيْنِ، وَلِذَا قَالَ: الفَاخِرَةُ يَعْنِي العَظِيمَةَ. فَتِلْكَ الأَنْوَارُ فِي العَظَمَةِ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ. إهـ[4]

قَوْلُهُ: "**اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ**". تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْقِيفِيَّةٌ. **وَأَمَّا آلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،** فَعَلَى الأَصَحِّ[5] هُمْ بَنُو هَاشِمٍ، وَقِيلَ: بَنُو عَبْدِ

---

[1]- ك: ما

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ح ي ل: الأنوار

[4]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[5]- ك: الصحيح

مَنَافٍ. قَالَ ابْنُ الحَاجِبِ فِي كِتَابِهِ الفَرْعِي: هَاشِمٌ آلٌ، وَغَالِبٌ غَيْرُ آلٍ. وَفِيمَا بَيْنَهُمَا قَوْلَانِ: هَاشِمٌ آلٌ بِالإِجْمَاعِ، وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَى غَالِبٍ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ.

وَالأَصَحُّ أَنَّ الآلَ هُمُ الَّذِينَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] الصَّدَقَةَ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا إِلَّا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ. هَذَا الدَّلِيلُ لِهَذَا الأَصَحُّ. وَالدَّلِيلُ الثَّانِي قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ حَيْثُ ذَكَرَ الإِصْطِفَاءَ فِي العَرَبِ. قَالَ: وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. فَدَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ هَاشِماً[2] هُوَ[3] الآلُ.

وَلِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَضَعَ بَيْتَ المَالِ الخَاصَّةَ بِآلِهِ مَا كَانَ يُعْطِي غَيْرَهُمْ، وَلَا أَعْلَمُ هَلْ كَانَ يُعْطِي مَعَهُمْ بَنِي المُطَّلِبِ أَمْ لَا. وَلِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْعَةِ بَنِي النَّظِيرِ حَيْثُ أَخَذَ بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ[4] فَيْئاً جَعَلَهَا اللَّهُ[5] لَهُ وَحْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَعْطَى النَّاسَ مَا أَعْطَى، وَتَرَكَ مِنْهَا حَظّاً وَافِراً لِآلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَيْنَ بَنِي المُطَّلِبِ،

فَقَامَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا مَا خَصَّصْتَ بِهِ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا نُنَازِعُهُمْ فِيهِ لِمَكَانَتِهِمْ مِنْكَ، وَأَمَّا مَا خَصَّصْتَ بِهِ إِخْوَانَنَا مِنْ[6] بَنِي المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فَلِأَيِّ

---

[1]- ح: حرم صلى الله عليه وسلم عليهم

[2]- ح: هاشمَ

[3]- ل: هم

[4]- ح: أموالهم وبلادهم

[5]- ع: (الله) ساقطة

[6]- ك: (من) ساقطة

شَيْءٍ خَصَّصْتَهُمْ؟ وَنَحْنُ وَهُمْ فِي رُتْبَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ لَهُمْ[1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ بَنِي المُطَّلِبِ لَمْ يُفَارِقُونِي فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ). هَذَا مَا قَالَ لَهُمْ، فَسَلَّمُوا. فَكُلُّ هَذِهِ الأَخْبَارِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الآلَ بَنُو هَاشِمٍ فَهُمْ آلُهُ عَلَى التَّحْقِيقِ. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُعَذِّبَ بَنِي هَاشِمٍ يَعْنِي المُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْلَادِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ، وَقَدْ حَرَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّدَقَةَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمْ تَحِلَّ لَهُمْ أَبَداً. وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مَا يَقُولُهُ الفُقَهَاءُ مِنْ إِبَاحَتِهَا لَهُمْ مُتَعَلِّلِينَ بِشِدَّةِ فَقْرِهِمْ وَعَدَمِ أَخْذِهِمْ مِنْ بَيْتِ المَالِ، فَإِنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ لَا أَصْلَ لَهُ، إِذْ عِلَّةُ مَنْعِهِمْ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنَّهَا أَوْسَاخُ النَّاسِ. وَقَدَّسَهُمْ اللَّهُ عَنْهَا لِعُلُوِّ مَنْصِبِهِمْ. وَهَذِهِ العِلَّةُ بَاقِيَةٌ عَلَى أَصْلِهَا لَمْ تَنْتَقِلْ. إِنَّمَا يَصِحُّ ذَلِكَ التَّعْلِيلُ لِلْفُقَهَاءِ، لَوْ كَانَ[2] عِلَّةُ مَنْعِهِمِ مِنَ الصَّدَقَةِ الغِنَى أَوْ وُفُورَ حَظِّهِمْ مِنْ بَيْتِ المَالِ، فَإِذَا فُقِدَ هَذَا قُلْنَا إِنَّهَا تَحِلُّ لَهُمْ، وَالحُكْمُ لَمْ يَقَعْ لِأَجْلِ هَذِهِ العِلَّةِ وَإِنَّمَا وَقَعَ الحُكْمُ لِمَنْعِهَا عَنْهُمْ مِنْ أَنَّهَا أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِمْ عَنْهَا، وَهَذِهِ العِلَّةُ جَارِيَةٌ لَا[3] تَنْتَقِلُ.

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الآلُ الأَصْلِيُّونَ، **وَالآلُ المُلْحَقُونَ صِنْفَانِ: الأَوَّلُ** مِنْهُمْ مَنِ انْصَبَغَ بِمَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِراً وَبَاطِناً يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ سُئِلَ مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أُمِرْنَا بِحُبِّهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَالبُرُورِ بِهِمْ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالوَفَاءِ مِمَّنْ آمَنَ بِي[4] وَأَخْلَصَ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا عَلَامَتُهُمْ؟ فَقَالَ[1]: إِيثَارُ مَحَبَّتِي عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ وَاشْتِغَالُ البَاطِنِ بِذِكْرِي بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

---

[1]- ك: له

[2]- ك: كانت

[3]- ك ي ل: لم

[4]- ع: (بي) ساقطة

فَهَذَا الصِّنْفُ هُمُ[2] الآلُ المُلْحَقُونَ. **وَالصِّنْفُ الثَّانِي:** الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ وَاقْتِفَاءِ آثَارِهِ يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِلٌّ لِأَحَدٍ فَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَى سُنَّتِي فَكَأَنَّمَا أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ). فَهَؤُلَاءِ هُمُ الآلُ المُلْحَقُونَ. إهـ[3]

قَوْلُهُ: "وَعَلَى أَوْلَادِهِ" **وَأَوْلَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كُلُّ مَنْ خَرَجَ مِنْ صُلْبِهِ وَمَنْ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ ابْنَتُهُ، فَهَؤُلَاءِ أَوْلَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَنَاسَلُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَأَوْلَادُهُ عَلَى الصَّحِيحِ أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ، مِنْ[4] سَيِّدَتِنَا خَدِيجَةَ ثَلَاثَةٌ: سَيِّدُنَا القَاسِمُ وَسَيِّدُنَا الطَّاهِرُ وَسَيِّدُنَا الطَّيِّبُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[5]. وَمِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ سَيِّدَتُنَا مَرِيَّةُ القِبْطِيَّةُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ. وَبَنَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَتُنَا زَيْنَبُ وَسَيِّدَتُنَا رُقَيَّةُ وَسَيِّدَتُنَا أُمُّ كَلْثُومٍ، وَسَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ. وَكُلُّهُنَّ مِنْ سَيِّدَتِنَا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَوْلُهُ: "وَأَزْوَاجِهِ" **أَزْوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةُ** تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ زَوْجَيْنِ وَلَدَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَلَهَا يَوْمَ تَزَوَّجَهَا أَرْبَعُونَ عَاماً، وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ، وَمَاتَتْ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةٍ وَسِتِّينَ، وَقِيلَ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ[6]، تُوُفِّيَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَقِيلَ بِسِتَّةٍ فِي رَمَضَانَ، وَدُفِنَتْ بِالحَجُونِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

---

[1]- ح ي ل: قال

[2]- ح ل: هو

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة ـ ك: إهـ إلخ.

[4]- ح ل: (من) ساقطة

[5]- ح ل: (عليهم الصلاة والسلام) ساقطة

[6]- ع ك ل: وستين

ثُمَّ **سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ** بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ أَصْدَقَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةَ، مَاتَتْ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ[1]، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي سُهَيْلٍ بْنِ عَمْرٍو، تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشَرَةٍ وَدَخَلَ بِهَا فِي المَدِينَةِ وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ ابْنَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَنَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْراً غَيْرَهَا، مَاتَتْ بِالمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ثَلَاثٍ بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنَ الحَبَشَةِ، وَمَاتَ زَوْجُهَا خُنَيْسُ بْنُ[2] حُذَافَةَ بِالمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، مَاتَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَقِيلَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ نَحْوِ سِتِّينَ سَنَةٍ.

زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلَالِيَّةُ الحَارِثِيَّةُ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، تُدْعَى أُمَّ المَسَاكِينِ لِرَحْمَتِهَا لَهُمْ، أَصْدَقَهَا اثْنَيْ[3] عَشَرَ أُوقِيَةٍ، مَاتَتْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ، وَلَمْ يَمُتْ فِي حَيَاتِهِ غَيْرُهَا بَعْدَ خَدِيجَةَ.

هِنْدٌ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّةُ زَوْجُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ، تَزَوَّجَهَا سَنَةَ أَرْبَعَةٍ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، مَاتَتْ سَنَةَ سِتِّينَ، وَقِيلَ تِسْعَةٍ وَخَمْسِينَ، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ، وَهِيَ آخِرُ أَزْوَاجِهِ وَفَاتاً.

---

[1]- ح ع ك ل ي ق هـ ص: أربعة وستين

[2]- ع: بعد

[3]- ع ي ل: اثنا

زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَهِيَ بِنْتُ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ[1] بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، كَانَتْ عِنْدَ مَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَطَلَّقَهَا[2] سَنَةَ خَمْسَةٍ، كَانَ[3] اسْمُهَا بَرَّةَ، فَسَمَّاهَا زَيْنَبَ، وَكَانَتْ كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ وَالإِيثَارِ، تُسَامِي عَائِشَةَ فِي المَنْزِلَةِ عِنْدَهُ، أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْهُنَّ بَعْدَهُ، مَاتَتْ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ عِشْرِينَ.

جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ المُصْطَلِقِيَّةُ سَبَاهَا يَوْمَ المُرَيْسِيعِ، كَانَتْ بِنْتَ عِشْرِينَ سَنَةً، تُوُفِّيَتْ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ، تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الهِجْرَةِ، وَقِيلَ خَمْسٍ.

رَيْحَانَةُ سَبَاهَا مِنْ بَنِي النَّظِيرِ، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الهِجْرَةِ، وَأَصْدَقَهَا اثْنَيْ عَشَرَ أُوقِيَةٍ، تُوُفِّيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ.

رَمْلَةُ أُمُّ حَبِيبَةٍ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ رَئِيسِ قُرَيْشٍ، هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، فَتَنَصَّرَ وَمَاتَ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ النَّجَاشِي أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، دَخَلَ بِهَا سَنَةَ سَبْعَةٍ، مَاتَتْ بِالمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ.

صُفَيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ، سُبِيَتْ مِنْ خَيْبَرَ سَنَةَ سَبْعَةٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الحَقِيقِ[4]، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَتْ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ.

مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلَالِيَّةُ، تَزَوَّجَهَا سَنَةَ سَبْعَةٍ بَعْدَ خَيْبَرَ، وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ، فَسَمَّاهَا مَيْمُونَةَ، وَهِيَ خَالَةُ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ، مَاتَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ بِسَرِفٍ، وَقَبْرُهَا مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، يُزَارُ وَيُتَبَرَّكُ بِهِ، وَيُقَالُ إِنَّهَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إهـ[5]

---

[1]- ح ي ل: أمية

[2]- ك: وطلقها

[3]- ك: وكان

[4]- ح: الحقين

[5]- ح ل: (إهـ) ساقطة

قَوْلُهُ: "وَذُرِّيَّتِهِ" وَهُمْ مَا تَنَاسَلُوا مِنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا غَيْرُ. وَكَذَا مَا وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ مِنَ البَنَاتِ كُلُّهُنَّ ذُرِّيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "وَأَهْلِ بَيْتِهِ" هُمْ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الأَصَحِّ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، لَمْ يَخْتَلِفْ اِثْنَانِ فِي أَنَّهُمْ آلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالَّذِي فَعَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِ الكِسَاءِ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِسَاءٍ وَاحِدٍ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً)، حِينَ نَزَلَتْ الآيَةُ.

فَهَذَا خَاصٌّ مِنْ خَاصٍّ لِخَاصٍّ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَؤُلَاءِ حِينَ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ وَكَانَ عَلِيٌّ هُنَاكَ نَائِماً فِي جَانِبِ البَيْتِ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ بَيْنَ يَدَيْهَا[1] يَلْعَبَانِ. قَالَ لَهَا[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكِ وَهَاذَيْنِ وَذَلِكَ النَّائِمُ، مَعِي فِي دَرَجَتِي فِي الجَنَّةِ). وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ حَتَّى مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، فَهَذَا تَخْصِيصُ الكِسَاءِ. وَكَذَا أَزْوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَّ الَّتِي وَرَدَ فِيهِنَّ خِطَابُ التَّطْهِيرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **(يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ)**[3]. إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

قَوْلُهُ: "وَإِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ" سُمُّوا فِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ إِخْوَانَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ، **لِاشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُ فِي مَقَامِ القُرْبَةِ**، وَهُوَ مَقَامٌ عَزِيزٌ صَعْبُ الارْتِقَاءِ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ إِلَّا لِأَهْلِهِ، **وَأَهْلُهُ ثَلَاثُ فِرَقٍ: الفِرْقَةُ الأُولَى:** الرُّسُلُ وَهُمْ أَصْحَابُ نُبُوَّةِ التَّشْرِيعِ. **وَالفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ:** هُمُ النَّبِيئُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيُقَالُ لَهَا: النُّبُوَّةُ المُطْلَقَةُ. **وَالفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ:** هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَهُمُ الَّذِينَ ارْتَفَعَ الحِجَابُ عَنْ عَيْنِ قُلُوبِهِمْ وَطَالَعُوا الحَضْرَةَ القُدْسِيَّةَ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الأَسْرَارِ وَالأَذْوَاقِ وَالفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ

---

[1]- ك: يديهما

[2]- ك: لهما

[3]- سورة الأحزاب، الآية 32

وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَاليَقِينِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ وَمَا عَلَيْهِ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا لَا تُحِيطُ العُقُولُ بِأَقَلِّ قَلِيلٍ مِنْهُ مِنْ صِفَاتِ العَظَمَةِ وَالجَلَالِ وَالعِزِّ وَالكَمَالِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالتَّعَالِ وَالقُدْسِ وَالغِنَى وَالمَحَامِدِ كُلِّهَا وَتِلْكَ[1] صِفَاتُ الكَرَمِ وَالمَجْدِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الحَقَائِقِ وَالدَّقَائِقِ وَالرَّقَائِقِ وَالشَّقَاشِقِ[2] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الحَضْرَةُ القُدْسِيَّةُ مِنَ المُكَالَمَةِ وَالمُحَادَثَةِ وَالمُسَارَرَةِ وَالمُلَاطَفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

هَذَا هُوَ مَقَامُ الصِّدِّيقِيَةِ[3]، وَكُلُّ هَذَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَنْ مَعَهُ مِثْقَالُ نَقِيرٍ مِنْ مُتَابَعَةِ هَوَاهُ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ تَطَهَّرَ مِنْ مُتَابَعَةِ هَوَاهُ وَارْتَقَى إِلَى المَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ المَرَاتِبِ الثَّلَاث.

المَرْتَبَةُ الأُولَى: مَرْتَبَةُ الاسْتِهْتَارِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَقَعَ صَاحِبُهَا فِي الذُّهُولِ عَنِ الأَكْوَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَغْرِقاً جَمِيعَ أَوْقَاتِ دَهْرِهِ، وَهُمُ الأَوْلِيَاءُ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ لِبَاسُ الحُلَّةِ المَلَكِيَّةِ وَهِيَ فَوْقَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَهِيَ أَنْ يَتَّصِفَ صَاحِبُهَا بِأَحْوَالِ المَلَائِكَةِ مِنَ الوُلُوعِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالاسْتِغْرَاقِ فِيهِ وَتَرْكِ مَا جُهِلَ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاحْتِرَاقِ الوَهْمِ وَالحِسِّ وَالخَيَالِ تَحْتَ بُزُوغِ هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَفِيهَا يُتَّصَفُ العَبْدُ بِأَوْصَافِ أَهْلِ المَلَإِ الأَعْلَى وَهُمْ أَوْلِيَاءُ،

وَالمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ وَهِيَ فَوْقَ هَذِهِ، وَهِيَ لِبَاسُ الحُلَّةِ الإِلَهِيَةِ، وَهِيَ لَا تُذْكَرُ وَلَا تُرَى وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا وَصَاحِبُهَا هُوَ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الصِّدِّيقِ. فَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ النُّبُوءَةِ أَوْ هِيَ النُّبُوءَةُ بِعَيْنِهَا وَهُمُ العَارِفُونَ وَالصِّدِّيقُونَ.

قَوْلُهُ: " **وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ" الخ** .. مَعْنَاهُ: أَرْدَفَهُمْ وَأَدْخَلَهُمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَفِي حِمَايَتِهِ[4]، وَمَعْنَى إِرْدَافِهِمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصٌّ بِهَذِهِ

---

[1]- ح ع ي ل هـ ق ص: (تلك) ساقطة

[2]- ك ي: والشقائق ـ ل: (والشقاشق) ساقطة

[3]- ح: الصديقين

[4]- ح: حياته

الصَّلَاةِ لَا غَيْرَ. وَالمَطْلُوبُ بِالصَّلَاةِ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ، وَالبَاقِي تَابِعٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ مَقْبُولَةً، لَا مَرْدُودَةً " مَعْنَاهُ طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْبُولَةً لَا مَرْدُودَةً، وَالمَقْبُولَةُ مَا طَابَقَ فِيهَا أَمْرَ الشَّرْعِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَإِنْ كَانَتْ لِلثَّوَابِ بِقَصْدِ[1] صَاحِبِهَا ذَلِكَ فَهِيَ مَقْبُولَةٌ فِي هَذَا البَابِ وَمَا تَقَاعَسَ فِيهَا صَاحِبُهَا عَنْ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الشَّرْعِ المَطْلُوبَةِ[2] كَانَتْ مَرْدُودَةً، وَهَذَا الوَجْهُ المَطْلُوبُ هُنَا مِنْ قِبَلِ الشَّرْعِ إِنَّمَا هُوَ فِي نَفْسِ الصَّلَاةِ لَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفاً فِي غَيْرِهَا إِلَّا صَلَاةَ الفَرْضِ فَشَرْطُهَا أَنْ تَقَعَ عَلَى مُطَابَقَةِ أَمْرِ الشَّرْعِ.

فَإِنْ فَسَدَتِ الصَّلَاةُ بَطُلَتْ الأَعْمَالُ كُلُّهَا الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمَطْلُوبُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَكُونَ صَادِرَةً مِنْهُ لِامْتِثَالِ أَمْرِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَلَا وَتَعْظِيماً لَهُ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَسَلَامَتُهَا مِنَ العُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَوُقُوعُهَا بِالجَنَابَةِ** أَوْ التَّلْطِيخِ[3] بِالنَّجَاسَةِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ مَعَ هَذِهِ الأُمُورِ هِيَ صَحِيحَةٌ وَإِنْ قَصَدَ بِهَا الثَّوَابَ إِلَّا أَنَّ مَنْ أَتَى بِهَا تَعْظِيماً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُبّاً فِيهِ وَشَوْقاً إِلَيْهِ لَا لِلثَّوَابِ فَهِيَ أَكْمَلُ وَأَعْلَى. **وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ فِي الصَّلَاةِ مَا لَا يُقْبَلُ إِنْ وَقَعَتْ فِيهَا عِلَّةٌ مِمَّا ذُكِرَ.**

قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ " تَقَدَّمَ مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَوْنِهَا تَوْقِيفِيَّةً.

---

[1]- ح ل: يقصد

[2]- ك: المطلوب

[3]- ك ي ل: التلطخ

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ وَاجْعَلْهُ لَنَا رُوحاً وَلِعِبَادَتِنَا سِرّاً" طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوحاً. وَكَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوحاً فِي نَفْسِ الأَمْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ حَتَّى لَا وُجُودَ لِشَيْءٍ بِدُونِهِ حَتَّى الكَافِرَ. **وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ الأُولَى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي الوُجُودِ وَبِهَا حَيَاةُ الوُجُودِ كُلِّهِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ شَيْئاً شَيْئاً، **وَالمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ** فِي كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوحاً لِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ خَاصّاً لَا عَامّاً، وَهَذِهِ الرُّوحَانِيَةُ فِي المَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ صَارَتْ بِكُلِّيَّتِهَا فِي جَمِيعِ العَارِفِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالأَقْطَابِ وَالنَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالمُقَرَّبِينَ.

وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي هِيَ رُوحَانِيَّتُهُ، بِهَا قِوَامُ[1] الطَّوَائِفِ المَذْكُورِينَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى بِتَوْفِيَةِ حُقُوقِهِ، وَتَكْمِيلِ الأَدَبِ مَعَهُ وَالاسْتِهْلَاكِ فِي عَيْنِ الجَمْعِ وَالغَرَقِ فِي بِحَارِ التَّوْحِيدِ فَهُمْ فِي هَذَا المَيْدَانِ لِلَّهِ بِاللَّهِ فِي اللَّهِ عَنِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مُنَزَّهُونَ عَنِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ لَيْسَ فِي جَمِيعِ حَوَاسِّهِمْ وَأَوْهَامِهِمْ وَتَخَيُّلَاتِهِمْ وَمُسَاكَنَتِهِمْ وَمُلَاحَظَتِهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا يَخْطُرُ عَلَيْهِمْ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى[2] فِي هَذَا المَيْدَانِ.

وَعُبِّرَ عَنْ هَذَا القَلْبِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ بِالبَيْتِ المُحَرَّمِ الَّذِي يَحْرُمُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ دُخُولُهُ، وَهَذَا القِيَامُ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِسَبَبِ رُوحَانِيَتِهِ فِيهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَامُوا هَذَا القِيَامَ فِيهِ، وَهَذَا هُوَ الرُّوحُ الَّذِي طَلَبَ المُصَلِّي، لَيْسَ الرُّوحَ الأَوَّلَ الَّذِي هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

قَوْلُهُ: "وَلِعِبَادَتِنَا سِرّاً" المُرَادُ بِالسِّرِّ هَا هُنَا أَنْ يَكُونَ بَاطِناً فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبُولِ[3] اللَّهِ إِيَّاهَا، أَيْ الأَعْمَالَ. وَالسِّرِّيَّةُ الَّتِي مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَعْمَالِ

---

[1]- ك ي ل هـ ق ص: قيام

[2]- ع ك ي ص: (تعالى) ساقطة

[3]- ح: بقبول

وَالعِبَادَاتِ أَنْ تَكُونَ صَادِرَةً مِنَ العَبْدِ بِمُلَاحَظَةِ وَسَاطَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ العِبَادِ. وَالوَسَاطَةُ هُوَ مَا قَالَهُ[1] الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: (وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ). فَمَنْ لَمْ يُلَاحِظْ هَذِهِ الحِجَابِيَةَ فِي أَعْمَالِهِ كَانَتْ أَعْمَالُهُ غَيْرَ تَامَّةٍ، وَالحِجَابِيَةُ هُوَ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَتَوَسَّلُ بِهِ جَمِيعُ العِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَهَذَا هُوَ سِرُّ العِبَادَةِ الَّذِي يُوذَنُ بِقَبُولِهَا.

قَوْلُهُ: "وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا قُوَّةً[2] أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى تَعْظِيمِهِ" طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هَا هُنَا أَنْ يَهَبَهُ مَحَبَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَحَبَّةَ الخَاصَّةَ، فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِ العَبْدِ سَرَى فِيهِ تَعْظِيمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمُ جَانِبِهِ، فَصَارَتْ بِدَايَةُ التَّعْظِيمِ مِنَ العَبْدِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ مَحَبَّتُهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ لِتَعْظِيمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالبِسَاطِ، لِهَذَا طَلَبَهَا[3] المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ تَعْظِيمَهُ فِي قُلُوبِنَا حَيَاةً أَقُومُ بِهَا وَأَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى ذِكْرِهِ وَذِكْرِ رَبِّهِ ". طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ تَعْظِيمُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَباً فِي حَيَاةِ قَلْبِهِ بِحُلُولِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا الذِّكْرُ الَّذِي طَلَبَهُ بِالتَّعْظِيمِ لَيْسَ هُوَ ذِكْرَ اللِّسَانِ المَعْهُودَ فِي حَقِّ العَامَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ الذِّكْرُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ الغَايَةُ القُصْوَى مِنَ الذِّكْرِ.

هُوَ إِذَا أُخِذَ العَبْدُ فِيهِ، أُخِذَ عَنْ جَمِيعِ دَائِرَةِ حِسِّهِ وَوَهْمِهِ، فَلَيْسَ فِي شُعُورِهِ وَوَهْمِهِ وَخَيَالِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فِي حَالَةِ الذِّكْرِ، وَهَذَا بِدَايَةُ الذِّكْرِ لِلْمُقَرَّبِينَ وَنِهَايَتُهُ أَنْ يُسْتَهْلَكَ العَبْدُ فِي عَيْنِ الجَمْعِ وَيَغْرَقَ فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ عَوَالِمِهِ حِسّاً وَإِدْرَاكاً

---

[1]- ك : قال

[2]- ي: قوتا

[3]- ح: طلب

وَذَوْقاً وَفَهْماً وَعِيَاناً وَخَيَالاً وَأُنْساً وَمُسَاكَنَةً وَمُلَاحَظَةً وَمَحَبَّةً وَتَعْوِيلاً وَاعْتِمَاداً إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحْوِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ. وَفِي هَذَا المَيْدَانِ، يَنْمَحِقُ الذَّاكِرُ وَالذِّكْرُ وَيَصِيرُ فِي حَالِهِ[1] أَنْ لَوْ نَطَقَ لَقَالَ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي. لِاسْتِهْلَاكِهِ فِي بِحَارِ التَّوْحِيدِ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ فِي مَرَاتِبِ آخِرِ الذِّكْرِ، وَصَاحِبُهَا صَامِتٌ جَامِدٌ لَا يَذْكُرُ وَلَا يَتَحَرَّكُ، وَإِلَيْهَا يُشِيرُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَلَّ لِسَانُهُ). وَفِيهَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

مَـا إِنْ ذَكَـرْتُـكَ إِلَّا هَـمَّ يَـلْعَنُنِي * سِرِّي وَذِكْرِي وَفِكْرِي عِنْدَ ذِكْرَاكَ

حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِـنْكَ يَهْتِفُ بِي * إِيَّـــاكَ وَيْـحَـكَ وَالـتِّـذْكَارَ إِيَّـاكَ

فَاجْعَلْ شُـهُودَكَ فِي لُقْيَاكَ تَذْكِرَةً * وَالـحَـقُّ تِـذْكَـارُهُ إِيَّـــاكَ إِيَّـــاكَ

أَمَا تَرَى الحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ * فَـوَاصِلُ الـكُلِّ مِـنْ مَـعْنَاهُ مَـعْنَاكَ

لِأَنَّ تَقَادُمَ الذِّكْرِ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِهِ كَانَ وَسِيلَةً إِلَى الوُصُولِ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ، فَإِذَا وَصَلَهَا انْقَطَعَ الذِّكْرُ مِنْ أَصْلِهِ وَصَارَ ذَاكِراً عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، اسْتَوَى نَوْمُهُ وَيَقَظَتُهُ وَحُضُورُهُ وَغَيْبَتُهُ، وَاسْتَوَى الأَمْرُ عِنْدَهُ أَكَانَ مَعَ الخَلْقِ أَمْ كَانَ وَحْدَهُ، وَصَاحِبُ هَذَا الحَالِ لَوْ اجْتَمَعَ فِي مَكَانٍ مَعَ جَمِيعِ الخَلْقِ وَأَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالصَّخَبَ[2] لَمْ يَعْلَمْ مِنْ خِطَابِهِمْ شَيْئاً وَلَا يَسْمَعُ فِي خِطَابِهِمْ إِلَّا خِطَابَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخَاطِبُهُ. وَفِي هَذَا قِيلَ:

بِذِكْرِ اللَّهِ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ * وَتَنْطَمِسُ السَّرَائِرُ وَالقُلُوبُ

إلخ..[3]

---

[1]- ح: حالة

[2]- ح: والسخب

[3]- ح ل: (إلخ ..) ساقطة

وَهَذِهِ[1] نِهَايَةُ مَرَاتِبِ الذِّكْرِ، وَلِذَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ هُوَ آخِرُ المَرَاتِبِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ)** إِلَى قَوْلِهِ: **(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ)**[2]. فَتِلْكَ الآيَةُ فِيهَا رَتَّبَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَرَاتِبَ أَهْلِ الإِيمَانِ. فَالَّتِي بَعْدَ الأُخْرَى هِيَ أَعْلَى مِنْهَا وَذَكَرَ الذِّكْرَ فِي آخِرِهَا، لَيْسَ مَرْتَبَةٌ فَوْقَهَا وَهِيَ المَرْتَبَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَهَذِهِ هِيَ[3] المَرْتَبَةُ[4] الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا فِي الصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ: أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى ذِكْرِهِ وَذِكْرِ رَبِّهِ.

قَوْلُهُ: " اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ مِفْتَاحاً " طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحاً لِمَا انْغَلَقَ مِنْ أَبْوَابِ الغُيُوبِ وَالمَعَارِفِ وَالأَنْوَارِ وَالأَسْرَارِ، لَمَّا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ المِفْتَاحُ فِي هَذَا المَيْدَانِ، كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدِيرَةً بِهَذَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ انْعَزَلَ عَنْهَا وَانْقَطَعَ مِنْ جَمِيعِ السَّالِكِينَ فَلَيْسَ لَهُ فِي القُرْبِ مِنَ اللَّهِ نَصِيبٌ، انْقَطَعَ عَنْهَا[5] وَطُرِدَ.

قَوْلُهُ: " وَافْتَحْ لَنَا بِهَا يَا رَبِّ حِجَابَ الإِقْبَالِ " طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هَا هُنَا أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ[6] لَهُ حِجَابَ الإِقْبَالِ بِسَبَبِ صَلَاتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفَتْحُ حِجَابِ الإِقْبَالِ هُوَ إِقْبَالُ العَبْدِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالدُّءُوبُ عَلَى خِدْمَتِهِ وَعِبَادَتِهِ دَائِماً

---

[1]- ح: وهذا

[2]- سورة الأحزاب، الآية 35

[3]- ل: (هي) ساقطة

[4]- ح: وهذه المرتبة هي

[5]- ع ك ي ل هـ ق ص: (عنها) ساقطة

[6]- ح ل: (الله) ساقطة

فِي العُمُومِ لِلْعُمُومِ، وَفِي الخُلُوصِ لِمَوَاطِنِ قُرْبِهِ وَمَحَلِّ اصْطِفَائِهِ وَاجْتِبَائِهِ، وَالغَرَقُ فِي بِحَارِ جَمْعِ الجَمْعِ خُصُوصاً لِلْخُصُوصِ. فَهَذَا هُوَ إِقْبَالُ العَبْدِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا إِقْبَالُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الَّذِي طَلَبَهُ المُصَلِّي فَهُوَ إِقْبَالُهُ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ عُمُوماً فِي الدَّارَيْنِ، وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهِ وَاصْطِفَائُهُ وَاجْتِبَائُهُ وَعِنَايَتُهُ بِإِغْرَاقِهِ لَهُ فِي بِحَارِ جَمْعِ الجَمْعِ خُصُوصاً. فَهَذَا هُوَ الإِقْبَالُ الَّذِي طَلَبَهُ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، **وَالحُجُبُ الَّتِي طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ فَتْحَهَا** هِيَ الأُمُورُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ حَائِلَةً بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَنْ شُهُودِ قُرْبِهِ وَمِنَنِهِ وَاصْطِفَائِهِ وَاجْتِبَائِهِ وَعَنْ وُصُولِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ إِلَيْهِ. فَإِذَا زَالَتْ تِلْكَ الحُجُبُ جَذَبَ الرَّبُّ عَبْدَهُ إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ بِجَوَاذِبِ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ عُمُوماً، وَجَوَاذِبِ اصْطِفَائِهِ وَاجْتِبَائِهِ وَعِنَايَتِهِ خُصُوصاً.

قَوْلُهُ: " وَتَقَبَّلْ مِنِّي بِبَرَكَاتِ حَبِيبِي وَحَبِيبِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، مَا أَنَا أُؤَدِّيهِ مِنَ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ وَالمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ لِذَاتِكَ، لِلَّهِ، لِلَّهِ، لِلَّهِ " طَلَبَ المُصَلِّي هَا[1] هُنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى[2] بِبَرَكَاتِ حَبِيبِهِ وَحَبِيبِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُ جَمِيعَ مَا يُؤَدِّيهِ مِنَ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ، وَالأَوْرَادُ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ العِبَادَاتِ، مِنْ كُلِّ مَا يُسْنَحُ[3] لَهُ فِي أَجْزَاءِ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ. وَالأَذْكَارُ مَعْلُومَةٌ بِدَايَةً وَنِهَايَةً، وَقَدْ سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: "وَالمَحَبَّةُ وَالتَّعْظِيمُ" اعْلَمْ أَنَّ **المَحَبَّةَ وَالتَّعْظِيمَ** هَا هُنَا هِيَ[4] **أَعْمَالُ القَلْبِ**، لَيْسَ لِلْبَدَنِ فِيهَا حَظٌّ، وَالذِّكْرُ بِدَايَتُهُ مِنْ أَعْمَالِ البَدَنِ وَنِهَايَتُهُ مِنْ أَعْمَالِ القَلْبِ. وَأَعْمَالُ القَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَمَلِ البَدَنِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَمِلَ البَدَنُ مُسْتَغْرِقاً فِي العِبَادَاتِ أَيَّاماً مُتَعَدِّدَةً

---

[1]- ح: (ها) ساقطة

[2]- ع ك ي ل: (تعالى) ساقطة

[3]- ح ي ل: يسبح

[4]- ع ك: (هي) ساقطة

مَا لَحِقَ لَحْظَةً وَاحِدَةً مِنْ أَعْمَالِ القَلْبِ، لِأَنَّ عَمَلَ القَلْبِ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ المَدَارُ، وَعَمَلُ البَدَنِ تَابِعٌ لَهُ، وَكُلُّ عَمَلٍ خَلَا مِنْ[1] عَمَلِ القَلْبِ فَهُوَ قَلِيلُ الجَدْوَى، ضَعِيفُ الفَائِدَةِ.

قَوْلُهُ: " لِذَاتِكَ، لِلَّهِ، لِلَّهِ، لِلَّهِ " طَلَبَ المُصَلِّي هَا هُنَا أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ لِلَّهِ مَحْضاً لَا لِحَظٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ. هَذَا هُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الأَعْمَالِ، لِمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا: (إِنَّ أَوَدَّ الأَوِدَّاءِ مَنْ عَبَدَنِي لِغَيْرِ نَوَالٍ، لَكِنْ لِيُعْطِيَ الرُّبُوبِيَةَ حَقَّهَا)، وَكَرَّرَ اسْمَ الجَلَالَةِ ثَلَاثاً لِلتَّأْكِيدِ وَالحَثِّ عَلَيْهَا بُلُوغاً إِلَى مَرْتَبَةِ الإِخْلَاصِ وَهُوَ العَمَلُ لِلَّهِ.

قَوْلُهُ: **"آهْ"** هِيَ كَلِمَةُ شِكَايَةٍ وَاسْتِغَاثَةٍ، وَالشِّكَايَةُ هِيَ شَكْوَى العَبْدِ مِنْ عَوَائِقِ بَشَرِيَّتِهِ الَّتِي حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَاطِنِ القُرْبِ، حَتَّى لَمْ يَسْتَطِعْ الوُصُولَ إِلَيْهَا مِنْ كَثْرَةِ العَوَائِقِ. وَأَمَّا الاسْتِغَاثَةُ فَهُوَ **اسْتِغَاثَتُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُفِيضَ عَلَيْهِ مِنْ فُيُوضِ عِنَايَتِهِ مَا يُخَلِّصُهُ مِنَ الأَسْرِ** فِي يَدِ[2] تِلْكَ العَوَائِقِ لِيَصِلَ إِلَى مَوَاطِنِ القُرْبِ الَّتِي كَانَتْ مَوْطِناً لِرُوحِهِ قَبْلَ تَرْكِيبِهَا فِي الجِسْمِ. قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ مُشِيراً إِلَى النَّفْسِ وَالهَوَى بِمَا ذُكِرَ مِنْ جَبَلَيْ نَعْمَانَ. وَنَعْمَانُ مَوْطِنٌ مَعْرُوفٌ فِي اليَمَنِ، لَمَّا ضَاقَ حَالُهُ مِمَّا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَاطِنِ[3] القُرْبِ مِنْ جَبَلَيْ النَّفْسِ وَالهَوَى مُسْتَغِيثاً مِنْهُمَا[4] قَالَ:

أَيَــا جَبَلَيْ نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِّيَا * نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ * عَلَى قَلْبِ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا
أَذُقْ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً * عَلَى كَبِدِي لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

---

[1]- ك ي: عن
[2]- ح ك ي ل: في أيدي
[3]- ح: (مواطن) ساقطة
[4]- ح ك ي هـ ق ص: منها

فَهَذَا هُوَ التَّشَكِّي وَالاسْتِغَاثَةُ.

قَوْلُهُ: "آمِينْ" مَعْنَاهُ: أَجِبْ يَا رَبِّ، وَهِيَ[1] كَالطَّابَعِ عَلَى الدُّعَاءِ تُوذِنُ بِالإِجَابَةِ فِيهِ.

قَوْلُهُ: " هُوَ، هُوَ، هُوَ، آمِينْ " ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ الاسْتِغَاثَةِ إِلَى بَيَانِ المَطْلُوبِ الَّذِي يَطْلُبُهُ. قَالَ: هُوَ الخ ..، يَعْنِي أُرِيدُ مِنْكَ الوُصُولَ إِلَى مَحَلِّ التَّوَلُّهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى حُبّاً وَإِجْلَالاً، وَهُوَ قَبْلَ الغَرَقِ فِي بِحَارِ جَمْعِ الجَمْعِ. وَالتَّوَلُّهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الاسْتِهْلَاكُ فِي حُبِّهِ، فَلَمْ[2] يَعْلَمْ قُرْبَهُ مِنْ بُعْدِهِ وَلَا يَوْمَهُ مِنْ أَمْسِهِ، وَلَا يَعْلَمُ كَمّاً وَلَا كَيْفاً، وَلَا رَسْماً لِغَلَبَةِ الهُوِيَّةِ السَّارِيَةِ فِي جَمِيعِ الوُجُودِ عَلَيْهِ، فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْطِقَ بِاسْمِهِ هَيْبَةً وَإِجْلَالاً.

قَالَ بَعْضُ الرِّجَالِ: لَقِيتُ بَعْضَ المُوَلَّهِينَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ: هُوَ. فَقُلْتُ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: هُوَ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: هُوَ. فَكُلَّمَا سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَ: هُوَ. فَقُلْتُ لَهُ: لَعَلَّكَ تُرِيدُ اللَّهَ. فَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ وَاضْطَرَبَ كَالمَذْبُوحِ وَمَاتَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. قَالَ بَعْضُ الأَكَابِرِ فِي هَذَا المَيْدَانِ:

أَشْتَاقُهُ فَإِذَا بَدَا * أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خِيفَةً بَلْ هَيْبَةً * وَصِيَانَةً لِجَمَالِهِ
وَأَصُدُّ عَنْهُ تَجَلُّداً * وَأَرُومُ طَيْفَ خَيَالِهِ
فَالمَوْتُ فِي إِدْبَارِهِ * وَالعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ المَحَبَّةِ وَالحُبِّ. فَقَالَ: المَحَبَّةُ هُوَ تَشْوِيشٌ يَقَعُ فِي القَلْبِ فَتَصِيرُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا كَحَلَقَةِ خَاتَمٍ أَوْ مَجْمَعِ مَأْتَمٍ. وَأَمَّا الحُبُّ فَهُوَ العَمَى عَنِ المَحْبُوبِ هَيْبَةً لَهُ وَالعَمَى عَنْ غَيْرِ المَحْبُوبِ غَيْرَةً عَلَيْهِ، فَهُوَ عَمًى كُلُّهُ، فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَفُوهَ بِاسْمِهِ وَلَا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ لُبَّهُ. إهـ.

---

[1]- ك: وهو

[2]- ح ي ل: فلا

قَوْلُهُ: "آمِينْ" مَعْنَاهُ بَلِّغْنِي إِلَى هَذَا المَقَامِ. آمِينْ.

قَوْلُهُ: **" وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ آمِينْ "** خَتَمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ. وصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ "آمِينْ". مَعْنَاهُ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى وَكَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الصَّلَاةِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ بِتَارِيخِ عَشِيَّةِ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ الآخِرِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ 1213، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

* وَشَرْحُ الصَّلَاةِ الثَّانِيَةِ *

وَنَصُّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[1] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَقَ مِنْ كُنْهِ الغَيْبِ رَتْقَ الكَائِنَاتِ، وَجَعَلَ أَصْلَهَا وَنَشْأَتَهَا نُورَ حَقِيقَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَكَانَ أَصْلَ المَوْجُودَاتِ، فَأَوْجَدَ مِنْهَا بِقُدْرَتِهِ القَدِمِيَّةِ، وَكَلِمَتِهِ الأَزَلِيَّةِ، فِطْرَةَ آدَمَ، وَجَعَلَ شَكْلَهُ صُورَةَ العَالَمِ، وَعَلَّمَهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَجَعَلَهُ مِنْ جَمِيعِ البَرِيَّةِ خُلَاصَتَهَا وَصَفْوَتَهَا، وَأَخْرَجَ مِنْ عُنْصُرِهِ الأَرْوَاحَ، وَالذُّرِّيَّةَ وَالأَشْبَاحَ،

وَاخْتَارَ مِنْهَا صَفْوَةَ الأَنْبِيَاءِ. وَالرُّسُلِ وَالأَوْلِيَاءِ. بِالرِّسَالَةِ وَالوِلَايَةِ، وَالحِمَايَةِ وَالعِنَايَةِ، وَخَاطَبَهُمْ بِخِطَابِهِ الأَزَلِيِّ الأَبَدِيِّ، وَكَلَّمَهُمْ بِكَلَامِهِ الإِحَاطِيِّ السَّرْمَدِيِّ، لِيَدْعُوَ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى خِدْمَتِهِ، وَشَوَّقَهُمْ فِيهِ إِلَى قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي الأَزَلِ رُوحَ المُصْطَفَى، وَأَكْرَمَهُ بِالمَقَامِ المَحْمُودِ وَالدَّرَجَاتِ العُلَى وَكَمَالِ الاصْطِفَا، وَخَاطَبَهُ بِأَشْرَفِ كَلَامِهِ، وَأَكْرَمِ فُرْقَانِهِ الَّذِي هُوَ مَكْنُونُ أَسْرَارِ ذَاتِهِ، وَأَلْوَانُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ،

---

[1]- ك ي: وعلى آله

وَعَجَائِبُ عُلُومِهِ الغَيْبِيَّةِ، وَغَرَائِبُ آيَاتِهِ الأَزَلِيَّةِ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ البَرِيَّةِ، لِيَهْدِيَهُمْ بِهِ إِلَى الحَقِّ وَالحَقِيقَةِ الحَقِّيَّةِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الأَحَدُ بِذَاتِهِ، الوَاحِدُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، المُتَجَلِّي بِهُوِيَّةِ حَقِيقَتِهِ الحَقِّيَّةِ، فِي مَجَالَيْ ذَوَاتِ البَرِيَّةِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَلَّاهُ بِأَوْصَافِهِ، وَعَمَّهُ بِأَلْطَافِهِ، وَكَشَفَ لَهُ عَنْ أَسْتَارِهِ، وَأَعْلَمَهُ بِأَسْرَارِهِ، وَظَهَرَ عَلَى قَلْبِهِ بِالكَمَالِ، وَعَلَى جَوَارِحِهِ[1] بِصِفَاتِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الكُمَّلِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَيِّدَنَا وَوَسِيلَتَنَا إِلَى اللَّهِ عُنْصُرَ العِرْفَانِ وَأُعْجُوبَةَ الزَّمَانِ، وَحِيدَ دَهْرِهِ، وَإِمَامَ وَقْتِهِ، مَنْ انْتَفَعَ بِهِ البَعِيدُ وَالدَّانِي، شَيْخُنَا أَبُو العَبَّاسِ التِّجَانِي، سَقَانَا اللَّهُ مِنْ بَحْرِهِ بِأَعْظَمِ الأَوَانِي، وَجَعَلَنَا فِي جِوَارِهِ بِدَارِ التَّهَانِي. وَضَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَقْيِيداً مُفِيداً عَلَى الصَّلَاةِ المُسَمَّاةِ "بِجَوْهَرَةِ الكَمَالِ. فِي مَدْحِ سَيِّدِ الرِّجَالِ". فَأَبْدَعَ فِيهِ وَأَجَادَ، وَبَلَغَ فِيهِ غَايَةَ المُرَادِ، وَأَفْصَحَ عَنِ الحَقَائِقِ وَأَفَادَ[2]. وَسَمَّيْتُهُ "بِالفُيُوضَاتِ الرَّحْمَانِيَةِ. فِي شَرْحِ عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ".

مُقَدِّمَةٌ: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ المُسَمَّاةَ "**بِجَوْهَرَةِ الكَمَالِ. فِي مَدْحِ سَيِّدِ الرِّجَالِ**" هِيَ مِنْ إِمْلَاءِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْخِنَا القُطْبِ الرَّبَّانِي مَوْلَانَا أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي. وَذَكَرَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خَوَاصَّ مِنْهَا أَنَّ المَرَّةَ الوَاحِدَةَ مِنْهَا**[3] تَعْدِلُ تَسْبِيحَ العَالَمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. **وَمِنْهَا** أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا سَبْعاً فَأَكْثَرَ يَحْضُرُهُ رُوحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ مَا دَامَ يَذْكُرُهَا، **وَمِنْهَا** أَنَّ مَنْ لَازَمَهَا

---

[1]- ع: جواره

[2]- ح ي: وأجاد

[3]- ع ك ي ل: (منها) ساقطة

أَزْيَدَ مِنْ سَبْعِ مَرَّاتٍ يُحِبُّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَبَّةً خَاصَّةً وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ دَاوَمَ عَلَيْهَا سَبْعاً عِنْدَ النَّوْمِ عَلَى طَهَارَةٍ كَامِلَةٍ وَفِرَاشٍ طَاهِرٍ يَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي مَعَانِيهَا. قَالَ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ". **اعْلَمْ** أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اقْتَطَعَ قِطْعَةً مِنَ النُّورِ الإِلَهِي فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالتَّجَوْهُرِ، ثُمَّ أَبْطَنَ فِي تِلْكَ القِطْعَةِ مَا شَاءَ أَنْ يُقَسِّمَهُ لِخَلْقِهِ مِنَ العِلْمِ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَكَمَالَاتِ أُلُوهِيَتِهِ وَبِأَحْوَالِ الكَوْنِ وَأَسْرَارِهِ وَمَنَافِعِهِ وَمَضَارِّهِ، وَبِالأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ أَمْراً وَنَهْياً، وَجَعَلَ تِلْكَ القِطْعَةَ مِنَ النُّورِ مَقَرّاً لِانْصِبَابِ كُلِّ مَا قَسَّمَهُ لِخَلْقِهِ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ.

ثُمَّ صَارَ يُفِيضُ عَلَى خَلْقِهِ مَا أَقَرَّهُ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنَ العِلْمِ وَالرَّحْمَةِ، فَكَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ هُوَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَتِلْكَ الرَّحْمَةُ المُفَاضَةُ فِي ذَاتِهِ هِيَ الَّتِي يُفِيضُهَا عَلَى الوُجُودِ مِنْ ذَاتِهِ الكَرِيمَةِ، فَلَا يَصِلُ شَيْءٌ مِنَ الرَّحْمَةِ إِلَى الوُجُودِ إِلَّا مِنْ ذَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَذَاتُهُ الكَرِيمَةُ بِمَنْزِلَةِ المَقَرِّ لِلْمِيَاهِ الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهِ وَتَتَفَرَّقُ مِنْ ذَلِكَ المَقَرِّ سَوَاقِي لِلسَّقْيِ وَالانْتِفَاعِ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ مُعْطِي). أَيْ يَنْظُرُ إِلَى مَا سَبَقَ فِي العِلْمِ الأَزَلِيِّ مِنَ الاقْتِطَاعِ، ثُمَّ يُفَرِّقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الرَّحْمَةَ عَلَى حَسَبِ تِلْكَ[2] الاقْتِطَاعِ، فَلِهَذَا سُمِّيَ عَيْنَ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- ك ي ل: فقال

[2]- ح ل: ذلك

وَسَلَّمَ. وَأَيْضاً نِسْبَةٌ أُخْرَى فِي عَيْنِ الرَّحْمَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ الأُنْمُوذَجُ[1] الجَامِعُ فِي إِفَاضَةِ الوُجُودِ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ. فَإِنَّهُ لَوْلَا وُجُودُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ وُجُودٌ لِمَوْجُودٍ أَصْلاً مِنْ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ وُجُودَ كُلِّ مَوْجُودٍ مِنْ ذَوَاتِ الوُجُودِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى سَبْقِيَّةِ وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ الوُجُودِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خُلِقَ شَيْءٌ مِنَ الأَكْوَانِ، وَلَا رُحِمَ شَيْءٌ مِنْهَا، لَا بِالوُجُودِ وَلَا بِإِفَاضَةِ الرَّحْمَةِ.

وَلَا يُقَالُ إِنَّ هَذَا تَعْجِيزٌ لِلحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً إِلَّا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ هَذَا الوَهْمُ هُوَ المُرَادُ فِي هَذَا الكَلَامِ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ[2] مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، بَلْ تَحْقِيقُ مَا قُلْنَاهُ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَوْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ أَنْ لَا يَخْلُقَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ أَنْ لَا يَخْلُقَ شَيْئاً مِنَ المَخْلُوقَاتِ.

فَمِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ، إِنَّ وُجُودَ كُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الأَكْوَانِ يَتَوَقَّفُ عَلَى سَبْقِيَّةِ وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ الوُجُودِ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّيَّةُ مُرَادِ الحَقِّ وَغَايَتُهُ مِنَ الوُجُودِ. فَإِنَّهُ مَا خَلَقَ الكَوْنَ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَفَاضَ الرَّحْمَةَ عَلَى الوُجُودِ إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَوُجُودُ الأَكْوَانِ كُلِّهَا مَنَاطٌ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوداً وَإِفَاضَةً[3]، فَإِنَّهُ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ[4] إِلَّا مِنْ أَجْلِ ذَاتِهِ العَلِيَّةِ المُعَظَّمَةِ المُقَدَّسَةِ، فَإِنَّهُ مَا خَلَقَهُ مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ دُونَ الحَقِّ حَتَّى يَكُونَ

---

[1]- يقول المؤلف سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه في هامش نسخته ح: الأُنْمُوذَجُ مِثَالُ كُلِّ شَيْءٍ

[2]- ح ع: (بعض) ساقطة

[3]- ح: (فَوُجُودُ الأَكْوَانِ كُلِّهَا مَنَاطٌ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوداً وَإِفَاضَةً) ساقطة

[4]- ع ك ي: (الله) ساقطة

عِلَّةً لَهُ، وَيَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى وُجُودِهِ بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَقِّ، فَإِنَّهُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَقِّ لِكَوْنِهِ مُرَادَ الحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالأَكْوَانُ كُلُّهَا مُرَادَةٌ لِأَجْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّلَةٌ بِوُجُودِهِ.

فَإِفَاضَةُ الوُجُودِ عَلَى جَمِيعِ وُجُودِ الأَكْوَانِ مُفَاضَةٌ مِنْ ذَاتِهِ الكَرِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِفَاضَةُ الرَّحْمَةِ عَلَى جَمِيعِهَا مُفَاضٌ[1] مِنْ ذَاتِهِ الكَرِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَبَانَ لَكَ أَنَّ **الفَيْضَ مِنْ ذَاتِهِ يَنْقَسِمُ إِلَى رَحْمَتَيْنِ: الرَّحْمَةُ الأُولَى** إِفَاضَةُ الوُجُودِ عَلَى جَمِيعِ الأَكْوَانِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ. **وَالرَّحْمَةُ الثَّانِيَةُ** إِفَاضَةُ فَيْضِ الرَّحَمَاتِ الإِلَهِيَةِ عَلَى جَمِيعِهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَرْزَاقِ وَالمَنَافِعِ وَالمَوَاهِبِ وَالمِنَحِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَدُومُ تَمَتُّعُهَا بِالوُجُودِ.

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا، عَلِمْتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ، لِأَنَّهُ رُحِمَ جَمِيعُ الوُجُودِ بِوُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ فَيْضِ وُجُودِهِ أَيْضاً رُحِمَ جَمِيعُ الوُجُودِ، فَلِذَا قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ عَيْنُ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَلَى هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الوُجُودِ كُلَّهُ نَشَأَ عَنِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ[2]، وَهُوَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**)[3]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[4]. لِأَنَّ أَصْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةٌ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ شُمُولِ الرَّحْمَةِ عَدَمُ وُقُوعِ العَذَابِ وَالوَعِيدِ وَالغَضَبِ[5] لِأَنَّ تِلْكَ مُقْتَضَيَاتُ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةِ.

---

[1]- ح ل: مفاضة

[2]- ح: (وَعَلَى هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الوُجُودِ كُلَّهُ نَشَأَ عَنِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ) ساقطة - ي: عن الرحمة الربانية

[3]- سورة الأعراف، الآية 156

[4]- سورة الأنبياء، الآية 107

[5]- ح: والغضب والوعيد

فَإِنَّ الكَرِيمَ وَإِنْ عَظُمَ كَرَمُهُ لَوْلَا بَطْشُهُ وَغَضَبُهُ وَعَذَابُهُ مَا خِيفَ جَانِبُهُ، وَلَوْ أُمِنَ مِنْهُ هَذَا الحَالُ احْتُقِرَ جَانِبُهُ وَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَةَ الكَرَمِ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ هَذَا. فَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ صِفَةَ الكَرَمِ الغَضَبُ وَالبَطْشُ وَالعَذَابُ لِيَكُونَ جَانِبُهُ مُعَظَّماً مُخَافاً مُهَاباً كَمَا كَانَ جَانِبُهُ مَرْجُوّاً لِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. إهـ[1]

قَوْلُهُ: "الرَّبَّانِيَةِ". يَعْنِي أَنَّهُ أُضِيفَتْ الرَّحْمَةُ لِلْحَضْرَةِ الرَّبَّانِيَةِ لِأَنَّهَا مِنْهَا نَشَأَتِ المَوْجُودَاتُ، فَلِذَا أُضِيفَتْ الرَّحْمَةُ إِلَيْهَا. وَأَمَّا حَضْرَةُ الأُلُوهِيَةِ، فَإِنَّهَا أَصْلُ عِبَادَةِ[2] المَوْجُودَاتِ، فَالإِلَهُ هُوَ المَعْبُودُ بِالحَقِّ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ بِالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالعِبَادَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَحَضْرَةُ الأُلُوهِيَةِ الشَّامِلَةُ[3] لِجَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالحَضَرَاتِ الإِلَهِيَةِ وَالرَّبُّ هُوَ العَلِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ المَالِكُ وَالمُتَصَرِّفُ وَالخَالِقُ وَالقَاهِرُ وَالنَّافِذُ حُكْمُهُ وَمَشِيئَتُهُ وَكَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا سِوَاهُ.

قَوْلُهُ: "وَاليَاقُوتَةِ المُتَحَقِّقَةِ". هُوَ مِنَ التَّشْبِيهِ البَلِيغِ وَشُبِّهَ بِاليَاقُوتَةِ لِكَوْنِهَا غَايَةَ مَا يُدْرِكُ النَّاسُ فِي الصَّفَاءِ وَالشَّرَفِ وَالعُلُوِّ، إِذْ هُوَ غَايَةُ الجَوَاهِرِ الصَّافِيَةِ العَالِيَةِ الشَّرِيفَةِ. فَلِذَا اسْتُعِيرَ لَهُ اسْمُ اليَاقُوتَةِ وَإِنْ كَانَ هُوَ أَشْرَفَ مِنَ اليَاقُوتِ وَأَصْفَى وَأَعْلَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[4]. الآيَةُ.

قَوْلُهُ: "المُتَحَقِّقَةِ": يَعْنِي بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا وُجُودُ الكَوْنِ، وَبَقِيَ وَرَاءَهَا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَا لَا تَوَقُّفَ لِوُجُودِ الكَوْنِ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: "الحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الفُهُومِ وَالمَعَانِي" يَعْنِي الفُهُومَ الَّتِي قَسَّمَهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِخَلْقِهِ فِي إِدْرَاكِ مَعَانِي كَلَامِهِ فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ وَفِي إِدْرَاكِ مَعَانِي الأَحْكَامِ

---

[1] - ح ي ل هـ ق ص: (إهـ) ساقطة

[2] - ح: عبادات

[3] - ك ي: هي الشاملة

[4] - سورة النور، الآية 35

الإِلَهِيَةِ وَفِي إِدْرَاكِ مَعَانِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَعَارِفِهِ إِذَا جُمِعَتْ تِلْكَ الفُهُومُ المَقْسُومَةُ كُلُّهَا جَمْعاً وَاحِداً وَصَارَتْ مَرْكَزاً كَانَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِرَةً مُحِيطَةً بِهَا بِمَعْنَى أَنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهَا مَا شَذَّ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "وَنُورِ الأَكْوَانِ المُتَكَوِّنَةِ الآدَمِيِّ". مَعْنَاهُ الأَكْوَانُ الَّتِي تَتَكَوَّنُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ وَيُقَابِلُهَا مَا بَقِيَ فِي طَيِّ العَدَمِ فَإِنَّ **الأَشْيَاءَ المُقَدَّرَةَ فِي العِلْمِ الأَزَلِيِّ مُنْقَسِمَةٌ قِسْمَيْنِ:** **قِسْمٌ** مِنْهَا أَعْيَانٌ ثَابِتَةٌ وَهِيَ الَّتِي سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، **وَقِسْمٌ** مِنْهَا أَعْيَانٌ عَدَمِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ إِلَى الوُجُودِ، وَتَبْقَى فِي طَيِّ العَدَمِ، فَإِنَّهُ عَلِمَهَا أَنْ لَوْ خَرَجَتْ إِلَى الوُجُودِ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ تَكُونُ وَبِأَيِّ أَمْرٍ تَتَكَوَّنُ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ تَقَعُ وَمَاذَا يَنْصَبُّ عَلَيْهَا مِنَ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ ضَرّاً وَنَفْعاً فَإِنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهَا عِلْماً وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورُهَا.

قَوْلُهُ: "صَاحِبِ الحَقِّ الرَّبَّانِي". الحَقُّ الرَّبَّانِي هُوَ مَا قَرَّرَهُ رَبُّنَا[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَرْعِهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ أَمْراً وَنَهْياً وَكَيْفِيَّةً وَابْتِدَاءً وَغَايَةً. فَهُوَ صَاحِبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُقَرِّرُ لَهُ وَالنَّاهِي عَنْهُ وَالمُنَفِّذُ لَهُ.

قَوْلُهُ: "البَرْقِ الأَسْطَعِ بِمُزُونِ الأَرْبَاحِ"، يَعْنِي لَمَّا كَانَ البَرْقُ مُلَازِماً لِمُزْنِ الأَمْطَارِ اسْتُعِيرَ هُنَا لِانْصِبَابِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ عَلَى الخَلْقِ وَاسْتُعِيرَ أَيْضاً اسْمُ البَرْقِ لِلْحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ لِمُلَازَمَتِهَا لَهَا كَمُلَازَمَةِ البَرْقِ لِلْأَمْطَارِ، وَمُزْنُ الأَرْبَاحِ هِيَ الرَّحْمَةُ الفَائِضَةُ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ عَلَى خَلْقِهِ وَيُعْنَى بِهَا هَا هُنَا فُيُوضُ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالأَنْوَارِ وَدَقَائِقِ الحِكَمِ وَمَا لَا يُنْتَهَى إِلَى سَاحِلِهِ وَغَايَتِهِ مِنَ المِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَصَفَاءِ الأَحْوَالِ وَالصِّفَاتِ القُدْسِيَّةِ المَخْزُونَةِ المُنْصَبَّةِ عَلَى قُلُوبِ العَارِفِينَ وَالأَقْطَابِ.

---

[1]- ع ك ي: (ربنا) ساقطة

قَوْلُهُ: "المَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ البُحُورِ وَالأَوَانِي". مَعْنَى التَّعَرُّضِ هَا هُنَا هُوَ تَارَةً بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّهَيُّئِ وَالاسْتِعْدَادِ، وَتَارَةً بِالاِقْتِطَاعِ الإِلَهِي. وَالبُحُورُ هَا هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ قُلُوبِ أَكَابِرِ العَارِفِينَ. وَالأَوَانِي هِيَ[1] قُلُوبُ الأَوْلِيَاءِ.

قَوْلُهُ: "وَنُورِكَ اللَّامِعِ الَّذِي مَلَأْتَ بِهِ كَوْنَكَ الحَائِطَ بِأَمْكِنَةِ المَكَانِي". يَعْنِي أَنَّ الكَوْنَ الحَائِطَ هُوَ الأَمْرُ الإِلَهِي الَّذِي أَقَامَ اللَّهُ فِيهِ ظَوَاهِرَ الوُجُودِ، فَذَلِكَ الأَمْرُ مَمْلُوءٌ بِنُورِهِ[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالكَوْنِ وَالمَكَانِ.

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الحَقِّ". اعْلَمْ أَنَّ **عَيْنَ الحَقِّ لَهُ إِطْلَاقَانِ: الأَوَّلُ** إِطْلَاقُ الحَقِّ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ وَالثَّانِي إِطْلَاقُ صِفَةِ الذَّاتِ. فَإِطْلَاقُ الحَقِّ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ لِأَنَّ الحَقَّ يُقَابِلُهُ البَاطِلُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَالحَقُّ المَحْضُ هُوَ الذَّاتُ العَلِيَّةُ المُقَدَّسَةُ، وَمَا عَدَاهَا كُلُّهُ بَاطِلٌ، وَإِلَى هَذَا، الإِشَارَةُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ لَبِيدٍ، الَّذِي شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصِّدْقِ وَالتَّحْقِيقِ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ.

وَهَذَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هَذَا الإِطْلَاقُ عَيْنُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهَا أَصْلاً. **وَالإِطْلَاقُ الثَّانِي**[3] هُوَ العَدْلُ الَّذِي هُوَ صِفَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القَائِمُ بِصُورَةِ العِلْمِ الأَزَلِيِّ وَالمَشِيئَةِ الإِلَهِيَةِ وَالقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَةِ وَالحُكْمِ الإِلَهِي الأَزَلِيِّ النَّافِذِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَهَذَا العَدْلُ المَذْكُورُ هُوَ السَّارِي فِي آثَارِ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ، وَمَجْمُوعُ هَذَا العَدْلِ كُلّاً وَبَعْضاً هُوَ مَجْمُوعٌ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَلِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا عَيْنُ الحَقِّ مِنْ هَذَا الاعْتِبَارِ. فَكُلُّهَا حَقٌّ[4] لَا تَنْحَرِفُ عَنْ مِيزَانِ العَدْلِ الإِلَهِي الَّذِي هُوَ عَيْنُ الحَقِّ فِي الإِطْلَاقِ الثَّانِي.

---

[1]- ع: على

[2]- ع ك ي ل: به

[3]- ع: والثاني

[4]- ع: (فكلها حق) ساقطة

قَوْلُهُ: "الَّتِي تَتَجَلَّى مِنْهَا عُرُوشُ الحَقَائِقِ". التَّجَلِّي هُوَ الظُّهُورُ، وَعُرُوشُ الحَقَائِقِ[1] اسْتِعَارَةٌ بَدِيعِيَّةٌ. **اعْلَمْ** أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُنْطَوِيَةً عَلَى مَا لَا غَايَةَ لَهُ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالمَوَاهِبِ وَالفُيُوضِ، أُطْلِقَ عَلَيْهَا عُرُوشٌ مِنْ هَذَا المَيْدَانِ لِأَنَّ العَرْشَ مُحِيطٌ بِمَا فِي جَوْفِهِ مِنْ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، وَأَيْضاً إِنَّ العَرْشَ هُوَ غَايَةُ الرِّفْعَةِ وَالعُلُوِّ وَالشَّرَفِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ فِي عِلْمِ الخَلْقِ. وَكَانَتِ الحَقَائِقُ فِي غَايَةِ العُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَالشَّرَفِ لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ الَّذِي لَا غَايَةَ لِعُلُوِّهِ وَشَرَفِهِ، وَلَا عُلُوَّ وَرَاءَهُ، فَهُوَ غَايَةُ الغَايَاتِ فِي العُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَالشَّرَفِ، وَكَانَتْ الحَقَائِقُ البَارِزَةُ مِنْ حَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكْسُوَّةً بِهَذِهِ الصِّفَةِ العَلِيَّةِ مِنَ العُلُوِّ وَالشَّرَفِ وَالجَلَالِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا إِسْمُ العَرْشِ مِنْ هَذَا البَابِ، فَكُلُّ حَقِيقَةٍ هِيَ عَرْشٌ.

قَوْلُهُ: "عَيْنِ المَعَارِفِ". يَعْنِي أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ المَعَارِفُ الإِلَهِيَّةُ المُفَاضَةُ عَلَى الخَاصَّةِ العُلْيَا مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالأَقْطَابِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالأَوْلِيَاءِ كُلُّهَا فَائِضَةً مِنَ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا، أَعْنِي مِنَ المَعَارِفِ يُفَاضُ مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ خَارِجاً عَنِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَلَا شَيْءَ مُفَاضٌ مِنَ المَعَارِفِ إِلَّا وَهُوَ بَارِزٌ مِنَ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ. فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِزَانَتُهَا وَيَنْبُوعُهَا، فَلِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ عَيْنُ المَعَارِفِ مِنْ هَذَا الاعْتِبَارِ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "الأَقْوَمِ". يَعْنِي أَنَّهُ جَارٍ فِي مَجَارِي العَدْلِ الإِلَهِي لَا يَعْوَجُّ بِوَجْهٍ وَلَا يَخْرُجُ عَنِ الجَادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ فِي العَدْلِ، وَلَهُ مَعْنَيَانِ أَيْضاً. **المَعْنَى الأَوَّلُ** الاسْتِقَامَةُ وَهُوَ المُعْتَدِلُ فِي التَّقْوِيمِ بِلَا اعْوِجَاجٍ، وَهُوَ مَعْنَى الأَسْقَمِ. **وَالمَعْنَى الثَّانِي** هُوَ صِفَةُ التَّفْضِيلِ مِنْ كَمَالِ إِقَامَتِهِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيَتِهِ بِالقِيَامِ بِحُقُوقِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا المَعْنَى المَلْحُوظُ فِي تَسْمِيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْمَدَ. فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1]- ع: (التجلي هو الظهور، وعروش الحقائق) ساقطة

[2]- ح ي ل هـ ق ص: (إهـ) ساقطة

أَكْمَلُ الخَلْقِ قِيَاماً[1] بِآدَابِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ عِلْماً وَعَملاً وَحَالاً وَذَوْقاً وَمُنَازَلَةً وَتَخَلُّقاً وَتَحَقُّقاً وَتَعَلُّقاً، فَهُوَ أَكْمَلُ مَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "صِرَاطِكَ التَّامِّ". أُسْتُعِيرَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِسْمُ الصِّرَاطِ لِكَوْنِهِ صِرَاطاً بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ لَا عُبُورَ لِأَحَدٍ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ إِلَّا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْهُ انْقَطَعَ عَنْ حَضْرَةِ الحَقِّ وَانْفَصَلَ. فَهُوَ مُشَبَّهٌ بِالصِّرَاطِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ عُبُورُ النَّاسِ فِي المَحْشَرِ إِلَى الجَنَّةِ لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ فِي الوُصُولِ إِلَى الجَنَّةِ مِنْ أَرْضِ القِيَامَةِ إِلَّا عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ العُبُورُ.

فَمَنْ رَامَ الوُصُولَ إِلَى الجَنَّةِ مِنْ أَرْضِ القِيَامَةِ عَلَى غَيْرِ الصِّرَاطِ المَعْلُومِ لِلْعُبُورِ انْقَطَعَ عَنِ الجَنَّةِ وَانْفَصَلَ، وَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي الوُصُولِ إِلَيْهَا. كَذَلِكَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ بَيْنَ يَدَيْ الحَقِّ لَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي الوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ الحَقِّ إِلَّا بِالعُبُورِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ رَامَهَا بِغَيْرِ العُبُورِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْقَطَعَ وَانْفَصَلَ وَطُرِدَ وَلُعِنَ. وَلِهَذَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاتِهِ: "إِذْ هُوَ بَابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْصِدْكَ مِنْهُ سُدَّتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ وَالأَبْوَابُ وَيُرَدُّ بَعْدَ الأَدَبِ إِلَى إِصْطَبْلِ الدَّوَابِ".

قَوْلُهُ: "الأَسْقَمِ". بِمَعْنَى الكَامِلِ فِي الاسْتِقَامَةِ بِلَا اعْوِجَاجٍ.

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الحَقِّ بِالحَقِّ". **اعْلَمْ** أَنَّ **طَلْعَةَ الحَقِّ بِالحَقِّ لَهُ مَعْنَيَانِ، الأَوَّلُ** فِيهِ طَلْعَةُ الحَقِّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الذَّاتِ العَلِيَّةِ المُقَدَّسَةِ بِالحَقِّ، وَهِيَ الذَّاتُ أَيْضاً. فَإِنَّ الذَّاتَ العَلِيَّةَ تَجَلَّتْ لَهُ بِذَاتِهَا لَا شَيْءَ دُونَهَا، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ تَجَلَّتِ الذَّاتُ بِالذَّاتِ، وَطُلُوعُهَا عَنْهَا لَا عَنْ شَيْءٍ دُونَهَا، فَإِنَّ

---

[1]- ك ي ل هـ ق ص: (قياما) ساقطة

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

السَّبَبَ الَّذِي طَلَعَتْ بِهِ هُوَ الذَّاتُ العَلِيَّةُ لِلْحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ. وَتَجَلِّيهَا لَهَا كَانَ عَنِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ المُقَدَّسَةِ المُنَزَّهَةِ لَا عَنْ غَيْرِهَا. فَهَذَا مَعْنَى طَلْعَةِ الحَقِّ بِالحَقِّ.

وَالمَعْنَى الثَّانِي طَلْعَةُ الحَقِّ، وَهِيَ طَوَالِعُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَةِ الَّتِي مَجْمُوعُهَا هُوَ عَيْنُ الحَقِّ الكُلِّي بِجَمِيعِ مَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنَ الأَحْكَامِ الإِلَهِيَةِ وَالمَقَادِيرِ الرَّبَّانِيَةِ وَاللَّوَازِمِ وَالمُقْتَضَيَاتِ المُلَازِمَةِ لِتِلْكَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، فَمَجْمُوعُهَا هُوَ عَيْنُ الحَقِّ الكُلِّي.

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مَطْلَعاً لَهَا جَامِعاً لِحَقَائِقِهَا وَأَحْكَامِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا، فَكَانَ طُلُوعُهَا فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ عَنْ مَادَّةِ أَسْرَارِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ الإِلَهِيَةِ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالبَاءِ، فَكَانَ طُلُوعُهَا فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبَبِ أَسْرَارِهَا وَأَنْوَارِهَا، فَكُلُّهَا حَقٌّ، فَهُوَ مَعْنَى طَلْعَةِ الحَقِّ بِالحَقِّ. وَلَمَّا تَمَّ قِيَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا المَيْدَانِ بِحُقُوقِ[1] التَّجَلِّيَيْنِ المَذْكُورَيْنِ وَتَوْفِيَتُهُ بِوَظَائِفِ خِدْمَتِهَا وَآدَابِهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَتَكْمِيلُهُ لِمُقَابَلَتِهَا بِعُبُودِيَتِهِ الكَامِلَةِ عُبِّرَ عَنْ هَذَا الإِطْلَاقِ فِي "الصَّلَاةِ البَكْرِيَّةِ" بِقَوْلِهِ: "عَبْدُكَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ كَمَا هُوَ عَبْدُكَ مِنْ حَيْثُ كَافَّةُ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ". إهـ[2]

قَوْلُهُ: "الكَنْزِ الأَعْظَمِ". يَعْنِي الَّذِي هُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ[3] الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالفُتُوحَاتِ وَالفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَةِ وَالصِّفَاتِيَةِ وَالأَسْمَائِيَةِ وَالفِعْلِيَّةِ وَالصُّورِيَةِ. فَلَمَّا كَمُلَتْ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الجَمْعِيَّةُ كَانَ هُوَ الكَنْزَ الأَعْظَمَ، إِذْ بِسَبَبِ ذَلِكَ تُسْتَفَادُ مِنْهُ جَمِيعُ المَطَالِبِ وَالمِنَحِ وَالفُيُوضِ الدِّينِيَةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالأَنْوَارِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ وَالمُشَاهَدَاتِ وَالتَّوْحِيدِ وَاليَقِينِ وَالإِيمَانِ وَآدَابِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، إِذْ هُوَ المُفِيضُ لِجَمِيعِهَا عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ جُمْلَةً

---

[1]- ك : بحق

[2]- ح ي ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ع: بجميع

وَتَفْصِيلاً، فَرْداً فَرْداً مِنْ غَيْرِ شُذُوذٍ، إِذْ مِنْ فَائِدَةِ الكَنْزِ تَحْصِيلُ المَطَالِبِ وَالمَنَافِعِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ". **اعْلَمْ** أَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ الحَقِّ بِإِيجَادِ خَلْقِهِ، بَرَزَتِ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَجَلَّى بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ مِنْ سَمَاءِ الأَوْصَافِ، وَسَأَلَ ذَاتَهُ بِذَاتِهِ مَوَارِدَ الأَلْطَافِ، فَتَلَقَّى ذَلِكَ السُّؤَالَ مِنْهُ بِالقَبُولِ وَالإِسْعَافِ، فَأَوْجَدَ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ مِنْ حَضْرَةِ عِلْمِهِ، فَكَانَتْ عُيُوناً وَأَنْهَاراً، ثُمَّ سَلَخَ العَالَمَ مِنْهَا وَاقْتَطَعَهُ كُلَّهُ تَفْصِيلاً عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الآدَمِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ.

فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَوْباً عَلَى تِلْكَ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ النُّورَانِيَّةِ شِبْهَ المَاءِ وَالهَوَاءِ[1] فِي حُكْمِ الرِّقَّةِ وَالصَّفَاءِ، فَتَشَكَّلَ الثَّوْبُ بِشَكْلِ[2] الصُّورَةِ النُّورَانِيَّةِ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ[3] مَجْمَعَ الكُلِّ وَبُرْهَانَ الصِّفَاتِ وَمَبْدَأَ الأَعْلَى، وَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نُسْخَةً مِنْهُ عَلَى التَّمَامِ. وَكَانَتْ نُسْخَةُ الذُّرِّيَّةِ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ العَالَمُ بِرُمَّتِهِ، عُلْوِيُّهُ وَسُفْلِيُّهُ نُسْخَةً مِنْ آدَمَ. فَتَحَقَّقْ هَذَا النَّسْجَ تَعِشْ سَعِيداً.

غَيْرَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ كِتَابَيْ[4] مُحَمَّدٍ وَآدَمَ عَلَى الكَمَالِ، وَالعَارِفُونَ الوَارِثُونَ نُسْخَةٌ مِنْ آدَمَ وَظَاهِرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا أَهْلُ الشِّمَالِ فَنُسْخَةٌ مِنْ طِينَةِ آدَمَ لَا غَيْرَ. وَأَمَّا التَّنَاسُلُ إِلَى أَنْ جَاءَ زَمَانُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

---

[1]- ح: الهواء والماء

[2]- ع ك ل: شكل

[3]- ك: صلى الله عليه وسلم

[4]- يقول المؤلف سيدي الحاج علي حرازم برادة رضي الله عنه في هامش نسخته (ح): جَسَدُهُمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - يقول العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس رضي الله عنه في هامش نسخته (ك): جسد محمد وجسد آدم

فَصَيَّرَ اللَّهُ العَالَمَ فِي قَبْضَتِهِ، وَمَخْضَةُ جِسْمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُبْدَةُ مَخْضَتِهِ[1] كَمَا كَانَتْ حَقِيقَةُ أَصْلِ نَشْأَتِهِ. فَلَهُ الفَضْلُ بِالإِحَاطَةِ إِذْ كَانَتِ البِدَايَةُ[2] وَالخَتْمُ بِهِ، فَقَدْ حَصَلَتْ فِي عِلْمِكَ نَشْأَةُ أَوَّلِ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَيْنَ مَرْتَبَتُهُ مِنَ الوُجُودِ وَمَنْزِلَتُهُ مِنَ الجُودِ. وَالحَاصِلُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَوَّلُ المَوْجُودَاتِ وَأَصْلُهَا، وَبِبَرَكَاتِهِ وُجِدَتْ وَبِهِ اسْتَمَدَّتْ.

قَوْلُهُ: "إِحَاطَةِ النُّورِ المُطَلْسَمِ". يَعْنِي أَنَّ النُّورَ المُطَلْسَمَ هُوَ سِرُّ الأُلُوهِيَةِ المُكَتَّمُ. وَكَانَ هَذَا السِّرُّ قَسَّمَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحُكْمِ المَشِيئَةِ الرَّبَّانِيَةِ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ مِنْهُ اسْتَبَدَّ بِعِلْمِهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَقِسْمٌ اخْتَارَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ ذَوِي الاخْتِصَاصِ وَكَانَ مَقْسُوماً بَيْنَهُمْ بِالمَشِيئَةِ الأَزَلِيَّةِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنْ سِرِّ الأُلُوهِيَةِ.

وَكَانَ ذَلِكَ المَقْسُومُ لِخَلْقِهِ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَيْهِ كُلِّهِ، أَحَاطَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْماً وَذَوْقاً وَاجْتَمَعَ فِي ذَاتِهِ الكَرِيمَةِ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَتَفَرَّقَ فِي الخَلْقِ. وَبِعِبَارَةٍ النُّورُ المُطَلْسَمُ هِيَ الكَمَالَاتُ الإِلَهِيَةُ الَّتِي سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يَكْشِفَهَا لِخَلْقِهِ وَيُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ فَرْدٍ مِنَ الوُجُودِ مَا يُنَاسِبُهُ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ أَوَّلِ ظُهُورِ العَالَمِ إِلَى الأَبَدِ. وَكَانَ ذَلِكَ النُّورُ المَذْكُورُ مُطَلْسَماً فِي حِجَابِ الغَيْبِ مَعْنَاهُ أَنَّ عَلَيْهِ حُجُباً عَظِيمَةً لَيْسَ لِأَحَدٍ الوُصُولُ إِلَى الاطِّلَاعِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَأَشْهَدَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفْعَةً وَاحِدَةً وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ فِي حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ غَيْرِ شُذُوذٍ. فَالإِحَاطَةُ المَذْكُورَةُ وَالنُّورُ هِيَ طَوَالِعُ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةِ. وَالطَّلَاسِمُ المَضْرُوبَةُ عَلَيْهَا هِيَ الحُجُبُ المَانِعَةُ مِنَ الوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقَائِقِهَا. إهـ[3]

---

[1]- ل: زبدة مخضته أي العالم

[2]- ع ك ي ل هـ ق ص: البداءة

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة

قَوْلُهُ " صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ". **اعْلَمْ** أَنَّ الصَّلَاةَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصْفٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ عَلَى الحَدِّ[1] الَّذِي يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، هُوَ أَمْرٌ فَوْقَ مَا يُدْرَكُ وَيُعْقَلُ. فَإِنَّ الوَصْفَ الوَارِدَ فِي حَقِّ كُلِّ مَوْجُودٍ وَإِنْ اشْتَرَكَ فِي اللَّفْظِ وَالاسْمِ، فَالحَقِيقَةُ مُبَايِنَةٌ فِي حَقِّ المَوْجُودَاتِ. **فَالصَّلَاةُ فِي حَقِّنَا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**[2] هِيَ الأَلْفَاظُ البَارِزَةُ مِنْ أَلْسِنَتِنَا بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ صَلَاتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] فَهُوَ فَوْقَ مَا يُدْرَكُ وَيُعْقَلُ.

فَلَا تُفَسَّرُ بِشَيْءٍ، بَلْ نَقُولُ يُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُكَيَّفُ صَلَاتُهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ السُّجُودَ فِي حَقِّ المَوْجُودَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّهَا سَاجِدَةٌ لِلَّهِ، وَلَيْسَ السُّجُودُ المَعْهُودُ فِي حَقِّ الآدَمِيِّ لِلَّهِ تَعَالَى يُمَاثِلُ سُجُودَ الجَمَادَاتِ وَالحَيَوَانَاتِ وَالأَشْجَارِ فَرْداً فَرْداً.

فَإِنَّ **لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الأَفْرَادِ سُجُوداً يَلِيقُ بِحَالِهِ**. فَإِنَّ السُّجُودَ فِي حَقِّ جَمِيعِهَا مُمَاثِلٌ فِي الإِسْمِ وَالإِطْلَاقِ وَالحَقِيقَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي جَمِيعِهَا، وَسُجُودُ كُلِّ وَاحِدٍ غَيْرُ سُجُودِ الآخَرِ. وَأَمَّا صَلَاةُ المَلَائِكَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلُّقُهَا[4] فِي حَقِّهِمْ كَتَعَلُّقِهَا[5] فِي حَقِّنَا. إهـ[6]

---

[1]- ك: على الوصف

[2]- ح: عليه عليه الصلاة والسلام ـ ل: عليه الصلاة والسلام

[3]- ح: (على نبيه صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[4]- ك ي: تعقلها

[5]- ك ي: كتعقلها

[6]- ح ل: (إهـ) ساقطة

قَوْلُهُ: "صَلَاةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ". يَعْنِي أَنَّ[1] المُصَلِّيَ طَلَبَ[2] مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعَرِّفَهُ إِيَّاهُ فِي مَرَاتِبِ[3] بُطُونِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا بِالوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ رُوحِهِ أَوْ حَقِيقَةِ عَقْلِهِ أَوْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. فَأَمَّا **حَقِيقَةُ مَقَامِ رُوحِهِ** فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الأَكَابِرُ مِنَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَالأَقْطَابِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنَ الأَفْرَادِ.

وَمِنَ العَارِفِينَ مَنْ يَصِلُ إِلَى **مَقَامِ عَقْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَتَكُونُ مَعَارِفُهُ وَعُلُومُهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ مَقَامُ العَقْلِ وَعُلُومُهُ كَمَعَارِفِ مَقَامِ الرُّوحِ وَعُلُومِهِ، وَمِنَ العَارِفِينَ مَنْ يَصِلُ إِلَى **مَقَامِ قَلْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَتَكُونُ مَعَارِفُهُ وَعُلُومُهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ وَهِيَ دُونَ مَقَامِ العَقْلِ فِي المَعَارِفِ وَالعُلُومِ، وَمِنَ العَارِفِينَ مَنْ يَصِلُ إِلَى **مَقَامِ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَتَكُونُ مَعَارِفُهُ وَعُلُومُهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ[4] دُونِ مَقَامِ القَلْبِ.

وَأَمَّا **مَقَامُ سِرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرْكِهِ لَا مَنْ عَظُمَ شَأْنُهُ وَلَا مَنْ صَغُرَ. وَالفَرْقُ بَيْنَ مَقَامِ سِرِّهِ وَرُوحِهِ وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ. فَأَمَّا مَقَامُ سِرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي هِيَ مَحْضُ النُّورِ الإِلَهِي الَّتِي عَجَزَتِ العُقُولُ وَالإِدْرَاكَاتُ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الخَاصَّةِ العُلْيَا عَنْ إِدْرَاكِهَا وَفَهْمِهَا. هَذَا مَعْنَى سِرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ أُلْبِسَتْ هَذِهِ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ أَلْبَاساً مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَّةِ، وَاحْتَجَبَتْ بِهَا مِنَ[5] الوُجُودِ فَسُمِّيَتْ رُوحاً. ثُمَّ تَنَزَّلَتْ بِأَلْبَاسٍ أُخْرَى مِنَ الأَنْوَارِ الإِلَهِيَّةِ فَكَانَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ تُسَمَّى

---

[1]- ح: (يعني أن) ساقطة

[2]- ح: طلب المصلي

[3]- ح: مرتبة

[4]- ع ك ي ل: وهي

[5]- ك ي ل: عن

عَقْلاً. ثُمَّ تَنَزَّلَتْ بِأَلْبَاسِ أَنْوَارٍ إِلَهِيَةٍ[1] أُخْرَى وَاحْتَجَبَتْ بِهَا فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ قَلْباً[2]. ثُمَّ تَنَزَّلَتْ بِأَلْبَاسِ أَنْوَارٍ إِلَهِيَةٍ[3] أُخْرَى[4] وَاحْتَجَبَتْ بِهَا فَكَانَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ نَفْساً.

تَنْبِيهٌ شَرِيفٌ: اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ أَوْدَعَ فِيهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمِيعَ مَا قَسَّمَهُ لِخَلْقِهِ مِنْ فُيُوضِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالأَنْوَارِ وَالحَقَائِقِ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَلَوَازِمِهَا. ثُمَّ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآنَ يَتَرَقَّى فِي شُهُودِ الكَمَالَاتِ الإِلَهِيَةِ مِمَّا لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِغَيْرِهِ وَلَا تَنْقَضِي تِلْكَ الكَمَالَاتُ بِطُولِ أَبَدِ الآبَادِ.

خَاتِمَةٌ: وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)**[5]. الآيَةُ. قَالَ[6] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ أَغْنَانِي عَنْ صَلَاتِكُمْ). ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا، إِمَّا فِي هَذَا الحَدِيثِ أَوْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ: (إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَهُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ). قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَحُقَّ لِمَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ).

وَمِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ إِنَّ **الصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ الفَاسِقِ أَفْضَلُ لَهُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ** لِأَنَّهَا شَافِعَةٌ لَهُ فِي إِفَاضَةِ رِضَا الرَّبِّ عَلَيْهِ وَمَحْقِهَا لِذُنُوبِهِ وَإِدْخَالِهِ فِي

---

[1]- ح ل: بألباس من الأنوار الإلهية

[2]- ل: (ثُمَّ تَنَزَّلَتْ بِأَلْبَاسِ أَنْوَارٍ إِلَهِيَةٍ أُخْرَى وَاحْتَجَبَتْ بِهَا فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ قَلْباً) ساقطة

[3]- ح ل: بألباس من الأنوار الإلهية

[4]- ع ك ي ل هـ ق ص: (أخرى) ساقطة

[5]- سورة الأحزاب، الآية 56

[6]- ع: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) الآية. قَالَ

زُمْرَةِ أَهْلِ السَّعَادَةِ الأُخْرَوِيَّةِ، وَلَا كَذَلِكَ القُرْآنُ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا فَإِنَّهُ مَحَلُّ القُرْبِ، **وَالحَضْرَةُ الإِلَهِيَّةُ يَحِقُّ لِمَنْ حَلَّ فِيهَا أَنْ لَا يَتَجَاسَرَ بِشَيْءٍ مِنْ سُوءِ الأَدَبِ.**
وَمَنْ تَجَاسَرَ فِيهَا بِسُوءِ الأَدَبِ اسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ اللَّعْنَ وَالطَّرْدَ وَالغَضَبَ لِأَنَّ حَمَلَةَ القُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُؤَاخَذُونَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ بِأَقَلِّ مِنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عِنَايَةٌ سَابِقَةٌ بِمَحْضِ الفَضْلِ فَتَكُونَ لَهُ عَاصِمَةً مِنْ ذَلِكَ. فَبَانَ لَكَ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ الفَاسِقِ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ. فَإِنَّ القُرْآنَ مَرْتَبَتُهُ مَرْتَبَةُ النُّبُوءَةِ، تَقْتَضِي الطَّهَارَةَ وَالصَّفَاءَ وَتَوْفِيَةَ الآدَابِ المَرْضِيَّةِ وَالتَّخَلُّقَ بِأَخْلَاقِ الرُّوحَانِيَةِ فَلِذَا يَتَضَرَّرُ العَامَّةُ بِتِلَاوَتِهِ لِبُعْدِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.
وَأَمَّا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّلَفُّظُ بِهَا بِاسْتِصْحَابِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَالَةٍ تَلِيقُ بِتَالِيهَا مِنَ الطَّهَارَةِ الحِسِّيَّةِ ثَوْباً وَجَسَداً وَمَكَاناً، وَتِلَاوَتُهَا بِاللَّفْظِ المَعْهُودِ فِي الشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ لَحْنٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَمِنَ لِتَالِيهَا أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَمَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَرَّةً لَا يُعَذِّبُهُ وَلَا وَسِيلَةَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ نَفْعاً وَأَرْجَى فِي اسْتِجْلَابِ رِضَا الرَّبِّ عَنِ العَبْدِ فِي حَقِّ العَامَّةِ أَكْبَرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَإِنْ تَدَافَعَتِ العُلَمَاءُ فِي القَطْعِ بِقَبُولِهَا، فَمِنْ قَائِلٍ بِأَنَّ قُبُولَهَا قَطْعِيٌّ وَمِنْ قَائِلٍ بِعَدَمِ القَطْعِ بِقَبُولِهَا كَسَائِرِ الأَعْمَالِ، وَالَّذِي نَقُولُ بِهِ **أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ قَطْعاً**، وَالحُجَّةُ لَنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ[1]). وَهَذَا الوَعْدُ صَادِقٌ لَا يُخْلَفُ، وَهُوَ لَا مِنْ حَيْثِيَّةِ العَبْدِ بَلْ مِنْ حَيْثِيَّةِ شِدَّةِ العِنَايَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيَامِهِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالمُكَافَآتِ لِمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتْرُكُ صَلَاةَ العَبْدِ تَذْهَبُ دُونَ شَيْءٍ. وَهُوَ مَعْنَى قَبُولِ الصَّلَاةِ مِنَ العَبْدِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالهَادِي إِلَى سَوَاءِ

---

[1]- ك : (ومن سلم عليك سلمت عليه) ساقطة

الطَّرِيقِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

انْتَهَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الصَّلَاةِ المُبَارَكَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَذَلِكَ بِبَلَدِ الصَّحْرَاءِ بِأَبِي سَمْغُونَ. وَكَتَبَ أَفْقَرُ العَبِيدِ إِلَى مَوْلَاهُ الغَنِيِّ الحَمِيدِ عَلِيٌّ حَرَازِمُ بْنُ العَرْبِيِّ بَرَّادَةُ المَغْرِبِيُّ الفَاسِي كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيّاً وَبِهِ حَفِيّاً بِتَارِيخِ أَوَائِلِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ سَنَةَ سِتَّةٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ 1206 هـ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ[2] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. وَالحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلاً وَآخِراً وَظَاهِراً وَبَاطِناً.

* ثُمَّ شَرْحُ الصَّلَاةِ الغَيْبِيَّةِ فِي الحَقِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ *

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ[3] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[4]. الحَمْدُ لِلَّهِ المُحِيطِ الأَوَّلِ الآخِرِ، البَاطِنِ الظَّاهِرِ، بِأَحَدِيَّةِ[5] جَمْعِ ذَاتِهِ، القَائِمِ بِكَمَالِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِتَجَلِّيهِ لِذَاتِهِ بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ عَلَى ذَاتِهِ، بِجَمِيعِ

---

[1]- ح: (وسيدنا) ساقطة

[2]- ح ك: وآله

[3]- ح: وآله

[4]- ع ك ي هـ ق: (تسليما) ساقطة ـ ل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً) ساقطة

[5]- ح ل: لأحدية

مُتَضَادَّاتِهِ[1] فِي أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الكَافِي بِذَاتِهِ. فِي جَمِيعِ مُقْتَضَيَاتِهِ. الهُوِيَّةُ السَّارِيَةُ، وَلَيْسَ إِلَّا مَظَاهِرُهُ البَادِيَةُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً سِرُّ ذَاتِهِ. وَرُوحُ حَيَاتِهِ. وَنُورُ مِرْآتِهِ. وَقَيُّومُ أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ. وَجَامِعُ جَمْعِ حَضَرَاتِهِ. القَائِمُ بِإِحْصَاءِ أَسْمَائِهِ بِآيَاتِهِ. الأَوَّلُ فِي تَعَلُّقِهِ لِذَاتِهِ، الآخِرُ عَلَى حِيطَةِ حُكْمِ مَعْلُومَاتِهِ، البَاطِنُ بِفَرْطِ الظُّهُورِ فِي مَثُلَاتِهِ. وَالظَّاهِرُ بِمَا أَحَاطَ قَيُّومُهُ بِصِفَاتِهِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ[2] العَبْدِ الأَكْمَلِ، الفَاتِحِ الخَاتِمِ بِعَيْنِ مَا هُوَ الأَوَّلُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. كَمَا لَا نِهَايَةَ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالَاتِهِ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا وَوَسِيلَتَنَا إِلَى رَبِّنَا الشَّيْخُ الإِمَامُ. شَيْخُ مَشَايِخِ الإِسْلَامِ، حُجَّةُ الصُّوفِيَةِ، قُدْوَةُ أَهْلِ الخُصُوصِيَّةِ، عَالِمُ الشَّرِيعَةِ، أُسْتَاذُ الطَّرِيقَةِ، سُلْطَانُ أَهْلِ الحَقِيقَةِ، إِمَامُ الطَّرِيقَتَيْنِ، وَمُقَدَّمُ الفِرْقَتَيْنِ، صَاحِبُ العُلُومِ الجَمَّةِ، وَمَعْدِنُ المَعَارِفِ وَلِسَانُ الحِكْمَةِ، قُطْبُ الزَّمَانِ، وَالحَامِلُ فِي وَقْتِهِ لِوَاءَ أَهْلِ العِرْفَانِ، لِسَانُ القُدْسِ وَتُرْجُمَانُ الرَّحْمَانِ،

عَلَمُ المُهْتَدِينَ، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ، تَاجُ العَارِفِينَ، إِمَامُ الصِّدِّيقِينَ، إِنْسَانُ عَيْنِ الأُسْتَاذَيْنِ الوَارِثَيْنِ، كَهْفُ المُوقِنِينَ الوَارِثِينَ، أُسْتَاذُ الأَكَابِرِ، وَالمُنْفَرِدُ[3] فِي زَمَانِهِ بِالمَعَارِفِ السَّنِيَّةِ وَالمَفَاخِرِ، العَالِمُ بِاللَّهِ. وَالدَّالُّ عَلَى اللَّهِ، زَمْزَمُ الأَسْرَارِ، وَمَعْدِنُ الأَنْوَارِ، الصِّدِّيقُ الكَبِيرُ، القُطْبُ الغَوْثُ الجَامِعُ الوَارِثُ الرَّبَّانِيُّ، الشَّرِيفُ النَّسَبِ، وَالأَصِيلُ الحَسَبِ، أَبُو العَبَّاسِ التِّجَانِي. سَقَانَا اللَّهُ مِنْ بَحْرِهِ بِأَعْظَمِ الأَوَانِي. وَضَعَ رَضِيَ اللَّهُ

---

[1]- ك: مضاداته

[2]- ح: (السيد) ساقطة

[3]- ح: والمفرد

عَنْهُ تَقْيِيداً عَلَى الصَّلَاةِ الغَيْبِيَّةِ، فِي الحَقِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ. فَأَجَادَ فِيهِ[1] وَأَفَادَ، وَبَلَغَ غَايَةَ المُرَادِ[2].

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ الغَيْبِيَّةِ، يَعْنِي أَنَّهَا بَرَزَتْ مِنَ الغَيْبِ، لَيْسَتْ مِنْ إِنْشَاءِ أَحَدٍ. وَأَمَّا الحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ، فَهِيَ الأَمْرُ الَّذِي سَبَقَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَمْدِ لِلَّهِ كُلَّ حَامِدٍ مِنَ الوُجُودِ، **فَمَا حَمِدَ اللَّهَ أَحَدٌ فِي الوُجُودِ مِثْلَ مَا حَمِدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي الوُجُودِ. ثُمَّ إِنَّهَا فِي نَفْسِهَا، أَيْ الحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ، غَيْبٌ مِنْ أَعْظَمِ غُيُوبِ اللَّهِ تَعَالَى،

فَلَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ المَعَارِفِ وَالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ وَالفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَالأَحْوَالِ العَلِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ. فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَحَدٌ شَيْئاً وَلَا جَمِيعُ الرُّسُلِ وَالنَّبِيئِينَ. اخْتُصَّ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ بِمَقَامِهَا، وَكُلُّ مَدَارِكِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ المَلَائِكَةِ وَالمُقَرَّبِينَ وَجَمِيعِ الأَقْطَابِ وَالصِّدِّيقِينَ وَجَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ وَالعَارِفِينَ، كُلُّ مَا أَدْرَكُوهُ عَلَى جُمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَيْضِ حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ الأَحْمَدِيَّةُ فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ بِنَيْلِ مَا فِيهَا. فَالحَاصِلُ أَنَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَيْنِ، مَقَامُ حَقِيقَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ وَهُوَ الأَعْلَى، وَمَقَامُ حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَهُوَ أَدْنَى، وَلَا أَدْنَى فِيهِ، وَكُلُّ مَا أَدْرَكَهُ جَمِيعُ المَوْجُودَاتِ مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَالأَخْلَاقِ، إِنَّمَا هُوَ كُلُّهُ إِنَّمَا هُوَ[3] مِنْ فَيْضِ حَقِيقَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ. وَأَمَّا مَا فِي حَقِيقَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ، فَمَا نَالَ مِنْهُ أَحَدٌ[4] شَيْئاً. اخْتُصَّ بِهِ

---

[1]- ك: فيها

[2]- ح: (فأجاد فيه وأفاد، وبلغ غاية المراد) ساقطة

[3]- ك ي ل: (إنما هو) ساقطة

[4]- ح: أحد منه ـ ل: أحد منها

وَحْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَمَالِ عِزِّهَا وَغَايَةِ عُلُوِّهَا، فَهَذِهِ هِيَ الحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ.

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ ذَاتِكَ العَلِيَّةِ". يَعْنِي أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى بِكَمَالِ ذَاتِهِ الذَّاتِيَةِ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَهِيَ لَهَا، أَيْ لِلذَّاتِ[1] العَلِيَّةِ، كَالمِرْآةِ تَتَرَاءَى فِيهَا. فَبِهَذِهِ الحَيْثِيَّةِ وَبِهَذِهِ النِّسْبَةِ، كَانَتْ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ كَأَنَّهَا عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّجَلِّي فِي الوُجُودِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَبِهَذِهِ النِّسْبَةِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنَ الذَّاتِ لَا أَنَّهُ حَقِيقَةً، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلَوْ كَانَ هُوَ عَيْنَ الذَّاتِ لَعُبِدَ. وَهَذَا لَا يَتَأَتَّى بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ. وَقَدْ سَجَّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالعُبُودِيَةِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)**[2]. وَبِقَوْلِهِ: **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)**[3]. فَالعُبُودِيَّةُ لَا تَتَأَتَّى لِلذَّاتِ العَلِيَّةِ، لَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا صَارَ كَأَنَّهُ عَيْنُهَا.

قَوْلُهُ: "بِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِكَ البَهِيَّةِ". يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ. كِلَاهُمَا صَحِيحٌ. **المَعْنَى الأَوَّلُ:** حَالَةُ التَّجَلِّي. **وَالثَّانِي:** حَالَةُ الصَّلَاةِ. فَحَالَةُ التَّجَلِّي يَعْنِي تَجَلَّيْتَ فِيهِ بِكَمَالَاتِ ذَاتِكَ البَهِيَّةِ. وَالثَّانِي: حَالَةُ الصَّلَاةِ[4]. يَعْنِي صَلِّ عَلَيْهِ بِكَمَالَاتِ ذَاتِكَ البَهِيَّةِ.

قَوْلُهُ: "فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الأَبَدِيَّةِ". مَعْنَاهُ هُوَ صَلَاةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ يَا رَبِّ فَصَلِّ عَلَيْهِ فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الأَبَدِيَّةِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ لَيْسَتْ هِيَ الرَّحْمَةَ كَمَا يَقُولُهُ العُلَمَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ لَا يُذْكَرُ وَلَا يُعْرَفُ وَلَا يُدْرَكُ. فَإِنَّ حَضْرَةَ الذَّاتِ انْطَمَسَتْ فِيهَا العِبَارَاتُ كُلُّهَا وَانْعَدَمَتِ الإِشَارَاتُ، فَإِنَّ حَضْرَةَ الذَّاتِ لَوْ بَرَزَتْ

---

[1]- ح: الذات

[2]- سورة الفرقان، الآية 1

[3]- سورة البقرة، الآية 23

[4]- ح: (فَحَالَةُ التَّجَلِّي يَعْنِي تَجَلَّيْتَ فِيهِ بِكَمَالَاتِ ذَاتِكَ البَهِيَّةِ. وَالثَّانِي: حَالَةُ الصَّلَاةِ) ساقطة

لِلنَّاظِرِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ سُؤَالٍ[1] أَوْ يُمَيِّزَ مَرْتَبَةً مِنَ المَرَاتِبِ، وَلَوْ سُئِلَ مِائَةَ أَلْفِ سُؤَالٍ مَا قَدَرَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ سُؤَالٍ[2] وَاحِدٍ،

وَمِثَالُ[3] ذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ مَنْ أُلْقِيَ فِي نَارٍ طُولُهَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَهِيَ شَدِيدَةُ الوَقُودِ لِكَثْرَةِ حطَبِهَا، وَحَالُ مَنْ أُلْقِيَ فِيهَا مَعْرُوفٌ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهَا[4] وَلَا يَقْدِرُ صَاحِبُهَا أَنْ يُجِيبَ سَائِلاً أَوْ يَفْهَمَ كَلَاماً لِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ عِظَمِ الأَمْرِ. إهـ[5]

قَوْلُهُ: "عَلَى عَبْدِكَ القَائِمِ بِكَ مِنْكَ لَكَ إِلَيْكَ". العَبْدُ هُنَا هُوَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ العَبْدُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ بِكُلِّيَتِهِ. لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُنَاجَاتِهِ فِي السُّجُودِ (سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي) السَّوَادُ هُوَ جَسَدُهُ الكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالخَيَالُ هُوَ الرُّوحُ المُقَدَّسَةُ. يُرِيدُ أَنَّهُ مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ السُّجُودِ. سَجَدَ بِكُلِّيَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى. مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ السُّجُودِ[6]

قَوْلُهُ: "القَائِمِ". يَعْنِي قِيَامَهُ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى سِرّاً وَعَلَانِيَةً.

قَوْلُهُ: "بِكَ" يَعْنِي لَيْسَ قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ كَحَالَةِ المَحْجُوبِينَ وَإِنَّمَا حَالَةُ العَارِفِ كَيْفَ مَا تَحَرَّكَ، تَحَرَّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَنَفْسُهُ عَنْهُ غَائِبَةٌ. فَهَذَا هُوَ القِيَامُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى حَدِّ مَا

---

[1]- ك: عن السؤال ـ ي: على سؤال

[2]- ح ل: (أَوْ يُمَيِّزَ مَرْتَبَةً مِنَ المَرَاتِبِ، وَلَوْ سُئِلَ مِائَةَ أَلْفِ سُؤَالٍ مَا قَدَرَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ سُؤَالٍ) ساقطة

[3]- ح ل: مثال

[4]- ع: (وَهِيَ شَدِيدَةُ الوَقُودِ لِكَثْرَةِ حطَبِهَا، وَحَالُ مَنْ أُلْقِيَ فِيهَا مَعْرُوفٌ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهَا) ساقطة

[5]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[6]- ح ل: (مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ السُّجُودِ) ساقطة

ذَكَرَهُ فِي الحَدِيثِ: (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ). الخ .. فَهَذَا هُوَ مَعْنَى القِيَامِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: "مِنْكَ". يَعْنِي أَنَّ الفَيْضَ الَّذِي أَفَاضَهُ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ قَائِماً بِاللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ الفَيْضُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ غَيْرِهِ، لَيْسَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وَلَا مِنْ مَادَّةِ بَشَرِيَّتِهِ، بَلْ كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: "لَكَ". يَعْنِي أَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ هُوَ لِلَّهِ تَعَالَى لَيْسَ لِنَفْسِهِ فِيهِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ كَمَا نَقَلَ الرُّوَاةُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انْتَصَرَ قَطُّ لِنَفْسِهِ.

قَوْلُهُ: "إِلَيْكَ". يَعْنِي قِيَامَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ وَفِيهِ هُوَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ذَاهِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ الأَغْيَارِ بِمَحْقِ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ: (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**)[1]. يَعْنِي مِنْ جَمِيعِ غَيْرِهِ. وَكَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ خَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَقَالَ (**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**)[2]. قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: لَا تَخْتَرْ مِنْ أَمْرِكَ شَيْئاً وَاخْتَرْ أَنْ لَا تَخْتَارَ وَفِرَّ مِنْ ذَلِكَ المُخْتَارِ وَمِنْ اخْتِيَارِكَ وَمِنْ فِرَارِكَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ. (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**)[3]. إهـ[4]

قَوْلُهُ: "**بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ[5] الزَّكِيَّةِ**". مَعْنَاهُ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ، يَعْنِي بِأَكْمَلِهَا بِأَكْمَلِهَا وَأَعْظَمِهَا.

---

[1]- سورة الذاريات، الآية 50

[2]- سورة الصافات، الآية 99

[3]- سورة القصص، الآية 68

[4]- ح ي ل: (إهـ) ساقطة

[5]- ح: الصلاة

قَوْلُهُ: "الزَّكِيَّةِ". يَعْنِي المُتَزَايِدَةَ الَّتِي لَا غَايَةَ لَهَا. وَالزَّكِيَّةُ فِي نَفْسِهَا هِيَ البَالِغَةُ إِلَى[1] الغَايَةِ[2] القُصْوَى فِي الكَمَالِ. إهـ[3]

قَوْلُهُ: "**المُصَلِّي فِي مِحْرَابِ عَيْنِ هَاءِ الهُوِيَّةِ**". يَعْنِي أَنَّ المُصَلِّيَ فِي مِحْرَابِ[4] عَيْنِ هَاءِ الهُوِيَّةِ هُوَ إِمَامُ جَمِيعِ الوُجُودِ، وَالوُجُودُ كُلُّهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ المِحْرَابُ لِكَوْنِهِ لَا ثَانِيَ لَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ، فَإِنَّ الوُجُودَ كُلَّهُ يُصَلِّي فِي جَامِعِ حِيطَةِ الأُلُوهِيَةِ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِ تَجَلِّي الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ، فَإِنَّهَا عَيْنُ العَيْنِ وَعَيْنُ الهَاءِ، فَالهَاءُ هِيَ هُوِيَّةُ الذَّاتِ، وَالعَيْنُ عَيْنُهَا، وَوُجُودُهَا الَّذِي هُوَ حَضْرَةُ الطَّمْسِ وَالعَمَى.

قَوْلُهُ: "**التَّالِي السَّبْعَ المَثَانِيَ**" يَعْنِي أَنَّ السَّبْعَ المَثَانِيَ هُنَا هِيَ فَاتِحَةُ الكِتَابِ وَهِيَ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ لَا تُعْرَفُ وَلَا تُدْرَى إِنَّمَا[5] هِيَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ عَيْنُ هَاءٍ[6].

قَوْلُهُ: "**بِصِفَاتِكَ النَّفْسِيَّةِ**". يَعْنِي أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِهَا حِينَئِذٍ، وَلَا يَتَّصِفُ بِهَا غَيْرُهُ إِلَّا خَلِيفَتُهُ الأَكْبَرُ، وَالصِّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ هِيَ السَّبْعُ المَعَانِي[7]. وَهِيَ القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالعِلْمُ وَالحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالكَلَامُ. لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا السَّبْعَ المَثَانِيَ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ لِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ جَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ.

---

[1]- ح: (إلى) ساقطة

[2]- ل: (الغاية) ساقطة

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[4]- ح: (محراب) ساقطة

[5]- ح: وإنما

[6]- ل: وهي في تلك الحضرة لا تعرف ولا تدرى ولنا فيها في ذلك المقام غيرها

[7]- ك : المثاني

وَقَدِ اِجْتَمَعَتْ عُلُومُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَارِفُهُ وَأَسْرَارُهُ وَجَمِيعُ المَوْجُودَاتِ مِنْ كُلِّ مَا أَدْرَكُوهُ فِي هَذَا المَيْدَانِ كُلِّهِ تَحْتَ مَقَامِ هَذَيْنِ الحَرْفَيْنِ وَهُمَا: عَيْنٌ هَاءٌ.

قَوْلُهُ: "المُخَاطَبِ بِقَوْلِكَ لَهُ: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ". يَعْنِي أَنَّ سُجُودَهُ لِلَّهِ تَعَالَى سَجَدَ بِكُلِّيَتِهِ جُزْءاً جُزْءاً ظَاهِراً وَبَاطِناً كَمَا قَالَ فِي مُنَاجَاتِهِ السَّابِقَةِ: سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي. الخ .. وَاقْتَرِبْ مَعْنَاهُ قُرْبُ النِّسْبَةِ لَا قُرْبَ المَسَافَةِ. وَمَعْنَاهُ هُنَا[1] مُنَاسَبَةُ العَبْدِ لِلْحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، فَإِنَّ الحَضْرَةَ قُلْنَا: حَقِيقَتُهَا هِيَ مَحْقُ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ، فَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا رَسْمَ وَلَا وَهْمَ وَلَا خَيَالَ وَلَا عَقْلَ وَلَا تَمْيِيزَ إِلَّا الطَّمْسُ وَالعَمَى حَيْثُ لَمْ يُعْقَلْ هُنَاكَ إِلَّا اللَّهُ بِاللَّهِ لِلَّهِ فِي اللَّهِ عَنِ اللَّهِ.

فَهَذِهِ هِيَ نِسْبَةُ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَةِ، وَهَذَا هُوَ القُرْبُ الحَقِيقِيُّ لَا قُرْبَ المَسَافَةِ. وَالعَبْدُ وُضِعَ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهِ لَا يَخُوضُ إِلَّا فِي وُجُودِ الكَوْنِ، كَيْفَ مَا تَقَلَّبَ وَكَيْفَ مَا تَحَرَّكَ أَوْ سَكَنَ هُوَ فِي غَيْبَةٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ البُعْدُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى[2] لَا بُعْدَ المَسَافَةِ، فَإِنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَتَحَقَّقْتَهُ، فَالعَبْدُ إِذَا دَخَلَ الحَضْرَةَ الإِلَهِيَةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا بِنِسْبَتِهَا وَهِيَ مَحْقُ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّةِ مِنْ قَلْبِهِ، فَحِينَئِذٍ يُنَاسِبُهَا وَيَدْخُلُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا كَانَ مَقَامُهُ فِيهَا مُنَاسَبَةَ مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، فَإِذَا أَدَّى آدَابَهَا وَوَظَائِفَهَا وَحَقَائِقَهَا نَاسَبَ المَقَامَ الَّذِي فَوْقَهَا، الَّذِي كَانَ مُحْتَجَباً عَنْهُ، فَيَرْقَى إِلَيْهِ وَيَدْخُلُهُ فَيَتَجَلَّى لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ قَدْرَ مَا يَكُونُ المَقَامُ[3] مَعَهُ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ، وَالصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ الَّتِي الَّتِي انْكَشَفَتْ لَهُ بِمُنَاسَبَتِهِ لَهَا،

---

[1]- ك : هو

[2]- ع ك: (تعالى) ساقطة

[3]- ك: القيام ـ ل: المقام الثاني

فَإِذَا أَدَّى وَظَائِفَ مَقَامِهِ وَآدَابَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ نَاسَبَ المَقَامَ الثَّالِثَ وَارْتَقَاهُ، وَتَجَلَّى لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ فِيهِ مَا يَكُونُ مَعَهُ المَقَامُ الثَّانِي كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ[1]، فَإِذَا أَدَّى وَظَائِفَ المَقَامِ الثَّالِثِ وَآدَابَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ نَاسَبَ المَقَامَ الرَّابِعَ، فَارْتَقَاهُ بِنِسْبَتِهِ وَتَجَلَّى لَهُ فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالمَوَاهِبِ وَالفُيُوضِ وَالتَّجَلِّيَاتِ، مَا يَكُونُ مَعَهُ المَقَامُ الثَّالِثُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ،

ثُمَّ إِذَا أَدَّى وَظَائِفَ المَقَامِ الرَّابِعِ وَاسْتَوْفَى آدَابَهُ نَاسَبَ المَقَامَ الخَامِسَ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ ، فَإِذَا نَاسَبَهُ[2] ارْتَقَى إِلَيْهِ وَتَجَلَّى لَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ المَقَامُ الرَّابِعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ. وَهَكَذَا أَبَداً سَرْمَداً كُلَّمَا ارْتَقَى مَقَاماً وَوَفَّى بِوَظَائِفِهِ وَآدَابِهِ نَاسَبَ المَقَامَ الَّذِي فَوْقَهُ، فَارْتَقَى إِلَيْهِ بِنِسْبَتِهِ وَتَجَلَّى لَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ المَقَامُ الَّذِي تَحْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ، وَهَكَذَا أَبَداً سَرْمَداً فِي طُولِ عُمُرِ الآخِرَةِ الأَبَدِيِّ. فَالعَارِفُ فِيهِ أَبَداً عَلَى هَذَا التَّرَقِّي.

فَالقُرْبُ هُنَا الَّذِي يُسَمَّى صَاحِبُهُ مُقَرَّباً هُوَ إِذَا وَفَّى السَّائِرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِوَظَائِفِ مَقَامِهِ وَآدَابِهِ، نَاسَبَ المَقَامَ الَّذِي فَوْقَهُ. وَيُسَمَّى التَّرَقِّي فِي المَقَامَاتِ هُوَ القُرْبُ الحَقِيقِيُّ لِلْمُنَاسَبَةِ الَّتِي فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ مَثَلاً أَنْ يَكُونَ فِي المَقَامِ الأَلْفِيِّ وَيُنَاسِبَ المَقَامَ الَّذِي هُوَ مُكَمِّلٌ مِائَةَ أَلْفِ مَقَامٍ، فَلَا يَرْتَقِيهِ لِبُعْدِ النِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

فَإِنَّ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءَ وَالتَّجَلِّيَاتِ الَّتِي تَنْكَشِفُ لَهُ فِي المَقَامِ الَّذِي هُوَ مُكَمِّلٌ مِائَةَ أَلْفِ مَقَامٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى وَظَائِفِهَا وَآدَابِهَا وَتَحَمُّلِ أَثْقَالِهَا مَنْ هُوَ فِي المَقَامِ المُكَمِّلِ أَلْفَ مَقَامٍ. فَهُوَ بِهَذِهِ الحَيْثِيَّةِ هُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرْتَقِيَهَا حَتَّى إِذَا ارْتَقَى مَقَاماً بَعْدَ

---

[1]- ح: (وَالصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ الَّتِي انْكَشَفَتْ لَهُ بِمُنَاسَبَتِهِ لَهَا، فَإِذَا أَدَّى وَظَائِفَ مَقَامِهِ وَآدَابَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ نَاسَبَ المَقَامَ الثَّالِثَ وَارْتَقَاهُ، وَتَجَلَّى لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ فِيهِ مَا يَكُونُ مَعَهُ المَقَامُ الثَّانِي كَنُقْطَةٍ فِي بَحْرٍ) ساقطة

[2]- ع: ناسب

مَقَامٍ بِتَوْفِيَةِ وَظَائِفِ كُلِّ مَقَامٍ، وَآدَابِهِ إِلَى أَنْ يَصِلَ المَقَامَ المُكَمِّلَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ وَتِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ أَلْفَ مَقَامٍ.

فَإِذَا اسْتَوْفَى وَظَائِفَهُ وَآدَابَهُ نَاسَبَ المَقَامَ المُكَمِّلَ مِائَةَ أَلْفٍ فَيَرْتَقِيهِ حِينَئِذٍ. وَقَدْ كَانَ فِي المَقَامِ المُكَمِّلِ أَلْفاً فِي غَايَةِ البُعْدِ عَنْهُ. وَنَعْنِي بِالبُعْدِ عَدَمَ مُنَاسَبَتِهِ بِتَجَلِّي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَجَلِّيَاتِهِ. فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ حَقِيقَةَ القُرْبِ وَالبُعْدِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ العَارِفُونَ. (وَبِهَذَا تَمَّ الكَلَامُ عَلَى القُرْبِ، وَالسَّلَامُ)[1]، (فَإِذَا وَفَّى بِوَظَائِفِ مَقَامِهِ أَدَباً وَخِدْمَةً وَمُنَاسَبَةً ارْتَقَى إِلَى المَقَامِ الَّذِي يَلِيهِ وَكَانَتْ جَمِيعُ التَّجَلِّيَاتِ الَّتِي فِي ذَلِكَ المَقَامِ الَّذِي ارْتَقَى إِلَيْهِ تُعْطِيهِ كُلَّ مَا هُوَ فِيهَا مِنَ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَسْرَارِ وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَالمُنَازَلَاتِ وَالكُشُوفَاتِ وَالتَّحَقُّقِ وَاليَقِينِ وَالتَّمْكِينِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ وَالحِكَمِ وَالدَّقَائِقِ وَالرَّقَائِقِ وَالحَقَائِقِ وَاللَّطَائِفِ وَالمِنَحِ وَالمَوَاهِبِ وَمَا لَا تُحِيطُ بِهِ الأَفْكَارُ عَلَى غَايَةِ تَضَاعُفِهَا فِي الأَعْمَارِ،

فَإِنْ أَخَلَّ بِشَيْءٍ مِنْ وَظَائِفِ مَقَامِهِ أَتَتْهُ التَّجَلِّيَاتُ نَاقِصَةَ الفَيْضِ فِي كُلِّ مَا ذُكِرَ، لَمْ تَأْتِهِ بِجَمِيعِ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لِعَدَمِ تَوْفِيَتِهِ بِوَظَائِفِ مَقَامِهِ، وَهَكَذَا فَإِذَا ارْتَقَى إِلَى المَقَامِ الَّذِي فَوْقَهُ وَجَدَ فِيهِ النَّقْصَ لِلْخَلَلِ الَّذِي لَحِقَهُ فِي المَقَامِ الأَوَّلِ، وَهَكَذَا هُوَ وَصْفُ أَهْلِ[2] القُرْبِ دَائِماً)[3].

قَوْلُهُ: "الدَّاعِي بِكَ لَكَ بِإِذْنِكَ". مَعْنَاهُ أَنَّهُ وَصْفٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ)**[4]. **وَالحِكْمَةُ هُنَا** هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ بِلَا إِقَامَةِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَهَذِهِ

---

[1]- ح: ما بين القوسين محذوف

[2]- ك: (أهل) ساقطة

[3]- ح ل: ما بين القوسين محذوف

[4]- سورة النحل، الآية 125

المَرْتَبَةُ صَعْبَةٌ لَا انْقِيَادَ لِلخَلْقِ[1] إِلَيْهَا لِكَثْرَةِ اشْتِغَالِهِمْ عَنِ اللَّهِ بِمُتَابَعَةِ أَهْوَائِهِمْ، فَلَيْسَ يَسْتَجِيبُ بِالدَّعْوَةِ الأُولَى وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ الَّتِي هِيَ الحِكْمَةُ إِلَّا أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالتَّمْكِينِ مُسْتَغْرِقِينَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،

هَذَا الَّذِي يَسْتَجِيبُونَ بِطَرِيقِ الحِكْمَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ كَافَّةِ الخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ مَشْغُولُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِمُتَابَعَةِ أَهْوَائِهِمْ، وَلِذَا عَطَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: **(وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ)**[2]. يَعْنِي عِظْهُمْ بِرِفْقٍ وَلِينٍ، يُرِيدُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِوَعِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّخْوِيفِ مِنْ شِدَّة عِقَابِهِ وَتَذْكَارِهِمْ مَا حَلَّ[3] بِالأُمَمِ قَبْلَهُمْ الَّتِي عَصَتِ الرُّسُلَ مِنَ الهَلَاكِ وَالوَبَالِ مِثْلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَصَهُمْ فِي القُرْآنِ،

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَمَّا كَانُوا مَشْغُولِينَ بِمُتَابَعَةِ أَهْوَائِهِمْ أَمَرَ أَنْ يَعِظَهُمْ بِالمَوَاعِظِ[4] الَّتِي يَسْتَجِيبُونَ لَهَا بِالتَّخْوِيفِ بِشِدَّةِ العَذَابِ وَالهَلَاكِ لِكَوْنِهِمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ بِالحِكْمَةِ. ثُمَّ عَطَفَ بِالمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ: إِذَا هَبَطَ الإِنْسَانُ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ بِالبُعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَخَذَ يُحَاجِجُ عَنْ أَبَاطِيلِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِضَلَالِهِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)**[5]. فِي إِبْطَالِ حُجَجِ أَبَاطِيلِهِمْ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَادَى أَبَا سُفْيَانٍ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الصَّحَابَةِ مَا وَقَعَ، جَاءَ إِلَى المَحَلِّ الَّذِي اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ مَجْرُوحاً بَعْدَمَا هَدَأَ القِتَالُ. قَالَ لَهُمْ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُجِيبُوهُ. فَسَكَتُوا. ثُمَّ نَادَى: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُجِيبُوهُ. ثُمَّ نَادَى: أَفِي القَوْمِ ابْنُ

---

[1]- ح: لانقياد الخلق ـ ل: صعبة انقياد الخلق

[2]- سورة النحل، الآية 125

[3]- ع: ما أحل ـ ي: مما حل

[4]- ع ك: بالمواعيظ

[5]- سورة النحل، الآية 125

الخَطَّابِ؟ قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُجِيبُوهُ. فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُمْ. يُرِيدُ أَنَّ بِهِمْ قِوَامَ الأَمْرِ، فَلَمْ يَصْبِرْ عُمَرُ حِينَئِذٍ، وَاسْتَخَفَّ فَنَادَاهُ: بَلْ بَقِيَ لَكَ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا عُمَرُ، أَقُتِلَ مُحَمَّدٌ أَمْ لَا؟ قَالَ لَهُ: لَا وَاللَّهِ هُوَ حَيٌّ الآنَ يَسْمَعُ كَلَامَكَ. قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي[1] مِنْ ابْنِ قَمِيئَةَ. ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. هُوَ أَعْظَمُ أَصْنَامِهِمْ كَانُوا جَعَلُوهُ فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ يَعْبُدُونَهُ. فَقَوْلُهُ: اعْلُ هُبَلْ أَظْهِرْ دِينَكَ أَيُّهَا الإِلَهُ. قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا لَهُ: (اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ). فَإِنَّ هَذِهِ القَوْلَةَ لَمْ يَجِدْ لَهَا دَافِعاً لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلُوا عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا لَهُ: (اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ). فَسَكَتَ إِذاً وَلَمْ يَجِدْ دَافِعاً لِلْحُجَّةِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلُوا عَلَيْهِ شَيْءٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ هَذَا وَلَا يَشُكُّونَ فِيهِ. قَالَ أَبُو جَهْلٍ حِينَ وَقَفَ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ: إِنْ كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ اللَّهَ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ فَوَ اللَّهِ مَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ، وَإِنْ كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ فَوَ اللَّهِ مَا بِنَا مِنْ ضُعْفٍ. إهـ[2] **قَوْلُهُ:** "بِإِذْنِكَ". يَعْنِي أَنَّهُ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، يَعْنِي أَذِنَ اللَّهُ[3] لَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**[4]. وَقَالَ

[1]- ح: أنت عندي أصدق

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ح ع ل هـ ق ص: (الله) ساقطة

[4]- سورة المائدة، الآية 67

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ)**[1]. الآيَةُ. وَقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: **(وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ)**[2]. إهـ[3]

قَوْلُهُ: "لِكَافَّةِ شُؤُونِكَ العِلْمِيَّةِ". يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا جَمِيعَ الوُجُودِ كُلِّهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْضُهُ بِالرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَهُمْ بَنُوا آدَمَ وَالجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ، وَبَعْضُهُمْ بِالتَّصَرُّفِ. وَمَعْنَى التَّصَرُّفِ هُوَ التَّصَرُّفُ بِالأَسْرَارِ، تَوَجَّهَ إِلَى الوُجُودِ بِفَيْضِهِ وَأَسْرَارِهِ حَتَّى انْقَادَتْ[4] إِلَيْهِ جَمِيعُ الوُجُودِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْبِيحِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ، فَهِيَ الشُّؤُونُ العِلْمِيَّةُ وَنَعْنِي بِهِ جَمِيعَ الوُجُودِ.

قَوْلُهُ: "فَمَنْ أَجَابَ اصْطُفِيَ وَقُرِّبَ". يَعْنِي أَنَّ مَنْ أَجَابَ الدَّعْوَةَ مِنَ المَدْعُوِّيينَ بِأَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَبَدَ اللَّهَ اصْطُفِيَ وَقُرِّبَ، وَكَانَتْ مَأْوَاهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ أَبَى طُرِدَ وَلُعِنَ وَأُبْعِدَ وَكَانَ مَأْوَاهُ النَّارَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

قَوْلُهُ: " المُفِيضِ عَلَى كَافَّةِ مَنْ أَوْجَدْتَهُ بِقَيُّومِيَةِ سِرِّكَ ". هَذَا وَصْفٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ مُفِيضٌ عَلَى كَافَّةِ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى العُمُومِ وَالإِطْلَاقِ فِي كُلِّ مَا يَنَالُهُمْ مِنَ المَنَافِعِ دِيناً وَدُنْيَا وَأُخْرى وَمِنْ جَمِيعِ المَضَارِّ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مُفِيضٌ لِجَمِيعِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ ثُمَّ وَصَفَ جَمِيعَ الوُجُودِ بِأَنَّهُ كَافَّةُ مَنْ أَوْجَدْتَهُ بِقَيُّومِيَةِ سِرِّكَ وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ أَوْجَدَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَيُّومِيَةِ السِّرِّ الإِلَهِي وَالقَيُّومِيَةُ هِيَ الوَاقِعَةُ بِسِرِّ اسْمِهِ القَيُّومِ.

وَالقَيُّومُ هُوَ المُقِيمُ لِجَمِيعِ الوُجُودِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَأَوَّلاً وَآخِراً وَكُلّاً وَبَعْضاً عَلَى الحَدِّ الَّذِي نَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، فَهُوَ يُقِيمُ الوُجُودَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى

---

[1]- سورة المدثر، الآية 1-2

[2]- سورة الأحزاب، الآية 46

[3]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[4]- ح ل: انقاد

حَدِّ ذَلِكَ المِقْدَارِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، وَلَا يُفِيدُ فِي زِيَادَةِ ذَلِكَ سَبَبٌ مِنَ الأَسْبَابِ أَعْنِي أَنْ يَزِيدَ عَلَى القَدْرِ الَّذِي نَفَذَتْ بِهِ المَشِيئَةُ فِي الأَزَلِ، وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ العِلْمِ الإِلَهِي، فَلَا سَبَبَ يُفِيدُ فِي هَذَا المَيْدَانِ، لَا زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصٌ، فَلَيْسَ تَوَفُّرُ الأَسْبَابِ وَتَظَاهُرُهَا يُفِيدُ فِي الزِّيَادَةِ حَتَّى مِقْدَارَ هَبَئَةٍ عَلَى القَدْرِ الَّذِي نَفَذَتْ بِهِ المَشِيئَةُ وَلَيْسَ تَخَلُّفُ جَمِيعِ الأَسْبَابِ الحِكَمِيَّةِ تَنْقُصُ مِنْ ذَلِكَ المِقْدَارِ مِقْدَارَ هَبَئَةٍ.

فَوُجُودُ الأَسْبَابِ وَعَدَمُهَا فِي هَذَا المَيْدَانِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ. وَعَلَى هَذَا التَّحْقِيقِ وَجَرْيِهِ وَقَعَ اسْمُهُ العَدْلُ، وَالعَدْلُ هُوَ التَّصَرُّفُ فِي العَالَمِ المُعَبَّرِ بِهِ عَنْ جَمِيعِ الوُجُودِ عَلَى الحَدِّ الَّذِي نَفَذَتْ بِهِ المَشِيئَةُ وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ العِلْمِ. لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، فَهَذَا مَعْنَى اسْمِهِ العَدْلِ.

قَوْلُهُ: "المَدَدِ السَّارِي فِي كُلِّيَةِ أَجْزَاءِ مَوْهِبَةِ فَضْلِكَ". مَعْنَاهُ هُوَ الفَيْضُ عَلَى كَافَّةِ الوُجُودِ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُفِيضُهُ هُوَ مَدَدُهُ السَّارِي فِي جَمِيعِ الوُجُودِ، فَإِنَّ الفَيْضَ الإِلَهِي مِنَ الحَضْرَةِ الرَّحْمَانِيَةِ لِجَمِيعِ الوُجُودِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ يَجْتَمِعُ ذَلِكَ الفَيْضُ كُلُّهُ فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ يَسْرِي مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْقَسِماً عَلَى جَمِيعِ الوُجُودِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي).

أَخْبَرَ أَنَّ **العَطَاءَ الأَوَّلَ** وَهُوَ الاقْتِطَاعُ الإِلَهِي كَانَ مُفَصَّلاً بِالقِسْمَةِ عَلَى مَا نَفَذَتْ بِهِ المَشِيئَةُ الإِلَهِيَةُ، وَالاقْتِطَاعُ أَوَّلاً كَانَ مِنَ اللَّهِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ **وَالتَّقْسِيمُ** هُوَ تَنَاوُلُهُ مِنْ يَدِ المَلِكِ أَوْ مِنْ حَضْرَتِهِ، وَتَوْصِيلُهُ إِلَى مَنْ أُمِرَ بِإِعْطَائِهِ كَانَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ العَبْدِ الَّذِي يَأْمُرُهُ المَلِكُ بِتَوْصِيلِ العَطَايَا إِلَى النَّاسِ، فَهُوَ يُوصِلُهَا إِلَى أَرْبَابِهَا عَلَى قَدْرِ مَا أَرَادَهُ المَلِكُ، فَهَذَا مَعْنَى الحَدِيثِ، وَهُوَ: إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي[1].

---

[1]- ح: (وَهُوَ: إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي) ساقطة

وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ فِي صَلَاتِهِ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "القَلَمُ النُّورَانِيُّ الجَارِي بِمَدَدِ الحُرُوفِ العَالِيَاتِ، وَالنَّفَسُ الرَّحْمَانِيُّ السَّارِي بِمَوَادِّ الكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ". فَهَذَا السَّرَيَانُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَمِيعِ الوُجُودِ، كُلُّ مَا نَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الوُجُودِ لَا يَتَأَتَّى إِيصَالُهُ إِلَى أَرْبَابِهِ إِلَّا بِنِيَابَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مُطْلَقاً وَعُمُوماً مِنْ غَيْرِ شُذُوذٍ وَلَا تَخْصِيصٍ.

قَوْلُهُ: " كُلِّيَةِ أَجْزَاءِ مَوْهِبَةِ فَضْلِكَ ". **اعْلَمْ** أَنَّ العَالَمَ كُلَّهُ عَلَى جُمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ كُلُّهُ مَوْهِبَةٌ مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالوُجُودِ أَوَّلاً وَالخَلْقِ ثُمَّ جَادَ ثَانِياً بِإِقَامَةِ الوُجُودِ وَإِيصَالِ المَنَافِعِ وَدَفْعِ المَضَارِّ، فَمَا هُنَاكَ إِلَّا فَضْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ: " **المُتَجَلَّى عَلَيْهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ** ". يَعْنِي أَنَّ المُتَجَلَّى بِفَتْحِ اللَّامِ عَلَيْهِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ: **مِحْرَابُ القُدْسِ** المُرَادُ بِهِ هُنَا هِيَ **الحَضْرَةُ الأَحْمَدِيَّةُ** الَّتِي فِيهَا يُقَدِّسُ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَحْمَدُهُ حَقِيقَةَ حَمْدِهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِهِ، وَالقُدْسُ هُوَ الطَّهَارَةُ، وَهُوَ الطَّاهِرُ[1] مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَفِي مِحْرَابِ أُنْسِكَ، وَهُوَ الأُنْسُ بِاللَّهِ حَيْثُ لَا الْتِفَاتَ لِغَيْرِهِ، كَمَا قَالَ فِي الحَدِيثِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لِي وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى). فَهَذَا الأُنْسُ بِاللَّهِ بِعَدَمِ الالْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ. إهـ[2]

قَوْلُهُ: "**بِكَمَالَاتِ أُلُوهِيَتِكَ فِي عَوَالِمِكَ وَبَرِّكَ وَبَحْرِكَ**". هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: المُتَجَلَّى عَلَيْهِ، تَجَلَّى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكَمَالَاتِ ذَاتِهِ وَبِكَمَالَاتِ[3] أُلُوهِيَتِهِ، يَعْنِي أَظْهَرَهَا لَهُ.

---

[1]- ح: (وَهُوَ الطَّاهِرُ) ساقطة

[2]- ح ل: (إهـ) ساقطة

[3]- ع ك ي: أو بكمالات

قَوْلُهُ: "فِي عَوَالِمِكَ"، يَعْنِي فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ مُطْلَقاً، وَجَمِيعُ العَوَالِمِ هُوَ مَا انْطَبَقَ عَلَيْهِ الطَّوْقُ الأَخْضَرُ، وَمِنْ وَرَائِهِ لَا شَيْءَ.

وَقَوْلُهُ: "وَبَرِّكَ وَبَحْرِكَ" تَخْصِيصٌ بَعْدَ عُمُومٍ.

قَوْلُهُ: " **فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً تَامَّةً** ". طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الكَامِلَةِ وَهِيَ[1] عَطْفُ بَيَانٍ، وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْقِيفِيَّةٌ لَا تُعْرَفُ حَقِيقَتُهَا وَمَا يَقُولُهُ فِيهَا أَهْلُ الظَّاهِرِ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: "**بِكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ وَعَلَيْكَ**". **قَوْلُهُ:** "بِكَ" يَعْنِي بِذَاتِكَ "وَمِنْكَ" يَعْنِي وَمِنْ ذَاتِكَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ إِلَيْكَ فَإِنَّ وُرُودَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ، أَيْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2]. قَالَ المُرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **النَّاسُ ثَلَاثَةٌ**. قَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُمُ العُبَّادُ وَالعَامَّةُ، وَقَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ وَهُمُ الخَاصَّةُ، وَقَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ خَاصَّةُ الخَاصَّةِ[3]،

فَالخَاصَّةُ الأُولَى، وَإِنْ كَانُوا فِي غَايَةِ العُلُوِّ، فَيَلْحَقُهُمُ[4] النَّقْصُ مِنْ حَيْثُ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ المُهْدِي لَهُمْ وَالمُعْطِي، فَنَقْصُهُمْ هُوَ شُهُودُ وُجُودِهِمْ مَعَ وُجُودِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَالكَمَالُ وَالتَّمَامُ **لِلطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ** هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ فَلَيْسَ لِنُفُوسِهِمْ عِنْدَهُمْ شَأْنٌ حَتَّى يُعْطِيَهَا أَوْ يُهْدِيَ لَهَا[5] بَلْ انْمَحَقَ وُجُودُهُمْ تَحْتَ وُجُودِهِ، فَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا غَيْرِيَّةَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَهَذَا هُوَ الكَمَالُ، هُوَ المُعْطِي لَا غَيْرِيَّةَ، بَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ

---

[1] - ك ي ل هـ: وهو

[2] - ع ك ي: أي إلى الله تعالى

[3] - ع ك ي ل هـ ق ص: (وهم خاصة الخاصة) ساقطة

[4] - ح: يلحقهم

[5] - ع: (لها) ساقطة ـ ك ي: إليها.

نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، إِذَا ارْتَفَعَ الحِجَابُ شَهِدْتَ الكَوْنَ[1] كُلَّهُ شَأْناً[2] مِنْ شُؤُونِ الحَضْرَةِ الأَحَدِيَّةِ، فَلَيْسَ إِيرَادُهُ[3] الأَشْيَاءِ إِلَّا مِنْهُ لِنَفْسِهِ، وَالعَالَمُ كُلُّهُ شُؤُونُهُ، وَهَذَا المَشْهَدُ هُوَ مَشْهَدُ الأَفْرَادِ.

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ فِي الاقْتِدَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصِّنْفُ الأَوَّلُ العُلَمَاءُ اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ. وَالصِّنْفُ الثَّانِي العُبَّادُ، اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَفْعَالِهِ. وَالصِّنْفُ الثَّالِثُ الصُّوفِيَّةُ، اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَخْلَاقِهِ، وَالصِّنْفُ الرَّابِعُ، العَارِفُونَ المُحَقِّقُونَ، اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْوَالِهِ.

فَمَذْهَبُ العُلَمَاءِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَقْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْقُطُ بِهِ الحَرَجُ وَالإِثْمُ، وَنِهَايَتُهُمْ الجَنَّةُ. وَمَذْهَبُ العُبَّادِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْفِي النَّقْصَ وَالخَلَلَ عَنِ العَبْدِ، وَنِهَايَتُهُمْ الثَّنَاءُ مِنَ الحَقِّ عَلَيْهِمْ وَتَعْظِيمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَوْقِفِ القِيَامَةِ. وَمَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقْنَعُوا بِحَالَةِ أَهْلِ الإِسْلَامِ بَلْ دَخَلُوا مَدَاخِلَ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ. وَأَوَّلُ مَدَاخِلِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ كَالحِلْمِ وَالعَفْوِ وَالسَّخَاءِ وَالإِيثَارِ وَمُسَامَحَةِ الظَّالِمِ وَالعَفْوِ عَنْهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا العَارِفُونَ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا مَدَاخِلَ الغَايَاتِ أَعْنِي غَايَةَ[4] النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، فَإِنَّ غَايَةَ العُبُودِيَةِ، التَّقَلُّبُ فِي أَحْوَالِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ وَالاتِّصَافُ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّحَقُّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا غَايَةَ وَرَاءَ هَذَا إِلَّا الأُلُوهِيَّةُ. وَهِيَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى العَبْدِ لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا الإِلَهُ وَحْدَهُ. وَحَقِيقَةُ الأَحْوَالِ هِيَ التَّمْكِينُ مِنَ الثُّبُوتِ لِتَقَلُّبِ التَّجَلِّيَاتِ الإِلَهِيَةِ

---

[1]- ح ي ل: العالم

[2]- ح: شأن

[3]- ح ل: إيراد

[4]- ك: غايات

وَتَطَوُّرُ الأَنْوَارِ القُدْسِيَّةِ مَعَ التَّلْوِينِ بِمُقْتَضَيَاتِهَا وَتَوْفِيَةِ حُقُوقِهَا وَآدَابِهَا، وَمَنْشَأُهَا أَصْلَانِ **الأَصْلُ الأَوَّلُ** هُوَ مُشَاهَدَةُ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ، بِعَيْنِ العِيَانِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ. **وَالأَصْلُ الثَّانِي** مَحَبَّةُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ لِذَاتِهَا لَا لِعَارِضٍ غَيْرِهَا، وَالأَصْلُ الأَوَّلُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الأَصْلُ الثَّانِي، وَإِلَّا فَلَا. وَيُنْشِدُ:

قَرِيبُ الوَجْدِ ذُو مَرْمَى بَعِيدٍ * عَلَى الأَحْرَارِ مِنْهُمْ وَالعَبِيدِ
غَرِيبُ الوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبٍ * كَأَنَّ فُؤَادَهُ زُبَرُ الحَدِيدِ
لَقَدْ عَزَّتْ مَعَانِيهُ فَغَابَتْ * عَنِ الأَبْصَارِ إِلَّا لِلشَّهِيدِ
تَرَى الأَعْيَادَ فِي الأَوْقَاتِ تَجْرِي * لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عِيدِ
وَلِلْأَحْبَابِ أَفْرَاحٌ بِعِيدٍ * وَلَا تَجِدِ السُّرُورَ لَهُ بِعِيدِ

إهـ[1]

قَوْلُهُ: وَعَلَيْكَ. مَعْنَاهُ هُوَ عُلُوُّ العِنَايَةِ، يَعْنِي أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اعْتَنَى بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالصَّلَاةِ لَا يَتْرُكُ وَلَا يُفْرِطُ فِيهَا كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ: **(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)**[2]. يُرِيدُ حُكْماً حَتَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، يَعْنِي لَا يَتْرُكُهُ، وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الآيَةِ الأُخْرَى: **(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)**[3]. الآيَةُ[4]. يَعْنِي أَنَّ هَذَا حُكْمٌ حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ لَا يُمْكِنُ تَخَلُّفُهُ وَلَا يُتَصَوَّرُ. كَمَا قَالَ: **(مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ)**[5].

---

[1]- ح ي ل: (إهـ) ساقطة
[2]- سورة هود، الآية 6
[3]- سورة الأنعام، الآية 54
[4]- ع ك ي: (الآية) ساقطة
[5]- سورة ق، الآية 29

فَحَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَلَى نَفْسِهِ بِاخْتِيَارِهِ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتْماً مَقْضِيّاً، اعْتِنَاءً مِنْهُ بِحَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا اعْتَنَى بِجَمِيعِ الْوُجُودِ، حَيْثُ حَكَمَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالرَّحْمَةِ، فَقَالَ: **(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)**[2]. الآيَةُ. فَطَلَبَ الْمُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصَّلَاةَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَكُونَ بَارِزَةً مِنْ عَيْنِ الْعِنَايَةِ وَهِيَ شِدَّةُ الاعْتِنَاءِ بِالشَّيْءِ. فَهَذَا مَعْنَى: وَعَلَيْكَ.

قَوْلُهُ: **" وَسَلِّمْ عَلَيْهِ سَلَاماً تَامّاً عَامّاً شَامِلاً "**. وَمَعْنَى السَّلَامِ هَا هُنَا هُوَ الأَمَانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ تَشْوِيشاً أَوْ تَنْغِيصاً أَوْ نَقْصاً فِي الحَظِّ العَاجِلِ وَالآجِلِ.

قَوْلُهُ: تَامّاً. يَعْنِي مُحِيطاً[3] بِجَمِيعِ الأُمُورِ لَا يَقَعُ لَهُ تَشْوِيشٌ وَلَا تَنْغِيصٌ[4] فِي جَمِيعِ الأُمُورِ.

وَقَوْلُهُ: عَامّاً شَامِلاً. مَعْطُوفَاتٌ لِلتَّفْنِينِ فِي العِبَارَةِ.

قَوْلُهُ: **"لِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِ قُدْسِكَ"**. يَعْنِي أَنَّهُ ذَكَرَ هَا هُنَا عُمُومَ السَّلَامِ وَشُمُولَهُ لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِجَمِيعِ كَمَالَاتِ القُدْسِ وَهُوَ وُرُودُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ ذَاتِهِ، فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِ القُدْسِ.

---

[1]- ح ك ي: (على نفسه) ساقطة

[2]- سورة الأنعام، الآية 54

[3]- ح ع ك ي: محيط

[4]- ح: تنغيص ولا تشويش

قَوْلُهُ: "دَائِمَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ". التَّثْنِيَةُ هَا[1] هُنَا لِلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ دَائِمَيْنِ. وَقَوْلُهُ: مُتَّصِلَيْنِ رَفْعاً[2] لِمَا يُوهِمُ[3] فِي الدَّوَامِ بِأَنْ يُفْعَلَ مَرَّةً وَيُقْطَعَ أُخْرَى ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الدَّوَامِ. فَهَذَا دَوَامٌ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِالاتِّصَالِ بِأَنَّهُ لَا يَفْرُغُ ذَلِكَ حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الاتِّصَالِ، لِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

قَوْلُهُ: "عَلَى خَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ". قَوْلُهُ[4] الخَلِيلُ وَالحَبِيبُ يَحْتَمِلُ هَا هُنَا عَطْفَ البَيَانِ وَالمُرَادَفَةَ بِكَوْنِ الحَبِيبِ هُوَ الخَلِيلُ وَالخَلِيلُ هُوَ الحَبِيبُ. وَيَحْتَمِلُ المُغَايَرَةَ، وَإِنْ قُلْنَا بِالمُغَايَرَةِ هَا هُنَا، فَالمُرَادُ بِالخَلِيلِ الَّذِي يَخْتَصُّهُ بِأَسْرَارِهِ، يُسَارُّهُ بِأَسْرَارِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَلَا يَعْرِفُ أَسْرَارَهُ غَيْرُهُ مِنَ الخَلْقِ، وَالحَبِيبُ هُوَ الَّذِي يَكْتَنِزُهُ فِي بَاطِنِ نَفْسِهِ. فَلَيْسَ عِنْدَهُ فِي الخَلْقِ[5] حَبِيبٌ يُعَادِلُهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ.

قَوْلُهُ: "عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ القَدِيمِ". مَعْنَاهُ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ القَدِيمِ، فَإِنَّ إِحَاطَةَ العِلْمِ لَا غَايَةَ لَهَا. فَكَذَلِكَ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ صَلَاةً مُتَعَدِّدَةً عَلَى عَدَدِ مَا أَحَاطَ بِهِ العِلْمُ الإِلَهِي. قَوْلُهُ: "وَعَمِيمِ فَضْلِكَ". مَعْنَاهُ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ[6] عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ القَدِيمُ وَعَلَى آلِهِ[7] عَدَدَ مَا مَسَّهُ فَضْلُكَ "العَظِيمُ". "العَظِيمُ". وَالمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ العَالَمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَجَوَاهِرُهُ وَأَعْرَاضُهُ، فَإِنَّ جَمِيعَهُ

---

[1]- ح: (ها) ساقطة

[2]- ي: رافعا

[3]- ك: يتوهم

[4]- ح: (قوله) ساقطة

[5]- ح ل: فليس في الخلق عنده

[6]- ك: (عليه) ساقطة

[7]- ح ك ي ل هـ ق ص: (آله) ساقطة

وُجِدَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأُمِدَّ بَقَاؤُهُ مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مَا هُنَاكَ إِلَّا مَحْضُ فَضْلِهِ.

قَوْلُهُ: "وَنُبْ عَنَّا بِمَحْضِ فَضْلِكَ الكَرِيمِ". ثُمَّ رَجَعَ المُصَلِّي فِي طَلَبِ النِّيَابَةِ **"فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ"**، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّفَ العِبَادَ بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ[1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)**[2]. الآيَةُ. حَيْثُ طَلَبْتَنَا يَا رَبِّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُبْ عَنَّا أَنْتَ فِي ذَلِكَ، صَلِّ عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ نِيَابَةً عَنَّا كَمَا تُصَلِّي[3] عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، وَكَذَا فِي السَّلَامِ أَيْضاً كَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى مَحْضِ فَضْلِكَ الكَرِيمِ: مَحْضُ الفَضْلِ أَنَّهُ يَرِدُ مِنَ اللَّهِ بِلَا سَبَبٍ يَسْبِقُهُ. **قَوْلُهُ: "صَلَاتَكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ"**: مَعْنَاهُ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ مِنَّا فِي الصَّلَاةِ الَّتِي سَأَلْنَاكَ فِي النِّيَابَةِ عَنَّا فِيهَا، صَلِّ عَلَيْهِ تِلْكَ الصَّلَاةَ الَّتِي صَلَّيْتَ بِهَا عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ تِلْكَ الصَّلَاةِ نِيَابَةً عَنَّا.

قَوْلُهُ: "فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ". مَعْنَاهُ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَهُوَ حِينَئِذٍ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ بِلَا بُعْدٍ عَنْكَ. وَمِحْرَابُ القُدْسِ هُوَ[4] حَضْرَتُهُ الأَحْمَدِيَّةُ الَّتِي يَحْمَدُ فِيهَا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهِيَ مِحْرَابُ القُدْسِ. **قَوْلُهُ: "وَهُوِيَّةِ أُنْسِكَ"**. مَعْنَاهُ: حَيْثُ يَكُونُ فِي بِسَاطِ الأُنْسِ بِكَ حَيْثُ أَنْتَ هُوَ وَهُوَ أَنْتَ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ[5] فِي هَذَا[6] البِسَاطِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- ح ل: بالصلاة عليه

[2]- سورة الأحزاب، الآية 56

[3]- ك: نصلي

[4]- ك ي ل: هي

[5]- ع ك ي ل: (يا رب) ساقطة

[6]- ل: في ذلك

وَسَلَّمَ. **قَوْلُهُ: "وَعَلَى آلِهِ"**. مَعْنَاهُ: طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى[1] أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى آلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبَ المُصَلِّي أَيْضاً الصَّلاَةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى **صَحَابَةِ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**[2].

قَوْلُهُ: "وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ". يَعْنِي عَلَى الآلِ وَالصَّحَابَةِ. وَالسَّلاَمُ هُنَا هُوَ الأَمَانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَعْنِي: كَمَا وَرَدَ مِنْكَ الأَمَانُ عَلَى حَبِيبِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْرِدِ الأَمَانَ مِنْكَ عَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ.

قَوْلُهُ: "عَدَدَ إِحَاطَةِ عِلْمِكَ". مَعْنَاهُ: صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ[3] عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ العِلْمُ القَدِيمُ. وَمَا أَحَاطَ بِهِ العِلْمُ الإِلَهِي لَا غَايَةَ لَهُ، كَذَلِكَ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا انْتِهَاءَ أَبَدَ الآبَادِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ[4] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى مَا أَمْلاَهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الصَّلاَةِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ أَوَاخِرَ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلاَث عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ عَلَى يَدِ أَفْقَرِ العَبِيدِ إِلَى مَوْلاَهُ الغَنِيِّ الحَمِيدِ عَلِيٍّ حَرَازِمَ بْنِ العَرْبِيِّ بَرَّادَةَ لَطَفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَأَخْتِمُ شَرْحَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ بِمَسْأَلَةِ **إِهْدَاءِ الثَّوَابِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَدْ سَأَلْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ[5] بَيَانِ ذَلِكَ، فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **اعْلَمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

---

[1] - ع ك ل: (تعالى) ساقطة

[2] - ي: (قَوْلُهُ: وَعَلَى آلِهِ. مَعْنَاهُ: طَلَبَ المُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى آلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبَ المُصَلِّي أَيْضاً الصَّلاَةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ساقطة

[3] - ح: صل عليهم وسلم

[4] - ح: وآله

[5] - ح: (عن) ساقطة

وَسَلَّمَ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ الخَلْقِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَرْداً فَرْداً، وَعَنْ صَلاَتِهِمْ عَلَيْهِ وَعَنْ إِهْدَائِهِمْ ثَوَابَ الأَعْمَالِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ غَنِيٌّ[1] بِرَبِّهِ أَوَّلاً وَبِمَا مَنَحَهُ مِنْ سُبُوغِ فَضْلِهِ، وَكَمَالِ طَوْلِهِ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَايَةٍ لَا يُمْكِنُ وُصُولُ غَيْرِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَطْلُبُ مَعَهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةً أَوْ إِفَادَةً، يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**)[2]،

وَهَذَا العَطَاءُ، وَإِنْ وَرَدَ مِنَ الحَقِّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ سَهْلَةُ المَأْخَذِ، قَرِيبَةُ المَحْتِدِ، فَإِنَّ لَهَا غَايَةً لَا تُدْرِكُ العُقُولُ أَصْغَرَهَا فَضْلاً عَنِ الغَايَةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُهَا، **فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى قَدْرِ سَعَةِ رُبُوبِيَّتِهِ**، وَيُفِيضُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَدْرِ حُظْوَتِهِ[3] وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ. وَمَا ظَنُّكَ بِعَطَاءٍ يَرِدُ مِنْ مَرْتَبَةٍ لَا غَايَةَ لَهَا، وَعَظَمَةُ ذَلِكَ العَطَاءِ عَلَى قَدْرِ تِلْكَ المَرْتَبَةِ، ثُمَّ يَرِدُ عَلَى مَرْتَبَةٍ لَا غَايَةَ لَهَا أَيْضاً، وَعَظَمَتُهُ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهَا أَيْضاً، فَكَيْفَ يُقَدَّرُ هَذَا العَطَاءُ، وَكَيْفَ تَحْمِلُ العُقُولُ سَعَتَهُ. وَلِذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**)[4].

وَأَقَلُّ مَرَاتِبِهِ فِي غِنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ لَدُنِ بِعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، كُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ لِلَّهِ مِمَّنْ دَخَلَ فِي طَوْقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ لَهُ مَعَ ثَوَابِ عَمَلِهِ بَالِغاً مَا بَلَغَ، فَلَيْسَ يَحْتَاجُ مَعَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ إِلَى زِيَادَةِ إِهْدَاءِ الثَّوَابِ لِمَا فِيهِمَا مِنْ كَمَالِ الغِنَى الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ. وَهَذِهِ[6] أَصْغَرُ مَرَاتِبِ غِنَاهُ صَلَّى اللَّهُ

---

[1]- ع ك ي ل: (فهو غني) ساقطة

[2]- سورة الضحى، الآية 5

[3]- ح ع ك: حضوته

[4]- سورة النساء، الآية 113

[5]- ع ك ي: (صلى الله عليه وسلم) ساقطة

[6]- ح ل: وهذا

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَيْفَ بِمَا وَرَاءَهَا مِنَ الفَيْضِ الأَكْبَرِ وَالفَضْلِ العَظِيمِ الأَخْطَرِ، الَّذِي لَا تُطِيقُ حَمْلَهُ عُقُولُ الأَقْطَابِ فَضْلاً عَمَّنْ دُونَهُمْ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ **لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى صَلَاةِ المُصَلِّينَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَلَا شُرِعَتْ لَهُمْ لِيَحْصُلَ لَهُ النَّفْعُ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى إِهْدَاءِ الثَّوَابِ مِمَّنْ يُهْدِي لَهُ ثَوَابَ الأَعْمَالِ، وَمَا مَثَلُ المُهْدِي لَهُ فِي هَذَا البَابِ ثَوَابَ العَمَلِ مُتَوَهِّماً أَنَّهُ يَزِيدُهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يُحَصِّلُ لَهُ[1] نَفْعاً، إِلَّا كَمَنْ رَمَى نُقْطَةَ قَلَمٍ فِي بَحْرٍ طُولُهُ مَسِيرَةُ عَشْرِ مِائَةِ أَلْفِ عَامٍ وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ وَعُمْقُهُ كَذَلِكَ، مُتَوَهِّماً أَنَّهُ يَمُدُّ هَذَا البَحْرَ بِتِلْكَ النُّقْطَةِ وَيَزِيدُهُ، فَأَيُّ حَاجَةٍ لِهَذَا البَحْرِ بِهَذِهِ النُّقْطَةِ وَمَا عَسَى أَنْ تَزِيدَ فِيهِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ رُتْبَةَ غِنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُظْوَتَهُ عِنْدَ رَبِّهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِيُعَرِّفَهُمْ عُلُوَّ مِقْدَارِهِ عِنْدَهُ** وَشُفُوفَ مَرْتَبَتِهِ لَدَيْهِ، وَعُلُوَّ اصْطِفَائِهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلِيُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ العَمَلَ مِنْ عَامِلٍ إِلَّا بِالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَمَنْ طَلَبَ القُرْبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَجُّهَ إِلَيْهِ دُونَ التَّوَسُّلِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْرِضاً عَنْ كَرِيمِ جَنَابِهِ وَمُدْبِراً عَنْ تَشْرِيعِ خِطَابِهِ كَانَ مُسْتَوْجِباً مِنَ اللَّهِ غَايَةَ السَّخَطِ وَالغَضَبِ وَغَايَةَ اللَّعْنِ وَالطَّرْدِ وَالبُعْدِ، وَضَلَّ سَعْيُهُ، وَخَسِرَ عَمَلُهُ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَامْتِثَالِ شَرْعِهِ.

فَإِذاً، **فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِيهَا** تَعْرِيفٌ لَنَا بِعُلُوِّ مِقْدَارِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، **وَفِيهَا** تَعْلِيمٌ لَنَا بِالتَّوَسُّلِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ التَّوَجُّهَاتِ وَالمَطَالِبِ لَا غَيْرَ هَذِهِ مِنْ تَوَهُّمِ النَّفْعِ لَهُ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ[2] سَابِقاً مِنْ كَمَالِ الغِنَى. وَأَمَّا

---

[1]- ح ي ل: أو يحصل له به

[2]- ك: ذكرنا

إِهْدَاءُ الثَّوَابِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعَقَّلْ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الغِنَى أَوَّلاً، ثُمَّ **تَعَقَّلْ مِثَالاً آخَرَ يُضْرَبُ لِإِهْدَاءِ الثَّوَابِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِمَلِكٍ عَظِيمِ المَمْلَكَةِ، ضَخْمِ السَّلْطَنَةِ، قَدْ أُوتِيَ فِي مَمْلَكَتِهِ مِنْ كُلِّ مُتَمَوِّلٍ خَزَائِنَ لَا حَدَّ لِعَدَدِهَا، كُلُّ خِزَانَةٍ عَرْضُهَا وَطُولُهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ مَمْلُوءَةٌ كُلُّ خِزَانَةٍ عَلَى هَذَا القَدْرِ يَاقُوتاً أَوْ ذَهَباً أَوْ فِضَّةً أَوْ زَرْعاً[1] أَوْ غَيْرَهَا مِنَ المُتَمَوِّلَاتِ.

ثُمَّ قَدِّرْ فَقِيراً لَا يَمْلِكُ مَثَلاً غَيْرَ خُبْزَتَيْنِ مِنْ دُنْيَاهُ فَسَمِعَ بِالمَلِكِ وَاشْتَدَّ حُبُّهُ وَتَعْظِيمُهُ لَهُ فِي قَلْبِهِ، فَأَهْدَى لِهَذَا[2] المَلِكِ إِحْدَى الخُبْزَتَيْنِ مُعَظِّماً لَهُ وَمُحِبّاً، وَالمَلِكُ مُتَّسِعُ الكَرَمِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الخُبْزَةَ لَا تَقَعُ مِنْهُ بِبَالٍ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الغِنَى الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ، فَوُجُودُهَا عِنْدَهُ وَعَدَمُهَا عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ. ثُمَّ المَلِكُ لِاتِّسَاعِ كَرَمِهِ، عَلِمَ فَقْرَ الفَقِيرِ وَغَايَةَ جُهْدِهِ، وَعَلِمَ صِدْقَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمَهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَنَّهُ مَا أَهْدَى لَهُ الخُبْزَةَ إِلَّا لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَلَوْ[3] قَدَرَ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَأَهْدَاهُ لَهُ، فَالمَلِكُ يُظْهِرُ لَهُ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ بِذَلِكَ الفَقِيرِ وَبِهَدِيَّتِهِ لِأَجْلِ تَعْظِيمِهِ لَهُ وَصِدْقِ حُبِّهِ، لَا لِأَجْلِ انْتِفَاعِهِ بِالخُبْزَةِ، وَيُثِيبُ عَلَى تِلْكَ الخُبْزَةِ بِمَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ مِنَ العَطَاءِ لِأَجْلِ صِدْقِ المَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، لَا لِأَجْلِ النَّفْعِ بِالخُبْزَةِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَضَرْبِ المَثَلِ قَدِّرْ إِهْدَاءَ الثَّوَابِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا غِنَاهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي ضَرْبِ المَثَلِ بِعَظَمَةِ البَحْرِ المَذْكُورِ أَوَّلاً، وَإِمْدَادِهِ بِنُقْطَةِ القَلَمِ. وَأَمَّا إِثَابَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ ذُكِرَ المَثَلُ لَهَا بِإِهْدَاءِ الخُبْزَةِ لِلْمَلِكِ المَذْكُورِ وَالسَّلَامُ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

[1] - ع ك ي ل: أو زروعا

[2] - ك: لذلك

[3] - ح: فلو

فَائِدَةٌ فِي اعْتِبَارِ كَثْرَةِ المَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ جُنْدِ اللَّهِ، وَفِي الحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ. مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ رَاكِعٌ). وَرُوِيَ أَنَّ بَنِي آدَمَ عُشُرُ الجِنِّ، وَالجِنُّ وَبَنُو آدَمَ عُشُرُ حَيَوَانَاتِ **البَرِّ**، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عُشُرُ الطَّيْرِ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عُشُرُ حَيَوَانَاتِ **البَحْرِ**، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ[1] عُشُرُ مَلَائِكَةِ **الأَرْضِ** المُوَكَّلِينَ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ عُشُرُ مَلَائِكَةِ **السَّمَاءِ الدُّنْيَا**، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ عُشُرُ مَلَائِكَةِ **الثَّانِيَةِ**، ثُمَّ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ **إِلَى السَّابِعَةِ**، ثُمَّ الكُلُّ فِي مُقَابَلَةِ **الكُرْسِيِّ** نَزْرٌ قَلِيلٌ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ عُشُرُ مَلَائِكَةِ **السُّرَادِقِ الوَاحِدِ** مِنْ سُرَادِقَاتِ العَرْشِ الَّتِي عَدَدُهَا سِتُّمِائَةِ أَلْفِ سُرَادِقٍ، طُولُ السُّرَادِقِ وَعَرْضُهُ وَسُمْكُهُ إِذَا قُوبِلَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهَا تَكُونُ شَيْئاً يَسِيراً وَقَدْراً صَغِيراً، وَمَا مِنْ مِقْدَارِ مَوْضِعِ قَدَمٍ مِنْهَا، إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ قَائِمٌ[2]، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، ثُمَّ كُلُّ هَؤُلَاءِ فِي مُقَابَلَةِ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَحُفُّونَ **حَوْلَ العَرْشِ** كَالقَطَرَاتِ فِي البَحْرِ، وَلَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَقِيلَ **حَوْلَ العَرْشِ** سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ مِنَ المَلَائِكَةِ يَطُوفُونَ بِهِ، مُهَلِّلِينَ وَمُكَبِّرِينَ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ قِيَامٌ، قَدْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ مِائَةُ أَلْفِ صَفٍّ قَدْ وَضَعُوا الأَيْمَانَ عَلَى الشَّمَائِلِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِمَا سَبَّحَ بِهِ الآخَرُ، ثُمَّ كُلُّ هَؤُلَاءِ فِي مَلَائِكَةِ اللَّوْحِ الَّذِينَ هُمْ أَشْيَاعُ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزْرٌ قَلِيلٌ. وَقِيلَ **بَيْنَ القَائِمَتَيْنِ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ** خَفَقَانُ الطَّيْرِ المُسْرِعِ ثَمَانِينَ أَلْفَ عَامٍ، وَقِيلَ فِي عِظَمِ العَرْشِ أَنَّ لَهُ ثَلَاثَمِائَةً وَسِتَّةً وَسِتِّينَ

---

[1]- ك: وهؤلاء كلهم

[2]- ح: وقائم

قَائِمَةً قَدْرُ كُلُّ قَائِمَةٍ كَالدُّنْيَا سِتُّونَ[1] أَلْفَ مَرَّةٍ، وَبَيْنَ القَائِمَتَيْنِ سِتُّونَ أَلْفَ صَحْرَاءٍ، فِي كُلِّ صَحْرَةٍ سِتُّونَ أَلْفَ عَالَمٍ. انْتَهَى[2].

وَفَوْقَ العَرْشِ سَبْعُونَ حِجَاباً، فِي كُلِّ حِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ **حِجَابٍ** وَحِجَابٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَامٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْمُورٌ بِالمَلَائِكَةِ الكِرَامِ وَكَذَا مَا فَوْقَ الحُجُبِ السَّبْعِينَ مِنْ **عَالَمِ الرَّقَّا** بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالقَافِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ المَلَائِكَةِ كُلُّهُمْ يُصَلُّونَ عَشْراً عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً، هَكَذَا دَائِماً أَبَداً كَثَّرَ أَوْ قَلَّلَ. هَذَا فِي غَيْرِ صَلَاةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ،

وَأَمَّا هِيَ فَإِنَّ مَنْ صَلَّى بِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَتُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ صَلَاةٍ صَدَرَتْ مِنْ كُلِّ مَلَكٍ فِي العَالَمِ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ مَعَ صَلَاةِ كُلِّ مَلَكٍ عَلَيْهِ عَشْراً، فَهَذَا فِي عُمُومِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا مَنْ[3] خَصَّهُ[4] اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ كَمَنْ مَنَحَهُ بِقَوْلِ دَائِرَةِ الإِحَاطَةِ فَإِنَّ كُلَّ مَلَكٍ يَذْكُرُ مَعَهُ بِجَمِيعِ أَلْسِنَتِهِ إِذَا ذَكَرَهُ سَوَاءٌ كَثَّرَ أَوْ قَلَّلَ وَهَكَذَا دَائِماً، وَذِكْرُ كُلِّ لِسَانٍ مِنَ المَلَكِ[5] يُضَاعَفُ[6] عَلَى ذِكْرِ الآدَمِيِّ بِعَشْرِ مَرَّاتٍ. انْتَهَى مِنْ إِمْلَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[7].

قَالَ مُؤَلِّفُهُ وَجَامِعُهُ أَفْقَرُ العَبِيدِ إِلَى مَوْلَاهُ الغَنِيِّ الحَمِيدِ **عَلِيُّ حَرَازِمُ بْنُ العَرَبِيِّ بَرَّادَةُ المَغْرِبِيُّ الفَاسِي** دَاراً وَمَنْشَئاً، التِّجَانِيُّ طَرِيقَةً، المُحَمَّدِيُّ حَقِيقَةً، كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيّاً وَبِهِ حَفِيّاً. **هَذَا آخِرُ مَا تَيَسَّرَ لِيَ جَمْعُهُ** مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا أَبِي العَبَّاسِ التِّجَانِي رَضِيَ

---

[1]- ح ل: ستين

[2]- ح ل: (انتهى) ساقطة

[3]- ك: ما

[4]- ع: خطه

[5]- ك: ملك

[6]- ك: يضعف

[7]- ك: رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه.

اللَّهُ عَنْهُ خَوْفَ التَّفْرِيطِ وَالتَّضْيِّيعِ، وَذَلِكَ أَوَاسِطَ ذِي القِعْدَةِ الحَرَامِ سَنَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، وَسَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَيْدِ الحَيَاةِ أَبْقَى اللَّهُ عُمْرَهُ بَرَكَةً لِلْعِبَادِ فِي جَمِيعِ البِلَادِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ عُلُومِهِ وَأَسْرَارِهِ وَفُيُوضَاتِهِ وَتَجَلِّيَاتِهِ وَتَرَقِّيَاتِهِ إِلَى الآبَادِ، وَلَمْ أَزَلْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْنَا مِنَ العُلُومِ وَالأَسْرَارِ[1]، وَالفُتُوحَاتِ وَالأَنْوَارِ، أُلْحِقُ كُلَّ مَسْأَلَةٍ بِمَحَلِّهَا وَبِهِ الإِمْدَادُ وَالإِعَانَةُ وَالتَّوْفِيقُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

وَقَدْ ذَهَبْتُ فِيهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ مَذْهَباً جَمِيلاً. وَفَصَّلْتُ الكَلَامَ فِيهِ تَفْصِيلاً. وَلَمْ آلُ مَعَ تَفْصِيلِهِ فِي تَرْتِيبِهِ. وَتَنْقِيحِهِ قَدْرَ الإِمْكَانِ وَتَهْذِيبِهِ. وَإِيرَادِ مَا يَتَأَكَّدُ إِيرَادُهُ. وَيَحْسُنُ مُرَادُهُ وَمَفَادُهُ. فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَافِياً بِالغَرَضِ المَقْصُودِ. آتِياً بِالحَاضِرِ المَوْجُودِ. حَسَنَ الصَّنِيعِ. ذَا نَمَطٍ بَدِيعٍ. وَاضِحَ المَبَانِي. لَائِحَ المَعَانِي. جَامِعاً لِلْأُمَّهَاتِ. تَارِكاً لِلْأَجْنَبِيَّاتِ. سَامِياً فِي بَابِهِ. وَمُسَامِياً لِأَضْرَابِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُوَفِّ بِمَا هُنَالِكَ مِنَ المَآثِرِ. وَلَمْ يَأْتِ عَلَى آخِرِ تِلْكَ المَفَاخِرِ. وَإِذَا ظَهَرَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ[2] لَمْ يَسْتَطِعِ الحَاسِبُ لَهُ عَدّاً. وَلَمْ يَبْلُغْ لَهُ غَايَةً وَلَا حَدّاً. فَسَوَاءٌ المُطِيلُ وَالمُقَصِّرُ. وَالمُطْنِبُ وَالمُخْتَصِرُ. وَقَدْ بَيَّنْتُ فِيهِ تَفْسِيرَ مَا يَتَأَكَّدُ تَفْسِيرُهُ. وَيَحْسُنُ تَقْرِيرُهُ وَتَحْرِيرُهُ. مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُ المَعْنَى. وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيمَا يُرَادُ وَيُعْنَى. لِيَحْصُلَ المَقْصُودُ. وَالغَرَضُ المَرْصُودُ. فِيمَا أُرِيدَ مِنْ فَهْمِهِ. وَالانْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ.

كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا اسْتَفَدْتُ مَعْنَاهُ. وَاسْتَنْشَقْتُ مَدْلُولَهُ وَفَحْوَاهُ. أَوْ سَأَلْتُهُ عَنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ فَبَيَّنَ لِي مَعْنَاهُ. مِنَ المُؤَلِّفِ فِيهِ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا. وَسَنَدِنَا وَمَوْلَانَا. وَمَنْ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا وَأَوْلَانَا. قُدْوَةِ الأَنَامِ. وَحُجَّةِ الإِسْلَامِ. أَبِي[3] العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مَحَمَّدٍ التِّجَانِي الحَسَنِي

---

[1]- ح ل: من الأسرار والعلوم

[2]- ح: حد

[3]- ح ع ي ل: أبو

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَا بِهِ. وَأَدَامَنَا فِي حِمَاهُ وَنَفَعَنَا بِهِ. فَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ وَأَلْهَمَ. وَعَلَّمَ وَأَفْهَمَ. وَآوَانَا وَأَعْطَانَا. وَبِجَمِيلِ فَضْلِهِ سَتَرَنَا وَغَطَّانَا.

وَكَثِيراً مَا نَسْتَحْضِرُ كَلَامَ السَّادَاتِ لَدَيْهِ. تَجِدُنِي كَأَنِّي عَرَبِيٌّ يَسْتَمِعُ لِعَجَمِيِّ اللِّسَانِ لَا يَفْقَهُ مِمَّا لَدَيْهِ. فَإِذَا سَمِعْتُهُ مِنْ خِطَابِهِ فَتَحَ البَابَ. وَزَالَ عَنْ فَهْمِ مَعْنَاهُ الحِجَابُ. فَعُدْتُ أَفْهَمُ كَلَامَهُمْ بِكَلَامِهِ. وَمَقَامَهُمْ بِمَقَامِهِ. فَمَا نَطَقَ هُنَا فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا لِسَانُهُ. وَلَا ظَهَرَ فِيمَا أَبْرَزْنَاهُ إِلَّا إِفْضَالُهُ وَإِحْسَانُهُ. وَمَا أُلِّفَ فِيهِ إِلَّا مَنْطِقُ فِيهِ. هَذَا وَلَمْ أُودِعْ هَذَا الكِتَابَ. وَمَا جَمَعْتُ فِيهِ مِنَ[1] الأَبْوَابِ. خُصُوصاً بِأَبِيِّ الدَّلَالَةِ وَالكَلَامِ. اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ خُلَاصَةِ المَرَامِ. شَيْئاً مِنْ نَفِيسِ دُرَرِ أَسْرَارِهِ[2]. وَغُرَرِ مَعَارِفِهِ وَأَنْوَارِهِ. وَإِنَّمَا جَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ. وَأَوْدَعْتُ هُنَالِكَ. مَا أَمْكَنَ ذِهْنِي التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ. وَالتَّسَوُّرَ[3] عَلَيْهِ. كَمَا بَيَّنْتُهُ فِيمَا قَدَّمْتُهُ. وَهُنَاكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ بِالعَقْلِ الفَاهِمُونَ. وَمَا يَعْقِلُهُ إِلَّا العَالِمُونَ. الَّذِينَ وَجَدُوهُ فَعَلِمُوهُ. وَسَلَكُوهُ فَفَهِمُوهُ. وَفُتِحَ لَهُمْ فَعَرَفُوهُ. وَكُشِفَ لَهُمْ فَوَصَفُوهُ.

فَأَتَيْتُ مِنْ ذَلِكَ بِالوَاضِحِ وَاليَسِيرْ. مِمَّا قَادَهُ إِلَيَّ التَّيْسِيرْ. وَأَوْصَلْتُهُ لِكُلِّ مُتَبَرِّكْ. وَهُوَ بِعُرْوَةِ أَهْلِ اللَّهِ مُتَمَسِّكْ. وَأَدْلَيْتُ مُتَبَرِّكاً دِلَاءَيْ. مَعَ مَنْ أَدْلَاهُ[4] مِنْ أَخِلَّاءَيْ. وَهَذَا البَحْرُ العَظِيمُ الَّذِي لَا يُدْرَكُ قَعْرُهْ. وَلَا يُسْتَنْفَذُ يَاقُوتُهُ وَدُرُّهْ. بَلَّغَ اللَّهُ فِيهِ مُنَاهُمْ وَمُنَاءِيْ. وَكَمَّلَ فِيهِ رَجَاءَهُمْ وَرَجَاءِيْ. وَهَذَا آخِرُ مَا قُدِّرَ فِي هَذَا الوَقْتِ إِبْرَامُهُ وَإِنْجَازُهُ. وَجَرَى بِمَشِيئَةِ اللَّهِ إِخْرَاجُهُ وَإِبْرَازُهُ. مِنْ ذِكْرِ أَخْبَارِ هَذَا السَّيِّدِ الكَرِيمِ. وَالفُيُوضَاتِ وَالعُلُومِ وَالأَسْرَارِ وَالأَحْوَالِ وَالأَنْوَارِ الَّتِي تُنْبِئُ عَنْ مَجْدِهِ العَظِيمِ. الَّذِي تَكَلُّ الأَلْسُنُ عَنِ[5]

---

[1]- ع: (من) ساقطة

[2]- ح: نفيس درره

[3]- ح ي: والتصور

[4]- ح: مع أن إدلاه

[5]- ح: على

اسْتِيفَاءِ فَضَائِلِهِ. وَتَقْصُرُ الأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِ مَحَاسِنِهِ وَشَمَائِلِهِ. كَيْفَ وَهُوَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمُ المَلَأُ الأَعْلَى. وَوَصْفُ مَا هُمْ عَلَيْهِ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُظْفَرَ بِهِ وَأَغْلَى. فَلْيَكْتَفِ بِهَذَا القَدْرِ المُتَبَرِّكُونَ. وَلْيَسْتَعِنْ بِهِ النَّاسِكُونَ وَالسَّالِكُونَ. فَكَفَى بِهِ بَرَكَةً وَنُوراً. وَانْتِهَاجاً لِلْمُحِبِّينَ وَسُرُوراً. نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونُ. وَرَحِمَنَا بِهِ يَوْمَ تَكْثُرُ الأَهْوَالُ وَالفُتُونُ. وَسَامَحَنَا فِيمَا صَحِبَنَا فِيهِ مِنَ الحُظُوظِ النَّفْسِيَّةِ. وَخَلَّصَنَا مِنْ رِقِّ الأَغْيَارِ. بِجَاهِ صَاحِبِ الأَنْوَارِ. إِلَى الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ وَجَعَلَنَا مَعَ ذَلِكَ الرَّفِيقِ. وَسَلَكَ بِنَا نَهْجَ هَذِهِ[1] الطَّرِيقِ. إِنَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ الإِلْهَامْ. وَمَنَّ بِهِ مِنَ الكَمَالِ وَالإِتْمَامِ. مِمَّا جَمَعْتُهُ فِي هَذَا الوَقْتِ مِنْ عُلُومِ هَذَا الإِمَامِ. نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2] أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنَّا مَا خَوَّلَنَاهُ[3] مِنْ إِرْفَادِهِ. وَأَنْ يُسَرْمِدَ عَلَيْنَا فَيْضَ مَوَاهِبِهِ وَإِمْدَادِهِ. وَأَنْ يَخْتِمَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ. وَأَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالإِنَابَةِ إِلَيْهِ. وَالانْقِطَاعِ عَمَّا سِوَاهُ وَالجَمْعِ عَلَيْهِ. وَأَنْ يَهَبَ لَنَا تَوْبَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْباً. وَمَغْفِرَةً لَا تَتْرُكُ لَوْماً وَلَا عَيْباً. وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِدَوَامِ رِضَاهُ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ. وَأَنْ يَعُمَّنَا وَالأَحِبَّةَ وَسَائِرَ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ. وَشَفِيعِ الأُمَّةِ. وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ. وَصَحَابَتِهِ الأَكْرَمِينَ وَتَابِعِيهِمْ مِنَ المُحِبِّينَ. صَلَاةً وَسَلَاماً يَتَعَاقَبَانِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

(وَكَتَبَ بِيَدِهِ الفَانِيَةِ العَبْدُ الجَانِي. خَدِيمُ حَضْرَةِ التِّجَانِي. الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ عَلِيٌّ حَرَازِمُ بْنُ العَرْبِيِّ بَرَّادَةُ المَغْرِبِيُّ الفَاسِيُّ دَاراً وَمَنْشَئاً غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَشْيَاخِهِ وَكَافَّةِ المُسْلِمِينَ. آمِينَ بِتَارِيخِ مُنْتَصَفِ ذِي القِعْدَةِ الحَرَامِ سَنَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ،

---

[1]- ح ل: هذا

[2]- ع ي: (وتعالى) ساقطة

[3]- ح ل: خولنا ـ ي: خوله

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً. انْتَهَى[1] بِحَمْدِ اللَّهِ[2] تَعَالَى[3] وَحُسْنِ عَوْنِهِ. وَتَوْفِيقِهِ الجَمِيلِ[4] وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ) [5].

تَـمَّ الـكِتَابُ بِـحَـمْدِ الـلَّـهِ خَـالِقِنَا * وَمَنْ بِلَا شَكٍّ بَعْدَ المَوْتِ يُحْيِّينَا

يَـا رَبِّ وَاغْـفِرْ لِعَبْدٍ كَـانَ كَـاتِبَهُ * يَـا قَـارِئَ الـخَطِّ قُـلْ بِـاللَّهِ آمِـينَا

آمِـينَ آمِـينَ لَا أَرْضَـى بِـوَاحِدَةٍ * حَتَّى تُـضَـافَ إِلَـيْـهَا أَلْـفُ آمِـينَا[6]

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ[7].

---

[1]- ح ك: كَمُلَ

[2]- ك: بحمد الله من خط مؤلفه بواسطة عشية يوم الإثنين ثامن ذي الحجة الحرام عام واحد وستين ومائتين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. وقد رأيت في نسخة المؤلف رضي الله عنه بخط سيدنا أبي العباس المؤلف فيه رضي الله عنه بعد آخر سطر من الكتاب ما نصه: يقول العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني ...

[3]- ح ك: (تعالى) ساقطة

[4]- ك: (وحسن عونه وتوفيقه الجميل) ساقطة ـ ي: (انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل)

[5]- ل: ما بين القوسين محذوف

[6]- ع ك ي هـ ق ص: (وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

تَـمَّ الـكِتَابُ بِـحَمْدِ الـلَّـهِ خَـالِقِنَا * وَمَنْ بِلَا شَكٍّ بَعْدَ المَوْتِ يُحْيِّينَا

يَـا رَبِّ وَاغْـفِرْ لِعَبْدٍ كَـانَ كَـاتِبَهُ * يَـا قَـارِئَ الـخَطِّ قُـلْ بِـاللَّهِ آمِـينَا

آمِـينَ آمِـينَ لَا أَرْضَـى بِـوَاحِدَةٍ * حَتَّى تُـضَـافَ إِلَـيْـهَا أَلْـفُ آمِـينَا) ساقطة

[7]- ح ي ل: (وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيئِينَ وَالمُرْسَلِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) ساقطة

(**يَقُولُ[1] العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مَحَمَّدٍ التِّجَانِيِّ** قَدْ كَمُلَ تَهْذِيبُ هَذَا الكُنَّاشِ وَتَنْقِيحُهُ، وَانْفَتَحَتْ بِعَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسَارُّهُ وَتَفْرِيحُهُ بِرِوَايَةٍ عَنَّا وَسَمَاعٍ مِنَّا، فَلَا جَرَمَ أَنَّ العَمَلَ فِيهِ عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ المَكْتُوبِ عَلَى آخِرِهَا هَذَا الرَّسْمُ، وَإِنَّ مَا سِوَاهَا مِنَ النُّسَخِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِمَّا يُخَالِفُ هَذِهِ النُّسْخَةَ يَجِبُ تَرْكُهُ، وَأَجَزْتُ فِي جَمِيعِ مَا فِيهَا رَاوِيَهَا عَنَّا سَيِّدِي الحَاجَّ عَلِي حَرَازِمَ[2] جَامِعَهَا، إِذْ كُلُّ مَا فِيهَا أَمْلَيْنَاهُ عَلَيْهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[3] وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[4]. انْتَهَى مِنْ خَطِّهِ رَضِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

---

[1]- ح: وَكَتَبَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَطِّ يَدِهِ عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ مِنَ الأُمِّ المَنْسُوخِ مِنْهَا مَا نَصُّهُ: يَقُولُ ـ ع: الحمد لله نص ما كتبناه من خطّ سيدنا رضي الله عنه بهذا المحل من الأصل تحت آخر سطر منه: يقول.

[2]- ح: احرازم

[3]- ح: وعلى آله

[4]- ع ك: (تسليما) ساقطة